

الحجاء في الحقائق

تصنيف
الامام ابو جعفر محمد بن عيسى بن الحسن بن
الحسين بن علي بن ابي طالب

المجلد الأول

بمطالع من

مكتبة وجمعية كرماتية قوترا - سماط

اندونيسيا

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طنباش

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الأول

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

مواد المقدمة

- صفحة
- (١) تمهيد في التصوف الإسلامي ٣ - ٧
- نعاليم الإسلام - المسلم بين الدنيا والآخرة - المسلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التفكير - ألوان جديدة من المعرفة .
- (٢) الإمام الغزالي ٧ - ١١
- مولده وشأنه - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في المسكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن المنصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - المرة والخلو - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .
- (٣) الشك عند الغزالي ١١ - ١٨
- اختلاف مناهج البحث في العقائد - التصصب للآراء - الغزالي والتقليد - سبل للمعرفة: الحسابات والعقليات - عقبات تترض طريقهما - آثر الفلاسفة والطبيعيين في بثاث التفكير الإسلامي - ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة الغزالي وتصوفه - الغزالي بين الابتداع والاتباع .
- (٤) مناهج البحث عن الحقيقة ١٨ - ٢١
- الغزالي وعلم الكلام - الغزالي والفلسفة - الغزالي ومذهب التعليم - الغزالي والتصوفية - مزايا كل منهج وعيوبه .
- (٥) آثار الغزالي ٢٢ - ٢٣
- (٦) كتاب (إحياء علوم الدين) ٢٣ - ٢٨
- متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - الفرق بين كتابة الغزالي وكتابة الذين سبقوه .
- أقسام الإحياء : العبادات - العادات - المهلكات - للنجيات - أسباب الفتور وضعف الإيمان - الإحياء والتربية - صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢	مقدمة
علم الخلاف وتفصيل آفات الناظرة والجدل وشروط إباحتها	ترجمة الامام الغزالي
٤٣	٢ خطبة الكتاب
بيان التلبس في تشبيه هذه الناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى	٥ (كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)
٤٥	(الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم)
بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	وشواهد من النقل والعقل
٤٩	٥ فضيلة العلم
(الباب الخامس في آداب التعلم والعلم أما التعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جملة)	٩ فضيلة التعلم
٥٥	١٠ فضيلة التحليم
بيان وظائف الرشد للعلم	١٣ في الشواهد العقلية
٥٨	١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقهاء من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة)
٨٢	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٨٢	٢٩ (الباب الثالث فيما يعمده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر للمذموم منها)
٨٢	٢٩ بيان علة ذم العلم المذموم
٨٤	٣٢ بيان ما يبدل من ألقاظ العلوم
٨٧	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة
٨٩	
(كتاب قواعد العقائد) وفيه أربعة فصول	
٨٩	
الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ	
٩٣	
الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	
١٠٤	
الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة	

صفحة	صفحة
١٣٤ فضية الوضوء	١٠٤ فلما الركن الأول من أركان الإيمان في
١٣٥ كيفية القل	معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله
١٣٥ كيفية التيمم	تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتطيف عن	١٠٨ الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى
الفضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ	ومداره على عشرة أصول
وأجزاء	١١٠ الركن الثالث السلم بأفعال الله تعالى
١٣٦ التسوع الأول الأوساخ والربطيات	ومداره على عشرة أصول
للزخمة وهي ثمانية	١١٣ الركن الرابع في السميات وتصدقه
١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من	سلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره
الأجزاء وهي ثمانية	على عشرة أصول
١٤٥ (كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)	١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما
وفيه سبعة أبواب	بينهما من الاتصال والاتصال وما يتطرق
١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود	إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء
والجماعة والأذان وغيرها)	السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
فضية الأذان	١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان
١٤٦ فضية للكتوبة	أو غيره الخ
١٤٧ فضية إتمام الأركان	١١٩ مسألة فإن قلت قد ائتمنى السلف على
١٤٨ فضية الجماعة	أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٤٩ فضية السجود	١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا
فضية الحشوع	مؤمن إن شاء الخ
١٥١ فضية للسجد وموضع الصلاة	١٢٤ (كتاب أسرار الطهارة)
١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة	وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
من الصلاة والبدانة بالتكبير وما قبله)	١٢٧ القسم الأول في طهارة الحيت والنظر
١٥٤ القراءة	فيتره يتعلق بالزوال وللزوال به والإزالة
الركوع ولواحه	١٢٧ الطرف الأول في الزوال
السجود	١٢٨ الطرف الثاني في الزوال به
١٥٥ التشهد	١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الإزالة
١٥٦ القيات	١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها
١٥٨ تميز القرائن والنشئ	الوضوء والتسل والتيمم وتضمها
١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من	الاستنجاء
أعمال القلب الخ)	١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)
١٥٩ بيان لشروط الحشوع وحضور القلب	١٣١ كيفية الاستنجاء
	١٣١ كيفية الوضوء

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان للماني الباطنة التي تم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة الثمن	١٦٣ بيان للصواب النافع في حضور القلب
٢١١ النوع الثاني زكاة للضررات	١٦٥ بيان لمحصل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشروط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة التقدين	١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع في الإملاء والقراءة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاز والعدن	١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجملة وآدابها وستنها وشروطها)
النوع السادس في صدقة القطر	١٧٨ فضيلة الجملة
الفصل الثاني في الأمان وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجملة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٠ وأما السنن الخ
الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي هي مرید طرق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجملة على ترتيب العامة وهي عشر جل
٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأمان	١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التهاد وهي سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار	١٨٩ (الباب السادس في مسائل متفرقة تم بها البلوى ويحتاج للرد إلى مرقها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يلم أن في إظهاره ترغيباً للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع في النوافل من الصلوات وفي أدبها أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يغد صدقة بلن والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام واليالي وهي ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستنصر الصلابة	١٩٨ القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع
٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتفق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطبه	٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرار السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من النوافل ما يتلق بأسباب مألوفة ولا يتلق بالمواقف وهي ثمانية
٢٢١ الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٥ (كتاب أسرار الزكاة)
٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق	وفيه أربعة فصول
٢٢٣ بيان وظائف القابض	
٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفصلها وآداب أخذها وإعطائها	
٢٢٦ بيان فضيلة الصدقة	
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

صفحة	صفحة
٢٥٦	٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
الوقوف من البيت والرمى والنحر	وفيه ثلاثة فصول
والخلق والطواف	٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن
٢٥٨	الظاهرة والأوازم بإفساده
الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها	أما الواجبات الظاهرة فستة
إلى طواف الوداع	٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
٢٥٩	٣٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم
الجملة التاسعة في طواف الوداع	وشروطه الباطنة
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها	٢٣٧ الفصل الثالث في التعاوع بالصيام
٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر	وترتيب الأوراد فيه
٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال	٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
الباطنة)	وفيه ثلاثة أبواب :
٢٦٦	(الباب الأول وفيه فصلان)
بيان دقائق الآداب وهي عشرة	الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة
٢٦٧	البيت ومكة وللمدينة حرسهما الله تعالى
بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص	وشد الرحال لله للساجد
في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد	٢٤٠ فضيلة الحج
الشرعة وكيفية الانكسار فيها والتذكر	٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفرة
لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره	٢٤٤ فضيلة القيام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)	فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد
وفيه أربعة أبواب :	٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج
٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله	وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
وذمّ القصرين في تلاوته)	٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة
٢٧٣ فضيلة القرآن	من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل
٢٧٥ في ذم تلاوة الناقلين	٢٤٧
٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة	الجملة الأولى في السير من أول الخروج
وهي عشرة)	إلى الإحرام وهي ثمانية
٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في	٢٤٨
التلاوة وهي عشرة)	الجملة الثانية في آداب الإحرام من
٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره	الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة
بالرأى من غير نقل)	٢٥٠
٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)	الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى
وفيه خمسة أبواب :	الطواف وهي ستة
٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته	٢٥١
على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار	الجملة الرابعة في الطواف الح
والآثار)	٢٥٣
٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر	الجملة الخامسة في السعي
	٢٥٤
	الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

صفحة	صفحة
٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)	٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة للأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)	٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل) وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان :	٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٣٤ (الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها)	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضيلة الأوراد وبيان أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ بيان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣٤٥ بيان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة وبمعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبغيب كل صلاة)
٣٥٣ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب لليسرة لقيام الليل وفي البالي التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل)	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين الصلوات	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضيلة قيام الليل	٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٢ بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٧٠ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي المرداء رضي الله عنه
٣٧٢ بيان البالي والألهم الفاضلة	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣١٩ دعاء الخضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة التلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن للتميم وهو سليمان التيمي وتسميحاته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه

فهرس

مابها مش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١	٢ ١ - كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد	٢ تعرف الأجاء بفضائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم	٢ خطبة الكتاب
بصحة ضعيفا وغيره من المعرفة قريبا الخ	٤ المقدمة في عنوان الكتاب
١٢٨ بيان أرباب للرتبة الثالثة وهو توحيد	٨ للتصدي في فضل الكتاب وبعض للدأخ
للقريين	والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٤٤ بيان للرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين	استشكل منه وطمع بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إنشاء سر الربوبية كفر	١٦ (فصل) فيمن أوفى على الإحياء من العلماء
وغير ذلك	الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان الواضع التي استشكل فيها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	على الإحياء والجواب عنها
١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام الفزالي
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر	وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى	رضى الله عنهم
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع من	٥٥ ٢ - كتاب
سورة هذا العالم الخ	الإيماء في اشكالات الإحياء
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب القلاء	خطبة الكتاب
للعجمادات غير مستنكر	٦٠ ذكر مراسم الأستجة في الكل
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٦٥ مقدمة في الألفاظ المستعملة
للك ، وبين العلم الإلهي في عالم للسكرات	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٨٧ (فصل) في حد عالم لللك	والاستتارف على كلام الناس وكتب
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	الحكمة
١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأستجة
الإلهية سر لو انكشف لبطلت النبوات ،	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم
والنبوات سر لو انكشف لبطل العلم ،	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي من التوحيد
والعلم سر لو انكشف لبطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت لما الذي صد هؤلاء
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم للكتابة في	الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
الطلب ، وسلوك هذه القلمات ، ورفق	النظر ، والبحث حتى تعلموا ، أو عن الاعتقاد
هذه المراتج ، واستنبها هذه الخاطبات	حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أعوذج منها)	١٩٩ (فصل) لأي شيء ذكرت هذه العلوم
٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم)	بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز
٣١١ (الباب الخامس في ماهية الصوف)	دون التصريحات ، وبالتشابه من الألفاظ
٢٥٠ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	دون المحركات
٣٣٩ (الباب السابع في ذكر سكر التصوف وللتنبه به)	٢٠٣ ٣ - (كتاب عوارف المعارف)
٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله)	خطبة الكتاب
	٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية)
	٢٣٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)

فهرس الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي

صفحة

صفحة

٦٢ ﴿كتاب آداب الكسب والمعاش﴾

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات

٦٣ (الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

٦٦ (الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع الخ

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات

التي هي مدار الكسب في الشرع)

(العقد الأول البيع)

٧٠ (العقد الثاني عقد الربا)

٧١ (العقد الثالث السلم)

٧٢ (العقد الرابع الإجارة)

٧٣ (العقد الخامس القراض)

(العقد السادس الشركة)

٧٤ (الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم

في المعاملة)

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثاني ما ينحصر ضرره للعامل

٨٠ (الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

٨٤ (الباب الخامس في شقنة التاجر على دينه

فما ينحصر ويعم آخرته)

٨٩ ﴿كتاب الحلال والحرام﴾

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة

الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة في عينه الخ

٩٤ القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة إثبات

اليده عليه

٢ ﴿كتاب آداب الأكل﴾

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول في الآداب التي تقدم على

الأكل وهي سبعة

٥ القسم الثاني في آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع

والشاركة في الأكل وهي سبعة)

٨ (الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرين)

١٢ (الباب الرابع في آداب الضيافة)

١٩ فصل يجمع آداباً ومناهجاً طبية وشرعية متفرقة

٢١ ﴿كتاب آداب النكاح﴾

وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول في الترتيب في النكاح

والتربص عنه)

الترتيب في النكاح

٢٤ ما جاء في الترتيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من أحوال

الرأفة وشروط العقد)

٤٣ (الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجرى

في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج

وفما على الزوجة)

٥٨ القسم الثاني من هذا الباب النظر في

خقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين ينفذون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ الثار الأول الشك في السبب المحال والمحرم
١٦٨ بيان الصفات والشروط فبين مختار محبته	١٠٣ الثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحية)	١١٠ الثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل محبة
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ الثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الإعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمهجوم والإجمال ومظاتها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	الثار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق	١٢١ الثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوضات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المطام المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٢٩ النظر الثاني في الصرف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لاسلطان
١٩٠ (الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والمالك وكيفية المعاشرة مع من بدلى هذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر التأخوذ وصفة الآخذ
١٩١ حقوق المسلم	١٤٠ (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والصحب والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢١٩ حقوق المملوك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	
٢٢٢ (الباب الأول في نقل للذاهب والأقوال وذكر حجج الفريقين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها	
٢٢٤ ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٦٦	٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد العزلة وخواصها وكشف الحق فى فضلها)
٢٦٨	٢٢٨ الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ
٢٦٩	٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض للانسان لها الخ
٢٦٩	٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٦٩	٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٦٩	٢٣٤ الفائدة الخامسة أن يتقطع طمع الناس عنك ويتقطع طمعك عن الناس
٢٦٩	٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة اللقلاء والحقى ومقاساة حقهم وأخلاقهم الخ
٢٦٩	٢٣٦ آفات العزلة المبينة على فوات فوائد الخالطة السبعة الآتية
٢٦٩	٢٣٨ الفائدة الأولى التعليم والتعلم
٢٦٩	٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع
٢٦٩	٢٣٩ الفائدة الثالثة التأديب والتأديب
٢٦٩	٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس
٢٦٩	٢٤١ الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإيثاره
٢٦٩	٢٤١ الفائدة السادسة من فوائد الخالطة التواضع
٢٦٩	٢٤١ الفائدة السابعة التجارب
٢٦٩	٢٤٣ (كتاب آداب السفر)
٢٦٩	٢٤٤ وهو الكتاب السابع من ربيع العادات وفيه بابان
٢٦٩	٢٤٤ (الباب الأول فى الآداب من أول التمهيد إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان)
٢٦٩	٢٤٤ الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
٢٦٩	٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
٢٦٩	٢٥٦ (الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ)
٢٦٩	٢٦١ القسم الأول العلم برخص السفر
٢٦٩	٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ
٢٦٦	(كتاب آداب السماع والوجد)
٢٦٦	وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .
٢٦٦	بيان أقويل العلماء والتصوفة فى تحليه وتحريمه
٢٦٨	٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع
٢٦٨	٢٨٢ بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها
٢٦٨	٢٨٤ (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه مقامات ثلاث)
٢٦٨	٢٨٥ المقام الأول فى القهم
٢٦٨	٢٨٩ المقام الثانى بعد القهم والتزليل للوجد
٢٦٨	٢٩٨ للمقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا الخ
٣٠٢	(كتاب الأمر بالمعروف)
٣٠٢	والتهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب
٣٠٣	(الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف والتهى عن المنكر وفضيلته والذمة فى إيماله وإيماعته)
٣٠٨	(الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه ، وأركانه أربعة)
٣٢٠	الركن الأول المحتسب
٣٢٣	الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة
٣٢٣	الركن الثالث المحتسب عليه
٣٢٤	الركن الرابع نفس الاحتساب (باب آداب المحتسب)
٣٣٠	(الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى العادات)
٣٣٣	منكرات للساجد
٣٣٣	منكرات الأسواق
٣٣٣	منكرات الشوارع

صفحة	صفحة
٣٩٠	٣٣٤ منكرات الحمامات
٣٩٣	٣٣٥ منكرات الضيافة
٣٩٦	٣٣٦ للنكرات العامة
٣٧٢	٣٣٧ (الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونههم عن المنكر)
٣٧٧	٣٥١ (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)
٣٧٨	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين
كان يكرهه	٣٥٢ يان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٧٩	٣٥٣ يان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٨٠	
٣٨١	
٣٨٢	
٣٨٤	

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢ (الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح)	٢ (الباب التاسع في ذكر من اتمى إلى الصوفية وليس منهم)
١٩٥ (الباب الحادى والعشرون في شرح حال المتجرد وللتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم)	١٣ (الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة)
٢٢٠ (الباب الثاني والعشرون في القول في السماع)	٣٤ (الباب الحادى عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به)
٢٥٣ (الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردًا وإنكارًا)	٤٢ (الباب الثاني عشر في شرح خرقه الصوفية)
٢٦٤ (الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء)	٦٢ (الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط)
٢٧٩ (الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأديبا واعتناء)	٧٠ (الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة)
٢٩٦ (الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية)	٨٠ (الباب الخامس عشر في خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به)
٣١٠ (الباب السابع والعشرون في ذكر كفوف الأربعينية)	٩٥ (الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام)
٣٣٢ (الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية)	١٢٢ (الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى في سفره من الفرائض والفضائل)
٣٥٣ (الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية)	١٤٠ (الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه)
	١٥٨ (الباب التاسع عشر في حال الصوفى في التسبب)

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو للراية هذه الأسامي
على الجملة	٥
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٦٢	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٣	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثله
٦٤	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٥	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٦	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظائر
٦٧	١٩ يان الفرق بين التمامين مثال محسوس
٦٨	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق المعتاد
٦٩	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٠	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧١	٣٩ يان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخواطرها وقصودها وما معنى عنه ولا يؤخذ به
٧٢	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الله كذا أم لا
٧٣	٤٤ يان سرعة قلب القلب واتسام القلوب في التضر والتشا
٧٤	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات
٧٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٧٦	
٧٧	
٧٨	
٧٩	
٨٠	
٨١	
٨٢	
٨٣	
٨٤	
٨٥	
٨٦	
٨٧	
٨٨	
٨٩	
٩٠	
٩١	
٩٢	
٩٣	
٩٤	
٩٥	
٩٦	
٩٧	
٩٨	
٩٩	
١٠٠	
١٠١	
١٠٢	
١٠٣	
١٠٤	
١٠٥	
١٠٦	
١٠٧	
١٠٨	
١٠٩	
١١٠	
١١١	
١١٢	
١١٣	
١١٤	
١١٥	
١١٦	
١١٧	
١١٨	
١١٩	
١٢٠	
١٢١	
١٢٢	
١٢٣	
١٢٤	
١٢٥	
١٢٦	
١٢٧	
١٢٨	
١٢٩	
١٣٠	
١٣١	
١٣٢	
١٣٣	
١٣٤	
١٣٥	
١٣٦	
١٣٧	
١٣٨	
١٣٩	
١٤٠	
١٤١	
١٤٢	
١٤٣	
١٤٤	
١٤٥	
١٤٦	
١٤٧	
١٤٨	
١٤٩	
١٥٠	
١٥١	
١٥٢	
١٥٣	
١٥٤	
١٥٥	
١٥٦	
١٥٧	
١٥٨	
١٥٩	
١٦٠	
١٦١	
١٦٢	
١٦٣	
١٦٤	
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	
٢٠١	
٢٠٢	
٢٠٣	
٢٠٤	
٢٠٥	
٢٠٦	
٢٠٧	
٢٠٨	
٢٠٩	
٢١٠	
٢١١	
٢١٢	
٢١٣	
٢١٤	
٢١٥	
٢١٦	
٢١٧	
٢١٨	
٢١٩	
٢٢٠	
٢٢١	
٢٢٢	
٢٢٣	
٢٢٤	
٢٢٥	
٢٢٦	
٢٢٧	
٢٢٨	
٢٢٩	
٢٣٠	
٢٣١	
٢٣٢	
٢٣٣	
٢٣٤	
٢٣٥	
٢٣٦	
٢٣٧	
٢٣٨	
٢٣٩	
٢٤٠	
٢٤١	
٢٤٢	
٢٤٣	
٢٤٤	
٢٤٥	
٢٤٦	
٢٤٧	
٢٤٨	
٢٤٩	
٢٥٠	
٢٥١	
٢٥٢	
٢٥٣	
٢٥٤	
٢٥٥	
٢٥٦	
٢٥٧	
٢٥٨	
٢٥٩	
٢٦٠	
٢٦١	
٢٦٢	
٢٦٣	
٢٦٤	
٢٦٥	
٢٦٦	
٢٦٧	
٢٦٨	
٢٦٩	
٢٧٠	
٢٧١	
٢٧٢	
٢٧٣	
٢٧٤	
٢٧٥	
٢٧٦	
٢٧٧	
٢٧٨	
٢٧٩	
٢٨٠	
٢٨١	
٢٨٢	
٢٨٣	
٢٨٤	
٢٨٥	
٢٨٦	
٢٨٧	
٢٨٨	
٢٨٩	
٢٩٠	
٢٩١	
٢٩٢	
٢٩٣	
٢٩٤	
٢٩٥	
٢٩٦	
٢٩٧	
٢٩٨	
٢٩٩	
٣٠٠	
٣٠١	
٣٠٢	
٣٠٣	
٣٠٤	
٣٠٥	
٣٠٦	
٣٠٧	
٣٠٨	
٣٠٩	
٣١٠	
٣١١	
٣١٢	
٣١٣	
٣١٤	
٣١٥	
٣١٦	
٣١٧	
٣١٨	
٣١٩	
٣٢٠	
٣٢١	
٣٢٢	
٣٢٣	
٣٢٤	
٣٢٥	
٣٢٦	
٣٢٧	
٣٢٨	
٣٢٩	
٣٣٠	
٣٣١	
٣٣٢	
٣٣٣	
٣٣٤	
٣٣٥	
٣٣٦	
٣٣٧	
٣٣٨	
٣٣٩	
٣٤٠	
٣٤١	
٣٤٢	
٣٤٣	
٣٤٤	
٣٤٥	
٣٤٦	
٣٤٧	
٣٤٨	
٣٤٩	
٣٥٠	
٣٥١	
٣٥٢	
٣٥٣	
٣٥٤	
٣٥٥	
٣٥٦	
٣٥٧	
٣٥٨	
٣٥٩	
٣٦٠	
٣٦١	
٣٦٢	
٣٦٣	
٣٦٤	
٣٦٥	
٣٦٦	
٣٦٧	
٣٦٨	
٣٦٩	
٣٧٠	
٣٧١	
٣٧٢	
٣٧٣	
٣٧٤	
٣٧٥	
٣٧٦	
٣٧٧	
٣٧٨	
٣٧٩	
٣٨٠	
٣٨١	
٣٨٢	
٣٨٣	
٣٨٤	
٣٨٥	
٣٨٦	
٣٨٧	
٣٨٨	
٣٨٩	
٣٩٠	
٣٩١	
٣٩٢	
٣٩٣	
٣٩٤	
٣٩٥	
٣٩٦	
٣٩٧	
٣٩٨	
٣٩٩	
٤٠٠	
٤٠١	
٤٠٢	
٤٠٣	
٤٠٤	
٤٠٥	
٤٠٦	
٤٠٧	
٤٠٨	
٤٠٩	
٤١٠	
٤١١	
٤١٢	
٤١٣	
٤١٤	
٤١٥	
٤١٦	
٤١٧	
٤١٨	
٤١٩	
٤٢٠	
٤٢١	
٤٢٢	
٤٢٣	
٤٢٤	
٤٢٥	
٤٢٦	
٤٢٧	
٤٢٨	
٤٢٩	
٤٣٠	
٤٣١	
٤٣٢	
٤٣٣	
٤٣٤	
٤٣٥	
٤٣٦	
٤٣٧	
٤٣٨	
٤٣٩	
٤٤٠	
٤٤١	
٤٤٢	
٤٤٣	
٤٤٤	
٤٤٥	
٤٤٦	
٤٤٧	
٤٤٨	
٤٤٩	
٤٥٠	
٤٥١	
٤٥٢	
٤٥٣	
٤٥٤	
٤٥٥	
٤٥٦	
٤٥٧	
٤٥٨	
٤٥٩	
٤٦٠	
٤٦١	
٤٦٢	
٤٦٣	
٤٦٤	
٤٦٥	
٤٦٦	
٤٦٧	
٤٦٨	
٤٦٩	
٤٧٠	
٤٧١	
٤٧٢	
٤٧٣	
٤٧٤	
٤٧٥	
٤٧٦	
٤٧٧	
٤٧٨	
٤٧٩	
٤٨٠	
٤٨١	
٤٨٢	
٤٨٣	
٤٨٤	
٤٨٥	
٤٨٦	
٤٨٧	
٤٨٨	
٤٨٩	
٤٩٠	
٤٩١	
٤٩٢	
٤٩٣	
٤٩٤	
٤٩٥	
٤٩٦	
٤٩٧	
٤٩٨	
٤٩٩	
٥٠٠	
٥٠١	
٥٠٢	
٥٠٣	
٥٠٤	
٥٠٥	
٥٠٦	
٥٠٧	
٥٠٨	
٥٠٩	
٥١٠	
٥١١	
٥١٢	
٥١٣	
٥١٤	
٥١٥	
٥١٦	
٥١٧	
٥١٨	
٥١٩	
٥٢٠	
٥٢١	
٥٢٢	
٥٢٣	
٥٢٤	
٥٢٥	
٥٢٦	
٥٢٧	
٥٢٨	
٥٢٩	
٥٣٠	
٥٣١	
٥٣٢	
٥٣٣	
٥٣٤	
٥٣٥	
٥٣٦	
٥٣٧	
٥٣٨	
٥٣٩	
٥٤٠	
٥٤١	
٥٤٢	
٥٤٣	
٥٤٤	
٥٤٥	
٥٤٦	
٥٤٧	
٥٤٨	
٥٤٩	
٥٥٠	
٥٥١	
٥٥٢	
٥٥٣	
٥٥٤	
٥٥٥	
٥٥٦	
٥٥٧	
٥٥٨	
٥٥٩	
٥٦٠	
٥٦١	
٥٦٢	
٥٦٣	
٥٦٤	
٥٦٥	
٥٦٦	
٥٦٧	
٥٦٨	
٥٦٩	
٥٧٠	
٥٧١	
٥٧٢	
٥٧٣	
٥٧٤	
٥٧٥	
٥٧٦	
٥٧٧	
٥٧٨	
٥٧٩	
٥٨٠	
٥٨١	
٥٨٢	
٥٨٣	
٥٨٤	
٥٨٥	
٥٨٦	
٥٨٧	
٥٨٨	
٥٨٩	
٥٩٠	
٥٩١	
٥٩٢	
٥٩٣	
٥٩٤	
٥٩٥	
٥٩٦	
٥٩٧	
٥٩٨	
٥٩٩	
٦٠٠	
٦٠١	
٦٠٢	
٦٠٣	
٦٠٤	
٦٠٥	
٦٠٦	
٦٠٧	
٦٠٨	
٦٠٩	
٦١٠	
٦١١	
٦١٢	
٦١٣	
٦١٤	
٦١٥	
٦١٦	
٦١٧	
٦١٨	
٦١٩	
٦٢٠	
٦٢١	
٦٢٢	
٦٢٣	
٦	

صفحة		صفحة	
١٥٤	<u>آفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين</u>	١٠٤	<u>(كتاب آفات اللسان)</u>
١٥٦	<u>آفة الثامنة عشرة للدح</u>		<u>وهو الكتاب الرابع من ربيع الهلكات</u>
١٥٧	<u>يان ماعلى المدوح</u>	١٠٥	<u>بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت</u>
١٥٨	<u>آفة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق</u>	١٠٨	<u>آفة الأولى من آفات اللسان الكلام</u>
	<u>الخطأ في حقوى الكلام</u>		<u>فما لا ينجيك</u>
١٥٩	<u>آفة العشرون سؤال العوام عن صفات</u>	١١١	<u>آفة الثانية فضول الكلام</u>
	<u>الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ</u>	١١٢	<u>آفة الثالثة الخوض في الباطل</u>
١٦٠	<u>(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)</u>	١١٣	<u>آفة الرابعة الرأى والجدال</u>
	<u>وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكات</u>	١١٥	<u>آفة الخامسة المحسومة</u>
١٦١	<u>يان ذم الغضب</u>	١١٦	<u>آفة السادسة التعرف في الكلام بالتشديق</u>
١٦٣	<u>يان حقيقة الغضب</u>		<u>وتكلف السجع والفصاحة الخ</u>
١٦٥	<u>يان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله</u>	١١٧	<u>آفة السابعة الفحش والسب وبداءة</u>
	<u>بالرياضة أم لا</u>		<u>اللسان</u>
٢٦٨	<u>يان الأسباب المهيبة للغضب</u>	١١٩	<u>آفة الثامنة اللعن</u>
١٦٩	<u>يان علاج الغضب بعد هيجانه</u>	١٢٣	<u>آفة التاسعة الغناء والشعر</u>
١٧١	<u>يان فضيلة كظم الغيظ</u>	١٢٤	<u>آفة العاشرة الزاح</u>
١٧٢	<u>يان فضيلة الحلم</u>	١٢٨	<u>آفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء</u>
١٧٥	<u>يان القدر الذى يجوز الاتصا والتشفي</u>		<u>آفة الثانية عشرة إفشاء السر</u>
	<u>به من الكلام</u>	١٢٩	<u>آفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب</u>
١٧٧	<u>القول فى معنى الحق وتناججه وفضيلة</u>	١٣٠	<u>آفة الرابعة عشرة الكذب فى القول</u>
	<u>العفو والرفق</u>		<u>واليمين</u>
١٧٧	<u>فضيلة العفو والاحسان</u>	١٣٤	<u>يان ما يخص فيه من الكذب</u>
١٨١	<u>فضيلة الرفق</u>	١٣٦	<u>يان الحذر من الكذب بالمعاريض</u>
١٨٣	<u>القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه</u>	١٣٨	<u>آفة الخامسة عشرة النية</u>
	<u>ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته</u>	١٤٠	<u>يان معنى النية وحدودها</u>
	<u>يان ذم الحسد</u>	١٤٢	<u>يان أن النية لا تقتصر على اللسان</u>
١٨٥	<u>يان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه</u>	١٤٣	<u>يان الأسباب الباعثة على النية</u>
١٨٨	<u>يان أسباب الحسد والتنافس</u>	١٤٥	<u>يان العلاج الذى به يمنع اللسان عن النية</u>
١٩٠	<u>يان السبب فى كثرة الحسدين الأمثال</u>	١٤٧	<u>يان تحريم النية بالقلب</u>
	<u>والأقران والإخوة وبني الم والأقارب</u>	١٤٨	<u>يان الأعداء للرخصة فى النية</u>
	<u>وتأكده وقتله فى غيرم وضعفه</u>	١٥٠	<u>يان كفارة النية</u>
١٩٢	<u>يان الدواء الذى ينقى مرض الحسد عن</u>	١٥١	<u>آفة السادسة عشرة النجعة</u>
	<u>القلب</u>	١٥٢	<u>يان حد النجعة وما يجب فى ردها</u>

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربيع	
للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	وهو الكتاب السادس من ربيع
وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة	للهلكات
الحول الخ	١٩٧ يان ذم الدنيا
يان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٢٠٦ يان المواعظ في ذم الدنيا وصفها
٢٧٠ يان فضيلة الحول	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧١ يان ذم حب الجاه	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع	الى استغرقت هم الخلق حتى أنسهم
حق لا تخلو عنه قلب لا يشهد بالجهادة	أنفسهم وخالفهم ومصدرهم وموردهم
٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
الذي لاحقيقة له	وهو الكتاب السابع من ربيع
٢٧٨ يان ما عمد من حب الجاه وما ينذر	للهلكات
٢٧٩ يان السبب في حب المدح والثناء	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
وارتياع النفس به وميل الطبع إليه	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين اللذم
وبعضها للذم وتقرنها منه	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨١ يان وجه العلاج لحب اللذم وكراهة اللذم	والأيسر ممسا في أيدي الناس
٢٨٣ يان علاج كراهة اللذم	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في اللذم والمدح	الذي يكتسب به صفة القناعة
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
يان ذم الرياء إلى آخره	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٥٠ حكايات البخل
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يراى به	٢٥١ يان الإيثار وفضله
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من	٢٥٥ يان علاج البخل
دبيب النمل	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	في ماله
والجلل ، ومالا يحبط	٢٥٨ يان ذم الغنى ومدح الفقر
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	

صفحة	صفحة
٣٤٤	٣٠٨
بيان أخلاق للتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر	بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
٣٤٨	٣١١
بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٥٨	٣١٣
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٥٩	٣٢٠
بيان آفة العجب	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٦٠	٣٢٣
بيان حقيقة العجب والإدلال وحدها بيان علاج العجب على الجملة	بيان ما ينبغي للمرشد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٣	٣٢٦
بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	(كتاب ذم التكبر والعجب)
٣٦٧	وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات وفيه شطران
(كتاب ذم الغرور)	٣٢٧
وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات وفيه بيان ذم التكبر الخ	الشرط الأول من الكتاب في التكبر
٣٦٨	٣٢٩
بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	وفي بيان ذم التكبر الخ
٣٧٦	٣٣٠
بيان أصناف الغرور وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	بيان ذم التكبر
أصناف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق	٣٣٩
٣٨٩	٣٣٠
الصف الثاني أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة الخ	بيان ذم الاختيال وإظهار آثار التكبر في الشئ وجبر الثياب
٣٩٢	٣٣٤
الصف الثالث المتصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	بيان فضيلة التواضع
٣٩٥	٣٣٦
الصف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	بيان حقيقة التكبر وآفته
	٣٣٦
	بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه
	٣٣٨
	بيان مابه التكبر
	٣٤٣
	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيبة له

[فت]

فهرس

١١٥	الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك	٢	(مكتاب التوبة)
١١٦	الطرف السادس في إصلاح الأطعمة	٣	الركن الأول في قسم التوبة الخ
١١٧	الطرف السابع في إصلاح المصلحين	٤	بيان حقيقة التوبة وحدها
١١٨	الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام	٥	بيان وجوب التوبة وفضلها
١٢٠	بيان السبب العارف للخلق عن الشكر	٦	بيان أن وجوب التوبة على القور
١٢٤	الركن الثالث من كتاب الصبر	٩	بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة
١٣١	بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد	١٢	بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة
١٣٢	بيان فضل النعمة على البلاء	١٥	الركن الثاني فيها عن التوبة وعصر القلوب
١٣٣	بيان الأفضل من الصبر والشكر	٢٢	بيان أقسام القلوب بالإضافة إلى صفات العبد
١٣٨	(كتاب الخوف والرجاء)	٢٧	بيان كفة توزم الدرجات والدرجات في الآخرة على الحسنات والنجات في الدنيا
١٣٩	ويشتمل على شطرين أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء الخ	٣٢	بيان ما تعظم به الصفات من القلوب
١٣٩	بيان حقيقة الرجاء	٣٤	الركن الثالث في تمام التوبة الخ
١٤١	بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه	٤٣	بيان أقسام الصبر في دوام التوبة
١٤٢	بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب	٤٦	بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب الخ
١٥٢	الشرط الثاني من الكتاب في الخوف	٤٩	الركن الرابع في دواء التوبة الخ
١٥٤	بيان حقيقة الخوف	٥٩	(مكتاب الصبر والشكر)
١٥٥	بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	٦٠	الشرط الأول في الصبر
١٥٧	بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يحاط منه	٦١	بيان فضيلة الصبر
١٥٧	بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه	٦١	بيان حقيقة الصبر ومناه
١٦١	بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما	٦٥	بيان كون الصبر نصف الإيمان
١٦٤	بيان الذي به يستجلب حال الخوف	٦٦	بيان الأساليب التي تتجدد لقصير الخ
١٧٠	بيان معنى سوء الخاتمة	٦٦	بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
١٧٧	بيان أحوال الأبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف	٦٧	بيان مظان الحاجة إلى الصبر الخ
١٨٠	بيان أحوال الصعابة والتأبين والسلف والصالحين في شدة الخوف	٧٣	بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
١٨٥	(كتاب الفقر والزماد)	٧٨	الشرط الثاني من الكتاب في الفكر
١٨٦	الشرط الأول من الكتاب في الفقر	٧٩	الركن الأول في قسم الفكر
١٨٩	بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه	٧٩	بيان فضيلة الفكر
١٩٥	بيان فضيلة الفقر مطلقاً	٨٣	بيان حد الفكر وحدوده
١٩٥	بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراصين والقانين والصادقين	٨٧	بيان طريق كشف النقاء عن الفكر في حق الله تعالى
١٩٩	بيان فضيلة الفقر على التقي	٨٧	بيان عمير ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٢٠١	بيان آداب الفقير في فقره	٩٦	الركن الثاني من أركان الفكر الخ
٢٠٢	بيان آداب الفقير في قبول المعطاء الخ	٩٦	بيان حقيقة النعمة وأقسامها
٢٠٥	وأن تحرر السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطرب فيه	١٠٦	بيان وجه التعمد في كثرة نعم الله تعالى وتسليلها وخروجها من الحصر
٢٠٩	بيان مقدار النفي المحرم للسؤال	١٠٧	الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك
		١٠٨	الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات
		١٠٩	الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة والآلات المحركة
		١١٣	الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الأصول التي تحصل منها الأطعمة الخ

مقدمة

- ٢١٠ بيان أحوال السالكين
 ٢١١ الشطر الثاني من الكتاب في الزهد
 بيان حقيقة الزهد
 ٢١٤ بيان فضيلة الزهد
 ٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه الخمسة
 ٢٢٤ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
 ٢٣٦ بيان علامات الزهد
 ٢٣٨ (كتاب التوحيد والتوكل)
 بيان فضيلة التوكل
 ٢٤٠ بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب
 ٢٥٣ الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل النج
 بيان حال التوكل
 ٢٥٧ بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل
 ٢٥٨ بيان أعمال التوكلين
 ٢٦٥ بيان توكل المصطفى
 ٢٦٨ بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال
 ٢٧٤ بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم
 ٢٧٩ بيان أن ترك التداعي قد يحمي في بعض الأحوال ويبدل على قوة التوكل النج
 ٢٨٣ بيان الرد على من قال ترك التداعي أفضل لكل حال
 ٢٨٥ بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكفاته
 ٢٨٦ (كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)
 بيان شواهد الشروع في حب المبدقة تعالى
 ٢٨٨ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة المبدقة تعالى
 ٢٩٣ بيان أن السمتق للمحبة هو الله وحده
 ٢٩٩ بيان أن أجل القدرات وأعلاها معرفة الله تعالى النج
 ٣٠٣ بيان السبب في زيادة النظر في قوة الآخرة على المعرفة في الدنيا
 ٣٠٧ بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى
 ٣١١ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
 ٣١٢ بيان السبب في تصور أنهم المخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
 ٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
 ٣١٨ بيان محبة الله تعالى للمبدق ومناجاة
 ٣٢٠ القول في علامات محبة المبدقة تعالى
 ٣٢٩ بيان معنى الأنس بالله تعالى
 ٣٣١ بيان معنى الانبساط والإدلال الذي يشهده خلقه الأنس
 ٣٣٣ القول في معنى الرضا بقضاء الله الخ
 ٣٣٤ بيان فضيلة الرضا
 ٣٣٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
 ٣٤١ بيان أن الدعاء غير منافس للرضا

مقدمة

- ٣٤٤ بيان أن الفرار من البلاد التي هي مطلق القاصي ومنهتها لا يقدح في الرضا
 ٣٤٥ بيان جهة من مكائبات الحيين وأقوالهم ومكاشفتهم
 ٣٤٩ خامسة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة يتفق بها
 ٣٥٠ (كتاب التوبة والإخلاص والصدق)
 ٣٥١ الباب الأول في التوبة
 بيان فضيلة التوبة
 ٣٥٣ بيان حقيقة التوبة
 ٣٥٥ بيان سر قول صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن خير من سخطه
 ٣٥٧ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالتوبة
 ٣٦٢ بيان أن التوبة غير ماضية تحت الاختيار
 ٣٦٤ الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته
 فضيلة الإخلاص
 ٣٦٧ بيان حقيقة الإخلاص
 ٣٦٩ بيان أقوال الفيوخ في الإخلاص
 ٣٧٠ بيان درجات القنائب والآفات للكدرة للإخلاص
 ٣٧٢ بيان حكم العمل للشوق واستحقاق الثواب به
 ٣٧٤ الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته .
 فضيلة الصدق
 ٣٧٥ بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه
 ٣٨١ (كتاب المراقبة والمحاسبة)
 المقام الأول من الرابطة الشارطة
 ٣٨٤ الرابطة الثانية المراقبة
 ٣٨٥ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
 ٣٩١ الرابطة الثالثة محاسبة النفس الخ
 فضيلة المحاسبة
 ٣٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
 ٣٩٣ الرابطة الرابعة في متابعة النفس على تصرفها
 ٣٩٥ الرابطة الخامسة المجاهدة
 ٤٠٣ الرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها
 ٤٠٩ (كتاب التفكر)
 فضيلة التفكر
 ٤١٢ بيان حقيقة التفكر وثمرته
 ٤١٣ بيان مجازي التفكر
 ٤٢٠ بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى
 ٤٣٣ (كتاب ذكر الموت وما بعده)
 الشطر الأول في مقدماته وتوابعه الخ
 ٤٣٤ الباب الأول في ذكر الموت الخ
 بيان فضل ذكر الموت كما كان
 ٤٣٦ بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب
 ٤٣٧ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طول وكيفية معالجته

صفحة	موضوع
٤٨٦	بيان سؤال منكر ونكير وصورتها ونقطة القبر
٤٨٨	وجبة القول في عذاب القبر
٤٩٠	الباب الثامن في معرفة أحوال الموتي بالكاشفة والنام
٤٩١	بيان منامات تكشف عن أحوال الموتي والأعمال
٤٩٢	الثامنة في الآخرة
٤٩٣	بيان منامات الشياخ رحة الله عليهم أجمعين
٤٩٤	الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت
٤٩٥	من وقت صفة الصور إلى آخر الاستمرار في الجنة
٤٩٦	أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأموال والأخطار
٤٩٧	وفيه بيان نفع الصور الخ . صفة نقعة الصور
٤٩٨	صفة أرض المحض وأهلها
٤٩٩	صفة العرق
٥٠٠	صفة طول يوم القيامة
٥٠١	صفة يوم القيامة ودوامه وأساسه
٥٠٢	صفة المائدة
٥٠٣	صفة الميزان
٥٠٤	صفة الخصاء ورد الظالم
٥٠٥	صفة الصراط
٥٠٦	صفة الشفاعة
٥٠٧	صفة الحوس
٥٠٨	القول في صفة حنن وأهوالها وأنكالاتها
٥٠٩	القول في صفة الجنة وأصناف نصيبها
٥١٠	صفة حائط الجنة وأراضها وأشجارها وأنهارها
٥١١	صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم
٥١٢	وأرائكهم وخيامهم
٥١٣	صفة طعام أهل الجنة
٥١٤	صفة الحور العين والودان
٥١٥	بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت
٥١٦	في الأخبار
٥١٧	صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .
٥١٨	نعم الكتاب باب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل
٥١٩	التفاضل بذلك
٥٢٠	باب في سعة رحمة الله تعالى

صفحة	موضوع
٤٤١	فضيلة نصر الأمل
٤٤٢	بيان السبب في طول الأمل وعلاجه
٤٤٣	بيان مراتب الناس في طول الأمل والصره
٤٤٤	بيان للمبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير
٤٤٥	الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب
٤٤٦	من الأحوال منه
٤٤٧	بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٤٤٨	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمكاييل يرب
٤٤٩	لسان الحال عنها
٤٥٠	الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٥١	والخلفاء الراشدين من بعده
٤٥٢	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٥٣	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
٤٥٤	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
٤٥٥	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
٤٥٦	وفاة علي كرم الله وجهه
٤٥٧	الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخفاء
٤٥٨	والأسماء والصالحين
٤٥٩	بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من
٤٦٠	الصحابه والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف
٤٦١	رضي الله عنهم أجمعين
٤٦٢	الباب السادس في أقوال المارفين على الجنائز والمقابر
٤٦٣	وحكم زيارته القبور
٤٦٤	بيان حال القبر وأقوالهم عند القبور
٤٦٥	بيان أقوالهم عند موت الولد
٤٦٦	بيان زيارة القبور والدعاء للميت الخ
٤٦٧	الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه
٤٦٨	الميت في القبر إلى نقعة الصور
٤٦٩	بيان حقيقة الموت
٤٧٠	بيان كلام القبر للميت وكلام الموتي لما بلسان المقال
٤٧١	أو بلسان الحال
٤٧٢	بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

فهرس

فحة عوارف المعارف للسهروردي الذي بالمأش

صفحة	صفحة
٢٥٢ الباب السابع والخسون في معرفة الخواطر ونمعيها وتميزها	٢ الباب التاسع والأربعون في استقبال التهار والأدب فيه والعمل
٢٨١ الباب الثامن والخسون في شرح الحال والقام والفرق بينهما	٣٧ الباب الخمسون في ذكر المصل في جميع التهار وتوزيع الأوقات
٢٩٨ الباب التاسع والخسون في الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز	٧٨ الباب الحادي والخسون في آداب المريد مع الشيخ
٣٣٥ الباب الستون في ذكر إشارات الشايع في المقامات على الترتيب	١١٧ الباب الثاني والخسون في آداب الشيخ وما يتبعه مع الأصحاب والتلامذة
٣٨٣ الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها	١٣٨ الباب الثالث والخسون في حقيقة الصبة وما فيها من الخير والفر
٤٤٩ الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية	١٦٥ الباب الرابع والخسون في أداء حقوق الصبة والأخوة في الله تعالى
٤٧٥ الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها	١٨٠ الباب الخامس والخسون في آداب الصبة والأخوة
	١٩٧ الباب السادس والخسون في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

بمجد الله تعالى تم طبع كتاب [إحياء علوم الدين] لحجة الإسلام الإمام الفزالي ، وصح كتاب [لثقي من حل الأسفار في الأسفار في تخرج ما في الإحياء من الأخبار] لحافظ الإسلام زين الدين العراقي .

وبهاش ثلاثة كتب :

الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر الميروس باعلوى .

الثاني : الإملاء عن إشكالات الإحياء تصنيف الإمام الفزالي .

الثالث : عوارف المعارف للإمام السهروردي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الغزالي وأخيه، علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

- ١ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليبعد لعقيدة التوحيد صفاءها وقاءها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيف البشرية في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً لاجتماع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعباءه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .

قد جعلته تلك التعاليم بمنزلة أن عليه رقيقاً حسياً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو يبعد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذي : « بَعَلَّمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المصيبة لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشام في رامة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ لدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ومقتضى العمل لدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعالاً يؤثر فيها حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحي مناص من خوض معترك الحياة ، يضطرب فيها يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالباً للمجد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والانتفاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص المبرجة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يبحث عليها وبطالها بها في إصرار وتوكيد ، حتى تصبح فكرة التبتل والانتفاع وسيلة لتكبيح جماح النفس ، وللبالغة في طلب الحياة والمهرص عليها ، واستسلام النفس للذنوب وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيها أنه إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء » . وروى عائشة رضى الله عنها أن النبي صنع شيئا ترخص فيه ، وتبرزه عنه قوم ، فبلغه ذلك . حمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان للفرد يتحرى به خيره أو خير غيره ، عمل للآخرة إذا ما اتبع فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتنى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول المقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربه ، لا تتجاوز تلك الدائرة إلا قليلا .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يمتثل للنواهي ، لا يفتقر في النفقة وذيلة ، والمسرف من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكثره يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْتَمَىٰ عَلَيْهِمْ فِي أَعْيُنِهِمْ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولكن الذي يضيع ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولو في الخير كبناء للساجد ؛ سفه ينفى الحرج عليه ومنه من التصرف في ماله .

والذي يثبت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرفا ، كالمثبت الذي لا يقطع أرضا ، ولا يبقى ظهرا . ومثله سواء بسواء المقيبل على الدنيا ، الماكف على لذتها ، للتهالك على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وفغل عن حق ربه ، وحق دينه ، وحق غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاة وزكاة وصوما وحجبا ؛ وكتب عليه جهادا لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير ظنيان حق على حق ، أو إشار المأجلة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فنا لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس الطلبة ، وطلعت المادية على رجال الحكم ، وقدم في ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع والبهو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التي كان يرفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها آى القرآن وسنة النبي .

وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في يديهم يتوارثه أبنائهم وخلفاؤهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويملكون السيف والصف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شهة لعل وأهل بيته ؛ وهم يتلونهم بالجفاة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانسون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقين على سياسة بني أمية تتطلع إليهم ، فترى الخلفاء يلينون لهم في القول ويتجاوزون عن مسيئهم ، ويشجعون حياة البهر والتزلف فيهم بما يندقون عليهم من العطاء ، ليشتلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة .

أما ذور الجاه الذين مذ لم السلطان في الأسباب فظلوا سادرين في لموم وترغيم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرمات من البر والفرار من الفتنة التي حدثت في صفوف المسلمين ، مدعاة لكونهم على العبادة والزهادة ؛ فانطوا على أنفسهم ، يتذكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوعد والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

عاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترغيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليحصلوا منهجهم في الدار الآتية ؛ وراوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوت الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثر همها طلب الحاجة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان : « زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّحْلِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ حَسْبُ النَّاسِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفي فيه الإيمان المطلق ، فإن المعارف الطبع معاداً مسدداً ، ولجihad المعاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، لكنه زيادة تكيل للتشويق والتحذير ^(١) .

وذلك الأصل هو الذي أفنى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذي أفنقوا في التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذي ساقهم إلى التدبر في فهم آثار الصنعة ، حتى ينسنى لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية في ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفي ذلك تلك الغاية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومجاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الغاية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الغاية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عمن عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المرید أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد ^(٢) ، وإذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) النزالي : جواهر التركا ١٢ (طبعة الرحابة القاهرة ١٣٥٢ هـ)

(٢) راجع فوات الوفيات لابن خاكر ٣/١ (مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والمخالفة . وللملازمة ملازمة ذكر الله تعالى والمخالفة لا يشغل من الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معاً . أو ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصديق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ١١ .

بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة ، وللمرآة ليست تتجلى في المرآة لصدا في وجه المرآة ، فتق صفتها تجلت فيها الصورة ، لا بارتحال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بيزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجلى بذاته لا يخفى ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور من الحقيقة لأحد أمرين : إما لكثورة في الحقيقة ، وإما لضعف فيها ، إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش والنور يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصفاتها وصحة استدارتها واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الاتجاه المعلى إلى جلاء النفس وصلتها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والمكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في الفطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حمل النفس على غير ما تشهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومحاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزاهدين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اتضحت أودية التفكير الإسلامى ، ونهبت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدينتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرسى دعائمها الإسلام ، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحر : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حمة هذا الدين والقوامين عليه أن يطلّوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأمم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولعلهم لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يمدوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يبحث على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير

وكانت هناك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه ، والحياة وما وراءها ، والإنسان فى

حياته وموتونه . وكان ذلك الأم تراث خلفه طائفاً ، وورثه حكاؤها الإنسانية لتتظرفه ، وتقص منه أو تزيد عليه . ما وسعها الزيادة وما وسعها التهذيب والتصحيح .

وجد المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تحفه ومدارسته ، وجدوا في تحميمه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وعقيدة وعبادة وسلطة وسلوك .

وقد بلغ هذا التبلر مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تخرج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التي حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطمى الجدل بين العلماء طغياناً كاد يُنسى كثيراً منهم الأصل الذي ورثوه من إسلامهم وعروبهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يجري على ألسنة العلماء ولتتكلم من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدعهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جذت على بيتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه جملتك ، وكوتوا من هذا المزيج زاداً جديداً للعقل العربي الإسلامي .

وماد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تد السلبية التي كانوا يؤثرونها قبلهم في هذا المجمع المضطرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجاً نظرياً ، أم منهجاً عملياً . وتلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غورم سلوكهم في الحياة .

الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري طائفاً من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي ، ويحمل بنا أن نشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لتقف من هذا التاريخ على العوامل التي تظلمت على تكوين هذه الشخصية الفريدة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وجسده أهلاً لأن يحتل تلك المكانة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفهم وأبناء مفكرهم .

وفي مدينة طوس^(١) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد بن أبي عبد الله القلب واليد ، بفنل الصوف وبنيهم ، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم . والتقهاء في دروسهم ، والوعاظ في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإقادة ، ويلطفهم بما يفضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بخراسان . بينها وبين نيسابور مسيرة فراسخ ، فتحيا المسلمون في أيام عثمان بن عفان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .
قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل السنة والجماعة مالا يحصى ، وحبك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأبو الفتح أخيه .. (معجم البلدان ٦/٢١١) .

تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيمًا ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولها من صلبه مجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يملكون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة ^(١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصى بأبي حامد وأخيه سديقا له من أهل التصوف . وقال له : إن لي تاسعا عظيما علي ما فاتني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاتني في وهى هذين ، فلتسها ، ولا عليك أن يتفرد في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لها .

وأخذ الصوفى وصيته ، وأقبل على تعليمها ، حتى فنى المال القليل الذى خلقه أبوها ، وتفرغ عليه المضى في تعليمها أو تقديم الطعام الذى يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليها حياتها إلا أن يلحقها بمدرسة من تلك المدارس التى تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنعا إلى هذين التيسين اللذين لا عاقل لها ولا مال يمينها على الحياة ، ولذلك كان النزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله » . ومعنى ذلك أنها طلبناه ليكون وسيلة للعيش ، يُجرى عليها بسببه ما يُجرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلها إلى الناية الحقيقية من طلب العلم ، وهى معرفة الله تعالى حق المعرفة !

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرقا من الفقه ببلده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان) ^(٢) ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلى ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتمل إلى (نيسابور) ^(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالى الجوينى ، ويبحث في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة ويفقه كلام أهل تلك العلوم ، ويتصدى لرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (السكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويتناظر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يعترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى النزالي للقب مجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظا مبيع الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فغلب عليه ، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد . ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبي حامد للشمس بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه (باب الإحياء) وله تصنيف آخر سماه (النخبة في علم البصيرة) وطاق البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مثالا للالتحاق والفرقة . وتوفى أحمد بجزون في سنة ميمرى وخمسائة [انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - مطبعة عيسى البابى الحلبي - القاهرة ١٣٥٥ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، مبض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وقد خرج منها صفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حزة بن يزيد السهمي . قال الأسطخري : أما جرجان فإحدى أكبر مدينة بنواحيها ، وهى أقل ندى وطرا من طبرستان ، وأهلها أحسن وقارا وأكثر مروءة من كبارهم . ولجرجان مياه كثيرة وضياء عريضة . وليس بالمشرق بلد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعة الحادة ١٩٠٦ م)

(٣) نيسابور : بلد كثير القواكة والمبرات ، كان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والأمير عبد الله بن طاهر ابن كرز في سنة ٣١ سلطا ، وقيل إنها تمت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخفش بن قيس ، وإنما اكتسفت في أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن طاهر لفتحها ثانية .

حتى يقال إن مجلس النزال كان يحضره ثلثمائة حمالة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب النثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رجال طالب العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم الذي يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باعها وحركها طلب الجاه وبعد الصيت ، فتبين أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشقى على الهلاك إن لم يسرع بتلافى ما هو فيه .

وحينئذ يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيه خفراً أن يطلع الخليفة ووجه الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلعف بلطائف الحيل في الخروج من بغداد وهو ينوي ألا يعود لها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سيئاً دينياً ، فقد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وإنما من قرب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوي ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم !

وقارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يتذكر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرَصَّدٌ للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم يرفى العالم مالا يأخذه العالم لئلا يصلح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا يشغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتركية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصمد منارته طول النهار وينلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، وينلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبته المم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف المشاهد ويزور المقابر والمساجد للعتلة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدث به .

عاد النزال بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه بخر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن النزال تأبى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحمل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول النزال في ذلك : ترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعذلاً بالمعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حركه داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بحريك من خارج ، فامر الأمر بالتهوؤ إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حبلًا كان يشقى - لو أصرت على الخلاف - إلى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة السكلى والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بمصر معلنة الخلق ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ؟ وَقَدْ فتنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... » الآية . ويقول عز وجل : « رُسُلَهُ ، وَهُوَ أَعَزُّ خَلْقِهِ : » وَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدَوْا حَقَّهُ أَنْتُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ... » فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والشهادات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الزلوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه اللاتة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحکم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسّر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) للقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ...

قال : وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم ، فأرجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان ! وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذى به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولى وعملى ، وكان ذلك قصدى ونيتى . وأما الآن فأدعو إلى العلم الذى به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتى وقصدى وأمنيتى ، يعلم الله ذلك منى !

وأنا أبني أن أصلح نفسى وغيرى ، ولست أدرى الأصل إلى مرادى أم أخترت دون غرضى ؟ ولكنى أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكنه حركنى ، وأنى لم أعمل ، لكنه استملنى ، فأسأله أن يصلحنى أولاً ، ثم يصلح بى ، ويهذبى ، ثم يهذب بى ^(١) .

وأخيراً يعود النزاع إلى طوس بعد اللدة التى قضاها فى نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخاصته للصوفية ، ويوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفى فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

ﷺ

ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تفيه من حياة أبى حامد الرجل فى هذه الحياة الدنيا . أما عقليته ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة السكاملة ، ولن نجد فى هذه الترجمة إلا لمحة من قهره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء فى هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة عادية تمثل رجلاً نشأ قديراً ، فزهد كرهاً أو طوعاً ، ونصوف راحياً أو مضطراً .

وتلك اللامع كثيرة الوجود فى البيئات الإسلامية فى عصر أبى حامد وفى غيره من العصور الإسلامية .

(١) للنقد من الضلال النزاع : ص ١٤٤ (الطبعة الثانية : القاهرة : ١٩٥٥ م) .

وإنك لو أجد العلم الدينى بطلبه الفنى والفقير ، والعلم المربى يجرى فى المجالس والمدارس والمساجد ميسراً لطالبه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبباً من السبل التى يسلكها الكثيرون من طالبى الحياة لأجل القوت ، حتى يتقوا على السعى والكسب فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيئ لهم بين السماء ومنزلة نبيه لم منصباً وجاهاً ، يناقون به الحظوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فتدر لهم أخلاف المطء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلها مدرسة كأنهما من طلبة العلم . ويؤكد أيضاً كلمة الغزالى السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التى سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يتمتعوا بما منح به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص العلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، بلوك سبيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا التوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الناية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا العناء وفى تلك المصابة والمثابرة متعة لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

الشك عند الغزالى :

عاش الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى فضجت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتعددت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون فى العقائد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى للذاهب والديانات ، وفى أفعال العباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون فى كل مسألة من تلك المسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى يكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يختط لنفسه خطة بين هذه الخلط السكثيرة والأكثر من يتخيرون لأنفسهم طريقة من الطرق للسلوك يمكنون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يناقون بها ما وسعتهم الخلاه . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحي ، على حين يفعلون غيرها أو يلمنون بها إلماماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان فى المناهج السكثيرة التى تباين منهجهم ومقاتهم .

وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتعصب لراى أو لمنهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إنشور هذا المذهب على ذلك .

وجد النزالي نفسه بين هذه للذاهب التي لا تكاد نحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره بلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للمزيد ، وإذا المزيد الذي يريده اليقين سلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه في كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى النفي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المكابدة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجرأة من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى بقاء الاستبصار .

إن اختلاف الخلق في الأديان والمذاهب ، سم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى النزالي - بحر غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذي وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » قد كان ما وعد أن يكون !

ورأى النزالي أن أحباب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب في نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على النصر ، وصبان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ! » .

ويحكى النزالي عن نفسه في « المنقذ من الضلال » أنه لم يزل في عنفوان شبابه ، منذ راق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف سنة على الحسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان الخنور ، ويتوغل في كل مظلمة ، ويتجهج على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين الحق ومُبطِل ، ومتسنن ومبتدع ، لا ينادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكليا إلا اجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على الشور على سر صفوته ، ولا متميدا إلا ترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا نجس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته في تمطيله وزندقته .

ويقف النزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك باطنه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد المارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات التي أوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول في نفسه : إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هي ؟ ويظهر له أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إسكان الناطق والهم . ويعلم أن كل ما لا يلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بتلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لا تتعدد » ولكنه يرى التمدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو عبارة أخرى لا يكون المصدق إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسلّم إلى هذه النجاة .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، حالت بين القول وبين النهج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو علة اعترتها ؛ فكان هذا التصيب للبل والنحل ؛ والناس عبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .



سبل المعرفة :

قلنا إن النزالي ابتداً طريق المعرفة بالشك فيها هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيها هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطسته تأتي التعدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني المزم للقطرة المباشرة والعقل السليم ؟

نشد النزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الخلط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل يجد يبالي في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسه بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى السكوك فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في القدار . هذا وأمثلة من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويخونه ؛ تكذيباً لا سييل إلى مدامته . قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لا نجد النزالي سبباً واقعياً واحداً يبنى به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجرى مع مذهبه في التشكيك ، ولكنه لا يستطيع أن يبنى الثقة بالعقليات عن سبيل العقل ، ولا عن سبيل التجربة والحس والشاهدة ، وإذ ذاك يلتبس الشك من سبيل الجدل والفسطة ؛ ويختزع لذلك قياساً مجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادته وناقشته وحاجته قاطلة : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثفتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، ومن وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا نجلى كذب العقل

في حكمه ، كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته ؟
وتتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتزويد إشكالها بالنام ، وتقول : أما ترك تعتد في النوم أموراً ،
وتصنيل أحوالاً ، وتعتد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجسم
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فم تأمن أن يكون جميع ماتعتد في يظنك بحس أو عقل هو حق بالإضافة
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يظنك كنسبة يظنك إلى
منامك ، وتكون يظنك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تهنت أن جميع ماتوهمت بظنك خيالات
لاحاصل لها . ولعل تلك الحالة ماتدعي الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لم إذا غاصوا
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً توافق هذه المقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فعمل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتباب ؛ إنه يبحث عن يقين يحمله محور البحث ، ونقطة
يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو النجاة المنشودة بخطا ثابتة ، لا تنتقل إلا إذا اطمانت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت
أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية
مسئلة لم يمكن ترتيب الدليل .

إن نفي الاعتماد على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتماداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له
مايسوغه . ولكن هناك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه النزالي نفسه
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض الشبه العارضة . ولكن ماذهب إليه من جواز تنفيذ أحكام العقل لايجد
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للنطق واعتد على
المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تقضى إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بيئات التفكير الإسلامي ، وهيام
بعض المقلدين بأرائهم واعتناقهم لهاها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهاة للجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك
الأفكار الطارئة ، ولا يبي إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى الضائبة من تحصيل هذا
العلم الطارئ ، الذي لاصلة له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من
القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا النزالي في التفات ، وأنه رأى طاقة
يعتقدون في أنفسهم التميز من الأكراب والنظراء بمزيد النظنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقوا شعائر الذين من وظائف الصلوات والتوقى من المحظورات ، واستهانوا بعبدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وتقيده ، بل خلموا بالكلية ربة الدين بفنون من الفنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لكفرهم غير تقليد سماعي إلقي ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشوهم وأولادهم ؛ وعليه درج آباؤهم وأجدادهم ، وغير بحث نظري صادر عن التثريب بأذيال الشبه الضارفة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كمقراط ^(١) وبقرات ^(٢) وأفلاطون ^(٣) وأرسطوطاليس ^(٤) وأمثالهم ؛ وإطناط طوائف من متبعيهم ، وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لفرط الذكاء واللفظة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزائهم عقولهم وفزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والمثل ، ومعتقدون أنها تواميس مؤلفة وسيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحميراً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخرطوا في سلوكهم ، وترفوا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافوا من القناعة بأديان الآباء ، فلما بأن إظهار التكاسيس في التبرؤ من تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد من تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أحسن من رتبة من يتحمل بترك الحق الممتد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل نصديقاً ، دون أن يقبله خبراً وتحقيقاً ^(٥) ؟

وقع النزاع في هذه الأمشاج من المقالات والعهود ، ووجد نفسه أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكمن من حسن فتن صاحبه فأرداه ؛ وكمن عقل أضل صاحبه فأغواه عن سبيل الرشاد .

فطارجت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضرورات العقلية عنده مقبولة موثقاً بها عن أمن ويقين .

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، واتصرت من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض من ملاذ الدنيا ورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فتوروا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) من بعض علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين في عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله في الطب تأليف مشهورة في جميع العالم ، وفي صدور كتبه وصايا جيلة من التحن والتفقه على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط في الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة في فنون الحكمة ، وفعب فيها إلى الرمز والإغلاق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقته المشائين لأنه كان يمشي تلاميذه الفلسفة وهو ماش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه وبسبه القيل ، وللى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله في جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الاسكندر ابن فيليب ملك مقدونية ، وبأدابه عمل في سياسة رومته وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية .

(٥) الخزالي : تنهايت الفلاسفة : ص ٣ (المطبعة الحيدرية - القاهرة ١٣١٩ هـ) .

ولم يكن السبيل إلى ذلك نظم الدليل وترتيب الكلام ، بل كان السبيل نوراً قذفه الله تعالى في صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، قد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من « الشرح » ومعناه في قوله تعالى « فَنُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ بِشَرْحِ صَدْرِهِ لِلْإِسْلَامِ » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ قال : « التجافي عن دار النور ، والإجابة إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظِلَّةٍ ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ » . فمن ذلك النور ينبى أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبى من الجود الإلهى في بعض الأحيان ، ويجب الترسد له ، كما قال عليه السلام « إِنْ رَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَهْرِكُمْ نَفْعَاتٍ ، لَا تَضْرِبُوا لَهَا » .

ولم يرد النزالي بذلك كَفَّ نفسه ، أو كَفَّ الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتقاداً على هذا النور الذى لا يأتى إلا نفحات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يعمل كمال الجهد فى الطلب حتى يَنْتَهَى إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذى يحتاج إلى ذلك النور الذى يقذفه الله تعالى فى قلوب المصطفين الأخيار من عباده .

❦

وإذا كان النزالي محدوداً فى آئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسير فى ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من المجد فى دنيا التفكير .

وإذا كان النزالي محدوداً فى رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينبى أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البُله من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستتيرة جادة مجاهدة فى طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجهد الذى يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التى يرضاها ؛ والمعرفة التى ينكرها ، والمعرفة التى قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهى صوفية تقف فى وجه الابتداع ، وتقف أيضاً فى وجه التقليد ، صوفية تغند من أم الهواة من أهل العقل ، وهى فى الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التى لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت فى بيناتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلاً يجارى به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويظن فى صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الزاهدة الشاخصة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك فى صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسماً من هذا الخلاف ، لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر فى ظل الأرض

انقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في القديتين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول النزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، وبصرح بأن من ظن أن المناظرة في هذا من الدين ، قد جنى على الدين وضمت أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسائية لا يبقى معارضة ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يحبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرها ومدة بقائها إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع عن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره بمن يظن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلازم هذا ما قالوه ؟ يقول النزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والتروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحباباً ؟ .

فإن قيل : قد روي أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى شيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما الروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ أفكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسدساً ، أم مشتملاً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالتقصود كونه من فعل الله تعالى حفظ كنهها كان !

إن مثل هذه العقيدة الواهمة ، هي العقيدة التي تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجامدة التي تقف في سبيل كل علم ، وتمترس على كل نظر واجتهاد وتمنع من الأمور الحديثة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن لسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التي تعود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بلل أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يتقدم . وزعم بعض المتأولين أن الدين نصي يبنى الوقوف

عند خروفيه ودلالات ألقائه ؛ وما ليس في هذه النصوص فالإسلام منه براء ؛ وهو لنمو يحمل بالمسلم أن يعحاشه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما ألقى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالسعى كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحقيقة مطمح ؛ إذ لا مطمح في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم النزالي في عصره فأقام أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
 - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التليم ، والخصوصون بالاعتباس من الإمام المصوم .
 - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
 - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل الشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس النزالي مباحث هذه الفرق ، وأمن في درس مناهجها في البحث .

النزالي وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام لخصله وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبس أهل البدعة المحدثنة على خلاف السنة الماثورة . وقامت طائفة منهم بما نذبهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتنوير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى النزالي بأنه صادف علم الكلام وافيًا بالغاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحوثه والتجرد في طلبه ، بل ألقي المتكلمين اعتمادوا في سبيل غايتهم على مقدمات نسلوها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات بشيء أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاورة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فحاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يعجز بالكلية ظلمات الخيرة في اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد النزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافيا لدائه . وإن كان لا ينكر أن هذا العلم قد شفى قسراً غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك لطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقليد في بعض الأمور . والنزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكمن دواء ينتفع به مريض ، ويستضر به آخر

النزالي والفلسفة :

وثق بلم الفلسفة ، درسه في سنتين ، ثم لم يزل يواظب على التفكير فيه بعد فمه قريباً من سنة ، بماوده ويردده ، ويتفقد غوامضه وأغواره ، ويطلع على ما فيه من خداع وتليس ، وتحقيق وتخيل . وقد رأى الفلاسفة أصنافاً ، ورأى علومهم أقساماً .

عرف منهم (الذهرين) الذين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فأروا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيراً عظيماً في قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطلانه ، وإذا انعدم فلا يقبل إعادته ؛ فالتنفس يموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فتهكموا في الشهوات انهماك الأنعام . وهؤلاء أيضاً زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر مالم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان نجاً من علومهم . وهؤلاء يحملتهم ردوا على الذهرين والطبيين وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم ، وكذلك رد بعضهم بعضاً . ولهم شيعه من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي .

أما العلوم التي خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهي العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والأخلاقية ، وتكلم عن آفاقها وعما يتماق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولاً يؤثر في العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التي تتعاقب بعلوم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية فنياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفة ما. ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتمجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختلف على هؤلاء مع تدقيقهم

في هذا العلم . فإذا عرف بالتسامح كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين ، وكما رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً لكل صناعة .
والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وأدعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حياء ، وللإسلام بنصاً . ولقد عظم على الدين جنابة من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات .

وبهذا الأسلوب عالج النزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكمال النرض ، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً لقطاء عن جميع المضلات .

النزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسون أنفسهم (التعليميين) الذين شاع بين الخلق تحذيرهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، واطلع على ما في كتبهم ؛ وهناك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية لباعث الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعه مدافسته .

وخلاصة رأي النزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التعصب دعت للذائبن عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به ، فجاءهم في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والعلم » ودعواهم أنه « لا يصلح كل معلم بل لا بد من إمام مصوم » وظهرت حججهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والعلم ، وضمف قول المنكرين في مقابلته ؛ فاعترض بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضمف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل للصواب الاعتراف بالحاجة إلى العلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم مصوماً . ولكن معلننا المصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت ! فنقول : فمعلمكم غائب .

فإذا قالوا : معلننا قد علم الدعاة وبشهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلننا قد علم الدعاة وبشهم في البلاد ، وأكل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تغير غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجهد في البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جربناهم ، وسيرنا ظاهراً وباطناً ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضمفاء العقول ببيان الحاجة إلى العلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفعم ، حتى إذا ساعد على الحاجة إلى العلم مساعد ، وقال هات طه ،

واقفنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لى هذا قاطبه ، فإنما غرضى هذا القدر فقط ١ . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا تفصح ، ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل يميز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .
فلما خبرهم فخص اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئا من الشفاء للنجى من ظلمات الآراء .

النزالي والصوفية :

ويبقى من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقتهم إنما تتم بلم وعمل ، وحاصل عملهم قطع حجابات النفس والتزهد عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخليق القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول النزالي : وكان العلم أبسر على من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبى طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العملية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لى أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أدنى النزالي على الصوفية ثناء عظيما ، وامتدح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علما وعملا واقتداء ، وتجردا ومجاهدة نفس ، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لينبروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهى أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ٢ .

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يقرم على كل شيء إقرارا مطلقا ، بل إنه ليصف باطلا ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجرى على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالاتحاد ، ومن يدعون الوصول ؛ وغير ذلك مما يبدى أثره من آثار عدم القدرة عن الإنصاح عما يرون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتغل لفظه على خطأ صريح (١) .

آثار النزالي :

تلك لمحات من الجهود الضنية التي بذلها النزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبيها ، والوقوف على ما عدهم من فنونها ؛ مع تعميق مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبلوا مثل هذا الهلاك أقل من القليل ، قد جرت النالبية العظمى من للفكرين على أن يتخذوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديهم الملايكة إلى فكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحصرّون أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرقاً منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التي خلفها النزالي ؛ فإنها على كثرتها المعجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لوناً خاصاً متميزاً بما عدها ، وتجد فيه ما تنشد من العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه لتلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلفها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : يستخلصه بشي . من الدراسة .
- (٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوي على أصناف النفائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ما جاء في علوم الدين من النيات والمقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .
- (٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم .
- (١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة فرض لمذهب التعليمية وبين فساد مذهبهم .

(١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .

(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب

تبحث في علم الحدود الموضوعة للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .

(١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .

(١٩) كتاب للمستصفي (٢٠) كتاب للنخول . وما في أصول الفقه .

(٢١) كتاب للتحفل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .

(٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب

أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج المابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب

الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار

(٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة

(٣٦) كتاب المبادئ والغايات (٣٧) كتاب تليس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل

في القياس والتحليل (٤٠) كتاب إجماع العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم الدنيوية

(٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجليل في الرد على

من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضخم رحب المدة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرقى إلى درجة الكتاب ،

ولكنه ربما كان أشبه بالمقالات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل صدق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على

العلم ؛ وتبتلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتقاف في سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة

التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إحياء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن الغزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد

ملك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا وزهدت فيها وقطع فيها ، الملاقى بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان

يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الغزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث »

والذي ينهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به الغزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان

ثمرة من ثمرات المعرفة التي أغاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولا نستطيع أن نقرّ هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل ما في « إحياء علوم الدين » كان حياً أو إنساناً ، وأنه كان ثمرة لحياة العزة والتأمل التي قضّاها في دمشق وبيت المقدس وفي البلد الحرام .

ونحن في هذا لا ننكر أثر النفس والخلوة في تطهير النفس وتصفيتها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن في قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التي يستفدها الاضطراب في الحياة والاتصال بالناس ، وانشغال القلب بأقوالهم وأعمالهم وتزاحمهم في طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلية في إزهاق الملكات وتنقية الروح من الشوائب التي تقعد بها عن بلوغ درجة التفكير المجرد في هذا الملوكوت ، وفي الخلق والخالق ، وفي البداية والنهاية ، وفي مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لانشك أن الخلوة وطول التأمل وكبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، ونقل ما في الكون من الماديات ، وما ينطوي فيها من الآيات ، وما يجتبي وراءها من الأسرار التي أعيت على العقول .

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون ما في « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً أُلهمه للزّالّي في رحلاته أو أوحى به إليه في خلواته ، ونرى في مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البُله من العوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه الزّالّي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المخرجون من رواة الأحاديث والمالين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك في بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولا شيء من هذه الدعاوى يرتفع به الزّالّي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هناك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التي لا يرضاها الزّالّي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحي ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بحاصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس في تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذي لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما عُلّ به لتلك الأحكام وما جمعه منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً ، وفي « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء في الرواية والدراسة ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل الزّالّي بين خراسان والعراق والشام والحجاز ، فإذا وجد في تلك البلاد التي تعد معاقلاً للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وختهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يقتل لم بين الذروة والقارب ، وفيهم

الصبر يأساً ، والمصر خذّه تهباً ودلاً ، وألنى رجال الدين في شغل عن الدين ، يتذلقونه في استرضاء للسلطان ، وإشباع نهمه في الاستملاء والكبرياء ، والكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذي تذّر به معاشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى للمرة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهة من الطغام ، ومن هوام الدماء ؛ والأخذ به غفلة وجوداً ، حتى زاد الخطب وحث الرزية ، وأحوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر في آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار التزالي في خطبة « الإحياء » إذ وجد في الناس للتأثير على ما هو عليه من المص من جليلة الحق ، مع العجاج في نصرته الباطل وتحسين الجمل والتشبيب^(١) على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ، ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا في نيل ما يصبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأدلة الطريق هم الطغام الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغلهم الزمان ، ولم يبق إلا للترسمون ، وقد استعوزوا على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوقاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمكفر معروفاً ، حتى ظل علم الدين منكسراً ، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أوجدل يتدبر به طالب للباهة إلى التلبه والإفهام ، أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة الحرام ، وشبكة الحطام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً ، وضياءً ، ونوراً وهداية ، ورشدًا ، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً ، وصار نسباً منسياً .

ورأى التزالي ما آكل إليه الأمر ثلماً ملأ ، وخطباً مدلماً في الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين^(٢) .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس في المائى التى ألف فيها كتباً ، ولكن كتابته تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ما عقده ، وكشف ما أجملوه .

الثاني : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً : إذ الكل وإن تواردها

(١) التشبيب : تهيج العمر

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منتهج واحد ، فلا نستكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه وينفل عنه رفقاً . أولاً يفضل من التنبيه ، ولكن يسهو عن إirاده في الكتب . أولاً يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الخطأ عنه عنارف .

وما قرره صحيح ، يتعرف له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليعرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يحرر من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هي ما يعتاز به جهد من جهد ، ويفضل بها الكاتب سواء من الكاتبين .

أو بمعنى آخر لابد من الصنم الذاتى والأصالة فى كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية فى الكلمات السابقة .

ولقد ذكر النزالي نفسه أن العلوم التى تحصل فى القلب فى بعض الأحوال تختلف الأحوال فى حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها أقيمت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والذى يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع فى القلب بنير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) مالا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما يطلع العبد منه على السبب الذى استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب ، وهذا

يسمى (وحياً) ويختص به الأنبياء .

ويقرر النزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وقاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد فى الدنيا ، والتبرؤ من علاقاتها ، وتفرغ القلب من شوائبها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه : إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطعن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، ويتقضى العمر قبل النجاح فيها ، وكمن صوفى سلك هذا الطريق ، ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتمن العلم من قبل لا تفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فلاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض .

قد زعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الإنسان تعلم التقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قهياً بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق ، ثم يقول قائلهم : فأننا أيضاً ربما انتهت فى الرياضة والمواظبة إليه ١٤

ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء المنور على

كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه يسيد جداً . فكذلك هذا

لا بد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم يتكشف لسائر العلماء ، فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة ^(١) .

فليتدبر هذا الكلام جيداً أولئك النافلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وحمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليعلموا أن النزالي وهو من أقطابهم في القصة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

— ٢ —

قسم النزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد النقائد ، وأسرار الطهارة ، والصلوة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه .

(٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسباع والوجد ، والأسر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

(٣) ربيع المملكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوات البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات النضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والمعجب ، وذم الغرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته ، وتزكية النفس عنه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي تترتب عليه ، والعلامات التي يعرف بها ، وطرق المعالجة لتخلص منه .

(٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصدّيقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حدها وحقيقته وسببها ونمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيّد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والحاسبة ، والتفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذي يبعد الله تعالى به ، حتى نصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود ، وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء (ص ١٧ - ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر في هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقاتها .

قد درس فيها النزاع بين الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التي تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير ما منع العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوفة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام العقل والاستدلال والمعرفة تنفخ جميعاً إلى التسليم بالبحث والنشور والحساب واللمعة أو النل . وكان الذى حزن النزاع إلى تلك البحوث للضيقة ما رأى من خور الاعتقادات في أصل النبوة ، ثم في حقيقة النبوة ، ثم في الصل بما شرحت النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر في أسباب النور وضمف الإيمان ، فإذا هي أربعة :

- ١ - سبب من الخائضين في علم الفلسفة .
 - ٢ - وسبب من الخائضين في طريق التصوف .
 - ٣ - وسبب من المنتسبين إلى دهرى التعليم .
 - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالملم فيها بين الناس .
- وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، يسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسره ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟
- فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعجلها ، وتبنيها بالدنيا ، فهذه حماة فإنك لا تتبع الاثنين بواحد . فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟
- وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر فدير نفسك في طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخلق الذى هو مذهبك باطلاً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجمل بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع .
- وقائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان الملأ أجدر بذلك . وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصل ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .
- وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .
- وقائل ثالث يتطل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .
- وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .
- وقائل رابع لى أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض . وأدلة القول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدم اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : لست أفضل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط هوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، قنأنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجب التكليف ؛ وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد^(١) . . . ١١ .

إنك تقرأ هذه الشبه العارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي ينتحلها المقصرون ، والأعذار التي يدلي بها الغافلون . وتقرأ في (الإحياء) تنفيذ كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والمنطق الذي يسلم إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء مجوذاً شبيهة حقيقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما تطالعها فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك تقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النفس في تلقي العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفي أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد المعلم »^(٢) وأنه مهتم اشتغل بالتعليم فقد تلهو أسراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه التي نعمت عليه :

(١) الشفقة على التملين ، وأن يحرمهم مجرى بنيه . . .

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخادم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل الخادم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتسكاس . . .

(٣) ألا يدع من صحح التعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي ، قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التمريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على المعصية بالخللاف ، ويهيج الحرص على الإصرار .

(٥) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقيح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، كعلم الفقه إذ عاداته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عاداته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وأب ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المعجزة ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مذمومة للتملين ينبغي أن تجتنب ، بل للتكفل

بعل واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً بعلوم فينبى أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينتفه ، أو يخط عليه عقله . فليث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغي أن يفشى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولعل قيل : كل لـكل هـد بمقياس عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ويتفتح بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المييار .

(٧) أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقاً يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر غيبته في الجلى ، ويشوش عليه قلبه ، ويوم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

وما بسطة النزالي في هذه الآراء هو ما يقوله المربون المحدثون في الانتقال بالمتعلمين من الجلى إلى الخفى ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

وتجد هذا الكتاب زائراً بمنزل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « النزالي المربي » وسيجد المدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لا مستقصاتها ، ولكننا نجترى بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

- ٤ -

ودراسة صلة الإنسان بمخالقه دراسة لأصول العقائد والمبادئ التي فرضها عليه ، والتي يلتبس بها الزلى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقى أن تذكر أن النزالي لم يكتف في تلك المبادئ بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي نصائهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، ونصق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند النزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون في البدن والثوب والمكان ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة والذائل المدمونة . والرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى ^(١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإلهام ١٣١/١ من هذه العلية .

يدور إليها ، والشريعة التي قهها وأجاد نحصيلها ، والمقل الذي عرف موارده ومصادره .
(و الصلاة) عنده مناجاة ، والمصلى مُتَاجِر به عز وجل ، والكلام مع النفلة ليس بمناجاة البتة - وإذا كان الفقهاء
يختون بصحة الصلاة مع النفلة ، فإن النزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيما أفتوا به ، وبطل
بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن النفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم للظاهر والعلم للباطن ، ويرى أن
قصور الخلق أحد الأسباب المانعة من التصريح بكل ما يتكشف من أسرار الشرع ^(١) .

ورأيه في (الزكاة) أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تعلم الوفاء به
الآتي للوحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن الحجة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما
يتمتع به درجة الحب بمقارفة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلاق ، لأنها آلة تمتصهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا
العالم ، وينفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصديق دهوام في المحبوب ، واستزلوا عن المال
الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ
أُجْرَةٌ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، نزلوا عن جميع أموالهم ، فلم يدخروا ديناراً
ولا درهماً ، فأبوا أن يترضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟
قال : أما على العموم بحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ^(٢) .

وهكذا نجد أنفسنا دائماً ونحن نجول في (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وقبضه وعمل به ،
ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام
وتمكين له ، وهذا الخاص فضل وزيادة ونافذة بعد أداء القروض التي لم يغفل (الإحياء) ركناً من أركانها
أوسنة من سُنَنِها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، تجد فيه الحجة البالغة ، وتجد فيه التقوى والورع وقطع العلائق
بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد والمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليها .

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، و يجد المتصوف طلبته ، و يجد صاحب العقل والباحث من اليقين
ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السعة وبذلك الشمول أحيا النزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة
المضطربة الجادة العامة ، والمأجنة الهائلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة
العقل والمنطق التي تفنى إلى الصحيح من النتائج ، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .
والناس عند النزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يعالج به ما عنده من الجهل أو الشك
أو النزور .

(١) أما الصنف الأول : فهم (العوام) ، ويصفهم بأنهم البُلهُ ، وبأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : (الخواص) ، وهم أهل الفكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها . الثانية : خلوص باطنهم من تقليد وتصب للذهب موروث مسموع ، فإن القلْد لا يضيئ ، والبلبد وإن أصنى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أساتذته (النزالي) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يعالجهم النزالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع الخلاف بينهم عن قرب ، ويدعوم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْعَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فلم أن الدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمأزوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فيهم كياسة رقوا بها عن العوام ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتصب وتقليد ، فذلك يمنعهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتصب عليهم أو يمنهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويمجد لهم بالتي هي أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها في الحياة وما تسألها من أسباب السعادة ، وما تسانيه من أسباب الشقاء في الفكر والعمل ، ولا تعرف هذه السعة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجدهما في إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات - وهما كما قدمنا صلة بين الإنسان وربه وقيام بطاعته وامتنال لأمره ونهيه وفيها دلالة على المحبة - ما كتبه في الربع الرابع من الإحياء ، وهو (ربيع المنجيات) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئ الشريعة الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة مما اقترفه المبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهي : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التي يبنى توافرها في الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالتراسمها ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لاشك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك بعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطريق المتطلعون إلى العرفه فإنهم يجمعونها جميعاً

ويصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً حثيفاً ، ويحلقونها على ما تكره ، مما يملأه غيظهم وإسرافاً ومكناً ، ولا يمتزفون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً صيراً ؛ ولا يبنون لسلك الطريق أن يهلها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة للمص ، وأنست بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل يبنون أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس يبنون أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير تحرّم يبنون أن يعاقب العين بجمع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف يده بمنعه من شهواته . هكذا كانت مادة السلك طريق الآخرة ، وقد روى أن رجلاً من العباد كلف امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على خنجرها ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يستوي ، ويمكن أن أحدم تكشفت له جارية ، وهو في بعض الغاوي ، فنظر إليها ، فرجع يده فلم يصبه حتى فطرت ، وقال : إني كنت ألاحظ إلى ما يضرني ، ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينقص على عيشه » (١) .

ففي هذا الريح ، ربح للنجيات ، يظهر ما يتعلّى به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل مافي الريح الثالث ، ربح للمهلكات ، الذي يسط فيه ما نجب تركية النفس وتطهيرها منه ، وهي ضرور وآثام مردية ، كالشر والنضب والكبر والرياء والمُتَّعِب والحسد وحسب الجاه وحسب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (النجيات) لأن الأولى تطهير وتخلي ، والثانية تركية وتخلي ، والأولى في أصول القرية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيها ذكره في المهلكات ، ولكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمتنجيات ، ولأن التجرد للخير المحض دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للخص الشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين .

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقلية الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه النزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرح والحديث والتأويل ، وهو بعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة

الأولى ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعَلَّ ذلك بأن الناس لو تنازَلوا الدنيا بالبدل لاهطلت الخصومات وتسلط الفقهاء ، ولكسهم تناولوها بالشبهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فست الحاجة إلى سلطان يسوِّسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوِّسهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لتتظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين نومان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ^(١) .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والنزاعات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربح العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربح العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جبل هذا العلم علىين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والمحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المصيبة ، فإن الطاعة بواسيها ، والمصيبة عقابها . ولكن المرضي في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة المعرفة السكاملة ، والفناء ، وقهر النفس وتركيبها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفقي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلواته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول بالسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يُفقي بالصحة ، أي أن ما فعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتزوير ، فأما التشروع وإحضار القلب الذي هو محل الآخرة ، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزاع وإن عدَّ الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على الفهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة سلم الحقيقة ، والعبادة سبيل للفرقة الحقة التي نشدها وعدَّ من رجالها .

(٢) المقاييس الفلسفية : ونفى بها يقظة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهده ، ومحاربة الوصول إلى أعماقه ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى تدويع النزالي إلى التحرر ، وفوقه من التقليد الذي لا فضل فيه للعقل ، وفي الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

قد بحث النزالي كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التي تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث في أعمال العبد ، ومبدأ الخلق وفنايته .

ومن ذلك البحث الفلسفي الذي عقده في « ربيع المهلكات » في شرح مجانب القلب ، وفي بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصوري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود . . . الخ .

واللغى الثانى للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المحطب والمقاب والمقاب والمطالب . . وتعلقه بالعقل الجسماني يضاهي تعلق الأمراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتكسب بالسكان . . .

و (الروح) جسم لطيف منبه تجويف القلب الجسماني ، فينشر بواسطة المروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهي فيضان النور من السراج في زوايا البيت ، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا اللغى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب . والروح معنى آخر ، وهو اللطيفة العالمة للدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

ولفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعاني ما يربطه أهل التصوف في استعمالهم ، وهي الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، وهي اللغى الجامع لقوة الشهوة والغضب في الإنسان ، فإنك تزامم يقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي يحله القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء قليل نشير به إلى جهاد النزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام النزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديماً وحديثاً .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أقاض فيها في المنجيات والمهلكات والمعادن ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل في القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل السكينة والرضاثل المستقرة ، فضلاً عن الأخلاق الظاهرة والبلوك الملحوظ . ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لأكثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) الغاية الصوفية : ظهر للنزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب من الشواغل والملائق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس في الملائق . ولاحظ أحواله - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى ، بل باعشها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتيقن أنه على شفا جُرُف هار ، وأنه قد أشقى على النار ، إن لم يشتغل بتلافي الأحوال ^(١) .

وقد رأى الموم الذي حصلها لا تجدى فيها أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق النزالي كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، لا من التلم ، ولا من الطريق المعتاد ^(٢) ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » أي مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحسب : يطله طمأناً من غير تلم ، وينطقه من غير تجربة . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فطم باطن في القلب ، فذلك هو العلم النافع . . . وستل بعض العلماء من العلم للباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً . . وفي الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . » .

(١) النزالي : المنفذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢٢/٣ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإلهام بنير الأسباب الظاهرة ، مما وقع للخلفاء الراشدين وأهل التصوف والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم اللدني ، وهو غير العلم الدنيوي الذي يكون بوسائط نعيم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحل النفس على مالا تطيقه أكثر النفوس ، ولقد كعب الغزالي في هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف عنها عند غيرهم .

وما بالك رجل يحمل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القهر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العهد من الأحوال . وبسميه (زهد الخائفين) ؟ ويحمل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس من رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقتصدوا والخلاص منها ، ولا إلى الذات ليقتصدوا نيلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله قد هبده ، وكل مطلوب مبهود ، وكل طالب هبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفي .

وما أكثر ما يزخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشيع الغزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم العميق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع المنجيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا ... الخ .

✽

وأخيراً ...

تلك بعض إشارات إلى الينابيع الطاهرة والمناهل العافية ، التي يفيض بها هذا الآثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لقلوبهم ، ورياء لظهورهم ، وشفاء لأهواء قلوبهم ، ونهيدياً لظلمات الحيرة في غموسهم وأمنافى سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأخاذ في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمرقة العاقبة والحكمة البالغة .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرغبة الكريمة التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربية) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نعمه ، وعت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام التتالي ، الذي نتر به عالمًا بدين الله ، ونؤمنًا بالله ، وداعيًا إلى الله ، ونتر به مسلمًا من أولى البصيرة واليقين ، وعلمًا من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقمت على هذا الصل . مستعينًا بالله ، حتى وقع إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحًا لكشف عن شخصية التتالي وعقله وسطره ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .
والحمد لله على ما هدى إليه ، وأمن عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم المولى ونعم النصير .

بروق الكريمان

مصر الجديدة { ٣ من جلدى الأول سنة ١٣٧٧ هـ
٢٥ من توليد سنة ١٩٥٧ م



إحياء علوم الدين

للإمام الفخر إلى

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ،
(مركب كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حلي جلاله حمد الحامدين ، وأصلح وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما أنبئت له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تعجبك رابعا ، أيها العاقل التثالي في العذل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة السلام وقلادة النطق بما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر الزرع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأسا من عام التلاقي والجبر وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملهدين عن دركها فرجعت بكلامها ، أحمدته وأستكين له من مظالم أتعصت الظهور بأثقالها ، وأعبدته وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بمصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عني علمه ثم شرعت في تبييضه في نصف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمالها غير متعرض لتركه وإماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحايه ومخرجه وبيان محته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند للذاكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مستول .

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بمزوه إليه وإلا هزوته الى من خرج من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزّه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق

لنشر المحاسن وطبها

في أحسن كتب

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلاة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا بأحياء شريفة

وطريقته قلوب ذوي

الألباب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرفت شمس الأحياء

لقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

للوهوب الى إسفاف

ملازمي مطالعته

ومحبه بالمطلوب .

وبعد : فإن الكتاب

العظيم الشأن المسمى

بإحياء علوم الدين

الشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق

الله السالكين المشايخ

العارفين للنسب إلى

الامام الترمذى رضى

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه »^(١) ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجمل الفقير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجمل بأن الأمر إدار الخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقم البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائت من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا الترسيم وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً ضار يرى المروف منكراً والنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندوساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا أقوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدفع به طالب للباهة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه قهها وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين ولما خطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية اللهم لا كشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(٢) وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع »^(٣) وأحقق ميل أهل العصر عن شاة كلة الصواب ، وانخداعهم بالامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الترم مخرجه الصيغة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لفرض أول لدهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لدهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يفتى عنه غالباً وربما لم أذكره . ومحيته :

المغنى عن حل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار

جمله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى التعميم للقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج التهجددين
مقتدى الأئمة ميين
الحل والحرمة زين الملة
والدين الذي ياهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
النفع جليل المقسدار
ليس له نظير في بابيه ولم
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحة بمثاله
مشتغلاً على الشريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن التوامض
الحفية مبيناً للأسرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تكون كالعنوان
والدلالة على صباية
من فضله وشرقه
ورشحة من فضل
جامعه ومصنفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة في عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
المذامح والتناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب
كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب
أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب
الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام السكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب
آداب الصعبة والمعاشرية مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع
والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب العيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوات وشهوة البطن وشهوة
الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب
ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع النجيات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد
والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة
والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر الموت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع
عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهاء . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار للعاملات
الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين .
وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإمباطه وتركه النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد
ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق العلاج التي بها يتخلص .
كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع النجيات فأذكر فيه كل خلق محمود
وخصلة مرغوب فيها من خصال القرين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر
في كل خصلة أحدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وتثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في
بعض هذه المعاني كتباً ولكن تميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عقدوه وكشف
ما أجهلوه . الثاني : ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إنجاز ما طولوه وضبط ما قررروه . الرابع :
حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنفهام لم يتعرض لها
في الكتب أصلاً إذاً الكل وإن تواردوا على منبر واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين
بالتنبيه لأمر يخصه وينقل عنه رقاؤه أو لا ينقل عن التنبيه ولكن يسهر عن إيراده في الكتب
أولاً يسهر ولكن يصرفه عن كشف النطاء عنه صارف فلهذا خواص هذا الكتاب مع كونه طاماً وبالجماع
هذه العلوم . وإنما حملت على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي :
أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة
وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف العلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكار عليه والجواب
عما استشكل منه
وطعن بسببه فيه
والخاتمة في ترجمة
المصنف رضي الله عنه
وسبب رجوعه إلى هذه
الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة
التي يتقرب بها إلى الله
تعالى تنقسم إلى ظاهرة
وباطنة والظاهرة
فهيان معاملة بين العبد
وبين الله تعالى ومعاملة
بين العبد وبين الخلق .
والباطنة أيضاً فهيان
ما يجب تركه القلب
عنه من الصفات
المذمومة وما يجب تحلية
القلب به من الصفات
المحمودة وقديني الامام
القرابي رحمه الله كتابه
إحياء علوم الدين على
هذه الأربعة الأقسام
قال في خطبته : ولقد
أسست على أربعة أرباع
ربيع العبادات وربيع
العبادات وربيع المهلكات
وربيع النجيات فأما
ربيع العبادات فيشتمل
على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم للعامة فقط دون علم المكشفة التي لارخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم للعامة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم المكشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والاحمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والطلاء ورمة الأنبياء فالحلم سبيل إلى العنود عن نهج التأسى والاقتداء . ثم إن علم العامة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي عكس الاحتجاب عن الحواس من عالم للمكسوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتعلم بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتعلم بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العامة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أتى رغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى للتدبر به إلى الباهة والاستظهار بجماهه ومنزله في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع وللترتيب بزي المحبوب محبوب فلم أبعداً يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب ولهذا تالطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موزعاً في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى اللطافة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التالطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فتمرة هذا العلم طلب القلوب والأرواح للتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

الكتاب في علم وفيه سبعة أبواب (الأول)

الباب الأول : في فضل العلم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العلم وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تصد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم للمذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات الناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والطاء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد
العقائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلاة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأذكار
والدعوات كتاب
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربيع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصعبة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر كتاب
آداب السماع والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربيع الهللكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
عجائب القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشهوتين : البطن
والفرج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

نصرها للناس وما يفتلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لهما الدين - يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله - وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وربنا - يعني اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناكم بكتاب فضاء على علم - وقال تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢) ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لذلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض»^(٣) وأي منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم «إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك المملوك»^(٤) وقد نبهنا على غمراته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمع وقفة في الدين»^(٥) ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض قضاة الزمان فإنه ما أراد به القمعة الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الناس للؤمن العالم الذي إن احتجج إليه تقع وإن استغنى عنه أغنى نفسه»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «الايمن عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل»^(٨) . وقال صلى الله عليه وسلم «لموت قبيلة أيسر من موت عالم»^(٩) وقال عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كمدان الذهب والفضة يخارم في الجاهلية خيارم في الاسلام إذا قهوا»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء»^(١١)

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغني الأزد في آداب الحديث من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الايمان هريان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٩) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف

التضبط والحدود والحسد
كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الفرور . وأما
ربيع النجيات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفر والرهبة كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب النية
والصدق والاخلاص
كتاب الرقابة والمحاسبة
كتاب التفكير كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله : فأما ربيع
العبادات فأذكر فيه
من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار
مطانيها ما يضطر العالم
العامل إليها لايكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها أو أكثر ذلك
عما أهمل في الفقهيات .
وأما ربيع العادات
فأذكر فيه أسرار
العاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة قتيلاً عالماً » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل حليم » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا يورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (٨) فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حظ رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يغلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (١٠) فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى شئ أفضل من قته في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه » (١١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه » (١٢) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة » (١٣) وقال

وخفايا الورع في مجاريها وهي عما يستغنى التدين عنها . وأما ربيع للهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتركه النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر في كل واحد من هذه الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي منها يتخلص كل ذلك مقروناً بشواهد

(١) حديث من حفظ على أمي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة قتيلاً عالماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل حليم ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له باسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله شئ أفضل من قته في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: قتيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث معجم بن الأدرع باسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

من الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع للنجات فأذكر فيه كل خلق محمود وخلة مرغوب فيها من خصال القربين والصديقين التي يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر في كل خلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجلب وتغرب التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع

والعمل

(المقصد في فضل الكتاب للشار إليه وبعض اللدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطمع بسببه فيه) اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة لها باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبهم وقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردوا فيها علت بتأليف وهي جسدرة بالتصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في بحر الحقائق واستخرج جواهر للماني ثم لم يرض إلا بكبارها وجمال في بساين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن انتطف من أزهارها وسما إلى سماء الماني فلم يصطف من كواكبها إلا السيرة وجلت عليه عرائس أسرار الماني فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسمى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير قهأؤه قليل قراؤه وخطأؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسأى على الناس زمان قليل قهأؤه كثير خطأؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حشر الجواد للضرر سبعين سنة » (٢) وقيل يارسول الله : أي الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » قبل أي العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » قيل له : نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع على فيكم إلا لئلى بكم ولم أضع على فيكم لأعذب بكم اذهبوا فقد غفرت لكم » (٤) نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن أى طالب رضى الله عنه لى كليل يا كليل العلم خير من لئال العلم بحرسك وأنت تحرس لئال العلم حاكم وللأل يحكموم عليه وللأل تنقصه الثقة والعلم يزكو بالإتفاق . وقال صلى الله عليه وسلم : « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذامات العالم تلم في الإسلام ثلة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بسلام تشى حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شىء أعز من العلم الملوك حكماء على الناس والعلماء حكماء على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل لمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصة التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان القليل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس المصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شىء أدرك من فاته العلم وأى شىء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال نفع الموصلى رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع هذه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتاه كما أن غذاء الجسد الطعام ومن قد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغلها بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير قهأؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والائق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورثته موت رواه فوالذي نفسي بيده ليوذن رجل قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسن في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا هزقت سيفتك أصبحت معك بمعنى العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من أخذ الحكمة لجأ ما أخذ الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فخرج ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يألها الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداه محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استغفبه ثلاث مرات كذا يسلبه رداه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يؤطد يعلم إلى ذلك مصيره وتال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترفت فأحترفت بالعلم لما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى - قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو باليمين ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خبره من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ندر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو باليمين ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متفق مشهور وأسانيد ضيفة .

فشكر الله له ذلك
المسحوق لله دره من عالم
عحق مجيد وإمام جامع
لشتات الفضائل محرر
فريد لقد أبدع فيها
أودع كتابه من
القوائد الشوارد وقد
أغرب فيها أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيها أفاد فيه
وأملى يدي أنه في العلوم
صاحب القدر المعلي
إذ كان رضي الله عنه
من أسرار العلوم محل
لا يدرك وأين مثله
وأصله وفضله فضله:
هيئات لا يأتي الزمان
مثله

إن الزمان مثله لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشتات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات الناقب فشجرت
في فؤارة العلم والعمل
والملا والفهم والذكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضي الله عنه هذا الصدر
الرحيب والقرع
الثاقب والراية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسميع والمحب لهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٢) » وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة (٤) » . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فمزت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتم مسئلة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وشائر الناس هج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يظنون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه (٥) » وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها (٦) »

- (١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة التملين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاء الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة التملين من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرصلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم الغيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لم أذا حين بعث إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم الجيني مثل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد للصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسين علي بن حرزهم الفقيه المشهور القرني كان بالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً »^(١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول الطماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنهم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة »^(٢) وهذا إنما يكون بالعلم للتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترزع العلم انتراعاً من الناس بعد أن يؤتهم إياه ولكن ينهب بنهب العلماء فكما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن شئوا أتوا بغير علم فيضلون ويضلون »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة تسعها قطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تطه إياها تمهل عبادة سنة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو لمعلم أو متعلم »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه قبله »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة »^(٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بثت معلماً » ثم عدل إليهم وجلس معهم^(١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل^(١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف^(٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف^(٣) حديث إن الله لا يترزع العلم انتراعاً من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو^(٤) حديث من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن^(٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة تسعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه بإسناد ضعيف^(٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب^(٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح^(٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن النكدر مرسلاً نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى^(٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلاً نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمت يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة^(١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال التزالي هذا خصمى يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعم ثبت إلى الله وإن كان شيئاً حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذلي حتى من خصمى ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بئتك بالحق إنه شيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويعد حد للفتري فجرد وضرب فلما ضرب حصة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله له ظنّ خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأبنت الكلاً والعتب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فثربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً^(١) » اهـ فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلاً للنافع والثالث للمحروم منها . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به^(٢) » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله ما لا قسط له على هلكته في الخير^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائي رحمته الله قبل يوم من خلفاؤك ؟ قال الذين يحبون سنقي ويعلمونها عباد الله^(٥) » . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكثرت لاسأله إنسان فقالوا كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء إصار الناس مثل البهائم أي أنهم زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء إصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدة البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجمل وتعلم ممن يعلم ما يجمل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيت أيضاً مرفوعاً « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنارسيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتبس آثارهم وترمق أفعالهم وترغب لللائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى جيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها^(٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لاحسد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلفائي رحمته الله الحديث ابن عبد البر في العلم والمروى في ذم الكلام من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرسلاً ولابن السني وأبي نعيم في رياضة التلعين من حديث علي نحوه (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي .

فأخطأ في ظنه فرضى
الامام الغزالي وقبل
شفاعة الصديق ثم
استيقظ ابن حزم
وأثر السباط في ظهري
وأعلم أصحابه وتاب إلى
الله عن إنكاره على
الامام الغزالي واستغفر
ولكنه بقي مدة طويلة
متألماً من أثر السباط
وهو يتضرع إلى الله
تعالى ويتشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن رأى النبي
صلى الله عليه وسلم
دخل عليه ومسح
بيده الكرى على
ظهره صفوياً وشفي بأذن
الله تعالى ثم لازم مطالعة
إحياء علوم الدين ففتح
الله عليه فيه ونال
المعرفة بالله وصار من
أكابر المشايخ أهل
العلم الباطن والظاهر
رحمه الله تعالى . قال
اليافعي روي ذلك
بالأمانيد الصحيحة
فأخبرني بذلك ولي الله
عن ولي الله عن ولي
الله عن ولي الله الشيخ
الكبير القطب شهاب
الدين أحمد بن الليق

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومداومته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يسجد وبه يوحد وبه يعبد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن للطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وثباته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أول غير من الحصول فاقتصدل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بحدس فهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وتقصان في العنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لعنايه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن الفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدرامم والدنانير فانها محجرات لا منفعة لها ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات لهما لكانا والحصاب بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسامة البدن فان سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمنى بها والتوصل إلى التآرب والحاجات وهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت له دينا في نفسه فيكون مطلوب لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها لن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنة اللأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم محبوبون على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البيهة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لمرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة بما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفاضة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا منزعة للآخر وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن أخذها آلة ومنزلا لمن يشخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحيا كدوى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله ياقوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبي العباس
الرسى عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان معاصرا لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وائر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الامام
الفتية الصوفي سعد بن
طلى بن أبي هريرة
الاسفراييني يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحى
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاوى
بمسكة المشرقة يقول
دخلت المسجد الحرام
يوما فطرا على حال
وأخذنى عن نفسى
فلم أقدر أن أتف
ولا أجلس لشدة تهاوى

وهو للمسكن والسياسة وهي لتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب العيشة وضبطها الثاني ماهي مهنة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالخدمة فانها تخدم الزراعة وحجة من الصناعات بأعداد آلاتها كالخلاجة والفزل فانها تخدم الحياكة بأعداد عملها . الثالث ماهي متممة للأصول ومزينة كالطبخ والحبز للزراعة وكالقصارة والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى فوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرب أيضاً أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالخدمة والفروق والشرابين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأنظار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يشكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاهلها صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للنجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الحلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنفى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والنفع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط وأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعيدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالاتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على القنوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المثل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ عمل أحدهما الذهب وعمل الآخر جلد البلية وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي لله طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كاسياني بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه ونعمته سعادة الآخرة وأما شرف المثل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر وشوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس و أشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشتغل بتكيله وتجليته وتطهيره وسياتته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أحل خلافة لله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العام الذي هو أخص صفاته فهو كالحارث لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد وأسطرة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تفريرهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة للأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب الثاني . في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقهاء من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة)
بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم ففترقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا تطيل ينقل التفضيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بسدده قال المتكلمون هو علم الكلام إلهه يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقت على جنبي الأيمن
نجاه الكعبة العظيمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن نفسى
النوم فأخذت سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم فى أكل
سورة وأحسن زى
من القميص والعامة
ورأيت الأئمة الشافعى
ومالكاً وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يمرضون عليه مذاهبهم
واحداً بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرهم عليها ثم جاء
شخص من رؤساء
المتدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتقدمت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أعنى
إحياء علوم الدين
معتقدي ومعتقد أهل
السنة والجماعة فلو
أذنت لى حق أقرأه
عليك فأذن لى
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعزوا به ما يحتاج إليه الأحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى المعلوم كلها وقال للتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه للثلاث من لغة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومته . وقال أبو طالب السكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ^(١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يترتب فيه ما سذكروه وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم العامة والمعاملة التي كلف العبد الماقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل الماقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفي أن يصدق به ويستفقه جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا برهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ^(٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطمئناً لله عز وجل غير غاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاتسكاف عنها وتلك الموارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يصيب من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يجد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقوع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافقه فإن فعل ذلك قل فعله أيضاً قل فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث ا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول في ترجمة
عقيدة أهل السنة
حتى انتهت إلى قول
الغزالي وأنه تعالى
بعت النبي الأمي
القرشي محمداً صلى
الله عليه وسلم إلى
كافة العرب والجم
والجن والإنس فرأيت
البشاشة في وجهه
صلى الله عليه وسلم
ثم التفت وقال أين
الغزالي وإذا بالغزالي
واقف بين يديه فقال
ها أنا ذا يا رسول الله
وتقدم وسلم فرد عليه
السلام عليه الصلاة
والسلام وناولته يده
الكريمة فأكب
عليها الغزالي قبلها
ويتبرك بها وما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
أشد سروراً بقرابة
أحد عليه مثل ما كان
بقراءتي عليه الأحياء
ثم انقبت والدمع يجري
من عيني من أثر تلك
الأحوال والكرامات
وكان تقريره صلى الله
عليه وسلم لهذه الأهمية

وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بأس بالحرير أو جالساً في النصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملاساً له ولكنه يصدد التمرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيه عليه وما يجب تعليمه ويجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في الماني التي تدل عليها كلها الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن يستقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات قد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر للوجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسامع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يسان في أوله بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو أتى إليه الباطل لوجبت إزائته عن قلبه وربما عبر ذلك كما أنه لو كان هذا السلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب لمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الطالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سذكركه من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والملاج هو مقابلة السبب بصدده وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع للمهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا ينفع . وما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد اتفقت عن ملة إلى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والخبر والنشر حق يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فإذا انتبهت لهذا التدرج علمت أن الذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبيد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يغفل من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجديد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعروف بالآلف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البرار والطيراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستشاره
بقيادة الفزالي
وتقريرها نعمة من الله
عظيمة وسنة جسيمة
سأل الله تعالى أن
يعيننا على سنته ويتوفانا
على ملته آمين .

(صل) أنشأ على الأحياء
علم من علماء الإسلام
وغير واحد من عارف
الأعلام بل جمع أقطاب
وأفراد قال فيه الحافظ
الإمام الفقيه أبو الفضل
المرقي في ترجمته إنه
من أجل كتب الإسلام
في معرفة الحلال
والحرام جمع فيه بين
ظواهر الأحكام ونزع
إلى سرائر دقت عن
الأنفهام لم يقتصر فيه
على مجرد الفروع
والمسائل ولم يتبحر
في اللجة بحيث يتعذر
الرجوع إلى الساحل
بل مزج فيه على
الظاهر والباطن ومرج
معانيها في أحسن
للوطن وسبك فيه
فخاس اللفظ وضبطه
وسلك فيه من النمط
أوسطه مقتدياً بقول
على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أزيل الداء أزيل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بأعماله . وأما ما بعد فضيلة لا فريضة فالتمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشيعة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشجار التي لا تسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى الحمودة والمذمومة . أما الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات وثمرات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجتماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنة لأن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدركه بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل ببيان تنبيه لها القول فالتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ المفهوم به غيره كأنهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »^(١) أنه لا يقضى إذا كان حاقناً أو جائعاً أو متألماً بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث للخدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعم الكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة النقط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم التالي إلى آخر ما ذكره عما الأولى بنا في هذا الحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر للمحب والبغض رشده وغيره . وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه للشهيرة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآناً . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو حبت جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله الميبدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه قلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطلع

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعواده وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفاهيم غريبة غير التي قبلها ولم يسبق أحد ولم يلحقه أحد أتني على كتاب الاحياء بما أتني عليه ودعا الناس بقوله وفضله إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم بالإخواني بتأسيه الكتاب والسنة أعني الشريعة للشروحة في الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر اللوت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرها وظاهرها وباطنها وفكرها واعتبارها واعتقادها وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله وشعبه ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا (١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنىء الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا . الضرب الرابع للتميمات : وذلك في علم القرآن فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات وتخراج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسير فان اعلم أيضا على النقل إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كغرفة الناسخ والنسخ والخص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما التتميمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتمييز الرسل السند وكذلك ما يتعلق به فقههم العلوم الشرعية وكلها محمولة بل كلهم من فروع الكفايات . فان قد لم ألحق الفقه بعلم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلاله من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنهاج الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخا الدنيا إذا زاد المعاد ليتناول ما يصلح للتردد فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الخصومات وتقطعت الفقه ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فحست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا في الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامة أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدين أمر زرع الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فهدوم ولا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالقوم كما سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به فكذا معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا بيزقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج ثم وسلك الطريق إلى الحج شيء ثان وللقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي من : « لا يخفى الناس إلا ثلاثة أمير أو أمور أو متكلف (٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون وللامام نائبه والتكلف غيرها وهو الذي يتقلد تلك المهمة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يجترزون إذا سئلوا عن القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل التكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غم متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحا والحدود والقرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربيع العبادات من الصيام والصلاة فيما يشتمل عليه ربيع المعاديات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا : أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأما الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يخفى الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد للصنفين وبقية
المجاهدين حجة الإسلام
الترمذى في كتابه العظيم
الشان للقلب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذى هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليكم
بملزمة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطالعه
وعمل بما فيه قد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأنبيائه
وأوليائه وجمع بين
التربية والطريقة
والحقيقة فى الدنيا
والآخرة وصار عالماً
فى الملك واللكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزير لوبعث الله للون
لما أوصوا الأحياء
إلا بما فى الإحياء .
ومن كلامه اعلوا أن
مطالعة الأحياء تحضر
القلب القائل فى لحظة
كجذور سواد الخير
بوقوع الزاج فى
الفضى والساء وتأنير

فيما علمت أنه لا يهاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما
الإسلام فيشككم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فنخرج عن ولاية الفقيه لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا
شقت عن قلبه ^(١) » لئلا يقتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكتشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف بأن السيف يمتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تصمم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم ^(٢) » جعل أثر
ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالخاض فى الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً فى جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولاً بالتفكير فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما
أن القول باللسان فى الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
واقطع به عنه القتل والتعزير فأما الحشوع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف
القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهم ماله إسقاطاً للزكاة فعكى ذلك لأن حنيفة رحمه
الله قال ذلك من قهقهه وصدق فإن ذلك من قهقهه الدنيا ولكن مضرت فى الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بركة الإنسان عن أهلية
الشهادة والقضاي والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من
الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ^(٣) » وقال صلى
الله عليه وسلم « الائم حراز القلوب ^(٤) » . الثالثة ورع للتقوى وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه
أدائه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة عناه
بأس ^(٥) » وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الفية والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للودى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع
الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يندرج فى العدالة والقيام بذلك لا يفتى الائم

(١) حديث هلا شقت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذى ومعه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث
الائم حراز القلوب البيهقي فى شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدى فى مسنده موقوفاً
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذى وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اصة « استفت قلبك وإن أفنوك وإن أفنوك وإن أفنوك (١) »
والفقيه لا يشكم في حازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذن جميع نظر الفقيه
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تسكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكأن يدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا
ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر والمان
والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإعالم العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب
أيضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع
المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه
أحد من سالكى طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للرضى وهم
الأقلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه ينظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال
الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق الحمودة للنجاة في الآخرة
واللذوم يصدر من اللذوم وليس غنى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤها صفاء في
المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب لظهور شرفه
وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل على علم
طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قبان : علم مكاشفة
وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الحاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه
لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان
محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينسكركه أنه
لا ينوق منه شيئا ويشهد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والقربين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته
من صفاته اللذومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني
مجهلة غير متضحة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات
الثابتات وأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان
وكيفية ظهور تلك الأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان
ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ومعنى قوله تعالى - وإن النار الآخرة هي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أفنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل بالى كلامه فتأمل .

كتب الفزالي واضح
ظاهر مجرب عند كل
مؤمن ومن كلامه
أجمع العلماء العارفون
بالله على أنه لا شيء
أنفع للقلب وأقرب
إلى رضا الرب من
متابعة حجة الاسلام
الفزالي وعبية كتبه
فان يكتب الإمام
الفزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب المقول
والمقول واقه وكيل على
ما أقول . ومن كلامه
أنا أشهد سرا وعلاية
أن من طالع كتاب
إحياء علوم الدين فهو
من المهتدين ، ومن
كلامه من أراد طريق
الله وطريق رسول الله
وطريق العارفين بالله
وطريق العلماء بالله
أهل الظاهر والباطن
فليس بمطالعة كتب
الفزالي خصوصا إحياء
علوم الدين فهو البحر
المحيط . ومن كلامه
اشهدوا على أن من
وقع على كتاب الفزالي
قد وقع على عين
التربية والطريقة
والحقيقة . ومن كلامه
من أراد طريق الله
ورسوله وورثاها فليعلمه

لو كانوا يملكون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة اللائحة الأولى ومقارنة اللائحة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى السكوكب الدرر في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بمدا التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعدّه الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها للمفهوم من الفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدث معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر مبيع بصبر متكلم فنفى بطل المكاشفة أن يرتفع العطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اقتضاهما يجري مجرى البيان الذي لا يشك فيه وهذا يمكن في جواهر الإنسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدورها وخبيثها بقاذورات الدنيا وانما معنى بطل طريق الآخرة العلم بكيفية تفصيل هذه الآراء عن هذه الحقائق التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأل فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تفسد في الكتب ولا يتحدث بها من أنتم الله عليه بشئ منها إلا مع أهله وهو الشاركة فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحفي الذي أراد صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهية السكونون لا يسله إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاعتقاد بالله تعالى فلا تحقروا علماً أتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يهفركه إذ أتاه إياه (١) ». وأما القسم الثاني : وهو علم العامة فهو علم أحوال القلب . أما ما يعمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، لمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وتثمرها وعلامتها ومعالجتها ما ضف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يذم غفوف الفقر وسخط القدر والقل والحمد والحمد والفتى وطلب الموت وحسن الثناء وحسن طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرياسة والبذخ والأشر والبطر وتمظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والحيلاء والتنافس والباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيها لا يمتنى وحسن الكلام والصلف والتزين للخلق والمداينة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بسبب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وعدة الانتصار للنفس إذا نالها القدر وضعف الانتصار للخلق واتخاذ إخوان الملاينة على عداوة السر والأمن من محسرات الله سبحانه في سلب ما أعطى والانتكال على الطاعة والكر والحيانة والخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلق والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والمجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المخطورة . وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهية السكونون الحديث أبو عبد الرحمن السلي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها ونماذجها وعلاجها هو علم الآخر وهو فرض عين في شئى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك للولك في الآخرة كما أُر للعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم شئى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض المين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولوسئل فقيه عن معنى من هذه المعاز حق عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين الذى في إجماله هلاكه في الآخرة ولو سأله من اللمان والظهار والسبق والرى لسرد عليك مجملات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شئ منها وإن احتيج لم تزل البله عن غور بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلاً ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويتفلح بها هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية وليس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والله طعن بطل أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض المين بل قدم عليها كثيراً من فروض الكفايات فكيف من بلمة ليس فيها طبيب إلا من أهل القمة ولا يجوز قبول شهادتها فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحداً يشتغل به ويتأثرون على علم الفقه لأسباب الخلافات والجدليات والبله مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالقنوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاعتقال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإجماله مالا فقام به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتفقد القضاء والحكومات والتقدم به على القرآن والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتلييس العلماء السوء فاقه تعالى المستعان وإليه للائذ أن يبيدنا من هذا الضرور الذى يسطر الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بغسل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الأمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدي عتيان الراعى كما يجلس الصبي في للكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول إن هذا وفق لما أخفناه . وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف السكرخى ولم يكن في علم الظاهر بمنزلةهما وكان يسأله كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف فعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجلوه شورى بينهم (١) » ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض ولللك وعلماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجليل رحمه الله قال لى السرى شىخى يوماً إذا قلت من عندى لمن تجالس قلت المجالس قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردة على التكلمين ثم لما ولت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم لم يورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة لمنومة وهى من البدع كما سيأتى يانهو إما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بقل للقاتلات التى أكثرها ترهات وهذيانات ترددها الطباع وتجبها الأصماع وبضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شئ منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكيفية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة وتبنت جماعة لتقوا لها عبها ورتبوا فيها

(١) حديث قيل له كيف فعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه التور . ومن كلامه السركه في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشرعية مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للسعى المحبوبة الزمان . ومن كلامه غنج غنج لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضى الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من التناء على الإمام الغزالى وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله الصندروس رضى الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

عبد الله في الغزالي
وسميته [الجواهر
التلالي] خصوصاً من
كلام الشيخ عبد الله
في الغزالي فلم يتيسر
له وأرجو أن يوفقني
الله لذلك عميقاً لرجائه
ورجاء أن يتناولني
دعاء الشيخ عبد الله
رضي الله عنه فإنه قال
غفر الله لمن يكتب
كلامي في الغزالي
وناهيك بيشارة في هذه
المبارة السقي برزت
من ولي عارف وقطب
مكاشف لا يحازف في
مقال ولا ينطق إلا عن
حال وفي هذا من
الشرف للغزالي وكتبه
ملايحتاج معه إلى
مزيد - إن في ذلك
قد كرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو
شديد - فان العظيم
لا يعظم في عينه
إلا عظيم ولا يعرف
الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل وإذا
تصدى المبدوس
لتعريفه فقد أغنى
تعريفه عن كل
تعريف ووصف
والشهادة منه خير
من شهادة ألف ألف

كلما مؤلفاً فصار ذلك المنور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر
الذي يقابل به للتبذع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سند ذكره في الباب الذي يلي
هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كالمسبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة
فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لئلا يهتدى بهما إلى علوم مذمومة
عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكإيصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
خوفاً عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا
بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكان أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من التكميين ،
وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف
للتشريع والدين الحق فهو جهل وليس يعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك
ولكن لطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار
من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة قلوب العوام عن تخيلات البدعة وإنما حدث ذلك
بمحدث البدع كاحداث حاجة الإنسان إلى استئجار البذرة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك
للتبذع هذيانته لما اقتصر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم التكميم حدة
من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة
الحاج والتكميم إذا تجرد للمناظرة والدافعة ولم يسلط طريق الآخرة ولم يشغل بتمهيد القلب وصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً وليس عند التكميم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام
وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العوام بصناعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله
تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم للكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون
الكلام حجاباً عليه ومائلاً عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يح المحسنين - فان قلت قد رددت
حد التكميم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش البدعة كما أن حد البذرة حراسة ألقسة الحجيج
عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل
العدوان عن بعض وهاتان رتبان نازلان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة للشهويرون بالفضل
هم الفقهاء والتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه للترلة الساقلة
بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في مناهات الضلال فاعرف الحق
تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات
الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلماء منصفهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم
وأهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل يعلم الآخرة
وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكرة صيام ولا صلاة ولا بكرة زواجة ولا تقوى

ولا كلام ولكن شيء وقرئ صدره (١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصه في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدرر للكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس على تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في أحد بحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضما في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم قيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بال لا أعرض على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجد وضرب صيفا بالدرة لما أورد عليه سؤال في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عندنا شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسم والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو للملك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقه والتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد اتسموا منهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقواه وذو عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعمل بعلمهم ولأرادتهم وجه الله سبحانه يفتواهم ونظرهم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل علم علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لأمه حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم الكاشفة وعمل مجرد وهو كمد السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلم والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لجرد الاشهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل

على أناس نقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين اتحلوا مذاهبهم ظلموم وأنهم من أشد خصماهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهده من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخر كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلوم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقيمين بعلوم الفتوى والصوفاء والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى (١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذي الحكيم النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله للزنى ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأ عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدي الشيخ أبو بكر الميبدروس صاحب عدن ألزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الإحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله الميبدروس رضي الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعين الذين أكثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وقصيا في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فبهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشمير والبالغة في تفاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها بمشابهة أولئك الأئمة وهبات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلزود الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحاصل الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان سنتين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحووا من ثلث الليل لما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت ليلة آية وكان لا يمر بآية راحة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تموز فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتضاره على خمسين آية على تحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شيعت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع يشغل البدن ويغيب القلب ويزيل القنطة ويجلب النوم ويضرب صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكته في ذكر آفات الشيع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التعب وتقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بحلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت ف قيل له ألا تحبب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل في سكوتي أدنى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لئيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال زهوا أضماكم عن استماع الحنا كما تزهون السنتكم عن النطق به فإن السميع شريك القائل وإن السفه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهد رضى الله عنه فقه قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فغضب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما يرجع من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاوة لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق ففتى على الشافعي فقيل له قد مات فقال إن مات
قد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً تذاكر
العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه
خرجت أنا وهو والحريث بن ليلى إلى الصفا وكان الحريث تلميذاً لصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن
الصوت قراً هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي
رحمه الله وقد تغير لونه واقتعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول
أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
رقاب المشتاقين إلهي هب لي جودك وجللي بسترِكَ واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى
وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالمراق فعمدت على الشط أتوصلاً للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي
يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا بـرجل يتبعه جماعة فأسرعت
في وضوئي وجعلت أقفؤ أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة قلت نعم تعلني عما علمك الله شيئاً
فقال لي اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قربت
عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد
استكمل الإيمان من أمر بالمعروف واتم عن المنكر واتمى وحافظ على حدود الله تعالى
ألا أزيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع
التاجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله
من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر
كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة
فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم للأئمة عنه . روى أنه سئل عن
الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب
فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي غفاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء
تذكر فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الحصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يرض نفسه لم ينفعه
عليه . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له عجب وبغض فإذا
كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً
ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
للشافعي يوماً يا أبا الفضل الصبر أو المحنة أو التمكن فقال الشافعي رحمه الله التمكن درجة الأنبياء ولا يكون
التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبرمكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه
السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليعوسف
في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنته الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
الآية فهذا السلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين
إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون
الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

وسر نفس مصنفه
وحسن قصده والمراد
بالكافر هنا فيما يظهر
الجاهل بعيوب النفس
المحجوب عن إدراك
الحق أي فيمجرد
مطالعته لا بكتاب
للكور يشرح الله
صدره وينور قلبه
وذلك لأن الوعظ إذا
صدر عن قلب متعظ
كان حرياً أن يتعظ به
سامعه وكأن الله تعالى
جعل لعباده الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يعزنون رتبة فوق
غيرهم كذلك جعل
لما يبرز منهم ويؤخذ
عنهم بركة رائدة على
غيره لأن السقيم كريمة
وأنوار قلوبهم عظيمة
ومهمهم عليه وإشاراتهم
صانية حتى يكون للقرآن
أثر عظيم عند سماعه
منهم والأحاديث بهجة
وجلاله زائدة إذا
أخذت عنهم وللمواعظ
منهم تأثير في القلوب
ظاهراً ولعلومهم وقهمهم
أنوار وتنع متظاهر
حتى تجد الرجل له العلم
القليل وبعد ذلك
ينتفع به كثير لحسن
نيتته ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجدته أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتميز في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم يزدن التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضيء الله في القلب قلت ومما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجاليوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجهزة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتتمكن حذته لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والناظرة فيوجهه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وودت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كملت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويصان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كملت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوله وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحة والبخاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قاله ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوله كل هذا الدعاء فقال أحمد يابن كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدين والعلانية للناس فانظر هل لهذا من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد يده بحبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله من وجل عليه من العلم ووقته للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب ثلثاء من الكتاب الذي صنعه الشيخ نصر بن إبراهيم للقديس رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضا متحلياً بهذه الحاصلات الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تسمى فالزومه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطبيب وتمسك من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث قتيلا في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجهه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال في الدين ليس شيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إنني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لأدري ومن يرد غير وجهه الله تعالى يعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد آمن على من مالك . وروى أن أبا جعفر النعمان منع من رواية الحديث في طلاق للكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضر به بالباطل ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدئك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب الرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخص قال مالك رحمه الله

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللوطا كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس .
القرآن فقال له أما حمل الناس على اللوطا فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و
اقتربوا بعده في الأمصار فحدثوا فحدث كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلافاء
رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للدينة خير لهم لو كان
يطعون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « للدينة تنفي خبيثا كما ينفي الكبر خبث الحديد (٣) » وهذه دنانير
كأهي إن شتمت غفوها وإن شتمت فدعوها يعني أنك إنما تكلف في مفارقة المدينة لما اصطغته إلى فلاة أو
الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأمور
الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنبش علمه وأصحابه كان يغرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زه
وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد للال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام
ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب ما
كراما من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه قلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو ذا
مضى إليك يا أبا عبد الله قلت دع لنفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة
نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توبة
لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت
عمر بن الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى نسمع صيانتنا منك اللوطا قال قلت أ
الله مولانا الأمير إن هذا العلم منك خرج فان أتم عززتموه عز وإن أتم أذلتموه ذل والع
يؤتى ولا يأتي فقال صدقت أخرجوا إلى السجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله ته
فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجهه الله تعالى بعلمه فأما كونه عا
فيرى بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله مروة وكثرة صلاة . وروى
حماد بن أبي سليمان أنه كان يحكي الليل كله . وروى أنه كان يحكي نصف الليل ثم يوافق طريق فأد
إليه إنسان وهو يحكي فقال لآخر هذا هو الذي يحكي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحكي الليل كله وا
أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الر
ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة قدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على
للحال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل المذاب . قال الحكم
هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على
يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذ
أبو حنيفة عند ابن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخداقيرها فرفضها . وروى
محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر للنصر
بشرة آلاف درهم قال فما رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الص
ثم تغشى ثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قعطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض
حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بدل الكلمة أي هذه عادته فقال ضموا للمال في هذا الجراب في زاوية الب

(١) حديث اختلاف أمي ورحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقاً وأسندته في الدخول من حد
ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث للدينة خير لهم لو كانوا يعلم
متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث للدينة تنفي خبيثا الحديث متفق عليه
حديث أبي هريرة .

أخى اتقه والزم سلوك
الطرائق
وسارع إلى الأولى مجد
وسابق
أباطالاً شرح الكتاب
وسنة
وقانون قلب القلب بحر
الرفائق
وإيضاح منتهج للحقيقة
مشرق
وشرب حياصفو راح
الحقائق
وإجلال أذكار الماني
ضواحا
يا هاج حسن جذاب
للخلائق
عليك بأحياء العلوم
ولها
وأسرارها كم قد حوى
من دقائق
وكم من لطيفات لدى
اللب منهل
وكم من مليحات سبت
لب حاذق
كتاب جليل لم تصنف
قبله
ولا بعده مثل له في
الطرائق
فكم من بديع اللفظ
يجلى مرئسا
وكم من هموس في حماء
هوارق
معانيه أنصت كالبدور
سواطحا

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفتنوني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديتلك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شجاعاً على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصليح لهذا فقليل له لم فقال إن كنت صادقاً فما أصليح لها وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيذل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جرير قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم السكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بهما من الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي السلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعاً من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بغرور الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء والامان أو يثمرها علم آخر أظنى وأشرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أسيدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يمدد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذمومة وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان غلة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً فاعلم أن العلم لا يذم لئنه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حساية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص السحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستمالة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص السحور ومعرفة هذه الأبواب من حيث إنها معرفة ليست بمنمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر فكان ذلك هو السبب في كونه علماً مذموماً بل من اتبع ولما من أولياء الله ليقته وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن عمله لم يحز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ماهو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قيمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

على در لفظ المعاني
مطابق
وكمن عزيرات زهت
في قباها
عجبة عن غير كفه
مسابق
وكمن لطيف مع يدبع
ونعفة
حلاوتها كالشهد نعلو
لذائق
بساتين عرفان وروس
لطائف
وجنة أنواع العلوم
القوائق
رعى الله صباراً صافي
جناتها
بروح ويندو بين
تلك الحقائق
وبقطف من ذاكي
جناها فواكها
بساحل بحر بالجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجرين
وأقبل على تلك الماني
وعائق
وراجع طرفاً في يدبع
جمالها
وطف حياها منعدا
كل سابق

عاد كالرجون القديم . . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو بضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكرت أمحاجي فأمسكوا » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمي بعدى ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في قوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية وعظم وقعها في القلوب فيقلب القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهة ما وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضيف يصير نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضيف إلى حصول ضوء الشمس عقب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة الحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر للريد ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظاهرا لحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلو كان ذلك معجزة لا دريس عليه السلام فيما يحكي وقد اندرس وأمنحى ذلك العلم وأمنحى وما يتفق من إصابة النجم على تدور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل للسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر خطأ ويكون ذلك كتحمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى القيم مجتمع وينبث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب القيم وربما يكون بخلافه ومجرد القيم ليس كافيا في محيى للطرق وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألقه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا ينفي وتضييع العمر التي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير فائدة وذلك غاية الحسرات « قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من سنة وأربعين جزءا من

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي محجن بإسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

تري في بدور الحى
أقار قد بدت
بألى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم
قشمت عى
وكم قدصمت في غربها
والأشراق
فيضى براح الحب
سكران مفرما
أصم عن العذال غير
موافق
ويعنى يناديها طريقا
يأبها
منم عيش في الربوع
القوادق
صلاة على سر الوجود
شفيها
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل الكارم
والعلا
وعثرته ورآث علم
الحقائق
[فصل] وأماما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك المواضع
لمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
للسي (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

النوبة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الحائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبيل جليلها وخفيها قبيل جليلها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كنف الناس عن البحث عنها ووردهم إلى مناطق به الشرع ففي ذلك مقنع للوفق فكم من شخص خاض في العلوم واستغنى بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل يضر شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لاتلد فحس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنص عليها عيشها وأخرجت أموالها وقرقتها وأوصت وبقيت لاتأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك لجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته حية وقد انقعد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لاتمزل إلا بخوف اللوت غرقها بذلك حتى هزلت وزال السانع من الولادة فهذا ينهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع » (١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تسكن بمخاطعة علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضى الله عنهم واتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أتى أبحت عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم تداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في العلاجات يستبدها من لا يعرفها فيكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك فترك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى يفهمه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطفى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم فكيفية انشباب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته لا احاطة بها كأن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب وتفتائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وترضيها للنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكأن القول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإعما كانت التجربة تطرق إليها لورجع إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة القريبة إلى الله تعالى زلني وعن الأعمال البعيدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ نعوذوا وقد تقدم .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقبها وقرب لك مقامات الأولياء تحمل معاليها عن بعض ما وقع في الاسلام للقلب بالأحباء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يغز بث من الحظوظ للملك قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الظنم وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأنقوا بالهوى مجردا على غير بصيرة بطراحه ومنابذته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قرأه ومنتحليه بزئج عن التريفة واختلال إلى أن قال ستكتب شهداتهم ويسألون وسيعلم الدين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفنائه ثم ذكر عندهم للمرضين

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها يثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها وتقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والسلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشوع إطلاق هذه الأسامي عليهم . اللفظ الأول الفقه قد تصرفوا فيه بالتخصيص بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفريضة في الفتاوى والوقوف على دقائق علمها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تسهما فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحفارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقبى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من المتجربين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولمعنى إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عديم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكاهم فقهاء (٣) » للدين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أقفه فقال أنفاهم لله تعالى فكأنه أشار إلى عمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقهاء كل الفقيه قالوا بلى قال من لم ينطق الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقابي وزيد

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود ومن حديث بريدة وفي إسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكاهم فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود بإسناد حسن .

بما يرجع حاصلها إلى الحمد وإلى الجمل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة : الجمل والاصرار ومحبة الدنيا واطهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمنه أخبار أو آثار موضوع أو ضعيفة واكتاره من الأخبار والآثار والإكثار يتعاضى منه للتورع للتأيقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن النزالي ومن الهيين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره النزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأ كثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيها ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

الخيرى وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نعد فنذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا تنقها فسمى تدبر القرآن وعدنا نعم تنقها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه البديل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضى الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخى الحبس عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله شككتك أمك فريد وهل رأيت قهيا بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض السليين العفيف عن أموالهم الناسح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متاولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستنباع فكان إطلائهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بثل الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل بصعير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالس تحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفضاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أشرار العلم فصره بالالف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهوره في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفضاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم للذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا خلق كثير من أهل الطلب لا علم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم بأنفسهم بأهل المدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعات يمكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما لكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم تصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيا فقال الطبيب أمرضى وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني ضال لما أريد

(١) حديث لا يفقه البديل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبيد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وكتابه في الرقائق فهو من قيلها ولأن له أسوة بآمة الأئمة لحفاظ في اعتدال كتبهم على الضيف بكثرة للنسب على ضفه تارة وللصوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ما كتبت عليها حتى جاء النووي رحمه الله في التأخيرين ونسب على ضعف الحديث وخلافه كما أشار إلى ذلك كله العراقي قال عبد الغافر القارسي سبط القشيري ظهرت تصانيف الغزالي وفشت ولم يد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا مآثره إلى آخر ما ذكره ومما يدل على جلاله كتب الغزالي ما حصل ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيها يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات للمعبرين يدعة تحدث فحدث في جميع القرب بدعة الأمر بأحراق كتبه ومن أنه لما دخلت

وسمائي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر قيس وله قتران أحدهما أبعد عن القلب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأعملوا القلب بالكلية بالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من النفاق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش للتدعة . والثالث وهو الباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفردها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه قد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »^(١) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس بعد الصنم وإنما يعبد هواه إذ تشبهه بمثاله إلى دين آثاته فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى اللذات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والائتلاف إليهم فإن من يرى الشكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب بفتاح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجها إليه . تعالى عن أن تجده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب للتعبده فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمضى وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالوحيد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على محاسن الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا قيل وما رياض الجنة قال محاسن الذكر »^(٢) وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا محاسن الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هللوا إلى بيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم »^(٣) فقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف . (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه . (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم نسيارة .

مصنفاته إلى الغرب
أمر سلطانه على بن
يوسف باحراقها توحده
اشتمالها على الفلسفة
وتوعده بالقتل من
وجدت عنده بعد
ذلك فظهر بسبب أمره
في مملكته مناكير
ووثب عليه الجند ولم
يزل من وقت الأمر
والتوسع في عكس
ونكد بعد أن كان
عادلا .

[خاتمة في الإشارة إلى
ترجمة المصنف رضى
الله عنه وعنا به
وتمننا بعلومه وأسراره
وسبب رجوعه إلى
طريقة الصوفية رضى
الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله
عنه فهو الإمام زين
الدين حجة الاسلام
أبو حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالي الطوسي
النيسابوري الفقيه
الصوفي الشافعي
الأشعري الذي انتشر
فضله في الآفاق وفاق
ورزق الحظ الأوفر
في حسن التصانيف
وجودها والنصيب
الأعظم في جزالة
العبارة وسهولتها

وحسن الإشارة وكشف
للضلات والتجرب في
أصناف العلوم وفروعها
وأصولها ورسومها
القسم في منقولها
ومعقولها والتحكم
والاستيلاء على إجمالها
وتفصيلها مع ما خسه
الله به من الصكرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهدة
والعزوف عن زهية
الدنيا والاعراض عن
الجهات الفانية
وطراح الحشمة
والتكلف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ غيف الدين
عبد الله بن أسعد
الياضي والقيه جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوي رحمهم الله
تعالى ولد الامام القزالي
بطوس سنة خمسين
وأربع مائة وأبدا بها
في صباه بطرف من
القم ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصار أنظر أهل
زمانه وأوحد أقرانه
وجلس للأقران وإرغاهم
الطلبة في إمام إمام

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القصاص ولولا ما خرجت قلت لسيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولولا البديع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير القصاص أن يصواققال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في ستوات في كذب أنا الأعمش وما حدثت بك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال ، وأخرج على رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج إذ كانت يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويسرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكت عيبتها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير الممود شرعا الذي يروى الحديث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله من قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالملم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس الله وقد أخذ الزخرفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم وشغلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله فكر الممود واشغلوا بالقصاص التي تنطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع صماعة ومنها ما يضرون إن كان صدقا ومن نفع ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والتافع بالنار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فليست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تؤول إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تعطى عليها فان العاصي يتصمم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمجد نفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض الشايع وبعض الأكابر فكنا بصدد المعاصي فلا ضرر وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني وفيه ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فيبعد الاحتراز عن هذين المذنبين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص الممودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويؤمن أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غيبة عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد جمعه يسجع هذا الذي يفضلك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تصدم في الباب الأول .

وصنف وكان الامام
يتبع به ويستد بكانه
منه ثم خرج من
نيسابور وحضر مجلس
الوزير نظام الملك
فأقبل عليه وحل منه
مخلا عظميا لعلو درجته
وحسن مناظرته
وكانت حضرة نظام
الملك محطاً لرحال
العلماء ومقصداً للآئمة
والفضلاء ووقع للامام
التمزالي فيها اضافات
حسنة من مناظرة
الصحول فظهر اسمه
وطار صيته فرسم عليه
نظام الملك بالسير إلى
بغداد لقيام بتدريس
الدراسة النظامية فصار
إليها وأعجب الكل
تدريسه ومناظرته
فصار إمام العراق بعد
أن حاز إمامة خراسان
ولتفتمت درجته في
بغداد على الأمراء
والوزراء والأكابر
وأهل دار الخلافة ثم
انقلب الأمر من جهة
أخرى فترك بغداد
وخرج عما كان فيه
من الجلاء والخشمة
مشتغلاً بأسباب التقوى
وأخذ في التصنيف
الشهيرة التي لم يسبق

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة »^(١)
فكان السجع المذمور التكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من
لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع
الأعراب »^(٢) وأما الأشعار فكثيرها في الموعظة منموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاوون
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علنناه الشعر وما ينبغي له - وأكثر ما اعتاده
الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في المشق وجمال المشوق وروح الوصال وألم القراق والمجلس
لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطهم مشحونة بالكهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور
الليجة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات فيزعقون
ويتواجدون وأحسرت ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه
موعظة وحكمة على سبيل استنباط واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة »^(٣)
ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم
غيره فان أولئك لا يضرب معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فان السجع ينزل كل ما يسمعه على
ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السجع ولذلك كان الخليل رحمه الله يتكلم على
بضعة عشر رجلاً فان كثروا لم يتكلم وماتم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم
ف قيل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم
الخواص . وأما الشطح فعنى به صنفين من الكلام أحدهما بعض الصوفية . أحدهما الدعوى الطويلة
المرضية في المشق مع الله تعالى والوصال التي عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الانحداد
وارتفاع الحجاب والشاهدة بالرؤية والشفاعة بالحطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون
فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله
أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم
ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعوى ، فان هذا
الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك اللقائات والأحوال فلا تعجز
الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم
يسجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم خجاب والجدل عمل النفس ، وهذا
الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله بما قد استطار في البلاد شرره وعظم
في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه قتلته أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد
البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعلمه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام
يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه
ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها
عبارات هائلة وليس وراءها باطل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب
الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فان النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا بن جابر واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس
(٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المفيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري
من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الثبائل حتى مرن على ذلك ثم هاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح المباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انحط عنه من الجاه واللباهة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسة مائة خسه الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراة كما خسه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطية للجزالي ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خطب في عقله وتشويش في خياله لقلته إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلته ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يجعل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أنريدون أن يكذب الله ورسوله ^(٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلغى عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا محل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها تظلموها ولا تمنعوها أهلها تظلموكم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن الحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها للمفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كمكادب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائنة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهرى للصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيزني أن يلقه وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن في السحور بركة ^(٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المتقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كآبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين واللائكة مما لم يدرك بالهس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا ^(٤) » واهلوا إلى الغذاء المبارك ^(٥) » فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرىاء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على علي ورفقه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور ورواه البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان .

الشيخ السيد العمودي
 ضحى الله به وذكر
 الشيخ عفيف الدين
 عبد الله بن أحمد
 اليافعي رحمه الله تعالى
 بإسناده الثابت إلى
 الشيخ الكبير القطب
 الرباني عهاب الدين
 أحمد الصياد اليمني
 الزيدي وكان معاصرا
 للقرن الثاني للهجرة قال
 بينا أنا ذات يوم قاعد
 إذ نظرت إلى أبواب
 السماء مفتحة وإذا
 عصبة من الملائكة
 الكرام قد نزلوا معهم
 خلق خضر ومركوب
 قميص فوقوا على قبر
 من القبور وأخرجوا
 صاحبه وألبسوه الخلع
 وأركبوه وصعدوا به
 من سماء إلى سماء إلى
 أن جاوز السموات
 السبع وخرق بعدها
 ستين حجابا ولا أعلم
 أين بلغ انتهاء فسألت
 عنه فقيل لي هذا الإمام
 الغزالي وكان ذلك
 عقيب موته رحمه
 الله تعالى ورأى في
 اليوم السيد الجليل
 أبو الحسن الشاذلي
 رضي الله عنه النبي
 صلى الله عليه وسلم وقد

بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بقالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل
 ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن
 الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من قد
 القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١) معنى إلا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أم
 وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويعمله عليه من غير أن يشهد لتزيله عليه دلالة لفظية لنوع
 أو تقليد ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيه
 عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة وبطل أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه
 وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا
 قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه « اللهم قف في الدين وعلمه التأويل » (٢) ومرو
 يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد به
 دعوة الخلق إلى الخلق يضا من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله
 عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على
 متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطلات للغة
 بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي
 الخلق عن العلوم المحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبس علماء السوء بتبديل الأسماء فانبت
 هؤلاء اعتقادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف
 بالحكمة باتباع من يسمى حكما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر
 وذلك بالنفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب
 والشاعر والنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على كف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هم
 التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير
 كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٤)
 فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراض
 بتبليسات علماء السوء فان شرم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى
 انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أي وقال اللهم
 اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء » (٥) فقد عرفت العلم المحمود والذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس
 وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم قف
 في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل
 وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب
 على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس (٤) حديث
 كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا . تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق
 أن وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو
 ضعيف ورواه البراز في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

ياي موسى وهيسى
عليهما الصلاة والسلام
بالامام الغزالي وقال
أنى أمتكما جبر كهذا
قالا لا وكان الشيخ
أبو الحسن رضى الله
عنه يقول لأصحابه
من كانت له منكم إلى
الله حاجة فليتوسل
بالغزالي وقال جماعة
من العلماء رضى الله
عنهم منهم الشيخ
الامام الحافظ ابن
عساكر فى الحديث
الوارد عن النبي صلى
الله عليه وسلم فى أن
الله تعالى يحدث لهذه
الأمّة من مجد لها دينها
على رأس كل مائة سنة
أنه كانت على رأس
للمائة الأولى عمر بن
عبد العزيز رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الثانية الامام الشافى
رضى الله عنه وعلى
رأس المائة الثالثة
الامام أبو الحسن
الأشعرى رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الرابعة أبو بكر
الباقلانى رضى الله عنه
وعلى رأس المائة
الخامسة أبو حامد
الغزالي رضى الله عنه

وإليك الحيرة فى أن تتظر نفسك فتتدى بالسلف أو تتدلى بحيل التورور وتتشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء » قيل ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنن والدين يحبون ما أماتوه من سنن (١) « وفى خبر آخر « هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم (٢) » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم فى الخلق أكثر عن يهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث عقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأنه إن نطق بالحق أبضوه .

(بيان القدر الممجد من العلوم الممودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليل وكثيره وقسم هو محمود قليل وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمده منه مقدار الكفاية ولا يعمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يعمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يعمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن البذير لا يعمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يعمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليل وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يظلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لافائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الانسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرق الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالاضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم الممجد إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللوصول به إلى سعادة الآخرة وبذل القدر فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والأسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطرق إلى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الأسر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريجه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها . وأما العلوم التى لا يعمد منها إلا المقدار مخصوص ففى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرقا لتعيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن حكمت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يعمد منها وما يذم إذ لا ينفع

(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتأمله عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم يقول فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك
مهلكات وإمالتها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن
عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون باخراج المادة بالقصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون
بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير
الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع ممارسها من القلب وإنما فرغ الأكثرون إلى الأعمال
الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر
من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في الواد وتتضاعف به الأمراض فإن
كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها
على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم يجربك ذلك إلى التمامات الممودة المذكورة في ربيع النجيات لا محالة
فإن القلب إذا فرغ من الذنوم امتلأ بالهمود والأرض إذا تبت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع
والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من
قد قام بها فإن مهلك نفسه فيها به صلاح غيره فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والقارب تحت ثيابه
وموت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الدباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجي مما يلاقيه من تلك الحيات
والقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الآثم وباطنه وصار ذلك
دينا لك وعادة متبصرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها
فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من
علم الناسخ والمنسوخ والفصول والوصول والحكم والمقاساة وكذلك في السنن اشتغل بالفروع وهو
علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر
ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير
وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن
ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به
ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما ينطق
بالكتاب والسنة فبان علم الأوله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير
والفقه والكلام لتفيس بها غيرها فلاقتصار في التفسير ما يبلغ نصف القرآن في القدر كما صنفه على
الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه
وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فلاقتصار فيه تحصيل
ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد
كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولاك أن تقول على كتبهم وليس بلامك حفظ متون الصحيحين
ولكن تحصيله تحصيل لا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف
إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب
كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة
أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فلاقتصار فيه على ما يحويه مختصر للزنى رحمه الله
وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه
في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام
فمقصوده حماية المعتقدات التى قلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام
أحمد بن حنبل رضى
الله عنه في الامامين
الأولين أعنى عمر بن
عبد العزيز والشافعى
ومناقبه رضى الله عنه
أكثر من أن تحصر
وقبها أوردناه مقنع
وبلاغ ومن مشهورات
مصنفاته البسيط
والوسيط والوجيز
والخلاصة في الفقه
وإحياء علوم الدين
وهو من أنفس
الكتب وأجملها وله في
أصول الفقه المستصفى
والنحول والمنتحل
في علم الجدل وتهافت
الفلاسفة ومحك النظر
ومعيار العلم والمقاصد
والضنون به على غير
أهله ومشكاة الأنوار
وللتقى من الضلال
وحقيقة القولين
وكتاب ياقولها التأويل
في تفسير التنزيل
أربعين مجلدا وكتاب
أسرار علم الدين
وكتاب مناج العابدین
والدرة الفاخرة في
كشف علوم الآخرة
وكتاب الأنيس في
الوحدانية وكتاب القرية
إلى الله عن وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاة من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب القصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس للستقيم
وكتاب التفرقة بين
الاسلام والزندقة
وكتاب الذريعة إلى
مكارم الشريعة وكتاب
للبادئ والتايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبس إبليس وكتاب
نصيحة للولك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
الهدية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
للاخذ وكتاب القول
الجليل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
للسظهري وكتاب
الأمالي وكتاب في علم
أعداد الوفق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصاد منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاصي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تبصيرهم وأما
البتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً قلنا ينفع معه الكلام فانك إن أفهمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقد أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العاصي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثل قبل أن يشتد التصب
للأهواء فإذا اشتد تبصيرهم وقع اليأس منهم إذ التصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات الملأ السوء فانهم ياتون في التصب للحق وينظرون إلى المخالفين بين ازدراء والاستحقار
فتنبث منهم الدعوى بالكفاة والقابلية والعاملة وتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولوجاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلو لا في معرض
التصب والتحقير لأصحابه فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يمتثل الأتباع مثل
التصب واللعن والشم للخصوم اتخذوا التصب عادتهم وآتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التي أحدثت في
هذه الأعصار للتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يسهل مثلها في السلف
فاياك وأذن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى
طلب للنافسة واللباهة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
يقال الناس أعداء ماجهولوا فلا تظن ذلك فلي الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصليفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فحججه
واشتغل بنفسه فلا يترك قول من يقول الفتوى عماد الشريعة ولا يعرف علله إلا يعلم الخلاف فان
علل للذهب مذكورة في للذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بسلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذي
يشهد له حدس الفقه إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمحيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لقتضيات الجدل وجبن عن الادعان لدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتمل بأن يطلب على المذهب وقد يتقضى عليه العمر ولا
تصرف همه إلى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال والجلجلة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر
تسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيها
يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض الملأ في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفع فيها وقال
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث « ماضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل^(١) » ثم قرأ سماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون -
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عنانهم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذي وابن ماجه من حديث أبي
أمامة قال الترمذي حسن صحيح .

الله بقوله تعالى «أحذروم» (١) وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يخلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار «إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل» (٢) وفي الخبر المشهور «أبغض الخلق إلى الله تعالى الأله الحصم» (٣) وفي الخبر «ما أوثق قوم للنطق إلا منعوا العمل» (٤) والله أعلم.

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتصيل

آفات للناظرة والجدل وشروط إباحته)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم توليها الخلفاء الراشدون للهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ففرض العلماء لهم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تسهل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطربوا إلى الاستمانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على صحت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلاات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أتيح والمنع لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وقته الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات. ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعملت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فروع المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كزعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم. ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية القضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على للسائل الخلافية بين الشافعي وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فأحذروم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الأله الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوثق قوم للنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا.

وكتاب مقصد الخلاف وجزء في الرد على المنكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة. وقال

بمدحه تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأتليشي المحدث الصوفي صاحب كتاب

النجم والكواكب : أيا حامد أنت المخلص بالمجد

وأنت الذي علتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء تحي نفوسنا

وتقذرتنا من طاعة النازغ الردي

فربيع عبادات وعاداته التي

يعاقبها كالدرد نظم في العقد

ونالها في الهلكات وأنه

لمسج من الملك البرج والبعد

ورابعها في النجيات وأنه

ليسرح بالأرواح في جنة الخلد ومنها ابتهاج للجوارح

ظاهر ومنها صلاح للقلوب من الجفد

ورتبوا فيها أنواع المجلدات والتصنيفات وهم مستمررون عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث
الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والناظرات لا غير ولومالت
نقوم أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لئلا يوا أيضا معهم
ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .
(بيان التلبس في تشبيه هذه الناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن فرضنا من الناظرات للباحثة عن الحق ليتضح
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كمشاورهم في مسألة الجدة والاخوة وحد شرب الخمر وجوب القرم على
الإمام إذا أخطأ كما قل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما قل من مسائل
الفرائض وغيرها وما قل عن الشافعي وأحمد وعبد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل : وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
ككذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول فرضي أسترعورة
من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والاشتغال بالنظرة مهمون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد وديعة في الحال قمام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من الناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنهم فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحجابين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
لحال من يفعل هذا ويحمل الاشتغال بالواقعة الملة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالنظرة
وفي البلد فروض كفايات مهمة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بل من جملة الفروض
المهمة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صفاركم والفتنة في أراذلكم (١) »
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
باستاد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يثقل عنه ناقلًا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجوز له أن يتركه فأى فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فأى لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك للمسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قضية الوقوع غالبا فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجد من الوقائع أو ما يظن وقوعه كالقراض ولا ترى الناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيسمع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكترو وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون الطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة في الخلوّة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوّة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يناد في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو التخصيص بالكلام . السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدمن يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا صرفه الخطأ وأظهر له الحق كالأخذ طريقا في طلب ضالته فبها صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الجبرين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعلمه لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود أنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجادته بأصهى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق . السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل البتة فيها له وعليه كقوله هذا لا يلزمي ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

للدعة فابتدأت لاجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك قلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه وملتهجا إليه اعلوا أحسن الله إرشادكم وألان إلى قبول الحق امتيادكم أن اختلاف الحلق في الأديان والملة ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنفوان شبابي مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الحسين أتقنم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتقنم كل ورطة وأنفخص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل حق
ومبطل ومستن
ومبتدع لأنقاد باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنيته ولاظهاريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهرته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متكلميا إلا وأجتهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على العثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا إلا
وأجتبس وراءه للتنبيه
لأسباب جراته في
تعطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى درك
حقائق الأمور دأبي
وديدني من أول
أمرى وريمان عمرى
غريزة من الله وفطرة
وضيها الله في جيلتي
لاباختياري وحياتي
حتى انحلت عني رابطة
التقليد وانكسرت
عني العقائد المروية
على قرب عهد مني
بالصبا إذ رأيت صبيان

تري أن جميع المجالس تنقضى في المدافعات والمجادلات حتى يقيس الاستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معطل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمى ذكرها ويقول الاستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المترض على أنه لا يلزمه ويتوخي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم لثبوت قوله لا يلزمى أى في شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التنبيه والرغبة في طريق الاحتيال والصارعة بالكلام لا يلزمى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يحظر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه بمن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم علمعا في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مسام للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لما غسه فيه من ظلمات الآفات التى تعددها وتذكر تفاصيلها فسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة للوضوعة قصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد البهاة والمعاراة واستمالة وجوه الناس هي متبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والبهاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلّب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فنادام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسد ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والجسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بضهم على بعض فانهم يتفايرون كما تتفاير التيوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظيمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيما قسمته » (٢) ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل النبي والكار الخداع منهم بأنه ينفي صيانة عز العلم « وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه » (٣) فيعبر عن التواضع الذي أنشئ الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر للمقوت عند الله بعز الدين عزيفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد الناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحقد » (٤) وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصفاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وترتيبه في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالتناق وتبرئ منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إirاده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انقرب في صدره حقد لا يقلمه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل اللينة ولا يزال الناظر مشابرا على أكل اللينة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه وتقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبئتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحمالة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والعلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء الناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا التفتن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يصدها ذخيرة لنفسه في إفضاخه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردأى والعظيمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردأوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بمحقد لم أقف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على التصبر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الاسلام وممعت الحديث للروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باط إلى طلب الفطرة لأصلية وحقيقة المقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساتذيين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات قللت في نفسى أولا إغما مطلوب العلم بمحقق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي يشكف فيه العلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان التلط كالوهم ولا ينبع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للنقص مقارن لتوحدى

وتنجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فصاه يستر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأذى غلبة من جهة عرض به إن كان مناسكا ويستحسن ذلك منه ويصد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الانصاح به إن كان متبجعا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين للمعذوبين من فحولهم ومنها القرح لساءة الناس والنم لسارهم ومن لا يحب لأخيه للعلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فشكل من طلب البهاة بظهور الفضل يسه لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى الناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سباعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهل في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضى الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمنه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب التلبه واللباهة هيئات هيات وناهيك بالكثرة شرا أن يلزمك أخلاق الناققين ويترك عن أخلاق المؤمنين وللتقين . ومنها اتفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم ومحبهم وأشياهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور وتفاق وقبور فانهم متوددون باللسنة متباغضون بالقلوب نموذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا باللسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرجام لعنهم الله عند ذلك فأنتمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواء الحسن وقد صرح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على للمارة فيه حتى إن أبغض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والسكر والحيلة لدفعه حتى يصير المارة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يطلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من أقرى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن أقرى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء المضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات القواحي الباطنة سوى ما يتفق لغير المتساكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب والسك والظلم وتمزيق الثياب والأخذ بالحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

بظهور بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهابا والمصا صبا لم يورث ذلك شكوا وإمكانا فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أتى قلب هذه المصا صبا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معنى منه إلا التعجب من حكيمة قدرته عليه وأما الشك فما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فقتت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحيات والضروريات قتلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهي الحيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأبين أن يقيني بالحسوسات وأمانى من

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا باللسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجة من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن .

ليسوا معدودين في زمرة الناس المعبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا يفسكون عن هذه الحصال العشر ، فم قدسيلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله القارين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحسب طلب المال والجاه للتمكن من القليقة واللباهة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالحيول والراكب والياب المخطورة والاستعقار للناس بالفقر والخيلاء والحوض فيما لا يبنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء النفلة عليه حتى لا يدري المصلين منهم في صلاته ما صلى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيهِ ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تبين في الناطرة مع أنها لاتنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تخصي والناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن حمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم الذهب والفضة إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب العلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يحمل العالم بل يهلكه هلاك الأبدي أو يحية حياة الأبدي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضربه مع أنه لم ينفعه وليته نجمانه رأساً برأس وهيات هيات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمدي فلا ينفك عن الملك أو المملك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال . فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لو لاحب الرياسة لاندست العلوم قد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لو لا الوعد بالسكرة والصولجان واللعب بالصافير مارغب الصبيان في الكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضرر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستفقد به غيره فصالح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامه لك نفسه وغيره وهم المصروحون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامه لنفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامه لك نفسه مسعدي غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الحاصل لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع الهلكات ما يبين عنك الريية فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات من جنس أمان الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان عتق لا تجوز فيه ولا غائلة فأقبلت بمجديليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فأتنبى بعد طول التشكك في إلى أنه لم تسمع نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت بجمع الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فصلته وعلقته وطالمت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أسفنه فصادقته علماً وإني أعصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

(الباب الخامس في آداب التعلم والعلم)

أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريحها عشر حمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خباثات الأخلاق وأنجليس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة ^(١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما الشركون نجس - تنبيه للمقوله على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المذركة بالحس فالشرك لا قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر رأى باطنه ملطخ بالخباثات والنجاسة عبارة عما يختبئ ويطلب البعد منه وخباثات صفات الباطن أهم بالاجتناب لأنها مع خبثها في الحال مهلكات في الآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ^(٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابغة فأني تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة لا وكون بها وهم القدسون المطهرون البرؤون من الصفات اللذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يصمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول للراد بلقظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات اللذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بسند الانقلاب فيصوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محدودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو مافيه من سبعة ونجاسة إلى الروح السكلية وهي السبعة . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشهوة إلى الدنيا والتكلم عليها والحرم على التمرق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبية على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فذلك يحتمل كل شخص على صورته المعنوية فيحتمل الممق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشهوة إلى أموالهم ذنبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد ^(٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فإن قلت كم من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم فهبات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف ولطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان
- (٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر الممق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسبب ميلها إلى اللقاع ومنادى الإيمان ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر إلا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتحيل وإن لم تستعد الآن للآخرة فمق تستعد وإن لم تقطع الآن هذه الملائق فمق تقطعها فمق تنبت الرغبة وينجزم الأمر على الحرب والفرار ثم يعود الشيطان وية قول هذه حالة عارضة إليك أن تطاوعها فاتها سريعة الزوال وإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن العظيم الحالي عن التكدير والتنقيص والأمر السالم الخيالي عن منازعة الخصوم ربما التفت إليك تفكك ولا تيسر لك المعادة فلم أزل أردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعي قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للمادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي موم قاتلة مهاسكة وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً إنما الذي تسمعه من الترميزين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشنة لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخصى ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أن وامتنع علينا فلم تكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه . فان قلت إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في القروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم تظهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل النماء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وتقدمت إلى هذا إشارة وسيأتى في مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة - وما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يطيئك بضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إليك بضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بضه واختطف الهواء بضه فلا يبقى منه ما يجمع ويبلغ الزدوع . الوظيفة الثالثة : أن لا يشكرك على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدع لنصيحته إذ عاتق للريض الجاهل للطبيب للشفق الحاذق وينبئ أن يتواضع لعله ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت على جنازة فحسرت إليه بعلمه ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خذ بعني يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نعمل بالعلماء والكبراء فقبل زيد ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نعمل بأهل بيت نبينا ﷺ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم » (٢) فلا ينبغي لطالب العلم أن يشكرك على العلم ومن تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من الرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يفتنهما حيث يظهر بها ويتقده الثقلان ساقها إليه كاتما من كان فلذلك قيل :

المعلم حرب للفقى للتعالي كالسيل حرب للسكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول اللذة فليكن التعلم لعله كأرض دمنة بالث مطرا غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه العلم بطريق في التعلم فليقبله وليدع رأيه فان خطأ مرشده أفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نعمل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في الدخول إلا أنهم قالوا هكذا نعمل قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بنيتادين ضعيفين .

وثمانين وأربعائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطراب إذ قد لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا أستطيعها ألبتة حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب بطلت منه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنفس لي شربة ولا تنهض لي لقمة وتمدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يروح السر عن الملم المهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء الضر الذي لا حيلة له فأجانبى الذي يجيب الضر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال

والجاء والأهل والأولاد
وأظهرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر
الشام حذرا من أن
يطلع الخليفة وجملة
الأصحاب على غرضي
في المقام بالشام فتلفت
بلطائف الحيل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لا أعودها أبدا
واستترأت في أعنة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يجوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دينيا إذ ظنوا
أن ذلك هو للنصب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبالغهم من
العلم ثم ارتبك الناس
في الاستبابات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان الاستشعار
من جهة الولاة وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجأهم في
التعلق بالانكار
على وإعراضهم عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سمائي ليس له سبب
إلا عين أمهات أهل
الاسلام وزمرة العلم
فأرقت بندا وطارقت

في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نعمها فكمن من مريض محروور
يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من
لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر - إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه الكون والتسليم فقال - فإن اتبعتني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مرادوته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار للعلم فاحكم عليهما لا خفاق والخسران . فان قلت
قد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال المأمور به . فاعلم أنه كذلك ولكن
فيما ياذن للمعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف
ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا يتكبر عليه بالسؤال ولا تمتعه في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تغشى له سرا ولا تقنابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل
قبلت معذرتة وعليك أن توقره وتعلمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحتز الخائف في العلم في بدء الأمر عن الاصغاء
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويغير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة
المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى
واحد وإنما عاداته تقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إحتلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يند في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع
الحديث المهدى بالاسلام عن مخالطة الكفار ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار وينذب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدبر
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار صديقا ومن
رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن روائب الفرائض
فيتراءى للناظرين أنها باطلة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى
اعتذار من يلتقي نجاسة بسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم
من الكوز فاجاز للبحر فهو الكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوة يحيل النجاسة ماء فتقلب
عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحمله إلى صفته ولمثل هذا جاوز
لنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى أسيح له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نساءه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما يبين من الضرار
إليه حتى ينجر إلى مصيبة الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا بدع طالب العلم فنا من العلوم المأمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف . وفي الصحيحين من حديث ابن
عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع الحديث . .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعانة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذا لم يهدوا به فسيقولون هذا إلفك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالبعد إلى الله تعالى أو مقيمة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوامها حفظه كحفاظ الرابات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتبدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جهام قوته في السور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أغنى قسمي المعاملة والكاشفة فضيلة المعاملة للكاشفة وغاية الكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العوامي ورائة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الحجابات حتى يقبى إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كاشه له به سيد البشر ﷺ فاعتدى أن ما يستعده العوامي ويرتبه التكلم الذي لا يزيد على العوامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والعجب بمن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وقفه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتدب في هذا فنده ضيعة رأس المال فكأن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك متبى غوره وأقصى درجات البشرية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسن كل شيء فلا تظن أنك أحسن شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظلم حتى إذا عرفته رويت بالشراب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفى الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والوفيق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آمنوا هم الكتاب يتلونه حتى تلاوته - أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطئ واحد أو آحاد فيه ولا يخالقهم بموجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبه في كتاب معيار العلم وترى طائفة يستقدون بطلان الطب لخطأ شاهده من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق لآخر والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لوزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح .

ما كان معى من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ولم أرى في العالم ما يأخذ العالم لبياله أصلح منه ثم دخلت الشام وألفت فيه قريبا من ستين لاشغل لى إلا العزلة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بترصية النفس وتهذيب الأخلاق ونضفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة للسجد طول النهار وأغلق بابها على ضى ثم تحرك بي داعية فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الحمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرته أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة القانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقته أدلتهم قوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتباره أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الوصول
إلى هذه العلوم فايك وأن ترغب إلا فيه وأن تعرض لإعليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم
في الحال تحلية باطنه وتحصيله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملا الأعلى من
للائكة والقرين ولا يقصد به الرياسة والسلا والجاه ومخاراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لاهالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين الحقارة إلى
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة للتطمين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
القدميات والتمحيبات من ضرور العلوم التي هي فرض كفاية ولا تنهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالثغور والباطنين بها والقزاة المجاهدين في سبيل الله ففهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحدهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - رفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبة واستحقاقنا
للمصارفة عند قياسهم بالمملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى
بالعلم أى علم كان نفعه وورفعه لاهالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهكم ولا يهكم إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
العيان فالأهم ما سبق أبدأ الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعي إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى فيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقوال والعلوم بالإضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما سبق إلى فهم
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب فهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عقله وتمكنه من
الملك بالحج وقيل له إن حجبت وأتممت وصلت إلى التق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك الحق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركن بعد ركن ثم بعد الفراغ والتزويج عن هيئ الاحرام وطواف الوداع استحق العرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام
قسم مجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم مجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصا على
الحلوة وتصفية القلب
للتذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعيشة تغير
في وجه الراد وتشوش
صفوة الحلوة وكان
لا يصفون لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكنني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
الوائق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحلوات أمور لا يمكن
إحساؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره لينتفع به
أني علمت يقينا أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقيهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء لغيروا شيئا
من سيرتهم وأخلاقيهم

تلك العقبات الشاغرة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموقنين بهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه
 كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يفتقر علم المنازل وطرق الهوادي دون سلوكها كذلك لا يفتقر
 علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن للبشارة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى
 نفس الحجج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة
 وههنا نجا وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة .
 وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للمؤمنين في جوار الله تعالى بالروح
 والريحان وجنة النعيم وأما المتوعدون دون ذروة السكال فلمهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل
 - فأما إن كان من الثقلين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من
 أصحاب اليمين - وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو اتهم إلى جهته لا يلقى قصد الامتثال والعبودية
 بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا
 هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة
 الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد حقيق وحال غيرهم
 حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم
 للكاشفة وراء علم للعامة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات
 الذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة
 أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطمح والممكن
 وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منبج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب
 الصحة في ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم
 الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشهد علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة
 فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل
 هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس
 الطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه الطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية
 وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره
 وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي
 كما قال تعالى - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المحاولات منسوبة إلى الله تعالى
 ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق
 وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى للمتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال
 إذ أبين أن يحملها وأشقق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم
 الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده
 والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فنه مصدرها وإليه مرجعها
 وأما البدن فطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في
 طريق الحج والراوية الحازنة للقاء الذي يفترق إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من
 جملة مصالح الطية ولا ينبغي أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان
 الإنسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه
 خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسمى وحده في تحصيل طعامه بالجرانة والزرع

ويبدلوه بما هو خير
 منه لم يجدوا إليه سبيلا
 فان جميع حركاتهم
 وسكناتهم في ظاهرهم
 وباطنهم متعينة من
 نور مشكاة النبوة
 وليس وراء نور النبوة
 على وجه الأرض نور
 يستضاء به وبالجملة ماذا
 يقول القائل في طريقة
 أول شروطها تطهير
 القلب بالكلية عما سوى
 الله تعالى ومفتاحها
 الجارى منها مجرى
 التحريم في الصلاة
 استغراق القلب بذكر
 الله وآخرها القضاء
 بالكلية في الله تعالى
 وهو أقواها بالإضافة
 إلى ماتحت الاختيار
 انتهى قال العراقي فلما
 نفذت كلمته وبعد صيته
 وعلت منزلته وشدت
 إليه الرحال وأذعنت
 له الرجال شرفت نفسه
 عن الدنيا واشتاق
 إلى الأخرى فاطرحها
 وسعى في طلب الباقية
 وكذلك النفوس
 الزكية كما قال عمر بن
 عبد العزيز إن لي نفسا
 تواقا لما نالت الدنيا
 تانت إلى الآخرة قال
 بعض العلماء رأيت

الغزالي رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
قلبت له يا إمام اليس
التدريس يفقد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

ترسكت هوى ليلي
وسعدى بمنزل

وعدت إلى مصحوب
أول منزل

ونادى الأشواق مهلا
فهذه

منازل من تهوى
رويك فأنزل

انتهى كتاب تعريف
الأحياء فضائل الإحياء

بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء

في إشكالات الاحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خص

وعزم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء

البعوث إلى العرب

والعجم وعلى آله وعترته

وسلم كثيرا وكرم

سألت بترك الله

لمراتب العلم تصعد

مراقبها وفرب لك

مقامات الولاية تحمل

والخبر والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخالطة والاستعانة
ومهما اختلط الناعى وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاط للتنازعة من داخل ، وبالسبب الاعتدال يحفظ الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والسترق
عمره في دقائق الكلمات التى تجرى في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التى بها
تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الواصل إلى علم الكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على ميانة
الحلق العامة والخاصة في الزرع من تقليد مجرّد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف التلم .

(بيان وظائف الرشيد العلم)

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا منتفلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يقضى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظميا في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهى مضية في نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسك الذى يشخذ غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهى غارية وذبالة للصباح تضيء لغيرها وهى تخترق كاقيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهى تخترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على التلمذ وأن يجري مجرى بنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده (١) » بأن يقصد إقازم من نار الآخرة وهو أمم من إقازد الوالدين ولدها من نار الدنيا
ولذلك صار حق العلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة القانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لاناسق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما للعالم هو اللقيد
للحياة الآخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحامد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

معاليها عن بعض
ما وقع في الاملاء للقلب
بالإحياء بما أشكل على
من حجب فهمه وقصر
علمه ولم يفز بشيء
من الحفظ لللكية
قدحه ونسبهم وأظهرت
التحزن لما شأ به
شركاء الطغام وأمثال
الأنعام وأجماع العوام
وسفهاء الأحلام وذعار
أهل الاسلام حتى
طنوا عليه ونهوا عن
قراءته ومطالعتهم وأتوا
بمجرد الهوى على غير
بصيرة باطراحه
ومنايذته ونسبوا عليه
إلى ضلال وإضلال
ونبدوا قراءه ومنتعليه
بزيف في الشريعة
واختلال في الله
انصرافهم ومآبهم
وعليه في العرض
الأكبر إيقافهم
وحسابهم فستكتب
شهادتهم ويستلون
وسيلهم الذين ظلموا أي
منقلب يتقلبون بل
كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه. وإذا لم يهتدوا به
فيقولون هذا إفك
قديم ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعلمه الذين

في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التراحم والمادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون
موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يفتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلد
على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يبر
لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله
تعالى بزراعة العلوم فيها كالقدي يترك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فتفتك بها تزيد على منة
صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا ذلك
مانلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إ
أجرى إلا على الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو الله
إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مدامه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خاد
والخادم مخدوماً وذلك هو الاتسكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرم
ناكس رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون
أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرها فأن
يبدلون المال والجاه ويتحملون أصناف الدل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولوتركوا ذلك
لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع العلم من التعلم أن يقوم له في كل ناحية وينصروا له ويعدى عدوه ويقتنه
جهارا له في حاجاته ومسخرين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس
بالم يرضى لنفسه بهذه للترلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر الله
تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتقادات . الوظيفة الثالثة
أن لا بدع من نصع التعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قد
الفراغ من الجلي ثم ينفه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة واللباه
والمنافسة ويقدم تقييع ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسد
فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه
والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علو
الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلما العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله . وإنما ذلك عام التفسير وع
الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذنمت
الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمره طمعا في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء
الأمر أو آخره إذ فيه الطول المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا العظيمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤد
إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجزى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي يذ
حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النفس
وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلات
الكلام ومعرفة التفاريح الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا نقوسة في القلب وغف
عن الله تعالى ونعادي في الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا يرهان على هذا كالتجربة وللشاهدة فانظر واعتبر واستصبر لتشاهد تحقيق ذلك في القلب
والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا قليل له مالك فقال صرنا متجرا لأب
الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاصيا أو عاملا أو قهرمانا . الوظيفة الرابعة : وهي من دقائق

يستنبطونه منهم
ولكن الظالمون في
شقاق بيد ولا هيب
قد توى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الغالب
إلا أهل الزور والفسق
متشبهين بدعاوى
كاذبة متصفين بحكايات
موضوعة مزينين
بصفات منمقة
متظاهرين بظواهر
من العلم فاسدة
متعاطين للحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو حجة تاء أو
مغالية نظراء قد ذهبت
الواصلات بينهم بالبر
وتألفوا جميعا على النكر
وعدمت النشاع بينهم
في الأمر وتضافوا
بأسرهم على الخديعة
والسكر إن نصحتهم
العلماء أغروا بهم وان
صحت عنهم العقلاء
أزروا عليهم أولئك
الجهال في علمهم الفقراء
في طولهم البخلاء عن
الله عز وجل بأنفسهم
لا يفلحون ولا ينجح
تابعهم ولذلك لا تظهر
عليهم موازيت الصدق
ولا تسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرس على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البحر لفتوه
وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء (١) » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه
فأذكرت القصة معك لتكون ممرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس
القاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن التمكن ببعض العلوم ينبغي أن لا يفتح في نفس المتعلم
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تفسيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تفسيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك يقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم السلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن تجنب بل التمكن بعلم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يملئه عقله فينفره أو يحبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقلهم (٢) » فليست إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوما بحديث
لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما
جدة لو وجدت لها حجة وصدق رضي الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفتش العالم كل
ما يعلم إلى كل أحدهما إذا كان يفهمه التعلم ولم يكن أهلا للارتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلقوا بالجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فموشر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بميزان عقله وزن له ميزان فهمه حتى تعلم منه وينفع بك والإوقع
الإنكار لتفاوت العيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كنتم علما نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار (٣) » فقال أترك اللجام واذهب
فإن جاء من يفقه وكنتمته فليجمع فقد قال الله تعالى - ولا توتوا السفهاء أموالكم - تنبيه على أن
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أثر درآين سارحة النعم فأصبح محزوناً براعية النعم
لأنهم أمسوا بحمل قدره فلا أنا أضحي أن أطوقه بهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة وإلا فمحزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً

(١) حديث لو منع الناس عن فت البحر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر
أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كنتم علما نافعاً
جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف وتقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتقر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويومئ إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فأمين أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأندم حياء وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تغيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في تفه العقائد للأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقل أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يغلى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين العاصي وينقله شيطاننا صريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم المبادئ وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدها ويعمل قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجاهل والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تغلفت الشبهة بقلبه ويصر عليه حلها فيشوش ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوا عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فانه لأن المعلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا واما للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أأطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أنا أمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - ولذلك كان وزير العالم في معاصيه أكبر موزر الجاهل إذ يزل يزلته عالم كبير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فطيه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال على رضي الله عنه قسم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متهتك فالجاهل يفر الناس بنفسه والعالم يفرم بهتكه والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دللت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدين وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدتهم من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون للرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون للرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في الدخول موقوفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستعوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلوا علة أهل التامل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم جعبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الصبر والعجاب والرياء والله من ورائهم محيط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يفر منك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمرهم وطنيتهم ولا يفرينك

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق في صيد - وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - وتلا - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيـل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين - ولا تقطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبير عليك إعراضهم فإن استطعت أن تتبغى نقا في الأرض أو سلا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - ولقد جئتكم بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة ما زعم فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألبه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟ فقال من الأئمة للضليلين (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى من تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع التحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالحوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للنافق الطيب قالوا وكيف يكون منافقا علما قال علیم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم الطماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفترط وقال الحليل بن أحمد: الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشده ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارقضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري ديناه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه » (٤) وأراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) وإعياضا عن عذاب العالم في معصيته لأنه عصي عن علم وتلك قال الله عز وجل - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا

على الحسن من ازداد علما ثم ازداد الله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو القتيح الأزدي

في الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث

إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة

المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث

متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم .

- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين - حتى قال - فثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - فكذلك العاقل الفاجر فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبها بالكلب أي سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب للآل ولا هي تترك للآل يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل فتنة الحش ظاهرها جص وباطنها نين ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسر حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين للقرين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضربتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي اللباز من مهمار جعت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقديحين أحدهما ملوؤ والآخر فارغ فيقدر ما تصب منه في الآخر حتى يعتلى بفرغ الآخر فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لفتها بالمهاشم انصرام ما يصفه ومنها فهو فاسد العقل فإن الشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلى هاربا كتبتة جهيدا ومن كتبتة جهيدا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بصمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يشقى الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم يحيا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب محوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فبق في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة ويوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكم قارونية وأوانيكم فرعونية وما تمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة الحميدة قال الشاعر :

وراعي الشاة يحصى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يامعشر القراء يا ملع البلد ما يصلح للبح إذا الملح قد

وقيل لبعض العارفين أتري أن من تكون العاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال بلاشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

ذكر فيه الأقلام إذ اتفق أن يكون أشهر ما في الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل وحديث المجالس فساعدتنا أميتك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى أملائنا هذايانا غيره مما عدوه مشكلا وصار لمقولهم الضيفة مجبلا ومضلا ونحن نستعذ بالله من الشيطان ونستصم به من جراءة فقهاء الزمان وتضرع إليه في المزيد من الإحسان إنه الجواد للبيان [ذكر مراسم الأسئلة في الليل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجملك تعقل نبيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافي التقسيم في الشهود كما ينافي التكرير التعديد وان صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة واتهام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت ومواجهة تمثيلها بالجور في القشور والديوب ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يعمل إفتاؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إفتاء سر الربوينة كفر أين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتباعد والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات الخالفة إمامي مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجادات والمخاطبة الجادات العقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الأذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فاعلموا قول أو سمعوا لي ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشبه أن أحدث ولو ذهبت عن شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتيت أن تحدث فاسكت فإذا لم تشته تحدث وهذا لأن التلذذ بمجاهد الآفاد ومنصب الارشاد أعظم لقدم من كل نعم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين عليه السلام - ولولأن ثبتنا لك لقد كنت تركز إليهم شيئاً قليلاً - وقال سهل رحمه الله العلم كالدنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب العاش قد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من سبيله إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب السلام ليخبر به لا يعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتبعون دون الله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به مرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ^(١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهّد فقال عز وجل في علماء الدنيا - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً - وقال تعالى في علماء الآخرة - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء عثمرون في زمرة الأنبياء والقناة عثمرون في زمرة السلاطين وفي معنى القصة كل قية قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك السكاش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبني يستهزئون لا ينجح لهم فتنة تنذر الحليم حيران ^(٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتريه ثمناً فذلك يصلى عليه طير السماء وحياتان الماء ودواب الأرض والكرام السكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علماً في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ به طمعا واشترى به ثمناً فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس ^(٣) » وأشد من هذا ما روي أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم أني سمعت الله يقول حدثني موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحسن له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضاً الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف .

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسألهم أصاب هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع »^(١) وفي الكلام تعميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للتفاني فيبقى بالخطأ والله تعالى ينفض للتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزى به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكر في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغزى الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فليكن يا أخى بالصمت به قلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير محب أو تضحى في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينثر له من الثناء ما يملأ ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة »^(٢) وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه بقعة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك ثقنتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقيل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة »^(٣) قال تعالى - نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه قدوة عظيمة وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، عرف أهل العلم بإشار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا لا تضلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله يطمعكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسموا - وقال تعالى لميسى عليه السلام « يا ابن مريم عظم نفسك فان انمظت فنمظ الناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار قفلت من أثم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأثم ونهى عن الشر ونأثم »^(٤) وقال

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها مجلا وما معنى الطريق في فانك بالوادي القدس طوى ولعله يغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي ذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتعلق إلى مثل ذلك للقام حتى يسمع أسرار الاله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

(١) حديث معاذ من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينثر له من الثناء ما يزن الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنعه من البقاء في اللوح الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وابن هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجوع وما معنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك غسلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم للكنونة هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت للمشاكل من الألفاظ واللفظ من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيا له أن يختبر به ويمتنع فيا بال من ليس شارحاً

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الثرثار شرار العلماء وخير الخياريار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شكت الثواويس ما تجدد من تن جيف الكفار فأوحى الله إليهما بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله يلتقي أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهي عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به فجازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهم إذ عبت منهم أمورا أنت تأتينا
أصبحت تصحبهم بالوعظ عجتنا فلو بقات لعمري أنت جانبها
تعب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها
وقال آخر : لا تنس عن خلق وتأت مثبته عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بعجر بكة مكتوب عليه اقلبي تعتبر قلبه فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرف وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حق تعلموا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فانتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتمونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلة عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تلح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ. عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علماءهم مثل السياج من ذوات اللع ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطلق مصاييح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخضب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن للعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الثرثار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأخص من حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حق تعلموا لغير الله تعالى وأسنده ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح .

لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعلموا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عت ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لسكرة البطالين . واعلم أن مثل العالم المت القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قض بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار (١) » وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتنايرون على العلم كاتفاير النساء على الرجال ينضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجباروا أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قليل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العلم قاتلا وللعمل مسو حتى يموت وما عمل (٢) » وقال سري السقطي اغتزل رجل للتعب كان حرصا على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قاتلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضيعك الله فقلت إنى لأحفظه فقال حفظ العلم العمل فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همهم الرواية والعلماء همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشى فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فانخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يتفوتونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل ما تصفون - وفي الخبر « ما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن (٣) » ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعات مجتنبًا للعلوم التي يقل ثمنها ويكثر فيها الجدال والقييل والقيل فمثال من يمرض عن علم الأعمال ويشغل بالجسدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبًا حاذقًا في وقت ضيق يخشى قوائمه فاشتغل بالسؤال عن خاصة العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال ومارأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال تعلمك من غرائب العلم (٤) » بل ينبغي أن يكون للتعلم من جنس ما روى عن خاتم الأصم تلميذ شقيق البخاري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه اللدة قال ثمان مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب حمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أحصمها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

- (١) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث ما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جدا .

انتهى جملة مراسم الأسئلة في التل فأسال الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات السالك وأن يصم بنفمه أهل البادية والدارك ثم لا بد أن أهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالعرض بهاتين عبارات انقرد بها أرباب الطريق تقمص معانيها على أهل القصور فنذكر ما يضمن منها ونذكر للقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصا بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسبب الذي ننوي بمقصودنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمل وأسهل على الناظر للتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوباً فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي قال أحسنت يا حاتم في الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفاهه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فكلمنا وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليقي عنده محفوظاً الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعلمت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطمئن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عن السادسة نظرت إلى هذا الخلق بيني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً - فهاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل لهم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاستنلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على منيته وهذا على تجارتهم وهذا على صناعته وهذا على محبة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقعتك الله تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزيور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتاب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بشت ألقها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدر كتبهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفق في الطعام والشرب والتعمق في اللبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله ازداد من الله قرباً وارتفع في علماء الآخرة حظه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواس وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومنا ثلثائة وعشرون رجلاً يريد الحج وعليهم الثرماقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا حتى رجل من التجار متكشف بحب الساكنين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الند قال لحاتم ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقبحا لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك وكان الليل عمهدين مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة ترهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرس وطينة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقدم الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعلك حاجة

فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال صلى قال ثم فاستو جالسا حتى أسألك فاستو جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذه فقال من الثقات حدثوني به قال عن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم قضا أده جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأده الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سمعها أكثر كان له عند الله عز وجل للنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب للساكنين وقدم لآخريته كانت له عند الله للنزلة قال له حاتم فانت بمن أقديت أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون وبمرود أول من بنى بالجس والآخر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكاثر على الدنيا الراغب فيها يقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافس بقزوين أكثر توسعا منه فصار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعمى أحب أن تعلمني مبدءا ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأني به فحمد الطنافس فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافس وحمد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافس يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعمل الطنافس أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بنسداد اجتمع إليه أهل بنسداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل أكن أعمى وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجعل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما العلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال تفقر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئا وتكون من شيتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طمء بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طمء بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تسجل على أنا رجل أعمى فربب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأنتم عن تأسيسكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجس والآخر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسبأني من سيرة السلف في البذاعة وترك التجميل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالاختلاف من غير قصد وتكون المشاركة إذا اتفقت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجازي الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدءا وغاية وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من يعدم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسبها عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة
والمقربين بالصوفية
والمتشبهين بالفقراء
والمعروفين بالرقعة
والمزى إليهم العلم
والمعمل ألقاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فيما يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يفضض
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بفسر ما عرف من
ألقاظهم وعباراتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء تقدير فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمكان والتسطع
والتطوال والتهاب
والنفس والسرو والوصل
والقبيل والأديب
والرياضة والتجلى
والتخلى والتجلى والملة
والانزعاج والشهادة
والمكاشفة والنوايح
والتلون والغيرة والحربة
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بمحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبدولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبلغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم (١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة (٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد التوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى . ونجمل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطيء وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما طلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق من موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أني أكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى قد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وأنا لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفنى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا صحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة تقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمل ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعرج على التتم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصة علماء الله تعالى الخشية وخاصة الخشية التابعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقما عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يعتز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمانها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وقضيق صدورهم باظهار ظلمهم وتقييح قلوبهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى نجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأضرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعني من سكن البادية جفا « ومن اتبع الصيد غفل » ومن أتى السلطان اختن (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المطرز عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

تعرفون منهم وتذكرون فمن أنكر فقد برى ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أمعه
 الله تعالى قيل أفلا تخافونهم قال صلى الله عليه وسلم لا ما صلوا (١) وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء
 الزأرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قبل وماهى ١ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على
 الأمير فيصدق بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد
 الله تعالى ما لم يغالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (٢) ورواه
 أنس ، وقيل للأحمش لقد أحيت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل
 الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك
 قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاجتروا منه فإنه ليس وقال الأوزاعي
 ما من شيء أضر إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار
 العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (٣) وقال مكحول الدمشقي رحمه
 الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم سحب السلطان تعلقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار
 جهنم بعده خطاه وقال سمعون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيستل عنه فيقال هو عند
 الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ
 ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه
 به من اللفة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أجو من الدخول عليه كفاقا مع أنى
 لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون
 السلطان بالرخى وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه
 وكان ذلك نجات لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قلبكم رجل له قدم في الاسلام وصحة
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال
 وكان لا ينشئ السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحة والقدم
 في الاسلام فلوا نيتهم فقال يابى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركم فيها . قالوا
 يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يابى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا ممينا
 قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن الزراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى
 أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة يأسلمة لا تنشئ
 أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة
 للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه
 أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقم شعائر الشرع إلى أن يغيل إليه أن
 الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويغوض في التناء
 والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا
 قدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشرطى بأقوام

واقبص والقناء والبقاء
 والجمع والتفرقة وعين
 التحمل والزوائد والارادة
 والمريد والمراد والهمة
 والقربة والمصكر
 والاصطلام والرجبة
 والرهبة والوجد
 والوجود والتواجد
 فقد ذكر شرح هذه على
 أوجز ما يمكن بعثية
 الله تعالى وإن كانت
 أفاضلهم المصرفة
 بينهم في علومهم
 أكثر مما ذكرنا
 فإنا قصدنا أن نريك
 منها أعمودا ودستورا
 تصلح به إذا طرأ
 عليك عالم تذكره
 لك شهنا إذ لها مبعث
 وإلها سيل فتطلبه
 بعد ذلك على وجهه
 (فأما السفر والطريق)
 فالمراد بهما سفر القاب
 بالأسفار في طريق
 المعنويات وعلى ذلك
 انتهى لفظ السالك
 والمسافر في لغتهم ولم
 يريد بذلك سلوك
 الأقدام التي بها يقطع
 مسافات الأجسام فإن
 ذلك مما شاركه فيه
 البهائم والأنعام وأول
 مسالك السفر إلى الله
 تعالى عز وجل معرفة

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون الحديث بسلم من حديث أم سلمة
 (٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي
 في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن
 ماجه بالكسر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والنهي
وتعلق الفرض فيها
والرأب بها ومنها فاذا
خلفوا نواحيها وقطعوا
معاظنها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدنيا
فاذا تخلصوا من
أوطارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عفو وشدة
في لين وجودة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخرج
الخافون عنه طرفة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
الليكنات الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي واللوح المحفوظ
واليمين الكاتبة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش والبيت
المحور وهم يسبحونه

أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصنون شرفهم أن يندسوه بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط يشكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعله تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو لإجماع أو قياس جلي أفق وإن سئل ما يشك فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تعلقه خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشافعي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضمها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن القدي يخفى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بلم ويسكت بلم يقول انظروا إلى هذا سكوت أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يسدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومروا على وجه الله رضي الله عنهما رجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن الشئ فكأنما يقطع ضرره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جمرات تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة ينكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلى وكان أبو المالكة الرياحي وإبراهيم بن آدم والثوري يشكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزير بني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين بني أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشربها الأسواق (٣) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

(٢) حديث ما أدري أعزير بني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لسئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر . وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للهروب منه مطلوباً والمطوب مهروباً منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة الساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى » (١) وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأمرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدناه عاقبته وقال ابن حنبل إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة » (٢) وقيل العالم إما عالم عامة وهو الفقيهم وأصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يقترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل برء عذبة مغطاة لا يقصدها إلا الواحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملاً وقال أبو سليمان المرفعة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سليمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغني أنك تصدت طبيباً تدأوى الرضى فانظر فإن كنت طبيباً فنسلكم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطبباً فإنه الله لا تقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فمجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حمى ورمهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر إهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تنفضي إلى الشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدا إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلد باسناد ضعيف (٣) حديث : وأخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقدسونه وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق السكوت والملك لجميع والقادر على كل شيء فتشام الأنوار المحرقة ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيطوبون الصفات ويشاهدون الوصف ويحجبون حيث غاب أهل الدعوى ويصرون ماعين عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى . والحال منزلة العبد في الحين فيصفوه له في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه فإذا صفا تارة وتغير أخرى قبل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فإذا زال لم يكن حالاً . والقام هو الذي يقوم بالعبد في الأوقات من أنواع للامانات وصنوف المجاهدات فحق أقيم العبد حتى منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكرة والاتقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فك من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وك من مقتصر على اللهم في التعلّم ومتوقف على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب وذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) وفي بعض الكتب السابقة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعده ولا من وراء البحار من يبريأتى به ، العلم جمول في قلوبكم تأدبوا بين يدي آداب الروجانيين وتخلقوا لى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يستطيعكم ويفعركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يطلعها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال **عليه السلام** « استفت قلبك وإن أقنوك وأقنوك وأقنوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال البدر يقترب إلى النواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » (٢) الحديث فك من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلوعها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل القسرين وإذا انكشف ذلك للمريد للراقب وعرض على القسرين استحسنوه وعلّموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية واللطاف الله تعالى بالهمم العالية التوجهة إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم العامة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبه حسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة ومهم برعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجمل الأحداث بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة للمال تزول بزواله مات خزان الأموال وم أحياء والطماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيع بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو متقادا لأهل الحق لكن ينزع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو متبوعا بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار متقادا لمواه أقرب شهابهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته وكما وأن أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه للترفون وأنسوا بما استوحش منه التافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأهل أولئك أولاء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال البدر يقترب إلى النواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره للؤلؤف من حديث أنس بسند ضعيف.

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال البدر يقترب إلى النواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره للؤلؤف من حديث أنس بسند ضعيف.

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظب على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين » (٢) ومناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضربه الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة » (٣) ولذلك قال عليه السلام « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظهما لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يابى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المتركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمئين مختلفين أما النظار والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يتبدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يماقه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بآثبات ولأننى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بينه لومات على هذه الحالة هل يماقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يماقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساوٍ لذلك الليل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع سرفة محقة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسعت شبه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقارناً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في شؤسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان القدي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو مضلل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة فسرة
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقعت به
الإشارة . والوصل
إدراك القات .
والفصل قوت ما ترجوه
من محبوب . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزم الخدمة
والثاني أدب الخدمة
وهو التمسك عن
العلامات والتجرد
من الملاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موازنة الحق
بالمعرفة . والرياضة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صفة الراد
والتحلى التشبه
بأحوال الصادقين
بالأحوال وإظهار
الأعمال . والتخل
اختيار الحلول
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجمل هو ما ينكشف
للقلوب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجوده بحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري غرق غريزة العقل أن توقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالوجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمرادى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون الوجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو تجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عند عدم الشك فكل علم لاشك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف كأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لاشك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو للتحكم والتصرف في النفس بالتجويز والنقص سمى ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يبادر فيه منسماً لغيره فيغير عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما نردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف النية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب للتحكم عليها للتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في القلبية والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنهاه وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ما قبله ينطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعني الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً عنه لاسيلاً إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكوك وجود فذلك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس بوضوح ملاح له بدليل واحد كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويها في نفي الشك وهذا قد ينكره للتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

الغيوب والملة نفيه
عن الحق والارتجاج
انتباه القلب من سنة
الغفلة والتحريك للأنس
والوحدة . والملاحظة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإصابة
بالفهم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسماء
الظاهرة الصافية من
السمو من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلوين
تلوين العبد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلوين
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلوين

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قويا اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاله وخفائه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فاني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكن أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكام لها فالصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد اللعين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهما بل يراها آيتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر لكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريثا من الغضب والحقمد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له يسابق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجالا في الطلب ولم يشدد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وآمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يطلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزب إلى الشيع ونسبة للعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرس على التحصيل للخير طلبا للشبع فيحفظ قلبه وكثيره فكذلك يحرس على الطاعات كلها قليلا وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلا وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القربون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لمواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقا متادبا في جميع أعماله متاسكا معتززا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه البعد البعيدة . والبعد البعيدة في الحق وغيره على الحق وغيره من الحق فالنيرة في الحق برؤية الفواحي والنهي وغيره على الحق هي كتمان السرائر والنيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق المبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا . واللطيفة إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسما العبارة . والفتوح ثلاثة ففتح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطائه وفتح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان مجريان في الأبد بما جريا في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والقناء قناء المعاصي ويكون قناء رؤية العبد لعملة

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خافي والفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التعلم إظهار غاية الخصوصية بلباس الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إزادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والزبد هو الذي صنع له الابتلاء ودخل في جملة المتقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرفا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينته فهي لبسة الأنبياء وسبا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا التافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا بأيام الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تقلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تسكنوا من جبايرة العلماء فلا يقوم عليكم بمهلككم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ^(١) » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سر باله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله تعالى يبغضه فانه يموت في السماء والأرض ويروي في الاسرائيليات أن حكما صنف ثلثمائة وستين مصنفات في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لعل قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق ووا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وقت لرضائي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعبد بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا التصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يعقهم وهم أحق بالمت من ذلك الشرطى وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكراته تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال ^(٢) صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيتك لم يذكرك وإن ذكرتك لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا ^(٣) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكراته الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسل سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحموس بن حكيم عن أبيه مرسل ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضعفا في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله عنه في خطبة له فتمنى رهينة وأما به زعيم إنه لا يسبح على التقوى زرع قوم ولا ينظم أعلى الهدى صنع أهل وإن أهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل فحش علما أغاربه في أغباش الفتنة سماه أشباهه من الناس وأرداهم علما ولم يمش في العلم يوما سالما بكر واستكثر فساقل منه وكفى خيرا ما كثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأها من رأيه حشوا الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خياط عشوات لا يتنذر عما يعلم فيسلم ولا يمش على العلم بضرس قاطع فيغم تبيكي منه الدماء وتستعل بقضائه الفروج الحرام لا ملء والله بأصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم الثلاث وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم العلم فأكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتصعبه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة معج من العلم بحة وقيل إذا جمع العلم ثلاثا تمت النعمة بها على التعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع التعلم ثلاثا تمت النعمة بها على العلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل بالرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زجره وما ينبغي أن يقف عنده يشتره ثرا بالقل (٢) » وفي خبر آخر يثقل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه وضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وغلبنا فمن أعلم منا فذلك حظهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنا نحشي الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثنا قليلا - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخضع جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبارحة من الله لئلا يهملهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - قيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التبحر عن دار الفرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) » . ومنها أن يكون

والرأد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات. والمهمة ثلاثة : مهمة منيغوى تحرك القلب للمنى ومهمة إرادة وهي أول صدق المرید ومهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فان الأمراة والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق مسدود وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة القوائيل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغلهم الزمان ولم يبق إلا للترحمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوبا فصار يرى المعروف

- (١) حديث إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا الحديث لم أجده أصلا
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا والنكر معروف
 حتى ظل علم الدين
 مندرسا ومنار الهدى
 في أفطار الأرض
 منظمسا ولقد خيلوا
 إلى الخلق أن لا علم إلا
 قوى حكومة تستعين
 به القضاة على فصل
 الخصام عند تهاوش
 الطعام أو جدل يتدرج
 به طالب الباهات إلى
 القلبة والإلغام أو سجع
 مزخرف يتوصل به
 الواعظ إلى استدراج
 العوام إذ لم يروا مأسوى
 هذه الثلاثة معيبة
 للحرام وشبكة للحطام
 فأما علم طريق الآخرة
 هو ما درج عليه السلف
 الصالح وهي جمع المهم
 بصفاء الإلهام
 والغربة ثلاثة : غربة
 عن الأوطان من أجل
 حقيقة التصد وغربة
 عن الأحوال من
 حقيقة التفرد بالأحوال
 وغربة عن الحق من
 حقيقة الدهش عن
 المعرفة . والاصطلام :
 نعت وله بردي القلوب
 بقوة سلطان فيستكها .
 والسكر ثلاثة : مكر
 عموم وهو الظاهر
 في بعض الأحوال

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعمما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوق من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
 ولأن الأعمال العملية قريية وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن
 في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفرعه وكل ذلك مما يطلب ميسر الحاجة
 إليه وتم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في
 الحكومات والأفضية ويتبعون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأعجا تقع لغريم
 لا لهم وإذا وقعت كان في القاعين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويشكروا عليهم أثناء الليل وأطراف
 النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره
 النادر لإشارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها في أن يسميه البطالون
 من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل
 يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين
 وفوز المقربين وذلك هو الحشران اللين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما
 بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم أتفتت الكلمة في حقه
 على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
 الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته
 قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته
 قال خصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة
 أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني عنه ^(١) وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
 وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول
 يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصى بهذا العلم وكان حذيفة رضى الله
 عنه أيضا قد خص بلم للناققين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر
 الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن الناققين فيخبر بعدد من بقي
 منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك
 وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان
 يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب
 الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل
 هذا تزويق للذكورين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهمل يعيشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم لجامهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف
 عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

الذمومة فان ذلك نزاع للروح على السوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جمل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد لينكون فطره عند اللوث ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكهما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يشككم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزى لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يئذل للمعوم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما للقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسرارهم فان للقلد إنما يفعل القعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لرسول فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه القطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منهم وترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرأتهم أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورنا أدركت بالقرآن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتقاد على السموع من الغير تقليدا غير مرضى فلا اعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سبعة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن السيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصانيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف فعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهم حتى أشار عمر رضى الله عنه بوقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تحايل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من للتشابهات فأنشرح صدر أبي بكر رضى الله عنه لذلك فجعل القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه يرفعه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والسكرامات. والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السرفى الحق . والرهبة رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجود : تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي يبنى عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح للمعانى والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والنفوس في إبطال المقالات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندساس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقولون
فصار يسمى الجادل للتكلم عالما والناظر للزخرف كلامه بالعبارات السجدة عالما وهذا لأن العوام
هم المستغنون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سابقة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنفسه إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وكل مال الأيتام
ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب ذقيق الآثم وجليسه والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فتمهم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرا أتبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل مصر في موافقة أهل مصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا قبا ثم فيه ليل طباعهم إليه ولم تسمع قوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبد
الدنيا لها يضرب ولها يرضى وإياها يطلب فارضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما عن
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتفتي آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكونوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والمهدي ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن المهدي هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتسوق قلوبكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت » (١)

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والمهدي الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على ماسلكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى الملبسوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاطاة
الوجودات الخمس :
الداني والحسي والخيالي
والعقلي والشهني
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلما أدرك
شيء من العجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليكم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء
قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصنيف
والاستشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله وفيه
وفي الله لأنه إن لم يكن

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو محبة ميز أو ما يشاكل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عليك لغيره ونكست على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يجرك بعادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه نعمى القلب وتهتك السر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تنقب به حيث وقف به كلامه فالعلماني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب للؤلؤات وكثير علم بما

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأشق من ما اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خلقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل ببله وأتقى الفضل من ما وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنن ولم يمدح إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه للسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق لمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فبإمام عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بغير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق قال أمة معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم إنهم غير المعروفات في زماننا تزيين للساجد وتجيدها وانفاق الأموال العظيمة في دقائق مخابراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في السجدة بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلسا يجلسون بينهم وبين التراب جاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل وللناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من النكرات ومن ذلك التحسين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب من التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الفرائب ما أقل العلم فيهم والله للشعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدرتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان غشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوا اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخبر أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وورب يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقائق خاط فيمال استظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان للنبر في صلاة العيد عند الصلوة قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنما ليست بدعة إنما خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يلبسهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بغير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لاجل النبر (٢)

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأتقى الفضل من ما اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبراز من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب الصرى وسط الحديث وكلها ضيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحية ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف وروا في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في الميدين خطب على قوس وإذا خطب في الجمع خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بالخط كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

وفي الحديث للشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمي فليعه لعنة الله واللائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تله شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بأبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالسكلام فيه تسكلف وقال غيره الحق قيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالخط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالئ»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلالة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذري الذين أخذوا دينهم لمبا ولهاوا - وقال قتال - ألن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فنكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم بما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللب والبهو وحكى عن إبليس لسته الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين قالوا ما شأناكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد هبوا نبهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تتلون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم شيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تتلون من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقرأ أعينكم بهم تلعبون بهم لمبا وتقودونهم بأزمة أهواءهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادهم أين شاءوا فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار لللكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يلمنون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك فيه هلك المتحذقون من العلماء الراعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لومه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصنى إلى قوله بل ينبغي أن يتم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فليعه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تله شفاعته لم أجده أصلاً (٤) حديث عليكم بالخط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعاً .

لم يصبر عنه واطمئح بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدر حقيقته بآب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحمين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيرة فانتصر الحسنة واطلب العاذر للسيئة ولا تكن كالنابية تنزل على أقدر ما تجده ولا تجعل على أحد بالخطئة ولا تبادر بالتهويل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشمر فكل عالم عورة وله في بعض ما يأتي به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولي الله تعالى الخضر وكنية موسى على نبينا وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بحال أو اختلال فخذ ما ظهر لك عليه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق عجزه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً والعوام العصابة أسعد حالاً من الجبال بطريق الدين للمعتدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى اللوث وإذا غلب هذا طأ أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المختلط بالزلة والافتقار عنهم ككسائي في كتاب العزلة يانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة الرعشي ما ظنك بمن يبق لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه إلا كان آمناً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد علماً أو يتأمل هذا السكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن الاستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشرف فيكون هو معياله على ذلك ورداء أو ظهيرا أو مهتلاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخس له في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بذلت آلة الدنيا بالدين وتشبه بسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بمهلك وإنكارك بزمرة المالكين الآيسين نموذجاً من خدع الشيطان فيها هلك الجهر ففسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تفرح الحياة الدنيا ولا يفرح بآله الفرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهمة مع قصور تمييزها تحشم العقل حتى إن أعظم البهائم يدنا وأشد هاضرة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمة وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » (١) وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكير شخصه ولا لزيادة قوته بل لثباته في حجة التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون للشيخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندین قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا وقتلوا أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وترأى لهم ما كان يتلأأ على دياجيه وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصداً نوراً ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد ساء الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - ومعنى العلم الاستفادة منه روحاً وحياء حياة فقال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا عيشي به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيتي لك فاحفظها وتذكرى إياك فلا تنهل عنه : اسمع وصيتي إن تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد ردى بك الخلف وأزيدك زيادة تقتضى التعرف بأصناف العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من غيرم فلك في ذلك أكبر منفعة ولى في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتبا بالحشية في سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والإيثار لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرج للتكلمين وأخفم للتخرسين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينازع شواهد بينة ونجومه نيرة قد حصى صراط الله للمستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وبآياته

ولكنه قد الحشية قد
برؤيته لنفسه وحجبه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبسده من بركات
علمه حجة الموت
والشرف وخوف
السقوط والفقير فهو
عبد لبيد الدنيا خادم
لخدمها مفتون بسده
علمه مغتر بمد معرفته
مخدول بسده نصرته
شأنه الاحترار لعم
الله والازدراء لأولياته
والاستخفاف بالجهايل
من عباده وفخره ببقاء
أميره وصلة سلطانه
وطاعة القاضى والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بعلمه
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله للكل
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها
فأصبح الشيطان
فكان من التاوين
ولو شئت لرفقناه بها
ولكنه أخذ إلى
الأرض واتبع هواه فله
ككل الكلب إن تحمل

فى الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم
عنه واعلموا أنه يجعلكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم للنظر حقير الخطر
دنى، المترقوث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف النزلة
حسن الهيئة فصيحاً نطقاً بالقردة والتنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تنظر بتعظيم أهل الدنيا
إياكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال عليه السلام « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم الكاشفة فلا يليق ذكره بعلم
العامة وغرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضى الله عنه قال « أتى قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى قالوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام : إن الأحق بصيب بحمله أكثر من فجور الفاجر وإنما
يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلى من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيمان عبدا ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال عليه السلام « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فتدركه ثم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فيقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الصيغار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لقيم الدار « ما السودد فيكم قال العقل
قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كسألتك فقال كذا قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كثرت للسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة، وأبو نعيم من حديث
عائشة باسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أن قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى قالوا فقال
كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصرا (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة للمؤمن عقله
الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الدار ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت السائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن المهبر وعنه الحرث .

عليه يلهث أو يلهث
يلهث - فويل لمن يحب
مثل هذا في دنياه
وويل لمن تبعه في دينه
وهذا هو الذي أكل
بدينه غير منصف لله
سبحانا في نفسه ولا
ناصح له في عباده تراه
إن أعطى من الدنيا
رضى بالمدحة لمن
أعطاه وإن منع رضى
بالدم لمن منعه وقد
نسى من قسم الأرزاق
وقدر الأقدار وأجرى
الأسباب وفرغ من
الخلق كلهم فتوذاً لله
من الحور بعد الكور
ومن الضلالة بعد الهدى
وإنما زدتك هذه
الزيادة وإن ظهر
لكبرأتها ليست من
الغرض الذي نحن فيه
فقصدي أن يعلم من
ذهب من الناس ومن
بقى ومن أبصر الحقائق
ومن عمى ومن اهتدى
على الصراط المستقيم
ومن غوى فليعلم أن
الصفين الأولين من
الطاء قد ذهبوا وإن
كان بقي منهم أحد فهو
غير محسوس للناس
ولامدرك بالملاحظة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ^(١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقلاً ^(٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ^(٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية الرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل ^(٤) » وقال ^(٥) « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « آتاكم عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً ^(٦) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة وما يجري هذا الجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يشارك الإنسان بمسائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتبها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستمد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن الناقل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المنبر (٢) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المنبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المنبر (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المنبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المنبر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المنبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث آتاكم عقلاً أشدكم لله خوفاً الحديث ابن المنبر من حديث أبي قتادة .

غاب الذين إذا ما حدثوا
صدقوا
وظنهم كيقين إن هم
حدسوا
وذلك لما سبق في
التضاء من ظهور
النسب وعدم أهل
الصلاح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غريته وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الوجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمداوا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأرسان العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذوا لموائد السوء
وعنهم يرد عتب الحكم
الشائنة وانتقاض أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال بخالفهم
لهم قصاوير لم يعرف
لهم حبا
كل يوم على مقدار
حياته

العلوم والناسم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع تقدم العلوم وكأن الحياة غريزة بها
تنبأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنبأ بعض الحيوانات
للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والجماد في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة بحكم
إجراء العادة فانه لو قدر الجماد جادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فانه سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب الشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقة الجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت
به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يبرعها بالعقل وهو
كالمرأة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصفاة وكذلك
العين تفارق الجبهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن نفهم هذه الغريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما القاسدان تنسك تلك الغريزة ويقال موجودا لهذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حسنة التجارب وهذبة المذاهب يقال
إنه عاقل في المادة ومن لا يتصف بهذه الصفة يقال إنه غبي غمرا جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عاقلين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل » (١) والأخير
هو المراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك » (٢) وهو
المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا
تقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا
واعمل بالمعاليات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل في آجل العقب بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزفة والقرب وإسناده ضعيف .

عز وجل القرب والمز (١) وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل. قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو للتقوى وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا (٢) قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته (٣) ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة تلك القرية وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها تمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الحشية والعالم من غنى الله تعالى فإن الحشية ثمرة العلم فتكون كالجهاز لتمرير تلك القرية ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والأسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك القرية بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله للساء في الأرض فإنه يظهر بحجر البئر ويختص ويتميز بالحسن لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقرر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - يعني إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها القرب استعدادها للادراك ثم لما كان الإيمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسها بفعله ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لهم يتذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا النمط تذكر ليس بعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة تقيية على من يستروجه (٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخط في مثل هذه الآيات ويتعصف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعصبات ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحراق ويمتد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصنوعة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبي البرداء ابن الخير ومن طريقه طهارت ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الخير (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الخير من حديث سعيد بن المسيب مرسل وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أي يكون السماع والتقليد رافعا عنه فتأمل اهـ مصححه .

زوائر الأسد والنباح

الاهن

فاحذرهم قاتلهم الله
أي يؤفكون اغذوا
أيمانهم خسة فصدوا
عن سبيل الله إيمانهم
سواء ما كانوا يعملون .
أولئك كالأنعام بل هم
أضل أولئك هم
العاقلون .

أولو الفئاق فإن قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولأخذ في جواب
ماسألت عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله تفوذا
البصيرة وحسن
السريرة وغفران
الجرير قهوه وروى ورب
كل شيء وإليه المصير .
[ابتداء الأجوبة عن
مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الأحياء
بتقسيم التوحيد على
أربع مراتب تشبها
لمواقفة الغرض في
التخيل به وذكرت أن
للمفروض وسوس أو
بالخواطر هجس بأن
لفظ التوحيد ينافي
التقسيم إذ لا يغلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصره فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالقارس والبدن كالقارس وعمى القارس أضمر من عمى القارس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب القواد مارأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وعمى منده عمى قال تعالى - فلما لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يعلق به من الدين إلا تشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بمجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يغني تفاوت الناس فيه بل لا يغني تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم العرف لعائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتواء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك الماصي من الجاهل لقوة علمه بضرر الماصي وأغنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد مينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها إذا قويت كان قمعها للشهوة لأحالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتات في الغريزة وإما تفاوتات في الممارسة فأما الأول وهو الأجل أغنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جرده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموًا خفي التدريج إلى أن يشكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يغني خفاء بشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبنته بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاها لما اختلف الناس في فهم العلوم

التي ليس بزائد عليه
فذلك لا ينقسم
لأبجتنس ولا بالفصل
ولا بفرد ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكافين
الذين توجب لهم حكمه
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث اتساهم إليه
بالعقل وذلك لضيق
المجال فيه ولهذا
لا تصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلوك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلbas وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
التكلمين بتأمل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
والرسلين وسائر عموم
الرسلين وإنما تختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذاهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنتم في هذه الإجابة
كلها بشيء من أعماء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بل بقصد
إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالفهم إلا بعد تعب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبثق من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكادزيتها بشيء - ولولم تحسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ ينضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويصبر عن ذلك بالإلحاح وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال - إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعنى ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزي به (١) وهذا الخط من تعريف اللاتسكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالثقت في الروع ودرجات الوحي كثيرة والجحوش فيها لا يليق بعلم العامة بل هو من علم السكاغفة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يحد أن يعرف الطبيب للريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات المدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتبنيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبية كاتقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيضجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت «يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى جنتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك (٢) » فان قلت لما بال أقوام من التصوفة يذمون العقل والعقول - فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإزاعات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنك أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب قدموا العقل والعقول وهو السمي به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذمها الذي بعده محمد فان كان الحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل للذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تتميز بها آدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخييلات إنما نارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتخييل اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأسفل والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الهجر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

يورد ما طبق به أهل الفضل والإسلام . واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على آحاد يتوجه بها بشيء قدح به للعرض أو هجس به الحاضر وإنما للاستعمل هنا من آحاده ماتمويه بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالهها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه واليل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافيا والحنبلي حنبليا

ومن رزق علم التوحيد
وما يتحقق به عنده
وسمى من أجله
بشكوكه المارضة له
فيسمى موحدا لأنه
عارف به يقال جدلي
ونحوي وقبه ومعناه
يعرف الجدل والفتنة
والنحو . وأما من
استغرق علم التوحيد
قلبه واستولى على جملة
حق لا يجد فيه فضلا
ثبته إلا على طريق
التبعية له ويصكون
شهود التوحيد لكل
ماعداه سابقا له مع
التذكر والفكر مصاحبا
من غير أن يعتريه
ذهول ولا نسيان له
لأجل اشتغاله بغيره
كالعادة في سائر العلوم
فهذا يسمى موحدا
ويكون القصد بالمسمى
من ذلك البالغة فيه .
فأما الصنف الأول وهم
أرباب النطق بالفرد
فلا يشربون في
التوحيد بسهم ولا
يفوزون منه بنصيب
ولا يكون لهم شيء من
أحكام أهله في الحياة
إلا مادام الظن بهم أن
قلب أحدهم موافق
لسانه كما يفرد القول

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل
الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول
وبالله التوفيق : الحمد لله للبدى للعبد الفعالم لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة العبيد إلى النهج الرشيد والسلك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار حبه الأكرمين الكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو
شاهد للعرف بإمام أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قیوم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والاقصبال بتصرم الآباد واقراض
الأجال بل هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . التنزيه : وأنه ليس بحجم مصور
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا يمرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ليس كمثل شيء ولا هو مثل
شيء وأنه لا يحده القدار ولا تحويه الأنظار ولا تحيط به الجهات ولا تتكشفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أرادته استواء منزلها عن العاسة والاستقرار
والتمكين والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومهيبورون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء
كما لا تزيد بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو
على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء
ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته
وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا يعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلالة منزلها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرتق
الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمرضه
فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات بيمينه والخلائق مهيبورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع التوحيد بالابجاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقد رزاقهم وآجالهم لا يشذعن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته نصريف
الأمر لا تحصى مقدوراته ولا تنهاى معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(هـ كتاب قواعد العقائد)

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما المصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو اللبغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله النبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم ومنزلة من كثير سواد قوم فهو منهم . وأما المصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فראوا على كل منها خطأ منتبها فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

يعلو ديبب الخلة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلو السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصولا به في الأزل لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الإرادة : وأنه تعالى مرید للكاتبات مدبر للعاديات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته لما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لقلة ناظر ولا قلة خاطر بل هو للبدى العبد الفعال يريد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لبعده عن معصيته إلا بتوقيفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن واللائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصولا بها مریدا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزله من غير تهدم ولا تأخر بل وقفت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير في الأمور لا بترتيب أفكار ولا ترصد زمان فذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغييب عن رؤيته مرئى وإن دق ولا يعجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويطنش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم آمرناه وأعدمتوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو صطكك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه للزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والاتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى البرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مریدا مميما بصيرا متكلم بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا يعجز دالقة . الأنفال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بغيره وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أمثاله عادل في أقضية لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من انس وجن وملك وشيطان وسما وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأ إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كنهه لا لا فتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لأعن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لأعن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يسب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده للؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات واجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا يعجز القلوب ولكنه بث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فلبقوا أمره ونهيه ووعده ووعده

كل مخلوق الناطق فيه
من مركب ومفرد
وصفتهم وصف وحى
وجاد وناطق وصامت
ومتحرك وساكن
ومظلم ونير وهو الذى
يسمى تارة بسلامة
وتارة بسمة وتارة بأثر
القدرة وتارة بأية كما
قال الشاعر ولا أدري
عن صانع أروية قلب :
وفى كل شئ له آية
تدل على أنه واحد
فلو قرءوا ذلك الخط
وجدوا تفسير ذلك
المكتوب عليه
وشرحه أبدية مالكة
والصريف له بالقدرة
على حكم الإرادة بما
سبق في ثابت العلم من
غير مزيد ولا نقص
فتركوا الكتابة
والكتوب وترقوا إلى
معرفة الكتاب الذى
أحدث الأشياء وكوّنهما
ولا يخرج عن ملكه
شئ منها ولا استغنت
بأنفسها عن حوله
وقوته ولا انتقلت إلى
الحرية عن رقب
استعباده فوجدوه كما
وصف نفسه - ليس
كشئ هو السميع
البصير - غفلت لهم

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسول بالرسالة وأنه
بعث النبي الأمي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم برسائه إلى كافة العرب والعجم والجن والأنس
ففسخ بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن به الشهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم
الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن
بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكرو ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان العبد في
قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن
نبيك (١) وهما فتانا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بمذاب القبر (٤) وأنه
حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته
في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرته الله تعالى ، والصنج يومئذ
مناقل النار والحرود تحقيقا لتمام العدل وتوضيح مخافت الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها للميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح مخافت السيئات في صورة قبيحة في كفة
الظلمة فيخف بها للميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار
وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض للورود

(١) حديث سؤال منكرو ونكير الترمذى ومحمه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت
أو قال أحدهم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما النكير وللآخر النكير وفى الصحيحين من
حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان
فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن
سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون
أو تعذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استأذنته صلى الله عليه وسلم من
عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق
السموات والأرض البهي في البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عندهم سلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث
عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أبخف ميزانه أم يشقل زاد ابن
مردويه في تفسيره قالت عائشة أى حى قد علمنا اللوازم هى الكفتان فيوضع في هذه الشئ ويوضع
في هذه الشئ فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس وأطابني عند الميزان
ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث
وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان
بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبي
هريرة ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم
زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة
والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسل ومن
قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم شرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم للقرّيون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين (٥) ويسأل للبتة عن السنة (٦) ويسأل للسليمن عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج اللوحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبق في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يغفل

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه شرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمق يوم القيامة آتته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أما لكم حوض كباين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن ممرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب من شربة لم يظلمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يصبان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله بالمولود وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدرة كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب ولشيوخين من حديث عائشة من نوقض الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك المرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأم قيل هذه أممك ومعه سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وهمران بن حصين يدخل من أمق الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث حمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فها استزده قال قد استزده فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فها استزده قال قد استزده فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لييك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتي فيقولون ما أتانا من نذر فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمه الحديث . ولابن ماجه يجرى النهر يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للبتة من السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر صل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادها ضيف (٧) حديث سؤال للسليمن عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسألي في الصلاة .

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيد فسيحان من جبرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم للقرّيون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة حمة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يغفلوا كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدست عنه فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعث عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهاد ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثق عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٤) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رطط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المبرّد والتقليد المخض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقرآءة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الوحيد من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيطان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً عن أراد الله أن يرحمه عن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه يقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يصلوا خيراً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نغير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول لورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني وسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والتناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به والقيلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لنفسه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالتقى لم يبلغ وكان على قرب هم القريبون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائريين النفي والاثبات وعصور بين البادي والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهل إلا بالتسابق كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد تشرح وبسط بيان تعرف منه ماذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماهم وسماعهم وحياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالتقاء بذن في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والترية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يعمده وما يغسه أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويغسدها وهو الأغلب والشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالبيان برهانا قسى عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة للتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكلم الحارس اعتقاده بتضيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفتته الرياح مرته هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كالتلفف نفس الاعتقاد تقليدا إذا لفرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم للدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم السبي إذا وقع نشوء على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرح أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة اختصت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والتقربين وإليه الإشارة بالسرا الذي قر في صدر أبي بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كثافات الخلق في أسرار الطب والفقهاء وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في القكاء والنقطة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كنتم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن المبدآن لفي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأمل رحمه الله سمعت الشافعي رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي للفترة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما تنهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وحكى الكراييس أن الشافعي رضى الله عنه سئل عن شيء من الكلام فضرب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب بما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لقروا منه فرازه من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول لا إله إلا الله هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

كل مرتبة ومقام وأقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يستقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يملوه لا يتصورون صحته ولا فساد ولا صدقه ولا كذبه ولا خطأه ولا صوابه إذ لم يستحقوا عليه ولا أرادوا فهمه إما بعد همهم وقلة أكرامهم وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فإن التزموها فارقوا راحت أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منقصة وملاذم مكذبة من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه عفاة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاده من الأطعمة والأشربة والأنسجة أو كبير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقبه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأساً. مثل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يستند وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحراباً بظاهر القول في الجمل الغير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة المليكين أحدهم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لأدري سمعت الناس يقولون قولا قتلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والمشار ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والنية وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظراً في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالع في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على البدعة وقال له وبحك ألت تحكي بدعتهم أو لا ثم ترد عليهم ألت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام لا تادق. وقال مالك رحمه الله أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزدق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحنائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولمونه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتطعون هلك المتطعون هلك المتطعون»^(١) أي التعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباء^(٢)، وندبهم إلى علم القرائض وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ ظفان وظنهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المخذور من الكلام إن كان هو لفظ الجواهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تصدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولوعرض عليهم عبارة النقص والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فأحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المخذور هو المعنى فتحن لأنني به لا المعرفة للذليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كجاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المخذور هو القشع والتصبب والعداوة والبغضاء وما ينفي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم - وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا - أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل لله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - فبنت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين - إلى قوله - وأولو

(١) حديث هلك المتطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم القرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا القرائض وعلوها الناس الحديث ولقرمذي من حديث أنس وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا - تقدم في العلم -

جئت بشيء مبین سوطي الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فمعدة أدلة للتكليمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحيى الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون للنسكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون للنسكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة البدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهم فقال ماتتقوم على إمامكم قالوا قاتل ولم ينسب ولم يتم قال ذلك في قتال الكفار أرايت لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أ كنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجاذلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عبيدة في الإيمان قال عبد الله لوقلت إني مؤمن قلت إني في الجنة فقال له يزيد بن حميرة يا صاحب رسول الله هذمزل منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث واليزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة وتؤتي الزكاة وتعلم أنها تغفر لنا وللمؤمنين أهل الجنة فمن أجل ذلك يقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها من زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس وأخذه صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إتمام الحضم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الحضم أو لجاجة لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بخير ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فكذلك كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الدور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخوارق فمن أيضا ترتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيد الخطأ أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البدئية والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت لما اختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بنسبه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والبيعة وأغنى بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار واللوث وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة البيعة عند الاضطراب وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك للسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرمها فيه من الاضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قلبه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالغسل فان كثيره يضر بالهرور وكأكل الطين وكأن إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العمل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فتعود إلى علم الكلام وهو قول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وعمله حرام أمامضرته فائتارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان لا خدعت ولا تليت وصماه النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يصلح معه الإيمان ولا يتنظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة التقدماء إن عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه يفرقون منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبر ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « متفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

المشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
البتدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويستند حرصهم على الاصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبتدع العاصي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه وينمعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويعرفك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العسال
الذي استطار في البلاد والبلاد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعة قد يظن
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخيل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاصبر هذا من خبر الكلام ثم قلاد بمدح حقيقة الحق وبند التخلط
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفع الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على التدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعة شيء
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجحها على العوام وحفظها عن تشويشات البدعة بأنواع الجدل
فإن العاصي ضعيف يستغفره جدل البدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متبدلون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنيائهم وأجمع السلف
الصالح عليها والعلماء يتبعون بحفظها على العوام من تلبسات البدعة كما تبع السلاطين بحفظ
أمورهم عن تهجمات الظلة والصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضره إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة
وتفهمينه أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تآمنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بذلك بالإصلاح وأما العاصي المعتقد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف القنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سبيل
أدلة القرآن والحديث المزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل للوضع على
شرط التكلمين إذ العاصي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن هجر عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القرينة
القبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عاصي
اعتقد البدعة بنوع جدل سمحه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما ينمعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العاصية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاء أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها للذهاب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويترتب وقوع شبهة فإن وقعت ذكر
بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذعوا فلا بأس أن يطروا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات البدعة إن وقعت

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظم في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أفتنه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بقتيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فبما أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكواف وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى النع أو العمي وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات والضلات والقسم الثاني زيادة تقرير تلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطباب والتقرير غموضا . ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والخطر آله الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشجيدهم كان كقولهم لب الشطر نج يشجدا لخطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الخاطر يتشجع بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمدها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به . فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع البتة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه البتة عما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة كما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه البتة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرناه من أنواع الضرر فالعالم ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرس عليه فإن المحترف بمنه الشغل عن الاستقام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفطنة والنصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفع . الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين اللاذ فلا يعرض على إزالة الشبهة بل يستنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا التعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجاج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب القنعة للنفوس دون التغافل في التفسيرات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تطلبها صاحبها للتلبس فإذا قابلته مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشاقي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نهينا عليه وأن ما قل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الحوارج

فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكهم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بمد أنهم وغيب عنهم وفرط البسالة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا ومحاذاة ثم يدعوا إلى تفهم للنبي بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم فهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعنى المحترم قبل تحصيله القدر مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى : فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي . وهو أرحم الراحمين فيخرج

من النار أقوام لم يصلوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة فيكونون في أعناقهم
صمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
ولما اختصرت منه
قدر الحاجة على للمنى
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة المالكين ما،
عشر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيف
الموحدين وإن لم يشر
عليهم فهم صائرون إلى
جهنم خالدين تلهع
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ النسبي عن
التوحيد إذا انفرد
عن المقدر وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسيبه نجا إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه واليدان
تسلط على ماله

وما قيل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفعاتها بقدر
الرزق وبحسب التبرع وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبضها
جلي يبدو أولا وبضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أغفال الدنيا سوى اللطوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلففوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدوا عليه فلم يمكن لهم ترقى إلى شأو العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما (١) » وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حمة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بعدت لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يفتلقها إلا العالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة السكون لا يعلمه
إلا العالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لتصور الأفهام عن إدراكه أولم يأت آخر فلم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقون بطوذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتنزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجيتوني وفي لفظ آخر لقلم إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرين أما أحدهما فبئسه
وأما الآخر لو بئسه لقطع هذا الخلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بروتق في صدره (٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه لعالم ثلاثة علوم علم ظاهر ينفله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسهه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلماء بالله سر لو أظهروه

(١) حديث إن القرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بعدت لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة السكون
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضملاء لقصور فهمهم فاذا كره له بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطق نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة [مسئلة] فان قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر فيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلا الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو فيزول به الانقسام ولا يكون الشرع سر لا يخفى بل يكون الحقي والجلي واحدا . فإنا هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم السكافة ويخرج عن مقصود علم العامة و غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تصدنا بتلقيها بالقول والتصد بصدق القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه حمل ظاهر القلب لاهمل باطنه لما أوردناه في الشد الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيق هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشر أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها القريب يدركها ولا يشاركهم إلا كثرون في عملها ويمتنون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : الله الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسلك أكثر الأنفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وما أن لا يفتشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أنفهامهم عن الإدراك وإخفاء سر الراد وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم من يائه (١) من هذا القسم فان حقيقته مما تسلك الأنفهام : دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرعول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا بد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأداب الله فيستكون مما سكت عنه بل في صفاء الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أنفهام الجماهير عن دركه يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حق فهمها الخلق بنوع مناه توهونها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهون ذلك بن مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض للناسبه شيء لم يفهموه بل لغة الجماع ذكرت للصي أو الصني لم يفهمها إلا بما تناسبة إلى لغة الطوموم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهمها التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لغة الجم والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفاته نفسه محامي حاضرة له في الحال أو بما كانت له قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك نصيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة البد إلا أن ثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به . الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئنتت على نفسك » (٢) ولي

(١) حديث كرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسه حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا الحد (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئنتت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذ لم يعلم خفي حاله حسن فيه أن يشبه بغير الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أي مجالس الطعام ولا تشبهه النفوس إلا مادام منطويا على طعمه صونا على له فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا يخفى في محته والتمرض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاس على التعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يحكون مطابقا لخواصه المراد منه .

[فصل] فان قلت لما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق من النظر والبحث حتى قبلوا أو من الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

اللعن أني أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالصعوبة عن إدراك كنه جلالة ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالمعجز عن معرفته . ولتنبض عنان الكلام عن هذا الخط وترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تسلك الأفهام عن إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » (١) القسم الثاني من الحفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر السامعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفائش وكأنضرب رياح الورد بالجلل وكيف يعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعة بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه وتقيض الحكمة والرضا بالتبعية والظلم وقد ألد ابن الراوندي وطائفة من المخدولين عثر ذلك وكذلك سر القدر لو أفتى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل الددة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرائها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا العجز لوانحج وصح فيكون مثالا لهذا القسم . القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحها لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب السامع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كالأمر في قوله تعالى فلا تأخذ بالدين في أعناق الخنازير فكفى به من إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالسامع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير فظن فذكر السر والباطن فتفاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر :
رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السكك الأعزل
لازال بنسج ذاك خرقة مدبر ويحيط صاحبه ثياب القبل

فانه عبر عن سبب محاوى في الأقبال والادبار برجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن العجز بالصورة التي تتضمن عجز العجز أو مثله . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجملدة على النار » (٢) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تتقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ويرى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهها ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجبا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجبا من نور . وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب من نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا بين ما جبه في أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

وهم في الظاهر قادرين على ذلك وما للسائق الحسنى الذي منهم وأبدهم عنه وهم يطرون أن ثما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم ثقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويبرز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من القصد ولكن لا بد إذا وقع في الأصحاح ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى صماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتفتح به النفوس بحول الله وقوته، نعم ما سبق في العلم القديم لا تجرى غلغلة المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق الكلاية والشيم القدائية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها يسده وأعداها لأن

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول اقتداسه رأس حمار» (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام قد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو القصد دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحق وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى -إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون سفان ظاهره متمتع إذ قوله كن إن كان خطأ بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ للعدم لا يفهم الخطاب حتى يمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى -أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والتناقى فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهذاية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تصمق جماعة فأولوا ماورد في الآخرة من الميزان والصراف وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشهادة جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدوق بأن يصير حاله لا بأسا له في تفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود المشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أو كمال من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام الأربعة تفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتم القلب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يمر بلسان اللقال عن لسان الحال فالتعاصر القهم يقف على الظاهر ويستقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد لم تشقني قال سلم من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان اللقال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين - فالبلد يفترق في فهمه إلى أن يقدر لها حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيان

تكون خدائن عله ومشارق مصكنواته ومهبط ملائكة ومغاثى أنواره ومهابت فحاته ومحال مكاشفاته ومجاري رحمة وهياها لتحصيل المعرفة به ففى كان فيها شيء من تلك الأخلاق للدمومة لم يدخلها للملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للدمومة التي حلت فيهم وهي التي فم الكلب لأجلها لما احترمت للملائكة بأذن الله عن حولها فيها وهي لا تغلو من خير تنزل به ويكون معها حيثما حلت حل الخير في ذلك القلب غلغولها وإنما هي لها خفياء وجد قلب خاليا ولو حيناً من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على للملائكة ما زعمها عنه

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة .

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

من تلك الأخلاق
للمنومة بواسطة
الشياطين الذين هم في
مقابلة للملائكة ثبتت
عنده وسكنت فيه ولم
تبرح عنه وعمرته
بقدر سعة البيت
وانشراحه من الحجر
فان كان البيت كثير
الاتساع أكثر فيه
من متاعها واستمات
بغيرها حتى يتلى البيت
من متاعها وجهازها
وهو الإيمان بالله
والصلاح وضروب
المعارف النافعة عند
الله عز وجل فاذا
طرق ذلك البيت طارق
شيطان ليسرق من
ذلك الخير الذي هو متاع
الملك ويثبت فيه خلقا
مذموما لا يوجد إلا
في الكلب وهو متاع
الشيطان قاتله الله
وطرده عن ذلك المنزل
فان جاء للشيطان مدد
من الهوى من قبل
النفس ولم يجد الملك
نصره وهو عزم اليقين
من قبل الروح انهزم
الملك وأخلى البيت
ونهب المتاع وخرب
البيت بعد عمارته وأظلم
بعد نوره وضاق بعد

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائمين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما
مستغربين بالضرورة ومضطربين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح
بحمده - فالبلد يغتر فيه إلى أن يقدر لاجتماعات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول
سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدساً
بذاته وشاهداً بوحديته سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية يدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصفة المحكمة تشهد لسانها بحسن التدبير وكال العلم لا يعني أنها تقول أشهد بالقول
ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويدبر
أوصافه ويردده في أطواره فهو محتاجه يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون
الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسميهم - وأما القاصرون فلا يفقهون
أصلاً وأما القربون والطماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس
الله سبحانه وتسميحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم
العامة فهذا الفن أيضاً يغاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن
للظاهر وفي هذا اللغز لأرباب القيامة إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير
جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم -
وقوله تعالى - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك
المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي اللزاز والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل
الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله لسان الحال وغلا
آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون -
وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعد كون كل مكون حتى
سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر
الأسود يمين الله في أرضه » (١) وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله
صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » (٢) ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر
والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه
منع من التأويل حسم الباب ورعاية لصلاح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الحرق وخرج الأمر عن
الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الترجو ونشهد له سيرة السلف
فانهم كانوا يقولون أمرها كاجبات حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم
والسكينة مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب
التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه
ومم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعاً بصيراً وأولوا
للمراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر وللزبان والصراط وجعلت من أحكام الآخرة
ولكن أقروا بحسم الأجساد واللجنة واشتغالها على الأكلات والشهوات والسكرات وللأذى

(١) حديث الحجر يمين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث
إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس
ربكم من قبل اليمين ورجاله تحت .

المسوسة وبالنار واشتعلها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويندب الشحوم ومن ترتيبهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا أكل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا بقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم السرفون وحد الاقتصاديين. هذا الانحلال كله وبين جمود الخنابة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الوقهون الذين يدركون الأمور بنور الهي لا بالسماح ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة لها وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتبين له موقف والأليق بالتقصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم الكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والقرص بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفة فقد انكشفت بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة الغوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكافون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوفه تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولتقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس ومحيي الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيف الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين وبسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالجليلتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع للنقول وتحققوا أن النطق بما تبذروا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصل إن لم يتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأنطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف مالا يطاق وأنه بإعلام البرى ولا يجب عليه رعاية الأهل والأولاد إلا بالشرع وأن بثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر واليزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشرحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى فان قلت : فيزلى أصناف هذه الأخلاق الذمومة التي صمدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت اللائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنهم من الحلول فيها حتى لم يبالوا شيئا من الخبرات السكاكن معها فأعلم أن الأخلاق التي لا يجتمع معها اللائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها مظهرها وهي الطمع في غير خطير والحرص على فان حقير . وأما الصنف الأول فانهم رجوا وخافوا أن تبدو لهم حجة ما يشغلهم عن قدامهم وينص عليهم ما رضوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فصدم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألقوه من تبجيل أحسنهم أن يزول

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا
والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعة عدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من العصرات ماء فنجاءا لنخرج به نباتا وحياتا
الفا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله يبتليكم من الأرض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجها - وقال تعالى - أفأنتم تعلمون أم أنتم تعلمون أم نحن الخالقون - إلى
قوله - المقرون - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدبر
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدايع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها
متهورة تحت تسخيرهم ومعرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -
ولهذا بث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا
لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي غفوان شبابهم ولذلك قال
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما ينفي عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار يقول من بداهة القول
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب لعل فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل
تقدير تدميه وتأخيرها فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يقتصر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبدية والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وانكار فإن من عقل جسا لاسا كنا ولا متحركا
كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد لها
من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه بالطاريء
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقضي تلك الحوادث بمجملتها
لانتهى النوبة إلى وجو الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك
دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عندها عن أن تكون شغفا أو وترا أو شغفا وترا جميعا أولا شغفا
ولا وترا ومحال أن تكون شغفا وترا جميعا أو لا شغفا ولا وترا فإن ذلك جمع بين النقيضين والاثبات
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شغفا لأن الشفع يصير
وترا بزيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ الوتر يصير شغفا بواحد
فكيف يجوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شغفا ولا وترا إذ له نهاية فتجصل من

ومؤانسة أشياعهم أن
تفسير وتذهب ومواساة
إيلافهم أن تقطع
واستقالاتها شاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلتزموه وفرارا من
شرائطه وما يصحبه
من الأعمال والوظائف
إذ يمتثلوه والكلب
ما فهم صورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحسائس
والجزع من الصبر على
ما يصد من الفضائل
حق احترمت للأنسكة
أن تدخل بيتا فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لا تفارق
قلب الكافر والماضي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق للذمومة
التي هي كلاب ناجحة
وذئاب عادية وسباع
ضارية وأستاف الخبر
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة للأنسكة
وهي لا تدخل موصفا
محل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
مهما ولم تصل إليه فضل

هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى الحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى قدير لم يزل، أزل ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى مالا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى حييناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدم مضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان عدمه إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدم مضاده لأن ذلك لعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فإن كان الضد لعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحدث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يقل قدم جواهر العالم فإن سماه مسم جوهرها ولم يرد به للتحيز كان محظا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرنا خصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يستند الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بعسم أو حال في محل لأن الفرض ما يعمل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تنقل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كشيء شيء وأن يشبه المخلوق خالقه وللقدر مقداره وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه ومنه فاستحال القضاء عليها بمثاله ومشابته . الأصل السابع : العلم بأنه الله تعالى منزّه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم القوق لمسا على جهة الرأس واسم السفلى لمسا على جهة الرجل حتى إن الخلق الذى تدب بمنكته تحت القف تتقلب جهة القوق في حقها تحتنا وإن كان في حقنا فوقا وخلق للإنسان اليدين وإحدهما أقوى من الأخرى في القالب فحدث اسم

هذا يجب أن يتيقن كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا مصوما فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم . فاعلم أن هذا يستدعى أصنافا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام المعلوم والقول وللنبي في جواب ما سألت عنه أن للشيطان غفلات وللأخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها قرات فاذا وجد اللالك كما أعلمت قلبا خاليا ولو زمانا مافر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه من الخير تشوقا وتزوعا أورد عليه ما يعلل ويستغرق له وإن صادف منه سموا وسمع منه مجنود الشياطين استغاثة بالأخلاق الكلاية استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلأب عن لمة ملك أو تزعة شيطان . فإن قلت : فأى بيت فهم

اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلى اليمين يميناً والأخرى شمالاً وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الحلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل وأتلفت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص المرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المنيين كان غلطاً في الإنساق مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وهو محاذ لجسم فلما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضاً إشارة إلى ماهو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والملاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن . العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا يتأني وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سيات الحدود والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرب أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرب أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكين لزم منه كون المتمكن جسماً محاساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئياً بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل - لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً ولعل الجهل بنوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفراد بالخلق والإبداع واستبداد بالإيجاد والاختراع لا مثلاً له يساويه ولا ضد له فينازعه وينابوه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللين ولب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته أن التصود بالإخبار هو بيت اللين ولب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما تنبأك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم وجملته الاستنباط ولم تجبه القلوب المستضاء ولم تصادم به شيئاً من أركان الشريعة فلا تكن جاحداً ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من تصور مقله فكثيراً ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى مافي معناه ومثابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - ويانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلهيا قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداغته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلهيا قادرا .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم حكم في صناعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لا قدرته كان متخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الضلالة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات - لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع اللزيم بالترتيب ولوفى الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقصاص في فحمة الجبال والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو البدئ والمبدى والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضده له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد التقديرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن ينفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشذ عن محمه صوت ديباب التملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سمعا بصيرا والسمع والبصر كالإحالة وليس بنفس فكيف يكون المخلوق أكل من الخالق وللصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وفيما قال له - لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفي عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في عبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب وماغ فليقل كونه بصيرا بلا حدة ومحيما بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لسانه حادث ولكن ما يحدث فيه بغيره في الحادثة قديم

قله إلى من هو أفعه منه
سؤال : فان قلت قد
قال النبي صلى الله عليه
وسلم « لا تدخل
اللائكة بيوتا فيه
صورة » وعلم السبب
الذي جاء هذا الحديث
عليه وفيه فهل يمدى
عن سببه ويرتقى منه
إلى مثل ما ترقى من
الحديث الآخر فهذا كما
قيل الحديث شجون
وأتبنا هذا الباب
ما يقرب منه ويسعد
علينا التخلص عنه نعم
يرتقى منه إلى قريب من
ذلك وشبهه ويكون
هذا الحديث منها
عليه وهو أن الصورة
النحوتة قد اتخذت
آلهة وعبدت من
دون الله عز وجل وقد
نهى الله عز وجل قلوب
المؤمنين على عيب فعل
من رضى بذلك ونقص
إدراك من دان به حين
قال خبرا عن إبراهيم
عليه السلام حيث قال -
أصعدون ما تحتون
والله خلقكم وما
تعملون - فكان
امتناع اللائكة من
دخول بيت فيه صورة
لأجل أن فيه ما عيبد

من دون الله سبحانه
أو ما حكي به ماهو على
مثاله ويرقى من ذلك
المعنى إلى أن القلب
الذى هو بيت بناء الله
ليكون مهبط للملائكة
ومحلا للذكر ومعرفة
عبادته وحده دون
غيره فإذا حل فيه
معبود غير الله سبحانه
وهو الهوى لم تقر به
الملائكة أيضا . فان
قيل فظاهر الحديث
يقضى منافرة للملائكة
لكل صورة عموما وما
ذكرته تمليلًا ينبغى أن
لا يقتضى إلا منافرة
معبود أو ما نعت على
مثاله . قلنا تشابهت
الصور النحوتة كلها
في المعنى الذى قصد بها
التصوير لأجله وهو
مغارة ذى الأرواح
ومانعت للعبادة إنما
قصد به تشبيه ذى روح
فما كان هذا المعنى
الجامع لها وجب تحريم
كل صورة منافرة
للملائكة . فان قيل
فما وجه الترخيس فيما
رقم في ثوب فذلك لأنها
ليست مقصودة في
نفسها وإنما المقصود
الثوب الذى رقت فيه .

فأقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين التأخر عن الباء قديما قتره عن الالتفات إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فماله من هاد - ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كية وهو إلى الآن لم ير غيره فليقتل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليقتل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من المبارات وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة وعفوفة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدة والقلب والورقة فليقتل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في الصالحين من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخل تحت التغيير بل يجب للصفات من نوت القدم ما يجب للذات فلا تتغيره التغيرات ولا تحل الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمعامد الصفات ولا يزال في أبدنه كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ولا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبتت تحت الحدوث للأجسام من حيث تترتب فيها التغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل خلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليقتل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به - وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع فذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس كان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تملكت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللاتمة بها على وفق سبق العلم الأزلى إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث إرادة يغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلم حى بحياة قادر بقدره ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قاتل ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قاتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

فليجوز انفسكاكه عن العلوم وانفسكاكه العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لخالقه له سواء ولا يحدث له إلا بإياه خلق الخلق وصنعمهم وأوجد قدرتهم وحر كتهم لجميع أفعال عباد مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسرنا قولكم أوجروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر البعاد بالتحرز في أفعالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم لعلهم بما أراد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل البعد وقدرته تامة لا تصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان البعاد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها لما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من النكبات والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انقردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات هيئات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حر كات البعاد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والقدر جميعا وخلق الاختيار والاختار جميعا فأما القدرة فوصف للبعد وخلق للرب سبحانه وليس بكسبه . وأما الحر كة فخلق للرب تعالى ووصف للبعد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحر كة القدرة والعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للبعد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات للملكية وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاتصاف في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وقدرة البعد على وجه آخر من التعلق بغير عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزلة قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصل بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس محض ما يحصل القدر بها . الأصل الثالث : أن فعل البعد وإن كان كسبا للبعد فلا يخرج عن كونه مرادا لمسيبانه فلا يخرج في الملك والملكوت طرفه عين ولا فئة خاطر ولا فئة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيته ومنه الشر والخير والنفع والضرر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والتوبة والرشد والطاعة والعصيان والترك والإيمان لأراد لقضائه ولا مقب لحسكه يصل من يشاء ويهدى من يشاء - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرها ولا يريد بها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لئنه أقنع أنه عدو لمسيبانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليتشمري كيف يستجيز السلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسه زعيم ضيعة لاستكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستكف من زعامته وتبرأ عن ولايته وللصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند البدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهاظر أن أفعال البعاد مخلوقة لله صبح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد وأمر بما لا يريد

فان قيل لما بال الثياب رخص في محاسنها بالتصوير وذات أنواط في الصرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لأجل اجتاعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل للنحوته والأصنام ولو كان ذلك ما سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حق أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبت قد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ولم يبدوا ما تحت على شكل النبات فلم تعبد من هذه الإذات روح فما أبعد عن در كهان حرمة الله تعالى إياها فله الحمد وهو أهله .

[بيان أصناف أهل]

[الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد

المجرد عن تحصيله بالعلم

وتوثيقه بالأدلة وشده

بالبراهين قد انقسموا

في الوجود إلى ثلاثة

أصناف أحدهم منصف

اعتقدوا مضمون

بما أقرّوا به وحشوا به

قلوبهم من غير تردد

ولانكذب بأسرّ وفي

أنفسهم ولكم غير

عارفين بالاستدلال

على ما اعتقدوا وذلك

لفرط بدم وغلظ

طبائهم واعتياص

طرق ذلك عليهم ويقع

عليهم اسم اللوحدين

ونعمتنا وجوداً لهم

كثيراً على عهد سيد

الرسلين صلى الله عليه

وسلم والسلف الصالحين

رضي الله عنهم ثم لم

يلفتنا أنه اعترض

أحد إسلامهم ولا

أوجب عليهم الخروج

منه والعروق عنه ولا

كلفوا مع قصور فهمهم

وبعدم عن فهم ذلك

بسلم الدلالة وقرارة

ترك البراهين وترتيب

الحجاج بل تركوا على

مام عليه وهؤلاء

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان محمد أو لو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الوجوب والأمر والنهي وكيف يهدف لإيجاب أو تضرع للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم إذ بعد سبق العلم لا يتمن وجود العلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه إذا لم يضر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلاء ويرتضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فإني في ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال الله وقساؤا ذلك فقالوا ربنا ولا تعملنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباهل لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجل إيلام الخلق وتميزهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يبدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صاب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم تقدمها جرمية . فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشيها على آلامها قد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسئلة نرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائة مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفضت منزلة على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتنى في الصبا فكان يجب عليك أن تدبم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلك فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر للمعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادي الكفار من درجات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فعلا أمتنا في الصبا فاننا راضينا بعبادون منزلة الصبي المسلم فماذا يجب عن ذلك وهل يجب عند

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل هما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره . إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستتبع قتل الشخص أو إلباؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من محاسبة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بمخاتق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منابر أسمى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بل محباب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يغلو إما أن يوجبها للغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العيب وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يغلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سياتي وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسيئه وليس في السأل إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد ذل من أخذ هذا من القياسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر للكلف فيه فاذا قال الكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أذي ذلك إلى إقحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من اللواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورأى ولا ألتفت ورأى ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المهرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلككم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ البين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر التوقع فان العقل لا يهدي إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بشة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية الفاسدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندى معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدتهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
بقوله سبحانه لا يكلف
الله نفسا إلا الوسعها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات محال
وسنبدى لك طريقا
من الاعتبار تعرف به
صحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والصنف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
النطق واعتقدت مع
ذلك أنواعا من الخائيل
قام في غيبتها أنها أدلة
وطأتها براهين وليست
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصنف من يزعم
عليهم تلك الخائيل
بالصدق ويظهرها
عليهم بالمعارضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أصفوا لما يأتي
به ويرفضوا إلى أن
يجابوه لما يحملهم
عليه من سوء الفهم
أو رداة الاعتقاد

وعندهم أن جمع تلك الحايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر الطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقموا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يجرؤوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يسر اغلالها أو يقموا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعليها من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يقع بدونها وإلا حصل له ذلك قويا به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح منه إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتيسيح الحمى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تعدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة نهّدوا لسيده ونبيه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضة بعث القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير محارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما يحجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك الدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مها قال للملك إن كنت صادقا قم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السميات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافاء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحبني العظيم وهي رميم قل يحبها الذي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول. الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك يمكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء البيت وعدم معاناة السؤال له فإن النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام والذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تيسيح الحمى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمخطوط رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير التي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذب والجرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة خاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أتتني في بيت المقدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام قلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الشرح به قال الله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإنّ المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : اليزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع للوازن القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا يحسب درجات الأعمال عند الله تعالى قصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مستثلون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعوا إلى مفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - قوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ الاستحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كاهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أننى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا مناصرة من معاوية في الامامة إذ ظنّ على رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالمسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون للصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو غمصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عبد الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلو لا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الله كورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الوصفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطيف وإنما يهلك من لا بلغه له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابهة ممن جاء بمضرة بدعة ومموم كفر فلا تنهل عما يشار لك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله للستمان وقلم بين الصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا . والصنف الثالث أقرؤا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والنظرة واليقظ مالم ينظروا لملوا ولو استدلو

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانقياد إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يلحق المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يخوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي بينى قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الأقضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البقي في بلادهم لميس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فناعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومبينا لرهط البدعة فآله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قليل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب السكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنجهج الآن على التصريح بالحق من غير ترجيح على نقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لقوى والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أى بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والاقبياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والاقبياد بالجوارح فوجب اللغة أن الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أثر في أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليبه توكلوا إن كنتم مسلمين - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس ^(١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ^(٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالْحساب وبالقدر خيره

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحبوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد أن تؤتوا حنما من اللحم .

لثقة قوا ولو طلبوا
لأدر كواسيل المعارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة ومالوا إلى البدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقلوا الأعمال
الموصلة إليه وقنوا
بالقعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البداية
ويرد في حالم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تمهيد آخر ليس هذا
مقامه والانتفات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف التكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفريق بين
بلد ومتيقظ وفطن
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولمك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحق لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

وشره فقال لما الاسلام، فأجاب بذكر الجهاد الحسن (١) « فغير بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « وأما التداخل فمأروى أيضا أنه سئل « قيل أى الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) « وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إمام القلب وإمام اللسان وإمام الجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لها على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم يعنى محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لم يس غير يعنى بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل السمين وأما التداخل فوافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيته بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للسكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص يتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعى، والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودنيوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب لقرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل قال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير قال رجل يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخارى منهما ، وله تعليق من حديث

الحياة واللوث والعلم والجهل وسائر ما له من الصفات. قلنا فلتنصح ذلك في الصفات التى هي أعراض قد لا يصح في الأوصاف التى هي أحكام الإيمان والكفر والمداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشبك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم للفرقة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالفا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه الفرقة للشرطة في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم الموالى بقول من جعل المعارف

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية ولم يتمرخوا على العبارة على مواضع العلوم والأفهام إذا نبهوا عليها وتلطف بهم في فهمها بالزوال إلى ما ألقوه من عبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الفية ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نسيه أو رآه فنتبه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف النطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فنحن هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو محلد في النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للشيء العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم للعاد والسبب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به (١) » وينكر على للمعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتزيد وتقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثم مات فهل يغفل في النار فإن قال نعم فهو مراد للمعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطاً في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وماعده تلك الطاعات التي تركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي بارئها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصبر إليه صائر أصلاً . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل قول مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى وهذا ما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يغفل في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمرهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كاستناعه عن الصلاة وتقول هو مؤمن غير محلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا يعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وإبداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة للرجة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلاً وقالوا إن المؤمن وإن عصي فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متمم بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحداً إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق قلبه فلانشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه عجل في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه علينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه وفيما نشك في أمرناك وهو الحكم الديني فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستغنى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أن نكبح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ومحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يعمل له ذلك للميراث ويؤمره إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» وليس هذا مانقضا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهية ظنية تبقى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفصح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فإشبهة للمعزلة والرجة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما للرجة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً - وقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله - فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء - قوله كلما أتى فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من أتى في النار مكذباً ولقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانصيع أجر من أحسن عملاً - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يضر أن يضر بك ولا يضرك أن يضر الله فانه نار جهنم لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسيط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يغلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصاً معيناً أيضاً وقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها - أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تعذيب العصاة البخاري من حديث أنس بصين أقوام سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتي في ذكر اللوت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه تأس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من التكلمين أيضاً أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للضرورة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل القلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقب الزلف ما ينبغي فيها بذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تنمة ماجرى فلنعلم أن ما منهم صنف الأول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأقصى الحالات لهم أن يستبد أحدهم جميع أركان

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من التكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبهم قوله تعالى - وإني لفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والصبر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتما مقضيا - ثم قال - ثم تنجي الدين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها - وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى - ويضرب ماديون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغيرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضيق أجر من أحسن عملا - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا - أي لإيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد يقال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فإيمناه . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التبيعات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدائها التصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بدمه وبقي الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »^(١) والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للماجز لا تقطع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فان قلت قد انفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول لما ذكره حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد ببلحيته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالر كوع والسجود بل تزيد بالأدب والسنن فهذا صريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فالاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا للداهنة ولم نكثر بتشبيب من تشعب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانسراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشدد وتقوى وتارة تضعف وتترخي كاعتقده على الحيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والتبدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استزاله عن اعتقاده بأدنى استئالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في تمام هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في تمام الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيمانا - وقال تعالى - ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «الايان يزيد وينقص»^(١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعلاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليقين معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده لمسه رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك يعتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع النجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالمقالات والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة للدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب للدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودفقه بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رقى الزجاج ورفق الحمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وترجع إلى القصور فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم للكاشفة تتلاقى كل ساعة على علوم للعامة إلى أن يكف عنها بالكشف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه: إن الايمان ليدولمة يضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدولمة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الحتم وتلاقؤه تعالى - كلا بل ران على قلوبهم - الآية. الاطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الايان بضع وسبعون باباً»^(٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخص زيادته وقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه. الاطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وأشرار الصدر والشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان وقصانة حق

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب للحمي يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الهرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدانها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها قد كرهه ورواه بلنظ المصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاة ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو اسلام
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويقي الصنف
الثالث على محتملات
النظر كما نهناك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الاقتصار على
الوجود الفردي والوجود
ووصف آخر معه مع
الخلو من اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالتقدمون من السلف
لم تشهر عنهم في صورة
للشبهة ما يخرج صاحب
هذا المقد عن حكم
الايمان والاسلام
وللتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الافرار بنيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعيان
وضغفاء النساء والأبناغ
على هذا بلا مزيد عليه
لوسئلوا واستكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أو بقاء أو كلام

أو ما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هي هو ولا هي غيره
ربما وجدوا مجهولون
هكذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووجدانيته مع الاقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والنبي صلى الله
عليه وسلم قدر فع
القتال والقتل وأوجب
حكم الايمان أو الاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتقد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضي
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى الدنية
من غير نظر ثم معنا
عمن قالها في صدر
الاسلام أنه لم يعلم بعدها
إلا فرائض الوضوء
والصلاة وهيات
الأعمال البدنية
والكف عن أذى
السلم ولم يلغنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولاهل الله
تعالى عالم يعلم أو عالم
بنفسه وهو باق يقاوم
أوباق بنفسه وأشباه

وكيف لا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لا اختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مسئلة) فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يعتقدون عن جزم الجواب بالايمان ويعتزون عنه فقله سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كأن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزيننا أو صميا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن مؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا عمل في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك مؤمن أنت قل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لعقمة مؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فامضى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمة أو كاله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تركية النفس قال الله تعالى - فلا تركوا أنفسكم - وقال - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء للره على نفسه والايان من أطي صفات المجد والجزم به تركية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها قل من عرف التركية كما يقال للانسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تركية نفسه فالصفة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للزوم من لوازم الخبر وهو التركية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لأحالة وأنه شاءه ولكن للتصود تلميحه ذلك فتأدب رحول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك إن فلانا يموت سرعان تقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومنه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى تقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فاقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما للمؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالمهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال **عليه السلام** « الإيمان عريان ولباسه التقوى » ^(١) الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان يضع وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحقيقى فقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان وإذا خاصم فجر » ^(٢) وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والصديد فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها » ^(٣) وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبته » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها » ^(٤) وفي حديث « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا » ^(٥) وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات » ^(٦) وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة للناققون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكلاه وهو خفي . وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك للناققون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبئت للمناققين أذنان ما قدسرت أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في السلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبي موسى وسليمان في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها مناققا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة للناققون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

سده المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معاند أوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتحمل ما زاد على معانده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عبر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من لا إله إلا الله دخل الجنة ولملك يقول قد قال في مواطن أخرى إلا يحفظها ثم يقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكلاه من حقها ثم من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يستفدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها فبغير مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر وهذا وأمث

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من المثال إلى القدرة والحركة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط لها يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم الرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لافي الأعمال فان قلت فان من الناس وأمة الطلاء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب وبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدا له أنه تسبب إلى ما يظهر له من تصويره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا أثر من حسه الزكون إلى ما رأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أرايت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تسكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جملته اللهذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من تلاح الأرض ذهابا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إنني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن للنفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سبعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرقت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم قليل له آخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يعتسبون» (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غطاه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في النفاقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر خفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض قلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكاله وصفاءه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويأحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو يتقصر من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لا يغلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع : وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتعة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو مثل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرايت لو كان حاضرا أ كنت تسكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشامل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لم أعلم ..

السام ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا سام قطعا فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على الحمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان وصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القنينة السابقة والشبهة الأولية التي لا تظهر إلا بظهور القضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر يخوف الجماعة تكوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي السابقة بمعنى أظهرتها . وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحاتمة نموذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالأقراء . وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لا خرت للوت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لا أدري ما يمرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»^(١) وقيل في قوله تعالى - وتعت كلمة ربك صدقا وعدلا - صدق لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فمهما كان الشك بهذه الثابتة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الدمة وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الدمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصحمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو القبول والقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا الرب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع المبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلتطف بعباده فتصدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرايرهم أنواره وألطفه، وأعدّ لظواهرهم تطهيرا لها الباء المخصوص بالبرقة واللطافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجبنا بركانها يوم المخافة ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بنى الدين على النظافة»^(٢) .

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بن الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا ما كان الإسلام نظيفا والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان .

ولم يدل عن مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يقولوا اسم الكفر عليهم ثم يرضوا على الاستنابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه وقص ما قالوا إليه فلترجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكمتا بصحة إيمان أهل الحالة للذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه تصديقهم عن إيصال الصدر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا بما وراء ذلك فان أمكن ردم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهرنا النع عن الإصلاح والرجوع

بالعبودية للؤلؤة دون
قتل كان ذلك وإن
قالوا بالموت لم تقصرهم
في اعتقادنا عن أرباب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالتأجي
والهالك من خلقه
والطبع والماضي من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بين
الرفقة والرحمة ولم
يدخل بين الله عز وجل
وبين عباده فيما ناب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
- ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه
مستولاً - . فإن قلت
وإن أنت من تكفير
كثير من الناس لجميع
أهل البدع عامة وخاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرة
« إنهم مجوس هذه
الامة » وقوله صلى الله
عليه وسلم « مستغرق
أمتي إلى ثلاث وسبعين
قربة كلها في النار إلا
واحدة » وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » وقال الله تعالى - فيرجال يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان »
عمارته الظاهر بالتنظيف بأفاسة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإيقائه مشحوناً بالأخيات والأقذار هيئات
هيئات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخيات
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق للذمومة والردائل المقومة . للرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن نعمل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل
ماسوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعا
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
الحمودية والعقائد الشروعية ولن يتصف بها مالم يتظف عن شائضها من العقائد الفاسدة والردائل
المقومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة السالية إلا أن يجاوز الطبقة السافرة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات الذمومة وعمارته بالحمودية مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
للذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارته بالطاعات وكلما عزّ الطلوع وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن
أن هذا الأمر يدرك بالمنى ويتل بالمهوى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالتشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب الطلوع فصار
يعمن فيها ويستقصى في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب البياض الجارية الكثيرة ظنانه بحكم الوسوسة وتغيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهيلهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواضاً من ماء في جرة نصرانية وحسب إنهم
لما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع الحديثة ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات
ومن كان لا يجمل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرزون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فتدخل أصابعنا في الحصى ثم نتركها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت . من حديث علي قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فتدخل أصابعنا في الحصى الحديث . من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة .

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا القمح مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البدع بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع للناخل والأشنان والوائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النملين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتن نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا خلعت النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يعيشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيين الظواهر كفعل الناشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والتفاخر ولا يستكرونها ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو طوى بوارى للسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو توشا من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقدوس وأخرجوه من زميرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البدأة التي هي من الإيمان قذارا والرعونة نظافة فانظر كيف صار النكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المخطورات أو للنكرات . فأقول حاشا لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقتع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقرن بها أحوال ونيات تاجفها تارة بالمعروفات وتارة بالنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بنى الدين على النظافة » حتى يشكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المخطور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يحصل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لولم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا ينفع فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يحدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجة نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلعت نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يقرءون من الدين كما يقرء السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالإطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام التقيين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يقرءون من الدين كما يقرء السهم

من الرمية قد قال
متصلا بهذا القول
وتناري في الفرق وما
موضع هذا التماري
من المثل الذي ضرب به
فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإلى
أراك تلاحظ جهة
وتترك أخرى وتذكر
شيئا وتذهل عن غيره
عليك بالعدل تكن
من أهله واستعمل
التفطن تشاهد
العجائب للعجبة
وتسهم قول الله
- وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس
ويكون الرسول
عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان
الاعتقاد المجرد عن
العلم بصحته ضعيفا
وتفرده عن المعرفة
قريبا من رآه ألقى
عليه شبه القشر الثاني
من الجوز لأن ذلك
القشر يؤكل مع ماهو
عليه صونا وإذا انفرد
أمكن أن يكون طعاما
للحجاج وبلاغا للجائع
وبالجملة فهو لمن لا شيء
معه خير من قدحه

بصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر
وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي
للباطل أن يترك النظافة وينكر على التصوفة ويزعم أنه يشبه بالصعابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ
إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تشرح لحيتك؟ قال إني إذن لغارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا
للمتعلم ولا للعامل أن يضع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصار
تقصير في الفصل قد كانوا في العصر الأول يصلون في القراءة البدوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة
والبدوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظركم في استنباط
الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرباء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي
معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى
هذا الاسراف فالتأخر إليه معين له على الاسراف فكانوا يمدون حمام الذهب لاستنباط مثل هذه
الرقائق لافي احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة
إلى التساهل خير وذلك العامى يتنفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل الباح في نفسه فيمتنع
عليه للمامى في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار
ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى عفوظا عليه وأشرف
وقت العامى أن يشغل بثلثه فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال
وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها
إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها
أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأننا في الشطر
الأول من الكتاب لا نتمرض قصد إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والختان وغيره .

(القسم الأول في طهارة الحبث والنظر فيه يتطابق بالزوال والمزال به والازالة)

(الطرف الأول في الزوال)

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الحجر وكل
متبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت
فكلها نجسة إلا خمسة الأدبى والسماك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة
وكل ما ليس له نفس سائلة كالدباب والحفشاء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ مناهيه وأما أجزاء
الحيوانات فقسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس .
الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللحاح
والخاط وما له مقر وهو مستحيل تنجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث
والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعني عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :
الأول أثر النجوس بعد الاستجمار بالأحجار يعني عنه ما لم يعد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث
في الطريق يعني عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب التلطيح به إلى
تفريط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الحنف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعني عنه بذلك الحاجة .
الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا تجاوز حد المعادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيره فلبسته .
الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضى الله عنه برة على وجه

فخرج منها الدم وصل لم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدمايل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يغسلها الإنسان عنها في أحواله ومسامحة التبرع في هذه النجاسات المحس تترك أن أمر الطهارة على التسهيل وما اشبع فيها وسوسة لأصل لها .

(الطرف الثاني في الزال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما اللامعات فلا تزال النجاسات حتى منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من ما سبق وخمين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم يتنجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ للماء قلتين لم يعمل خبثاً»^(١) وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة الجارية للتغير نجسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفاوتات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقتها من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة لما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذا الحاجته مائة إليومئذ الوساوس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لمعمرى سبب للشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله وما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والدياسة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يبول إلا على عدم تغير الماء وإلا فتجاسة النصرانية وإنائها غالباً لم يظن قريب فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إسداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأناء للهرة^(٢) وعدم تقطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل القارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنائر فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلقى الماء النجاسة بالورود عليها أو يورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة للحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإحانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد وليت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يعمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إسداء الأناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل للفرقة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التطييل والكفر ومن ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج والتكر . [بيان أرباب للربة الثالثة وهو توحيد للقرين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه وللأساك التي يصبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بمحصوله كإقذاره العز بن العليم واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في حين ذلك التوحيد وقته وحقيقته وكيف يتصور للساك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

والحد الثالث في غمرات ذلك التوحيد وما يلحق أهله به ويطعون عليه بسببه ويكرمونه به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بثم الأنياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناه وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وإياه عني رسول الله

شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجسى إلى أن يجتمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يشترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل لتبديل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الحالية يتوضأ فيها المتقشفون ويضمضون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير بمولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ريحه » (١) وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقبل إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في الملعقة فيستجبل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلية عنه فكذلك الحبل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بقلبه طعمه أولونه أو ريحه فهذا للميار وقد أشار الشارع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يظلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الفسالة وفي الماء الجاري وفي إصفاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك غفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاق له نجسا ولا ينجس بالفسالة ولا ببولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم ولا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقبله إلى صفة نفسه كما يقال للملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي يتقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويضمضون الأواني النجسة فيها ثم يرددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا يتقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهنا من سيرة الأولين وحسب المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيها وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكيمة وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت غيفة فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا أن يلائق به فهو معفو عنه بعد الحلت والقرص أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يفي عنها إلا إذا كان الشيء رائحة فائحة يصير إزالتها كالذلك والمصرمرات متواليات يقوم مقام الحلت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير نونه أو طعمه أو ريحه . من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء . من حديث أبي سعيد وصححه غيره .

« من مثل عن علم
فكتمه ألجم يوم
القيامة بلجام من نار »

وجميع ذلك محصور

في اثنتين العلم بالعبرة
والعمل بالسنة وهما
مبينان على آيتين
الحرص الشديد والنه

الحالة والمراف

عصليما اثنان نظافة

1911

البيان

الجوارح ويسمى

جميع ذلك بعلم المعاملة

وأما الحد الثاني فالكلام

فیه اکثر ما یکون علی

طريقة ضرب الأمثال

فصلها بالرمز قارة

والتصميم على أخى

۱۰۰

والسبحان من لا يلهي عنه العرش يومئذ ثلثة

بجانب علوم الفقه والشرع

ولكن يشرف بك

للبيب الحاذق على

بعض المراد ويفهم منه

كثيرا من المقصود

بمكشوف له حل:

ما يشاء الله انما كان

المجلس

مجلس الشورى

جیدا من هو۔ اہوی

ظیفاء من دنس

التقليد ، وأما الحمد

ثالث فلا سيل إلى

کر شود منہ الامع

الحمد لله رب العالمين

10

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول قائماً فلا تصدقوه ت ن . قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائماً فقال يا عمر لا تبول قائماً ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائماً الحديث متفق عليه (٤) حديث قال في البول في القنصل عامة الوسواس منه أصحاب المتن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت وإسناده صحيح (٥) حديث رضى اللاء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن . من حديث سفیان بن الحكم التقي أو الحكم بن سفیان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم في قواعد القوائد .

سبيل التذكار لاطى
التعليم إنما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه عرض النصح
للخلق واستفادهم من
غمرة الجهل والتكيب
بهم من مهاوى العطب
وقودهم إلى معرفة هذا
القام وماوراءه مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأكبر وفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السعادة فمن عجز عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالغالب عليه
الوصول إن الله لا يضيع
أجر من أحسن عملا
ومن وصل شاهد ومن
شاهد علم وذلك غاية
الطلب ونهاية الرغبة
والحبيب ومن قصد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله المجاهدين على
القاعدين أجرا عظيما
ومن غاب لم تنفعه
الأخبار ولم يفده
كثير من الأحاديث
وأبضا فان الأخبار
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحبك نعمن الحراء قال بلى وأيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد اللدر
وأستقبل الشيخ وأستدير الریح وأقوى إقواء الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ ثبت طيب الرائحة
بالبادية ، والإقواء هنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يقول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فصل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليعين للناس ذلك .

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لمعدته بثلاثة أحجار فلان أنقى بها كفى والاستعمال بها فان أنقى استعمال خامسا لأن الإقواء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم القعدة قبل موضع النجاسة ويمر بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر
كذلك ويمر به إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فان عسرت الإدارة ومسح
من القدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويمر به اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل للمسح فان حصل ذلك بمرتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصاد على
الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمين على محل النجوة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك
الاستقصاء فيه بالعرض للباطن فان ذلك منيع الوسواس ويعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فمظهره أن
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن
فرجى من الفواحش ويدلك يده بمحاطة أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب قد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم قالوا كئنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدىء
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهمكم طرق القرآن فطيوها بالسواك (٤) »
فينبى أن ينوى عند السواك تطهير له لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر
فليوتر متفق عليه فى حديث أبى هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن
يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف
ورواه ك وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر
وقول النووي بما لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر فى أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم
(٤) حديث إن أفواهمكم طرق القرآن أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه موقوفا على
وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم
فى كتاب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك وصححه والبيهقى وضعفه من حديث
عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» (٢) أي صفر الأسنان «وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا» (٣) وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: «لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء» (٤) وقال عليه السلام «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «أبى طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلم» (٦). وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بغضب الأراك أو غيره من قشبان الأشجار مما يخن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولاً، ويصبر فمضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبها وعند تغير النكبة بنوم أو طول الأزم أو أكل مما تكره راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى» (٧) أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإماء ويقول اللهم إني أنسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث واستباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتضمن بها ثلاثا ويغترغر بأن يرد الماء إلى الفلصة إلا أن يكون صائغا فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الله كركك ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي راحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه التزعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشهور الأربعة الحاجبان والشاربان والمذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والمذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم المنفقة حكم اللحية في الكثافة والحقة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب دوالقوى من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند دت وصححه أن يزيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكها على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت من حديث سعيد بن زيد أحد الثمرة ونقلت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب.

والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف الخطاب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لقراءة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه في منازل الرضة وبسده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود والألوفة ومبايسته لكل ما نشوا عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعهولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يعمل عليه مثل كما قال عز وجل : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحكى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم يكشف له شيء من علمها وحققها

من اللحية ويدخل الأصابع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل ويتقيهما قد روى أنه عليه السلام فعل ذلك (١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويغسل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يمسح يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الحاتم ويغسل الغرة ويرفع الماء إلى العضد فاتهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليطعمه (٢) » وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء (٣) ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبي حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن ييل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى اليسرى ويضمهما على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل ميسبتيه في صاخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من النمل يوم القيامة (٤) » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يمسح رجليه اليمنى ثلاثا ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويغتم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء نفع على وضوئه غنام ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « تواضعا عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأسأ (٥) » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يتعدون في الدعاء والظهور (٦) » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الظهور (٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد الملقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليطعمه أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من النمل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث تواضعا ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أسأ وظلم دن واللفظ له و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يتعدون في الدعاء والظهور د . وابن حبان وك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلا .

في الدنيا وإضافا لوجاز الاخبار بها الغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد وينطرق إلى به من أهل الغفلة وذوى القصور رجوعا وتبعد فلهذا أمرنا بالكم إشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تعذبوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرج قول الشافعي إفشاء سر الرواية كغفر رزقنا الله وإياكم فلويا وإعية الخير إنه ولي كل صالح وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه في كتب الرواية والتراية ومثلت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير محبوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يتعلموه والطماء

إن أول ما يتبدى الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضجك بالناس في الوضوء يقال له الوهمان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن ياطم وجهه بالماء لطماوكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه ^(١) » وروى عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ^(٢) » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء للشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال بهنهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجسيس ظاهر الباب البرانى من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للعنت واليوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيها ما غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات ^(٤) » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ^(٥) » وقال عليه السلام « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء ^(٦) » وقال عليه السلام « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ^(٧) » وقال عليه السلام « الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيها غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيها ود من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطنى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يذلوله ويسلموه فلانريد فيه ههنا قولاً ولما كان حكم الحد الثالث السكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعد إلى محدودات الشرع فلئن اللعان إلى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فتقول : أرباب المقام الثالث في التوحيدوم القربون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجملة فسكاهم نظروا إلى المخلوقات فأروا علامات الحدوث فيها لائحة وعابوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة ومعموا جميعها تدل على توحيدده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم ، وشاهدوه بغير أرواحهم ولا حظوا إجلاله وجماله بغير أسرارهم وممع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم فى اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته

واقسامهم في تلك
للعرفة كاتهام حفاظ
تلاوة القرآن مثلاً فمن
حافظ لبعضه ويكون
ذلك البعض أكثر
أو كثيراً منه دون
كأله ومن حافظ لجميعه
لكنه متلبم فيه
متوقف على الانهماك
في قراءته ومن حافظ
في تلاوته غير متوقف
في شيء منه وكلهم
ينسب إليه وبعد في
الشهد والغيب من
أهله وكذلك أهل
هذه الزمة أيضاً منهم
متوصل إلى العرفة
من قراءة صفحات
أكثر الخلوقات أو
كثير منها وربما كان
فيما يقرأ من الصفحات
ما يفي عليه ومن قارى
جميعها متفهم لها لكن
بنوع تعب ولزوم
فكرة ومداومة عبدة
ومن ماهر في قراءتها
مستخرج لرموزها
ناقد البصيرة في رؤية
حقيقتها مفتوح السمع
تناطقه الأشياء في
فراغه وغفله وبحسب
ذلك اختلفت أحوالهم
في الخوف والرجاء
والقبض والبسط

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشجار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشياً إلى المسجد وصلاته نافلة له^(١) » وروى « إن الطاهر كالصائم^(٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً إذا كرا مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبع على ما قبضت عليه .

(كيفية الفسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثاً ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا لا يغسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثاً ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ثم يدلك ما قبل من بدنه وما أدبر ويغسل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعمد معاطف البدن ولتيق أن عيس ذكره في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الفسل فلا يعيده بعد الفسل فهذه سنن الوضوء والفسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من الوسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الفسل أمران النية واستيعاب البدن بالفسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والفسل الواجب بأربعة بخروج المني والتقاء الحثائين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كفصل العيدين والجمعة والأعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتاً فكل ذلك مستحب .

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبغ أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعلطه أو لعلطش رقيقه أو كان ملكاً لغيره ولم يعبه إلا بأكثر من ثمن الثلث أو كان به جراحة أو مرض أو خاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت القريضة ثم يقصد صعيداً طيباً عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د . من حديث الصائغى إسناده صحيح ولكن اختلف في محتمو عند م من حديث أبي هريرة وعمر بن عبد الله بن عاصم مختصراً (٢) حديث الطاهر التام كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر التام كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عتبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والثيلة من رواية عتبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال القبار إلى ماتحت الشعور، خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بهرة وجهه بالنبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يابصق ظهور أصابع يده اليمنى يطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن السبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقبض بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمررها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويغسل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى الرقبتين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به القرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم الثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم .

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نوعان أوساخ وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسبة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الفرس والقمل فالنظيف عنه مستحب بالفصل والرجيل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ورجله غيا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غيا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أي ليصنعها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالمع . الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات اللصقة المتسقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القاع فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالفصل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهي سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ورجله غيا الترمذي في الثمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثمائل أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غيا (٢) حديث ادهنوا غيا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند دت ن من حديث عبد الله بن مفضل التهي عن الرجل إلأغيا بإسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل نازر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث دت وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق تملأه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطولاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الثمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند دت .

والقناء والبقاء ، ولا مزيد على هذا الثالث فهو أصلح لدوى الأفهام من نفس النهار وقت الزوال وعلمت لم يمت أهل هذه للربة مفرين فذلك لعدم عن ظلمات الجمل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند السامعين لها في هذا الفن إحدى الحالتين عجم البصرة وانطاس القلب والحلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا عبدا مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والنزل الواجب وموضع العبادة والأنس والاقطاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الاتقاراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتغال القلب واتساح الصدر بنور اليقين وللربة

وكان على عريض اللحية قدماء ما بين منسكيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها «اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم^(١) » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدرية نفوسهم ويحمن صورته في أعينهم كيلا تستغفره أعينهم فيفترهم ذلك ويتعلق المتأقنون بذلك في تفيهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب غرة الناس عنه والاعتقاد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالترزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة البالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتليس غير راجع عليه بحال وكمن جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، فقد ذلك تتميز السيكة الخالصة من الهرجة فتعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لا تسكر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الفضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم^(٢) . السابع تنظيف الرواجب^(٣) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهي رهوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها القراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق المانة أربعين يوماً^(٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار^(٥) وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قاله كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجكم وقلحاً لا تستاكون مرأتمك بذلك^(٦) » والأف وسخ الظفر والتنف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجكم ولا بن عدى في حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا تواضاً ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم (٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل قليل ولم لا يبطئ وأتمم لا تستنون ولا تقلحون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنظفون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق المانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من حديث وابصة بن سديد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألت عن الوسخ الذي يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل قاله كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا حديثين

والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة والاهو ولكنه يدل على أنه لم يصل لملك يقول أرى بعض أئمة الكلام عن حقوق هذا المقام كأن لم يضربوا فيه بسهم ولم يفر قدسهم منه بحظ ولا سهم وأرام عند الجمهور في الظاهر وعند أنفسهم أنهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق إلى مرادهم ومحاهدون أرباب النحل المردية والللال الضالة المهلكة وقد سبق في الإحياء أنهم مع العوام في الاعتقاد سواء وإنما فارقهم بإحسانهم حراسة عقودهم . فاعلم أن ما رأيت في الإحياء صحيح ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين إذا كانوا منصفين وهو أن التكمين من حيث صناعة الكلام قطع لم يفارقوا عقود العوام وإنما فارقهم بالجدل عن الانغماس والجدل علم لفظي وأكثره

تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تأذى بها كما تأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم بنس البيت بيت الحمام يبدى المورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لقائده ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فحليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس القخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسواة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقبيس التحريم إذ الحلق مس السوائين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية المورة أعنى القخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يضرب بصره نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن التهي عن النكسر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا الخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكس حراما يرهق النكسر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لابد من الذكر فلا يغفلوا قلب عن التأثر من جماع الانكار واستعمار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقييد الأمر في عينه وتغيير نفسه عنه فلا يجوز تركه لمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تغلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يمدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالمورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تحلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أغضب رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزار بين إزار للمورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن فحشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لاجل دنيا ولا عايشا لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب تزيينا للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجبول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد المومنين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجلاه اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الحبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الحائض أو ينكف تحلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاجين للمورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكور للنظر في المورات ثم لا يغلو الإنسان في الحركات عن انكشاف المورات بانسفاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه ، ويفصل الجناحين عند الدخول ولا يجعل بدخول البيت الحار حتى يحرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه للأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مشقة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبض إلى جهنم فانه أشبه بيت جهنم النار من تحت والظلام من فوق فعوذ بالله من ذلك ، بل الماقل لا يفضل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان الله ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دار معمورة مفروشة فاذا تقدمتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وهوى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشرة الشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والثث وشاع في حال النضال إيراد التقطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والقام للشار إليه بالله ذكر وشبه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم للضارح للضرورة بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من القيوب ومن أين لتنازل على النازل ومال العالم الكلام مثل هذا القام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والدار في أوقات الضرورات والاختيار

والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكري للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة غثيفة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة للقيام في الدنيا إلى مدة للقيام في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بافظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصفح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من التروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد قل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يسله انسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكاذه بما يخرج به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تصحمت بي (١) ثم منها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحدثوه هذا من جهة التبرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفى اللثة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بولة في الحمام قائم في الشتاء أنقع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تبدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يعمل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا تنصاء أو مريضه تدخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمنزلة سابع ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على الكروه .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل القوابل على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بن عبد العزيز (٢) حديث لا يعمل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمنزلة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللعامة من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال إلا زار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو تنصاء .

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام معلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب القمامات ووصف قه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وم مكفيون المؤنة والعامه أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذى بلفة من الميثى فكيف إن كان عن غناء وأيضاً فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الاتحاد والزيج لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء وللرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل الضاد والتمادى على التمسيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلييبا . الثاني شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «حفوا الشوارب وأعفوا اللحي» (١) أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها وخفاف الشىء حوله ومنه - ونرى لللائكة حافين من حول العرش - وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - إن يستكبروها فيحفكم تبخلوا - أى يستقصى عليكم وأما الخلق فلم يردوا الاحفاء القريب من الخلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربته فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال القيرة بن شعبة «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لى على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليه وها طرعا الشارب فعل ذلك عمرو وغيره لأن ذلك لا يستز القم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحي أى كثروها وفي الخبر «أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم» (٣) غالفوهم» وكره بعض العلماء الخلق ورآه بدعة . الثالث شعر الابطى ويستحب تنفقه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود تنفقه فى الابتداء فأما من تعود الخلق فيسكفه الخلق إذ فى التنف تعذيب وإيلام والقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالخلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحق أو بالنورة ولا ينبغي أن تأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها يستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء . لأنه لا يمنع وصول الماء . ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيا فى أظفار الرجل وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليط والزجر عن ذلك ولم أرقى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وأبدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت فى هذا خطرى من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذوالبصرة فقايتة أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هى الشجرة

(١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحي متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث القيرة ابن شعبة نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لى على سواك (٣) فى التماثل (٤) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم غالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانهم ويوفرون سبالم فقال قصوا سبالمكم ووفروا عثانكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والشهور أن هذا فعل الجوس فى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى الجوس أنهم يوفرون سبالمهم ويحلقون لحاهم غالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظفركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البداة فى قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والخنصر بإبهامها وفى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالي وشنع عليه به .

في كلتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتبدى بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمنى وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرية فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويقيم إبهام اليمنى فيختم به التقليل وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تشبه هنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الأخص على الأخص بأبواب الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تتكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فضله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تسرنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أقواله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يترد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الأقدام والتقديم فان الاسترسال مهما كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الانسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين ^(١) » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوتها بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يغلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجناف بالكحل وإنما خصص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للايتار واليمنى أفضل فهي بالزيادة أحق . فان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لسكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الرضوء ^(٢) وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق مراعاة صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر قسي بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا لليمنى

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد

ضعيف (٢) حديث الا يكتحل في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

وكما لا يقال في الصدر الأول قهواء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لئلا الجهل على أكثرهم فلو لا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات واقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخفاه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصعابة رضى الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهلهم ويرجع البلاد والعامه إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والبعوث لدعوة الحق عليه

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل للعالم له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشفر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الحنان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم « يا أم عطية أشمى ولا تنهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر زناء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقت الفضة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمين بتمتة مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها قليل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقبادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الحلقة ويطلق السنة الفاتنين بالبذاليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويحمله بين لحيته فان التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر المقل .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتثنيها وتصف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتزيحها تصفا لأجل الرياء وتركها شعثا إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجا بالشباب وإلى يابضها تكبرا بعلم السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبه بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الحنان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث عن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر : وغيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى يابض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر المدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم يؤكّد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مرآشدم وصلاحيهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بصامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم عمال الجاهير أكثر والخوف عليهم من الزينغ والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخطب بالسواد فنصل خضابه وظهرت خبيته فرفضه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولست عليهم شيئا ويقال أول من خطب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخطبون بالسواد كعواصل الحمام لا يريحون راحة الجنة » (١) الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب للسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » (٢) وكانوا يخطبون بالخاء للحمرة وبالخاء للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم فلما بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول الدعة يؤكد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكبر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فحق يذكركم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب قليل أهوشين فقال كلكم يكرهه » (٣) ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخلجه بضر سنة كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمارة مكة وقضاءها فأفحمه » (٤) وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تترنكم اللحى فان التيس له لحية ويقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخطبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب للسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله قليل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله ببيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة قليل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

الغلام يتعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك . وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحس من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجاهل يتبع به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رأيته يثنى خلف بشة الشافعي يا أبا عبد الله تزكت حديث سفيان بعلوه وثنى خلف بشة هذا الفتي وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت عثى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاني بعلوه أدركته بزول وإن عقل هذا الشاب إن فاني لم أدركه بعلوه ولا نزول . الرابع تنف يياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن ^(١) » وهو في معنى الحضاب بالسواد وعلة الكراهية طابقي والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بعضها بحكم الميت والموس وذلك مكروه ومشوه للخلة وتنف الفنيكين بدعة وهما جانيا الصنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحينه وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرء فن للسكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان تنفها سببها ملائكة يقسمون والذي زين بن آدم بالحي وهو من عام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شرح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يمرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فان له لحية إلى سترته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تنفصها كالنعية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحام كذب الحمامة ويرقبون نعالهم كالمنجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصديغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الحد وذلك بيان هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفلة لاظهار الزهد . التاسع والمائس النظر في سوادها وفي يياضها بين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس ^(٢) والمضمضة والاستنشاق ^(٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الباء قال وكعب يعني الاستنجاء قال مسعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبي د . من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواء عبد إبراهيم وقال للأصهار أمترون أن يذهب النار بالشاة والبعر فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وقفاء الأمصار وأعيان التكمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثاهم فاقصد تحذ وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم وتوق ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[بيان الرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين وأما أهل الرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود

على سواء قد كان بيان
شارات الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين فيها
خصوصا من المعرفة في
هجيرهم فكان هجير
أبي بكر الصديق رضى
الله عنه : لا إله إلا الله
وكان هجير عمر رضى
الله عنه : الله أكبر وكان
هجير عثمان رضى الله
عنه : سبحان الله وكان
هجير علي رضى الله
عنه : الحمد لله فاستقرى
السابقون من ذلك
أن أبا بكر لم يشهد في
الدارين غير الله سبحانه
وتعالى فلذا كان
الصديق وصي به كما
علمت وكان يقول
لا إله إلا الله وكان عمر
يرى مادون الله صغيرا
مع الله في جنب عظمته
فيقول الله أكبر وكان
عثمان لا يرى التزيه
إلا الله تعالى إذ الكل
قائم به غير معرى من
النقصان والقائم بغيره
معلول فكان يقول
سبحان الله وعلى
لا يرى نعمة في الدفع
والرفع والعطاء وللتع
في السكروه والمحبوب
إلا من الله سبحانه
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب^(١) وأربعة في الجسد وهي شف الأبط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء قد وردت الأخبار بجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للظاهرة
الظاهرة دون الباطنة فلتقتصر على هذا ولتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف
منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في ربيع المهلكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير
القلب منها إن شاء الله عز وجل . ثم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء
الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر العباد بطاقتهم وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السناء
الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في
السؤال والمدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وبيان السلاطين بفتح الباب
ورفع الحجاب فرخص للعباد في الناجاة بالصلوات كيفما تقلت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم
يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضمائم الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم
الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه
للصطفى ووليّه المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصايح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة
محمد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقداسة صينا في فنّ الفقه في بسيط المذهب
وسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة
للفنق منها يستمد ويعول لها إليها يفرغ ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه
من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص
والنية ما لم تجر العادة بذكره في فنّ الفقه، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل
الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة
منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس :
في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها .
(الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى
يخرج مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأتم بقوم وهم به راضون ورجل أذن في
مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة^(٢) »
وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء للؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة^(٣) »

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر عنصرا
وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس
ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة غ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه» (١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» (٢) وذلك مستحب إلا في الحيلتين فانه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي الثوب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وإيسته القام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من اللاتكة.

(فضيلة للكتابة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفاف بحقهن» كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم فيتحم فيه كل يوم خمس مرات لما ترون ذلك يبق من درته قالوا لا شيء» قال صلى الله عليه وسلم «فإن الصلوات الخمس تنصب القنوب كما يذهب الماء العرن» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن» ما اجتنب الكبائر» (٥) وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود التهمة والصبح لا يستطيعونها» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يصب الله بشيء من حسنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين» (٨) وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة» (١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليهم من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لجد به ملائكة فثم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد» (١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باستاد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ح ب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولما نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود التهمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيعاً للصلاة لم يصب الله بشيء من حسنة وفي معناه حديث أول ما يغاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبر في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عمر قال لك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلياً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر .

وأهل هذه الرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صفان مريدون ومرادون فالمريدون في الطالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين ومنها ينتقلون وعليها يبرون إلى المرتبة الرابعة ويسكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والتجباء والشهداء والصالحون والله أعلم . فان قلت ليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والآله ثم معلوم أن الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه للرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والروق من مصدر العقل ما ينفي عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر »^(١) « أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه يلتفتها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برى » من ذمة محمد عليه السلام^(٢) « وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توشأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يسعد إلى الصلاة وإنه يكتب له ياخذى خطوته حسنة ونعمى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أهدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة »^(٣) « فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ »^(٤) « وقال بعض العلماء مثل للصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك للصلى لا تقبل له نافذة حتى يؤدى القريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها .

(فضيلة إتمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى »^(٥) « وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة »^(٦) « وقال عليه السلام « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »^(٧) وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم عليه بين ركوعه وسجوده »^(٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »^(٩) « وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .
 (٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حمى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتى (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البهيقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المبر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم عليه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى في عوالى مشايخ مصر من حديث جابر مائثونه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الإسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار .

التخيل لولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يعد حالاً لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تقلب إلى القدم ولم تتعد بالفاععل ولا اعترى الولى تخيل تخيل ما لا حقيقة له وإنما هو ولى مجنى وصديق مرتضى خصه الله تعالى بعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف قلبه مالوراه يصره عيانا ما ازداد إلا يقينا وإن أنكرت أن يكون وهب الله العرفه على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أطم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فقتت الخلق بمبارك وكلهم بمصائبك وفضلت نفسك على الجميع إذ لا سبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيل أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من العرفه مالم يخص فإذا تقررت هذه القاعدة صار ما كشف قلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبح وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيمك الله كما ضيقتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يافت الثوب الخاق فيضرب بها وجهه^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته^(٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكبال لمن أوفى استوفى ومن طلف قد علم ما قال الله في الطغففين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة^(٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قد ناما في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتنهم^(٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوتنهم يحزم الحطب ولوعلم أحدهم أنه يجد عظامينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة^(٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخوا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عن سيئها ويكتب لي فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان في آفا حتى أريت أن لي فضلا على غيري لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى الماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فانتفى الصلاة في الجماعة فزاني أبو إسحق البخاري وحده ولومات لي ولدت لزمانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من مع نادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن عملا أذن ابن آدم رصا ما مذايا خيره من أن يسمع النداء ثم لا يجب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبله إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تغوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار^(٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة قد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تغوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يظن عنه وما ذكره من ذلك لا يشاء ولا في حال نومه وشمله وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شمله ونومه كما لا يفقه في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو مجادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدر وتميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات ثبتت لغير الوصف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير للمعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا حُكِّنَ يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك البري فتقول لهم لللائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنصار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجدة . وروى أن السلف كانوا يمزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ^(١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة ^(٢) » وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال ^(٣) » وأنى بكثرة السجود ^(٤) » وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا ^(٥) » وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمن في وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصيت في النار ^(٦) » وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبيرة ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عتبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث غفر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأتم الصلاة له كرى - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عند موله الحول والقوة وهو الصلي العظيم [فصل] وأما معنى إفتاء سر الرواية كسر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما آتى به للنبي وتعظيما لما ارتكبه ويسترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذي مى على معناه سائر وهذا للنبي ليس ناشر وأبى النثر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذا من بأن يقال ليس الكفر الشرعى تابع للاعتقاف وإنما هو حكم لمخالفة الأمور ارتكاب التي فمن رد إحسان حسن أو جحد نعمة تفضل يقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشئ» من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج»^(٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال «ليس كل مصل أقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو للتقصد والبتنى عظمة ولاهية لما يحمته ذكرك»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع»^(٤) أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ - وقال تعالى - وائتقوا الله ويسلكم الله - وقال تعالى - وائتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا»^(٥) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله وابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قبل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»^(٦) اشتغالا بنظامه عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه^(٧) وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة بسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته^(٨) ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه^(٩)

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في أوله دون قوله بشئ من الدنيا وزاد طس إلا بغير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قالت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طبر وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن النكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جامع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتابه الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسماء يني عن وصف والثانية من جهة التصرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب عقوبة والتصرع قد ورد بشكر للنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يفرنك البارات ولا تحجبك التسميات وتغفلن لخداعها واحسرتس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنهه كان كمن كتم ما أمر بشهره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التصرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تعذبوا الناس بما لم ينصه عقولهم» وفي ارتكاب التي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمة أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرائس الإنسان تشابه صماء العالم من حيث

ويروي أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالخصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بنس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالخصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك الباب في صلاتك فخطبها قال لأعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلفني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صنور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربنا فأتحرك لثيابه ويروي عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تعمدوا أنتم فاني لست أسمعكم ويروي عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزول ويتلون وجهه قليل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروي عن علي بن الحسين أنه كان إذا توشأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا القدي يتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ويروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تتقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منهمن تواضع لعظمى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجله، يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيت أجمل له في الجمل حلما وفي النفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وإنما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تبيس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروي عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت للوضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة للسجدة وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنما يصمروا ساجدا لله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كفحه من قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة» (١) وقال عليه السلام «من ألف المسجد ألهه الله تعالى» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل على محمد اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد» (٥)

(١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث - من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة (٢) حديث من ألف المسجد ألهه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث للملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو
سماء وحواسه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فتضي بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيضي مسلك
للدركات وروح
الإنسان مشابهة
للشمس فضاء العالم
ونور نباته وحركة
صواربه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الإنسان به صل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجلت
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالتهار
وتغرب بالليل وجلت
الروح وسط جنم
الإنسان وهي تقيب
بالنوم وتطلع باليقظة
وتنفس الإنسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيمقدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس لهم بها حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتي في أرضي للساجد وإن زوّارني فيها عمارها فطوبى لبيد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على الزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يتناد للسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن السيب من جلس في المسجد فأتى بجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا وروى في الأثر أو الخبر « الحديث في المسجد يأكل الحنات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن الكلى في الليلة للظلمة إلى المسجد وجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل لللائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يكي عليه صلاة من الأرض ومصدق عمله من السماء ثم قرأ لما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس يكي عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها صلاة أو ذكر إلا اقتضت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلهمهم .

(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن وللسكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة وبراوح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قلة الرجل وقد انتهى صلى الله عليه وسلم عن الصنف والصنف في الصلاة (٥) والصنف هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مقرنين في الأصفاد - والصنف هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما راعيه في رجله عند القيام وراعى في ركبتيه ومعدن نطقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيمقدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود و ك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) حديث قال الله تعالى : إن يوتي في أرضي للساجد ، وإن زوّارني فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ابن جبرائيل فقول لللائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قرأ القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسنده ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يتناد للسجد فاشهدوا له بالإيمان و حنة و و ك وصححه من حديث أبي سعيد (٤) حديث الحديث في المسجد يأكل الحنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثاني)

(٥) حديث انتهى عن الصنف والصنف في الصلاة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب القريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافا قديما فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية محوثة والنفس مثلها وعو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه وعو النفس في أن ليس عقلها منها ومشرى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الخواص غيب وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الإنسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت للشبهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيها ذكرناه ما يحصل به لدوى القول تشبيه وتخييل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إذ قد كثر الخلاف في ذلك فاعلم أنه إنما على الإنسان أن يني كلامه على ما يعلم لا على ما يحل وأنت لو علت النفس والروح علت أهما اثنان فإن قلت قد سبق في الإحياء أهما شيء واحد وقلت في هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالذي سبق في الإحياء ورأيت في هذه الإجابة وهو شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لا يبعد أن يكون لها معنى آخر يفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الإضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه بآياته حي قادر سميع بصير عالم يريد متكلم فاعلم

وأغض للبصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلى عليه فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطاً فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف الصلّى وحدود الخط وليدب على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فإذا امتوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصناً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أودى فريضة الظهر لله ليعزها بقوله أودى من القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن الصبر وغيره وتلك معنى هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فإنه هوائية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهل أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يمزج فإذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بمد إرسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبإهاميه شحمتي أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يفرسها ولا يتكلف فيها تحريماً ولا ضمّاً بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ قل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدين في مقرهما ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة ويضرب للسبعة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالإرسال أليق فإنه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليقل مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكل مقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رخصاً عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا يفضهما عن عين وشمال قضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليدين على التماس بمد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رءوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وورد من حديث وال بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجداً التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وال يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد وها كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في للشكل فكلمة حتى التي هي للغاية تدل بالحق على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك يساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء كبر ورائه ألفا كأنه يقول كبر ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يتدبى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يتدبى فيها بسم الله الرحمن الرحيم تمام تشديداتها وحروفها ، ويحتشد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة وبمدهامدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهز بالقراءة في الصبح والتغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن لما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قرأها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة .

(الركوع ولواحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يعد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن يصبر ركبتيه ولا يشبهها وأن يعد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافي مرفقيه عن جنبيه وتضم للرأسمرفقها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثا والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرضع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التيسيع والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (٤) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د ه من حديث جابر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجعفي وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يفت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يله هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سمعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لأدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفصل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا فيهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تبين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الإسماء للفظ بها لا غير وفرار أن ثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع صمك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تستعد الصورة الظاهرة ومثناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبا مطلقا ومثناه تتبين أنك من للشبهين لامن للترهين

على قسك بالتشبه
معتدلا ولا تسكر كاقيل
كن يهوديا صرفا وإلا
فلا تلعب بالتوراة أى
تلبس بدينهم وتريد
أن لا تنسب إليهم أى
تقرأ التوراة ولا تعمل
بها وإن كنت تعتقد
الصورة الباطنة منوها
مجللا ومقدسا مخلصا
أى ليس تعتقد من
الإضافة في الضمير إلى
الله تعالى إلا الأسماء
دون للعاني تلك المعاني
للسما لا يقع عليها اسم
صورة على حال وقد
حفظ عن الشبل راحة
الله عليه في معنى
ما ذكرناه من هذا
الوجه قول بليغ مختصر
حين سئل عن معنى
الحديث قال خلقه الله
على الأسماء والصفات
لا على الذات . فان قلت
فكذا قال ابن قتيبة
في كتابه اللروف
بتناقص الحديث حين
قال هو صورة لا كالصور
فلم أخذ عليه في ذلك
وأقيمت عليه الشناعة
به وإطرح قوله ولم
يرضه أكثر العلماء
وأهل التحقيق . فاعلم

عند الموى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبته وأن يضع
بعض يديه ثم يضع يدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يحاكي مرقبه عن جنبيه
ولا تفعل للراءة ذلك وأن يخرج بين رجله ولا تفعل للراءة ذلك وأن يكون في سجوده نحويا على الأرض
ولا تكون للراءة نحوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على
الأرض حذاء منكبيه ولا يخرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام
فلا بأس ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب (١) فانه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى
الأعلى ثلاثا فان زاد لحسن إلا أن يكون إماما ثم رفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه
مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة
ولا يتكلف ضمها ولا يفرجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى ووافنى واعف عني
ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التيسيع ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة
خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في
حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام
بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتناؤه على اليد للقيام وراء
أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله
ولا يغلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصل الركعة الثانية كالأولى ويعد التعمد كالابتداء .

(التشهد)

ثم يشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده
اليمنى على فخذه اليمنى ويضع أصابعه اليمنى إلى السبعة ولا بأس بأرسال الإبهام أيضا ويشير بمسبحة يمينه
وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة
وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء للأئمة (٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول
لكن يجلس في الأخير على وركة الأيسر لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله
اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول
السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت
شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه
اللائكة والسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم (٣) ولا يعمده مدا فهو السنة
وهذه هيئة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى
الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صلاته القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء
الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالقراءة والسورة في جميع الصباح وأولي العشاء والقرب وكذلك
المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك للأموم ويقرن للأموم تأمينه بتأمين الامام معا
لا تعقيا ويسكت الامام سكته عقيب القاعة ليثوب إليه نفسه ويقرأ للأموم القاعة في الجهرية في هذه
السكته ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ للأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

- (١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث
أنس (٢) حديث الدعاء للأئمة بعد التشهد من حديث على في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون
من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة
إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل
(٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعه ابن القطان .

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمد عند رفع رأسه من الركوع وكذا للمأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم ولللائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا وبجر به ويؤمن القوم ويرضون أيديهم خلف صدورهم ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصغد وقد ذكرناها وعن الإقواء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصل (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحاظر (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والتئم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإقواء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإقواء تـ من حديث علي بن بسند ضعيف لا تقع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن غلبة الشيطان ذلك من حديث سمرة ومحمه نهى عن الإقواء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة ذلك ومحمه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمروا النبي ﷺ أن تسجد على سبعة أعظم ولا تسكف شرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار ذلك ومحمه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة دن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن المواصل عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسر الغزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى ذلك وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن وهو من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن ود من حديث أبي هريرة لا يحل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وهو ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بمحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخشيان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بمدافعة العائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحاقن وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التئم أصحاب القريب حديث لا رأى لحازقي وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التئم في الصلاة ده من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطج الرجل فاه في الصلاة زواه الحاكم ومحمه قال الخطابي هو التئم على الأنفواء .

أن الذي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس من تبويخ قوله وليس هو الذي ألقا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يظلم على الظن في ابن قتيبة أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالمعارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث القوي هو موجب عند ذوي التصور تشبها وبين التأويل الذي ينفه فأثبت للشيء المرغوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم قهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجلهما على كفيه والأول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلح وهو عاقص شعره والتهى للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا » (١) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأنزr فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرته . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرته في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما الواصلة فهي خمسة اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة القرض بالتسليمة الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الحنف الضيق فان كل ذلك يمنع من الحشوع وفي معناه الجائع والهم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب » (٢) وفي الخبر « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصل أحدكم وهو غضبان » (٣) وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتأوب والحكاك والالتفات واللبث بالتي » (٤) وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصل بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه » (٥) أو يفرقع أصابعه » (٦) أو يستر وجهه » (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلها بين فخذه في الركوع » (٨) وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك قهينا عنه ويكره أيضا أن ينفع في الأرض عند السجود للتطيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصل أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتأوب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتأوب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسول الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي الحديث وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يغتله الشيطان من صلاة أحدكم ولشيوخين من حديث أبي هريرة التأوب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (٥) حديث التهى عن ثعلبة الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ث . حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث التهى عن تخفيف الأصابع في الصلاة . من حديث على باسناد ضعيف لا تقنع أصابعك في الصلاة (٧) حديث التهى عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يضطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث التهى عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا قمه قهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب .

عنه وأرادني ماخاف من الوقوع فيه فلم يأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فيها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإنك بالوادي

القدس طوى - أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فإنك على هداية ورشد والوادي القدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما تقدس الوادي بما أنزل

فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه فعذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ما حذف لما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أى سر بقلبك لما يوحى فملكك بعد على النار هدى وملكك من

يسوى الحصى يده فانها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سئل ذلك الحائط لم يقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تميز القرائن والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على قرائن و سنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير . والقيام والقائمة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتك ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا تجب وماعدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي القرائن . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية خسر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والاقتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لمهمة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في عين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فبصر عن ذلك بالعمى وقيل الأباض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فقدم تلك الأذكار لا كغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقائمة وبمجزأ عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن القرائن معقول إذ نفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتيهما ولن يكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالنفس الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعددتها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو نفوت الحياة بفواته وبعضها لا نفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سرادات المزمز تنادي
بما نودي به موسى إني
أنا ربك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد الزيد وحوادث
الصدى وتماز للمارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الآذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو إلقاء
بواسطة ملك أو إلقاء
في روع أو مكاشفة
ب حقيقة أو ضرب مثل
مع السلم بتأويله
ومعنى لملك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تدرك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسرادات المجد هي
حجب للسكوت وما
نودي به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبادة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إني أنا الله لا إله
إلا أنا وللننادى باسمه
أزلا وأبدا هو اسم

موسى لما سمى السالك
الوجود في كلام الله
تعالى في أزل الأزل قبل
أن يخلق موسى لا إلى
أول وكلام الله تعالى
صفة لا يتغير كالأشياء
هو إذ ليست صفاته
المنوية لتغيره وهو
الذي لا يحول ولا يزول
وقد زل قوم عظم
اقتراحهم وهو أنهم
حملوا صدور هذا
القول على اعتقاد
اكتساب النبوة وعبادة
الله من ابن محتمل
هذا القول ماحلوه
من اللذهب أليسوا
وهم يعرفون أن كثيرا
من يصكون بحضرة
ملك من ملوك الدنيا
وهو يخاطب إنسانا
آخر قل ولاية كبيرة
وفوض إليه عملا عظيما
وجاءه جبار خطيرا
وهو ينادى باسمه أو
بأمره بما يمثل من
أمره ثم إن السامع
للملك الحاضر معه غير
الولي لم يشارك للولي
الخاوع عليه والفرح
إليه في شيء مما ولى
وأعطى ولم نجبه له
بسماعه ومشاهدته

كالخاجين واللعبة والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس
الخاجين وسواد شعر اللعبة والأهدب وتناسب خلقه الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون
فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورته صورها الشرع وتعبنا بها كتسابها فروحها وحياتها
الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع
والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والسكبد إذ يفوت وجود الصلاة
بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى
اليدين واليمين والرجلين ولا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن
يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الحلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل
ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات
وهي ما وراء السنن تجري مجرى أسباب الحسن من الخاجين واللعبة والأهداب وحسن اللون .
وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الخاجين واستدارة اللعبة
وغيرها فالصلاة عندك قربة ونخلة تقترب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة
من السلاطين إليهم وهذه النخلة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك
الحبرة في تحمين صورتها وتقييحها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فليها ولا ينبغي أن يكون
حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بغيرك من أوصاف السنة إلا أنه
يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يطل وجود الإنسان ولكن
يخرجه عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكذبا ينبغي
أن نفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي
الحصم الأول على صاحبها تقول ضيكت الله كما ضيحت فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان
الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولقد كرر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر للعاني الباطنة وحدودها وأسبابها
وعلاجها ثم نذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون سالحة تزداد الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغلبة تضاد
الله كرفن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين -
نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تطمئنا ما تقولون - تعليل لنهي السكران وهو مطرد
في الغافل المستغرق المهمل بالسواوس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمكن
وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة « إنما » لتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام
« إنما الشفعة فيما لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن
الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا ابتدا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى
الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة ربه قائم
ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد ربه قائم حظه من صلاته السهر وإساده حسن .

على الله عليه وسلم «ليس للصبر من صلاته إلا ما عقل منها»^(١) والتحقيق فيه أن للصبر مناجاة ربه عز وجل^(٢) كما ورد به الخبر والكلام مع التفلة ليس بمناجاة البتة ويأنه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسلطة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يمد أن يحصل منها مقصود مع التفلة وكذلك الحج أخفها شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً وهما ورثاً والمقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما يتحتم للعدو والفرج بالإسلام في الصوم وكما يتحتم للبطن بمشقة الحج ويتحتم للقلب بمشقة إخراج الزكاة والانتطاع لله للعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فلن نحرك اللسان بالهذيان ما أخفه على الناظر فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف فمن حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله لهدن الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تصرفاً ودعاء فأى مشقة في تحريك اللسان به مع التفلة لا سيما بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأساءه حاجة ثم جرت الألفاظ للهالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم ير في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً مع ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضراً إلا أنه في رياض النهار غافل لكونه مستغرق في المهم فحكر من الأفكار ولم يكن يقصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصبر باراً في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والثناء والمخاطبة هو الله عز وجل وقلبه بحجاب التفلة محبوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطبة ولسانه يتحرك بحكم العادة لما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كرو بالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لصم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظماً للعائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من الشقة ما يقصد الامتحان به ثم يحمله عماد الدين والفصل بين الكفر والإسلام ويقسم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظيمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود الناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتقصيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اعتراط حضور القلب . فإن قلت إن حكمت يطلن الصلاة وجلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم لم يشترطوا

(١) حديث ليس للصبر من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نسر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما انتهى عنه (٢) حديث المصلي يناجي ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حظوة القرية وشرف الحضور ومنزلة للكاشفة من غير وصول إلى درجة الخطاب بالولاية وللقوتى إليه الأمر وذلك هذا السالك للذكر إذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل للكاشفة وللشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتمتع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو محل جماع الوحي على الدوام وموضع للاتكة وكفى بها أنها الحضرة الربوية وموسى عليه السلام ما استنقى الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وجماع الوحي مقصوداً بذلك جهوله في هذا المقام الذي هو للرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى إلى ذلك المقام أضماً لما جاوز للرتبة الرابعة لأن آخر مقامات

إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كالفعل والوقوف والركوع والجلوس في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع قد قل عن جبرين الحارث فيارواه عنه أبو طالب للشي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ومن معاذن جبل من عرف من على يمينه وشماله متمعدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسكه وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما قل من هذا الجنس عن الفقهاء الثوريين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر تصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يصح عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى المحطات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالسكينة فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلا عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيختص أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتأون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحق أقدم حالا من الذي يمرض عن الخدمة وإذا تمارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر خطرا في نفسه فاليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما يشكف من أسرار الشرع فلنتصمر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقما للريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل للشغب فلننا قصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رفق الروح الحضور عند التكبير فالتقصير منه هلاك وبقدرة الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراكه بقريب من ميت صلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كتل حى لأحراكه به نسأل الله حسن العون .

(بيان المعانى الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه المعانى تكثر عبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والحيية والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في إكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملاصق به ومتكلم به فيكون المرء بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما استغرق الفكر في غير ما هو فيه وكان

(١) حديث إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا عشرها الحديث دين حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبي مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لأن هذا المقام الذي هو للرتبة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مبادئها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يغم درجات اللقائهم وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطمع على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه بحاسب بظنه وبقيته مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته غلصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فإن قلنا أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - قد نبه أن تكلم الله تعالى لمن

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لم ينفى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم الماني للقرآن والتسيجات وكمن معان لطيفة يفهمها للصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والنكر فأنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والتفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤ التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من القرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان للمعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه الذي دفعكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجلمة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهتك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللا بل جائلا في الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بمقارة الدنيا ومهماتنا حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه الهمة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر بمن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك المولا الذي يده الملك والملكوت والنفع والضرف فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستعصى في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسيه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاتقال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أغنى التزوع عن تلك الأسباب التي تجذب الخواطر إليها ومالم تقطع تلك اللواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تنصرف له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يستقد عظمته لا تدفع النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخساستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المرفقين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تخرج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تشرق إليه . وأما الهيبة والخوف فعلة للنفس تولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة البلاء به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرضيل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بغير ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فتقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجبنا أنه كلمة قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره بما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا للمشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

ما يجري على الأنبياء والأولياء من الصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والمهية وسيأتى أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربيع النعجات . وأما الرجاء فمبني على معرفة الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف منعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبثت من مجموعهما الرجاء لاهالة . وأما الحياة فباعتبارها التفسير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويعزى ذلك بالمعرفة بسبب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبت دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياة فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فلا حرج إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم ويقدّر اليقين بنسخ القلب وقيل قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونعنده فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنفض أعضاءك وكن عند ذكرى خافعا مطمئنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي قم قيام الجسد الدليل وناجني قلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصاة أمتك لا يذكرني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالجنة » هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الفضلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم ينب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب المم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على عينه ويساره ووجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على مبلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتمد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع مجرم وضعفهم وخساسة الحفظ والحاسة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهجة ثم يخرج ولو سئل ممن حوالية أو عن ثوب الملك لكان لا يتذكر على الأخبار عنه لا فتال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالية ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه ومطعمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحضر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعم بها واللذة ولقد صدق فإنه عشر كل على مامات عليه ويعوت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من آوى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان الدواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن اللؤم لا بد أن يكون معظا قد عز وجل واختلافاته وراجيا له ومستحيامن تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدرة قوة بيقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغية القلب عن النجاة والفضلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة

إلا الحواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فإي تبرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبهم ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا لبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلبه ماجزى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يرضى بصره أو يصل في بيت مظلم أولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقترب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويعتزل من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المفضوعة للصنوعة وعلى الفرض للصبغة ولذلك كان للتجبدون يتجبدون في بيت صغير مظلم سعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويضوضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزعها ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشبعت به الموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفيده ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويمينه على ذلك أن يستمد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف للنجاة وخطر القيام بين يدي الله سبحانه وهو اللطع ويغري قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهجم فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تحضر القدر الذي في البيت (١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يمكن هوائج أفكاره بهذا الدواء الممكن فلا ينبغي إلا للسبيل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالتزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامسكه أضرم عليه من إخراجها فيخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيضة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : ذهبوا بها إلى أبي جهم فأنها ألتفتي أتفا عن صلاتي واتتوني بأنجانية أبي جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شركائه فله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له ثلثين سبتيتين جرداوين فلبسهما (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

- (١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحضر القربتين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيضة وقال اتتوني بأنجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقيم في العلم .
(٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حنيفة في شرف الفقراء من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى
إذ هي دلالة عليه . فإن
قلت لا يبقى على السامع
إذا سمع كلام الله تعالى
الذي يستفيد معرفة
وحدانيته وقه أمره
ونبيه وفهم مراده
وحكمه يلحقه السلم
الضروري فيها أرى
بأنه الشيء المرسل
إلا بأن يشتغل باصلاح
الخلق دونه ولو كان
عوضا منه آخر
عنه ومقامه مقامه ؟
فاعلم أن الذي أوجب
عشورك ودوام ذلك
واعتراضك على العلوم
بالجهل وعلى الحقائق
بالخايل إنك بعيد
عن غور اللطاب بعيد
في شرك اللطاب بعيد
صوب الصوت عتيد
صحب السحاب إن
الذي استحق به
الناظر السالك الواصل
للمرتبة الثالثة سماح
نداء الله تعالى معنى
ومقام وحال وخاصة
أعلى من تلك الأولى
وأجل وأكبر وبينهما
ما بين من استحق
للاوجهة بالخطاب
والقصد به وبين من

لا يستحق أكثر من
سماعه من يخاطب به
غيره فهذا من الإشارة
باختلاف ورود
الخطاب إليهما بما
يوجب تقورا وتباين
ما بينهما فإن فهمت
الآن وإلا فقد عني
لا ندر بحال؟ فإن قيل
ألم يقل الله تعالى - فلا
يظهر على غيره أحدا
إلا من ارتضى من
رسول - وسماع كلام
الله تعالى بحجاب أو
بغير حجاب وعلم ما في
الملكوت ومشاهدة
اللائكة وما غاب عن
الشاهدة والحس من
أجل القيوب فكيف
يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام
حذف يدل على صحة
تقديره الشرع الصادق
والشاهدة الصورية
وهو أن يكون معناه
إلا من ارتضى من
رسول ومن اتبع
الرسول بالإخلاص
والاستقامة أو عمل بما
جاءه النبي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم (١) » وروى « أن أبا طلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه
دبى طائر في الشجر يلتمس خرجا فأتبعه بصرا ساعا ثم لم يدركه صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من القتنه ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضمه حيث شئت (٢) » . وعن رجل آخر أنه صلى
في حائط له والنخل مطوقة بشعرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركه صلى فذكر ذلك لعنان رضي الله عنه وقال
هو صدقة فأجبه في سبيل الله عز وجل فباعه عنان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يبقى غيره فأما ما ذكرناه
من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كذا فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمهم التي لا تشغل إلا حواس
القلب فأما الشهوة القوية للرقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تقبلك وتتقضى
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يفعله فكره وكانت أصوات الصافير
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويمرود إلى فكره فتعود الصافير فيعود إلى التفتير بالخشبة
فقيه إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انحدرت إليها الأفكار انجذاب الصافير إلى الأشجار وانجذاب القلب إلى
الأقدار والشغل بطول في نفسها فإن القلب كالماء لا يثبت في مكان واحد ولا يثبت في مكان واحد
كثيرة وقلما يغلو البعد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بباطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
يستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوله لذة النجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لاهماله إليها ولم يكن مع
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة
استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين
لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمر الدنيا فجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليتسلم لنا من الصلاة شطرها
أو ثلثها من الوسواس لتكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يسب في قديم مخلوئ بخل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخلل لاهماله ولا يجتمعان .

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فبقول حقا إن كنت من المرادين للآخرة أن لا تنفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما
والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك
للإجابة وللإسراع فالسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فأعرض
قلبك على هذا النداء فإن وجدته مخلوئا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه
يأتيك النداء بالبشرى والقوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال (٣) » أي أرحنا بها
وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتممت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث روى به بالحاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاتم كان ذهبيا ولا فضة إماما ومطلق (٢) حديث إن
أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه
بالحائط . الك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاري فذكره نحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال
قط في الطل من حديث بلال ولأبي داود وموه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

الأبد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد في تطهيره بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر مبدوك . وأما ستر المورة فاعلم أن معناه تغطية مقايح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق لما بالك في عورات باطنك وفشاح سرائك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفشاح يالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر وإنما ينفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بأحضانها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتدل بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام المبد المجرم المسمى الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أقرى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمراقه عز وجل ليس مطلوباً منك هيات فلا مطلوب سواء وإنما هذه الظواهر تحريكات للباطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالانبات في جهة واحدة حتى لا تبني على القلب فانها إذا ثبتت وظلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استبقت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفريغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام المبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدت أمه (١) » وأما الاعتدال قائماً فاعلم هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطأ متكسباً وليكن وضع الرأس عن ارتشاعه تنفيها على إزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التروؤس والتكبر وليكن على ذكرك هنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول الطلع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تنجبر عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائنة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تبدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالهناك عند ملاحظة عبد مسكين فتاب نفسك وقُل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعلم على إجابة الله عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لتوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه باذنه إليك في النجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا

(١) حديث إذا قام المبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدت أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسه حق بزاد ابن عمر في السند وفي الطلق عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لو روده من حديث سعيد بن زيد أحد الشرة .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه
أن ينكشف إليه
وقال « إن يكن منكم
محدثون فمصر » أو كما
قال « للؤمن ينظر
بنور الله » وفي القرآن
العزيز - قال الذي
عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك -
فلم ما غاب عن غيره
من إمكان بيان
ما وعد به وأراد أنه
قدر عليه ولم يكن
خيالاً لرسولاً وقد أنبأ
الله سبحانه وتعالى
عن ذي القرنين من
إخباره عن العلوم
الغيبية وصدق فيه حين
قال - فإذا جاء وعد
ربى جسد دكاء وكان
وعد ربى حقاً - وإن
كان وقع الاختلاف
في نبوة ذي القرنين
فالإجماع على أنه ليس
برسول وهو خلاف
السطور في الآية
وإن لم أحد الدافعة
بالاحتياط لما أخبر به
ذو القرنين وما ظهر
على يدي الذي كان
عنده علم من الكتاب
وأراد أن يجوز على

في بقطة أو مقام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في بقطة أو مقام فإنه يطالع على ذلك أيضا ويكون قاعدة الأخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها قوة ولا مخلوق سواء إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبمشة الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معني من

فترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب وللقرآن لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة للماني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن للراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل في تسميته وتحميده قصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتضع لك رحمة فينبعث بها رجاؤك ثم استمر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وإياك نستعين ونحقق أنه ما تبسرت طاعتك إلا بأعانه وأنه لا قوة إلا بالله والقوة بقولك وإياك نستعين ونحقق أنه ما تبسرت طاعتك إلا بأعانه وأنه لا قوة إلا بالله واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من اللطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فحينئذ سؤالك ولا تطلب إلا أم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويغض بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائمين من اليهود والنصارى والصائبين ثم التمس الاجابة وقل آمين فإذا تلاوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيها أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » (١) يقول الصمد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله صمغ الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فتأهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والامتثال حق الوعظة والشكر حق ذكر النعمة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مضطربا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعده سيده ووعيده فأنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه الماني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى الهيئة في القراءة هيرتل ولا يبرد فان ذلك ليس للتأمل ويفرق بين قناته في آية الرحمة والعذاب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمتسجعي عن أن يذكره بكل شيء لا يلبق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » (٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق دت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

رسول أي عن به
رسول من اللاتكة .
[فصل] ومعنى ولا
يشغى رقاب الصديقين
إن قلت ما الذي أوصله
إلى مقامهم أو جاوز به
ذلك وهو في الرتبة
الثالثة حال للقرنين
ما وصل حيث ظننت
فكيف يجاوزه وإنما
خاصية من هو في رتبة
الصديقين عدم السؤال
للكرة التحق
بالأحوال وخاصة من
هو في رتبة القرب
كثرة السؤال طمعا
في بلوغ الآمال ومثالها
فيما أخير إليه مثال
إنسانين دخلا في بستان
أحدهما يعرف جميع
أنواع نبات البستان
ويتحقق أنواع تلك
الثمار ويعلم أسماءها
ومتافعها فهو لا يسأل
عن شيء مما يراه ولا
يحتاج إلى أن يخبر به
والثاني لا يعرف مما
رأى شيئا أو يعرف
بعضا ويجهل أكثر
مما يعرف فهو يسأل
ليصل إلى علم الباقي
وذلك من تكلمنا
عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فإنه ينبغي على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على الصلوات ما لم يلتفت ^(١) » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع بالقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خضع الباطن خضع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا صلياً يبث بلحيته « أما هذا لو خضع قلبه لحشمت جوارحه » فإن الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعى والرعية ^(٢) » وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع المصافير عليه كأنه حماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سوره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتخلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجاوسه . وأما الركوع والسجود فينبى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بفؤ الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترفيق قلبك وتجدد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد كده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أدل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فاقبل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدل وإذا وضعت نفسك موضع الدل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فتجد هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضئيلة الأثر فاذا رقى قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمة تتسارع إلى الضعف والدل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائل رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فقد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يلغى ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وإفيا بمدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كل الشهاداة ومستأنفا لتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء للأتور مع التواضع والخشوع والضرعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على الصلوات ما لم يلتفت د ن ك وصح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لأقفه على أصل وفسره للصف بالقلب والجوارح .

أسطوانة في السجد وهو في الصلاة وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه قليل إنه في الصلاة لا يحسن بما يجري عليه ققطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً فقال وهل شيء أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من قبه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيت مني نقصت من حدودها شيئاً قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ^(١) » ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال طي النبر إن الرجل ليشيب عارضه في الإسلام وما أكل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدرى طي كم ينصرف إلى شفع أم طي وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاه في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثمًا . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كإدلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دل عليه الأحاديث إذ ورد جبر قصان الفرائض بالنوافل ^(٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجحني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه ^(٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وترك آية كذا فلما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل طي الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صغوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتضيئون عن قلوبكم باطل ما تذهبون إليه ^(٤) » وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه يدل على قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجده طي أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم للرفع عنه وهو عند (٢) حديث جبر قصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة حرسه وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه مختصر من حديث عبد الرحمن بن أبي بصير بإسناد صحيح.

أكل صنعا ولو كان وادّخره مع القدرة كان ذلك مجزأ ينقص الكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك مجزأ ينقص القدرة الإلهية فكيف يقضى عليه بالجزء فيها لم يخلقه اختياراً وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال إذا خار إخراج العالم من العدم إلى الوجود مجزئ مثل ما قيل فيها ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيرها بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجها من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا أنها بما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله ومصادر أموره وأن تتحقق أن كل ما اقتضاه ويقضيه عن خلقه بمله وإرادته وقدرته إن ذلك طي غاية الحكمة ونهاية

فهذه صفة الخاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد واقطع علم نساء الله حسن التوفيق .
(الباب الرابع في الإمامة والقُدوة)

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهون فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقولون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الباقي وإمرأ تزوجها ساخط عليها وإمام أمّ قوم ما يؤمّه كارهون » (١) وكان ينبغي عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينبغي عن التقدم إن كان وراءه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك للدافعة قد قيل إن قومًا نادفوا الإمامة بمد إقامة الصلاة فخصف بهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيب لشارحهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من القندين لاسيا في جهزه بالقراءة فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خیر للرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان لقوله ﷺ « الإمام ضامن وللمؤذن مؤتمن » (٢) فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » (٣) وفي الحديث « فإن أمّ فله ولهم وإن قصص فله لا عليهم » (٤) ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » (٥) وللغفرة أولى بالطلب فإن الرشيد را دلالة غفرة وفي الخبر « من أمّ في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بالاحساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » (٦) ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمامة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » (٧)

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم : العبد الباقي الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن وللمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكى عن ابن للدين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث قان أمّ فله ولهم وإن اتقص فله ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عتبة بن عامر والبخارى من حديث أبي هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بمحدثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أمّ الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن في العراق والشارح لفظا وإن في اللوزعين فليحرر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله اللوجبة لإجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهمها وعرفهم ما أمكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نفسه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بجزءه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق البين وأيضا فلا يترض هنا ويتز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأقرب قد قال صلى الله عليه وسلم « أتمتكم شفعاؤكم أوقال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم » (١) وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من الماء ولا بعد الماء أفضل من الأئمة للصليين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بصناد الدين وهو الصلاة وهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لديننا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) « وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان » (٣) « وما روى أنه قاله رجل يارسل الله » « دلى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بأزاء الامام » (٤) « فله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم ثم بعد ذلك توم أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصل في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا » (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاتته من أول وقتها خيره من الدنيا وما فيها » (٦) « ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإعما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصل بهم حتى قامت رسول

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أتمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قط حق وضعف إسناده من حديث ابن عمر والنفوي وابن قانع والطبراني في معاجهم ولك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسدي وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لديننا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بجانب ولأني مرض فرسنا لديننا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وللرفع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قالوا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما للرفع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه مارأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتي واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فاني عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يارسل الله دلى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخاري في التاريخ والعليل في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلي الصلاة في أول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطني من

(١) قول الرازي تقديم الصحابة بلالا لعل للناس عدم تقديمه فليتامل

أصلا في العلم أو كان نسخا له ومعنى تيسر عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق الخبر إذ أفشاء لتبديل أهله وأهده لمن لا يستحقه كإروى عن عيسى بن نينا وعليه السلام لا تملقوا الدرف أعناق الخنازير . وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فظلموا ولا تضعوها عند غير أهلها فظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب صغيفة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يقطن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كن

أيهما كذا فلا يحتاج
إلى تبزائد ولا تصيه
مكابدة فلو عرف كل
واحد عاقبه ومآله
بطلت الأحكام الجارية
عليه وإن كان
كشفها من غير
استروح الضيف إلى
ما يسمع من ذلك
فيتعطل وينخرم حاله
وينحل قيده وبعد
هذا فلا يعمل كلام
سهل إلا على ما يقدر
لا على ما يوجد ولذلك
جعلهم مقرونا بحرف
لأن الدال على امتناع
الشيء لا امتناع غيره
كما يقال لو كان للإنسان
جناحان لطار ولو
كان للنمل ذراع
لصعد عليها ولو كان
البشر ملكا لفقد
الشموات فعلى هذا
يخرج كلام سهل في
ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب
العقلاء للجمادات فغير
مستسكر قديما ندب
الناس الديار وسألوا
الأطلس واستخبروا
الآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامها من
ذلك كثير وفي حديث

الله صلى الله عليه وسلم ركة فقام يقضيها قال فأشفتنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢) وليس على الإمام انتظار المؤذن وإعالي المؤذن انتظار الإمام للأقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره . الرابعة أن يؤتم غلظا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أعم منها في الترايع وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطنيا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغار فالترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بعبه فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحديث والبحث فانه لا يطلع عليه سواء كان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان «صلى خلف كل بر وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق . الخامسة أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليكن بيننا وبينهم رأيا خلافا أمر بالتسوية ، قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة ففي الخبر «ليتمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلبا لفرغ القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، ولؤخر للمأموم تكبيره عن تكبيره الإمام فينتدى بعد فراغه واقه أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة : أولها

حديث أبي هريرة نحوه بأسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة . (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكره بأسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أومأ إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند غ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه ، ت ك من حديث جابر : يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قالت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد النعم الهياجي منكر الحديث قاله غ وغيره (٦) حديث النبي عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهي لا يصلح أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابعدوا بالعشاء متفق عليه .

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالتفرد ويجهر بالقراءة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولي العشاء والغرب وكذلك التفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينة بتأمين الامام معاً لا تعقياً (١) ويجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للامام في القيام ثلاث سكيات (٣) هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً هن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرءوا فاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليهم . السكينة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكينة الأولى فاتحته وهي كنصف السكينة الأولى . السكينة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه وللقصر هو الامام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لعمه أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من اللذان مادون للثانية فان الاطالة في قراءة الفجر والتطليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأصحاب كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سكيات الامام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكيات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من السند وده ح و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سكتتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الامام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون - ودمن حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة بأسناد صحيح نحوه .

النبى صلى الله عليه وسلم « اسكن أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » وقال بعضهم اسأل الأرض تخبرك عن شئ أنهارها وجف مجارها وفتق أهواءها ورتق أحواءها وأرسي جبالها إن لم تحبك أجابتك اعتبارا وإنما الذى يتوقف على الأذهان ويتحير في قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجملادات والحيوانات الصامتات في هذا وقع الإنكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقل ممن لم يعقل عنه في للشهود يكون على جهات من ذلك معام الكلام الدانى كالتلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم في بعض الأوقات كحين

الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر
يسلم عليه في طريقه قبل مبعة ومنها تلقى
الكلام في حس السامع من غير أن
يكون له وجود من خارج الحس ويعتري
هذا سائر الحواس كشكل ما يسمع النائم
في منامه من مثال شخص من غير مثال
والثال للرقى للنائم ليس له وجود في سمعه
وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة
وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى
ينادي المسلم يا مسلم خلقي يهودي فآتله
وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا
ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل
بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار
في العبادة من اللائكة والجن أو يكون كلام
يخلق الله عز وجل في أذن السامع ليفيده
العلم باختفاء اليهودي حتى يقتله وكما يقال في
العرض الأكبر يوم

يطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر ينصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاحها
رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة
التخفيف أولى لاسيما إذا كثرت الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس
فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٢) » وقد كان معاذ
ابن جبل يصلي بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم نفسه فقالوا نافع الرجل قشاً كيا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال أفتان أنت يا معاذ أقرأ سورة تسبح
والسواء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع
والسجود فلا يزيد في التسيبحات على ثلاث قد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، ثم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز
وكان أميراً بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجملاتهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثرت الجمع أحسن
فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالمثل هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام
بمخبر رأسه من الركوع مع الله لمن حمده . الثانية في المأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع
والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة
برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس
يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد
الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلف
في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل
الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك
التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا ينحس نفسه
في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي قد ذكره للإمام أن ينحس نفسه
ولا بأس بأن يستعبد في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
نوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والمات ومن فتنة المسيح الدجال
وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاحها متفق عليه من حديث أم الفضل .
- (٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث
صلى معاذ بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس
فيه ذكر والسواء والطارق وهي عند البيهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال
ما صليت وراء أحد أشبه صلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد ووضفه ابن
القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا لم أجده
أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فخرنا في ركوعه عشر تسيبحات وفي سجوده عشر تسيبحات .
- (٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض
متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التبوذ في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر
الحديث تقدم وزاد فيه التزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه مسح العين أي مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوي بالتسليتين السلام على القوم واللائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يغم حتى ينصرفن^(١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢) . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للأموم القيام قبل اقتال الإمام قد روى عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما صلا قالا للإمام ما أحسن صلاتك وآمنها لإشيتا واحدا أنك لما سلمت لم تغفل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن يغفل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من بينه وبينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن للأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضي عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فقرأه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت^(٣) فإذا صبح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما يضاف ذلك أن لا يدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة غصوة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لا يفتى بالدعاء وأما علم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله للوفى .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاختغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه^(٢) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره^(٣) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرقوا عنه وهدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع^(٤)

بآخر الصلاة ولقد روى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك قننة فأقبضني إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابش وصحبهما وسيأتي في الدعاء (١) حديث السكت بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء وقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر باسناد ضعيف . (٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله عليه (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلق مثل اسم للنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للنادى في حاسة أذنه لينتقل إلى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأشبهة كثيرة في التبرع وفيها سمع غيبة ومنع . ومنها تلقى الكلام في العقل وهو الاستفاد بالمعرفة للموع بالقلب للظهور بالتقدير على اللفظ للسعي بلسان الحال كما قال قيس : وأجهشت للتوداد حين رأيته

وكبر للرحمن حين رأيته قلت له أين الدين عهدتهم حوالبك في عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعوني بلاءهم ومن اتقى يبق على الحدائق

وفي أمثال العوام قال الحائط لاوتد لم تشقى فقال الوتد للحائط سل من يدق فلو كانت البارة تتأني منها ماعبرت إلا بما قد استعير لها وعلى هذا البنى حمل كثير من العلماء قوله تعالى إخبارا عن السماء والأرض حين - قلنا أتيننا طائمين - وفي قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأضعفن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم «كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان قطرا نيتان يلبي ونجيه الجبال والله يقول ليلى يا يونس» قوله كآنى يدل على أنه تخيل حالة مبيت لم يكن لها في الحال وجود ذاتى لأن يونس بن متى عليه السلام قُسمت وتلك الحالة منسقت

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أتانى جبريل عليه السلام في كفه مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يفرسها عليك ربك لتكون لك عبدا ولأمتك من بعدك . قلت لها لآنا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره ما هو أعظم منه أو نحو من شر هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوذ في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أبيض من اللسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسى فيجعل لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يمير عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك تسميه لللائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر «إن لله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا سلئت الجمعة سلئت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «إن الجميع تسعرون كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه (٥) » وقال كتب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة من الليالي ليلة القدر ، وقال إن الطير والموام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى فنة القبر (٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فإن وقت تسليمه الإمام في وقت العصر ثلاث الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والسبوق إذا وقت ركعتي الأخيرة خارجا من الوقت فيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل ، يجمع أربعين بمن تازمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تنقذ بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظنون عنها شقاء ولا صيفا فإن انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن السبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الأفراد

(١) حديث أنس أتانى جبريل في كفه مرآة يضاء فقال هذه الجمعة يفرسها عليك ربك لتكون لك عبدا ولأمتك من بعدك . (٢) حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا سلئت الجمعة سلئت الأيام (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٤) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٥) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٦) »

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممها ظهرا .
الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقه بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوا فالمسجد الأقدم
فإن تساوا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل راعي . السادس الخطبتان فهما فريقتان والقيام
فيهما فريضة والجلوس بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأمله الحمد لله والثانية
الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
أو الفرة والبركي لا يثبت بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
ولا يستعمل غرب اللغة ولا يعطط ولا يتنفس وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
للسفر للطرف والوحل والفرخ والمرض وإذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعي
أصحاب الأعداء تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
أو عبد أو امرأة صحت جميعهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن الله
عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
ويفضل في هذا اليوم ثيابه وينفضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويغفر قلبه من الأغفال التي
تمنع من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهل في هذه الليلة أو في يوم الجمعة قد استحب ذلك
قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل^(١) » وهو حمل
الأهل على التسلي وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال
ويخرج من زمرة المنافقين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف وفي الناس نصيبان الجمعة
من انتظرها وورعها من الأسوأخفهم نصيبان إذا أصبح يقول إني اليوم وكان بعضهم بيت ليلة الجمعة
(١) رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحسنه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وأبكر الحديث وحسنه ت .

وفي هذا الحديث إخبار
عن الوجود الخيالي
في البصر والوجود
الخيالي في السمع
ومنها تلقى الكلام
بالشبه وهو أن يسمع
السامع كلاما أو صوتا
من شخص حاضر
فيلقى عليه شبه غيره
مما طاب عنه كقوله
عليه السلام في صوت
أبي موسى الأشعري
إذ سمع يترنم بالقرآن
« لقد أعطى زمارا
من زمير آل داود »
ومزمير آل داود قد
عدمت وذهبت
وإنما شبه صوته بها
وكأنه إذ سمع للريد صوت
مزمير أو عود فجاء على
غير قصد يتخيل صرير
أبواب الجنة وحشها
بما جفا صوته من ذلك
فهذه مراتب الوجود
فأنت إذا أحسنت
التصرف بين أساليبها
ولم يترك غلط في
بعضها يرضى ولا
اشتبهت عليك وصمت
همن نظر بمشكاة نور
الله تعالى إلى كاعند
وقدر آه امود وجهه
بالخبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أيضاً
أشقر موعها والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سودت وجهك
فقال سل الخبر فانه
كان مجوحاً في الهجرة
التي هي مستقرة موطنه
فافر عن الوطن
ونزل بساحة وجهي
ظلماً وعدواناً فقال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
للمراجعات أحمل الفكر
وجدد النظر وحل
الكلام إلى أجزائه التي
ينظم منها جملة ما بملكك
فسأل عن معنى الناظر
ومعنى الشبكة ومعنى
نور الله سبحانه
وما سبب أنه لم يعرف
الناظر المكتوبة
والكتوب وبأى لسان
خاطب الكافد وكيف
خاطبة الكافد وهو
ليس من أهل التلحق
وفيما صدق الناظر
الكافد ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيبدو لك
ههنا من الناظر هو
ناظر القلب فيما أورده
عليه الحس وللشككة
استمارة من مشككة

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداءً بالتسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يكره فأقربه إلى الرواح
أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة فالتسل مستحب استحباباً مؤكداً ولذهب بعض العلماء إلى
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » (١) وللشهور من حديث نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل » (٢) وقال عليه السلام « من عهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسل » (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا للقبان يقول أحدهما للآخر لآنت أشتر عن
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لممان رضي الله عنهما لما دخل وهو مخاطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك
البكور قال لما عزمت بعد أن سمعت الأذان على أن توشأت وخرجت فقال والوضوء أيضاً وقد علمت أن
رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالتسل » (٤) وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توشأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتسل أفضل » (٥) ومن اغتسل
للجنابة فليغتسل الماء على يده مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له
التسل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولهم وقد اغتسل فقال
له الجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلاً ثانياً وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره
به لأنهم يكن نواه وكان لا يحدان يقال للتصود والنظافة وقد حصلت دون التنية ولكن هذا يتقدم في الوضوء
أيضاً وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يغتسل غسله وأحب
أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة ولطيب
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه هفاء فإن كان قد دخل
الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل للتصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطلب بها
الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضر في جواره « وأحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل حبه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب
إذا أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا
اليوم روى وثقة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب العمام يوم الجمعة » (٧) فإن أكره الحر فلا بأس بزعمها قبل الصلاة وبسدها ولكن لا يزعج
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام للتبليغ وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث
نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث
من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا . أحب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر
لممان لما دخل وهو مخاطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان
(٥) حديث من توشأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث دت وحسنه ون من حديث سمرة (٦) حديث
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه دت وحسنه ون من
حديث أبي هريرة (٧) حديث وثقة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة
ط وعد وقال منكراً من حديث أبي هريرة ولم أره من حديث وثقة

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للعبادة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت للأئمة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فاجاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء ^(١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأولى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا يفضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة ^(٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الندوة إلى الجمعة وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قدمت للأئمة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم ^(٣) » وجاء في الخبر « إن للأئمة يشفقون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضائه ما فعل فلان وما ألقى آخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان آخره قمر فأغنه وان كان آخره مرض فأشفه وان كان آخره غفل فغفر له لبادتك وان كان آخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك ^(٤) » وكان يرى في القرن الأول سحراً أو بعد الفجر الطرقات حلوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك قتيلاً أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستنحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم ييكررون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف ييكررون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والرجح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

الرجاجة التي أضررت
بسراج النار إلى خبر
للمرفسة للقلب بسر
القلب حبها بها لأنها
مسرحة الرب سبحانه
وتعالى شغلها بنوره
ونوره للذكور ههنا
عبارة عن صفاء
الباطن واشتغال السر
بطلوع نيران كواكب
للمعارف الداهية يأذن
الله تعالى ظلم جهالات
القلوب ووجه إضافته
إلى الله تعالى على سبيل
الإشارة بالذكر لأجل
التخصيص بالشرف
والكاغدوا الخبر كناية
عن أنفسهم لا عن
غيرها وجعلها مبدأ
طريقه وأول سلوكه
إذ هما في عالم الملك
والشهادة الذي عمل
جولة الناظر في حال
نظره وأما سبب أنه
لم يصرف الكتابة
وللكتوب فلاجل
أنه كان أمياً لا يقرأ
الكتاب الصانع وإنما
يروم معرفة قراءة
الحسط الإلهي الذي
هو أمين وأدب على
انضم منه وأما مخاطبة
الناظر الكاغد وهو

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو سلم الناس ما فيها مأخذن إلا بالاستهام عليها حرصاً على ما فيها من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قدمت للأئمة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أسد ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر للأئمة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألوانهم وراياتهم يباب للمساجد ثم نشرها قراطين من فضة وأقلاماً من ذهب (٤) حديث إن للأئمة يشفقون العيد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضائه ما فعل فلان حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وقص بإسناد حسن . واعلم أن للصف ذكر هذا أثران لم يرد به حديثاً مرفوعاً فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطاً .

قد سبقوه بالبكور فاعتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتباً لها رابع أربعة ومارابع أربعة من البكور يعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه قد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلًا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تقدم لجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال « ما منك أن تصلي معنا » قال أولم ترى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وآذيت (٣) » أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع القضية قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تسكيف جواب في غير محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين يديه أعني بين يدي الصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي الصلي (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل رماً داراً مديداً تدروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي (٥) » وقد روى في حديث آخر في النار والصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع قال « لو يعلم النار بين يدي الصلي واللذلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيراً له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والصلي للفروخ حد للصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبي فليدفعه فان أبي فليقاتله فإنه شيطان (٧) » وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصصره فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فليصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كإروائه وفي الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة أخذ جسراً إلى جهنم ت وضعه و . من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣) حديث ما منك أن تصلي معنا فقال أولم ترى قال رأيتك تأنيت وآذيت دن حب لك من حديث عبد الله بن بسر مختصراً (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي الصلي البزار من حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو سنة و . وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل رماً داراً تدروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفاً على عبد الله بن عمر وزاد متعمداً (٦) حديث لو يعلم النار بين الصلي واللذلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يعقوب السراج في مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدفعه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر « غفر الله إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس (١) » ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى يقرب الخطيب منكرًا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث زارك تبكر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند اللبس يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر النصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع (٢) » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبي البرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صليتنا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم (٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لمن تأخر على هذه النية إشارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن السجدة للسلطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول للقصور كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في القصور ورأيا أنها قصرت على السلطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في الساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في القصور ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في قاء المنبر وما على طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكرره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام بأضال يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قالوا : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولنا فعله وزيان ومن لم يسمع ولنا فعله وزيان واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أومه فقد لنا ومن لنا والامام يخطب فلا الجمعة (٤) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس دحبه لك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع دمن حديث حمزة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بانظ من هجرونا واستمع وهو عند أصحاب السفن من حديث شداد (٣) حديث أبي البرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لنا ومن لنا لا الجمعة تن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لنا فلا الجمعة قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتبع العطف وتفر من العداوة وأما ما سمعته في حديثنا للسكرات وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتسكع ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصورة فأما أي شيء حقائق هذه الذكورات وما كره كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يتفهم بسماعه مع عدم الشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجمعة فملك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولي الشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد . [فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

الملك وبين العلم الإلهي
في عالم لللكوت أن
العلم كما اعتقدته مجسما
بطيء الحركة بالفعل
سريع الانتقال بالهلاك
مختلفا عن مثله في
الظاهر مجسولا تحت
قهر سلطان الآدمي
الضعيف الجاهل في
أكثر أوقاته متصرف
بين أحوال متنافية
كالعلم والجهل والعدل
والظلم والشك والصدق
والإفك فالعلم الإلهي
عبارة عن خلق الله في
عالم لللكوت مختص
بخصائص
الجواهر الحسية الكائنة
في عالم الملك يرى من
أوصاف مسمى به القلم
المحسوس كليا مصرفا
يتميز الخالق بحكم إرادته
على ما سبق به عليه
في أزل الأزل وإنعاسي
بهذا الاسم لأجل شبهه
بمعمل مسمى به غير أنه
لا يكتب إلا حقائق
الحق والفرق بين عين
الآدمي وعين الله عز
وجل أن عين الآدمي
كما علت مركبة من
عصب استعصى بقاؤها
وعضل تعطل أدواؤها
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ
إليه أن امسك فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أيا أنهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « صدق أبي » (١) وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هينة حتى يتهى إلى التسميع ولا يجلس في حلقة من يتكلم
فمن عجز عن الاستماع بالبعد فليصمت فهو للتمتع وإذا كانت تكرر الصلاة في وقت خطبة الإمام
فالكلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تكرر الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر
ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يرعى في قدوة الجمعة كثره في غيرها فإذا سمع قراءة
الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد
والمودتين سبعين وروى بعض السلف أن من قله عزم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من
الشیطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغثني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات ، قد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أربعا (٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ستا (٤) ، والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل الأفضل . العاشر أن يلازم للسجدة حتى
يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى
للمغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف
الحوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كرا الله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى
على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تنفوت الساعة الشريفة
ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من الساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على
الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا نجاس لهم » (٥) .
(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يجمع جميع التبار وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصص فلاخير في كلامهم ولا ينبغي
أن يغفلوا للرشد في جميع يوم الجمعة عن الحيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي
أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلا جمعة له (١) حديث أبي ذر
لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث حق وقال في العرفة
إسناده صحيح د . من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر وأحمد من
حديث أبي الدرداء أنه سأل أيا وابن جبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى
من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يساعد فقال
لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه
(٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا
(٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعا عن علي وله موقوفا على
ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتى على
أمتي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسل
وأسنده لك من حديث أنس وصححه إسناده وخب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

نهي عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة (١) « إلا أن يكون عالماً بالله يذكر بأيام الله ويغتنق في دين الله يتكلم في الجامع بالقدادة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر (٢) « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة (٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أئمة في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلاً - يعني العلم فعمل العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قاص بقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا (٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليهم روى أن قاصاً كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصه وشغلني عن سبحي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه (٥) » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي (٦) » واختلف فيها قليل إنها عند طلوع الشمس وقليل عند الزوال وقليل مع الأذان وقليل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقليل إذا قام الناس إلى الصلاة وقليل آخر وقت العصر أغنى وقت الاختيار وقليل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتغير بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أيها عليه السلام وعليها (٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدوامي على مراقبتها وقليل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم فتحات لا تفتضوا (٨) لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متضرعاً لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك الفتحات وقد قال كعب الأحبار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب قال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا تفتح حين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ينتظر

ولحم يمدد وجلد غير جلد موصولة كمثلها في الضعف والافتعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال وبمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بمحارحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل للمعلوم المحدث وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرفها اليمين المكتوبة بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بمرئي ولا عيني يقرؤه الأميون إذا شرخت صدورهم وتستجمع على القارئ إذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عين الآدمي إلا في بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقرى إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ت . من حديث عمرو بن عوف للزني (٥) حديث لا يصادفها عبد مصلي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشعب وعلته الاختلاف (٧) حديث إن لربكم في أيام دهركم فتحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

[فصل] وحده عالم الملك
ما ظهر للحواس ويكون
بقدره الله تعالى بفضه
من بعض وصحة التعبير
وحده عالم الملكوت
ما أوجده سبحانه
بالأمر الأزلي بلا تدريج
وبقى على حالة واحدة
من غير زيادة فيه
ولا نقصان منه وحده
عالم الجبروت هو ما بين
العالمين مما يشبه أن
يكون في الظاهر من
عالم الملك فغير بالقدره
الأزلية بما هو من عالم
الملكوت .

[فصل] ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والملاء فيه وجهان ففهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فراه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على الضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع لم يرد مورد آخر في غير هذا الموضع

الصلاة فهو في الصلاة^(١) قال بلي قال فذلك صلاة فسكت أبوهريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للعاثين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقة أداء وأعطه الوسيلة وابته القام الحمد الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ماجازيت نيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين يارحم الراحمين^(٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد آتى بالصلاة المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأيتك ورحتك وعيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المؤمنين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائم الخير وقائم البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابته مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يسطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة السابعة النيفة اللهم أعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وتقل ميزانه وأبلغ حبه وارفع في أعلى للتقريب درجته اللهم احشRNA في زمرة واجلنا من أهل شفاعته وأحيانا على سنته وتوفنا على ملكه وأوردنا حوضه وأسنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فائتين ولا مفتونين آمين يارب العالمين^(٣) » وعلى الجمعة فكل ما آتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصل عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من العمام والهيبة وذات الجنب والبرص والجذام وقتة الدجال^(٤) » ويستحب أن يغم القرآن في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة لجمعة لله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عصر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا في حين صلاة قال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعباً هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة ثم رجع والحديث رواه ذن حبان من حديث أبي هريرة ورواه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن التمر حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما.

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسبعات الست في يوم الجمعة أو ليلتها لحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة الغروب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢). الحامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعل لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها^(٥). فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلة أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه ويس فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسير كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستباح العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسير والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ليناؤه إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يسأل وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط ولا كعب الا حار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث حمزة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مراسلا قلت لا يصح مسندا ولا مراسلا (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وروى الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوتة صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسد سيب بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مراسلا (٦) حديث صلاة التيسير وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عقي وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب للنقول مما يمز ويصير فليق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الوطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى اقمسيحانه وهذا العبد المضرروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضرروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أي جهة يعمل في الاعتقاد الملقى على الله سبحانه ففيها وجهان: أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والنافقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداوا ابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم إلى اليوم أسألك أن تغفر لي وترحمي وترحمي وتغفر لي من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتبدى فيه السفر قد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه » (١) وهو بطلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسببه حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بخوافض الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسوء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لفته لحرمانه بركة الوقت وانها كحرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياق ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تتم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها)

فأما للسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب القمّة

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل القرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهمات أذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحك الذي يشوش عليه الحشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن السيب يأخذها ويغدرها ثم يطررها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقها وهذه رخصة والأفالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل وقد كان بعضهم لا يطردها في باب وقال لا أعود قسى ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي للولك يصرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهمات بائ فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأول وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا للضرورة [مسئلة] الصلاة في التملين جائزة وإن كان نزع التملين سهلاً وليست الرخصة في الخف لعمري نزع بل هذه النجاسة بمفعولها وفي معناها الداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فزع الناس ناعلم فقال لم خلعت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل فيهما » (٢) وقال بعضهم الصلاة في التملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعت نعالكم وهذه مبالغة فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على مواقفه وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه » (٣) فإذا قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضمهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضمهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الزواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع فزع الناس ناعلم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

به تعالى فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بحجمته وأدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه مختصر صغير فإن العالم إذا فصلت أجزاءه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء متشابهتان فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظرت في تحليل صورة العالم الأكبر قسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كالعالم الملك والثاني باطن معقول كالعالم اللسكوت والإنسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راحي هذا للمضى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ^(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما ^(٢) فلا إمام أن يضع ذلك إذا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشتغلانه ولكن قدام قدميه وله للرد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يمد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة غمامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بمرجون كان في يده وقال اتوني بغير فلتقطع أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال أيكم يحب أن يزق في وجهه قتلنا لأحد قال فإن أحدكم إذا دخل في الصلاة فإن الله عز وجل يبنو بين القبلة ^(٣) » وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى فلا يزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإن يدرته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بضم يعض [مسئلة] لوقوف القتدي سنة وفرض . أما السنة فإن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام فإن وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فإن كان معهما رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يمر إلى نفسه واحدا من الصف فإن وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين القتدي والإمام رابطة جامعة فأنهما في جماعة فإن كانا في مسجد كفي ذلك جامعا لأنه ينفى فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بسلامة الإمام وإذا كان للأوم على قضاء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوصهم وكفى بهما رابطة إذ يصل فضل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبأبها لاطى في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد فيدهلها من غير احتطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعروة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أول صلاته فليوافق الإمام ولين عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالدهاء وليبدأ بالقنعة وليخففها فإن ركع الإمام قبل تمامها وقدر على الخوقة في اعتداله من الركوع فليتم فإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض القاعة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركع الإمام وهو في السورة فليطعها وإن أدرك الإمام في السجود أو التشهد كبر للإحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فإنه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمواضع بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركبة مالم يطمئن راكعا في الركوع والإمام بعد في حد الراكعين فإن لم يتم طمأنينة إلا بعد مجاوزة الإمام حد الراكعين فاته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعه للندري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة غمامة فغضب الحديث م من حديث جابر وافقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشياء ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد اتسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للعوالم وإلى عالم السكوت وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والآن كذلك اتسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه عالم لللك الأجزاء المحسوسة وقد علمنا وللشابه عالم للسكوت فمثل الروح والعقل والإرادة وللشابه للآل الجبروت ، فكلا دراكات للوجود بالحواس والقوى للوجود بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كغفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا الناس بما لم تعدواهم أن يعذبوا

الركعة [مسئلة] من فاتة صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فان ابتداء العصر أحزاه ولكن ترك الأولى واقتم شبه الخلاف فان وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالأداء أولى فان صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحسب أيهما شاء فان نوى فاتة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فليبنو الفاتة أو النافلة فإعادة للزكاة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على نوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولورأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى بالتوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع الثملين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة [مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فعل فلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدرك أصل ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي بعد السلام مهما تذكر على التقرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جالس سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحال به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل قد قات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سبها خيل في العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعميمه كتعميم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم قام له فلو قال نويت أن أتصعب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي كان سنها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تفيث داعية التعظيم فتحيه ويكون تعظيما إلا إذا قام لشغل آخر أو غفلة واشترط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبراعنه أو صبر قام بذلك بمدة لم يكن تعظيما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تذكرا بالقلب لمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فان هذه التصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الدهن بحيث تطالعها النفس وتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للزوب والنفقة وإن لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الوجود والمدمم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم للمدمم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العلم أو تقدم المدمم أو تأخر الوجود أو الزمان للنفس إلى المتقدم والتأخر قال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله متناقضا لقوله إنني أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الحقيقة يشور الوسواس فان الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يدفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كما امتثال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

أن يكذب الله ورسوله
فمن حدث أحدا بما لم
يصله عقله ربما سارع
إلى التكذيب وهو
الأكثر ومن كذب
بقدره الله تعالى وبما
أوجدتها فقد كفر
ولم يقصد الكفر فان
أكثر اليهود والنصارى
وسائر الكفار ما قصدت
الكفر ولا تنظبه
بأنفسها وهي كفار
بلا ريب وهذا وجه
واضح قريب ولا
تلتفت إلى ما مال إليه
بعض من لا يعرف
وجوه التأويل ولا
يقدر كلام أولى الحكمة
والراسخين في العلم
حين ظن أن قائل ذلك
أراد التكفير الذي
هو قبيح الإيمان
والإسلام يتعلق بخبره
وتلحق قائله وهذا
لا يخرج إلا على مذاهب
أهل الأهواء الذين
يكفرون بالمعاصي
وأهل السنن لا يرضون
بذلك وكيف يقال لمن
آمن بالله واليوم الآخر
وعبد الله بالقول الذي
ينزه به والعمل الذي
يقصد به التمدد لوجهه

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فقدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للوسوس ينبغي أن يمنع به حتى يعود ذلك وتغارق الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما خضرها جماعها وبهج عليها الوسواس فذلك تركها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم للأموه على الامام في الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يقبه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كالوقوف بحجه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الوقوف على الامام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الوقوف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الوقوف تسهلا للتأدية في الفعل وتحصلا لصورة التبعية إذ الاتقي بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكفير فيه فقال «أما يخشى الله الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه حماراً» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يتبدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الامام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع للفرد بالوقوف خارج الصف والانسكار على من يرفع رأسه قبل الامام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» (٢) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسيء صلاته فلم ينه فهو شريكه في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تقصر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تقهر أضرت بالعامة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرّة» (٣) وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فمردوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والتاب إنسكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنابة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الليث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولقد كان تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أعمى إذا لم يكن بالثا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الله الذي يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند القردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرّة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث . من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد للزبد وينه ما شرف من النعم ويريد أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بينه وأطراحه وترصه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في إنشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بانفائه وقوع الكفر من السامع له فهذا مات متمرد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لاحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجده من العداوة والبغضاء قبل له أخطأت وأتعت من غير تكفير وأنه إيماء قبل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من التوافل من الصلوات)

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونهى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق السلوكية ونهى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل للمواظبة عليه كما سنن في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونهى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن التبرع وصحبت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجلتها زائد على الفرائض فلفظ التلغة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تفاوتت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار للترقية لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما جدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن التوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم واليلة أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجلمة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (١) ويدخل وقتها بطول الفجر الصادق وهو الاستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة غير في أوله إلا أن يعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبحر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو القالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتصلب منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح وبغوت وقت ركعتي الفجر بغوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » (٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقتاً قبل طلوع الشمس لأنهما تاجتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصلحهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فإن قيل

فما معنى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للإلهية سر لوانكشف

لبطلت النبوات

ولنبوات سر لو

انكشف لبطل العلم

وللعلم سر لوانكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الصفاء

فما قولوا ليس بحق فإن

الصحيح لا يتناقض

والكامل من لا يطنق

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأسئلة المرسومة فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آتفا

وناظر إليه إذ ما أدى

إفشاءه إلى إبطال النبوة

والأحكام والعلم كفر

فالجواب : أن الذي

قاله رحمه الله وإن كان

مستحسناً في الظاهر

فهو قريب المسلك باد

للمتأمل الذي يعرف

مصادر أغراضهم

ومسالك أقوالهم الإلهية

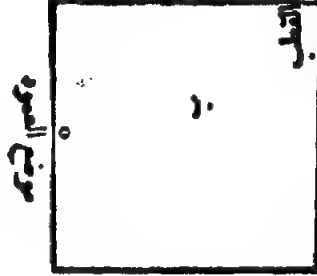
فيه الذكر والفكر والاعتصار على ركعتي الفجر والفرصة ، الثانية : رابعة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد الزوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى مائة مائة ألف ملك يستغفرون له حتى الليل » (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب » (٣) وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكره أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثني أخى حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الصشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص للنسبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب الغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة الغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة متحركة بالحس دخل وقت الظهر ويصل قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وتعالى وقعه قبله ولكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والوازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربها وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توجهت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توجهت خطاً من محط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستويا في موضع علامة هـ وهو بإزاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة الغرب في صوب خط هـ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث نك وصححه استناداً على شرطه ورواه مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين
ألقى لولا لم يكن نيبا
لا يغلو أن يكون
انكشافه من الله بما
يطلع على القلوب من
أنوار الشمس التي هي
طالبة عنها بأن كانت
القلوب ضعيفة طرا
عليها من الشمس
والاستلام والحسرة
والتيه ما بهر العقول
ويقتد الحس ويقطع
عن الدنيا وما فيها
وذلك لضيقه ومن
انتهى إلى هذه الحالة
تنبطل النبوة في حقه
أن يعرفها أو يستقل
ما جاء من قبلها إذ قد
شغلها ما هو أعظم
لديه منها وربما كان
سبب موته لجزئه عن
حمل ما يطرا عليه
كما حكى أن شاباً من
سالكى طريق الآخرة
عرض عليه أبو يزيد
ولم يره من قبل ففاراه
انكشف له ذلك وكان
في مقام الضياء من
الريدين فلم يطلق حمله
فمات به وإما أن يكون
انكشافه من عالم به
على وجه الخبر عنه
تنبطل النبوة في حق

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه صورته :

جانب الشرق



جانب الغرب

الثالثة : رتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) فعمل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجاب استجابة مؤكدة فإن دعوته تستجاب لأهالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : رتبة للغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كآبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فهاه الناس قتركما قيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما قتركما وقال لأن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي للمستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحجب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعق رقية وأخراها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعق رقتين . الخامسة : رتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر »^(١) حديث أبي هريرة (٢) حديث عن السواري إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا بركمان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام .

المغرب حين نهى أن لا يفتي فأفتى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المسألة عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلماذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه . فإن قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه بأخباره . قلنا ما بطلت في حقه جميعا وإنما بطل في حقهما ما خالف الأمر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تليظ حق الانشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى إفتاء سر الرواية كسر وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يسرفها بالحقيقة إلا نبي فإن انكشف ذلك قلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الهبة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكير فيه فيكون كالنبي إذا سئل عن شيء ولو وقت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومنها عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامعنى التقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم في الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل (٢) فإذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكرناه أن بعضها أكد من بعض وترك الآخر أكد أبدا لاسيما والفرائض تسكل بالتوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر. السادسة: الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليهما صلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ما سمينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قيل إن الأيتار بركعة فردة أفضل إذ صبح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الأيتار بركعة فردة وقيل للوصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موطرا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان ك وصحه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدى في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكرها حكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر سبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصل السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللمزمذ والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاذ في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس من حلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل فيهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو لقاء في روع فيعود محضراته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجايبها ولا لاحظ للسلوك يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أشقل من ذلك بسره وله ولانهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منفع المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نقي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله للوقات فمن جنى وميت ومتحرك وساكن وعالم

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإنها لم تصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر ثلاث مفصولة فى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث للوصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليكمل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن ترتيبه موقوف على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثلاثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأقسامهما ولكنها موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسبأى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأعمال وفوائدها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما قل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت على بن أبى طالب رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويؤيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً (٥) فالأول إما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربه بازاء صلاة العصر فإن وقت أن يبقى من النهار ربه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة وما قل عدده من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم . د . من حديث خارجة بن جذافة إن الله أمدكم بصلاته خير لكم من حمر النعم وضغفه وخ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً ويؤيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعاً ن . من حديث على كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقصر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يشككم فيها يئنه بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

وجاهل وشقى وسعيد
وقريب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقير
وغنى وفقير ومأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحد وشاكرو ذكرو
وأنى وأرض وسماه
ودنيا وأخرى وغير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به موجود
بقدرته وباق يعلمه
ومنته إلى أجله
ومصرف بعيشته
وذلك على بالغ حكته لما
أكل جهل من لا يجد
به إلا قدماء ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قدما
والربوب رباً والملك
مالك فيعود الخلق من
خلق الله كبه تعالى الله
عن جهل الجاهلين
وتحيل المتوهين
وزيغ الزائغين .
[فصل] وأما حكم هذه
العلوم المكتوبة فى
الطلب وسلوك هذه
المقامات ورفق هذه
الدرجات واستفهام
هذه المحاطبات أهى من
قيل الواجبات
والندوبات أو الباحات

- تتجاف جنوبهم عن الضامع - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فاتها من صلاة الأوابين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويفرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الأرض لوسمهم (٢) » وسبأ بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يتكرر بشكر الأسابيع)

(وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعد كل نصراني نصراني حسنات وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمره وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر (٣) » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فسلم ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمؤمنين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة ابن فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك يمع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدوروا على ألف قصر من نور يتلأأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار (٧) » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فاتها من صلاة الأوابين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن النفر مرسل (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغاري في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاطه من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى اللدين من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى اللدين فيه بصير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى اللدين من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى اللدين فيه سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار الحديث أبو موسى اللدين بسند ضعيف ولم يقل عند اتصاف النهار

فاعلم أن الشئول عنه على ضربين أحدهما ما هو في حكم البادى والثاني في حكم الغايات فأما الذى هو في حكم البادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم للعامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة قال الله تعالى - فاقنوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه. وأما الذى هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم للواقعة والرضا بالانقياد والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التقرير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنع

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال أرجع لا تسخط رقاب الصديقين لكنا مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصديق في العلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله القرض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إمامفتون بدنيا ما ومحجوب بهواه وبرك على كل شيء قد بر.

[فصل] وأما لأمي شيء ذكرته هذه العلوم بالإشارات دون المبارات وبالرموز دون التصريحات وبالتشابه من الألفاظ دون الحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات وللמודتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش بإعبد الله استأنف العمل قد غفرك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقة وظلمته ورفع عنك عذاب القيامة ورفع له من يومه مهمل نبي (١) » يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة وصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجيا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بسدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة (٢) » يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عديم مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك قنوصاً ثم أضيغ الوضوء فصلى سبعة المضحى ركعتين لإيمانا واحتسابا إلا كتب الله مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة (٣) » وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (٤) » . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حبة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء (٥) » . وأما الليالي ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة وللמודتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كلم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى اللدني وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى اللدني بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي بن يوم الجمعة صلاة مامن عديم مؤمن قام إذا استقلت الشمس الحديث لم أجده أصلا وهو باطل (٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجه غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى اللدني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

وعهدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الأمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل ماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمودتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثني عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني غير إسناده وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش غير إسناده وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى غير إسناده حكاية عن بعض الصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكورة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثني عشر ركعة . لم يكن بالأحياء ولعله بنسخه وكذا لم يخرج عنه تأمل .

الشارع فيما له أن يتحنن به من كلف ويتلو من يريد ولكن العلم رجال مخصوصون لما بال من لم يجعل شارع ولم يثبت لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وارث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كحل النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ذومرة فاستوى وحكم الوارث فيما وارث حكم للوروث فيما وارث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل للوروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم للعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يقبلها إلا العالمون

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما سطر الصديقين والشهداء^(١) . ليلة الجمعة : قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلا^(٢) » وقال أنس قال النبي ﷺ « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين مرة مرة ثم أوتر ثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثرُوا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة^(٤) . ليلة السبت : قال أنس قال رسول الله ﷺ « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له^(٥) .

(القسم الثالث ما يكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي سنة مؤكدة وشمار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور ، الأول : التكبير ثلاثا نسفا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الصروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأفاويل ويكبر عقب الصلوات للفروضة وعقب التوافل وهو عقب الفرائض أكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد يتسلل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعباءة الزينة عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ « يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور^(٧) » . الرابع المستحب الخروج إلى الصحراء إلى مكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحوا أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالضفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس يراعى الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر يوم . الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لا أصل له (٣) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٤) حديث أكثرُوا على من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهري طيب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية .

فلم يكن للورث تعد
عن حكم الموروث كما
حكى عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
إني رويت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وعاءين أحدهما هو
الذي بثته فيكم ، وأما
الثاني فلو بثته لحزنتم
السكين على هذا اليوم
وأشار إلى حلقه وبعد
كل شيء في القدوة
بصاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه النجاة
وفي اتباعه الفوز بحب
الله ويزد الله مع الجماعة
وفوق كل ذي علم عليم
وقد أفندنا من طرائف
ما عندنا وأهدينا إليك
من غرائب ما لدينا
وإلى الله يرد العلم بما
دق وجل وكثر وقل
وعظم وصغر وظاهر
واستر وإنما ينطق
الإنسان بما أنطقه الله
تعالى وهو مستعمل
بما استعمله فيه إذ
كل ميسر لما خلق له
فاستزل ما عند ربك
وخالفك من خير
واستجلب ما تؤمله منه
من هداية وبر بقرادة
السبع الثاني والقرآن

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد: الصلاة جامعة ويصلي الامام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض غيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة في الأولى بعد الفاتحة واقرب في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها: السابغ أن يضحي بكبش «ضحي رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح يده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً (٣)» قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة الثانية التراويح: وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال «أخاف أن توجب عليكم (٦)» وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي قيل إن الجماعة أفضل لفضل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الترائف ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشرائع كالعيدين فالحاقها صلاة الضحية ونحية للسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم «فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت (٧)»

(١) حديث تعجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الخوير مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يحل الأضحي وآخر الفطر (٢) حديث ضحي بكبشين أملحين وذبح يده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون ت قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شيبة في الصنف لعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكبر منها بما ضمنت من القوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجلال فافهم واتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أراحه وهادي من جاهد في صيحه وكاف من توكل عليه وهو القى التكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى للباعثة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب المؤمنين فيده مجاري القدورات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يطعمهما إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إلى فيه الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قبل فيه ، والخيار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فإن بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكان قاله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلفرض للثلاثة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان ، أما صلاة رجب : فقد روي بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعصاة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب اللائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى » (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرار السنن وإن كانت رتبة لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة قلها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها ، وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون صلاة الخير ويجمعون فيها

وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يطعمهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلحهما الصبر في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزين في كتابه وهو حديث موضوع

من آمن وكفرو مجازي .
الخالق بنعيم أو سقر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وطى
آله السادات الثمر
وسلم تدليا والحمد لله
رب العالمين .

ثم كتاب الإملاء
في مشكلات الإحياء
[مکتب عوارف
للعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطانه الظاهر
إحسانه الباهر حجه
وبرهانه المحتجب
بالجلال والنفرد
بالكمال والمرتدى
بالمنظمة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذى العز الدائم
السرمدى والملك القائم
الديمومى والقسدره
المتنع إدراك كنهها
والسطوة للستوعر
طريق استيفاء وصفها
نظقت الكائنات بأنه
الصانع للبسع ولا ح من
صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق المبتدع
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للنفرة (١)

(القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة :)
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية وقوعها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تقرب الشمس كاسفة ، وتنفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يسطل سلطان الليل ولا تنفوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة أعما مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من اللظام والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالمعابر والصبان منتظمين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا (٣) » ولو خرج أهل التمة أيضاً متميزين لم ينعوا فإذا اجتمعوا في الصلوة الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تماؤلاً بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل . . من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان قهروا ليلاً وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجه من حديث المقر بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن زيد المازني

بالمعجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تمرزا وجلالا مسالك الوم وأطرق طامح البصرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الحية في فضاء الجبروت مجالا فهاد البصر كليلا والعقل غليلا ولم يتجهج إلى كنه الكبرياء سيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكليفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة قهيات لقبول الإمداد القدسية واستمدت لورود الأنوار العلوية وانغذت من الأنفاس المطرية بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أروادهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامتن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد للظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور مروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما يثق الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من وزجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار (١) » حتى قال عوف تمت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكرر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل السبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشيعها مشهورة فلانظيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما يصير نقلا في حق من لم تمتن عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم تمتن لأنهم يحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كفضل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة اللهم والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعم الله عز وجل فيه (٢) » وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحمهم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه واقفح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعفه في إحسانه وإن كان سيئا فاجزعه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة منع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يغلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لمبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تسكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلى (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

جلالنا وأقامت على
الظاهر والباطن من
التقوى حراسا وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراسا
واستحقرت فوائد
الدنيا ولذاتها وأنتكرت
مصايد الهوى وتبعاتها
وامتنعت غوارب
الرجبوت والرهبوت
واستفرشت بملوحتها
بساط اللسكوت
وامتدت إلى للعالي
أغناقها وطمعت إلى
اللامع العلوي أحداقها
واتخذت من اللأ
الأعلى مسامرا وعجورا
ومن النور الأعز
الأقصى مزورا ومجاورا
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح فرشية
بأرواح عرشية
نفوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في البوذية
مشهورة وأعلامهم
في أقطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم يقعدوا وما قدعوا
ولكن سميت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أمانيتنا عن هذا ؟ فقال : هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوعد^(١) » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضغف الأسباب قضاء التوافل إذ اختلفت العلماء في أن التوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا انتفت الكراهية بأضغف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنائزة إذا حضرت ولا صلاة الحسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً . القائلة الثانية : قضاء التوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة^(٢) » وقد قال العلماء من كان في الصلاة قضاؤه جواب التؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للتؤذن سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية ، نعم من كان له ورد فهاهنا عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرضى لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا يغيب نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل^(٣) » فيقصده به أن لا يفترق دوام عمله وروى عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها لملازمة مقتى الله عز وجل^(٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقتى الله تعالى تركها لملازمة فلولاً للقت والابادة لما سلطت الملازمة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطأ الحديث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال لم سبقني إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئاً إلا أتى لأحدث وضوءاً إلا أصلى عشرين ركعتين^(٥) » . السادسة : ركعتان عند دخول التزليوع عند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء^(٦) » وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به بحاله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام^(٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل الظهر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها لملازمة مقتى الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال لم سبقني إلى الجنة الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هو في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الجرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكرو وقال خ لا أصل له (٧) حديث ركعتي الإحرام خ من حديث ابن عمر .

كاتبين بالجنان
بائنين بقلوبهم عن
أوطان الحداث
لأرواحهم حول العرش
تطواف وقلوبهم من
خزائن البر إسعاف
يتعمون بالخدمة في
الدياجرويتلذذون من
وهيج الطلب بظناً
المواجر تسلا
بالصوات عن الشهوات
وتعوضوا عداوة
التلاوة عن اللذات
يلوح من صفحات
وجوههم جسر
الوجدان وينم على
مصكون سرائرهم
نضارة العرفان لا يزال
في كل عصر منهم علماء
بالخلق داعون للخلق
نحووا بحسن للتابعة
رتبة الدعوة وجعلوا
للمتقين قدوة فلا يزال
تظهر في الخلق آثارهم
وتزهر في الآفاق أنوارهم
من اتقى بهم
اهتدى ومن أنكرهم
ضل واعتدى فله الحمد
على ما هباً للعباد من
بركة خواص حضرته
من أهل الوداد والصلاة
على نبيه ورسوله
محمد وآله وأصحابه

الأكرمين الأجساد .
ثم إن إشاري لهدى
هؤلاء القوم ومحقق
لهم علما بشرف
حلمهم وحمية طريقهم
للبنية على الكتاب
والسنة للتحقق بهما
من الله الكريم الفضل
وللتفداني أن أذهب
عن هذه العصابة بهذه
الصياغة وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجهه
الصواب فيما اعتدوه
مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتدوه
حيث كثر التشبهون
واختلفت أحوالهم
وتسربل بهم للتشبهون
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يعلم
من قيمة فيهم وطعن
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
مجرد رسم وتخصيم
عائد إلى مطلق اسم
ومما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتناء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة
شرب ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يترك فيها بذكر الله عز وجل وهي على
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم
« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أتم » (٣) الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كقصد
النكاح وابتداء النصيحة وللشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة
على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت
النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة وللشورة تقديم التعميد .
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دأما وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والأحرام وما يجري مجراه
فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة
صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه فقد
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون
وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بك بقدرتك
وأسألك بجن فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن
هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسنه لي
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرعه
عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٤) روى جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسننا الاستخارة في الأمور كلها كما يسننا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم
بأمر فليصل ركعتين ثم ليستم الأمر ويدعو بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا
من أعطى الشكر لم يمنع للزهد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخيرة ومن أعطى للشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) لمن ضاق عليه الأمر
ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد
أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلى العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ نحر ساجدا ثم قال سبحان الذي ليس العز وقال به
سبحان الذي تعطف بالجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي
التسبيح إلا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكالم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف
في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجه من حديث كعب بن
مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أتم د ن ه حب في صحيحه من حديث
أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث
ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة
ركعتين روات ه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلما نك التامات العامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لامعية فيها فيجواب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلننا أنه كان يقال لا تملوها لسفهاكم فيمتاونون بها على معصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التسييح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يغلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك بشئ إذا أنت فعلت غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديعه وحديثه خطاه وعمده سره وعلايته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ست أسأؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كسابق عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والجموع عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليحة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى ^(٢) » وإن زاد بعد التسييح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية السجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يمتطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاة وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التمثيل في وقت الكراهية فليؤ قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطوع إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارئها لو إذا ارتفعت فارقها فإن استوت قارئها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارئها فاذا غربت فارقها ^(٣) » ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسييح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارئها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحي .

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم همه النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل مانع الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل النج عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله للعين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أمم وذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر المتصوف والتشبه . الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والواظبة على نعط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعدت النشاط وانبتت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تعريض وبسبب على انتظار انقضاء الوقت غلبت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداء لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استقال وملا لولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل ترتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل فاذا كانت هذه أمور مهمة في التهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف ونحوها للبعد فأما ما مضى عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود التهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلوات من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسمد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأقبر وأغنى وأضر وأفنى أقدى خلق الحيوان من نطفة نحي ثم تفرد عن الخلق بوصف النحي ثم خصص بعض عبادته بالحسن فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبني وبين أن بفضل زكته من عبادته من تركه ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس المهدي وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبادئ الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة »^(١) وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرم بهذا أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في قعر من قرى فر أبوذر فقال بشر الكاذبين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أعناقهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حمة ندى أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حق يخرج من حمة نديه يترزل وقال أبوذر اتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأي قال : هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأحمت تنطحه بفرونها وتطؤه بأظلافها كلما تقدمت أخرها عادت وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصانع وهو فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

(٢٧ - إحياء - أول)

العاشر في شرح رتبة
للشيخة . الباب
الحادي عشر في شرح
حال الخادم ومن يتشبه
به . الباب الثاني عشر
في شرح خرقة المشايخ
الصوفية . الباب الثالث
عشر في فضيلة سكان
الربط . الباب الرابع
عشر في مشايبة أهل
الربط بأهل الصفة .
الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط فيما يتعاهدونه
بينهم . الباب السادس
عشر في اختلاف
أحوال المشايخ بالسفر
والقيام . الباب السابع
عشر فيما يحتاج للمسافر
إليه من القرائن
والتوافل والفضائل .
الباب الثامن عشر في
القدوم من السفر
ودخول الرباط والأدب
فيه . الباب التاسع
عشر في حال الصوفي
للتسبيح . الباب
العشرون في حال من
يأكل من الفتوح .
الباب الحادي
والعشرون في شرح
حال للتجسّد من
الصوفية والتأهل .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس (١) وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصاد على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدعى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : في صدقة التطوع وفضلها .

(الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والفقدين والتجارة وزكاة الركاظ وللمادن وزكاة للشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا يجب هذه الزكاة غيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشرطه خمسة أن يكون نعمة باقية حولان صابا كاملا مملوكا على الكمال . الشرط الأول كونه نعمة فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والتولمن بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيحت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول فالرسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال ويجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الناشئة للرهنونة لأنه الذي حبر على نفسه ولا يجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع نعمائه فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستقر في ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذا التقى ما يغفل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فثلاثي فيها حتى تبلغ خمسا فحقة جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من للز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشرين ثنية وفي خمس عشرة ثلاث شياء وفي عشرين أربع شياء وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا سارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا سارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا سارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا سارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا سارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المزم ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياء إلى أربع مائة ففيها أربع شياء ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخياطين كصدقة السالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة فمائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخطلة الجوار تكلفه الشيوع ولكن يشترط أن يرعى معا ويسقى

(١) حديث أبي دراهم أنه أتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م ومع (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بن إسماعيل بن عمار عن عاتكة بنت عبد الله بن مسعود .

الباب الثاني والعشرون
في القول في السماع
قبولا وإثارا . الباب
الثالث والعشرون
في القول في السماع
ردا وإنكارا . الباب
الرابع والعشرون
في القول في السماع رضا
واستثناء . الباب
الخامس والعشرون
في القول في السماع
تأديا واعتناء . الباب
السادس والعشرون
في خاصة الأربعينية
التي يتعاضدها
الصوفية . الباب
السابع والعشرون
في ذكر
الأربعينية . الباب
الثامن والعشرون
في كيفية الدخول
في الأربعينية . الباب
التاسع والعشرون
في ذكر أخلاق الصوفية
وشرح الخلق . الباب
الثلاثون في ذكر
فصائل الأخلاق .
الباب الحادي
والثلاثون في الأدب
ومكانه من الصوف .
الباب الثاني والثلاثون
في آداب الحضرة لأهل
القرى . الباب الثالث

مما ويحلها معا وسرحا معا ويكون للرعي معا ويكون إنزاع الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل
الزكاة ولا حكم لخلطة مع الدمي والسكاتب ومهما زل في واجب الإبل عن من إلى من فهو جائز مالم
يجاوز بنت مخاض في التزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما
ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ
الجبران من الساعين من بيت المال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة
ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللثام لثيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا للناض ولا الربى
ولا الفحل ولا غراء المال .

(النوع الثاني زكاة للشركات)

فيجب الشر في كل مستتب مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فبادونها ولا في القواكه والقطن ولكن
في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويشتري أن تكون ثمانمائة من تمر أو زبينا لارطبا وعبا
ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الحليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبيتان للشرك
بين وروثة لجمعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون من من زبيب بقدر حصصهم
ولا يشتري خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالتمر ويكمل نصاب التمر بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فان
اجتمعا فالأغلب يشتري وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ
عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت الصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب
فيقال تسعة لمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخس في مثل
هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف .

(النوع الثالث زكاة النقدين)

فإذا تم الحول على وزن مائة درهم بوزن مكة نفرة خالصة فيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد
فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة فيها ربع العشر وما زاد فبحسابه
وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مفضولة إذا كان فيها هذا المقدار
من النفرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب
للرجال ولا تجب في الحلي للبائعات وتجب في الدين الذي هو على من ولكن تجب عند الاستيفاء وإن
كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة النقدين وإنما ينقذ الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد
نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بمرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدي الزكاة من
قد البلد وبه يقوم فان كان ماله الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد
ومن نوى التجارة من ماله قنية فلا ينقذ الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية
التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدي زكاة تلك السنة وما كان من ربع في
السلمة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف به حولا كما في التاج وأموال
السيارة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربع مال القراض على العامل
وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأنيس .

والثلاثون في آداب
الطهارة ومقدماتها .
الباب الرابع والثلاثون
في آداب الوضوء
وأسراره . الباب
الخامس والثلاثون في
آداب أهل الحصوص
والصوفية فيه . الباب
السادس والثلاثون في
فضيلة الصلاة وكبر
شأنها . الباب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب .
الباب الثامن والثلاثون
في ذكر آداب الصلاة
وأسرارها . الباب
التاسع والثلاثون في
فضل الصوم وحسن
أثره . الباب الأربعون
في أحوال الصوفية في
الصوم والافطار . الباب
الحادي والأربعون في
آداب الصوم ومهامه .
الباب الثاني والأربعون
في ذكر الطعام وما فيه
من الصلحة والفسدة .
الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكل . الباب الرابع
والأربعون في ذكر
آدابهم في اللباس
ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمدن)

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكده شبهة بالقيمة واعتباره أيضا ليس يبعد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخص على الصحيح بالتقدين ، وأما المعدن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليس ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلي هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بركة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين التقدين أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قرية من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليتته صاع بما يقتات^(١) بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثين يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزاء ونقصتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته وماله وولده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم : أدوا صدقة الفطر عن عمنون^(٢) . ويجب صدقة العبد للشرط على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولام بالتقدين من كانت نفقته كدوقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم^(٣) فهذه أحكام قهية لا بد منها من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكفل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عد إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للمتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاء لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عن عمنون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد عن عمنون قال هق إسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحج لك وصحة ورواه ن حب بتعدين الزوجة على الولد وسبأني

والأربعون في ذكر

فضل قيام الليل .

الباب السادس

والأربعون في الأسباب

للجنة على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون

في آداب الانتباه من

النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن

والأربعون في قسم

قيام الليل . الباب

التاسع والأربعون

في استقبال التهار

والأدب فيه . الباب

الحسون في ذكر العمل

في جميع التهار وتوزيع

الأوقات . الباب الحادي

والحسون في آداب

للريمع الشيخ . الباب

الثاني والحسون في

يتمتع الشيخ مع

الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والحسون

في حقيقة الصفة

وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والحسون

في أداء حقوق الصفة

والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس

والحسون في آداب

الصفة والأخوة . الباب

السادس والحسون

في معرفة الانسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تسجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه ب تلف ماله وتمكنه بمصادفة للتحقق وإن أخر لعدم التحقق ف تلف ماله سقطت الزكاة عنه وتسجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تسجيل زكاة حولين ومهما سجل لمات السكين قبل الحول أو أورد أوصار غنيا بغير ما سجل إليه أو تلف مال التالك أو مات فالدفع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن للسجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج للنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ القصور من سد الحلة وما أبهده عن التحصيل فان سد الحلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحفظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجرات مثلا إذ لاحظ للحجرة في وصول الحصى إليها فقصود الشرع فيه الأبتلاء بالعمل ليظهر العبد رقة وعبوديته بخل ما لا يقبل له معنى لأن ما يقبل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود فقط لا لمضى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك بحجة حقا تبدا ورقا »^(١) تنبها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لحرز الأمر وامثاله كله أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس بقصد منه التبعيد كقضاء دين الأدمين ورد للنصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للتحقق لو تبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان للكلف بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحفظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين السنين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التبعيد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدي هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه لحظ الفقير مقصود في سد الحلة وهو جلى سابق إلى الأفهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعبا في تمييز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قاذح في حظ الفقير لكنه قاذح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعقل من الإبل إلى الشاة ولم يدل إلى التقدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهنا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تنصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فان أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل تخيب للظنون فان مل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك بحجة حقا تبدا ورقا . البراز والدارقطنى في العلل من حديث أنس .

نفسه ومحكاشات
الصوفية من ذلك .
الباب السابع والخمسون
في معرفة الخواطر
وتفصيلها وتمييزها .
الباب الثامن والخمسون
في شرح الحال والقام
والفرق بينهما . الباب
التاسع والستون في
الإشارة إلى القامات
على الاختصار والابحاز .
الباب الستون في ذكر
إشارات الشايع في
القامات على الترتيب .
الباب الحادى والستون
في ذكر الأحوال
وشرحها . الباب الثانى
والستون في شرح
كلمات من اصطلاح
الصوفية مشيرة إلى
الأحوال . الباب الثالث
والستون في ذكر شىء
من البدايات والنهايات
ومعناها ، فهذه الأبواب
تحررت بمون الله تعالى
مستمتة على بعض
علوم الصوفية
وأحوالهم ومقاماتهم
وأدابهم وأخلاقهم
وغرائب مواجيدهم
وحقائق معرقهم
وتوحيدهم ودقيقى
إشاراتهم ولطيف

الخروج عن شبه الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى التبرء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف للوجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول للريض إنما تلك مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك في التملك والعبادات ينبغي أن يتوفى عن المجهوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أغنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم القرظة والساكنون فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متفاوتة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم لها فاقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر قسماً ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة عن عليهم الزكاة وليخط مال نفسه بمالهم وليجمع للمستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهلوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مرير طريق الآخرة بركاته وظائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبادئ الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بخلق الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافرااد للعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يثق للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فان الهبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تتمهم بالدنيا ويسبها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن اللوت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنحوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن اللال الذى هو موقوفهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللأسخنة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال اتهم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بهدم وزلوا عن جميع أموالهم فلم يتخروا دينار ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشرط ماله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضى الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك ما بين كتيكاً (١) فالصديق وفى تمام الصديق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم للمسكون أموالهم الرقيقون لمواقيت الحاجات ومواسم الحيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتقائى على قدر الحاجة دون التتم وصرف الفائض عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشرط ماله الحديث ذلك وصحبه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينك ما بين كتيكاً .

اصطلاحاتهم فعلومهم كلها إنباء عن وجدان واعتناء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح للقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية مستزلفاء السرائر وخلاص الضمائر فاستمتت بكنها على الإشارة وطفعت على العبارة ونهادتها الأرواح بدلالة التثام والاتلاف وكرعت حقائقها من بحر الأنطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نكلم في حواشيه بدأ هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بقاء السلف وصالحى التابعين فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله للأموال أن يقابل جهدهم للقبول بحسن القبول

سوى الزكاة كالنهي والشعي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتي المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وبما رزقناهم ينفقون - وبقوله تعالى - وأتقوا بما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق السلم على السلم ومعناه أنه يجب على الموصى مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أُرهِقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إلا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموصى إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى العرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه ليجلهم بالمال وميلهم إليه وضعف جهم للآخرة قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا - يحفكم أى يستتم عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستتم عليه لبعثه فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بئذ الأموال . للمنى الثاني التطهير من صفة البخل فانتمن للمهلكات قال **الشيخ** « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسياق في ربيع للمهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصص منه وإنما تزول صفة البخل بأن تتوعد بئذ للمال فحب الشيء لا ينقطع إلا بغير النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا للمنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل للمهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . للمنى الثالث شكر النعمة فإن الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التحصيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإسعال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من الصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن ينتقم فان ذلك لمة الملك وقلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن لما أسرع قلبه والسيطان بعد الفقر ويأمر بالتحشاء والتكر وله لمة عقيب لمة الملك فلينتقم الفرصة فيه وليعين لركاتها إن كان يؤديها جرما شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لتفاء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام الصدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان . الحديث أخرجه من حديث ابن عباس .

والحمد لله رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
مفشأ علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردي
إسلامه من لفظه في
شوال سنة عشرين
وخمسة قال أنبأنا
الشرىف نور الهدى
أبو طالب الحسين بن
محمد الزينى قال أخبرتنا
كرمة بنت أحمد بن
محمد للرزوية المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن مكي الكشميرى
قال أنبأنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
القربرى قال أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن
إسماعيل البخارى قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد عن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعرى
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إنا مثلى
ومثل ما يقتضى الله به
كنثل رجل أتى قوما
فقال يا قومى إني رأيت

الشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر فيسر (١) » وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضاً مسندنا وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) وفي الحديث للشهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدم رجل تصدق بصدقة فلم تلم ثماله بما أعطت يمينه (٤) » وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب (٥) » وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال عليه السلام لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والتحدث بصدقة يطلب السمعة واللعلى في ملأ من الناس يخفى الرياء والإخفاء والسكوت هو الخلق منه (٦) . وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض للعلى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبعضهم يلقبه في طريق القبر وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للعلى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نام وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للعلى وكان يستكم للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يخشيه كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى للسكين والسكين لا يعرف أولى إن في معرفة للسكين الرياء ولثة جيبا وليس في معرفة للتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة لحبط عملها لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف حب المال وحجب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم اللال عقرباً لادفا وصفة الرياء تنقلب في القبر أنسى من الأعمى وهو مأمور بتضعيفها أو قتلها فدفع أذاها أو تخفيف أذاها فهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض أطراف القرب مقبواً للحية فيقدر ما ضعف من القرب زاد في قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضمف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواهي البخل ويحجب دواهي الرياء فيضف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه اللعان في دربع للهللكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنده كره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فتنهاى - وذلك حيث يقتضى الحال الابداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفاً من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر فيسر أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فقد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بأسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي نعيم كلاهما ضعيف والترمذي وخسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة تطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أظفر به هكذا.

الجبى بينى وإنى أنا
النذر المريان فالتجاء
التجاء فأطاعه طائفة
من قومه فأدجلوا
فانطلقوا على مهلم
فنجوا وكذبت طائفة
منهم فأصبحوا مكانهم
فصبجهم الجبى
فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعنى
فاتبعت ما جئت به ومثل
من عصانى وكذب بما
جئت به من الحق .
معنى اجتاحهم :
استأصلهم ومن ذلك
الجاهة التي تفسد
البار ، وقال صلى الله
عليه وسلم « مثل
ما بشى الله به من
الهدى والعلم كمثل
الثبت الكبير أصاب
أرضاً فكانت طائفة
منها طيبة قبلت الماء
فأنبتت الكلاً والشب
الكثير وكانت منها
طائفة أخاذات أمسكت
لئلا تنفع الله تعالى بها
الناس فخرى وأسقوا
وزرعوا وكانت منها
طائفة أخرى قيمان
لأنهم ماء ولا تنبت
كلاً فذلك مثل من قته
في دين الله وقته ما بشى

الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار عذورا ثالثا سوى الن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا للمنى في اظهاره وهو كاظهار القسق على من تستر به فانه محذور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهي عنه فاما من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها ومثل هذا للمنى قال عليه السلام « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ^(١) » وقد قال الله تعالى - وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف التوائد والتوائل ولم ينظر بين الشهوة الفصح له الأولى والأليق بكل حال : الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقة بالمن والأذى قال الله تعالى - لا يبطلو صدقاتكم بالمن والأذى - واختلفوا في حقيقة اللن والأذى قيل اللن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال سفيان من فسد صدقة قيل له كيف للن قال أن يذكره ويتحدث به وقيل للن أن يستخدمه بالمطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل اللن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن يشهره أو يوبخه بالمسئلة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان ^(٢) » وعندى أن اللن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه حسنا إليه ومنما عليه وحقه أن يرى الفقير حسنا إليه يقول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبق مرتهنا به لحقه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ^(٣) » فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بصدق رزقه إلى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسأ فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن إليه هو للتكفل برزقه أما هو فائما يقضى الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه حسنا إلا إلى نفسه إما بئذله مال إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه حسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه حسنا إليه تفرغ منه على ظاهره ماذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ماذكرناه وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالأظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لاعمالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحق ومدوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب في الضمفاء من حديث أنس بسند ضيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالأذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه حق في الشعب بسند ضيف

وذلك أشرف مما يذله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض
فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنطوع عرف فضل الفقير على النفي وعرف خطر الأغنياء
لما استحق الفقير بل برك به وتعنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بحسبالة عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبو ذر من هم قال «هم الأكثرون
أموالا» الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جعله الله تعالى منجزة له إذ يكتسب المال بمجده ويستكثر
منه ويجهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد أرم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالتفني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد الظالم والزام للشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن بهما انتقلت الكراهية وهدئت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتضيئه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأدنى
والتوسيع وتخطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والتناء وقبول اللذة فهذا منشأ للنَّ والأذى . فان قلت
فرويته نفسه في درجة الحسن أمر فاضل فهل من علامة يتخبر بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يجهد أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استكراه واستعباده له على استكراهه قبل التصديق فان زاد لم يخل صدقه
عن شائبة اللذة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقفه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر فاضل ولا ينفك قلب
أحد عنه لما دواؤه . فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمرقة بالحقائق التي ذكرناها
فهم الوجوب وأن الفقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتطافها متقد
للذة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم ييسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قائما للرسول احفظ ما يدعو به ثم كاتتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى نخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدماء لأنه شبه السكافة وكانوا يقابلون الدماء بثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول اللذة ومن حيث الباطن للمنازعة التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يسالج القلب إلا بمحجون العلم والعمل وهذه
الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للرب
من صلاته إلا ما عقل منها (١) » وهذا كقوله عليه السلام لا يقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا
صدقاتكم بالبن والاذى . وأما أقوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
فحديث آخر وقد أشرنا إلى مضاه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستعصر العطية فانه إن
استعظمها أوجب بها والعجب من اللهلكت وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم نحين إذ أهبطكم
كثرتكم فلم تقن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصرت عظمت عند الله عز وجل وللحبة كلما
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم للمعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيئه وستره
وليس الاستعظام هو للنَّ والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو ربط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه للنَّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع البادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأخاذات لأن قلوبهم
كانت واعية فصارت
أوعية للمعلوم بما رزقت
من صفاء القوم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن اسماعيل
القرظي بإجازة قال
أبنا أبو سعيد محمد
الجلي قال أبنا
القاضي أبو سعيد محمد
القرظي قال أبنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد التماري قال أبنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسين قال حين نزلت
هذه الآية - وتعبأذان
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لعل سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي لما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي أذان وعت

عن الله تعالى أسراره
وقال أيضا واعية في
معادنها ليس فيها غير
ما عهدته شيء فهي
الحالية عما سواه
لما اضطراب الطباع
إلا ضرب من الجبل
قلوب الصوفية واعية
لأنهم زهدوا في الدنيا
بعد أن أحكموا أساس
التقوى فبالتقوى
زكت قلوبهم وبالزهد
صفت قلوبهم فقام
عدموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد انفتحت
مسام بواطنهم وصحت
أذان قلوبهم وأعاتهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فطما التفسير
وأئمة الحديث وقتهاء
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام وردوا الحوادث
للتجسدة إلى أصول
من النصوص وحملوا الله
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللغة وغرائب النحو
والصرف وأصول
القصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع نفسه بأحسن درجات البذل كذا كرنا
في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فاللهم عز وجل وله اللذة عليه إذ أعطاه ووقعه
لذته فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يخفى أن ينظر إلى الآخرة
وأنه يذله للثواب فلم يستعظم بذله ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الجبل من بخله
بأنسك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كثرة من يطلب برد ودية
فيمنك بفضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما
لربما يربيه عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحكم بخلوا - . الوظيفة السابعة :
أن يتق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج
من شبهة فرعا لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموضع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوي لبيد
أشقى من مال اكتسبه من غير محبة (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد للمال فهو من سوء الأدب إذ
قد يمسك الجيد لنفسه أول بيده أولا له فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فضل هذا بضيفه مقدم
إليه أردأ طعام في بيته لأوثر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس بماتل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما صدق به فأبقى أو كل فأفنى
والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجل وترك الادخار وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تبخلوا الخبيث منه
تفقون ولستم بأخذه إلا أن تمضوا فيه - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الأغراض
فلا تؤثر وابه ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا الله ما يكرهون
قال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون ونصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء
على التثنية تسكديهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف
الثانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب
الأخياء للرضين عن الدنيا التجرد في التجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام
تق ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في
طاعته بأعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء
الصوفية دون غيرهم قبيلا لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لاهؤلاء قوم محمد
له سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشقت هم أحدهم فلأن أردمة واحدة إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوي لبيد أشقى من مال اكتسبه من غير محبة عدو البزار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب ومحمد من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأخياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر
غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأنا جوير عن الضحاك مرسلا .

من أن أعطى ألفا من همة الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله ومم بترك الخانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الخانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إغانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بعرفه أهل العلم قليله لوعظمت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفرضهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منكما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف للنعمة ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله لهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق البواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن ثيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإغانة مثل هذا العبد الموحّد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمتع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسرّ وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك ^(١) » فانظر كيف قصر التفتاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله ^(٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر ^(٣) وفي

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التي أوردتها المصنف وسمى الرجل حديثا قد روي من طريق البيهقي أنه وصل لحديث من أبي الدرداء شيء فقال اللهم إنك لم تنس حديثا فاجعل حديثا لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحبه يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لأحمد الله لا إياك ولا بخاري طيفا قال أبو بكر قومي قبلي لا والله لا أتوم إليه ولا أحمد ولا أحمدك ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لي أمي موسى قبلي لا والله لا أتوم إليه ولا أحمد إلا الله ولطبراني قال

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فالتع بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتعدوا بعرفة الرواة وأسماي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز الموعج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند وحفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليهما لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الأنبياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتنق الله سبحانه في تصفية توحيد عن كدولت الشرك وغوايجه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا عفتا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل للرؤية عن ذهب نعمته وبقيت مادته فهو يتعفى في جلباب التجميل قال الله تعالى - بحسبهم الجاهل أغنياء من التعطف تعرفهم يسام لا يسألون الناس إلحافا - أى لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء يقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبى أن يطلب بالتمسك عن أهل الدين في كل علة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فخواص صرف العروق إليهم أضاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل - لفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أى حبسوا في طريق الآخرة بيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودون الجناح مقيدو الأطراف فهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعلى أهل البيت القطيع من الغنم الشرة لما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعلى المطاء على مقدار البيلة (١) وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة المال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال صلى الله عليه وسلم لأن أسل أخا من إخوان بدرم أحب إلي من أن تصدق بشرين درهما ولأن أصله بشرين درهما أحب إلي من أن تصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن اعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبى أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الأخيرة الكبرى والفتحة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فإن أحد أجره في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وممته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فهذا يضاعف أجر للصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر للواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهائم ولا مملوكي الصنف بصحة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هائم ولا إلى مملوك

بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس قال لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر قال أبو بكر هو ما جئتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا والله لأدنونه الحديث وفيه أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يعلى المطاء على مقدار البيلة لم أر لها أصلا ولأبي بلود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه النبي قسمة في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

وتأيدت واستقام الدين
الحنفي وتفرع وتأصل
المهدي النبوي
الصفطوي فأثبتت
أراضى قلوب العلماء
الكلاب والمشب بما
قبلت من مياه الحياة
من المهدي والعلم قال
الله تعالى - أنزل من
السماء ماء فسالأت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضى الله عنهما
للماء العلم والأودية
القلوب قال أبو بكر
الواسطي رضى الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلا حظها بين
الجلال فذات حياة
منه فسالأت فقال أنزل
من السماء ماء فسالأت
أودية بقدرها فصفاء
القلوب من وصول ذلك
للماء إليها . وقال ابن
عطاء أنزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى للعبد وذلك
إذا سال السيل في
الأودية لا يبقى في
الأودية نجاسة
إلا كنسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
القدى قسمة الله تعالى
للعبد في نفسه لا يبقى

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قبض وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تبقى بجميع ذلك كإيلق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة فإن هذا غلو . والقاب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يحل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرج عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وإن قدر على كسب لا يلقى عروته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متقفا ويمتعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمتعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكتب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فرضة بعد الفريضة »^(١) وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكفيا بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني الساكنين : والسكين هو الذي لا يلقى دخله بخرجه فقد علك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا قاسا وجلا وهو غنى والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم السكين وكذا أثاث البيت أعنى ما يحتاج إليه وذلك ما يلقى به وكذا كتب الفقه لا يخرج عن السكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يخطأ في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كإقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا بجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم السكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والعليل والدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم السكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كإخراجه كتب طب يعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلي طيب وواعظ فهذا مستثنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستثنى عنه فإن من فضل من قوت يومه من ثمرته الفطرة فإذا قدرنا القوت باليوم حاجة أثاث البيت وثياب البدن فينبغي أن تعدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فإن قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم تعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسب هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف

فيه غفلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية . بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل - فأما الزيد فيذهب بجفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة سواء ما ينفع الناس فيصمكت في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من السماء الزاهدين في الدنيا للتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوثة حبة الدنيا من فضول المال والجاء وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن التقية يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بمآزيره ويقتحم فيه خطر البشبات والتورع بأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات المتوسطة للمشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم .

الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاظم والمستوفي والحافظ والبقال ولا يزال واحد منهم على أجرة الثلث فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بنية الأصناف وإن نقص كمل من ماله المصالح .

الصنف الرابع الزوالة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم .

الصنف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يد عبدا له .

الصنف السادس الغارمون : والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو قدير فان استقرض في مصبة فلا يسقط إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فنة .

الصنف السابع النزلة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المزرقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على النزول .

الصنف الثامن ابن السيل : وهو الذي شخص من يديه ليسافر في غير مصبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان قديرا وإن كان له مالا يولد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فهم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب بيعة ولا يحلف بل يجوز اعتدائه قوله إذا لم يعلم كذبه وأما النزول والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فان لم يغبه استرد وأما بنية الأصناف فلا بد فيها من البيعة فهذه شروط الاحتقاق وأما مقدار ما يصرّف إلى كل واحد فيأتي .

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكني همه ويجعل همومه بها واحدا فقد تبعد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على البعد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إضافة نعمة تكني الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فتمهم من أكثر ماله فنة وبلية فأعظمهم في الخطر ومنهم من أحبه غمائه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساقى إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة خلق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه ويانه إن شاء الله تعالى فلأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على مصبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستخفا للبعد والمقت من الله سبحانه .

الثانية : أن يشكر المولى ويدعوه ويثنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يهرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه والطريق حق من حيث جسه الله طريقا وواسطة

فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهنل رأيت قريبا قط إنما التقية الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فذا عملوا بما عملوا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من القسمة والانذار لإحياء للنذر بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة التقية في الدين فصار القسمة في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للتق الذي يبلغ رتبة الانذار ببله لمورد العلم

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أنقذ الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم البدر إنه أوأب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكي عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكاثروه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تملأوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب المطأ إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يهينه ولا يعيره بالنع إذا منع ويغخم عند نفسه وعند الناس ضيمه فوظيفة للمعطي الاستبصار ووظيفة القابض تقلد النية والاستمظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تمارض والتافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير وبضرة خلافه والأخذ بالمعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة قصد جهل وإيما للسكر أن يرى الواسطة أصلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن توى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسياتي يانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريه والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار البايح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره للثل وإن أعطى زيادة أبي وامتنع إذ ليس للمال للمعطي حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للفرز خاصة من خيل وسلاح وثقفة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما يريه وإن أخذ بالسكنة فليستز أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن قناته فيمكن أن يدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يستحق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حارم حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الأخذ ظاهرا والمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو محقوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لعياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وجسته من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفا فكاثروه الحديث دن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يعزل ثقة أهله سنة والطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

والمهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاتقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى القبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر يستزيين الجوارح بالاتقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى والمهدي بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

فظهر على شدة الشريعة
ضارة العلم وريه
فتبدلت نعوت النفس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
ضارت رياه ناضرة
فلما استتم نضارة
وامتلاء رياهه الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بمياه العلوم واستقبل
جدول الفهم وجرى
من بحره في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
الفهم هو الفقه في
الدين . روى عبدالله
ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ما عبد
الله عز وجل بشيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
إملاء قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزيني قال
أخبرتني كريمة بنت
أحمد بن محمد الروزية

ولو انتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدر المال أخذ بحكم الزكاة
والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليته وتمسكوا بما روى
سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الفنى فمثل عن غناه فقال ^(١) غداؤه
وعشاؤه ^(٢) » وقال آخرون يأخذ إلى حد الفنى وحد الفنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة
إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الفنى
خمسون درهما أوقيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله
مال ينيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فمثل وماغناه قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب ^(٣) »
وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال
« من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ^(٤) » وبالحق آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ
مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أوبيى بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره
لأن هذا هو الفنى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من
اقتصر فله أن يأخذ بقدر ما يهود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله
في قرابتك فهو خير لك ^(٥) » فأعطاه حسان وأبادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى
عمر رضي الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية
فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى
أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال
كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف
فليس للمجهل إلا الحكم بما رجع له ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك ^(٦) » كقوله
صلى الله عليه وسلم إذ الهم حراز القلوب فإذا وجد القاضى في نفسه شيئاً مما يأخذه فليترك الله فيه
ولا يترخص تطلا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لغتواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها
تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق
الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن
فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين
من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فاتهم لا يراعون هذه القسمة إما الجهل وإما لتسهيل
وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يخلب على الظن احتمال التحريم وسيأتى ذكر
مطالع السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الفنى فيسأل ما ينيه فقال غداؤه وعشاؤه
د حب بلفظ من سأل وله ما ينيه فأنما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود
من سأل وله ما ينيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه
النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال
د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل
صحابي فلا يضرك عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل
أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن
أتوك تقدم في العلم .

(للفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمره فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى الماء النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٢) وقال عليه السلام « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا الا كان الله اخذها يمينه فبربها كابرى احدكم فضيله حتى تبلغ التمرة مثل احد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء « اذا طبخت مرققة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبرهم منه معروف » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال عليه السلام « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل » وقال عليه السلام « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل للراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى العاقبة ولا تحمل حتى إذا بلغت الحلقة قلت لقنان كذا ولقنان كذا وقد كان لقنان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال عليه السلام « لا تحمل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بتمره فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلأ ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرعى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسندا من الشبان ولأبي يعلى والبرار من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وثقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضعيف ولترمذى ون في الكبرى و في حديث معاذ والصدقة تطفى الحطينة كايطفى الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره للصف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلأ بسناد صحيح وأسند الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرك بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند صحيح (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وح ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير (١١) حديث لا تحمل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربري قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب افتتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين والقي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد الرجل وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما قهروا علموا

وقال «ردوا مذمة السائل ولو بعث لرأس الطائر من الطعام» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «لو صدق السائل ما أفلح من رده» (٢) وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تنش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع ظهوره بالليل ويغمره وكان يناول للسكين يده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للسكين الذي تردم التمرة والتمر تان واللقمة واللقمتان إنما للسكين اللعنف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا» (٤) «وقال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه منقمة» (٥) . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل «ويعطون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا» - فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا اللهم يمدون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من سوء فضل سرها على علانياتها بسبعين ضحا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزني جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان للرض وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مسندنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل كن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول - لن تتالوا البر حتى تنفقوا عما تحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الكسوف لله عز وجل لا يسن أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقر إلى صدقة فقد أبطل صدقة وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا يشرب اللوسر من الماء الذي يتصدق به ويستقي في السجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة للسكنى على الخصوص وقال إن الحسن مر به نحاس ومعه جارية فقال للنحاس أترضى ثمنها الدرهم والبرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من اللغاتي والآفات ثم نكشف القطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المرومة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بعث لرأس الطائر من الطعام العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للسكين الذي تردم التمرة والتمر تان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالف بن طهمان ضعيف

ولما علموا أعمالهم ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتموا فكل من كان أقصه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر اعتقادا لعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم حجة موهوبة من الله لقلوب والعرفه تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالتبى صلى الله عليه وسلم لما قال «مثل ما بشى الله به من الهدى والعلم» أخبر أنه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منها ورائه معجونة فيه من آدم أبى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء ممة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى - علم الإنسان ما لم يعلم - فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا فهم والنظرة والرافة والظف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب

والكفاية ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل قلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له فالتبى صلى الله عليه وسلم بث إلى الأمة بالنور للوروث والوهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله - اثبتا طوعا أو كرها قالنا آمينا طاعتين - نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سررة الأرض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكانات تبع له وإلى هذا إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبياً وآدم

الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف . الثاني أنه أسلم قلوب الناس وألستهم فاتهم ربما يحسدون أو يتكبرون عليه ويظنون أنه أخذ مع الاستثناء أو يفسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيرة من القنوب الكبار وحياتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً وقال بعض الزهاد ربما تركزت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم التيمي أنه روى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيشمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إعانة المعطى على إمرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف والسكمان لا يتم إلا بالثمن فهما أظهر هذا انكشاف أمر المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فرده إليه ودفع إليه آخر شيئاً في السر قبله قيل له في ذلك فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه قبلته وذلك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئاً في الملا فرددته فقال له لم ترد علي الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئاً كان رده في العلانية قيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أذكعنا لك على العصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال التوري لو علمت أن أحداً لا يذكرك صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلاً وامتناناً وليس للمؤمن أن يذلل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره إذلالاً للعلم وامتناناً لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز عن شبهة التبركة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ^(١) » وبأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً ^(٢) » فجعل الورق هدية بانفراده فيسقط في الملا مكروه إلا برضا جميعهم ولا يغلو عن شبهة فإذا انفرد سلم من هذه شبهة . أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والراءاة . والثاني إسقاط الجاهل والنزلة وإظهار العبودية والسكينة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستعلاء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الأخذ على كل حال إن كنت أخذاً فانك لا تغلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا قبلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لأفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد فاختلف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لأنبياء بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أم ظابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة الريدين فشق على الآخرين فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وحق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً بعد وضعه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقص عن مسلم دينه أو يدخل عليه سروراً أو يطعمه خبزاً ولا حمد وتوصحه من حديث البراء من مسح منحة ورق أو منحة لبن أو هدي زقاقاً فهو كمن شق نعمة .

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح
والجسد» وقيل ذلك
مضى أميا لأن مكة أم
القرى وذرت أم الحليقة
وتربة الشخص مدته
فكان يقتضى أن
يكون مدته بمكة
حيث كانت تربته منها
ولكن قبل الماء لما
توج روى الزيد إلى
السواحي فوقت
جوهرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ما عاذى
تربته بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكيا مدينا
حينه إلى مكة وتربته
بالمدينة والاشارة فما
ذكرناه من ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو ما قاله
الله تعالى - وإذ أخا
ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريته
وأشهدهم على أنفسهم
ألتب ربكم قالوا بلى -
وردد في الحديث «إن
الله تعالى مسح ظهر
آدم وأخرج ذريته منه
كهيئة القدر» استخراج
الذر من مسام شعر
آدم فخرج القدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك الريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها
حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الإذك الريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به
الشيخ فقال الشيخ للريد مالك لم تذبح كاذب أحبابك فقال ذلك الريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يفتن لغير الله عز وجل . الرابع
أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما نعمة ربك فحدث - والسكبان كفران النعمة
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن
تري نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرجع به يده وقال هذا من الدنيا
والعالية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في اللات غدا ثم ارددني
السر والشكر فيه عثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»
والشكر قائم مقام للكفاة حتى قال صلى الله عليه وسلم «من أسدى إليكم معروفا فكاثروه فان لم تستطيعوا فأنشوا
عليه به خيرا وادعوا له حتى تملوا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله
ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم فاسموننا الأموال حتى خفنا أن ينجسوا بالأجر كله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأنفتم عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن
ما قل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في الشئ بل هو اختلاف حال فكشف النطاء في هذا أنا
لا نحكم حكما بتا بأن الاختفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأجوال والأشخاص فينبغي أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى
بجمل التورر ولا يندفع بتليبس الطبع ومكر الشيطان والسكر والحداع أغلب في معاني الاختفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الحداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض
الجاه والمرتبة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بين الازدهار وإلى المعلى بين النعم الحسن
فهذا هو الداء الذي يستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتطل بالمعاني الحمسة
التي ذكرناها ومياري كل ذلك ومعه أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كتأمله بانكشاف
صدقة أخذه بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان ينشئ صيانة الناس عن التوبة والحسد وسوء الظن أو
يتقى انتهاك السر أو إغارة المعلى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتدال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر
من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لا من حيث إنه علم زيدا أو علم عمرو والفتية محذورة من حيث إنها تعرض لمرض مصون لا من حيث إنها
تعرض لمرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يسجر الشيطان عنه وإلا فلا يزال
كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فبيل الطبع إليمن حيث إنه تطيب لقلب المعلى واستحاث
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من الباطنين في الشكر حتى زعجوا في إكرامه وتفقدوا وهذا داء دفين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدبير إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويهوله الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن تروى عليه أحمد من حديث عمران بن حصين
بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تعالى (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصد الباطن ما ذكرناه ومما يرد ذلك ومحكم أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعنى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يسطون إلا من يغني ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالمنة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يفزل عن قضاء حق للمعطي فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يغني ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يجب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لومعها ما أفلح (١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يغني على قوم في وجوههم لثقتهم يقيهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الوبر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا (٣) » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه (٦) » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا يوسف بن أسباط إذا أولئك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يرعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشهادة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل على الجلمة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالزوايق إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والملاية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للساكنين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لومعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكر بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لومعها ما أفلح أبدا وفي سننه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الوبر العنبري وطب وابن قانع في معاجمهم وحج في الثقات من حديث قيس بن عاصم للتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا . . من حديث ابن عمر ورواه في التراويل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وكذلك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا مخ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في الملل من رواية ابن السيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسل (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

تخرج المرق وقيل كان المسح من بعض اللاتكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما نخصي الأرض بالمساحة وكان ذلك يظن نعمان واد يجنب عرفة بين مكة والطائف فلا خاطب الله وأجابوا إلى كتب العهد في رقى أيضا وأشهد عليه لللائكة وأقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحيية من الأرض والطم والهدى فيه معبوثان قيمت بالعلم والهدى موروثا له وموهو بأوقيل لما ثبت الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأثبت حق بث الله تعالى عزرائيل قبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما من قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو تركه للساكنين كلهم أخذ الزكاة لأنهم لا يأخذون الزكاة لأنهم لا حاجة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والاحتياج يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة بالدين فإن الغالب أن التصديق يعطى من يتقصد فيه خيرا ولأن مراعاة للساكنين أدخل في الدل والمصلحة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يئلب عليه وما يحضره من النية فإن كان في عبء من انصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعا إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك لئلا يلوم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإن الزكاة الواجبة بصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على للساكنين وإن كان المال ممرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على للساكنين فهو غير والأمر فيها يتفاوت وأخذ الزكاة أعد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الأئمة الكرام والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده لئنه ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمه وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصنا لأولياته وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات للسكنة وإن جمعها تصبح النفس للطمعة ظاهرة الشوكة في قسم خصمها قوة لئنه ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والنفوس للرجعة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر »^(١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان »^(٢) ثم هو متميز بخامية النية إلى الله تعالى من بين مائر الأركان إذ قال الله تعالى فيها حكاه عنه نبيه ﷺ « كل حسنة بشرأثماتها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به »^(٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر قد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ونأهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لحالوف قم الصائم أطيب عند الله من ريع للسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجل فالصوم لي وأنا أجزي به »^(٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سليم و هـ من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو بصير في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشرأثماتها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسي بيده لحالوف قم الصائم الحديث أخرجه من حديثه وهو بعض الذي قبله

إبليس فصار مأوى الشر وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فمن تلك التربة أصل الأنياء والأولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لميسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار مزروع الجهل بموفا حظه من السلم فبثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس فوفقت للناسبة في أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالعارف الأول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعملوا وعلموا كالأخاذ الذي يستقي منه ويرزع منه وجموا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بأحكام أساس التصوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود ببقاء الله تعالى في جزاء صومه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة ^(٤) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ^(٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة البهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل اللبذل شابهني أنت عندى كبعض ملائكتي ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل ^(٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ الصائم جزاءه إفراغاً ويجازف جزاءه فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدبر بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لحين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لتهلكته الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ^(٨) « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ^(٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع ^(٩) » وسأني فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربح الهلكات فلما كان الصوم على الخصوص فلما للشيطان وسداً لمساكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قلع عدو الله نصرة

(١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن للبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن للغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن للغيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو والنخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال غريب وهو في وصحه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصححه وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٨) حديث إن الشيطان مجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صبية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلاً .

تزكت النفوس انجلت مرأيا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانجلي فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بجمعها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبحت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصباها وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نمزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال للقرب والصوفي هو للقرب وليس في القرآن اسم للصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقاً وغرباً هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمترجمين وكم من الرجال المقربين في بلاد القرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزى الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نضى

له سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصبروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرماهم فسادات محضبة لم يتقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١)» فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والواجبات بافاسده)

(أما الواجبات الظاهرة فتنه)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن صام عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبّع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا رأى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل ليلة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنيّا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يحجزه صوم رمضان ولا صوم القرض إلا التطوع وهو الذي عنيّا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو القرض مطلقا لم يحجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يسطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالتحسوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ وعمل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تنفذه نيته ولو نوى امرأة في الحيض ثم طهرت قبل التجر صامها . الثالث الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال اليد في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثالثة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في الضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفطر أمان من أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفسد وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنباً لم يفسد وإن طلع التجر وهو محاط أهله فترج في الحال صام صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية القريبين
فشايخ الصوفية الذين
أساؤهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق القريبين
وعلمهم علوم أحوال
القريبين ومن تطلع
إلى مقام القريبين من
جملة الأبرار فهو
متصوف ما لم يتحقق
بالحلم فإذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن يميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشبه - وفوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي إملاء
قال أنا أبو منصور
القرني قال أنا الامام
الحافظ أبو بصير
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهافمي قال أنا
أبو علي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى عن شعبة
قال حدثني عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستعناء وهو إخراج المني قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر قبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو ماله سكا لا ربه فلا بأس بالتقييل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقييل أن ينزل قبل وسبق للمني أفطر لتقصيره السادس : الامسالك عن إخراج المني فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلذذ به بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والقدية وإمسالك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالخائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستعناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمسالك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الخائض إذا طهرت إمسالك بقية نهارها ولا على السافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامسالك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما القدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولدهما لكل يوم مدة حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الحرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتسهيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كان إذا دخل العشر الأخير طوى القراش وشد المززر ودأب وأدأب أهله ^(١) » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها لذة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متابعا أو نواه انقطع تنابيه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يصرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا ^(٢) » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتقييل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدي رأسه قترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ^(٣) » ومهما خرج للتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى القراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المززر (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدي رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

سليمان من ولد عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نصر الله امرأ سمع منا حديثا حفظه حتى يلقه غيره قرب حامل قته إلى من هو أقفه منه ورب حامل قته وليس بفقير » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيرا لأجمعهم - يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بنشاء أو صافه ونعسوته يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن ملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده وعظائمه أيام رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن المهم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطرى هذا الصوم بالصكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالسكر في الدنيا لإدنيا تراد للدين فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه للوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فإنه إقبال بكنه المهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتبليس بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتعمامه بسنة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس لئن لم تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يحد حلاوته في قلبه (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والقيية والغيبة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والقيية والغيبة والفحش والجفاء والخصومة والراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرقث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إلى صائم إني صائم (٣) » وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتقا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنا في الإفطار فأرسل إليهما قداما وقال ﷺ : قل لهما قيا فيه ما أكلتا فقامت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحا غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فصبج الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يشتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى - مماعون للكذب أكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالكسوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصحح إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أمم ما عندم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب للمكسوت واستئصال بركة الرغبات والرهبات ورأوا أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقنام يتراكم من تفت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناظ الهوى ومثار الردى بمثابة الخطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحمرا قرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «المتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) «الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثل هذا الصائم مثال من يئس قصره ويهمل مصره فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم لتقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم. الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فإما من وعاء أفيض إلى الله عز وجل من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت العدة من ضحوة نهار إلى المشاء حتى حاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على طاعتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكله التي كان يأكلها كل ليلة ولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ففسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة التقدير عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره عجلة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسياق له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل. السادس: أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من اللقرين أو يرد عليه فهو من المقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضارا لخلقهم يستيقنون فيه لطاعته فسبق قوم قازوا وتخلف أقوام غابوا فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه البطالون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل الحسن بإحسانه والسيء بإساءته أي كان سرور القبول يشغله عن اللعب وحسرة للردود تزد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضر بك فقال إني أعدت لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم. فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث المتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن. من حديث أبي هريرة

النفس أحطابها وقرت نيرانها وقيل دخانها شهدت بواطنهم وتكبرهم مصادر العلوم فها وأموارها بصفاء القهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبل رحمه الله: موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتسنى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتسنى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم يكن برحمة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأضغال الفانية التي أقصدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

صومه صحيح فاستغناء . فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضنف من هذه الأدلة أي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لأسباب الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكاليف إلا ما يتيسر على عموم الغافلين للتقبلين على الدنيا الدخول تحتها فأما علماء الآخرة فيمنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى القصد ويفهمون أن القصد من الصوم التخليق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاعتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما انهك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بضمائر البهائم وكما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفقى للملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الفداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف لا يسيون صوم الحنقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من الفترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام وبأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك للمهم وهو الفصل فصلاته مردودة عليه مجمله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن اللكاه كن غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلاقوه عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أى إني أودعت لسانى لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر أن الشكل عبادة ظاهرا وباطنا وتشرا ولبا ولقشرها درجات ولكل درجة طبقات فإليك الحيرة الآن في أن تنفع بالقشر عن الباب أو تتعيز إلى غمار أرباب الألباب .

(الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواصل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مطلق الصوم وهي أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث في الأمانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلاقوه تعالى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

الأغراض والأمراض
قال الحسين بن منصور
لمن كان له قلب لا يخطر
فيه إلا شهود الرب
وأشد :

أننى إليك قلوبا طالما
هطلت

سحاب الوحي فيها
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب

لاحظ الحق بين

التعظيم فذاب له

واقطع إليه عماسواه

قال الواسطى : أى

لذكرى لقوم غصوميين

لا لساير الناس لمن

كان له قلب أى فى

الأزل وهم الذين قال الله

تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحيناه - وقال

أبضا المشاهدة تذهل

والحجة تفهم لأن الله

تعالى إذا تجلى لشيء

خضع له وخضع وهذا

الذى قاله الواسطى

صحيح فى حق أقوام

وهذه الآية تحكم

بخلاف هذا لأقوام

آخريين وهم أرباب

التمكين يجمع لهم

بين المشاهدة والقيم

فموضع القيم محل

المحادثة والمكاملة وهو

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (١) «لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب» وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام» (٢) وفي الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» (٣) وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يخطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فبجاء (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاها شهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمهرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمهرم ورجب واحد فرد وثلاثة تسعدوا أفضلها ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام للمهمات والعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمهرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه» (٧) وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثر الخيرات لتضاعف أجورها بركة هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من حكره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لثبثين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الانظار ويجعل

مع القلب وموضع للشاهدة بصر القلب وللمسمع حكمة وفائدة وللبر صبر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب صممه في بصره ومن هو في حال الصحو والتكبير لا ينيب صممه في بصره لتلك ناصية الحال ويغهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماح والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ لإنشاء ثانيا للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلشى عند لمعان نور الشاهدة لمن جاز على بحر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن صمسون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوده وجد ثلث الأدب ومن اقتصر إلى ما لم يحسد

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يحرم رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان ودن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عدت ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت . من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند ع من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا الشهر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج بخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر ون نحوه من حديث عبد الله بن عمر وحمزان بن حصين وعبد الله بن الشخير .

من الأدب به
الاشتغال بما وجد
قد وجد ثلثي الأدب
والثالث امتلاء القلب
بالقدي بدأ بالفضل عند
الوفاء تفضلا فقد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر موت
القلب من شهوات
النفس فكلما رفض
شهوات نال من
الحياة بقسطها فالسباع
للأحياء لالأموات
قال الله تعالى - إنك
لا تسمع للوحي - قال
سهل بن عبد الله القلب
رفيق تؤثر فيه الحطرات
للذمومة وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن يمش عن
ذكر الرحمن يقيض
له شيطانا فهو له قرين -
فالقلب عمال لا يفر
والنفس يقظانة لا ترقد
فإن كان العبد مستمعا
إلى الله تعالى وإلا فهو
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شيء
سد باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها يطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن
شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليعمل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيها رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت
عليه جهنم وعقد تسعين ^(١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوما ويغطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة
لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علي مفاتيح خزائن
الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبت وأنضرع إليك
إذا جعت ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم يوما ويغطر
يوما ^(٣) » ومن ذلك « منازلته لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما فقال إني أريد
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك ^(٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم
ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان ^(٥) » بل كان يغطر منه يومين لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بثلاثة وهو أن يصوم يوما ويغطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من
الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكال في أن يهتم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتزخير الممته عز وجل والفقير بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله
دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الانقطاع بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا
ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويغطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام ^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن بوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا
يوم العيد وأيام التبريق وذكره أن ذلك يقضى القلب ويولد ردى العادات ويفتح
أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم التطوع به والله أعلم بالصواب .

ثم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع عبادته كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها
(١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد
ن في الكبرى وحسنه أبو علي الطوسي (٢) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض علي ربي لي يجعل لي بطحاء مكة ذهابا . وقال حسن
(٣) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو
(٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجه من حديثه
(٥) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه
شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل معليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم تعلم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله العليم لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحسنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشرفاً وتعصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب وجنا والصلاة على محمد بنى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا ^(١) » فأعظم بمبادء يمدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسفنها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في فضائلها وفوائدها والبيت العتيق وجعل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثاني : في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فليبدأ بالبَاب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشهد الرحال إلى المساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبيينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما مع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب السكبة وقيل في تفسير قوله عز وجل - لأتقن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينج الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان في يوم أصغر ولا أدر ولا أخف ولا أغبط منه يوم عرفة ^(٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زوال الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة ^(٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا عد من حديث أبي هريرة وت نحوه من حديث علي وقال غريب وفي إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان في يوم أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبي عتبة عن طلحة بن عبد الله بن كريب مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

يحمون على قلوب
بنى آدم لتظنوا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بصائر
للصبرين ومعارف
العارفين ونور العلماء
الراغبين وطرق
السابقين الناجين
والأزلى والأبدوميتين
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع .
وقال ابن عطاء هو
القلب الذى يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
ينيب عنه خطرة
ولا قرة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهد فاذا لاحظ
القلب الحق بعين
الجلال فزع وارتمد
وإذا طالع بعين
الجمال هدأ واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يقوى
على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له
حتى يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بغيره ولا يركن
إلى سواه قلب الصوفي
مجرد عن الأكوان
ألقى همه وشهد
بصره فسمع السموات

وأبصر للبصرات
وشاهد الشهودات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جملها ولم يسمع وبشاهد
تفاصيلها لأن الجمل
تدرك لسة عين
الشهود والتفاصيل
لاتدرك لضيق وعاء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكماء فتاوت الناس
في الاستماع وقال إن
الباذر خرج يئذه
فلا منه كفه فوق
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
انحط عليه الطير
فاختطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فثبت حتى إذا وصلت
عروقه إلى الصفاء لم
يجد مساعدا تنفذ
فيه فيس ووقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها شوك نابت فثبت
فلما ارتفع خنقه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يجيهم فيحزنني ذلك قال فما الذي آمل جسمك قال سهل الحيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على العصية كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا وليي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأت أجرى له أجر الحاج العتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروهم غفر لهم وإن دعوا استجب لهم وإن شفعوا شفعوا (٣) » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة تستون للطائفين وأربعون للصليين وعشرون للناظرين (٥) » وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدون في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه (٧) » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الوقف غفر له لكل من أصابه في ذلك الوقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأت أجرى له أجر الحاج العتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشرط الأول من حديث أبي هريرة وروى هو وقطمن حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج للبرور وقال إن الحجة للبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث الحاج والعمار وفد الله وزواره الحديث . من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه أعطاهم ورواه حب (٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في التتفق والفتوق وأبو منصور شهر دار ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وحق في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و ك من حديث ابن عمر استمتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت . من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج (٢) » وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عني ؟ قلت نعم قال وليت عني ؟ قلت نعم قال فاني أكاثك بها يوم القيامة أخذ يدك في الموقف فأدخلك الجنة والحلائق في كرب الحساب وقال محاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقىهم الملائكة فسلوا على ركب الأبل وصاحوا ركبنا الحر واعتنقوا الشاة اعتناقاً وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولئن استغفره في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشبعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألون الدعاء ويأدرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فقابا عني فانتبهت فرعنا واعتصمت غما شديدا وأهمني أمرى فقلت إذا قبل حج سنة أنفس فأين أكون أنا في سنة أنفس فلما أفضت من عرفة قلت عند الشعر الحرام جعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلعة من قبل منهم فخلني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بيته ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبني من السرور ما يحل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تقسخي علي وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة الشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان قصوا أكلمهم الله عز وجل من الملائكة (٣) » وأن السكبة تحشر كالمرور الزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسمعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحقوقه وصدي (٤) »

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكملت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث صحيحه من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظه وبأبي الحديث رواه ت وحسنه ووهب وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس إن الركن وللقيام ياقوتان من يواقيت الجنة وصحح إسناده ورواه ت ح ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأنسده واختلط به
ووقع منه شيء
على أرض طيبة
ليست على ظهر الطريق
ولا على الصفوان ولا
فيها شوك فثبت ونما
وصلح فثل الباذر مثل
الحكيم ومثل البذر
كثل صواب الكلام
ومثل ما وقع على ظهر
الطريق مثل الرجل
يسمع الكلام وهو
لا يريد أن يسمعه فما
يلبث الشيطان أن
يختطفه من قلبه
فينساه ومثل الذي وقع
على الصفوان مثل
الرجل يستمع الكلام
فيستحسنه ثم تفضي
الكلمة إلى قلب ليس
فيه عزم على العمل
فينسخ من قلبه ومثل
الذي وقع في أرض
طيبة فيها شوك مثل
الرجل يسمع الكلام
وهو ينوي أن يعمل
به فاذا اعترضته له
الشهوات قيدته عن
التبوض بالعمل فترك
مأنوى عمله للبلية
الشهوة كالزراع يختنق
بالشوك ومثل الذي
وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر به عليه وكان يطوف على الراحة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع (٣) ولولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف ؟ قال إن الله تعالى لما أخذ البثاق على القرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بهديك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها مائة ألف يوم وصدقة درهم مائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح «عمرة في رمضان كحجة منى» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون منى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين» (٥) وفي الخبر «إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيه لللائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حببنا هذا البيت قبلك بألفي عام» (٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكوشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا آتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل القرب التي توقع ولا تنها في الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» (٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخريته ثم أخرب الدنيا على أثره» (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجه من حديث عمر دون قوله كثيرا ، وإن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث أنه كان يسجد عليه الزوار ولعن حديث عمر وصححه إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجه دون الزيادة التي رواها علي وزواه بتلك الزيادة وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة منى أخرجه من حديث ابن عباس دون قوله منى فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة منى ورواه كزيادتها من غير شك (٥) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معنى الحديث وتوحيته وحب من حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيه لللائكة فقالوا برحمتك يا آدم الحديث رواه الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في اللؤلؤ من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرق في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخريته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل السمع الذي ينوى عمله فيهمسه ويسلم به ويحائب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفى لأن للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تترك إليه وتستلذه واستلذذ الهوى هو الذي يخلق التبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تطلق الروح بالحضرة الإلهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستبغ القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تلبس حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ليكونها لا تترقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وهروقهما ضاربة

(فضيلة القيام بمكة حرسها الله تعالى وكرهيته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء القيام بمكة لثمان ثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن إنكم ويا أهل الشام غامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه يمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمانا أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد قلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خيرا لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالقيام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل يخرسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تحربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الوضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطافين حولي من تفرهم في الحديث ولقوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب إلي من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض القيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا نظن أن كراهة القيام ينقض فضل البقعة لأن هذه كراهة عليها ضعف الحلق وقصورهم عن القيام بحق الوضع فمعنى قولنا إن ترك القيام به أفضل أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من القيام مع الوفاء بحقه فهيأت وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت » (١) وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٢) وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان للصلاة فيها بمخمسة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » (٣)

(١) حديث إنك خير أرض أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت ت وصححه ون في الكبرى و . وحب من حديث عبد الله بن عدي بن الجراء (٢) حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده يجعله هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشتم منك نسيما لست أعرفه

أظن ليا جرت فيك أردانا

فعمه الكلمة وتشمله وتسير كل شعرة منه ممما وكل ذرة منه بهرا فيسمع الكل بالكل ويصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - قال بعضهم القلب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذي في سائر

للمؤمنين أحسن
وعشرون سهما فسمهم
يتساوى للمؤمنين كلهم
فيه وهو شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وعشرون
جزءا يتفاضلون فيها
على مقادير حقائق
إيمانهم قيل في هذه
الآية إظهار فضيلة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي الإحسان
ما يأتي به لأنه لما
وقعت له محبة
التحسين ومقارنة
الاستقرار قبل خلق
الكون ظهرت عليه
الأوتار في الأحوال
كلها وكان معه أحسن
الخطاب وله السبق في
جميع اللقائات لأتباعه
صلى الله عليه وسلم
يقول نحن الآخرون
السابقون بمعنى
الآخرون وجودا
السابقون في الخطاب
الأول في الفضل في عمل
القدس وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
استحيوا لله ورسوله
إذا دعاكم لما يحكيكم-
قال الجنيد تنسموا
روح مدعاهم إليه

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحدا إلا كنت له شفيعا يوم القيامة» (٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن القام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في النع من الرحلة لزيارة للشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين إلى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأثور بها قال عليه السلام «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا» (٤) والحديث إنما ورد في الساجد وليس في معناها للشاهد لأن للمساجد بعد للمساجد الثلاثة متباعدة ولا بد إلا وفيه مسجد فلامع للرحلة إلى مسجد آخر وأما الشاهد فلا يتساوى بل ركز يزارها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ثم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن جاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالتع من ذلك في غاية الإحالة فإذا جاوز هذا قبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كأن زيارة العلماء في الحياة من القاصد هذا في الرحلة أما القام فالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهماسم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى الخول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للمادة فهو أفضل للواضع له قال عليه السلام «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيت فيه رقعا فأقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من بورك له في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فأقصده فانه أسلم لدينك وأقل لحملك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدرى أي البلاد أسكن قيل له خراسان قال مذهب غثقة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبارة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزم على المجاورة بمكة فأوصى قال أو صيك بثلاث لاتصلين في الصف الأول ولا تصحب قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الزين والتصنع.

من حديث ميمونة بأسناد جيد في بيت المقدس اثنته فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدى بخمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدا إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ب. من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والبلاد عباد الله فأنت موضع رأيت فيه رقعا فأقم أحمدا والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه م من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتكره.

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وحجة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشروط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان مجزأ ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل به ما يفعله في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوبا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال بعقبيه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي برفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا الشاة وتشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج قلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام لحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف (*) ثم التذرع ثم الثيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لم يملك الحج فله فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أوحج . وأما الاستطاعة فتوعان : أحدها المباشرة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما الطريق فبأن تكون خصة آمنة بلا عر خطر ولا عبد وقاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته هذه المدة وأن يملك ما يقضيه ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب زاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزم من ساربه مستطاعا ولو عرض ماله لم يصربه مستطاعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع الناس فمات ميتا شديدا عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس ولعنت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليا عليه وبضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فإني تركت - قال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف برفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المهيورة بالهم ست الأحرام من الميقات فمن تركه وجاور الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الهم قول واحد وأما الصبر برفة إلى غروب الشمس والبيت بمزدلفة والبيت بنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجزئ تركها بالهم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة

(*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فان الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزئه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو الملائق للشقة وهجموا بالنفوس على معاقبة الحذر ونجروا امرارة للكابدة وصدقوا الله في العاملة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم للصاب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا مهمهم عن التفت إلى مذكور سنوى ولهم غيرة الحياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطى رحمه الله تعالى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفلا وقال بعضهم استحيوا لله برأركم وللرسول بطواهركم حياة النفوس بتأدية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة النيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التفسير وقال ابن عطاء في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد . والثاني إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتذر وأفضل الحل لأحرام العمرة الجمرات ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتدرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الفسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسيحسب محسوب من التمتعين وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز لليقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فإن لم يجد قسيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسر اويل والحف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء وتعليق فان لم يجد تعلقين فكممين فان لم يجد إزارا فسر اويل ولا بأس بالمنطقة والاستغلال في الحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل غيظ بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يصد العتلاء طيبا فان تطيب أو لبس فقلبه دم شاة . الثالث الخلق والقلم وفيهما القدية أغنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة وللإمساك التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناة ومحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينقض . السادس قتل صيد البر أغنى ما يؤكل أو هو متوله من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من التمتع يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع وبرء ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لهابه وإيابه من غير تقدير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للسكري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن توجهه وإن عجز قواه وإن ضاع صدره صبره ويودع رفقاه للقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أديعتهم فان الله تعالى جاعل في أديعتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أسودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

والرابع لإجابة التقريب والاستجابة على قدر السماع والسمع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والملم بالتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لأن وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فله تعالى في كل كلمة من القرآن كلمات التي ينفد البحر دون نقادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسمة الصلح الأزلي . حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال : أنبأنا الرئيس أبو علي بن نبهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البخوي قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن

وأما تذكروا خواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت » (٢) . الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوي لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبليغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر وكآبة للقلب وسوء للنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على الله إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقاءك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكفني ما أمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عزجارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمتان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحسب النهار ويكون أكثر سيرة بالليل قال ﷺ « عليكم بالدرجة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار » (٣) وليقل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أصرف عني شر شرارهم فإذا نزل النزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالله وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : ينبغي أن يعتاط بالنهار فلا

سلمة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال قلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو سعيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبد الله حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أو لما قوم يعملون بها فالمطلع للسمعة يصعد إليه من معرفة علمه فيكون للمطلع القهم بفتح الله تعالى من كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

(١) حديث أستودع الله دينك وأمانتكم وخواتيم عملك دت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالدرجة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .

بما أخبر الله تعالى
عن غضبه على قوم
وعقابه ليوم فظاھر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبیه
لمن يقرأ ويسمع من
الأمّة وقيل ظاهره
تنزيه الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن ترتيلا وبطنه
التدبير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا ولولا الألباب
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
التلاوة لا يجاوز
الصحف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يجاوز للسمع
اللفظ ولفرق بين
التفسير والتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا محظور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسمع والأثر وأما
التأويل فصرف الآية

بشيء منفردا خارج القافة لأنه ربما يتناول أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يؤت من الصلاة أفضل بما يناله من الحج والأجب في الليل أن يتنابوا الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصد عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمودتين وليقل بسم الله ملءاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستغنت بالحى الذي لا يموت اللهم احرمنا بينك التي لا تنام واكنفنا بركك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت تحتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشأ من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبج ومهما خاف الوحشة في سفره قال : سبحان الله للذي القدوس رب للالكة والروح جللت السموات بالعمزة والجبروت .

(الجلفة الثانية في آداب الاحرام من اللقيات إلى دخول مكة وهى خمسة)

الأول : أن يغسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى اللقيات للشهور الذي يحرم الناس منه ويستم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة . الثانى : أن يفارق الثياب الخبيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ، قد روى بعض السك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام بما كان استعماله قبل الاحرام (٣) الثالث : أن يصبر ببدليس الثياب حتى تنبت به راحته إن كان راكبا أو يبدأ بالسبر إن كان راجلا فمئذ ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد ويكون مجرد النية لا تعاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإن زاد قال ليك وسعديك والخير كله يديك والرخاء إليك ليك بحجة حقا تعبدا ورضا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . الرابع : إذا قصد إحرامه بالتلبية للذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعنى على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه في كفه أحد وث في الثمائل من حديث أنى قتادة بإسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي والحيدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تنابوا الرفيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل أحب إليك أن أكنيكة أوله أو آخره فقال بل أكنفى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث . حديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية بعض السك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى ويص السك الحديث .

فيترلى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصي وعظمي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يسع حلقه ولا ينهر لانه لا ينادى أصم ولا غابيا^(١) كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في للساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك : أعني السجدة الحرام ومسجد الحيف ومسجد اللىقات وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « لييك إن العيش عيش الآخرة »^(٢) .

(الجلفة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاغتسلات المستحبة السنوية في الحج تسعة . الأول : للاحرام من اللىقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد غسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي وشعري ودمي وبشرى على النار وآمن من عذابك يوم تبعث عبادك واجلني من أولائك . وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها^(٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة واتى إلى رأس الردم فعند وقع جهره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا الجلال والاكرام اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمت وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعزني من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليفزع يديه وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأعمالك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب لمرضااتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه يديك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتي أدبها وميثاقي وفيته

(١) حديث إنكم لاتادون أصم ولا غابيا متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : لييك إن العيش عيش الآخرة الشافعي في للسند من حديث مجاهد مرصلا نحوه ولما كرم صحبه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف برفات فلما قال لييك اللهم لييك قال إنما الخير خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء القهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام معرض لكل طالب صاحب همه أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فللمصوف بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد فقههم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء القهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقييل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصل معهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد اقتراح الطواف إما للقدوم وإما للخروج فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحج في القوب والبدن والسكان وشتر المورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجلس وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفا رداءه ظهره وطرفاً على صدره وقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستعمل بالأدعية التي سنذكرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطجاع فليجلس البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتبع عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع يديه في ابتداء طوافه وليجلس بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قرياً من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فإنه من البيت وعند الحجر الأسود قد يصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبدأ الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المالك بك من النار وعند ذكر التمام يشير بيده إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن الرابع فينبغي أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والنسك والكفر والتفاني والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظر في الأهل ولئال والولد فإذا بلغ اليزاب قال اللهم أظننا نحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استغنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا ظمأ بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الثاني قال اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً ونجاة لمن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن الثاني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الدنيا والمات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن الثاني والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي رحمتك أعوذ بك من هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمي في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في الشيء مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والقصد منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فإن لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فتتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا لنشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يملوا الأشواط الثلاثة الحديث أو بالاضطباع

القوم علم ومن العلم عمل
والعلم والعمل يتناوبان
فيه وهذا العمل آخراً
إنما هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير عمل
القلب وأعمال القلوب
للقطع وسداً لها
مشاكله للعلوم لأنها
نيات وطويات
وتقطعات روحية
وتأديت قلبية
ومسامرات سرية وكلا
أنوا يصل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وطلعوا على
مطلع من فهم الآية
جديد وإعجاز سرى
أن يكون للطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى في الآية ولكن
المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
التكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونبت من
نموته فتجسد له
التجليات بتلاوة الآيات
وسماعها وبصير له
مراء منبئة عن عظيم
الجلال ولقد قل عن
جعفر الصادق رضي
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية اللطاف وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم وليجش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الرحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن الباقى يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن الباقى (١) وقبله (٢) ويضع خده عليه (٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتفصيل واقتصار الركن الباقى على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سيما فليات للترزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلزق بالبيت وليلتصق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعنتى رقبتي من النار وأعنتى من الشيطان الرجيم وأعنتى من كل سوء وقمضى بما رزقتى . وبارك لى فبا أتيتنى اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا للوضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بعوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا للوضع يقول لمواليه تحوا عنى حق أقر لربى بذنوبى . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصل خلف اللقائم ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسايح وصل ركعتين جاز (٥) . قل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسرى اليسرى وجنبني اليسرى واغفر لى فى الآخرة والأولى واعصنى بأطافك حق لأصيبك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبني مضايبك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم جيبنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتى إلى الاسلام فثبتنى عليه بأطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فم الزمان الآن والكشف عن لناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا نضع عينا كنا نضعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم الركن الباقى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا الباقين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركعتين الباقين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقيبه صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه وقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن الباقى قبله (٣) حديث وضع الحدة عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن الباقى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصل لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تطبيقا السنة أفضل لم يظف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سيما وصل خلف اللقائم ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أن حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس فيها صلاة ورواه عنى فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث ابن هريرة

نجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خرم مفسيا عليه وهو فى الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى معه عند صماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضر اشيدا يرى لسانه أو لسان غيره فى السلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمع الله منها خطابه إياه بأنى أنا الله فإذا كان صماعة من الله تعالى واستماعه إلى الله صار صمعه بصره وبصره سمعه وظله عمله وعمله عليه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من جملة بهد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتدعى بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشافرون ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها بغير قاف خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

(الجلفة الخامسة في السعي)

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن الثاني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب واتى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك المدرج مستحذنة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين البروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الجدة على ما هداها الحديث بحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من اللبث ويخرج اللبث من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اللهم إني أسألك إعانا دائما ويقينا صادقا وعلمنا نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك الفؤ والعاية والمعافاة الداعة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويتدعى السعي وهو يقول - رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى ينتهى إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية للسجدة الحرام فإذا بقى بينه وبين محاذة الليل ستة أذراع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الليل الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فإذا انتهى إلى البروة صمدها كاسد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة بعد الصفا والبروة فإذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سبعتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يبعد السعي بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن ثم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

وزاد ثم صلى لسبوع ركعتين وفي إسنادها عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ونه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أنى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذر بقوله - ألت بربكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم نزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين - يعنى قلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آياتك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالعالم الشهادة عن عالم الغيب وعراكم ظلماتها بالقلب فى الأطوار فإذا أراد الله تعالى بالبعد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقى فى رتب التزكية والتجليه حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى قضاء القسرة ويزال عن بصيرته النافذة سحف الحكمة فيصير سماعة - ألت بربكم - كشفا وعيانا وتوجيها وعرفانه تبياناً وبرهانا وتدرجاً له ظم الأطوار فى لوايح الأنوار . قال

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطواف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند السكبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والبيت بها وبالندو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى ملياً ويستحب له الشئ من مكة في الناسك إلى اقضاء حجه إن قدر عليه وللشئ من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أولائك وأهل طاعتك ولحمك هذه القبة بنى وهو بيت منزل لا يتعلق به نكسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثيسار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غداة غدوتها قط وأقرها من رضوانك وأجدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجلى بمن تباهى به اليوم من هو خير مني وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خبائه بنمرة قريباً من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليختل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقصد وأخذ للؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدرة في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويشتمل مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلاً للقبة راكباً وليكثر من أنواع التمجيد والتسبيح والتهليل والتناء على الله عز وجل والدعاء والتبوء ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على اللواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكسب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا يفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان التلطف في الحلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال المعزة ثم يريق دماً لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي ولكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعوه فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعر فضرِب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء للأئمة في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كما تدى قول وخيراً مما أقول لك صلاتي ونسكي ومحبي وعبادي وإليك مآبى ولك رب ترائى اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح وقال ليس بالقوى إسناداه وروى المستظرف في الدعوات من حديثه ياطي إن أكثر دعاء من قبل يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في صري نوراً وفي سمعي نوراً وفي قلبي نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري

بضمهم أنا أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبداً وصمعه متوالياً متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السامع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع أهال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التفت إلى الجوانب والاتبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام - ولا تجعل القرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به - هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمهله على الصحابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من يخلص
بفرائده ومحابه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يفتر من
قراءة القرآن مخافة
الافتلات والنسيان
فقال الله تعالى عن
ذلك أي لا تجعل
بقراءته قبل أن يغرب
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
وبحسب الحاجة للعلوم
والأخبار وسير أهل
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
مأدبا بأداب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكأن القلب
استمد بحسن الاستماع
بالتفاد والتفوق حتى
أخذ من كل ما سمعه
أحسنه فيكون أخذاً
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له ذلك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق
الله رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما يهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم
إني أعوذ بك من تحول عافيتك ونجاة قمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزل به وأكرم مشلول مالهيه أعطني العشة أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم بارفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فطر الأرضين
والسموات نجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجه الشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة للسكين
وأبتل إليك ابتهاك للذنوب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذلك لك جسده ورغم لك آفة اللهم لا تجعلني بدعا لك رب شقيا ولكن بي رءوفا رحيا يا خير
للسؤلين وأكرم للمعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لا أتم قسي إلهي أخرست للعاصي لساني فإني
وسيلة من عمل ولا ضيغ سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبقى عندك جاها ولا للاعتذار وجها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فأن رحمتك أهدأ أن تبلغني ورحمتك
وسمت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولو لكنها صفار في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى الغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإني من يفرغ الذنوب إلهي تجتبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى مصيبتك
قصدا فصبحتك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي واتساع حجتك
عني وقري إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج عزيمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضى
الحوائج ذهب لي ما سألت وحقق رجائي فها تحنيت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمني الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العشة بعد مفر لك بذنبه خاشع لك بذلك مستكين بجرمه متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتل إليك في الضو عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجا كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يخوز ومن أخطأ في خطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبمائناك أنفنا وإياك أملنا وما عندك
طلبنا وإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأنقال الذنوب هربنا
وليبتك الحرام حجبنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصائتين يا من ليس معه رب يدعي ويامن
ليس فوقه خالق يخشى يا من ليس له وزير يؤتي ولا حاجب يرشئ يا من لا يزداد على كثرة السؤال
الله إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما يهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم واسألك ضعيف ورؤي الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشة عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خير للسؤلين ويا خير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقبدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك
زلفى ولكل متوسل إليك عفوا. وقد وقدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه الشاعر العظام وشهدنا هذه
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأنفس بتابع نعمك
وأظهرت العبر حتى نطق الصوامت بحجتك وظاهرت للنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك
وأظهرت الآيات حتى أفصح السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أنشأت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا
سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقمنا إليك قربت وإذا
وليناعنك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد
بالرسالة مخلصين فاعف لنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أعقص من حظ من دخل
في الإسلام إلهنا إنك أحبيت التقرب إليك بتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على قرائنا ونحن قراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا وصيتنا
بالغو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحنا أنت مولانا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الحضرة عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغل شأنه عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبه عليه الأصوات يا من
لا تملطه السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح اللعين ولا تنجره مسئلة السائلين أذنا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلج
في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يتعاطى شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفة الله لا ترد الجميع من
أجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .
(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والخلق والطواف)
فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الحيل
وإيضاع الأبل كما يتأده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الحيل وإيضاع
الأبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراجيلا لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما (١) « فإذا بلغ الزدلفة اغتسل لها
لأن للزدلفة من الحرام فليدخله بفسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فإذا بلغ للزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة
تسألك حوائج مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيتها ثم يجمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للمغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران
ظاهر وتكليف لإفعاها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فإذا جاز أن يؤدي
النوافل مع الفرائض بتمام واحد بحكم التبعية فبأن يحوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الحيل وإيضاع الأبل ذلك وصحه من حديث أسامة بن زيد
عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الأبل وقال لك ليس البر بإيجاف الحيل والإبل
ولبخارى من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاع .

في المطالعة أن العبد إذا
أراد أن يطالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعية النفس
وقلة صبرها على الذكر
والتلاوة والعمل
فتسروح بالمطالعة
كما تسروح بمجالسة
الناس ومكالمهم
فليتنفد للتنفطن نفسه
في ذلك ولا يستحل
مطالعة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
ويراعى الإفراط فيه
فاذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانتابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأيد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرزق بالمطالعة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فإن
الله تعالى يفتح عليه باب
الفهم والتفهيم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من صورة
العلم فليعلم صورة ظاهرة
وسرى باطن وهو الفهم
والله تعالى به على

هذا مفارقة التفل للفرض في جواز أدائه على الراحة لما أوامنا إليه من التبعة والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو ميت نيك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت عليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا انصف الليل أخذ في التأهب للرجل ويزود الحصى منها قتيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر زيادة فربما يسقط منه بعضها وتكون الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغسل بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى الشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرام والبيت الحرام والشعر الحرام والركن والقام بلع روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى يقضى إلى موضع يقال له وادي عسرى فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راغلا أسرع في الشئ ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواقع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عين مستبيل القبلة في الجادة والمرى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصة الله أكبر الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له غاصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والأضحية الكباش الأقرن والبيضاء أفضل من البقر والغنم أفضل من الماعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من البقر والغنم أفضل من الماعز» وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالرجاء والجذعاء والضباء والجرباء والشرقاء والحرقاء والمقابلة والمدايرة والعجفاء والجذع في الأنف والأذن لقطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والحرقاء من أسفل والمقابلة المحروقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنق أي لامعة من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة وينتدئ بتقديم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصبع يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومما حلق بعد رمى الجمرة قد حصل له التحلل الأول وحله كل المحظورات إلا النساء والعيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كإصغاء وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبق مقيدا بسلطة الاحرام فلا نحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبش من حديث عبادة بن الصامت وث من حديث أبي أمامة قال ت

شرف القهم بقوله
- قهمناها سليمان
وكلا آتيناهما حكا وعلا
أشار إلى القهم بمزيد
اختصاص وتبميز عن
الحكم والعلم قال الله
تعالى - إن الله يسمع
من يشاء - فإذا كان
للسمع هو الله تعالى
يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرقى
بطلالة الكتب من
التيان فصار ما فتح
الله تعالى بطلالة
الكتب على معنى
ما يرقى من السموع
يركة حسن الاستماع
ليتقن البعد حاله
في ذلك وتعلم علمه
وأدبه فانه باب كبير
من أبواب الخير وعمل
صالح من أعمال الشايع
والصوفية والطهارة
الزاهدين للتبتلين
لاستفتاح أبواب
الرحمة وللمزيد من كل
شئ ينفع سلوك الآخرة
[الباب الثالث في بيان
فضيلة علوم الصوفية
والإشارة إلى آموذج
منها]

حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركنين فليسه كواصفنا إن لم يكن سمي بعد طواف القدوم وإن كان قد سمي قد وقع ذلك ركنًا فلا ينبغي أن يبعد السمي . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما آتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحدا التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع التبع ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ ففي الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر (١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها لإفراد إلا خطبة يوم عرفة لأنها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمي فبيعت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا يفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من الصبوزالت الشمس اغتسل الرمي وقصد الجرة الأولى التي تلي عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تمدها انحرف قليلا عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على السماء ثم يتقدم إلى الجرة الوسطى ويرمي كرامي الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جرة العقبة ويرمي بها ولا يخرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبعث تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمي في هذا اليوم إحدى وعشرين حصة كاليوم الذي قبله ثم هو غير بين للقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه للبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك البيت والرمي إراقة دم وليتصدق بالحرم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (٢) ولا يترك حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الحيف فإن فضله عظيم فإذا أقاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة (٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجلة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يستمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ومحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجمرات ثم التنعيم ثم الحديبية ونوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل للمسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وغير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه وخ ووصله - من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم التحريين الجمرات في الحجة التي حج فيها قال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراسل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبي داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقوده رقدة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمحصب ثم هجع هجرة الحديث .

السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السوفى قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا يعين بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سألت رجلا النبي عليه السلام عن الشر فقال « لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير » يقولها ثلاثا ثم قال « إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خير العلماء » فالعلماء أدلاء الأمة وعهد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقاء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والنسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهاندة الملة الحنيفة ووحمة عظيم الأمانة فهم أحق الحلق بمخافات التقوى وأحوج

تمت عمرته والقيم بكم ينبغي أن يكثر الاعتبار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع ويلق الله أجمله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمغفرة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) أي يشفي ما قصده به .

(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليجز أو لا أشغاله وليشدر حاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كسابق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أو أن انصرفي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أحميني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فهو مني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فسكنا زارني في حياتي » (٢) وقال عليه السلام « من وجد صفة ولم يغد إلى قد جفاني » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لا يهجمه إلا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليقل قبل الدخول من بر الحرمة ولينظف ويلبس أنظف ثيابا فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملأ رسول الله عليه السلام رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بمحبة التبر ركعتين ويجعل عمود التبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجهد أن يصلي في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له . من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد ابن هشام الروزى (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فسكنا زارني في حياتي الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يغد إلى قد جفاني ابن عدى والدارقطني في فرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى قد جفاني وذكر ابن الجوزي في الوضوحات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحدهم أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لا يهجمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

العباد إلى الزهد في الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لنفوسهم ولنفوسهم قصادهم فساد متمدة وصلاحيهم صلاح متمدة . قال سفيان ابن عيينة : أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل ببله فليس بعالم فلا يترك تشدقه واستطائته وحذائته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالقريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والقضية مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولأن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا بني الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا قاب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد خير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا بني الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الفتن المحمدين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كما ذكرك الله اكرون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضلوا كل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استغفرك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبد مودود له وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على القاروقى عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزا كما الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ولیمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ولولاهم إذ ظلوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توأما راحبا - اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مقتشفين به إليك في ذنوبنا وما نقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من ذلنا متعترفين بخطايانا وتقصيرنا كتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفضنا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعل آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصل على فيأركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكرسيين إذا جلس شبر وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة بزاد الانسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الانسان جهه على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشمس قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر السكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو حاتم عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

أن يأتي أحدا يوم الخميس ويؤزور قبور الشهداء فيصلى النداء في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم وصلى في مسجد طائفة رضي الله عنها ويؤزور قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية حمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت وصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصلى فيه كان له عند الله (١) ويأتي بئر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويحرب من مائها (٢) ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر الساجد وللشاهد ويقال إن جميع للشاهد وللشاهد بالمدينة ثلاثون موضعا يرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويقتل منها ويحرب منها (٣) وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصلى فيه كان عند الله نسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه نزل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويقتل منها ويحرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حار وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقي أو العهن أو بئر جل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث : وحديث بئر حار متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة تغلا وكان أحب أمواله إليه بئر حار وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويحرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه تان من حديث عثمان أنه قال أشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال تان حديث حسن ، وفي رواية لها هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بائنه فابتعتها فجلستها لغني والفقير وابن السيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البقوي والطبراني من حديث بشير الأسدي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا للنساء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن جابر في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا إذا أتت فافسلوني بسبع قرب من بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها ورتق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال تان حسن والطبراني من حديث أبي أسيد يثق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كأن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدع النص وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تحرب مباني الاخلاص للآمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصلح العبد إلى الفرض إلا به صار فرضا وهو بعضهم معرفة الحواطر وتفصيلها فريضة لأن الحواطر هي أصل القتل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولة الشيطان فلا يصح القتل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح القتل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وعدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فاستحب أن يأتي القبر الشريف ويمسح بدعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يسلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصور في السجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل آخر العهد بنبينا وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يأرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع للساجد الذى بين المدينة ومكة فيصل فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل فى سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفى بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه وإذا أشرف على مدينته يهرك الله ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئس ذلك هو السنة (٤) ولا يبنى أن يطرق أهله ليلا فإذا دخل البلد فليقصد للسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة (٥) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يخادر علينا حوبا فإذا استقر فى منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أنس بن سعيد الحدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من صدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له صدرا فخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بئر السقي رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب له من بيوت السقي زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقي ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقي التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث . وأما بئر جمل فى الصحيحين من حديث أبى الجهم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل الحديث وصله خ وعلقه م والشهور أن الأبار بالمدينة شعبة وقدرى الدارمى من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على صبيح قرب من آبار شق الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شق (١) حديث لا يصبر على لأوائها وعدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٤) حديث إرسال للسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئس ذلك هو السنة (٥) حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل قال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كي نغتسل الشحطة ونستحب للنية (٥) حديث صلاة ركعتين فى السجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة .

علم الحال بمعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقومهم بطريقهم ويرشد هم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والشكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجعل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز له أن يحصل برأيه

ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى النفلة والهوى والخوض في المعاصي لما ذلك علامة الحج للبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعلية شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للنسبة وقراؤمهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أضرار الدنيا التي يتصور أن تصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسباب إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده القيام بمكة ولم يكن له ما يملئه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باستقاطب الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأتحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يغفل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجرا فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الارضاع بتليبس حالما عليهم . الثاني : أن لا يباون أعداء الله سبحانه بتسليم المكسوم والصادقون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأمهات القاصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالأغانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الاقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قدم في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في رضى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساقى نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالذل والافتاق من غير تقثير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤمهم للسؤال وقراؤمهم للسمعة الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمم للفرقة وأوساطهم للتجارة وقراؤمهم للنسبة وقراؤمهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها والنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حق من حديث جابر بن عبد الله (٣) حديث مثل الذي يفرزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال المستقيم الاسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له
وعليه في ذلك فيراجع
علما يسأله عنه ليحييه
على بصيرة ولا يعمل
برأيه وهذا علم يجب
طلبه حيث جهل .
وقال بعضهم طلب علم
التوحيد فرض لمن
قائل يقول طريقه
النظر والاستدلال
ومن قائل يقول إن
طريقه النقل . وقال
بعضهم إذا كان العبد
على سلامة الباطن
وحسن الاستسلام
والاقياد في الاسلام ولا
يحبك في صدره شيء
فهو سالم فان حاك في
صدره شيء أو توسوس
بشيء يقدح في العقيدة
أو ابتلى بشبهة لا تؤمن
غائلتها أن تجرّه إلى
بدعة أو ضلالة فيجب
عليه أن يستكشف
عن الاشتباه ويراجع
أهل العلم ومن فهمه
طريق الصواب . وقال
الشيخ أبو طالب للكي
رحمه الله هو علم
القرائن الخمس التي
بنى عليها الاسلام لأنها
اقرنت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التتم بأطياب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة الترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحاجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم «الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل له يا رسول الله ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) الرابع: ترك الرفق والفسوق والجدال كأنطق به القرآن والرفق اسم جامع لكل لنو وخنى وغشى من الكلام ويدخل فيه معارضة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المظهور والداعى إلى المظهور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو اللبالة في الخصومة والمارة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رقت فسد حبه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للمساكين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كفى الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل سمعته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس: أن يهيج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحجاج للشيء بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستجاب في الشيء في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى الشيء الاحرام من ديرة أهله قد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأنعموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتقاء والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتتمام حبه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل على الشيء فهو أفضل فان كان يضاف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة يمشى فيها أو يركب حميرا بدم قال إن كان وزن الدرهم أثقل عليه فالكراه أفضل من الشيء وإن كان الشيء أشد عليه كالأغنياء فالشيء له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى السكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصان المال لما ذكره غير بعيد فيه . السادس: أن لا يركب إلا زاملة أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لمنر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثاني اجتناب زى الترفين والتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلفة قيمتها أربعة دراهم» (٢)

(١) حديث الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رجل رث وقطيفة خلفة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الثمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فرضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أكثرها ما يسع للسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين للاستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر للسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لمعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميل في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قوله من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

والطلاق إذا أراد
الدخول فيه وهذا
لمعنى فرض على المسلم
عليه وهذا الذي قاله
الشيخ أبو طالب
وعندى في ذلك حد
جامع لطلب العلم
للفرض والله أعلم .
فأقول : العلم الذي طلبه
فرضه على كل مسلم
علم الأمر والنهي
وللمأمر ما يثاب على
فعله وما يقاب على تركه
والنهي ما يقاب على
فعله وما يثاب على تركه
وللمأمرات والتبقيات
منها ما هو مستمر لازم
للعبد بحكم الإسلام
ومنها ما يتوجه الأمر
فيه والنهي عنه عند
وجود الحادثة لها هو
لازم مستمر لزومه
متوجه بحكم الإسلام
عليه به واجب من
ضرورة الإسلام وما
يتجدد بالحوادث
ويتوجه الأمر والنهي
فيه فعليه عند تجدد
فرض لا يفسد مسامحة
على الإطلاق أن يجهله
وهذا الحد أهم من
الوجوه التي سبق
والله أعلم . ثم إن

طاف على الراحة لينظر الناس إلى هديه وشمائله^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « خذوا عني مناسككم^(٢) »
وقيل إن هذه الحامل أحدثها الحاج وكان الطاء في وقته يشكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال
برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوارقات
ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا عجلين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزى والحامل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة عته جوالق فقال هذا لم من الحاج .
السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر
فيكتفى بديوان للتكبرين للترفين ويخرج عن حزب الضفاء والساكين وخصوص الصالحين فقد
أمر صلى الله عليه وسلم بالشمث والاختفاء^(٣) ونهى عن التتم والرفاهية^(٤) في حديث فضالة بن عبيد
وفي الحديث « إنما الحاج الشمث التفت^(٥) » ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوا في غشا
غبرا من كل فج عميق^(٦) . وقال تعالى - ثم ليقتضوا فتهم - والتفت الشمث والافتراء وقضاؤه بالخلق
وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلو قلوبا واخشوشنوا
أبى البسوا الخلق واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف فينبى أن يجتنب المرأة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت
على العموم فقد روى أنه ﷺ كان في سفر فزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكية حمر
على الأتارب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه المرأة قد غلبت عليكم^(٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها
عن ظهورها حتى شرد بعض الأبل . الثامن أن يرقى بالدابة فلا يعملها مالا تطبق والمحمل خارج عن
حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا خفوة عن قومود
وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٨) »
ويستحب أن ينزل عن دابته غداة وعشية يروحها بذلك فهو سنة^(٩) وفي آثار عن السلف .
وكان بعض السلف يكره جمر أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك حسنا
إلى الدابة فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لافي ميزان للكارى وكل من أدى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ
له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشمث والاختفاء البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن
أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا واتصلوا وامشوا خفا وفيه
اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وكلاما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيدق النهي
عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاء ولأحمد من
حديث معاذ إياك والتتم الحديث (٥) إنما الحاج الشمث التفت ت . من حديث ابن عمر وقال غريب
(٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوا غبرا من كل فج عميق الحاكم
ومححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله
ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر
إلى أكية حمر على الأتارب فقال أرى هذه المرأة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع
ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل
ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم ومححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول
عن الدابة غداة وعشية يروحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا وناقه تقاد .

لا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمعاليهم والهم والفتنة مجالس الله كروا القطة .
(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في التبة وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الانتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كالمسح في كل واحد من هذه الأمور تذكرا للتذكرة وعبرة للمعتبر وتنبية للمريد الصادق وتبريد وإشارة للفتن فلزمز إلى مقاصدها حتى إذا افتتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا مشغول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالنزعة عن الشهوات والكشف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانعازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله عز وجل وقرءوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة الرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف ^(١) » يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون ^(٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فحرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونفسه مقصدا لعباده وجعل ما حواه حرما لبيته فنجما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شغفا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزنيه عن أن يشربه بيت أو يكتنفه بله ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأنهم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والترديد في الصفا وللروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كالرق والعبودية فان الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آفة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكشف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبوداود ومن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواء الطبراني بانظر إن لكل أمة سياحة وسياسة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو واليهيقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إنني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البهيقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال الموطأ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولو لا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي خصم أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي اقتصر إلى الله بصحة العزم ورأي بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيئا سورة هود وأخواتها فقال نعم قال قلت له ما الذي شيك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية القربون منحهم الله تعالى من

وروى الجار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محله أنه فان كل ما أدرك العقل سناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك البيل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والاعتقاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لا ليك بحجة حقا تبدا ورقا » (١) ولم يخل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الاعتقاد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التبعيدات في تركية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تخطت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأعمال العجيبة مصدره المجهول عن أسرار التبعيدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فالتما ينبعث بعداتهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده للضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة القانية في دار الدنيا لا تتبرأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتياله ولا تستمد للاكتحال به تصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإبصار ولكنها قصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لاحالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فالحري أن يشتاق إليه المجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لئيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطره يعظم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمة ولتتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أخفى الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمة والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه واجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمنه رد اللطام والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة العاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايه ينادى عليه ويقول له إلى أين توجه أنتصديت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستبين به ومهمله أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فبرذلك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك ففقد أوامره ورد للظالم وتب إليه أولا من جميع للعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهره فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفره أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان للسافر وماله على خطر إلا من وفى الله سبحانه ولتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو للسفر

(١) حديث ليك بحجة حقا تبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيبهم
ألمهم طلب التهوؤ
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .
قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فان
تفك متحرك في طلب
الكرامة توربك بطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر غفل
عن حقيقته كثير من
أهل السلوك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والتعبدن سموا بسير
الصالحين للتقدمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا نفوسهم
لا تزال تطلع إلى شيء
من ذلك ويعجبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولعل أحدهم يتيقن
منكسر القلب منهما
لنفسه في حمة عمله حيث
لم يكشف بجى من
ذلك ولو علوا سر
ذلك لكان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

فتح على بعض
المجاهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزداد بما يرى
من خوارق العادات
وأثار القدرة فينا
فيقوى عزمه على
الرهبة في الدنيا
والخروج من دواعي
الموت وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الحجاب
ومن كوشف بصرف
اليقين استغنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن الراد منها
كان حصول اليقين فهو
ككشف هذا للرزوق
صرف اليقين به
من ذلك ما لا عدد فينا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا للوضع لاستغناء
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لوضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أهم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

والله الصبر فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من
موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يفيق منه على طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعذاه
بما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبق معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متعبرا محتاجا لاحتياجه له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى
الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التصبر . وأما الراحة : إذا
أخبرها فليشكر الله قلبه على تسخير الله عز وجل له السواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
الشقة وليتذكر عنده للركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنابة التي يحمل عليها فان أمر الحج
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة فيلنظر أ يصلح سفره على هذا للركب لأن يكون زاده ذلك
السفر على ذلك للركب فما أقرب ذلك منه وما يهتدي لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنابة قبل
ركوبه للجمل وركوب الجنابة مقطوع به وييسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاج في
أسباب السفر للشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر لليقين . وأما شراء
ثوب الإحرام : فليذكر عنده الكفن ولله فيه فاته سيرتدي ويتوزر بثوب الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيقى الله عز وجل ملفوظا في ثياب الكفن
لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الثوب والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد
الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه محيط كافي الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا يضاها أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ما ذاربه وأين توجه وزيارة من قصد وأنه متوجه إلى ملك
للكوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستهضوا قهضوا وقطعوا الملائق
وفارقوا الخلق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدلالا بأعماله في الارحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته التبة في الطريق لقي الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله تهديركه الموت فقد وقع
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك القبات : فليذكر فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول سؤال المنكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات
ومن اقتراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهه ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله
منزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل
فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا ليك ولا سعديك فكأن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متبرقا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكللا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي
عمل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحته
أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي
لا ليك ولا سعديك فلما لم يمشي عليه ووقع عن راحته فلم يزل يتره ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد
ابن أبي الخوارى كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

فأخذته النشبة ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بن إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة وبحك يا أحمد بلقي أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا ليك ولا سمديك حتى ترد ما في يديك فما تأمن أن يقال لنا ذلك ولينذكر للبي عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقرين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون آتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرجع عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خالياً ومستحقاً للمقت وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً بالكرم عظيم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وقامم السجود اللائذ غير مضيق . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليينه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصرفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تنفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والحب ما فاضله في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطافين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يتبدى الذكر إلا منه ولا تغتم إلا به كما يتبدى الطواف من البيت وتغم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت للعمود في السموات بازاء الكعبة فان طواف اللاتكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فسم عزمك على الوفاء بيبعتك فمن غدر في البيعة استحق اللقت وقدرى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : الحجر الأسود بين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه^(٢) . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاف بالتمتع : فتسكن نيتك في الالتزام طلب القرب حيا وشوقاً للبيت ولرب البيت وبركا بالمعاسة ورجاءاً للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لاني البيت وتسكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب للفرقة وسؤال الأمان كالذنب المتعلق بشباب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر بين الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تخدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

صرف اليقين بصير
واسطة من رؤية
قدرة فان فيه آفة
وهو العجب فأغنى
عن رؤية شيء من
ذلك سبيل الصادق
مطالبة النفس
بالاستقامة فسي كل
الكرامة ثم إذا وقع في
طريقه شيء من ذلك
جاز وحسن وإن لم يقع
فلا يزال ولا ينقص
بذلك وإنما ينقص
بالإخلال بواجب حق
الاستقامة فليعلم هذا
لأنه أصل كبير للطالبيين
فالعلماء الزاهدون
ومشايخ الصوفية
والمقربون حيث
أكرموا بالقيام بواجب
حق الاستقامة رزقوا
سائر العلوم التي أشار
إليها للتقدمون كما
ذكرنا وزعموا أنها
فرض فمن ذلك علم
الحال وعلم القيام وعلم
الخواطر وسنشرح علم
الخواطر وتفصيلها في
باب إن شاء الله تعالى
وعلم اليقين وعلم
الإخلاص وعلم النفس
ومعرفتها ومعرفة
أخلاقتها وعلم النفس

وبمرقتها من أعز
علوم القوم وأقوم
الناس بطريق
التسريع والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة أقسام
الدنيا ووجود دقائق
الموى وخفايا شهوات
النفس وشهواتها وشهوات
وعلم الضرورة ومطالبة
النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعل
ولبسا وخلعاً وأكلاً
ونوماً ومعرفة حقائق
التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة فسئلات
هي حسنات الأبرار
ومطالبة النفس بترك
ملاهي ومطالبة
الباطن بمحصر خواطر
المصيبة ثم بمحصر
خواطر الفضول ثم علم
للمراقبة وعلم ما يندفع
في الرقابة وعلم المحاسبة
والرعاية وعلم حقائق
التوكل وذنوب التوكل
في توكله وما يندفع في
التوكل وما لا يندفع
والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الإيمان
وبين التوكل الخاص
المختص بأهل الرفاق
وعلم الرضا وذنوب

إليه ولا منزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يخارق ذيله إلا بالغو وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي
بين الصفا والروية في فناء البيت : فانه يضاهاى تردد الصمد بفناء دار الملك جانياً وذاهبا مرة بعد أخرى
إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضى به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند تروده بين الصفا والروية تروده بين كنفق لليزان
في عرصات القيامة وليحل الصفا بكفة الحسنات والروية بكفة السيئات ولينذكر تروده بين السكتين
ناظراً إلى الرجحان والتقصان متردداً بين العذاب والنيران . وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى
من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أمتهم في الترددات على للشاعر
اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطعمهم
في شفاعتهم وتحميم في ذلك الصمد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتعسر في زمرة الفائزين للرحومين وحق رجائك بالإجابة فالوقوف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب المزينة من أوتاد الأرض ولا
يفتك للوقوف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب طالما اجتمعت همهم
وتجهدت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى استبجانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشغقت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم
ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هوس
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدراجه رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الاتقياد للأمر بإظهار الرق والعبودية واتهاضا
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إبليس لئله الله تعالى في ذلك للوضع ليدخل على حبه شبهة أو يقتله بمصيبة فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالجمرة طرداً له وقطعاً لأمه فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فذلك رماه وأما
أنا فليس يمرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع زمك
في الرمي ويغيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهاى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
والتشهير في الرمي فيه برغم ألق الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
ترمي به وجه الشيطان وتقصم بظهره إذ لا يحصل إرغام الله إلا بالامتثال أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدي : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
الامتثال فأكل الهدي وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار (١) فكذلك ورد الوعد
فكلما كان الهدي أكبر وأجزؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البلية التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع
(١) حديث أنه يتقى بكل جزء من الأضحية جزءاً من المضى من النار لم أقف له على أصله في كتاب
الضحايا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يفر لك ما تقدم
من ذنوبك بقوله لقاطمة وإسناده ضعيف .

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتذكر مشبهه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في الكشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حق قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هناك حرمة ولو برفع صوته فوقه ته مذكر مامن الله تعالى به على الدين أدر كوا محبة وسعدوا بعشادته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من محبة ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتك رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لآتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم «رفع الله إلى أقواما يقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا^(١)» فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبة ويعظم مع ذلك رجاءك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتك رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فإذا بلغت للسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففتش عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلتقى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تغرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلابس يديه فكذلك فافعل فان للس والتفيل للشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يلفه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في العهد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك قد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل قبره ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته^(٢) » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقاءه ولاكتفى بمشاهدة مشهد الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريم وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا^(٣) » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم امت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم مسعود النبي صلى الله عليه وسلم النبر ومثل في قلبك طلعت البية كأنها على النبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتمهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

(١) حديث يرفع إلى أقواما يقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد (٢) حديث إن الله وكل قبره صلى الله عليه وسلم ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته من حب لك من حديث ابن مسعود بلفظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يلفونني عن أمي السلام (٣) حديث من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد وتعديده بما يلزم من ضرورته ومالا يندح في حقيقته ومعرفة الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والاتجاه ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة للفرقة بالمشال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر واتسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم الشهادات كعلم المحبة والأنس والقبض والبسط والفرق بين القبض والمهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يرى أقبل منه حبه وأثيب في زمرة المحبوبين أم رد حبه وألحق بالمطرودين وليتصرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا من دار النور وانصرفا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد انزمت بميزان الصريح فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاها وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لئله الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوقعك أن يكون حظك من بفره السناء والتب نوز بآله سبحانه وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه للرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه للزلال الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حق اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك النهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من النور وفيه شفاء لما في الصدور من خالق من الجبارة قصمه الله ومن اجتنب العلم في غير ما أسسه الله هو جبل الله التين ونوره للبين والعروة الوثقى وللمتعمم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكبير والصغير والكبير لا تنقض محاببه ولا تنهاى غرائبه لا يحيط بغوائمه عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما صممه الجن لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم متفترين - قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأمنابه ولن نشرك برينا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - ومن أسباب حفظ في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والحفاظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استغفر ما عظمه الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شئ أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لاني ولا ملك ولا غيره (٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استغفر ما عظمه الله طيب من حديث عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ضعيف (٢) حديث ملين ضعيف أعظم منزلة عند الله من القرآن لاني ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسل ولطبراني من حديث ابن مسعود القرآن عافق مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يجي يوم القيامة شعبا لصاحبه .

القضاء والاستقرار
واتجلى والجمع والفرق
واللوامع والطوالع
والبوادي والصحو
والسكر إلى غير ذلك
لواضع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات
ولكن الصغر قصير
والوقت عزيز ولولا سقم
الفضة لضاق الوقت
عن هذا القدر أيضا
وهذا المختصر للؤلف
يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو
من الله الكريم أن
ينفع به ويجمعه حجة
لنا لا حجة علينا وهذه
كلها علوم من ورائها
علوم عمل بمقتضاها
وظفر بها علماء الآخرة
الزاهدون وحزم ذلك
علماء الدنيا الراغبون
وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها
إلا بتوقي ووجدان
كالمعلم بكيفية تلاوة
السكر لا يحصل
بالوصف لمن ذاقه
عرفه ونبشك عن
شرف علم الصوفية
وزهاد العلماء أن العلوم
كلها لا ينمدر تحصيلها
مع محبة الدنيا والاحلال

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر اللوت »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته »^(٩) الآثار : قال أبو أمامة الباهلي أقرءوا القرآن ولا تفرزكم هذه المصاحف للعقة فإن الله لا يمتدح قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاتشروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا أقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنة أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والهم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويسجده فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان ينفذ القرآن فهو ينفذ الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام قلت يارب ما أفضل ما تقرّب به للتقرّبون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بفهمهم قال بفهمهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه مخ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ النصف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر اللوت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك ومحمه من حديث فضالة بن عبيد .

بمخاتق التقوى وربما كان عبدة الدنيا عوناً على استسائها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعدد الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسموه قط وقال الفضيل بن عياض
 ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج
 الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع
 من يسهو ولا يلتزم مع من يلتزم تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل
 الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من ثمر مصحفا حين يصلى الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله
 عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويرى « أن خاله بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن قمرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى -
 الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر
 وما يقول هذا بشر (١) وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ
 خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي
 ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها
 أحد نستأنس به فديده إلى للمصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله
 عنه ثلاث يزدن في الحفظ وينهين البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة النافلين)

قال أنس بن مالك رب تلك القرآن والقرآن بلغته وقال ميسرة التميمي هو القرآن في جوف الفاجر
 وقال أبو سلمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة
 الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط
 ثم عاد قرأ قيل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب
 القرآن يثقلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف
 بلبه إذا الناس ينامون ونهاره إذا الناس يفرطون وبجرحه إذا الناس يفرحون ويكائه إذا الناس
 يضحكون وبصمته إذا الناس يغمضون وبغشوه إذا الناس يغتالون وينبغي لحامل القرآن أن
 يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مكاريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال
 صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن
 ما نهاك فان لم ينك فليست تقروء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل
 عماره (٤) » وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها
 وإن العبد ليفتح سورة فخلعه حتى يفرغ منها قيل له وكيف ذلك فقال إذا أحسن حلالها
 وحرم حرامها صلت عليه وإلا لنته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعب نفسه

(١) حديث أن خاله بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن قمرأ عليه - إن الله
 يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
 أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه
 البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خاله بن عقبة
 وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمي قراؤها أحمد من حديث
 عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك
 فليست تقروء طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من
 استحل عماره ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

الزهاد لأنهم أعقل
 الخلق . قال سهل بن
 عبد الله التستري
 للعقل ألف اسم ولكل
 اسم منه ألف اسم
 وأول كل اسم منه
 ترك الدنيا . حدثنا
 الشيخ الصالح أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 قال أنا أبو الفضل
 أحمد بن أحمد قال
 أنا الحافظ أبو نعيم
 الأصفهاني قال حدثنا
 محمد بن أحمد بن محمد
 قال حدثنا العباس
 ابن أحمد الشاشي قال
 حدثنا أبو عقيل
 الوصافي قال أنا عبد الله
 الحنصلي وكان من
 أصحاب حاتم قال دخلت
 مع أبي عبد الرحمن
 حاتم الأصم الرى ومعه
 ثلاثمائة وعشرون رجلا
 يريدون الحج وعليهم
 الصوف والزماجات
 ليس معهم جراب
 ولا طعام فدخلنا الرى
 على رجل من التجار
 متسك عجب التفتين
 فأضافنا تلك الليلة فلما
 كان من القد قال لحاتم
 يا أبا عبد الرحمن ألك
 حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكافرين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فقطعون به مراحله وإن من كان قبلكم رأوه رسالاً من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويغدونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليصلوا به فاعوذوا دداسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرنا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فنزل السورة على محمد ﷺ فيعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه يشتره ثم الدقل (١) وقد ورد في التوراة يا عبيدي أما تستحي مني يا بنيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق عشي فتعدل عن الطريق وتقدم لأجله وتقرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزله إليك انظروا فصلت لك فيه من القول وكما كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبيدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كفه وهأنذا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجملتني أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القاري وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير مرتبع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بكلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأنتى على الكل ولكن قدم القيام في الله كرم القعود ثم الله كرم مضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء وخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فشر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو بكر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراءة عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يحتم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يحتم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » (٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنحه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ما قرأ القرآن ولا مسكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يحتم القرآن في كل سبع (٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدما

في العلم (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يحتم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود قتها لنا هو عليل
فقال حاتم إن كان لكم
قته عليل فيادة
الفتية لها فضل والنظر
إلى الفتية عبادة فأنا
أيضاً جىء مك وكان
الليل محمد بن مقاتل
قاضى الرى فقال
سربنا يا أبا عبد الرحمن
لجأوا إلى الباب فاذا
باب مشرف حسن
فبقي حاتم متفكراً
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فاذا دارقوراء
واذا بزة ومنعة وسور
وجمع بقي حاتم متفكراً
ثم دخلوا إلى المجلس
الذى هو فيه فاذا بغرش
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
غلام ويسده مذبة
فحمد الرازى يسأله
وحاتم قائم فأوماً إليه
ابن مقاتل أن أقصد
فقال لا أقصد فقال له
ابن مقاتل لعلك حاجة
قال نعم قال وما هي قال
مسئلة سأوك عنها قال
سأى قال نعم فاستو
جالسا حتى أسألكها
فأمر خلائه فأسندوه
فقال له حاتم عليك

كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يغمثون القرآن في كل جمعة كتمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم في الحتم أربع درجات الحتم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والحتم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاختصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداها في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يغمث ختمه بالليل وختمه بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الصبح أو بعدها ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بغمثته فان لللائكة عليهم السلام تسلي عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من السابدين السالكين طريق السبل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الأفكار ومن اللشغلين بفكر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن قد يكتفي في الشهر بمرة لسكرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل . الثالث في وجه القصة : أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حارب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالقرة إلى المائة و ليلة السبت بالأنعام إلى هود و ليلة الأحد يوسف إلى مريم و ليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون و ليلة الثلاثاء بالنسكوت إلى ص و ليلة الأربعاء بنزول إلى الرحمن و يغمث ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب و قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع للقصص من ق إلى آخره فهكذا حازه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تسلم الألفاظ والأشعار والأجزاء فمما سوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها لظنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ والعمى لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين يشكرون الألفاظ والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحرمة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحمل الباب وتشوفا إلى حراسة القرآن عما يطرأ إليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كاقبل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة الذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها وبضهم كان يقول اقرأ في الصحف للنقطة ولا نقطه بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مخرجا في الصحاح فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور لهم أحدثوا بعده قطعا كبارا عند منتهى الآي قالوا لا بأس به يعرف برأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الحواتم والقوا غ قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط الصحاح بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما إصرا ب القرآن فلا بأس به وقال خالد الخلاء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزب القرآن على سبعة أجزاء د . من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب للفصل وفي رواية الطبراني فأنانا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزى القرآن قالوا كان يحزته ثلاثا فذكره موهوعا وإسناده حسن .

هذا من ابن جث به
قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم قبا
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منته
أكثر كانت له التزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين وقدم
لآخرته كان له عند الله
التزلة أكثر قال حاتم
فأنت بمن أقدمت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
يعربون ونمروذا أول
من بنى بالجلس والأجر
يا طباء السوء مثلكم
براه الجاهل الطالب

يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عبدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزائه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى .
الخامس الترتيل : هو للستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل معين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرطلها وأندبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارة أندبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً ومثل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا يجرّد التدبر فإن المعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من الهذمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبأبكاؤكم » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » (٣) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأبى البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحزنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد واللوائح والعهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم للصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج ستجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك الساجدين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - وغرّون للأذقان يكون ويزيدم خشوعاً - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة وبشرط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والحبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافعاً يديه تحريره ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبيره الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك فبغيره بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
دون ت وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبأبكاؤكم . من حديث سعد بن أبي وقاص باسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن خ من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحزنوا أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

للهنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرامته وخرج من عنده فزاد ابن مقاتل مرصاف بلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل قالوا له يا أبا عبد الرحمن بغزوين عالماً كبرياً من هذا وأشاروا به إلى الطنافسي قال فسار إليه متممداً فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أجهلي أحب أن تطلقني أول مبتدئ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأنى بانه فيه ماء فعمد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا فتوضأ فعمد فتوضأ حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا بلغ غسل الدراعين غسل أرباعاً فقال له الطنافسي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيما ذا قال غسّلت ذراعيك أرباعاً قال حاتم يا سبحان الله أنا في كفو ما أسرفت وأنت

في هذا الجمع كله
تسرف فلم الطافسي
أنه أراد بذلك ولم يرد
منه التحم فدخل البيت
ولم يخرج إلى الناس
أربعين يوما وكتب
تجار الرى وقزوين
ما جرى بينه وبين
ابن مقاتل والطافسي
فلما دخل بغداد اجتمع
إليه أهل بغداد فقالوا
له يا أبا عبد الرحمن أنت
رجل الكبر أعجمي
ليس يكلمك أحد إلا
وقطعتة قاتمي ثلاث
خصال بين أظهر على
خصمي قالوا أى شئ
هى قال أفرح إذا نأب
خصمي وأحزن إذا
أخطأ وأحفظ شئى
أن لا أجعل عليه قبلغ
ذلك أحمد بن حنبل
فجاء إليه وقال سبحان
الله ما أعفاه فلما دخلوا
عليه قالوا يا أبا
عبد الرحمن ما السلامة
من الدنيا قال لحاتم يا أبا
عبد الله لا تعلم من
الدنيا حق يكون معك
أربع خصال قال أى
شئ هى يا أبا عبد الرحمن
قال تنفر للقوم جهلهم
وتنعم جهلك عنهم

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما . الثامن أن يقول
في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من
القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انتفض به وبارك لنا فيه الحمد لله رب
العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح صبح وكبر. وإذا مر بآية
دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوت سأل وإن مر بمخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه أو قبله
فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه
إلا سبح (١) ، فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن
واجعله لي إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته
آتاء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين (٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك
فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد
من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر - بحيث يسمع غيره فهو
محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر
« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر كالسر بالصدقة » (٣) وفى الخبر العام « يفضل عمل السر
على عمل العلانية سبعين ضعفا » (٤) وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكنى وخير الذكر الحفى » (٥)
وفى الخبر « لا يجهر بضمك على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » (٦) وسمع سعيد بن السيب
ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال ثعلبته اذهب إلى هذا الصلى فمره أن يخفض صوته فقال الصلوات إن للسجد
ليس لنا والرجل فيه نصب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها الصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك
فأخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يرضوا عنك من أفضيضا فسكت عمر بن عبد العزيز
وخفف ركبته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تلوذ ولا بآية تنزيه إلا سبح م
مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى
بالقرآن واجعله لي إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى
تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين
الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشرائع كلاهما من طريق أبي فتر الهروى من
رواية داود بن قيس مضافا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر
على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة
دون ت وحسنه من حديث عتبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل
العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكنى وخير
الذكر الحفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص (٦) حديث لا يجهر بضمك على بعض
فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث الياصمى دون قوله بين المغرب والعشاء
والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحرب الأعور وهو صحيح

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فإن اللائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (٢) » ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم غثلى الأحوال لمروى على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمنى ومروى على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقف الوسنان وأزجر الشيطان ومروى على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أجدر عن الرأى والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تعلق بنيرة فالجهر للتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه همه ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقطع من كسله ولأنه يرجو بجهره نيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فتمنى حضره ثم من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل اذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختم فى المصحف سبع لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منها فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى الصلوة وأضع المصحف بين يدي فما أطيعه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تعطيط مغرط غير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قيل أرأببه الاستغناء وقيل أرأببه الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائقى وأنا أصح قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضاً إنما أعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فإن اللائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته بولاه بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار ومصر للقدس فى اللواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى صلى الله عليه وسلم بأن بكر وهو يخافت وجهر وهو يجهر ويلاى وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن . حب لك وصحة من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشيء ما أذن لشيء يتغن بالقرآن زاد من لشيء حسن الصوت وفى روايته كاذبة لشيء يتغن بالقرآن .

وتبذل لمسم شيك
وتكون من شيتهم
آيسا فإذا كان هذا
سلمت ثم سار إلى
الدينه . قال الله تعالى
- إنما يغشى الله من
عباده الطاء - ذكر
بكلمة إنما فيتنى العلم
عمن لا يغشى الله كما
إذا قال إنما يدخل الدار
بغدادى ينتقى دخول
غير البغدادى الدار
فلاح للماء الآخرة أن
الطريق مسدود إلى
أنصبه للمارف ومقامات
القرب إلا بالزهد
والتقوى . قال
أبو يزيد رحمه الله
لأصحابه بقيت البارحة
الى الصباح أجهد أن
أقول لا إله إلا الله
ما قدرت عليه قبل ولم
ذلك قال ذكرت كلمة
قلتها فى صباى فجاءتنى
وحشة تلك الكلمة
فمنعتنى من ذلك
وأعجب بمن يذكر الله
تعالى وهو متصف
بشيء من صفاته بصفاء
التقوى وكال الزهانة
جبر العبد راسخا فى
الملم . قال الواسطى :
الراسخون فى العلم هم

الدين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السرف فهم ما عرفهم
وخاصوا في بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الخزان ما تحت
كل حرف من الكلام
من القهم وعجائب
الخطاب فتطقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
أطلع على محل للراصد
الخطاب وقال الحراز :
هم الذين كملوا في جميع
العلوم وعرفوها واطلموا

على هم الخلاق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا ينفى
به أن الراسخ في العلم
يبنى أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم وقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما للأدب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإعنا عن بذلك
أبو سعيد ما يفسر أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» قال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إني أحب أن أسمع من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبته لك تخبرني (٤) ورأى عيسى بن القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قال لي أنت المقيم الذي نزل القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن - وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولذكر الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة» (٥) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتضع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهي أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع القهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلمه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فليست كيف لطف بخلقه في إرسال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يمجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه بجلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا تروى ولا تلتصق ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطلق لسامع كلامه كما لم يطلق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله . من حديث عائشة ورجال إسناده قات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أنفق لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثله على حدفهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن لللائكة عليهم السلام لواجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرائيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرقه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأتق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فنهى فقال الملك أرأيت ماتتني به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطبق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تميزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنة وتزيينه وبديع نظمه فزولوا إلى درجة تميز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لاهتقهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكالصفات فصاروا بما تراجموا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم تعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فسكناً أن أجساد البشر تكرم وتمزج لكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد للرفق يأمروني ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما يحياه أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالمالك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزان النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ودواء الأسقام الذي من شق منه لم يسمم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تنليق بعمق العمالة فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة للتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محبوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستقبلاً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولعل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا شر للمصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة للتكلم مالم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر ياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها الواحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين هتمته وسطوته إن أنتم في فضله وإن أعاقب فبعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي هؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله
اطلوا على مهم الخلائق
كلهم لأن التلقي حق
التقوى والزاهد حق
الزهادة في الدنيا صفا
باطنه وانجلت مرآة
قلبه ووقعت له معاذة
جنى من اللوح
المحفوظ فأدرك بصفاء
الباطن أمهات العلوم
وأصولها فيعلم منتهى
أقدام العلماء في علومهم
وظائفة كل عالم والعلوم
الجزئية متجزئة في
النفوس بالتعليم
وللممارسة فلا ينشيه
عليه الكلي أن
يراجع في الجزئي أهله
الدين هم أوعيته
فنفس هؤلاء امتلات
من الجزئي واشتغلت
به وانقطعت بالجزئي
عن الكلي ونفوس
العلماء الزاهدين بعد
الأخذ بما لا بد لهم
منه في أصل الدين
وأساسه من التبرع
أقبلوا على الله وانقطعوا
إليه وخلصت أرواحهم
إلى مقام القرب منه
فأفاضت أرواحهم على
قلوبهم أنواراً تنبأت
بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتفعت
عن حد إدراك العلوم
بكونها على العالم الأزل
ونجرت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذي يلي
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بنسبة انفصال
العلوم باتصالها بالروح
المحفوظ وللصفي
بالانفصال انتفاشها
في اللوح لا غير
وانفصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين التفصيلين
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب المنزلة
بأن إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يسير فيأتي به
العلم مجبول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم التكلم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قبل في تفسير - بإيهي خذ الكتاب بقوة - أي يجد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشئ فقال أو شئ أحب إلى من القرآن حتى أحدث به شئ وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن للعظم
لكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يفغل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في
المنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن مبادئ وبساتين ومقاصير ومراشئ وديابج
ورباضا وخانات فالمبادئ مبادئ القرآن والآراء بساتين القرآن والحالات مقاصير القرآن والسجحات
مراشئ القرآن والحاميات دياجج القرآن والفصل رياضته والحانات ماسوى ذلك فإذا دخل القاري
المبادئ وقطف من البساتين ودخل للمقاصير وشهد المراشئ ولبس الديابج وتنزه في الرباض وسكن
غرف الحانات استغرق ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على صماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره وللقصود من القراءة التدبر ولذلك سن في الترتيل لأن الترتيل في الظاهر يتمكن
من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه : لا خير في عافية لاقفه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بتريده فليدّر إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الامام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة عن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قراها إمامه فهذا وسواس قد دروي
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يترقى في الصلاة فيقول في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقف بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف
قد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم ديني ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما استطع
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها على الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنائلة مقام بآية
بردها وهي - إن تعلمهم فأنهم عبادك وإن تفر لهم (٢) - الآية » وقام تيمم الداروي ليلة بهذه الآية - أم حسب
الدين اجتروا السيئات - الآية وقام سعد بن جبير ليلة بردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنى لأفتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا أنضمها ولا يكون قلبي فيها لأعد لها ثوابا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنى لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليل أو خمس ليل ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف
أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يخرج من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمت وفي
كل شهر ختمت وفي كل سنة ختمت ولى ختمت منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا يقول ألفت نفسي مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامة ومشاهدة ومسانة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر المروزي في معجمه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة بآية
بردها وهي - إن تعلمهم فأنهم عبادك - ن . بسند صحيح .

الحامس التفهم : وهو أن يتوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال للكافرين لهم وأنهم كيف أهلکوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فمكتوبة تعالى - ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - وكقوله تعالى - للک القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فليتلأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتعنهامعان مدفونة لا تتكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ عينا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حرصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا مورا لا ثقة بأفهامهم ولم يثربوا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذلكه خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رأى كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبهوله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثانی الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يستمر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وقدرته فيكون له بطريق التبعية نبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرأيت ما تعبدون ، أفرأيت ما تسمعون ، أفرأيت الماء الذى تشربون أفرأيت النار التى توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرب واللى بل يتأمل فى اللى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والورق والعصب كيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات للذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجمل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أومر الإنسان أنا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فاذا جمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل وللرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا جمع نصرته فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال للكافرين : كما د وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته وهمته وليكن حظه منه الاعتبار فى قصصهم وإن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النعمة وتفد فيه القضية وكذلك إذا جمع وصف الجنة والنار وما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما فيها منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رقة فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه من رواية أبي جعفر قال سألتنا عليا قلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذى قلن الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما في كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبي داود والنسائي قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابي هذا الحديث ولم يذكر التفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي بأداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين ظهر العلم من قلوبكم حتى يطمعكم أو يضركم فالتأدب بأداب الروحانيين حصر النفوس عن تهاوى جيلاتها وقها بصريح السلم فى كل قول وفعل ولا يصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدي الله تعالى فيتحفظ بالحق للحق أخبرنا شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السمروردى بإجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون بإجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري بإجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الأوزاعي عن حسان بن عطية بلفظ أن عطاء بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال اتونا

مبين - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -
 ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فائحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه
 التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم مافي القرآن ولو في
 أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
 ماذا قال آنذا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي اللوانع التي سندكرها في موانع الفهم
 وقد قيل : لا يكون للمرء مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من الزيد ويستغنى
 بالمولى عن السيد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإنما أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن
 لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال **عليه السلام** « لو أن
 الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت ^(١) » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل
 ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت . وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون
 الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم
 عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف بخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه
 لهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تكشفه للسان وأعظم ضحكة للشيطان من كان
 مطيعا لثل هذا التليس . ثانيا : أن يكون مقلدا للمذهب منه بالتقليد وجمده عليه وثبت في نفسه التصب
 له بمجرد الاتباع المسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة فهذا غرض قبيح متقدمه عن أن يجاوز
 فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لم يرق على بعد وبدا له معنى
 من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
 معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيبقا عدمه ويحترز عن مثله وثل هذا قالت الصوفية
 إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية
 حررها التصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف وللشاهدة بنور البصيرة
 فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء
 على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس أنه للقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم
 يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجبر إلى كشف ثنائ وتالت وتواصل ولكن
 يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لما تقتضيه تخليقه الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم
 والكشف لأن الحق الذي كلفه الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود
 الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
 في كتاب قواعد العقائد . ثالثا : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا
 مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخشب على للرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه
 وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكترون وكلما كانت الشهوات أعند ترا كما كانت معاني الكلام
 أهذا احتجابا وكلما خفف عن القلب أهوال الدنيا قرب تجلى للعين فيه فالقلب مثل للرآة والشهوة مثل الصدأ
 ومعاني القرآن مثل الصور تتراعى في للرآة والرياسة للقلب يماطلة الشهوات مثل تصليل الجلاء للمرآة
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي ^(٢) » قال الفضيل يبي حرّموا فهم القرآن

بالسفرة . نعت بها
 فأنكر منه ذلك فقال
 ما تكلمت بكلمة منذ
 أسلمت إلا وأنا أخطئها
 ثم أزمها غير هذه
 فلا تحفظوها على فقل
 هذا يكون التأدب
 بأداب الروحانيين
 مكتوب في الإنجيل
 لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
 حتى تعملوا بما قد علمتم
 وقد ورد في خبر عن
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن
 الشيطان ربما يسوقكم
 بالعلم قلنا يا رسول الله
 كيف يسوقنا بالعلم قال
 يقول اطلب العلم ولا
 تعمل حتى تعلم فلا يزال
 العبد في العلم قائلا
 ولأعمل مسوقا حتى
 يموت يوما عمل . وقال
 ابن سعد رضي الله
 عنه ليس العلم بكثرة
 الرواية إنما العلم بالحشية
 وقال الحسن إن الله
 تعالى لا يبعأ بذى علم
 ورواية إنما يبعأ بذى
 فهم ودراية فعلم الوراثة
 مستخرجة من علم
 الدراسة ومثال علوم
 الدراسة كاللبن الخالص
 المائع للشاربين

(١) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .
 (٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرّموا

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وما يذكرك إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما يذكرك أولو الألباب - فالدين آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعا: أن يكون قد قرأ تفسير اظاهره واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه قد تبوأ مقعد من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤنى الله عبدا فهمافي القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع التخصيص وهو أن يقدر أنه القصد بكل خطاب في القرآن فان سمع أمرا أو نهيًا قد رآه للنهي وللأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما القصد ليصبر به وليأخذ من تضاعفها يحتاج إليه فإمن قصة في القرآن إلا وسياقها لقائلة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمنه ولذلك قال تعالى - ما تثبت به فؤادك - فليقدر العبد أن الله ثبت قلوبهم بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا يتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدي ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى السكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلاتعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا صائر للناس وهدي ورحمة لقوم يوتنون . هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس قد قصد الأحاد فهذا القارى الواحد مقصود لئلا يلهو لسائر الناس فليقدر أنه القصد قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتنا من قبل ربنا عز وجل يسهوده تدبرها في الصلوات وقف عليها في الخلوات وتتفدها في الطاعات والسنن والتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كما أن النيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهما القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . الثامن : التأثير وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضيق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر الغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإن أنفاز - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لني خسر إلا أن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شروطا جامعا قال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع الكل وهكذا من تصفع القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يخلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكائه وقل ضحكته وأكثر نصيبه وشغله

بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد للسنخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو البنية للطلوبة من اللبن وللماية في اللبن جسم قام به روح البنية وللماية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أو من سكان ميثا فأحييناه - أي كان ميثا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مبادئ الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد قال التوحيد والعرفة والشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والواظظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلايا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية التلاوة فسد الوعيد وتفيد النفرة بالشروط يتضاد من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع ووعده للنفرة يستبشر كأنه يطير من الفرج وعند ذكر الله عز وجل كذ كرم لله عز وجل ولدا واستشعارا لمظنمه وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل وصف الجنة يثبت يباطنه وصاحبة بنفسه صوته وينكسر في باطنه حياء من فيج مقاتلهم وعند وصف الجنة يثبت يباطنه شوقا إليها وعند وصف النار ترتد فرائسه خوفا منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ (١) قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على هؤلاء شهيدا - رأيت عيني تدرعان بالسمع فقال لي حسبك الآن وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الحائضين من خر مفتشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فنزل هذه الأحوال فخرج عنه أن يكون حاكيا في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم - ولم يكن خائفا كان حاكيا وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك للصير - ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر أو المزعجة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى - أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّكَ عَلَى الظَّالِمِينَ - وفي قوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون - وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله عز وجل - ومنهم أميون لا يملكون الكتاب إلا أمانى - يعنى التلاوة المهردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات والأرض يمرزون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو اللب في تلك الآيات في السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن معتصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تقب إلى ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب للكل في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلم له لترك الدراسة عند مخالفة لكان أبعد عن الاستزاء واستحقاق الوقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التيسير والاستنفار والعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فينسى ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم قوموا عنه (٢) » قال الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن ما اتلفت ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم قوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى بسند ضعيف .

عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدينامع علماء الآخرة وله وصف خاص يخص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الإيمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الإيمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الإيمان وللشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين الخاص وهو حق اليقين إذن فوق الشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدينامع لمح يسير لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يخشى الله عز وجل » (١) « فالقرآن يراد الاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فاللؤنة في تحريك اللسان بحروفه خيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ نائياً فانهرتي وقال جعلت القرآن على عملاً اذهب فأقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قبيح . وإنما المرز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل التالي باللسان للعرض عن العمل جدير بأن يكون هو للراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحضره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فكفيتها وكذلك اليوم نفسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان للعصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب لحفظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشبهى بمن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الطائفي في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لله أراد بالمدينة وإلا فقد روي عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده في الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسلاً وأبو البرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير يسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال مامعك يا فلان ؟ قال معنى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فانهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قبيح دن في الكبرى ووجب له وصحه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حق فرغ منها فقال الرجل والذي بشك بالحق لأزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع الرجل أطلع الرجل أطلع الرجل ولا أحد ون في الكبرى من حديث مصعب عمه الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والایمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنسبة الشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم ووزانة الأعمال على قدر الحفظ من العلم وقد ورد في الخبر « فضل العالم على العابد كفضلي على أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعناق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون البعد عالماً بالله تعالى ذائقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفایات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بمقائق اليقين ومقائق للرفة وقد كان علماء

بالتريل وحظ العقل تفسير للماني وحظ القلب الاتماظ والتأثر بالانزجار والاثار فاللسان يرتل والعقل
يترجم والقلب يتعظ . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من
نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر
إليه ويستمتع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد
بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانامه وإحسانه لقامه الحياء والتعظيم
والاصفاء والفهم . الثالثة أن يرى في الكلام التكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق
الانعام بمن حيث إنه متمم عليه بل يكون مقصورا لم على التكلم موقف الصكر عليه كأنه مستغرق
بمشاهدة للتكلم عن غيره وهذه درجة القربين ومابقه درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو
درجات النافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز
وجل لحلقه في كلام مولسكم لا يصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مفتشيا
عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من التكلم بها فلم يثبت
جسمي لمحاينة قدرته في مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وقدة للنجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت
أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كآني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوه على أصحابه ثم
رغبت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كآني أسمع من جبريل عليه السلام يلقه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من التكلم به فندها وجدت له قدة ونعيا لا أصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها
بالطهارة تترقى إلى مشاهدة للتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتعصت به عشرين سنة ومشاهدة للتكلم دون ماسواه يكون العبد عمتلا لقوله عز وجل - قروا إلى
الله - ولقوله تعالى - ولا تعجلوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء قدر رأي غيره وكل ما التفت
إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل
شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه وبين
الرضا والتركيز فإذا تلا آيات الوعد والدخ للضالين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للوقفين
والصديقين فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات القت وذم العصاة والمقصرين
شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم
إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم لما بال الكفر فلاقوله عز وجل - إن الإنسان لظلم
كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل
من قصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد
العبد في القرب لطفه به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ومن شهد
القرب في العبد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهداته لنفسه بين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في
قراءته كشف له سر لللكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يخطر
عنده فأبطأ عليه حتى طلع الصبح فلقبه أخوه من القدر فقال له وعدتني أنك تخطر عندي فأخلفت فقال
لولا ميمادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت التمة قلت أوتر قبل أن أجيبك لأنني
لا آمن ما يهدش من اللوت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر
من الجنة لما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو
أقوم بعلم الفتوى
والأحكام من بعضهم .
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن السيب وكان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لو نزل أهل البصرة
على قيام لوسعهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسينا فكانوا يردون
الناس إليهم في علم
الفتوى والأحكام
ويسلمونهم حقاني
اليقين ودقائق المعرفة
وكذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابعين
صادقهم طراوة الوحي
للزكز وغمرهم غزير
العلم الجبل والفصل
فقلتي منهم طائفة مجلدة
ومفصلة وطائفة مفصلة
دون مجلدة والمجلد أصل
العلم ومفصلة للكتيب
بطهارة القلوب وقوة
الفريرة وكال الاستعداد
وهو خاص بالخواص
قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى هواها ثم تحصى هذه الكاشفات بحسب أحوال المكاشف بحيث يتلو آيات الرجا
ويغلب على حاله الاستبشار تكشفه صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل الطيف والشديد
الصوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة والطف والانتقام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعمل الكاشفة بأمر
يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال للسمع واحدا والسمع مختلفا إذ فيه كلام راض
وكلام غضبان وكلام منكم وكلام منتقم وكلام حيار متكبر لا يتألى وكلام خنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

لذلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه
فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ^(١) وعن هذا
شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسويين إلى التصوف في تأويل كلمات
في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وصائر للفرسين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صرح ما نقله أهل
التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ نصيره وإن لم يصح ذلك لما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من
فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لافهم للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو عجز عن حدسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسا لأرباب
الفهم ^(٢) قال على رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة للفقوة
فذاك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » ^(٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير في معنى الظاهر والباطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه
لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير لأمانة الكتاب فامضامو تفسير ظاهرها في غاية الاقتصاد وقال
أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجمل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم
وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائة علم إذ كل كلمة علم
ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ومريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة ^(٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين
فليدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أمثال الله عز وجل
وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهائية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها
والقامات في التعمق في فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل
فيه على النظر واختلف فيه الخلاق في النظريات والمقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه
يختص أهل الفهم بدركها فكيف ينفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره وذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم ^(٢) حديث
الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم تقدم قوله على في الباب قبله إلا
أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه ^(٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد
العقائد ^(٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والوعظة
الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن - وقال
تعالى - قل هذه سبيلي
أدعو إلى الله على
بصيرة - فلهذه السبل
سابعة ولهذه الدعوات
قلوب قابلة لها قوس
مستحبة جامدة باقية
على خشونة طبيعتها
وجبيلها فليتها بنار
الإنذار والوعظة
والحدار ومنها قوس
زكية من تربة طيبة
موافقة للقلوب قربية
منها لمن كانت نفسه
ظاهرة على قلبه دماء
بالوعظة ومن كان
قلبه ظاهرا على نفسه
دعاه بالحكمة فالمدعوة
بالوعظة أجاب بها
الأبرار وهي المدعوة
بذكر الجنة والنار
والمدعوة بالحكمة أجاب
بها للفقراء وهي المدعوة
بتلويح منح القرب
وصفو للفرقة وإشارة
التوحيد فلما وجدوا
التلويحات الخفائية
والتعريفات الزبانية
أجابوا بأرواحهم
وقلوبهم ونفوسهم

فصارت متتابعة الأقوال
إجابتهم نفسا ومتابعة
الأعمال إجابتهم قلبا
والتحقق بالأحوال
إجابتهم روجا وإجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم بالبخس . قال
عمر رضي الله عنه :
رسم الله تعالى صيا
لو لم يخف الله لم يصح
يعنى لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف للفرقة بمظلم
أمر الله على القيام
بواجب حق اليهودية
أداء لما عرف من حق
المظلمة فإجابة الصوفية
إلى الدعوة إجابة
الحب للمحجوب على
الاذانة وذهاب السر
وإجابة غيرهم على
اللكابة والمجاهدة
وهذه الإجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بحقائق
الاستقامة والبودية
قال الله تعالى - فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسن فسيسره
للإسرى - قال بعضهم
أعطى الثارين ولم ير
شيئا واتقى الثنوي
والسيئات وصدق

«اقرأوا القرآن واتمسوا غرايبه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث على كرم الله وجهه «والله
يشق بالحق نبيا لتفرقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون
إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابة قصه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل
وهو جبل الله للتين ونوره البين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٢) الحديث وفي حديث حذيفة
«لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا
تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه
ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل وأعمل بما فيه فيه النجاة» (٣)
وقال على كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع
المعوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا - يعنى الفهم في القرآن . وقال عز وجل - فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - مى
ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتطعن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم
والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالنا وأن للنقول من ظاهر
التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه
عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أى أرض تقلى وأى سماء تظلى إذا
قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهى عن تفسير القرآن بالرأى
فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال باللهم والمراد
به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :
أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك
مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل
وقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل
مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
لرد الباقي تخيير على القاطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف
التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن
الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن واتمسوا غرايبه ، ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى اللوصلى والبيهقي
في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث على والذى يشق بالحق
لتفرقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا
كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر
اقتراق الأمة بلفظ إلا إنها ستكون فتنة مضلة قلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه
نأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف
والفرقة بعده قلت ما تأمرني إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى
وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى عرب .

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »^(١) فان كان التأويل مسموعا كالتأويل ومحمولا مثله لما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما قلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الجحيل فيطلب أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما التمسك فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك للمنى وهذا تارة يكون مع العلم كالمضى يخرج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس للرادب الآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى رأيه هو الذى حمى على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يرجع عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة »^(٢) ويزعم أن الرادب السحر بالذكر وهو يعلم أن الرادب الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنطقى - ويشير إلى قلبه ويومى إلى أنه للرادب فرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصالحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو غرض وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغريير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها بخير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى ويكون للرادب الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد وللوافق للهوى قد يخص بأسم الرأى . والوجه الثانى أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل قبله يتعلق بترائب القرآن ومافيه من الألفاظ المبهمة والبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط للمعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالتقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتق به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والترائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر الكمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يحرى بحرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بدقيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا عودا لناقة مبصرة فظلموا بها - معناها آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن الرادب أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عبياء ولم يدركهم عاذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى - وأشر بواقي قلوبهم المعجل بكفرهم - أى حب المعجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا أذقناك ضعف الحياة و ضعف الماتسأى ضعف عذاب الأحياء و ضعف عذاب الموتى فحذف المذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح

بالحسن أقام على طلب الزلقى والآية قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى للوساوس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره للمصرى فتفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأمان من غل بالأعمال واستغنى امتلا بالأحوال وكتب بالحسن لم يكن في اللكوت بنفوذ بصيرته بالحوال فسنيسره للمصرى تسد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب السكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفرو نصيبهم من العزفة أكل فبكانت أعمالهم أركى وأفضل جامه رجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسجروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما يجتهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضعيف اليقين يتوره
الشك قال معاذ
ليحبطن شك عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أبسط شك
الأول أعمال بره
ليحبطن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ يمدو وقال ما رأيت
الذي هو أقدم من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا استطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل الله
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العلم لأنه أدعى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكال
الحظ من اليقين والطم
بأنه للصوفية والطماء

الجنة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل
فيها محذوف مضمرة وقوله عز وجل - ثقلت في السموات والأرض - معناه خثيت على أهل السموات
والأرض والتي إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى
- ونعملون رزقكم أنكم تكذبن - أي عنكم رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا آزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
أخذوا من دونه أولياء مانعهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى - أي يقولون مانعهم وقوله عز وجل - فإنا
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها للنقول النقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
للكرر القاطع لوصول الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال للآل
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها للتقدم وللؤخر وهو مظنة التلطف كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولا - لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل
الأنفال فهو الرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي نصارت أنفال الفتناء لك إذ أنت راض
بمخرجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده لا تقول إبراهيم لأبيه الآية - ومنها للبهيم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكالشئ والقرين والأمة والروح ونظائرهما قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة محارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى ينتدى بها العارف في أو ان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا مالهى عتيد - ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به للكل للكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
الشیطان - وأما الأمة فطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله تعالى نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعد أمة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشرك فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم «يعت زيد بن عمرو بن قنيل أمة وحده» (١) والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد.

(١) حديث - يعث زيد بن عمرو بن قنيل أمة وحده ن في السكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة صفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو منافعنا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . ثم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد ومحبيه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاكر آفته العامة رحمته الذي جزى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني أذكركم - ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطمع الطبع والخاص والعام في الانبساط إلى حضرة جلالة برفع الحاجات والأمان بقوله - فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفياه وسلم تسليما كثيرا . [أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه وفضل الآثار من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويشترط للقصد من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة محدوفة الاسناد من الأدعية للآثورة . الباب الخامس : في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويحل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني رحمه الله إني أعلم متى يذكركني ربي عز وجل فزعوا عنه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرتني ذكرني وقال تعالى - اذكروا الله كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنفتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام واذكروه كاهداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغي والفقر والرخاء والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم الناقضين - ولا يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - وإذا كركرك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالندو والآصال ولا تسكن من النافلين - وقال تعالى - ولذكر الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الحضراء في وسط الحشيم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الحضراء في وسط الحشيم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من

للسليين ولا يرى نفسه في مقام تميز غيرها يجلس فالصوفي العالم مخصوص بيمين ولو قدر له أن ينتل بمثل هذه الواقعة وينصرف من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى أن هذا داء وأنه إن امتثل فيه بالإسقاء إلى النفس وانصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داء إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من السكر فيمن قسده فوقه وربما أقبل على من قسده فوقه بمزيد التواضع والانكسار تمكيرا للذنب الوجودي ودوايا لدائه الحاصل . فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فإذا اعتبر العبد وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاهي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أحب إليه من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل (٣) » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل بالعداء والنسي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاخي من ملكه وإذا تحرب مني شبرا تحربت منه ذراعاً وإذا تحرب مني ذراعاً تحربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه (٧) » . يعني بالمهولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجل ذكر الله خاليا قضاة عيناه من خشية الله (٨) » وقال أبو البرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين (١٠) » .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاهي هـ . حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي البرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أحب إليه من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بن إسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند بلقيظ إذا مررتهم برياض الجنة فارتموا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترهيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالعداء والنسي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ورواه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كلوا من ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجلاً ذكر الله خاليا قضاة عيناه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت هـ . ك وصحح إسناده من حديث أبي البرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين ح في التاريخ والبراز في للسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب للناسب الدينية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير السائل لتبرهن فضيلة الزاهدين وقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفاس علومهم وشرائف أحوالهم والله للوفق للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم المروزي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم

الأصمري قال حدثنا
عبد بن عبد الله
الأصمري عن أبيه
عن علي بن زيد عن
سعيد بن السيب قال :
قال أنس بن مالك
رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يا بني إن
قدرت أن تصبح وتسي
وليس في قلبك غش
لأحد فافعل ثم قال يا بني
وذلك من صفى ومن
أحيانى فقد أحيان
ومن أحيانى كان معي
في الجنة » وهذا أثر
شرف وأكل فضل
أخبر به الرسول صلى
الله عليه وسلم في حق
من أحياء الصوفية
هم الذين أحيوا هذه
السنة وطهارة الصدور
من الفل والنس عماد
أمرهم وبذلك ظهر
جوهرهم وبان فضلهم
ولما قدروا على إحياء
هذه السنة ونهضوا
بواجب حقها لخدمهم
في الدنيا وتركها للأزليين
وطالبها لأنوار النور
والنور حبة الدنيا
وحبة الرفعة والرزق
عند الناس والصوفية

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بننا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة
وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أئما عبد اطاعت
على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى تولى سياسة وكنت جليسه ومحادثه وأنيبه وقال
الحسن البكري ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره
وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويرى « إن كل نفس تخرج من الدنيا
عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحصر أهل الجنة على شيء
إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم
لللائكة وغشيتهم الرحمة وذكروا الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من
قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً
لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « ما قد قوم مقعداً لم يذكروا الله
سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) »
وقال داود بن أبي سليمان : لم يزل إذا رأيتي أجوز مجالس الداركرين إلى مجالس القائلين فأكبر
رجلي دونهم فانها نعمة تتم بها على . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليرامون بيوت
أهل الأرض التي يذكروا فيها اسم الله تعالى كما ترامى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا
اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا تري ما يصنعون
فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا خربوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل
السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى
المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فإذا رأيتم
قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا
وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلوا إلى بيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضاً (١) حديث ما جلس قوم
جلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم لللائكة وغشيتهم رحمة وذكروا الله فيمن عنده م من حديث
أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم
مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف
من حديث أنس (٣) حديث ما قد قوم مقعداً لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي
ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب القردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج
ولله وكذلك لم أجده إلا في إسناده (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا
وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق
الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع .

فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يمجدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسيحاً وتحميداً وتعبيداً فيقول لهم من أي شيء يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأعد ثوراً فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أعد عليها حرصاً فيقول جل جلاله إن أعهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء الحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يثنى عليهم (١) .

(فضيلة التهليل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال (عليه السلام) « مامن عبد توحشاً فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً لأبي هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث مامن عبد توحشاً فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث ومن حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفري في الدعوات ولوجلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعاً لو أن السموات السبع وسمارهن غيري والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن في اليوم واليلة وحب وكر ومحبة .

زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم للزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرقة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد يقول القائل كنست بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يندب باب النفس والفلس وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع أن معنى كنست بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويلهب عنها للذموم

من القلوب والنفس والحمد
والحمد فكأنها
تكنس بنور الروح
وهذا اللغز صحيح
وإن لم يرد القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
سوزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو خنيس كيف يقي
القل في قلوب التلقت
بالله واختفت على محبته
واجتمعت على مودته
وأنست بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطباع بل
كملت بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالحق
حجابهم عتبت القيام
بإحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قولوا وخلصوا خلاصات
قوسهم فاذا تبدلت
نفوس النفس ارتفع
الحجاب وحيث المتابعة
ووقعت للواقعة في كل
شيء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجبت
المحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحبك

وقال صلى الله عليه وسلم « لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك (١) » وقال
صلى الله عليه وسلم « يا باهريرة لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب هدمًا قلت
يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم (٢) » وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذي أبى وشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٤) » فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فاتها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نعمة (٥) » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم ما قل مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسفه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله (٦) »

(١) حديث لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
ولترمذي في حديث أنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلك
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه إقطاع (٢)
حديث يا باهريرة لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب هدمًا قلت يا رسول الله من الذي أبى وشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٣)
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المختصرين من حديث الحسن مرسل (٤)
حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٥)
حديث لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصحبها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديث أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمار التميمي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في التمهال من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للاستجابة لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدي من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وأثرهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه قد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدي والمستمرى من حديث أنس
عن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥)
حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦)
حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبغله بيتا في الجنة » وروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفة فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبه (١) » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعقق أربعة أنفس من ولد إسماعيل صلى الله عليه وسلم (٢) » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمار من الليل قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قل اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فإن عوصا وصلى قبلت صلاته (٣) » .

(فضيلة التيسيح والتحميد وبقيّة الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٤) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت به خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٥) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي قال رسول الله ﷺ فأبذ أنت من صلاة الثلاث وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يارَسُولُ اللَّهِ قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تولى الصبح تأتيك الدنيا راغمة ضاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ثلاث مائة مرة في السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة مرة في السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٧) » قال درة الزرقى « كتابونا فصل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله لمن حنّه

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في الاستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفة فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بن مالك ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعقق أربعة أنفس من ولد إسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمار من الليل قال لا إله إلا الله الحديث رواه (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبذ أنت عن صلاة الثلاث وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث للاستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلإله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فأتها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ثلاث مائة مرة في السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة مرة في السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبدربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله قاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من الجهد والاجتهاد في العبادة والتجهد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا بركة للتابعة في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والشفقة والرفقة والندابة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والعظيم والرضا والمصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من للتكم آتيا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات من لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر^(٣) رواه بن عمر وروى الثعلباني بن بشر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا بد من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينطقون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبين أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به^(٤) وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ولأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس^(٥) وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هو خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأين بدأت^(٦) رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حبة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقها أو مشتر نفسه فمقتها^(٧) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في اليزان جيتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم^(٨) وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما صطنى الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم^(٩) وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه مخ -
(٢) حديث الباقيات الصالحات من لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم واليلة وجب لك ومحمه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسنه ون في اليوم واليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث الثعلباني بن بشر الدين يذكرون من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتهليله وتحميده ينطقون حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه الحديث ه وك ومحمه على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال هو خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول ولست شترقي في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال لني صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في اليزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون الكلام أحب إلى الله قال ما صطنى الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
الناجيات وأحيوا سنته
بأقصى النيات . قيل
لعبد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والماكنون عليها
بقلوبهم وللمتصمون
بسيدهم من شرفوسهم
عم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاه حق
يقول لا تكتفى إلى
نفس طرفة عين
اكلاقي كلاءة الوليد
ومن أشرف ما ظفربه
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الاتجاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عبد كشف باطنه
بصفاء المعرفة وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القربى وخلصه بلاذة
السامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحانه الله كتبت له عشرون حسنة ونحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانه الله وبحمده فرست له نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة وتبليغة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف ونهي عن منكر صدقة ووضع أحدكم القيمة في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدرت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى بسيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس فلا تظنن واعقدن بالأنامل فاتها مستطقات ^(٥) » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتي بالتسبيح ^(٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن ظلمن عندلوت لم تمسه النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحانه الله العظيم ^(١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة ^(٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبحمده فرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحسب وك وقال صحيح على شرط م وصححه ^(٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدرت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٥) »

قوله سبحانه الله العظيم ^(١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة ^(٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبحمده فرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحسب وك وقال صحيح على شرط م وصححه ^(٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدرت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٥) »

قوله سبحانه الله العظيم ^(١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة ^(٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبحمده فرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحسب وك وقال صحيح على شرط م وصححه ^(٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصل ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدرت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٥) »

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت العالم وهي وشيكة الرجوع سريرة الانقلاب والاقلاب قاله تعالى بكلال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكانها جعلت سوطا لعبد تسوقه لمقرته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الاقتدار والدعاء فلا يغفل الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يغفل عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة البيل بمعرفة التهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله اثره في الدنيا التمسك من

التقوى بأوثق العرى
ومن الذى يهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفى فدوام
افتقار إلى ربه تمسك
بجناب الحق وليأذبه
وفى هذا الباب استغراق
الروح واستنباط القلب
إلى محل الدعاء وفى
أنجاد القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستورها
من الأقسام العاجلة
وتزولها إليها فى مدارج
العلم محفوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
الخاتمة من الغل والنش
والحقد والحسد وسائر
الذمومات فهذا حال
الصوفى. ويجمع جمل
حال الصوفية شيئان:
هما وصف الصوفية
واللهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من يغبى - تقوم
من الصوفية خصوا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفى رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضىت بأقربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفى رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيته وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى وولى لاسيل لكم إليه . فان قلت : لما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التبع فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة الشغلات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يلقى إلا بطل للكشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم العامة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً (٤) وحضور القلب فى لحظة بالذكر واليهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو القديم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والطلب ذلك الأنس والحب فان الريد فى بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنسى به وانغرس فى قلبه حب المذكور ولا يبنى أن يتعجب من هذا فان من الشاهد فى العبادات أن تذكر طائفاً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه وقد يشقى بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر للتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشر الأنس بالمذكور والحب له ثم تمتع الصبر عنه آخراً فيصير اللوجب موجبا والتمر مشعرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على السكادة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعهُ أولاً ويكابداً كله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معادة متحملة لما تتكلف . هي النفس ما عودتها تعود . أى ما كلفها أولاً يصبر لها طبعاً آخراً ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه اقتطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم فى اليوم واليلة وك من قال سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضىت بالله رباً الحديث د فى اليوم واليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فيه سعد ابن الرزبان ضعيف جداً (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ باقطاع الموانق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يمنوعه عما به أنسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يغنى في حق الموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تغنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تغنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بسدموته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يمر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعظم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما بمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين « يا فلان يا فلان وقد مماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فأن وجدتم ما وعدني ربى حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأتى يجيبون وقد جفوا ؟ فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أتم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في الشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن الطلب الحاتمة ونفى بالحاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع عما سواه من غيره فإن قدر عبيد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريد لها حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد مماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعدني ربى حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالمداية بشرط مقدمة الإجابة فالاجتهاد المحض غير معطل بكسب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتاده وفي هذا أخذ بظانته من الصوفية رفضت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذات والديش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحره فرعون لاداة التازل بهم من صفو السرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثر على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القديعة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أبي الفضل إجازة
قال أنا أبو بكر أحمد
ابن علي بن خلف
إجازة قال أنا
عبد الرحمن السلي
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا موسى
الرقاعي يقول سمعت
أبا سعيد الخراساني يقول
أهل الخاتمة الذين هم
الرادون اجتنابهم مولا
وأكل لهم النعمة وهيا
لهم الكرامة فأسقط
عنهم حركات الطلب
فصارت حركاتهم في
العمل والخدمة على
الألفة والذكر والتتم
بمناجاته والافتقار
بقربه وبهذا الاسناد
إلى أبي عبد الرحمن
السلي قال سمعت علي
ابن سعيد يقول سمعت
أحمد بن الحسن الحمصي
يقول سمعت فاطمة
المسروقة بمجورية
تلمينة أبي سعيد يقول
سمعت الخراساني يقول
الراد محمول في حاله
معان على حركاته وسعيه
في الخدمة مكثي مصون
عن الشواهد والنواظر
وهذا الذي قاله الشيخ
أبو سعيد هو الذي

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر «ألا أبعثك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخبر قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعد بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدی ما شئت أعطيك قال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى قال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١)» ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن أكره ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تغريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت الرء على ما عاش عليه ويمش على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كفته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله عخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للقال . فسنأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين لقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة
وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يشكربون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبعثك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخبر قال إن الله أحيا أباك فأقعد بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي الحديث وقال حسن وهك وصحح إسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك مثفق عليه من حديث أبو موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يقاتل لله كره والرجل يقاتل للنفس والرجل يقاتل لبري مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفصيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار وقال حسن ون في اليوم واليلة وه من حديث جابر (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

- قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي امدعوا الله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من اللبس وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر قيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يفتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول النيث وعند إقامة الصلوات للكتابة فاعتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جملة في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من الشواغل ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع المهم وتعاون القلوب على استدراار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مع العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الدبلى في الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ت في اليوم واليلة وت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم واليلة باسناد آخر جيئد وح ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

أخذه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من التوافل وقد رأوا جمعا من الشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يسلوا أن الذين تركوا التوافل واقتصروا على الفرائض كانت بدايتهم بدايات للريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فلما المرادون فبقى عليهم الأعمال والتوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريق الصوفية فأما الطريق الآخر طريق الريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطوبى لساوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا تهديهم سبلنا -
 يدرجهم الله تعالى في
 مدارج الكسب بأنواع
 الرياضات والمجاهدات
 وسهر الليالي وطمأ
 المواجهات وتأجج فيهم
 نيران الطلب وتتجلبب
 دونهم لوامع الأرب
 يتقبلون في رمضان
 الإرادة وينخلون
 عن كل مألوف وعادة
 وهي الإنابة التي شرطها
 الحق سبحانه وتعالى
 لهم وجعل الهداية
 مقرونة بها وهن
 الهداية آتاه هداية
 خاصة لأنها هداية إليه
 غير الهداية العامة التي
 هي الهدى إلى أمره
 ونهى بمقتضى المعرفة
 الأولى وهذا حال
 السالك المهب للريد
 فكانت الإنابة خير
 الهداية العامة فأعمرت
 هداية خاصة واهتدوا
 إليه بعد أن اهتدوا له
 بالمكابدات فخلصوا
 من مضيق العسر إلى
 قضاء اليسر وبرزوا
 من وهج الاجتهاد إلى
 روح الأحوال فسبق
 اجتهادهم كشوفهم
 والرادون سبق

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء (١) » وروى ابن عباس
 رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما
 الركوع فأنظره الله وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه من أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث :
 أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس (٣) » وقال
 سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها
 صفراً (٤) » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
 بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
 السبائتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
 ارفعوا هذا لأيدي قبل أن تغل بالآغلال ثم ينفخ أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله
 عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
 عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما على وجهه (٨) فهذه هيئات اليد ولا يرفع يده
 إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أفعالهم إلى السماء عند الدعاء أولئك يخطئون
 أفعالهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قدّمنا
 مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبروا كبر الناس ورفضوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس
 إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت
 عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى
 الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفياً - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
 تضرعاً وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء رواه م (٢) حديث
 ابن عباس إنني نيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً الحديث م أيضاً (٣) حديث جابر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون
 قوله يدعو فقال مكانها واقفاً ومن حديث أسامة بن زيد كنت ردفه برفات فرفع يديه يدعو
 ورجاله ثقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها
 صفراً م وحسنه وهك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
 يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
 مفيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائتين فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحد أحد وقال حسن وهك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه م وقال غريب
 وهك في المستدرک وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
 ضم كفيه وجعل بطونهما على وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام
 عن رفع أفعالهم إلى السماء عند الدعاء أولئك يخطئون أفعالهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
 في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
 متفق عليه مع اختلاف اللفظ الذي ذكره المصنف لأن داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا
 تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »^(١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات للأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته لما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى تعلموا من العلماء وقد قال عليه السلام « يا أيكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » وفي الخبر يأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومريم بن السلف بقاس يدعو بسجع فقال له ألي الله تعالى أشهد لقد رأيت عبيا الصمى يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وقنا للغير والناس يدعون من كل ناحية ورايه وكان يرف بركه دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهده آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن للراد بالسجع هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلزم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد »^(٢) وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أوليتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه »^(٣) . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت لعزم المسئلة فإنه لا مكره »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د . حب ك من حديث عبد الله بن مفضل
(٢) حديث يا أيكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون إلا ذلك و . ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى س . الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا حبب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فإني أحب أن أسمع صوته ولا أطرباني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فإني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت لعزم المسئلة فإنه لا مكره متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء حب من حديث أبي هريرة .

كشوفهم اجتهدهم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
تنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجريري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول لما أخذنا التصوف
عنت القيل وقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
المألوفات وللتحسنت
قال محمد بن خفيف
الإرادة سمو القلب
لطلب للراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجد
وترك الراحة وقال
أبو عثمان اللريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فيريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل^(١) وقال
سفيان بن عيينة لا يضمن أحدكم من الدعاء ما يطم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس
لنه الله إذ قال رب فأظنني إلى يوم يمشون قال فإنك من اللظنين . . . الثامن : أن يلج في الدعاء
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا^(٢) وينبغي أن لا يستبطى
الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كرعا^(٣) » وقال بعضهم إن أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا ينفعني وقال صلى الله عليه وسلم
« إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال^(٤) » . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحته بقوله سبحان ربّي العلى الأعلى
الوهاب^(٥) وقال أبو سليمان الدارني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتهوا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداها ويرد
الأخرى^(٦) » رواه أبو طالب الليثي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد للظالم
والإقبال على الله عز وجل بكنه الحمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه
قال أصاب الناس قحط عديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل
يستقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إن
لا استجيب لك ولان معك وفيكم غمام فقال موسى يارب ومن هو حق فخرجه من بيننا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أيهاكم عن النجاسة وأكون غماما فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم
يا جميعكم عن النجاسة فتابوا فأرسل تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال للملك لبني إسرائيل ليسل الله تعالى علينا السماء أولئذينه قيل
له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء قال أتدل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قطعوا سبع سنين حتى أكلوا للبتة من

(١) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من
حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح اللري وهو أحد زهاد البصرة
قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا
سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم
يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الإجابة فليقل
الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في
الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة غنصرا بإسناد ضعيف (٥) حديث
سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحته وقال سبحان
ربي العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد الجاني ضعف الجمهور
(٦) حديث إذا سألت الله حاجة فابتهوا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين
فيعطى إحداها ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي انفراد .

شوقه إلى ربه وقال
أيضا عقوبة قلب
للريدين أن يحجبوا
عن حقيقة المعاملات
والقامات إلى أصدادها
فهذان الطريقان
يعجمان أحوال
الصوفية ودونها طريقان
آخران ليسا من طرق
التحقق بالتصوف .
أحدهما مجذوب أبقى
على جذبة مارد إلى
الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعب
ماخلص إلى الكشف
بعد الاجتهاد وللصوفية
في طريقتها باب
مزيد ومحة طريقتهم
بحسن التابعية ومن
ظن أن يبلغ غرضا
أو يظفر بمراد لا من
طريق التابعية فهو
مخدول مغرور . أخبرنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصفار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي
ابن خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت

للزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكونون ويضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومستينهم إلى بأقدامكم حتى تحفر ركبتكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل السنتكم عن الدعاء فإني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا للظالم إلى أهلها ففعلوا فطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قطع فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وتضعون إلى أكفا قد فسدتكم بها الدعاء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اهدت غضبي عليكم ولن زدادوا مني إلا بئدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فربملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيونا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا قد بقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا مشرك من حضر السم مقرين بالإساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - ما على الحسين من سيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لما كان بن دينار أدم لنا ربك فقال إنكم تستبطئون للطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في الفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أملك من ذنب قال والله ما علت من شيء غير آني كنت ذات يوم أصلي فترتني امرأة فنظرت إليها بسني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانزعجتا وأبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دمالك قال فدعا فتجملت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى الصائفي أصاب الناس قطع على عهد داود عليه السلام فاخاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك آزلت في توراةك أن نفور عن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك آزلت في توراةك أن نفتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك آزلت في توراةك أن لا نرد للساكنين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكنك وقتنا يابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلي منعا النبيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في القابر فنظر إلى قبال يعطاء أهلنا يوم النشور أو بئس ما في القبور قتلنا لا ولكنا منعا النبيث فخرجنا نستسقي فقال يعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب ساهوية قتلنا بل بقلوب ساهوية فقال هيات يعطاء قل للتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفة وقال إلهي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر للسكنون من أسالك وماوارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدا فرائنا هي به العباد وتروى به البلاد بامن هو على كل شيء قد ر قال عطاء لما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والمابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين المليحة جا فاقضى ليلهم يوم ساهرونا

غفلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أتبيل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أنزرا بحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبي فسمعت يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عناغيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليما أنا يا من لا يعرف عباده من إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فترزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول صمت قسبا غلام
الرفاق يقول صمت
أبا سعيد السكري يقول
صمت أبا سعيد الحراز
يقول كل باطن يخافه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجيد رحمه الله
علنا هذا مشتبك
بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
الجنة على نفسه قولا
وفلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على
نفسه قولا وفلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى ننظر إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحية مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة فضينا إليه
فلما خرج من بيته قصد
السجدرى بزاقة نحو
القبلة قال أبو يزيد
انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحث إلى الفضيل قال مالي أراك كشيئا قلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر متفشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ همر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكان من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تضع الكبير بدار مضيق قد ضرع الصغير ورق الكبير وارفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يغثوا فبهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال لما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه » فقال ﷺ إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه غفرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى على فليقل عند ذلك أوليكم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة (٤) » وقال ﷺ « من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات (٥) » وقال ﷺ « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٦) » وقال رسول الله ﷺ « من صلى على

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة ن وحب من حديث أبي طلحة باسناد جيد (٢) حديث من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى فليقل عبد من ذلك أوليكم من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الأوسط باسناد حسن (٣) حديث إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة دن . حبك وقال صحيح على شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في المثل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير ولا بن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر هو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء

ولم يعلم عليه وقال هذا رجل ليس بمؤمن على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعي من مقامات الأولياء والصديقين وشيوخ خدام النبلى رحمه الله عافا رأيت منه عند موته قال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وصفتي للصلاة فوضاته ففسدت غليل لحيت قبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيت غلظها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فاطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالا على غير هذا الوجه فلدع مفتون كذاب .

[الباب الخامس في ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم يزل للملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يسلم على إلاردا لله على روعي حتى أرد عليه السلام » (٣) و « قيل له يا رسول الله كيف نصل عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جلع فخطب الناس عليه فلما كثر الناس أخذت منبرا لتسمهم فعن الجلع لقرارك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما فرقتهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته قال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالغفوة عنك قبل أن يخبرك بالذنب قال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقهم يذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تفجر منه الأنهار لفاذا بأعجب من أصابك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية قالت لك القراع لانا كلنا فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على قومه قال رب لا تنذرني على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلثا لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا قلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يسلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تتكلم

وللمستغفر في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف . وزاد الحسن بن علي الصوري في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفر في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وقبل شفاعة في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم للؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على . ثم صلوا الله لي الوصيلة وفيه لمن سأله الوصيلة جلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم يزل للملائكة تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب وللمستغفر في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث ليس أحد يسلم على إلاردا لله على روعي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصل عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيخ أبي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال أنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال أنا عثمان ابن سعد قال أنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب السالكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة . قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال رؤيم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقرو الافتقار والتحقيق بالبلد والإيتار وترك التمرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن نكون مع الله بلا علة . وقال :

إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولولم تواكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا فقلدوا الله جالسنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وربكت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولقنت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أمانتم الصلاة على في كتابك لما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كما ذكره إذا كرون وغفل عن ذكره الناقلون فقال جوزي عن أنه لا يوقف للحساب.

(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنبت بعد ذنبا قرأهما واستغفرت الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال عز وجل - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - وللمستغفرين بالأسفار - وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل ثم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حنين الجنح ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة السمومة وأنه دى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وربك الحمار وأردفت خلفه ووضع طعامه بالأرض ولقن أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى لحديث حنين الجنح متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة السمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضرب به قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافته خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا ولبخاري من حديث أنس يا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قطو وحديث لقمه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ثم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم واليلة وهكذا وقال صحيح الاسناد من حديث أبي عباس وصحه ابن حبان .

معروف الكرخي
الصوف الأخضر
بالخفاف والياس بها
في أيدي الخلائق فمن
لم يتحقق بالفقر لم
يتحقق بالتصوف .

وسئل الشيل : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشي
دون الحق . وقال
أبو الحسين التتوي
نعت الفقير السكون
عند الندم والبلد
والإشارة عند الوجود

وقال بعضهم إن الفقر
الصادق ليحترق من
النار حذر أن يدخل
عليه النار فيفسد
فقره كأن النار يحترق
من الفقر حذر أن
يدخل عليه الفقر
فيفسد عليه غناه .
وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا
عبد الرحمن الرازي
يقول سمعت مطفرا
القمي يسي يقول
الفقر الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل حالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل قنقلى « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلنى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوب إلى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار « اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطيئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأنت أعلم به منى أنت للقدم وأنت للآخر وأنت على كل شئ قدير (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلقتة فإذا حلف صدقته قال وحديثى أبو بكر وصدقى أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية - وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء فى قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره للصف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبرانى فى الدعاء فان العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمرى وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبى بكر مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعته يقول سألت
أبا بكر الصرى عن
التقير فقال الذى
لا يملك ولا يملك (قوله
لا يكون له إلى
الله حاجة) معناه
أنه مشغول بوظائف
عبوديته تام الثقة
بربه عالم بحسن كلامه
به لا يحوجه إلى رفع
الحاجة لعله يعلم الله
بحاله فىرى السؤال فى
البين زيادة ، وأقوال
للشايخ تنوع معانيها
لأنهم أشاروا فيها إلى
أحوال وأوقات دون
أوقات وتحتاج فى
تفصيل بعضها من
البعض إلى الضوابط
قد تذكر أشياء
فى معنى التصوف
ذكر مثلها فى معنى
الفقر وتذكر أشياء
فى معنى الفقر ذكر
مثلها فى معنى التصوف
وحيث وقع الاعتناء
فلا بد من بيان فاصل
قد تشبه الاشارات
فى الفقر بمعانى الزهد
تارة ومعانى التصوف

وزرع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تلف قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبء في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فلم أن له ربا يأخذ بالذنب وينفر الذنب، عبدي أحمل ما شئت قد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال عليه السلام « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي (٨) » وقال عليه السلام « من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت ككذب القمل (٩) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بك بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا ينفر الذنوب جميعاً إلا أنت (١٠) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبدي إليّ للتحابون عبي والتملة قلوبهم بالمساجد وللمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن للؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم واليلة وه حب لك (٢) حديث أبي هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جهمان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدي ذنباً فلم أن له ربا يأخذ بالذنب وينفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوي (٦) حديث إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء قال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصه على أصل (٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأمله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا ينفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه وإن كانت ككذب القمل الباقى في الدعوات من حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولن لو كان عليك كمد القمل أو كمد الدر ذنوباً غفرها الله لك فذكره بزيادة لإله إلا أنت في أوه وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث مع من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وأخرت ودون قوله جميعاً .

تأرق ولا يبين المستغفر بعضها من البعض . فتقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف اسم جامع لمعان الفقر ومعاني الزهد مع مزيداً وصف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً . قال أبو حنيس التصوف كله آداب لكل وقت وأدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يقطن القرب ومردود من حيث يرجو القبول . وقال أيضاً حسن آداب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » . أخبرنا الشيخ رضي الدين أحمد بن إسماعيل بإجازة

أهل الأرض بقوبة ذكرتهم قتركتهم وصرفت القوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على
دائكم ودوائكم أما داؤكم فالدنوب وأما دوائكم فالاستغفار . وقال طي كرم الله وجهه السبب بمن
هلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد
أن يعلبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تحسرها ألقى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة
لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الريس بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأنوب إليه
فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار
بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة المدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال
بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو
متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للوؤم وإن تركي استغفارك مع على
بسمة غفوك لصبر فكم تحبب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أبغض إليك بالمعاصي مع قسري إليك
يا من إذا وعده في وإذا أوعده غفا أدخل عظيم جرمي في عظيم غفوك يا أرحم الراحمين وقال
أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزيد البحر ذنوبا لحيث عنك إذا دعوت ربك
بهذا الدعاء غلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه
وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك
غافلته غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغنت بها عن مصيبتك وأستغفرك يا عالم الغيب
والشهادة من كل ذنب أتيت به في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلاية يا حلیم ويقال إنه
استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها عما يستحب)

أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبمقب كل صلاة)

لها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بيني
العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فواصل ركعتي
الفجر قبل صلاة الصبح قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم
بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتعظم بها ثوابي وترفع بها شأهدي وترزق بها عيالي وتبييض
بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتخصني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا وقينا ليس بعده كفر
ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة
وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومراقة الأنبياء اللهم إني أزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت
حيلتي وقصر عملي واقتربت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجبر بين البحور أن
تجبرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه
عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطي أحد من خلقك فإني
أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا
لأعدائنا وسلاما لأوليائنا نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونسأدي بسداوتك من خالفك
من خلقك اللهم هذا الدعاء وعلبك الاجابة وهذا الجهد وعلبك التكلان وإن الله وإنا إليراجعون ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الحلود
مع القرين الشهود والركع السجود الوفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان الذي

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قلنا الشيخ أبو الظفر
عبد النعم قال أخبرني
والله أبو القاسم
القشيري قال سمعت
محمد بن أحمد بن يحيى
الصوفي يقول سمعت
عبد الله بن طي يقول
سئل أبو محمد الجبري
عن التصوف فقال
لله دخول في كل خلق
سنى والخروج عن كل
خلق دنى فاذا عرف
هذا المعنى في التصوف
من حصول الأخلاق
وتبديلها واعتبر
حقيقته يعلم أن
التصوف فوق الزهد
وفوق الفقر وقيل نهاية
الفقر مع شرفه هو
بداية التصوف وأهل
الناس لا يفرقون بين
التصوف والفقر
يقولون قال الله تعالى
سلفقراء الذين أحصروا
في سبيل الله وهذا وصف
المشوقية والله تعالى
معهم قراء وسأوضح
معنى يفتقر الحال به
بين التصوف والفقر
قول الفقير في فقره

لبس المز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسييح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شمري ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما شترضى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك بما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبثورة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أو قضاء قضيت أو سائل أعطيت أو غنى أفقرته أو فقير أغنيته أو مال هدته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق البعاد وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فرسبت وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر للزل في كتابك من لدتك من النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبظلمتك وكبرياتك وب نور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بهولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها شئ الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بسم العباس لابنه عباده ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . و لك وصحة من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله ن في اليوم واليلة و لك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق
بفضله يؤثره على
النفس متطلع إلى
ما تحق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل قراء
أمن الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلما لاحظ
العوض الباقي أمسك
عن الحاصل الثاني
وعانق الفقر والقلة
وخشى زوال الفقر
لقوات القضية والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفي
يترك الأشياء
للاأعواض للعودة
بل للأحوال للوجود
فانه ابن وقته وأيضاً
ترك الفقير الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائماً في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه)

روى أنقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خير اعلمهن إياه ثم لم يسنن إياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقوتى رضاك منعتى وخذنى إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى اللهم إني ضعيف فقوتى وإني ذليل فأعزنى وإني فقير فأغننى يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارثي)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « على كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبرتنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لديناك قال صليت العدة قبل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فانك إذا قلتين أمنت من النجم والجدام والبرص والفالج وأما آخرتك قبل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك واخر على من رحمتك وأزل على من بركانك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفى بين يدي يوم القيامة لم يدعهم فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيهاها (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضى الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضى الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محنته قال ما كان الله ليفعل ذلك فليل له ذلك ثلاثا وهو قول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتته قال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك قبله ما ندرى أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتين وهي اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فاتحه على بطاعتك واختمه لى بخفرك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما كره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيرى وأصبحت مرتها بعملى فلا تقبر أقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسو بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى يا حى يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهومنقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارثي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم على كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرتنى وعجزت الحديث ابن السنى فى اليوم واليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد فى للسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء احترقت دارك قال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

بإرادة الله تعالى لإبرادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة قمر ولا فى صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويطلع الأذن من الله تعالى فى الدخول فى الشيء وقد يدخل فى صورة سمعية بانية للفقر بأذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السمة لمكان الأذن من الله فيه ولا يفسح فى السمة والدخول فيها للصادقين إلا بسد إحكامهم علم الأذن وفى هذا منزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راجب الحال لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حمى عن بينة فإذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن التسفر أساس التسوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

في الأول لمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المحبتين الذين يجاوزون همدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدین في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(دعاء للعتمر وهو سليمان التيمي وتسيحاته رضي الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام يحن قتل شهيدا يولد الروم قال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسيحات ابن العتمر من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل سمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأصناف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كتابه ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد مام ذا كروه فما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم ولية وساعة من الساعات وشم ونفس من الأخاس وأبد من الأباد من أبد إلى أبد أبداً الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينقطع آخره .

(دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرجأ يوم للزيد والصبح الجديد والكتاب والشهد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه ما نؤول بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود القمال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبقائه مصدا وبجنته مغفرا ومن ذنب مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله قتيلا وعلى الله متكللا وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملته عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعدك حق ولقائك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها إلا أنت ليك وسعديك والخير كله يديك وأنا لك وابل لك أستغفر لك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويأ ساقما هنيا لانظما بدمه أبدا واحشرتنا في زمرة غير خزايا ولا ناكسين للهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مضطوب علينا ولا مائلين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأن كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك يا طي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصداؤها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأعجار بأصولها وتخلوها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فبين ومن عليهن - سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعالى سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة
موسم . قيل بعضهم
من أحب من
الطوائف قال الصوفية
فان القبيح عندهم
وجها من الماذي ووليس
لكبير من العمل
عندهم وقع برفونك
به فتعجبك تحسك
وهذا علم لا يوجد عند
الفقر والزاهد لأن
الزاهد يستعظم الترك
ويستحب الأخذ
وهكذا الفقر وذلك
لضيق وعظمتهم ووقوفهم
على حد علمهم . وقال
بعضهم الصوفى من
إذا استقبله حالان
حسنان أو خلقان
حسنان يكون مع
الأحسن والفقر
والزاهد لا يميزان كل
الخير بين الخلقين
الحسنين بل يختاران
من الأخلاق أيضا
ما هو أدعى إلى الترك
والخروج عن عوازل
الدنيا ما كان في ذلك
بسطهما والصوفى هو
للمستعين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تهي ونميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم مخلوقة

الأسانيد متخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكوني وابن خزيمة وابن مندر رحمهم الله)

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أرواده الدعاء كسبائي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من

المريدن لحث الآخرة للقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به قلب في مفتتح دعواتك (١)

أغاث صلواتك (٢) سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣)

ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد

أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك الخوف

والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل غثائي واحفظني من

بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغفل من تحتي (٥) اللهم لا تؤمنني

مكره ولا تؤمنني غيرك ولا تزعجني مكره ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين (٦) وقل اللهم

أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك

الرضا بعد القضاء ويرد العيش بعد الموت ولنة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء

مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى علي أو أکسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٨)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث

القول غيب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق

عليه من حديث للبخاري بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا بالحديث تقدم في الباب الأول من

الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد

أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحج وك وصححه

من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولن إذا أصبحت وإذا

أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم

استر عورتي وآمن روعتي وأقل غثائي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن

فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغفل من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم

يدع هؤلاء الكلمات حين يمس ويحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمنني مكره ولا تؤمنني غيرك ولا ترفع

عني مكره ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من النافلين وما بومنصور الله يلى في مسند القردوس من حديث

ابن عباس دون قوله ولا تؤمنني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء

بذنبي فاغفر لي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ع من حديث عداد بن أوس وقد تقدم (٨) حديث اللهم عافني

في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم واليلة من حديث أبي

بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء بالحديث

عند الله بسبق التجاه
وحسن إجابته وحظ
قربه ولطف ولوجه
وخروجه إلى الله تعالى
لعله يربه وحظه من
عاداته ومكاته قال
رويم التصوف
استرسال النفس مع
الله تعالى على ما يريد
وقال عمرو بن عثمان
للكي التصوف أن
يكون العبد في كل
وقت مشغولاً بما هو
أولى في الوقت وقال
بعضهم التصوف أنه
علم وأوسطه عمل
وأخبره موهبتهم الله
تعالى وقيل التصوف
ذكر مع اجتماع ووجد
مع استماع وعمل مع
اتباع وقيل التصوف
ترك التكلف وبذل
الروح وقال سهل بن
عبد الله الصوفي من
صفان الكند وامتلا
من الفكر واجتمع
إلى الله من البشر
واستوى عند الله
والدر وسئل
بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخالقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرعة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بخوم فتنه فاقبضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والنضب والصدق في التقى والفقر وقلة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك وأعوذ بك من ضراء مضرة وقتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في قلوبنا من عظمتك ما ندلك به جوارحنا لحمدتك . واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة ومغفرة (٨)

إلى قوله أودنبا لا ينفذ أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٩) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث عبيد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (١٠) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (١١) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرعة عين الأبد الحديث ن في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرعة عين الأبد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر بأسناد جيد وأسألك نفعا لا ينفد وقرعة عين لا تنقطع (١٢) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فعل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (١٣) حديث اللهم إني أسألك بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (١٤) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط بخ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتم بجلسته بذلك (١٥) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لما أفه له على أصل (١٦) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

فقال تصفية القلب
عن موافقة السيرة
ومفارقة . الأخلاق
الطبيعية وإيجاد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة وإتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذواتون المصري
رأيت يعرض سواحل
السام امرأة قتلت من
أين أقبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
قتلت وأين تريد
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله قتل صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فما لهم هم تسعو إلى
أحد
فطلب القوم مولاهم
وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد
الصمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لمزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لمهيته وأظهر كل شيء بحكته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل الله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاك عنا ووقنا لهما بك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف عنك إنك أنت الغفار الحليم وبملكك بي أرفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا يماقني عليه وقني بما رزقتني واستعملني به صالحا تحبني (٨) نسألك العفو والمافية وحسن اليقين والمفااة في الدنيا والآخرة (٩) يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لمزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لمهيته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجوعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قطك هق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابته المقام المحمود الذي وعدته وهو عنده بخ بلفظ وابته مقاما محمودا قال قط إنساده حسن وقال ك صحيح وقال هق في المعرفة إنساده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهذا الكلام فذكر منها اللهم إني أسألك فوائع الخير وخواتمه وأوله وآخره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لأعلم روى عنه إلاموسى بن عتبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف عنك الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربي إنه لا يفر الذنوب إلا أنت هق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربي وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه في اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لا يماقني فيه وأقني بما رزقتني واستعملني به صالحا تحبني لم من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل غائبة لي بخير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمافية وللمفااة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تازعهم دينا
ولا شرف
من للطاعم والذات
والولد
ولا لبس ثياب فائق
أفق
ولا لروح سرور حل
في بلد
إلا مسارعة في إثر
منزلة
قد قارب الخطو فيها
باعد الأبد
فهم رهائن غدران
وأودية
وفي الشوامخ تلقام
مع العدد
وقال الجنيذ: الصولي
كالأرض يطرح عليها
كل قبيح ولا يخرج
منها إلا كل مبيع
وقال أيضا هو كالأرض
يطؤها البر والقاجر
وكالسحاب يظل كل
شيء وكالقطر يسقي كل
شيء وأقوال الشايج
في ماهية التصوف
تزيد على آلف قوله
ويطول خلفها ونذكر
منايها يجمع جمل
معانيها فان الألفاظ

الفقرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ربنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا نسمعنا مناديا ينادي للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لا تخلف للعباد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إنا نرجو رحمتك ربنا اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين والجميعات الأحياء منهم والأموات (١) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٢). أنواع الاستعاذة للأئمة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنه الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٣) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع (٤)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله العافية فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي البعد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه للفقرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث رب اغفر لي ولوالدي وراحمهما كارياني صغيرا واغفر للؤمنين وللمؤمنات وللسلمة والأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي على من رب أبي شي قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للؤمنين والمؤمنات ردت الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيعا رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليل في دياره اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات وللسلمة والأحياء منها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ربنا اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه والطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى في بطن الليل اللهم اغفر وارحم وأنت الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقولا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنه الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر من حديث سعد بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع وطمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع أحمد من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان اختلفت مقاربة المعاني . فنقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأهكار بتصفية القلب عن شوب النفس وبينه على كل هذه التصفية دوام اقتاربه إلى مولاه فبدوام الاقتار ينشئ من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها يصيرته الناقدة وفرمها إلى ربه فبدوام تصفيته جميته وبمحركة نفسه تفرقه وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى - كونوا قوامين لله شهداء بالقسط - وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فانه يشي الضجيع ومن الحياة فانه يئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والحرم ومن أن أرد إلى أركل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الهيا واللمات اللهم إنا نسألك قلوبا أو أمة محبة منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والفتنة من كل بر والقور بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التهم والفرق والمدم وأعوذ بك من أن أموت في حيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشمري وشر لساني وقلبي وشر مني (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فان جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والشقاق والتفاني وعسر الأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التهم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا ك وصح إسناده من حديث أبي اليسر واسمه كعب ابن عمر زيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو علمت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء وحسنه وك وصحبه والفظه من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من عذاب القبر وفتنة الدجال والشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشمري وشر لساني وقلبي وشر مني دن ت وحسنه ك وصح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فان جار البادية يتحول ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والشقاق والتفاني والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك بتأنيده من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلهية يعني
أن روح الصوفي
متطلعة منجذبة إلى
موطن القرب والنفس
بوضعها رسوب إلى
طامها واضلاب على
عقبها ولا بد للصوفي
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام التوكل
وحسن التفقد لمواقع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا المعنى
يجد في معنى الصوفي
جميع التفرق في
الاشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميتهم بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو زرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو علي الشافعي بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله المحمدي
قال أنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

له صلى الله عليه وسلم
 بسبب دعوة العبد
 يركب الحمار ويلبس
 الصوف فمن هذا
 الوجه ذهب قوم إلى
 أنهم موصوفية نسبة
 لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم
 اختاروا لبس الصوف
 لكونه مألوفاً ولكونه
 كان لباس الأنبياء
 عليهم السلام . روى
 عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنه قال
 « مرة بالصخرة من
 الروحاء سبعون نبياً
 حفاة عليهم العباء
 يؤمرون البيت الحرام »
 وقيل إن عيسى عليه
 السلام كان يلبس
 الصوف والشعر
 ويأكل من الشجر
 ويبعث حبث أمسى .
 وقال الحسن البصري
 رضي الله عنه لقد
 أدركت سبعين بدرية
 كان لباسهم الصوف
 ووصفهم أبوهريرة
 وفضالة بن عبيد فقالا
 كانوا يخرجون من
 الجوع حتى نحسبهم

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نعمتك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وقتنة النار وعذاب القبر وقتنة
القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة السبوح والجمال وأعوذ بك من اللأثم والقرم متفق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وقتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك
أبو العتمر في معاه من أنس وللنساء بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ودم من
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وهماة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم.
(الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند كل حادث من الحوادث)

وقم

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في السجدة من يسبح أو يبتاع قل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في السجدة قل لاردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح قل بسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كأوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فاذا ركعت قل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمى وبصرى وعشى وعظمى وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قل سبحان ربى العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللائكة والروح (٦) فاذا رقت رأسك من الركوع قل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت قل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق عليه وبصره فبارك الله أحسن البركات اللهم سجدتك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لئلا تجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يسبح أو يبتاع في السجدة لأربع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في السجدة لاردها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول في سبحان ربى العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول في سبح قدوس رب اللائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفق من الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده فهى في اليوم واليلة لحسن بن على للمعمرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند م من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغت من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم واليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانبين وكان
لباسهم الصوف حتى
إن بعضهم كان يبرى
في ثوبه فيوجد منه
رائحة الضأن إذا
أصابه النيث وقال
بعضهم إنه ليؤذنى
ريح هؤلاء أما يؤذيك
ريحهم يخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فكان اختيارهم
لبس الصوف لتركهم
زينة الدنيا وقناعهم
بسد الجوعة وستر
المودة واستتراتهم في
أمر الآخرة فلم تفرغوا
للاذات النفوس وراحاتها
لشدة شغلهم بخدمة
مولاهم وانصراف
همهم إلى أمر الآخرة
وهذا الاختيار بلام
ويناسب من حيث
الاستتقاء لأنه يقال
نصوف إذا لبس
الصوف كما يقال قميص
إذا لبس القميص
ولما كان حلمهم بين
سير وطير لقلوبهم في
الأحوال والبرهان
قال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين قُل اللهم اكفني عيالك عن حرامك وأغنني بفضلك
عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا قُل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير
ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تسكره قُل اللهم لا يأتني
بالحسنة إلا أنت ولا يذهب السيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال قُل اللهم أهله
علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي
وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر
وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أولا ثم لا ثم وإذا هبت الريح قُل اللهم إني أسألك خير
هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨)
وإذا بلغك وفاة أحد قُل إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكتبه في الحسنين واجعل
كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر
ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة كمن حديث بريدة وقال أقربها
لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشبيب بن حرب ولعله خص بن سليمان
الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني عيالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا
لبست ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من
شره وشر ما صنع له ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني
بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتني بالحسنة إلا أنت ولا يذهب
بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهي في الدعوات من
حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فجهله مسندا
(٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة
والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه
وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بحالك د
مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد لهلال
خير ورشد آمنت بالله خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من
حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث
اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في
مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لآتهم
(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به
ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث
أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم
اكتبه في الحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا
بعدمه واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وحسنه من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة
فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

يقدم وصف ولا
محسبهم نعم وأبواب
للزبد علما وحالا عليهم
مفتوحة بواطنهم
معدن الحقائق وجمع
العلوم فلما تعذر تقديم
بحال تقديم لتنوع
وجدانهم وتجنس
مزيدم نسبوا إلى
ظاهر البسة وكان
ذلك آيين في الإشارة
إليهم وأدعى إلى حصر
وصفهم لأن لبس
الصوف كان غالبا على
المتقدمين من سلفهم
وأيا لأن حالهم حال
القرينين كما سبق ذكره
ولما كان الاعتناء إلى
القرب وعظم الإشارة
إلى قرب الله تعالى أمر
صعب يمز كشفه
والإشارة إليه وقت
الإشارة إلى زهم ستر
لحالهم وغيرة على عزيز
مقامهم أن تكسر
الإشارة إليه وتتداوله
الألسنة فكان هذا
أقرب إلى الأدب
والأدب في الظاهر
والباطن والقول والفعل

عماد أمر الصوفية وفيه
معنى آخر وهو أن
نسبهم إلى البسة نبي
عن قتلهم من الدنيا
وزهدهم فيما تدعو
النفس إليه بالهوى من
لللبوس الناعم حتى إن
للبدن للريد الذي
يؤثر طريقهم ويجب
الدخول في أمرهم بوطن
نفسه على التشف
والتقليل ويعلم أن
للكول أيضا من
جنس لللبوس فيدخل
في طريقهم على بصيرة
وهذا أمر مفهوم
معلوم عند البدن
والإشارة إلى شيء من
حالمهم في تسميتهم بذلك
أبعد من فهم أرباب
البدنيات فكان
تسميتهم بهذا الأنفع
وأولى وأيضا غير هذا
الغنى عما يقال إنهم
سموا صوفية لذلك
يتضمن دعوى وإذا
قيل سموا صوفية
لللبس الصوف كان
أبعد من الدعوى وكل
ما كان أبعد من

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الجسران - عسى
ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك
رحمة وهي لنا من أمرنا رجدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى
السما - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا
وجعل فيها مراحا ونورا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قل سبحانه من يسبح الرعد بحمده
وللائكة من خفيته (١) فان رأيت الصواعق قل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قل اللهم سقيا هنيئا وسيا نافعا (٣) اللهم اجعله سيب
رحمة ولا تجعله سيب عذاب (٤) فإذا غضبت قل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من
الشیطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦)
فإذا غزوت قل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى
الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قل الحمد لله الذي
بمرته وجلاله تم الصالحات وإذا أبطأت قل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان المغرب
قل اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠)
وإذا أصابك حم قل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في
قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث
القول إذا سمع صوت الرعد سبحانه من يسبح الرعد بحمده وللائكة من خفيته مالك في اللوطا عن
عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك
وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ون في اليوم واليلة من حديث ابن عمر وابن
السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وسيا نافعا من حديث عائشة
كان إذا رأى للمطر قال اللهم اجعله سيبا نافعا وسيا بالسين أوله ون في اليوم واليلة اللهم اجعله
سبيا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ن في اليوم
واليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ
قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف
(٦) حديث القول إذا خاف قوما قل اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم دن في
اليوم واليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري
بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم
صل على محمد ذكر الله خير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واليلة من حديث
أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات
تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات
دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي دن وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله
وحضور صلواتك فانها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة
(١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث
أحمد وحبك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط من إرسائه عبد الرحمن

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نعلمها ؟ قال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بأذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر (٢) « فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك عن أيه فانه مختلف في جماعه من أيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بأذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يتألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت م من حديث حذيفة م من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغتنا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال خ فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك ت في الثبائيل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تمت وكذا رواه ت من حديث حذيفة وضمحه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق
بحالهم وأيضا لأن لبس
الصوف حكم ظاهر على
الظاهر من أمرهم
ونسبهم إلى أمر آخر
من حال أو مقام أمر
باطن والحكم بالظاهر
أوفق وأولى فالقول
بأنهم هموا صوفية
للبهم الصوف أليق
وأقرب إلى التواضع
ويقرب أن يقال لما
آثروا القبول والاحول
والتواضع والانكسار
والتخفي والتوازي كانوا
كالحرقة للقاء والصوفة
الرمية التي لا يرغب
فيها ولا يلتفت إليها
فيقال صوفي نسبة إلى
الصوفة كما يقال كوفي
نسبة إلى الكوفة وهذا
ما ذكره بعض أهل
العلم والمعنى المقصود به
قريب بلأنهم الاشتقاق
ولم يزل لبس الصوف
اختيار الصالحين
والزهاد وللتقشفين
والعباد . أخبرنا
أبو زرعة طاهر عن

والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونيبك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قدأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني واستغفرك تخفرك وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح قل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجبره إلى مسلمة فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالتهار ثم يميتكم فيه ليقض أجل مسمى - (٧) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسألك نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني واستغفرك تخفرك وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكر لك فذكرنا ونسألك لتمطينا وتدعوك فتستجيب لنا ونستغفرك تخفرك وإسناده ضعيف وهو معروف من قول جيب الطائي كلواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور مخ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحوال والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والتهار وما سكن فيهما الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في اليوم واليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزي بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزي عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور وابن السنن وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجداؤه وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وتوفني على الجهاد في سبيلك ، وللدارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
احمد بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكعبان
صوف ونعلاء من جلد
حمار غير مذكى . وقيل
مما صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارتجاع
همهم وإقبالهم على
الله تعالى بجلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل مموا
صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضي الله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبينا - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما فزعنا برأى من شئ شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم سورة وجهي وحسني وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اشترت خادما أو غلاما أو دابة فعوذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للفقير بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» (٧)

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدايه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسننه وجيده ولحسن بن علي العمر في اليوم واليلة من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خيرا في هذا اليوم وخيرا ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م في الساء خير ما في هذه اليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضا (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في السكامل من حديث ابن عباس ولا أعلم إلا رفوعا إلى النبي ﷺ قال يلتقي الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعني فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من الفرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن برزنج قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضي الله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبينا تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند الساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما فزعنا برأى من شئ شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب التواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرا وذرأ أعصم من شر التقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن أبي عمير وأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ولطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ألح الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم سورة وجهي وحسني وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم واليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادما أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - لفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتهدين متأملين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحو من أربعمائة رجل لم يتمكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والرباط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا محتجبون ورضخون النوى بالتهاروب الليل يشتغلون

هذه أدعية لا يستغنى الريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت لفائدة الدعاء والقضاء لامر له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كأن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكأن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسبق الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كطع البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل للمسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره لضعفه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انتفعت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة »^(١) والقالب على الخلق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إمام حجة وإرهاق مله فان الانسان إذا مسه الشر ففقد دعاء عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمتنع من نسيانه وأما التي فسبب للبطر في غالب الأمور فان الانسان يطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورد من جملة الأذكار والدعوات والله لوفى للخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعبادة المربى وغيرها فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكتابه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربيع العبادات تقع الله به للسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا ينادر في القلب استكبارا ولا غورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذي بثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستروا في منابها ليتخذوها منزلا فيترددوا منها زادا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايد ما ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السقينة براكبها فالتاس في هذا العالم سفر وأول منازلهم الهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مساقاة السفر فسئله مراحله وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء ن من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال قد كره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفصل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاسيهم ويحث الناس على موااساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالدعاء والعرض يريدون وجهه - وقوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالدعاء والعرض - وفي ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتولى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فتوب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صالحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجنة والسعة يمت مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضي الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رهوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم القيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأسكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حق ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلني متعرض في يوم التنازين لقبينة وحسرة ملها منتهي ولهذا الخطر العظيم والحطب الهائل فمر للواقفون عن ساق الجسد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا القهم بذكرها بين :
الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد ويان أن الواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والواظبة عليه وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الله كرو الفكر إلا بوجدان الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة واللال لا تقصر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى غمط واحد أظهرت اللال والاشتغال وأن الله تعالى لا يعمل حق عملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزr بالانتقال لذاتها وتظم بالله رغبها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها الباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الدنيا لمواظبتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأن يتقاربا والطبع لأحدهما مرجح إذا الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجره . وأما الرد إلى العبادات لتسكف ولا يسلخ إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والغف من كرم الله منتظر فسي الله تعالى أن يغفر له بمجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واتبعه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب مباده إليه وأرضهم درجة لديه . إن لك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا . وقال تعالى . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسجد له وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسجد له وأدبار النجوم . وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا . وقال تعالى . ومن آناه الليل فسجد وأطراف النهار لمك ترضى . وقال عز وجل . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا بجماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا النمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فقام ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا النمر أما علمت أن هذا النمر هو طعام أهل المدينة وقد وسونا به وواسيناكم بما وسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان للآء والنمر . أخبرنا الشيخ أبو القتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهب النيات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى - أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا أقليل من الليل ما يهجعون وبالأصباح
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فبشعان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله بين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سیر الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفا لئن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي يغلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
المبتغى هو الثواب والغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة فمابين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع القمر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وعنده به إذ قال - فالحق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة قبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التيسيع فيه بقوله تعالى - فبشعان الله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فصبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناه الليل
فصبح وأطراف النهار لذلك ترضى - وقوله تعالى - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . فأما ترتيبه
فلأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتندى بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
الدعوات ولبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستماعة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا روعة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولا رجلا اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريفي
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأنطاقي قال
حدثنا الحسن بن عبي
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على
أهل الصفة قرأ قرآنهم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أبحر وأيا أصحاب
الصفة فمن بقي منكم
على النية الذي أنتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فانه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان يأوون إلى
الكهوف والغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط لا إذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو للمسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسمى إلى الصلاة معيا بل يثنى وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء للأنور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد مقعًا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاحًا في البيت ويشتمل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التوبة وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يظن بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصل فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بغير أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جمعه حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى التمة فله مثل ذلك واقلب بمبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال الرجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة قلت لصلاة النداء فقال أبشر فإنا كنا نمدح خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعتنه وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (٨) » ثم ينبغي أن يشتمل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث التي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للأنور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بغير أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جمعه حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى التمة فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لم أجدها أصلاً بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى للتربة في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نمدح خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمات فقال ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والذين يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم النار ينسبونهم إلى النأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم نجوعية وانه تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوماً أبرزوا وآخرين مفرقين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . وقيل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ وقال لي أربع دوايق يكفيني مامى ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعى جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقعدة فإذا فرغ منها قصد إلى السجدة إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرى بعد فقد قال **عليه السلام** «لأن أقصد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب» (١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى القعدة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفى بعضها ويصل ركعتين» (٢) أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى أذى كره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقم ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبعة وقراءة قرآن وتذكر أما الأدعية فتكلم بفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينارينا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت إذا الجلال والاکرام ثم يفتح السماء بما كان يفتح به رسول الله **ﷺ** وهو قوله سبحان ربى العلى الأسمى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له للملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (٤) ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جعلها ما يراه أوفق بحاله وأرق قلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار للكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعون أو أوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأوسط أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قليلاً مع الدائمة أفضل وأشد تأثيراً إلى القلب من كثيرها مع القعدة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعت متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير» (٥) . الثانية : قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) حديث لأن أقصد فى مجلسى أذكر الله فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى القعدة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصل ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن صخرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم قصد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى أذى كره من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتح السماء بسبحان ربى العلى الأسمى الوهاب تخدم (٥) حديث الفضل فى تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشرًا دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى اللاتين من الهجرة العربية لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل محاييا لشرف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابييا ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي الهادى وتوارى النور المطفئ واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وترعزت أبنية النفس واضطربت عزائم الزهاد بن وغلبيت

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) . الثالثة : قوله سبح قدوس رب الملائكة والروح (٢) .
الرابعة : قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣) . الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤) . السادسة : قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥) . السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦) .
الثامنة : قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧) .
التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨) .

قوله يحي ويحيى وهو حي لا يموت يده الخير فانها في اليوم واليلة للناس من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين والطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحج بك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عندهم من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولابي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطايا وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وبخاري من حديث أبي هريرة إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفر في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به القنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائة مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان وك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قالت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد العافقي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وحكمت
حجابها وكثرت العادات
وتعلمت أربابها
وتزخرفت الدنيا وكثر
خطابها فغرد طائفة
بأعمال صالحة وأحوال
سنية وصدق في العزيمة
وقوة في الدين وزهدوا
في الدنيا ومحبتها
واغتنموا العسرة
والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا
يجتمعون فيها تارة
ويفردون أخرى
أسوة بأهل الصفة
تاركين للأسباب
متبئين إلى رب
الأرباب فأتم لهم صالح
الأعمال سقى الأحوال
ونها لهم صفاء القهوم
لقبول الملوهم وصار لهم
بعد اللسان لسان وبعد
العرفان عرفان وبعد
الإيمان إيمان كما قال
حارثة أصبحت مؤمنا
حقا حيث كوشفت
برتبة في الإيمان غير
ما يتعاهدها فصار لهم
بمقتضى ذلك علوم
يمرفونها وإشارات

العاشرة : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياته والقلب بكل واحدة نوع تنبيه وتلذذ للنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمن الرسول وشهادته^(٥) وقل اللهم مالك للآيتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بثلث للترلة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأن الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن الملقى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال النبي ﷺ أجبر بنورين أو تينهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم يقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا النضر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة وهجر الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده ودية جيء به يوم القيامة قبيل له عبيد هذا عهد لي عهدا وأنا أحق من وفى بالهد أدخلوا عبيد الجنة وفيه عمر بن الخطاب روى الأباطل قاله ابن عدى وسيأتي حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك للآيتين المستغفري في الدعوات من حديث على بن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك للآيتين إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات الموضوعات قلت وتنه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتعاهدونها فحرروا
لفهم اصطلاحات
تشير إلى معاني مرفونها
وتعرب عن أحوال
يحدونها فأخذ ذلك
الحلف عن السلف حتى
صار ذلك كتر مما استمر
وخبروا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به وسماوا به
فلاسم صميمهم والعلم بالله
صفتهم والعبادة طينهم
والتقوى شعارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم، نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباب النيرة وقطان
ديار الحسيرة فلم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولبيب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
احشرنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف وللغشبه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - (٢) والآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاث من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ السبعات العشر التي أهداها الحضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانها إبراهيم التيمي فقلت ألم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بل قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرفق زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشديا منا ولا أطيب ريحانة فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الحضر فقلت في أى شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وجبا لك في الله فعندى هدية أريد أن أهديها لك فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تنزع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا بقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءتته فاحتلته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت للملائكة حديثا وفي آخره قل حسبى الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم النافق في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هديما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بعددته وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم النافق في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقراء خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - علم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار لمات من يومه أوليته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الحضر عليه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الحضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السروردي إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأسفهانى قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين للسائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا آتى

قلت لمن هذا فقالوا الذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأنا
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من اللاتسكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب
فسلم على وأخذ يدي قلت يا رسول الله الحضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الحضر
صدق الحضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى
في الأرض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما
أعطيته فقال والقي بئني بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم ير في الجنة إنه لا يغفر له جميع
الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب السموات أن لا يكتب عليه خطيئة من
السيئات إلى سنة والذي بئني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله
شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلمه كان يدهله الرؤيا فهذه وظيفة
القرامة فان أضاف إليها شيئا ما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع
لفضل الذكر والتفكير والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن
ذلك إحدى وظائفه وسببا تفصيل ما يفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربيع النجيات ولكن
بجامعه ترجع إلى فئتين : أحدهما أن يفكر فيما ينفعه من الأعمال بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره
ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدير في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر
تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في تسوق في
معاملة المسلمين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم الكاشفة وذلك بأن يفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر
آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونعماته لتزيد معرفته
بقدره الإله واستغاثته ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها
على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكير ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تتكشف عظمة الله سبحانه
وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته . وهما باب أعماله فيحصل من الفكر للمعرفة ومن المعرفة التعظيم
ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد
جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
على محبة وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
فيهما فليس محبة له كحبة للشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالصائد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
جميلة اعتقدوها بتصدق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بين البصيرة
الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من
الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا حجبها وانما عدد
حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
صلى الله عليه وسلم « إن في سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبعين جوهرة كل ما أدرك بصره (١) »
وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

(١) حديث إن في سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

أحب الله ورسوله
قال النبي عليه الصلاة
والسلام : « الرء مع من
أحب أو أنت مع
من أحببت » قال
أنس لما رأيت
للمسلمين فرحوا حتى
بعد الاسلام فرحهم
بهذا فالنقشب الصوفية
ما اختار التشبه بهم
دون غيرهم من
الطوائف إلا لمحبة
إلهم وهو مع تقصيره
عن القيام بمسام فيه
يكون معهم لموضع
إرادته ومحبة وقد
ورد بلفظ آخر أوضح
من الخبر الذي
رويناه في النص
روى عبادة بن
الصامت عن أبي ذر
الغفاري قال : قلت
يا رسول الله الرجل
يحب القوم ولا
يستطيع أن يعمل
كمهمهم قال « أنت
يا أبا ذر مع من أحببت »
قال قلت فاني أحب
الله ورسوله قال « فانك
مع من أحببت » قال

في الأول أصغرهما ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أي أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أي وصل إلى حجاب من حجب النور فبرعنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام للضيقة فإن آحاد العوام لا يغني عنهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرم فلا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب للسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه المعاني فاتها خارجة عن علم للعامة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يغيد في علم للعامة وذلك أيضا مما تنزّر طالبته ويسظم نعمه فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة الريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان للعادي الصارفة عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يخله النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الأربع وفي هذا الأربع من النهار وظيفتان زادتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح وصلّى أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال وضحت الأقدام بحرّ الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالضحى والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والضباب التي على وجه الأرض فاتها تمنح إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال (٢) فذلك قول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعهما قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقه (٣) » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عبادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال طيب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنأدى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعهما قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقه تقدم في الصلاة .

فأعادها أبودر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحبة للتشبه لإمام لا تكون إلا لثنية روحه لما تنبت له أرواح الصوفية لأن حبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون يجاذب الروح غير أن للتشبه تعمق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك وللتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاء في من صفات نفسه عليه للتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على برّ وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة فيها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية للسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونفى بالضحوة للتصنيف وما قبله بقليل وإن كان بكل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فتصليها وقبل مضيا صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالصرى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالغروب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كترلة الصريين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فغفغف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير الميثة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصح وعققة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوج لأخوته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أعد والتج به أدم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، قد قيل لا يوجد للؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يهدم فقر ويأمرهم بالتقصير فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يهدم مغفرة منه فضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستأن بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستأن به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم يتم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل التفة وتحدث معهم فاثوم أحبه إذا كان لا يثبت نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في الثوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والثوم فيه أفضل أعمالهم وكمن عابد أحسن أحواله الثوم وذلك إذا كان يراني بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالنافل القاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يصعبهم إذا ضرعوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يقبض قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور السجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم يتم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت عقلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهوم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند إغراض العيد عن بابه جدير بأن يركيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت التفة بالثوم وهذا وقت التفة باتباع الهوى والاشتغال بهوم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ورايته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توجها قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليتم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدره وقد أنكر قوم من أهل السنة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدره ولم علوم من هذا القليل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال للتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا يد أن يكشفه علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الثاني كوشف به

ويلصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهما بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار. قل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصل مثنى مثنى كسائر التوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كأوردنا الجفرية في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللذين أو أربعا من اللذان فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصل الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينفى أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا قد ذكره ابن مسعود أن تتبع القريضة بثلاث من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقرأة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت. الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه المكث في السجدة مستمرا بالذكر والصلاة أو غثون الخير ويكون في انتظار الصلاة متكفيا لمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل للسجدة بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دعوا كبوى النحل من التلاوة فإن كان يته أصلم له يته وأجمع لهما فاليث أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب والآكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا اعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث قد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكان أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقد اعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجا قد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتها للعباد وهو أحد الأصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال - وقد يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل الجلادات فكيف يجوز أن يغفل العبد الماقل عن أنواع العبادات. الورد السادس: إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو الراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي للذكر وفي قوله والعشي بالمشي والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم صلى الفرض ويستغل بالآقسام الأربعة للذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى ردوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتفكير فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الآقسام الثلاثة. الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تحرب من الأرض بحيث يظن نورها الفبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كان ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح. د. ه. من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى. د. ه. من حديث ابن عمر.

صاحب علم وجاه فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال التدقيق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعم على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون - فكان لشرب الأبرار مزج من شراب اللقرين وللمقربين ذلك صرفا فللمصوفي شراب صرف والمتصوف من ذلك مزج في شراهم وللمتشبه مزج من شراب للتصوف فالمصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالتردد بالنسبة إلى الزاهد لأنه يفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما سبق

وهو للراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تسبحون - وهذا هو الطرف الثاني للراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أشد تعظيماً للشئ منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجمعون أول النهار للدينا وآخره لآخره فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذة من قوله تعالى سواستغفركم برك وسبح بحمد ربك بالشئ والابكار والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله استغفر الله إنه كان غفارا استغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها . والليل إذا يشئ . وللمؤمنين . وتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فإذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلىك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشغل صلاة للفرب وبالفرب قد انتهت أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويعاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمسه فيكون منبونا وإن كان شرا منه فيكون مملونا قد قال **الشيخ** « لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا (١) » فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجمعات كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسيده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على ثلاثى ماسبق من تحريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على حمة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك قصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تحرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يعلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أيام معدودة تنقضى لمحاللة جعلتها بانقضاء آحادها (بيان أوراد الليل وهى خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى للفرب واشتغل بأحياه ما بين المشايين فأخّر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التى بغيوبتها يدخل وقت العتمة وقد أتم الله تعالى به فقال - فلا أقسم بالشفق - والصلاة فيه هى ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء للذكورة فى قوله تعالى - ومن آتاء الليل فسبح - وهى صلاة الأوابين . وهى الراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبى زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين العشاءين » ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تنهض بملاغات النهار وتنهض آخره (٢) « والملاغات جمع ملغاة من القفو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم فى العلم فى الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تنهض بملاغات النهار وتنهض آخره قال للصفى أسنده ابن أبى الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبى زياد بالياء للثناة من تحت رواه أبو منصور الهذلي فى مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبى زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء الضبرى عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تنهض بملاغات أول النهار ومنهضة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش وابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت فى الصلاة بين للفرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .

[١] قول العراقي ابن أبى الزناد هى نسخة وقعت له وإلا فى النسخ الصحيحة ابن أبى زياد فليتمأمل .

عليه من وصفه فهو
مجتهد فى طريقه سائر
إلى ربه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« سيروا سبق للفردون »
قبيل من للفردون
يارسول الله ؟ قال
للمسهرقون بذكر الله
وضع الذكرك عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافا فالصوفى فى مقام
للفردين وللتصوف فى
مقام السائرين واصل
فى سيره إلى مقر القلب
من ذكر الله عز وجل
ومراقبته بقلبه وتلذذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفى فى مقام
الروح صاحب مشاهدة
والتصوف فى مقام القلب
صاحب مراقبة والتشبه
فى مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة فتلوين
الصوفى بوجود قلبه
وتلوين للتصوف
بوجود نفسه والتشبه
لأنه لوين له لأن التلوين
لأرباب الأحوال
والتشبه مجتهد سالك

ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة للعبية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثالث . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيها قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعاً بطلها ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له وإن كان للسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه السكوف في السجد وإن عزم على السكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدوثمة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أى وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل (١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم يقرأ في هذه الصلاة قدر ثمانية آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة (٢) فإن لم يصل فلا بد من قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك (٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل (٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية (٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وانه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأكثر من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضا ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحسب من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي يده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي يده الملك واقتربت كنه له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الغزنوي في فضائل القرآن من حديث علي ياطى أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر ولا عارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وت من حديث ابن عباس شيعتي هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وتقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل ت وتقدم أيضا (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرياض بن شارية :

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل يجتمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد وللقصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء وللقصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الفعلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأفعال والقرية التناسب

يجعلونها ستا فيزيدون سبع اسم ربك الأملئ إذ في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبع اسم ربك الأملئ ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبع اسم ربك الأملئ ^(١) وقل يا أيها الكافرون والإخلاص ^(٢) فإذا فرغ قال سبحان للك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان مبتدأ صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم : صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ^(٤) وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ^(٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أعاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترًا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت خففت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما خفض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقض ^(٦) وروى أنه مطلقاً أنه ^(٧) قال لا وتران في ليلة ^(٨) ولمن يتردد في استيقاظه تلتفت استحسنته بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً فراه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم ^(٩) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التوبة وإفراد العبادة لله تعالى قيل إن استيقظت فقامت مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضياً شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب الليثي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما غلط أنهم لما شفعوا ماضياً لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعاً إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلهما وإعادة الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وترت بهما فيحسب وترًا إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان للك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعلية والجبروت وتعرزت بالقدره وقهرت العباد بالموت روى أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ^(١٠) وقد قال للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد ^(١١) وذلك يدل على صحة النافلة نائماً . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبع اسم ربك الأملئ أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبع اسم ربك الأملئ وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ومتفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهى عن خفض الوتر قال للصفين صبح فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله حجة كما رواه وخ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه من الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتقل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوف والتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد ابن اسماعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن قنويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازي قال حدثنا أبو أيوب سليمان ابن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى - لنهم ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن البعد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالخواص والماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكلفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة وقسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخفق القرآن فيه فهو قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقره منك (٤) .

وآداب النوم عشرة : الأولى الطهارة والسواك . قال ﷺ «إذا نام البعد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فقلت للثامات أفتأت أحلام لا تصدق (٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي للزورة في انكشاف حجب القيب . الثاني أن بعد عند رأسه سواكه وطهوره . وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يضمه بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم متوعدة التنبه منها (٦)» وإن لم تيسره الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فقبلته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض في النوم فإن مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا للسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستمدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب بلجميع السليين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا (٢) . حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي البرداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تام فتقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالقدي لا يستيقظ إلا عند العرش فقلت الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة وقسه تسبيح قلت للعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخفق القرآن فهو قال معاذ لكني أنا ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقره منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أقره منك وإنما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام البعد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فقبلته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه

مقصد ومنهم سابق بالخيرات - كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا وللتقصد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو جالب الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد القرزالي ونحن بأصبهان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حتى ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

« من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفلة ما اجترم ^(١) » . الخامس أن لا ينعيم بتمهيد
الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل
الصفة لا يجهلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم
وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف
استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة
ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهبسون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري
ما يقول فليتم حتى يقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل ^(٢) »
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تملقت بجمل قسي عن ذلك وقال
ليصل أحدكم من الليل ما يتيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد ^(٣) » وقال ^(٤) « تكلفوا من العمل ما تطيقون
فإن الله لن يعل حتى تعلموا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أسره ^(٦) » وقيل له صلى الله عليه
وسلم « إن فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سننك فمن رغب عنها
فليس مني ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاهده يغلبه فلا تبغض إلى
تفكك عبادة الله ^(٨) » السابع أن ينام مستقبلا القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر
وهو المستلق على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة والثاني استقبال المحدث وهو أن ينام على
جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الهاء عند النوم فيقول باسمك
ربي وضعت جنبي وباسمك أرفضه إلى آخر الدعوات للأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ^(٩) ويستحب
أن يقرأ الآيات الخمسة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى - والحكم إله واحد لا إله إلا
هو - إلى قوله - تقوم يقولون - قاله إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة
الأعراف هذه الآية - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله سقرب من المحسنين -

ن هـ من حديث أبي الدرداء بسند صحيح ^(١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد
على أحد غفلة ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يظلم أحد غفلة
ما اجترم وسنده ضعيف ^(٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفیان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تكالبوا هذا الليل .
^(٣) حديث قيل له إن فلانة تصلي فاذا غلبها النوم تملقت بجمل قسي عن ذلك الحديث متفق عليه
من حديث أنس ^(٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يعل حتى تعلموا متفق عليه
من حديث عائشة بلفظ اكلفوا ^(٥) حديث خير هذا الدين أسره أحمد من حديث مجبن
ابن الأدرع وتقدم في العلم ^(٦) حديث قيل له إن فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنني
أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سننك فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو
دون قوله هذه سننك الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سننك فليس مني وهي متفق عليها
من حديث أنس ^(٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاهده يغلبه ولا تبغض إلى تفكك
عبادة الله مع من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ولبيق من
حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى تفكك عبادة الله ولا يصح إساده .
^(٨) حديث الدعاء للأثورة عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات للأثورة
التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ
بما تجدد عند الطالب
من قولي له فاستحضرني
وعائني على قولي له ذلك
وقال بته إليك حتى
تكلمه بما يزيد رغبته
في الحرقة فكلمته بما
فرت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح
وهو الذي يجب من
حقوق الحرقة ولكن
إذا أزمنا للتبدي
بذلك ثم وعجز عن
القيام به فنحن نلبسه
الحرقة حتى يتشبه
بالقوم وينزي بزيهم
فيقر به ذلك من
محاسنهم ومحاسنهم
ويركع محالطته معهم
ونظرة إلى أحوال القوم
وسيرهم يحب أن يسلك
مسلكهم ويصل
بذلك إلى شيء من
أحوالهم ويوافق هذا
القول من الشيخ أحمد
الغزالي ما أخبرنا شيخنا
رحمته الله قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي بن

وأخر بنى إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المودتين وينثبهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عنرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآية للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع بعث قال الله تعالى - الله يتوفى الأتقى حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فبما توفيها وكان الاستيقاظ تكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك للبعث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة واللوت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في اللوت فلا تم فكما أنك تام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تتبه فكما أنك تتبه بعد نومك فكذلك تبث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا تمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته ذلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك » (٢) الدعاء إلى آخره كاذكرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما القالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوجب الدنيا ولتتحقق أنه يتوفى على ما هو القالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن الرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » (٣) وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو القالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض التصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بمجاهد المعبود والمجرب وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى قال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلا يبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجد إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع قال جوف الليل » (٤) وقال داود صلى الله عليه وسلم إلى

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلي قال سمعت الحسين بن عيسى يقول سمعت جعفر بن يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وأبدأ بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رققا بالبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صعب طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا أنظر للبتدى إليه والتأدب بأدبه والاحتذاء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مادخل في شيء إلا زانه قال المتشبه الحقيق له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

(١) حديث قراءة للمودتين عند النوم ينثبهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحد على اليد وتقدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما حمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل دت وصححه من حديث عمرو بن عتبة .

إني أحب أن أتعبد لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخلوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل القادر»^(١) يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبارت إلى إمام الدنيا^(٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسنته وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلًا ثم يسبح عشرا ويحمد الله عشرا ويهلل عشرا ويلقل الله أكبر ذواللكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ويلقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والفور حق والنيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت للقدم وأنت للآخر لا إله إلا أنت^(٣) اللهم أنت تهي تحواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها ومولاها^(٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت^(٥) أسألك مسألة البائس للسكين وأدعوك دعاء للفقير الدليل فلا تجلني بدعائك رب شقيا وكن لي رءوفا رحيا يا خير السؤلين وأكرم السؤلين^(٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل القادر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله القادر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى إمام الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجبري قال : قال داود يا جبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجبري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات يقين من الليل يفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم أنت تهي تحواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها شهدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فليسته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط تهي تحواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس للسكين وأدعوك دعاء للفقير الدليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة يخدم في الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال للتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر القبة وللشاركة في الزمى والصورة دون السيرة والصفة فليس يمتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يمتزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو القاسم محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي حاتم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورد من القرآن أو من المحور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالأصباح يستغفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره قلنا كان الليل ذهب أبا الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم قام ثم ذهب ليقوم فقال له ثم قام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن قلما فصلح قال إن نلتك عليك حقا وإن لنيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأبى النبي ﷺ فذكر أنه قال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب المحور وذلك عند خفوط الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو للراد بقوة تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - عهد الله أنه لا إله إلا هو ولللائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما عهد الله به لنفسه وعهدت به للائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وعلى عند الله تعالى وديمة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني بها وزرا واجعلها عندي ذخرا واحفظها عني وتوفني عليها حتى ألقاها بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد لعباد وقد كانوا يستمعون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصلاة وإن قلت وعيادة مريض وعهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم أسر قالت ربما جهر وربما أسر د ن ه بإسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فاته أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء قلنا كان الليل ذهب أبا الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم قام فقال صدق سلمان ع من حديث أبي جعيفة .

الشافعي قال تناطى بن أحمد قال تناطى بن علي القدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن حاتم قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكر الله تنادوا هلمسوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا بمحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أهدي تسبيحا وتحميدا ونمجيحا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة فانفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقض اليوم ولم يصدقوا فيه بصدقة ولو بثمره أو بصدقة أو كسرة خبر لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (٢) » ولقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣) » ودفعتم مائشة رضى الله عنها إلى سائل عنية واحدة فأخذها فظفر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لما قبل ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذا كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى للفصل وفى جسده ثمانية وستون مفصلا فأمره بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإما طلت الأذى صدقة حتى ذكر التسييح والتهيل ثم قال بوركتا المضحى تأتى على ذلك كله أو تجمع من لك ذلك كله (٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن المرید لحرق الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما طابو إما عالم وإما متعلم وإما والد وإما محترف وإماما وحديثا فربما بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أورادهم ما ذكرناه ، نعم لا يمتد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسيجات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما حل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم واليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يحتم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اليلة فى التفكير فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرقة مقيا بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يحتم القرآن فى اليوم واليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وخمسمائة وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تركية القلب وتطهيره وتخليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المرید إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لاكثر الحلق توزيع هذه الحيرات المختلفة على الأوقات كسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحواله الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبص المعنى فان سمع تسيحة مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسييح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسييح منذ خلقت

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم فى الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم فى الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا قال لا إن لم يقدر عليه سكت من حديث جابر والبراز من حديث أنس أو بسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألوننى ؟ قالوا
يسألونك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف رأوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرصا قالوا
ويتعوذون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها تموزا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أنى قد غفرت لهم
فيقول الملك منهم فلان
ليس منهم إنما جاء
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى ثم الجلساء
لا يشقى جلسهم فلا
يشقى جلسى الصوفية
والمتشبه بهم والمحب
لهم .

[الباب الثامن فى ذكر
اللامق وشرح حاله]
قال بعضهم اللامق
هو الذى لا يظهر خيرا
ولا يضر شررا وشرح
هذا هو أن اللامق
تسربت عروقه طم
الإخلاص وتحقق

قلت لما سمك قال بها يا نيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشفه شأن عن شأن سبحان الله الختان للثان سبحان الله للصبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه للريد ووجد له في قلبه وقفا فيلزمه وأيا ما وجد القلب عنده وقفع له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه في خوي أو تدريس أو تصنيف ترتيب الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لأعماله فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم للواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئة واحدة يتعلمها للتعلم فيصلح بها عبادة حممه ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نفعي بالعلم للتعليم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويترددون في الدنيا أو العلم الذي يبينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تطوعوا على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيها بشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال به يوم الدنيا يمين على التفتن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والطلالة لا يتركها إلا في وقتا كل وطهارة ومكتوبة ويقول خيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفار يشتغل بسلام ماقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان الطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفار يعود إلى ذكر اللسان فلا يغلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : للتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتطبيق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يخلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات في حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها » (١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل للقدس إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي ابن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسأله عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الذكرك (١) وقال كعب الأخبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تهاقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قسوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من اللواظبات على خلق الذكر فقال مرحبا بامسكينة قتالت هيات هيات ذهبت للسكينة وجاء التقي قتال هية قتالت ما تسأل عن أيسر لها الجنة بهذا فبرها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر ، وعلى الجملة لما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام ذكرى السيرة أشرف وأتبع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب ليعاله فليس له أن يضع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسيبحات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات التعمدية فائدتها أتبع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالى مثل الامام والقاضى وللتولى لينظر فى أمور المسلمين قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة لخطئه أن يشتغل بمحقق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة . ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعل إذ قال مالى والنوم فلو نمت بالنهار ضيقت للمسلمين ولو نمت بالليل ضيقت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرقى بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفصل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : للوحد للستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهو موهى واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائىء إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى ربى سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد واللواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغى أن يتر المريد بما صممه من ذلك قيد عليه لنفسه ويتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم .

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
« سألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادى »
فاللامية لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنهم حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصى
من ظهور معصيته
فاللماقى عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به متدا به
والسوى قاب فى

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعمه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظام الأضغال وآي تزيق هذه الرتبة لكل أحد فيتمتع على السكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفي الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ^(١) » وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذا الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبد لهم له فمن عرفه لم يبد غيره . والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس للداومة فإن الراد منه تغيير الصفات الباطنة وأحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر في المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثار محسوسا ولم يردف ثبات وثبات على القرب انجمي الأثر الأول وكان كالتقية يريد أن يكون قبه النفس فانه لا يصير قبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ^(٢) » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته ^(٣) » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله ^(٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوقت ثم لم يزل بعد ذلك يصلحها بعد العصر ولكن في منزله لافي المسجد كيلا يقتدى به ^(٥) رويته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن للماني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التقية بعيدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في التزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية للفترة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شربة من وافي شربة منهم دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته رواه (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوقت عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصلحها بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلحها ولا يصلحها في المسجد مخافة أن يشغل على أمته ، والله للوافق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .
قال أبو يعقوب
السوسي مق شهدوا
في إخلاصهم الإخلاص
احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص وقال الخوالتون
ثلاث من علامات
الإخلاص استواء القلب
واللذخ من العامة
ونسيان رؤية الأعمال
في الأعمال وترك
اقتضاء ثواب العمل في
الآخر ما أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
إجازة قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت
أبا عثمان المغربي يقول:
الإخلاص مالا يكون
لنفس فيه حظ بحال
وهذا إخلاص العوام
وإخلاص الخواص
ما يجري عليهم لأهم
تبدو منهم الطاعات
وهم عنها بمنزلة ولا يقع
لهم عليها رؤية ولا بها
اعتداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل)
(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة
للقرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى
بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الرازي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى
بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة
سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان
حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما
لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء
بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكرر قصورنا يارسول الله فقال الله أكثر وأفضل
أو قال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في
جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع
ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما في السموات وما في
الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج
عن الحصر . وقاله كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للحضر عليه السلام عني شيئا أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث
رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصغار في كتاب الصلاة رواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده
ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة
أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ اثني عشرة سنة ووضعت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من
قول كعب الأحبار كما روى أبو الوليد الصغار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن
عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك
ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه
ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين
في الجنة لم أجده أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع
عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذا تكرر قصورنا يارسول الله الحديث
ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسل (٥) حديث أنس من صلى المغرب
في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد الحديث أبو الشيخ
في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الحواس وهذا الذي
فضله الشيخ أبو عثمان
للغربي يفرق بين
الصوفي والملاحق لأن
للملاحق أخرج الخلق
عن عمله وحاله ولكن
أثبت نفسه فهو مخلص
والصوفي أخرج نفسه
عن عمله وحاله كما
أخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلص
الحال والمخلص قال
أبو بكر الزقاق نقصان
كل مخلص في إخلاصه
رؤية إخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص
إخلاصه أسقط عن
إخلاصه رؤيته
لإخلاصه فيكون مخلصا
لا مخلصا قال أبو سعيد
الحراز رياء العارفين
أفضل من إخلاص
للمريدin ومعنى قوله
إن إخلاص للمريدin
مطلوب برؤية الإخلاص
والعارف منزّه عن
الرياء الذي يطل

قال إذا صليت المغرب قم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تسلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين وأقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحداً وصل ركعتين وأقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالساً وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم قم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني عن ممات هذا فقال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوصى إليه به فكنيت عنده وكان ذلك بمحضر مني فقلت ممن علمه إياه (١) وقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجنة ما ورد في فضل إحياء ما بين المشامين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين (٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت يهتف فقلت ما هذا فقال نعم هي ساعة الغلبة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها زل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سفيان الداراني أصوم النهار وأتمنى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفرط بالنهار وأحي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفرط وصل ما بينهما

(فضيلة قيام الليل)

أما من الآيات قوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - أمن هو قانت آناء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يقعد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح شيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٤) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الحضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأله الحضر عن ممات هذا قال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لأصله (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

العمل ولكن له يظهر
حيثما من حاله وعمله يعلم
كامل عنده فيه لجذب
مريد أو معاناة خلق
من أخلاق النفس في
إظهار الحال والعمل
وللمعارفين في ذلك علم
دقيق لا يعرفه غيرهم
فيرى ذلك ناقص العلم
صورة رياء وليس رياء
إنما هو صريح العلم لله
بالله من غير حضور
نفس ووجود آفة
فيه . قال دروهم :

الإخلاص أن لا يرضى
صاحبه عليه عوضاً في
الدارين ولا حظاً من
اللكين . وقال
بعضهم صدق الإخلاص
نسيان رؤية الخلق
بمواظب النظر إلى الحق
واللامق يرى الخلق
فيخفى عمله وحاله وكل
ما ذكرناه من قبل
وصف إخلاص الصوفي
ولهذا قال الزقاق لا بد
لكل محقق من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل بنام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ^(١) » وفي الخبر « إن الشيطان سعوطا ولموقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه فزب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى أصبح ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم ^(٣) » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى خطرت قدماه فقيل له أما قد ظفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ^(٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب الزيد قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصلوات تريد من ربك يا أبا هريرة صل في ذوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرقة اللهاء عن الجسد ومنهارة عن الإثم ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فطلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يذره لو أردت سقرا أعدت له عدة قال نعم قال فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بآي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور ورجع حجة لعظام الأمور ونصق بصدقة على مسكين أو كلة حتى تقولها أو كلة شر تسكت عنها ^(٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن الشيطان سعوطا ولموقا وذرورا الحديث طبع من حديث أنس إن الشيطان لموقا وكلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا تكلم من كلامه نامت عيناه عن الذكر ورواه البراء من حديث حمزة بن جندب وسندهما ضيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا واصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث للغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصلوات وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في ذوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طبع وهو من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث ما من امرئ يكون له صلاة بالليل فطلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم صاه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي ورواه ن من حديث أبي البرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لا يذره لو أردت سقرا أعدت له عدة فكيف سافر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بآي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسلا والسري ضعفه الأزد.

إخلاصه وهو قصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الحلي سألت
أبا القاسم الجليد رحمه
الله قلت أيمن الإخلاص
والصدق فرق قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بعد الدخول في
المعمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الإخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فعل
هذا الإخلاص حال
للإماني ومخالصة
الإخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكائنة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
بل غيبته عن رؤية

وروي « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله أتى لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يابث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة^(١) » وروي « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا يقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول ثم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خير شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من حوارى فوعزني وجلالى يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يعمل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضج في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلى ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضجت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدارين الله كثيرا والذاكرات^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل^(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل^(٧) » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد للربض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى التحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علقه زيد في عمله قام تلك الليلة حتى أصبح وكان طائوس رحمه الله إذا انطجع على فراشه تنقل عليه كما تنقل الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له ما بال للتهجد من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحن فألبسهم نوراً من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ، ابن جبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث دح من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدارين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستئثار وهو قد حال الصوفي واللامق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين اللامق والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشهر بهذا الاسم ولما يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامية استدعى إلى مملع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأني إن حضرت يظهر على وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري

حتى فاته ورده انحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك لئن ووالله إن في الجنة لألین منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيروني طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهجتي وقال الحسن إن الرجل ليزن الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السفر قال إلهي ليس مثلي بطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضف عن قيام الليل فقال له يا أخى لا تمس الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا للكتابة قالوا نعم فرجت إلى الحسن فقالت يا مولاي يفتي من قوم لا يصلون إلا للكتابة ردني فردها وقال الربيع بن رافع في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا سيرا وقال أبو الجوزية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يعمي نصف الليل ليرى يقوم فقالوا إن هذا يعمي الليل كله فقال إنى أستحي أن أوصف بما لا أهل فكان بعد ذلك يعمي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الدين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالدن آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الفيرة بن حبيب رقت مالك بن دينار قوصاً بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته الخمرة فجعل يقول اللهم حرم شيعة مالك على النار إلهي قد علمت ما كن الجنة من ساكن النار فأبى الرجلين مالك وأبى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أعحسن قرأ قلت نعم فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أأهنتك اللذائد والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان
تسبى عندها لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجيد بالقران

وقيل حج مسروق لما بات ليلة إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن ميث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا قلت لها من أنت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرى قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغنى أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائه من لؤلؤ وصنعه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الصالحون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم العافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه البجلي ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلى من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخلق خفقات ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزنى وجلالى لأكرم من مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي التداة بوضوء المشاء أربعين سنة ويقال كان منهبه

قال لأبي سليمان
الداراني إنى إذا كنت
في الخلوة أجد لهما مني
لذة لا أجدها بين
الناس قال له إنك
إذا لضعيف فاللماقي
وإن كان متمسكا
ببروة الإخلاص
مستغنيا بساط الصدق
وليكن يقي عليه بنية
رؤية الخلق وما أحسنها
من بنية تحقيق
الإخلاص والصدق
والصوفى صفا من هذه
البقية في طرق العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكلية ورأى بين
القضاء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله كل
شيء هالك إلا وجهه
كما قال بعضهم في بعض
غلبته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء لللامق الحال على
وجبين أحد الوجبين
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه اليسرة له ظاهرًا وباطنًا . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على اللاندة كل ليلة ويقول معاشر الريدن لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتعسروا عنداوت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالتهار في الأعمال التي تعياها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالتهار فانهاسنة للاستمانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يعتقب الأوزار بالتهار فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بأباسيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فإبالي لا أقوم قال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لعلهم ولثوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقولون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أدبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يركب قتل في غنى هذا وراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يركب قتل أتاك نبي بعض أهلك قال أشد قتلت وجمع يؤلك قال أشد قلت فإذا كان مطلقا قال باني مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقيل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تغتو أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت بامسكين فانظر عند من تظفر وعلى أى شيء تظفر فان العبد ليا كل أكلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر القسوة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة التسرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليا كل أكلة أو يغفل فلة فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الحيرات وقال بعض السجانيين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تقاطع الفحشاء والمنكر .

(وأما اليسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق فيهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وسوسه وفي مثل ذلك يقال : يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا فنام

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدة إن قيامك بالليل يضر بملكك بالتهار فقال إن صيبا إذا ذكر النار لا يأتية النوم وقيل لسلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفا وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقا فلا أقدر أن أنام ، وقال ذوالنون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستمانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصديق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوه وهذا وإن علا في طريق الصوفية وقص فعل هذا يتسلم اللامق على التصوف ويتأخر عن الصوف وقيل إن من أصول السلامية أن

منع القرآن بوعده ووعده مقل العميون بلبها أن تهجما
فهموا عن لملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضا
وأشددوا أيضا :

يا طول الرقاد والتفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن زلت إليه لرقادا يطول بعد للمات
ومهادا مهادا لك فيه بذنوب عملت أو حسنت
أمنت الليات من ملك اللو ب وكم قال آمنة ينيات
وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم قماموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاءه وشوقه إلى ثوابه
فيهبه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
نتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أنفكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل فنسيت الزوجة والنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخلوة به وتلقا بالمناجاة
فتحله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فاعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته
حتى لا ياتيه النوم طول ليله . فان قلت : إن الجليل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجليل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان يقتم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه يسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده .
فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يحينه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف واللوقن يسمع من
الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويمرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بمرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستعصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيت قط يرى وجهه ثم يتصرف وما تأملت به بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأعتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال طي بن بكار منذ أربعين
سنة ما أحزننى شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي برى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو
في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذا صبح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
للشاهدة وإذا صبح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيئ وإذا
صبح ذكر القلب سكر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نسيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التماس في قلوبهم بالليل من حلاوة النجاة وقال بعضهم لذة النجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقين فيملؤها أنواراً فتد القوائد على قلوبهم فتستبصر ثم تنشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادة من عبادي أحبه ويحبوني ويشاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحبتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلامهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جهم الليل واختلط الظلام وخل كل حبيب بحبيه نصبوا إلى أقدامهم واقفروا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وعشقوا إليّ يا ناعمي فبين صارخ وباكي ، وبين متأوه وشاكي ، بين ما يتحملون من أجل وبسعي ما يشكون من حي أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها من موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أبلغ أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتجهد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتغطي القلوب الناعمة فترض تلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة « ومطلوب القارئ تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كلية القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتسبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب للكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم اللذان وقضيل بن عياض ووهيب بن الورد والمكيان وطاوس ووهب بن منبه الجعانيان والريبع بن خنيم والحكم الكوفيان وأبوسليمان الداراني وطى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادي وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني القارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
اللسان على الله كرو ذلك
ذكر العادة وليس كل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السري على
وآفة ذكر السراطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتطعيمه
أو طلب نوابه أو ظن أنه
يصل إلى شيء من
اللقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهيس بن النبال وكان يغتم في الشهر تسعين ختمه ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد الموابطين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى تقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . للرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فيذهب أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب الناس بالنداء وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفة وجهه وقلّ نكاحه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألقيت بعد السحر إلا نائماً (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والشاهدة من وراء حجب التيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لشيء يوحى إليه أول من يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويؤظفه ثم ربما يضطرب في ليالي التيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث للقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصل ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بإفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما ألقيت السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بإفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا نائماً لم يقل غ الأعلى وقال ه ما كنت ألقى أوالقي النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان د ت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى الله عليه وسلم ثم جاء فصل أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى صمى غطيته الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا
الأصل الذي يتوابعه
أن ذكر الروح ذكر
الذات وذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم
وذكر القلب من الآلاء
والنعماء ذكر أثر
الصفات وذكر
النفس متعرض
للملآت فمضى قولهم
إطلاع السر على الروح
يشيرون إلى التحقق
بالقضاء عند ذكر
الذات وذكر الحية

يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في
 للوضعين من سورة الزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى
 من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب
 من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
 يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعني الديك وهذا يكون السدس لما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت
 صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق
 فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواك فاستاك به
 وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال
 ما قال أول مرة وقبل ما قبل أول مرة (٣) . للرتبة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع
 ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء
 فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤)
 فهذه طرق القسمة فليختار المرید لنفسه ما يراه أسير عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل
 فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر
 فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطريق الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى القدر
 ترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيما إلى
 القدر فليس يجرى أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه
 في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والأيام القاضية)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث
 وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قد فنظر إلى السماء الحديث ولأن داود قام حتى إذا
 ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث أسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل .
 (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا
 ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواك فاستاك به وتوضأ
 وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقيبن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية
 اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث
 وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل
 ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربعه فوافق حلب
 ناقة فوافق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل
 ولو حلب ناقة أو حلب شاة .

في ذلك الوقت ذكر
 الصفات مشعر بنصيب
 الهية وهو وجود
 الهية ووجود الهية
 يستدعي وجوده وبقية
 وذلك يناقض حال
 الفناء وهكذا ذكر
 السر وجوده هية وهو
 ذكر الصفات مشعر
 بنصيب القرب وذكر
 القلب الذي هو ذكر
 الآلاء والندماء مشعر
 بعدما لأنه اشتغال
 بذكر النعمة وذهول
 عن النعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل للربيد عنها فاتها مواسم الحيرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن المواسم لم يرج ومق غفل الربيد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «لما علم من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في مصيبة ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً » (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواصل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنتين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى للدين في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعاً ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جداً والحديث منكراً (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى للدين في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بمجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، وتلوه : الجزء الثاني)

برؤية العطاء عن
رؤية للمطى ضرب
من بعد للزلة
واطلاع النفس نظراً
إلى الأعراض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أهل
من بعض ، والله أعلم .

إحياء علوم الدين

للإمام الفخري

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء
بمقدم

الدكتور بديوي طبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل عزمي (المقدمي)

From the Library of
Muhammad S. Hozien

المجلد الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غلق الأرض والسموات ، وأنزل السماء الفرات من للصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بمأكول الطيبات ، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على محرم الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن الواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نهى العرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن تقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى ، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزيم الصبد بزمامها ، ويلجج التقي بلجامها ، حتى يترن عيزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته ^(١) » وإنما ذلك إذا رفعها بالدين ولدين مراعيًا فيه آدابه ووظائفه ، وهانحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومرواياتها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث سعد بن أبي وقاص وإنك معها أشتقت من ثقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك .

بقيصة

حوارف المعارف

لسهروردي

[الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم] فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملازمة أخرى وقد ذكرنا حال للملازمة وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتونون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا السادات وطرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخالطات وصاحوا في مبادئ طيبة قلوبهم قللت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض

الباب الأول : فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه
(القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتب
بسبب مكروه في الشرع ولا يحكم هوى ومداينة في دين على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب
الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل على الباطل القتل
تفخيا لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين
الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدى بنى اللهم (١) »
وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام وبعد » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في معظم الأعمال فمسحها أقرب
إلى النظافة والزمانة ولأن الأكل قصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري
منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة للوضوعة على الأرض فهو
أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أتى بطعام وضعه على الأرض (٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر
السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة (٣) » . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال
على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللوائد والناخل والأشنان
والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على المائدة منهي عنه
نهي كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس
كل ما أبدع منهي بل النهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب
في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال
ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من
النظافة فإن الفصل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يتاد
عندهم أولا لتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من الباعة في النظافة فقد كانوا لا يفسلون اليد أيضا
وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الفصل مستحبا وأما المتخل فالمقصود منه تطيب الطعام
وذلك مباح ما لم ينته إلى التعمم المفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ما لم ينته إلى الكبر
والتعظيم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتحريك الأدوية في البدن
فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام بنى الفقر وبعد ما ينفي اللهم وفي رواية بنى الفقر قبل الطعام وبعد
القضاض في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آياته متصلا باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط
من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعد ما ينفي الفقر ولأبي داود وت من حديث سلمان
بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على
الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه
وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه ط .

ولم يألوا بتناول شيء
من لذات الدنيا من
كل ما كان مباحا
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رعاية
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق الزينة ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك
الجمع والاستكثار ولا
يترسمون بمراسم
التقشفين والتزهدين
والتعبدية وقنعوا
بطيبة قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى ما هم عليه من
طيبة القلوب والفرق
بين اللامق والقنندري
أن اللامق يعمل
في كتم العبادات
والقنندري يعمل
في تخريب العادات
واللامق يتمسك بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ^(١) » وكان يقول « لا آكل متكاً ^(٢) » إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأجلس كما يجلس العبد ^(٣) » والشرب متكاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل قائماً ومتكاً إلا ما ينتقل به من الحبوب وروى عن عليّ كرم الله وجهه أنه أكل كمكاً على نرس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعمم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي وبزمت مع ذلك على تحليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيأت يقمن عليه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ^(٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعاد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحداً لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسبب فائدة قلة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع للمهلكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التعمم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بكراهة الحبز ^(٥) فكل ما يديم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالحبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء ^(٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لا تنوي إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأقت النفس أولم تنق لموم الحبز ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تسخير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام فيهيئته وملبوسه وحركاته وأمور مسترا لئلا يظن له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجوده في كل ما يتقرب به العبد والقلندري لا يتقيد بهيمة ولا ينال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينمطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم قيم الخلق مقامه ويقوم أمراً الحق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأمر بالأمور في موضعها محذور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفنونين مما أقتسم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصعة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في الثمائل من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأفضل كما يفعل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأياب كل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث للقداد بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الحبز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء تقدم في الصلاة والمعروف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د . من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

لأياكل وحده (١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا ينقله الشرع عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويحذر به ليدكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يتلها لم يعد اليد إلى الأخرى فان ذلك هبة في الأكل وأن لا ينغم مأكولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا يصب مأكولا كان إذا أهجه أكله وإلا تركه (٢) وأن يأكل مما يليه إلا القاكية فان له أن يحيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك (٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على القاكية قليل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا (٤) وأن لا يأكل من دورة القصة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الحبز فيكسر الحبز ولا يقطع بالسكين (٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا (٦) ولا يوضع على الحبز قصة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ﷺ « أكرموا الحبز فان الله تعالى أنزلهم من ركات السماء [٢] » ولا يمسح يده بالحبز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلمق أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه البركة (٧) » ولا ينفخ في الطعام الحار (٨) فهو منى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواقم فيه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا كل ماله هم وتخلو وأن لا يترك ما استردته من الطعام ويطرعه في القصة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا يصب مأكولا إن أهجه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على القاكية وقال ليس هو نوعا واحدا . من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد قالت غريب ورواه حب في الضفاء (٥) حديث النهى عن قطع الحبز بالسكين رواه حب في الضفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر و ت . من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلمق أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وتوصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء وتوصحه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كالم يذكره الطارح فليتأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحبز الخ) لم يخرج العراقي وقد أخرجه الشارح عن الحكيم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى يلم في غرور وغلط يسترون بلبسة الصوفية توقينا تارة ودعوى أخرى ويتنهجون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضارهم خلست إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأفهام للنصيرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء القرورون أن الشريعة حق البودية والحقيقة البودية هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة تفيد بحقوق البودية وجهار مطالبها بأسور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويحاصر باطنه الزينغ

مع الثعل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأدبه : أي بأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تعبوه عبا فإن الكباد من الميب (١) » ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً (٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً (٣) ولعله كان لئلا يضر ، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا (٤) » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمينه « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضي الله عنه أعط أبو بكر فناول الأعرابي وقال الأعرابي فالأعرابي « ويشرب في ثلاثة أنفاس بحمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلقى أصابعه ثم يمسح بالمدليل ثم ينسلها ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده (٥) » ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه ويتضمن بعد الخلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلقي القصة ويشرب ماءها ويقال من لقي القصة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهوور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على مصيبتك وبقراء بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قريش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولافان أكل طعام الفير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يصل فيه خيرا وبقته بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبة ليطنى بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث النهي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ آمن من الفقر والبرص والجنون وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكر جدا .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد بن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضي الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصلي كمن يأكل ويلهو ويلقى إذا أكل
 لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا
 منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نعمة ويستحب عقيب
 الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفي
 منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغثيت
 من علة فلك الحمد جدا كثيرا دائما طيبا نافعاً مباركاً فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيباً
 فاستعملنا صالحاً واجهه عوناً لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك وأما غسل اليدين
 بالأشنان فكيفيته أن يمسح بالأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً
 ويضرب أصابعه على الأشنان الياض فيمسح به غفته ثم ينعم غسل التيم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه
 وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك يقية الأشنان الياض أصابعه
 ظهرها وبطنها ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى التيم وإعادة غسله .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو التبويع
 والتدنى به فينتدئ بغيره أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن
 لا يسكروا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يشكمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات
 الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على
 ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً بل ينبغي أن يقصد
 الإتيار ولا يأكل تمرتين في دفة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه في
 الأكل وقتله كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا خطب في شيء ثلاثاً لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان يكرر الكلام ثلاثاً (٤)
 فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
 الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يعوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء
 أحسن الآكلين أكل من لا يعوج صاحبه إلى أن يتفقه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول
 ولا ينبغي أن يدع شيئاً مما يشبهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على العناد ولا ينقص من
 عادته شيئاً في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع
 نعم لو قال من أكله إتياراً لإخوانه ونظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل
 على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ
 سحت وهو عندنا وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث
 القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه وحسنه و . من حديث ابن عباس إذا أكل
 أحكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن ساء الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خطب في شيء ثلاثاً لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل
 ومن حديث أبي حنيفة أيضاً وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثاً من حديث أنس
 كان يعيد الكلمة ثلاثاً .

عنه قال من عرض
 نفسه لقيم فلا يلومن
 من أساء به الظن فإذا
 رأيتهم تناولوا بحدود
 الشرع مهملاً للصوات
 للفروضات لا يستد
 بحلاوة التلاوة والصوم
 والصلاة ويدخل في
 المداخل للكرهية
 المحرمة نرده ولا قبله
 ولا قبل دعواه أن له
 سريرة صالحة .
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب
 السهروردي بإجازة عن
 عمر بن أحمد عن ابن
 خلف عن السلي قال
 سمعت أبا بكر الرازي يقول
 سمعت أبا محمد الجريري
 يقول سمعت الجعيد
 يقول لرجل ذكر للفرقة
 فقال الرجل أهل للفرقة
 بالله يصلون إلى ترك
 الحركات من باب البر
 والتقوى إلى الله تعالى
 فقال الجعيد إن هذا
 قول قوم تكلموا
 بأسقاط الأعمال وهذه
 عندي عظيمة والذي
 يسرق ويرزق أحسن

فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويطهى كل من له فضل نوى بعده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأقلهم طي من يحوجني إلى تعهده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على العناد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضا تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمجودة أكله في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يغسل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره إكرامه فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم ^(١) » قيل إن الراديه هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا ملوءة ولا تشبهوا بالجسم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم والخدام الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خدام جالسا فقام المصوب عليه فقيل له لمقت فقال أحدنا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أبسر للصب والنسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك ففي الطست إذن سبعة آداب أن لا يبرق فيه وأن يقدم به للتبوع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار بمنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يبعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على القراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشامي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروك ما رأيت من خدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يعد اليد ويقبضها ويقناول قليلا قليلا إلى أن يتوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليمتد إلى بهم دفعا للخلعة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا يفيض يده في القصعة ولا يقدم إليهم الرأس عند وضع اللقمة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ به يساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة قد يذكره غيرهم اللقمة التي قطعها بسننه لا يغمس بقيتها في المرققة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل نقمة

حالا من ألقى يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم تنقص من أعمال البر فذة إلا أن يحال في دونها وإنها لا كد في معرفتي وأقوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويرحمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يسطعها ويسبق لأفهامهم معنى من قوله النصاري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستريح النظر إلى المستحبات إشارة إلى هذا الوهم ويتخيل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحانه حلنا أن نستقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك لإعطي معنى الحكاية عن الله تعالى

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة لإتقنة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الإطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدر أن يأكل جميعه وكان يقول بلنجان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »^(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لأكل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكل مع إخوانه »^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للرب طيبزاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتي »^(٥) وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »^(٨) وقال عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام »^(٩) وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربضا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكل مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزدي في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستلون عن النعمة السائم والتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلفظ استطعمتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد ، الحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن جبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستند في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول ردناه كما نردم وقد أنانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء قية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى بهوما لا يجوز والله تعالى منزله أن يحل به شيء أو يحل شيء حق لعل بعض الفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم بطلان ما يقول ، بحمله

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترتب واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على عجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتطلى أما إذا كان جافا فقد قصد بعض إخوانه لطعمه ولم يترتب به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن النبيان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لتلك السلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلائلهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادا لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصدقاته عالما بفرجه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لاسيا في الأطعمة وأمرها على السنة قرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلفت الصدقة محلها (٣) وذلك لطمه بسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بلمه بالاذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجونة بئنة ومن هذه قسبة فقال له هشام مبادلك يا أباسعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكع اتل على آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال فمن الصديق يا أباسعيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكر تعوني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزته وغير ذلك فحمله كله قدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقبل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا فقد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضر شيء ولم

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تخرجه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بمد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة ونعسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات موافقه للكتاب والسنة فزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهل موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولولا هم الربوبية

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما هو من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن النبيان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلفت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بلفت محلها فقال في الشاة التي أعطيتها نسية من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

بملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطع عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أناني من إخواني فاني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت مجيئه وملته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي قلت له إنك لا تأكل كل وحدك هذا ولا أنا لما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الجيء قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال علي أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم ^(١) وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا ^(٢) وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه قدم إليهم كسرا وجزلهم فبلا كان يزعه ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لمن الله التكلفين لتكلفتم لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم شيء بعينه فربما يشق على الزور إحضاره فان خير أخوه بين طعامين فليخير أيسرهما عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرهما ^(٣) وروى الأعمش عن ابن وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي زور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملح جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح ستر كان أطيب فخرج سلمان فزعه من مطهرته وأخذ ستمرا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قمنا بما رزقنا فقال سلمان لو قممت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعدد ذلك على أخيه أو كراهته له فان علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلا عنده ينفاد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسيأتي بعده وكلاهما ضعيف وللبخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الخرائطي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، والطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرها م في بعض طرقه .

فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وإنما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الأنحاء في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا في بواطنهم شيئا ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى الحدث لانسبة الكلام إلى التكلم لينصافوا عن الزيغ والتحريف ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يفرقون في بحار التوحيد ولا يشنون ويسقطون لنفوسهم حركة وفلا يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وكل ما تدعو النفس إليه ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فصرخت عليه الرقة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت ميتة على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكنانى دخلت على السريّ فبجاءتني وأخذ يحمل نصفه في القدر فقلت له أى شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانسباط ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتري للزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله ألف حسنة وعسى عنه ألف ألف حسنة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه أقم من ثلاث جنات الجنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً مما تأكله فلا تعدهم به ولا يرويه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تنكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً امرأة لها شويحات فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يدألهن من شاء أن يبعدهن خلقاً حسناً فعل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أغلقه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنى لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل الزائر والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والمقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً قائماً سر الله الحديث قال المقبلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تنكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا ينكفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق منكلم فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً امرأة لها شويحات فذبحته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي التتال مرسل

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام . وقد مثل سهل بن رجل يقول أنا حكايا لا أمرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا حدر جليئ إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للأئمة عن نفسه وانحلالاً عن الدين ورسمه فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام معترفاً بالمصية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو مسلم صحيح وإن كان تحت التصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى

ولو أسلفني لأدبته فاذهب بدرعى وارهنه عنده ^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتصق من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقض ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع إنه لم يغل إلى الآن ليلة عن ضيف « ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام ^(٢) » وقال ^(٣) « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ^(٤) » ومثل عن الحج المبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام ^(٥) » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله للئلاسة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار ^(٦) » في دعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي ^(٧) » ويغصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء ^(٨) » وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيعاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيماءاً لقلوب الباقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته البهاة والتفاخر بل استئالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبة فإن أجاب للدعوة فعليه خطبتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام النقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة قسمهم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض اللواضع قال صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت ^(٩) » وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز النني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للنهي عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أكل الإجابة وقال : انتظار المروة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غیری فقد ذلت له رقبتي ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحرانطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف (٢) حديث مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو يلفظ أي الإسلام خبر ؟ قال تطعم الطعام وتقري السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وكن من حديث معاذ وقد تقدم منه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث مثل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل إلا طعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت خ من حديث أبي هريرة .

الأعفار والتردد في البلاد متوصلاً إلى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذه ويصمره بسبب ما هو فيه والله العارف . [الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ومحبيون عباد الله إلى الله ومحشون على الأرض بالنصيحة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة الشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عبادته حقيقة ويجب عباد الله إلى الله ، ورتبة الشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونياحة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

الشيخ يحجب الله إلى
عباده فلأن الشيخ
يسلك بالمريد طريق
الافتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم
ومن صح اقتداؤه
واتباعه أحبه الله تعالى
قال الله تعالى - قل
إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحبك الله -
ووجه كونه يحجب
عباد الله تعالى إليه أنه
يسلك بالمريد طريق
التركية وإذا تزكت
النفس انجلت مرآة
القلب وانعكست فيه
أنوار العظمة الإلهية
ولاح فيه جمال التوحيد
وانجذبت أحداق
البصرة إلى مطالعة
أنوار جلال القدم
ورؤية السكّال الأزل
فأحب العبد ربه لاهالة
وذلك ميراث التزكية
قال الله تعالى - قد أفلح
من زكاهها - وفلاحها
بالظفر بعرفة الله تعالى
وأبضا مرآة القلب
إذا انجلت لاحت فيها
الدنيا بجمها وحقيقتها

التكبرين ممن يحجب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يحجب دعوة
العبد ودعوة المسكين (١) ومرو الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من الساكنين الذين يسألون
الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم
عليهم فقالوا له هلم إلى الضياء يا ابن بنت رسول الله ﷺ قال نعم إن الله لا يحب المتكبرين فنزل
وتعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أحببتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم
وقد معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت
يدى في قصمته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان
الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بهامة وكان يرى ذلك يدا له على الدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحضر لعله أن الداعي له يتقلد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف
 باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستغل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة
إجابته (٢) بل الأولى التامل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت
رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه
وقال سري السقطي رحمه الله آم على لقمة لبس على الله فيها تبعة ولا تلحق فيها منة فإذا علم الدعواته
لامنة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتعت فابتليت
بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك تمر
إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الاجابة بعد المسافة كما لا يمتنع
لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في
التوراة أوبعض الكتب سريلاعد مريضا سريملين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر
أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من
اليت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت (٣) » وهو موضع على أميال من
الدينة أظرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان (٤) لما بلغه وقصر عنده في سفره (٥) . الثالث :
أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليحتسب في إفطاره بنية
إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يحجب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس ذكر المسكين
وضف ت وصححه (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا د من حديث ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبايرين قال د من رواه عن جرير لم يذكر
فيه ابن عباس وللعقلى في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والتبايرين
المتعارضان فعملها بالباهاة والرياء قاله أبو موسى اللدني (٣) حديث لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت
ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة
مارواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان
لما بلغ كراع الغميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في
سفره عند كراع الغميم لم أقفله على أصل والطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة
بالعقيق يريد إذا بلغه وهذا رد الأول لأن بين العقيق وبين الدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم
بين مكة وعسفان والله أعلم .

قلبه فليصدق بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم « تكلف لك أخوك » وتقول إني صائم ^(١) » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فتوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والحجرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من الزامير والآلهي أو التشاغل بنوع من اللهو والعرف والمزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحریمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله ^(٢) » وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله ^(٣) » وينوي إدخال السرور على قلبه امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من يحمل سرّاً مؤمناً قد سر الله ^(٤) » وينوي مع ذلك زيارته ليكون من التحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الزاور والتبازل ^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه فنهذه ست نيات تلحق إجابته بالقرابات أحدها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ^(٦) » والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما النيات فلا فائدة لو نوى أن يسر إخواته بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالفزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح للرد بين وجوه الخبرات وغيرها يلتحق بوجوه الخبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولدارقطني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسناده ضعيف (٤) حديث من سر مؤمناً قد سر الله نعم في الباب قبله (٥) حديث وجبت محبة المتزاوين في التباذلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أعار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وماهيتها ولاحت
الأخرة ونفائسها
بكنهها وغايتها
فتكشف للبصيرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليل فيجب
المبد الباقى ويذهب في
القائى فتظهر فائدة
التركية وجدوى
الشيخة والترية
فالشيخ من جنود الله
تعالى يرشده اليردين
ويهدى به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ المقدسى
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن على
بهذان قال أنا أبو بكر
محمد بن على بن أحمد
الطوسى قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقية قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن بشر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يحافه ألبته فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفصل وفي آخر الطعام يتأخر بالنسل لينتظر أن يدخل من يأكل فياكل كل معه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع اللامى والزماير وحضور النسوة للتكشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كانتر الكعبة وقال إذا أكرى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها (٢) » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا لحرمت تزيين الكعبة بل الأولى بإباحته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للوعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخر قفيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد الضيفين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للكريمين - إنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فما لبث أن جاء بعجل حنيذ - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين - والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإناسمى عجلا لأنه عجلا ولم يلبث قال حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة التطلين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دنه من حديث على وفيه أبو أفلح الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل قد خطر الأمر على الشايخ وقار الله وبهم يتأدب المریدون ظاهرنا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم اقدم اقتده - فالشايخ لما اعتدوا أهوال الاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت محمته ولذته في ذكرى فإذا جعلت محمته ولذته في ذكرى عشقني وعشقت ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرقته بهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب من الذنب^(١) ويستحب التعجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث شرباء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً وإن كانت ذلك أوفق في الطبقاتها أسرع استعالة فينبغي أن شمع في أسفل المائدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد قد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام» [١] فان جمع إليه حلالة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام بالنعيم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذا حضر العجل الخبيذ أي الخنزير وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وآتيناك عليكم للن - والسوى - للن - العسل والسوى اللحم سمى سوى لأنه يقتل به عن جميع الآدم لا يقوم غيره مقامه وذلك قال عليه السلام «سيد الآدم اللحم» ثم قال بعد ذكر للن - والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أهل الطيبات يورث الرضا عن الله وتم هذه الطيبات بحرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الفصل قال الثامون شرب الماء بلع يخلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرية وبورانية وسقيتهم ماء بارداً فقد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم حرام في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبرك جيداً وماؤك بارداً وخلك حامضاً فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألقان والتمسك على اللسان خير من زيادة لونين ويقال إن الملائكة تحضر للمائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالحضرة وفي الخبر إن المائدة التي أزيلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكرات وكان عليها ثمرة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن المواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألونها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم الفليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادقة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصفون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويحكى عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فنجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرءوس للشوية طيبها وقديداً فكنا لا نأكل كل نتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فاتها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام ونهيز البيت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأثناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لأعلم إلا أنه رفته وروى الزبي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نعيم عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأثناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صبح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنائزة... الحديث وهذا مرسل وث من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنائزة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في الشمائل وغيره .

مأمور بسياسة النفس
مبتلى بصفات لا يزال
يسلك بصدق العامة
حتى تطمئن نفسه
وبطمانيتها ينزع
عنها البرودة واليوسة
التي استصحبها من
أصل خلقها وبها
تستصحب على الطاعة
والانقياد للمبودية فأذا
زالت اليوسة عنها
ولانت بحرارة الروح
الواصلة إليها وهذا
الدين هو الذي ذكره
الله تعالى في قوله - ثم
تليين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله - تعالى
تجيب إلى العبادة وتليين
لطاعة عند ذلك
وقلب العبد متوسط
بين الروح والنفس
ذو وجهين أحدهما وجهه
إلى النفس والوجه
الآخر إلى الروح يستمد
من الروح بوجهه الذي
بيله ويمد النفس
بوجهه الذي يليها حتى
تطمئن النفس فأذا
اطمأنت نفس السالك
وفرغ من سياستها

فظهر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يجبر بما عنده . الرابع : أن لا يادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها ففعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على السائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السورى وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة غل فلبس رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان نرفع الحمل إلى داخل الدار قام السورى بعدو خلف الحمل فقبل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فاهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلًا كان بعض السكرام يجبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومسد يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحبون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراة لاسيا إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يشترك بفضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه التبة فالكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهيا أن نجيب دعوة من يياهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام الباهأة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فلهذا لا يرجع قضيق صدورهم وتنتلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرج به فإن كان بظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر يا كرامه قال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال عليه السلام « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي عن رسول الله ﷺ قام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [٢] ولم يلم الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى السائدة قيل للأوزاعي رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا الثاني أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه نقص فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليدرك بحسن [١]

أشهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس واتقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب يشرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس المردين والطالبيين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والمرید من وجه التألف الإلهي قال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس المریدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : الأطال شوق الأبرار إلى لقائي وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشي وحديث إن الرجل ليدرك لم يخرجهم المراقى .

خلقه درجة المائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم يبق قال فالتقدر أمسحها قال قد غسلتها فانصرف بحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دناه صبي إلى دعوة أياه أربع مرات فرداه الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطيبا لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه نقوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الإكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذ انزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرجا يترجم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة ^(١) » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله القام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ^(٢) » .

(فصل يجمع آدابا ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة ^(٣) وأسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتش ونشرب ونحن قيام ^(٤) . ورؤى بعض الشايخ من التصوفة المروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أمتحى أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكاف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعاتات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة الرزوة وفرط الشرة ويقدم ذلك في الشهادة ومن يلقى ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غذاه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم يفت اللحم والتريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الأليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء ومنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولين تستشفى النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسملك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالعداء

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فإذا دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى . كامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كنانا كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتش ونشرب ونحن قيام وصححه . وحبه

الصاحب والصاحب
يصير المرید جزء
الشیخ كما أن الولد
جزء الوالد في الولادة
الطبیعة وتصور هذه
الولادة آتفا ولادة
مضوية كما ورد عن
عيسى صلوات الله عليه
لن يبلغ ملکوت
السما من لم يولد مرتين
فبالولادة الأولى يصير له
ارتباط بعالم الملك وبهذه
الولادة يصير له ارتباط
بالمملکوت قال الله
تعالى . وكذلك نرى
لإبراهيم ملکوت
السماوات والأرض
وليكون من اللوقین .
وصرف اليقین على
الکمال يحصل في هذه
الولادة وبهذه الولادة
يستحق میراث الأنبياء
ومن لم يصله میراث
الأنبياء ما ولد وإن
كان على کمال من
الفطنة والذكاء لأن
الفطنة والذكاء نتيجة
العقل والعقل إذا كان
يأسا من نور الشرع
لا يدخل للملکوت

وليكرر العشاء ويلبس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمك [١]. وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء صفه الى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتية ولا تأكل كل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشرب من دواء إلا من علة ولا تأكل كل من الفاكهة إلا نضجها ولا تأكل كل طعام إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول وإذا أكلت بالتهار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب فقد تعدت تمش تمش يعني تعدد كما قال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أي يتمشط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد التهرما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الجبر : قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة (١) والعرب تقول ترك الضام يذهب بشحم الكافة يعني الآية وقال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أي تغذى إذ به يبقى الحلم وبزول الطيب وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فم هي قال من أكل كل باب البروصفار العز وأدهن بجم بنفسج وألبس الكتان . الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من الكسوة وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبييا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا أكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر (٢) » يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يعمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فأحموا إليهم ما يأكلون (٣) » فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما هيأ للتواضع والعينات عليه بالبكاء والجوع فلا ينبغي أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظام فإن أكره فليقل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكبي شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكي على الأكل فقال إما أن آكل وأخلى التزكية أو أزكي ولا آكل فلم يجذوا بدا من تزكيتهم فتركوه . وحكى أن دا النون المصري حبس ولم يأكل أياما في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاما من مغز لها على يد السجان فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بسد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظام وأشار به إلى يد السجان وهذا غاية الورع . الثامن : حكي عن فتح الوصل رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا ، قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبييا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فأحموا إليهم ما يأكلون د ت . من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن وابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى اللسكوت والملك ظاهر الكون واللسكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبت أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من ترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فهذا للمعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول المرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لو قوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن في الولادة الطيمية فترات الأولاد في صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السمك ليس موجودا بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليتأمل اهـ .

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه (١) سوى اللبن فلتشرب اللبن واشتربت قمرًا جيبًا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جبر أنديرون لم قلت افتر طعمًا علينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أنديرون لم يقل لي كل لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أنديرون لم حمل حايي لأنه إذ أصبح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو طي الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوفد فيها ألف سراج فقال لمرجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لتعير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو طي الروذباري أحمالاً من السكر وأمر الخلاويين حتى يتواجدوا من السكر عليه شرف ومحارِب على أحمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها واثبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل كل على أربعة أنحاء الأكل باصبع من التفت وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة (٢) وبأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تهوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة القسل من غير جماع ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهمة وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تقوى البصر الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الحضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى اللصوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصاغير وأكل الأطرغل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء قوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اليمن وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهمهم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك . ومجالسة الصالحين والعناء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضاً عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئاً أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه عجری ولا ترجع العقول عن أوائل بداعتها إلا والله حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى في تنوالي عليهم اختياراً وقهراً ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الخراب جبراً واستبقى بها نسلهم إقهاراً وقسراً ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدراً حرم بسببها السفاح وبالغ في تقييده ردعاً وزجراً وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرنا إمرأون بدين إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرنا فبسبحان من كتب اللوت على عباده فأذهلهم به هدماً وكسراً ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقاً وجعله لكسر اللوت جبراً تنبهاً على أن يحار القادير فياضة على العالمين نعماً

(١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل

(٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفاً كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

بمدد كل ولد ذرة وهي القرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بالست بربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى بيطن نمان بين مكة والطائف فسالت القرات من مدام جسده كما يسيل العرق بمدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ القرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فينقطع نسله وهكذا المشايخ فمنهم من تكرر أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من نقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا عهد أبتر لانسـ له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإندار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حسرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحسن دون عدوانه حين وسبب للتكثير الذي به مباحها سيد المرسلين لسائر النبيين لما أحراه بأن تحرى أسبابه وتعظم سننه وآدابه وتشرح مقاصد موآرأه وتفضل فصوله وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني . في الآداب المرعية في العقد والمآقين . الباب الثالث : في آداب العاشرة بعد العقد إلى الفراق (الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تنق النفس إلى النكاح نوقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زمانها هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن تقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم تشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحوا من أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من النكاح ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجماع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لتضيء البصر وأما عيسى عليه السلام فانه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **بسنق** « النكاح سنق لمن رغب عن سنق فقد رغب عنى » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنق لمن أحب فطرق فليسنق بسنق ^(١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط ^(٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سنق فليس منى وإن من سنق النكاح لمن أحبني فليسنق بسنق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ^(٤) »

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سنق لمن أحب فطرق فليسنق بسنق أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنق فليس منى وإن من سنق النكاح لمن أحبني فليسنق بسنق متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنق فليس منى وبقائه تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ولقد ارى في مسنده والبقوى في معجمه وأبي داود في الراسيل من حديث أبي نجيع من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيع اختلف في محبته

شأنك هو الأبر -
والافضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باقى
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة المضيوية يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردى إملاء قال
أنا أبو عبد الرحمن
للأبى قال أنا أبو
الحسن الداودى قال
أنا أبو محمد الحموى
قال أنا أبو عمران
السرقي قال أنا
أبو محمد الدارمى قال أنا
نصر بن على قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رجاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي الدرداء في
مسجد دمشق فأناه
رجل فقال يا أبا الدرداء
إني أتيتك من مدينة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
يلخى عنك أنك تحدثه
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجه هو عبارة عن رض الحسنيين للفحل حتى تزول فعولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أناكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا تمثيل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أجرز شطر دينه فليثق الله في الشطر الثاني ^(٥) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان القصد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كنى بالتزويج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعوه ^(٦) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فيبين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نكح الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جله من النكاح وتسميته ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النكاح إلا بخراف القلب ولذلك كان يجمع غلته لما أدركوا عكرمة وكريما وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحتم فان العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطمونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أنهم رأيا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(ﷺ) يخدمه ويبسب عنده لحاجة إن طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأقطع عن خدمتك فكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقريني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتنكم قال قلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أناكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة ونقل عن خ أنه لم يعمده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه د في الراصيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أجرز شطر دينه فليثق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في الملل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي المستدرک وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعوه م من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ
جاء بك تجارة قال لا
قال ولا جاء بك غيره
قال لا قال صحت
رسوله الله صلى الله عليه
وسلم يقول « من سلك
طريقا يلتبس به علما
سلك الله به طريقا
من طرق الجنة وإن
الملائكة لنضع أجنتها
رضا لطالب العلم وإن
طالب العلم يستغفر له
من في السماء والأرض
حتى الحيتان في الماء
وإن فضل العالم على
العابد كفضل القمر
على سائر النجوم وإن
العلماء هم ورثة الأنبياء
إن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما إنما
أورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظه أو بحظ
وافره فأول ما أودعت
الحكمة والعلم عند آدم
أبي البشر عليه السلام
ثم انتقل منه كما انتقل
منه النسيان والصبيان
وماتدعو إليه النفس
والشيطان كما ورد إن
الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة (١) . وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويعتجل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لني زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لني من السنة فأعتم العابد بالسمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكني قير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجهك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال جبر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولنيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه لما قيل له إن الناس يشكمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك السنة فقال قولوا لحم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن - بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه رأى في المنام قبل له ما فعل الله بك فقال رفعت منزلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل التأهلين وفي رواية قال ما كنت أحب أن تلقاني عزيا قال قتلنا له ما فعل أبو نصر النار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا قد كنا نراك فوقه قال يصبره على بنياته والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنافيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كنفضل المجاهد على القاعد وركمة من متأهل أفضل من سبعين ركمة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال **عليه السلام** « خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعمونه بالفقر ويكفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فهلك (٣) » وفي الخبر « قللة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين (٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح قال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبت على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمى في حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعمرون بالفقر ويكفونهم ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قللة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال الزنى كلاهما بالشرط الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظراته إليها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - ائطاطوا أو كرها قلنا أئينا طاعتين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصة منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخطيئة في أكثر الأقاويل فتطرق لقلبه الفناء وبأكرام الله إياه بنفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته وثقت

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغل به أهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تظاهر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان المدايني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير المنزل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والقصود بإبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر والأثني في التمكين من الحرث تطلقا بهما في الساقية إلى اقتناس الولد بسبب الوقاع كاللطف بالطير في بث الحب الذي يشبهه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السبلات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لمعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الشبهة وحققت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . الأول موازنة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجاهيل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهياكله أرضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة وكل به من يتقاضاه عليها فإن تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للعتاب واللعاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهياكلها في الأنثيين عزوقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثيين فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وبإباح السر فكل مجتمع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات العدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلق المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم القصرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوادين فالناكح صاع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - فإن قلت : قولك إن بقاء النفس والنفس محبوب يوم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاءهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال
العلم والحكمة بالقسوة
صار ذا نفس منقوسة
وبنفع الروح صار ذا
روح روحاني وشرح
هذا يطول فصار قلبه
معدن الحكمة وقالبه
معدن الهوى فانتقل
منه العلم والهوى وصار
ميراثه في ولده فصار
من طريق الولادة أبا
بواسطة الطباع التي هي
معدن الهوى ومن
طريق الولادة للنوبة
أبا بواسطة العلم فالولادة
الظاهرة تطرق إليها
الفناء والولادة الضمنية
محبة من الفناء لأنها
وجدت من شجرة الخلد
وهي شجرة العلم لاشجرة
الخنطة التي سماها إبليس
شجرة الخلد فإبليس
يرى التي بضد فبين
أن الشيخ هو الأب
معنى وحكيما كان
شيخنا شيخ الاسلام
أبو النجيب السهروردي
رحمه الله يقول ولدى
من سلك طريقى
واهتدى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي بإضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها
ولكن المحبة والكرهية يتضادان وكلأهما لا يضافان إلا إرادة قرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي
مكروهة وهي مع الكراهية مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
والشر فلا قول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
يكون الفناء بالاخافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كترددى في
قبض روح عبدى السلم هو يكره الموت وأنا أكره مسأته ولا بدله من الموت (١) » قوله لا بدله
من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكر في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي
قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولانقضية بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -
وبين قوله « وأنا أكره مسأته » ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة
والكرهية وبيان حقائقها فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكرهتهم
وهيات فينبى صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا
صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلية في علم الكاشفة ووراء سر القدر الذى منع
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
والإحجام عنه فإن أحدهما مضيع نسل أدام الله وجوده من آدم عليه السلام بعد عقب إلى أن انتهى
إليه فالمتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
فما أتى لأعقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ فى الطاعون
زوجونى لألقى الله عزبا . فإن قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فواجبه رغبته فيه .
فأقول الولد يحصل بالوقوع ويحصل الوقوع بياض الشهوة وذلك أمر لا يدخل فى الاختيار إنما العلق
باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع فى كل حال فمن عقد قد أدى ما عليه وفعل ما إليه
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا فإن نهضت الشهوة خفية لا يطلع
عليها حتى إن المسحوق الذى لا يتوقع له ولد لا يقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب
للأصغر إمرار الموصى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والانضباط
فى الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلال للفقار فصار الاقتداء والتشبه بالدين أظهر وأجل
سنة فى حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث
وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك
لا تخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبى على شدة إنكارهم ترك النكاح مع قور
الشهوة . الوجه الثانى السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكثير ما به مباحاته إذ
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار فى
مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصر فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت فى شيء كترددى فى قبض روح عبدى السلم يكره الموت
وأنا أكره مسأته ولا بدله منه خ من حديث أبى هريرة انفرد به خالد بن مخلد القطوانى وهو
مشكك فيه (٢) حديث لحصر فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد أبو عمر التوفانى فى كتاب معاشره
الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا .

الذى يكتسب بطريقة
الأنحوال قد يكون
مأخوذا فى ابتدائه فى
طريق المحبين وقد
يكون مأخوذا فى طريق
المحبوبين وذلك أن أمر
الصالحين والسالكين
يتقسم أربعة أقسام
سالك مجرد ومجذوب
مجرد وسالك متدارك
بالجذبة ومجذوب
متدارك بالسلك
فالسالك المجرد لا يؤهل
للمشيخة ولا يسلطه البقاء
صفاته نفسه عليه
فيقف عند حظه من
رحمة الله تعالى فى مقام
للعامة والرياسة ولا
يرتقى إلى حال يروح بها
عن وهج للكبد
والمجذوب المجرد من
خير سلوك يادته الحق
بآيات اليقين ويرفع
عن قلبه شيئا من
الحجاب ولا يؤخذ فى
طريق العامة وللعامة
أمر تام سوف تشرحه
فى موضعه إن شاء الله
تعالى وهذا أيضا
لا يؤهل للمشيخة ويقف

وقال « خير نسائك المولود الودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحسين وغيض البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعوله كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيا إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسنياته فانه لا تزر وأزرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أى ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا فى إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له غنيا قدروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنتا أى ممتلئا غيظا وغضا » ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة (٦) » وفي خير آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون قأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تغلوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نسائك المولود الودود البيهقى من حديث ابن أبى أديع الصدقى قال البيهقى وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور رويناه فى الأربعين للشهورة من رواية أبى هذبة عن أنس فى الصدقة عن الميت وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته وكلاهما ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك م من حديث أبى هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنتا أى ممتلئا غيظا وغضا ويقول لا أدخل إلا وأبواى معى الحديث حب فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حق يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ الممول عليها مانعه قلت : ولأبى يعلى بسند ضعيف ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء المولود فإنى مكاتركم بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبى موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتنى لاتلد أفأ تزوجها ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها نفسه فقال يا رسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونحرها أعجبتنى لها وعمرها أفأ تزوجها ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شجرت أنى مكاتركم بكم الأمم سنده ضعيف .

عند حظه من الله مروا بحاله غير مأخوذ فى طريق أعماله ماعدا الفريضة والسالك الذى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والكاينة والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج للكاينة إلى روح الحال فوجد العمل بعد العلقم وترويح بنسبات الفضل ويرز من مضيق للكاينة إلى متسع المساهة وأونس بنفحات القرب وقبح له باب من للشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت إليه القلوب وتوالى عليه فتوح القرب وصار ظاهره مسندا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيقلب ولا يضب ويغترس ولا يغترس يؤهل مثل هذا الشيخة لأنه أخذ فى طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظار من النار^(٢) » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان^(٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فأتته من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فستل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلاق في الوقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلاق في شدة العطش والسكر ففتح كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكر الناس فمدت يدي إلى أحدهم وقلت استغنى قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأتوا حركم أني شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا لهولاء . الفاعلة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليثق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصم بالصوم فان الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالتكاح كاف لشغله دافع لبطه وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كإلزام مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصوداً في ذاته بل الولد هو المقصود بالبطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإلهاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقاً لا ينفع فهو رغب العنين في لذة الجماع أو العصي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثاً على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التمية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء يبقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلاق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلاً يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظار من نار البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إنه مات لي اثنان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار بحظار شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنع حالا من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوبا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال التوكل يقف عند حظه وهو حظ واخرسني والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقام الأكمل في الشبهة القسم الرابع وهو المجدوب للتدارك بالسلوك يادته الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار للشاهدة وينشرح وينفس قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم

الواصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومحاسنها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاح بسبب دفع فائقة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تخملوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فنفايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيخض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمر الوقوع ولا يفتقر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرضه ذلك في أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقوع ما لو صرح به بين يدي أحسن الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذهمنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى - ولا تحملنا مالا طاقة لنا به - هو القلة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضيقا - إنه لا يصبر عن النساء وقال قياض بن نجيع إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شرفا سقى إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولادين وهي مع أنها سالحة لأن تكون . باعثة على الحيائين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكن » (١) وإنما ذلك لميجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شرمي وبصري وقلبي وشرمني » (٢) وقال « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي » (٣) فما يستفيد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا في معاملة غفرت على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالي إلا نفذته فاستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي مصيبة وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا قال وأنت أيضا لو جمعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عيفك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنب يقول أححتاج إلى الجماع كما أححتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر شرمي وبصري وشرمني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هو في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

من باطنه على
ظاهره وتجري عليه
صورة المجاهدة والمعاملة
من غير مكابدة وعناء
بل بلاذة وهناء ويصير
قلبه بصفة قلبه
لا امتلاء قلبه بحب
ربه ويلين جلده كما
لان قلبه وعلامة لين
جلده إجابة قلبه للعمل
كاجابة قلبه فيزيده
الله تعالى إرادة خاصة
ويرزقه محبة خاصة
من محبة المحبوبين
المراد من يتقطع فيواصل
ويعرض عنه فيواصل
يذهب عنه جمود
النفس ويصطلى
بحرارة الروح
وتنكشف عن قلبه
عروق النفس قال الله
تعالى - الله نزل أحسن
الحديث كتابا متشابها
مثاني تتشعر منه
جلود الدين ينخشون
رهبهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
أخبر أن الجلود تلين
كما أن القلوب تلين
ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجمع أهله ^(١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبه فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها ^(٢) وقال عليه السلام « لا تدخلوا على النفيات وهي التي غاب زوجها فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم ^(٣) » قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يخطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يقتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء ^(٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيض نكاح الأمة عند خوف الفتنة مع أن فيه إرقاق الولد وهون نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك قال ابن عباس إن العالم بعزلة الوالد إنما كنت أفضيت به إلى أيك فأفض إلى به فقال إني شاب لازوجة لي وربما خشيت الفتنة على نفسي فربما استمنييت يدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال آفآ وتفت نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب القلم مردد بين ثلاثة شروء أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمناح باليد وأفحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منها لأنهما محذوران يفرع إليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطفلة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد للتأكل من الحشرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يميم الكل بل الأكثر قريب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينضم هذا الباعث في حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للمسوح وهو نادر ومن الطباع ما تعلب عليها الشهوة بحيث لا تحسن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجمع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أمائل أفعالكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النفيات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بمديوى هذا على منية إلا ومعه رجل أو ثمان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم رواه خ .

حال المحبوب للسراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السبيل إلى القلب قيل له يهرم عليك ولكن السبيل لك في مجارى المروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فإذا دخلت المروق عرفت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة للترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيباً أو ولياً قلعت تلك المروق من باطن قلبه فيصير القلب سليماً فإذا دخلت المروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحبوب للراد الذي أهل للشيخه سلم قلبه وانشرح صدره ولأن جلده صار قلبه بطبع الروح وتفسه بطبع القلب ولأن النفس بعد أن كانت أماراً بالسوء مستحبة

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام «للحسنة أشبهت خلقي وخلقى» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «حسن مني وحسين مني» (٢) قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة ثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر الملة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلّة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجاسة والنظر واللعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تقور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت الدائمة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذارت وحّت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويغنى القلب وينبغي أن يكون للنفس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا أكرهت عميت وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات» (٣) ومثله بلفظ آخر «لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمّة لمعاش أو لذة في غير محرم» (٤) وقال عليه الصلاة والسلام «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سقى فقد اهتدى» (٥) والشرّة الجذو والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجم نفسى بشئ من الله لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال «شكوت إلى جبريل عليه السلام ضغني عن الوقوع فدلىني على الهريسة» (٦) وهذا إن صح لا عمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استئثاره للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنس وقال عليه الصلاة والسلام «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة» (٧) فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب إتهاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبهت خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جعيفة والترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني علي أحمد من حديث القناد بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمّة لمعاش أو لذة في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سقى فقد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو والترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضغني عن الوقوع فدلىني على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والقبلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأردى في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال القبلي باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة لمن حديث أنس بإسناد جيد وضعفه القبلي .

ولأن الجلالين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقاليية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً فند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون ميطراً على الحال لا الحسالة ميطراً عليه ويصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ في طريق المحيين حر من رقي النفس ولكن ربما كان باقياً في رقي القلب وهذه

وهي خارجة عن القاعدتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحوق وعن الشهوة إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك : وأنما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى طلاء الجارية والحضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فلينبه له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكس والغرض وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ لطلب العلم والعمل فالمرأة الصالحة الصالحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنهفات للمعيشة ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتنا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولو لسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته (١) » فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى - فلنحيينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن من غنا لا يحمي منه ومن غنا لا يحمي منه وقوله لا يحمي أي لا يتنازع عنه بمطاء وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونًا له على العصية وأزواجي أعوان لي على الطاعة وكان شيطان كافرًا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير (٢) » فمدعاوتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي صدتها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى أمرين بل الجمع ربما ينقص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل المعاشات فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق أهل البيت والصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يمتاز منها من يعتز خيفة من القصور عن القيام بحقوقها والافتقار إلى الله تعالى عليه الصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قلبه ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته (٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولسانًا ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين كانت زوجته عونًا له على العصية وأزواجي أعوان لي على الطاعة وكان شيطان كافرًا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القناني قال ابن عدي كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بعقرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته طب وهو من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مائة فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

الشيخ في طريق
المحبوبين حر من رق
القلب كما هو حر من رق
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظلماتي أرضي
أعتق منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مماوى أعتق منه
الآخر فصار له لا قلبه
ولموقعه لا لوقعه فبعد
الله حقًا وآمن به صدقا
ويسجد لله سواده
وخياله ويؤمن بفوائده
ويقر به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف
عن العبودية منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
 لعبادة الملائكة - وقد
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلا لهم بالقدوة
والآمال فاقواله هي
الظلال الساجدة لظلال
الأرواح القريبة في عالم
الشهادة الأصل كشف
والظل لطيف وفي عالم
الغيب الأصل لطيف
والظل كفيف فيسجد

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل على أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تملكون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمس بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمس بالعيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض التابعين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكما نزل واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الآخرون نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخطت أن أسألم هبة من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاماً فقلت له يا هذا من هذا المشوم الذي توهمون إليه فقال أنت قلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فندجعة أمرنا أن نضع عملك مع الخائفين لما ندرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما أنت متعاقب لي به في الآخرة فصجل لي في الدنيا قال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولها من حديث سعد بن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمس بالعيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى يرضين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدينهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

لطيف البعد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق المحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويعتلى بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثرت العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فإذا تمت القوالب باقية فالعلم باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ الطلق والعارف الحقير المحبوب المتقي نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالذواقل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمياً وبصراً وبدا ومؤيداً بي ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويعنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

قزوت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان للفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خباثات النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على البéal مع أن الرياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يصد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بربهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا تمتدّ خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فإن الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائده أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب العايش فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك أهله والمتمزب في أمن من ذلك وأما التزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر « إن العبد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه حق . يستغرق تلك اللطافات كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي لللائكة هذا الذي أكل عياله حسنة في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذ لنا بحقنا منه فانهاعلمنا ما نجعل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال ينفي به وبأهله وكان له من القناعة ما ينمعه من الزيادة فإن ذلك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من الباحات باحتطاب أو اصطيد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزوج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق مثل الحمار يرى الأمان فلا يبتغي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : القصور عن القيام بمقتضى الصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق منع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول (٣) »

(١) حديث إن العبد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقوت وهو عند م بلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يشبه به]

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما الخادم يدخل في الجنة راعيا في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدي لإيصال الراحة ويفرغ خاطر القلبين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويغفل ما يغفل الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كأنني أنفستنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أماراة بالسوء إن كثرت كثرت الأمار بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .

لن يسع الفأرة جعرها علفت المكس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن أى من القيام بحقوقهن ومحمصين وإمتاعهن وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعيل أطلع وكان سفيان يقول :

ياخذنا العزبة والفتاح ومكن تحرقه الرياح لا صخب فيه ولا صباح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقوقهن يتفادى عن زللهم ويدارى بعقله أخلاقهم والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهى دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحن تديب العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغوم على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء وموانستن والامعان فى التمتع بهن وبشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقض الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتسكّر فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم ينج منه شئ وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ويعرض المرء عليه نفسه فإن اتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجرد فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير للنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن اتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الطالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك القائمة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى نقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت قائمة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يبنى بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم يفعل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الشيء لله فالشيخ
فى مقام القرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتفاق من الأغيار
للأغيار ووظيفة وقتها
تصديقه لخدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
ويرجحه على نوافله
وأعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحسب نفسه شيخة لقلة
العلم واندراس علوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كثير من
الفقراء من الشايخ
باللحمة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالمشيخة ولا يملون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح للولد سعى في طلب حياة للولد موهومة وهذا قصار في الدين ناجز لحفظه
لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين
بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا
انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجسم التقوى
رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائما
وفيه عصيانا وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يغصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن
إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الغنى أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إضفاء النظر إلى مصيبة الفرج
فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن
لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الغنى أقرب وإنما
يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فكذا ينبغي أن توزن
هذه الآفات بالفوائد ويعلم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشكك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فإن قلت فمن أمن
الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من
التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب
الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواظبة على
العبادة من غير استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت
سوى أوقات الكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فإن كان المجل بمن لا يسلك سبيل الآخرة
إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
والقيام بالأهل والسعى في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها
عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك
النكاح أفضل . فإن قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق
من قدر ومن قوت مته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة ^(١) متخليا لعبادة الله وكان قضاء
الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم
عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم غير غافلة عن مهماتهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ^(٢) ومتى سلم مثل هذا النصب لغيره فلا يبعد أن
يغير السواقي ما لا يغير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
فانه أخذ بالحزم لانه القوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة خ من حديث أنس وله من حديثه أيضا
وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته خ من حديث أنس
بأن سلة لا تؤدى في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة
ابن الحافظ أبي الفضل
محمد بن طاهر القيسي
عن أبيه قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله القرني قال
حدثنا أبو الحسن محمد
ابن الحسين بن داود
العلوي قال حدثنا
أبو حامد الحافظ قال
حدثنا عباس بن محمد
الدوري وأبو الأزهر
قالا حدثنا أبو داود قال
ثنا سفيان عن
الأوزاعي عن يحيى بن
أبي كثير عن أبي سلمة
عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتى
بطعام وهو بمكة
الظهران فقال لأبي بكر
وعمر كلا فقالا إنا
صائمان فقال ارحلا
صاحبكما اعملا
صاحبكما ادنوا فكل
يعني أنكما ضعفتما
بالصوم عن الخدمة
فاحتجبا إلى من
يخدمكما فكلوا واخدما
أخسكما فالخادم يحرم
على حيازة الفضل

معيها طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخل للعبادة فأثر التخل للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكسب وأخلاق النساء وما على النكاح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فتحقق أن تنزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركانها وشروطه لينتقد وينقد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت نيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن يزوجه غير الأب والجد . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقياد للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١) ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التعميد بالإيجاب والقبول فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتعميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطاب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزيد بالزيبان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضی الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما للنكوة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يعتبر فيهما للحل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوبة للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زندقية لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباضية فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا بحكم بكفر معتقدة . السادس أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدت كلنا الحاصلتين لم يحل نكاحهما وإن عدت النسب فقط فقيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والناكح حرا قادرا على طول الحرة أو غير خائف من العنت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك عين . التاسع أن تكون قرية للزوج

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد)

(١) حديث النبي عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيقوصل بالكسب تارة وبلاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تغليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نية ما رغبت في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجيد يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو أصوله أو أصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعي
بالأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم
وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة
بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس
رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح
ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئها أو وطئ بشبهة في عقد أو وطئ أمها
أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء
أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثاني عشر : أن تكون النكحة خامسة أي يكون تحت
النكاح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة .
الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل
شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع
بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يطأها زوج
غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لا عنها فاتها تحرم عليه أبدا بعد
اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بهج أو محرمة أو كان الزوج كذلك فلا ينقصد النكاح
إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ .
الثامن عشر : أن تكون بتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فانهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد
في زماننا فهذه هي اللوائح المحرمة . أما الحصول للطبقة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليوم العقد
وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون
قرابة قرية . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فاتها إن
كانت ضيفة الدين في صيانة نفسها وفوجها أرزت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة
قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء وعنة وإن سلك سبيل التساهل
كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأئفة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها
أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها فقال إني أحبها قال
أمسكها (١) وإما أمره بامساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها
فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك
ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكنت ولم ينكره كان شريكا في المصيبة مخالفا
لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها
(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها
الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث
منكر وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعقد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من
المحرمت اه .

السرى يقول أعرف
طريقا مختصرا قصدا
إلى الجنة فقلت له ماهو
قال لا تسأل من أحد
شيئا ولا تأخذ من أحد
شيئا ولا يكن معك
شيء تعطى منه أحدا
شيئا والخدام يرى أن
من طريق الجنة
الخدمة والبذل والإيثار
فيقدم الخدمة على
التوافل ويرى فضلا
والخدمة فضل على
النافلة التي يأتي بها
العبد طالبا بها الثواب
غير النافلة التي يتوخى
بها صحة حاله مع الله
تعالى لوجود عقد
قبل وعد . وما يدل
على فضل الخدمة على
النافلة ما أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ المقدسي
قال أنا أبو بكر محمد بن
أحمد السمسار
بأصفهان قال أنا
إبراهيم بن عبد الله
ابن خرشيد قال
حدثنا الحسين بن
إسماعيل الحمالي قال

ودينها فليكن بذات الدين تربت يداك^(١) وفي حديث آخر «من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها وجمالها ومن نسكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ولا لمالها فلعل مالها يطمسها وانكح المرأة لدينها^(٣)» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القراغة والاستعانة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة لئتم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يعتجن به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة لأنانة ولا مائة ولا خاتنة ولا تنكحوا احداً قولا براقة ولا شداقة . أما الأنانة فهي التي تكبر الأبن والتشكى وتصب رأسها كل ساعة فكاح للمرأسة أو نكاح الممارسة لاخبريه ، وللنائة التي غنى على زوجها فتقول فلت لأجلك كذا وكذا ، والخنائة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحادقة التي ترى إلى كل شيء عذيقاً فتنسبه وتنكف الزوج شراً ؛ والبراقة تحمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تعصب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة عمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة للتشداقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام « إن الله تعالى يفيض الثرائين للتشدين^(٤) » وحكى أن السامع الأزدى لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والبارية والماهرة والناشر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والماهرة الفاسقة التي تعرف غليل وخذل وهي التي قال الله تعالى - ولا متخذات أخدان - والناشر التي تعاول على زوجها بالفعال والقول والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحسن والطبع لا يكتفى بالديممة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفرقان وما قلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فليكن بذات الدين مثق عليه من حديث أنى هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لمزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بركة الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يطمسها ودينها من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتضيقون ، ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها .

ثنا أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية قال
ثنا عاصم عن مورك
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الصائم
ومنا للقطر فزلنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحر لنا من يتقى
الشمس يده
وأكثرنا ظلاً صاحب
الكساء يستظل به
فنام الصائمون وقام
القطرون فضربوا
الأبنية وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « ذهب
القطرون اليوم بالأجر »
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافقة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة بطلب الناس
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الألف واللوثة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر قال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ^(١) » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والبشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن ^(٢) » قيل كان في أعينهم عشي وقيل صغر وكان بعض الورعين لا يتكحون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخروه ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من القبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبيته شابا فأوجسه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصبيها أتيا أهل بيت من العرب غطبا إليهم فقيل لهما من أتيها قال بلال أنا بلال وهذا أخي صيب كنا خالين فهدانا الله وكنا عموكين فأعتقنا الله وكنا عاتلين فأغنا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسيحان الله قالوا بل تزوجنا والحمد لله فقال صيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواها مع رسول الله ﷺ فقال اسكت قد صدقت فأنكحك الصدق ، والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستقصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في التثاء ولا يهسدها فيقصر بالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف للتكومات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه يقتصد بل الخداع والاعتراف أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديسين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إشارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشبهى عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال تزوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون حبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هي العاشقة لزوجها المشبهة للواقع وبه تم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعناء الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نساءكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم جهواه في بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الخدمة والتناء من الخلق مع ما يجب من الثواب بورضا الله تعالى وزجرا خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخاصمه في حق من يلقاه بمكره ولا يراعى واجب الخدمة في طرفي الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخدم لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والغضب ولا يأخذه في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذا الشخص الذي وصفناه آتفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسleme دون قوله فإنه أحرى ولا ترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة للهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهي عن المبالاة في المهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه عديدين من شعير^(٥) وعلى أخرى عديدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المبالاة في الصداق ويقول مات تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم^(٧) ولو كانت المبالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن السيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما » أى الولادة « ويسر مهرها^(٩) » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكانت المرأة في المهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نسائكم التى إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النساء من حديث أنى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالقه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأنى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقتها وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النبى عن المبالاة في المهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بث معها بخيلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه عديدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يحىء بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأنط والسمن وليس في شيء من الأصول تفيد التمر والسويق عديدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن المبالاة ويقول مات تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أيسرهن

الحادم والتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والتخادم النجيب يبلغ ثواب الحادم في كثير من تصاريخه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال بصره أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلا تقطع رفقه ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكثربه ويقم به جاء نفسه بكثرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرم نهاره وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزنا بغير رى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى القابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فية طلب الزيادة فاسدة فأما التهادى فستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولأعني تستكثر - أى تملطى لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود الودود» (٢) فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإراعى معها وشاؤها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكرًا اتلاعها وتلاعبك» (٣) وفي البكرات ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الولد وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطباع مجبولة على الأنس بأول ما لوف . وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألقتة فتقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج فقرة ما وذلك يتقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد قنورا . الثالثة أنها لا تنح إلى الزوج الأول وآ كد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فانها تستر بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدية لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «ياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبوت السوء» (٤) وقال عليه السلام «تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقتل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا» (٦) أى نحيفا وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما العمود الذي دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكرمه فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أوضف دينه أو قصر عن القيام بعبادتها أو كان لا يكافئها

صداقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرًا اتلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث ياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبوت السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لنطفكم فإن العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس وروى أبو موسى التديني في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر في أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس وكلاهما ضعيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجده له أصلا معتمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا في النوايح رواه إبراهيم الحارثي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الفرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا .

بطلب المخطوط ويستولى عليه حب الرئاسة وكلما كثرت مواردها كثرت واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلى التعلق بالمرطلة طلبا لرزاقه وتوقيا لضيعة وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخدما ومع ذلك كله ربما نال برحمتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبإتائهم إليهم وقد أوردنا الخبر السند الذي في سياقهم وهم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم والله الوفاق واللعين .

[الباب الثاني عشر في شرح خرقه الشايع الصوفية]

لبس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد ونحكهم من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم مانع في الشروع لمصالح دينوية

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رقي فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة (١) » والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا يخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظلما أو فاسقا أو مبتدعا أو شاربا خمر فقد جنى على دينه وتعرض لخطأ الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال بمن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها (٢) » .

الباب الثالث : في آداب العاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .
أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الولية والعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقوع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الولية وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولويشاة (٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به (٥) » ولم يرفعه إلا لزيد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنيته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف (٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفون ويندن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن * وفيما نبي يعلم ما في غد * فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها (٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رقي فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معاينة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب العاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به قال المصنف لم يرفعه إلا لزيد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنية الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفون الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم بعث وهو وهم .

فإذا ينكر النكاح
لبس الحرقة على طاب
صادق في طلبه يتقص
شيخا بحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لصالح دينه يرشده
ويهديه ويعرفه طريق
للايجاد ويصمره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
العدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبسه الحرقة
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقة
علامة التفويض
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
 وإحياء سنة المبائة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البزار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي يميمي قال ثنا يحيى
ابن محمد بن صاعد

واحتمال الأذى منهن ترحمنا عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجانب - قيل هي المرأة « وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلى لسانه وخفى كلامه جعل يقول: الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهن أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (١) » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كفى الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل (٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعنه وهو خير منك (٤) قال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعنه ثم قال لحفصة لا تغتري بأبنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك (٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أنتكلمين فقالت بل تكلم أنت ولا تغل إلا حقا فلفظها أبو بكر حتى دعى فوها وقال بإعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حذرا وكرما (٧)

(١) حديث آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلى لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم راجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحاق وقد نفعه .

قال ثنا عمرو بن طي
ابن حفظة قال سمعت
عبد الوهاب الثقفي
يقول سمعت يحيى
ابن سعيد يقول حدثني
عبادة بن الوليد بن
عبادة بن الصامت قال
أخبرني أبي عن أبيه
قال « يا بنارسول الله
صلى الله عليه وسلم طي
السمع والطاعة في
السرو واليسر والنشط
والسكره وأن لا تنازع
الأمر أهله وأن تقول
بالحق حيث كنا ولا
تخاف في الله لومة لائم »
ففي الحرقة معنى البايعة
والحرقة عتبة الدخول
في الصعبة والقصود
الكلية هو الصعبة
وبالصعبة يرجى للمريد
كل خير . وروى عن
أبي يزيد أنه قال من لم
يكن له أستاذ فإمامه
الشیطان . وحكى
الأستاذ أبو القاسم
القشيري عن شيخه
أبي علي الدقاق أنه قال
الشجرة إذا نبتت
بنفسها من غير غارس

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهبج اسمك ^(١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ^(٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير آفة لا أطلقك ^(٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ^(٤) وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ^(٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والضح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في المدو فسبته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك ^(٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكك الناس مع نسائه ^(٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آتبعين أن ترى لعبهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجهأوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حبيبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبيبك قتلتم فأشار إليهم فانصرفوا ^(٨) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله ^(٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي ^(١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .

(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فحجة النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير آفة لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منكم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالصبيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث سابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبته ثم سبقها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكك الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي إسناده ابن أبي عمير (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آتبعين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حمراء وسند صحيح (٩) حديث أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

لحافها تورق ولا شمر وهو كما قال ويجوز أنها شمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كبتها طعم فأكهة البساتين والفرس إذا تقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التلطيم في الكلب العلم وأحل ما يقتله بخلاف غير العلم . وضمت كثيرا من الشايع يقولون من لم يرمقها لا يطلع ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حق الخراءة » فالمريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته يبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً . وقال لقمان رحمه الله يبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلاً وفي تفسير الخبر المروي « إن الله يفيض الجعظري الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه . وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتق قيل العتق هو النطق اللسان الغليظ القاب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعها وتلاعبك (٢) » ووصفت أعراية زوجها وقدمات قالت والله لقد كان ضحوكاً إذا ولغ سكيناً إذا خرج آكلاً ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والواقفة باتباع هواها إلى حد يفقد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والانقباض مهما رأى منكراً ولا يفتح باب الساعدة على المنكرات ألبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تتمر وامتنع قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيأتهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قل عليه السلام « نفس عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبيدها وقد نفس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدياً فقال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً وإن أرخت عذارها قرأ جذبتك ذراعاً وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج غلظك بدينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يملن بناتهن اختبار الأزواج وكانت المرأة تقول لا تبنتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه الزمى زوج رحمه فإن سكت قطعني اللعم على ترسه فإن سكت فكسرى العظام بيته فإن سكت فاجملى إلا كاف على ظهره وامتيطيه فأنما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والواقفة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسيامة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب (٤) » والأعصم يعني الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابى اتق المرأة السوء فإنها تشييك

(١) حديث إن الله يفيض الجعظري الجواظ أبو بصير بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبزكم بأهل النار كل عتق جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث نفس عبد الزوجة لما قفله على أصل والمعروف نفس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرا الظهران فإذا بغيران كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغرابان وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأديب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع فائس الحال وينقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالأناف الإلهي يصير بين صاحب والمصحب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأديب بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب واتفق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام «استعينوا من الفواقير الثلاث»^(١) وعدن من المرأة السوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر «إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك» وقد قال عليه السلام في خيرات النساء «انكن صواحبات يوسف»^(٢) يعني أن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه^(٣) وقال عليه السلام «لا يطلع قوم عليكم امرأة»^(٤) وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فيهن سر وفيهن ضعف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في العيرة وهو أن لا يتفاضل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا تخالفه رجالان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره^(٦) وفي الخبر للشهور «للرأة كالضلع إن قومته كسرته فدمه تستمع به على عوج»^(٧) وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من العيرة غيرة يفضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية»^(٨) لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن إثم وقال علي رضي الله عنه لا تسكر العيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما العيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يبارر المؤمن يبارر غيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه»^(٩) وقال عليه السلام «أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني»^(١٠)

(١) حديث استعينوا من الفواقير الثلاث وعدمهن للمرأة السوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر إن دخلت عليها لسبتك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقير وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والرائان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يطلع قوم عليكم امرأة البخاري من حديث أبي بكره نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا تخالفه رجالان فسبقا إلى منازلها فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت نقيمه كسرته الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يفضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبارر المؤمن يبارر غيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والمؤمن يبارر (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير مني الحديث متفق عليه من حديث العيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله للصحة
واللازمة للشيخ
والحرقة مقدمة ذلك
ووجه لبس الحرقة من
السنة ما أخبرنا الشيخ
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ أبي الفضل
للقدسي قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
الأديب النيسابوري
قال أنا الحاكم أبو
عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ قال
أنا محمد بن اسحاق قال
أنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله المصري قال
ثنا أبو الوليد قال ثنا
اسحاق بن سعيد قال
ثنا أبي قال حدثني
أم خالد بنت خالد قالت
«أتى النبي عليه السلام
بثياب فيها خيصة
سوداء صغيرة فقال
من ترون أكوهذه ؟
فكف القوم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوني بأمر
خالد قالت فأتني
فألبسنيها يده فقال
أبلى وأخلق يقولها

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيمة أصفر وأحمر ويقول بآم خاله هذا سنة . والسنة هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء أن لبس الحرقة على الهيئة التي تشتملها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث ما رويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأما اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أمم وأكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم المرید شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر وباطن ولاأحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بث للذرين والبشرين ولاأحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله (١) » وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من القيرة ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله فأما القيرة التي يحبها الله فالقيرة في الريّة والقيرة التي يفضها الله فالقيرة في غيرية والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفضه الله الاختيال في الباطن (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لاغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب (٣) » والطريق القبيح عن القيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض (٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضرها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتأخذه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعرأ النساء يلزمن الرجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لاوكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد (٥) والصواب الآن النع إلا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لذهبن من الخروج (٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعن فضربه وغضب عليه وقال سمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى (٧) » وإنما استعجراً على المخالفة لعله بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من القيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن جابر من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لاغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث [١] البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالدليل إلى المساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمنعن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماخير للنساء فلم ندر ما تقول فصار على إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فم لاقلت له خير لمن أن لا يرى الرجال ولا يراهم الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة مني .

لإطلاعه اللفظ بالخالفه ظاهرا من غير إظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لمن في الأعياد خاصة أن يخرج من (١) ولكن لا يخرج من الإبرضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا تخرج إلا لهم فان الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تخرج في الروءه وربما تفضى إلى الفساد فاذا خرجت فينبى أن تفض بصرها عن الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا إثم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن مستقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتقرب أو منعن من الخروج إلا لضرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يقتصر عليهن في الاتفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك (٣) » وقيل كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال محاصيب وفي الأناث والثياب محاصيب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالزوجة وكأن الخلاوة وإن لم تكن من اللهجات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق بقايا الطعام وما يفسد لترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ولا ينبغي أن يتأثر عن أهله بما كول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن العاشرة بالمعروف فان كان مزما على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضى الله عنه باعنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الاتفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لامرأته لها وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترزه الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهات في أمر الدين ويطعمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما يحتاج إليه وعلم الاستحاضة بطول فأما الذي لابد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل الغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء الغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بطلعها فليس لها الخروج لسؤال العلاء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها بجواب الفتى فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل عنها ومهما تملت ما هو من الفرائض عايمها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل الإبرضا

(١) حديث الإذن لمن في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم لأهله الترمذى من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فما شجر بينهم ثم لا يجحدوا في آفةهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما - وسبب نزول هذه الآية « أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرمة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه الصلاة والسلام للزبير : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته » فأُزيل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهر أو نفي الخروج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط للريدمع الشيخ بسد التحكيم قابس الحرقه يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكمها من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الآثم . الثامن : إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أفرع بينهما^(١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقته مائل^(٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - أي لاتعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيتة في الليالي ويقول : اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ولا أملك^(٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه^(٤) وسائر نساءه يفرق ذلك « وكان يطاق به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهم ويقول أين أنا غدا فطنت لذلك امرأة منهم فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيت بذلك فعلى نعم قال فعولوني إلى بيت عائشة^(٥) » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجة حتى تعمر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة^(٦) ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تناقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة^(٧) وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد سفره متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقته مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان فمال مع إحداها وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن الماص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يطاق به محمولا في مرضه كل يوم ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا غدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يحمل في ثوب يطاق به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخر له لما نقل قال أين أنا غدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث والبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيت فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبراني فأراد أن يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقي مرسلا طلق سودة فقالت أريد أن أحشر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيوخ فإنه المقاتل للمريدين وقل أن يكون للمريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلس ويذكر المريدين في كل ما أشكل عليه من تصارييف الشيخ قصة موسى مع الحضرة عليه السلام كيف كان يصدر من الحضرة تصارييف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي لهم إذن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيوخ في لبس الحرقة تنوب عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم المريدين تسليمه ورسوله قال الله تعالى - إن الدين يابعونك إنما يابعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنا ينكث على نفسه - ويأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار^(١)، التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من تحكيم أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين ضاد ولم يصلح أمرهما فملا به المرأة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما - ضاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤديها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انقرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فإن لم ينفع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جفا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل؟ قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت^(٢)» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أفتأتك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم: أنئن أهون على الله أن تعمتني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن - العائثر - في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبي وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان^(٤)» وإذا قربت من الإزال قتل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذي خلق من اللاء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينصرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالواقع إكراما للقبلة وليغطف نفسه وأهله ثوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة^(٥)» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين^(٦)» أي الحارين وليقدم التلطف بالكلام والتخفيف

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نساءه ثم يصبح محرما ينضح طيبا^(١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدي في الكامل والبخاري كان يطوف على نساءه في ليلة واحدة وله تسع نسوة^(٢) حديث قبل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقيح وفي رواية لأبي داود ولا يقيح الوجه ولا تضرب^(٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أفتأتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا^(٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس^(٥) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف^(٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا تجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على المرید
عهد الوفاء بشرائط
الحرقه ويعرقه حقوق
الحرقه فالشيخ المرید
صورة يستشف المرید
من وراء هذه الصورة
الطالبات الإلهية
وللراعي النبوية
ويستقد المرید أن
الشيخ باب فتحه الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
وينزل بالشيخ سوانحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويستقد أن
الشيخ ينزل بالله
الكریم ما ينزل
المرید به ويرجع في
ذلك إلى الله المرید كما
يرجع المرید إليه
وللشيخ باب مفتوح
من المكالمه والمحادثة
في النوم واليقظة فلا
يتصرف الشيخ في
المرید بهواه فهو أمانة
الله عنده ويستفيث
إلى الله بمحوائج المرید
كما يستفيث بمحوائج
نفسه ومهام دينه ودنياه
قاله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته يفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه» (٢) ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليكنه تحقيقاً لأحد التآويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل» (٣) الحديث ثم إذا قضى وطره فليستعمل على أهله حتى تقضى هي أيضاً تهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر فبيح شهوتها ثم القعود عنها إنداء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليستغل الرجل بنفسه عنها فانه ربما تستعصى وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ تعدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت اللطالة بالوطء فذلك لفسد اللطالة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل الفصل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأني دائم فهو أشد تحريراً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرثكم أني شتمتم - أي أي وقت شتمتم وله أن يستعصى يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي أن تنزّل المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في اللضاجة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليفسل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أي نيام أحذنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ» (٤) ولكن قد وردت في رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمسه ماء» (٥) ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فرائشه أو لينفضه فانه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحذ أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالعه بجنباتها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يبرح إلا إلى محل الحث وهو الرحم فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة» (٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مبيح

لبشر أن يكاحه الله إلا
وحياً أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا -
فأرسل الرسول يخص
بالأنبياء والوحي كذلك
والكلام من وراء
حجاب بالإلهام والمحواف
وللنام وغير ذلك
للشيوخ والراشخين
في السلم . واعلم أن
للبردين مع الشيوخ
أوان ارتضاع وأوان
فطام وقد سبق شرح
الولادة المعنوية فأوان
الارتضاع أوان لزوم
الصحة والشيخ يعلم
وقت ذلك فلا ينبغي
للبريد أن يفارق
الشيخ إلا بإذنه قال
الله تعالى تأدياً للامة -
إنما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله وإذا
كانوا معه على أمر
جامع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه إن الذين
يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنوك
لبعض شأنهم فاذن
لهم فئت منهم - وأى

(١) حديث لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته يفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث ابن عمر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أي نيام أحذنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم ونقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ومن قائل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق لتبى التحريم ونهى التنزيه وترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقابها أن لا يخرج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بمجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خلقه وحياه ومقويه على الجهاد والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الواقع وذلك عند الإيماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالاتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كأول وليس هذا كالإجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعمل لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضفة وعلقة كانت الجناية أمحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الحلقة ازدادت الجناية فتاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الاتصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامنا مائة ومائتها أو من مائة ودم الحيض قال بعض أهل التشريح إن للضفة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانقاده كالإنتحة للبن إذ بها ينقد الرائب وكيفما كان فاء المرأة ركن في الانقاده فيجرى لما آن مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانبا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في القفار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يتزوج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فإن قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الحنفى . فأقول النيات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العناق وقصد استبقاء الملك بترك الإعناق ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة وممتها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس بمنهى عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منهى عنه . فإن قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وإدخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا يقول إنه منهى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يمتد في تزويجهم من المرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أو أن الفطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أو أن فطامه متى فارق قبل أو أن الفطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال الفطوم لغير أو أنه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة الشايخ للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي يلبس خرقة الإرادة . واعلم أن الخرقة خرقتان خرقة الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصده الشايخ للمريد في خرقة

الإرادة وخرقة التبرك
تشبه بخرقة الإرادة
فخرقة الإرادة للمريد
الحقيقي وخرقة التبرك
للمتشبه ومن تشبه
بقوم فهو منهم وسر
الخرقة أن الطالب
الصادق إذا دخل في
صحة الشيخ وسلم
نفسه وصار كالوله
الصغير مع الوالد يريه
الشيخ بطله المستمد
من الله تعالى بصدق
الاتقار وحسن
الاستقامة ويكون
للشيخ نفوذ بصيرته
الإشراف على البواطن
قد يكون للمريد
يلبس الحشن ككتاب
للتشفيين للزهدين
وله في تلك الهيئة
من اللبوس هوى
كامن في نفسه ليري
بين الزهادة فأشد
ما عليه لبس التاعم
وللنفس هوى واختيار
في هيئة مخصوصة من
اللبوس في قصر
الكبر والذليل وطوله
وخشوته ونعومته على

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا يترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد العرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يملوها رجل فكانت تشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن عمتع المرأة لغيرها أو مبالغة في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لمباقتين في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو القاسد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح عفاة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا اللوءودة سئل (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله التبرك الحفي وذلك يوجب كراهة لا تحريماً . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصفر فان المنوع وجوده به هو اللوءودة الصفري . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما سمعه قال ولا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الحلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا اللوءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوم على المعاني ودرك العلوم كيف وفي التفرق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أعانه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادي عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأثني فانه لا يدرى الحيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يمتنى أن لا يكون له أو يمتنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح عفاة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل اليهود تزعم أنها اللوءودة الصفري فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر التفرق عليه في الصحيحين كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكره المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليه من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلتهما الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله إلى بيته فغص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليداً بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرأتهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان فقال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلتقوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والحنان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسماً حسناً فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبدا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلتهما الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جارينين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله إلى بيته فغص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الحرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الحرائطي بسند ضعيف جداً وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الحرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهما قالا الحسن مكبراً وضعفه ابن القطان (٨) حديث من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الوصلى وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الحنان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختهما لسيمة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جدّه (١٠) حديث إذا سميت فبدا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصححه إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حسابها وهواها
فليبس الشيخ مثل
هذا الراكن لتلك
الهيئة ثوباً يكسر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على المرء ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تشرّب النفس إلى تلك
الهيئة بالعادة فليبس
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهواها
فتصرف الشيخ في
الملبوس كتصرفه في
الظنوم وكتصرفه في
صوم المرء وإفطاره
وكتصرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الله كرو دوام
التفعل في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكتصرفه فيه برده
إلى السكسب والفتوح
أو غير ذلك فللشيخ
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
قيام كل مرء من أمر
نمائه ومعاده بما
يصلح له ولتنوع
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ^(١) » وقال « معوا باسمي ولا تكونوا بكنتي ^(٢) » قال الطاء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي يا أبا القاسم والآل فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنتيه وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنتي ^(٣) » وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له ^(٤) » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتي وتركنتي لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعها كعمرة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ^(٥) » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعباد ^(٦) « وكان اسم زينب بركة قال عليه السلام : تركي نفسها فها زنب ^(٧) » وكذلك ورد النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة ^(٨) لأنه يقال أمم بركة فقال : لا . الرابع العقيقة عن الله كبر بشاتين وعن الأنبياء بشاة ولا بأس بالشاة ذكرها كان أو أنثى وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة ^(٩) » وروى « أنه عقى عن الحسن بشاة ^(١٠) » وهذا رخصة في الانتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى ^(١١) » ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة فتدور فيه خبرة وأنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة ^(١٢) »

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث معوا باسمي ولا تكونوا بكنتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكلى بكنتي ومن تكلى بكنتي فلا يسمى باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكلى أبا عيسى وأنكر على لليرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنان وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الرداء قال الترمذي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعباد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الترمذي بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها بركة تركي نفسها فها زنب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عقى عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - بالحكمة رتبة في الدعوة والوعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالوعظة ومن يدعى بالوعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القريين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التختن أو في التتم فيخلع للرديمن عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه وبطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالحسرة المخصوصة والمهينة المخصوصة داه هواء ويتوخى بذلك تقريه

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه (١) » فكان أول شيء دخل جوفه طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له ويرثك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فخر حوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق ولعلم أنه مباح ولكنه أفض الباحات إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل وبمها طلقها قد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بحماية من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أظنكم فلا تنفوا عليهن سيديلا - أي لا تطلبوا أحبة للفرق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان نحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك (٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والديكرهها لا يفرض فاسد مثل عمر ومهما آذنت زوجها وبنت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا نأتين باحشة مبيتة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو باحشة وهذا أن يذبه في العدة ولكنه تنبيه على التصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تمتد يذل مال ويكرم للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فدونه لائق بالعداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آتمة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة (٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلعات هن النافقات (٤) » ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقفاً لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمرء : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء (٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ثلاثاً لأن الطلقة الواحدة بعد الطلاق قهط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد التصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه ويكون هو السامع فيه ثم يكون قلبه معلقاً بزوجته الغير وتطبيقه أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في التصود من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت نحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلعات هن النافقات النساء من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرء مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضا مولاه فالمرید
الصادق اللبيب باطنه
نار الإرادة في بدء أمره
وحدة إرادته كالملسوع
الحريص على من يرفقه
ويداويه فإذا صادف
شيخاً انبث من باطن
الشيخ صدق الناية
به لاطلاعه عليه
وينبث من باطن
المرید صدق الحجة
تألف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابعة فيهما باجتماعهما
له وفي الله وبالله
فيكون القمص الذي
يلبس المرید خرقه
تبشر المرید بحسن
عناية الشيخ به فيعمل
عند المرید عمل قبص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
نقل أن إبراهيم
الخليل عليه السلام
حين ألقى في النار جرد
من ثيابه وقذف في
النار عرياناً فأنام جبريل
عليه السلام بقميص
من حرير الجنة
وألپسه إياه وكان ذلك

أقول الجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتأطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعهما من أذى الفراق قال تعالى - ومتعوهن - وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واتسجت وصمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأتى الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد مفارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للث عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر سيري ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته ففضله عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنك أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأتى عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنتك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يستدر منه على اللبر ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء فان أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب الجنة قلت لهماذان ادخلا بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دائه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله التقى في الفراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغفر الله لهم فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يتفرقا يغفر الله كلا من سمعته - . الرابع : أن لا يفشي سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ^(١) . ويرى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الثاني فيه أن النكاح نوع رقي فله رقيقة له فله طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها بخلافه في وقود ورفق في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « أيعا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » ^(٢) « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفضي سرها (٢) حديث أيعا امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخل الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فحصل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويد وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التويد فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أحمد ابن اسمعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل فرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليك** : أطيعي زوجك فإستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » ^(٢) وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والداك مرضعات رحيمات بأولادهن لولامياتين أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن العن ويكفرن الشير » ^(٤) . يعني الزوج للعائش وفي خبر آخر « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران » ^(٥) . يعني الحلى ومصنجات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها « أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلعنته ما أدت شكره قالت أقلأ أزواج قال بلى تزوجي فانه خير » ^(٦) قال ابن عباس « أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بينها بغير إذنه لعنت الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » ^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » ^(٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداك مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم ومصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية وبل للنساء من الأحرار بن الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يابني الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم ومصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلى تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أنت امرأة من ختم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزواج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقصرا على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قبضه لا يرد على مقرب بصره ولكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو تقيم إلا يصح وعوف تكون الحرقعة عند المريد الصادق متحممة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الحرقعة من عنابة الله به وفضل من الله فأما حرقعة التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطلب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية لحرقعة الإرادة فعلى هذا حرقعة التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محن دارها وصلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في بيتها (١) » والحدود بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان (٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات (٣) » حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطافة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته وأبنته إياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق يذهب الأكل ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لاجزى من زوجي فأردت أن تنفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تعبر فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولىة لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلنا كن من جس قفى من غل أيدي المتعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة المدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تنظر في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادة فان أطعمت عن رضا كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر (٤) » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن العاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد بنحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجمالي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماها قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديه وقد صحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ومسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .

وخبرة الإرادة ممنوعة
بإلزام المصدق الراغب
وليس الأزرق من
استحسان الشيوخ
في الحرقة فان رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يقرض
عليه لأن الشايع
آراؤهم فيها يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيخنا يقول كان
الفقير يلبس قصير
الأكم ليكون أعون
على الخدمة ويجوز
للشيخ أن يلبس الريد
خرقا في دفعات على
قدر ما يطلع من
الصلحة للمريد في ذلك
على ما أسلفناه من
تداوى هواء في
اللبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرفق للفقير لكونه
يحمل الوسع ولا
يجوز إلى زيادة
الفصل لهذا المعنى
حسب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يذكرها بعض

بنت خاتمة الفزاري قالت لا يفتها عند الزوج : إنك خرجت من العشي الذي فيه درجت فصرت إلى فراش
لم تعرفه وقرين لم تألفه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عنادا وكوني له أمة يكن
لك عبدا لا تلحق به فيفلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنامتك فأقرى منه وإن تأى فابعدى عنه واحفظى
أشده وصممه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدعى مودى ولا تتطقي في سورتي حين أغضب
ولا تقريقى فترك الدف مرة فانك لا تدرين كيف اللبيب
ولا تكترى الشكوى تنذهب بالموى وبأباك قلبي والقلوب تغلب
فانى رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قمر بيتها لازمة لمزملها لا يكثر
صعودها وإطاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في
غيبتها وتطلب مسرته في جميع أمورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن
خرجت بإذنه فحذيفة في هيئة رثة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترمة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بعلها في حاجتها بل تتنكر على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبعها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيره على نفسها وجلها وتكون
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متظفة في نفسها مستعدة
في الأحوال كلها للتعجب بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين في الجنة
امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول ما لهذا تبادرنى فيقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لما ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضى لنفسك أن تكونى تحت
مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجلنى نوابه أولم
أسأت فيما بينى وبين خالقي فجعله عقوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمى رأيت
في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مخضبة ويدها سبعة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

و لله منى جانب لا أضيقه ولله منى والبطالة جانب

فصلت أنها امرأة صالحة لها زوج تزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والالتباس في غيبة
زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا يبنى أن تؤذى زوجها
بمخال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا
قالت زوجها من الحور العين لا تؤذيه فانتك الله فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجعي بسند
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة أن يدخل قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة في ذلك كلام
إقناعى من كلام
التصعين ليس من
الدين والحقيقة بشيء
سمعت الشيخ سيد
الدين أبى الفجر المهداني
رحمه الله قال : كنت
يغداد عند أبى بكر
الشروطى فخرج إلينا
فقير من زاوينة عليه
ثوب وسخ فقال له بعض
الفقراء لم لا تغسل
ثوبك فقال يا أخى
ما أفرغ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكرك
حلاوة قول الفقير
ما أفرغ لأنه كان
صادقا في ذلك فأجد
قمة قوله وبركة
بتذكاري ذلك
فاختاروا اللون لهذا
للعنى لأنهم من رعاية
وتهم في شغل شاعله
والا فأى ثوب ألبس
الشيخ الريد من
أيض وغير ذلك
فالشيوخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
عنه وقد رأينا من
الشايخ من لا يلبس

والمأجِب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لاتعد عليها أكثر من أربعة أشهر وعشرا
وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدخلت بطيب فيه صبرة خلو أو غيره فدهنت به جارية
ثم مست بهارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) »
ويلزمها لزوم سكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة .
ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قد روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله
عنهما أنها قالت تزوجني الزير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف
فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت
أقل النوى على رأسى من ثلث فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكفتني سياسة القرس فكانت أعتنق (٢)
ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أخ أخ ليبيخ ناقته
ويعلمني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكر الزير وغيرته وكان غير الناس فعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فبحث الزير فحكيت له ماجرى فقال والله لملك النوى على رأسك
أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد واحد انحق في توحيد ما سوى الواحد الحق وتلاشى . وننجد نجيده من يصرح بأن
كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولو اجتمعوا
له ولا فرشا . ونشكره إذ رفع السماء لباده سقفا مبينا ومهد الأرض بساط لهم وفرشا . وكور الليل
على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتفشوا به عن ضراعة
الحاجات اتعاشا . ونصلى على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء به دور ودهم عليه عطاشا .
وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا . وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التمحل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمر في الدنيا مقصورا على البعاد دون المعاش
بل المعاش ذريعة إلى البعاد ومعين عليه فالله الدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب
إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدین . ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن يمتزج من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لاتؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه الحديث الترمذى وقاله حسن
غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت
أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزير وماله
في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقه ويسلك بأقوام
من غير لبس الحرقه
ويؤخذ منه العلوم
والآداب وقد كان
طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون
الحرقه ولا يلبسونها
للريدين فمن يلبسها
فله مقصد صحيح وأصل
من السنة وشاهد من
الشرع ومن لا يلبسها
فله رأي له في ذلك
مقصد صحيح وكل
تصارييف الشايخ محمولة
على السداد والصواب
ولا تخلو عن نية صالحة
فيه والله تعالى ينفعهم
وبآثارهم إن شاء الله
تعالى .

[الباب الثالث عشر
في فضيلة سكان الرباط]
قال الله تعالى - في بيوت
أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالندو والآمال
رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة يخافون يوما
تقلب فيه القلوب

والأبصار - قيل إن هذه
اليوت هي المساجد
وقيل يوت المدينة
وقيل يوت النبي عليه
السلام والسلام : وقيل
لما نزلت هذه الآية قام
أبو بكر رضى الله عنه
وقال يا رسول الله هنم
اليوت منها بيت على
وفاطمة قال نعم أفضلها .
وقال الحسن : بقاع
الأرض كلها جعلت
مجازا لرسول الله عليه
الصلاة والسلام فعلى
هذا الاعتبار بالرجال
الفاكرين لا بصور
البقاع وأى بقعة حوت
رجالا بهذا الوصف
هي اليوت التى أذن الله
أن ترفع : روى أنس
ابن مالك رضى الله عنه
أنه قال « ما من صباح
ولا رواح إلا وبقاع
الأرض ينادى بعضها
ببعضها هل مرت بك اليوم
أحد صلى عليك
أو ذكر الله عليك فمن
قائلة نعم ومن قائلة لا فإذا
قالت نعم علمت أن لها
عليها بذلك فضلا وما

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشاً - فذكره في معرض الامتتان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون - فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتصروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكثرها إلا الهم في طلب المعيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالاً وتغفأ عن المسئلة وسعى على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فظفروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبيوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ اللهنة ليستغنى بها عن الناس ويغنى العبد يتعلم العلم يتخذ مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب العيشة تقدم في السكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تفقا عن السائلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويع هذا لو كان جلده في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجزه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ الهمة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطني يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أى الكسب أطيّب قال عمل الرجل يده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الإسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلًا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاة عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية

«أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح»^(١) وقال عليه السلام «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق»^(٢) وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تصنع؟ قال أتعبد قال من يعبودك؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم شيئا يقرّ بكم من الجنة ويعمدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئا يعمدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإنّ الروح الأمين نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره «ولا يحمانكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بحسبة الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بحسبته»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها»^(٤) وقال عليه السلام «لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه»^(٥) وقال «من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر»^(٦) . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولافضة وكان زيد بن مسلمة يفرس في أرضه فقال له عمر رضى الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أمون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أجيعة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذوالمال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لافي أمر ديناه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضى الله عنه : ما من موضع يأتي اللوت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهل أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يلغى عن الرجل يقع في فأذكر استغنائى عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ريع

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم (١) حديث أهل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن (٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن جبان إنه تابعي فالحديث مرسل (٣) حديث إني لأعلم شيئا يعمدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهده الحديث أبي حميد وجابر ومحمد علي شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع (٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها رويناه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً (٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت . وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى واقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا بخادمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أقطع إلى الله كفاء الله موته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن أقطع إلى الدنيا وكلاء الله إليها» وأصل الرباط ما يربط فيه الحيول ثم قيل لكل قمر يدفع أهله عمن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة ألزم السوق فإن التقى من العافية يعني التقى عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تغدو خفاصا وتروح بطانا ^(٢) » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقنطرة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وعيرك بقوتك ولكن ابدأ برغيفك فأحرزهما ثم تصد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه بنادى مناد يوم القيامة أين بضياء الله في أرضه فيقوم سؤال الساجد فهذه مذمة الشرع لسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامرا المسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا يصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبر رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظالم فاسق وهذا ما أراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تنفعا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بقره فالتعفف والستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشغول بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغول بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح والأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه الماني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير قال تغدو خفاصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءهم رباط فالجهاد للرباط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلبي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخاذي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفي أخرى العطار ولله القطان بالتشوين وليحرر .

ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأربعة حالتان أخريان إحداهما أن تكون كفايتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بتمام فيه أولى إذ فيه إغاثة الناس على الخيرات وقبول منهم لها وحق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظيره لنفسه بأن يقابل ما يأتي في السؤال من المذلة وهتك الروء والحاجة إلى التثقل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحذور فينبغي أن يستفي الرب فيه قلبه وإن أفتاه الفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكفين بهم يتقلدون مئة من قبولهم لبرائهم فكان قبولهم لبرائهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الكتاب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقف في كل واحد بابا ونبتدى بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة)
وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار الكسب في الشرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات العاملة فيتقيا وما شد عنه من القروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جلي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكن أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فمبداها أتعلم وأستفتى فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم حمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة لتمييزه للبائع عن المحذور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالذرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تفك المكسب عنها وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان الباقد والعقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكلف وكذا المجنون ويضهما باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في العاملة إليهما فضاع في أيديهما فهو الضائع له . وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليندفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله ركن وصية رضع وبهائم ترتع لصب عليك العذاب صبا ثم يرض رضا » . وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولده ولده وأهل دورته ودوراته حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » . وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية - اصبروا وصابروا ورباطوا - قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في

على البقال والحجاز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا الميتماء تأذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمح
صريحاً أو يتشترى في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيده وفي البيع له في قوله على الاستفاضة أو على قول
عبدل محمده بذلك فإن عامه بغير إذن السيد فقد باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه إن
ضاع في يد العبد لا يتماق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا اللطابة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع
ويشتري ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل ويكلاً بصيراً ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله وصرح
بيع وكيله فإن عامه التاجر بنفسه فالعاملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه إليه
أيضاً مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه
السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فقه معاملات مردودة وهو باطل ما ربه . وأما الجندي من
الأتراك والتركية والمرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا
ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئاً لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئاً بينه أنه حلال وسيأتي تفصيل
ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد
العاقدين إلى الآخر عما كان أو شئنا فيعتبر فيه ستة شروط . الأول أن لا يكون نجساً في عينه فلا يصح
بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت
ولا يطهر القيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس المستخرج
من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا يأس ببيع الدهن الطاهر في عينه
الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فإنه يجوز الاتفاق به في غير الأكل وهو في عينه ليس
بنجس وكذلك لا يرى بأساً ببيع زرار القرفانة أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان
أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة .
الثاني أن يكون متنعماً به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع الشئبذ
بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع
الهرّة والنحل وبيع القهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع القيل لأجل الحل
ويجوز بيع الطوطى وهى البهاء والطاوس والطيور اللبحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج
بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجاباً بصورته
لهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنح والزامير واللاهي فإنه لا منفعة
لها شرعاً وكذا بيع الصور للصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن
كسرها واجب شرعاً وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح
بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشه رضى الله عنها « أغذى منها
نمارق ^(٢) » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الاتفاق من وجه صح البيع
لذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكاً للعاقد أو مأذوناً من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري
من غير المالك انتظاراً للاذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن
يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد
اعتماداً على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا مقدماً لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري
في الأسواق فواجب على العبد للدين أن يعتز منه . الرابع أن يكون العقود عليه مقدوراً على تسليمه

(١) حديث النهي عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارياً
نقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أغذى منها نمارق يقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

ومن رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزويربط
فيه الحبل ولكنه
انتظار الصلاة بعد
الصلاة فالرباط للجهاد
النفس والتقسيم في
الرباط مزابط مجاهد
نفسه قال الله تعالى
سواجدهوا في الله حق
جهاده - قال عبد الله
ابن المبارك هو مجاهدة
النفس والمهوى وذلك
حق الجهاد وهو
الجهاد الأكبر على
ماروى في الخبر أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال حين
رجع من بعض غزواته
« رجنا من الجهاد
الأصغر إلى الجهاد
الأكبر » . وقيل : إن
بعض الصالحين كتب
إلى أخ له يستدعيه
إلى التزو فكتب إليه
يا أخى كل الثغور مجتمعة
لى فى بيت واحد
والباب على مردود
فكتب إليه أخوه
لو كان الناس كلهم ثرموا
مأثرته اختلت أمور

شرطاً وحسباً لما لا يقدر على تسليمه حسباً لا يصح بيعه كالأبق والسماك في الماء والجنين في البطن وعصب القمل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير البيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضاً وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يتعده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شاة مثلاً أن يبيع نصف الثمن أو عشرة فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فأنما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بمبايع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الخنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صبح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة المقدار ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سمعت رؤيته منذ مدة لا يظلم التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا أحد الذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتماداً على الرقوم ولا يصح الخنطة في سنبها ولا يجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلاء الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع القنقاع لجريان عادة الأولين به ولكن نجمله لأنه بعض فأن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً بستر خلقه ولا يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجهم إفساده كالزمان وما يستر بستر خلقهم . السادس : أن يكون البيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض ^(١) ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتب له . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصل فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به باللفظ دال على المقصود مفهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في توين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضاً فيما يختاره ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلاً وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الأمر إلى العادات قد تجاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ تقدم الدلال إلى البراز يأخذ منه ثوباً دياجاً قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاء فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويحمله ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعها ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت

(١) حديث النهي عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

للمسلمين وغلب الكفار فلا بد من الفوز والجهاد فكتب إليه يأخى لو لزم الناس ماأنا عليه وقالوا في زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات محل ما عقده الأفلاك الدائرات في اجتماع أهل الروابط صح على الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوفي ما يفسد الأعمال واعتماد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والمباد . وقال سري السقطي في قوله تعالى - اصبروا وصابروا ورابطوا - اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست قبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقيق والتفيس وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجز ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم فإذا يحكم بالنقل الملك من الجانبين لاسيما في الجوابي والعييد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ قد سلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات متدا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والصاب لثقل عليهم فله ولنقل ذلك نقل منتشرا ولكان يشهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخرج قول للشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيئ الحاجة ولعموم ذلك بين الحلق ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستقصيا ويستبد تكليفه لذلك ويستقل ويغيب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعييد والعقارات والياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يميل إليها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشككة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببا إذا لفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين وأطراف جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفيس بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع التدين أن لا يندع الإيجاب والقبول للخروج عن شبه الخلاف فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليلتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابا يكتفون بالمعاطاة في البيع والشراء

الروامة وانقوا ما يجب
لكم الندامة لعلكم
تفلحون غدا على بساط
الكرامة وقيل اصبروا
على بلائي وصابروا
على نعمائي وربطوا في
دار أعدائي واتقوا
حجة من سواني لعلكم
تفلحون غدا بلقائي .
وهذه شرائط ما كن
الرباط قطع الماملة مع
الحلق وفتح الماملة مع
الحق وترك الاكتساب
اكتفاء بكفالة مسبب
الأسباب . وحسب
النفس عن الخالطات
واجتناب التبعات
وعائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة يشغله
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الغفلات ليكون بذلك
مرابطا مجاهدا . حدثنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا ابن
نهبان محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أومع منهم ذلك أوزاه أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قبيحا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردنا في جعل الفعل دلالة على قبح الفعل فلا ينبغي أن لا نحمله دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قبح الفعل أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحمامي في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بدلا كل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر السحق . بمثل حقه فله أن يملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبته فإنه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة وأما هنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد بالملك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا ألتف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفادته من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فحين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما ألتفه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالتقاضي دينه والتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على عمومها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

- وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة المتعاملين على التقديرين وعلى المتعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر الثعدين شيء من جواهر الثعدين إلا يدا بيد وهو أن يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضرورية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع السكر بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيه ما إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري رديا بجيد دونه في الوزن أو يبيع رديا بجيد فوقة في الوزن أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنس فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فأنارخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم النقوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح للمعاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان موهبا بالذهب أو موهبا لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن أبي طاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في الكاروم وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في الكاروم وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولأن يبيعه بل بالفضة بدا يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه
ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتعاملون على الأطعمة فطعيم
التغايض في المجلس اختلف جنس الطعام البيع والشترى أولم يختلف فإن اتحد الجنس فطعيم التغايض
ومراعاة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه النعم ويشترى بها اللحم قدداً أو نسيئة
فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الحنطة ويشترى بها الحبز نسيئة أو قدداً فهو حرام ومعاملة
المصار بأن يسلم إليه البرز والسمن والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبن يعطى
اللبن ليأخذ منه اللبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضاً حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه
من الطعام إلا قدداً وبجنسه إلا قدداً ومتائلاً وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متائلاً
ولامتناضلاً فلا يباع بالحنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن
وزبد ومخيض ومصل وجبن والمائلة لاتفيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب والعنب بالعنب متفاضلاً ومتائلاً فهذه جمل مقننة في تعريف البيع والتنبية على ما يشعر التاجر
بمشارت الفساد حتى يستفيق فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن
لمواضع السؤال واتعمق الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوماً على مثله حتى لو تمطر تسليم
المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفاً من الدراهم جزافاً في كره حنطة لم يصح
في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض
انفسخ السلم . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن
والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعجنات
والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة والتبل المعمول والخفاف والتعال المختلفة أجزاؤها
وصنعها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الحبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة
الطبخ وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستفيق وصف هذه الأمور القابلة للوصف
حتى لا يبق وصف تفاوتت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم
مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوماً إن كان مؤجلاً فلا يؤجل إلى الحصاد
ولإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قديتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون
المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالباً فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى
أجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب
آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم
فيما يختلف الفرض به كي لا يثير ذلك نزاعاً . الثامن : أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع
أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع : أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يمز وجود مثلها أو جارية حسنة
معه ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالباً . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاماً
سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقداً وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب
الطهرين - هذا وصف
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا حكمتم
تصنعون حتى أتى الله
عليكم بهذا الشأن قالوا
كنا تتبع الماء الحمر
وهذا أشبه هذا من
الآداب وظيفه صوفية
الربط يلازمونه
ويتعاهدونه والرباط
بينهم ومضربهم ولكل
قوم دار والرباط دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرازي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله البغوي
قال حدثنا وهبان بن
بقية قال حدثنا خاله
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحرث حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قدم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما المأدود اللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالتنفيذ فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان مينا فإن كان دينيا فينبغي أن يكون معلوم المصنف والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذ قدر المارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على الكسرى أن يصرفها إلى المارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى المارة مجهول . ومنها استئجار السلاح على أن يأخذ الجلبد بعد الساع واستئجار حمال الجنب بحمل الجنب واستئجار الطحان بالنخالة أو يبيض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يحمل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والحوائث مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنقد الإجارة . الركن الثاني : للنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجلة فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لانطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في القهقيات وإنما نشير إلى ما تم به البلوى فليراجع في العمل للتأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجارا ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه النافع تجري مجرى حبة مسمومة وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستغلال بمحاره والاقباض من ناره ولهذا لو استأجر ياعا على أن يسكنه بكلمة يروجها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في يروج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لاتصفيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر للعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة للثل فأما ما توافق عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لأرضاقه ولا إجارة للواشي للنبأ ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تابعا لأن إفراغه غير ممكن وكذا يتسامح بحرق الوراق وخياط الخياط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سلية أو قطع عضو لا يرضى الشرع في قطعه أو استئجار الخائف على كس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صيغة الآواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يشير خصوصية في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويشفطن به لمواضع الاشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن الملقى لا شأن المولم .

للدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزعمنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وللقابة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن منار الفل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الأحماد والفل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجوز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح وليكن معلوما بالجزئية بأن شرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجوز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأنيث فلو شرط أن يشتري بالمال مائة ليطلب نسلها فيتقاسم النسل أو حنطة فيخزنها ويتقاسم الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعنى الخبز ورعاية اللواشي ولوضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الخبز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما إنعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالنسبة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها فقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أئيمه وأبى للمالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فلي العامل يبيع مقدار رأس المال بخمس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربعا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعملهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن النقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يئذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكنه في البلد وليس عليه أجرة الخانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فإذا رجع فله أن يرد بقايا آلات السفر من المظفرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة المفوضة وهو أن يقولوا تفاوضنا لشترك في كل مالنا وعلينا بومالاها ممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفتيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع السمي شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يعمد التمييز بينهما إلا بقسمة وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يتمتع التصرف عن العزول وبالقسمة يفصل المالك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع أو إهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يجتمعون على الألفة
والمودة يجتمعون
للحلال ويجتمعون
للطعام ويتعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشى
ابن حرب عن أبيه عن
جده أنهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نبيع
قال لعلكم تفتقروا
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرق قليل فلي أكل
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد طلبوا الأفراد
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفوسهم تتلفق للأهوية
والخوض فيما لا يبيح
فأروا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
عملهم وصحة حالهم
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على المعاداة إذا العادات جازية بكتبه الخطوط على هؤلاء حاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقوم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء بإباحته للعاجلة ويحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار العوض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإلتلاف فتجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما قبضى أن يلتزم منهم الإبراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقوم فهذا ما يجب التنازع به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإعجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا كثر كل نوع سهل تفرعه والله الموفق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة)

اعلم أن العامة قد تجري على وجه يحكم الفتي بصحتها وانقضاءها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يمس به ما استقر به الظير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص العامل .

(القسم الأول : فيما يعم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ^(١) » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه ^(٢) » وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً فساقبله وعنه أيضاً أنه أحرق طعام محتكراً بالنار وروى في فضله ترك الاحتكار عنه ^(٣) « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنه تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ^(٤) » وقيل في قوله تعالى « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » إن الاحتكار من الظلم ويدخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسطة فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السر فقال له التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعفه فأخره جمعة فخرج فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قننا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نبيع أضاعفه بنهب شيء من الدين فقد جنبت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله تصدق به على فقراء البصرة وليتقى أهجو من إثم الاحتكار كفافاً لا على ولاي . واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرده النبي في أجناس الأقوات أماما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يحلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بنصر يومه إلا كانت منزلته عنده منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة إن الجالب إلى سوقنا كالجاهد في سبيل الله وهو مرسل

هم أو الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية يوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجدته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من الليف يصل على عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح له الحجرة في المسجد حتى يصل عليها » والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا أليق نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستعداد بالحركات والسكنات فللنفس

والزعران وأمثاله فلا يمتدى النهى إليه وإن كان مطهوما وأما ما يمين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدداً يفتى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن الداومة عليه فهذا في عمل النظر لمن العلماء من طرد التحريم في السمن والصل والشيرج والخبز وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد النهى في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرراً فأمّا إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار الصل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر عند زور كاتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً ودون الإضرار فيقدر درجات الأضرار متفاوتة درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواماً للربح من الزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين يبيع الطعام ويبيع الأكفان فإنه يتمنى الفناء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزاءها فاتها صنعة تقضى القلب أو صواغاً فإنه يزخر الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويح الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستضر به العامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر السك ووباله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً» (١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته وطوي لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر اعتراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا يعتد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أقسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى بنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسكن عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولئلا هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم للدنياهم . الثالث أنه إن سلم وعرف للعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا لوجهه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فاعسا يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التفرّد والاسترسال في وجوه الفرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرابطة في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فإذا تخلل أوقات الشبان اللغو والغطف الأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزواجره وموضع خلوته ليحبس

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » (١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بر وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نعني به مالا تقرر فيه أصلاً بل هو محو أو مالا ذهب فيه أعني في الدنانير أما ما فيه تقرر فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو قد البلد فقد اختلف الطاء في للماملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يجوز إلا إذا علم قدر النقرة فإن كان في ماله قطعة تقررنا ناقصة عن قد البلد فعليه أن يخبر به معاملة وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبس فأمّا من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع الغيب ممن يعلم أنه يتخذه خيراً وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من للواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتبدد وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علياً فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاقني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علماً ودفعته في ثمنه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يخص ضرره للعامل)

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط السككي فيه أن لا يعب لأخيه إلا ما يعب لنفسه فكل ماله يعمل به شق عليه وقتل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك النصح للمأمور به في المعاملة ولم يعب لأخيه ما يعب لنفسه هذه جملة فأمّا تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتف من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتف في وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتف من سعرها ماله عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الثناء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مزوارة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أثني على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطباب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتتقضى بسببه حاجته ولا ينبغي أن يخلف عليه ألبته فإنه إن كان كاذباً قد جاء باليمين القموس وهي من الكبار التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقاً قد جعل الله تعالى عرصة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أحسن من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

القلب نفسه عن
دواعي الهوى والخوض
فيها لا يبي ويكن
الشيخ في بيت الجماعة
قوة حاله وسيره على
مداراة الناس وتخلصه
من تبعات المخالطة
وحضور وقاره بين الجمع
فينضبط به الثبر ولا
يتكدر هو وأما الخدمة
فشأن من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يذق طعم
العلم ولم يتنبه لغفائس
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادته
خدمة ويغذب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتشمله بركة ذلك
ويصين الإخوان
للتفتلن بالعبادة . قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « المؤمنون
إخوة بطلب بعضهم إلى
بعض الخوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الخوائج يقضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فيتحفظ بالخدمة
عن البطالة التي تمت
القلب والخدمة عند

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد »^(١) وفي الخبر « الذين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة »^(٢) وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان ببطيته ومنفق سلعته يمينه »^(٣) فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا ينبغي التخليط في أمر البين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يعبه وخاف أن يكون ذلك تعرضا بالثناء على السلعة فقتل هؤلاء هم الذين تجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حميها وجلبها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظلما غاشا والنفس حرام وكان تاركا للنصح في العامة والصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو العمل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا »^(٤) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فغضب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم^(٥) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يديها بصر عيوبها ثم غيره وقال إن شئت فخذ وإن عثت فترك قليل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم تنفذ لك بيع فقال إنا يا أباينا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقه له بثلاثة دراهم فضلل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقه فسعى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحم والظهر فقال بل للظهر فقال إن يخفها تقبأ قدرتيه وإنها لا تتبع السير فعاد فردها فتقصها البائع مائة درهم وقال لو ائله رحمت الله أفدت على بيعي فقال إنا يا أباينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد يبيع بيا إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبينه »^(٦) وقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع مخالطة العامة ومجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولما يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وتروجه

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقفله على أصل وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث الذين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ المصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان ببطيته ومنفق سلعته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر اللان والسبل إزاره والنفق سلعته بالحلف الكاذب (٤) حديث من برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث واثلة لا يحل لأحد يبيع بيا إلا أن يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا يبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق الواجد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم . أخبرنا الشيخ التقه أبو القتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت بموكا لصبر بن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استمنت بك على أمانة للمسلمين فانه لا يفتنى أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قاله فأبيت فقال عمر - لا إكراه في الدين - ظنا

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما يجمعه من ممرقات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .
 فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض
 أولاده إن تلك للياه النفرقة التي صيذاها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد
 قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزلت بركة
 بيعهما (١) » وفي الحديث « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما (٢) » فإذا لا يزيد
 مال من خيانة كمالا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان بالإلميزان لم يصدق بهذا الحديث
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قديلك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدنيا والآلاف
 المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتعنى الإفلاس منها ويراد أصلح
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي
 لا بد من اعتقاده لئيم له النصع ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد
 أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجير العاقل أن يستبدل الذي هو
 أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم (٣) » وفي لفظ آخر « ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
 دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من
 قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحزره عما حرم الله (٤) » وقال أيضا ما آمن
 بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قادمة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في
 تجارتها في الآخرة لم يضيع رأس ماله لعد لعمري لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن
 بعض التابعين أنه قال لودخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي من خبر هؤلاء . قلت من أنصحهم
 لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولوقيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو
 شرهم والتمس حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب
 فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاه بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
 سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق
 إحدى النعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه بظلمه أو أنه لا يريد البيع . فان قلت
 فلا تتم للعاملة مهمما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في يده بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا

حضرته الوفاة اعتقى
 فقال اذهب حيث شئت
 فالقوم يكرهون
 خدمة الأغيار ويأبون
 مخالطتهم أيضا فان
 من لا يحب طريقهم
 ربما استضر بالنظر
 إليهم أكثر مما ينتفع
 فانهم بشر وتبدؤ منهم
 أمور بمقتضى طبع
 البشر وينكرها الغير
 لقلة علمه بمقاصدهم
 فيكون إياؤهم لموضع
 الشفقة على الخلق
 لا من طريق التعزز
 والرفع على أحد
 من السليين والشاب
 الطالب إذا خدم أهل
 الله للشغولين بطاعته
 يشاركون في الثواب
 وحيث لم يؤهل
 لأحوالهم السنية بخدم
 من أهل لها فخدمته
 لأهل القرب علامة
 حب الله تعالى . أخبرنا
 الثقة أبو الفتح محمد
 ابن سليمان قال أنا
 أبو الفضل حميد بن
 أحمد قال أنا الحافظ
 أبو نصير قال ثنا

(١) حديث البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
 سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص
 من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبراني
 من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يفتنون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن تعود هذا لم يشتر الصيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقتع بيمينه باع ابن سيرين ثلثة قال المشتري أرى إليك من عيب فيها إنما تغلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنما تنحمت مرة عندنا فما فكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتم في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى وينقص إذا أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكياله يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويل من الله حبة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل لمن باع حبة حبة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوبى بويل وإنما بالعوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحباب حتى يحققهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان وزن منته «زن وأرجع»^(١) ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسفل دينارا يريد أن يصرفه وينزل تكجيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك قال يابى فملك هذا أفضل من حبتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف سمحت للتاجر والبائع كيف ينحو وزن وغلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام لابنه : يابى كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على منحن قيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والساحة والعفوية أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تطعوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أى لسان الميزان فإن النقصان والرجحان يظهر بحيلة وبالجملة كل من ينتصف نفسه من غيره ولو في كيلة ولا ينصف عثما ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات فإن تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكابلا لكونه أمرا مقصود ترك العدل والنصف فيه فهو جار في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولو لا تعذر هذا واستحاثته لما ورد قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الدل عن الاستقامة إلا أن درجات الميل متفاوت تفاوتت عظمها فلذلك تفاوتت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غيره طموع فيه فانه أدق من الشجرة وأحد من السيف ولولا له لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته أنه أدق من الشجرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف البديوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من اللطفين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظم لم يجز العادة بمثله فهو من اللطفين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذى يتعاطاه البراز

(١) حديث قال للوزان زن وأرجع أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذى - من صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال ثنا الحرث بن أبى أسامة قال ثنا معاوية ابن عمرو قال ثنا أبو اسحاق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة إن بالمدينة أقواما ما سرتهم من مسير ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم قالوا وهم في المدينة قال «نعم حبسهم العذر» فالتفتهم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجاتهم بعذر القصور وعدم الأهلية لحام حوله الحمى بأذلا مجهوده في الخدمة يتطل بالآخر حيث منع النظر فجاءه الله على ذلك أحسن الجزاء وأثاله من جزيل العطاء وهكذا سكان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجمعون على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت النزع ولم يده مدا وإذا باع مده في القدرع ليظهر تفاوتاً في القدر فكل ذلك من التطفيف للمرض صاحبه لقول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يغني منه شيئاً فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان (١) ونهى عن التجش (٢) أما تلقي الركبان فهو أن يستقبل الرقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلمة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الجرمع زوال التلبس ونهى أيضاً أن يبيع حاضر لباد (٣) وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضري أركه عندي حتى أغالي في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة لافضولي الضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجرم مواطاة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطاة في ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التقرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه الناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويحكم منه أمراً لوعظه لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس مجهز إليه السكر فكتب إليه غلامه إن نصب السكر قد أماتته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرًا كثيرًا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفاً وخسرت نصح رجل من السلفين فلما أصبح غداً إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفاً وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال لي كنتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكروبات ساهرا وقال مانصحته فلمله استجبا من فكرها لي فبكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب قلبي فأخذ منه ثلاثين ألفاً فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يستتم فرصة ويتهم غفلة صاحب المتاع ويغني من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالماً تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بعت بما قام على أوجبا اشترته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً والعدل سبب النجاة قط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من القلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للتدين أن يقتصر على العدل (١) حديث النهي عن تلقي الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهي عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان
بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط والصوفية
فما يتعاهدونه
ويختصون به]

أعلم أن تأسيس هذه
الربط من زينة هذه
لله الهادية الهدية
ولسكان الربط أحوال
تميزوا بها عن غيرهم
من الطوائف وهم على
هدى من ربهم قال
الله تعالى - أولئك
الذين هدى الله فبهداهم
اتقوا - وما يرى من
التصنيف في حق البعض
من أهل زماننا
والتخلف عن طريق
سلفهم لا يقدح في أصل
أمرهم وحمية طريقهم
وهذا القدر الباقي من
الأثر واجتماع التصوفة
في الربط وماهياً الله
تعالى لهم من الرفق
بركة جمعية بواطن
للشايخ السائين وأثر
من آثار منع الحق في
حقهم وصورة الاجتماع

واجتنب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فعل ما ينتفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في المغالبة فينبغي أن لا يبتغي صاحبه بما لا يتغلب به في العادة فأما أصل المغالبة فما أذن فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغير ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بدل المشتري زيادة على الربح المتنازل إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتمتع من قبوله فذلك من الإحسان ومهمالم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن العن بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك العن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان ثم ر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربع مائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس ففرض حلتها فقال للأعرابي بكم اشتريت فقال بأربع مائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى ترددها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله ترجع مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهلا رضيته بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث « غبن المسترسل حرام ^(١) » وكان الزبير بن عدى يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لما يدرهم قطن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقلمنا يتم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما قل عن السرى السقطى أنه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في روزنامه ثلاثة دنانير ربحه وكأنه رأى أن يربح على الشرة نصف دينار فصار اللوز بستين فأثاء الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال ثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صار اللوز بستين فقال السرى قد عقدت عقدا لأحله لست أعيه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بستين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شق بضها بخمسة وبضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لأشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قدر ضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرين بدارمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دارمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذى نستسقى به في البوادي إذا قمطنا فهذا إحسان في أن لا يربح على الشرة إلا نصف أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك الشاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستغاد من تسكرها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمية من بواطن المؤمنين وسلوك الحلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى في وصف المؤمنين - كأنهم بنيةان مرصوص - وبكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن من المؤمنين اشتكى للمؤمنين » فالصوفية وظيفتهم اللازم من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتعزموا كثيرا قيل لبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سب يسارك قال ثلاث ما رددت ربها قط ولا طلب من حيوان فأخرت بيعه ولا بت بنسبة وقال إنه باع ألف ناقة فمارح إلا علقها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربع من فقته عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال الغبن والشتري إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولأحمد فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت « الغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور ^(١) » وكان إياس بن معاوية بن قره قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والحب لا يفتنى ولا يغبن ابن سيرين ولكن غبن الحسن ويغبن أي يغب معاوية بن قره والكمال في أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخذع وأعقل من أن يخذع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يسطي فضله وإن الغبون يغبن عقله وقال بعضهم إنما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت أعطى الله ولا أستكثر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيهمرة بالمساحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء ^(٢) » فليقتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصبح يسمع لك ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ^(٤) » وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعحوا للوسر وأنظروا للمصر ^(٥) » وفي لفظ آخر « ونجاوزوا عن المصر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فجاوزاه عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ^(٦) » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت الغبون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواتر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرفعه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اصبح يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعحوا للوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة التآلف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرابطة رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل للقدس عن أبيه قال ثنا أبو القاسم الفضل ابن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الخيري قال أنا أبو سهل ابن زياد القطان قال ثنا الحسين بن مكرم قال ثنا يزيد بن هرون الواسطي قال ثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف

الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ^(١) « قيل في معناه إن الصدقة تفع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذلك الاستقراض إلا محتاج » ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا يدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر ففعل فقال للديون قم فأعطه ^(٢) « وكل من باع شيئا وترك عنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه قم وفي معنى القرض . وروى أن الحسن البصري باع بضة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن قال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر « خذ حقا في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا ^(٣) » . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء ^(٤) » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاء مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من آذان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٥) » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلف صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وإيقابه باللفظ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أمحاه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ^(٦) » ومهما دار الكلام بين المستقرض والقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلطة يعني ترويحها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قبل كيف تنصره ظالماً فقال منعك إياه من الظلم نصرة له ^(٧) » . الخامس : أن يقبل من يستقبله فانه لا يستقبل إلا متمسكاً مستقر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفة الله عزته يوم القيامة ^(٨) » أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعاً من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلباهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دقتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف . (٢) حديث أوماً إلى صاحب الدين يده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقا في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولا بن جبان والحاكم ومصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من آذان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة مامن عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من قال نادماً صفة الله عزته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اتلف وماتناكر
منها اختلف « فهم
باجتماعهم تجتمع
بواطنهم وتنفيد
نقوسهم لأن بعضهم
عين على البعض على
ماورد « المؤمن مرآة
المؤمن » فأى وقت
ظهر من أحدهم أثر
الفرقة نافروه لأن
الفرقة تظهر بظهور
النفس وظهور النفس
من تضيق حق الوقت
فأى وقت ظهرت
نفس الفقيه علموا منه
خروجه عن دائرة
الجمية وحكموا عليه
بتضييع حكم الوقت
وإهمال السياسة وحسن
الرعاية فيقاد بالنافرة
إلى دائرة الجمية .
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبد القاهر السمروردي
إجازة قال أنا الشيخ
العالم عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن منصور الصفاق
أنا أبو بكر أحمد بن
خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتبهه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذته واقض ثمنه عند الليرة ولم يكن بعد هذا من الخيار بل عدّ من الخيار من لم يكن ثبت اسمه في الدفتر أصلا ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فانت في حل منه وسعة فبهذه طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به عى لهذه السنة وبالجملة التجارة يحكم الرجال وبها تتنزه دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من الرء قميص رقعته أو إزار فوق كعب الساق منه رفته أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتني على الرجل خيرائه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال اتنى بمن يرفك فأناؤه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في السجدة يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فليست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبعم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يغتو من الربح في الآخرة لا يبق به ما ينال في الدنيا فيكون بمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل يفهم أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه في وصيته إنه لا يلد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فأبدا بنصيبك من الآخرة غنذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبهها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقيامه بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينبه النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينبه اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صنته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت العايش وهلك أكثر الخلق فان نظام أمر الكل يتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه السلام « اختلاف أمقى رحمة » (١) أى اختلاف همهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشديد البيان بالجسم وجميع ما تخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أمقى رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا يزال الصوفية غير ماتافروا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من رويم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رفعوا المنافرة من بينهم يخاف أن تغامر البواطن للساهة والراءاة ومساعدة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوى . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز المروى قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوى قال

ذو الدين فأما عمل اللامى والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب القذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الحل لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهية للنساء لا يلحقها بالحل الباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد كرنا أن يبيع الطعام ويبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزارا لما فيه من تساوة القلب وأن يكون حجابا أو كناسا لما فيه من غامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في التثاء على السلفة لترويحها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي يصدده لمعالة وحلوه وقيل يبيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقليما يصير في ربح إلى إلباعها جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله وردني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وعن أصحابه في الصياغة من الصالح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البر قال سعيد بن المسيب ما من تجارة أحب إلي من البر ما لم يكن فيها إيمان وقد روى «خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز» (٢) وفي حديث آخر «لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف» (٣) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحمل والحياطة والحذو والقصارة وعمل الحفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صائما يسدي لصنت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا بواسطة واستبق الحواشي وظهور الأجزاء وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحماكة والقطانون وللغازليون والملمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضفء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لميسى عليه السلام بحماكة فطلبت الطريق فأرعدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم قراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كفصل الوقي ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضفه ابن حبان (٢) حديث خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعيان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فسلت ذلك قومناك تخوم القدر فقال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بنضب وخصومة مع بعض الإخوان تشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قبلت بالقلب انحسرت مادة الشر وإذا قبلت النفس بالنفس تارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستنجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يغمسوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأخرته فيلزم السجود ويواظب على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لأخرتكم وما بعدكم لدنياكم وكان صالح السلف يحصلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الحريرة والردوس بكرة إلا للصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » ثم يبعث مع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يخرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبير الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف يتدرون عند الأذان ويغنون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشي فسمع الأذان لم يخرج الإشي من الغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتلهيل والتسبيح فذكر الله في السوق بين العاقلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العاقلين كالقاتل خلف الفارين وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين المشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كنهو القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عيب فاجرة وصفة خاسرة وقال أبو جعفر القرطبي كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويمسكون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد يأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيء الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا - ثم الشيخ أو الخادم إذا شكا إليه قهر من أخيه فله أن يعتب أهما شاء فيقول للعتدي لم تعدت وللعدي عليه ما الذي أذنبت حتى تعدت عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رقبا بأخيك وإعطاء للفتوة والصحة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الأصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » فيكون الاستغفار ظاهرا مع الإخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإلى لأعرف رجلا يدخل السوق ورذه كل يوم ثلثانة ركة وثلثون ألف نسيجة قال فسبق إلى وهي أنه يعني نفسه فكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لالتتم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت (١) » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارنتهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحق يقسو وبروح في لاش والماقل عن عيوب نفسه فثاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر قد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو (٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن ابليس يقول لولبه زلتبورس بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديمة والمكر والحيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٣) » وتعلم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن مسلمة يبيع الخبز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جبتين رفع سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لأبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطالبك من لا تقوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حرصنا محروما وضعيفا مبرزوقا قلت إن لي دافعا عند البقال فقال عز على بك تملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهات ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفي قلبه فإذا وجد فيه حرازة اجتنبه وإذا حمل إليه سامة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال : إنا معاشرا الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا (٤) » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - (٥) » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حينما كنت (٢) وصححه (٣) حديث لا يركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبيض البقاع إلى الله الأسواق وأبيض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشرا الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا النبي يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وصمت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة غم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطنيا صافيا ولا أوتر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فبركة سعيك وقيامك رزق الصفاء فكان يحمد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترقى القلوب وترفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشك فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله

عن كل ما يحمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يامله وكذا الأجناد والظلة لا ياملهم البتة ولا يامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحي عن رجل أنه تولى عمارة سور ثغر من الثغور . قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محلة من الظلة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير قلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين قال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفرك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يصى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يصى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا يغضب إذا مدح الفاسق » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أبيض فقال ياسفيان أعطني الدواء حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال ناوئى الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فكنا كانوا يعترضون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن يتقسم الناس عنده إلى من يامل ومن لا يامل وليكن من يامله أقل ممن لا يامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من روني أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلاناً ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلانا وفلاناً وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنما الله وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فصلة وقولة إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه همروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يصى الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله لا يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ارحموا
ترحموا واغفروا يغفر
لكم » . والوصفية في
تحليل يد الشيخ بعد
الاستفاد من أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
خاص الناس حصة
فكنت فيمن خاص
قلنا كيف نصنع وقد
فررنا من الرخصيون
بالضرب قلنا لودخلنا
للدنية فتننا فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأتينا
قبل صلاة الفداء نفرج
فقال من القوم قلنا نحن
الفرارون قال لا بل
أنتم المكارون أنا فتنكم
أنا فئة المسلمين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعاً والمكار
المطاف والرجاع قال
فأتينا حتى قلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من القريين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب ثم كتاب آداب الكسب والعيشة بمحمداته ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع المعاديات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوء بلبن استصفاً من بين قرث ودم سائماً كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته المعادية له عن البسطة والصيل ، وقهرها بما أقرضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال المجري والمجال ، إذا كان لا يندرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة اللائلة إلى الغلبة والاسترسال ، فبقى لما زمت بزمام الحلال خائباً خاسراً ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » (١) رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فحما وأثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سبباً لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش الثابت في الموات وما عداه فقد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته المعاملات القاسدة وإذا تضرعت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلاً ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفجلاً وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستنطار في الخلق شررها وجب كشف التطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضييق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثارها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمجوم والاهمال ومظاهرها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج الثائب عن الظالم للسالية . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاحهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أضاف الحلال

ودرجاته وأضاف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم ولطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة ابن الجراح قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد الضوي أنه قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده » فهذا رخصة في جواز بتقيل اليد ولكن أدب الصوفي أنه متى رأى نفسه تنعز بذلك أو تظهر بوضفها أن يتمتع من ذلك فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقيل اليد ومعايهم للاخوان غيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة وقدمهم من سفر الهجرة بالفرقة إلى أوطان الجمعية بظهور النفس تغربوا وبمدوا وبضية النفس والاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله فقد أخطأ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن الراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(١) قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل الراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه »^(٣) وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك »^(٤) ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فأني يستجاب لك^(٥) وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل »^(٦) فقيل الصرف النافلة والعمل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بمشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته لآدام عليه منه شيء »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستخفاف حوى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبى أن أخلع من مالي كله وأهجر دار قومي التي فيها أنبت الدنب . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يعجزك من ذلك الثلث » فصار سنة الصوفية للطالبة بالقرامة بعد الاستخفاف وللناقرة وكل قسدم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند القردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت يتابع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عندي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بمشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

« من لا يزال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال »^(٢) روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أسمى وأنيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنده راض »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدفه في النار »^(٤) وقال عليه السلام « خير دينكم الورع »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله »^(٦) ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام »^(٧) وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه « المدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم »^(٨) ومثل الطعنة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار »^(٩) وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعوذ إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »^(١٠) وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأحوذى شرح الترمذى إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والمعاشره كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أسمى وأنيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أسمى كالا من حمل يديه أسمى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قدفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عجمرة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أفه له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقبل عن حنظلة الزاهد عن كسب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة المدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والمقبلى في الضعفاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعوذ بك مما حملت العروق وخالط الأمعاء وفي بعض الأخبار أنه لما أخبر بذلك قال أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخارى من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجها فجاء يوماً بشئ فأكل منه أبو بكر .

شرط التقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو بما يطلب لكانه بالدروزة أن يكون عنده من الشغل بالله مالا يسعه الكسب وإلا إذا كان للبطالة والحوض فيما لا يفي عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجهد والاجتهاد فلا يفي له أن يأكل من مال الرباط بل يكسب ويأكل من كسبه لأن طعام الرباط لأقوام كمل شغلهم بالله فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحته ويهتدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
 عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه ونحياً وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم
 لتغفلون عن أفضل العباد هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما صليتم حتى تكونوا كالحنابا
 وصمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يقبل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
 صديقاً فانظر عند من تخطر يأسكين وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله لا تضرب من ماء زمزم فقال
 لو كان لي دلو شربت منه وقال صفوان الثوري رضى الله عنه من أنفق من الحرام في طاعة الله كان
 كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذئب لا يكفره إلا الحلال وقال ابن
 عبي بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسانته قم الحلال وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ الصديق حقيقة
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب الهوى من
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأتى كل إلا
 حلالاً ولا يصل إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله
 تعالى - كلا بل يدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردة درهم من شبهة أحب إلى
 من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حق بلغ إلى ستائة ألف وقال بعض السلف
 إن الهيد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله
 عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه
 ووقعت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه
 ومن أقام نفسه مقام ذلك في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى في آثار
 السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سى الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار الشهيرة عن علي عليه السلام وغيره
 إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل الإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا
 ويدوم حالنا ونكشف للسكرات ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأختم القرآن في
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التي رأيته شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
 ختمة في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
 ويحيى بن معين محبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إني لأسأل أحدا شيئاً ولو أعطاني الشيطان
 شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن علي رضى الله عنه
 أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا غثوماً خدراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض
 وقال له الفلام أندري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكلمت لإنسان في الجاهلية فذكره دون
 الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في
 مقابلة خدمته . روى
 عن أبي عمرو الزجاني
 قال ألفت عند الجيد
 معة لما رأي قط إلا
 وأنا مشتغل بنوع من
 العبادة فما كفى حتى
 كان يوم من الأيام
 خلا للوضع من الجماعة
 قممت ووزعت ثيابي
 وسكنت للوضع
 ونظفته ورششته
 وغسلت موضع الطهارة
 فرجع الشيخ ورأى
 على أثر الفبار فدعا لي
 ورحب بي وقال أحسن
 عليك بها ثلاث مرات
 ولا يزال مشايخ الصوفية
 يندبون الشباب إلى
 الخدمة حفظاً لهم عن
 البطالة وكل واحد
 يكون له حظ من
 العسالة وحظ من
 الخدمة . روى أبو
 محذورة قال : جعل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لنا الأذان
 والسقاية لبني هاشم
 والحجابة لبني عبد المدار
 وبهذا يقتدى مشايخ

وابن عينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحيز قال وما سببه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي ففتى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال فقه على أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يهرب اللبن فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترعى فسكت فلم يهرب لأها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله يفرلك فقال ما أحب أن يفرلى وقد شربته فأنا لمفترته بمعصيته وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين قليله من أين تأكل ؟ فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لاياً كل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كإفصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما للمعنى في عينه أو لخلل في جهة إكتسابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرهما وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فإنها إما أن تكون من المعادن كالمح والطين وغيرهما أو من النبات أو من الحيوانات . أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والحزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذي ينادى أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام مائع لم يضر به محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فزيل العقل النج والحر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة الطرية وأما السم فإذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لمجته بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لاسيما في الطيور الفرية وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فأنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً روعى فيه شروط الذابح والآلة والذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والتبائع وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا ميتان السمك والجراد وفي مناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الذباب والخفشاء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لأسباب في تحريمها إلا الاستقذار ولولم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقدره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحجائب لمعوم الاستقذار فيكرهه أكله كالجوع الخاط وشربه كره ذلك وليست السكراة تنجسها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون حاراً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه البخارى من حديث أبي هريرة .

الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعتد في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا يعنى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعني به دوام الرعاية والمهابة والشغل بالقلب والقلب وقتاً وبالقلب دون القلب وقتاً وتفقد الزيادة من نقصان فإن قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر إجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت على بن عبد الحميد القضايري يقول سمعت السري

ولوتهرت نعمة أو ذباية في قدر لم يجب إراقها إذ لا يستقدر هو جرمة إذ ابقى له جرم ولم ينحس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريره للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن دائق حرم السكل بالنجاسة فإن الصحيح أن الآدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً لاستقذاراً وأما الحيوانات لما كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً محرم ولكن ليس في الأعيان شيء محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فإن نجاسة السكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .

(القسم الثاني ما يحرم لحلال في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه ينسج النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المادن أو يكون من مالك والذي أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراصياً ولأخذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المتعدين والنفقات الواجبة عليهم ولأخذ تراصياً إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المادن وإحياء اللوات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للأخذ مختصاً بذى حرمة من الآدميين فإذا انفك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء اللوات . الثاني : ما يؤخذ قهراً ممن لا حرمة له وهو النقيء والفتية وسائر أموال الكفار والمخاريق وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب النقيء والفتية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم بسبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للأخذ حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراصياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة ويان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمائم والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصدقات وسائر المعارضات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط العهود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار كالإرث وهو حلال إذا كان للورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والجمع والكفارة إن كان واجباً وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أو ماناً إلى حملتها ليعلم المرید أنه إن كانت طمئنته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم . وقد يندر الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يندر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الإطلاق فأما من حيث فتوى الشرع فإن كان شرط الوقف على التصوفة وعلى من تزيا بزي للتصوفة ولبس خرقتهم فيجوزاً كل ذلك لهم على الإطلاق فتوى وفي ذلك القناعة بالرخسة دون العزعة التي هي شغل أهل الإرادة وإن كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملاً وحالاً فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكين إلى تصنيع الأوقات وطرق أهل الإرادة عند مشايخ الصوفية مشهورة . أخبرنا الشيخ الثقة أبو القتيح قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت عليك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأسمى من بعض وكما أن الطيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالدهن وبعضها حار في الرابعة كالدهن كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريباً وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما محرمة فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن المقتضى يرخس في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : ما لا تحرمة الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع التيقن قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه السهلة له كراهية أو مصيبة والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح صفة الفسق فهو أيضاً على درجات في الحبث فالأخوذ بقصد فاسد كالمطاعة مثلاً فيلزم فيه المطاعة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل للنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المطاعة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التمسك فقط ثم ترك طريق التمسك بالمطاعة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض للنهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظلاً من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوي أو غني أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقائق في تفاصيل الحباث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت ماثرات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والمشهور وهو طلب حصره في أحاصره ويدل على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المندورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا تقدم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة للمتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وفرد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال حدثنا
أبو العباس أحمد بن
محمد بن يوسف قال
حدثنا جعفر البراني
قال حدثنا محمد بن
الحسين البلخي
بسمرقند قال حدثنا
عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن
أبي أيوب الخزازي قال
حدثنا عبد الله بن
الوليد عن أبي سليمان
الليثي عن أبي سعيد
الحدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « مثل المؤمن
كمثل القرس في
آخيته يحول ويرجع
إلى آخيته وإن المؤمن
يسهو ثم يرجع إلى
الإيمان فأطمعوا
طعامكم الأتقياء وأولوا
معروفكم المؤمنين » .
[الباب السادس عشر
في ذكر اختلافه
أحوال مشايخهم في
السفر والقام] اختلف
أحوال مشايخ الصوفية
فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريره مما يدخل في الدخول الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق والمعصية وهو الذي يزيد بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الوسوسين كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك (١) » ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ما آتيت (٢) » والإغناء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي نختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب العلم : وإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخشني « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل (٣) » وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدى كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثله هذه الدرجة نذكرها في العرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثاله هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع للتقين فيشهد لها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يبقى العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان لحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحوز فكل ما يستوفيه يأخذ بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتآلف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن مبيد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتزيه وأجفئه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن مبيد يعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزله فان للتقوى درجة تفوت بفوات ورع التقين وليس المراد به أن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك للنسائي والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث الحسن ابن علي (٢) حديث كل ما أصميت ودع ما آتيت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل قاله وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة وشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته قصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا . وتقل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السائحون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عائكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضنيه بكفة ثم تقولين فيها أثر القبار فمسحين بهاعنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأثفه حتى لاتصيه الرائحة وقال وهل ينفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضى الله عنه تمره من عمر الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم كخ كخ (١) » أى ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فأت ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة العطاراة قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتبيمه فباعني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتتقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ماهذه الرائحة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلا ففصل الخمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أثلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل بحجرة لبعض السلاطين ويغير المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من العود إلا براحمته وهذا قديقارب الحرام فإن القدر الذي يسبق ثوبه من رائحة الطيب قديقصد وقد ييخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فها هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعته في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك المالبس به مخافة مما به البأس أى مخافة من أن يفرض إليه وأكثر اللباحات داعية إلى المظهورات حتى استكثر الأكل واستعان الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا للباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تخصيص الحيطان وقال أما تخصيص الأرض فيمنع التراب وأما تخصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تخصيص الساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه مثل أن يكحل السجد فقال لا ، عريش كعريش موسى (٢) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي تمره من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ كخ ألقها. البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه مثل أن يكحل السجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم . حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجمالا قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ، حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروى عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى إنهم

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رقى ثوبه رقى دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المحذور والباح تشبيها النفس بشهوة واحدة وإذا تعدت الشهوة للساحة استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال افك عن مثل هذه الخافعة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يتقدم في أسبابه معصية ولا يستمان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والبال قضاء وطرب بل يتناول لله تعالى قسط والتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وهذه رتبة الموحدين للتجريد عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستمان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية في ذلك ماروى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو عشت في الدار قليلا حتى يصل الدواء فقال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجرز الاقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأ كنت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفي هاتف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ماروى عن ذى النون المصري أنه كان جائعا مجبوسا فبحث إليه امرأة سالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن يبرأ رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من الغنم الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد الغنم من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا فرغ من طريق الحج لم يشرب من الصانع التي عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالصانع الذي عمل به بمال حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبقة الغصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالتعداء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فوهم أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخليه البطن عن الحبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخطط في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في القابر في وقت يخاف من الطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تور الخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالك طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله بما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلكه مسلكا في طلب العلم سهلته له طريقا إلى الجنة ومن جهة مقاصد في البداية لقاء الشايع والإخوان الصادقين فله مزيد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينضم لحظ الرجال كما ينضم لفظ الرجال . وقد قيل من لا ينضم لفظه لا ينضم لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق إلى تصارخه في مودعه ومصدره وخلوته وجلوه وكلامه وسكوته ينضم بالنظر إليه فهو قمع الحظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينضم لأنه يتكلم بهوا ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت النازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الجثث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تخاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثارها وتميزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ عرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (١) » فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والشك منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول : الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وأخل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله اللحم الذي يأخذه الإنسان من الطريق أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفاً عنده وجمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة في الحجر والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويتحقق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ماسكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد نزل في من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء البحر المحتطف من الهواء ولكنه في معنى ماء البحر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسمين حتى تتحقق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه نعم لودل عليه دليل فإن كان قاطعاً كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملاً كالوجود على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كذا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المدوم دلالة كاحتمال المدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستمر داراً فيصيب عنه المير فيخرج ويقول لهله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذا لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المدورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين ثم لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكاً ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشر سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجويز لا يكون شكاً إذا لم يحضره سبب أو وجب اعتقاد كونها ثلاثاً فلنهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فأكله فأقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعدّ هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعتي بها ما شتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقاداتنا صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثار الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

الصبودية وحقيقتها
والوجه الثاني أن نظر
الطعام الراشخين في العلم
والرجال البالغين رفاق
نافع ينظر أحدهم إلى
الرجل الصادق
فيستكشف بنور
بصيرته حسن استمداد
الصادق واستشهاده
لمواهب الله تعالى
الخاصة فيقع في قلبه
عجبة الصادق من
الريدين وينظر إليه
نظر عجة عن بصيرة
وهم من جنود الله تعالى
فيصحبون بنظرهم
أحوالاً سنية ويهبون
آثاراً مرضية وماذا
يشكر النكر من قدرة
الله أن الله سبحانه وتعالى
كاجل في بعض الأفاعي
من الخاصة أنه إذا
نظر إلى إنسان يهلكه
بنظره أن يجعل في نظر
بعض خواص عباده
أنه إذا نظر إلى طالب
صادق يكسبه حالاً
وحياة وقد كان شيخنا
رحمه الله يطوف في
مسجد الحيف يعني

(الثائر الأول الشك في السبب الحلال والمحرّم)

وذلك لا يغلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالين كان الحكم لماعرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في الحلال فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالترق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لعدي بن حاتم « لا تأكله فلعنه قتله غير كليك ^(١) » فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو ^(٢) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة غشيت أن تكون من الصدقة ^(٣) » وفي رواية « فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال « كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ^(٤) » ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً ^(٥) وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحلال وشك في كون الذبح محلاً . القسم الثاني : أن يعرف الحلال ويشك في المحرم فالأصل الحلال وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لساير الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه للسنة وأفتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسنا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشك الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في لياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور فإنه مهما يقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب قد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

- (١) حديث لا تأكله فلعنه قتله غير كليك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت عمرة فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قبل له في ذلك فقال لله جاد إذا نظروا إلى شخص أكسبه سعادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر اجتناء قطع للآلوفات والانسلاخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم والتعامل على النفس بتجرع صرامة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك الآلوفات محتسباً عند الله أجراً قد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ للقدس عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصمغاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشد قوله قال حدثنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطاهر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيطلب الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال المقصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فصرمة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحوهما عليه لأنه لو وظئهما كان مقتضاها للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوأسا كل واحد بإنائه لأنه يقين طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الفقه والأرجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين هنا كآحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الإنسان بما فيه من رفع الحدث كوضوئه بما فيه من نفسه فلا يتبين لاختلاف للكل واتحاده أثر بخلاف الوضوء لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب نفوية الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلى التنبيه على قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه أنه محل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحمت ودع ما أئمت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رمي فيهما سهمي فقال أصحمت أو أئمت فقال بل أئمت قال إن الليل خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم في كلبه للعلم « وإن أكل فلاتا كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) » والغالب أن الكلب العلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن المحلل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه

(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رمي فيهما سهمي فقال أصحمت أو أئمت قال بل أئمت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إنى رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله أعانك عليها شيء رواه أبو داود في المراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٢) حديث قال لعدى في كلبه العلم وإن أكل فلاتا كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فحلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة » وعن جمة للقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج رغواتها ودعائها لأنها لا تمكك قبيين حقائق ذلك بغير السفر ومضى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وقف على داله يتشعر لدواله وقد يكون أثر السفر في نفس للبسدي كآثر النوافل من الصلاة والصوم والتجود وغير ذلك وذلك أن التثقل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطأ عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزبه بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك » (١) وهذا تنبيه على الشيء الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والعمومات للظنونة وغيرها . وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يجب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بجزء الرقة والجرح للذنب لأن العلل القائمة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبنى على الشبهة وكذلك جين للذكاة جلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يفي على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كاذب كرهناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذاً الكلب للعلم كالألة والوكيل بمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل للعلم بنفسه فأخذ لم يعمل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومنها انبثت بإشارته ثم كل دل ابتداء انبثاته على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكالته ونيابته ودل أكله آخراً على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يعمل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ولكن ينطب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يثبت له حكم مع طالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأتى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظلية يال في ثم وجد متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مقلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركين ومدمن الخمر والصلاة في القابر النبوة والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

سأخبرنا إلى الله تعالى من أوطان الغلات إلى محل القريات وللشافعي قطع المسافات ويتقلب في للفاوز والقلوات بحسن النية لله تعالى سائر إلى الله تعالى بمرامحة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا . أخبرنا شيخنا إجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النووي يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للبتي تاركا حظ النفس تطمئن النفس وتلين كاتلين بدوام النافقة ويكون لها بالفرد باغ يشعب عنها الحشونة واليوسه الجبلية والبفونة الطبيعية كالجلد يعود من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب تعود

أعنى المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر والمسكرين لأن النجس لا يحمل شربه فإذا ما أخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر واللهى أخباره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تملق بين تناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في لثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أوطن وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في المراجعة الأولى والاحتياط تركه فالتقدم عليه لا يكون من زمرة التيقن والصالحين بل من زمرة الصدول للدين لا يقوى في قنوى الشرع بنسبهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً .

(لثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بضد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط اللائمات أو يكون اختلاط استبهاً مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستبهاً فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالنفود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت البتة بمذكاة أو بشر مذكيات أو اختلطت رضعة بشرة نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسئلة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك أرجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء ممنهن وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل الملة الغلبة والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) وغل واحد في الغنيمة عبادة (٢) لم يتمتع أحد من شراء الهبان والعباء في الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الضأن عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

النفس من طيبة
الطيبان إلى طيبة
الإيمان . ومن جهة
القاصد في السفر رؤية
الآثار والعبر وتسريح
النظر في مسارج الفكر
ومطالعة أجزاء الأرض
والجبال ومواطن
أقدام الرجال واستماع
التسيح من ذرات
الجمادات والقسم من
لأن حال القطع
التجاورات قد تجد
البقعة تجد مستودع
العبر والآيات وتوفر
بمطالعة للشاهد
والواقف الشواهد
والدلالات قال الله تعالى
- سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق -
وقد كان السرى يقول
لصوفية : إذا خرج
الشتاء ودخل آدماء
وأورقت الأشجار طاب
الانتشار . ومن جهة
القاصد بالسفر لإثارة
الحول وإطراح حظ
القبول فصدق الصافي
يم على أحسن الحلق

يعرف أن في الناس من يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالسكية^(١) وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فتقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لمر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كال عشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلتقي بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا للقيام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصرت « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك »^(٢) وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في التار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمتقى يفتى بالظن وعلى للمستفت أن يستفت قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى للفتى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يغلط حرام لا يحصر بحال لا يحصر حكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترب بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذ حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذ من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمر ودراهم الربا من أبدي أهل الذمة محتلة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس »^(٣) ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روى أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو أول من سب الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لغيرها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عباد قد غلبها »^(٤) وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها^(٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يتمتع أحدهم به عن الثراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يتمتع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرين لم يتمتعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالدراهم بالسكية هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك (٢) حديث استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لوابصة تقدم (٣) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا في النار يجر عباد قد غلبها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله ثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرز من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني .

ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقفا يكون صادق متمسك بمرورة الاخلاص ذو قلب عامر لا ويرزق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايخ يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لا آتي أبلغ نفسي حظها من الهوى فاني لا أبالي إقبالا أو أدبروا ولكن لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى للريد بذلك لا يأمّن نفسه أن تدخل عليه بطريق الرحكون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب الممودة وتريه فيوجه للصحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الوجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجره إلى السكون إلى الأسباب واستجلاله

مع الاختلاط وكثرة الأموال المتبوية في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه
تفطن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موسوس تحت العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل لامستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن
وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال
فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك
لإحالة إلى الاختلاط . فان قيل قد قلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى
أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يجعل ذلك على التزهد والورع أو نقول
الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين تناول . فإن قيل هذا معلوم
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقه والنهب وغلول الضيعة
وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مافي
أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا
لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع
تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر
الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس
بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قبان متقابلان ليس بينهما
ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق
نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال للرض والسفر من الأعذار العامة
والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير
والقبيح إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا
فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا
فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنديّة
أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على
أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم
الجنديّة إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرين فكل سلطان
يجمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من
بلاد مملكته يزيد عندها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك
الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تتمهم في المعيشة ولا يتصور
ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة
الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي
أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي
يتعامل بالربا أو غيره فهو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب
الانسان بوجهه في البلد خصوصا بالمجانة والحبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى
هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

قبول الخلق وربما
قويا عليه لجراه إلى
التصنع والتعمل
ويتسع الخرق على
الرافع . وصحت أن
بعض الصالحين قال
لمريد له أنت الآن
وصلت إلى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من
طريق الشر ولكن
يدخل عليك من
طريق الخير وهذا مزلة
عظيمة للأقدام فآله
تعالى يدرك الصادق
إذا ابتلى بشئ من
ذلك وزججه بالعناية
السابقة والمعونة
اللاحقة إلى السفر
فيفارق المعارف
والموضع الذي فتح
عليه هذا الباب فيه
ويشجده لله تعالى
بالخروج إلى السفر
وهذا من أحسن
للقاصد في الأسفار
للصادقين فهذه جملة
للقاصد المطلوبة للشايع
في بداياتهم ماعدا
الحج والعمرة وزيارة
بيت المقدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادر حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم أكثر من هو خطأ فاتهم الأفقون وإن كان فيهم كثرة . وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الصرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدينار ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والجشيش في الصحارى والموات والمفاوز والحطب الباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه القلبية لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن القبط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تمارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد طرأ سبب غالب يخرجها عن صلاحه فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني الشرابين جائز وأن الصلاة في المقابر المبنوثة جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضع حجر رضى الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المذبوغة والياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يسلونه مع أنه يداس بالقر والحيوانات وهي يتبول عليه وتروث وقفا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تفرق وما كانوا يسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يعيشون خفاة في الطريق وبالعالم ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يعيشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستترهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تفصل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستقر من رد الدراهم إلى مجارى الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من الغد . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنحه الحفظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حال للتقين وتطرباطنه باستنشاق عرف معارف القرين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يظلم ولا يظلم كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى - ففرت منك لما خفتك فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين - فبعد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تفسد فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويعتزلون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في عمل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والفس خيل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالإقتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعناه على أن تجري في هذا الاستنداد على الجواب الذي قدمناه في المستدركين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا ينصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل للمغصوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريره فانه كما يزبد للمغصوب بالتوالد يزبد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأقل لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الجيوب المغصوبة تنصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ولينفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزية قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فأنها مخلقة مسيلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لأن الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الأخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستقابة في إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فالاستأجر على الاستقاء إذا حاز للماء دخل في ملك المستق له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمة وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رقى دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال . فان قيل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه
وبعد بهزله إقامه
ويجعله إماما للمؤمنين به
يقتدى وعلم للمؤمنين
به يهتدى . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره محبة صحيحة
وقيض له شيئا عالما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق فيلازم موضع
إرادته ويلتزم بصحة
من يرد عنه عادته
وقد كان الشبل يقول
للحصرى في ابتداء
أمره إن خطر يالك
من الجملة إلى الجملة غير
الله فحرام عليك أن
تعصرك فمن رزق
مثل هذه الصحة
يحرم عليه السفر
فالصحة خير له من
كل سفر وفضيلة
يقصدها . أخبرنا رضي
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام. وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في الميزان للتناول علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه ورجح وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإجماع معينة كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونمفو عماسلف وتقول ماجاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فلاحتمالات خمسة : أحدها أن يقال يمنع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها أياما إلى اللوث . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهه وجهة . الرابع أن يقتصر على شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا أو قاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخرت الدنيا بالسكينة وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا لئيم بها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالنصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رافع لسد الشرع بين الفسدين وبين أنواع الفساد فتحت الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عاقبته حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإننا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا مناج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فلم يتميز أصل التراضى وتعتل تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لا تقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي المالك ويستوعب بها أهل الحاجة ويبدد على الكل الأموال يوما فوما أوسنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يمتفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة تبط بالتضييع عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويعهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق وبفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصالح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دينهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من

عبد الكريم بن
هو اذن القشيري عن
والده الأستاذ أبي
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياش بن
أبي الصخر يقول يقول
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون المرید مریدا
حتى لا يكتب عليه
صاحب التمال شيئا
عشرين سنة فمن رزق
صحة من يتدبه إلى
مثل هذه الأحوال
السنة والمزائم القوية
يحرم عليه المفارقة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
بازوم الصحة وحسن
الاقتداء وارتوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ماء الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للسعادات يستنشق
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أقطار الأرض
وشاسع البلدان يشرب
إلى التلاق وينبث

يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بنة
 الأنبياء لصالح الدين والدنيا ومالي أفقر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على
 فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من سبائة سنة والناس منقسمون
 إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع الفسق فيهم كاشاع في زماننا الآن
 والكفار غاطبون بفروع الشريعة والأموال كانت في أيدي الكذابين له والمصدقين أما للكاذبون
 فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما
 يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما
 وعفا عليه السلام عما سلف ولم يتعرض له وخص أصحاب الأيدي بالأموال ومهدا للسرقة ومأبث تجرمة في
 شرع لا ينقلب حلالا ليعترف رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من
 أهل القسمة ما نعرفه بعينه أنه ممن خسر أموال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن
 وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فإن أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال
 الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في الباج على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا
 بالكسبة وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه للنوط بمصالح الخلق ونقوى الظاهر له حكم
 ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم
 به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك
 الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسنيات لبطل النظام ثم يبطل يطلانه الملك أيضا فالمحترفون
 إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقيلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لدوى الدين وهو
 ملك الآخرة ولولا للمسلم لدوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يمرض الأكثرون عن
 طريقهم ويستغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن
 قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فإن
 قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حق لا يبقى حلال فإن ذلك يرواقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض
 حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى السكل جلى
 ولكن لا بد من دليل محصل على تجوزة ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها صالح
 رسالة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حق يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل
 المصالح الرسالة - فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا برهاننا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والصحابه مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأ أكثر هو الحرام فيعمل التناول
 أيضا فبرهانه ثلاثة أمور. الأول: التقسيم الذي حصرناه وأبطلناه من أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا
 أجرى فيما إذا كان السكل حراما كان أخرى فيما إذا كان الحرام هو الأ أكثر أو الأقل وقول القائل هو مصلحة
 رسالة هوس فإن ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن
 مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بظنون ولا شك في أن رد كافة الناس
 إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فانه
 لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الحيات للظنونة المتعلقة بأحاد الأشخاص .
 البرهان الثاني : أن يعلى قياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالآيسة الجزئية عليه وإلا
 كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذي هو ضرورة
 النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تناقض

إلى الطواف في الآفاق
 يسيره الله تعالى في
 البلاد لقائدة العباد
 ويستخرج بمخاطبيس
 حاله خب أهل الصدق
 وللتطمعين إلى من
 يغبر عن الحق وينذر
 في أراضى القلوب بنذر
 الفلاح ويكثر بركة
 نفسه وصحبته أهل
 الصلاح وهذا مثل
 هذه الأمة الهادية في
 الإنجيل كزوع أخرج
 شطاء فأزروه فاستغلظ
 فاستوى على سوقه
 تعود بركة البعض
 على البعض وتسرى
 الأحوال من البعض
 إلى البعض ويكون
 طريق الوراثة معمورا
 وعلم الإفادة منشورا .
 أخيرا شيخنا قال أنا
 الإمام عبد الجبار البيهقي
 في كتابه قال أنا
 أبو بكر البيهقي قال
 أنا أبو علي الروذباري
 قال ثنا أبو بكر بن
 داسه قال ثنا أبو داود
 قال أنا يحيى بن أيوب
 قال ثنا اسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات العينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وتولنا انقطعت العلامات العينة احتراز عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللينة والرضية بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسل أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصحة في عينها حرمة الحر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق للماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذي يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكة بصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له قضينا بموجب المصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاوعا بالشك وتسكينهم الاقتصار على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كما لم يؤخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بملهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالكه مشار إليه ولا فرق بين عين المال وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

(لثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عومته وكانت من للعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالسكين

جفرا قال أخبرني العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصارياه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بصايته . وقد ورد جذب من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلى من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيده بلطفه ولطفه وتداركه بلطفه ولطفه بقوة خاله وكفاه يسير الصبغة لكمال

للمعصية والاحتطاب بالتقدم للنصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك وورع وإن لم يكن الاستفادة هذه الأساليب محكوماً بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل والاشتباه ههنا بل الصيان بالدمج بسكين الغير معلوم وحل الديعة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من الشبهة وتناول المحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التماسيح في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من اللبالة تكاد تلتحق بورع اللوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أعد منها في الديعة بسكين منصوب أول التقتص بسهم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلب أو للصيد وبليه شبهة البذر وللزروع في الأرض للمعصية فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالمخزن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتص بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد وبليه الاحتطاب بالتقدم للنصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المنصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة وبليه البيع في وقت النداء فإنه ضيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع بمثل لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاتته وجوبها على الفور أو في ذمته مظلمة دانت فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصبح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خلاصة فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتخرج عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر ماملاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية اللبالة أنه رد بالتك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو الفسدت لا يتطوع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن واللبالة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال **الشيخ** « هلك المتطعمون ^(١) » فليحذر من أمثال هذه اللبالات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سبج عمامه أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطرحوه فكأن أن الوسوس في الطهارة قد يسجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الوسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسموا فتركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع النصب من الحمار وبيع الغلام من العروف بالفجور بالفلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعده كما يصح بالدمج بالسكين المنصوب والديعة حلال ولكنه يعصى عريان الإغاة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من تورع المهم وليس بحرام وبليه في الرتبة بيع النصب ممن يشرب الخمر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يضزو ويظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتطعمون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب
والصحب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حقها الإقامة
رسم الحكمة يحوج
إلى يسير المعصية فينبه
بالقليل للكثير وينبه
اليسير من المعصية عن
الاحتطاب الكبير ويكتفي
بواقر حظ الاستبصار
عن الأسفار ويتعوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة النير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون اقتحوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
له عباد طور سيناء
ركبهم تكون رءوسهم
على ركبهم وهم
في عز القرب فمن
ينبع له معين
الحياة في ظلمة خلوته
فماذا يصنع بدخوله
الظلمات ومن أندر رجلاً
له أطباق السموات
في طي شهوده ما فاء
يصنع بتغلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف وبليده ما هو بالمتحقق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يبيع منهم البقر والغدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للنهي عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ^(١) والمتطهرون هم الذين يغتسلون عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير مباح كان ما يفعله أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرا وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة ولوجاز هذا لجواز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإلتفات . وأما اللقدمات : فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما بقي أثره في التناول كالأكل من شاة علفت بelf منصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك اللف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتدل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرطها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبشاها إلى الحمى فرعته إبلاًهما حتى سمحت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتاها في الحمى فقالا نعم فشاطرهما فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من اللف لصاحب اللف فليوجب هذا تحريمها . قلنا ليس كذلك فإن اللف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين اللف فلا شركة لصاحب اللف شرعاً ولكن عمر غرمها قيمة الكلاء ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباه ريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهدا . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر اجتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بعماء يجري في نهر حفر ظلماً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال وصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاء في على يد ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس وبالجملة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالأوعصى بأكل الحرام فإن الوصول قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بنية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

لسموات ومن جمعت أحقاد بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي الفلوات ومن خلس بخاصية فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيادة الأشباح . قيل أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من يتم الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هيتا له هذا كلام لا يبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يا ميسر القراء سيعوا تطيوا فان الماء إذا كثرت بكتته في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر بجرأ حتى لا تغير فاذا أدام الريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتنا

الموصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أوشتمه أكل هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق بمنعها عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عده من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله عليه السلام « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حزاز القلوب (١) » وكل ما حاك في صدر المرء من هذه الأسباب فلما أقدم عليه مع حزازة القلب استغربه وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في مساواة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في التبي عن البالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات للمبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محط في نفسه أولئك قوم شددوا فشد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بصوم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزاء ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا وإثباتا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما للمصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى عنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متعلدا للمظلمة بترك ذمته مرتبة بالدين ولا يتقلب ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدرامم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلبه ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تومي الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجزئ شيئا منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاصي به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا أوفى الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض البيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن في ذمته إذا أخذه ليس بضمن ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يسلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام محرم أكله المراهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها
للمنومة بالهمودة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالصدق
والإخلاص اجتمع له
المنفقات واستفاد في
حضره أكثر من سفره
لكون السفر لا يخلو
من متاع وكلف
ومشوات وطوارق
ونوازل يتجدد الضعف
عن صيانتها بالعلم
للضعفاء ولا يقدر على
تسليط العلم على
متجددات السفر
وطواره إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للذي
ركب عنده رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكرمه
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظ الله عبده في بداية
أمره من تشويش
السفر ومتمه بجميع المحرم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من اكتسب
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه ويان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن المصية إذا امتنعت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فرضاءه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الدمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى قية أو غيره صلة أو خلة وهو شاك في أنه سيقتضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق للمصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك الساطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينقدح في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون الموضع غصباً ولا حراماً ولكن يترأ لمصية كالوسلم عوضاً عن الثمن عنباً والأخذ شارب الحمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريماً في مبيع اشتراه في الدمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة للمصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان الموضع حراماً فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النهي عن كسب الحجام وكراهته ^(١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يلف الناضح ^(٢) وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قاتله به وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومحامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالحجة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب أن في الحجاماة والفصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما عمل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للفصاد فصدسي وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحجام ^(٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن القيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أثمانها» ^(٤) وهذا غلط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيعت الله إليه من يحل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضراتها وابتداه وأقيم في هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة صيف مسجوداً وتوت إلى ابن منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً يفسد عليه توكله فكان علم الناس

(١) حديث النهي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخاري من حديث أبي جحيفة نهى عن ثمن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يلف الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محبسة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألعنه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لي قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يطفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث للقيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجده هكذا والعروف أن ذلك في التحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه .

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع ونحو البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بمشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه» (١) ثم أدخل ابن عمر أصبعه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بمشرة بعينها لا في الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فيحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(المشاور الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة ومالم يثبت في معرفة القسير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للمعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق اللقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن ينتقد من المذاهب أو سببها عليه بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له بإمامه جنى وإمامه فيه مخالف فالقرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع للؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بعدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان للفتون يقتون بعمل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فرسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى اللقي بأنه حلال لأن الترجيح فيه فاض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى اللقي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل» (٢) ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الدجج بالبسلة (٣) وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بمشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني (٣) حديث التسمية على الدجج متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أثير الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعرقهم إياه براه سببا ومعلوما . وحكى عنه أنه قال مكثت في البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر فرأيت الحذر مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجع عنى فقيل لم هربت منه قال تشوفت نفسي أن يفتنى فهو لاء القرارون بدينهم . أخبرنا أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل القدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن ناموية قال ثنا أبو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله بن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود يعني ابن مسلم عن عثمان ابن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرم عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أحب شيء إلى الله القرباء»

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن يذبح على اسم الله تعالى ممي ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعنهم في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال القابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان الذبوح وعن الضب وقد صح في الصحيح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متته ولا ضعف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فإن النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى صميمهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمونه من عدل تسكن نفوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فالتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير مستد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير مصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لاصية لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما يريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله ممي أو لم يسم قال المصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن محته ولأبي داود في الراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلم خلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ولاطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل كل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال المصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متته ولا ضعف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك للطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيد كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل ومن الغريب ؟ قال
الفرارون بدينهم
يحتجون إلى عيسى
ابن مريم يوم القيامة
وهذه كلها أحوال
اختلفت واتبع أربابها
الصحة وحسن النية
مع الله وحسن النية
يقتضى الصدق
والصدق لعنه عمود
كيف تقلبت الأحوال
لمن سافر ينبغي أن
يفقد حاله ويصح
نيتة ولا يقدر على
تخليص النية من
شوائب النفس إلا
كثير العلم تام التقوى
وافر الحظ من الزهد
في الدنيا ومن انطوى
على هوى كامن ولم
يستقم في الزهد
لا يقدر على تصحيح
النية قد يدعو إلى
السفر نشاط جيل
قصاني وهو يظن أن
ذلك داعية الحق ولا
يميز بين داعية الحق
وداعية النفس
ويحتاج الشخص في
علم صحة النية إلى العلم

بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حرازة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحرازة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قنوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد يهيب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل المصالح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير التهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يغبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تناط بها الأحكام . مثله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالملق يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض ماثرات الشبهة فإن فيها صوراً يتغير للملحق فيها تحيراً لازماً لاحيلة له فيه إذ يكون للتصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقابلين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المبرورة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لا خدله والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الريب وإن توقف للملحق فلا وجه إلا التوقف وإن أتى الملحق بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد ويبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل للسكنى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذا العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا مضمّنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كللفظ الستة فانه لا يحتمل مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقدير فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قنوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة وتقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث وائلة أنه قال ذلك لوائلة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الخواطر وشروح
الخواطر وعليها يحتاج
إلى باب مفرد لنفسه
ونومى الآن إلى ذلك
برمز يدركه من نازله
شيء من ذلك فأكثر
الفقراء من علم ذلك
ومعرفته على حد .
اعلم أن ما ذكرناه من
نشاط النفس واقع
للفقير في كثير من
الأمر قد يجد الفقير
الروح بالخروج إلى
بعض الصحارى
والبساتين ويكون
ذلك الروح مضراً به
في ثانی الحال وإن كان
يتراءى له طيبة القلب
في الوقت وسبب طيبة
قلبه في الوقت أن النفس
تفسح وتتسع يلوح
غرضها وتيسر يسر
هواها بالخروج إلى
الصحراء والتزه وإذا
انتمت بمدت عن
القلب وتحت عنه
متشوفة إلى متعلق
هواها فيترجح القلب
لا لصحراء بل يمد
النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تشور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يرجع جانب الحل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه منارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن غيب بابه من خار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما انضح من هذا الشرح أخذه وما التبس فليجتنب فان الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح الفقه أمأحيث حرمة فيجب الامتناع ثم لا يصول على كل قلب قرب موضوع ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق للراغب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يتحنن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمسك النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لأنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلى فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمجوع ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا أحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الرية ومنشأ الرية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(الباب الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساد وظلمه كزى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما تذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلائل كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

بما عده عنه قرين يستغله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لثبته بها وكلما ازداد ثقلها تذكر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستغله وعلى هذا تجاس التروح بالأسفار قلل النفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يفتقر بالتروحات للاستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويثبت عند ظمور خاطر السفر ولا يكثر بالخاطر بل يطرحه بدم الالتفات

في الهجوم على أخذه ، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إثم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تنسى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأثمت به في الحال قدما من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يعتمرزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وماتل عنهم سؤال إلا عن رية إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء فقلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ماجرت بالتصدق بالضيافة ، ولقد دعت أم سليم (٣) ودعا الحياض (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا قال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوآن قرب إليهما إهالة (٥) » ولم يقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أحبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بأجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره جملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عز و هذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ الأموال إيداء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قمت فقلع ماله حلال وليس الائم المذخور في إيداء مسلم بأقل من الائم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيداء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو فيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه تشبث بالقية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكم زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذى وإعما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعته محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صنع أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

مسيئا ظنه بالنفس
وتسويلاتها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشیطان» فيكون
للنفس عند طلوع
الشمس وثبات تستند
تلك الوثبات والتهنئات
من النفس إلى اللزاج
والطبايع ويطول
شرح ذلك ويعق
ومن ذلك القبيل خفة
مرض المريض غدوة
بخلاف العشيات
فيتشكل اهتزاز النفس
بنمضات القلب ويدخل
على الفقير من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترأى له
أنه بالله يسول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هذا
الاشتباه إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أشده من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع التردد دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع ألا كل وإحسان الظن هذا هو للألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو خال مبتدع وليس يتبع فمن يبلغ أحمد أحداهم ولا نصيفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف هـ وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل إنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) ولم يسأل على التصديق عليها فكان التصديق مجهولا عنده ولم يتبع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أوردت رية فلقد كر سورة رية ثم حكها . أما صورة الرية فهو أن تعلمه على تحريم ما في يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثبائه أو من فعله وقوله . أما الخلقة فبأن يكون على خلقه الآراء والبواهي والمروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على ذاب أهل القصاد ، وأما الثياب فالتباعد والظنفسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يحل فله مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجيء إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال البدتد على ذلك وهذه الدلالة ضعيفة بالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد علمنا مثل هذه الدلالة فأورثت رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفق به لقوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك (٢)» فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم «الإنم حراز القلوب (٣)» وهذا له وقع في القلب لا يشكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكيم والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أوردت رية فإذا تخابلا فلاستحلال لاستند له وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكث فإن رأينا ظلية بالث فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المختلطان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالأوصاف بأمرا بالنصب والظلم أو يعتقد الرأيا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أجنب نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج في طلب المال ولا يكتب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بمحد فليستفت المبدئي مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلائل بالاضافة إلى المال وتساقتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلائل تناسب للمال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكمن محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يحل بالحكم في هذه الواقعة ما يعيل إليه القلب فإن هذا أمرين المبدوين الله فلا يعمدان يناط بسبب غنى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حراز القلوب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أولب القلب والحال من هذا مجهول وهذه مزية قدم غنصة بالحواش دون العوام فاعلم ذلك أنه عزيز على وأقل مراتب القراء في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يقيموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخار لا يحمل وإن تبين لفقير صحة خاطره أو تبين له وجه للصلحة في السفريان أوضع من الخاطر فلقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا يحمل صلاة الاستخارة اتباعا لسنة في ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامه قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد الكنجرودي أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريك قبله (٣) حديث الإنم حراز القلوب تقدم في العلم .

جنديا أو عامل سلطان أو ناعمة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراما قليلا لم يلحق السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم : لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (١) فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغنى أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والنياب فهنا السؤال واجب لاهالة كافي موضع الريبة بل أولى .

(لثار الثانى ما يستند الشك فيه إلى سبب المال في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فندفع السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضى الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال قل عن آحادهم نادرا في بعض الأحوال وهى محال الريبة في حق ذلك الشخص المين وكذلك كانوا يأخذون الثمن من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الثمن شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه جانا بالانفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذريجان إنكم في بلاد تبيع فيها البتة فانظروا ذكاه من ميتة أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى آتمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن آتمان الجلود وإن كانت هى أيضا تبيع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه إنكم في بلاد أكثر تصايها الجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يضحق مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له إدار على سلطان ظالمه أيضا مال موروث ودهنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضا فإن كان الأ أكثر من ماله حراما لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبها فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه إذ الميتة لم وجودها في الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال وإن كان المال قليلا وعلم قطعا أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الميتة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفى قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي اللواتى عن محمد بن النسكر عن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلنا الاستخارة كما يلنا السورة من القرآن قال : إذا تم أحدكم بالأمر أو أربأ الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بملكك وأستعذك بقدرك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه بينه خير لى فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ثم

أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقض للمدالة وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضا يحمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء التأخيرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده الإباحة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما لم يسرف عين للأخذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كإساق في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة اشتباه الذكية بالبيتية فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتعبر الفقهاء فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كان يلمد فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولو شئت عنها لكن لا أدري ما أقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوق في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لملك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع الملقى طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم ياملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فاملهم وهذا يدل على السامعة في الأقل ويحتمل السامعة في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والحجاز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد وللشبهة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يطعك السلطان فأما يطعك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خيئا يدعونا أو نحتاج فنستلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستلفه فان لك الهنا وعليه التأثم وأفق سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه التأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لا تعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفأنيبه فقال نعم وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت التسلي لا يمد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صرح فقال السلطان له حكم آخر فانه يحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقبل إنه إنما نقله خوات التيمي وأنه ضعيف الحفظ وللشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات فدع ما يريك إلى ما لا يريك وقال اجنبوا الحكايات ففيها الالتم . فان قيل فلم قلتم إذا كان الأكل حراما لم يجوز الأخذ مع أن

بورك لي فيه وإن كنت تعلمه شرأ لي مثل ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان .

[الباب السابع عشر فيمحتاج إليه الصوفي في سفره من الفرائض والفضائل]

فأما من الفقه وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الإيجاز تبينا بذكر الأحكام الشرعية التي هي الأساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي للسافر من علم التيمم والسبح على الحفين والقصر والجمع في الصلاة أما التيمم فجائز للمريض والسافر في الجنابة والحدث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلقا في النفس أو المال أو زيادة في المرض على القول الصحيح من للذهب أو عند حاجته

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكرة توجب ظنا مرسل لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص بفيض المواضع بالاتفاق وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاتصاحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحققنا أن الحرام المالحظ موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاتصاحاب والسكرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمع حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاتصاحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكرة ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاتصاحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزى ذلك في بول اشقه بقاء إذ لا استصحاب فيه ولا نظره أيضا في ميتة اشقبت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل على الطعام للباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشئ يتعلق بها الاجتهاد فمن ينفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض للسائل بما لا يشبه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كالمثل رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تفسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الزخعة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شئ ولكن لم يدرك أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه . مسألة : إذا كان في يد التولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا ما لا يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يملكه إليه صاحب الوقف نظرا فإن كانت تلك الصفة ظاهرة بغيرها التولى وكان التولى ظاهرة العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولى عن عرف حاله أنه يغلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يقول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهبة عند تردده فهما لأن اليد لا تخص الهبة عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينبجى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لخاص من ذيحته واحتمل أن يكون مجوسا لم يحزله ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء للوجود لمعطه
أو عطش دابته أو
رفيقه في هذه الأحوال
كلها يصل بالتييم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصل بالتييم
وبعيد الصلاة على
الأصح ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتطاب والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
التصير في ذلك كالطويل
وإن صلى بالتييم مع
يقين الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا بعيد مهما صلى
بالتييم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توم وجود
الماء بطل تيممه كما إذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا تبطل صلاته
ولا تلزمه الإعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئناف الوضوء
على الأصح ولا يقيم

لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلبس الواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد . مسألة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلفة وفيها رباطات خص بوقتها أبواب المذهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التميز ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة . مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يالي بضرب مثله إذ يجب إتياء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يضرب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يضربون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرتهم وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورعه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسألة : قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لومأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لامن الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا وقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحببه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متلفظاً ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنني لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الرية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال . مسألة : ربما يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضوره ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان يباعاً وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن منهما كما يسأل للتولي على المال الذي يسله أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي ولايتهم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلايتهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال منهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واعد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

الفرض قبل دخول الوقت ويقيم لكل فريضة ويصل مهما شاء من التوافل بيمين واحد ولا يجوز أداء الفرض بيمين النافلة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصل ويعد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمس للصحن وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير مختلط بالرمل والجص ويجوز بالتبر على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه فلو بقي شيء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم وضرب ضربة للدين مبسوط الأصابع ويمسح بالتراب محل الفرض

ترى العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي يميز عن عرفته بالثبوت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تغيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فليتنظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفرق هو القلب في مثل هذا الموضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فلي تأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك^(١) » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارته غرض له فيه كان له وقع في القلب لا بحالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إلى القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقتا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والعرفه وذلك بما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصالح جزاء الثراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب النصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع والمهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردته إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حارم حول الحمى وخاطر بنفسه . مسألة : لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من ابنه هي فذكر له فسكت عن السؤال^(٢) . فيجب السؤال عن أصل اللبن أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيمولا تقدير بل ينظر إلى الرية للفتنة السؤال إملو جواباً أو ورعاً ولا غاية للسؤال إلا حيث تقطع الرية للفتنة وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع سؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في المشاة فاذا قال اشتريت انقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك بما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم للمنصوب فلا تنقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا بقوله إن الشاة ولدتها شاتي فان أسنده إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عقبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة البخاري من حديث عقبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من ابنه هي فذكر له فسكت عن السؤال الحديث تقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش .

وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب محل القرض ويسح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا بمسوحتين وبمر اليد على ما نزل من الحبة من غير إيصال التراب إلى الثابت . وأما للسح : فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن في السفر والقيم يوماً وليلة وابتداء اللدة من حين الحدث بعد لبس الخف ومن حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة الشيء عليه وستر محل القرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله

قد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكرة النوال وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فلينظر في هذه العاقي . مسألة : سئل عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخطط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً أو حراماً أو شبهة . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لاسيما في الأطعمة والمستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشتريه عن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله فقيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه بمن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله يتقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن التولي والخادم كالنائب وله أن يشتري له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والحجاز ومن يعامله يحول عليه ويقصد البيع منه لا يمن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتفض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طعم الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليتقضى به دينه من الحجاز والقصاب والبقال فهذا ليس في شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض برده عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل التطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريماً على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضى دين الحجاز والقصاب والبقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم قيمة ما أطعمهم قد صح الأمر وإن قصر عنه فرضي القصاب والحجاز بأى ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاه من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أدوى

من غير تكرار ومتى ارتفع حكم السح بانقضاء الذمة أو ظهور شيء من محل القرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئفاف الوضوء على الأصح وللأسح في السفر إذا أقام يمسح كالتيم وهكذا للقيم إذا سافر يمسح كالسافر واللبد إذا ركب جورباً ونعل يجوز السح عليه ويجوز على للشرح إذا ستر محل القرض ولا يجوز على للنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة . فأما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والصبر في وقت إحداها ويقيم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره . وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والصبح بل يصليهما كبريتهما من غير قصر وجمع . والسنة

في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والفاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من التناوي وإما أوودناها ليعرف كيفية تخرج الوقائع للثقة للثقة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحجز عنه أكثر للفتن .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للمالية)

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فليُنظر فيهما .

(النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان متبسا مختلطاً فلا يغلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متبايزة كالعبد والورث والياب فإن كان في التباينات أو كان شامها في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المراجعة وصدق في بعضها أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن تبه أو فطر ذلك في الحبوب أو الدرام والتمانيير فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من حبة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظالم الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الأمة فيستحب ولا يغز إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات يوثق بها وأما هنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظالم الظن اجتهدا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بظالم الظن وهكذا طريق التحري في كل ما لا وهو أن يقتطع القدر للتيقن من الجانبين في الحل والحزمة والقدر للتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وجاز إمساكه اعتداه على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحصل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحال ترجيح وهو من للشكالات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج به ليس يدرى أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت مئة بتسع مذكرة فهي الشر فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقى ويستحلها ولكن يقال لعل لئمة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبق واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام . فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال محل بإخراج البدل لطرق المعاوضة إليه وأما اللئمة فلا تطرق المعاوضة إليها فليكشف النطاء عن هذا الاشكال بالقرض في درهم معين اشبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشبه عينه وقد مثل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال يبيع الكل حتى يبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه للرهن آيتين وقال لا أدرى أيتهما آيتك فتركهما فقال للرهن هذا هو الذي لك وإتما كنت أخبرتك فقضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم)

الرواتب يصلها بالجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والصمر وبعد الفراغ من الفريضتين يصل ما يصل بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السن الرتبة لها ويوتر بعدها ولا يجوز أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التعام القتال للغزى ويجوز ذلك في السن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفي الركوع والسجود الإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادراً على التحمل مثل أن يكون في محاورة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا لثبته حتى

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فنقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون الردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فلا احتياط أن يقايما باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان المنسوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فنقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو ألتف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقه كأن قد ألتفه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يلتف فإن القول بهذا أولى من التصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطره في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال مجبورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يعطها يباع فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالاته وحيث يمكن التلغظ وههنا هذا التسليم والتسليم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون محالا قبل البيع كالموخلط برطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يباع . قلنا لا نجعله يباع بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك للتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا إلا عين ملكي فإن استبهم فأتركه ولأنه به وأعطى عليك مالك . فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعتق والتضييق والتشريع لم يرد به فإن عجز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويغرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وأزهر . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجزه ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصي هو دون الأخذ منه وما يجوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق وبالتعيين وإخراج حق الغير وتميزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والمعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدرا فائتا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه قامت فيه أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفضله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأشكال فإنها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد ببيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى .

لو حرق دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . والمائى يتنقل في السفر ويقع منه استقبال القبلة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال ويقع فيه الإيعاء للركوع والسجود وراكب للعبادة لا يحتاج إلى استقبال القبلة للإحرام أيضا . وإذا أصبح للسافر مقبا ثم سافر فعليه أتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوفى أن يعلمه من حكم الشرع في مهام سفره . فأما الندوب والمستحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بمبته على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله

فإن أبي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنصص الدور وصرف إلى للمتبع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفيه السكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي الصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لا يختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الحنطة ظاهر وفي التفود مونه وفي العروش أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي له لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو المنسوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصد حصر النصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب وللال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل منصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للمنصب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجره العبيد والسيب والسيب والأواني وأمثال ذلك مما لا يتبادر إجازتها مما يصير ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التوقعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأنصص وما ربحه على المال للمنصب في عقود عقدها على القيمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة المنصب منه للمصلحة فيكون المنصب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تنسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرة فهي أموال حرام حصلت في يده فلم ينصب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليصدق به ولا يحمل للغاصب ولا للمنصب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدز أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والآن على اللورث واستدل بما روى أن رجلا من ولئ عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله أي لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحمة الصفة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لو ارث لا يدري أن فيه حراما قينا .

(النظر الثاني في الصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاث أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة اللالك كمنهول النسيئة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا إلى ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه يغتار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغي أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرُوا أحدكم » والذي يسميه الصوفية يشتر وهو الأمير وينبغي أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأتقاهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة . روى عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله للروزي أن أبا بطل الرباطي حبه فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت خير مني بل

أولفين فهذا ينبغي أن يتصدق به وإما من مال الله والأموال المرسدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يخرجها من المسلمين ليكون مائلاً للمسلمين وحكم القسم الأول لاشبهة فيما التصدق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضياً متديناً وإن كان القاضي مستعلاً فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد حالاً متديناً فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن للتصود الصرف وأما عين الصارف فائماً نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يشترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكى عن التفضيل أنه وقع في يده درهمان فلما علم أنهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لا أرضاه لنفسي فتقول نعم ذلك له وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه للغير والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاة للصليبة التي قدمت إليه فكلتمه بأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) . ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون - كذبه المشركون وقالوا للصحابية ألا ترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم ستغلب ، فخطبهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامهم به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار (٢) وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بها لكها ليقدمه الخن فطلبه كثيراً فلم يجد تصدق بالثن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فلا أجر لي ، وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة النبال وما يؤخذ منه بعد تخريق الجيش فقال يتصدق به . وروى أن رجلاً سولت له نفسه قتل مائة دينار من النسيئة ثم أتى أسيره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له خرق الناس فأني معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض النساك فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلطف إذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من أئمة الحديث إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع اليأس من مالكة وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من القائه في البحر فإنا إن رميناه في البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المالكة ولم نحصل منه فائدة وإذا رميناه في يد فقير يدعو مالكة حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصديق لا يفتنى أن يشكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاة للصليبة التي قدمت بين يديه وكلتمه بأنها حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل في حديث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما رجعنا لقينا راقي امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه قال أجد لهم غاة أخفت بغير إذن أهلها وفيه قال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث مخاطرة أبي بكر المشركين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه قال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذي وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضاً هذا سحت تصدق به .

التراد لنفسه ولا يفتنى على ظهره . وأنطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رقيقته ينطيه بكسائه عن النظر وكذا قال لا تفعل يقول ألسنت الأمير عليك الاتياد والطاعة فأما إن كان الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستبصار وطلب الرئاسة والتمزق ليقسط على الخدم في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال البائسين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فليتخذ لنفسه رفقاء مائتين إلى الدنيا يحتمون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلة للتوصل إلى تحصيل مأرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في النسيئة والدخول في المداخل المكروهة والتغلب

فان في الخبر الصحيح « إن للزارع والشارع أجرا في كل ما يصبه الناس والطيور من ثماره وزرعه »^(١) وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وتردنا بين التضييع وبين التصديق ورجحنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا ترضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستثنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا ينفى عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلبه ما قلعه وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسي ذلك وقال كيف يتصدق به فقل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرد به إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرد به إلى مالكة فيتصدق به عن مالكة فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فردا على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتخويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فانه غيبه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الاتعاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالكا له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل ويتنظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتمشى بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا نفي عاد إليه فإذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تتم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ لفقره لأسباب إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بنصبه وكسبه حتى ينفذ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرمهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فان أفضى فيطمعهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما عذرته في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال بما تصدق إذا

الربط والاستمتاع
والزهوة وكلما كثر
العلوم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدرت
أسباب الدين وكلما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن السحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعولهم
بدعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم صحبت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
الدينة فلما أردت
مفارقتهم شيعني وقال
صحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن أستودع الله
دينك وأمانتك
وخواتم عملك . وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فان الله تعالى

(١) حديث أجر الزارع والشارع في كل ما يصبب الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفرس غرسا أو يزرع زروا فياكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والذهن وحمارة المنزل وقصد الدابة وتسجير التنور وعن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق بيده ولاغنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه بمنزلة لحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى وقال الحرث الحامسي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم فيها درهم حرام ^(١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام ^(٢) فمراعاة اللحم والعظم أن يثبت من الحلال أولى ولذلك تقياً الصديق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم يثبت ويبقى . فان قيل فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهه ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهبي عن كسب الحجام فروج مرات ففتح منه قبيل إن له أيتاما فقال أعلفوه الناضح ^(٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أودابته فإذا افتتح سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسئله : الحرام الذى فى يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكسر وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه فى ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقياً لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جما بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فان الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقياً أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللتناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخزير والحرام إذا أحللتناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسئله : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فان كانا يسيطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى فان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف فى الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطليل الضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أياضاً كد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد نبت من حرام نبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما الحديث وفيه أعلفوه الناضح أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعه ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضعا وغلاما حجاما الحديث وليس المراد بجده رافع ابن خديج فانه بقى إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأهل وهو خديج ولم أره ذكرًا فى الصحابة وفى رواية للطبراني عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال مات أبى وفى رواية له عن عباية قال مات رفاعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له فى دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبئ أن يستفيد إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه قد روى أن عمر رضى الله عنه كان يسطى الناس عطايام إذا جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذابك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة فقلت والله إنها

وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتمد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر
 وحده تمارض أسباب الورع فينبغي أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن جسر رحمه الله أنه سالت
 إليه أمه رطبة وقالت بحقي عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه
 فرأته يتقياً وإنما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المدة وقد قيل لأحمد بن
 حنبل مثل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قليله مثل محمد بن مقاتل
 العباداني عنها فقال بر والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالاً ثم قال
 ما أحسن أن تداريها . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
 لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه
 إخراج الكل إمارداً على المالك إن عرقه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
 مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج
 إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - وفيه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
 وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب
 وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
 الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الإطعام والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
 اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم
 والإطعام أما الصوم فلا لأنه مفلس حكمياً وأما الإطعام فلا لأنه قد وجب عليه التصديق بالجميع وعملت
 أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد
 أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبياً كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
 أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة
 في الطريق كالأجور شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
 به عن بقية الحرام فالإقامة أولى من الحجز ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
 واجب بماله فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
 فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
 حرام فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
 ضرورة وما ألقناه بالطيات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمسك لما هو مضطر إليه من تناول
 ما ليس بطيب فساء ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :
 مثل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تسكره معاملته فقال
 ندع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقضى فقال أقرى ذلك قال أفتدعه
 محتسباً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
 قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاولات الفاسدة بطريق التفاضل
 والتقابل مهما كثرت تصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يمين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
 من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي القدر الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
 حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين)

كانت صوامع قوامه
 فأخذت المعول حتى
 اتسبنا إلى القبر فحفرنا
 وإذا سراج وإذا هذا
 الغلام يدب قليل إن هذا
 وديتسك ولو كنت
 استودعنا أمه لوجدتها
 قال عمر لهو أشبه بك
 من الغراب بالغراب .
 وينبغي أن يودع كل
 منزل يرحل عنه
 بركتين ويقول : اللهم
 زدني التقوى واغفر لي
 ذنوبي ووجهي للخير
 أينما توجهت . وروى
 أنس بن مالك قال كان
 رسول الله عليه الصلاة
 والسلام لا ينزل منزلاً
 إلا ودعه بركتين
 فينبغي أن يودع كل
 منزل ورباط يرحل
 عنه بركتين وإذا
 ركب الدابة فليقل
 - سبحان الذي سخر
 لنا هذا وما كنا له
 مقرنين - بسم الله
 والله أكبر توكلت على
 الله ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم .
 اللهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخل للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسماً : مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة للأخوة بالقهر والنقء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والعاقبة . والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قسماً : الموارث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا متولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقيه أو غيره إدرار أو صلة أو خلة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على الموارث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأقسام الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضاً في محل الاجتهاد والسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون القسمة التي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يسلح تحريره فلا يكون عامل سلطان ظالماً ولا يبيع خمر ولا حبوباً ولا امرأة إذ لا جزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للموارث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراماً بقى النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في القدر للصرف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في للبركات مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقاً له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ أنه أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الطالب أنه أحياء باكره الأجراء أو بأداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بخمر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكروهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا متأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعوان . الخامس ما اشتراه السلطان في الدمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقتضى منه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع بامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فانه كال خزانة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يسلطه قرض على السلطان وسياً أخذ بدله من الخزانة فالحلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلط إليه بينه من الحلال احتمالاً قريباً له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز

الظهر وأنت للسلطان على الأمور السنة وأن يرحل من النازل بكثرة ويستدعى يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بشها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يخرقه أربعة أعياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتقن أنه حرام في أن أخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
 ما لم يتحقق أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا ولا كلاهما إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب
 إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق . ولقد احتج
 من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال معها لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى
 عن جماعة من الصحابة أنهم أدرکوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد
 الخدری وزید بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجرجر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلمون
 مخزومة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من
 الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون
 الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يحيطك السلطان
 فاعلم يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على
 دينه أن يحمل على ما لا يعمل إلا ترى قول أبي ذرٍّ للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نعمة فإذا كان آثما
 دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعتنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب
 أن أباه هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق
 لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع
 عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحدا ولا أرد ما رزقني
 الله وأهدي إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر رضي الله
 عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والاسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يبعث ابن عمر إلى ابن
 عمر بدينين ألفا قسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما
 قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأجيرك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك
 من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب
 ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قبيل ما هي قال مال وكسوة وعن
 الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر عارف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه
 أو أعطاك شيئا فاقبل فإن للهائلك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم في معناه وعن جعفر عن
 أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررتا على سعيد
 ابن جبيرة وقد جعل مالا على أسفل الفرات فأرسل إلى المصارين أجمعونا معانديكم فأرسلوا بطعام فأكل
 وأكلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدی أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبل وقال
 إبراهيم لأبأس بجائزة المال إن لمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك
 فهو من طيب ماله قد أخذتهؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله
 تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع
 كالخلفاء الراشدين وأبي ذرٍّ وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زاهد ومن الحلال الذي
 يخاف إفضاؤه إلى محذور ورط وتقرى فأقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم
 وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت للمال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا وما نقل عن
 الحسن من قوله لا أنوضأ من ماء صبري ولو ضال الوقت الصلاة لأن لا أدري أصل ماله كل ذلك ورع
 لا يشكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فهذه
 شبهة من يجوز أخذ مال السلطان للظالم . والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى

وخيوطها والقراض
 ورويت عائشة رضي الله
 عنها أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان إذا
 سافر حمل معه خمسة
 أشياء للمرأة والمكحلة
 والدرى والسواك
 والشط وفي رواية
 القراض والصوفية
 لا تفارقهم الصاوي
 أيضا من السنة . روى
 معاذ بن جبل قال قال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن آخذ
 متبرا قد اغذته إبراهيم
 وإن آخذ الصا
 قد اغذها إبراهيم
 وموسى » وروى عن
 عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما أنه قال
 التوكؤ على الصا من
 أخلاق الأنبياء كان
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عصا يتوكأ عليها
 ويأمر بالتوكؤ على
 الصا وأخذ الركوة
 أيضا من السنة . وروى
 جابر بن عبد الله قال
 « بينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يتوضأ من

ما قل من ردم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان بفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فمرمها لبيت المال وحتى إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهمين من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الماحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر اصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الحراج وقال أيها الناس ليس لعمرو ولا آل عمر إلا مال المسلمين قريتهم وبجدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمرو رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا عظملة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأكل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دعه ما يريك إلى مالا يريك » (١) ولقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه » (٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع عمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج فقال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لا تعمل على شيء أبدا » (٣) وقال ﷺ « إني لا أخاف عليكم أن تتركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدنفسى فيه إلا كالأولى مال اليتيم إن استغنيت استغففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طلوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتمال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من البالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أعدهم إنكارا عليهم وأحدهم ذما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له إنا ترجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وسترى قري وفي حديث آخر أنه قال إني الحبيث لا يكفر الحبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعوني فقال

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه « والأسل فيه البكاء كالسبي يتلزم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء فخررب ولا تنوضأ به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يخور من بين أصابعه مثل الصيون قال فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشينا خلفه للمرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

(١) حديث دعه ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع عمله على رقبتك الحديث الشافعي في السند من حديث طلوس مرسل ولأبي يعلى في اللجم من حديث ابن عمر مختصرا أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح (٤) حديث إني لا أخاف عليكم أن تتركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عامر .

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » (١) وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرّفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما سمعت من الطعام ماذا انتهت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضى الله عنه أنه كان له سوق في إثناء محتوم يشرب منه قليل أو كثر طعمه فقال أما إنى لأخشمه بخلافه ولكن أكره أن يحمل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب أذهب فأتى حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقد مات به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن به يومئذ كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان لينصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يمين مال كذا هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم قد يقول أخذه منه وصرفته أولى من تركه في يده ، وهذا قدر آه بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعدهم فتستين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال تصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأنصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافى رحمه الله بمأقوله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمكك نفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر مما له حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تمليل على رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذه من الحلال أكثر فهذا بما قد جوزه جماعة من العلماء فتويلا على الأكثر ونحن إنما توقعنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب وإنما مناه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات عرفت أن إدارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تفرقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والتبعية لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في الأخوذ والأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الحراج والضروب على السلمين ومن الصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره . والوجه الثاني أن الظلمة في العصر الأول تقرب عهدهم زمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشفين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطايهم وجوائزهم وكانوا يمتنون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون النة ببولهم ويغريون به وكانوا يأخذون منهم ويغريون ولا يطعمون السلاطين في أغراضهم ولا يشنون مجالسهم ولا يكثرهم معهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينسكرون النكرات منهم عليهم فما كان يحذر أن يصيوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن بأخفهم بأس فأما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتسكّرهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيائهم مجالسهم وتكليفهم الواظبة على الدعاء والتناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط
أن يصل ركعتين في
أول التبرار يوم السفر
بكرة كاذكرنا يودع
البقة بالركعتين
ويقدم الخف وينفضه
ويشمر الكم اليمنى ثم
اليسرى ثم يأخذ
للإيديد الذي يشده
وسطه ويأخذ خريطة
للداس وينفضها ويأتي
للوضع الذي يريد أن
يلبس الخف فيفرق
السجادة طاقين
ويحك نعل أحد
للداسين بالأخرى يأخذ
للداس اليسار
والخريطة باليمين وضع
للداس في الخريطة
أعقابه إلى أسفل
ويشد رأس الخريطة
ويدخل للداس يده
اليسرى من كفه
الأيسر وضعه خلف
ظهره ثم يمد على
السجادة ويقدم الخف
يساره وينفضه
ويبتدى باليمنى فيلبس
ولا يدع شيئا من الران
أو للنفقة يقع على

في حضورهم ومغيهم فلم يذلل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وبإظهار الحب والولاية والناصره له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقايحه ومساوئ أعماله ساجدا لم يتم عليه درهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلا يزال يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لأفضائه إلى هذه اللعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحة والتابعين قد قاس الملازمة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال القتل منهم والثناء عليهم والتزود إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسنين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمانسنته عليها في الباب الذي يلي هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفه الأخذ)

ولنفرض للمال من أموال الصالح كآربة أخماس النقي والوارث فان ماعدها بمقادير معين مستحقة إن كان من وقف أو صدقة أو خمس في أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما النقي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكررا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تصدى لمصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه اللغويون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترزقة الذين يحرسون الملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البنى وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصاحبة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بعنه أمر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يقبضه فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إمرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من حال منهم غير أجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع النقي فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يفرقوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويغني وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال قد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم قرة في السنة ، وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة والجماعة عشرة آلاف والجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص

الأرض ثم يغسل يديه ويغسل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرباط لا ينعته وهكذا المساو الا يريق ويودع من شيء ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كفنه الأيمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طريقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل وابطا كان أو غيره عمل الراوية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا المساو الا يريق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى الصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس وتعرض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إمام معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس بعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعهم وكان في الاستبدال به فنة تائرة لا تنطابق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) وللنع من سل اليد عن مساعدتهم (٢) أو امر وزواجر فالذي نراه أن الخلافه منقذة للتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب السطظهرى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه الصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً إلى مزايا للصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت للصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكفة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلنسا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسم بالمطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فقلنا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دائق أو حبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوحق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى والمطلوب هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنسيئة بين الغائمين ولا كالميراث لأن الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يتمتع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الأيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز في المطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجع عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . ولمسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لمجد الأطراف (٢) حديث النع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلامات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجيل ولا يشهدا أكثر فقراء العراق والشام والمغرب ويجرى بين الفقراء مشاحنة في رعايتها فمن لا يشهدا يقول هذه رسوم لا تلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن يشهدا يقول هذه آداب وضما للتقدمون وإذا رأوا من يخل بها أو بشئ منها ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال هذا ليس بصوفي وكلا الطائفتين في الإنكار يتصدون الواجب والصحيح في ذلك أن من يشاهد لا ينكر عليه فليس بمنكر في الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب في الشرع ولا مندوب إليه وكثير من فقراء خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجويرة سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جئات وآثر عثمان علياً رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانص على عنها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه للسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضول مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرايين حق فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شد عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بنفلة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاوته أيام ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلّم لئال غالباً إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعتزل عنهم فلا ترام ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تليطات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فتنبأها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم » (١) وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه النابذة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض » (٢) وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء » (٣) وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جحزة (٣) حديث أبي هريرة أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيراً ما يحل بها قراء العراق والعام والغاربة إلى حد يخرج إلى المضرب والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويحصل للصلح الاخوان أعمار مالم يكن فيها منكر أو إخلال بمندوب إليه والله للوفى .

[للباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه] ينبغي للفقير إذا رجع من السفر أن يستبذ بالله تعالى من آفات اللقام كما يستبذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء النظر في الأهل ولئال والولد » وإذا أشرف

وفي الخبر «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدق بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر «سلة يأسلة لاتفتش أبواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال سمنون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتهم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جريت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدر مع ما أواجههم به من الظلمة والمخافة لهوام ، وقال عباد بن الصامت حب القاري الناسك الأمراء ثقا وجه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه رضي به بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للعجاج فعزله فقال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حبسك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشيرا ، وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قريبا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن السيب يتجر في الزيت ويقول إن في هذا لتنى عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الدين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من القامرين ، وقال محمد بن سلة اللباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء ، ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال يبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلبك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الليثاقي على العلماء قال الله تعالى - لتبينه للناس ولا تنكمنوه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى بدنوك بمن لم يؤدحقا ولم يترك باطلا حين أدناك أنخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسعفا يصعدون فيه إلى ضلاتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ويقنادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك لما يؤمنك أن تكون بمن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعجل ويحفظ عليك من لا ينفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زائد قد حضر سفر بعيد - وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المخطور عن الكروه والباح . فنقول : الداخل على السلطان متعرض لأن يصي الله تعالى إما بفضله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينشك عن أحد هذه الأمور أما الفعل فالدخل عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مضوية وتخطيها والدخول فيها بغير إذن للملك حرام ولا يترنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فئات خبر فإن ذلك صحيح في غير المنصوب أما المنصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لاتتقص الملك فهي في عمل التسامح وكذلك الاجتياز فيجرى هذا في كل واحد فيجرى أيضا في المجموع والنصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان الحديث القليل في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

على بلد يريد القيام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ما تيسر
ويجعله هدية للأحياء
والأموات ويكبر وقد
روى «أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قفل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آيوني
تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر
عبدته وهزم الأحزاب
وحده» ويقول إذا رأى
البلد : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتاد على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لاتقص الملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التسليم تباح ولكن بشرط الاضراء فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصاً فإن فرض كون الظالم في موضع غير منصوب كالموت مثلاً فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستغلال به فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يصح بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكرماً للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لا لمعنى آخر اقتضى التواضع قمى ثلثاً دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لعالم أولم يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقى به بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حق امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاقاً لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب فقيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتص على السلام فلا يغلو من الجلوس على باطنهم وإذا كان أغلب أمواهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه ميري في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير اللبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو غش وكذب وشنم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يرام لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفضله .

فان قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بصرفه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم مصاداً في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليحري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدق فيما يقول من باطل يصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو بظن له الحب والموالة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فإنه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فقير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ^(١) » فان جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذباً ومناقاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ^(٢) » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام ^(٣) »

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام تقدم أيضاً .

ونزل للدينه نزع لأتمته
واغتسل واستحم
ولا فليجد الوضوء
ويغسل ويغسل
ويستمد لقاء الاخوان
بذلك وينوي التبرك
عن هنالك من الأحياء
والأموات وزورهم .
روى أبو هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« خرج رجل يزور أخا
له في الله فأرصد الله
بمدرجته ملصكا وقال
أين تريد قال أزور
فلانا قال لقرابة قال
لا قال لنعمة له عندك
تشكرها قال لا قال
فيم تزوره قال إن
أحبني الله قال فاني
رسول الله إليك بأنه
يحبك بحبك إياه .
وروى أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « إذا دعا الرجل
أخاه أو زاره في الله قال
الله له طبت وطاب
ممشاك ويتبوأ من الجنة
موتلاً » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة
فإن التزكية والثناء إعانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتوبيخ زجر
عنه وتضعيف لدواعيه والإعانة على العصية ولو بشطر كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله
عنه عن ظالم أشرف على الملاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
وقال غيره يسقى إلى أن ثوب إليه نفسه ثم يمرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه
وطول بقائه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه
أن يفضله في الله وبعثته فالبغض في الله واجب ومحبة العصية والراعى بها عاص ومن أحب ظالما فإن
أحبه لظلمه فهو عاص لمحبهه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضله وكان الواجب عليه
أن يفضله وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر
وسمى في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيبات
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (٢) »
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتحمله إياهم إن كان
من يتحمل به وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بنى
عبد الملك بن مروان فقال لا أباع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهي عن بيعتين (٢)
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجلد مائة وألبس
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بمنزلة . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لأمر إكرام
وعلم أنه لو امتنع أذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
لا طاعة لهم بل مراعاة المصلحة الحاق بمحق لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
مسلم سواء أوعى نفسه إما بطريق الحسنة أو بطريق النظم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى
ولا يبيع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم
والدين مستحق للاحسان كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد فلا إكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين واعراضه
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فمراعاة حشمة أرباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم
ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
عبد الله بن الشخير أتلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل وقال صحيح
الاسناد (٢) حديث دعا ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بنى عبد الملك فقال لا أباع اثنين
ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن بيعتين أبو نعيم في الحلية بإسناد
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكروا الآخرة » فيحصل للفقر فائدة الأحياء والأموات بذلك فإذا دخل البلد ابتدئ بمسجد من المساجد يصلى فيه ركعتين فإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقر بمنزلة البيت ثم قصد الرباط قصد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة رضى الله عنه قال : مكان الرجل إذا قدم للمدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن أنزل الصفة ، فإذا دخل الرباط يعضى إلى الموضع الذى يريد نزج الحنف فيه فيحلق

بحيث يحصل بها غرض الظلم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يفنيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للسلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فينأى أنا عنده إذ دق دق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتضمن بها قال أردتها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا بما ورثته قال لا حاجة لي بها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلني إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذا لاسلامه إلا فيه فقيه أن يعتقد بعضهم على ظلمهم ولا يجب بقاؤهم ولا يثق عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يغوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يعبدون لدته وإني وإياهم في غد لعل وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قص ذلك من رتبته في القلب لاعمالة والمعصية ينبغى أن تكره فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكرهه ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جنابة كل أحد على حق الله كجنابته على حقه .

فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب . قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإعنا لا يحب الله من لا يعرفه ولا يعرفه والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحبه ما أحبه وسأيت تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتقوني برجل من الصحابة قليل يا أمير المؤمنين قد تغافوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجباني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فضرب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقبل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكني وجلست بإزائي غير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث وثالة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يغف الله خوفه الله من كل شيء وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلامها منكر .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كفه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج اللداس باليسار ثم يضع اللداس على الأرض ويأخذ اليازيد ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فإن كان على الوضع يسفل قدميه جدنزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطا بها موضع السجود من السجادة وهما الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وينتبه الظاهرة في ذلك تحيد للريد في كل شيء هيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا

من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلسهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبي ولا يمتصب علي وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي يا حرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأوليائه فقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال - ثبت يداي لأبي لهب - وأما قولك جلست بازائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانتظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كاليفال تلغ كل أمير لا يسدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت علي أبي جعفر المنصور يعني فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أتلت هذه النزلة بسبب المهاجرين والأنصار وأبناءؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى هنا أموالا لا تطبق الجمل حملها وخرج فكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا أئرموا وكانوا يفررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شعبة علي عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعانية الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجملن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه » (١) ودخل مالك بن دينار علي أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز من اعتزني أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتفقع فقال له والي البصرة أتدري ما الذي يجرئك علينا ويحببنا عنك قال لا قال فله الطمع فينا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره على مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمتي فكيف إذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصاؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم مالنا نذكر الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم علي الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالثواب يقدم على أهله وأما النسي فكالثواب يقدم على مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لفي نعم وإن القجار لفي جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له على أصل .

لحركاته غير قائم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ومن أدخل من الفقهاء بشي من ذلك لا ينكر عليه ما لم يحل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتوا على الله عليه وسلم ماتوا على كثير من رسوم للتصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية في الأشياء غلط ففعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر أو كالمه وقد كان في السفر لم يشمر الأكام فينبه أن لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يحل بمندوب إليه شرعا وكون الآخر يشمر الأكام يقبس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمر الأكام

قال فأى المؤمنين أكسب؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ماتقول فيما نحن فيه؟ قال أوتعفيني قال لا بد فانها نصيحة تلقينا إلى قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشما قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشياقي على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره خبري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غفد بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قرية. ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تكلفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما أتمنك الله تعالى عليه فانهم لم يألوا في الأمانة تضديعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبا من باع آخرته بدنياه غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لاعليك. وحكي أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لارتداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لاتفوته وقد نسب لك علما لا تجوز له ما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باقى إن خيرا غير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصد الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غرور إن يقر بها الحق: أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا للكلام على كلام غيره فهو مغرور. الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التعرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فليرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أمورهام مسائل. مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لفرقة على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخفة والارتفاع به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشعرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكمام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على التصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقولون النكر هذا خلاف للندوب ولا ينبغي للنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدكم فيما اعتدوه وتركهم السلام بمثل وجوها: أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على الساكنين كما سبق فلما أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تسمى
بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فنقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت
ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذه أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت
تعد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يفي الخبر في
مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك
من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغلون
عن تفرقة وأخذه على نية التفرقة فالمقتدى والتشبه به يبنى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه
يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتى به إلى ملك بمشهد من
الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فلم يقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل
له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أنني طوبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت
فلا يلمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان
عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لفلانة هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن
أبي طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه
فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم
لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن فعلت . الغائلة الثالثة : أن
يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه بإياك وإيثاره لك بما أتقده إليك فان كان كذلك فلا تقبل فان
ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى ما يجب الظلمة إليك فان من أحببته لا بد أن تحرس عليه
وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام
« اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي »^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع
من ذلك . وروي أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأناها
محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخاوي ؟ قال سئل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال
أنشدك الله أفتبكي أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف
هنا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة
ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى
بأمر وإن غاب عنه كمن عهد قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم
فان كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة
أنه كان يأخذ أموالاً ويفرقها فقيل له ألا تخاف أن تعذبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم
عصى ربه ما أحبه قاي لأن الذي سخره لأخذ يدي هو الذي أبغضه لأجله شكر الله على تسخيره
إياه وبهذا بين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بينه من وجه حلال محذور ومذموم
لأنه لا ينفك عن هذه النوائيل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ما وتفرقة فهل يجوز أن يسرق
ماله أو تخفي وديته وتكر وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن
عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى
الذين في كتاب تضييع العمر والآيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يؤول فسلم عليه فلم يرد
عليه حتى كاد الرجل
أن يتوارى فضرب
يده على الحائط ومسح
بها وجهه ثم ضرب
ضربة أخرى فمسح بها
ذراعيه ثم رد على الرجل
السلام وقال إنه لم يمتني
أن أرد عليك السلام
إلا أني لم أكن على طهره
وروي « أنه لم يرد عليه
حتى توضأ ثم اعتذر
إليه وقال إني كرهت
أن أذكر الله تعالى إلا
على طهره » وتديكون جمع
من الفقراء مصطحين
في السفر وقد يتفق
لأحدهم حدث فلوسلم
التوضي وأمسك
المحدث ظهر حاله فترك
السلام حتى توضأ من
يتوضأ ويصل فقامه
من يصل سترًا للحال
على من أحدث حتى
يكون سلامهم على
الطهارة اقتداء برسول
الله صلى الله عليه وسلم
وقد يكون بعض
القيمين أيضا على غير
طهارة فيستعجل جواب

السلام أيضا بالطهارة
لأن السلام اسم من
أسماء الله تعالى وهذا
من أحسن ما يذكر
من الرجاء في ذلك
ومنها أنه إذا قدم ياقته
الإخوان وقد يكون
معه من آثار السفر
والطريق ما يكره
فيستند بالوضوء
والنظافة ثم يسلم
ويصافهم ومنها أن
جمع الرباط أرباب
مراقبة وأحوال
فلو هجم عليهم بالسلام
قد ينزعج منه مراقب
ويتشوش محافظ
والسلام يقدمه
استئناس بدخوله
واشتغاله بفصل القدم
والوضوء وصلاته ركعتين
فيتأهب الجميع له كما
يتأهب لهم بعد مسابقة
الاستئناس وقال الله
تعالى - حق تستأنسوا -
واستئناس كل قوم
على ما يليق بحالهم
ومنها أنه لم يدخل على
غيريته ولا هو غريب
منهم بل هم إخوانه

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فان العاقل لا يظن به أنه يتصدق بما
يملكه فبدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فان كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل
منه المال ما لم يعرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته
فان اليد دلالة على الملك فهذا لا يسيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن
تكون له بشراء في القصة أو غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة ما لهم لانهم ولا ممن أودع عنده
ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق ما لهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند
ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر ما لهم حرام فأي يؤخذ عوضا فهو
حرام فان أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيها سلم إليهم فان علم أنهم يصون الله به
كبيع الدجاج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع النخب من الخمار وإنما الخلاف في الصحة
وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسوا نساء فهو شبهة مكروهة هذا فيما يحصى في عينه من الأموال
وفي معناه بيع الفرس منهم لاصيا في وقف ركوبهم إلى قتال المسلمين أوجابية أموالهم فان ذلك إغانة
لهم بفرسه وهي محظورة فأما بيع الدرام والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يحصى في عينه بل
يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغاثتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب
وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم
وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فان
ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتصب وكلاهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره
فهو مكروه من حيث الإغانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالقتل والدجاج للفرس
والابس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو ما ظهر قصد للعصية بالمبتاع حصل التحريم
ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي بنوها
بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم
كسبه وكان عاصيا بسكناء للناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء
منها فان ذلك إغانة لسكناءهم وتكثير لكراه حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها
أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب
الأراضي التي لهم عليها الخراج فانهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإغانة وهذا
غلو في الدين وخرج على المسلمين فان الخراج قديم الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض
ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول
ويتدأى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة قضائهم وعملهم وخدمهم حرام كعاملتهم بل أهد
أما القضاء فلا أنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويخرون الخلق بزبهم فانهم
على زى العلماء ويغتلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والافتداء بنوى
الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح
ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال
بالحشم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تصديهم على من شهدت عليه وبالجملة
إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد الطاء فلولا القضاء السوء والعلماء السوء لقل
فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

وكشفه مالم تعالى قراؤها أمراها (١) وإيما ذكر القراء لأنهم كانوا هم الطاء وإنما كان عليهم بالقرآن ومعانيه الفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القربطاس وصاحب البيضة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٣) » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناوله الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنضهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا وهذه البالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكمة والحجابين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الدمة وإنما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والموالين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لأن النصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وجسابه على الله وأمامصية الولاية بالظلم وهو متعد فأنما يفلظ أمرهم لذلك ويقدروهم الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار (٥) » وقال عليه السلام « من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر (٦) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة فمن روى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جرى على نفسه إذ تزيأ بهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يشجان

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكشفه مالم تعالى قراؤها أمراها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها ويدهان خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للسنن دون قوله وشاهداه ولأبي داود لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون وشاهداه (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه ملمونون وشاهداه قالهم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولا بن ماجه من حديثه إن آخر ما أزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٥) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث من أشرط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ومسلم من حديث أبي هريرة يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والألفة بالنسبة للفتوة الجامعة لهم في طريق واحد وللترز منزله والوضع موضعه فبرى البركة في استفتاح التزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يهد عذرهم في ترك السلام ينبغي لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام فكأن من ترك السلام له نية فالتدأ به له أيضا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحسنها شيوخم فما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا استلثم فأبدءوا باليمين وإذا خلعتم فأبدءوا باليسار أو اخلعها جميعا أو اخلعها جميعا » روى جابر رضي الله عنه « أن رسول الله صلى

إلا يحجون ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوائهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاهم للأئمة ظالمى أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر من جماعة الشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنهم لا يقضون لنصبي فكانوا يؤاكلتهم ويشربونهم وبهذا يتبين أن بعض الظلمة والنصب لله عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم» (١) . مسألة : الموضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والساجد والسقايات ينبغي أن يحاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاختراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجر قد تقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً بالضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض منصوبة أو غنصب منصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المنصوبة تسقط القرض وتتعد في حق الاقتداء فلذلك جوزنا للفتنى الاقتداء بمن صلى في الأرض المنصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في النصب وإن كان من مال لا يعرف مالكة فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناء ولو لم يجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير منفع به في الصلاة وإنما هوزينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرسوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقترائها ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف قوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقة الأرض منصوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للولاء وأرباب الأمر . مسألة - الأرض المنصوبة إذا جعلت شارعاً لم يجز أن يتخطى فيه ألبته وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سباط حاز العبور وجاز الجلوس تحت السباط على وجه لا يحتاج فيه إلى

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في العاصى نهتهم عماؤهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وواكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم أفظ الترمذى وقال حسن غريب

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى . وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه» وإذا سلم على الاخوان يماقهم ويماقونه فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عانقه النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرى بقدوم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة السلم أخاه للصافحة» وروى أنس

السقف كما يقف في الشارع لشغل هذا انتفع بالسقف في دفع حر انشمس أو الطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا بمباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له قائمة في الحيطان والسقف لحرا أو برد أو تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من العاسة بل للانتفاع بالأرض تراءد للاستقرار عليها والسقف للاستغلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد مثل عنها في الفتاوى)

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو ثوبا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذ من يقع ملكا له للعليل وله أن يطعم غير العليل إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يسلط الخادم على التبراه به والتصرف فيه لأن ذلك مقرر إلى أن العاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا ضائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخاقاه إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولوماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وراثته ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يمتنع له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا تنوجب تسليط الأحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينصرفون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والرواة فان منعهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كما ينقطع عن من مات عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والقر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطهم بطريق الساكنة في الخاقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر بالبعث فالنقص يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر نفسه وإن كان على زيه لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتير فيه الصفاة . وأما الحرفة والاشتغال بالسبب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر هذا بالزى والمخالطة فأما الوراقة والحياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تماطيا فإذا تماطيا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بمساكنة إياهم مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقية الحصول من الزى والساكنة والقر إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقرر وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقر فإن زال بشئ مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ صوفية الصوفية وإن كان له مال ولا ينفذ دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقى
صديقه وأخاه ينحني له
قال لا قبل يلتزمه ويقبله
قال لا قبل فيصافحه قال
نعم ويستحب للفقراء
القيمين في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عكرمة قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئته :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام لجضر يوم قدومه
ويستحب للخادم أن
يقدم له الطعام . روى
لقيط بن صبرة قال
« وقدنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قلم تصادفه في منزله
وصادفنا عائشة رضي
الله عنها فأمرت لنا
بالحريرة فصنعت لنا
وأتينا بقناع فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور
لادليل لها إلا العادات وأما الخاطلة فما كان من لا يخاطلهم وهو في داره أو في مسجد
على زيهب ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخاطلة يجبرها ملازمة الزى فان لم يكن
على زيهب ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكناً لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم
بالتبعية فالخاطلة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زيهب هذا حكمه
فان كان خارجاً لم يعد صوفياً وإن كان ساكناً معهم ووجدت بقية الصفات لم يعد أن ينسحب بالتبعية
عليه حكمهم . وأما لبس المرقعة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعده لا يضره
مع وجود الترائط المذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .
مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف
الصرف إلى مصالحهم فغير الصوفي أن يأكل معهم برضام على مائدتهم مرة أو مرتين فان أمر الأئمة
ببناء على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية
بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة
قلوبهم محلهم الأكل برضام فان الواقف لا يقف إلا معتقداً فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزل
على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفياً أن يسكن معهم على الدوام وبأكل
وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زيهب
وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه فقيهاً لا ينافي كونه صوفياً والجهل ليس بشرط في التصوف عند من
يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقلوبهم إن العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم المنوم دون المعلوم وذكرنا المعلوم
والمنوم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهب وأخلاقهم فله منعه من التزول عليهم فان رضوا
بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره للسكنة ولكن برضا أهل
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة
أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كائنها عليه في أبواب الشبهات . مسألة :
مثل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد
حرمت إحداها دون الأخرى . قللت باذل المال لا يئذله قط إلا لترض ولكن الغرض إما أجل
كالثواب وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه
بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون المصروف إليه محتاجاً أو عالماً أو منتسباً
بنسب ديني أو صالحاً في نفسه متديناً فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجاً
وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن
يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقد الله - أي فان كان خيل إليه كمالاً في العلم حتى يشبه بذلك على التقرب
ولم يكن كاملاً لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن فسقاً
لوعله العطي ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر
الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم
حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين فان ذلك مخطر والتقى خفي لا كالمعلم

أصبتم عيشاً قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
لقادم أن يقدم للفقراء
عيشاً لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم المدينة نحر جزورا
وكرهيتهم لقدوم القادم
بعد الصر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروقي الليل والصوفية
بعد الصر يستمدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والانسكاب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرقن أهله ليلاً »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهاراً في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فان فات
من أول النهار فقد
ينفق تعويق من

والنسب والفقر فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدى إلى الشيء طمعا في خاتمة هذه هبة بشرط الثواب لا يبغي حكمها وإنما تحمل عند الوفاء بالثواب الطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراما كالسمي في تجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفي الغرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينم حتى يكذبا وافقر في تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصوصية بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسمي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الفعلة من ذي الجاه فيد كقوله للباب لا تنفق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على التهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينهبها على دواء ينفرده يعرفه كواحد ينفرده بالعلم ثبت يقطع البواسير أو غيره فلا بد كره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من مسهم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف أو المراءة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصاته بقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمراءة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما يقصد به الهبة وجلبها من قبل الهدى إليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعلاء ومنسوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبة ولكن إذا لم تعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين ييسره في الحال أو المال سمى ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاهبته ولا لأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بمجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأتوة فمثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنسهما إذ يمكن التوصل إليه بالولايات لا يبغي وآية أنه لا ينبغي المحبة أنه لو ولى في الحال غيره لم يسل إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعه ابن عدي .

فيه متصارفاً فانه دأب بين الهدية المحضة وبين الرشوة للبدولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت للشبهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعة يقتل البريء لتوعظ به العامة (١) » ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها لامل قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بده شيئا في معرض العوض . شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردّها وقال لو علمت ما في قلبك لما تسكمت في حاجتك ولا أتكم بها بقى منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال وقال إنما أعطيتا لمكانكما حتى إذا علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوة فكافأته بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوقها ورد باقية إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما هدايا للولك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أى كان يتقرب إليه لنبوته لا للولاية ونحن إنما نمطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيتك هديتك إن كنت صادقا ثم قاله ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألا جلست في بيت أمه لهدى له والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت رياض يبطله ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فلتقاضى والوالى ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذ في ولايته وما سلم أنه إنما يعطاه لولايته فقام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فيجب تجنبه .

(ثم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غفر صفوة عباده بطائف التخصيص طولا وامتانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلًا وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعة يقتل البريء ليوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبى حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحبة)

روى أبو رفاعة قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسى قواعده من حديد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بكرسى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء لفرق بالمسلمين واحتمال للكروه من للموع والرق وقد يدخل فقير بعض الربط ويغل بشئ من مراسم للتصوفة فينهروهم ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا التزم الظاهر ويقصدون الرابطة بنية صالحة فإذا استقبلوا بالمكروه يخشى أن تتشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمرامياتهم والأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وباللمظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصعبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بل بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الحاق والتفرق ثمرة سوء الحلق ، فحسن الحلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الحلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان للثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الحلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لملى خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الحاق ^(١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يارسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم بحسن الأخلاق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ^(٤) » وقال ﷺ ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الحلق قال أبو هريرة رضي الله عنه وما حسن الحلق يارسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك ^(٦) » ولا يخفى أن ثمرة الحلق الحسن الألفة والاتفاق الوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في الشفاء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقتضى . قال الله تعالى مظهر عظيم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أي بالألفة ثم فم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلكم تهتدون - وقال ﷺ « إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطئون أكنافا الذين يأتون ويؤثنون ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الحلق الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يارسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار ابن عدى والطبراني في مكارم الأخلاق وفي الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض النكرة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الحلق قال وما حسن الحلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطئون أكنافا الذين يأتون ويؤثنون الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودينه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد عليه من الخلق من الداراة والرفق وقد صح « أن أعرايا دخل السجود بال فأمر النبي عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرايا بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتنليظ والتسلط على المسلمين بالقول والقول من النفوس الحبيثة وهو ضد حال التصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الوضع على أطف وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا القدي يليق بسكان الرباط وما يعتمد الفقهاء من تمييز القام فخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في الشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا اتقيا مثل الدين تفصل إحداها الأخرى وما اتقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا » (٣) وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من أخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله » (٤) وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال هم المتحابون في الله تعالى » (٥) ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ينصبهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم للمتحابون في الله والمتجالسون في الله ولترأون في الله » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » (٧) ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعيف ابن عدى ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا اتقيا مثل الدين تفصل إحداها الأخرى الحديث السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من أخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إني لأحبك في الله قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلقظ المتحابون في جلال الله لهم منابر من نور ينصبهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن لله عبدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ينصبهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فجعل وجوههم نور وأوتياهم نور ايفزع الناس يوم القيامة ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهرين حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما أحب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاستاد.

بالحسنة روى عمر رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبتي يعض ظهري فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتصحت بي » قد يحسن المرص بذلك ممن يعض في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التعمير ويستحب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في النوم واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التعمير ولأرباب المزاح أمور لا يسهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقد بعد قدومه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يسئل ويستحب أن يمكث

كما تلتحق القرية بالآبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتى للذين يتبادلون من أجلي وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم له مالها ما تنفق بمينه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما زار رجلا رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لعمرك أن يرحمك الله (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخاه فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبعملة له عندك قال لا قال فبم قال أحبه فى الله قال فان الله أرسلنى إليك بخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله (٦) » فهذا يجب أن يكون للرجل أعداء ينضمهم فى الله كما يكون له أصدقاء وإخوان معهم فى الله . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك فى الدنيا فقد نجت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تفرزت بنى ولكن هل عادت فى عدوا أو هل واليت فى وليا . وقال ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر على منة تفرقه منى محبة (٧) » ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله ينقض أهل العاصى وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتسوارضا الله بسخطهم قولوا ياروح الله فمن تجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله . وروى فى الأخبار السالمة أن الله عز وجل أوحى على موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارعد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث حمرو بن عيسى وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى مسلم (٣) حديث أبى هريرة سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث ما زار رجلا رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لك الجنة ابن عدى من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة فى لقائه ولترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة من عاد مريضا أوزار أخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب لعمرك أن يرحمك الله وتبوات من الجنة منزلا قال الترمذى غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه فى الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه والخرايطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لفاجر على منة تفرقه منى محبة تقدم فى الكتاب الذى قبله .

ثلاثة أيام لا يبعد زيارة أو مشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وغشاء الفرج ويعود باطنه إلى هيئته فقد يكون بالفرو عوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع فى الثلاثة الأيام همته وينصلح باطنه ويستمد لقاء الشايع والزيارات بتقوية الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصى الأصحاب ويقول لانكلموا أهل هذا الطريق إلا فى أسنى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره يفيض أن يستأذنه إذا أراد الانصراف قد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك متبذرا وحيدا قال إلهي قلت الخلق من أجلك فقال يا داود كن قظانا وارثا لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواقلك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقبى قلبك وياعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أجبتكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أنبضكم المشاءون بالقيمة المرفقون بين الإخوان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين ^(٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبدا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشفرون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ^(٤) » . الآثار : قال على رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - فالنار من شافقين ولا صديق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنقذت مالي غلغا غلغا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تمنى ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أنصصيك كنت أحب من يطعمك فاجعل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاتريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى عيظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلت على عمل هلك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبده الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قربان إلى الله وقال رجل ل محمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أجلك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أجبتكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب المظنة من حديث معاذ بن جبل والعباد بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للمقدم فيه ولا يفعل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جملة أعمال يستند بها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضلهم يزعمون توفيقا وتأديبا .

[الباب التاسع عشر في

حال الصوفي للتسبب]

اختلف أحوال الصوفية

في الوقوف مع الأسباب

والاعراض عن

الأسباب فمنهم من كان

على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أنبل يوحى نفسه ويقول كنت في الشيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون في الله إذا اتقوا فكشروا بعضهم إلى بعض تحات عنهم الخطايا كما تحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على الودة والرحمة عبادة .

(يان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصفة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصفة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في الكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي يريد يانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لاحالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصفة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يختب ويأعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتد برؤيته ومعرفة ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فان كل جيل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع للناسبة والملازمة والواقعة بين الطباع ثم ذلك للمستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل السليم وكل مستحسن فستلذه ومحبوب بل في اتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسبل دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ^(١) » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التماسك الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء ^(٢) » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقين تعارفا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط ^(٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضعك النساء وكانت بالمدينة أخرى فترأت الكية

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث على بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحمد وفيه ابن لميعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فماروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لي واحدة أتكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو وبأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هديان النجم أن يقول إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تليثه فهذا نظر للواقعة والودة فتقتضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريعه اقتضى التباغض والصدادة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للغرض فيما لم يكشف سره للبشر لما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفي في التصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢)» وهذا يدل على أن شبه الشيء متجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فحبب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي فطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل وكيف تفارقتما فقلت قولاً فيه إنصاف

لميك من شكلي ففكرتني والناس أشكال وآلاف

قد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تال منه في حال أو مآل بل لجرد المجانسة وللتناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن القصد قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأتوار والأزهار والتفاح الشرب بالحرارة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك بمن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذا لم يحمد أو يذم إما مذكوم وإما مباح لا يحمده ولا يذمه . القسم الثاني : أن يحبه لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى محبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إلا لا يطم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت للكية على المدينة فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصراً دونها كما تقدم (٢) حديث لو أن مؤمناً دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له ولله في المسند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم حبلًا فيحطب على ظهره فيأكل وينصدق خبره من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه فإن اليد العليا خير من اليد السفلى» . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي يفتد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حسين قال : أتيت المدينة فزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجراً من الجوع فقالت لي امرأتك رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنه وسيلة إلى التصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا يتفاهه بماله أو جاهه ويجب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد التوصل إليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لأفئدته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتأنف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظميا في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرفته الذي هو سبب تربيته إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو يحب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الفرية تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه وبفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو يحب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو يحب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي واللواصي جميعا من المتحابين في الله بل يزيد عليه وتقول من تكبح امرأة سالحة ليتحصن بها عن وشواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو يحب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضمها الرجل في أمراته (١) بل تقول كل من اشترى بحب الله وحبه رضا وحبه لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبتة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللينان جميعا حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضمها الرجل في أمراته تقدم .

عليه وسلم قد أنام
فلان فأعطاء وأنام
فلان فأعطاء قال فأئنته
وقالت الخمس شيئا
فنهبت أطلب فأنهبت
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يخطب
ويقول « من يشف
بغض الله ومن يستغنى
بغض الله ومن سألنا
شيئا فوجدناه أعطينا
وواسينا ومن استغنى
عنه واستغنى فهو أحب
إلينا من سألنا » قال
فرجعت ومأسأله
فرزقني الله تعالى حتى
ما أعلم أهل بيت من
الأنصار أكثر أموالا
منه وأما من حيث
الترهيب والتحذير فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لا تزال المسئلة
بأحدكم حتى يلقي الله
وليس في وجهه مزعة
لحم » وروى أبو هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس
السكين الذي يردّه

حظا ألبته إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوئني صديقي ولا تجعل مصيبتى لعدوي ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفعت شجاعة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ^(١) » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(٢) » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والمكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداها أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضا إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاف حظوظ الآخرة ويمتنع منها وهي التي احتجز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يضاف وهي التي لم يتمتعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاف حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعنى أن يكرهه بقله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لذيذ لئلا يملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبتة لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والقصد من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويملكه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل لكان في زمة التعاين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقدده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فذلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا يمنه علما أو عملا أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغضها وهذا القسم أيضا يمكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولومن بعد فن أحب إنسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يحبهم وأحب من يثنى عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث بشر بن أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكله والأكلان
والتمرة والتمران
ولكن للسكين الذي
لا يسأل الناس ولا
يفطن بمكانه فيعطى
هذا هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لا يسأل الناس
شيئا ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئا من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال رده الهية
ويرى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما قل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له فقل ربك
فقال حسبي من سؤال
عليه بحالي وقد يضاف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في تمديه من المبوب إلى ما يكتسفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستنثار فيتمدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنفته وخطه وجميع أفعاله وقد كان **عليه السلام** إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب المهدي بنا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أباديه وصنوف نعمته وتارة لأنه لا أمر آخر وهو أصدق ضرور المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع اللحيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تمدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتمدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يصف الإحساس بالألم والفرح بفعل المبوب وقصده إياه بالإيلاء بغير إدراك الألم وذلك كالفرح بغير يقين المبوب أو فرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحا بغير إدراك الأمل فيه وقد انتهت محبة الله بغير إدراكه أن قالوا لا تفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا يخرج إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا يريد أن أنال مغفرة الله بحسنة الله وقال سمنون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشريعة وامن مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد ثم يصف ذلك الليل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وقته من غير حفظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المبوب في الحال أو اللآل لما تصور حب للوق من الماء والمباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بوضعه عند ظمن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جيلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه بمنح الحب بالمقابلة يحفظ النفس وقد يئلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيها هو حظ المبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراصيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في البا كورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق. بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول : إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بغيره لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتنبه النفس له قد تطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبح الوضوء ويصل ركعتين ويقول : يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لي فبذل وصوله إلى فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه ولا تطلب المطالبة عن باطنه

وقول من قال * وما لجرح إذا أرمأكم ألم * وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحفظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشرة لقادير الأموال الموازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق الله على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قهرك هذا أم ساخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في قهرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) » . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا أو أحب شخصا راغبا في علم أو في عبادة أو في خير فأنما أحبه في الله والله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيد يانا .

(بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومحقوق عند الله ومن أحب بسبب بالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرود في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالطة والموافقة فإذا ظهر في الفعل معنى موالة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عاديته في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجفوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما الشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من اللواقحة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحفظ البشري فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاقق والآخر بليد بار أو ذكي عاقق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والاقبال والصعوبة والتعطية وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام . فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قسمتها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الإسلام وفضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والعميل في الضعفاء قال الذهبي في الميزان هو كذب .

فهان الله خير أن ينزل حوائجه بالحق فاما أن برزقه الله أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه قد سبحانه ونصالي أجواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة ولا فيفتح بابا من طريق القدرة وبأيته الله يخرق العامة كما كان يأتي صميم عليها السلام - كما دخل عليها زكريا الهرباب وجد عندها رزقا قال يا صميم أني لك هذا قالت هو من عند الله - حكى عن بعض الفقهاء قل جئت ذات يوم وكان حالي أن لأسأل فدخلت بعض المجال ينفاد مجازا متحسنا لعل الله تعالى يفتح لي على يد بعض عباده عينا فلم يقدر فست جائعا فأتى آت في منامي فقال لي اذهب إلى موضع كذا وعين الوضع قم خرقه زرقاء

والطاعة له كالجنابة على حقه والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكأن معه على حالة متوسطة بين الاتقياض والاسترسال وبين الأقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا يتألف في إكرامه مبالفتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا يتألف في إهائته مبالفتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولخطئه أخرى . فان قلت فهذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فكف اللسان عن مكائده ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتخليط في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إعائته مرة وبالسعي في إفساده وآثره أخرى وبمض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات الفسق والعصية الصادرة منه . أما ما يجرى مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصره عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان بمن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر ونسأني وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتخليط القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ العصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضا ربتان أحدهما قطع للمونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق العصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله شرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجلال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بهت وتخريض عليه فإذا قدرت على إعائته لئتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الاعانة فلوتركتها إظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف باعائته وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك وقبل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجنابة على حقه أو حق من يتلق بك توفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - إذ تكلم مسطح بن أثانة في واقعة الإفك^(١) خلف أبو بكر أن يقطع عنه رقه وقد كان يواسيه بالمال فتركت الآية لمع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجنبي عليه في نفسه بتلك الواقعة والنفو عن ظلم والاحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الاحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان إليه لأن في الاحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقه العفو والصفح . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعمدة منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه ففهم من نظر بعين الرحمة إلى الصاة كلهم . ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكار في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله إنى لأسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجهما في مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتفرّد بالله فقد تفرد بنى قادر لا يعجزه شيء .
يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدره كيف شاء وأولى من سأل نفسه يا لها الصبر الجميل فان الصادق تهيجه نفسه . وعكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقاله أريد جبة قال قلت له ما فعلت بالجبة فذكر شهوة يشتريها بالجبة ثم قال من إذ ذاك اذهب واسترض الجبة قال قلت نعم استرضها من قسك فهي أولى من أقرض . وقد نظم بعضهم هذا للنبي فقال :

إن شئت أن تسترض المال متفقا على شهوات النفس في زمن العسر فصل قسك لا تقا من كنز صبرها

الحاسي في تصديقه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورث أولاد شبيههم وتعمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته (١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الطالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورش هذا تساهلا في العادة والبغض وله وجه ولكن قد تلبس به الداهية فأكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصي للداهية ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بعين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فقل هذا قد تصح له نية في الإغضاء عن الجناية على حق الله وإن كان يتأط عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليتبهله . فان قلت فأقل الدرجات في إظهار البغض المهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى المبدى تركه . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والایجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الخمر وتعاطوا القواحي في زمان رسول الله ﷺ والصعابة ما كانوا يهجر بالكلية بل كانوا منقسمين قيم : إلى من يلفظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والایجاب فان الداخلة تحت التكليف أصل للمعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المبوب إلى غيره وإنما التمدى إفراط الحب وامتيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم)

فان قلت إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفاسق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فأقول أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يغلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إمام مبتدع أو كافر والبتدع إمداد إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بسجوه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بعدهذين إهانة وأما الذي فاته لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيق له بالاضطرار إلى أضييق الطرق وبترك للفاقة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى السكف عن مخالطته ومعاملته ومواكفته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترس إلى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يقتضي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشراهم - وقال ﷺ « المسلم والشرك لا تراثا آي نارهما (٢) » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فان كانت البدعة بحسب يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يفر بحرية ويسامح بقدر ذمة وان كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لاحتالة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى
زمن اليسر
فان قلت كنت التقى
وإن أبت
فكل منوع بعدها
واسع العذر
فاذا استفد الفقير
الجهد من نفسه
وأشرف على الضعف
وتحققت الضرورة
وسأل مولاه ولم يقدر
له شيء ووقته يضيق
عن الكسب من شغله
بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسأل
قد كان الصالحون
يفعلون ذلك عند
فائقهم . نقل عن أبي
سعيد الخزاز أنه كان
يعد يده عند الفاقة
ويقول : ثم شيء لله .
ونقل عن أبي جعفر
الحديد وكان أستاذنا
للجنيد أنه كان يخرج
بين العشائين ويسأل
من باب أو باين
ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد
يوم أو يومين . ونقل
عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث للؤمن والشرك لا تراثا آي نارهما أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا تراثا آي نارهما ورواه النسائي مرسل وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متجد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع التي يدعو إلى البدعة يزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متجد فلاستجاب في إظهار بضه ومعاداته والانتطاع عنه وتحقيره والتشجيع عليه يدعته وتغير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يبيع في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيستقط بأذى غرض فيمصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجرهم من هذه الأعراض وإن كان في ملأ ترك الجواب أولى تغيرا للناس عنه وتجيها لبذعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاطاعة له لاسيا فيها يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ومن أهان صاحب بدعة أمته الله يوم القزع الأكبر ومن آلان له وأكرمه أوليائه يشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » . الثالث : للبدع العاصي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يبايع بالتخليط والاهانة بل يتلف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقيح لبذعته في عينه تأكد الاستجاب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتضريب بين الناس والنيمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي ضرب ويرزى وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التفتيات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض ولان تلك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والنيمة فهؤلاء الأولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانتباض عن معاملتهم لأن للعصية شديدة فما يرجع إلى إبداء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبضها أشد من بعض فلاستجاب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكدا جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أولغيرهم كان الأمر فيه أكدا وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يخلص بفعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان للعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أولغيره . الثالث : الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخضعه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان التهي عن السكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عاداته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه بمنه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلف أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى

في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان متكفيا بجامع البصرة مدة وكان يخطر في كل ثلاث ليال ليلة ليلة إفاطاره يطلب من الأبواب وتقل عن سفبان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم لي الطعام فأناول حاجتي وآرك ما يبق . وقد ورد من جاع ولم يسأل فأت دخل النار ومن عند علم له مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحكمة عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على العاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لأسأل أحدا عينا وأكتفي بلم الله بحالي قال فبقيت ألبما في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصيح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلاء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفي في القلب لما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقته عن مدهانة واستمالة قلبه للوصول به إلى غرض أو لحوف من تأثير وحشته ونفرته في جأه أو ما يظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو الفنى فيه وقد يصيب الحق في اجتهداه وقد يخطئ وقد يخدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع الهللكات ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ما روى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يهود فقال واحد من الصحابة لئن الله ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (١) » أو لفظاً هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتفريط .

(بيان الصفات للشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » ولا بد أن يتميز بمخالص صفات يرغب بسببها في محبته وتشرط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للمال لا اكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستفادة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فقلبك تدخل في شفاعة أخيك ووروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولقد كانت جماعة من السلف على الصحة والآلة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطاً لا تحصل إلا بها ونحن نقصها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت قال صلى الله عليه وسلم : فلا تصحب أخاً الجهول وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليماً حين أخاه يقاس السوء بالمرء إذا ما للمرء ماشاء ولقى من الشيء مقاييس وأشياء وللقب على القلب دليل حين يلقاه

الطريق ففتح الله على
بالماء والزاد في وقت
الحاجة ثم وقف الأمر
ولم يفتح الله على شيء
لجفت وعطشت حتى
لم يبق لي طاقة فضضت
عن الشيء وبقيت أنا آخر
عن القافلة قليلاً قليلاً
حتى مرت القافلة فقلت
في نفسي هذا الآن
منى إلقاء النفس إلى
التهلكة وقد منع الله
من ذلك وهذه مسألة
الاضطرار أسأل فلما
هممت بالسؤال انبعث
من باطني إنكار لهذه
الحال وقأت عزيمة
عقدتها مع الله لا أتقصها
وهان على الموت دون
نقص عزيمتي قصدت
شجرة وقصدت في
ظلها وطرحت رأسي
استطرحاً للسوت
وذهبت القافلة فيينا
أنا كذلك إذ جاءني
شاب متقلداً بسيف
وحركني فقصت وفي
يده أداة فيها ماء
فقال لي اشرب فشربت
ثم قدم لي طعاماً وقال

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث المرء على دين خليله الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحق قد يضرك وهو يريد تفعل وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خيلاً يعتره جنون

فالقل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فتون

ولذلك قيل مقاطعة الأحق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونعمى بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لمعز عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق المصير على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصدقاته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يدركك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما للبتدع ففي محبته خطر سراية البدعة وتمدى شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السيب قال : عليك باخوان الصديق تمشي في أكنافهم فاتهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يهلكك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من تجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة الطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاحبب من إذا خدمته صانك وإن محبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك ، احبب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة مدها ، احبب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واسألك احبب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمراً أمرك وإن تنازعتما أترك فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصفة وشرط أن يكون قائماً بجميعها . قال ابن أكرم قال للمؤمن فأين هذا قيل له أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحداً . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكرمك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضرب نفسه لينفك

ومن إذا ريب زمان صدعك شئت فيه فمهله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئاً من أمر دينك فينفك أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مرّ كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفك فيضرك ، والبخل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويغر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبي فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبي قارى

كل فأكلت ثم قال لي
أريد القافلة فقلت من
لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم وأخذ
يسدى ومشي معي
خطوات ثم قال لي
اجلس فالقافلة إليك
تجئ فجلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورائي
متوجهة إلى هذا شأن
من يامل مولاته
بالصدق وذكر
الشيخ أبو طالب الكي
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أحل ما أكل
المؤمن من كسب يده »
بأنه للسألة عند القافة
وأسكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفي وذكر
أن جفرا الخلدی كان
يحكي هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لي والله
أعلم أن الشيخ الصوفي
لم يرد بكسب اليد
ما أنفكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا ترتفع به في أمر دنياك أو رجلا يزيد معه وتنفع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير .
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة العافلين والقراء الداهنين والتسوفة الجاهلين . واعلم أن هذه السمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحة في مقاصد الدنيا مشروطا للصحة في الآخرة والأخوة كما قاله بشر . الاخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنيس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاجتماع ، وقد قال للأمنون الاخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قديمتي به وهو الذي لأنس فيه ولا تقع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فيها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كأمر غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعرب كما قال تعالى - يدعو لمن ضره أقرب من نعمة لبئس للولى ولبئس العشير - وقال الشاعر :

الناس شقي إذا ما أفت ذقتهم لا يستون كالإستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا لم يجد رفيقا يؤاخي ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو بكر رضي الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع ميل من أناب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفاسق نهون أمر العصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا حلنا من إنعكم وأنتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بمقضاها ، وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والانتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تمحرك الحرس ومجالسة الزاهد ترزده في الدنيا فلذلك تكره محبة طلاب الدنيا ويستحب محبة الراغبين في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أوقفني في بلية إلا محبة من لأحتشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن القلوب لتجيا بالحسنة كما تجيا الأرض الميتة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإتفاي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الأخوة . فلا تخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بمجمعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

أراد بكسب اليدرضها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أهل مايا كله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام - رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير - قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قاله ذلك وإن خضرة البقل تراءى في بطنه من المزال . وقال محمد الباقر رحمه الله قالما وإنه محتاج إلى شق تمره وروى عن مطرف أنه قال : أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن النصراباذي أنه قال في قوله - إني لما أنزلت إلي من خير فقير - لم يسأل الكليم الخلق وإنما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غداء النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبهما بالدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان وإنما تم أخوتهما إذا تراخيا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة في السراء والضراء والشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك تقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سحقت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تجوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإثارة بالنفس أيضا كما روى أنه سمى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك فقال أحببت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقد بعد في الباطن وإنما الجارى ينسكا مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الافصال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عبدة الفلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلاتعامله في أمور دنيك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أى كانوا خلطاء في الأموال لا يعيز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نلى لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الوصول إلى منزل لأخ له وكان غالبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أترى ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لاتكون أحق بدينارك ودرهمك منى قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فليسلم بأخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق يلقى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيتك منك قال لا قال أمجنى صدقك . قال فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض النازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اصمح بسمك لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال أبو سعيد الخراساني الخلق مترددون بين ملهم وبين ما إليهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الجلاء والنصر الأثرى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرى أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أزلت إلى من خير قبر . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لافتقار سؤال وطلب . وقال الحسين : فقير لما خصصني من علم اليقين أن ترقى إلى عين اليقين وحقه ووقع واقفه أعظم في قوله لما أزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بنير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أحوج مني إليه فبعت به إليه فبعت ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يمت به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن مسروقاً ادان ديناً تقبلاً وكان على أخيه خيصة دين قال فذهب مسروق ففقد دين خيصة وهو لا يعلم وذهب خيصة ففقد دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداءة إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقبلتها له وقال أيضاً إنى لأتقم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الإيثاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لشرون درهما أعطيا أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه » (٢) فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبي أنت وأمى يارسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه » (٤) وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نحشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقتم - وقال - أو ما ملكتكم مفاتيحه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة لاني صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بانقضاء أشدهما حياً لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن
الانزال مشعر يمد
رتبته عن حقيقة القرب
فيكون الانزال عين
الفقر فما قنع بالمنزل
وأراد قرب المنزل ومن
صح فقره فققره في
أمر آخرته كفقره في
أمر دنياه ورجوعه
إليه في الدارين وإياه
يسأل حوائج المنزلين
وتساوى عنده
الحاجتان فإله مع غير
الله شغل في الدارين .
[الباب العشرون في
ذكر من يأكل من
الفنوح]

إذا كمل شغل الصوفي بالله
وكل زهده لكل تقواه
بحكم الوقت عليه يترك
التسبب وينكشف
له صريح التوحيد
وصحة الكفالة من الله
الكريم فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام
ويكون مقدمة هذا
أن يفتح الله له باباً من
التعريف بطريق
للإجابة على كل فعل
يصدر منه حتى لو جرى

وهذه أيضا لدرجات كمالها وسائر أحوالها فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية - واللّٰوِي يَعْثُبُ عَلَىٰ سِرِّهِمْ - وتضى ابن شبرمة حاجة بعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ماهذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يعهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللّٰوِي قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردم فيستغفوا عني هنا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويعونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفاه وأصلبها وأرقها أصفاه من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان (١) » وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تفعل عن أحوال نفسك وتقنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك فقت بها ولا تبرى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتفقد منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيتار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول لإخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخاه في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى « أن ابن عمر كان يلتفت عينا وشحالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته (٣) » وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يحالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فطمت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسي طي ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا تفرد بطعام فزيد

(١) حديث إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفاه وأصلبها الطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني إلا أنه قال ألبها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث ما زار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلنا محاهو منى عنه في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبي في سوء خلقى غلاى وقيل إن بعض الصوفية قرض الفأرخفه فلما رآه تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تستبح إلى

بنو اللقيطة من ذهل ابن شيانا

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا تزال به المقابلات متضمنة للتعريجات الإلهية حق يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء الرقابة عن تضيق حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله وتتمحى عنه أهمال غير الله فيرى للعطى والمائع هو الله سبحانه ذوقا وحالا

أو بحضور في سريرة دونه بل يتنصص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالطلق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وخضرت بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يجاريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يخاطبه بذلك غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يتقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه ^(١) » والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل نعم لا ينبغي أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للقدح ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجر عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على نفسك مآثره من أخيك وقد رآه حاجز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك حاجز عما أنت مبتلى به ولا تستغفله بحصة واحدة مذمومة فأى الرجال المذهب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فاذ غلبت المحاسن للساوي فهو الغاية والنتهى فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ للساوي والميوب قال ابن المبارك للمؤمن يطلب العاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الغفوة عن زلات الأخوان وقدك قال عليه السلام « استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره ^(٢) » وما من شخص إلا ويمكن تخمين حاله بحصال فيه ويمكن تقييحه أيضا روى « أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه فقال عليه السلام : أنت بالأمس ثنى عليه واليوم تنذه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ماعلت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ماعلت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا ^(٣) » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر وقدك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم واليلة بسند ضعيف (٢) حديث استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جار السوء في دار اللقام (٣) حديث أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذه الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للصح والقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

لا عسا وإيمانا ثم يتدراكه الحق تعالى بالمعونة ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق ففرج إلى بعض الصحاري فرأى قبرة عمياء عرجاء ضيفة فوقفت متسجعا منها متفكرا فيها تأكل مع هجرها عن الطيران والشيء والرؤية فينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها مسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا اللقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البذاء والبيان شعبان من التفاق ^(١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصيه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحمل فيه على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه عليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى ظنرا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقاده فيه حتى يصدر منه فعله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأرذل من غير علامة تخصه به وذلك جنابة عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذا قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ^(٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال ^(٤) « لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ^(٥) » والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتعاطل عنها شجة أهل الدين ويكفيك تنبيهها على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الهداء قبيل يامن أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أناسكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه قلوبا نسره ونقطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يجب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على السأوى والعيوب ولو ظهر له منه قبض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يضر عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود بلاء باطن بالحجب ولكن يحبه في باطنه ويخفيه ولا يديه مها

(١) حديث البذاء والبيان شعبان من التفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تقات إلا أن أباطي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل للسل على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تجسسوا ولا تخاطبوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله .

العوام ويصير ملوب الاختيار غير متطلع إلى الأغيار ناظرا إلى فعل الله تعالى منتظرا لأمر الله ففساق إليه الأقسام ويخضع عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكشفا له تجليات من الله تعالى بطريق الأفعال والتجلى بطريق الأفعال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والاعارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء شيء فوق شيء شيء أصنى من شيء فالتجلى بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهية والأنس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وبتشرع الباطن بحبه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الكتاب خير من مكتون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قهلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نحمد نعمته ونست أمته في التوراة إنه لا يعمل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه السلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله ومها كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرأيا وخارجا عن أعمال السري إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كفرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (١) » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة (٢) » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهو أمانة (٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله (٤) » وقال عليه السلام « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره (٥) » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسرا قال أناقبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه في يديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوقي عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السرا قال أجمع الخبر وأحاف المستخبر . وقد قال آخر أستره وأستر أني أستره وعبر عنه ابن المنز قال :
ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدري كذا وقبره لأنني أرى القبور ينتظر النشرا
ولكنني أنسا حق كائني بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عتبة بن عاص من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر . وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بأسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلًا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء ينعون به فناء الإرادة والهوى والارادة ألقب أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي الذات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلي حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العراج ومنع عنه موسى بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فإذا وصل المبداء مبادئ أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قل خيرا وكنتم شرك فاحببه وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في محبة من لا يحب أن يراك إلا مصوما ومن أثنى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهانا

وقال العباس لابنه عبد الله إنى أرى هذا الرجل يعنى عمر رضى الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ على خضا لا تفشين له سرا ولا تقتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن المارة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة» (١) هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المارة والمنافسة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالأراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يخدله بحسب الرء من أكثر أن يحقر أخاه المسلم» (٢) وأشد الاحتقار المارة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحقق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيقار للصدر وإيقاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال: ذروا المراء قلقة خيرة وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان» (٣) وقال بعض السلف من لاحى الإخوان وما رام قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المارة توجب التضيق والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المارة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحق والجهل ولا معنى للمعادة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا للمسلم أخو المسلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فغضب وقال ذروا المراء قلقة خيرة فإن نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله قلقة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال ومن وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشتراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم إذا أخذ ففهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لا تمار أخاك ولا تعازحه ولا تعد موعدا فتخلفه (١) وقد قال عليه السلام «إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط وجه وحسن خلق» (٢) والمأثرة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المأثرة والحسن على الساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم قال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنيت أجيته في النواصب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيسه فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخوانه من قلبي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الخيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن اللكارة تقتضي أيضا النطق بالحجاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كلف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالتسؤال عن عارض إن عارض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كرهاها وجملة أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركتها له في السرور بها فمعنى الأخوة للسامعة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره» (٣) وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه إنما يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم في الطريق قتالة «تهادوا تحابوا» (٤) ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيت أولًا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو أثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعه وفعله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحمين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكس من ذلك أن تبخله ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك يحض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمدا أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة القرب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لضره بكلام صريح أو تعرض لخلق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيك المنعت وتبليط القول عليه

(١) حديث ابن عباس لا تمار أخاك ولا تعازحه ولا تعد موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث لث بن أبي سليم ووضفه الجمهور (٢) حديث إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يونس اللؤلؤي والطبراني في معارج الأخلاق وابن عدي في الكامل ووضفه الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن معدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني المطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقدر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا السال وأنت غير متشرف ولا سائل خذه وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه فدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تفضل إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو المسلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يشله»^(٢) وهذا من الاتسلام والخذلان فإن إهماله لتزيق عرضه كإهماله لتزيق لحمه فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة قال - أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل القية بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يشأب الناس لأن ذلك للملك في تمثيله براعى الشاركة وللناسبة بين الشيء وبين مثاله المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للعتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران أحدهما أن تقدر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لعرضه به والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من النصرة له يسمع منه ويراى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخى في غيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخى إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحترقان في فدان فوق أحدهما يحك جسمه فوق الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يصلان الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن محاسنا في إخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلو والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محاذقة في لاوذة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والعزلة أولى به من الزواخاة والمصاحبة فان حق الصعبة ثقيل لا يطيقه إلا عتق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»^(٣) فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصعبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصعبة فان الصعبة تقتضى حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضى إلا حقوقا قربية في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعلیم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمه وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبه على عيوبه وتبجح التبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغى أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعى في مسند الشهاب بلفظ الصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فاعلم هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا الصمد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما غشى عليه إنما يغشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجهم إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد فما كان على اللاّ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن ^(١) » أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد للزم بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسر أحب من غبرك بميوبك فقال إن نصحتني فيما بيني وبينه فقم وإن قرأتني بين اللاّ فلا وقد صدق فان النصح على اللاّ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللائكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقراه وأما أهل المقت فينادون على ردوس الأَشهاد وتستطيق جوارحهم فضاغهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاها ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداينة بالعرض الباعث على الأغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالأغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداينة وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواظبة ولا مع الخلق إلا بالمناجحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالمداواة . فان قلت فإذا كان في النصح ذكر العيوب فيه إيجاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإيجاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استئالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يفت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصف بها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فان كنت تذكره ذلك فما أشد حقاك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والأرواح والمها أشد ما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسان وقد قدم عليه ما القى بلغك عني مما تكره فاستعني فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالتهار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفيتهما فهل بلغك غيرها فقال لا وكتب حذيفة الرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بت دينك بعيتين وقت على صاحب لهن ققلت بكم هذا فقال بدمس ققلت له لا بئس فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين واتقه عن رثدة الموتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآخر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين فيضهم للناحين إذ قال - ولكن لا تحبون الناصحين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فاعلم هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتمريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيجاش فان علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالكسوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء ، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعرض به خير من التصريح والسكينة خير من الشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به

يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر مقدمة العلم فوق من ينتظر مقدمة العلم لتجانب محبته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكبر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بأسناد حسن .

والاسترقاق منه قال أبو بكر الكتاني صبي رجل وكان على قلبه تقبلاً فوهبت له يوماً شيئاً طي أن يزول ما في قلبه فلم يزل فأخذت يده يوماً إلى البيت وقتلته وضع رجله على خدي فأبى قتلته لا بد ففعل فزال ذلك من قلبه ، وقال أبو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال لي أن تكون أنت الأمير أو أنا قتلته بل أنت قتال وعليك الطاعة قتلته نعم فأخذ محلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألتست قلت أنت الأمير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أكل أنت الأمير .

(الحق الخامس النفو عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أوفى حقه بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصراً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الاتقطاع وهذا إذا قلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فان أخاك يزوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضاً لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان الزلة ثم يتركها وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا قبته (١) » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الحرق قال إذا أردت الخروج فأذن فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وغذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتلت فان شئت أن لاتعقد علي صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيبتك أبداً ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يثلف هزالاً وضرباً . وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن يأخذ يده وأن تلطف له في العاتية وأدعوله بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشترى من الصر لحماً بدرهم فرأى بغياً عند اللحام فرمقها وعشقها واحتجبها إلى خلوة وواقها ثم أقام عندها ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنابته قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه فزحل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلَّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيايته منه فقال قم يا أخى قد علمت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا قبته النفوى في اللجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى وضعفاء .

ضعيف بالإضافة إلى
الحالين الأولين لأنه
علة في المحبة ووليبة
في الصدق عند
الصديقين وقد ينتظر
صاحب الفتوح العلم
في الإخراج أيضاً كما
ينتظر في الأخذ لأن
النفس تظهر في
الإخراج كما تظهر في
الأخذ وأنهم من هذا
من يكون في إخراجهم
مختاراً وفي أخذهم مختاراً
بعد تحققة بصحة
التصرف فان انتظار
العلم إنما كان لموضع
اتهام النفس وهويته
هو موجود فاذا زال
الاتهام بوجود صريح
العلم يأخذ غير محتاج
إلى علم متجدد ويخرج
كذلك وهذه حال من
تحقق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكياً
عن ربه « فإذا أحببته
كنت له سمياً وبصراً
فبي يسمع وبى يصرونى
ينطق » الحديث فلما
صح تعرفه صح تصرفه
وهذا أعز في الأحوال

وفستك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأقرب من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا ألطف وأقرب من هذه المصيبة لا يجوز مؤاخذته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بملة فالقياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المصيبة . فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاسمالة والتعطف للنفوس إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قوطع واتقطع طمعه عن الصبغة أصر واستمر وأما كونه أقرب فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وقره وقره الدين أعد من قهر للآل وقد أصابته جائحة وألتمت به آفة اقتصر بسببها في دينه فيبني أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التي ألتمت به فالأخوة عدة للثبات وحوادث الزمان وهذا من أحد النوائب والفاجر إذا صاحب ثقباً وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحرس في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قرت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعاً وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لجة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمصيبة ولذلك قال الله تعالى لئن لم يكن الله عليه وسلم في عشرينه لفانصورك قتل إني بربى مما تعملون ولم يقل إني بربى منكم مراعاة لحق القرابة ولجة النسب إلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تنفض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أو كد من أخوة القرابة ولذلك قيل للحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقاً لي وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلغه أملك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة والودة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فإذا نزل الوفاء بقدر الأخوة إذ سبق المقادير واجب وهذا جوابنا عن ابتداء للواخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا يبنئ أن يقطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك اللواخاة والصبغة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فمبني عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله للشؤون بالنجاسة المرفقون بين الأحبة »^(١) وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فإذا اتقيتم من حجة عدوكم وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا يبنئ أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزبه وقال « لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك »^(٢) فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفاسق محذورة ومفارقة الأحباب والإخوان أيضاً محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرائنا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه أما زلته في حقه بما يوجب إيمانه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتفال بل كل ما يحتمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تعهده

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله يحكي عن الشيخ حماد الهباس أنه كان يقول أنا لا أكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يعمل إليه شيئاً وقد كان يبين له أني في المنام أن أحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقي زماناً يرى هو في واقته أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ويسبى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطي الافتقار إلى الله أعلى درجة للردين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخزاز

(١) حديث شرار عباد الله للشؤون بالنجاسة المرفقون بين الأحبة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
(٢) حديث لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة . وتقدم في الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبل قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت السبب لا أخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العدالة وظلم المفوعة وقال آخر ما شئت أحدا قط لأنه إن شئتني كريم فأنا أحق من غفرها له أولئك فلا أجعل عرضي له غرضا ثم عتل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم الثيم تكرما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع الذي فيه العكسر

فالعسر أقصر من معا تبة الخليل على التبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إلي أخوه فلم يقبل عذره فقله مثل إثم صاحب الكس^(١) » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا^(٢) » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكافرين الغيظ - ولم يقل والغافدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن صَبْطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والاستقام والكفافة وترك العمل بعفتضاء ممكن وقد قال الشاعر :

ولست بمستبق أخا لائمه على شعث أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال جبرته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضي الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديهم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن جك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعوه كما تدعون نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فقله مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في اللرائيل من حديث جودان واختلف في محبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا ولا ترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النفي فتلك تلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رفته .

العارف تديره نفي
في تدبير الحق فالواقف
مع الفتوح واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكى في هذا
أن بعضهم رأى
النورى يمد يده
ويسأل الناس قال
فاستظمت ذلك منه
واستبجته له فأنتيت
الجنيـد وأخبرته
فقال لي لا يعظم هذا
عليك فان النورى لم
يسأل الناس إلا لمطيم
سؤلهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث
لا يضره وقول الجنيـد
ليعطيهـم كقول بعضهم
اليد العليا يد الآخذ
لأنه يعطى الثواب قال
ثم قال الجنيـد هات
الميزان فوزن مائة درهم
ثم قبض قبضة فألقاها
على المائة ثم قال أحملها
إليه قعلت في نفسى إنما
يزن لي عرف مقدارها
فكيف خلط المجهول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فتعجبت بالصرة

ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك لمدعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدي » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أصيهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلكت يقتسمون ميراثك ويتقسمون بما خلفت وهو مفرد بحزنك مهم بما قدمت وما صرت إليه يدعوك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم » (٥) فيرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولده أو والد أو أخ أو قريب » (٦) وإنه يدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية .

(الحق السابع الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب إنما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عجزوا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتطيق به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا امتدحها من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحابين

(١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ يا عبدي لم أجده هذا اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولده أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الليزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النوري قال هات لليزان فوزن مائة درهم وقال بردها وقل له أنا لا أقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تسجي فأسأله على ذلك فقال الجنيدي رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيدي فبكي وقال أخذ ماله ورد مائتي . ومن لطائف ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من العلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم التوفيق به فعملوا ثم جاءهم من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطاخي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما فلله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يزغ بينهم - وقال عبرا عن يوسف - من بعد أن زغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اتان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنه وذلك لأن الاخوان مسالة للهوم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء مجالسة الاخوان والاقبال إلى كفاية وللودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل من هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في التزل الحسن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغيت عنه لم يطعم فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا يغداد ثم إن أخاه ولي السيين فغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن أروعيت فانها تطليقة ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التلات أمتك مني بنة لم تغن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فرفضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يسودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من تجلس بهك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئذ إليه فقال الشافعي سبحان الله أشك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللسلمين وترك الداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله أبو البويطي الزهد والحوار ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنعه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالهبة من تمامها النصيحة قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من الفارقة تفور الطبع عن أسبابها كاقيل :

الله لي في واقعي فأخذ
الشيخ الكاغد فلم
يكن إلا ساعة فإذا
بشخص دخل ومعه
ذهب قدمه بين يدي
الشيخ ففتح القرباس
وإذا هو ثلاثون
محملة فترك كل
محملة على دائرة وقال
هذا فوج الشيخ
إسماعيل أو كلاما هذا
معناه . وصحت أن
الشيخ عبد القادر
رحمه الله بحث إلى
شخص وقال قلآن
طعام وذهب اتني من
ذلك بكذا ذهابا
وكذا طامما فقال الرجل
كيف تصرف في ودية
عندي ولو استفتيتك
ما أفتيتك بالتصرف
فألزمه الشيخ بذلك
فأحسن الظن بالشيخ
وجاء إليه بالذي طلب
فلما وقع التصرف
منه جاءه مكتوب من
صاحب الودية وهو
غائب في بعض نواحي
العراق أن اعمل إلى
الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبت الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب.

وأعصد ابن عينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يهتم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا فقلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تغافل في أمر ولا توطئ عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك .
(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلفظه واستماعة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه قد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه قد أظلمهم ومن لم يقتض فهو للفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جمل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جمل نفسه في قدره تب وأظلمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ونعم التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما خاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو للمؤمن لا يفتنه ولا يحتمله وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا الماسي وطبقته وحسنا للسوحى وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكريبي وطبقته فما تواخى اثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أثقل إخواني على من يتكلف لي وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنقص عنده يأم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يعمل على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويستدر إليك إذا أسأت ويعمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على آذاه فتدعي جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تفكر على أن تنفعه ولا تنفع به ولكن

كذا وكذا هو القدر
للقى عنه الشيخ
عبد القادر ضابطه
الشيخ بعد ذلك على
توقفه وقال ظننت
بالفقراء أن إشاراتهم
تكون على غير صحة
وعلم فالسيد إذا صح
مع الله تعالى وأتقى هواه
متطلبيا رضا الله تعالى
يرفع الله عن باطنه
هموم الدنيا ويحصل
الغنى في قلبه ويفتح
عليه أبواب الرفق وكل
الهموم للتسلطة على
بعض الفقراء لكون
قلوبهم ما استكملت
العمل بالله والاهتمام
برعاية حقائق المبرودية
فعل قدر ما خلعت من
لهم بالله ابتليت بهم
الدنيا ولو امتلأت من
هم الله ما عذبت بهموم
الدنيا ونمت وارتقت.
روى أن عوف بن
عبد الله السعدي كان
له ثلاثة وستون
صديقا وكان يكون
عده كل واحد يوما
وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا يتقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه فأما الثاني فلا تتجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبشوابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيتي لما أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فاني كنت معهم على قسي ومن كانت هذه شيمته أكثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترس في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الشهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له تم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفتة ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأنتياء من أمق برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الشايع فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويحاميها لأن البيت يتخذ للاستغناء في هذه الأمور الخس وإلا فالساجد أروح لقلوب المتعبدين فإذا فعل هذه الخس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول الرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السمة في القلب واللكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلي على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والعجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له
وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيت له في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه قد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمتي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني برىء من التكلف وصالحوا أمتي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فإن الحق يصف لنا وفه نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وبينني أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب بن أخي معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له فقال إن جبر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسلى إليك بسألك أن تفعله فيما بينك وبينه أخوة محتسبا ويبتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة لئلا ولا تهازأ ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسمه في البدن (٢) وأنسكه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولما أنه على أن لا يزورني إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ومرة أن يلتقاني في مواضع تلتقي بها ومرة أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصبة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم منك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه ومجمعه وحديثه ولطيف مسأته وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لاتدابوا في هذا الباب (١) حديث أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني عبد المطلب الحديث وفيه فأبيكم يا بني على أن يكون أخي وصاحي ووارثي فلم يبق إليه أحد فقامت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنني لأخوه ووليّه ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمر وأنت أخي في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنخر ما عير وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنسكه عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث على لما أردت أن أبقى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة يا فاطمة أما ترين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذي في الثمائل من حديث على في أثناء حديث فيه يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه بضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نحوه مباركا ولا فراه
شؤما. أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنبأنا أبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازي إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلي
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر السكتاني قال كنت
أنا وعمرو للكي وعياش
ابن للهدى نصطحب
ثلاثين سنة نصلى
الثلاثة على طهر العصر
وكنا نعودا بمكة على
التجريد ما لنا على
الأرض ما يساوى فلما
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربعة وخمسة
ولا نسأل أحدا فان
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تعريض قبلناه
وأكلناه وإلا طوينا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في الفرائض
قصدا أباسيد الخراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا يقصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتبسما مما يحدوثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التبسيم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .
وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتغرس سمعك عن جماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدان فأن لا يقبضهما عن معاوئتهم في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فأن يمشي بهما وراءهم مشى الأتباع لا مشى للتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهتما بالانحدار خف حملهم من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فاذا تم الانحدار انطوى بساط التكلف بالسكينة فلا يسلك به إلا سلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع الخدمة لله إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القام الصائم وزيادة .
[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملخصة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن العشرة فالحق صدقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لم ولا هية منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلما طرفي قصد الأمور ذميمة ولا تنظر في عطفك ولا تسكر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتعظم من تشييك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك ونخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقتك وتخمك وطرده للذباب من وجهك وكثرة التخطي والتشاوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضع إلى السلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولده ولا جارتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك بولده فضلًا عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك وإذا خاضعت فتوقروا وتعظم من جهلك وتجنب مجلتك وتفكر في جحك ولا تسكر الإشارة بيدك ولا تسكر الالتفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدا غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فان استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارق به رفقك بالصبي وكله بما يشتهي ما لم يكن معصية ولا يعملك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطه الداخل بين الملك وبين أهله سقطه لا تنعش وزلة لا تنال وإياك وصديق العافية فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحمي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياح لموضع البصاق ولا تصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما
تعرف من تقواه
وورعه . وقيل لأبي
يزيد ما نراك تشتغل
بكسب فن أبن معاشك
فقال مولاي يرزق
الكلب والخنزير تراه
لا يرزق أبا يزيد .
قال السلي سمعت أبا
عبد الله الرازي يقول
سمعت مظفرا القرميضي
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
ومحوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة بمن يسطيه
لا بمن تصل إليه على
يده ومن قبل من
الوسائط فهو للرسم
بالفقر مع دناءة همته .
أبو النجيب خاضياء الدين
أبو النجيب السهروردي
قال أنا عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن منصور الصفار قال
أنا أبو بكر أحمد بن

يمكنك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فأدبه ترك النية ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الخواص وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودعة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتدخل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السر والقدح في الملك والتمرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتفافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يعقد عليك والسفيه يجترى عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بملاوة الودع ويشين فقه الفقيه ويجريء السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويعتقه التقوم وهو يمت القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الدلة وبه تظلم السرائر وتعمت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس عزم أولعظ فلينكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » (١) لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك (٢) .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية المعاشرة مع من بدلى بهذه الأسباب)

اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعدد عيش الانسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والآداب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما محبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للأهل بيتا كدنيا كد العرفة وللعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والعرف بعد وقوعها تارة كد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت درجاتها كحق الصحة في الدرس والكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخلة أقرب من الحبيب فالهبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يغني بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فعناء أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وأعم منه من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » (٣) إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزائه قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعت الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٤)

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلسي قال سمعت أحمد ابن علي بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام التوكلين . روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يارب إن أحببتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

فعدل بلى عن النبوة كما عدل بآبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نيه عليه بقوله لا اتخذت أبا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال «إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «فاذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواها من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصعجة والأخوة ويدخل فيها ما وراءها من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الايثار بالنفس والمال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة يدينه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونعمن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعني ملك المؤمنين فان ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

(حقوق المسلم)

(هي أن تسلم عليه إذا لقيت وتحييه إذا دعاك وتحمته إذا عطس وتعوذه إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات) وتبرقسه إذا أفسم عليك وتنصح له إذا استصحبك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق للمسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تأنيبهم» (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحما بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبتته عليه وانقضا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهدده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر الجسد بالسهر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ «السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٧) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فقد ذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست إذا لقيت تسلم عليه وزاد وإذا استصحبك فانصح له ولترمذي وابن ماجه من حديث علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما يحب لنفسه ما يحب للمسلمين» (٨) وإذا غاب أو شهد ولا أحد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر الظلوم (٩) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تأنيبهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بزهلك في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهاق برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمد ابن اليسرى يقول سمعت محمدا الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فدفع الناس من الصنفين»^(١) صدقة تصدقت بها على نفسك^(٢)» وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه^(٤)» وقال رجل يارسل الله ما الاسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الحرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا عما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين^(٥)» وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علمي شيئا أتنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة^(٧)» وقال عليه السلام «لا يحل لمسلم أن يهجر أخيه بمظنة تؤذيه» وقال «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين^(٩)» وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذيه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد^(١٠)» ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمتشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته^(١١)»

(١) حديث فإن لم تقدر فدفع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عبيدة قال رجل يارسل الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسل الله علمي شيئا أتنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بسند ضعيف وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماد ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمتشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته الفسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين . قال بعض اللغظيين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها فإك في صدري من أين العاش ففتفت بي هاتف لا أراه تنقطع إلى وتنهى في رزقك على أن أخدمك ولما من أوليائي أو أسخر لك مناقما من أعدائي فلما صبح حال الصوفي واقطعت أطعامه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضىها مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جنبية وذنباً . روى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقاً ولم يكن في ذلك اللوض من عمله فوافى أبواب المحال فجعله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات (١) » وقال الحليل بن أحمد من نمت لك نعم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في المهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة (٣) » قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله (٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع لله إلا راضاه الله (٥) » ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ؛ روى طي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله (٦) » وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر (٧) » قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جلسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه (٨) » ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون (٩) » ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمين بالفقه والعي بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه باللفظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا راضاه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت من أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً بسند ضعيف (٧) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبروا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذهما فالحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح قرأى الخبز فاستشرت نفسي إليه فلما أعطيتاه مع الاستئذان رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس فقبل . هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل

يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشبهة المسلم » (٢) ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وقر شاب شيئا إلا قبض الله في سنه من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فلينبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قبضا وتفيض الآثام فيضا وتفيض الكرام غيضا ويجترى الصغير على الكبير والثلثم على الكريم » (٥) والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم » (٧) « فرجما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم » وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فرجما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للآيروا أنه تأذى بوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده » (٨) « ومنها أن يكون

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخارى في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشبهة المسلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيئا لسنه إلا قبض الله في سنه من يوقره الترمذي من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قبضا الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فعل النضر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيلقى بي وبالحسن وقال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جرى بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخارى إن ابن الزبير قال لابن جعفر فأتاه علم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فرجما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيرك عليهم ويحسبهم فأتى صبي فقال عليه فدعا بقاء فأتبعه بوله ولم يفسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد في دعولهم وفيه صوابا عليه الماء صبا ولقد أرقطى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا غنيا الحديث وفيه الحاج بن أرطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلعب صبيا إذ بال قامت لتأخذه وتضربه فقال دعني أتوني بكوز

مستكرا فوق الحاجة لاقى وقت الضرورة فليس من الصوفية شيء . سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقبل لك عشي السائل فقال قد عشتك فنظر عمر فإذا تحت إبطه عجلة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم ثر عجلته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالقدرة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثوبات ثم روعقوبات فمر من علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه وبطبع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويسعى ربه ويكثر الشكاية ويسخط القضاء فحال الصوفية حسن الأدب

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البرة شيء هين وجهه طلق وكلام لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لفرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قال أنعراي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست إلى الباحة فقتت حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف ينوي الشيطان الناس فلما طالع عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربى لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فتنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالدباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع العين . ومنها أن لا يعدم مسلما بعد إلا ويبقى به قال ^(٩) « العدة عطية ^(١٠) » وقال « العدة دين ^(١١) » وقال « ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان ^(١٢) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٣) » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح ^(١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين الذين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل الهين وذكرها الحرائطي من رواية محمد بن أبي معيقب عن أمه قال الترمذي حسن غريب ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موري العجلي مرسل ^(٣) حديث إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانيء بن يزيد باسناد جيد ^(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقديم في الزكاة ^(٥) حديث إن في الجنة فرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث على وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف ^(٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف ^(٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم ^(٨) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف ^(٩) حديث العدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل ^(١٠) حديث ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه ^(١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تطلب [الباب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم]

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجлож للصوفي ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستجبه الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انفصلت النفس واستحقت إدخال الفرق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهده بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة قد قامت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومنهم أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما عيب نفسك
 تكن مسلماً ^(٣) » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيه :
 جماع الأمر لك ولولدك واحدة لي واحدة لك واحدة بيني وبينك واحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئاً وأما التي لك فصملك أجزيك به أقصر ما تكون إليه وأما التي
 بيني وبينك فمليك الدعاء وعلى الإجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعدك أن أنصف من نفسه .
 ومنها أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيزول الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضي الله عنها كانت في سفر فزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين
 قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الذي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا المسكين رضي بقرص
 وقبيح بنا أن نعطي هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلاً فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقعده على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضع
 على وجهه وجعل يقبله ويكي ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم بعينه وشمالاً ثم قال « إذا أتاكم كريم
 قوم فأكرموا ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبي ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطى فقالت قومي فقال أما حق وحق بني هاشم فهو لك قيام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سحائه بخين ^(٥) » فبيع ذلك
 من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر في أمرهما
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على العزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة انتخاباً
 ويهيء الله له أعواناً
 وأسباباً وينعم برفيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه متى استعجل
 للريد واستفزه الطبع
 وخامره الجهل بثوران
 دخان الشهوة الطففة
 لشعاع العلم وأخط من
 أوج العزيمة الذي هو
 قضية حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التي هي رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالنقصان
 ويشهد له بالحسرة
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 التستري إذا كان للمديد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه في الابتلاء

وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقف البخاري عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخرائط في مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا وفي أوله قصة
 في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الزكاة مختصراً
^(٥) حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً في بسط رداءه لها دون ما بعده .

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أبي عزم عليه حق يفعل^(١) . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحاقة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين^(٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأني أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى سدا من فضة وقصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأى نبى هذا لأى صديق لأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفضوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم انموا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا^(٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها^(٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٧) » وقال « لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة^(٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحاقة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرائط في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفرقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأني وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل قال أحدهما يارب خذ لي مظلمتي من هذا الحديث الحرائط في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج به بطول وضعفه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نعى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرائط في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن حمران وفيه إقطاع وضعف ولم يسمعه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قيل لهم لا تزوج قال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فصكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتزوج كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نازتوقانه برد وسلام لكامل تقواه وقهره هوام وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان للفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير النائق فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين على الإخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا نحل المسلم أن يستر عورة نفسه لحق إسلامه وأجب عليه حكم إسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا أقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سأله فقال القوم مثل مقاتلهم الأولى فقال على رضي الله عنه مثل مقاتله الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الوالي هل له أن يقضي ببله في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بأخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أخشها الزنا وقد نيط بأربعة من الصدور يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في السككة وهذا قطا ينفق وإن علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نهرم هذا السكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمها فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولنظ فآخذ عمر يدي وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف يوم الآن شرب فلما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى «ولا نجسوا» - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التبصير وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية «إنك إن تبصرت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع عورة الله وعورته ومن يتبع عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

بالإيثار ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو الفيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى التأهل حظين والمزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والضعيف والحرانطي في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لو سترته بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فآله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فبوقب عليه فآله أعدل من أن يثنى القوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن تبصرت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسد معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي برزة باسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه .

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نثنوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجده نثنوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه ثياب أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسنيت الأدب ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه وإن الله غفور يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا - ثم قال « إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيكم فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله غفور يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم - (١) وفي رواية فكأنما سقى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تقيده وروى أن عمر رضي الله عنه كان يس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخفى فتصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال ياعدواؤه أظننت أن الله يسترك وأنت على مصيبتك فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تبجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسس وقال الله تعالى - وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي غير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لنن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا فصاعته وخرج وتركه وقال لجل لبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول « إن الله يدينى منه للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدى إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسنة وأما الكافرون وللناقصون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألألئنه الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل أمى معاق إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع خبر قوم ومهله كارهون صب في أذنه الآتلك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألستهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكركم وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم « كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرايطى في مكارم الأخلاق فكأنما سقى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل يدينى للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمى معاق إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم ومهله كارهون صب في أذنيه الآتلك يوم القيامة البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد أكثرنا من هذا فالتجرد عن الأرواح والأولاد أهون على الوقت للفقير وأجمع لهمة وأقل لبشة ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التزوج إلى النقص وتقييد

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فرأته رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكنا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية ^(٢) » الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام النهم فلا يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فسلامة بالدرة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيي ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلى فتؤجروا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجرى بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم لعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعتي فائه أبو ولدك فقالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أسلم عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قعل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على

بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والمادة . قال أبو سليمان الهاراني ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل القرني قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضر على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساؤه فرأته رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي صفية وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وقال علي رسلكما إنها صفية متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ ارجع قعل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[٩] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحابتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو سلمة الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يعني إلا أتى أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة أيضا سنة مع السلام « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون (٦) » وكانت أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فضل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مرف في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين حجيج فقال لي يا أنس أبيع الوضوء بزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الحرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضيف للترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولله في المسند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأبي داود من حديث علي بن عيسى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وصيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعته متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مرف في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حنيفة عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء « وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأتبعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة الزوجة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان ضيعفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تحم لنا - الملائكة . قاله فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر يحسن المعاملة في معالجة

« لاتصالحوا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلم فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقامت بل عليكم السلام والمنة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود والنصارى بالأيصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأصابع (٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقى المؤمنان فصالحاً قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بيرا (٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصالحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللصافي عشرة (٦) » وقال الحسن المصنف يزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم الصافحة (٧) » وقال عليه السلام « قبله المسلم أخاه المصافحة (٨) » ولا بأس بقبة يد العظم في الدين تبركاً به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١٠) وروى أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له ففعل (١١) ولقي أبو شيبة

النفس وصبر عنهن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد المائتين
 رجل خفيف الحاذيل
 يا رسول الله وما خفيف
 الحاذيل قال الذي لا أهل
 له ولا ولد » وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلاق نفسي
 أخرجني إلى الزوج
 وقيل لبشر بن الحرث
 إن الناس يتكلمون
 فيك فقال ما يقولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنة يعني النكاح فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالعرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوف مبتلى
 بالنفس ومطالبها وهو
 في شغل شاغل عن
 نفسه فإذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالإصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأصابع (٤) حديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٥) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أنس إذا التقى المسلمان فصالحاً قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطي بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعون لأحسنهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٧) حديث عمر بن الخطاب إذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصالحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٨) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم الصافحة الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٩) حديث قبله المسلم أخاه الصافحة الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال غير محفوظ (١٠) حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١١) حديث كعب ابن مالك لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في قبيل اليد بسند ضعيف (١٢) حديث أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجلك موضع يدك وقال صحيح الإسناد.

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتنجيا يكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلمين إذا التقيا فصاحا تحاتت ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال «إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والأعناء عند السلام منهى عنه قال أنس رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضي الله عنه ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بن زید حق رفعه وقال هكيدا فافضلوا يزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطمون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام «من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحارثي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب الحارثي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي للرفع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما قبلته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وجهه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضعف طلبه وتكل إرادته وتفر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت فنتعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فإن للصوم أثرا ظاهرا في قمع النفس وقهرها وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفون الحجارة فقال «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء » أصل الوجاء رض الحصىتين كانت العرب تجمأ القمل من الغنم لتذهب غولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجودين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فاذا أدام الشاب للريد العمل وأذاب نفسه في

فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١)» وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية الموتى قلها ثلاثاً» ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣)» ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥)» . وسلمت أم هانيء على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانيء فقال عليه السلام مرحباً بأم هانيء ^(٦)» . ومنها أن يصون عرض أخيه للمسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨)» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عنده أخوه للمسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه للمسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩)»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فيجلس فإنه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى اللديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شعبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخصر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له حجة (٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آليت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد اللائي (٥) حديث ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سلمت أم هانيء عليه فقال مرحباً بأم هانيء مسلم من حديث أم هانيء (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه للمسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

العبادة تقبل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يميز له خلوة العامة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فينار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده بمراغمة النفس بل يتمكس على نفسه نور قلبه ثواباً لحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل للتمومة للسودية إلى القلب والمهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » (١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته » (٢) . ومنها تسميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم » (٣) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم » (٤) . وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساءله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت » (٥) وقال عليه السلام « يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام » (٦) . وروى أنه شمت عاتسا ثلاثا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم » (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستتر بثوبه أويده » (٨) . وروى خمر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٩) . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبسند ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها » (١٠) .

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساءله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاتسا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أويده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب النفات الحاطرة إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد فقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفضاذا النساء لا يفلح ولا شك أن للمرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وعجة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد المائتين أيسحت العزوبة لأمتي » فان توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستمن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته ^(١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فإن الشيطان يضحك من جوفه ^(٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس - بأن يذكر الله وقال الحسن محمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناذك قال أناجليس من ذكرني فقال فأناتكون على حال نجلك أن تذكرك عليها كالجناية والغائط فقال اذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فينبغي أن يتحملة ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمنين مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إنك تبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى الداراة وهي مع من يخاف شربه قال الله تعالى - اذفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أي الفحش والأذى بالسلام والداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياء والداراة وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبش رجل العشرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فضته ^(٣) » وفي الخبر « ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة ^(٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يحمل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحترني في زمرة المساكين ^(٥) » وقال كعب الأجر كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل السجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأجر ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوثي ، قيل ومن اللوثي يا رسول الله ؟ قال الأغنياء ^(٦) » وقال موسى إلهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له في حسن الاختيار ويطوف على الأحياء والأموات وللساجد والمشهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الاكثريات فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر السكاء بين يديه في الحلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستعين به من فضل الله الخيرة في ذلك فهو السكالم والتمام قد يكشف الله تعالى للصادق ذلك منأ أو إطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من يثق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يحكم إلا بحق فخذ

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بنسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبش رجل العشرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضمفه (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحترني في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوثي قيل وما اللوثي قال الأغنياء الترمذي وضمفه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تبطن فاجرا. نعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا^(١)» وأما النبي
 فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة^(٢)»
 وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة كهاتين وهو يشر بأصبعه^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم
 «من وضع يده على رأس يقيم ترهما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة^(٤)» وقال عليه السلام «خير
 بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه^(٥)». ومنها
 النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن عجب للؤمن
 كما يحب لنفسه^(٦)» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله
 عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليحطه عنه^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم
 «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن
 أقر الله عينه يوم القيامة^(٩)» وقال صلى الله عليه وسلم «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل
 أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين^(١٠)» وقال عليه السلام «من فرج
 عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة^(١١)» وقال صلى الله عليه وسلم
 «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم^(١٢)» وقال عليه السلام

(١) حديث لا تبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى
 فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يثما من أبوين مسلمين حتى يستغنى
 فقد وجبت له الجنة ألبنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم
 فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من
 حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يقيم ترهما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده
 حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترهما ولا بن جبان فى الضعفاء من
 حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يقيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين
 بيت فيه يقيم بحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة
 وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب
 لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود
 والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى فى
 التاريخ والطبرانى والحرائلى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل
 (٩) حديث من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من
 اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته
 وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين والطبرانى فى الأوسط من مشى فى
 حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن
 مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحرائلى فى مكارم الأخلاق وابن جبان فى
 الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوقا (١١) حديث انصر أخاك ظالما
 أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم.

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له ترجيحاً فى نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن الراعى أنه
 رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسل.

ذلك يكون تزوجه
 مدبراً معاناهه. ومعنا
 أن الشيخ عبدالقادر
 الجليل قال له بعض
 الصالحين لم تزوجت حتى
 فقال ما تزوجت حتى
 قال لى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 تزوج فقال له ذلك
 الرجل الرسول صلى الله
 عليه وسلم يأمر
 بالرخى وطريق
 القوم التزم بالزينة
 فلا أعلم ما قال الشيخ
 فى جوابه ولكنى أقول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يأمر
 بالرخى وأمره على
 لسان الشرع فأما من
 التجأ إلى الله تعالى
 وافتر إلى واستخاره
 فيكشفه الله بتنبهه
 إياه فى منامه وأمره
 هذا لا يصحكون أمر
 رخصة بل هو أمر يقيمه
 أرباب الزينة لأنه
 من علم الحال لا من علم
 الحكم ويدل على صحة
 ما وقع لى ما نقل عنه
 أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غمًا أو يقضى عنه دينًا أو يطعمه من جوع» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمنا من منافق يفتنه بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحمى لحيته من نار جهنم» [١] «وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله» (٢) «وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٣) «وقال معروف السكري من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال . وبكى على بن الفضل يوما قبيل له ما ييكك ؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتنام تحياتكم المصافحة» وقال عليه السلام «من عاد مريضا فقد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرت فيه» (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة» (٦) «وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواذته فان هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رضا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيته أن أدخنه الجنة وإن أنا شفيته أن أبذل له لما خيرا من لعمرو دما خيرا من دمه وأن أ كفر عنه سيئاته» (٧) «وقال رسول الله صلى الله

الزوجة مدة من الزمان ولا أجترى على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والنخرج - ومن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارده من الله تعالى ياذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستغند جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظا من الله تعالى ويغان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث طي ولم يسنده ولده في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضا فقد في مخارف الجنة الحديث أمحباب السنن والحاكم من حديث طي من آتى أخاه السلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي والمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قد عنده قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال اتعسف فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها وللطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عنده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنفع فيها (٦) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمنا قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يصبه »^(١) وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا »^(٢) ودخل عليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطي إحداهن »^(٣) ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شكأ أحدكم بطنه فليسال امرأته شيئا من صدقها ويشتري به عسلا وشربة بماء السماء فيجتمع له المني والري والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تسكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني تقبض روعي في مرضي هذا فاجعل روعي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وابعدي من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى »^(٤) وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة »^(٥) وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة للمريض مرة سنة لما ازدادت فنافقه ، وقال بعضهم عيادة للمريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربعوا فيها »^(٦) وحمله أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »^(٧) وفي الخبر « القيراط مثل أحد »^(٨) ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وصححه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقوله لعمري أنه الحديث مالك في الوطأ مرسل من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير التثني ضعيف الحديث وللبهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلتته من إسارى ثم أبدله لما خيرا من لحمه وصاخيرا من دمه ثم استأنف العمل وإسناده جيد (١) حديث من رد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عثمان مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . (٣) حديث دخل عليّ وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليّ رجل وهو يشكي ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات (٤) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تسكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي الرض والكفارات (٥) حديث عيادة المريض فواق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث أغبوا في العيادة وأربعوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف (٧) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة (٨) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج وتقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يغلو عن زوجتين أو ثلاث فتوب في ذلك قتال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد مات زوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا قذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإناراعون موعظة بليغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخرا لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو سكي ويقول والله لا تمر عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما صنعت حيا . وقال الأعمش كنا شهد الجنازة فلاندرى لمن نمرى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجا من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قدرأى ومهارة الموت قد ذاق وخوف الحائمة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع لليت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال **عبد الله بن عباس** « ما رأيت منظرا إلا والقبر أنطق منه (٢) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى للمقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكي وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأتى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة (٣) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكي حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد (٤) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرة تقول أنا بيت السود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر الأخرم يوم قبرى يوم أوضع فى قبرى ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فيقول له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قتلت عنهم لم يشاؤنى وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يفكر لنفسه ولم يبع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد يأهل القبور من تبطون قالوا تبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا تصوم ويصلون ولا تصلون ويذكرون الله ولا تذكرونه (٥) » وقال السفیان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعنى لملى أعمل صالحا فيما تركت - ثم يقول ياربيع قد أراجعت فأعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال يميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى قياتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم منى صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب المعزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم . وآداب تشييع الجنازة لزوم الحشوع وترك الحديث وملاحظة الليث والتفكر فى الموت والاستعداد له

(١) حديث يتبع لليت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبر أنطق منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر الحديث فى زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قمام عمر فقدها بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث ما من ليلة إلا وينادى مناد يأهل القبور من تبطون فيقولون تبط أهل المساجد الحديث لم أجده أصلا .

الراسخين فى العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن قلوبهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبال وإدبار يقول بعضهم : إن القلوب إقبالا وإدبارا فإذا أدبرت روح بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى الليثاق فتبقى قلوبهم دأمة الإقبال إلا اليسير ولا يدوم إقبالها إلا لطمانية النفوس وكفها عن المنازع وتترك التثبت فى القلوب فإذا اطمأنت النفوس واستقرت عن طيشها وغورها وشراسها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن فى أداء الحق إقناعا وفى أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسمون بالنكاح للباح إيسالا إلى النفس حظوظها لأنها ما زالت

وأن يمشى أمام الجنائز بقرعها والاسراع بالجنائز سنة (١) فهذه جل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري له خير منك فانه وإن كان فاسقا فله عظم لك بمثل حاله ويحتم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتتال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في العادة وينهب دينك ودينك فيهم وينهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فمادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لعقوبة الله وعقوبته بصيانتهم لحسبهم جهنم يصلونها فمالك تهقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثناهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في النيب والسر كما في الملاية فذلك طمع كاذب وآنى تنظر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الدل ولا تتال القرض ولا تمل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أبا منهم حاجة قضاهم فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تمناه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تخصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يبرؤك فكل أمرهم إلى الله واستعد بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمسكافة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصفا في قلوبهم والله المحب والبغض إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا يحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النفي والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنيان ولا ينفون بفرون الاخوان على الاخوان بالقيمة والبهتان فضيحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الخفي لا يؤمنون في حقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويربصون بصديقهم من الحسد ريب النون يحصون عليك المثرات في محبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعمل على مودة من لم تخبره حق الخبره بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في عدة فتحتاج إليه فان رضيت في هذه الأحوال فانخذ به أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنائز متفق عليه من حديث أبى هريرة اسرعوا بالجنائز الحديث .

تخالف هو اها حتى صار
داؤها وداها وصارت
الشموات المباحة
واللذات المشروعة
لا تضرها ولا تفرعها
عزائمها بل كالأوصاف
النفس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انشراحا وانفسا
ويصير بين القلب
والنفس موافقة يطفئ
أحدهما على الآخر
ويزداد كل واحد منهما
بما يدخل على الآخر
من الحظ كلا أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن السماء إذا اكتست
كست الثرى
حلا يدبجها الصمام
الرام
وكلا أخذت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار للشفق
براحة الجار . سمعت
بعض الفقهاء يقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجوار السلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجوار المشرك (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذنته » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إنني جارا يؤذني ويشتمني ويضيق عليّ قل له اذهب فان هو عصى الله فبك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يعمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لئنه الله فجاءه جاره فقال لمرء متاعك فوالله لأعود » (٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وقال عليه السلام « البن والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للمرأة خفة مهرها وسه نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وبئس السكن سعة وجوار أهلها وشؤمها ضيقه وسوء جوار أهلها وبئس القرس ذلّه وحسن خلقه وشؤمها صموتها وسوء خلقه » (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبراز في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذنته لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في اللراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث البن والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والقرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في القرس والمرأة والسكن والترمذي من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون البن في الدار والمرأة والقرس ورواه ابن ماجه فجاء محمد بن معاوية للطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ماسوء الدار قال ضيق ساحتها وخبت جيرانها .

معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا لعالم رباني وكم من مدع يهلك بشؤمه هذا في نفسه ومثل هذا الصبر يزداد بالسكاح ولا ينقص والعبد إذا كل عليه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجليل يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وجمع بعض العلماء بعض الناس يطمئن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيراً فقال وأنت أيضاً لو جئت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأي شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

واعلم أنه ليس حق الجوار كنف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كنف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكتفي احتمال الأذى بل لا بد من الرق والهدوء والخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره النبي يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمن منى معروفه وسد باب دونه وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان مجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا بجرمة ظل داره إن باعها معدا قدفع إليه من الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له لو اتقنت هرا قال أختي أن يسمع الفأر صوت المهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم مالا أحب لنفسي ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في الرض ويعزبه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصنع عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضيق في وضع الجنب على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فثائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما عمله إلى داره ويستمر ما ينكشف له من عوراته ويعتبه من صرعته إذا ثابته ثابته ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويضرب بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة عزته ولا تستل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشتريت فأكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه بفنار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعطام بن قيس فقال يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضيكتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على يبابه والآخر ناه

قيل فما سوء الدابة ؟ قال منعها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف وروينا في كتاب الحيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسل إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتته وإن استنصرك أقرضته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر للرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سفيان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابدات بل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا أنه تارك لشيء من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنفعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تترك التزوج فقال ما تتركه لأنني أحرمه وما منعتني منه إلا أنني فقير لشيء لي وأنا عيال على الناس بطمعي هدامة وهذا مرة فأكره أن أتزوج

يباه عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فأيهما أعظم حقا قال القبل عليك يباه (١) ورأى الصديق ولقد عبد الرحمن وهو ينامى جارا له فقال لا تناس جارك فان هذا يبق والناس يذهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور يأتمنى فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا والغلالم ينكره فأكره أن أضربه ولله برى وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فاذا عساه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أدرضيت جارك وأدبت على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحقيقين . وقالت عائشة رضى الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أية وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل وللصانع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتدب للجار والتدب للمصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء » (٣) وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعهم يقولون قد أسأت قد أسأت (٤) وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضى الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يضمن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عساه قيل وماعسه قال يحبه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قلت يا رسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخارى (٢) حديث أبي هريرة يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٣) حديث إن من سعادة المرء للسلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الحرائطى في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف وابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الحرائطى في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يضمن أحدكم جاره أن يفرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا عساه أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني ورواه الحرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقى في الزهد من حديث عمرو بن الحقيق زاد الحرائطى قيل وماعسه قال يحبه إلى جيرانه وقال البيهقى يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بأمرأة أعزلها أو أرهقها جهدا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما عنك إلا هذا قال نعم قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأتباء إلا التاهلين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركة من متأهل خير من سبعين ركة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم القومى القزوينى قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه (٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه » وقيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنصافهم وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف ونهأهم عن المنكر (٣) » وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها (٥) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون لجارا فتصمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم (٦) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بيني مدبج قال عليه السلام « إن الله قد منحنى من بيني مدبج بصلتهم الرحم (٧) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم (٨) » وفي رواية أفأصلها قال نعم صليها وقال عليه السلام « الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان (٩) » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاطط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللساكين فقال عليه السلام « وجب أجره على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (١١) »

(١) حديث بقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن يمد له في رزقه ويوسع له في رزقه فليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليصل رحمه وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن إسماعيل (٣) حديث أي الناس أفضل قال أنصافهم وأوصلهم لرحمهم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان ومحمد (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكر والخراطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بيني مدبج قال إن الله منحنى من بيني مدبج بصلتهم الرحم الخراطي في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لبات الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صليها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والفسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاطط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب قال ثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان قال ثنا أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال ثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النكاح سقن فمن لم يعمل بسقن فليس مني فتزوجوا فإني مكاره بكم الأم ومن كان ذا طول فليتكح ومن لم يجد فليته بالصيام فان الصوم له وجاء » ومما ينبغي للتأهل أن يحذر من الإفراط في المخالطة والمباشرة مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فان الإفراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر تاهض الهمة . وللتأهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لموم حاله وفتنة

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتطعم من حرمك وتصنع عن ظلمك»^(١) وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والله حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله »^(٣) وقد قال عليه السلام « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم »^(٥) وقال عليه السلام « برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٦) وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعقني كتبته باراً ومن برّني وعق والديه كتبته عاقاً ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يرق له فأوحى الله إليه أتعظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نيا وقال صلى الله عليه وسلم « ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجراً ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء »^(٧) وقال مالك بن ربيعة بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف للطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والله حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد ، قال أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسناده ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك النساء من حديث طارق الحارثي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منقعة عن جده وله للترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بمحسن الصلوة قال أمك ثم أمك ثم أبوك فقط مسلم (٧) حديث ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

لخصوص حاله فتنة عموم حاله الاغتراف بالاهتمام بالصلة . كان الحسن يقول : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار . وفي الخبر « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يسيرون بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل في الدخائل التي يذهب فيها دينه فيهلك » . وروى أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ماكت فصبوا من ذلك وهاجوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فإني سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقب به في الآخرة فاجعله لي في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بدو عاتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودة أبيه بعد أن يولى الأب ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد ضعفان ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط ^(٤) » . « وسألهم رجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره ^(٦) » أي لم يجعله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » وقد قيل ولدك رحماتك تشمها سيما وخادمك سيما ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يبقى عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراغه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأبكتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه ^(٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذب عنه يوم السابع ويخلق رأسه ^(٩) » وقال قتادة إذا ذبحت المقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الخيط ثم ينسل رأسه ويخلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من بر أبوي شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودة أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الولد ضعفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقف له على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لوالديك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في العلل إن الأصح وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث على بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوفاني من رواية الشعي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يبقى عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراغه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البهي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذب عنه يوم السابع ويخلق رأسه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذي حسن صحيح .

فزوجت بهلوا ناصبا
على ماترون فاذا أفرط
الفقر في الداراة ربة
تعدى حد الاعتدال
في وجوه للعيشة متطلبا
رضا الزوجة فهذا فتنة
عموم حاله . وقتة
خصوص حاله الافراط
في المجالسة والمخالطة
فتنطلق النفس عن
قيد الاعتدال
وتسرق الفرض بطول
الاسترسال فيستولي
على القلب بسبب
ذلك السهو والتفلة
ويستجلس مقار للهة
فيقل الوارد لقلة
الأوراد ويتكرر الحال
لأعمال شروط
الأعمال والطف من
هذين الفتنين فتنة
أخرى تختص بأهل
القرب والحضور وذلك
أن للنفس امتزاجا
وبرابطة الامتزاج
تتشد وتشد
وتتطرى . طبيعتها
الجامدة وتلهيه تارها
الحامدة فدواء هذه
الفتنة أن يكون للتأهل

أنشدته ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أمانة فجعلت أغسله وأنا أتفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) وتشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فزل غمله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسن فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنك قد حدثت أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أهمله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداهما القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتطعيم لأمته . وقال ﷺ « ربح الولد من ربح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسل ابني إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال : يا أبا عمر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين نمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وصماء ظلية وبهم نصول على كل جيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمنحوك ودم وبجوك جهدم ولا تكن عليهم قلا قتيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر فهنمى الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقوقهما تعرف بما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم يجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان بافترادك عنهما بالطعام فليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنهما والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا حكنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فليسه الهجرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أمانة فجعلت أغسله وأنا أتفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لما جده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أمانة عثر بعتة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول لو كان أمانة جارية لحيتها ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ فزل غمله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا يمشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النساء من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضعيف .

عند المجالسة عينان
بطنان ينظر بهما إلى
مولاهم عينان ظاهران
يستعملهما في طريق
هواه . وقد قالت رابعة
في معنى هذا نظما :
إنى جلستك في القواد
محدثي
وأبحت جسمي من
أفراد جلوس
فالجسم مني للجلوس
مؤانسي
وحبيب قلبي في القواد
أنيسي .
والطف من هذا فتنة
أخرى يخشاها التأهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجمال ويكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح ويصير
ذلك وليجة في حب
الروح الخصوص
بالخلق بالحضرة الالهية
فتبكي الروح وينسند
باب الزيد من الفتوح
وهذه البلاهة في الروح
بما تصور بها فلتحذر
ومن هذا القبيل
دخلت الفتنة على طائفة

قالوا بالمشاهدة وإذا
كان في باب الحلال
وليعة في الحب يتولد
منها بلاءة الروح
في القيام بوظائف حب
الحضرة الإلهية لها

ظنك فيمن يدعى
ذلك في باب غير
مشروع يعرفه سكون
النفس فيظن أنه لو
كان من قبيل الهوى
ما سكنت النفس

والنفس لا تسكن في ذلك دائماً تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على آتى استبحشت عما يتلى به للفتونون بالمشاهدة فوجدت الحمى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذلو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جداً ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فإنه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الأطباء الجماع يسكن هيجان المشق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة (١) » وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيعه وضع عنه منه . ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسمى خلفه فقال له يا عبد الله احمل خلفك فانما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله عبدا ما مشى خلفه . وقالت جارية لأبي الدرداء إني مميتك منذ سنة لما عمل فيك شيئا فقال لم فست ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال أذهبني عنى فأنت حر فلوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخزأك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس بمن تطعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل لما بلغ من حلمه ؟ قال بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فصره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روح هذه الجارية إلا العتق فقال لها أنت حر لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولك مولك يسمى مولاه وأنت تسمى مولك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان عند سيمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالمشاء فبعادت مسرعة ومعهما قصعة مملوءة فمشرت وأرارتها على رأس سيدها سيمون فقال يا جارية أحرقتي قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس أرجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاذمين النيط - قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حر فلوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر « إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم ينفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأى أن أمسكت يدك قال فانه حر فلوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لاسفعت ونجيت النار (٢) » وقال مالك « العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣) » ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور (٤) » وعن أبي

للمشوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه فن للتأهل وفتنة العزب مرور النساء بخاطرهن وتصورهن في متخيلة ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا منع الخاطر يحويه بحسن الانابة واليأاذ بالمر بومق سامر الفكر كشف الخاطر وخروج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس الضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصديق للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاجشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة قلب الصارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم . [الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولاً وإشاراً] قال الله تعالى - فبشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والنان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقيه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد الحديث ابن المبارك في الزهد مراسلا في رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قتلته هو حر فلوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل لفمحتك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة والشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب غلاماً لي إذ سمعت صوتاً من خافي أعلم يا أبا مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدي فقال : والله لله أنذر عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه ^(٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة ^(٣) » وفي رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره وموته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه . » ودخل على سلمان رجل وهو يسجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه عمليين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجعلت حق المملوك أن يسركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يسهل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصيا فلا يسأل عنهما وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفها مؤنة الدنيا فترجعت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق .

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقه في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزله كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلني أعلم يا أبا مسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل كل معه فإن أتى فليتناوله وفي رواية إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق للخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما الصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في قول المذاهب والحجج فيها)

عباد الذين يستمعون
القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب -
قيل أحسنه أي أهدهم
وأرشدده وقال عز
وجل - وإذا سمعوا
ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق -
هذا السماع هو السماع
الحق الذي لا يختلف
فيه اثنان من أهل
الإيمان محكوم لصاحبه
بالمهذبة واللب وهذا
سماع ترد حرارته على
برد اليقين فتفيض
العين بالدمع لأنه تارة
يشير حزنا والحزن حار
وتارة يشير شوقا
والشوق حار وتارة
يشير بغما والندم حار
فإذا آثار السماع هذه
الصفات من صاحب
قلب مملوء ببرد اليقين
أبكى وأدمع لأن
الحرارة والبرودة إذا
اصطدما عصارا ما فإذا
ألم السماع بالقلب تارة
خفت إلامه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل أحدهما على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصفة من فضيلة المخالطة وللؤاظة وللؤاظة يكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والحلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في قل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

(الباب الأول في قل للذاهب والأقاول وذكر حجج الفريقين في ذلك)

أما للذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوننا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، والمأثور عن الغطاء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الليل فلتنقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبين للذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرس للغوائل والفوائد فنقول قد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وباللوات واعظا وقيل اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد لداود الطائي عظمي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعترل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشق في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شارب من العلوية فكش معنا سبعا لانسمع له كلاما قلناه يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك نعالطنا ولا نكلمنا فأنشأ يقول :

قليل المم لا وله يموت ولا أمر يحافذه يموت

قضى وطر الصبا وأفاد علما قضائه التفرود والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعترل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويهود الرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا تبتأ للمراء أن يغبر كل عذره وقيل لمعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم على وإذا مرضت أن لا يودنى وقال أبو سليمان الداراني بينا الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه جبر فرك جبهته فشجه فجعل يسبح الدم ويقول لقد وعظت ياربيع فقام ودخل داره فجالس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا بآتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى - تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - وتارة يعظم وقته ويتصوب أثره إلى فوق نحو السماع للخبر للعقل فيعظم وقع للتجدد والحادث فتندفق منه العين بالسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتعوج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضى الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخذه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسمع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن ضيعة كان من معرفتك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عاليا ابنك يقول لوددت آتى في مكان أرى الناس ولا يروني فيكي الفضيل وقال يابويع على أفلا آتئها فقال لا أراهم ولا يروني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

(ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية ويقولون تعالى - فألف بين قلوبكم - أمئن على الناس بالسبب للوئف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع العوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للمتن الحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف ^(١) » وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمنع بسببه للؤافة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع ربة الاسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميته جاهلية ^(٢) » ويقول صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام من عنقه ^(٣) » وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغير ذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لا اضطرار الخلق إلى امام منقطع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مشير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن المهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار ^(٤) » وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة ^(٥) » وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه ^(٦) » قالوا والعزلة هجره بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس والنجاس فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن المهجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه وأنه وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين الخصوصيين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة

(١) حديث للؤمن ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصعبة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام الطبراني والحطابي في المزملة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصالح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصالح زاد فيه الطبراني والبيهقي يبدأ بالصالح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حذرد بن أبي حذرد وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الدماء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتصر جلد العبد من خشية الله تحات عنه القنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقتصر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار بالألحان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منعك بلفظه بالقسق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاوزان في طرفي الافراط والتفريط . نيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري

السقطى وذو النون
يسمعون فقال كيف
أنكر السماع وقد أجازوه
وصمعه من هو خير مني
فقد كان جعفر الطيار
يسمع وإنما للسكر
اللهو واللب في السماع
وهذا قول صحيح .
أخبرنا الشيخ طاهر بن
أبي الفضل عن أبيه
الحافظ للقدس قال أنا
أبو القاسم الحسين بن
محمد بن الحسن الخوافي
قال أنا أبو محمد عبده
ابن يوسف قال ثنا
أبو بكر بن وثاب وقال ثنا
عمر بن الحرث قال ثنا
الأوزاعي عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها « أن أبا
يكر دخل عليها وعندها
جليرتان قنيتان
وتضربان بدقين
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مبجى
بشبه فاترها أبو بكر
فكشف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
وجهه وقال : دعهما
يا أبا بكر فاتها أيام عيده »

والهرم وبعض صفر^(١) » وروى عن عمر « أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا
وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا
وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٢) » وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « لا عمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بواقعه^(٣) »
فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحق قرينة
إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحاققة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل
هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لمبار بن ياسر
حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان
طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يعمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا
بما روى « أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجئ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل
أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين
عاما^(٤) » والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام
بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا
بشعب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى
أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته
في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله
فوق ناقة أدخله الله الجنة^(٥) » واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال « إن الشيطان ذئب الإنسان
كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامية والجماعة والمساجد^(٦) »
وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياق بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .
(ذكر حجج السائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوا
ربي - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا - إشارة إلى أن ذلك يبركة العزلة وهذا ضيف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها لإدعوتهم إلى الدين
وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة
(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب
هذه اللمة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله
عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يعمل لمسلم أن
يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بواقعه ابن عدي وقال غريب اللث والاسناد
وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتعبد
فيه فجئ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عسعين بن سلامة
قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث
أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا بشعب فيه عينة طيبة للماء غزيرة
فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح
والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سبعة عام (٦) حديث معاذ بن جبل
الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

لما روى أنه قيل « يارسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمسا لبركة أيدي المسلمين ^(١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد منته الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد منعت وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس الخمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه ^(٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون - وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - أمرهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ^(٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أهل الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولما توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بمساوهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يارسول الله ما النجاة ؟ قال ليسمك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك ^(٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال يدخل معتزلا في شعب من الشعب بعد ربه ويدع الناس من شره ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي ^(٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمس الطهارة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا التمر منقع في حياض الأدم قد منته الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسل أيضا واصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومغازى موسى بن عقبة أصبح للغزى وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يهبط إلى أرض النجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بسند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأل عقبة بن عامر يارسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسمك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزلا الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسولا صلى الله عليه وسلم يستترى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسام » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب السكي يعتبر لو قور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتجره الأصواب والأدلى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمقوله على سنة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللغو فيهم ومن سمعه بقلب يشاهد معاني قله على الهدى وبشده طرفات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذيهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذيهم » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعيد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شريز بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إثارة الخمول وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكأن من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكفى مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس » (٢) فاذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف النطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقاساة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئنا من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دنيوية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب الناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرآته أو سوء ظنه أو نيمته أو محاسناته أو التأذى بقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسية إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكّن أحد من الخلوة إلا بالتسكك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذيهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو المشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصراً من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنه وتحريره والانكار على من يسمع كفعل القراء للزهادين البالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض الشبهين به المهملين شروطه وآدابه للقيمين على الإصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلاً ونوضح الماهية فيه تحريماً وتحليلاً فأما الدف والشابة وإن كان فيها في مذهب الشافعي فحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القليل قصائد الغزاة

تعالى والتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذي كرون الله بالله عاشوا
بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر
والذكر فالعزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقتل في جبل حراء وينعزل
إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يحبونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وبقلبه
مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله (٢)»
ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يفتر كل
ضعيف بنفسه فيقطع في ذلك ولا يمد أن تقضى درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجنيد أنه
قال أنا أكلّم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلّمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا
لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدري
ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوه بل الذي دهاه لم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه قد
يستغرقه لهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم
عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ، ولذلك قيل لبعض
الحكماء ما الذي أرادوا بالخلو واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في
قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويدوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا
وحدى أنا جالس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض
الحكماء إلى أي شيء أفنى بكم الزهد والخلو فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم
ابن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تنهأت بالعيش إلا ههنا أفر
بدين من شاق إلى شاق فمن يراني يقول موسوس أو حمر أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك
لاتضحك فما يمنحك من محالة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في محالة من عنده حاجتي وقيل
للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني
به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال
له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنحك من محالة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال
فما يمنحك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن
قال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنوب فرأيت أن أشغل
نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنوب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من
الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء
بك قال جئت لأنسى بك قال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال التفضيل
إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أذكركني استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة
قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذوالنون المصري سرور المؤمن
ولده في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة الخلق في

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقتل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من
حديث عائشة نحوه فكان يخلو بفار حراء يتحنن فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا
لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف
الغزو والحج مما يثير
كامن العزم من الغاوى
وساكن الشوق من
الحاج وأما ما كان من
ذكر القدود والحدود
ووصف النساء فلا يليق
بأهل الديانات الاجتماع
لكل ذلك وأما ما كان
من ذكر المجر والوصل
والقطيعة والصد مما
يقرب حمله على أمور
الحق سبحانه وتعالى
من تلون أحوال
الريدين ودخول
الآفات على الطالبين
فمن سمع ذلك وحدث
عنده ندم على ما فات
أو تجدد عنده عزم
لما هو آت فكيف
يكون سماعه وقد قيل
إن بعض الواجدين
يقتات بالسباع ويتقوى
به على الطير والوصال
ويثير عنده من الشوق
ما يذهب عنه لهب
الجوع فإذا استمتع
العبد إلى بيت من
الشعر وقلبه حاضره
كان يسمع الحادى

فقد اهل علمه وعلم قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع إلى الله تعالى و يروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بباد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إني أقت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفي فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراق فلما نظرت إليك خفت أن أتع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماء من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيري فزنى وأهلك فصرى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألقى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسن وجمع مهمهم في ذكره فلا شيء الله عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس يذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستنشئ وما بي غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس بالبر خياليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على المكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيطة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الله كذا الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وعمرة للعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

(القاعدة الثانية)

التخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشاركة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات وجوها عرفت أنها تتحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بمحلاتها وهي ظممتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فإن خالطتهم وواققتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا والمستمع أحد القتاتين وإن أنكرت أبضوك وتركوا ذلك القتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتهوا إلى الاستخفاف والتمهم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الرابع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يحرمه طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا وقال لا يها الناس إنكم تفرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تفعلونها في غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن إني
أسأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأما من هو إلى وحي
زيارتها فإني لأتوب
فطاب قلبه لما يجده
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى الممات يكون في
سماعه هذا ذا كرا لله
تعالى . قال بعض
أصحابنا صكنا نعرف
مواجيد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
المسائل وعند الغضب
وعند السماع . وقال
الجيد تزل الرحمة
على هذه الطائفة في
ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن ذلة وعند المذاكرة
لأنهم يتجاوزون في
مقامات الصديقين
وأحوال النبيين وعند
السماع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقا
وسئل رويم عن وجد
الصوفية عند السماع
فقال يتنبهون للمعاني
التي تعزب عن غيرهم

أوشك أن يعمهم الله بقباب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم » إن الله يسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره فإذا لقن الله العبد حبه قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) « وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للخصومات وتحريك لتوائل الصدور كاقيل :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البنضة للتصحيح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندب عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته ما لانا لم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يصسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراً لهم ومن دارهم راءاً لهم ومن راءهم وقع فيا وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق أنك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه بواقعه صرت بغيراً إليهما جميعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال عليه السلام « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سري لودخل على أخ لي فسويت لحقي يدي لدخوله فخشيت أن أكتب في جريدة الناققين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ماجاء بك قال للؤاسة يا أبا علي قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تزين لي وأزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاووس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يجترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بآثبات اسمه في جريدة الناققين فقد كان السلف يتلاتون ويعتزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللخاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أذاخر وأصبحت مرتها بعمل والخير كله في يد غيره ولا فقير أفقر مني وكان الريح بن خنيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضغفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأثم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأوبس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم تقرأون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى
فيتنعمون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
لوقت فيعود ذلك
الفرح بكاء فمنهم من
يعزق ثيابه ومنهم من
يسكي ومنهم من يصبح .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف بإجازة
عن السلي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سليمان
يقول للسمع بين
استثار ونجل فالاستثار
يورث التلهب والتجلى
يورث المزيد فالاستثار
يتوله منه حركات
للريدين وهو محل
الضغف والعجز والتجلى
يتوله منه السكون
للواصلين وهو محل
الاستقامة والتحكمين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الهيبة قال
الشيخ أبو عبد الرحمن
السلي سمعت جدي
يقول المستمع ينبغي
أن يستمع بقلب ونفس
ميتة ومن كان قلبه
ميتاً ونفسه حية لا يحل

أصبحت قال كيف أصبح رجل إذا أسي لا يدرى أنه أصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه يسي . وقيل لمالك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي حياتي لمعاني ولا تقضي لربي . وقيل للحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس . وقيل لحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتنى عافية يوم إلى الليل قبل له ألت في عافية في كل الأيام فقال العافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو موجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبي سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناهو وميعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عدي بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرايا مناققا فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوهم عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحية من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب والسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاؤوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت فما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت القديع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس بخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستغفروه واغتابوه وتشعروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستتقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيستطع وقته واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أو شك أن تنحل القوة الوازعية عن الطبع لئيل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غير استحقاق الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر بمجالستهم في أن يستصغروا عنده وتؤثر بمجالسة الفقراء في استعظام ما أتبع له من النعم وكذلك النظر إلى الطيبين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والنزعة عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - الصوت الحسن وقال عليه السلام « قه أشد أذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته » نقل عن الجنيد قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم شيئا فقال إنه يمسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به قال فكيفت رؤياي لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من مع منة إذا مع ونظر إليه إذا نظر أنزعج أنت عليه شيئا أو تظفر بشئ منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأذى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تفسير الطبع مجرد سماع الخير والشرف فلا عن مشاهدته وبهذه الدقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو ابتعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكفاف مما هو ملائمه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والفهم من فحوى هذا الكلام عند النطق كاللهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصي واللعة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للمعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المحظوظ المأجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للتعروع ومبدأ للمعاصي سقوط ثقلها وتفاخسها عن القلب ومبدأ أسقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكبر إن لم يحرقك بجرره علق بك من ريجه (٢) » فكما أن الريح يعلق باليوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب السك إن لم يهب لك منه تجد ريجه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لثنتين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك اللصبة فانه معها وقع فيها فاستكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكمن شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهاك على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه قبورها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويحمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتزليل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل آتى راعيا فقال له ياراعى اجرر لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من يقل هفوات الآئمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكبر الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل آتى راعيا فقال ياراعى اجرر لى شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما سمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمته وذكر الشيخ أبو طالب اللكي قال كان لعطاء جاريتان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين أعدهن للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلط إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وعمل الصوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقتها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرر أو خاتما من ذهب أو شرب من إثناء فضة استبعدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اختيار للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع النية ومشاهدة للفتاين أسقط وقتها عن القلوب وهون على النفس أمرها ففضطن لهنه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأمد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك للصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تخارقه واغتنمه ولا تستقره فاتها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حطت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالمزلة أو التقرب إليه بالخلة وإياك أن تحكم مطلقا على المزلة أو على الخلة بأن أحدهما أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو نم خلف من القول محض ولا حق في الفصل إلا التفصيل .

(الفائدة الثالثة)

(الحلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقلنا تغلوا البلاد عن تصيبات وقتن وخصومات فالتعزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وعيبك بين أصابعه قلت فأتأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (١) » وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق (٢) » وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جمر إلى جمر كالتلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل للعيشة إلا بما صامى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة (٣) » وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى التاهل عن العيشة والمخالطة ثم لا ينال العيشة إلا بمصيبة الله تعالى ولست

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري .
(٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جمر إلى جمر كالتلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة (٣) وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغنى التاهل عن العيشة والمخالطة ثم لا ينال العيشة إلا بمصيبة الله تعالى ولست

— يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسك إلا مستغرب عجيب والتزهد عن مثل ذلك هو الصحيح .
وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالياحة على نفسه ويتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسماع صوته وكان يعمل من مجلته آلاف من الجنازير . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزارا من مزامير آل داود » .
وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشرر لحكمة »
« ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم يمشدون الشرع فقال يا رسول الله قرآن وشرع فقال من

أقول هذا أو ان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفه عينا بصرى ثاب ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محبة يضاء فيهم كذلك يسرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات الجبن فأخذوا فيها فتأهوا وصلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتأهوا وصلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فاسفروا فاعتزل سعد وجاعة معه فارقوا الفتن ولم يخاطبوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا منعه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتصم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم غيرة بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتل أو أسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قبل له لزم القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجأكم عالية وفيها نك عما أنتم فيه عافية فإذن الحذر من الخصومات ومشاراة الفتن إحدى فوائد العزلة .

(الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونك مرة بالنية ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراءات والأطباع الكاذبة التي يصر الوفاء بها وتارة بالنيحة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغنت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالتأمر قبل المقال

ليس للقول رجمة حين يبدو بقبیح يكون أو بجمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل أعادته ونصب الكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصرا على الرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البرازي بنحوه وإسناده حسن .

هذامرة ومن هذامرة
وأشد النافذة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بواد تحمي صفوه
أن يكذرا
ولا خير في أمر إذا لم
يكن له
حكيم إذا ما ورد الأمر
أصدرا

فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« أحسنت يا أبا ليلى
لا يفض الله فاك »
فماش أكثر من مائة
سنة وكان أحسن الناس
تفرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يضع لسان منبرا في
المسجد فيقوم على المنبر
قائما يهجو الذين كانوا
يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول
النبي صلى الله عليه
وسلم « إن روح القدس
مع حسان مادام ينافع
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم » ورأى
بعض الصالحين أبا

صيحة عليهم العدو واحذرهم وقد اشتد حزمهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يتأده من توهم

وعادى محبيه بقول عدائه فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معايشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وعن يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر تظه يروي مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يلهم ثم بلام ذم من يحمده

وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة فقال ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرج بقعة . وقال ابن السكك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال إن معي مني لم ينم علي وإن ظفرت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه لم ينضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في التمداء . وكان بعضهم قد لزم الدفائر والقابر فقبل له في ذلك فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأجبت أن أحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطبج فيرى بضنا من بعض ما تآقت عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السر على الدين والروء والأخلاق والفقرو سائر العورات وقد مدح الله سبحانه التستريين فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودينه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالتاس اليوم شوك لا ورق فيه وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا عن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكته على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضرك ولا يؤذي وهو خير من المجلس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تمزق الناس قال خشيت أن أسأب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ماركبو اظهر بغير إلا أدبروه ولا تظهر جواد إلا أعقروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه . وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسة ووط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما اقتطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولائم والأملات وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعتذار فيقولون له فمت بحق .

المباي الحضر قال قلت له ما تقول في السماع الذي يختلف فيه أصحابنا ؟ قال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء . وقل عن عماد الدينوري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يا رسول الله هل تنسك من هذا السماع شيئا ؟ فقال ما أنكره ولكن قل لهم ينتهون قبله بقراءة القرآن ويغتمون بعده بالقرآن قلت يا رسول الله إنهم يؤذون وينسبون فقال احتملهم يا أبا علي هم أصحابك فكان عماد ينتخر ويقول كنان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما وجه الانكار فيه فهو أن يرى جماعة من المريدين دخولا في مبادئ الإرادة ونفوسهم ما عرت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا وبصر ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة انتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تفصيله ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه التجرد له طول الليل والتهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبت بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفقره من دابتي فجالت الفقراء فاسترحمت . وحكى أن الزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكب فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى - وجعلنا بضعكم لبعض فتنة أتصبرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتنة فإن من شاهد زينة الدنيا فلما أن يقوى دينه ويقيه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبت رغبته فيحتاج في طلب الدنيا فهلك هلاكاً مؤبداً أما في الدنيا فبالطمع الذي يحجب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فيبثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب النقي سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة القلاء والحق ومقاساة حَقْمهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقل هي العمى الأصغر قيل للأعمش م عمشت عينك قال من النظر إلى القلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما ^(٢) » فما الذي عوضك فقال في معرض اللطاية عوضني الله عنهما أنه كفاني رؤية القلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقل مرة ففتنى على وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى القلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر . وهذه الفوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يأمن أن يقتا به وأن يستنكر ما هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نعمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يحجر إلى فساد الدين وفي الملة سلامة عن جميع ذلك فليغهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب كرميته عوضه الله عنهما الجنة ولهؤلاء نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيتي ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عييه .

صفات النفس وأحوال
القلب حق تنضبط
حركاتهم بقانون
العلم ويعلمون ما لهم
وعليهم مستخيلين به
حكى أن ذا النون لما
دخل بغداد دخل عليه
جماعة ومعهم قوال
فاستأذنوه أن يقول
شيئا فأذن له فأشدد
القول :

صغير هوأك عذبي
فكيف به إذا احتسكا
وأنت جمعت من قلبي
هوى قد كان مشتركا
ما ترثي لمكتتب
إذا ضحك الخلق بكى
فطاب قلبه وقام وتزاجد
وسقط على جبهته والدم
يقطر من جبهته ولا يقع
على الأرض ثم قام
واحد منهم فنظر إليه
ذو النون فقال اتق
الذي يراك حين تقوم
جلس الرجل وكان
جالوسه لموضع صدقه
وعلمه أنه غير كامل
الحال غير صالح للقيام
متواجدا فيقوم أحدم
من غير تدبر وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والأيانس ونيل الثواب وإنائه في القيام بالحقوق واعتناء التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك قائما من فوائد المخالطة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحاجة إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسran ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يغيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا يفتك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها عن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثاله النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لاعماله مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فقيه ثواب عظيم مهما سحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا للكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إغلام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المناصرة واللباهة وأقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لاه كههم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان تملأنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكرمين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكي على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمينة . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المال ، وأما الكلام والفقهاء المجردين الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متباديا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يحادع الإنسان نفسه فإن القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدي ماسمعه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع للوزون للصوت للوزون والإيقاع للوزون وينسب حجاب نفسه للنسب ببساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط التبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا موزجا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ويعيب ذلك طية للقلب وما رأى وجه القلب وطيبته لله تعالى ولعمري هو طية القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولثل هذا الراقص قيل الرقص قص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما إذا انضاف

بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل الغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء (١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحذت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعما يقول أوسعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيهاذا رغبتي ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قد دركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما يمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا تقول تخفوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقبيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل حقا ونجسة وغلّ وخديعة فلا تفتربا اجتماعهم عليك فمأغرضهم العلم بل الجلاء والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارافي حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيرا وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعترال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنه ثقيلة بمن يتردد إليهم فكأنه يهدي نعمة إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يغتلف إليهم ما يتكفل برزق له على الإدرار ثم إن للدرس السكين قديمج عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي القتل والشدائد مقاساة الدليل المئين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستفله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتته الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارقات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن فالت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذونه ويفرقه عليهم في العقبي والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل ويدلها بحبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنعك فانما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لأمالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لاسبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك إلا بفساد العلماء فتعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته
بصرح التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من العاقبة
وتبيل اليد والقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يمتدها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تنجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمخ خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتراسل
البواطن للملوءة من
الموى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
تخرجه فأهل اللواخير
حينئذ أرجى حالا ممن
يكون هذا ضميره
وحركاته لأنهم يرون
فسقهم وهذا لا يراه
ويريه عبادة لمن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجاهل الخيلاء .

(الفائدة الثانية النفع والانتفاع)

أما الانتفاع بالناس فبالكسب والعمالة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قائما لأقنعه بالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافعة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالنحوق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه المحنة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصرة لأعن أوهم وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بعاله أو يبيدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسنة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بنوافل الصناعات والأعمال البدنية وإن كان ممن افتتح له طريق العمل بالقلب يدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدله غيره البتة .

(الفائدة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذى كسرا للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية للتصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدأ في الأغصار الحالية والآن قد خالطته الأعراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت التفرقة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم واللوث ولا ينبغي أن يقتصر به كالرهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يسقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحايل طلب الدنيا من المريدین الطالبین للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلو بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وإقبال أحدهما بالآخر دأؤهم الأفضل وذلك يدرك بدق

أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار النكر على المريد الطالب ينفعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللغو وتقصير حركاته ورقصه من قبيل الباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس)

وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ للمازمين لسمت التقوى وقد يتعاقى بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتيسير دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومنهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعل حق تملوا ^(١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها للملازمة داعية للفترة وهذا عن بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيضال فيه برفق دأب للتبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فيلجئ في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ^(٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاعتناء إلى الرشيد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعاً فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتنفد أحوال القلب وأحوال الجالس أو لا ثم ليجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنالته)

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في الصائب أو يهنوه على النعم فاتهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العطاء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغاً للعبادة وفرارا من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لقلان إنك قد ملأت الأرض ثقافا وإني لا أقبل من ثقافتك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعل حق تملوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصلوة .

والداعية وملاعبة
الأهل والولد ويدخل
ذلك في باب الترويح
للقلب وريحاً طار ذلك
عبادة بحسن النية إذا
نوى به استجمام النفس
كما قل عن أبي الدرداء
أنه قال إني لأستجم
نفسى بشي من الباطل
ليكون ذلك عوناً لى
على الحق ولموضع
الترويح كرهت الصلاة
في أوقات ليستريح
عمال الله وترفق
النفوس ببعض مآربها
من ترك العمل
وتستطيب أوطان الليل
والآدمى بتركيه
المتنوع وترتيب خلقه
المتنوع بتنوع أصول
خلقته وقد سبق شرحه
في غير هذا الباب لا تنفى
قواه بالصبر على الحق
الصرف فيكون
التفصح في أمثال
ما ذكرناه من الباح
الذى ينزع إلى هو ما
باطلا يستعان به على
الحق فان الباح وإن لم
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق مخالط الناس وتصبر على أذاهم فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر وامانه عن الحافل أت لا يوقر أولاً يقدم أو يرى الترفع عن مخالطهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يستغفبه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والساطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني إلا لأتزين لك وتزين لي . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمر الذي زاره حاجي أن لا أراك ولا تراني فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فأعزله عن الناس سيده شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتمات إلى نظرم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل الفخر والمخ في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله . ماجرٌ من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو إلى المدينة والحطب على رأسه طرّقوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشيء أحق بحمله (١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه يطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق العرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره وتعبه يبد الله ولا نافع ولا ضارّ سواء وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتال رضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غماً . وفاز باللسنة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا لشيء أمر به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالفه وإن أحداً لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعي رحمه الله ليس من أحد إلا أوجب محبة ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا معضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعتيك بالسؤال فتبسم وقال للقاتل هون على نفسك فإن حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن قطعت ومحدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الشيء ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب المتاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله الراويل الذي اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيداً لعلمه وباطله مزيداً لحقه ودينه مزيداً لآخرته ولهذا المعنى حجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حفظ نفسه الشريفة للوهوب لها حفظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من اللباحات المقبولة برخصة الشرع الرودة بزعمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متبهاً بسمه العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالطهم ورازقهم ومحيرهم ومخيرهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يا رب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسى فكيف أمضه بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأن أبعثك علما في أفواه الماضين لم أكتبك عندي من للتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرها وفكرها وعبادة وعلمها بحيث لو خالطه الناس لصاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقيا فانه مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانه استفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل التريزى ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تنيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحسب التجارب فالصبي إذا اعتزل بقى غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يجدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلوة يبرئ وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسهم يجب إباطها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحرکها فثال القلب للشجون بهذه الحباث مثال دمل تمتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بأنه مالم يتحرك أو يسه غيره فان لم يكن له يد تسمه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحرکه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقدده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا تعجز عنه الصديد وفارغ فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحقود والبخل والحسد والنصب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خباثاته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم فن كان يستشعر في نفسه كبرا صمى في إماطته حتى كان بعضهم يحمل قرعة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصلبها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بذر فها وجدت موضعاً في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول ففصلت أن جميع صلواتى التى كنت أصلبها كانت مشوبة بالرياء محروجة بلذة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحباث وإظهارها ولذلك قيل الصفي سافر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتى غوائل هذه الأمانى ودقائقها في ربيع الهامكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانا علم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابى ^(١) » فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاث أوجه : أحدها ما ذكرناه والثاني عموم النفع لعدم فائدته والعمل لا يمتدى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتبنيته

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابى تقدم في العلم .

من طريق القياس
استناله على الصالح
الدينية والدينية على
ما أطنب في شرحه
الفقهاء في مسألة
التخلي لتوافل المبادات
فاذا يخرج هذا
الرائق بهذه النية
التبرى من دعوى
الحال في ذلك من
إنكار النكر فيكون
رقصه لاهليه ولا له
وربما كان بحسن
النية في الترويع يصير
عبادة سببا إن أضمر
في نفسه فرحا بربه
ونظر إلى شمول رحمة
وعظفه ولكن لا يلبق
الرقص بالشيوخ
ومن يقتدى به لما فيه
من مشابة الله
واللهو لا يلبق بمنصهم
ويبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار في السماع
فهو أن النكر للسمع
على الإطلاق من غير
تفصيل لا يخلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفة وجهته فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المريد
والعمل كالتربط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الرفع وهذا
كلام معتبر لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالفضل نجا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائق بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس
الفائق بالحاصل فنجد ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذ قال يابونيس الانتباه عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين
النقبض والنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
كما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن
الفقر فما من واحد إلا أجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال اضرب
بكُميك الحائط وقل رب الله فهو الفقير . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض وإن
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البلى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة فلما يتفق منها اثنان وذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو ينفي عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظره هؤلاء ما رأيت
من نظير قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكى عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يولد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطيطه صلاته إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاد فيجبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورآها أفضل له
وأسلم فما آداب في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزله كفض شر نفسه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد
بكنه المهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنة والآثار
وإما معتبر بما أتبع
له من أعمال الأخيار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنة
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركته بعض التحريكين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للحبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلت الحركة
منه المكروه التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلى
يرضى الله عنه وأنت
مضى وأنا منك فحبل
وقال لجعفر أشبهت

ليجنى ثمرة العزلة ولينج الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينفرس في القلب حتى ينعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتفرغ عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات للمترنل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوسواس وأصولها وليقع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى معالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواطبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملسكوت صواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفاسد القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد اللواظبة فيه عون على بقية الساعات ولا يثم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا يقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي وبمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولينتحق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنه إذ لا يهدم للموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولانحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجسنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يضنون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ويثله كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص مهمهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر مزهين قلوبهم عن التفت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسارج النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه المقتفين لأناره في الأخلاق والسير وسلم كثيراً .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة .

(كتاب آداب السفر)

خلقى وخلقى فجعل وقال
لزيد أنت أخونا ومولانا
فجعل « وكان جعل
جعفر في قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر الغرور بما
أتيح له من أعمال
الأخبار فيقال تفريك
إلى الله بالعبادة لشغل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لعمل
جوارحك قدر فاعلم
الأعمال بالنيات ولكل
أمرى مانوى والنية
لنظرك إلى ربك خوفاً
أو رجاء فالسامع من
الشعر بيتاً يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحاً أو حزناً أو انكساراً
أو افتقاراً كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكراً لربه ولو سمع
صوت طائر غاب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة
الله تعالى وتسويته
حجرة الطائر وتسخير
خلقه ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأسماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقائع عبرية النفس ومبتدل بمشقة فناء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجى وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على القيام

إلا أن هذا السفر لما كان مقنعه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخير فاتقضى غموض السيل وقعد الحفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس سالكه فاقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متزهات الأنفس والملسكات والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وعلى التعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأين من آية في السموات والأرض يعرونها عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متزها في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا ضيق فيه للناهل والموارد ولا يضر فيه التراحم والتوارد بل يزيد بكثرة السافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فغناؤه دائرة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاح الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنيا بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهمها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واطب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بمآل الآخرة ونعم نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني :

فيها لا بد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :
التفصيل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كذا ذكرناه في كتاب الصحة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزيج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكايته في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يله أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء ومر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكايته في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والحوال ويجنب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا أهل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوى كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق

كان في جميع ذلك
الفسر مسبحاً مقدماً
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
الفسر وامتلأ بطنه
ذكراً وفكراً كيف
ينحصر ذلك . حكى
بعض الصالحين قال
كنت معتكفاً في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوماً طائفة يقولون في
جانب منه شيئاً
فأنكرت ذلك فقلبي
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئاً من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يستمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجب
بذلك فقلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنكر على أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع)

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإما علم آيات الأرض ومجاهاها كسفر ذى القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والمبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كعبة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرينة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إمامون فترار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما قتل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو مثلا وذلك العلم إما علم بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ^(١) » وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ^(٢) » وكان سعيد بن السيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى الصين في كفة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعموه ^(٣) وكل مذكور في العلم حصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما ممي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل محبة في السفر الذي يستدل به على مكازم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يامعشر القراء سيجوا تطيؤوا فإن البناء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع موادة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات للمهودة فإذا حملت وعشاء السفر وصرفت عن مألوقاتها المعتادة وامتنحت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخاطلة والسفر بمخاطلة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والمافلون والمفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

على الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بل إذا كان
ذلك الصوت من أمره
يغشى بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكى والأفكار
ما ذكرنا محرم صاعه
لخوف الفتنة لا لجرد
الصوت ولكن يحمل
صاع الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم للنوع لوجه الصلحة
كاقبلة للشباب الصائم
حيث جلت حريم
حرام الوقاع وكالحلوة
بالأجنبية وغير ذلك
فعل هذا قد تقتضي
الصلحة للنوع من الصاع
إذا علم حال السامع
وما يؤديه إليه صاعه
فيجعل للنوع حريم
المحرام هكذا وقد
ينكر الصلح جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللسان يشبه قول القائل حكاية لكلام الوعد والحائط قال الجدار للوعد لم تشقني فقال - من يدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يفقهون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركابة لسان اللسان إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بجماع كلام الله تعالى الذي يجب تهديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقرى هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات المجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويخرج قلبه لفتنح بجماع نعمات التسيبحات من آحاد النورات فماله ولتتردد في الغلوات وله خفية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دالة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمريت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام للسافر مقترا إلى أن يصير عالم للملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرين إلى حضرته وكأنه متكف على باب الوطن لم يغض به السير إلى متسع الفضاء ولا سبب لطول اللقاع في هذا التزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس ليقولون اقتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبر عن التزل الأول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا غاطر بنفسه والمجاور إليها بما يتبه فيها من نور بما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالك يكون في آتية هم الأكثر من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك القيم وهم الذين منعت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنه يقل بالاضافة إلى كثرة الخلق طلبه ومهما عظم المطلوب قل لمساعدتهم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتعدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطلو الرب:

وإذا كانت النفوس كبارا ثبتت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

تري الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلنرجع إلى الغرض الذي كنا قصده ولينين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » (١) لأن ذلك في المساجد فاتها متانة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

آتى سلمة بن علف وهو أمير مصر في حديث آخر وكلاهما منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق
فيقال له : العين لا يعلم
لذة الوقاع والمكفوف
ليس له بالجمال البارع
استمتاع وغير الصاب
لا يتكلم بالاسترجاع
فماذا ينكره من محب
ربي باطنه بالشوق
والهبة ويرى انحباس
روحه الطيارة في
مضيق قصص النفس
الأمارة بمر بروحه
نسيم أنس الأوطان
وتلوح له طوالع جنود
العرفان وهو بوجود
النفس في دار العربة
يتجرع كأس المجران
يقن تحت أعباء المجاهدة
ولا تحمل عنه سوانح
المشاهدة وكلما قطع
منازل النفس بكثرة
الأعمال لا يقرب من
كعبة الوصول
ولا يكشف له السبل
من الحجاب فيتروح
بنفس الصعداء ويرتاح
بالأنف من شدة البرحاء
ويقول مخاطبا للنفس
والشيطان وهما المانعان :
أياجلي نعمان باقه خليا

من أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه الطماء والصلحاء عبادة وفيه أيضاً حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من القوائد الطيبة المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصلوة وفي التوراة : سر أربعة أمياله زر أحاً في الله . وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى الساجد الثلاثة وسوى الثور الرباط بها فالحدث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعاً من القدس إلى المدينة وقد سأله سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لأبنيه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام متبافيه حتى يخرج منه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضاً حسن فالفرار عما لا يطاق من سبب الأنبياء والمرسلين . ومما يجب الهرب عنه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم إلا بالقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه ففقد فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نبها المتهنون وهلك المتقنون والمحدث الذي لم يعلق النجاة بالفراغ الطاق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل الخف بفضله وشمله بسعة رحمته والخف هو الذي ليست الدنيا أكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالهجرة والحول وقطع العلائق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما عده الله بموته فينعم عليه بما يقوى به يقينه ويعظم به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك عملياً بوجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للخلق والخالق وإنما يسد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كثافات القوة الظاهرة في الأعضاء قرب رجل قوى ذي مرة ضوى شديد الأعصاب بحكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بعمارة الجمل والتدرج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن المارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يخله درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على المشتهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها فقلت له وتفعل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لديك وأقل لحملك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للمصوفة إذا خرج الشتاء قد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الحواص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوماً وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادجا في التوكل وسيتأتى أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يهدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسيم الصبا يخلص إلى

نسيمها

فإن الصبا ربح إذا

ما تنفس

على قلب محزون تجلت

همومها

أجد ردها أوتشف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بلى

قدية

وأقتل داء العاشقين

قدبها

ولعل النكر يقول هل

الهبة إلا امثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الهبة

الخاصة التي تختص

بالطاء الراسخين

والأبدال للقرين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الهبة تستدعي

مثلاً وخيلاً وأجاساً

وأشكالاً أنكر محبة

القوم ولم يعلم أن القوم

يلتفوا في رتب الإيمان

إلى آتم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستجابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السقم جرح عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد في الأرض فيذهب الوباء ويأتي الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يهجم عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كعدة البعير نأخذهم في مراقهم للسلم للبت منه شهيد والقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والقار من كالفار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطع والدك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هلاك فخرج منه ولا تترك الصلاة عمدا فان من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك والمحرفاتها مفتاح كل شر وإياك والمحبسة فاتها تسخط الله ولا تهر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم ثابت فيهم أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله (٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مدموم وإلى محمود وإلى مباح والمدموم ينقسم إلى حرام كابق العبد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الأسباب تبين النية في السفر فإن النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب والندوب ومحال في المكروه والمحذور . وأما المباح فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا للتغنى عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرياء والسمة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والندوبات والباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالأسافيرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر الحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له للثائكة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليهم هذا منه فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا عصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوبع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمتي بالطعن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت بالنار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

الكشف والعيان بالأرواح والنفوس .
روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النجم قالت الله فقال إني أسمع الله شأنا ورمى نفسه من الجبل فتقطع » فالجمال الأزلي الإلهي منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر لفهم لأن العقل موكل بآل الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حريم الشهود التجلي في طي القيب المنكشف للأرواح بلاريب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة المخلصة

وعصيل الأنس بذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة يحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء ولما السباحة في الأرض على الهواء فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فان السافر وماله لعل قلق إلا ما وقى الله فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما الله واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستتراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المريد إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرقبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانتقله طريق الفكر أو العمل فالكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألقوا البطالة واستقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلنا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات البنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم للتصيين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تماثلا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الحقائق حكيم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا جبر عليهم قاهر فلبسوا للرقصات واتخذوا في الحقائق متزهات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا وبحسبون أنهم يحسنون صنعا ويمتقدون أن كل سوداء ثمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب للسامعة في الحقائق وهيئات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله تعالى يبيض الشاب القارخ ولم يحماهم على السباحة إلا الشباب والفراخ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضمت إلى التصوف فانه قد انعجق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فانما فساد في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للقهاء من حيث إنه إغراب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأذى والتلذذ والفتوى تقتضي تشتيت العوام في الباحات التي لا تنفع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات آخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبار فلا تبق معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وقيه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالعة
جمال الكمال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالنسب
والنوال والصفات
للنقمة إلى ما ظهر
منها في الآباد ولازم
الذات في الآزال فللكمال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستنبط بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذ طائفة من الهيين
خصوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحوا قسطا
من تجلى الذات فكان
وجدتهم على قدر الوجود
وسماعهم على حد
الشهود . وحكى بعض
الشيوخ قال رأينا جماعة
من عيشى على الماء
والهواء يسمعون
السماع ويعبدون به
ويتوهمون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا فجعل يتقلب
على الماء يمر ويمر
حتى رجع إلى مكانه .

وأعطى من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعفى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتراز المتألمون عن الأكل بالدين فإن البالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشرطون على الوكيل أن لا يظن أنه لمن يشتري ثم إنما يعمل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا في رأيه فيه والعقل النصف يعلم من نفسه أن ذلك محتج أو عزيز والفرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لامحالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الفائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم ينمعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطينى لما تستقده في من الدين فليست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترني بين التوقير بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليفتن لها وهوائها قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم فوسوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بين التمت والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللذخ والاطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مداح بين ذمه قدم النفس في الخلوة مع النفس هو الحمود وأما اللذخ في اللذخ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعتز بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .

(الفصل الثانى فى آداب للمسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ بردالظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لأجره إلا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهم من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ولا يدنى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكو فى صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فندد مساعدة الأور على وفق القرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والريض والمسافر . وتعمد حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكبرى ومعاونة الرقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يعاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعمد ذلك مع الرقاء بمزاج ومطايبة فى بعض الأوقات من غير غش ولا عصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها .
وقيل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها فى عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرايت نارا أو نورا يخرج من عينه بردنار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض فى الهواء أنداعا يروى فيه . وقال الشيخ أبو طالب الكلى رحمه الله فى مخطابه إن أنكرنا السماع مجولا مطلقا غير مقيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتعبدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأننا نعلم ما لا يعلمون وممنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليسكن رفيقه ممن يبينه على الدين فيذكره إذا نسي وبينه ويساعده إذا ذكر فإن الرافق على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحداكم (٣) وكانوا يعملون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأهباب وأسرعهم إلى الأثر وطلب الواقعة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير وإذا كثرت المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأثير فلماذا وجب التأثير ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا مصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله الروزي أنه صعبه أبو على الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يعمل الزاد لنفسه ولأبي على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه الطرف كما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الامارة مسلمة لي فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٥) » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي يتقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان التردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بالرفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا ن مادون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينفق بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف المهمة إليه فلا تتم المراقبة معه نعم في كثرة الرقعة فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفقة الخاصة للرفقة العامة وكمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاعتناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم محبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس ما في الوحدة ما صار راكب بديل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحداكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يعملون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثاً في سفر فأمرؤا عليكم أحداكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

عليه الوافر بالسكن والآثار مع اجتنبه ونحره الصواب ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صماع يؤثر وبين صماع ينكر وسمع الشبلي قائلا يقول :

أسألك عن سلى فهل من غير يكون له علم بها أين تنزل

فزعم الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه غير . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات يقوم رجوعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السعان على
الأموال . السادس : أن يرجل عن المنزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رجل يوم
الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(١) » ويستحب أن يبتدىء بالخروج
يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس^(٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي
في بكورها يوم السبت » وكان عليه السلام إذا بعث سرية بشها أول النهار^(٣) . وروى أبو هريرة رضي الله
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »^(٤) وقال عبد الله بن عباس :
إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(٥) » ولا ينبغي أن يسافر بمطلوع الفجر من يوم
الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع
مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة
أوروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها »^(٦) . السابع : أن لا ينزل حتى يحصى النهار فهي السنة ويكون
أكثر سيره بالليل قال عليه السلام « عليكم بالجمعة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار »^(٧) » ومهما
أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب
الشلطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله
وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عن شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين
ثم يقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه
الليل فليقل يا أرض رب وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فبك وشر ما دب عليك أعوذ بالله
من شر كل أمد وأسود حية وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد ولما عكن في الليل والنهار
وهو السميع العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فيبضئ أن يقول : اللهم لك أشرف على
كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبعا ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه لللك
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرز والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمضى

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رجل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها
رواه الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال
الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائطى مقتصر على يوم السبت
وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بعث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري
وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطى
في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس
إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائطى في
مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه
على رحله غدوة أوروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه . بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس
(٧) حديث عليكم بالجمعة الحديث تقدم في الباب الثاني من الحجج .

بدعة تزاحم سنة
مأمور بها وما لم يكن
هكذا فلا بأس به وهذا
كالقيام للداخل لم يكن
فكان في عادة العرب
ترك ذلك حتى نقل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدخل
ولا يقام له وفي البلاد
التي فيها هذا القيام لهم
عادة إذا اعتمد ذلك
لتطبيب القلوب
والندار فلا بأس به لأن
تركه يوحش القلوب
ويوغر الصدور فيكون
ذلك من قبيل الشرية
أحسن الصحة
ويكون بدعة لا بأس
بها لأنها لم تزاحم سنة
بأثورة .

الباب الثالث
والشروع في القول
في السماع ردا وإنكارا
قد ذكرنا وجه صحة
السمع وما يليق منه
بأهل الصدق وحيث
كثرت الفتنة بطريقه
وزالت الصحة فيه
وتصدى للحرص عليه
أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأمر بما يقتل أو يقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقتصر ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه^(١) والغرض من ذلك أن لا يستقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتنابذ الرقعة في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر^(٢) فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والعوذتين وليقل باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكفنا بركتك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منهى عنه ولا ينাম عليها فإنه يتقل بالنوم وتؤدي به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك^(٤) فهو سنة وفي آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات الكاري ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضي الله عنه ليعبر له عند الموت : أيها البعير لا تخافني إلى ربك فاني لم أك أحملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان : إحداهما تزويج الدابة والثانية إدخال السرور على قلب الكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع الكاري ما يحمله عليها شيئا شيئا ويهرسه عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح لئلا يشور بينهما نزاع يؤدي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فإي يلفظ العبد من قول إلاديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام والهجاج مع الكاري فلا ينبغي أن يحمل فوق الشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أمأذن الكاري فاني لم أشرطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يباح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ « إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط^(٥) » وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرأة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة^(٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (٢) حديث تناوب الرقاء في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (٣) حديث لاتعذوا ظهور دوابكم كراعى تقدم في الباب الثالث من الحج (٤) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمة أشياء المرأة والمكحلة والندرى والسواك والمشط وفي رواية ستة أشياء الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والحرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له وطريقه كلها ضعيفة (٦) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفارقها في السفر المرأة والمكحلة رواه الحرائطى وإسناده ضعيف

وفسدت أحوالهم
وأكثرُوا الاجتماع
للسماع ولزعموا يتخذ
للإجتماع طعاماً تطلب
النفوس الاجتماع لذلك
لأرغبة للقلوب في
السمع كما كان من
سير الصادقين فيصير
السمع معلولاً تركن
إليه النفوس طلباً
للشهوات واستحلاء
لمواطن اللهو والغفلات
ويقطع ذلك على المرید
طلب المزيد ويكون
بطريقه تضییع
الأوقات وقلة الحظ من
العبادات وتكون
الرغبة في الاجتماع طلباً
للتناول الشهوة
وامترواحاً لأولى
الطرب واللهو والعمشة
ولا يخفى أن هذا الاجتماع
مردود عند أهل
الصدق . وكان يقال
لا يصح الاجتماع
إلا لعارف مكين ولا
يباح للمرید مبتدئ .

وقال الجيد رحمه الله
تعالى إذا رأيت المرید
يطلب السماع فاعلم أن

«عليكم بالأئمة عند مضجكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر» (١) وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه أكتحل للبعث ثلاثا ولليسرى ثنتين (٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما رده هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب القسول ولترج الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتييم ويغنون أنفسهم عن قتل الماء ولا يبالون بالوضوء من الصدران ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توشأ عمر رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب للقسولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المسمومة ما تضاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فستحسن وقد ذكرنا أحكام للبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يخطأ في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادى عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو حمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون ثابتون عابدون ساجدون لرئيسنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وإذا أشرف على مدينته فليقلل لهم اجعل لنا بها قرا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يشترم بقدمه كيلا يقدم عليهم بشة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي أن يطرقيهم ليلا (٤) فقد ورد النهي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت (٥) وإذا دخل قال «توبوا توبوا لرئيسنا أوبا لا يفادر علينا حوبا» (٦) وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطبوع أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة قد روى أنه إن لم يجد شيئا فليضع في غلالته حجرا (٧) وكان هذا مبالغة في الاستحاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستجبه في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا إلى قصان فليقف وليصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوى في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويعتقد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينفع بها لاليجي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة

(١) حديث صحيح عليكم بالأئمة عند مضجكم فانه يزيد في البصر وينبت الشعر الجرائطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل للبعث ثلاثا ولليسرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحديث تقدم في الحج (٤) حديث النهي عن طروق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبوا توبوا لرئيسنا أوبا لا يفادر حوبا ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بجرج الدارنطى من حديث عائشة باسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الجنيذ ترك
السباع قليل له كنت
تسمع فقال مع من
قيل له تسمع لنفسك
فقال عن لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلما قد
الاخوان ترك في
اختاروا السباع حيث
اختاروه إلا بشروط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به طلبهم وتغنن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك اتفاقا في بعض
الأحايين لأن يمحطوه
دأبا ودينا حتى
يتروا لأجله الأوراد .
وقد نقل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء الغناء
لهو مكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه رد شهادته .
واتفق أصحاب الشافعي
أن للرأة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتها وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالمشورة فإن ذلك يقطع بركة سفره وكما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ زيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها وليس ذكر مشايخها وفقراءها ولا جهل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدتها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعدته ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تبسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبهما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبي عثمان للغربى خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر المرید من وطن هو أو مراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يزود لديناه ولآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قري متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لا طعام معهم ولا شراب فإن كان بمن يصر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجترار بالخشيش فغروجه من غير زاد معصية فانه ألقى نفسه يدم إلى الهلكة ولهذا سرسباني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولو جب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يسب الماء فيه فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشرب فحمل عين الطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يزود منه إذا السفر تارة يخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستنبا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه فإذا ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين التقصر والجمع وفي النفل رخصتين أدائه على الراحة وأدائه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وتقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يعكره الطقطقة بالفضيب ويقول وضه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالألحان ونحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مخفية فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماح الغناء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعلانا في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تفسير قوله تعالى - ومن الناس

رخس . الرخصة الأولى : المسح على الخفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبلا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويبعد لبسه . الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن للشئ فيه ويجوز للمسح على الخف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في التنازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للمسح عليه وكذا الجرموق الضعيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعي قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لميس الحاجة إليه وتقدر الحُرْز في السفر في كل وقت وللداس المنسوج يجوز للمسح عليهما كان ساترا لا يبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق يخرج لأن الحاجة تنس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون ساترا إلى ما فوق الكعبين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه . الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الموضع المأذى محل فرض الفسل لا على الساق وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأه والأولى أن يخرج من شبه الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يمل يده اليمنى ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمررها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبلا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصل إلا بعد غسل الرجلين فيفسل رجله ويبعد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بنخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا وضعه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه هو الضاء والاسماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأتمم سامدون - أي مضمون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو الضاء بلفظة حمير يقول أهل اليمن ممد فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد الضاء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيمانيت عن صوتين فاجبرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن النزل بعدا لومضى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل النزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدواً أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريباً وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بشمن أو بغير شمن ولو كان محتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبل قثب يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتري بالقثب اليابس ويترك تناول الرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من التثنية وإن بيع بشمن الثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى النزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والطاهر فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قتل له أتيتهم وجدرا ن للدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجد قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم ويخرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرققيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نبيده ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يقتفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفي بعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمشاء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فلا يظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن يقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند التية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النبات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراء كعب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال القضاء ينبت النفاق في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مرة عليه قوم وهم يحرمون وقيم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنه لا عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل القضاء . وقال الفضيل بن عياض القضاء رقية الزنا . وعن الضحاك القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والقضاء فإنه يزيد الشهوة ويهزم للروء وإنه لينوب عن الحجر

لمنعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام - سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازَه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ازعاج القاب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصير في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير ثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لو ألبس هاربا منها ولا هاربا من مالكة ولا تكون للمرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالقسادين المسلمين . وبالجمله فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والقرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك القرض لكان لا ينبغي لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يمين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدها مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولو كان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازِهِ في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للعصر ويعبد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل التبرع جواز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لا تقطعت الموالاة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يقيم الأربع السنونة قبل الظهر والأربع السنونة قبل العصر فليجمع بينهما فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد القرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الرجحان لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحة كي لا يتعوق عن الرقعة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يالئى بوقوع راتبة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلح إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي روايته خمسة عشر .

ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع اللوزون يفيق بالنساء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند الباع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أهوال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الدف من سنة المسلمين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشعر لا يدل على إباحة الفناء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام منشور فضنه حسن وقيحه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المنتصف وتسكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المنفى بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ماله سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر فعد الفراغ من الغرض يشتغل بجميع الرواتب ويغتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما للنوم أو لشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتغل عن فعل الصلاة قد يشتغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتقدم أن لا تشترط للوالادة والترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يحز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يعمد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرح يجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة ببدان على العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر ومضى إنما كان عجزا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التنفل ركبا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته » (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التنفل الركوع والسجود إلا بالإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لاقى ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلاو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقيه خلاف وإن جمعت به الدابة فاحرفت لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا لجام غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء . الرخصة السادسة : التنفل للماشى جائز في السفر ويومىء بالركوع والسجود ولا يعمد للشهيد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركوب لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركوب فإن في تحريف الدابة وإن كان الضان يده نوع عسر وربما تكرر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشى في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الركوب نجاسة وليس عليه أن يشوش الثرى على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التنفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فليمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فله أن يمسافر ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صائما . ثم أقام فعليه الآعام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الآعام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف للمفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضربه فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسج ثلاثا أياما وتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا

هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قوالا وقصدوا مجتمعين لاسماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطالبها أهلها فمن بشر بأنه فضيلة تطالب ويجمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استحسان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يسلط الناس في هذا ولما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديم أشبه بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الفقهاء يسمعون عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

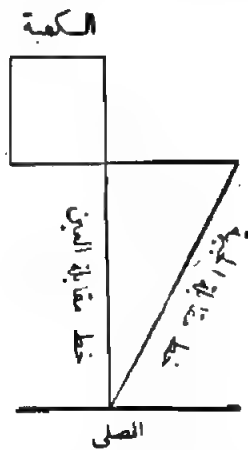
وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازها في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الغرض راكبا ومشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل اللبنة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتييم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر معها وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك السج والقصير والجمع والفطر وترك التنفل راكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الرخص في ذلك لأن الرخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شاطئ نهر يوثق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم بقدر على استغثائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعمل لاحالة . فان قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بمدوقها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تحب وربما لا تحب . فأقول : من بينه وبين السكبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم للناسك لاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاحالة كعلم للناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحمل إذن للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائر لرخصة السفر لم يكن له الاقتصار عليه . فان قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا ومشيا ماذا يضره وفاته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصلّي التنفل على نص الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فله أن يتعلم ما يحترزه عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يخيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيخيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجيال والقرى والأنهار وهوائية كالأستدلال بالرياح شماليها وجنوبها وصباها ودبورها ومعاوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على عين المستقبل أو شماليه أو ورائه أو قدامه فليعلم ذلك وليقهجه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليعلم ذلك ولنا قدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما الهوائية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تميل إلى اليمين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لا تمدو في البلاد الشمالية هذه للتواقع فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت الغروب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين للمستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة
قال عبد الله بن عروة
ابن الزبير قلت لجدي
أسماء بنت أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما
كيف كان أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعلون إذا
قرئ عليهم القرآن
قالت كانوا كما وصفهم
الله تعالى تسمع أعينهم
وتشعر جلودهم قال
قلت إن ناسا اليوم إذا
قرئ عليهم القرآن خروا
أحسهم منشا عليه
قالت أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم .
وروي أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما
مرّ برجل من أهل
المراق يتساقط قال
ما هذا ؟ قالوا إنه إذا
قرئ عليه القرآن
وسمع ذكر الله تعالى
سقط فقال ابن عمر
رضي الله عنهما إنا
لنخشى الله وما نسقط
إن الشيطان يدخل
في جوف أحسهم
ما هكذا كان يصنع

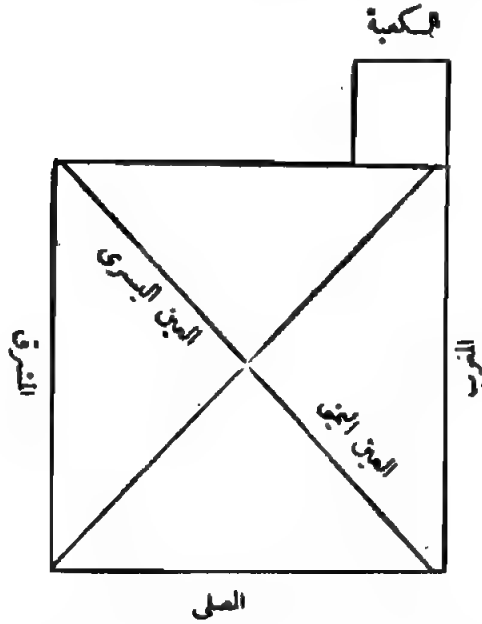
لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشرق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فعليه أن يراعى موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فان السافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشرق والغارب إلا أن يتسنى في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو راقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن المطلوب جهة الكعبة أو عينا وأشكال معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن المطلوب العين فحق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يبدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهة الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من عيناها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالحط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعيناها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يوجههما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رضى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن لتصنع التوهم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم وعلمامة جهل بمزج بهوى لم بأحدم سير من الوجد فينبه بزيادات جهل أن ذلك يضرب بدينه وقد لا يجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي

بين العينين على زاوية قائمة لما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



الصلی

فاذا فهم معنى العين والجهة فأتول القدي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب الدين إن كانت الكعبة بما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيمكن استقبال الجهة . فأما طلب العين عند الشهادة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر العناية فيدل عليه الكتاب والسنة وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أى نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين الغرب والشرق قبلة (١) » والغرب يقع على عين أهل المدينة والشرق على يدارم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لاتفق بما بين الشرق والغرب وإنما بقي بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روى: أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، قيل لهم الآن قد حوت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة (٢) ولم ينكر عليهم ومضى مسجدهم ذا القبليتين ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا للمسجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تفسر إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين الشرق والغرب قبلة الزمى وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم ألا إن القبلة قد حوت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

ينبغي أن يقف عليه
وهذا يبين الصدق .
تدل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قيمه
فقيل لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قيمه
ويشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى السماع
أن يسمع من أمرد
فقد توجهت الفتنة
وتعين على أهل الديانات
انكار ذلك . قال بقية
ابن الوليد كانوا
يكرهون النظر إلى
العلام الأمرد الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
ما أنا أخوف على الشاب
التائب من السبع
الضاري خوفي عليه
من العلام الأمرد يقعد
إليه . وقال بعض
التابعين أيضا اللوطية
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يصاغون وصنف
يعملون ذلك العمل

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار المستقبل بها والغرب على يمينه قهسى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان فما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعا والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلوة ثم يقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع الشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها عماريات أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعد التمهيد وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيمرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستدبر عليه الأمر بنهم مظلم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فله أن يصلى في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل بخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالمسافر للعالم أن يقيم ببلدة ليس فيها قاصده عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قاصده فاسق فله الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقهاء مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن للسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لا بسا للحرير أو ما يغاب عليه الابريس أو راكباً لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حراماً أو يأخذ منه إداراً أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة الشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقيم المسافر في موضع أو لينصب عوداً مستقيماً وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلد وقت أذان المؤذن المتمدل ظل قامته فان كان مثلاً ثلاثة أقدام بقدمه فهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد على ستة أقدام ونصفاً بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال واليزان فليستصحبه السافر وليتلم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

قد تعيين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخاطبوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشرطه وتنزيهه عن السكارة التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصاص والغناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترصا واستثناء]

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة قد دفن لم يفقد لم يجد وإنما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقيائه فلو تحمض عبدا

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفري موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينه مثلاً إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت المغرب فيدخل بالمغرب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق فهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد دخل وقت المغرب . وأما العشاء فيعرف بنسوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فيدعى في الأول مستطيلاً كذب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر رياض معترض لا يسر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **الترمذي** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائيه على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقرب لتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار اليأس عرضاً لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمزتين وهذا تقرب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض النازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصب فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً يطول ذكره ثم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمزتين أصلاً وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من مزتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبداً يظهر اليأس وانتشاره قبل الساعة عرضه فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السجود ويقدم القيام الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقتاً معيناً يشرب فيه متسحراً ويقوم عفيه ويصلي الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشراً في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة وسمرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستطيلاً فإذا لا ينبغي أن يعول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمع نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائيه على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبائين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس الفجر المستطيل في الأفق لكنه يعترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كادكر ورواه أبو داود أيضاً .

لتحضر حراً ومن
تخص حراً أفلت من
شرك الوجد فترك
الوجد يسطد البقايا
ووجود البقايا لتخلف
شيء من المطايا . قال
الحصري رحمه الله
ما أدون حال من يحتاج
إلى مزعج يزعه
قال الوجد بالسباع في حق
الحق كالوجد بالسباع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وتأثير الباطن به وظهور
آثره على الظاهر وتغييره
للبعد من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هوى النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
السباع لا يحدث في
القلب شيئاً وإنما
يحرك ما في القلب فمن
متعلق بباطنه بغير الله
يحركه السباع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بمحبة الله يجد
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان الشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع المادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترقق قلوبهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاءه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهمة حيرى . فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مبهيج لم يكن أثرنا عليهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به . ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه . ولا شوقهم إلا إلى ماله به . ولا ابتغائهم إلا له . ولا تردد لهم إلا حواله . فنه سماعهم وإليه استماعهم . قد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . وأولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد البعوث برسائله وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أما بعد] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كاطورت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كالأخفى في الماء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استتارة خفاياها إلا بقوادح السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالتنعمات للوزونة للستنة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه . فالسماع للقلب محك صادق . وميزان ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيما هو الغالب عليه وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبين ما فيهما من القوائد والآفات . وما يستحب فيهما من الآداب والمهيات . وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو المباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزق وعزق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وعزيمه)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلينبدأ بحكم السماع وهو الأول وننقل فيه الأقاويل العربية عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

فالمبطل محبوب
بجباب النفس والحق
محبوب بجباب القلب
وحجاب النفس حجاب
أرضي ظماني وحجاب
القلب حجاب سماوي
نوراني ومن لم يفقد
يدوام التحقق بالشهود
ولا يفتخر بأذيال الوجود
فلا يسمع ولا يجد
ومن هذه اللطافة قال
بعضهم الوجد نار دم
كل لا ينفذ في قول
ومر تمشاد الدينوري
رحمه الله قوم فيهم
قوى ظنا رأوه
أسكوا فقال ارجعوا
إلى ما كنتم فيه فوالله
لوجعت ملاهي الدنيا
في أذن ما شغل عني ولا
شغل عني ما بي فالوجد
صراخ الروح المبلى
بالنفس تارة في حق
البطل وبالقلب تارة
في حق الحق فتأثر
الوجد الروح الروحاني
في حق الحق والمبطل
ويكون الوجد تارة
من فهم الماني يظهر
وتارة من مجرد التفات

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته)

في كتاب آداب القضاء إن الفناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استأع من المرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لساعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعي أنه كان يكره الطمقة بالقضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللب بالرد أكثر مما يكره اللب بشئ من اللامى ولا أحب اللب بالشرط ربح وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا الروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الفناء من القنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المندوبات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكر كما أبا من وان القاضي وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لطاء جاريتان بلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد كنا ثلاثة أشياء لما أراها ولا أراها زداد إلّا قلّة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكما بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجوز السماع مع زهده وتساونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدّي أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومدّ منه القصير أبحرم عليه قال أنا لم أقول شيئا واحدا فكيف أقوى لشيطنين قال وكان أبو الحسن الصقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وضمن فيه كتابا وردّ فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الحضر عليه السلام قفلة ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكى عن محمد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قفلة يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتحون قبله بالقرآن ويغتمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من
قبيل اللغوي تشارك
النفس الروح في السماع
في حق البطل ويشارك
القلب في حق الحق وما
كان من قبيل مجرد
النفات تجرد الروح
للسماع ولكن في حق
البطل تسترق النفس
السمع وفي حق الحق
يسترق القلب السمع
ووجه استلذاذ الروح
النفات أن العالم
الروحاني يجمع الحسن
والجمال ووجود
التناسب في الأكواف
مستحسن قولاً وفلاً
ووجود التناسب في
الهياكل والصور
ميراث الروحانية فهي
سمع الروح النفات
اللطيفة والألحان
التناسبة فآثر به لوجود
الجسمية ثم يتقيد ذلك
بالشرع بمصالح علم
الحكمة ورعاية الحدود
للمعبد عين الصلحة
عاجلاً وآجلاً . ووجه
آخر إنما يستلذ الروح
النفات لأن النفات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولاً ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجند نزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند للذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع قليل له أن يؤتي يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى فمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متعبرا أو ماثلا إلى بعض الأقاويل بالتشبيها وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كما سذكره.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على النصوص وأغنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستمع فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر liberties ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الفرض لكن لستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته . أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم للمعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى للوزون وغيره والوزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فتلذذ النظر في البصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالسومة والحلاوة والخمصة وهي في مقابلة المرارة المستبشرة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة والمقلل لذة العلم والعرفه وهي في مقابلة الجهل والبلاهة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مسالمة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنبهق الخمر وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - قليل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « الله أشد أذنا للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزاً بين المتعاقبين وبين النفوس والأرواح متشاقق أصل ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح وللليل والمتشاقق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاتلاف والتعاشق والنفقات يستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاقبين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم في عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بحرف

(١) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لفينته (١) « وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يعمل في مجلسه أربعاً وعشرين جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زمماراً من زمائر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمر أن يحرم سماع صوت الضليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يهيم منه الحكمة والمآني الصحيحة وإن من الشمر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب للوزون فإن الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فاتها إما أن تخرج من جناد كصوت الزمير والأوتار وضرب القضيب والطلل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السبع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة للطالع والمقاطع فذلك يستلزم سماعها والأصل في الأصوات بخارج الحيوانات وإما وضعت الزمير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالحلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت الضليل وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جناد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت الضليل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختیار الآدى كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطلل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهى والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالمنع منها (٤) لا لقلتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر واقتضت خراوة الناس بها البالغة في النظام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان لحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت ورونياء متصلا في التيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث أنه أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى فينته تخدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلاً (٣) حديث لقد أوتي زمماراً من زمائر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث المنع من الملهى والأوتار والزمير البخارى من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكون في أمي أقوام يستحلون الخمر والحرير والمعارف صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاصمعي . والمعارف الللهى قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق الزمير والسكبرات يعني البرابط والمعارف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الخمر والكوبة والفنين وله في حديث لأبي أمامة باستعمالهم الخمر وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى الللهى معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر سمع زمماراً فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الروحاني صارت لها
فإذا تكون النفس من
الروح الروحاني في عالم
القدرة كتصوّر
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتماثل ونسبة
الأئمة والكورة من
ههنا ظهر وبهذا
الطريق استطاعت
الروح النجات لأنها
مراسلات بين
للتماثلين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تكلم منا في الوجود
عيوننا
فتحن سكوت والهوى
يسكن
فإذا استلذت الروح النعمة
وجدت النفس للملوة
بالهوى وتحركت بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب للملول
بالارادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرّم النظر إلى الفخذ لاقصالة بالسواطين
 وحرّم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ومانع حرام إلا وله حرّم يطيف به وحكم
 الحرمة ينسحب على حرمة ليكون حرمي للحرام ووقاية له وحفظا ما نفا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم
 « إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه (١) » فهي محرمة بما لتحرّم الخمر ثلاث علل :
 إحداها أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل
 الخمر . الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب التذكر
 والتذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن
 الانتباز في الزفت والحنتم والتقيير (٢) » وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها لثمن هذا أن مشاهدة
 صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر إذ لا لذة في رؤية الصورة
 وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر
 عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع
 عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه
 العلة تقول بترك السنة مهما صارت شامرا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم
 ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخشيين ولولا ما فيه
 من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة يقولوا لاجتماع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا
 آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكجيين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من
 الساق ويشربون ويعجب بعضهم بعضا بكلماتهم للعادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب
 مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشرطي
 الرأس قرعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتقاد
 أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه العلة حرم اللزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنّج والرباب
 والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل
 والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك
 لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقى على
 أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن
 متناسب مستطاب حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس
 تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
 والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض
 آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الموزون والفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج
 إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما والسلام المفهوم غير حرام
 والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه
 فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرّم النطق به سواء كان بالألحان أو لم يكن والحق فيه
 ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام حسن وقبيح قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير
 صوت والألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد الباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا

ففسد البطل أرض
 لسماء قلبه وقلب الحق
 أرض لسماء روحه
 فالبالغ مبلغ الرجال
 والتجوهر التجرد من
 أعراض الأحوال خلع
 نفس النفس والقلب
 بالوادي للقدس
 وفي مقعد صدق عند
 ملك مقدر استقر
 وعرس وأحرق بنور
 إيمان أجرام الألحان
 ولم تصغ روحه إلى
 مناعة عاشقه لشغفه
 بمطالمة آثار محبوبه
 فالتائم الشقاق لا يسمعه
 كشف ظلامه المشاق
 ومن هذا حاله لا يحرّكه
 السماع رأسا وإذا
 كانت الألحان لا تلحق
 هذا الروح مع لطافة
 مناجاتها وخفي لطف
 مناجاتها كيف يلحقه
 السماع بطريق فهم
 المعاني وهو أكتشف
 ومن يضعف عن حمل
 لطيف الاشارات كيف
 يتحمل ثقل أعيان
 العبارات وأقرب من
 هذا عبارة تقرب إلى :

(١) حديث إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهي عن الانتباز في الحنتم والزفت والتقيير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن
من الشعر لحكمة » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يمشى في أكنافهم وقبت في خلف كجلد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتلت يا أبت كيف تجدك وبابلال كيف
تجدك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شرك نطفه

وكان بلال إذا أقلت عنه الحمى برفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه عجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا
الدينة كحبنا مكة أو أشد » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول : هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٢)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة
أن عمر مرتب حسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه قال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت عجزوم ووالدك العبد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الأيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شرك نطفه

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه عجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأنفهام : الوجد ولورد

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يقنع بما من عند الله

ومن صار في محل القرب

متحققا لا يليه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يمد

والقريب واجد في

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور أطف

من النار والكثيف

غير مسطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستمرا على

جادة استقامته غير

منحرف عن وجه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسمع فان دخل عليه

فتور أو عاقه قصور

بدخول الابتلاء عليه

من إلى المحسن يتألف

الحسن من تقارب صور

الابتلاء أي يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لعود العبد

عند الابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان روح القدس ما نافع أو يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) ولما أنشده النابغة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم » (٣) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم » (٤) وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمدى له في السفر وإن أنجشة كان يحمدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحمدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوتك بالقرارير » (٥) ولم يزل الحداة وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى

قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم إلى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزوناً وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار وللهاجرة . وفي رواية فاغفروني رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تعليقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصلان من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للنابغة لما أنشده شعراً لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بأسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ : بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لترجو فوق ذلك مظهرنا الآيات وزواه البرار بلفظ : علونا العباد عفة وتكرماً . الآيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خريم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك قال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق الآيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحمدى له في السفر وإن أنجشة كان يحمدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحمدو بالرجال الحديث أبو داود والطائلي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يعكس عن بعضهم أنه وجد من السماع قهيل له أين حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا للورد . قال بعض أصحاب سهل صحبت سهلاً سنين ما رأيت تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده - فالיום لا يؤخذ منك فدية - فارتعد وكاد يسقط فأتاه عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مرتة الملك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعف قهيل له إن كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة أن الكامل لا يرد عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزاوية : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهييج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة بالنغمات للوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الريح وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهدته فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتصرف نفسه عما يكره إلى الاصغاء إليهم والجل مع بلاده طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في معاهه للسافات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يسكره ويولعه فتراه إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الهابل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتضئ إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تنزعج عليها أحمالها وعاملها وربما تلف نفسها من شدة السير وتقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري للعروف بالرقى رضي الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقى منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي القلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فساء محل القيد عنى قال فلما أحضروا الطعام امتنت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أقرني وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له سوتا طيبا وإني كنت أعيب من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نعمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحبو على جمل يستقي للماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي فلما أظن أنني سمعت قطصوتا أطيبت منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات لحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجدة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب فانهم أولا يدورون في البلاد بالطليل والشاهين والقنار وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والقمام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحج قرابة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويؤثره بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاهين ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعها فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يقتله بقوة حاله فلا يفسده الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربه حتى تغير والواجد كالشرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فكذا في السماع كقبل السماع . وقد قال الجنيذ لا يضر قهصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي من شعار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الغرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فان التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجوز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يتبادر الفزاة لتحريض الناس على الفزوة وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن تخالف أعمارهم وطرق أحوالهم أعمار الحاج وطرق أحوالهم لأن استئثار داعية الفزوة بالتشجيع وتحريك الفيض والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجاعة مثل قول النبي : فان لا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس القتل غير مكرم

وقوله أيضاً :

رى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجاعة تخالف الطرق الشوق وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الفزوة ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الفزوة ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزوة . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الدمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كملى وخالد رضي الله عنهما وغيرها ولذلك تقول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهدين في معسكر الفزاة فان سوته مرقق يحزن محل عقد الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان الرقيقة للقلب فالألحان للرققة المهنزة تبين الألحان الحركة للشجاعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النياحة ونفاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن فسان : محمود ومذموم فأما للمذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فانه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموماً تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطاياهم والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لأن المقصود إلى المصمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على النبر بألحانه الأشعار المهنزة الرقيقة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبصكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالنقاء في أيام العيد

(١) حديث النبي عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا نتوح .

ليباكين عند السماع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفاً ومنهم
من يبكي شوقاً ومنهم
من يبكي فرحاً كإقبال
القائل :

قطع السرور على حق إنني
من عظم ما قد سرني أبكاني
قال الشيخ أبو بكر
الكتاني رحمه الله
سماع العوام على
مناسبة الطع وسماع
للريدين رغبة ورهبة
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعاء وسماع
العارفين على الشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
الكشف والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضاً للوارد ترد
تصادف شكلاً أو
مواقفاً يوارد صادف
شكلاً مازجه وأي
وارد صادف موقفاً
ساكنه وهذه كلها
مواجيد أهل السماع
وما ذكرناه حال من

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور بقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنبات والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابعهم (٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذه ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله » (٣) « فاقدر واقع الجارية الحديثة السن الحريصة على الإبهام إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريستان في أيام مني تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغشى بثوبه فاتهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتهما أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة » (٤) « يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تقيان وتضربان » (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترني بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف » (٦) :

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جعل جماعة من الصحابة في سرور أصابعهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحرث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمنا يابني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النساء فأنما هم بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يابني أرفدة وقد ذكره للصف بعد هذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه يثنيان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ليرتفع عن السجود وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأغلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غربته فبعد رؤية الأهل يمكن من قوة الفرح وكثرته وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يمز ذكرها ويكبر فخرها لقصور الألفهام عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكسار وغنى بالاستكبار ولكن يرفها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا إلامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكنن يتقمن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير لحيثن إلى فيلعبن معي (١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يوما « ما هذا قالت تأتي قال لما هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي ألعيه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان لسلیمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور ومن الحزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رفاع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بسات فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجا (٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشبهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه وخذني على خده ويقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبيه لعلني أنظر إلى لبهم حتى كنت أنا الذي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن النساء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفدة » وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتخير وتعليقه بأنه يوم عيادي هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك ومماعه لمواقفة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتعسف في الامتناع والتمنع منه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لمائدة « أتشبهين أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتباس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الفناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن الزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع مسمم صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار معه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم صوت للزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة السماع والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصرا إلى قولها فيلعبن معي . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بسات الحديث هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر .

لوجود تقارب وتباين بين المحدث والتقدم فيكون البكاء رجحا هو من وصف الجذعان لو هج سطوة عظيمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر التمام بتلاقى مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر يقيّة تقدر في صرف الفناء ، نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار متغصبا في الأنوار ثم يرتقي منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطبعا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشاكل صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يسود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويهكون هذا السماع من

وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهيجاً للعشق وتسلية للنفس فإن كان في مشاهدة المشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع التفارقة فالغرض تهيج الشوق والشوق وإن كان ألماً فبه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب لكثير للرجو ففي هذا السماع تهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطياب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان للشقاق إليه من يباح وصاله كمن يشق زوجته أو سرته فيصنئ إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا من ذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع عوقه وأن يستتر به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأقوال المخطورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا يفكرون عن إضرار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا الأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الإنسان بزيده الجماع ويهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا أراه فيه سبحانه ولا يفرح صمعه قارع إلا سمعته أوفيه فالسماع في حق مهيج لشوقه ومؤكده لشغفه ووجه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من الكشافات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها ويشكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً ما أخوذ من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتقيه من الكدورات كاتنقي النار الجواهر العروضة عليها من الحب ثم يبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرات القربات كلها فالغرض إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي واللباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النفحات الوزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبطاطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم الكشافات والبيد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذب المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنبر من لذة الباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاهل وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعام من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ولذة العقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن فقد هذا عديم لا محالة لذته ولملك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محرراً له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكد معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفردة ولذلك قالت العرب إن عمداً قد عشق ربه لما رآه يتخلى

للتمكن بنفس أطعمات واستنارت وبأبنت طيبتها واحسنت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ببعض ما يراه ومن هذا القبيل ما قل أن أبا محمد الرازي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلي وقد تطرق هذه النفحات مثل هذا الصلي فتدلى إليها النفس متمتعة بذلك فترداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعث النفس عن الروح في تمتعها فاتها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجلبها وفي بعدها توفّر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تنأى كد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الفلاة في حب أبواب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضى الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والبالغة ومن السجى أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالفعول والأبصار والسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التبرأ إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولحة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأذى كد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلمًا في حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته فسيحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه بأبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى تصور وجهه بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيفا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه يياض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبة مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا المشق أنه لا يقبل الشراكة وكل ماسوى هذا المشق فهو قابل للشراكة إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير إما في الوجود وإما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضاً لا حقيقة ، نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لقطعة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لقطعة المشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة الترجس والريحان وتخص بالقت والحشيش وأوراق القضاين فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تعديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفروح ويكون طروق الألحان صممه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى المعاني غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن للثان ولهذا قبل السماع لقوم كالدواء ولقوم كاللذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي «اقرأ أقال أقرأ عليك عليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري فافتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - فاذا عيناه تهللن » . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

« أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل قل لمن خلق الأرض قالت الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق القيم قالت الله عز وجل قال إنني لأسمع قه غانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع » وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الأنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشفقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع بإباحته في بعض المواضع والتدب إليه في بعض المواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السامع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون للسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنته وهذا حرام لمخافته من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومخاطبتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دأري بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحرريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقوع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخنثين وهي اللزائير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع متنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلال والكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمجس أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالآلحان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت

الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا
يكي وقال يا عمرهنا
تسكب الصبرات
وللتمكن تعود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سألها النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عيتين
هطالتين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الآثم
لعوده إليه بوجود
مستأنف موهوب له
من الكريم اللان في
مقام البكاء .

[الباب الخامس
والعشرون في القول في
السماع تأديبا واعتناء]
ويتضمن هذا الباب
آداب السماع وحكم
التخريق وإشارات
الشاخ في ذلك وما في
ذلك من المأثور
والمحدور . مبني
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا يبنى
لصادق أن يتمدد
الحضور في جمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير ألحان وللمسمع شريك للقاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينها فانه لا يجوز وصف الزاة بين
 بنى الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه
 ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسيب
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأصداف وحسن القامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
 والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا ينزله على امرأة معينة فان
 نزله فليزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على أجنبية فهو العاصي بالتزليل وإجالة
 القصر فيه ومن هذا وصفه فينبى أن يختص السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إذا ما من لفظ لا يمكن نزاله على معان بطريق الاستعارة
 فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدى مثل ظلة الكفر وبضارة الحد نور الإيمان
 ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر القراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة للرودين ويذكر الرقيب
 للشوش روح الوصال عوائق الدنيا وآفات الشوكة لولم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج إلى نزال ذلك
 عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الحيار عشرة حبة فغلب عليه الوجد فقتل عن ذلك
 فقال إذا كان الحيار عشرة حبة فما قيمة الأشرار واجتاز بهم في السوق فسمع ثالثاً يقول يا سترى
 فغلب عليه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسع ترى حتى إن العجمي قد غلب
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف السجبية فيفهم منها
 معان أخر أشد بهم : وما زارني في الليل إلا خياله • فتواجد عليه رجل أجهى فقتل عن سبب
 وجده فقال إنه يقول مازاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في السجبية على التشرف على الملاك
 فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الملاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيره أن يوافق مراد الشاعر ولنته
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فقدر بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه
 أعضاؤه فاذن ليس في تغير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبى أن يحترز
 من السماع بأى لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضربه الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني
 اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة . العارض الرابع فى السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبة
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسمع حرام عليه سواء غلب
 على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدى والحد والقراق والوصال
 إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة
 وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذييل للعقل للناع منه الذى هو حزب الله
 تعالى والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
 إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
 وغاب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تمكثير أسلحتها
 وتشجيع سيوفها وأستنها والسمع مشعذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص فليخرج
 مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستغربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

يخلص النية له تعالى
 ويتوهم به مزيداً في
 إرادته وطلبه ويحذر
 من ميل النفس لشيء
 من هواها ثم يقدم
 الاستخارة للحضور
 وسأل الله تعالى إذا
 عزم البركة فيه وإذا
 حضر يلزم الصدق
 والوقار بسكون
 الأطراف قال أبو بكر
 الكنانى رحمه الله
 للسمع يجب أن يكون
 فى صماعة غير مستروح
 إليه يهيج منه السماع
 وجدا أو شوقاً أو غلبة
 أو وارداً والوارد عليه
 يفنيه عن كل حركة
 وسكون ويتقى الصادق
 مستدماً الوجد
 ويختص الحركة فيه
 منها أمكن سبباً بحضرة
 الشيوخ . حكى أن
 شاباً كان يصحب الجنيد
 رحمه الله وكما سمع
 شيئاً رقيقاً وتغير فقال له
 يوماً إن ظهر منك شيء
 بعد هذا فلا تصبى
 فكان بعد ذلك يصبط
 نفسه وربما كان من

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للتركيين متفق عليه من حديث البراء
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجم وجبريل ملك .

يطلب عليه حب الله تعالى فيكون البيع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع اللذات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيرا وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على النهي جناية وكان الصغيرة بالأصرار والدوامه تصير كبيرة فكذلك بعض الباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الزوج والحبيشة والنظر إلى لبهم على الصوم فانه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشرطج فانه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الفرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إغمايح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجته في بعض الأوقات لتنبث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الحال على الخلد ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوخته لما أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحا بسبب الكثرة لما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحيز مباح والاستكثار منه حرام فهذا البيع كسائر الباعات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمنع تفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على الحرور الذي يستفتر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا إنها حرام مع أنها محل لمن غص بلغمه أن يشربها مهما لم يحد غيرها ولكن هي من حيث إنها خمر حرام وإنما أيسر لعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والبيع من جملة الباعات من حيث إنه مباح صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فاذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا ينال بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس يحرم القضاء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا يجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صناعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط الروعة وإن لم يكن محرما بين التحريم فان كان لا ينسب نفسه إلى القضاء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرأ في الحال فيترجمها لم يستقط هذا عمرو ثم ولم يطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تفتيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للبيع فقال الشافعي لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره البيع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح وحيث قال إنه لم يكره يشبه الباطل فقولوه لم يكره ولكن اللهو من حيث إنه لم يكره ليس محرما فلبس الحبيشة ورقتهم لم يكره وقد كان عليه السلام ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو والقول لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لوقال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل منهما كان قصد اللعب واللطاية وليس

كل شجرة منه تخطر
قطرة صرى لها كن
يوما من الأيام زعق
زعقة فخرج روحه
فليس من الصدق
إظهار الوجد من غير
وجد نازل أو ادعاء
الحال من غير حال
حاصل وذلك عين
النفاق . قيل كان
النمر باذى رحمه الله
صكثير الولع بالبيع
فموتب في ذلك قال
نم هو خير من أن تعد
ونقائب فقال له أبو عمرو
ابن بجيد وغيره من
إخوانه هيات يا أبا
القاسم زلة في البيع شر
من كذا كذا سنة
نقائب الناس وذلك أن
زلة البيع إشارة إلى الله
تعالى وترويح للحال
بصرح المحال وفي ذلك
ذنوب متعددة منها أنه
يكذب على الله تعالى أنه
وهب له شيئا وما وهب
له والكذب على الله
من أقبح الزلات ومنها
أن يبرع بعض الحاضرين
فيحسن به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التحليق المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزل على بعض الواضع التي ذكرتها لك أو يزل على التنزيه فانه نص على إباحة لعب الشرع وذكر أني أكره كل لعب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يجرم للروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى الروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخبيسة فتعليه يدل على أنه أراد بالكرهية التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغير من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن الله من يشتري لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعمها وثمنها وتعليمها ^(١) » فتقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنقن للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفاسق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية لملكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالها سمعها عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس الزنا فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناققين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فلا ضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغناء بلغة حمير يعني السعد فتقول يقضى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في مرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشعراء يتبعهم الغاورون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تنقن ^(٢) » فقد جمع بين الناحية والغناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة للذين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك ^(٣) » قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القاب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعمها وثمنها وتعليمها الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تنقن لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك ابن أبي الدنيا في ذم اللامى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام ومن غشنا فليس منا . ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة للتعقد فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعتري عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين إلى مواظبته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس ياطله ويكون في الجمع من يرى بنور القراسة أنه مبطل ويعمل على نفسه للوافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليقلق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخلوقين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبيشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوز في موضع واحد نص في الإباحة وللع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسح فعله يحرم بمرض كثيرة حتى النيات والتصود . واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته ^(١) » قلنا فقله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبيشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بمحرام بل يلحق بالمصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس ^(٢) » فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذائبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تنعيت ولا تمنيت ولا مست ذكري يميني مذ بايت به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليل تحريم الفناء فمن أين ثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء يثبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ثبت للاء البقل ^(٣) ورفع بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومروا على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا نأسمع الله لكم ألا نأسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ^(٤) وقال التفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الرودة وإنه لينوب عن الحر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلمين فجنوبه الفناء فان الفناء داعية الزنا فقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ثبت النفاق أراد به في حق للنفي فانه في حقه يثبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال يتأفق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجليلة وركوب الخيل المملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك يثبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواعظ نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تخنه وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا نأسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عقبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء يثبت النفاق في القلب كما ثبت للاء البقل قال المصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوّلوي ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفع أبو داود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة المرتضى الذي لا يجد سبيلا إلى الامساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس التي يدعو إليه داعية الطبع قهرا. قال السري: شرط الواحد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من القية ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورداثر عفات وهو في تمزيق الثياب أكد فان ذلك يكون إتلاف السال وإتلاف المال وهكذا رمى الحرقة إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يحتجب فيها التكلف والرياء

حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخالفتهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تسكر فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر ناهيا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه في الجمال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شملت قلبه (١) أقرى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فلمه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الرامي يشغله عن تلك الحالة كاشغله العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استتارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أحمل بسماع يتقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعداء من الأثاويل القرية منه فهو منزل على سماع الفساق والفتلين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما منع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما التباس قضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أويقال هو لمو ولاب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها الموهولاب . قال عمر رضي الله عنه لزوجته إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع للعبة مع النساء لمو إلا الحرمة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لا يحصى فيه حلال تقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي لمو يزيد على الحبشة والنونج في لمبهم وقد ثبت بالنس إباحته على أني أقول القه مروح للقلب وعطف عنه أعبله الفكر والقلوب إذا أكرهت عحيث وترويحها إعانة لها على الجدة فالمواظب على الثقة مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمت على النشاط في سائر الأيام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالمعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصبر على الجدة المحض والحق للرس لا تقوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والللال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللبنة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحبه ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه فم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكال فإن السكال هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القريين ومن أحاط بطم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شملت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف .

(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

ولذا حفت النية
فلا بأس بالقاء الحرقه
إلى الحادي قد روى
عن كعب بن زهير أنه
دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
للسجد وأشهد أياتنا
التي أولها :
بانت سعاد قلبي اليوم
متبول
حق انتهى إلى قوله
فيها :
إن الرسول لسيف
يستضاء به
مهند من سيوف الله
مسول
قوله رسول الله صلى
الله عليه وسلم من
أنت فقال أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن
محمد رسول الله أنا
كعب بن زهير فرمى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إليه بردة
كانت عليه فلما كان
زمن معاوية بعث إلى
كعب بن زهير بعنا
بردة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعشرة
آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السماع فهم السمع وتزيله على معنى يقع المستمع ثم يسمع الفهم الوجد ويشمر الوجد الحركة بالجوارح فليست في هذه المقامات الثلاثة . المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال السمع ، وللمستمع أربعة أحوال : أحدها أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع إلا استدلاذ الألحان والنغاث وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة . الحالة الثانية أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تزليلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن من أن تسلك فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التحكن مرة والتعنبر أخرى وهذا سماع اللريدين لاسبيا للبتدين فان اللريد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكة ومعاملات هو مشاير عليها وحالات تستقبله في معاملاته فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو قض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأسمار فلا بد أن يوافق بعضها حال اللريد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدرح الذى يورى زناد قلبه فتشتمل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكرن له مجال رحب في تزليل الألفاظ على أحواله وليس على السمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ ولتضرب لهذه التزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ إنما يهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتل نعل ما تقول

فاستغزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا زور . حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجده م كان ؟ قال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » . وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قل : كنت أنا وابن القوطى مارتين على دجلة بين البصرة والأبلة فاذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسلمون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت النظرة ويديه ركوة وعليه مرقمة يستمع فقال بإجارية بالله وبجاية مولاك إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلوأتى مع الحق في حالى فتسحق شهقة ومات . قال : قلنا قد استقبلنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حررة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .

ما كنت لأوتر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعبت معاوية إلى أولاده بشرين ألفا وأخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة . والتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأقب في الصلوة والمناشئة وكثير من السلف لم يكونوا يمتدنون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لوجه الانكار فيه فمن ذلك أن أحدم إذا تحرك في السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورعى عمامته إلى الحادى فالتحسن عندهم مواقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ وإن كان ذلك من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فاضلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رى بياضه وانزى لإزاره وارتدى بآخر ومرت على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسبحون فلم يسمع له بصدر خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة محبته عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه على تغلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسألون غير هذا بك أحسن

ومن كان سمعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع اللريد للتسدي خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقط إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسطر قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يلمنه وتارة يشبهه على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بدوا - وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوه إلى التلون في قبوله ورده وتحميه وإيمانه وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل فينبغي أن يعلم أنسبجانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عبادته وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل للعارف البصير يتبين كسفي حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يطلب عليه حال مثل السكر للدهش فيطلق لسانه بالصواب مع الله تعالى ويستنكر اقتباره للقلوب وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والبعد لقلوب الجاحدين وللزورين فلا مانع لما أعطى ولا منطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار الجنابة متقدم ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لو سبلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كلتنا لعبادنا للرسلين - وقال عز وجل - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنهم اختلفت السابقة وهم في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لأنما ووجد الأدب - فانه لا يستر عما يفعل وهم يسألون - ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر للدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا عن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس في هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

الشيوع فليس على
الشيوع مواقة
الشبان في ذلك
وينسحب حكم الشيوع
على بقية الحاضرين في
ترك المواقة للشبان
فإذا حكوا عن السماع
رد الواحد إلى خرقته
ويوافق الحاضرون
برفع العائم ثم رد على
الروس في الحال
للمواقة والحرقة إذا
رُميت إلى الحادي من
الحادي إذا قصد
إعطائه إياها وإن لم
يقصد إعطاءها للحادي
فقل هي للحادي لأن
الحركة هو ومنه صدر
للموجب لمرى الحركة .
وقال بعضهم هي للجمع
والحادي واحد منهم
لأن الحركة قول
الحادي مع ركة الجمع
في إحداث الوجد
وإحداث الوجد
لا يتقاصر عن قول
القائد فيكون الحادي
واحدا منهما في ذلك .
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيطلب الوجد على مستمعين ليبت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر غطلىء أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الفلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن الحب لفي هنا

قال صدقت وسمعه رجل آخر قال كذبت فقال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصديق كلام محب غير ممكن من الراد بل مصدود متعب بالصد والمجهر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشر بخطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فاختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاء عطشا ن ولكن ليس يسقى

قام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمات منها مع حضور أسبابها فلم ينفقه ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذى فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة للتعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتمتعش إليها فان مكن منها تمعش إلى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبل رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وجكم قلى ووصلكم صرم وسلكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكاره خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظاهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة (١) » كما ورد في الخبر وكما قال التلميذ في وصف الدنيا :

تتح عن الدنيا فلا تخطبها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفرجوها بخوفها ومكروها إما تأملت راجع
لقد قال فيها الواضفون فأكثروا وعندى لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب شمس إذا استدلته فهو جامع
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى : أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تكبر ففرقه جهل إذا قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته وجهه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بصوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى القائلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أي كثير مرسلات (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثانى من الأذكار .

يوم بدر من وقف
بمكان كذا فله كذا
ومن قتل فله كذا ومن
أسرفه كذا فقتل
الشبان وأقام الشيوخ
والوجوه عند الرايات
فناقض الله على المسلمين
طلب الشبان أن يحصل
ذلك لهم قال الشيوخ
كنا ظهرا لكم وردنا
فلا تذهبوا بالفتنم
دوتنا فأنزله تعالى
- يستلونك عن
الأنفال قل الأنفال لله
والرسول - قسم
النبي صلى الله عليه وسلم
بينهم بالسوية . وقيل
إذا كان القول من
القوم يحمل كواحد
منهم وإذا لم يكن من
القوم لما كان له قيمة
يؤثر به وما كان من
خرق الفقراء يضم
بينهم . وقيل إذا كان
القول أحيرا فليس له
منها شيء وإن كان
متبرعا يؤثر بذلك وكل
هذا إذا لم يكن هناك
شيخ يحكم فأما إذا
كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قربا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويقي ورامه قرب لانهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللحق الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا القصور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فغرب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عذب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطمن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفى فكانه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد للشهود وفى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن الشهود فالمستتر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره وللتلذذ لا خبر له من التذاذة وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهاورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطرا أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا . تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يمدونها ويعد البيت إلى الغداة والدّم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات السكّال وهي منزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور وإنما السكّال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع لله وبالله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأتمد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفناءه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سرّ لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجوده وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوبة إذ ليس لها نور في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورق الحجر فتشابه فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

وبمثل أمره قال الشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيقل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القهوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإتيار بما خرج منه لثية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الحرقه المبروكة التي مزقها واحد صادق عن عليه سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد إمساكه فتيهم في تفرقها وتمزيقها التبرك بالحرقه لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الحرقه أثر من آثار الوجد فصارت الحرقه متأثرة بأثر ربانى من صفها أن تفتدى بالنفوس

وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرأة بصورة الحجرة إذ ظهر فيها لون الحجرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم العامة فلنرجع إلى القرض قد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم السموعات . المقام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . وللمناس كلام طويل في حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألقاظهم لتكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع إنه وارد حق جاء بزعم القلوب إلى الحق فمن أضنى إليه بحق تحقق ومن أضنى إليه بنفس ترندق فكانه عبر عن الوجد بازعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع إذ سمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجدته في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال بن السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التزّه والقضاء . وقال الشبلي رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبادة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان الكلي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين المؤمنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فائز من حيث أمنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالقلب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس معجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص القلب وحس القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من اللذات في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزيج أو خوف مقلق أو توييح على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو دواع إلى واجب أو مناجاة سر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والقلب بالقلب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق لسمي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذ كان هو البتدى . بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنباط العاجز من الرأي واستجلاب المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفهام والآراء حتى يثوب ماعزب وينض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يخطئ وقال آخر كما أن الفكر يطرُق العلم إلى العلوم فالسماع يطرُق القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقلي لا يحتاج إلى أن يناغى مشوقه بالنطق الجرمي بل يناغيه ويتناجيه بالتبسم واللمحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجنين والإشارة وهذه نواطق أجمع إلا أنهار روحانية وأما العاشق البهيمي فإنه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به

وترك على الروس
إسكراما واعزازا :
تضوع أرواح نجد
من ثيابهم
يوم القدوم لقرب
المهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
التيث ويتبرك به
ويقول حديث عهد
ربه بالحرقة الممزة
حديثه العهد لحكم
المجروحة أن تحرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الحرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصص
بشيء منها بعض الفقهاء
فله ذلك وإن خرقها
خرقا فله ذلك ولا يقال
هذا تفريط وسرف
فإن الحرقة الصغيرة
ينفع بها في موضعها
عند الحاجات
الكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال « أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرير

عن ثمرة ظاهر شوقه الضيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الألقان فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته ونقائه من العن والذنس . والأقاويل للقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى الاستكثار من إيرادها فلنشتغل بتفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإما إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتبنيات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر ممي وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه فديقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبية والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يغيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللكوك كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يبر عنه بصوت الهائف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم العامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهالتي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تعجبت عن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجمعه خالق فأبقى له في الجوف أماء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى يمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم المبادي أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزولوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بجائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيا غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبقي التوم فرضعت الطعام وماذاقوا والله منه لذة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الحضرة عليه السلام فانه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل اللاشككة لأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غفرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفسى شيئا أرضاء لك فتشققها بين النساء أخراهن وفي رواية أتيتها فقلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها أخرا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكشوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتزريق الثوب وجعله خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية بنسبوا بوجع في دعوة فوكت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبو القاسم القشيري قسمت الحرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف وإضاعة للمال فسمع أبو القاسم

وإما على مثال بما حكى صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو المراد بقوله تعالى - علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يبرع عن ذلك الاطلاع بالتمرس ولذلك قال **عليه السلام** « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله (٢) » وقد حكى أن رجلا من المهجوس كان يدور على المسلمين ويقول مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقهاء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودى نسلكهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أى شئ قال الشيخ في فاحتشموه فألج عليهم فقالوا له قال إنك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدي وقبل رأسى وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتعن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٣) » وإنما يحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فانها تمر على الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون الصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا فأذن لهم في ذلك فأشأ يقول :

صغير هو لك عذبنى فكيف به إذا احتسكا وأنت جمعت في قلبي
هوى قد كان مشتركا أما ترى لمكتتب إذا ضحك الحلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذا النون الذى يراك حين تقوم تجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الحصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس ، فاذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقة فلا تستبعد ذلك فانك تجد في أحوالك القرية لذلك شواهد . أما العلم فكمن فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذهوقه أن بينهما فرقا في الحسك وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذهوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا تصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة وهذا مما قد تفتن له

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشبرى ولم يقل شيئا
حق فرغت القصة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتنى بها
لجاءه - بسجادة ثم
أحضر رجلا من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بكم تشتري
في المزاد؟ قال بدينار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبى محمد وقال
هذا لا يسمى اذاعة
للإل والحرقة للحرقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم معتقدا
للتبرك بالحرقة .
روى طارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأدمم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الكوفة من الغنيمة
شيئا فقال رجل من
بنى تميم لعمار أبيها
الأجدع تريد أن
تشاركنا في غنائنا
فكتب إلى عمر بذلك
فكتب عمر رضى
الله عنه أن الغنيمة
لمن شهد الواقعة وذهب
بعضهم إلى أن المجرور
من الحرق يقسم على
الجمع وما كان من
ذلك صحيحا يعطى
للقوال . واستدل بما
روى عن أبي قتادة
قال لما وضعت الحرب
أوزارها يوم حنين
وفرغنا من اقوم قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من قتل
قتيلا فله سلبه » وهذا
له وجه في الحرق
الصحيحة فأما المجرورة
فحكما أسهام
الحاضرين والقسمه
لهم ولو دخل على الجمع
وقت القسمه من
لم يكن حاضرا قسم
له . روى أبو موسى
الأشعري رضى الله

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فنسب من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذى يصبح
فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبى ذلك السبب
ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في
سبب موجب للسرور أو حزنا فينبى للتفكر فيه ويحس بالأثر عقيب وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة
لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة لمقصده عن التصود بل ذوق الشعر
الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص به بعض الناس دون بعض وهى حالة يدركها صاحب
الدوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الوزون والنزحف فلا يمكن التعبير عنها بما يتضح مقصوده به
لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور
إتماما تحصل في السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النضامات التى ليست بمفهومة فاتها تؤثر في النفس
تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن هجائب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه
الشتاق إليه فهو محجب والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهدين وما أشبهه ليس يدرك إلى ماذا
يشتااق ويمجد في نفسه حاله كأنها تقاضى أمرا ليس يدرك ما هو حق يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على
قلبه لاجب آدمى ولا حب الله تعالى وهذا ليس وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة للشتاق وهو
نوع مناسبة مع للشتاق إليه . والثاني معرفة للشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت
الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة للشتاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشتااق
ووجدت الصفة للشوق وحركت قلبك الصفة واشتعلت نازها أورش ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ
آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راحق الحلم وغلبت عليه الشهوة
لكان يحس من نفسه ناز الشهوة ولكن لا يدرك أنه يشتااق إلى الوقاع لأنه ليس يدرك صورة
الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد
بها في مدرة النسيى والفراديس العلى إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذى
سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة
يعرف بالمقايسة فالسباع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدينا قد أنساه نفسه وأنساه
ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرك ما هو
فيدهش ويتعبر ويضطرب ويصكون كالتفتى الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من
الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى
ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى
التواجد وهذا التواجد للتكلف فنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع
الافلاس منها ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها
بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن (١) فان هذه الأحوال قد تتكلف
مبادئها ثم تتحقق أواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير للتكلف في الآخرة طبعها
وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا وبقروءه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك
دينا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه
بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء مجهدا شديدا ثم

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فان لم تبكوا قبا كوا، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثانى .

تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سيد إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قدحها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من انتهى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فاشتبه به ذلك الخالص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قدحها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتعيين صفاتهم في النفس وبالجوارح معهم في السماع وبالبدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسره أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالة الصالحين والخائفين والحسينين والشتائين والحاشين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك . حب من أحببك وحب من يقربني إلى حبك » (١) قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التكلف وإلى المطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثنى تقشعرت منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والافتشاعر والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - وإنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قيل الأحوال وإن لم يكن من قيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) وقال النبي موسى الأشعري « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام » (٣) . وأما الحركات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواتها » (٤) خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأقسم لنا ولم يسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى للدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي إجازة قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود قاله لآبي موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

عبد العزيز بن مهيب
عن أنس قال كنا عند
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ نزل عليه
جبريل عليه السلام
فقال يا رسول الله إن
قراء أمك يدخلون
الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو
خمسائة عام ففرح
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل
فيكم من يشدنا فقال
بدوي نعم يا رسول الله
فقال هات فأنشأ
الأعرابي :

قد لست حية المحوى
كبدى
فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذى
شفعت به

فعنده رقيق وترباقى
فتواجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وتواجد الأصحاب معه
حتى سقط رداؤه عن
منكبه فلما فرغوا أوى
كل واحد منهم إلى
مكانه قال معاوية بن
أبي سفيان ما أحسن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب وكانت عيناه تذرفان بالدموع (١) وفي رواية أنه عليه
السلام قرأ هذه الآية أوترى عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما -
فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فأتهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه
السلام إذا قرأ بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أنقذ الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن
فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق -
وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز للرمل (٥) وأما ما نقل
من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : منهم من صق ومنهم من بكى
ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان
يؤم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصق ومات في صحابه رحمه الله وضع عمر رضي الله
عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مشيا عليه فعمل إلى
بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرمل فشق ومات وسمع
الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فغشى عليه وسمع على
ابن الفضيل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فمقط مشيا عليه فقال الفضيل شكر الله
لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلى في مسجده ليلة
من رمضان وهو يصلى خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزعى
الشبلى زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واجمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا
يخاطب الأجباب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى
عليه فقال لي هذا رجل قد صمعت آية من القرآن فغشى عليه فقلت اقرأوا عليه تلك الآية بعينها فقرأت
فأذق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فمخلوق أبصر
ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر فمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجملت أرددها فإذا هاتف
يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال
أبو طي النبالى للشبلى : ربما تطرق معنى آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا
ثم أرحع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه
فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك
إلا التبرى من الحول والقوة في التوجه إليه . وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشهاد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث
أنه قرأ عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدى في
الكامل والبيهقى في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث
أنه قرأ - إن تعذبهم فأتهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان
إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان
يصلى ولصدره أزيز كأزيز للرمل أبو داود والنسائي والترمذي في التماثل من حديث عبد الله
ابن الشخير وقد تقدم .

الطيشة ارجى إلى ربك راضية مرضية - فاستعاضها من القارىء - وقال كم أقول لها ارجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة غرجت روحه وسمع بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآزفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشى عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا السماء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يقتل في الفرات فرث به رجل على الشاطئ يقرأ - وامتا زوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وقده فسأل عنه فقيل له إنه مريض فاتاه بموده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : رأيت تلك الشجرة التي كانت بي فانها أنتنى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجلة لا يغلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذي ينق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عسى فهم لا يسمعون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسجما قال جعفر الخليلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بهدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شهقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في خلق القراء لخلق الغنيين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة . فاعلم أن الغناء أعد تهييجا للوجد من القرآن من سببه أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال السمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملائمه فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمنون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام لليراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضفيها الشعراء لإعرابها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسما لغيرها ومعه يقطر وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ قد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت المخرج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلا تشك بأنه ينظر لنا فيبيع منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الله كره يكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانتهبهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألغاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبة مستفرقة قاهرة والآخر تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتثنية بالأمر القريب على المعاني البعيدة وذلك مما يميز فلاجل ذلك يفرغ إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن بن النوري كان مع جماعة

لعيكم يا رسول الله فقال
مهيا معاوية ليس بكريم
من لم يهتز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرهم بأربعمائة قطعة
فهذا الحديث أورده
مسندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في محته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للمصوية وأهل الزمان
في سماعهم وتمزيقهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم ويخالف
سرى أنه غير صحيح
ولم أجد فيه فوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يستمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأبي القلب
قبوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جفري بينهم مسألة في العلم وأوالحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدتم :

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في قن
ذكرت إلها ودعها سالحا وبكت حزنا فهاجت حزى
فبكائي ربما أرقها وبكاهها ربما أرقنى
ولقد أشكو لها أفهمها ولقد تشكو لها تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال لما بقى أحد من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا . الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ لأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أولا عظم أثره في القلوب وفي الكثرة الثانية يصف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس بقدر القارى . على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن التزادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقوى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أقوى من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للزود عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأثر بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكى ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكى ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارىء صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقديم بكه شهرا ولا يحسن من ذلك في نفسه بأثر فاذا للمعنى يقدر على الأيات القرية في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت الوزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الأيات ولوزحف المعنى البيت الذى يشده أولحن فيه أو مال على حديثك الطريقة في اللحن لا يضرب قلب المستمع وبطل وجده ومماعه ونفرطبعه لعدم المناسبة وإذا نقر الطبع اضطرب القلب وتشوش الوزون إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التى تسمى الطرق والديستانتات وإنما اختلاف تلك الطرق بعد القصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزل قصوره ومدده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أزل سقط عنه الأثر الذى يسببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تمضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات آخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس
والشعرون في خاصية
الأربعينية السق
يتأهدها الصوفية]
ليس مطلوب القوم
من الأربعين شيئا
خصوصا لا يطلبونه في
غيرها ولكن لما
طرقهم عقالات حكم
الأوقات أحبوا تقييد
الوقت بالأربعين
رجاء أن ينسحب حكم
الأربعين على جميع
زمانهم فيكونوا في
جميع أوقاتهم كهم
في الأربعين على أن
الأربعين خصت بالذكر
في قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
أخلص لله أربعين
صباحا ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على
لسانه » وقد خص الله
تعالى الأربعين بالذكر
في قصة موسى عليه
السلام وأمره بتخصيص
الأربعين بمزيد تبتل
قال الله تعالى - وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة
وآمعناها بعشر فتم

صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو له عند العامة وصورة سورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها اللهو بل ينبغي أن يقرأ القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الرافقون لأحوالهم فيعدل إلى الفناء الذي لا يستحق هذه الرقابة وللرعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال « أظهروا النكاح ولو بضرب القربال (١) » أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشرود عن القرآن ولذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين فسمع إحداهن تقول وفيما نهد سلم ما في غد . على وجه الفناء فقال صلى الله عليه وسلم « دعى هذا وقول ما كنت تقولين (٢) » وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردّها إلى الفناء الذي هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا اعتذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محرراً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى الفناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى الفناء . الوجه السادس : أن الغنى قد ينشئ بيت لا يوافق حال السامع في فكره وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فأيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء القرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه فلا احتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيافته عن ذلك ، وهذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الفناء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيته لتصدعت ودهشت وتغيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لأن نسبة الحقوق والتمتع نسبتها نسبة الحظوظ فإذا علت الألحان والأصوات بما في الآيات من الإشارات والأطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فإدامت البشرية أقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنعمات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل علي وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين الحديث البخاري من حديثها وقد تقدم في النكاح .

مقات ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستقدم من أيديهم يأتهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقسموا له خربوب قتالت في اللاتكة كناثم من فيك رائحة السك ففسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلفك فم الصائم أطيب عندى من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت فقلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشترى لك داراً أو جارية أكان يقصدك ذلك عن الجبى فقلت ما امتحنى الله بشئ من ذلك ولو امتحنى ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن أن تقول عينا فقلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبني دائماً في قطيعة ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني

كأنى بك والبيت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ الليت لا بيني

قال فأطبق للصحف ولم يزل يكي حتى ابتلت لحيت وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في الصحف لم تنظر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على لذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا يهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته لطباع ولكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أصاليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو يسكت في الأرض بأصبه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن ترنم جى فقال لا قال فأنت بلا قلب أشاره إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنغمات تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكاف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم السمع وتزيله وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من ضيقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فتقول :

(القام الثالث من السماع)

نذكر فيه آداب السماع ظاهراً وباطناً وما يحمى من آثار الوجد وما يذم ، فأما الآداب فهي خمس جل الأول : مراعاة الزمان والمكان والاحوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والافتلسم الزمان والمكان والاحوان ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما المكان فقد يكون شارعاً مطروفاً أو موضعاً كرية الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجنب ذلك . وأما الاحوان فسيببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترهذ الظاهر مفسد من لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقت وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند هذه الشروط أولى في هذه الشروط نظر للسمع . الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله يريدون بضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة أقسام درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يفيته فانه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقيت من الحظوظ والاتلفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تؤمن غوائه فرجاً يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم

بالتبار وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل قبل على أن خلوا للعدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستنداً لمكالة الله تعالى والعلوم الدينية في قلوب المتفطين إلى الله تعالى ضرب من المكالة ومن اقتطع إلى الله أربعين يوماً غلصاً متاهناً فيه غفلة للعدة يفتح الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعيين الأربعين من العدة في قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من خصه الله تعالى بتعرف ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل للسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الحواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لئلا هذا ولأن قلبه بدمالوث يحب الدنيا وحب الحمدة والثناء ولأنه يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضمء عنه قال الجنيد : رأيت إيايس في النوم قلت له هل تغف من أصحابنا شيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فإني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنه قلت له ما أحقك من جمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تغف له فقال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصفيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادى الأطراف متحفظا عن التنحنج والثأوب ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق قلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراعاة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليمد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن تواجد خوفه من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والركة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشبه شقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فزق واحد منهم ثوبه أوقيصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النضر اباضى لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يتأبوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تتأب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الارتباط للحق وللإلزام لمعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصار تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فإذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماسك فنضبط الظاهر وقد يظلم أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون التقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أنه وجدنا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أم وجدنا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جاثل في المسكوت

الأنبياء ويلوح في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد تكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كأورد خمرة طينة آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلا لصارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدارين الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة لمن التراب كونه وأربعين صباحا خمرة طينته ليعمد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عند شيء كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه - فالיום لا يؤخركم فدية - الآية فأرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك مع مرة قوله تعالى - للملك يومئذ الحق لرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعف قليله فان كان هذا من الضعف فاقوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يثبته بقوة حاله فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملزمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعيًا لقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجهه دائمًا وعطشه متصلًا وشربه مستمرًا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كإروى أن محمداً الدينوري أشرف على جماعة فيهم قال فسكنوا فقال ارجسوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلني ولا شغى بعض ما بي . وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنتم من فضل الوجد فان قلت فثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادراً المساعدة أخ من الإخوان وإدخالاً للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس السكاه بالوجد الظاهر فيعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في سرورته طبعاً لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم ويواطهم كما يجلسون من غير جماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبعضهم تقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان صلب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو تركه لئلا يكون مشغولاً بما لا يمينه وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو بما كي فهو مباح إذا لم يقصد به للراة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تريتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فاجعل علي ودك لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراءه حبل علي » وقال زيد أنت أخونا ومولانا فاجعل زيد وراءه حبل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالتها تحتها والحالة والده (٢) « وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « آخين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحبل هو الرقص وذلك يكون للفرح أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان فرحه محموداً والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحاً فهو مباح وإن كان مذموماً فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمنصب الأكابر وأهل القدوة لأنه

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فاجعل لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراءه حبل علي وقال زيد أنت أخونا ومولانا فاجعل الحديث أبو داود من حديث علي باسناد حسن وهو عند البخاري دون فاجعل .

ومواطن القرب إذ لو لم يتوق بهذا الحجاب ما حمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لممارسة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبذل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والاتزاع عن التوجه إلى أمر اللماش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع على قدر زوال كل حجاب يجذب ويتخذ منزلاً في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصباباً ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنواراً باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوماً إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود

في ألا كثير يكون عن لحو ولعب وماله صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المتقدي به
للايصفر في أعين الناس فيترك الاقتداء به . وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
الاستخبار ولا يبعد أن يظلي الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري
ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له
في الحركة أو التمزيق متفلس فيضطر إليه اضطرار للرخص إلى الأنيب ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتفلس فعل يحصل بالارادة
ولو كلف الانسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يختار التفلس فكذلك الرخصة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر
عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فأتقول
في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعاً صفاراً
ويغرقونها على القوم ويسمونها الحرقه . فأعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربية تصلح لترقيق الثياب
والسجادات فان السكر بما يمزق حتى يخالط منه القميص ولا يكون ذلك تضيقاً لأنه تمزيق لترض
وكذلك ترقيق الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
القطع بحيث يمكن أن ينفع بها في الرقاق وإنما منعا في السماع التمزيق للفسد للثوب الذي يهلك بضمه
بحيث لا يبقى متفتاه فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : مواقة القوم في القيام
إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف . أوقام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
الجماعة فلا بد من اللواقعة فذلك من آداب الصحة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
مواقعة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالواقعة في هذه
الأمر من حسن الصحة والعشرة إذا مخالفت موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس بأخلاقهم (١)
كما ورد في الخبر لا سيما إذا كانت أخلاقاً فيها حسن العشرة والجمالة وتطيب القلب بالمساعدة وقول
القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم
وإنما المندور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
الأحوال (٢) كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا يرى به بأس في البلاد التي جرت
العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطيب القلب به وكذلك سائر
أنواع المساعدات إذا قصد بها تطيب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
المساعدة إلا فيما ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستعمل
رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذا رقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستعمله الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
محكم للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال محمته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الالهية
لأن حديث النفس
وعاء وجودي لقبول
الأنوار وما للقلب في
ذاته لقبول العلم شيء
وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ظهرت
ينابيع الحكمة من
قلبه على لسانه . أشار
إلى القلب باعتبار أن
القلب وجهها إلى النفس
باعتبار توجهه إلى عالم
الشهادة وله وجه إلى
الروح باعتبار توجهه
إلى عالم القلب فيستمد
القلب العلوم للكونة
في النفس ويخرجها
إلى اللسان الذي هو
ترجمانه فظهور العلوم
من القلب لأنها متأصلة
فيه فالقلب والروح
مراتب من قرب اللهم
سبحانه وتعالى فوق
رب العالمين فالعبد
بانتقاعه إلى الله تعالى
واعترال الناس بقطع
مسافات وجوده
ويستنبط من معدن
نفسه جواهر العلوم

(١) حديث مخالقة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتمة الناس بأخلاقهم الحديث قال
صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصحة .

أشكالا غير أضداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل وهو مخالف للدين فلا يراه ذو جند في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجند لا يزيد على جند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في السجود وما أنكروه لما كان في وقت لا ترق به وهو العيد ومن شخص لا ترق به وهم الحبشة نعم نكرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقروناً باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدوى الناصب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتعزيم فمن سأل فقيراً شيئاً فأعطاه رغباً كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغباً أو رغبين لكان ذلك منكراً عند الناس كافة ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعبر به أعقاباً وأشياءه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خيراً للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى الناصب وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً أما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع فمهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات الذمومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما الباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه وورفده . والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبده . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .
[أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو المم الذي أتم الله له النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله تعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستمرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم الناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإن الله وإننا إليه راجعون . إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه . وانعحق بالكلية حقيقته ورسمه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانعجت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرها في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إيمانها . ومستبداً بقرية تتضائل درجات القرب دون ذروتها . وهانحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضيلته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

(كتاب الأمر بالمعروف)

وقد ورد في الخبر والناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . ففي كل يوم إخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق الترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجاب آية حجة هذا البدو علامة تأثره بالأربعين ووفاته بضوابط الإخلاص أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ويتجافى عن دار القرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين أنه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ما عبد

النكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .
(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته)

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليهم وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
الفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فان قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
أمة فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به للباشرين
وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون هم الحرج بكافة القادرين عليه لاحالة وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل
الكتاب أمة قلعة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يشهد لهم بالصالح بمجرد
اليمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - وقد نفت
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
خارج عن هؤلاء المؤمنين للتعمتين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الدين كفروا من بني إسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتأخعون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال من
وجل - كنتم خيراً أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا
ما ذكروا بما عينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بذبذب بئس بما كانوا يفعلون - فبين
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضاً . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقرن ذلك بالصلاة
والزكاة في نعمت الصالحين وللمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان - وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
الامكان وقال تعالى - لولا ينهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا
يصنعون - فبين أنهم أئموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإقلاقهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالمسطر شهداء فلو لم يكن قوامين أو الوالدين والأقربين - وذلك هو
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأقربين - وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً - وقال تعالى
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - فقاتلوا التي تبغي حق تقي - إلى أمر الله بذلك هو النهي عن
المنكر . وأما الأخبار : فيها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
أمرنا بالاحسان كما
أمرنا بالعمل فقال
تعالى - وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له
الدين - أخبرنا الشيخ
طاهر بن أبي الفضل
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال أنا
أبو منصور الضبي قال
ثنا محمد بن أنس
قال ثنا حماد بن
عبد الله قال ثنا إبراهيم
ابن طهمان عن عاصم
عن زر عن صفوان
ابن عسال رضي الله
عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا
كان يوم القيامة يحيى
الإخلاص والشرك
يخثون بين يدي الرب
من وجل ، فيقول
الرب للإخلاص انطلق
أنت وأهلك إلى الجنة
ويقول للشرك انطلق
أنت وأهلك إلى النار .
وهذا الاسناد قال
السلي صحت على بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا غلبكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعذبهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (٢) - قال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن النكر فإذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فضلك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم قتنا قطع الليل الظلم للتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يارسل الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينشد عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تسقط مباحاتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنهك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس (٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غصن البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا غلبكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في العزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث حمز بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشك أن يعذبكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانهموا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصر على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن مبيد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم الشافعي وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف وسأله عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على المجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يرى السكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروها فلا ينكرونها^(١) » وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بحجروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه قال كف أنتم إذا رأيتم للعروف منكرا والسكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لأنيح لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران^(٢) » وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه^(٣) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هوله^(٤) » وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور للواضع التي يشاهد للسكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة السكر من غير حاجة اعتذار بأنه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم للسكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم المهجر للعقل ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما سباح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تقتربهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نصيحهم ثم قرأ - فقرأوا إلى الله إلى لكم منه نذير مبين - قال ضررقوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر قلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا ان اللائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصفحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بني . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر مصيبة فكرها فكان غاب عنها

(١) حديث إن الله لا يذهب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا النكر الحديث أحمد من حديث عدي بن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه (٢) حديث أني أمانة كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك كائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشدمن سيكون قالوا وما أشدمنه قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصر على الأسئلة الثلاثة الأولى وأجوبتها دون الآخرين وإسناده ضعيف (٣) حديث عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفخوا عنه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن (٤) حديث لا ينبغي لامرئٍ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يهرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمتنع رجلا هبة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ومن غاب عنها فأحبها فكانت حاضرة (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو ينفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى » فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس النابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فعق على كل مؤمن جهادهم يده فإن لم يستطع فلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هريثرون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينههم ويخبرهم ببيع ما يصنعون فوصلوا يردون عليه ولا يرعون عن أمثالهم فسيبوه وقتلهم فطلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسبوني وقتلتهم فطلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قتلهم فلم يطيعوه فسيبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث قتلهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو شبهتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لسبوني ولو شبهتهم لسبوني ولو قاتلتهم لطلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل بم يا رسول الله قال ينهونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمرق ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يعضون الله ولا يأمررون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه والذي يكلف بعباد الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب إذا أذيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفاري

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فسكرها فكانت غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانت حاضرة رواه ابن عدي وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال ينهونهم وسكوتهم عن معاصي الله البزار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يعضبوا لتضيي فكانوا يؤاكلتهم ويشاربونهم

وتتجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاعتماد . وقدرى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرطبي قال أنا جعفر بن الحكك لكى قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يبايئ الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزيت أمسلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله واللبضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الرفقة فوق الرفقات فوق غرف الشهداء للرفقة منها ثلثمائة ألف باب من الباقوت والرمز الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة ألف حوراء فأصارت الطرف معي كما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أذكرك يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظرت إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ^(١) » وقال أبو حنيفة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر ^(٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشئ القوم قوم لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٤) » . أما الآثار : فقد قال أبو البرداء رضي الله عنه : ثلث أمرن بالمعروف وثلثن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يحمل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تتصرون وتستخفرون فلا ينظر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر المنكر يده ولا لسانه ولا قبله . وقال مالك بن دينار كان جبر من أخيار بني إسرائيل ينشئ الرجال والنساء منزله بمظلم ويدكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض فيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال مهلاً يا بني مهلاً وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه قال هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقضه على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث البزار مقتصراً على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن والحاكم في المستدرک وجميع إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأغار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والخصية من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فينتحت في الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لحملها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقاري فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقاري فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقاري فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالي وأخبرها الخبر فقال

فيهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يرضوا لفضي وواكلهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد : إن المصيبة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالامة ، وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . قال كعب إن التوراة لتقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتي المال ثم قدم عنهم فقبل له لو أتيتهم فلعلمهم يحدون في أنفسهم فقال أرباب إن تسكمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت أن أتم وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يجري عشه منه ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما تقبلون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسيف ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو بمن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه ، وقيل للفضيل الأتامي ونهى ؟ قال إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصبوا ، وقيل للثوري الأتامي بالمعروف ونهى عن المنكر قال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلذلك ذكر الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمأجور ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والربقي والراة ، فلذلك روجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي الزاهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللأهي وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للبعد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أمهاته وسلب أسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستغربه فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلووا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - أأأمرون الناس بالبر وهمون أنفسهم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

قد خشيت على عقلي
فقلت كلا أجبر فوالله
ما يغزيك الله أبداً
إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث
وتعمل الكل وتكسب
للمدوم وتقرى الضيف
وتعين على نواب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأاً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كبيراً قد عمى فقالت
له خديجة يا عم اسمع
من ابن أخيك قال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رثول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أنزل على موسى
يا ليتني فيها جذعاً ليتني
أكون حيّاً إذ يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مررت ليلة أسرى بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار قفلت من أتم قالوا كئنا نأمر بالخير ولا تأتاه وتنهى عن الشر» ونأتيه (١) «وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتعظت فعض الناس وإلا فاستحى مني» وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاعتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومن يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكره خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن قول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم باب الاحتساب إذ لا عصمة للصعابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأنجب مالكا ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابن الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فتقول : وهل لشارب الخمر أن يفرض الكفار ويحتسب عليهم بالنهي عن الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الزنا ولا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فتقول : شارب الخمر هل له النهي عن القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جازله النهي عن الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرع كالشرب بالنسبة إلى لابس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمرين بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرع بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمته من الشرع ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بأكثري وإذا كان النهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه باقدا متى إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأننا أتوا وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول بترتيب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة . وأما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشغفه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مررت ليلة أسرى بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم
أخرج جسيهم قال ورقة
نم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودي
وأودي وإن يدركني
يومك أنصرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضي الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرة
الوحى فقال في حديثه
«فبينما أنا أمشي سمعت
صوتا من السماء فرفت
رأسي فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس
على كرسي بين السماء
والأرض فجئت منه
رعبا فرجعت فقلت
زملوني زملوني
فدثروني فأنزل الله
تعالى - يا أيها المدثر
فأنذر - إلى - والرجز
فاهجر - » وقد قل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كي يردى نفسه من
شواهد الجبال فكلمها
وأنى ذروة جبل لكي
يلقى نفسه منه تبدي له

الدليل دون فترة الأوهام والخيالات فانا قول قوله لها في تلك الحالة لا تكشف وجهك واجب أو مباح أو حرام فان علم انه واجب فهو الفرض لأن الكشف معصية والتهنى عن المعصية حق وان قلتم انه مباح فاذن له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم انه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقداً على الزنا ومن القريب أن يصير الواجب حراماً بسبب ارتكاب حرام آخر وأما فترة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسيئين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتزل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا ينفى تنفر عن ترك الأثم والاعتزال بالمهم كما تنفر عمن يتخرج عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الريا وكما تنفر عمن يتصاون عن القية ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أغش وأعمد من التهمة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك التهمة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنه أتى بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس قهرت عنه الطباع ويرى مسيئاً إذا قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكسر ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه وتركه الأثم بما دونه فكذلك حبة الفاسق تمسك من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبه من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالتهى بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يمتنع أولاً ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذا لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالنوع فالمراد منه القهر وتعم القهر أن يكون بالقهر والحجة جميعاً وإذا كان فاسقاً فإن قهره بالقهر قد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالقهر مع كونه مقهوراً بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقاً كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين وبهم أياه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقاً فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يمتنع وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك أيضاً فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في الشبهة وأما الآيات التي استدلو بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - للرد به الوعد الكاذب وقوله من وجل - وتفسون أنفسكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا وغيرهم ولكن ذكر أمر القهر استدلالاً به على علمهم وتأكيدها للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحى من لا يدل على تحريم وعظ القهر بل مضاه استحى من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى . فان قيل فليجز للكافر القدي أن يحتسب على المسلم إذا رآه زنى لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراماً عليه بل ينبغي أن يكون مباحاً

جبرائيل عليه السلام
قال يا محمد إنك
لرسول الله حقا فيمكن
لك ذلك جأشوا إذا طالت
عليه فترة الوحى عاد
مثل ذلك فيبتدى له
جبريل فيقول له مثل
ذلك فهذه الأخبار
التي تبتدى عنه أمر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي الأصل
في إشار الشايع الخوة
للزبدن والطالبين
فانهم إذا أخلصوا الله
تعالى في خلواتهم يفتح
الله عليهم ما يؤنسهم في
خلواتهم تعويضاً من الله
أيام عما تركوا لأجله
ثم خلوة القوم مستمرة
وإنما الأربعون
واستكمالها له أثر
ظاهر في ظهور مبادئ
بشار الحق سبحانه
وتعالى وسنوح مواهبه
السنية .

[الباب السابع
واتشرون في ذكر
فتوح الأربعينية]
وقد غلط في طريق
الخلوة والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالدلالة منه فهذا وجه منمننا إياه من الحسبة وإلا فلنسا قول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفياء في الفقييات ولا يليق بضرنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يشترطوا إلا اتحاد من الرعية الحسبة وهذا الاعتراض فاسد فان الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالترخيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف مالم يخرج الإمام للمصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دعائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحكمكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا تفويض من الولي وصاحب الأمر . فنقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرفه وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمن التليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر يحمله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك التبي . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول باجاهل بأحق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع اللع بالقره بطريق المباشرة ككسر اللهاى وإراقة الحر واختطاف الثوب الحرير من لايه واستلاب الثوب المنسوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضربه حتى يمنع عما هو عليه كاللواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر^(١) كما ورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللهاى وإراقة الخمر فانه تماطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يفتقر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة فقيه نظر سيأتى واستمرار عادات السالف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرّفوا الكلم
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وفتح عليهم بابا
من التورود ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالاخلاص
ومعوا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خلوات وظهرت لهم
وقائع وكوشفوا بخراب
وعجائب فدخلوا الحلوة
لطلب ذلك وهذا عين
الاعتلال ومحض
الضلال وإنما القوم
اختاروا الحلوة
والوحدة لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص الصل لله
تعالى . قل عن أبى
غمر والأنماطى أنه قال
لن يصفو لعاقل فهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والواطن القى بغنى أن
يسرف منها أمزدا هو
أم منتقص فقله أن
يطلب مواضع الحلوة

قاطع باجماعهم على الاستثناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالي راضياً به فذاك وإن كان ساخطاً له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فلينتكره بيده فإن لم يستطع فليسهان فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضف الإيمان » (١) فلقد كانوا فهموا من هذه المصومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبس بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء العاكف فيه والباد - من جعل لك هذا فظفر في وجهه وكان يعرفه لأنهم من موالهم فقال أعبد الله بن مرزوق قال نعم فأخذ فحمله به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضواً سيء الخلق يعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صيره إلى بيت وأغلق عليه وأخذ للمهدي الفتح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدي فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال ما تغاف أن أقتلك فرجع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوموتاً فما زال محبوساً حتى مات للمهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلاصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها . وروى عن جبان بن عبد الله قال نثره هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تنفي فتحسن فبجنا بها قال فجاءت ففنت فلم يحمدها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخاً يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرجع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم ففرض به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربيع فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربيع ليس يغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه ففرض به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابست إلى صاحب الربيع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبئت إليه وناظرته أولاً فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدمنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح قداموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كفه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كلك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائى القيلة قال نحن نعيشك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كفه نوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين

(١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعاً من رأى منكراً الحديث رواه مسلم .

لكي لا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريد .
أبنا طاهر بن أبي الفضل إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة قال أبنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عبد الرحمن يقول من اختار الحلو على الصعبة فينبغي أن يكون خالياً من جميع الأفكار إلا ذكر ربه عز وجل وخالياً من جميع المراتب إلا المراد ربه وخالياً من مطالبه النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقه في فتنة أو بلية .
أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر إجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصوراً يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الحلو والقلة وجدت شرها في الكثرة والاختلاط

فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأي شيء صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني صمت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوائه ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيت يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وإن رأيت لا يكلم أحدا فاعطه البدرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يحالها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لأمر المؤمنين رد هاهنا حيث أخذها . وروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي بها قلعهما من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هي في يديه ههوما كلما كثرت لديه
تهين السكريمين لها بصفر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت برى جمره العقبة والناس يخطبون عينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله السكاني قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك (١) وها أنت يخط الناس بين يديك عينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك النصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال قيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخنى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا بمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمرك وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما عثت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إمارفت أو أذنت لي حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمسكن غير أننا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢) وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان أهدت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقذ لما لزمك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله إن الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

فمن دخل الحلوة معتلا
في دخوله دخل عليه
الشیطان وسـوّل له
أنواع الطغیان وامتلا
من الفرور والحال فظن
أنه على حسن الحال فقد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الحلوة بشیر
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأذکار
واستجموا نفوسهم
بالعزلة عن الحلوة
ومنعوا الشواغل من
الحواس كفعل
الرهابین والبراهمة
والفلاسفة والوحدة في
جمع الهم لها تأثير في
صفاء الباطن مطلقا فما
كان من ذلك بحسن
سیاسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتج
تویر القلب والزهد في
الدنيا وحلاوة الله كـ
والعامله لله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير
سیاسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قل الآن ما شئت فأعجب للمؤمن بكلامه وسريه وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستثناء عن الأذن. فإن قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والمبد على الولي والزوجة على الزوج والتبذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والمبد على العبد والزوجة على الزوج والأستاذ على التبذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي تراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولن فرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا للحسبة خمس مراتب والولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالتحفظ وليس له الحسبة بالسبب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة ويحل الحيوط عن ثيابه للنسوجة من الحرير ويرد إلى الملك ما يجده في بيته من لبال الحرام الذي غصبه أوسرته أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويطل الصور النقوشة على حيطانه وللنقوشة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسبب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للبطل والحرام والأظهر في القياس أنه ثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للنكر قاحشا وسخطا عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر قريبا والسخط شديدا كالأول كانت له آية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاضران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه للصية تجرى الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر . فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذا خلا في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولله أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل يقطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابله . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع^(١) فإذا لم يجز له إيذاؤه بقوة هي حق على جناية ساجدة فلا يجوز له إيذاؤه بقوته هي منع عن جناية مستقبلية متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريان من الولد فيزوم الحق وإن كان ملك الجين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢) وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس له معه إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن المجهوم على أخذ الأم والوال من خزائنه وردها إلى الملك وعلى تحليل الحيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه كأورد النهي عن السكوت على المنكر^(٣) فقد تعارض فيه أيضا محذوران والأمر فيه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستأن به على اكتساب علوم الرياضة مما يقتضي به الفلاسفة والمهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقبل على ذلك يستفوه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرباطية. أو بما قد يقرأ له من صدق الحافظ وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بغير بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفلاسفة ويتبين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك لولا قدح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت: لم أجده إلا حديث لا يقدح الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النهي عن الإنكار

إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيها بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ الفيلسوف من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يعتب على والده فقال يعظه ما لم يعصب فإن غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه ويشكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلحق بما يخاف عليه مكروهها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروهها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروهه . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع اللين بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحصة بل ربما تحرم في بعض الواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهيمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه المهجرة إن قدر عليها فإن الأكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الأكراه . الحالة الثانية أن يتنق للين جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهها فلا تجب عليه الحصة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذمه هو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الحجر أو يضرب العود الذي في يده ضربة محتطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بمحرم بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك نظنة الحقوق . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أني أقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يترين التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لأوجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بدمه خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحصة ولكن لو علم أنه لا نكاية لمجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام ودخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة للبلاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نسيعة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ يده فليخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى إلى الله عليه والذي له قال صحيح الإسناد ولترمذى وحسنه من حديث أبي بكر من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض .

في حاله عدم ذلك وإنما يقدح في حاله الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد إيقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطائه على الناس وازدراؤه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن التقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نموذجاته من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدر وضرب رقبتة فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر للسكره عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه محذور عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الأظهر لأن المقصود عدم منكر الشرع مطلقا لا من زيده أو عموره وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازم الشراب الحلال فلامع لاراقته ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكره وأما شرب الخمر فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يعيد فإن هذه مسائل قفية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يعد أن يفرق بين درجات المنكر الغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لدمج إنسانا وأكله فلامع لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فمهمه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذا الدقائق يقول : العاقل ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات الملوثة كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يظن به من الأفعال ويقتدر فيه إلى اجتهاد فالعاقل إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانتته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فإن قيل وحيث أطلقم العلم بأن يصيه مكروه أو أنه لا تنفيذ لحسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه . قلنا : الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يستقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد له بل للمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فإن قيل فالمنكر الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتدل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجوز لا يسقط الوجوب فإن ذلك ممكن في كل حاسبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والمنكر هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها ويشبهونها بوقائع الشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم : رأي قلمي ربي ، وقد يصل إلى هذا المقام تارة بإحياء الأوقات بالصالحات وكف الجوارح ووزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يادته الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مباداة من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول له وتكون عبادته الصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجرأة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والتهور الشجاع يعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكالم في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في الزواج بتفريط أو إفراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة قد لا يتفطن لمداكك الشر فيكون سبب جرائته جهله وقد لا يتفطن لمداكك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودواخيه ولكن يعمل الشر البعيد في تحذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكشف إزالة الجبن بإزالة علته وعلة جهل أوصف ويؤول الجهل بالتجربة ويؤول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تككما حتى يصير معتادا إذ البتدى في المناظرة والوعظ مثالا فيجب عن طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأزله الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم امتيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأي لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من يغاب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فان قيل فالمكروه التوقع ماحده فان الانسان قديكره كلمة وقديكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالنسبة ومامن شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدره فيه فما حدل المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر فامض وصورته منتشرة وبجارية كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فقول المكروه تقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربيع الهاككات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع للمكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة . أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذة خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا بس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله

الحسب يستبها الراتية
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها فتور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزم به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يفتر عنه . واختار
جماعة من المشايخ من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع الهم إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فيما حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسماعيل قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن حريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عن أبيه أن عيسى
ابن مريم عليه السلام
قال : رب أنبئني عن
هذه الأمة للرحومة
قال أمة محمد عليه
الصلاة والسلام علماء
أخفاء أقياء حلفاء
أصفاء حكماء سكانهم
أنبياء يرضون مني
بالتفصيل من العطاء
وأرضى منهم بالسيرة من
العمل وأدخلهم الجنة
بلا إله إلا الله يا عيسى
هم أكثر سكان الجنة
لأنهم لم تذلل ألسن قوم
قط بلا إله إلا الله كما
ذلت ألسنتهم ولم تذلل
زقاب قوم قط بالسجود
كذلت رقابهم . وعن
عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما
قال إن هذه الآية
مكتوبة في التوراة
يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للمؤمنين وكفرا
للاميين أنت عيسى
ورسولى صميتك المتوكل
ليس بقط ولا غليظ
ولا صخاب في الأسواق

عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت
وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء
إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على النكر كما إذا كان محتاجا إلى
الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخره شدة الضرر به وطول المرض وقد
يفضى إلى الموت وأغنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى
هذا الحد لم يعد أن يرخس في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا مطما
واحدا ولا قدرته على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه
لكون العالم مطمئنا له أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على النكر
محذور ولا يعد أن يرجع أحدها ويختلف ذلك بتفاحش النكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات
الدين وأما في المال فكم يمكن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس في التوكل ولا منفق
عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقر في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات
جوتا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخس له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير
ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص
يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه
ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها
منوط باجتهاد المحتسب حتى يستغنى فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالأخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب
المهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب المهوى سمى سكوته
مداينة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن
يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو المهوى وستجد كل نفس ما عملت من
سوء أو خير محضرا عند الله ولو في فلة خاطر أو فلة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بظلام للعبيد .
وأما القسم الثانى وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن
فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة
والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا
انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما
يتأذى به في الحسبة لم تنزله الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلاء بالضرب
فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلم
ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يهدى دينه بدنيته ولكل واحد
من الضرب والنهب حد في القلة لا يكثر به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألما في الضرب وحد
في السكرة يتمين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك
ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملائمة
الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير
ضرب مؤلم للبدن وهو قاذح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يجبر عنه
بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخس له في السكوت لأن المروءة أمور يحفظها
في السرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دربهات قليلة فهذه درجة .
الثانية ما يجبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب بالخيول

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو مثلها أو كلف الشيء راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست للمواظبة على حفظها عمودة وحفظ الروعة محمود فلا ينبغي أن يستعط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجمل والتحقيق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لأنهم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتعتيغه أو سقوط للزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للشكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن الغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية في حق الغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكيد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه لحوف شيء من هذه المسكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسمع في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يغوث من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتبليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يغضي إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالأزهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المذخور في نكايته في القلب وقدحه في العرض . فان قيل فله قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فان قتلهم يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا يمتنع عنه ويقاقله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل القرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقلته في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نقدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقلته في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي . فان قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسم باب المعصية . قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكننا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفنناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : إحداهما أن تكون متعمدة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وأمسكه العود والخمر فأبطل هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أغثن منها أو مثلها وذلك يثبت للأحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالتدبير يستند بكلمة المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يحزى بالبيتة السيئة ولكن يغفو ويصفح ولن أقضه حتى تمام به الله للمعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويضجوا أعينا عينا وآذاننا صما وقلوبنا غلغا فلا يزال المبد في خلوته يردم هذه الكلمة على لسانه مع مواظاة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معانها في القلب عن حديث النفس فإذا استوت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجهر في القلب وتتجهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوها ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حيث ذكر الدات

إلا بطريق الوعظ والنصح تأملاً بالتعنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق للحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فاتهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بأقامتهم من الوضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاطى معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للفتحسب بغير نجس معلوم كونه منكراً بغير اجتihad فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها . الأول : كونه منكراً ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فليحذر أن يريق خمره ويمنعه وكذا إن رأى مجنوناً يزنى بمجنونة أو بهيمة فليحذر أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال فللفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظرياً في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الأحاد وقد افترض المنكر واحتراز عما سيجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلاحسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يحجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهراً للفتحسب بغير نجس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فانت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد أسورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فإن قلت فما حد الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بعيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملامى وكذا

وهذا الذكر هو
لشاهدة والمكاشفة
وللعائنة أعم ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
القصد الأقصى من
الخلوة وقد يحصل
هذان الخلوة لا يذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكثر من
التلاوة واجتهد في
مواظاة القلب مع
السان حتى تجرى
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على البعد
سهولة في التلاوة
والصلاة ويتنور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والصلاة
ويتجوهر نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضاً ذكر الذات
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات اللأئمة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فإذا نجا يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراعمة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز قصدتها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الديل وكذلك اللأمة فإذا رأى فاسق وتحت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذي منه خمر إذ القاسق محتاج أيضا إلى الحيل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تنكر وإن كانت الرائحة قاتمة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة غيب الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكه إذا كان الثوب الساتر له رقيقة فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستمر استر الله وتشكر على من أبدى لنا صفتة والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فإذا نجا يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فإن هذا نجس ومعنى التجسس طلب الأمارات للعرفة فالأماراة للعرفة إن حصلت وأورثت للعرفة جاز العمل بمقتضاها فما طلب الأماراة للعرفة فلا رخصة فيه أصلا . الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبج ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافيا يشرب النبيذ وينسكب بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار إذ لم ينسب أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتihad غيره ولا أن الذي أدى اجتihadه في التقليد إلى شخص رآه أفضل الطاء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من للذهاب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فإذا نجا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالخالفه إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نسكب بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالاقdam عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسومات وهو أن يجمع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها في صغره ولكنه ليس يدرى ويحجز عن تعريفه ذلك لصحة أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهه ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه ويحجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجمعها فلينع أعي باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنهما طلقا منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلها بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة
عظمة للتكلم سبحانه
وتعالى ودون هذه
للوهبة ما يفتح على
العبد من العلوم
الالهامية الدنية وإلى
حين بلوغ العبد هذا
البلغ من حقيقة الذكر
والتلاوة إذا صفا باطنه
قد يغيب في الله كرم
كأن أنه وحلاوة
ذكره حق يلتحق في
غيبته في الذكر بالنائم
وقد تتجلى له الحقائق
في لبسة الخيال أولا
كما تتكشف الحقائق
للتائم في لبسة الخيال
كأن رأى في المنام أنه
قتل حية فيقول له
المبر تظفر بالعدو وتظفره
بالعدو هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
مجرد صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مجاهو منكر عند أقوم إن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لمعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله إنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلاولى وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل قسبة دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لاحسبة إلا فى مثل الخمر والحزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد إذ يصغاية البد أن يجتهد فى القبة ويترف بظهور القبة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان يختار من المذاهب ما أراد غير معتد بهولطه لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فينبى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الخشوى فى قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبى أن يعترض على الفيلسفى فى قوله الأجساد لا تبعث وإتبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهدهم إلى ما قولوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء مظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا مظهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمشكلة النكاح بلاولى ومسئلة شفعة الجوار ونظارها . فاعلم أن للسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقول فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمه وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطوهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمشكلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبق لحطه الذى هو جهل محض وجه فاذن البدع كلها ينبى أن تحسم أبوابها وتبصر على البدع بغيرهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطايم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدرى فى قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك أكثر من الله وكذلك فى قولك : إن الله يرى وفى سائر المسائل إذ البدع محق عند نفسه والحق مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أن الأجل هذا التعارض تقول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة فرية والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن اتهم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل النكرات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا يتجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الأحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

من خيال الحية فالروح الذى هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبث من نفس الرأى فى المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يرى الظفر ويصبح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة فى المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضافات أحلام لا يبر وقد يتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل المنوع منه في حقه منكرا أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا . ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عميرا إذ بينا أن المجنون لو كان زنى بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منع منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه القيم والمساfer والررض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتبينها للتفاصيل . فإن قلت فاكثف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعنا لانسان لكننا نمنعها منه كإمتناع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لأوجهها إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مفارقة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان إذا ألتف زرع غيره منع منه لحقن : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بأذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بأذنه فنثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا ألتفت فقد عذمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أننا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لئلا تلحق الجرة من السقوط فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصبح كاسرة لقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لاصيانة للبهيمة المائية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزويها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دققة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك ويستعرض لما أشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مال المسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره . وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يصب مال غيره . وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في يده أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك التقدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الانسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جوارح لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة يده وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدى غيره بنفسه نعم الإيثار مستحب ونجشم المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إجباها فلا فاذن إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السمي في ذلك واسكن إذا كان لا يتعب بتنبية صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الخلوة الخيال
النبيث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يئيب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يعلم به لنيته
في الذكر فمندد ذلك قد
ينبث في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفخ فيه روح
الكشف فإذا عاين
غيته فإما يأتية تفسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما يفسره
له شيخه كما يبر للبر
الناس ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفته في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هو معصية كانه صب أو قتل عبد مملوك لغير فهذا يجب النع منه وإن كان فيه تب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التبع ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المخذورات التي يغافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين قربان من غرضنا : إحداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللازمة ضائعة والمقتط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تضيع بل يلتقطها من يعرفها أو ترك كالوكان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكليم أمناه فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضمة نظر فإن كان عليه تب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والمقتط أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول : إن هذا القدر من التبع مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التبع بهذه الخطوات لا بعد تعب في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في المواجهة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمال ووسط يتجاوزه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمنية التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تمرق بين أجزائها المتقاربة ولكن التقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السراح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان السكر وذلك منهي عنه وهو النجس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترق السمع على دار غيره لسمع صوت الأوتار ولأن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولأن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعدده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع السكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والأولى أن يمنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نفس خاتم القمان الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولا
ثم الاستغراق في الذكر
ثانيا وعلاصة ذلك
الزهد في الدنيا وملازمة
التقوى لأن الله جعله
بما يكشف به في واقعة
مورد الحكمة والحكمة
تحكم بالزهد والتقوى
وقد يتجرد للذاكر
الحقائق من غير لبسة
الثال فيكون ذلك
كشفا وإخبارا من الله
تعالى إياه ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة
بالسمع وقد يسمع من
باطنه وقد يطرق ذلك
من الهواء لا من باطنه
كالهوائف يعلم بذلك
أمرا يريد الله إحداثه
له أو لغيره فيكون
إخبار الله إياه بذلك
مزيلا ليقينه أو يرى
في المنام حقيقة الشيء .
قل عن بعضهم أنه
أتى بصراب في قدح

الدرجة الثانية : التعريف فان النكر قد يقدم عليه التقدم بجهله وإذا عرف أنه منكرك تركه كالسواذى
يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون
مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطلف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة
إلى الجهل والحق والتجهيل إيذاء وقلم يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لاسيما بالشرع
ولذلك ترى الذى يطلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نهى على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاهدة
الحق بعد معرفته خيفة من أن تتكشف عورة جهله والطباع أحرم على ستر عورة الجهل منها على
ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح
السواتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير
ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن
إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه ببله ثم لفته
عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للمورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع آذاه
بلطف الرفق فنقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلنا العلماء
ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها وإنما شرط الصلاة الطمأنينة
في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور
كما أن تقريره على النكر محذور وليس من العقلاء من يسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور
السكوت على النكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على
التحقيق ، وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما
ويصيرك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتم العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التمسك بالوعظ والنصح
والتحذير بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد
أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يمرى
بجراه فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة
السلف وعبادة التقيين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه
ويرى إقدامه على العصية مصيبة على نفسه إذ السلون كنفس واحدة ، وهنا آفة عظيمة ينبغي
أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرميا
يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان
الباعث هذا فهذا للنكر أقبح في نفسه من النكر الذى يعترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال
من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور
للاشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في
الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة
الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى التمركز الخفى
وله محكم ومعيار ينبغي أن يتحتم المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن النكر
بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه
وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتماط ذلك العاصى بوعظه وأنزجاره
بزجره أحب إليه من اتماطه بوعظه بغيره فاهو إلا متبع هوى نفسه وتوصل إلى إظهار جاه نفسه
بواسطة حسبه فليترك الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لميسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث في العالم
حدث ولا أشرب هذا
دون أن أعلم ماهو
فانكشف له أن قوما
دخلوا كذوة لواء فيها.
وحكى عن أبى سليمان
الخواص قال كنت
راكبا حمارا الى يوما
وكان يؤذيه الذباب
فيطأطأ رأسه فكنت
أضرب رأسه بخشبة
كانت في يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
اضرب فانك على
رأسك تضرب قيل له
يا أبا سليمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
سمعته يقول كما سمعته.
وحكى عن أحمد بن
عطاء الروذبارى قال
كان لى مذهب في أمر
الطهارة فكنت ليلة
من الليالى أستنجى
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظ نفسك فان اتمظت فمظ الناس وإلا فاستعنى مني ، وقيل لداود الطائي رحمه الله : رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يتوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الهاء الدين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يبعد من جملة الفحش كقوله فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادى يا غيى وما يعجزى هذا المجزى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل وأولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) ولهذا الرتبة أدبان : أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقاق له والازدراء بمحلته لأجل معصيته وإن علم أن غلوتكم ضرب ولوا كفروا وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يعطى وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التثيير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار الغصوبة بالجبر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يعجزى مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصى دون بعض ، فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحاسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الشئ في الخروج عن الأرض الغصوبة والمسد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الحجر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله . الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلبعيته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذى أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي إراقة الخمر يتوق كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر يدينه لكننا نقصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظرف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الزموس ولوا اشتغل باراقها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتعتل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبي فتضجرت
فبكيت وقلت يارب
العفو فسمعت صوتا ولم
أر أحدا يقول
يا أبا عبد الله العفو في
العلم وقد يكاشف الله
تعالى عبده بآيات
وكرامات تربية للعبد
وتقوية ليقينه وإيمانه
قيل كان عند جعفر
الخلدى رحمه الله فص
له قيمة وكان يوما من
الأيام راكبا في السارية
في دجلة فهم أن يعطى
السلح قطعة وحل
الحرقه فوق القوس في
الدجلة وكان عنده
دعاء للضالة مجرب وكان
يدعوه فوجد الفص
في وسط أوراق كان
يتصفحها والدعاء هو
أن يقول يا جامع الناس
ليوم لا ريب فيه اجمع
على ضالتي . ومممت
شيخنا بهمدان حكاه

لأجل ظروف المحروحيث كانت الارقاة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجرب بالرجل في الاخراج عن الأرض النصبوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر . فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تسكون على الماضي والدفع على الحاضر الزاهر وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النكر لما زاد على قدر الإعدام فهو إعاقة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى للصلحة فيه . وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحجور زجراً وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيذا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام شديدة فإذا رأى الوالي باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لأحاد الرعية . فان قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن الصالح ولكن لا يتبذع للصالح بل يتبع فيها وكسر ظروف المحر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم يزول بزوال العلة ويومد بمودها وإنما جوز نأ ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لحفاء وجه الاجتهاد فيه بل تقول لو أريقت المحجور أو لا يجرى كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخنم فإذا خلت عنها فهو اتلاف مال إلا أن تكون ضاربة بالمحر لا تصلح إلا لها فكان الفعل للنقل عن الصرا الأول كان مقروناً بمعيين : أحدهما شدة الحاجة إلى الزجر والاخر تبعية الظروف للخنم التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لاسبيل إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة صعبة يحتاج المحتسب لاجتهاد إلى معرفتها . الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسر رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تهديده والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما جرى مجراه بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يحميه ويردعه وليس ذلك من الكذب المندوب بل بالبالغة مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك بما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق إلى الخلف وعدا كان أو وعيداً وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحتياج بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع النكر فينبغي أن يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحجور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خيراً لأيتام في حجرى قال اهرق المحر وأكر الدنان وفيه لث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في بعض خلواته بوله له في جيحون كاد يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همدان وولده يجيحون فلما قدم الولد أخبر أنه كاد يسقط في الماء فسمع صوت والده فلم يسقط ، وقال عمر رضى الله عنه ياسارية الجبل على التبر بالمدينة وسارية بنهاوند فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقيل لسارية كيف علمت ذلك فقال سمعت صوت عمرو وهو يقول ياسارية الجبل . سئل ابن سالم وكان قد قال للإيمان أربعة أركان ركن منه الإيمان بالقدرة وركن منه الإيمان بالحكمة وركن منه التبرى من

على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلومه الأداء بالضرب على التدرج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يرى التدرج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم ترق فتنة كاللوقص فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بزمزم معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أولأرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى وينبى أن لا يقصد القتل بل الساق والعضدوما أشبهه ويراعى فيه التدرج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين. وقالت المصنفه لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام والآحاد . الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان بشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد . وقال آخرون لا يحتاج إلى الاذن وهو الأقبح لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تخرج إلى توان والتواني إلى نواك وقد ينتهي لاهالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يأمى بلوازم الأمر بالمعروف ومنهاته تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من النزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار لعماء أهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق الناضل عن فقهه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل . ظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النواذر في الحسبة فلا يخبره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله للوفيق .

(آداب آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملة أوصافها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب : العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومحاربيها وموانعها ليقصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم بعمل يله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه العلم والورع لا يكفيان فيه فان غضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بهتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطاب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة أيضا منكرا مجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فم ينهى عنه فبه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبيد بالشرق قائما على عينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من عينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بمجواز ذلك وكونه، وحكى لي فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص يفتاد أنه قد مات فكاشفه الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر بإخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كشف بالشخص راكبا قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث

أن يكون قعيا مطلقا بل فباأمر به ونهى عنه وكذا الحلم . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وآتى مثله فانما يذرى على عقله

رأيت في السوق وأنا
أسمع بأذني صوت
للطرفة من الحداد في
سوق بغداد وكل هذه
مواهب الله تعالى وقد
يكشف بها قوم وتمطى
وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شيء
من هذا الآن هذه كلها
تقوية اليقين ومن
منع صرف اليقين
لا حاجة له إلى شيء من
هذا فكل هذه
الكرامات دون
ما ذكرناه من تجوهر
الذكر في القلب
وجوده ذكر الذات
فإن تلك الحكمة فيها
تقوية للريدن وتربية
للسالكين ليزدادوا
بها يقينا يحذون به إلى
مراغمة النفوس
واللو عن ملاذ الدنيا
ويستنهض منهم
بذلك ساكن عزمهم

ولسنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يستطأ أثره عن القلوب بظهور نفسه
لناس . قد روى من أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا نهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله (١) » وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد من
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة توطئ النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان - يابن أتم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك - .
ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن العلائق حتى تزول عنه المداينة .
قد روى عن بعض الشايع أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من
الندد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تيسر له الحسبة . قال كعب
الأخبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . ويبدل على وجوب الرفق ما استدل به المؤمنون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - فقلوا
له قولا لينا لملة يتذكر أو غمضى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . قد
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابن الله أتأذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه أدن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والسلام أعجب لأمك ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأنهم أعجبوا بك ؟ قال لا ،
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأنهم أعجبوا بك ؟ قال لا ، جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه وقلا جميعا في حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللهي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن
أمره بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا نهى عن المنكر
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه .
(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد باسناد جيد

ما أخذ منهم إلا دون حق ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان بأنا على إن لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكنفيكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من للسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تتحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه يته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرfk أمتري من ولدك ؟ فاتق الله واتزع عما أنت فيه فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للغرب التبيذ ولا شيء مما كنت فيه وأنا تأتأب فقال ادن مني قبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رفقه ثم قال : إن الناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فليكن بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتعرض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديدا البدن فيينا الناس كذلك والمرأة تصبح في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكف الرجل فوقع الرجل على الأرض ومشى جسر فدنا من الرجل وهو يترشح عرفا كثيرا ومضت للمرأة لحالها فسألوه ما حالك ؟ قال ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغفت لقوله قدمي قدمي وهتبه هبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسألتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها أخبارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصلوة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفي بكمه والمحدث على جميع نعمه .

(الباب الثالث في النكرات للآلوفة في العادات)

فتشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن النكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بمحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الخفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا ينفع النهي منه ومن رأى ميثاقا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الآثار وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في الحديث أن السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصحيح . (الباب الثالث في المنكرات للآلوفة)

(١) حديث القتاب والسمع شريكك في الإثم تقدم في الصوم .

لصارتهم الأوقات
بالقربات فيروحون
بذلك ويروقون لطرفة
من كوشف بصرف
اليقين من ذلك لكان
أن نفسه أسرع إجابة
وأسهل اقتيادا وأتم
استعدادا والأولون
استلين بذلك منهم
ما استوعروا واستكشف
منهم ما استروا وقد لا يمنع
صور ذلك الرهايين
والبراهمة عن هو غير
منتج سبل الهدى
وراكب طريق الردى
ليكون ذلك في حقهم
مكرا واستدراجا
ليستحسنوا حالهم
ويستقروا في مقار
الطرد والبعث إبقاء لهم
فيها أراد الله منهم من
الصمى والضلال والردى
والوبال حتى لا يستر
السالك يسير شيء
يفتح له ويعلم أنه

وكذلك كل ما قدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجيب الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المتكف في السجد ضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشغل به عن التطوع والله كره فليشتغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك عن غم عن الوراقه مثلا أو عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولتعه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترأس المؤمنين في الأذان وتطويلهم بعد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجملة أو الأفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب النع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يبول على أذانه في صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكرير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى يذهب غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابسا ثوبا سودا يخلب عليه الإبريسم أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الوعاظ للبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليا فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لبيته - فأعرض عنهم حتى يغفروا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الأرجاء وتجرئة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزددون بكلامه جراءة وبغفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا مريضا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الأسمار والإشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب النع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه برأى أحواله

لو مشى على الماء والهواء لا ينفسه ذلك حتى يؤدي حتى التقوى والزهدي فأما من تولى بخيال أو وقع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويدخل بالضرورة فيرفض العبادات ويستحرقها ويسلبه الله تعالى لذة للعامة وتذهب عن قلبه هبة الشريعة ويفتنع في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن القصور من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بسيرة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدام الأوراد وتوزيها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعن عائشة رضي الله عنها فقيل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامعن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بعده لمعن^(١) وأما اجتناب المرأة في السجدة المستمرة فلا يمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ السجدة مجازا أصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعظ مع التقيد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الخلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تليسا وكذبا كالكذابين من طريقة الأطباء وكأهل الشبهة والتليسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتليسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في السجدة وخارج السجدة ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتليس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام . ومنها ما هو مباح خارج السجدة كالحياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في السجدة أيضا لا يحرم إلا بمرض وهو أن يضيق الحبل على الصلين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس يحرم والأولى تركه ولكن شرط إباحتها أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ السجدة دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من القنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوقع بابه لحيف منه أن ينجر إلى الكبير فليمنع منه وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح للسجدة من قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد للنسب بمأهول مباح في نفسه خوفاً أن ذلك يكثر . ومنها دخول المجانين والصبيان والسكران في السجدة ولا بأس بدخول الصبي للسجدة إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في السجدة ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ السجدة لعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قلبه دون كثيره ، ودليل حل قلبه ما روي في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفون ويلعبون بالدرق والحرايب يوم العيد في السجدة » ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا السجدة لعبا لمنعوا منه ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكرات حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطيبا لقلبها إذ قال « دونكم يا بني أرفدة » كما نقلناه في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم السجدة إلا أن يغشى تلويشهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو خفى أو تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من السجدة والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعنى القى أو الأيذاء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن أكل التوم والبصل^(٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الحرأشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من السجدة زجرا . قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في السجدة ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح يقوم دوام المراقبة ويصلح يقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد وقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يصلح للصالحين للشيخ الطالع على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نصحه للأمة وشفقته على الكافة يريد للريد لله لالنفه غير مبتلى بهوى نفسه مجابا للاستباحتين ومن كان مجابا للاستباحتين فما يفسده مثل هذا أكثر مما يصلحه .

الباب الثامن

والعشرون في كيفية الدخول في الأربينية^(٣) روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خرقه ساجدا أربعين يوما و ليلة حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن أي النساء من بعده لمعن لمعن الساجد مثق عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج الأئمة إلا عن البخاري ومسلم وغيرهما .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين فأما لجرد الراحة فلا ، نعم إذا كان عثى بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعاه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والراحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الحر وبوصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المراجعة وإخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وطى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكنت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن ينفه المشتري عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حق تغييره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للاله وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والنهي من بيعها كاللاهى وكذلك بيع الآواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلائس الذهب والحرير أعنى التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسها إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المتخذة للقصور التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والنهي عنه واجب وكذلك تلبس الخراف الثياب بالرؤف وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيت وذلك بطول إحصاءه . فليفس عاذركناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك النصلة بالأبنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحطب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار للارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكفاية ولا يمكن النعم منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب النعم منه إلا بقدر حاجة التزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تتراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعرق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمتها بحيث لا تعرق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإفلاء منع إذا حاجة أهل البلد منس إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا يتطيقه منكر يجب منع اللالك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد

تقرر أن الوحدة

والعزلة ملاك الأمر

ومتحمس أرباب

الصدق فمن استمرت

أوقاته على ذلك فجميع

عمره خلوة وهو الأسلم

لدينه فإن لم يتيسره

ذلك وكان مبتلى

بنفسه أولاهم بالأهل

والأولاد ثانيا فيجعل

لنفسه من ذلك نصيبا .

قل عن سفیان

الثوري فيأروى أحمد

ابن حرب عن خالد بن

زيد عنه أنه قال كان

يقال ما أخلص عبده

أربعين صباحا إلا أنبت

الله سبحانه الحكمة

في قلبه وزهد الله

في الدنيا ورغبه

في الآخرة وبصره داء

الدنيا ودواءها فتعاهد

العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبديده شور البطيخ أورش الماء بحيث يخشى منه الزقاق والتمتر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينحس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينالم على الطريق أو يقعد قموذا يضيئ الطريق فكلمه أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فإن كان الموضع مرتفعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يتعن من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتعظيم الأفضاخ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجج الممنون من القواحش فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنيتها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات لرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاقس النجس في الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول له إننا نحتاج أن نغسل أيدى أولادنا نتمسح في الماء وأما أنت فمستن من يذاني وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقيصر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلمه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضى إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إعجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلنتظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محبرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صناع الأوتار أو صناع القينات . ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلو فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويغسل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالطهارة ويصلى الركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وتضرع واستكانة وتخشع ويسوي بين السريرة العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة قترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له على الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على النمارق والزرايا الفروشة فليس منكرها وكذلك على الأطباق والقصاع لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الجمار على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع مفضوبا أو كانت الثياب الفروجة حراما فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان مجزعا لمعوم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي»^(١) وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير قلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يئثر في صدره فثبتت منه شجرة من الشهوة راسخة يصير قلبها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضف معنى التحريم في حقه ولا يغلو عن احتمال العلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا أرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهيمة كالقصد والحجامة والحتان والتزين بالخلق غيرهم بل في التقريب بتعليقه على الأذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادا فهو حرام والنع منه واجب والاستتجار عليه غير صحيح والأجرة للأخوذة عليه حرام إلا أن ثبتت من جهة الثقل فيه رخصة ولم يلفنا إلى الآن فيه رخصة. ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يشكك في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان البتبع لا يتكلم يدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النواذر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك بمنزلة لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أخفى ما قبل منه فأما اتخاذ شئعة عادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصده التلبس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصده التحقيق فذلك لا جدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات. ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران: أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة تخويف مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتعميقه وهم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي مناه صرف المال إلى الناحية والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة وأما الإسراف فقد يطلق لارادة صرف المال إلى الناحية والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومنعه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث على وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل.

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا ألبتة فترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يفتنى إلى ما يسمع لأن الفتنة الحافظة والتخيلة كلوح ينتشئ بكل حرق ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجهتد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الاحرام فأذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتقي في خروجه

ولا مميصة لهم سواء فأنفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منه منه ذل تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعتمد ملوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا له ياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذيرا إن للبذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك ذل عز وجل - والدين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وزين بيانه فهو أيضا إسراف محرم وفضل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم نزل المساجد زين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه الشكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه الشكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع الشكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

(الشكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على العروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قهيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قهيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل المواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويطلعهم دينهم وفرائض شرعهم ويستعجب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرهم مفسدون فان قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عم الحرج السكاة أجمعين أما العالم فلتقصيره في الخروج وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الانسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصاعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعاش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للانسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من يتقن أن في السوق منكرا يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تنبيهه فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح لحق على كل مسلم أن يبذل نفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه في خلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد للمنزلة عند الناس وهذا أصل يفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاعلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة فعل الرضا إملاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينال فان أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فاذا قرع عن ذلك ينال وإن

كان أو بعيداً ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاعلاً بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو غيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمل أمر دينه يشغله عن تجرئة الأوقات في التفرجات النادرة والتسقي في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التمرض وتوابعه الوعظ والتخشين في القول لورا به للنع بالظاهر في الحلق على الحق بالمعرب والقوية والجائر من جهة ذلك جمع السلاطين إلى ثبوت الأوليان وما التعريف والوعظ وأما النع بالظاهر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان لأن ذلك يجرى الحركة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المذخور أكثر ، وأما التخشين في القول كقولنا : يا ظالمين لا تخافوا الله وما يجري مجراه فذلك إن كان مجرماً فتنة يتحدى شراً إلى غيره لم يجر ولأن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فقد كان من عادة السلف التضرع لأخطارهم والتصرع بالانكار من غير مبالاة بولاك للجهة والتعرض لأنواع العذاب لديهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك (١) » وقال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم » وكقوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم الصليوني في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار قسموا على ذلك موطنين أنفسهم على الملائكة عتلمين أنواع العذاب وصار بن عليه في ذات الله تعالى ومعتبين لما يذنبونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما حل علماء السلف . وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم . فنهى ما روى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكار قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روى عن عروة رضي الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت تحريشاً ثالث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وغشم آباءنا وعبادتنا وفرق جماعتنا وسب آلنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رضي الله عنه يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعي ، قال أجد نعتك قرناً من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

أراد أن يبقى في سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فقل ولازم في خلقه إدامة الوضوء ولا ينظم إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا غلبة ليله ونهاره وإذا كان ذلك الكلمة لا إله إلا الله وسبغت النفس الله كرهاً يقولها بقلبه من غير حركة اللسان ، وقد قال سهل ابن عبد الله : إذا قلت لا إله إلا الله من الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأنبتته وأبطل ما سواه وليعلم أن الأمر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فيمكن دائماً التلزم بفعل الرضا . وأما قوت من في الأربعينية

قال ففرت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ففرت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى ثم بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أنسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأتروا القوم حتى مامهم رجل إلا كأنما طي رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحبر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكركم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهم ودنهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجميع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يكي ويلكم أمتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه خنقا فهدبا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أمتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيئات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس المطاء فقام إليه أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أيك ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن النبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أباسم كلني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ^(٣) » وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدتي ولا من كد أبي فلهوا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محسن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لمرضى الله عنه قال فضاظني ذلك فنهت فقلت له أين أنت من صاحبة فضله عليه فصنع ذلك جعاً ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه عمر أن أشخصه إلى قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى قال من أنت قلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهلي ولا مال فبأذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أنته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فضاظني ذلك منه فقلت له أين أنت من صاحبة فضله عليه فصنع ذلك جعاً ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه بأكيا وهو يقول أنت والله أوفى منه وأرشد فهل أنت ظفر لي ذنب يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن يقتنع بالحيز والمخ ويتناول كل ليتقطر لاه واحدا بالبدادي يتناوله بمد المشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحيائه بالذكر والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل وإن لم يصبر على ترك الإدام يتناول الإدام وإن كان الإدام شيئا يقوم مقام الحيز ينقص من الحيز بقدر ذلك وإن أراد التملل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون القصة بحيث ينتهي قلبه في العشر الأخير من الأربعين

(١) حديث غزوة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن جبان بنامه (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فقبضه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أهلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد خفيت حملها على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم النار فأنزله ، ثم قال والذي بئسك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم يرفه عينا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حبات وأفاع فآلقه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تعجزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليته ، وأما يومه فماتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نعلني ولا زكي فأنيت لا آلوه نصحاً فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام فبماذا أنألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منموني عقلاً كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال قاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يَوْمُهُ (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حبه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهد بالصمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك السؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفضل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنعاساً لنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقفت للحاجب على الباب مدة ثم ربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخلني إلى رجل لا يحدثني ويسامرنني فأدخلتني إلى رجل لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلاهظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس بنصف رطل من أول الأربعين وتصح يسيراً كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطهي

أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس لم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هيب أعداء الله لكل إمام جائر في حكمه ضيق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس مفتحا عليه فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين قبيض عطاء على فتراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي . وكان ابن أبي عميلة يوصف بالقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسكلم قال بسم أنسكلم وقد علمت أن كل كلام تسكلم به التسكلم عليه وبال . إلا ما كان لله فبكي عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواظفون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يجيئون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك ثم قال لا جرم لأجلن هذه الكلمات مثالا نصيب عني ما عشت ، وروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفتحاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بآبي سعيد إلى إلى ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فحمد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه وثلاثه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت غاض على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكنا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا لى الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فقلت ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وخنته على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوايق مباركاته سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يعظروها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هناة فله حبه والله ما أجد فيه تولا أعدل من هذا فسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطربا فدخل بيتا خلفه وخارجنا . قال عامر الشعبي فأخذت يدا الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أنتيت شيطانا من عياطين الإنس تكلمه بهواه وتغاره في رأيه وبحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدعت أو سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قتلها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبست الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من اللوائيق - لبيئته للناس ولا يكتفونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن ينافى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطة الزيات جرى به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيطة قال نعم قال سل عما بدا لك لاني عاهدت الله عند النقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأتقول في قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تشبهك المحارم وتقتل بالظنة قال فأتقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه أعظم جرم ما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحجاج ضموا عليه المذاب قال فأتته به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوا على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى استحلوا لحمه فاصعقوا يقول شيئا قال فمقل للحجاج به في آخر رمق فقال أخرجه فاصعقه في السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

ليتين والانطار في
الليلة الثالثة ويكون
لكل يوم وليلة ثلث
رطل وبين هذين
الوقتين وقت وهو أن
يفطر من كل ليلتين
ليلة ويكون لكل يوم
وليلة نصف رطل
وهذا ينبغي أن يفعله إذا
لم ينتج ذلك عليه سامة
وضجرا وفيه اشراح
في الذكر والمأكلة فإذا
وجد شيئا منه ذلك
فليفطر كل ليلة
ويأكل الرطل في
الوقتين أو الوقت
الواحد فالتقى إذا
أخذت بالإفطار من
كل ليلتين ليلة ثم ردت
إلى الإفطار كل ليلة
تفنع وإن سومت
بالإفطار كل ليلة لا تفنع
بالرطل وتطلب الأدام
والشبهات وقس على
هذا فهي إن أطعت

المدينة وأهل الشام وقرأها فحملهاهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذان رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضربه في بيت المال ومن نيتي أن أردعه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أي قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل على في هذا تبعة وفي أشيائه من الأمور والتي فيها على ما ذكرت قال الشعبي : قلت أصلى الله الأمير إنما السلطان والله خطي . ويصيب قال فسر بقولي وأهبط به ورأيت البشر في وجهه وقال فقه الحد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن حمزة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة »^(١) ويقول إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أي قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وحق الله أن أزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فائذه يا ابن هيرة اتق الله فانه يومئذ أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هيرة إن الله ليجزئك من زيد وإن يزيد لا يمنك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسماء الله لا يرد عن القوم الجرمين ، فقال ابن هيرة إربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعله به وما يعله من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب واثق بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من ينصح لك في دينك ويعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرق ويعينك ققام ابن هيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا مروه وصلى الله تعالى عليك غنى يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا وقال الله عز وجل وقتلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن حمزة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البهقي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

طغت وإن أقتت
قتت . وقد كان بعضهم
ينقص كل ليلة حتى ردت
النفس إلى أقل قوتها
ومن الصالحين من
كان يبر القوت بنوي
التمر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يصير يعود رطب
وينقص كل ليلة جذر
نشأه العود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغيف
حتى يبقى الرغيف في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في تحليل القوت ولكن
يعمل في تأخير
التدريج حتى تدرج
ليلة في ليلة وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طوبهم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني حمى محمد بن علي قال إني لحاضر
جلس أمير المؤمنين أبي جعفر للنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
فأتى الفخاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم
في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعتم فقال الفخاريون يا أمير المؤمنين سل عن
الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير
الحق ويشيع هواه فقال قدمتم يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير
المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تغضي يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذل
تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه
فجعله في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاشي قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا
ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك
بهذا السكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقبوا
بالسوية وأخذوا بأقواء فارس والروم وأسفروا آفاقهم قال غلب أبو جعفر قباه وخلي سبيله وقال والله لولا
أنني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأنصحك من ابنك للمهدي
قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث
تقدسرتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن سألني قولك له ابنك المهدي فقال ينفر الله لك يا أبا عبد الله
كلنا مهدي كلنا كان في المهدي . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر النصور
أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأبته فلما وصلت إليه وصلت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال
لي ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم
والانتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا
أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمت لك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي
الريع وأهوى يده إلى السيف فاتممه المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت
نفسى وانبطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله سبقت إليه فان
قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمها ويزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير
المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « أيما وال مات غاشا لرعيته
حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين
قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمحملتها رواها
ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن
طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث عننا كبر وهو عندي من أهل الصدق
وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لتذكر هل بعضها طريق غير هذا الطريق ولم يعرف
صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله
في دينه فانها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر وال
بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا وفيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي
يأكل في كل أربعين
وأكثر أكلة أين
يذهب لهب الجوع عنه
قال يطعمه النور . وقد
سألت بعض السالطين
عن ذلك فذكر لي
كلما بمبارة دلت على
أنه يجد فرحاً به ينطفئ
معه لهب الجوع وهذا
في الخلق واقع أن
الشخص يطرقه فرح
وقد كان جائعاً فيذهب
عنه الجوع وهكذا في
طرق الخوف يقع ذلك
ومن فعل ذلك ودرج
نفسه في شيء من هذه
الأقدام التي ذكرناها
لا يؤثر ذلك في نقصان
عقله واضطراب جسمه
إذا كان في حماية
الصدق والاخلاص
وإنما غشي في ذلك
وفي دوام الذكر على
من لا يخلص لله تعالى .

رءوفا رحما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس تحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولموارثهم سائرا لاتنلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتجج بالنعمة عندهم وتبتس بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا ابتعت منهم قدام وراء قدام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا^(١)» فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم ييمتك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرايا فقال اقتص مني فقال الأعرايا قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه بخير^(٢)» يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها^(٣)» يأمر المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كالمبقى لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو ماتت سخلة على شاطئ القفرات ضيمة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فقد الحفصان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأعوك عن نبوت من لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورقتهم بالسياسة ليحبروا الكسير ويدلوا المهزبل على الكلاء والماء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن رويم كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو برسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتي قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضملا لم يذكر اسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقاب .

وقد قيل حدّ الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومتى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام براض الصودية ويكون هذا حدّ الضرورة لمن لا يعتمد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حدّ الجوع أن يبرق فإذا لم يقع الباب على براقه يدلّ هذا على خلوة العدة من الدسومة وصفاء البراق كالماء الذي لا يقصده الباب . روى أن سفيان

والأرض والجيال لا يبقن أن يحسنه وأغفقت منه بأمر المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن حمزة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبلا فقال له : ما معك من الخروج إلى محلك ؟ أنا علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفسكه إلا عنه فيوقف على جسر من النار يتنفض به ذلك الجسر انفضاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يباد فيحاسب فإن كان حسنا نجا بإحسانه وإن كان سيئا انخرق به ذلك الجسر فيبوي به في النار سبعين خريفا » (١) وقال له عمر رضي الله عنه عن سميت هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما فمرساها قالانم سمناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وأمهراء من يتولاها بما فيها قال أبو ذر رضي الله عنه من سلت الله أمه وألقى خده بالأرض ، قال فأخذ للتديل فوضه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكى ثم قلت بأمر المؤمنين قد سأل جندك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها » (٢) نصيحة منه لعمه وعفقه عليه وأخبره أنه لا يبقن عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأندر عشرتك الأقرين - قال « يا عباس وباصية هي النبي وباطمة بنت محمد إني لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لي عملي ولكم عملكم » (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف القتل أريب النقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوي ظلف نفسه وماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضفه فهو على شفاهلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمر ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الخطمة القدي قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الخطمة فهو المسالك وحده » (٤) وأمر أرتع نفسه وعماله فلهكوا جميعا وقد بلغني بأمر المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بتنازع النار فوضت على النار تسر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فمضى سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يظفأ لها والله يبتك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لمساتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا ممة من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها ابن أبي الدنيا هكذا مضلا بنير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا من رواية ابن المنكر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط مرسلًا (٣) حديث يا عباس وباصية وباطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا مضلا دون إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملي ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الخطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي مضلا كما ذكره الصنف.

التوري وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطويان ثلاثا ثلاثا . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطوى حنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بطوى سبعة أيام . واشتهر حال جده ناهج ابن عبد الله المعروف بسمويه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان بطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدرك زمانه وما رأته كان في أجهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى بنفسه القوت

ولو أن ذرعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها ل مات أهل الأرض من ثقل ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبيكاته فقال أنبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكبت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أتبلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي مني من اتكالي على منزلي عند ربى فأكون قد أننت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنتكما أن تصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الحصان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تهملنى طرفه عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمصبة الله أذله الله ووضع ، فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لى إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن إذنى أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أؤمن وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياى بمثل هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بحال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بمرض من الدنيا وعرفى المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجبا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند اللترزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع للنصور فى مشيه حتى ملا مسامحه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأثاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له للنصور ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامى ما أمرضى وأقلقنى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى فيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البنى والفساد فى الأرض أنت فقال وريحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدي والحلو والحامض فى بطنى قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واعتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والأجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم الإصلاح ثم سجن نفسك فيها منهم وبشت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسبت لم يذكروك وإن ذكرت لم يمينوك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال والكرام والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم مبيتهم ولم تأمر بإصلاح الظلوم ولا للهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلاولة فى هذا المال حتى

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال آتيتك حين أمر الله بغنا فيخ النار وضعت على النار ثم لم يزل ينادى بطوله ابن أبى الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة فى الأربعين ثم إنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجوده هوى مستكن فى باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استعلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نموذج باله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطى إذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضف عزيمته فى ذلك إذا علم بأنه يطوى فان صدقه فى الطى وينظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطى فإذا علم به أحد تضف عزيمته فى ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحسن فى نفسه أنه يحب أن يرى بسين التقل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحببوا عنك
 تحبي الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فإنا لا نأخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقتضوه
 حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وغنم أعظمهم الناس وهاجهم وكان أول
 من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل فإن جاء منتظم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب الظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمظالم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلج إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستغيث وهو يدفعه ويمتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربة
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يبتغي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قد قتمتها
 مرة وقد ذهب صمم ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لابتك عينك فقال أما إنني
 لست أبكي على الصية التي نزلت بي ولكن أبكي للمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب صمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان
 يركب الثيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
 رأفته بالمشركين ورقته على شع نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغيبك رأفتك
 بالمسلمين ورقتك على شع نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه
 يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرام وما ضرز وولد أباك ما كنت
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمته جوارحك فإذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل يفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شجعت عليه من ملك الدنيا
 فبكي المنصور بكاء شديدا حتى حب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي
 فيما حول فيه ولم أر من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال ودهروا مني قال هربوا منك مخافة أن تعملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك
 ولكن أفتح الأبواب وسهل الحجاب واتصروا للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب

عليهم نفسه فإن فيه
 شائبة النفاق ومن
 بطوى لله يموت الله
 تعالى فرحا في باطنه
 ينسبه الطعام وقد
 لا ينسى الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأنوار
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ومستقره من
 العالم الروحاني وينفرد
 بذلك عن أرض
 الشهوة النفسانية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانكسار
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب المستنير
 فأجل من جذب
 للفضائيس للعديد إذ
 للفضائيس يجذب
 الحديد لروح في الحديد
 مشاكل للفضائيس
 فيجذبه بنسبة الجفسيه

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعتك
 فقال المنصور : اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون أسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 فصل بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل إن لم تأتني به لأخربن عنقك واغتاط عليه غيظا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فيينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشباب فقمه حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أمتحن الله قال بلى قال أمتعرفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير قد آلى أن يقتلني إن لم آتته
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تترا قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقما مكتوبا فيه شيء فقال خذ فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج قال ومادعاء الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهاداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء ومافضله قال من
 دعاه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبقيت خطاياهم واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولايعوت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون اللطفاء وعلوت بسظمتك على العظماء وعلت ماتحت أرضك كملكك بما فوق عرشك وكانت
 وسائس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك واقاد كل شيء لعظمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيته فيه فرجا
 ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمئني أن أسألك
 ما لا أستجبه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا للشيء إلى نفسي
 فيما بيني وبينك تبودد إلى نعمتك وأبتئض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك
 فقد بفضلك وإحسانك على إنك أنت الثواب الرحيم قال فأخذته فصورته في جيبه ثم لم يكن لي هم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم ثم قال وبلك وتحسن السحر فقلت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر ينسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر
 الفسك والتعسف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قديما فبهجره سفيان ولم يرزه فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يرزه ولم يبا بموضع ولا بمصار إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله ببارك وتعالى وإخيه بين المؤمنين ومجمل
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطوئك على
 أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو جئوا لما أجداك في قلبي من المحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه وقد فتحت
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجمل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطاقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول

الخاصة فإذا تجنست
 النفس بعكس نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب بصير
 في النفس روح
 استمدحا القلب من
 الروح وأدلاها إلى
 النفس فتجلب الروح
 النفس بجنية الروح
 الحادثة فيها فيزدرى
 الأطعمة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أبيت
 عند ربى يطعني
 ويسقيني » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحسن عليه دة في أمره وجلبه لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيبة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال أهوذا بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قال عباد فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب السجد لهما يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوم قد ورد عليهم الساطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فلما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على بروس الأصابع فبقيت وأنا لما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة وعددت عني إليهم فقلت إن للصلي هوسيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولهاها بعبادته وأخذ قلبه بيده ثم رماء إلى من كان خلفه وقال يأخذكم بضكم بقرؤه فاني أستغفر الله أن أمسي شيئا منه ظالم يده قال عباد فأخذه بعضهم فله كأنه خائف من فم حية ثم شه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم للتعجب فلما فرغ من قراءته قال اتقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يعجز به وإن كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلالة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك آني قد صرمت جيلك وقطعت وذك وقلت موضعك فأنك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتفتة في غير حق وأنتفتة في غير حكمة ثم لم أرض بما فعلت وأنت ناء عني حتى كتبت إلى تشهدني على نفسك أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضيت بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضيت بذلك خلق من رعيته قد ياهرون مزرك وأعد للمشقة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزمت في نفسك إذ سلبت حلالة العلم والزهد ولذيد القرآن وبجالة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما للظالمين إماما ياهرون قدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشمت بالحجة رب العالمين ثم أقعدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويذنون ويحسدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى للنادي من قبل الله تعالى احتموا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قد مدت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأن بك ياهرون وقد أخذت بضيق الحقائق ووردت للساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فأحتفظ بوصيقي واتمظ بموعظتي التي وعظتك بها . واعلم آني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيحة غاية فائق الله ياهرون في رعيته واحفظ عهدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تستبدط بكل ما يوقظها
وإذا استبدطت
نزعته إلى هواها فالعبد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس ورزق
العلم سهل عليه
الطبي وتدبر كنهه
للمونة من الله تعالى
لا سيما إن كوشف
بشيء من الناحية
وقد حكى في غير أنه
اشد به الجوع وكان
لا يطيب ولا يتسبب
قال فلما انتهى جوعه
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بفاعحة
قال فتناولت التفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كوشفت
بحوراء نظرت إليها
عقب كسرها فحدث
عندي من الفرح
يذلك ما استغثت

بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من زود زادا فضع ومنهم من خسر ديناه وآخرته وإن أحسبك باهرون
 بمن خسر ديناه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيئك عنه والسلام. قال عبد
 القوي إلى الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقفت للوعظة
 من قلبي فنادت يا أهل الكوفة فأجابوني قتلتم لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا
 إلى بالله نانيير والدرهم قتلتم لا حاجة لي في اللال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأبيت
 بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت آتود البرذون وعليه
 السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فنهز أي من كان على باب الخليفة
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدمتم قماحا وجعل يلطم رأسه ووجهه
 ويدعو بالويل والجزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي ولدينا مالي وللك زول عن سريما
 ثم أقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ
 ويشيق فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجتبراً عليك سفيان فلو وجهت إليه فأقبلته بالحديد
 وضيق عليه السجن كنت نجهل عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الدنيا المنزور من غررتهم
 والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فاركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله فباي قدم
 عليه خدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه يحازي والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
 حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن
 خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذا قبلت هوداج هرون فكيف الصبيان عن الولوع
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون الجفاف يده عن وجهه فقال
 ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم منصوراً من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك^(١) وتم اضحك
 في سفره هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله المالا والجمالاً فاتفق من ماله
 وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. فقال
 اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين
 هؤلاء أهل الظلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري
 عليك ما يموتك أو يفيك قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله
 فبحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون الجفاف ومضى . وعن أبي اللباس الهاشمي عن صالح
 ابن اللأمون قال دخلت على الحرب الهاشمي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسمت نفسك؟ فقال كان
 هذا مرة قلت له فاليوم قال أكتهم حالي إلى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي
 ولولا أن يظني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أنا بفتي حسن الوجه مليح
 الرائحة فسلم على ثم قدم بين يدي قلت له من أنت فقال أنا واحد من السياحين أقصد التصديق في
 محاريهم ولا أرى لك اجتهداً فأبى سؤء عملك قال قلت له كتمان للصاب واستجلاب الفوائد قال

عن الطعام أياما
 وذكر لي أن الحوراء
 خرجت من وسط
 التفاحة والايمن
 بالقدر ركن من
 أركان الايمان فلم
 ولا تسكر . وقال
 سهل بن عبد الله
 رحمه الله من طوى
 أربعين يوما ظهرت له
 القدرة من اللسكوت
 وكان يقال : لا يزد
 البعد حقيقة الزهد
 الذي لامشوبة فيه
 إلا بمشاهدة قدرة
 من اللسكوت . وقال
 الشيخ أبو طالب
 للكر رحمه الله :
 عرفنا من طوى
 أربعين يوما برياضة
 النفس في تأخير
 القوت وكان يؤخر
 فطره كل ليلة إلى
 نصف سبع اليك
 حتى يطوى ليلة

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصوراً من عرفة على ناقه
 له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصوراً
 من عرفة وإنما قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني .

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه
قلت له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتُمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم
فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فسكت عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في
نياه فعلت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفي قد أثرتك به فاغسل وأعد صلاتك
فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى
دخل على المؤمنين فسلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تصير فيك أما تنق
الله تعالى فبا قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه
المؤمنون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبل فلم أجدهم في
حظا فتملقت بموعظتك لعل الحظهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك
الثوب ومناد ينادي من ولى هذا فلما أخذه قال الحرث فاختبأت عنه فاخذه أقوام غرباء فدفعوه
وكنتم معهم لا أعلمهم بحاله فانفتحت في مسجد بالمقابر عزونا على الفقى فطلبني عيناى فاذا هو بين وصائف
لم أر أحسن منهن وهو يقول يا حرث أنت والله من الكائمين الذين يخفون أحوالهم ويطيحون ربهم
قلت وما فعلوا قال الماعة بلقونك فنظرت إلى جماعة ركبنا فقلت من أنتم قالوا الكائمون أحوالهم حرك
هذا الفقى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفته شئ فخرج للأمر والنهى وأن الله تعالى أنزله معنا
وغضب لبيده . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل
عما لا يهنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم
إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليهم بالقرار
لطف قراء وانكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش
في هذه الدنان قال وإيش عليك امضى في شغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تنطشا إلى
معرفة فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى هذا خمر
للمعتضد يريد أن يتم به مجلس فقال النورى وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك المدرى فاغناظ
للملاح عليه وقال لقلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى في يده صعد إلى الزورق ولم يزل
يكسرهما دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ
ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك
الناس في أنه سيقته قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
فلما رآني قال من أنت قلت عمتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولا في الحسبة يا أمير
المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقلت بشقة
منى عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق منكرافى كلامى ثم رفع
رأسه إلى وقال كيف تخلص هذا الدين الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين
إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك
وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فابنت هية الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى
أن صرت إلى هذا الدين فامتشعرت نفسى كبيرا على أنى أقدمت على مثلك فذهمت ولو أقدمت عليه بالحال
الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت
أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بنض إلى التغيير لأنى كنت أغير عن الله
تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجي سالما

في نصف شهر
فيطوى الأربعين
في سنة وأربعة
أشهر فتندرج الأيام
والأيالي حتى يكون
الأربعين بمنزلة يوم
واحد . وذكري أن
الذى فعل ذلك ظهرت
له آيات من اللكوت
وكوشف بمعاني قدرة
من الجبروت بحلي الله
بهاله كيف شاء . واعلم
أن هذا المعنى من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أقصى غايته ولا شك
أن لذلك فضيلة لا تنكر
ولكن لا تنحصر
مواعب الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
ياكل كل يوم أفضل
من يطوى أربعين

فأمرله بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثركلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا فساد الرأيا بفساد للولك وفساد للولك بفساد العلماء بامتلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على اللولك والأكابر والله المستعان على كل حال .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمد ﷺ فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذ صفيه وحييه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؟ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشع للعارف وسرائر القلوب هي غارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينا وتجلها وتبدل المحاسن مكارها ومساوئها ومن لم يمشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية وقد كنت عزمتم أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكريرها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا معذوقة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيد مشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك مربعا عن مكارم الأخلاق والشم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطربين ولندكر فيه أوليايان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

يوما وقد يكون من
لا يكشف شيء من
معاني القدرة أفضل ممن
يكشف بها إذا كاشفه
الله بصرف المعرفة
فالقدرة أثر من القادر
ومن أهل قرب القادر
لا يستغرب ولا يستنكر
شيئا من القدرة ويرى
القدرة تجلي له من
سجف أجزاء علم
الحكمة فإذا أخلص
العبد لله تعالى أربعين
يوما واجتهد في ضبط
أحواله بشيء من
الأنواع التي ذكرنا
من العمل والذكر
والقوت وغير ذلك
تعود بركة تلك
الأربعين على جميع
أوقاته وساعاته وهو
طريق حسن اعتمده
طائفة من الصالحين
وكان جماعة من
الصالحين يختارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهاال دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيده بمجلس الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى ^(١) » ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق ^(٢) » فاستجاب الله تعالى دعائه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتهما عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أمأثرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولئن صبروا غفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليعفوا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والكاملين النيط والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كسرت رباعيته وشجع يوم أحد فبسل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى دينهم ^(٤) فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهديب ثم منه بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتكم مكارم الأخلاق ^(٥) » ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهديب الأخلاق فلأنبيده ثم لما أكل الله تعالى خلقه أنى عليه فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم آتى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لملئ خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفض سفاسفها ^(٦) قال على رضى الله عنه ياعجباً لرجل مسلم يعيشه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تادل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما آتى بسبائى طيى وقتت جارية فى السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طى الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن الروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »

(١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقالت ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتهما عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم فى قوله إنها لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث فى نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بثت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك حق من حديث أبى هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالى الأخلاق وينفض سفاسفها حق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسل ورجلها تقات .

إن رأيت أن تغلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى بفت سيد قويم وإن أبى كان يعمى القمار
 وبك العاني ويشجع الجائع ويعظم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنه حاتم
 الطائي فقال صلى الله عليه وسلم بإجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لرحمنا عليه خلوا
 عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال
 يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والله نفى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١)
 وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حنف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)
 ومن ذلك حسن الماشية وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل العروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام
 وعيادة المريض المسلم برآكان أوفاجرا وتشجيع جنازة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان
 أو كافرا وتوقير ذى الشبهة للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود
 والكرم والسباحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من
 اللهو والباطل والفناء والمغازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والفسية والكذب والبخل والشح
 والجفاء والسكر والخديعة والنيمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر
 والاختيال والاستطالة والبخذ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم .
 قال أنس رضى الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيا أو
 قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
 وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
 والوفاء بالمعهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
 وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب
 وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تهوى إماما عادلا أو
 تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة الربا لرسول
 والعلانية بالعلانية (٤) فهكذا أذب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .
 (يان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)

قال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله وإعجاب الرجل مسلم يحبه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث
 وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طيبي وقتت جارية فى السى فقالت يا محمد إن رأيت أن تغلى عنى الحديث
 ت الحكيم فى نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حنف الإسلام بمكارم الأخلاق
 ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل ويبنى عنه حديث معاذ الآتى بيده بحديث
 (٣) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له
 على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم
 فى الحلية وهى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصلوة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
 أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن جبان من
 حديث عبد الله بن سلام فى قصة إسلام زيد بن شحنة من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب
 يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين
 لم أخبرهما به يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اخترتهما الحديث .

[الباب التاسع

والعشرون فى أخلاق

الصوفية وشرح الخلق]

الصوفية وأوفى الناس

حظا فى الاقتداء

برسول الله صلى الله

عليه وسلم وأخبرهم

بأخلاقه وشرحه

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاقتداء وإحياء

سنته على ما أخبرنا

الشيخ العالم ضياء

الدين شيخ الإسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن على قال أنا أبو القاسم

عبد الملك بن أبى

القاسم المروى قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد الترياقى قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجراحى قال

أنا أبو عباس محمد بن

أحمد الهوبى قال أنا

أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من يبطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يستل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء (٨) وكان يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان يمسح أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب اليزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وانفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل لم يجد من يبطيه وفجاء الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه د من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويسع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن تريحنى منهما فقلت بدخلت على أحد من أهلي حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فنكسوتهما وأعلمتهما حتى إذا صلى الجمعة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحده شققا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة ففكرت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يستل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعلة فقيل له سأئنه إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا الحديث وسلم من حديث أنس ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صا من طعام أخذه لأهله وقال ه ثلاثين صا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية ه ثلاثين صا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفف نمله ويخيط ثوبه ويسمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سنورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال : يا بني وذلك من سنقي ومن أحيائنا قد أحيائنا ومن أحيائنا كان معي في الجنة » فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أقواله وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأتمروهم ذلك أن تحققوا

ويقطع اللحم معهن^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويجب دعوة العبد والحرة^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها^(٤) وبأكله ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والسكين^(٦) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال : أنا لا أنتصر بمشرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بصير واحد يتقوون به^(٩) وكان يصب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله^(١) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فأنسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وائم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حزنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(٢) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها^(٣) حديث كان يجب دعوة العبد والحرة هـ ك من حديث أنس كان يجب دعوة للملوك قال ك صحيح الاسناد . قلت بل ضعيف وللدارقطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوهم أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(٤) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها خ من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وخنخ الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غنخها إلى رسول الله ﷺ قبله^(٥) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(٦) حديث كان لا يستكبر أن يمشي مع السكين نـ ك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصجبة ورواه ك أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(٧) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ت في الثبائل من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تمدى الحق لم يقم لعضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .^(٨) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال أنا لا أنتصر بمشرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة البصرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك الحديث^(٩) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلين بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه
وتحسين الأخلاق
لا يأتي إلا بعد تزكية
النفس وطريق التزكية
بالإذعان لسياسة
الشرع وقد قال الله
تعالى لبيه محمد صلى
الله عليه وسلم - وإنك
لعلى خلق عظيم -
لما كان أشرف الناس
وأزكاهم قسا كان
أحسنهم خلقا قال مجاهد
على خلق عظيم أي على
دين عظيم والدين
مجموع الأعمال الصالحة
والأخلاق الحسنة .
سئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان خلقه القرآن
قال قتادة هو ما كان
يأمر به من أمر الله تعالى
وينهى عما نهى الله
عنه وفي قول عائشة
كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع^(١) ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد تمرًا دون خبز أكله^(٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلاً أكله وإن وجد لبنًا دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله ، لا يأكل متكثًا^(٣) ولا طلي خوان^(٤) مندبله باطن قدميه^(٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية^(٦) حتى لقي الله تعالى إيثارا طي نفسه لا تقرا ولا بغلا^(٧) يجيب الوليمة ويعود المريض^(٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس^(٩)

(١) حديث كان يصعب الحاجر طي بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شدّ طي بطنه حجرا وأغرب حب فقال في صحبته إنما هو الحاجر يضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بتابع طي ذلك ويرد طي ذلك مارواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثقات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال إن وجد تمرًا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلاً أكله وإن وجد لبنًا دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل طي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخبث فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب الثمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرئ من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خبث فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأيته مقبياً يأكل تمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنباً مشوياً فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فدعا بماء فمضض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واستاده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متكثاً تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان مندبله باطن قدمه لأعرفه من فعله وإنما المعروف فيه مارواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلاً ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجيب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل طي خبز الشعير فيجيب واستاده ضيف (٨) حديث كان يعود المريض ويشهد الجنائز وت وضعفه وه ك وصحبه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاستاد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس تك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يعصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاستاد .

كبير وعلم غامض
مانعت بذلك إلا بما
خصها الله تعالى به
من ركة الوحي السابوي
وحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتخصيصه
بإياها بكلمة خذوا شطر
دينكم من هـ
الحيراء وذلك أن
النفوس مجبولة على
غرائز وطباع هي من
لوازمها وضرورتها
خلقت من رب ولها
بحسب ذلك طبع
وخلقت من ماء ولها
بحسب ذلك طبع
وهكذا من حامنون
ومن صلصال كالفخار
وبحسب تلك الأصول
التي هي مبادئ تكوينها
استفادت صفات من
الهيمنة والسبعة
والشيطانية وإلى صفة
الشيطة في الإنسان
إشارة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لاهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة بردجرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس (٥) وخاتمه فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمرا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للثؤنة ليل الخلق كريم الطبيعة جميل الماشية طليق الوجه إلى أن قل متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واستاده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة وللأسكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسر دم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلم فصل لافضل ولا تقصر (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لهيعة (٤) حديث كان لاهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوتني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوتني وفيه ابن لهيعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وانها لإزاره الحديث ولا بن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأوص بن حكيم يختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الخبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمه فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبيه الحاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فأنى لأرى بريقه في خنصره (٨) حديث نختمه في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالصخر
لدخول النار في الفخار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجن من مارج
من نار والله تعالى بخفي
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ماورد
في حديث حليمة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل فينا
نحن خائف يوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذلك أخي القرشي
قد جاءه رجلان عليهما
ثياب يياض فأضجعهما
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه نشدت نحوه
فنجده قائما منتعما لونه
فاعتقه أبوه ، وقال
أي بني ما شأنك ؟ قال

رجالاً حافياً بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يمودالرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل الساكنين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم^(٥) يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يجفو على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسوة ومرة حمارا ومرة ثجلا ومرة حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يمودالرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة ومسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عرياحين انصرف من جنازة ابن الدحداح ومسلم من حديث سهل بن سعد كان لنبى ﷺ فرس يقال له : اللحيص ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولهما من حديث ابن عمر كان يأتى قبا راكبا وماشيا ومسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد ققام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نعشى في السباخ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة من حديث أنس حبيب إلى النساء والطيب ودك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يحبه الريح الطيبة لفظك وقال صحيح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء د من حديث أبي سعيد جالس في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العري الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إسنادهما حسن (٤) حديث مؤاكلته للمساكين خ من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة يث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في الثمائل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه يؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كرم كل قوم ويؤلف عليهم الحديث ولطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كرم قوم فاكرموا وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد (٦) حديث كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يجلس العباس لإجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاسناد وسكت عن الثان وفيه مسلم اللأى ضيف فأثر عليا لفضله بتقديم إسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يقيين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجفو على أحد دت في الثمائل ون في اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشئ يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بشئ أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاء في رجلان عليهما ثياب بيضاء فأضجاني فشقا بطني ثم استخرجنا منه شيئا فطرحاه ثم رواء كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى هذا قد أصيب انطلقى بنا فلزده إلى أهله قيل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم نترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت ما ردك قد كتبنا عليه حريصين قلنا لا والله لا خير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا القدي كان علينا وقلنا نخشى الأنلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ماذا لك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معذرة العذر إليه (١) يمزح ولا يقول إلا حقا (٢) يضحك من غير قهقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا ينكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها (٧) وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس (٨) ولا يعضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساتين أصحابه (١٠)

(١) حديث يقبل معذرة للعذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق الخلقون يتذرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند بلقظ قالوا إنك تداعينا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في الثمائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في السجدة وقال لهم دونكم يابني أرفدة وقد تقدم في كتاب السماع (٥) حديث مسابقتها صلى الله عليه وسلم أهله في الكبري وهو من حديث عائشة في مسابقتها لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبر من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القمقام بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قماريا حتى ارتفعت أصواتهما قتلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبأ أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالثابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغز صبي فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحى ومرة أحدا وروح بهن علينا وكانت لقاح بنى الجبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بنى قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا يزيد أن تزيد فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأبامويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر أطمعهم مما تأكلون وألبسهم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعضى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيها لا بد منه من صلاح نفسه في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءا بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خر وجهه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه ميل وإنه لكأن لا يني هذا شأن إلا أخبرنا بخبره قلنا بل قالت حملت به لما حملت حملا قط أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت به مقصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوطا لم يقعه الولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنك فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة القاضية والسياسة التامة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في قعر وفي رعاية الغنم يتنبا لأب له ولا أم فعله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والحلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقفا الله لطاعته في أمره والتأسي به في نهه آمين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

كما رواه أبو البختري قالوا ما حتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشيئة إلا جعل لها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلية (٤) وقيل له وهو في القتال لولعتم بارسول الله

(١) حديث لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا مخ من حديث سهل بن سعد عن رجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه لم يقرأ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقصر والتجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة القاضية والسياسة التامة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى وفي قعر وفي رعاية الغنم لأب له ولا أم فعله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والحلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التماثل من حديث علي بن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بإذنه وقسمه الحديث وفيه فسألته عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا فيها يمينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا يمينه الحديث وقد تقدم بضمه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلا أولادهم سفها بغير علم - وحسب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال لتجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب أني لقي صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي التهم على قراريط لأهل مكة ولأبي بلى وحسب من حديث حليلة إنما نرجوا كرامة الرضاة من والد للولود وكان يتها الحديث وتقدم حديث بشت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأمر المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط المروف ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة والبخارى من حديث أنس لم يكن لحافا ولا مائنا وسياي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى .

خاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاء بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزليل الآيات المحكمات بآرائها لقمعها تأديا من الله لئنه رحمة خاصة له وطامة للأمة موزعة بنزول الآيات على الآماء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به قؤادك ورتلناه ترتيلا - وتثبيت القؤاد بعد اضطراب بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لحلق صالح متى إما

قال : إنما بشت رحمة ولم أبش لعانا^(١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له^(٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط إلا أخار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك^(٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته^(٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بشت بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لمضلة ولا لأمي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر^(٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض^(٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطرا الأول فقال محمد رسول الله عهدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولا يكن يفتو ويصنع ، مولاه بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يآزر على وسطه هو ومن معه دعاء للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك فنته في الأنجيل وكان خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام^(٧) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف^(٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر^(٩)

(١) حديث إنما بشت رحمة ولم أبش لعانا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم قيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا واثبت بهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصفة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته تخليقا من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت وتوصله وقال فابترج يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم أيضا من حديث ابن أبي أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والسكينة حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بشت بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضلة ولا لأمي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر الشيخان من حديث أنس ما قال شيء صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فأتيتني عليه فان عاتبتني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض ، ثم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب ليس يخط إلى أن قال ولا عياب رواه في الثمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس ما عابه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعا على حصير وتوضجعا من حديث ابن مسعود نام على حصير قمام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل بكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه نحوه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر م من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل ضاحكه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظ ت وقال غريب .

تصريحاً أو تعريضاً كما
تحركت النفس الشريفة
النسوية لما كبرت
رباعيته وصار الفم
يسيل على الوجه
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسحه
ويقول: كيف يطلع قوم
خضبوا وجهه بنعيم وهو
يدعومهم إلى ربهم فأنزل
الله تعالى - ليس لك
من الأمر شيء -
فاكتسى القلب التبوي
لباس الاضطراب وقام
بعد الاضطراب إلى
القرار فما توزعت
الآيات على ظهور
الصفات في مختلف
الأوقات صفت الأخلاق
النسوية بالقرآن
ليكون خلقه القرآن
ويكون في إحياء تلك
الصفات في نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليها^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة^(٤) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما رؤى قط ماداً رجله بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للكان واسعا لا يضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته ومن حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاحفكم إذا قعتموه قال ما قعته قط إلا صاحفني الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وصماه البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي ذكر بالتونين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبياً يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه دن من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال لا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجئني التريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حينما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٧) حديث ما رؤى قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للكان واسعا لا يضيق فيه الدار قطفي في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلر مقدما ركبتيه بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ بردته فألقاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة والطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إلى كساءه ولأبي نعيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث علي الطويل وفيه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجامع مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

معنى قوله عليه السلام « إنما أنسى لأسن »
فظهر صفات نفسه الشريفة وقت استئصال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تزكي قوسهم وتشرق أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأخلاق عزيمة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى بسيد خيرا منعه منها خلقا » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى مائة وثمانية عشر

ذل الله تعالى - فبارحة من الله كنت فظا غليظ القاب لا تقضوا من حولك - ولقد كان يدعو أصحابه بكنامهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي لمن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء من السكى (٣) ويكنى الصبيان فيستلن به (٤) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول لعنينا جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

خلقنا من آفاه واحدا
منها دخل الجنة
فتقديرها وتعيدها
لا يكون إلا بوحى
سماوى لم يرسل ونبي
والله تعالى أبرز إلى
الخلق أسماء منبئة
عن صفاته سبحانه
وتعالى وما أظهرها
لهم إلا ليدعوم إليها
ولولا أن الله تعالى أودع
في القصى البشرية
التخلق بهذه الأخلاق
ما أبرزها لهم دعوة
لهم إليها يختص رحمته
من يشاء ولا يعد
والله أعلم أن قول
عائشة رضى الله عنها
كان خلقه القرآن فيه
رمز تامض ولعمارة

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنامهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أنى بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرط م وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حنن وجد منصا في بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى على الوصل من حديث سعد ابن أبى وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم بيقلة كنت أختليها بنى أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصيب بن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى للطبرانى من حديث أبى بكر تديت بكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكر (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي لمن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء من السكى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن أيمن قومى إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا ساء وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لمن كنى قال فاكتنى بابتك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان فى الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يا أبا عمير ما فعل الصغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من العلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطى النضب سريع النقى رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا ينضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه ت في الشرائع من حديث هناد بن أبي هالة (٦) حديث كان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من العلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبى الدرداء من حديث على في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ت في الثمائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك الحديث أخرجه النسائى في اليوم واليلة وك في الاستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الثمائل وابن الجوزى

أنا أفصح العرب (١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم (٢) وكان زر الكلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهمدار وكان كلامه كخرزات نظمن (٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسر دم هذا كان كلامه زرا وأتم تنثرون الكلام ترا (٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وصحبان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد (٥) وكان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه (٦) وكان جهر الصوت أحسن الناس نعمة (٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة (٨)

في الوفاء بأسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يجبرم (١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرعد والطرلاب أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك (٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس وصحبه كلام أهل الجنة عربي (٣) حديث كان زر الكلام صحيح المقالة إذا نطق ليس بهمدار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم ينحدرون حلو للنطق لا زر ولا هنر وقد تقدم وسيأتي من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم زرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحشاء (٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسر دم هذا كان كلامه زرا وأتم تنثرون ترا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الحلي في فوائده بأسناد منقطع (٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس بأسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كما سيأتي قال خ بلقي في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك ولها ك من حديث عمر التقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظها (٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بثت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم له ولفترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن (٧) حديث كان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرغبه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفعا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء ماصمت أحدا أحسن صوتا منه (٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة .

خفي إلى الأخلاق
الروائية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فصبرت عن المعنى بقولها
كان خلقه القرآن
استحياء من صيحات
الجلال وسترا للحال
بلطف اللقال وهذا
من وفور علمها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سمعا
من الثاني والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لعل خلق عظيم -
مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجنيدي رحمه الله

ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكت تكلم جلاساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويعط بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بعنه يعرض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسا وضحا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبس قال يا رسول الله بلغنا أن السبع يعني الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعا أقرى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تفتقا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى إذا تفلت شبا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفنيك الله بما يفني به المؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جميل ت في الثمائل من حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلاتك رواه مخ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكت تكلم جلاساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٥) حديث يعط بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بعنه يعرض وأنه أنزل على وجوه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن إن القرآن يصدق بعنه بعضا فلا تكذبوا بعنه يعرض وفي رواية للهروي في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعنه يعرض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعنه يعرض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسا وضحا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في الثمائل من حديث علي بن فضال ضحكوا منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبس (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبس (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبس فقال

كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاثر الخلق بخلقهم وبإينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة مكوناتها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة (١) وكان إذا سرور ورضى فهو أحسن الناس رضافاً وعظ وعظ بمجد وإن غضب وليس يغضب إلا الله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشقبه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣).

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

يارسول الله بلغنا أن السبيح الدجال يأتي الناس بالثرید وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل وورده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الغيرة بن شعبة التفق عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود التفق عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يغضب بحطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبساً منه ولطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فإذا سري عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث علي أو الزبير كان يغضب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم تبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بأفظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سرور ورضى فهو أحسن الناس رضافاً وإن وعظ وعظ بمجد وإن غضب ولا يغضب إلا الله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشائل في حديث هذبن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصره ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشقبه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى الاستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو نصر الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس الهبوبي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن النكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن

ما كثرت عليه الأبدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وبين قدميه كما يجلس الصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بغالودج فأكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال باني أنت وأنى تجعل السمن والصل في البرمة وتضعها على النار ثم تلبسهم

أى كثرت عليه الأبدى أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأبدى ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجمع له غذاء وعشاء خبر ولم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وقدميه كما يفعل للصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضافاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتفز وقال آكل كايأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في السمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتو على ركبته وكان لا يتكى . أوردته في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقباز من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كايأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أني بصحفة تخور فرفع يده منها وقال إن الله لم يطعمنا ناراً وكلامها ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وصحاه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استأثته بالراية رويناه في الصلوات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل اللوك ولاتا كل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأمركم
من مجلسا يوم القيامة
أحسنكم أخلاقا وإن
أبضكم إلى وأبدمكم
من مجلسا يوم القيامة
الثرثرون للتشديقون
للتشيقون قالوا يا رسول
الله علنا الثرثرون
وللتشديقون لما
التشيقون ؟ قال
التكبرون والثرثار هو
للكثار من الحديث
والتشديق للتناول
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الحلق العظيم أن
لا يخاصم ولا يخاصم
وقال أيضا وإنك لمل
خلق عظيم لو جدانك
حلاوة للطالمة على

ناخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقله على السمن والصل في البرمة ثم نسوطة حتى ينضج فيأتي كاري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء بالرطب ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب ^(٥)
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر ^(٦) وربما أكله بالرطب ^(٧) ويستمين باليدن جميعاً وأكل
 يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بالفولج الحديث قلت للعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبيص الخبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه غير تحمل النقي والصل، الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق ومن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفولج فرواه بإسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما صنعنا بالفولج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح
 عليهم الأرض ويغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفولج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 الفولج قال يخلطون السمن والصل جميعاً قال ابن الجوزي في اللوضعات هذا حديث باطل لأصله
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد العنبي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الرطب يمينه والبطيخ يساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه، فيه يوسف
 ابن عطية الصغار يجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فإن خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعاً عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة
 قال أكل الخبز مع العنب فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوفلي في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً بسكر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرطب من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارم يلفظ البطيخ بالرطب (٨) حديث
 استعانت باليدن جميعاً قال يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانت يديه
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويمض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك
 قبلت فنون ما أسديت
 إليك من نصي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالعة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 التقوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تفرقت
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قلل وانك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وحجبه وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى زؤانه على لحيته تكرر اللؤلؤ (١) وكان أكثر طعامه للماء والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لقل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول وباعائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتي به قياً كله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه وبرضه إلى فيه رضا ثم ينتهشه انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الخبز والسمن (١١)

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل العنب خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والفضلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه للماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبن التمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطينين ورجاله تقات وإيهامه لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لقل أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في السائل من حديث جابر أنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث باعائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى دت واستقر به من حديث سفيانة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم جباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتي به قياً كله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه دت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورضه إلى فيه رضا ثم نهشه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فانه أهني وأمرأ وت من حديثه انهش اللحم نهشاً فانه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً والشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الخبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدتمته الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

نظر فيها قال إن كان في ذلك فناء فني قوله وإنك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لأن الفناء إنما عز لمزاحة وجوده مذموم فإذا نزع للفسوم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هنالك . وقيل من أوتي الخلق العظيم فقد أوتي أعظم اللقائات لأن اللقائات ارتباطاً عاماً والخلق ارتباط بالنعوت والصفات . وقال الجنيد اجتمع

وكان يحب من الشاة الدراع والكنف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر السجوة (١) ودعا في السجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر (٢) وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحقاء التي يقال لها الرحلة (٣) وكان يكره الكليتين لساكنهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سبعة : الذكر والأثنين والثلاثة والمرارة والفندد والحيا والسم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات (٦) وماذم طعاما قط لسنن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره (٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما (٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندي خبزة يضاء من بر صمراء ملبقة بسمن الحديث قال دمنسك .
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والكنف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر السجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من ثريد ولحم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصعبه من الشاة إلا الكنف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بسة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالاسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجوة (٢) حديث دعا في السجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدبنا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامي فقال بارك الله في الجذامي وفي حديثه خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدين قل هو تمر أحمر وت ن ه من حديث أبي هريرة السجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من محبوبة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحقاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه مايوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رحله فرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنتي حيث شئت فانت شفاء من سبعين داء أدناه الصداق وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لساكنهما من البول وروناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشيخ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثلاثة والمرارة والفندد والحيا والسم ، ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فاني أناجي من لانتاجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لسنن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقالوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قوي (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أعيام :
السحابة والألفة
والنصيحة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
الطيب أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع فناء النفس
وفناء للألوفات . وقال
أبو سعيد القرشي :
الطيب هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والصفو
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام وإن
له مائة وبضعة عشر
خلقا من آتى بواحد
منها دخل الجنة ، فلا
تخلق بأخلاق الله
تعالى وجد التناء عليه
بقوله - وإنك لملي

وكان يلقى بأصابه الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة (١) وكان يلقى أصابه من الطعام حتى نهمر (٢) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (٤) وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات (٦) وكان يمسح اللسان بماء ولا يمسح عبا (٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٨) فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم (٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينصرف عنه (١١) وآتى بإناء فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه ولهما من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال واليهيق موقوف على زيد بن ثابت إني لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به (١) حديث كان يلقى الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة اليهيق في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلمعها أو تلمعها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصخرة وقال إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلقى أصابه من الطعام حتى نهمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى نهمر فلم أقف له على أصل (٣) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلمعها وله من حديث جابر فإذا فرغ فيلقى أصابه فإنه لا يدري في أي طعامه تسكون البركة واليهيق في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلقى يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أنى أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئًا فليغسل يده من ريح وضرة لا يؤذى من حذاه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس كان إذا شرب بنفس ثلاثا (٧) حديث كان يمسح اللسان بماء ولا يمسح عبا البغوى والطبراني وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضًا وشرب بماء والطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسح ولأبي الشيخ من حديث ميمونة لا يمسح ولا يلمس وكلها ضعيفة (٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد (١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبي قتادة ومعه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينصرف عنه ك من حديث أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس

خلق عظيم - وقيل عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات . وقيل لما ثبت محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن الذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فها صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له - وإنك لطفى خلق عظيم - . وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر القدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر المليخي قال أنا أبو محمد

عدل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد^(١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لاأحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموهما كل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب^(٢) وكان ربما قام فأخذ مايا كل بنفسه أو يهرب^(٣) .

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قبض أو جبة أو غير ذلك^(٤) وكان يعجبه الثياب الخضر^(٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أتى بإناء فيه عمل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموهما كل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فانه أراد أي طعام بعينه من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينه ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى فخبز وأدم من آدم البيت فقال ألم أر برمة على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لسم لو صنعت لانا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناولته فشربه منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ مايا كل أو يشرب بنفسه د من حديث أم المنذر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة بتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قبض أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه المدينة فقالت في هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الخاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجراني وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قيصا قصير اليدين والطول ودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ه ك من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله ولاصحاب السنن من حديث حمزة عليه السلام هذه الثياب البياض فليلبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنة وتكون في الابن ولا تكون في أية وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على يياض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد ^(٧)

أحياءكم وكفوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح ^(١) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السور بن محزمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقية من ديباج مزرر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال غفرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزعه الحديث ^(٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أوديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت وصححه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب ^(٣) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقيصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده بلفظ قميصا قصير الدين والطول وعندها وت في التماثل من رواية الأشعث قال سمعت عمي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصححه الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف ^(٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ده ت في التماثل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وبإيانه وإن قميصه مطلق الأزرار والبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محلولة أزاره فسأله عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وفي العلل للترمذي أنه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار ^(٥) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د ت من حديث قيلة بنت محزمة قالت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملاءتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواه موتقون ود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات ^(٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفبه الحديث وفي رواية البزار في كساء ^(٧) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولابد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السخيتاني مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا .

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان وإعطاء السائل والكفاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعتد طرفه بين كتفيه (٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز (٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ (٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه فيصلى كذلك (٥) وقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته ما رأيت شيئا قط كان أحسن من يباسك على سواده (٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٧) وكان يتختم (٨) وربما خرج وفي خاتمه الحيط المربوط يتذكر به الشيء (٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طرفه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن النكدر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قفله وثيابه موضوعة على الشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أقف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت يا أم حبيبة أيسلّي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في ثوب بعضه علىّ ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلىّ مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أقف عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يابض النبي صلى الله عليه وسلم وسوداها ورواه ك بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها البزار وأبو يعلى بلفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه والبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فصلى بالناس وإسناده صحيح وهو من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاه وفي جزء الطريف فمقدّها في عتقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث واثلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف .

يتضمن التسخط والتضرع وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحفظ العاجلة المنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاعمه تنوء بالعصبة أوى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود يتنافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من ثوبه إلا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميتا (٨)

(١) حديث كان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إثم لا يقرءون إلا كتابا عتوما فاتخذ خاتما من فضة الحديث ون ت في التماثل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة كان يغمم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في دعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة بردسرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرعما وضعا بين يديه إذا صلى وإسنادها ضعيف ولأبي داود وت من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للشركين العمام على القلانس قالت غريب وليس إسنادها بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته خ من حديث ابن عباس سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسما الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ت من حديث أبي هريرة ورجال رجال الصحيح وقد اختلف في رقبته (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ت وقال غريب وهك وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتسل بدأ يمينته وإذا خلع بدأ يساره وسندها ضعيف وهو في الاعتلال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمته خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ نوبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه قلبها قلما بلغ تراقبه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ه دون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول الرازي: حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فله بنسخة الرازي .

بفضل الله وبرحمته
فذلك فليفرحوا -
وقر عبد الله بن
للبارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل اللروف وكف
الأذى فالصوفي قراضوا
نفسهم بالمكابدات
والمجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس نجيب
إلى الأعمال ولا نجيب
إلى الأخلاق فنفس
الصاد أجابت إلى
الأعمال وججت
عن الأخلاق ونفس
الزهاد أجابت إلى
بعض الأخلاق دون
المعنى ونفس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وعبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تنقل طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحصى ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه محلاة بالنضة (٤) وكان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من نضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضباء واسم بخلته الدلدل

(١) حديث كان له فراش من أدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصراً على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تنقل طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش النبي صلى الله عليه وسلم عباءة باتين الحديث وكلاهما لا يصح وت في الشكائل من حديث خصة وسكت ما كان فراشه قالت مسح ثنيته فنام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصى ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالنضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من نضة وقيعته من نضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حريرة تسمى النمة وكانت له جعن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بخله شبيه يقال لها الدلدل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عترة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرأة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة المشق نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر وله من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن العلى مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدعى بشارا وسيف يدعى الخنم وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب أصحابها من القلبي وفي سننه الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب شهده بدرًا ولأبي داود وث وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبضة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم نضة (٥) حديث كان يلبس النطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من نضة لم أقف له على أصل ولا ابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من نضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها
أخبرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جعفر يقول سمعت
أبا بكر الكتاني يقول
التصوف خلق فمن
زاد عليك بالخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجابت قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجابت قوسهم إلى بعض
الأخلاق لكونهم
ملكوا بنور الإيمان
والتصوف أهل القرب
ملكوا بنور الاحسان
قلنا باشر بواطن أهل

وكان اسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويحرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتغنون بذلك البركة .

(بيان غفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأرغبهم في الغفوة مع القدرة حتى أتى قلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال « يا محمد والله لن أمر الله أن تعدل فأمر الله أن تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويده (٤) » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٥) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك غلى سيده فجاء أصحابه فقال جئكم من عند خير الناس (٦) وروى أنس « أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لئلا كل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلاً وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قوس: قوس اسمها الروحاء وقوس شوخط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدليل واسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بضعه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث علي: ناقته القصواء وبغلته دليل وحمارة غفيرة الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة يغفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفير ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعاً: عجورة وزمزم وسفيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفي سننه الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت نيشاة تسمى قر (٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويحرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان غفوه مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى قلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يابني الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب قرؤى في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وصحى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
اليقين وتواصل في
بواطنهم ذلك انصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بوضه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمان وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتور
انكس نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والفرية والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكاه
ويكون غا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليلسلك على ذلك قالوا أفلا نتلقاها قال لا (١) وسحر رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ العقد فوجد لذلك خفة وماذ كرك ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط (٢) وقال على رضى الله عنه «بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والذين وللقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لتزعين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حطاب بن أبي بلتعة إلى أناس من الشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حطاب ما هذا قال يا رسول الله لا تسجل على إني كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجيب إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أقبل ذلك كفر أو لارجه بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٣) . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة قال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر» (٤) وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (٥) .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه (٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية (٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه (٨) يعنى الصفرة ، وبأل أعرابي في المسجد بعضرتة فهم به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم (١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عندخ من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والذين وللقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة فقال رجل من الأنصار هذه قصة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر د من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعنى الصفرة د ت في الشامل ون في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض
كله توجه إلى الروح
بكله فيتداركه مدد
الروح ويزداد إشراقا
وتورا وكلما انجذب
القلب إلى الروح
انجذبت النفس إلى
القلب وكلما انجذبت
توجهت إلى القلب
بوجهها الذى يليه
وتور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذى يلي القلب وعلامة
تورها طمأنينتها قال
الله تعالى - يا أيها

«لا ترموه» أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لا تصالح لشيء من القدر والبول والحلاء» (١) وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فنضب للسلمون وقاسوا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت قل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الندى أو المني جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا تهورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناتيقي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قلل الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لمجة وأوفام ذمة وألنهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الاسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابي في المسجد يحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده بتصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الاسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قال إليها يقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التماثل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فماتون ألقا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمشة ارجى

إلى ربك راضية

مرضية وتور وجهها

الذى إلى القلب بمثابة

نورانية أحد وجهي

الصدق لا اكتساب

النورانية من اللؤلؤ

وبقاء شيء من الظلمة

على النفس لنسبة

وجهها الذى إلى

الفرزة والطبع كبقاء

ظاهر الصدق على

ضرب من السكر

والنقصان غشاها

لنورانية باطنه وإذا

فقال ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أتفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لى عدد هذه المضاء نهما لتقسمتها بينكم ثم لا نجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جباناً (٢)

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم (٣) قال طى رضى الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً (٤) وقال أيضاً كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأساً (٦) وكان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون نزل عن بغلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن اتبع طى فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله الحديث في الشائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروى لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم .

(بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث طى لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد جيد (٥) حديث طى أيضاً كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بأسناد صحيح ولم نروه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض النخالى مرسل (٧) حديث كان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تنق به وإن الشجاع إذا قدى يحاذى به (٨) حديث عمران بن حصين مالى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضاً وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضاً من رواية أبى جعفر مضافاً للطبرانى في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشيه للشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما روى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث طى في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأساً

تور أحد وجهى
النفس لجأت إلى تحسين
الأخلاق وتبديل
النموت وقدك سمى
الأبدال أبداً والسر
الأ كبر في ذلك أن قلب
الصوفى بدوام الإقبال
على الله ودوام التذكر
بالقلب واللسان يرتقى
إلى ذكر القدرات ويصير
حيثما يثابة العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمر والقدرة . قال

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك (٤) ويخفف النمل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وآتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فليست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رقابهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في الثمال من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كاذ كره للمنف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك ت وضعفه وك وصح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا (٥) حديث كان يخفف النمل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب للميعة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث آتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فليست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو الحديث دن من حديث أبي هريرة وأبى ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان ﷺ لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب والطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله فقال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله
القتري القلب كالعش
والصدر كالكري
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسئ أرضي ولا
سمائي ويسئ قلب
عبدى للؤمن » فلذا
اكتحل القلب بنور
ذكر اللغات وصار
بحرا مواجعا من نبات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النعمت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يمشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقه نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخير كله في الربة (٢) » وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعت عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونعت بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إنما كان للشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتحت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كالؤلؤ أطيب من السك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسيط ولا الجمد القعوط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعة تخرج كل أذن من بين غدريتين وربما جعل شعره على أذنيه فبدو سوائفه ثلاثاً وكان شبيه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في الثمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة زيادة وتقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فبدو سوائفه ثلاثاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صحيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ودت وحسنه وه من حديث أم هانئ قدم إلى مكه وله أربع غدائر وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفار الحديث وقال ليس إسناده متصل وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أفق العينين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الحديث ضليع الفم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نعت عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها ثملت بهذا البيت وأبو بكر يفضي فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وخ تليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستسقى فما ينزل حتى يجش كل ميزاب فأنشده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي علي
الفارمزي أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
البركاني أنه قال إن
الأسماء التسعة
والثمين تصير أوصافاً
لعبدة السالك وهو بعد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عتيق
هذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصف يلائم
ضعف حال البشر
وتصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنور لم يصفه واصف إلا شبهه بالتمر ليل البدر وكان يرى رضاءه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته
وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مضطفي للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين ما بينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما
الفضة المخلصة وكانت عيناه مجلاوين أدعجهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأشعار
حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أرقى العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي
متفرقا وكان إذا أقر ضاحكا أقر عن مثل منا البرق إذا تلاحا وكان من أحسن عباد الله عفتين
والطفم ختم فم ، وكان سهل الحدين صليهما ليس بالطويل الوجه ولا للكتم كث البحية وكان يفي
لحيته ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عتقه
للشمس والرياح فكان أنه يريق فضة مشرب ذهابا يتلأل في رياض الفضة وفي حمرة الذهب ، وكان صلى
الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بشا كالمرأة في استوائها وكالقمر في ياضه
موجوله ما بين لبته وسرته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن
ثلاث تغطي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم التكبين أشعرهما ضخم الكراديس : أي
رموس العظام من التكبين وللرقيقين والوركيين وكان واسع الظهر ما بين كنفه خاتم التوبة وهو
مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف
فرس وكان جبل الضدين والذراعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه
قضبان الفضة كفه ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسحا بطيب أو لم يمسا بصاغة للصانع
فيظل يومه يمد ريعها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان برعها على رأسه وكان
جبل ما تحت الأزار من القندين والساق وكان متبدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له
مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي
كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي الموهبي غير تبخر والموهبي تقارب
الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول : أنا أشبه الناس بآم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم
صلى الله عليه وسلم أشبه الناس في خلقا وخلقاء وكان يقول : إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد
وأنا أحمد وأنا للناس الذي يحو الله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر بعشر
الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامح واللقى قفيت الناس جميعا وأنا
قم (١) قال أبو الجحري : والقثم الكامل الجامع ، والله أعلم .

على قدر قصور البصر
وكل إشارات الشايع
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا الشأن والقصير
وكل من توم بذلك حيث
من الحلول ترتدي
والحمد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معانا
بوصية جامعة للخاص
الأخلاق فقال له وإمامه
أوصيك بتقوى الله
وحديث الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجابر وأسامة بن
زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى
عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب أن
أبا جعفر قال إن الأسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جابر بن مطعم لي
أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا للناس وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى واللقى ونبي
التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي اللامح وسنده صحيح .

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره الشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من هجاب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهري الشرع الذي يميز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحجة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستعداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله عواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربي القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد به بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبا ضيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملتها ما استفادنا به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى جماعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية ^(١) وأطمع النفر الكثير في منزل جابر ^(٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق ^(٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شمير وعناق ^(٤) وهو من أولاد اللز فوق المتود ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقرض شمير حملها أنس في يده ^(٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ^(٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فثرب أهل السكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه ^(٧)

(بيان معجزاته)

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شمير وعناق الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقرض شمير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقه بنت بشير في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فثرب أهل السكر وهم عطاش وتوضوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ
الجوار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل
السلام وحسن العمل
وتصر الأمل ولزوم
الإيمان والتفقه في
القرآن وحج الآخرة
والجزع من الحساب
وخفض الجناح وإياك
أن تسب حلما أو
تكذب صادقا أو تطمع
آثما أو تعمى إماما
عادلا أو تفسد أرضا
أو سيك باتقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رويوا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢) ورعى الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة بجميعه ^{عليه السلام} فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحن الجذع الذي كان يحطب إليه لما عمل له النبر حتى مع من جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه إليه فسكن (٥) ودعا اليهود إلى غي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتصونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالقبوب وأئذ عثمان بأن تصيبه بلوى بئها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدر صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشرب قال أنس بصري نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حتى رويوا منه وإسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتنوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما بسق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه نوضا وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربة البعير الحديث أحمد من حديث العمان بن مرقن وحديث دكين بن سعيد باسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٣) حديث رمية الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال الكهانة بجميعه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق (٥) حديث حين الجذع م من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى غي الموت وأخبرهم بأنهم لا يتصونه الحديث م من حديث ابن عباس لو أن اليهود تمنوا الموت لما اتوا الحديث والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يملوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بئها الجنة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة وخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين م من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب
توبة السر بالسر
والعلانية بالعلانية
بذلك أدب الله عباده
ودعاهم إلى مكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب . وروى معاذ
أيضا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
حفظ الاسلام بمكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب . أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي
باسناده المتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار (١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت للمعرفة إلا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بأعلام الله تعالى له ووحيه إليه ، وأتبعه سراقه بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى (٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء العنسي وأخبر عن قتله (٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه (٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له (٥) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدكم في النار ضربه مثل أحد فساقوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا (٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات (٧) ودعا شجرتين فأثناء واجتمعا ثم أمرهما فاقتربا وكان عليه السلام نحو الربرة فاذا مشى مع الطوال طأطأ (٨) ودعا عليه السلام النصارى إلى الباهلة فامتنعوا فرفهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا (٩) وأثناء عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بضربة وهلك أربد بضاعة أحرقت (١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو حنيفة قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول ما من شيء يوضع في اللوزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراقه بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتله وهو بصنعاء العنسي من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأمنيت شأني ما فأوحى إلي في المنام أن اتخذهما فنفضتهما فطارا فتأولتهما كذا بين يخرجان بعدى فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له من حديث عبد الله بن جعفر أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك نجيعه وتذنبه وأول الحديث عندم دون ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنفر من أصحابه أحدكم ضربه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال ابن عثيرة وهو الذي رتد وهو بالجيم وذكره عبد الله بالمهملة وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائمي والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء نفر في النار وفيه الواقدي عن عبد الله ابن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عذرة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا صخرة بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مخلوطة ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المهبر وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأثناء واجتمعا ثم أمرهما فاقتربا أحدهما من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يعبدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أثناء عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجحشي فغدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الدراع السموم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ^(٣) وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك ^(٤) وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلفح مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كأخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء ^(٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٦) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها ^(٧) ومسح ضرع شاة لالبن لها فدرت ^(٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما ^(٩) وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمم يوم خيبر فصيح من وقته وبعثه بالراية ^(١٠) وكانوا يسمعون تسييح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١١) وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها ^(١٢) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فقتل جميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

فحل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين ^(١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحشي فغدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البيهقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن السبب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل ^(٢) حديث إنه أطم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الدراع السموم د من حديث جابر في رواية له رسالة أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرقها في لحوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب ^(٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام ^(٥) حديث زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلفح مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٧) حديث أخبر نساءه أن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك ^(٨) حديث مسح ضرع شاة لالبن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد ^(٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري ^(١٠) حديث تفل في عين على وهو أرمم يوم خيبر فصيح من وقته وبعثه بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا ^(١١) حديث كانوا يسمعون تسييح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود ^(١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها م في قصة قتل أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ، وبأبيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من الثمر والشعر ويضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا إلا يعطى

في المعسكر إلا ملياً من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتعش حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك^(٣) فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل التواتر هو القرآن قط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لشيء معجزة باقية سواه عليه السلام إذ تعدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلداء الخلق ونصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ بمخوفة بألاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بعثه أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بعث هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وقال ذلك تعجيزاً لهم فجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم لشيء وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزائه وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصرًا بعد عصر وقد انقضى اليوم قريب من خمسين سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم خباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبعه في كل ما ورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى .

ثم يصود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل انقضاء العام . وكان يحصف النحل ويرقع الثوب ويغتم في مهنة أهله ويقطع اللحم معيناً . وكان أشد الناس حياءاً وأكثرهم تواضعاً فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيشي كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزأً به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صحيحه إسناد جيد وللحاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلخيص ومهاجر بن الحارث ابن عوف للزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول المراقى حديث يد طلحة الخ لم يكن بدسختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه بما للأصل فليُنظر .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين

وبيله : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب]

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي وحراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء
بمعلم

الدكتور بدوي طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي (الغربي)

From the Library of
Muhammad T. Hozien

المجلد الثالث

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)
وهو الأول من ربيع للهالكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدبش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، الستغنى في تدبير مملكته عن المشاور والوازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار الصيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكأله وغره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استمد للمعرفة بقلبه لا بمجرد من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخد بها القلب ويستعملها استعمال المالك للمبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغفرا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيملح إذا زكاه وهو الذي يغيب ويشق إذا دنسه ودماه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهل الانسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن يمتعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم اللائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبراعيه ويرصد لما يلوح من خزائن المكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طرق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

ففاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبد لينة أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكثر التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مفادرا يعلم أنه

يقيمه ويقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يسقلها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القديسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الهلكت والنجات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل الهلكت والنجات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بجوابه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في غول المساء من محيط هذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بمرضا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل اللودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للنبات ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمغالب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تعيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعاقب الاستعمل للألة بالآلة أو تعلق النعمان بالممكن وشرح ذلك مما توقعه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بالعلوم السكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصد أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفقر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا يمتد إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنفجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين اللطيفين لا تقاب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . والمعنى الثاني هو اللطيفة العالة المدركة من الإنسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح منفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يفتخر بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال علي البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غدا رطب ويكافئ عليها أو يأكلها

شرحناه في أحاديث القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تجزأ أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويتعلق بفرعائمه معيان : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات الذمومة من الإنسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »^(١) . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس الطمئة قال الله تعالى في مثلها - يأتيتها النفس الطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها سبعة عن الله وهي حزب الشيطان وإذا لم يتم سكوتها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أوامرأة العزيز - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأماراة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، وللتعلق بفرعائمه من جملة معنيين : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الإدراك فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به عمل الإدراك أعني الإدراك وهو المراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل »^(٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المخلوق قبله أومعه ولأنه لا يمكن الخطأ معه وفي الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بحملتها تنواردها عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قد قمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأسماء وقد يكتفى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه عليها ومحملتها وأعمالها ومطيتها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالسكينة فقال القلب هو العرش

ولا يستكبر عن إجابة
لأمة والمساكين وأخبرنا
أبو زرعة إجازة عن
ابن خلف إجازة عن
السلي قال أنا أحمد بن
علي المقرئ قال أنا محمد
ابن النبال قال حدثني
أبي عن محمد بن جابر
اليماني عن سليمان بن
عمرو بن شعيب عن
أبيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن من
رأس التواضع أن تبدأ
بإسلام على من أقبت
وترد على من سلم
عليك . وإن رضيت
بالقود من المجلس وأن
لا تحب الدعة والتزكية
والبر » وورد أيضاً عنه
عليه السلام « طوبى
لمن تواضع من غير

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أي عرش الله ذكره فان ذلك محال بل أراد به أنه ملكته والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرضا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - ففسبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجتدة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يطلق بفرضا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد خالفت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالافتتاح اختفت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يصون الله مأمروهم ويغفلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالم بطاعتها وامثالها والأجناف تطيع القلب في الافتتاح والانطباع على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والازاد لسفرو الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع النزول إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن الصبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يواقفه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلق الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع الهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع الهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء عالم بحرف الغذاء لم تتفعه شهوة الغذاء وإنما فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا نحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب السكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستتحت إما إلى جلب النافع الوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبنوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للآشياء كالحواس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبنوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم والحم والعصب

منقصة وذلك في نفسه من غير ممكنة مثل الجند من التواضع فقال خض الجناح ولين الجانب . مثل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه . وقال أيضا من رأى نفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب . وقال وهب بن منبه مكتوب في كتب الله إني أخرجت القدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أعده تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفتيه وكلمته ، وقيل من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو

والدم والمغزى التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرى من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بمدرؤية الشيء ينمض عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحواس المشتركة بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخييل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخييل لكان الدماغ غلو عنه كما غلوا اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأنبياء والقحول من العلماء ولكننا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان للقلب اتيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستحيان عليه استصاء بنى وعمرد حتى يملكاه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعاده الأبد وللقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة للذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية الممكرة له كالوزير الناصح والوزير المعقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحيلة له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الجائل والسم القاتل ودينته وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالى في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الهو ومعرضا عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وماسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب والحواس بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بدمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحيلة عليها وتبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم - وقال تعالى حواتج هواه فثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والعرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يهزمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو خنيس من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليتزم بحرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يفتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العبد التواضع . وقال النورى خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفى وغنى متواضع وقبيل شاكر وشريف سقى . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسأني كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني للدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بكنوده وأعوانه وأعضاؤه كرجيته والنفس الأماراة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في محاسنك ويسعى في إهلاك رعبته فصار بدنه كرباط وقهر وقسه كقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد الله إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعبته ذم الله فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك (١) كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) الثالث الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فلي كان الفارس حاذقا وفرسه مبروذا وكلبه مؤدبا بطلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جوحا والكلب عقورا فللفرسه يبعث تحت منقادا ولاكلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خلق بأن يطع فضلا عن أن ينال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلفه .

(بيان خاصة قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينا فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم السكينة الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسذل للنال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والمائل يحد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانهما موجودا في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه لدرجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

من بيتك فلا تلق
أحدا إلا رأيته خيرا
منك ورأيت شيخنا
ضياء الدين أبا النجيب
وحكمت معه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على ربوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلا
مدت السفره والأسارى
يتظرون الآواني حتى
تفرغ قال للخادم
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأندم على السفرة
صفا واحدا وقام الشيخ
من سجاده ومضى
إليهم وقصد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل باطنه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قرية الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم للكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرة للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكمرة للعلوم وقلتها وبشرف للمعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل المبادأة والكاشفة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي . الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسبك لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للتمرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تعرضوا لها (١) » والتمرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحثث والكدورة الحاصلة من الأخلاق الذمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقا (٢) » ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا قربت إليه ذراعا (٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل والتع علوا كبيرا ولكن حجب حثث وكدورة وغفل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لم تدامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلوه وعمله . أخيرا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأسا مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في القسار وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إياه . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الأبرار إلى لقاء الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس أخرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا قربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سمادته وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويغنى عنه بخاصية الكر والفر
وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصة فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصة من
صفات الملائكة القربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمصورة المنقوشة على الحائط وإعسا خاصيته معرفة حقائق الأشياء فن استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجد بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى
حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شراً تكثير وإما ضريباً ككلب أوسنور أو حقودا
كجمل أو متكبراً كذئب أو ذا روغان كغالب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
بيان طرف منه في كتاب الشكر فن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وحمله
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى الدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجرى
القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء
المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من
الأمصاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك السائر هافاتها
أصحاب أخبار يلتفتونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
وبسرها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكرًا نعمة الله وإذا عطل هذه الجلة
أو استعملها لسكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب ومآثر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه
دون عزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان محذولاً شقيماً كافراً بنعمة
الله تعالى مضيقاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق الموت والابعاد في القلب
والعاد نعوذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريد
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولاحمد من حديث
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

والنسم على فصله
والحياء من ربه وقال
يعني بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر مبع في الخلق
ولكن في الفقراء
أصح . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة بالعب و تعظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والنصيحة
من كل واحد . وقيل
لأبي يزيد متى يكون
الرجل متواضعا قال إذا
لم يرى لنفسه حقما ولا
حالا من علمه بشرها
وازدراءها ولا يرى أن
في الخلق شرا منه .
قال بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره فقل أصلها في الدين وأصفها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبعة والبهيمة والشيطنية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى لنفسه الربوية وبهيب الاستلاء والاستلاء والتخصص والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربة العبودية والتواضع ويستشهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويخرج إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالظهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يغتنص من البهائم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية ضار شريرا يستعمل التميز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطنية والسبعة والبهيمة وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير منموما لونه وشكله وصورته بل لجشمة وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلياً وبهما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضراوة والعدوان والعقور في باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والنسك والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشييطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيط السبع ويضري أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها محبباً لئلا عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسلط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسلط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهوراً تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدفق مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن عجز عن قهرها قهره واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفسك لبسيع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف القطاء عنه ترك كشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة وراءها أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره فمهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبثت على القور في خدمته وإحسان شهوته أو رأى نفسه مائلاً بين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً ماعداً يقتضيه ويتسمم مدقاً

من الكبر مع الأدب
والسخاء وقيل لبعض
الحكماء هل تعرف
نعمة لا يحسد عليها
وبلاء لا يرسم صاحبه
عليه قال نعم أما النعمة
فالتواضع وأما البلاء
فالكبر . والكشف
عن حقيقة التواضع
أن التواضع رعاة
الاعتدال بين الكبر
والضعة فالكبر رفع
الانسان نفسه فوق
قدره والضعة وضع
الانسان نفسه مكاناً
يزرى به ويغضى إلى
تضييع حقوقه قد اتهم
من كثير من إشارات
الشيخ في شرح التواضع
أشياء إلى حد أقاموا
التواضع فيه مقام
الضعة ويلوح فيه
المسوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويحثهما على استخفافه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بهادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول التهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل السالك مملوكا والرب مريوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذا العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا للقلب ويمتاله أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحبث والتبذير والتفتير والرياء والهنكة والمجانة والبعث والحرص والجشع والفاق والحسد والحقد والشبهة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاطاة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتعقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبس والتضريب والنقض والحب والحنا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولا يستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا ينتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبيل والشهامة والوآر وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتتفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار الحمودة التي ذكرناها فانها تزيد امرأة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى تتلأف فيه جليلة الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له وأعظام من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى - ألبذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار الذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى امرأة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكيفية محجوبا عن الله تعالى وهو الطابع وهو الرين قال الله تعالى - كلابر ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصنامهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كإربط السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويعلمكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصالح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع صمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين - يمشوا من الآخرة كما يمشي الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له وأعظم من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه وأعظم كان عليه من الله حافظ لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض
التفريط ويوم
أعراقا عن حد
الاعتدال ويكون
تصدم في ذلك المبالغة
في قمع نفوس الريدن
خوفا عليهم من العجب
والكبر قتل أن
يفك مريد في مبادى
ظهور سلطان الحال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلمات مؤذنة
بالعجاب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشايع لبقايا المكر
عندهم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء الصحو في ابتداء
أمرهم وذلك إذا حلق
صاحب البصيرة نظره
يعلم أنه من استراق

فاذا هو نزع وتاب سقل وإن عاد زيد فيها حتى يملؤ قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود من كوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفحة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تغلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود من كوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النفاق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كشل البقلة بعدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كشل القرحة بعدها التبيح والصديد فأى اللادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز ببقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتوضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هي ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وحصول مثال العلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتتمثله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تعص في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لحضة أمور : أحدها نقصان صورتها كجواهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل : والثاني لحضة وصده وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع للحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتمد برسبه أن يهاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يحفو على الوقت وسلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدى على رقة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وألحت وطفنت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدري وقد تقدم .

لكدورة للعاصي والحب الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته ورائقه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنباً فارق عقله لا يعود إليه أبداً» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذغايته أن يتبعه بحسنة يحويه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لازداد لأعماله إستراف القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين وتقصان لاحتية له فليست للراءة التي تزدنس ثم تمسح بالمسحاة كالتى تمسح بالمسحاة لزيادة جلاهما من غير دنس سابق فالأقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يحلو القلب وصفه وقدك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فىنا تهديهم سبنا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمراً تمسحطر للمطوب بل ربما يكون مستوجب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبئية أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متضكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها وإذا كان قصيد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذا تأملها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى . الرابع الحجاب فان لطيف القاهر لشهواته التجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكرين فى ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها النور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثها فى نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه الفناء بطرق الاعتبار فبعد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بالتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفحل والأنى ثم كما أن من أراد أن يستخرج مكملاً لم يمكنه ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الله كروا الأشى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو السانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلاً بالمرآة فانه إذا رفع المرآة زاد وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رصها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تطبع صورة القفا فى المرآة الحاذية للقفا ثم تطبع صورة

استراق النفس السمع
فليرن ذلك بيزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبصارهم
أن يجوز لعبد التظاهر
بشئ من ذلك ولكن
يجعل الكلام الصادق
وجه فى الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
فى سكر الحال وكلام
السكرانى يحمل فالشاح
أرباب التمكن لما علوا
فى النفوس هذا الداء
الدين بالقوا فى شرح
التواضع إلى حد الحقوه
بالضمة تداء والمريد
والاعتدال فى التواضع
أن يرضى الإنسان
بعزلة دوين ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جموح النفس لأوقتها

(١) حديث من قارف ذنباً فارق عقله لا يعود إليه أبداً لم أر له أصلاً (٢) حديث من عمل بمعلم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم.

هذه للآراء في الآراء الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازوورات وتعرجات أعجب مما ذكرناه في الآراء يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازوورات فهذه هي الأسباب السابعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافكل قلب فهو القطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأخفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار تطبيقاً لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستند لحمل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يثبطه عن التوضيح بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ^(١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفي السماء ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين ^(٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسمنى أرضى ولا سماني ووسمى قلب عبدى المؤمن اللين الوديع ^(٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخوم القلب قليل وما مخوم القلب هو التقى التقى الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ^(٥) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكثاف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالك البصائر فلانهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطية بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وعباده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بسببها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الخوارج كلها تصفية القلب وتركته وجلالته قد أفلح من زكاهها ومراد تركته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - بقوله - فمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجروح في جيلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالصغار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدأوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخلوقين يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعنى أرضى ولا سماني ووسمى قلب عبدى المؤمن اللين الوديع لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التكلمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه للراغب مثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن تخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وأسأصفاته وبشارة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبله وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيسمع من الأحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسلمون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكافؤ بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتظن إليه بيمينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القريين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف ، أماد درجات العلوم فمثلا أن يصر زيدا في الدار عن قرب وفي محض الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت عشي فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوتات الشاهدة للأشياء والالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لاحالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينية والأخرية)

اعلم أن القلب بغير رتبه مستند لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تجل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فنحن بها ما نقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والجماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يحد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصله هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - بياقريا وإلا فليس غنى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه وإلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضي الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبر به قوله تعالى - إنه
لا يحب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد « يقول الله
تعالى : الكبرياء ردائي
والعظمة إزارى فمن
نازعى واحدا منهما
قصمته » وفي رواية فذهب
في نار جهنم . وقال عز
وجل ردا للإنسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تعيش في الأرض
مرحا إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجال طولا - وقال
تعالى - فلينظر الإنسان
مَ خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء
خلقه من نقطة خلقه

وأيت العقل عقليين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم ي «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم ي «إذا تحرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك»^(٢) إذ لا يمكن التقرب بالفرية الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناس العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أوجن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وضياف نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالقارص والبدن كالفرس وعمى القارص أضرب على القارص من عمى الفرس بل لانبية لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال - ما كذب القواد مارأى - عمى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يمرض فى معرض الامتنان ولذلك عمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدمعائه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسمع عن العقل فالداعى إلى بعض التقليد مع عزله العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مفرور فواك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والطوبى الشرعية كالأدوية والشخص الرضى يستغنى بالنعاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفاد من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

تقدر مسوقاً قال بعضهم
بعض التكبرين أولئك
نظفة مذرة وآخرك
جيفة قدرة وأنت فيها
بين ذلك حامل المذرة
وقد نظم الشاعر هذا
للنبي :

كيف يزهو من رحيمة
أبد الدهر ضحيمة
وإذا ارتحل التواضع
من القلب وسكن
التكبر انتشر أثره فى
بعض الجوارح وترشح
الاناء بما فيه فتارة
يظهر أثره فى الضيق
بالتمايل وتارة فى الخد
بالضمير قال الله تعالى
- ولا تصغر خدك
للناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استمضاء
النفس قال الله تعالى
- لوآوا رءوسهم
ورأيهم يسدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل الحكيم فى نوادر الأصول باسناد ضعيف
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من
حديث على باسناد ضعيف .

لرئيس بما جلت البادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرضيع بالثديا وظن
من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن غيبي
في عين البصيرة نفوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز
عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتخير به فيفسل من الدين انسداد الشرعة من العبيد وإنما
ذلك لأن هجزه في نفسه خيل إليه نقضا في الدين وهيات وإتمامه مثاله الأعمى الذي دخل دار قوم
فتمش فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك
الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعمالك فالمعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على
عمالك وإنما تحيلها على تصغير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم
إلى دنيوية وأخرى فالدينية كعلم الطب والحساب والهندسة والجوهر وسائر الحرف والصناعات
والأخرى كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم
وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر
على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والغرب وكالضربتين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي
علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهلا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة
جهلا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفي بالأمور جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من
الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله (١) » أي البله في أمور
الدنيا. وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدر كنا أقواما لو رأيتهم لقمتمهم ما نزلوا وأدركوكم كما قالوا
غياطين فلهما صمت أمرا غريبا من أمور الدين جحد أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك
بحودهم عن قبوله إذ من الحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري
أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الدين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأننوا بها -
آية وقال تعالى - يطمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل
- فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مباهمة من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار
في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء
للتؤيدون روح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما
قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها
فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم
فالتدريس يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى
اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد
أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو
مشاهدة الملك للخلق في القلب والأول يسمى إلهاما وثقا في الزرع. والثاني يسمى وحيًا ويختص به
الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفاء والذي قبله المكتسب وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله، البرار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة
وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر.

مستكبرون - وكان
الكبر له انقسام على
الجوارح والأعضاء
تنشعب منه شعب
فكذلك بعضها كشف
من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير
ذلك إلا أن العزة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالضعف
والتواضع بمحمود والضعف
مذموم والكبر
مذموم والعزة محمود
قال الله تعالى - وقه
العزة ولرسوله
وللمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا يهل
لمؤمن أن يذل نفسه
فالعزة معرفة الإنسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضمها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإيماناً حبل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرأتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فيجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتعام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف النظار وينكشف أيضاً في اللحظة حق يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمح في القلوب من وراء ستار الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالى إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكلمة وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحي بأذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرسوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنعه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولى لقلب عبده وللتكفل له بتتويجه بأنوار العلم وإذ اتولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر اللسكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلاذت فيه حقائق الآمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يشتهه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبرى من علاقاتها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بقطع علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يغلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع المهم ولا يفرق فكره براءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يعجى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يعجى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر أفايه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بمسأله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحهم على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلعب لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأنى خرواً إن عاد قد ثبت وقد يكون محطاً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

حاجة دينية كما أن
الكبر جهل الإنسان
بنفسه وإزالتها فوق
منزلتها . قال بعضهم
الحسن ما أعظمك في
نفسك قال لست بعظيم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة غير
مذمومة وفيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء
الراسخين والسادة
للقرين ورؤساء
الأبدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط ، وأما النظر وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإنضائه إلى هذا المقصد على الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا أن نحو الملائق إلى ذلك الحد كالمشعر وإن حصل في حال ثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل وبمرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطعن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي ذلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لافتتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أو تقي وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قعيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعايق وأنا أيضا ربما انتهت بي الرياضة والوظيفة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكدور فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس)

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذى التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونبيه فإن النفس لطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نبيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن انتهت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجهه ذلك أن يترك مشيئة لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لحاق نور للشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب

اعلم أن محجبات القلب خارجة عن مدركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن تقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا عفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يغمر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محجبات أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب اللائكة القربين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في يده ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورة تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم ينفض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها ، أحمد و ك وصححه من حديث للقناد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم للوجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الوجود موافق للنسخة الوجود في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسدي وبقية وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال وبقية وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على صغر حجمها بحيث تنطبق صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فأنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما يبين ذاتك فسيحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوبا أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعبائنها . ولترجع إلى الغرض التصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يعكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم اللسكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللاتسكة وباب مفتوح إلى الحواس المحسوسة المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم اللسكوت نوعا من المأكاة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا ينبغي عليك وأما افتتاح بابه الداخل إلى عالم اللسكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فعمله علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق الفردون قيل ومن هم الفردون يا رسول الله ؟ قال المتزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم^(١)» ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم اللسكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وترده بين عالم الشهادة والقياس لا يمكن أن يستقصى في علم العاملة فهذا مثال يملك الفرق بين مدخل الطالبين .

النفس وفي ذواتها صفاءها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع الحق والخلق لموافقها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لتبينها عليه السلام في أوطن القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت «قعدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا مني أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد صاجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخیالی وآمن بك

(١) حديث سبق الفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قالوا كرون الله كثيرا والله أكرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أوزارهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامها ضعيف .

المثال ٢١ في معرفتك الفرق بين العاملين : أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصقلها قسط ، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهاوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والنصوير فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ القرية ما لا يتحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يعملون جانبهم ويستقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فحجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقبل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم بدلاً منه محجبات الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد احسن جانبهم بمزيد التصقيل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتركته وصفائه حتى يتلافى فيه جليلة الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم . فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفائه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكحل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كانه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسمى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم - وقد روى في الخبر « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام قدميه فيضئ مرة ويظنئ أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فثنى وإذا أطفئ قام ومرورهم على السراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاتقاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إبهام قدميه يحوجبوا على وجهه وبديه ورجليه يمر يداً ويلقى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهاى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب البارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة (٢) » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدميه الحديث الطبراني ولا من حديث ابن مسعود قال لا صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى
وها أنا ذا بين يديك
يا عظيم يا ظافر القديب
العظيم « وقوله عليه
السلام « سجد لك
سوادى وخيالى »
استقصاء في التواضع
بمحو آثار الوجود حيث
لم تتخلف ذرة منه عن
السجود ظاهر أو باطن
ومنى لم يكن للصوفى
حظ من التواضع
الخاص على بساط
القرب لا يتوفر حفظه في
التواضع للخلق وهذه
سعادات إن أقبلت
جاءت بكيتها والتواضع
من أشرف أخلاق
الصوفية . ومن أخلاق
الصوفية : للدائرة
واحتمال الأذى من
الخلق وبلغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولاً وأن من قلبه مثقل فانه لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان للؤمن» (١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوثن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلاً للمؤمنين على السالمين وللرأد به للؤمن العارف دون القلة . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم للؤمن يقع على القلة وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - وقاله يرفع الله العالم فوق المؤمنين بسبعائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الأبواب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم النقص والحسرة والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كمنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى الغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم النقص على من يخسر حظه من ذلك ولولا آخره أكبر درجات وأكبر تفضيل .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

الفرقة لامن التعلم ولا من الطريق المتعاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عز وجل ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن الله جاعل لكم فرقة نورا قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائهم سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نوراً وذنني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظمي» (٥) و«مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلاً من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وذاه جماعة ناقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بئر واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يئمن طعاماً ولا ينهر خادمه . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس الجبوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلفظ الإنسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده أحسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الأبواب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقعه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نوراً وذنني نوراً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل» (٢) وقال على رضى الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من ربه - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - ففهمناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم ، وكان أبو البرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويهربه على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى» (٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للتوحيين - وقوله تعالى - قدينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان فلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع» (٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال عليه السلام «إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم» (٦) وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدث هو اللهم وللهم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يوقنون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء يلاحظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائل تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما نشأ رضى الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضى الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فخره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شزرا وتاملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين

(١) حديث مثل عن قوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب وك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها في كتابه ليس هذا بالتعلم (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأم محدثون فإن بك في أمي أحد فانه عمر رواء م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال شيء صنعته لم سنته ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خمت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أولاً عزرتك فقلت أوحى بدائي ؟ قال لا ولكن بسيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن
 أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فראيت قبرا عليه خرفتان قلت في نفسي هذا وأشابه كل على
 الناس فناداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فناداني وقال - وهو الذي
 يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي
 الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعبال ولم يعرف له سبب يميش به قال فلما قلت قلت في نفسي من
 أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى أطافا خفية . وقال
 أحمد النقيب دخلت على النبل فقال مفتونا يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جفري غاطري
 أنك غيل قلت ما أنا غيل فناد من خاطري وقال بل أنت غيل قلت فأتق الله اليوم على بشي ؟ إلا دفتة
 إلى أول قهبر يلقاني قال لما استم الحاطر حتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً
 فقال اجلس في مصالحك قال وقت فأخذتها وخرجت وإنا بفقر مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه
 فتدتمت إليه وناولته الله ناير فقال أعطها للزبن قلت إن جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك
 إنك غيل قال فناولتها للزبن فقال للزبن قد عقدنا لما جلس هذا القهبر بين أيدينا أن لا تأخذ عليه
 أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذهله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي
 دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من
 عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير
 التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده مسلما عليه فحضرت صلاة للغريب فلم يكذب
 يقرأ الفاتحة مستويا قلت في نفسي ضاعته سفرني فلما سلم خرجت إلى الطيارة فقصدي سبيع فحدث إلى أبي
 الخير وقلت قصدي سبيع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تعرض لضيفاني فتحنى الأسد فطهرت فلما
 رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فغفتم الأسد واشغلنا بتقويم البواطن فغافنا الأسد . وما حكى من
 غرر الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأرم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة
 الحضر عايه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الملائكة ومن فزون الكرامات خارج عن الحصر
 والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي
 لا يقدر أحد على جحد أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القهبر وإذا جاز ذلك في النوم
 فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم
 من مستبظ غائص لا يسمع ولا يصر لا يشغل نفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 القهبر وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره إذ النبي عبارة
 عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بأصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف
 بالحقائق ولا يشغل بأصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا
 الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرب إلى القلب بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكوت من داخله
 القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروح والوحي فإذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم
 ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه فهذا ما ينبغي على حقيقة ما ذكرناه من
 عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المخرج
 إلى التمييز وكذلك مثل اللامكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار هجاب القلب ولا
 يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فليقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحاث على المجاهدة وطلب الكشف
 منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئا من ذكرى الحق عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر
 وجوهر الانسان العقل
 وجوهر العقل الصبر .
 أخبرنا أبو زرعة
 طاهر عن أبيه الحافظ
 للقدس قال أنا أبو محمد
 الصريفي قال أنا
 أبو القاسم عبيد الله
 ابن حباب قال أنا
 أبو القاسم عبد الله بن
 محمد بن عبد العزيز قال
 حدثنا علي بن أحمد قال
 أنا شعبة عن الأعمش
 عن يحيى بن وثاب
 عن شيخ من أصحاب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قلت من
 هو قال ابن عمر عن
 النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال لا يؤمن
 الذي يباشر الناس
 ويصبر على أذى خير
 من الذي لا يغالطهم

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعدك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألتصبا
تكتبان القرائن قالا بل قلت فيكفيك ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكائين لا يطمعون على أسرار
القلب وإنما يطمعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهابه فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأعجب جواب صمته فسأله عن التفاته فقال لم يكن
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الثمال فقال لا أدري فسألت صاحب النجيين وهو أعلم منه
فقال لا أدري فظننت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبته فآذاهوا أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي حديثين وإن عمر منهم » وفي الآخر : إن الله تعالى يقول أيا ما عبد اطلعت على قلبه فرايت
القالب عليه التمسك بكري تولى سياسة وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضرورية حولها أبواب مغلقة فأى باب فتش له عمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة لللكوت وللألمى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد احرصوا ما تسمعون
من اللطيفين فأنهم يجعل لهم أمور صادقة . وقال بعض السلف يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .
(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة ضرورية لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضا
مثال هدف تصب إليه سهام من الجواب أو هو مثال المرأة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تغفل عنها أو مثال حوض تصب فيه مياه مختلفة فمن أنها مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الأنوار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالحواس الخمس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق الركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئا
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والمقصود أن القلب
في التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكاته علوما إما على سبيل التجدد وإما على
سبيل التذكر فأنها تسمى حواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والحواطر هي المحركات
للارادات فان النية والعزم والرغبة إنما تكون بعد ظهور النوى بالبال لاجتماع مبدأ الأفعال
الحواطر ثم الحواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء
والحواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافترقا إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود
يسمى إلهاما والخاطر اللئيم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استقار حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقفه ولسود بالهخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته
سببان مختلفان فسبب الحواطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب الحواطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا

ولا يصبر على آفامه
وفي الخبر : أيسر أحكم
أن يكون حكما
ضمضم قيل ماذا كان
يصنع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح قال
اللهم إني تصدقت
اليوم برضى على من
ظلمني فمن ضرير
لا أضربه ومن غشني
لا أشتبه ومن ظلمني
لا أظلمه . وأخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
المروى قال حدثنا
الرياق قال أنا الجراحى
قال أنا الجبوتى قاله
أنا أبو عيسى الترمذى
قال ثنا ابن أبي عمير
قال ثنا سفيان عن
محمد بن السكندر عن
عروة عن عائشة
رضى الله عنها قالت

واللطف الذي يهبأ به القلب لقبول الإلهام الخير يسمى توفيقا والذي به يترأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تنفتر إلى أسامي مختلفة وللك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالفقر بالسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها مقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعد باق من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدكم الفقر ويأمركم بالمعصاء - (١) الآية وقال الحسن إنما هما يمولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاء وما كان من عدوه جاهدته وتجادب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصمين من أصابع الرحمن » (٢) فانه تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لقعه في الثقليل والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسغار الملك والشيطان وهما مستغران بقدرته في قلب القلب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلا والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يرجح أحدهما على الآخر وإنما يرجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومغالقتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرته وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق اللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقرا لللائكة ومهيأ لهم ولما كان لا يغلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشبهة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير » (٣) وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وخاضق بجاه وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي لللائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلافا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالسوس الداعية إلى إثارة العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها باتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بشئ ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم ألتفت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو بدعه الناس إثماء لحقه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فهاشئ يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن الإدارة والنفس

(١) حديث في القلب لثان لمة من الملك إبعاد بالخير الحديث ت وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصمين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشهوات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملازمة . وقال جابر بن عبيدة العدوي
عشكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي
يمر به القصوص فإن كان فيه شيء عاجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله
الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو
عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من أخذ إلهه هواه -
وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١]
للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال
له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني ^(٢) »
وفي الخبر « إن للوثنوة شيطانا يقال له الولهان فاستعينوا بالله منه ^(٣) » ولا يجوز وسوسة الشيطان
من القلب إلا ذكر ماسوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه
من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان
وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد
جميع وسوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللقون الغالب عليهم
ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى
- إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى
قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس
واقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين
النور والظلام وبين الليل والنهار ولضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر
الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم
فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه ^(٤) » وقال ابن وضاح في حديث
ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يفلح ^(٥)
وكأن الشهوات مخترجة بلعم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطه
بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم فضيةوا مجاريه بالجوع ^(٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولأجل
اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقمن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص
(٢) حديث إن للوثنوة شيطانا يقال له الولهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب
وابن إسناد بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن
آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى اللوصلى وابن عدى في الكامل
وضغفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان يده وجهه
وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم
[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص، وفي العراق
ما يشير لذلك هـ .

لازال تشتمز من
بكس مرادها
ويستغزها الفيظ
والغضب والمداواة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وتغورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن ينفذه
دعاه الله يوم القيامة على
رءوس الخلائق حتى
يخيره في أى الحول
شاء » . وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل هين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال آتى
النبي عليه السلام رجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن فمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق. قعد له بطريق الاسلام فقال أسلم وترك دينك ودين آباءك
 فصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فصاه وهاجر ثم قعد له
 بطريق الجهاد فقال آجاهد وهو تلف النفس والمال فقاتل فقتل فتسكح نساؤك ويقسم مالك
 فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فثبات كان حقا على الله أن
 يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر
 للمجاهد أنه يقتل وتسكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالشاهدة وكل خاطره سبب ويقتضي إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بصبائه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « ما من أحد إلا وله
 شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان
 والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم العامة بل
 مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل لمصادمة الخواطر الباعثة على الشر
 قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاحالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لاحالة ، فيبني أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة
 من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فيبني للعدو أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه
 ومكانه ، نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كاف للأمين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذج الله منه وحقيقة اللائكة فذلك ميدان العارفين
 المتفكرين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم العامة إلى معرفته ، نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان
 أن يمرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك فامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان
 لا يقدر على دعاتهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر
 إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تقدم
 من العاطب بصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
 تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لمسخه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف للستقيم ؟
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الجبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بعد
 ذلك إلى أن يترن لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أمثاله يؤكده فيه شواهد
 الرياء وقبول الخلق واثمة الجاه والتميز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج

بملك إنما أنا ابن امرأة
 من قريش فكانت
 تأكل القديد وعن
 بعضهم في معنى لين
 جانب الصوفية :
 هينون لينون أيسار
 بنويس
 سواس مكرمة أبناء
 أيسار
 لا ينطقون عن الفحشاء
 إن نطقوا
 ولا يمارون إن ماروا
 إلى كثار
 من تلقى منهم تقل
 لاقت سيدهم
 مثل النجوم التي يسرى
 بها السارى
 وروى أبو الدرداء عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرفق فقد أعطى
 حظه من الخير ومن
 حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح (٢) حديث ما من أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلّم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيه لك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١). «وإن الله ليؤيده هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ولذلك روى أن إبليس لعنه الله يمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تليبيسات وتليبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتهى وبها يهلك الممّاء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق من يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسند ذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب التروير في آخر هذا الريع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تليبيسات إبليس] فانه قد انتشر الآن تليبيسة في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتليبيسات الشيطان ومكاييده حتى على الصمد أن يقف عند كل مخطر له ليعلم أنه من لمة للملك أولمة الشيطان وأن يعمن النظر فيه بعين البصيرة لاهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أى رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أى ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتليبيسة بتأبئة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشمر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنة فإذا هي سيئات ، وأغشى أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسالك يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قديقوى بحيث لا يتفادله ويدفع عن نفسه شره بالجهاود ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن بأيا سعيد أيتام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لخلص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في سفره» (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت ولم ذاك قال تذبيني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أغنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التى تقضى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حظه من
الخبر « حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
إسماعيل قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله الساليني قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الداودي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحموي السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر
السمرقندي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
ثنا عبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
العرب قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما نأمرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب اللاتسكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليل مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هي القلب الصافي بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغرير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى خواص طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليأجلها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعتها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك قتل مائت قتلها ودقها قاتل الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال مائت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خفيها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبرياء وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسن فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البهس إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتعوذ بالله من تضيق أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بخزاسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلته ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية تخفيها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسل وللحاكم نحوه موقوفا على أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطيخ في مسنده من حديث على (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من رجع حول الحمى يوشك أن يواقه لفظ ع .

يوم حين وفي رجل
فعل كشيعة فوطئت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فتفتحت فتحة بسوطي
يده وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
نفسى لأمسا أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بليعة كما يعلم الله
فلما أصبحنا إذا رجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان معي
بالأسس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطئت بملك على
رجلي بالأسس فأوجعتني
فتفتحت فتحة بالسوط
فهذه غمانون نعمة
نخذها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإيثار
والواسة وعملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات البدوهى كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فقال له يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برمائه وكلك تسكبا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى أن يتوب لى قال موسى نعم فلما صدق موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأرسل النزول قال له ربه أذ الأمانة قال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فأتى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك لى حقا بما شفعت لى إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم ، اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان فغضت فى أنه لا يدري ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فأتى ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فأتى رسولها إليك وسو لك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال أخذه عند الغضب وعند الهوى ، قد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على كل شئ أهماه حرصه وأسمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك لئى يسمى ويصم ^(١) » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يصرف عنه الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم منك فقال له نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخافانى بهما أهلك الناس : الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرص فإنه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبحت حاجتى منه بالحرص . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا إبليس ما هذا للماليق ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما شبعت فتقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له لى أن لا أملا بطنى من الطعام أبدا فقال له إبليس والله لى أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال فى كثرة

(١) حديث حبك لئى يسمى ويصم أبو داود من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة
البشر شرماً يؤثرون
بالموجود ويصبرون على
اللفقود . قال أبو يزيد
البيضاوى ما غلبنى
أحد ما غلبنى شاب من
أهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لى يا أبا يزيد
ما حد الزهد عندكم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا قدنا صبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلخ قلت له وما حد
الزهد عندكم ، قال
إذا قدنا شكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقاله
ذو النون من علامة
الزهد للشروح صدره
ثلاث : تخريق المجموع
وترك طلب اللفقود
والإيثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يبيع فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستغره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة بالكفر ثم يؤذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد الله بن حنظلة قال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فإن كان خيراً أخذت وإن كان شراً رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحد غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك الثبات في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان » والثاني من الله تعالى (١) وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان عجولاً - وقال لنبى صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل ونحوه والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا للامسكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أننى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبوابه العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبث من قلبه عشر شهور تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري داراً يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به وذلك لا آخر له فيتبع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواء . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطقوا حتى أعيروا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويداً بهم عيسى الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصار « إن شتمتم فسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ونشاركونهم في هذه الفتيمة وإن شتمتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم عيشاً من الفتيمة » فقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالفتيمة ولا نشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والثاني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

فصيب منهم حاجتا (١) . وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذني عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وطى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عند الشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الحاد الوثير والقرش الوطيئة وللتزهات الطيبة فلي ينشط لعبادة الله تعالى ٩ . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الاتقاي والتصدق ويدعو إلى الادخار والكز والعذاب الأليم وهو اللعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خزيمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث أن أمره أن يأخذ للناس من غير حقه وإفراقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأوقات لجمع المال والأسواق هي معشئ الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أرزني إلى الأرض وجعلني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزمار قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) » ومن أبوابه العظيمة التوصل: التصب للمذاهب والأهواء والحد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفاسق جميعا فإن الطعن في الناس والاستغالة بذكر تقصيرهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطابق اللسان بالقضول والكذب ومتعاط لأتباع الفساد ولو رأوا أبو بكر لكان أول عدوله إذ موالى أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين يديه . وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمك كيف لسانه عن الكلام فيما لا يرضيه فأتى لهذا الفضولي أن يدعى ولاءه وحب ولا يسير بسيرته وتزى فضوليا آخر يتصب لمي رضي الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسخ ونرى الفاسق لباسا ثياب الحرير ومتجلا بأمواله اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولما عززا لسان هوقرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر ومهر وعثمان وطى وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أرزني إلى الأرض وجعلني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضيف أيضا .

أزواجه هل عند كن
شبه شكلهن قلن
والقدي بئسك بالحق
نينا ما عندنا إلا الماء
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا عذبة الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا
فقال ما عندنا إلا قوت
الصبية فقال فقوى
عليهم عن قوتهم حتى
يناموا ولا يطمعون
شيئا ثم أسرجي فإذا
أخذ الضيف ليأكل
قوى كأنك تصاعين
السراج فأطفئيه

والقائمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعون به بقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أوليائه الله تعالى لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمته رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجرؤا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم إن الشيطان يغفل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر فالنار لا تنهم حوله ويغفل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لم يلحقه شيء عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه ^(١) «اعلمي فأني لا أغني عنك من الله شيئاً» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم المنصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بسير يسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فما بالك خالفني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي القدي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتصعب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم يذروهم على مكاييد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم قد هلكوا وأهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن البصري أن إبليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما صبي قصبوا أظفري بالاستغفار فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق اللعن قائمهم لا يظنون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم ققاموا يقتتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم ففرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغفل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصيرها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره بظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً أشد منهم إناهما لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه ^(٢) » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتروكوا العلم للعلماء فالعالم لو زنى وسرق كان خيراً له من أن يتسكك في العلم فإنه من تسكك في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونعالي نخضع ألسنتنا
لضيف رسول الله حتى
يشبع ضيف رسول
الله قامت إلى الصبية
فعلتهم حتى ناموا عن
قوتهم ولم يطمعوا شيئاً
ثم قامت فأنزوت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف ليا كل قامت
كانها تصلح السراج
فأطفأته فجعلها بعضفان
الستة حال الضيف رسول
الله ووطن الضيف أنهما
ياكلان معه حتى شبع
الضيف وباتنا طويين
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقد عجب الله من
فلان وفلانة هذه الليلة
وأنزل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن مخرمة (٢) حديث إنى لا أغني عنك من الله شيئاً قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبرار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيها يتعلق بالمقائد والمذاهب لا يحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعث الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بمحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لفتح فقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع التهم»^(١) حتى احترزوا بالتقوى من ذلك روى عن ابن حسين أن صفة بنت حبي بن أخطب أخبرته «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فإداهما وقال إنها صفة بنت حبي قتالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما»^(٢) فانظر كيف أشفق بالتقوى على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فظلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بأناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذير والتنافي يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت لما العلاج في دفع الشيطان أو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ماسيات شرحه . نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمتد من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الله لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاساطان له على القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك للتقوى قتل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الله ذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الله ذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويده فيستقر الشيطان في سويده القلب وأما قلوب المتقين الحالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لالشهوات بل خلوها بالنفث عن الذكر فاذا عاد إلى الله ذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجده أصلا (٢) حديث صفة بنت حبي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معسكفا فأتته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضى الله عنه أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جاره فداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأزلت الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده ثيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكفروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفضوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إشارة منه على نفسه . وحكى عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى

ومعنى شئ من ماء وأنا
أقول إن كان به رمل
سقيته ومسحت وجهه
فاذا أنا به قتل أسفك
فأشار إلى أن نعم فاذا
رجل يقول آه فقال
ابن عمى انطلق به
إليه فجئت إليه فاذا
هو هشام بن العاص
قلت أسفك فسمع
هشام آخر يقول آه
فقال انطلق به إليه
فجئت إليه فاذا هو
قد مات ثم رجعت
إلى هشام فاذا هو أيضاً
قد مات ثم رجعت
إلى ابن عمى فاذا هو
أيضاً قد مات . وسئل
أبو الحسين البوشنجى
عن الفتوة فقال الفتوة
عندى ما وصف الله
تعالى به الأنصار في قوله
والذين تبوءوا الدار
والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السمير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر محرمات الشرع مخصوصة بشروط تقلها علماء الدين إلى تقسك قلبى الحبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهاالكها حتى إنك لاتذكر ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت بالصلاة يحك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتياء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كرفض الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر أى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع المعلن بعد معرفته بظلمانه ، وكما أن الله تعالى قال - ادعونى أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء ، قيل لآبراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعونى أستجب لكم - ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال عنان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الله ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأوه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم واقترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعى إلى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك فى العمالة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزنبور ، فأما ثبر فهو صاحب الصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليبس عنده ويفضبه عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فيسببه ليزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد فى ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى اللائكة كثرة ، وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة اللائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

عطاه يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا . قال أبو خنص الإيثار هو أن يقدم حظوظه الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقتك ولا تميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف برؤية ملكه إنما الإيثار من يرى الأشياء كلها لاحق فن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرده الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبى العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عندنا من حديث أنى .

ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة الصل في اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الشياطين (١) وقال أبو بوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تمنني عليه لأقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيئة سيئة وبالخسنة خيرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تمنني عليه لأقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بحيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا قبل على أحدهم حتى تقتله وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم تعود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم تغلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهم حاولا لا تدرك حقيقة صورتهم بما بالمشاهدة إلا بأتوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأل أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة العراج عند مدرة النخس وإعما كان يراه في صورة الأدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وطلب في المعجم الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضفه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيطان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الأدمي غالبا الشيطان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله : فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فانكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكشافة من أرباب القلوب بمثال صورته فيمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما للكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجلا شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبيه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة فقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم القلوب وهو مدخل الإلهام والوحي وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيصح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار هجيية وهي من أسرار محائب القلب ولا يليق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالمعنى مشاهدة محقة وينفرد بمشاهدته للكاشف دون من حوله كالتأم .

(بيان ما يؤخذ به البدن وساوس القلوب وهما وخواطرها)

وقصودها وما يبقى عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مياسرة العلماء بالتسرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكن به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسية فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا »^(٣) وقد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدثهم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تسكن به أو تعمل به »^(٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسية

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من محب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالقرآن والافتقار والتحقق بالبدن

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سبئية فأنا أغفرها له ما لم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذه فقول سبجانه - إن تبدوا مالي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تحف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعنى عنه وقوله تعالى - ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فقول : أول ما يرد على القلب الخاطر كالخطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لراها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبت الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا تسميه بما بالقول ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزمت الإرادة فرمما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يموقه عائق فيتعذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالخارحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فقول : أما الخاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله ﷺ « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال لربي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي . قال مهلا خصاء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال مهلا رهباية أمي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أحبته لأكلته ولو سألت الله لأطعنيه (١) »

فلا تكتبوها عليه الحديث قال المصنف أخرجه م في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الله كمر (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنق النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سميد بن السيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحيي بن معين وللهارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بحث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني لم أؤمر بالرهباية الحديث وفيه من رغب عن سنق فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصنا والغفوى والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشق على هذه العزوبة في الغاوى فأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأخصني قال لا

والإشارة ترك التعرض والاختيار . قبل المسمى بالصوغية وغير الجنيب بالحقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطح لضرب رقابهم تقدم النوري قيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق فكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يبيع فأخذوه إلى السوق واتخذوا رقما من الثمن وقدموا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها

فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فلاختياري منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو المهمّ بالفعل فانه . يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والمهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في غفلة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكاتبه حسنة لأنه رجح جده في الامتناع ومهم به على همه بالفعل وإن تعوق الفعل بمائق أو تركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفسلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن هو عملها فاكثبوها له بمثلها وإن تركها فاكثبوها له حسنة إنما تركها من جرأني^(١) » وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يعشر الناس على نياتهم^(٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو يزني بأمرأة فبات تلك الليلة مات مصرا ويعشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما ذاك القاتل والقتول في النار قبل يارسول الله هذا القاتل لما بالقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه^(٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والمهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقض العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما فوت الراد بمائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمتأخذه به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليك يا ابن مظهرين بالصيام فانه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خضاع أمق الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظهرين قال يارسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و . بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سني ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهانية ورهانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وقبه زيد العمي وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمق الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت اللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال المصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يعشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله وإنما وله من حديث أبي هريرة إنما يعش الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعشهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعشون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقاتل والقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا
فرمت بالكساء وقالت
هذا أيضا من بحية اللئاع
فيبعوه فقال الزوج لها
لم تكلف هذا باختيارك
قالت استعنت مثل
الشيخ ياسطنا وبحكم
علينا وبينى لنا شيء
ندخره عنه : وقيل
مرض قيس بن سعد
فاستبطأ إخوانه في
عيادته فسأل عنهم
فقالوا إنهم يستحيون
بمالك عليهم من الدين
فقال أخزى الله ما لا يمنع
الاخوان عن الزيارة ثم
أمر مناديا ينادي من
كان قيس عليه مال
فهو منه في حل
فكسرت عتبة داره
بالنسي لكثرة عواده .
وقيل آتى رجل صديقا
له ودق عليه الباب
فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : كلفنا ما لا نطبق إن أحدنا يحدث نفسه بما لا يجب أن يشبث في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلوا ما لا نطبق كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا (١) » فأزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله قسرا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف النطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يخطئ وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبايا من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي حرم لم يؤخذ به فإن أبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حوازي القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمأن إليه القلب وإن أدتوك وأتوك (٤) » حتى إذا قول إذا حكم القلب التقى بإعجاب شيء وكان خطأ فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه يظهر فعله أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يمس بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء للراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخاطبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والخنس هو السكوت فكأنه يسكر . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان عجوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول به فانه قديكم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها لقلب فكأنه يوسوس من بعد على ضيق . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها تقط متفرقة فأنك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حوازي القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أدتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أهلك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جنتي ؟ قال لأربع مائة
درهم دين على فدخل
الدار ووزن أربع مائة
درهم وأخرجها إليه
ودخل الدار باسكيا
فقال امرأته هلا تملكت
حين شقي عليك الإجابة
فقال يا أمي أبكي لأنني لم
أعتقد حاله حتى أحتاج
أن يأتيني . وأخبرنا
الشيخ أبو زرعة عن
أبيه الحافظ للقدس
قال أنا محمد بن محمد إمام
جامع أصفهان قال ثنا
أبو عبد الله الجرجاني
قال أنا أبو طاهر محمد بن
الحسن المحدث أباذي
قال ثنا أبو البختري قال
ثنا أبو أسامة قال ثنا
زيد بن أبي بردة عن
أبي موسى قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الأسعيرين إذا أرملا

القلب قد يكون مجرى لشئين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر ديناه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه (١) » وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان ترك التمتع بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر أله عظيم فند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المصاعى ولا يمكنه أن يقول المصيبة لا تفضى إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالمعجب بعمه فيقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه ويسبده كما تبده لما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التى بها عمله وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثانى : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجاتها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بنال الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظلونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة مجرد الحواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويسود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون القهم مشتتلا على فهم معنى التراءى وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شئ من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) » فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمشتهر فإنما قد قوى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويفوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرق على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لسكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر ديناه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث معاذ بلقب الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد المروى السباخى الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شئ من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طعام عيالم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد اقتصموا في إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم . وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه إذا أراد أن يغزو قال : يا مشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة لأحدكم من ظهر جملة إلا عقبة كعقة أحدهم » قال فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالى إلا عقبة كعقة أحدهم من جملة . وروى أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روى « أنه نظر إلى علم نوره في الصلاة فلما سلم روى بذلك التوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتوني بأنجانته ^(١) » وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على التبر ثم روى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم ^(٢) » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك قدمه النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبس ثم روى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وقد دعا إلا بالربى والفارقة للأدام على شياوراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا يفتحه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحداً وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالته في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالدين باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فإن امتنع أناه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبي أمره بالتخرج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرججه عن العلم فإن أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً غافلاً فتبدل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فاتها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في الخير واليأس)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يثأر به أصابه من جانب آخر ما يصاده فتغير صفته فإن نزل به الشيطان فدعا إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعهما ولا إليه الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب ^(٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ^(٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ^(٥) » وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في نوره في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ك وصححه على شرطه م من حديث النواس بن سمعان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقاسمك مالي نصفين ولي امرأتان فأطلق إحداها فإذا انقضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفي على الاشارة لإطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخرى يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفي مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح

ومثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلبانا (١) وقال « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن (٢) وهذه التقلبات وهجاء صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للمعرفة لا يعرفها إلا الراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وركا بالرياسة وطهر عن خبائث الأخلاق تتفتح فيه خواطر الخير من خزان القلب ومداخل للسكرات فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستعنه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بقواه مستقرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فبراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيأ عند ذلك بعدمه بمجنود لا ترى وجهه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهي إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يغنى فيه الشرك الحقنى الذى هو أخفى من ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء فلا يغنى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شئ من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سندكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى أجمل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمئن أراد بقوله تعالى - ألا بدكر الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئة - . القلب الثانى : القلب المخدول للشحون بالهوى الدنس بالأخلاق للذمومة والحباثات الفتوح فيه أبواب الشياطين السودود عنه أبواب اللاتسكة ومبدأ الشر فيه أن يتفتح فيه خاطر من الهوى ويهجم فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستغنى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انبساط الخيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والفرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويغيب نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التى ملاء الدخان أجفائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عسى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت العصبية إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الأشياء . ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلبانا أحمد و ك وقال صحيح على شرط مع من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الأشعرى بإسناد حسن وللبزار نحوه من حديث أنس بإسناد ضيف .

من ألقى وبذل قال
سومارزقاهم يفتقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلاحون - والفلاح
أجمع اسم لسعادة
الدارين والنهي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات فجعل إحدى
المهلكات شحا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا فى
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفى التراب قبض
وإمساك وليس ذلك
بالعجب من الأدنى
وهو جبل فى وإنما
العجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش غله وسقط مساك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فبافيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبق معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند التضرع مهما استحق وزكريع من حيوة أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهاك الواله للستر فيفسى فيه للرودة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظم وتنطق منه أنواره فينطق نور الحياء والرودة والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعو إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعو إلى الخير فتنبث النفس بجهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمع والتتم فينبث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويبيع فلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقله أكثرتها بالمواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التخرج البارد ولم تمتنع عن هؤلاء فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتخبر على نفسك حتى تبقى محروما عتيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أفترى أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اخترت ولم يتمتعوا أما ترى العالم القلاني ليس يترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيحمل الملك حمة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع قلة الحال ونسى العاقبة أفقتع بركة يسيرة وترك لذة الجنة ونعيمها أبدأ الآباد أم تستقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستقل ألم النار أفترى بفضلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فمند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجنتين متجاوزا بين الحزين إلى أن يلبس على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات لللكية لم يصح القلب إلى إغواء الشيطان وتعرضه إياه على الحاجة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب للؤمن بين أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجنتين وهو الغالب أعنى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب اللاتكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن القلب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن اللسكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسهل له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسهل له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يضر الحق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يعدم وعينهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا - يعدم التوبة وعينهم النفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهله الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره لمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . - إن نصركم الله فلا غالب لكم وإنخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده - فهو الهادي

في التريزة وهو نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والايثار والسخاء ثم وأكل من الجود في مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود بالبخل يتطرق إليها الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التريزة وكل سخر جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الفرائز والله تعالى منزّه عن التريزة والجود يتطرق إليه الرأف ويأتي به الانسان متطلما إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي »^(١) فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعل وهم يسئلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم العامة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم العامة وأسرارها ليتنفع بها من لا ينفع بالطواهر ولا يجترى بالتشر عن الباب بل يشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقتضى إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . ثم كتاب هجائب القلب وفيه الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكلات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهد البعد وتسميره واستحسنت على تهذيبها بتخويفه وتغذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريه ويستشرف حقيقة الحق من غايته ويتأشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة التقيين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكلات الدامغة والمخازي الفاضحة والردائل الواضحة والخبائث البعده عن جوار رب العالمين النخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الحبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تملحه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فيحتاج البعد إلى تأنيق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تسمير في علاجها وإصلاحها فله الجنة هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاها - وإعمالها هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

الثناء وغيره من
الخلق والثواب من
الله تعالى والسخط
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية المرتفعة عن
الأعواض دنيا وآخرة
لأن طلب العوض مشعر
بالخل لكونه معلولا
بطلب العوض لها
عوض سخاء فالسخاء
لأهل الصفاء والائثار
لأهل الأنوار ويجوز
أن يكون قوله تعالى
- إنما نطمعكم لوجه
الله لا تريد منكم
جزاء ولا شكورا - أنه
نفي في الآية الإطعام
لطلب الأعواض حيث
قال لا تريد بعد
قوله لوجه الله
فما كان له لا يشمر
بطلب العوض بل
المفرزة لطهارتها
تتجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكافي في تهذيب الأخلاق وتعميد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأنعام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتهذيب بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(يان فضيلة حسن الخلق ومصلحة سوء الخلق)

قال الله تعالى لبيبه وجيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه - وإنك لملى خلق عظيم - وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ^(١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتمفو عمن ظلمك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم بكارم الأخلاق » ^(٣) وقال ^(٤) « أنقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ^(٥) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثابه من قبل بعينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أثابه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أثناه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم قال أما تفقه هو أن لا تضرب ^(٦) » وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق ^(٧) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيرة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن ^(٨) » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار ^(٩) » وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيرة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان

لا لموضع وذلك أكل
السخاء من أظهر
الفرات. روت أسماء بنت
أبي بكر قالت : قلت
يا رسول الله ليس لي من
شيء إلا ما أدخل على
الزير فأعطى، قال نعم
لا توكي فيوكي عليك .
ومن أخلاق الصوفية
التجاوز والعفو ومقابلة
السيرة بالحسنة . قال
سفيان الاحسان أن
تحسن إلى من أساء
إليك فإن الاحسان
إلى الحسن متاجرة
مكتنف السوق خذ
شيئا وهات شيئا وقال
الحسن الاحسان أن
تم ولا تحصى كالشمس
والربيع والقيث .
وروى أنس قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عباد وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم بكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلوة (٤) حديث أنقل ما يوضع في الميزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر للروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار تقدم في آداب الصلوة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج الرافعي ولم يثبت عليه وقد تقدم في باب الصلوة فليأمل .

قل اللهم قوّن قوّاه بحسن الخلق والسّخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوّن قوّاه بالبخل وسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق أفزينا دينكم بهما (٢) » وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) » وقيل « يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦) » وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك (٧) » وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً (٨) » وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم حسنت خاقي فحسن خلقى (٩) » وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله (١١) » وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعارب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطني في كتاب الاستجداء والحرايطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً ذلك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين والطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضاً وضمفهما ابن جرير (٧) حديث « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الحرايطى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الحرايطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الحرايطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الحرايطى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة كرم للرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصحبه على شرطم والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضيفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعارب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خاقي حسن ه وتقدم في آداب الصفة .

على الجنة قلت
يا جبريل لمن هذه
قال للسكاطين الصيغ
والعاقين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبابكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
جاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ساكت
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذي قال
فغضب النبي وقام
فلحقه أبو بكر فقال
يارسول الله شتمنى
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقلت فقال
إنك حيث كنت
ساكتاً كان معك
ملك يرد عليه فلما
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»^(١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يمشي به بين الناس»^(٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٣) وقال أنس يينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد»^(٤) وقال عليه السلام «من سعادة الرء حسن الخلق»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الجن حسن الخلق»^(٦) وقال عليه السلام لأبي ذر «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق»^(٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للراءة يكون لها زوجان في الدنيا تموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بحيرى الدنيا والآخرة»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته»^(٩) وفي رواية «درجة الظمآن في المواجر» وقال عبد الرحمن بن ممره كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى»^(١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة»^(١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلة فيفوق عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكرخي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طمس طمس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا والطبراني في معارج الأئمة من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصلوة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله الحديث الحرايطى في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأئمة من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليزيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الحرايطى في معارج الأئمة باسناد ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للرء حسن الخلق الحرايطى في معارج الأئمة والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث الجن حسن الخلق الحرايطى في معارج الأئمة من حديث علي باسناد ضعيف (٧) حديث أنس يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه جب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للراءة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والحرايطى في معارج الأئمة باسناد ضعيف (٩) حديث إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لميعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن ممره إني رأيت البارحة عجبا الحديث الحرايطى في معارج الأئمة باسناد ضعيف (١١) حديث إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والحرايطى في معارج الأئمة وأبو الشيخ في كتاب معارج الأئمة وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه "م تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لمؤلا اللائق كن عندي لما سمعت صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا بعدوات أنفسهن آهينني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليك الشيطان قط سالكا لجا لإسلك لجا غيرك^(١) وقد صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يضر وسوء الظن خطيئة تفوح^(٢)» وقال عليه السلام «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم^(٣)» الآثار : قال ابن قهان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق وحسن النساء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي لله وولي ومن الشيطان برى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقت وخلفه معه لم يفارقه . وقال الجعيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكتاني التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزابلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا ، وقال لكل بانيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالعطفي صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوصوا بجميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصفروا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

- (١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكرته الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يضر لايغفر الحديث طعن من حديث عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستاده ضعيف (٣) حديث إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بمحدثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تكونوا إمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظللنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال بعض الصعابة «يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيفني فيمربي أفأجزيه قال لا أقربه» وقال الفضيل القتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الواصل الكافي» ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الدى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يغاصم ولا يغاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال المؤمن . وقال بشهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك للكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق وشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصبه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحرم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للخرات حسن الخلق لنفسه ثم ليس هو محيط بجميع الخرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من قتل الأقاويل المختلفة فتقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس الدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بأخافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس في هذا اللقار واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجلية الحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بمجد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقييح . والثاني القدرة عليهما . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يذلل إما لقصد المال أو لمنازع وربما يكون خلقه البخل وهو يذلل إما لباعت أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقييح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن الشيء الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والحد بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتماثلت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة النفس وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحتها في أن تصير بحيث يسهل بها درك القرينين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقييح في الأفعال فاذا

أن تنفو من ذلك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه. الصوفي بكاء في خلوته وجهه وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفي منازل إلهية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - والسرور إذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى - وجوه يومئذ مسفرة - أى مضيئة مشرقة مسمتحة مسماة فرحة قيل أشرقت من طول ما اغبرت في حيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح للشيء وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال النفذ المحض لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثالها مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروحاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً فمن استوت فيه هذه الحصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة النفسية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالغة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوراً وإن مالت إلى الضعف والانعسان تسمى جبناً وخوراً وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جوداً والمهمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفاً زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقاداً للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالغة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والسكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والتمارة والحق والجنون ، وأعني بالتمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فتدركون الإنسان فخرأى شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق للوصول إلى الغرض . وأما المجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإثارة فاسداً . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبنخ والاستنشاط والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه الهانة والقلّة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشرم والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والمتكدة والمجانة والعبث والملق والحسد والشهامة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والشكاة قالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تمت القلب بلقيد المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه قال أنضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نظرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور الشهادة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرآة للصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقفون به في جميع الأنفال ، ومن اتقى عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين البصيفينغى أن يعد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبغى أن يقتدى به ويتقرب إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا لينم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحده الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصعبة فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدّة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتركية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمريين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا التبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك التبع الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده . فنقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والوعاظ والتأدييات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البريمة يمكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامساك والتخيلة والقرص من الجراح إلى السلامة والاعتقاد وكل ذلك تغير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسما والكوأكب بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربة إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربة فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلية وامتداده مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من آراء السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلال وهي القوالب
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسجود
والأصاال- كيف لا يتأثر
بشهود الجمال. أخبرنا
صيا الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
الكرخي قال أنا
الترياقى قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوبي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا قتيبة قال ثنا
للكندر بن محمد بن
للكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف
صدوق وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تفرغ من

(١) حديث يثبت لأتم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصعبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر
ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن عمرو عن النبي ﷺ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التغيير قوة الشهوة فانها أندم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكثرة العمل بمقتضاها والطاعة له وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجليل والقبیح بل يقي كافر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستقم شهوته أيضاً باتباع الذات فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتماطه اتياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسع في نفسه أولاً من كثرة الاعتقاد للفساد والآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اتهم لها بحم وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للمستحسنة وأنها حق وجيل وتربي عليها فهذا يكاد تنتفع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للارتاب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد ، وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن آدمي مادام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكيفية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لقائدة وهي ضرورية في الجبلية فلا واقطعت شهوة الطعام لذلك الانسان ولو انقطعت شهوة الواقع لا تنقطع النفس ولو انعدم الغضب بالكيفية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إِمَاطة ذلك بالكيفية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكيفية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر»^(١) . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غصبه عن الحق»^(٢) وقال تعالى - والكاذمين الغيظ والمافين عن الناس - ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يفهر واحد منهما العقل ولا يبله بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج غصبه عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إثناء أخيك»
وقال سعد بن
عبد الرحمن الزبيدي
يسجن من القراء كل
سهل طلق مضحك .
فأما من تلقاه بالبشر
ويلقاه بالعنوس كأنه
يمن عليك فلا أكثر
الله في القراء مثله ومن
أخلاق الصوفية الشهوة
ولين الجانب والتزول
مع الناس إلى أخلاقهم
وطباعهم وترك
التصف والتكلف
وقد روى في ذلك عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبار
وأخلاق الصوفية
نحاكي أخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وكان يقول عليه الصلاة
والسلام «أما إنى أمزح
ولا أقول إلا حقاً» روى
«أن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجربة وللشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن للطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خاف محمود شرطا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اتفق الله تعالى عليه فقال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مفلوطة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك للطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجود قال الله تعالى - واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب السرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحماء بينهم - وقال ﷺ « خير الأمور أوسطها (١) » وهذا ليس وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إيا من أتى الله بقلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فان الحريص على الاتناق مصروف القلب إلى الاتناق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشراهة والجود وكذلك سائر الأخلاق فكل طرفي الأمور ذميم هذا هو للطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء غلته وغضبه وظن أن القدر الرخص فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالع في ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلى كمال فطرته بحيث يخلق الانسان ويولد كاملا العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين متعادلتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكْتساب فرب صبي خلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتناء ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق للطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خاف الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويوالب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يوالب عليه على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه جميع الأخلاق الحمودة شرطا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه قديدا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق للدينه يبيع سلعة له ولم يكن آتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل بكفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصدة قال إذن تهديني كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد نزار بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ للقدس عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة وينتقم بها ويكره الأفعال الفبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة ^(١) » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستئصال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنيها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ^(٢) » ثم لا يكتفي في نيل السعادة بالعودة على حسن الخلق استلذاً للطاعة واستكراهاً للصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى ^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأظهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإيمانياً كد تأثيرها بكثرة للمواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً يميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً به مستلذاً له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرعة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس محجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى للولك والنعيمين في أحزان دائمة ونرى القامر القلبي قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستغل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلقائه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بألمها لفرحه بالطيور وروحها وطيرانها وتحليقها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياطوطى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غفراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرباً بإرباطي أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصير على الإنكار ولا يبالى بالمقوبات فرحاً بما يعتقده كالأشجاعة ورجولية قد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء قترى الخنث في فرح بحاله وافتخار بكاله في تخنثه يتباهى به مع الخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والبهاة كما يجري بين الملوك والطاء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومتاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى اللجاج فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والزمته المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يلقب على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواء القضاء في مستند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ولترمذى من حديث أبي بكره وصححه أي الناس خير قاله من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطهر بن محمد
الفيقيه قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبيد بن اسحق الطمار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاء رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احملني
على جبل فقال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملني على جبل
وتقول أحملك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فاجل ابن
الناقة « وروى صهيب
قال « أتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
فقال أصب من هذا
الطعام فجعلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب ذاته أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن اغذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل للمرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناله على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجليلة يمكن اكتسابها بالرباض وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعها انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها بالحالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخدق في الكتابة له صفة تقية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجاجة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قتيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تتمطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قتيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قته النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء الوابد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالسكل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صفات المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الإيمان عند الحاجة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قته النفس بل يظهر قته النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فكل واحد منها تأثيرها من طاعة الأولها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الأثر وكذلك المعصية وكما من قتيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قول الفقه فكذا من يستهين بصفار المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يخطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتعتذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو العنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان ليدنو في القلب نكتة يضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان أيضاً القلب كله وإن النفاق ليدنو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجليلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجليلة

من التمر فقال أنا كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم نياذا الأذنين » . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً » وروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقت ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك » . وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح المحروى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقها الجهات الثلاث حتى صار ذات فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع وافق له قرناء السوء فطم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .-

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس واللبل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له واللبل عن الاعتدال مرض فيه فلتتخذ البدن مثالا . فتقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال وإنما تفتري العدة المضرة بعارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتقاد والتعليم تمكسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالمعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تعهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة الغيرة لا اعتدال البدن الموجبة للرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتريات لمعالج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجهود والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبدا لا يباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلّة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ مقياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من غير العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يحالج بحسب ما فكذلك الشيخ للتبوع الذي يطيب نفوس للريدين ويحالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع الرضى ببلع واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض اللريد وفي حاله وسنه وزواجه وما تحتله يئنه من الرياضة ويبنى على ذلك رياسته فإن كان اللريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فعليه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصيبة فيأمره أولا بتركها

الترياقي قال أنا

أبو محمد الجراحي

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال أنا

عبد الله بن الوضاح

الكويني قال أنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياب عن أنس رضي

الله عنه قال إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صغير يا أبا عمير

ما نزل الغيرة والغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زهرا

رضي الله عنهما فسبقه

الزير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم صاحبه

مرة أخرى فسبقه همر

فقال همر : سبقتك

فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظربقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات ووفر قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للسكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه اللواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتذا إليه استخدمه في تعمد بيت الماء وتنظيفه وكفس الواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تنشوش عليه رعوته في النظافة فإن الدين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون للرضعات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صانعهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يسغوبرك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذكوم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزال الدم كما يرغب الصبي في الكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاهد أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شره وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء وينعمه اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للكل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضيق القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نوبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمع بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب السال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقه على الناس رعونة الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواء النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من خاف مقام ربه وسهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - والأصل اللهم في المجاهدة الوفاء بالعزم وإداعزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العزم ألقت ذلك فقد صدت وإذا اتفق منه نقص عزم

ورب الكعبة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لي عمر تعال
أنافسك في الماء أينا
أطول نقسا ونحن
محرمون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم يتنازعون حتى
يتبادحون بالمطبخ
فاذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
بدح يدح إذا رمى
أى يترامون بالمطبخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخي
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثني
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبني أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب الحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بقوة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب لفرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة واللمعة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستماعة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة واللمعة وخاصة النفس التي للأدنى ما يميز بها عن البهائم فانه لم يميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها وعترتها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للفرقة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترصوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله قلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فان الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للمريض قلما يلتفت إلى علاجه فلماذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو للهلك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإنفاقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تطلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطوبى الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطوبى الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أرادت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المندور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في الواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى الواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يرجع عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليماً عن هذا اللقام خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمر بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيص
الليثي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بلتعة قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت وأئمت النبي صلى
الله عليه وسلم محريرة
طبعتها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينها كلى
فأبت فقلت لها كلى
فأبت فقلت لتأكلن
أو لأطخن بها وجهك
فأبت فوضعت يدي
في الحريرة فاططخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع يده وقال
لسودة الطخى وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمئة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله للقرينين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية التعموض بل هو أدنى من الشر وأحد من السيئ فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط للمستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا وإردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيئى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية التعموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليفتقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليستغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فسال الله الكريم أن يمحطنا من التيقين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رفيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبه عليه فمكذبا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذى بلغك عنى مما تكرهه فاستغنى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقنين فهل ترى على شيئا من آثار التفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت نهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيجتر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقاتك عن حدود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مدهن غنى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس قتيلا لم لا تخلص الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبى فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بقتية غيرهم

عليه وسلم فمر عمر
رضي الله عنه على
الباب فنادى يا عبد الله
يا عبد الله فظن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه
سيدخل فقال قوما
فاغسلا وجهكم فالتفت
عائشة رضي الله عنها
فما زلت أهاب عمر
لهية رسول الله صلى
الله عليه وسلم إياه
ووصف بعضهم ابن
طاوس فقال كان مع
الصبي صبا ومع
الكهل كهلا وكان
فيه مزاحة إذا خلا .
وروى معاوية بن
عبد الكريم قال كنا
تذاكر الشعر عند
محمد بن سيرين وكان
يقول ونمزج عنده
وعما زحنا وكنا نخرج
من عنده ونحن
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصنا ويمرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وغارب لهاغة فلو نبها منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منه فرحنا به واشتغلنا بأزالة القرب وإبعادها وقتلها وإعما نكاتها على البدن ويدوم ألمها يوما فإدونه ونكايه الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد للوت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نخرج عن ينهبنا عليها ولا نشتغل بأزالتها بل نشغل بمقاومة الناصح بمنل معاته فتقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبأ الله عز وجل أن يلمحنا رشدنا ويصيرنا بعبوبنا ويشغلنا بمداوتها ويوقتنا للقيام بشكر من يطلما على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ، ولعل انتفاع الانسان بدوة مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل مايقوله على الحسد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيها بين الخافي فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن للؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى لما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليفتقد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وتاهيك بهذا تأديا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن الذؤب . قيل لعيسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شيئا عارفا ذكيا بصيرا بعبوب النفس مشفقا ناهيا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناهيا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بصدده .

(بيان شواهد الثقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن هجرت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطاع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى سونى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قبل نزع منها عية الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم والؤمن بين خمس شدائد : مؤمن بحسبه ومنافق يخنه وكافر يقاتله وشيطان يخنه ونفس تنازعه (١) ه فيبين أن النفس عدو تنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن بحسبه ومنافق يخنه الحديث أبو بكر بن لال في

مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نيكى فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لبن الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتمدونه من للداعة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرم إلى سقرحة الله فاذا خلوا وقوا موقوف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم متى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب
للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عن عجبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك
ولاتباع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلنم بك بعضا إلا أن ينصر الله تعالى
ويستر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عجلت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو العباس
الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتعمين ولا في طلب الآخرة مع الباطل تهتدين
كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحسان وقال الحسن مالداه الجرح بأحرج إلى اللجام
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسيا في الرياضة والرياضة على أربعة أوجه
القوت من الطعام والقمص من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة
الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال
الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت
من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام
من غيرة التهجذ وقلة المنام وضربتها بأيدي الجحول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفى من ظلمة شهواتها فتنبو من عوائل آفاتنا فتصير عند ذلك
نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في الميدان وكذلك التنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشیطانه ونفسه فاحترس
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه في يدها
تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم
لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحبر فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبئ
لذلك . ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بدران ملك خزائن الأرض وقعدت له على
راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكته سبعان من جمل
الملوك عبيد بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرص والشهوة حيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء
المفسدين وإن الصبر والتقوى حيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنه من يتق ويصبر
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة فعمت إلى وردى فلم أجدا الحلاوة التي كنت أجدها
فأردت أن أنام فلم أقدر فحسنت فلم أطلق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عبادة مطروح على الطريق
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قعلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل
أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل لما حاجتك قال فني يصير داء النفس دواها قعلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار
من ذلك للربدين
للبتدين لثة عليهم
ومعرتهم بالنفس
وتهديم حد الاعتدال
فللنفس في هذه
للوطن نهضات ووثبات
تجر إلى الفساد وتنجح
إلى العناد فالزول إلى
طباع الناس يحسن من
صعد عنهم وترقى لملو
حاله ومقامه فيزول إليهم
وإلى طباعهم حين
ينزل بالعلم فأما من لم
يصعد بصفاء حاله عنهم
وفيه بقية مزج من
طباعهم - ونفوسهم
الجماعة الأماراة بالسوء
إذا دخلت في هذه
للدخل أخذت النفس
حظها واغتصمت مآربها
واستروحت إلى الرخصة
والتزول إلى الرخصة
يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في
شرح محابب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وضعه وه من
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولاتباع هواها في معصية الله الحديث
لم أجده بهذا السياق .

هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشي إليكم على الماء البارد في الدنيا لئلا تحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتيت الكلام . وقال على رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمتك إلا من كرامتك على ، فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنسكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألغى فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشق الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعركة الله وجهه والتفكير فيه والاعتطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر قط لمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه والناس فيه أربعة : رجل يستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا يتهيأ إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجم منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فأنك أنت للعاذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع بسبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة وللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل للكلام فرأيت رمانًا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركها فرأيت رمانًا مطروحًا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلوسأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلوسأله أن يحميك من شهوة الرمان فان لم يخف الرمان مجد الانسان ألمه في الآخرة ولم يخف الزناير مجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في ديسي فما أطعمتها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فان النفس إذا لم تمنع بعض البباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الفسقة والفضول فليعلم أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يشككم إلا بحق فيكون سكوت عبادته وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يعمل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يمودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة غالب أوقته
وليس ذلك شأن
البتدي فالعافية
الماء فيها ذكرته
تروح يطون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع للحاجة يتقدر
بقدر الحاجة وميعار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فامض لا يسلم لكل
أحد قال سعيد بن
العاص لا يته اقتصد في
مزاحك فالأفراط فيه
يذهب بالبهاء ويجري
عليك السفهاء وتركه
يفيظ للزناير
ويوحش الخاطلين فإله
بضمهم للزناير مسلبة
للجاء مقطعة للاخاء
وكا يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الانسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير عملة كالسكران الذي لا يفقه من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر للوث وأحوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية قرة بعيدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفعلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وهودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقض الحساب في عرصات القيامة قد عذب غفلوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذ قصد تأديبه وتقه من التوب والاستيحاش إلى الاتقياد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتغط عينا حتى يحصل به القطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان الله من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إذا دعاه أجابه ومهما مع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخلة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والثناء ثانيا في الخلوة حتى يلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يقتل على المرید في البداية ثم يتنم به في النهاية كالصبي يظلم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكأؤه وجزعه عند الطعام ويشد غوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسيا يوما فبوما وعظم تبعه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكففا ثم يصبره طبا فلور بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فبهجرت الثدي وما لبث اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفرعن السرج واللباج والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصعبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أيا ما قاتل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتمال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا لينتم به سنة أودعها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمدا القوم السرى وتذهب عنهم حمايات السكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به غرجه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعد أو بالمز في القضاء والولاية . أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فوابك في الآخرة لم ينقص بالمتع فسكره ذلك وتألم به فهو بمن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

ويعبره عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقه تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرهونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفض الضحك من غير هيب للشاء في خير أرب وذكر فرق بين اللداعة والزواج فقيل لللداعة ما لا يضرب جده والزواج ما يضرب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهوة في الصلاة

فليعزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولا تزول إلا بتقطع ذلك السبب والملازمة ولا يلزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمناقين في كتابه وهي بحملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن الفحشاء معززون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - الثابتون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة ، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما فقدته وحفظ ما وجدته وقد وصف رسول الله ﷺ للمؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمن إيماناً أحسنهم أخلاقاً » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة » (٦) وقال « من سرتته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن » (٧) وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) وقال عليه السلام « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يغشى على أخيه ما يكرهه » (١٠) وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه أيضاً من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمن إيماناً أحسنهم أخلاقاً غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ضحكوا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهداً في الدنيا وقلة منطلقاً فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة (٧) حديث من سرتته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وكهجه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلاً وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً طبرك من حديث النعمان بن بشير والبراز من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
بإطلاق الوضوء بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهية فانه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التوفيق
فيعتدل الحال فيه
ويستقيم فالبسطة
والرجاء بنشأت المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صورا شكورا راضيا حليما رفيقا غيافا شفيقالا لمانا ولا صبا باولا نعاما ولا متبا باولا محولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويغضب في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همة في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همة في الطعام والشراب كالبريمة (١) » وقال حاتم الأحم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرس والأمل وللمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله وللمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله وللمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويحشى الفساد والمنافق يقطع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما مع أنس فمعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) » ولما كثرت قريش إيذاؤه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعل خلق عظيم - وعي أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فقاطعه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه وردده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزّل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يأتني عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه مني الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تخرجه فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعا ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعا الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرددته حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكتب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازجر انزجر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحته عليه إبانة فمراد فزّل عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفذ الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فليل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصول على الرماد لم يحزله

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة للمؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همة في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليهي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بما قسم الجبار
ويقول التصوف ترك
التكلف . ويقال
التكلف تخلف وهو
تخلف عن شأو
الصادقين . روى أنس
ابن مالك قال شهدت
وليمة لرسول الله ما فيها
خبز ولا لحم وروى عن
جابر أنه أثناء ناس من
أصحابه فأتاهم بخبز
وخل وقال كلوا فاني
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
« نعم الا دام الخل »
وعن سفيان بن سلمة
قال دخلت على سلمان
الفارسي فأخرج إلى
خبزا وملحا وقال كل
لولا أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهانا
أن يتكلف أحدنا أحد
تكلفت لكم والتكلف
مذموم في جميع

أن يغضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا خاف وهرب وخلصها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع مائه عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوس يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوس فلم يجد فدفن إلى تليذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التليذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بش ما عملت هذا المجوس يعامني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقها في البئر ثلاثين بهامسا . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والناس العذرة واحتمال الأذى والرجوع باللامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطبقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوقه . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المسكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينها وجالس في داره إذ أتته جارية له بعقود عليه شواء فسقط من يدها فوق علي ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أويسا القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كن ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تندموا ساقى فتدعوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قتلته كي لا يسمك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعا ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أمضه أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنعم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت الرياضة فاعتدلت أخلاقها وتقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يشتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فاتها درجة رفيعة لا ينالها إلا الملقبون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول تشوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والسبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نقيصة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما تشاء ومائل إلى كل ما يعال به

الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التناق الذي صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه متملق ولا يظن له قصد يتملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح التناق وهو مبين لحال الصوفي . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس الحبسوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن

إليه ونعود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد
 وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله
 عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا
 فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويطلعه بحسن الأخلاق ويحفظه من القراء
 السوء ولا يعود التثمم ولا يحجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك
 هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائه وإرضاءه إلا امرأة سالحة متدنية
 تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انجبت طيفته من الحبث
 فيميل طبعه إلى ما يناسب الحباث ومهما رأى فيه محال التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك
 ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأهمال فليس ذلك إلا لاشراق نور
 العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومحالها للبعض صار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية
 من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ
 فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه وأول ما يقلب عليه من الصفات
 شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه
 وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن
 لا يسرع في الأكل وأن يجيد اللعغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا يطلع يده ولا توبه وأن يعود الحزب القفار
 في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من
 يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل
 الأكل وأن يحب إليه الايثار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشن شيء طعام كان وأن يحب
 إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والخشيت وأن الرجال
 يستكشفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبغي أن يستنكره
 ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التثمم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة
 كل من يسمه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق
 كذبا حسودا سروقا تماما لحو حادافضل وضحك وكيد ومجانة وإغما يحفظ عن جميع ذلك بحسن
 التأديب ثم يشغل في الكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في
 نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأديباء الذين
 يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يخرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر
 من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر
 الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتناقل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه
 ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار
 ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا
 ويظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتنفض
 بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح
 ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هية الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه
 بالأب وتزجره عن القبايح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث السكل ولا يمنع منه ليلا ولكن
 يمنع الفرش الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يجبر عن التثمم بل يعود الحشونة في الفرش

محمد بن مطرف عن
 حسان بن عطية عن
 أبي أمامة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال
 «الحياء والعقوبة شعبة
 من الإيمان والبذاء
 والبيان شعبتان من
 النفاق» البذاء الفحش
 وأراد بالبيان ههنا
 كثرة الكلام والتكاف
 للناس بزيادة تناق
 وثناء عليهم وإظهار
 التفصح وذلك ليس
 من شأن أهل الصدق
 وحكى عن أبي وائل
 قال مضيت مع صاحب
 لي نزور سلمان فقدم
 إلينا خبز شعير وملح
 جريشا فقال صاحبي
 لو كان في هذا اللع
 سمتر كان أطيب فخرج
 سلمان ورهن مطهرته
 وأخذ سمرا فلما أكلنا
 قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يغفل في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والريضة حتى لا يظلب عليه الكسل ويعود أن لا يكتشف أطرافه ولا يسرع الشيء ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه شيء مما يملكه والداه أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفقة في الاعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ ثوم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يفسح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منها أكثر مما يحذر من الحيات والمقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يخط ولا يتشاءم بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يحمل رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثم ويمنع العجين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدبى بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام ولغشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستنفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المالك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جليلا يسترع إليه من تعب للكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما عيبت قلبه ويطل ذكاه وينقص عليه الميشت حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومطعه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحجب لبس الديباغ والحجوير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما ينقلب على الصبيان فاذا وقع نشوء كذلك في الصبا فهم قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وآنها دار عمر لدار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لدار عمر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشرب الطعام واللباس والزينة والتفاخر بنا قلبه عن قبوله الحق نبوة الخائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجوهه خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قنعت
بما رزقك لم تكن
مطهرتي مرهونة وفي
هذا من سلمان ترك
التكلف قولوا فضلا
وفي حديث يونس النبي
عليه السلام أنه زاره
إخوانه فقدم إليهم
كسرا من خبز شعير
وجز لهم قسلا كان
يزرعونه قال لولا أن
الله لمن للتكفين
لتكلفت لكم قال
بعضهم إذا قصدت
لزيارة قدم ماحضر
وإذا استزرت فلا تبتقي
ولا تذر . وروى الزبير
ابن العوام قال نادى
منادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يوما اللهم اغفر
للذين يدعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله القسري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلت فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أبعصه إليك والعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى المكتب فقلت إني لأخشى أن يفرق على هي ولكن شارطوا العلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فخصيت إلى الكتاب فعملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أسوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأثبتت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أتفنع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويغزى لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحثا بغير ملح ولا أدم فكان يكفي ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل للبحر حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج اللريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبها مستهينا بنعيم الدنيا ولداتها فان كانت عنده خزانة فرأى جوهرة قيمة لم يبق له رغبة في الخزانة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخزانة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقة فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخزانة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذا السانع من الوصول عدم الشك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والطماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والنبيين على حقارة الدنيا وانها راضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهكوا في شهواتهم وغمصوا في رقبتهم وليس في علماء الدين من ينههم فان تنبه منهم متنبه هج عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من الطماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن هيج الطريق قصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى قابلا والطالب غافلا امتنع الوصول وتمطلت الطرق لاهالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبثت له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معصم (١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لأموات أمسى ولا
يشكفون إلا إني برىء
من التكلف وصالحو
أما « وروى أن عمر
رضي الله عنه قرأ قوله
تعالى - فأنبتا فيها جبا
وعنبا وقضيا وزيتونا
ونخلًا وحدائق غلبا
وفاكهة وأبا - ثم قال
هذا كله قد عرفناه
فما الأب قال ويبدأ
بمر عصاه فضر بها
الأرض ثم قال هذا
لعمد الله هو التكلف
غلبوا أيها الناس
ما بين لكم منه فما
عرقم أعمالوا به ومن لم
تعرفوا فسكروا علمه إلى
الله . ومن أخلاق
الصوفية الاتفاق من
غير إقتار وترك
الرادخار وذلك أن
الدم في يرى خزان
فصل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق ينفيه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والحرب من أسباب التذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لآمن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقد ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيده وحجابا إذ ليس من شرط الريد الانثناء إلى مذهب معين أصلا وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر العاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عريية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرقة لا محالة فمن سلك سبيل البوادي للهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تنجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتعصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسكينة ولا يغالغه في ورده ولا صدره ولا يتيق في متابته شيئا ولا يذير وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التمسك وجب على محتصمه أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوة والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه لي شاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم القواد وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتدة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبى على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر الساء في قربته وراويته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملسكان ياديان فيقول أحدهما اللهم أعظم نفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا نفقا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لنفسه . » وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان النداء أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تحب شيئا لنفسك فان الله تعالى يأتى

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا ختم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يقوى القلب ويمتدح إلا إذا كان جدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فاقه تسهله العزلة ولكن للمزلة لا يغلو عن مشاهدة من يقوم له بطامه وشرايه وتدير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا جدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يفتح العقل ويجلب الورع ويسلم التقوى . وأما الخلوة فالدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهلز القلب والقلب في حكم حوض تصب إليه مياه كربة كدرة فطرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا من قنذ الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها المزمحل يا أيها اللذر (١) فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتنع العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلك الطريق وإنما سلكه بقطع القبات ولا عبة على طريق الله تعالى لإلصقات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك القبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأهمل وهي تلك المنفات أعنى أسرار العلائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعنى للال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى للعاصي فلا بد أن يغلى الباطن عن آثارها كما أغلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أوضف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويعينه من تكثير الأوراد والظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمررتها أعنى ملازمة القلب له كره الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلى للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجملة الأخرى شيء عسى الله تعالى غرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للستر الذي ليس له إلا م واحد فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية يفرد بها ويوكل به من

برزق كل غدا .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه « أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ما هذا يا بلال
قال أدخر يارسول
الله قل أما تخشى أنفق
بلالا ولا تخشى من
ذي العرش إفلالا .
وروى أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويبيت
حيث أمسى ولم يكن
له ولد يموت ولا بيت
يخرب ولا غيباً شيئاً
لقد قال صوفي كل خبايا
في خزائن الله لصدق
توكله وتقه بره
فالدنيا للصوفي كدار
القرية ليس له فيها
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمحل يا أيها اللذر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأبيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فثرت يا أيها اللذر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قتال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأمر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يحس عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالباً عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو التصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تنطلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فانه معها اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الله ذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصصاً فيجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها ماضية وما مضى قولنا الله ولأى معنى كان إلهاً وكان معبوداً ويستره عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمرًا لإمادته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فصرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويبتل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما يترغّبك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه مسمع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحداً ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة قلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجائز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في الريد فان لم يكن ذكياً فطنا متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالفكر والفكر بل يردّه إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواترة أو يشغله بخدمة للتجريد للفكر لتشمه بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبى أن يسقى القوم ويعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زميرهم ونعمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان ينهم بوضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استنكار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تدمو خفاصاً وتروح بطائناً» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن السكندر عن جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلاستاد

لا يبلغ درجتهم ثم للريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما يكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وغفلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقفا بل يفتنى أن يلازم حاله حجة عمره ملازمة العيشان الذي لا تزويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله لا يتطلع عن الخلق إلى الحق والحلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الأبدال للتقطيع عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له داني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر إلى الخلق فان النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فان السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللذة للعاني وتحسين الألفاظ للعبارة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتجلى إليه القلوب والأسماع فربما ينجل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب اللوحي الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كيد القبول وإن كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرطا لجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من عينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم للبهيم والهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فيفتنى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فيفتنى أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اتقنت له أوائل الطريق فان إشار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثر الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتزيينه في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاء وإذا طلب للمال والجاء حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمع نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع اللهلكت بكتابة إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في كسر الدنيا

عن الدارمي قال أنا
يحيى بن حميد قال
أنا عبد العزيز بن
محمد عن ابن أخي
الزهري قال إن جبريل
عليه السلام قال ما في
الأرض أهل عشرة
من آيات إلا قلبهم
لما وجدت أحدا أشد
إثقا لهذا المال من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم [ومن
أخلاق الصوفية القناعة
بالبسر من الدنيا] .
قال ذو النون المصري :
من قنع استراح من
أهل زمانه واستطاع
على أقرانه وقال بشر
ابن الحرث لو لم يكن
في القناعة إلا التمتع بالعرز
لكفي صاحبه وقال
بنان الجبال :

الحرام عبد ما طمع
والعبد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الضرر وبذكر هذه الهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهلكات والتنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى. ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماوات وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتفديس والتسبيح والتزينة القائم بالعدل فيما يرميه ويقضيه الشطرون بالفضل فيما ينم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينمي بأمانه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمتنه ويغنيه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حق تضيق به مجاري الشيطان الذي يثاويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشفيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما بهواه وينتجيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيهِ وبواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجه صلاة ترفقه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم الهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيها عن الشجرة فلبت بها مشهوراتهما حتى أكلتا منها فبدت لهما سواهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدوية والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشيق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنسكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعمات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغاثة التفاخر والتكبر والكبرياء ثم يدعى ذلك إلى الحقود والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البنى والمنسكرو والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل البعد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأدغنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والظفان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار المعاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتهما تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبه على فضلم آثرها

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتقم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المراغي العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ودبر أمر الآخرة بالحرص والتجمل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يفتاد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك التزويج وفضله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة البطن والفرج والميل .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملاً بطنه» (٢) وقيل يارسول الله أي الناس أفضل قال ومن قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه وأنفسكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أكل شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختاراً لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي للملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا ياملائكتي مامن أكلة يدعها إلا أبدلتها بدرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثرت عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا فاكل طعامه وثلاث لثرا به وثلاث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذا قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا وترفهم بقاع الأرض ونحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقربش الناس القربى الوثيرة واقربشوا النجباء والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكي الأرض إذا قدنهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه مكفافاً ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلاً (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملاً بطنه لم أجده أيضاً (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً الحديث لم أجده لهذه الأحاديث المقدمة أصلاً (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختاراً لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن عهداً رسول الله كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي للملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أتف له على أصل (١١) حديث ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث تضمن حديث التقدم وقد تقدم.

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكلموا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق
شعنا غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم ومانهبت
عقولهم ولكن نظر القوم بقولهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا
عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتم في بلدة فاعلم أنهم أمان
لأهل تلك البلدة ولا يذب الله قوماً فيهم. الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخواناً
عسى أن تجو بهم وإن استطعت أن يأتيك اللوت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فاقبل فانك تترك
بذلك شرف للنازل وتخل مع النبيين وتفرح بقدم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار (١) .
روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وقمروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين أجيئوا أكبادكم
وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضاً من نبينا صلى الله عليه وسلم
رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينقض الحبر السمين لأن السمن يدل على التفتة
وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصاً بالجيز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى
ينقض القارئ السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيخوا بجاريه
بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم
«للمؤمن يأكل في معنى واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل
للمؤمن أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته وذكر للمع كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتأخذها كما يأخذ المع وليس للمع زيادة عدد معي للنافق على معنى المؤمن . وروى الحسن بن
عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أديعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت
كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه
الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللطائف وفيه
جواب بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضاً ورواه الحارث بن أبي
أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وقمروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث
طاوس مرسل أجيئوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضاً (٤) حديث ابن الشيطان ليجرى من ابن
آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل
والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضاً
(٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلاً (٦) حديث المؤمن يأكل في معنى
واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث
الحسن بن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضاً (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم
شبعاً في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند ت وحسنه وه من حديث ابن
عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن
عمر رضى الله عنه أنه
قال كونوا أوعية
الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا أنفسكم
في اللق واسألوا الله
تعالى الرزق يوماً يوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشاوي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلى قط خبثاً وربما بكيت
رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر
ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد
من هذا لمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مأبهم وأجزل ثوابهم فأجدي أنتهي إن ترفعت في
معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أياً ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما
من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى
قبضه الله إليه (١) وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتميتك منه بهذه الكسرة
فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل قم أيك منذ ثلاثة أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما أشبع
النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣) وقال صلى الله عليه وسلم
«إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للتخمون الملائم وماترك
عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم
والبطنة فانها تقل في الحياة تنق في الهبات وقال شقيق البلخي العبادة حرقه حانوتها الحلوة وآلتها المجاعة
وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وتهدت الأعضاء عن العبادة
وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أخافين أن تجوعني لا تخافي ذلك أنت أهون على
الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجتنق وأعزيتني وفي ظلم الليالي
بلامصباح أجلسني فبأي وسيلة ما بلغتني وكان فتح للوصل إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي
ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك
ابن دينار قلت لعمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غيلة تقوته وتقنيه عن الناس فقال لي
يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجتنق
وأجنت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك
وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع الثابطين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين
سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذكر الجوع وقال أبو سليمان لأن
أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يسطيه
إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لطفه
في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول
الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكل كياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا
وقال لأعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من أصبح
آمناً في سريره معافى في
بدنه عند قوت يومه
فكأنما حيزت له الدنيا »
وقيل في تفسير قوله
تعالى - فلنحينه حياة
طيبة - هي القناعة
فالصوفي قوام على نفسه
بالقسط عالم بطباع
النفس وجدوى
القناعة والتوصل إلى
استخراج ذلك من
النفس لطفه بدائها
ودوائها . وقال أبو
سليمان الداراني القناعة
من الرضا كما أن الورع
من الزهد . ومن
أخلاق الصوفية ترك
للراء والمجادلة والتضبط
لإلحاق واعتماد الرفق
والحلم وذلك أن
النفوس شبة وتظهر

[١] وجد بهامش العراقي ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدين مطولاً في كتاب
استحلاء اللوت وأوردته عياض في الشفاء ١٥ .

النصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسناته»^(١) وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حق يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأشخاص البطون والسهر والسمت والحلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسوس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقالوا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حق روى فلم من النصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أتيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها بأخلاق الله كترك الزوضرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانجمن آفاتها بدوام سوء الظن بها وأصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكي مثل البطن مثل للزهو هو المود المحوف ذوالأوتار إنما حسن صوته لحفته مورقة ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر بياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغب موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شبع قد أغلظه فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر بيالي الحبز فاقطعت عن فقال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر بيالي منذ عرفتك فلا تخضر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب به الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك»^[٩] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء الكروهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعة لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذاق وهو غلط بل نفسه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإعسا يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة تنفع الجوع إلا سيطرة الطلاء ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى «إرفع الله الدين آمنوا منكم والدين أوتوا العلم درجات» فقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة وإيقاد البصيرة فإن الشبع يورث البلادة وحمى القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن السكر فيقتل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم .

[٩] «يث جاهدوا أنفسكم لم يخرج به المراتي .

في المارين والصوفي
كلما رأى نفس صاحبه
ظاهرة قابليها بالقلب
وإذا قوبلت النفس
بالقلب ذهبت الوحشة
وانطلقت الفتنة قال
الله تعالى تعلوا لعباده
— ادفع بالنفس هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولى
حميم ولا يترع الرأه إلا
من قوس زكية انتزع
منها القلب ووجود القلب
في النفوس مراد الباطن
وإذا انتزع الرأه من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضاً وتكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويمائله لوجود
النافسة ومن استقصى
في تذويب النفس بنار
الزهادة في الدنيا ينمحي
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطنه القهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق » (١) ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) وقال الشبلي ما جمعت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة مارأيت قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بمقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني إذا استلأت للعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البعد أطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب الساكين والدنو منهم . لا تشبعوا فتنفتوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح » (٤) « الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاءه الذي به ينهيا لأدراك لذة الثائرة والتأثر بالدكر فكهم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالدكر وتلذذه بالناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتسكون إلى العبادة إذا التصق ظهري ببطني . وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره غلالة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة الناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عوى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة الناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشمر الذي هو مبدأ الظفيان والنفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تمذل بشيء كما تمذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخضع له وتقف على هجتها وذلتها إذ ضعفت منها وضاعت حياتها بليقة طعام فانتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهجرته لا يرى عزة مولاه ولا فقره وإعنا سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين القدر والعجز ولا بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جمعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت » (٥) « أو كما قال قابطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب الساكين والدنو منهم . من حديث أبي هريرة في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند .

في حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة المتقين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبقى القلب في قلوب اتلفت بالله وانفتحت على عبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بصروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلا ن : رجل طالب ماعند الله تعالى ويدعو إلى ماعند الله

والانسكار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .

القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الفساق والهمل فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهب الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمثل في نفسه ولم يطلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد حجة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوסף عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزانة الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة :

وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاحالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجروح إلا بضعف الجوع فإذا شبت قويت وشردت وجمعت فكذاك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لا تشهد بدنك . وقد أهدى فقال لأنه سريع للرح فاحش الأشر فأخاف أن يجمع في فيورطني فلا أن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذو النون ما شبت قط إلا عاضيت أو هممت بمعصية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جمعت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست قائمة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والخيمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيفتكها لاحالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تغني غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثلا وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الحبر البحت سنة لا يخطأ به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة :

دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سمين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تغني وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فالصالح
الصوفي مع هذا منافسة
ومراء وغل فإن هذا
معه في طريق واحد
ووجهة واحدة وأخوه
ومعته والؤمنون
كالبنان يشد بضه
بضا ورجل مفتن
بشيء من حبة الجاه
والمال والرياسة ونظر
الخلق لما للصوفي مع
هذا منافسة لأنه زهد
فيا فيه رغب لمن شأن
الصوفي أن ينظر إلى
مثل هذا نظر رحمة
وشفقة حيث يراه
عجوبا مفتتنا فلا
ينطوي له على غل ولا
يماريه في الظاهر على
شيء لعله بظهور نفسه
الأمارة بالسوء في الرأه
والمجادلة . أخبرنا
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التمزب إذا نام على الشبع احتلم وبمنه ذلك أيضا من التهجد وبحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يندبر عليه بالليل فيغفونه الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لعدم التسلسل في كل حال فالنوم منبغ الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للمواظبة على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر تردده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ماحمك على هذا قال إني حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضت الحيز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة للسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة . ومن جملة الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة الناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتدل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وثققات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج يفسد المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فمعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الرياحي قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
زياد بن أيوب قال
حدثنا المحاربي عن
ليث عن عبد الملك عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال « لا غار أخاك ولا
تعد موعدا فتخلفه »
وفي الخبر « من ترك
للراء وهو مبطل بنى له
بيت في ربض الجنة
ومن ترك للراء وهو
محق بنى له في وسطها
ومن حسن خلقه بنى له
في أعلاها » . وأخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام
أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحثا بأدب لم يستل إلا علة الموت قبل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أشنع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الدالح ولأن يقلل من الدالح غير له من أن :- تنكث من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريبا ملازما له أخذًا بمخفته في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصمى أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والقمامة والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء إنني لأقضى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستغنى من غيري لشهوة أو زيادة استغرقت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجمله سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي جسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديعوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونحلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فلهذه لاهالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على يتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر فباأكله كان خزائنه الكثيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والمقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيتهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيّقوا بها قبورهم وأمنوا براذنين وأهزلوا دينهم وأتبعوا أنفسهم بالنسوة والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث عتبة بن رافع وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السهروردي محمد بن
أبي عبد الله السالبي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد الحوي قال أنا
أبو عمران عيسى
السمرقندي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى ابن
حمزة قال حدثنا النعمان
ابن مكيحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليده به
الطباء أو يماري به
السفهاء أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

البلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تيسر أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يسكن طي
فماله وبأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكلفة ونزلت به البطنة قال
يا غلام اتقني بشئ أهضم به طعامي بالسكع أطعامك تهضم إجماديتك تهضم أين الفقير أين الأرملة
أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل
الطعام إلى الفقير ليُدخِر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه * ونظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير
هذا لكان خيرا لك (١) أي لو قدمت لآخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت
أقواما كان الرجل منهم يسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولوهاء لأكله فيقول والله لأجمل هذا
كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها
ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزنة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويتها
وبالوقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا
وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة للتقدين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على الريد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العباد مع
أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال
والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته
في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل
الطعام فببيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمله
مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا
من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل
يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا
فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة
فيرك كل يوم مقدار رقعة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أصاها أن يرد نفسه
إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ
قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف البعد على اثنين منها وهي الحياة
والعقل أكل وأفطر إن كان صائما وتكلف الطلب إن كان فقيرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة
قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل
من صلاته قائما مع كثرة الأكل . ومثل سهل عن بدايته وما كان يقات به فقال كان قوتي في كل
سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ ب درهم دبا وب درهم دقيق الأرز . وب درهم مننا وأخط الجميع وأسوى
منه ثلثائة وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قليله فالساعة كيف تأكل قاله بغير حد
ولا توقيت . ويعك عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية
أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان
خيرا لك أحمد ذلك في الاستدراك والبيق في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم للمارة
مع السفهاء سببا
لدخول النار وذلك
بظهور قوسهم في طلب
العهر والغلبة والقهر
والغلبة من صفات
الشيطنة في آدمي .
قال بعضهم : المجادل
للمارى يضع في نفسه
عنه الخوض في
المجادل أن لا يقنع
بشئ ومن لا يقنع إلا
أن لا يقنع لها إلى
قناعته سبيل نفس
الصوفي تبدلت صفاتها
وذهب عنه صفة
الشيطنة والسبعة
وتبدل باللين والرفق
والسهولة والطمأنينة
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال «والذي نفسي
بيده لا يعلم عبد

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقمة لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على المد إلى الن ويشبه أن يكون ما وراء الن إسرافا مخالفا لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أعنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا يتدبر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغينا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده . بشهوة أى خبز كان فلهما طلبت نفسه خبزا بينه أو طلبت أدماء فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصبى فلا يقع الدباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه التقدير الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته على الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامى في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فأنى سمعته يقول « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيّرتم نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم للرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم بأوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدامن تمرين اثنين في كل يوم (٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل الصبرة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السوق والجرة من الساء والمنافق مثل السبع الضارى بلعا بلعا وسطا وسطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضل وجهه وهذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما عيطا لكان قوت المؤمن منها حالالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخير فيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام لما فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التقدير حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو والقرنى وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد الصيمى والمسلم ابن سعيد وزهير وسلمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . ون طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدامن تمرين اثنين في كل يوم ك وصحيح إسناده من حديث طلحة البصرى .

حق يعلم قلبه ولسانه
ولا يؤمن حق يأمن
جاره بوائقه انظر
صكيف جعل النبي
صلى الله عليه وسلم من
شرط الاسلام سلامة
القلب واللسان وروى
عنه عليه السلام أنه
مر يقوم وهم يحدون
حجرا قال ما هذا قالوا
هذا حجر الأشداء
قال ألا أخبركم بأشد
من هذا رجل كان
بينه وبين أخيه غضب
فأتاه فطلب شيطانه
وشيطان أخيه فكلمه
وروى أنه جاء غلام
لأبي ذر وقد كسر
رجل شاة فقال أبو ذر
من كسر رجل هذه
الشاة فقال أنا قال ولم
فعلت ذلك قال عمدا
فعلت قال ولم قال
أغيطك فضرني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أى كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من رهاب قد كره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا للنبي أو صديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنتك على باطل ؟ قال نعم فجنس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكثف محمول شغل عساهدة ما قطعه عن طبعه وعاداته واستوفى نفسه في لدته وأنساء جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهى أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتعش وإذا امتشى لم يتغد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم قوام بين ذلك (٢) وهو محمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجّد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفرار الغدّة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى العلوم فلا تتأزعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماء وما واصل وصالككم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد القرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجّد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجّد ولا يشتد به التمار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجّد والثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح

(١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تعدى لم يتعش وإذا امتشى لم يتغد لم أجده أصلا
(٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى ترزع قدماء رواه مختصرا كان صلى حتى ترزع قدماء وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطره وإتمامه هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه عن حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

تأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد غالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهي الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره اللوت و لقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون اللوت سجناء وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجناء عليه ومضيقاته فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون اللوت إطلاقها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة القردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول باعاده فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يصح ومن دأب عليه أيضا فلا يصح بتناوله ولكن تربي نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتأنف اللذات وتسمى في طائها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين غدوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشققون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمتنع من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة وتعمير النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاء فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتاء فلان العابد فم هذا تنبيه على أن تدير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسبل وقال اعزلوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى بمكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفنها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتبهت بمكة كذا وكذا فلم نجد لها فمها وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نطبخه فمها فقال لها وادفنها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سدودت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمي الدين غدوا بالنعيم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسل قال الدارقطني في الملل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة بإسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى بمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب بإسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

ثلاث سنجيات وثلاث مهلكات فأما النجيات غشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم بآني أمير على نفسه بصرفها بقلب حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب - غسل أنهم كانوا يتوسلون عن إبداء السلم يقول بعضهم لأن أنوساً من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أنوساً من طعام طيب - وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القراح فبلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن القصور داء ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمتع بملذات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فحضر عشاؤه فأتوه بثيرد لحم فأكل معه همزم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف همز يده وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أطلعنا بعد طعام والذي نفس همز يده لئن خالفتم عن ستمم ليخالفن بكم عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما نلت لمر دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حق تبيها في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيترقب به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك غلبته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكى وهو جالس بناحية من الطريق فمدت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر على قلت يا أخى قل ما شئت فقال لي اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فتمتها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذ أنا بغنى شاب بيده قدح أخضر يملأ منه بخار ورائحة سكباجا قال فاجتمعت بهمى عنه فتربه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل قد تركته لله عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب إلا أنى بكيت فقال لي كل ورحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيت قبيلى يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما يعملها من منها . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت اللاتكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بغنى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقينى حتى نمت فانتبهت وحلاوته فى نفسى ، قال شقيق قلت أرنى كيفك فأخنت بكفه قبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صحوا النع يا من يتدح فى الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من عبته أرى لشقيق عندك حالا ثم رفست يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجلود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال ققام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فإذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يسكى وقال عجبت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشفقوتى قد عزمتم على التوبة فأقلنى قال أحمد فأرأيت أكل الملح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيف مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسى لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعتة يقول نفسى اشتهت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فربك وحدث من
فيك فلا يحل حبة
الوقار والحلم إلا القضب
ويخرج عن حد العدل
إلى المدوان يتجاوز
الحدا في القضب يشوردم
القلب فان كان القضب
على من فوقه مما يجز
عن إقناذ القضب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
وبصر منه الهم والحزن
والانكاد ولا ينطوي
الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا يتكبد ولا يتم
والصوفي صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والنبي عليه السلام
أخبر أن الهم والحزن
في الشك والسخط .
مثل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فبلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة باسناد ضيف .

اشتهت تمرًا فكألت أن لاتأكله أبدا فسلمت ودخلت فإذا هو وحده ومراً أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتريها فقال لانه اشترينا من هذه الفاكهة المقطوعة المنوعة فلما نذهب إلى الفاكهة القلابة لا نأكلها ولا ممنوعة فلما اشتريتها وآتي بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتريت وغلبتني حتى اشتريت والله لا أدقته فبعث بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشج أنه قال نفسي تشتهي ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما أرويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحمًا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أذافها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشوينا وتركناها على رغيف فلقيت صبياً قتلته ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياها قالوا وأقبل يكي ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرًا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرًا بغيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبغت ربح شديدة حتى أظلمت الدنيا فزعج الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا الجراءتى عليك وشرأتى التمر بالغيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائي بنصف فلس قنلاً وبغلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا تفراً وقال عتبة الغلام يوماً لبلد الواحد بن زيد إن فلان يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرًا وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يكي فقال له بعض أصحابه لا أبكي الله عينك أكل التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئاً لم يماوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجني أن أشتري له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعتها في فيه ثم ألقاها وجعل يكي ثم قال أحمله قتلته في ذلك فقال هتب في هاتف أما تستحي تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي إنى متكلف لك شيئاً فلا ترد على كرامتى فقال أفضل ما تريد قال فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لثته بسمن وعسل قتلته لاتبرح حتى يشربها فلما كان من الند جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعابته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسؤوك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت وثلث في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السري السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في ديس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلاً يقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفاناً فجعل أخوه يلقب الأرضة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن في الرغيف الذى رغبته عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صائناً حتى استدار من السحاب الذى يعمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائناً أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للآل من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - (١)

عباس رضى الله عنهما
عن التمر والغضب قال
مخرجهما واحداً واللفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضباً ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزناً والحرد غضب
أيضاً ولكن يستعمل
إذا قصد التوضوب عليه
وإن كان الغضب على
من يشاكله وبماثلة
من يتردد في الانتقام
منه يتردد القلب بين
الانقباض والانبساط
فيتولد منه الغل والحقد
ولا يأوى مثل هذا إلى
قلب الصوفى قال الله
تعالى - ونزعنا ما في
صدورهم من غل -
وسلامة قلب الصوفى
وحاله يذف زبد الغل
والحقد كما يذف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائناً أولهم ميكائيل

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أى شئ؟ هو فقال أى شئ سمعت فيه فعددت أقوالا فكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من اللأ كولات فقال تسألنى فإذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لى حتى أسمع قال تشرب سكينجينا وتمس سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له جرهل تعلم شيئا أقل من السكينجين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهذبا بالحل ثم قال أنعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامى قال فتعرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء اللحم بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم منى بالطب فلم تسألنى ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات وكان امتناعهم للقوائد التى ذكرناها وفى بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الحبز وماوراء الحبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن نفسه ولا يملك فى الشهوات فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغى أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقط قلبه ، وقيل إن المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغى أن يأكل ويجمع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيمتد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أولي جلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفى الحديث « أذيووا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتسوق قلوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع فى يوم وأصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما أشتى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الحبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . فطرس سهل إلى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغلظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطالب بعض أنواع الحبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتا ثبنا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحبز فرأى ذلك الحبز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس فى الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخفى أن يقال له يوم القيامة - أذهبتم طياتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وبقدر ما مجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفسى خبز أرز ومكأ ففنتها فتويت مطالبها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيت فى المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقانى به ربي من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلنى به خبز أرز ومكأ وقال كل اليوم شهوتك ههنا خير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا ههنا

أمواج الأنس والهية وإن كان الغضب على من دونه عن يقدز على الاتهام منه نار دم القلب والقلب إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تجمر الوجنتان لأن الدم فى القلب نار وطلب الاستعلاء وانتفضت منه المروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيتمدى الحدود حينئذ بالضرب والشم ولا يكون هذا فى الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتسوق قلوبكم طرس وابن السكيت فى اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

عما أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقتنا الله لما يرضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن الطلوب الأنص في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يوصى* إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيمات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النقص منه على وجه يومي* عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة ما يفضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينهى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاربان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالسكينة بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في البناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه^(١) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل للمعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب وينع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبق للمساكول فيه أثر ليكون متشبهًا بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتناء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نخلة أقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض فان النخلة تهزب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لاتقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها وأوضح عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالنخلة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الحلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها »^(٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بالجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحًا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تستدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمتنعه القواكه والشهوات وقد لا يتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجناح والامتناع عن العبادة كان الأصابع لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتسكسرها وتفسدها والمقصود أن تتسكسرها حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث الترمذي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها الباقى في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل
ويتم النفس بعدم
الرضا بالقضاء ، قيل
لبعضهم : من أقهر
الناس لنفسه قال
أرضاهم بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
ومالى سرور إلا مواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم العلم
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وغاضت
حرارة الخلد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السمات
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حاتمة بن قدامة قال

يبتنع من ملازمة الجوع من سألني طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلفظه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس فلما تتأدب تتأدبا كاملا وكثيرا ما تنظر فتنظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالثة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم ^(١) وكان يدخل على أهله فيقول « هل عندكم من شيء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم ^(٢) وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل ^(٣) » وخرج ^(٤) يوما وقال « إني صائم فقال له عائشة رضي الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه ^(٥) » ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلا حد ولا توقيت أي آكل كثيرا بل آتي لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخي بشرا قبضه الورع وأنا بسطني للرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حوريا فقيل يا أبا إسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه قرايسرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في دبس لما فعل فبراه متناقضا فيتجير أو يقطع بأن أحدهما مخطيء والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها قطن محتاط أو غي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة المارقين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم دت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتي (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند م قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أوصى وأقلل له لي أعبه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام « إن القضب حمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه واتفاح أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن عيسى قال أنا أبو الفتح المروزي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

السكرى وإبراهيم بن آدم فأقدي بهم وأرفع التقدير في مأ كولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فإلى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتباعه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه فربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعثا اعزلوا عن حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لأعماله عما يدعوه إليه فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يحمد متعلقا من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريدين في كل رياضة كان يأمر بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فيسيأقهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأكوما بسمن فعلاه بالذرة وقال لأم لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا وصمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا فقاروا وهذا هو الاعتدال فأما الواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتبه بها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهى فيخفى الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفى . مثل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقبله هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار صفة الكمال هو تضياعان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتبين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر الناقلين فقال تعالى - إن الناقلين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترف كان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخلقين فحبا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والنفى والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمزله من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلييس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا شئ عبد الفيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمواقة مع الإخوان وترك الخالعة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مائى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتألف من اختلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذى أوردناه فإنا نعرف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تقلين وبجرعها كأس الصبر مرتين مرة بجرعه ومرة برميها فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالقتل جهرا وبالفقر سرا لمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يفتره قوله الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد وبروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك تعل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات .

الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرفه فيشتهر بالتحفف عن الشهوات وقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شرمها وهي شهوة الحياء وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك منها فتكون قد أعتقت عن نفسك الشهوة وتكون قد نصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطمعتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفرغ إلى حية لأن شهوة الرياء أضمر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لقائدين : إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار وألها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بالأم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإن ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة الغلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر محمى وجرى وقلبي وهنى ومنى ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حيا لك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لم تتركك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تغسل أحدهما الأخرى وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر محمى وجرى وقلبي ودينى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حائل الشيطان الأصفيان في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني باسناد فيه جهالة .

الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أنجبت نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر
ثلاثاً لا تغل بامرأة لا تغل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أقتنه بها
وأقتنها به ولا تعاهد الله عهداً إلا أوفيت به ولا تخرج صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها
إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بهائم ولي وهو يقول يا ولياء علم موسى ما يحذر
به بني آدم . وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبياً فيها خلا إلا لم يأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا
شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبقى ويتابنى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمى الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع
سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يهجر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى
الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يهجر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش
وقد يتسبى إفراطها بطائفة إلى أمرين شذيين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من
الوقوع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة لتعظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كمن ابتلى
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهيجها ثم يشتغل بإصلاحها
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقوع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
الخلاص . فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى
جبرائيل ضعف الوقوع فأمرنى بأكل الحريسة (١) » فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحتة تسع نسوة
ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا الامتناع .
والأمر الثانى أنه قد تنهى هذه الشهوة يعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بمباضع له الوقوع وهو
مجاوزه فى البيمة لحد البهائم لأن العشق ليس يقنع بآفة شهوة الوقوع وهى أقبح الشهوات وأجدرها
أن يستجبا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى إلا من محل واحد والبيمة تقضى الشهوة أين اتفق
فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى
يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما
العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لأم له وإغما يجب الاحتراز من أوائله بترك
مماودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكمت عسر دفعه فيكذلك عشق السال والجام والمقار والأولاد حتى
حب اللعب بالطيور والزرد والشرطي فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنخص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومثال من يكثر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يمالجها بمد
استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنوبها ويهجرها إلى ورأها وما أعظم
التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور قائماً فى أواخرها فلا تقبل العلاج
إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يضل العقل إلى هذا الحد وهو
مذموم جداً وتفریطها بالنعاة أو بالضعف عن امتناع النكوح وهو أيضاً مذموم وإغما الحمد وأن تكون
معتدلة ومطبعة للعقل والشرع فى اقتضاها واتساعها ومنهما أفرطت فكسرهما بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقوع فأمرنى بأكل الحريسة العقيل فى الضمفاء طس من
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وهم لا يغزعون وبخاف
الناس وهم لا يخافون
وهم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يعزنون قيل من هؤلاء
يا رسول الله . قال
التحابون فى الله . وقيل
لوتحاب الناس وتعاطوا
أسباب المحبة لاستغفروا
بها عن العدالة . وقيل
العدالة حليفة المحبة
تستعمل حيث لا توجد
المحبة وقيل طاعة المحبة
أفضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من
داخل وطاعة الرهبة
من خارج ولهذا المعنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض فى
البعض لأنهم لما تعابوا
فى الله تواصوا بمحاسن
الأخلاق ووقع القول
بينهم لوجود المحبة
فاتسع لذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالبائة فمن لم يستطع فليبه بالصوم فالصوم له وجاء (١) » .
(بيان ماطى الريد في ترك التزويج وفه)

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل عنه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يخرجه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا تقاس لللائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال مارأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتني الله بها أى إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلفني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لتصور طاقة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقتا يبدنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال (٤) حتى يعود إلى ما هو قرة عينه (٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقتصر عن الوقوف على أسرار أنفاله صلى الله عليه وسلم فشرط الريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المراقبة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالتكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فلهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره . ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي إلى القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبير إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف امرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتقى . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسى القديعة وسهمى الذى لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظرة سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء (٨) » وقال تعالى - قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالصينان

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمرا لله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في الساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بانعة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا والذى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن عمش الزياى قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكس النكاح فليتزوج الحديث تقدم في النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع مافي الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلفني يا عائشة لم أجده له أصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضا (٦) حديث النظرة سهم مسوم من سهام إبليس الحديث تقدم أيضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدرى .

تزيان وزناها النظر والبدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها المشي والقيم تزيان وزناها القبله والقلب يهم أو يمتنى ويصدق ذلك القرج أو يكذبه (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يصبرنا فقال وأنتما لا تبصرانه؟ (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة الصبيان كما جرت به العادة في الآثم والولائم فيحرم على الأعمى الخلو بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللاتحي لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فاقول لست أعنى تفرقة العين قط بل ينفى أن يكون إدراكه التفرقة كما إدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداها بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتبه ملامسة الأزهار والأنوار وتقيها ولا تقبيل للماء الصافي وكذلك الشبهة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك يميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب للنفشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويحرم ذلك إلى العاطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطاً . وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يعلمون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما عجز الريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح قرب نفس لا يمكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثر الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أعجب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمدتها فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدرى يغاطيني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فأنقطع ذلك عني وولدت لي ومهما احتاج للريد إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتداءه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فعلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدنية ولا يطلب

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعبدان تزيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أبي هريرة وانفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث دون وقال حسن صحيح .

أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الكرماني قال حدثنا يحيى الكرماني قال حدثنا حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن ابن سعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألا إن مثل المؤمن في توادهم وتغابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرهُ بالسهر والحمى» . والتسآلف والتودد يؤكدان أسباب الصحة والصحة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل لقاء الإخوان لقاح ولا شك أن البواطن تلقي وبتهوى البعض بالبعض بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مفالة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون للمرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد هيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ماذبهت إلى الخلاه قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستجبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقبله في ذلك فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقبله قد سرفت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقبله لم لا تظنها فقال أختي أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج الريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهافمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على راحة العذوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى آتئها مائة ألف سوانا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فحي زادك وقسم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أو صيائك فيقتسموا رائك فضم الدهر وليكن فطرك للوت وأما أنا فلأن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضافه ما سرتني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليتنظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وعض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأمل سادتها فليقطع ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إيليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشو بالأخرى ماشى أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فتفقدت أياما فلما أتته قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهادتها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفعل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقامت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفسكر من أخذ ومن أستدين فضليت القرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بابي يقرع قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فاذا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بداه قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأنتيتك فقال لأنت أحق أن تؤني قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فزوجت فكبرهت أن أيتك الليلة وحده وهذه أسرائك وإذا حي فائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها

صلاحا والظرف في الصور
يؤثر أخلاقا مناسبة
لخلق المنظور إليه
كدوام النظر إلى
المحزون يحزن ودوام
النظر إلى السرور
يسر . وقد قيل من
لا ينفك لحظه لا ينفك
لقظه والجلل السرود
يصير ذلولا بمقارنة الجلل
المجلل فالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يخسدان بمقارنة الخفيف
والزروع تنقي عن أنواع
الصروق في الأرض
والنبات لموضع الافساد
بالمقارنة وإذا كانت
المقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء ففي النفوس
الشريفة البشرية
أكثر تأثيرا وسمى
الانسان إنسانا لأنه
يأس بما يراه من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى المصمة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لسكران تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت وبحكم زوجي سعيد بن السيب ابتته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشفت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيتته وهو في حلقة فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدوئك والمصا فانصرفت إلى منزلي فوجهه إلى بشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحثاله على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الحيوان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحي منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لحوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه يثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من المصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فإن من ترك الزنا اندفع عنه إجماعه بأي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق نَفْسَ فُكْتَمَ لِمَاتِ فَهُوَ شَهِيدٌ » (١) وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدة منهم رجل دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين » (٢) وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همت وأنت سليمان الذي لم تنهم إلى قوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجوب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليلتاع شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم فحسرت به أعراية من قلة الجبل وانهدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه قلعة فمر وقالت

(١) حديث من عشق نَفْسَ فُكْتَمَ لِمَاتِ فَهُوَ شَهِيدٌ في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي عرس ورمح غزوت سويداً ورواه الحرائطي من غير طريق سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وشروا ألف والتودد
مستجلب للمزيد وإنما
العزلة والوحدة تحمد
بالنسبة إلى أرذل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحيدة فينتقم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كما أن محبتهم محبة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كائن بأثن ومع
الجنس كائن مغاير
والمؤمن مرآة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأحواله
تجليات إلهية وتمريجات
وتلويحات من الله
الكريم خفية ثابتة
عن الأغيار وأمدكها

أهنتي فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحجب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال مايكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت مايكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتجى بثوبه فأخذته عينه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز له جبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبليهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى نأما فلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أغبق قبليهما أهلا ولا مالا فلبت والقدح في يدي أنظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانقرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فتمرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إنني استأجرت أجراً وأعطينيهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتتهزأ بي فقلت لا أستعزى بك فخذ فاستأقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة فخرجوا عايشون ^(١) » فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا لحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ^(٢) « لك الأولى عليك الثانية ^(٣) » أي النظرة . وقال العللاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فلهما تخاليل إليه الحسن ماضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « مامن الناس أحد أمن علينا في محبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » وقال « ما نفقى مال كمال أبي بكر » فالخاق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والمطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبليهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى نأما فلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أغبق قبليهما أهلا ولا مالا فلبت والقدح في يدي أنظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانقرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فتمرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إنني استأجرت أجراً وأعطينيهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتتهزأ بي فقلت لا أستعزى بك فخذ فاستأقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة فخرجوا عايشون ^(١) » فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا لحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ^(٢) « لك الأولى عليك الثانية ^(٣) » أي النظرة . وقال العللاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فلهما تخاليل إليه الحسن ماضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبليهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى نأما فلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فسكرت أن أغبق قبليهما أهلا ولا مالا فلبت والقدح في يدي أنظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانقرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فتمرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إنني استأجرت أجراً وأعطينيهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتتهزأ بي فقلت لا أستعزى بك فخذ فاستأقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانقرجت الصخرة فخرجوا عايشون ^(١) » فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا لحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ^(٢) « لك الأولى عليك الثانية ^(٣) » أي النظرة . وقال العللاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فلهما تخاليل إليه الحسن ماضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة وت من حديث بريرة قاله لملي قال ت حديث غريب .

إلا التمسرح وإن استقبح لم ياتد وتألم لأنه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آله فلا يحلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تمسرح ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله الزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حبا لك منك لي ولكن أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لأخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلتنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى انتهى إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم بعثك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن الثابت عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد للسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت ففعل ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون لاتهمة موضعاً فقالت له والله ما وقعت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنهم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها وجملة ما أقول لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك قال ففعل الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أيها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ماذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجنو الأم لصولة الجبار العظيم وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري وإن كان ماذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم والمرضة والأوجاع المرضة ذلك الله رب العالمين فاقتدي به بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالم للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - فأين للهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت أسأل لك الله الذي يده معانيب قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبته وقالت آمين على بموعظة أحملها عنك وأوصى برصيه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالدين ويعلم ما جرحتم بالنار - قال فأطرق وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أقافت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يغنى عن الخلق
ويرى الأعياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذي منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت
للخلق منعا ولا عطاء
ويحبه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجوداً في النعم
والعطاء بعد أن يرى
السبب أولاً ولذلك
لسعة علمه وقوة
معرفة يثبت الوسائط
فلا يحبه الخلق عن
الحق كعامة المسلمين
ولا يحبه الحق عن
الخلق كأرباب الآراة
والبسدين فيكون
شكره لاحقاً لأنه للنعم
والعطي والسبب

ذلك حق ماتت كذا فكان الفق يدكرها بعد موتها ثم يسكى فيقال له م بكائك وأنت قد أبأسنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلت فطيتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والمحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألهمه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدمه به فضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأقبله ثم أمد بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه مآثره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأضح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سبيله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم به وجهه ونبه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبيله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويتعرض له باثبات أو نفي فإن كل ما يتناول العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رطب لليدان ليس له مرد ولا لجملة منتهى وحده له في الحيز مجال رطب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأعمله مرغى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكتف الناس في النار على متأخرم إلا حصائد ألسنتهم ولا يتنجس من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيا ينفعه في الدنيا والآخرة . ويكفه عن كل ما ينجس فآلته في حاجه وآجله وعلم ما يحمده فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا لعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصالده وحباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره نقول بجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يبنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفرغ في الكلام بالتشدد وتكلف الدجج والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاهين المدعين للخطابة ثم آفة النقص والسب وبداءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحبوان أو جواد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجس أو عصى فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين ذاء أهونها الجذام » . وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بنعمة الحمد لله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يراد الخلق بها هكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها لعمه

وما يحل فلا نصيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفساء السر ثم آفة الوعد بالكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة النجاسة ثم آفة النجاسة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين فيكم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى حقوى الكلام لاسيا فيما يتناق باله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف اهل قديمه او محدثه وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(يان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصبر والصمت وحث عليه
قال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى »^(١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقيل فاعله »^(٢) أى
حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت يا رسول الله أخبرنى عن الاسلام بأمر
لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ يده إلى لسانه »^(٣) وقال
عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك ولا يسمعك بيتك وابك على
خطيئتك »^(٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لى بما بين لحيه
ورجليه أنكفل له بالجنة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفه وذبحه وقلقه فقد وفى
الشركة »^(٦) « القصب هو البطن والذبذبة الفرج والقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر
الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج » وقد سئل
رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل
النار فقال الأجوفان الفم والفرج »^(٧) فيحتمل أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن
يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « يا رسول الله أتأخذ بما تقول فقال ثكلتك
أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »^(٨) وقال عبد الله التقي قلت
« يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علىّ
فأخذ بلسانه وقال هذا »^(٩) وروى أن معاذ قال « يا رسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

(١) حديث من سمعت نجات من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الدعوت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثوري أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه ونه وهو عندم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لي بما بين يديه ورجليه أتوكل له الجنة رواه (٦) حديث من وثق شرفه وذبحه ولعلقه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف باللفظ فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكثر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه وه من حديث أبي هريرة (٨) حديث مماذا قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله الثوري قات يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

(۱۴ - احیاء - ثالث)

فكفون نعمة الحمد
أفضل من النعمة التي
حمد عليها فإذا شكروا
للنعم الأول يشكرون
الواسطة للنعم من
الناس ويدعون له .
روى أنس رضي الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزلت عليكم
البركة » . أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البزار قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البغوي قال أنا عمرو
ابن زرة قال ثنا عينة
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه^(١)، وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»^(٢) وقال ﷺ «من سره أن يسلم فليزم الصمت»^(٣) وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقممت استقمنا وإن اعوججت اعوجبنا»^(٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ما تمنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»^(٥) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تقدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء؟ قوله أو شيء؟ سمعت؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»^(٦) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه صتر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره»^(٧) وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني، قال: اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللوثي وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه»^(٨) وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق»^(٩) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشاء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للأخوان والمسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بصوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والعاون في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومعالجتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحال عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

ومو خطاً والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كإرواه وصححه . وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحرالطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكّر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رحمه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإعما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رحمه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تمنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في اللؤلؤ والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وم على الدروردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول بالسان قل خيراً تنم واسكت عن شر تسلم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه صتر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليست (١) » وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدناكم فتم أو سكت فسلم (٢) » وقيل ليسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن الشكر فإن لم تنطق فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقلق الله امرؤ علم مايقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن يحموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يغرض في الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يشككم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان الناقى أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في القرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » . والآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لسانى صبح إن أرسلته أكلنى ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يضي . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

- (١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو وليسكت متفق عليه .
- (٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدناكم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت واليهيقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن يحموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة وقد تقدم .
- (٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يشككم بشيء تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطى في مكارم الأخلاق من روايه الحسن البصرى قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء واليهيقي في الشعب موقفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتأنه بذلك لقضاء حوج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سنين فيكتب جها يعيش فيه مؤمن أم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتن به خلق من الجهال الدعين ولا يصلح هذا إلا لبعيد اطلع الله على باطنه فلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والسال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ماطنى ولا استطال ولو دخل إلى آتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ما كنت فقال له مالك يا أبا بحر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقبصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقول، وقال الآخر إنى إذا تسكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أنكلم به أملكها ولم تعلمكنى، وقال الثالث عجبت لتسكلمكم إن رجعت عليه كله ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقول أقدر منى على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن العز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل مات تسكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقد اكمل ماتكلم به كنية ثم يحاسب نفسه عند المساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والفيهة والنجبة والرياء والنفاق والفحش والراء وتزكية النفس والحوض في الباطل والخصومة والفضول والتعريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سياقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلالة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه مما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله فى الحوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، وهذا مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تبنى بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والفيهة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يغنى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئله كرهه علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجما » (١) فأتدأوق والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ما نعت أحادكاته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سئله من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها وترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام فى الفيهة والنجبة والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بهون الله تعالى.

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا ينبتك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الفيهة والنجبة والكذب والراء والجidal وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجما تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم م من حديث أبى هريرة وقد تقدم.

(الآفة الأولى الكلام فيما لا ينبتك)

الصادقين يفسلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى براده منهم فيدخلون فى الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة ويبدل الجاه يدخلون فى ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام القناء ثم رفقوا إلى مقام البقاء فيصحبون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان ويأذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم أرتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح الراد فى خفى الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يفتح لك من نعمات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هلت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا ينفعه فانه وإن لم يأتهم قد خسر حيث فاتته الرجح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون محبة إلا فكرا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينفعه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه » (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لله كان يتكلم فيما لا ينفعه وينزع ما لا يضره » (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أشير يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله ؟ قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كبا قال ما لا ينفعه أو منع ما لا ينفعه » (٤) ومعناه أنه إنما تنبأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا ينفعه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنبأ الجنة مع التناقض في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوتق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينفعني » (٥) وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الوزن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك » (٦) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لا تتكلم فيما لا ينفعك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينفعك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر ينفعه

(١) حديث المؤمن لا يكون محبة إلا فكريا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه وقال غريب و من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لله كان يتكلم فيما لا ينفعه وينزع ما لا يضره من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كبا قال ما لا ينفعه أو منع ما لا ينفعه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا ينفعني ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من
القطار إلا واحد
متحقق بهذا الحال .
قال أبو عثمان الحيري
لا يكمل الرجل حتى
يستوى قلبه في أربعة
أشياء للنعم والعطاء
والعز والذل وبمثل هذا
الرجل يصلح بذل
الحياء والدخول فيما
ذكرناه . قال سهل
ابن عبد الله لا يستحق
الإنسان الرياسة حتى
تجتمع فيه ثلاث
خصال : يصرف جهه
عن الناس ويعتزل
جهل الناس ويترك
ما في أيديهم ويذل
ما في يده لهم وهذه
الرياسة ليست عين
الرياسة التي زهد فيها
وتعين الزهد فيها
لضرورة صدقه
وسلوكة وإيما هذه

فدومته في غير موضعه فنت ولا نمار حلما ولا سفيا فان الحليم يهلك والسفيه يؤذيكم واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به وأعفه بما تحب أن يفيك منه وطامل أخاك بما تحب أن
يملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقيمان الحكيم ما حكمتك
قال لا أسأل عما كفيته ولا أنكف ما لا يهينني . وقال موري العجلي : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يهينني . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا يهينك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في أمرك الذين يغشون
الله تعالى . وحد الكلام في لاينيك أن تكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال .
مثاله أن يجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت
عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلها أن تسأل غيرك
عما لا يهينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألبأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهر لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا
وإن سكنت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداومة الجواب انصرف إلى جهد وتعب فيه قد
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر
عبادته وكذلك سؤالك عن العاصي وعن كل ما يغضبه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك
فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرما بمنعه مانع من
ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها والمثول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجيب عن غير بصيرة
ولست أعني بالتكلم فيما لا يهين هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يهين
ما روى أن لقيان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو سرور ديفا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم
فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فنته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ
قام داود ولبسه ثم قال نعم المرح للعرب فقال لقيان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يهين
وتركه من حسن الاسلام فهذا حله . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أو للباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن اللوت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه حكمة
يقدر على أن يقتنص بها الجور العين فاهماله ذلك وتضييع خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصع حصة فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يهين
حتى يتاد اللسان ترك ما لا يهين ويضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خاتمه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادي
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانته من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبني ربى
فأحسن تأديبي »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر البعد وباطنه
صار صوفيا أدبيا وإنما
سميت للأدبة مأدبة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يبنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فإن من يبنى أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره وبهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبله كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيًا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أنتكروا أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن النعمان قعيد ما يلفظ من قول إلا لدية رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثر فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله » (١) فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستوي بينكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخفى أن يستويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل لبسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن بن علي بن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ماسكان كريمين يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بث بعض عفاريتيه وبث قرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هجيت من الملائكة على رموس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعلون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يشكم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله البخارى وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب امرئ وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخارى لا أدرى مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له حجة ورواه البراء من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن في اليوم واليلة بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ النصف

صورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسيبل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
- لا تبديل لخلق الله -
والأصح أن تبديل
الأخلق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأ لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
أهم الانسان ومكة

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني قال أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١)» وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستمر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليعنى من كثير من الكلام خوف الباهة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكنا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي جيب من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وتقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم بهلك الناس خلتان فضول اللال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسيئه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يبنى .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في العاصي ككتابة أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتتم الأغنياء ونهبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم الكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه ثم من يكثر الكلام فيما لا يبنى لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يمدون كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتغنيها فلذلك لا يخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجلس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة (٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا (٣)» وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفقه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل (٤)» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخائضين - وبقوله تعالى - فلا تفتقدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في مصيبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضئوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وث إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوصا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالتربية إلى أن يسير التوى نغلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار وكما جعل في نفس الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والإفساد فقال سبحانه وتعالى - ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها - فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل - قد أفلق من زكاهما وقد خاب من دساها - فإذا تزكت النفس تدبرت بالفضل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة ونهتدبت الأخلاق وسكوت الآداب فالأدب استغراج مافي القوة إلى الفعل وهذا

وراء ماسياتي من الغيبة والتمية والفحش وغيرها بل هو الحوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر لتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الحوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلفظه وكرمه .

(الآفة الرابعة للراء والجدال)

وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه »^(١) وقال عليه السلام « ذروا الراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الراء وهو مبطل بنى له بيت في ربيع الجنة^(٣) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال »^(٤) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلا أوتوا الجدل »^(٥) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان محقا »^(٦) وقال أيضا « ست من كن في بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتسجيل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على الكاره وترك الراء وهو صادق »^(٧) وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جمل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار يا كم والراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يتغنى الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا الراء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمة توك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه قد تمت خسارته وقال سفيان لوطخالت أخى في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرمينك بداهية تمنك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبى فلما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثمًا أن لا تزال مماريا

(الآفة الخامسة للراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا الراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك واثلة بن الأسقع باسناد ضيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك الراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطرائي والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في للراسل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة ومحمه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره الصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر الراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن إلا بحق يترك الكذب في الزاحة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك الراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخبر الحديث .

يكون لمن ركب
السجية الصالحة فيه
والسجية فصل الحق
لا قدرة للبشر على
تكوينها كتكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله المحض
واستخراجه بكسب
الآدمي فهكذا الآداب
منعها السجيا الصالحة
والمسح الإلهية ولما هيا
الله تعالى بواطن
الصوفية بتكامل
السجيا فيها تواصلوا
بحسن الممارسة والرياضة
إلى استخراج مائ
النفوس وهو مركز
بخلق الله تعالى إلى
القلل فصاروا مؤدبين
مهذبين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة بممارسة
وربما القوة مأودع
الله تعالى في غرائزهم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان ^(١) » وقال عمر رضى الله عنه لا تعلم العلم ثلاث ولا تترك ثلاث لا تعلمه لتتارى به ولا لتباهى به ولا لتراى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهاده فيه ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحت أرواحه سقطت مروءته ومن كثرتهم سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقول ليحون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لأنى لا أشاركه ولا أماريه وما ورد فى ذم للراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما فى اللفظ وإما فى المعنى وإما فى قصد التكميل وترك المراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام صمته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والطمين فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحوى أو من جهة اللغة أو من جهة العريية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بظنيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فبأن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت والسؤال فى معرض الاستفادة لاطل وجه العناد والسكرارة أو التلطف فى التعريف لافى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إغغام الغير وتمجيذه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو للظهور له خطا ليين به فضل نفسه وتقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به ولو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإعاقوتهما المراء والجدال فالمواطبة على المراء والجدال مقول هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة مما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك الممارسة عن الإيذاء وتهيج الغضب وحمل المعارض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين التمارين كما يثور الحراش بين السكبين يقصد كل واحد منهما أن يعرض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى فى إغغامه وإلجامة وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كاسيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بما طمته سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم للمواظبة عليه تجملة عادة وطبعها حتى يتمكن من النفس ويصير الصبر عنه . روى أن أباحيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الأزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال ففعلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على مناهو وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه نسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يئلب ذلك فى اللذاهب والعقائد فإن المراء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لفصان قوى أصولها فى العريضة فلهذا احتاج للريدون إلى محبة للشافع لتكون المحبة والتعلم عوناً على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما فهوم وأديبوم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال - خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فإن الجدال يخيّل إليه أنها حيلة منه في التلبّيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتأكّد فاذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردّ قوله هذا سبع مرّات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويّ في هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحسب الجاه والتعزّز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشقّ مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الخصومة)

وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال وللراء فالراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار للذهب وتقريرها والخصومة لجاح في الكلام ليستوفى به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق قد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي بدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للرودة ولا أضيع للذة ولا أشغل لقلب من الخصومة قال قممت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تندم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يجعله على الخصومة محض العناد لتهرا الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عناؤه وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا اللال ربحا ربيت به في بر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة والاحتجاج وهو مذموم جدا فأما للظلم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاح على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحمه الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلقظ رحمه الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الخصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وخ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمغاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضمنه الجمهور .

بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو خنيس العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي خنيس وقفا على رأسه يأثمرون لأمره لا يخطئ . أحد منهم فقال يا أبا خنيس أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط منها

وإيذاء فمعه ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتبيح الغضب وإذا هاجم الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساء صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا للرأ والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذرا جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا تدم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيها خاسم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، نعم أقل ما يفوت في الخصومة والرأ والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار للواقعة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي أحاصه إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام»^(١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فارده عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدتها الله تعالى لمن أطعم الطعام وآلان الكلام»^(٢) وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أقول هذا الخنزير فقال أكره أن أعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة»^(٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا بكلمة طيبة»^(٤) وقال عمر رضي الله عنه البرئ هي وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسيط ربك إلا أنك ترضى به جليستك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه لهله يحوزك منه ثواب الحسين وهذا كله في فضل الكلام العليب وتضاده الخصومة والرأ والجدال واللاجاج فإنه الكلام المستكره الموحش للوذي للقلب للنفس للعيش فلهيج للغضب والوغل للصدر نسال الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشديق وتكاف السجع والنصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والتقدمات وما جرت به عادة المتفاسحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المفقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمقي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أنبضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفتيقون المتشدقون في الكلام»^(٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها

(١) حديث يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشديق)

(٥) حديث إن أنبضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفتيقون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بهذاه الكعبة وربما كنت أستلق وأمد رجل لي فجاءني عائشة الكعبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لأتجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرار أمي الدين غداوا بالنعم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «أهلك التطعون ثلاث مرات ^(٢)» والتطعن هو التعق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شق الكلام من شقاق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاء بالسنتها ^(٣)» وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والقدمة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنين قال بعض قوم الجاني : كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل قال أسجعا كسجج الأعراب ^(٤)» وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن القصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويؤجر عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنه عنه ومصدره الحبث والأؤم . قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ^(٥)» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم ^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بإفظ إن أفضكم إلى ^(١) حديث فاطمة شرار أمي الدين غداوا بالنعم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب ^(٢) حديث ألا هلك التطعون م من حديث ابن مسعود ^(٣) حديث سعد بن أبي وقاص على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاء بلسانها رواه أحمد ^(٤) حديث كيف ندي من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الترمذ بن شعبة وأبي هريرة وأصاهما عند خ أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

^(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبرى في التفسير والحاكم ومصححه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة ^(٦) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللفسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في آب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا ^(٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومصححه وروى موقوفًا قال الدارقطني في الطل والوقوف أصح ^(٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبث
أمور بلازمة الأدب
والنفس تجري بطباعها
في ميدان الخالفة
والعبث يرد بها بجهده
إلى حسن اللطافة
فمن أعرض عن
الجهد قد أطلق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أعانها فهو شر يكها وقال
الجنيد من أعان نفسه
على هواها قد أشرك
في قتل نفسه لأن
العبودية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المسروي قال أنا
أبو النصر الترياق قال
أنا أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قبيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قدعة خبيثة فيستلها كما يستل الرفت (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبائة في الايضاح حتى يتهى إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أسمع العوام أولى من البائة في يانه إذ قد يثور من غاية اليان فيه عكوك ووساوس فافا أجملت بأذرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من يانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش للتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة فقال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأخنف ابن قيس ألا أخبركم بأدوا الله الله اللسان الذي والخلق الذي ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للاستبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتدأشون عنها بل يكون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما ياربها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم يفو ويكنو كفى بالنس عن الجماع فالسب والنس والدخول والصحة كنايةات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستحب ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها معظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والفائط أولى من لفظ التفوط والحراء وغيرها فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه غشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري

من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستل الرفت ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في محبته فذكره أبو نعيم في الصعابة وذكره مع حب في التابين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك وصحه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش للتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بأساند صحيح .

قال ثنا تميم قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن صالح عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولله خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والدولد من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة ويأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فاتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلماء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه غفرج تحت إبطه خراج فأثنيته نساءه لئلا يرى مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الابداء وإما الاعتباد بالحاصل من مخالطة الفساق وأهل الحب واللؤم ومن عادتهم النسب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعله فيك فلا تعيره بشيء يعله فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسب شيئا قال فما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للقتبان شيطانان يتعاونان ويتهارجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه (٤) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه » .

(الآفة الثامنة الامن)

إما لحوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلاعنوا بلعة الله ولا بنضبه ولا بجهنم (٦) » وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة (٨) » قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمتلئ بين الناس لا يتعرض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولما نين كلا ورب السكبة مرتين أو ثلاثا (٩) » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعله فيك فلا تعيره بشيء يعله فيه الحديث أحمد والطبراني باسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال اللبتان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث اللبتان ما قاله في البادية حتى يعتدى الظلوم ، م من حديث أبي هريرة وقال لم يعتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو (الآفة الثامنة الامن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس للمؤمن بالطمان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لا تلاعنوا بلعة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعانين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأنني رأيت غير مستند فتحتني عن الوسادة قليلا فتوجهت أنه توقي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحن ببيره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسير معنا على بئر ملعون » (٢) وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ التبرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات المنتزعة لللعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعي والفسق. الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخواارج والروافض أو على الزناة والظلة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص العين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنة شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فإن قلت يلحن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتت له الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد البدع أولى فلحن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللحن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حق إن من لم يعلم عاقبته كان يلحنه قهري عنه إذ روي « أنه كان يلحن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل نوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعائن لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحن ببيره فقال يا عبد الله لا تسير معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رجل وذكوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن الحيان ورعا الحديث

ظاهرا وباطنا فأساء
أحد الأدب ظاهرا
إلا عوقب ظاهرا وما
أساء أحد الأدب باطنا
إلا عوقب باطنا . قال
بعضهم هو غلام الدقاق
نظرت إلى غلام أمرد
فقطر إلى الدقاق وأنا
أنظر إليه فقال لتجدن
غبا ولو بعد سنين
قال فوجدت غبا بعد
عشرين سنة أن
أنسيت القرآن . وقال
سرى صليت وروى
ليث من الليالي ومددت
رجلي في المهراب
فوديت يأسرى هكذا
تجالس الملوكة فضممت
رجلي ثم قلت وعزتك
لامددت رجلي أبدا
وقال الجنيد فبقى ستين
سنة مامد رجله ليلا
ولا نهارا . قال عبد الله
ابن المبارك من تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجوز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة قال أبو بكر يكلفني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرتكم الكفار فسموا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك (١)» وشرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تغفل هذا فانه يحب الله ورسوله فتهاء عن ذلك وهذا يدل على أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في الكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن القلة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بنفسه أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر فيدعه أو غيرها كان عطفنا لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فضرب ابنه الحديث في الرسائل من رواية علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنه سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فإذا سبتم المشركين فسيوم جميعاً (٢) حديث شرب نيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تغفل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسل محمد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمداً وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلد في الشراب فأتى به يوماً قائم به فجعله فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلتصوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تصنوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان
السنن ومن تهاون
بالسنن عوقب بحرمان
الفرائض ومن تهاون
بالفرائض عوقب
بحرمان المعرفة . وسئل
السري عن مسألة
في الصبر فجعل يتكلم
فيها فندب على رجله
عقرب فجعلت تضربه
بأبرتها قيل له ألا
تدفعها عن نفسك
قال أستمى من الله
أن أتكم في حال
ثم أخالف ما أعلم فيه
وقيل من أدب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال
«زويت لي الأرض
فأريت مشارقها
ومغاربها» ولم يقل
رأيت . وقال أنس
ابن مالك الأدب
في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تصي إماماً عادلاً والتعرض للأموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولاتسيبهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه محتمل أن يموت بسد التوبة فان وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر واقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق والقتل كبيرة ولاتنتهى إلى رتبة الكفر فإذا لم يقيد بالتوبة وأطاق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا تهانوا الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكين إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجلسوا يلصقونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكرك لما ارتكبت منك فقال إنما كلنا نخرج من مصيفي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من مصيفي لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن اللؤمى بصد قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من لعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صرح الله جسمه ولا مله الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تصي إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد ولرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث للغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين للغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرهم المجهول وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لعن اللؤمى كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل والترمذي من حديث عائشة بسد ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انصر .

العمل . وقال ابن
عطاء الأدب الوقوف
مع المستحسنات
قبل مامنه قال أن
تعامل الله سرا وعلنا
بالأدب فإذا كنت
كذلك كنت أدياً
وإن كنت أهجياً ثم
أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل
ملحة
وإن سكنت جاءت
بكل ملح
وقال الجري من
عشرين سنة ممددت
رجلي في الخلوة فان
حسن الأدب مع الله
أحسن وأولى . وقال
أبو على ترك الأدب
موجب للطردين أساء
الأدب على البساطرد
إلى الباب ومن أساء
الأدب على الباب رد

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من التناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يتلى جوف أحدكم فيحاقى بربه خير له من أن يتلى شعرا » (١) وعن مسروق أنه مثل عن بيت من الشعر فكرهه قيل له في ذلك قال أنا أكره أن يوجد في محبتي شعر ومثل بعضهم عن شيء من الشعر قال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٢) نعم مقصود الشعر للدح والقدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في للدح (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليقت الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يستند صورته وقد أنشدت آيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبع لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان يده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما حكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم فيحاقى بربه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص وافق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر، ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجمهم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سيطرة الدواب .

[الباب الثاني

والثلاثون في آداب

الحضرة الالهية لأهل

القرب]

كل الآداب تتلقى من

رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانه عليه

السلام مجمع الآداب

ظاهرا وباطنا وأخبر

الله تعالى عن حسن

أدبه في الحضرة بقوله

تعالى - مازاغ البصر

وما طفى - وهذه

غامضة من غوامض

الآداب اختص بها

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر الله

تعالى عن اعتدال

قلبه القدس في

الاعراض والاقبال

أعرض عما سوى الله

وتوجه إلى الله وترك

وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فجعل يتنذر إليه ويقول بأبي أنت وأمي إني لأجد الشعر ديباً على لسان كديب النمل ثم قرصني كما قرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تنع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين (١).

(الآفة العاشرة الزاح)

وأصله مذموم منهى عنه إلا قدر يسير استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لا عار أخاك ولا تمارحه» (٢) فان قلت الماراة فيها إيذاء لأن فيها تكدياً للأخ والصديق أو تجهيلاً له ، وأما الزاح فطائية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن النهي عنه الإفراط فيه أو اللدومة عليه أما اللدومة فلا أنه اشتغال بالقلب والهزل فيه والقلب مباح ولكن اللواطة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما غلب عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» (٣) إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً وأما غيره إذا ضحك باب الزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من الثريا» (٤) وقال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الفلفة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لبكينكم كثيراً لضحككم قليلاً» (٥) وقال رجل لأخيه يا أخى هل أذاك أنك وإراد النار قال نعم قال فهل أذاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فما روى ضاحكاً حتى مات. وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم ينفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي جلي يقول أتضحك ولعل أكرهتك

والله الماراة محظوظها
والسموات والهمار
الآخرة محظوظها فما
الضحت إلى ما عرض
عنه ولا ليجته الأسف
على الغائب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للعموم
وما زانغ البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف خاص
من معنى ما خاطب به
العموم فكان ما زانغ
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ما ورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى نفسه
بغراره في مطاوى
انكساره واقتاره

(١) حديث لما قسم القنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعرة :

وما مكان بدم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العيب مد بين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علانة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزاح)

(٢) حديث لا عار أخاك ولا تمارحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني لأمزح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم.

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكينكم كثيراً متفق عليه من حديث أنس وماتة .

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبيك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يبيك ألسنته تعجب من بكائه ؟ قيل بلى قال فالدن يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فمذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوب له صعب فلم يجعل كلباً دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مراراً ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملائ من دمه ^(٢) وأما أداء الزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لي أمي يا بني لا تمزح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمزح الشريف فيحقد عليك ولا الله فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويخرج إلى القبيح تعذبوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم حديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمى الزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح ويقال الزاح سلبة للنبي مطعمة للأصدقاء . فإن قلت قد ثقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذي قلباً ولا تنفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الدور فلا خرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا ^(٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً ^(٤) وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس ^(٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نسائه ^(٦) وروى أنه كان كثير التبسم ^(٧) وعن الحسن قال أنت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فيكت فقال إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهم - إنشاءً فجعلناهم أبكاراً - ^(٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قلوب له صعب فلم يجعل كلباً دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فهلك قال نعم وأفواهكم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرافق وهو حصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلا تنبسط النفس
تظني فان الطغيان
عند الاستغناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليظني أن رآه استغنى -
والنفس عند الواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطاً من
النح استغنت وطفت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يسد باب
الزهد وطغيان النفس
لضييق وعائها عن
الواهب فوسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
ما زاغ البصر وما التفت
إلى ما فاتته وما طغى
متأسفا لحسن أدبه
ولكن امتلاء من النح
واسترقفت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «فقلت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه يياض قالت والله ما بعينه يياض فقال بل إن بعينه يياض قالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبعينه يياض وأراد به البياض المحيط بالحدة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نعملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم : مامن بعير إلا وهو ابن بعير (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النغير (٣)» لغير كان يلعب به وهو فرخ الصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فعمنا عليه واستبنا فسبقني وقال هذه مكان ذى المجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثت أبي بشيء فقال أعطيني فأبيت وسعيت وسعني في أترى فلم يدركني وقالت أيضا «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سألتني فسبقني وقال هذه بتلك (٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجثته قفلت لسودة كلتي فقالت لأحبه قفلت والله لتأكلن أو لألطنن به وجهك فقالت ما أنا بذاتقة فأخذت يدي من الصفحة شيئا منه فلوطنت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغضب لها رسول الله ركبته لتستفيد مني فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك (٦)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دميما قبيحا فلما باعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أتزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)» . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن على عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عينة بن بدر الفزارى والله ليكونن

الترمذي في الشبائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استجملته نعملك على ابن البعير الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الذاقة (٣) حديث أنس بأبعمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقة فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في النكاح (٦) حديث عائشة في لطن وجه سودة بحريرة ولطن سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أتزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

ونظمت إلى القسط
والحظ فلما حظيت
النس استغنت وطفعت
عليها ما وصل إليها
وذاك نطاقها فتجاوز
الحدم من فرط البسط
وقال أرني أنظر إليك
فنع ولم يطلق في قضاء
للزبد وظهر الفرق
بين الحبيب والكليم
عليهما السلام وهذه
دقيقة لأرباب القرب
والأحوال السنية فكل
قبض يوجب عقوبة
لأن كل قبض سد في
وجه باب الفتوح
والعقوبة بالقبض
أوجبت الإفراط في
البسط ولو حصل
الاعتدال في البسط
ما وجبت العقوبة
بالقبض والاعتدال في
البسط بايقاف النازل
من النع على المروح

لى الابن قد زروح وبقل وجهه وماقبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والاصديان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرًا « أنا كل التمر وأنت رمد قال إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم » (٢) قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسًا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرًا لجللى شرود قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنفرد منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال فرأى في المسجد يوما أصلى فجلس إلى فتولت فقال لا تطول فاني أبتظرك فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أنفرد منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد فقال أبا عبد الله أمارك ذلك الجل الشراد بعد فقلت والذي بئسك بالحق ما شرود منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال حسن إسلامه وهداه الله » (٣) وكان نعيان الأنصارى رجلاً مزاحاً فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه ببعله ويأمر أصحابه فيضربونه ببعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لئنك الله فقل له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يا رسول الله هذا قد اشترته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه (٤) فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فبرى الصبي لسانه فبرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه وماقبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في المبهجات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قال لصهيب وبه رمد أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيراً لجللى شرود الحديث الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلاً مزاحاً وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشيء ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجيء بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار في الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعيب النفس في مطاوي الانكسار فذلك القرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظي به رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قوبل بالقبض فدام مريده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس بن عطاء في قوله تعالى - مازاغ البصر وما طفي - قال لم يره بطفيان عيل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على التدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك الميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتفنيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - ياويلتنا لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التفهقه بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجى بكر به وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجى بكر به وغمه فاذا أتاه أغلق دونه لما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه^(٣) » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله^(٤) » وكل هذا يرجع إلى اسحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقروه استصغارا قلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإعما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطئه وعلى صنعه أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا أو ناقصا لعييبا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المأرف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسنني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن للمستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجى بكر به وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بم متصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإعما كان مشاهدا بكيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه رمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة ^(١) » وقال طلقا « الحديث بينكم أمانة ^(٢) » وقال الحسن إن من الحيانة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بطله إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرق قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رقي الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن الإنسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل ^(٤) » والوأي الوعد وقد أئى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوافقه لآلئى الله بثلاث اتفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبدالله بن أبي الحنفية قال « يايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال باقى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك ^(٥) » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل اليعاد فلا يجيء . قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى ^(٦) وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يشذرفان كان عند الوعد عازما على أن لا ينفي فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ^(٧) » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث

جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا .

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفية يايت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلا (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا
أبو الطيب السكي عن
أبي محمد الجريري قال
التسرع إلى استدراك
علم الإقطاع وسيلة
والوقوف على حسد
الانحسار نجاة واللباذ
بالهرب من علم الدنو
وصلة واستقباح ترك
الجواب ذخيرة
والاعتصام من قبول
دواعي استماع الخطاب
تكلف وخوف فوت
علم ما انطوى من
فضاحة الفهم في حين
الإقبال مساءة والإصغاء
إلى تلقى ما ينفصل عن
معدته بمدد الاستسلام
عند التلاقى جراءة
والانبطاس في محل
الأنس غرة وهذه
الكلمات كلها من
آداب الحضرة لأربابها
وفي قوله تعالى - ما زانغ

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) « وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن مناققا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقة ولا ينبغي أن يجعل قصه معذورا من غير ضرورة حاضرة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يمدى فقد ذكر مواعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم (٢) « فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من مواعده له مع أنها كانت تدير الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال هي لك وقال احتكمت يسيرا (٣) « واصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما حين حكمها موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثاقيل أشع من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) « وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلائمه عليه .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب فانه مع الفجور وما في النار (٥) « وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) « وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذي بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كنن فيه كان مناققا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلائمه عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفي .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا كم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجهه المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإماما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طفى -
وجه آخر أطف عما
سبق : ما زاغ البصر
حيث لم يتخاف عن
البصيرة ولم يتأصر
وما طفى لم يسبق البصر
البصيرة فيتجاوز حده
ويتعدى مقامه بل
استقام البصر مع
البصيرة والظاهر
مع الباطن والقلب مع
القالب والنظر مع القدم
ففي تقدم النظر على القدم
طفيان والمعنى بالنظر
علم وبالقدم حال القالب
فلم يتقدم النظر على
القدم فيكون طفيانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الأحوال
وصار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه
كظاهره وبصره
كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق و نلت به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»^(٢) . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا ثم الشاة وقد اشترها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار هم الفجار قليل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع» قال نعم ولكمهم يملفون فيأثمون ويعدثون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : النان بعطيته والنفق سلعته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكثة في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فقة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سيرة فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فقولوا فتنتي يصلى حتى يوقظ أصحابه للرجل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف والفقر المحتال والبخل للنان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كلوب من حديد يلقمه في شق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضعيف جدا ويقضى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق وأنت له كاذب البخارى في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث من برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخارى هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أبي هريرة وروينا كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويعدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم النان بعطيته والنفق سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكثة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر باسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الخلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذى وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره غيت انهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث للعراج فكان البراق بقاله مشا كلالعنا ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث للعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل صماء بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرأى أفظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه ويلقعه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يذهب في قبره إلى يوم القيامة (١) » وعن عبد الله بن جراد قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يخفى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) » وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر (٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تضل لكتبت عليك كذبة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقتلتموها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « وكان متكئاً ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال : ألا وقول الزور (٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثنن ما جاء به (٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

القدم وتخلقا للقدم
عن النظر وهذا هو
الاخلاق بأحد الوصفين
من قوله تعالى - ما زاغ
البصر وما طغى -
فرسول الله حمل مقترنا
قدمه ونظره في حبال
الحياة والتواضع ناظرا
إلى قدمه قادمنا على
نظره ولو خرج عن
حبال الحياة والتواضع
وتطاول بالنظر تمديا
حد القدم تعوق في
بعض السموات
كتعوق غيره من
الأنبياء فلم يزل صلى
الله عليه وسلم متجاسي
حجالة في خفارة أدب
حاله حتى خرق حجب
السموات فانصبت إليه
أقسام القرب انصبابا
وانقسمت عنه
صحاب الحجب حجبا
حجبا حتى استقام هي

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس ييد القائم كلوب من حديد يلقيه في شوق الجالس الحديث البخاري من حديث حمزة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإعماها عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعملني من الرياء وعين من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تضل لكتبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقتلتموها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثنن ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطين في مكارم الأخلاق وفيه معدن ستان ضمه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم »^(١) وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيامي هذا فيكم فقال « أحسنوا إلى أمهاتي ثم الذين يلونهم ثم يفسو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد »^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كاذب فهو أحد الكاذبين »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأنم ليقطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »^(٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها السلم إلا الحيانة والكذب »^(٦) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها »^(٧) وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شقي كلهم الصغور عما قيل يعلاه صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »^(٨) وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة »^(٩) وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح »^(١٠)

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجاية الحديث وفيه ثم يفسو الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كاذب فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على يمين يأنم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل لا موسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفًا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل (٧) حديث ما كان من خلق الله شيء أشدّ عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن هبيرة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم والأيلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - مازاغ البصر
وما طغى - فمركا لبرق
الحافظ إلى محمد
الوصل واللطائف وهذا
غاية في الأدب ونهاية في
الأرب . قال أبو محمد
ابن رويم حين سئل
عن أدب السافر فقال
لا يجاوزهم قدمه حيث
وقف قلبه يكون مقره
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب إجازة
قال أنا عمر بن أحمد قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال ثنا القاضي
أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا
أبو عبد الله محمد بن
علي الترمذي قال حدثنا
محمد بن رزام الأيلي قال
حدثنا محمد بن عطاء
المعجمي قال حدثنا
محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقد عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إلينا ما لم تركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأنتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما أراني أوجر على ترك الكذب لأنني إنما أدعه أفنة ، وقيل لحاتم بن صبيح أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كما قرضنا نقتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لئنه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطنين خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سمى خاف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأنهى إليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألسنت تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فتقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبة فلهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصودا للحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخس في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما قتل مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرنى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابى إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخس في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذى قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعتهم يحسن عليه الثناء ثم أتيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطفاها ثم قلت أهلمت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس ^(١) أي ولولبا الكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ^(٢) » وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحد وثمة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأته ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت بئى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتخرجت أن أكذب أفأكذب بأمر المؤمنين قال نعم فأكذبى فان كانت إحداكن لا تحب أحدا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذي بيني على الحب ولكن الناس يتعاضون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لاهماله إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها ^(٣) » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا مانع به مسلما أو دفع عنه ضررا أو قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تأخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ماله فمثل أن يأخذ ظلم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله ^(٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فالرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيبا فلها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذية أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فيبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللواط عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تنبأ يعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الديسوية
حتى رفته الحق مقاما
في القرب وأذن له في
الانبساط وقال اطلب
منى ولو ملحا لمجنيك
فلما بسط انبسط وقال
- رب إنى لما أنزلت
إلى من خير فقير -
لأنه كان يسأل حوائج
الآخرة ويستعظم
الحضرة أن يسأل
حوائج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة
عن سؤال المحقرات
ولهذا مثال في الشاهد
فإن الملك الأعظم يسأل
العظماء ويحتشم في
طلب المحقرات فدارف
بساط حجاب الحشمة
صار في مقام خاص من
القرب يسأل الحقير كما
يسأل الخطير قال
ذو النون المصري أدب
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقفا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولا أجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا يجوز السامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم فهو لزيادات السال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما يخسر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكسر من زوجي عالم بخل أناها بذلك فهل طي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشبع عالم يعطى كلابس ثوبي زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا قولى العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذى لا يثبت له إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لا أدري وهذا حرام وبما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكتب إلا بوعده أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا وإن كان الكذب الباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه وبطال بتمصيح قصده فيه ثم معنى عنه لأنه إنما أيسع بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون الباعث له حظه وقرضه الذى هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ بعض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فيها وورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر طي الأسباع وسقط وقصه وما هو جدي فوقه أعظم فهذا هو السبب إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم محذور الكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى الله تعالى ويؤدى فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأ فقتل بعرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكسر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أئتمته القيام مع أسأى وصفاني أئتمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتي أئتمته العطب . فاختار أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأساء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس مع لمعان نور عظمة القدرات تتلشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالنمائه في ذلك العطب نهاية الأرب . وقاله أبو عسى الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند السمع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به الصالح إلى أهلهم وما كان قد أتانا شيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبثت عمر معك ضاغطاً وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذاً وقال بئت معك ضاغطاً قال لم أجد ما أعتمر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئاً فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطاً يعني رقيقاً وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكراً بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكراً فإنه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبي في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وعلى نوب فجعل الناس يقولون هذا كساك أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أشبهه فتهاء عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه، ثم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة مجبور»^(١) وقوله لأخرى «الذي في عين زوجك يابض» وللأخرى «نعملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب الصريح كإفعله نيمان الأصارى مع عثمان في قصة الضرر إذ قال له إنه نيمان وكما يتأده الناس من ملاعبة الحق بتفريغهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابقتها فلا بوصف صاحبها بالهسي ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحتى يجنب الكذب في مزاحه^(٢) وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا»^(٣) أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح. ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالغة كقوله طاب لك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم البالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن كان طلبه مرات لا يستاد مثلها في الكثرة لا يأنم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب وبما يتأده الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشبهه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس «كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة مجبور وحديث في عين زوجك يابض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة القماري وقال فيه نظر وللشيعين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولقد ارقطني في المؤلفات والختاف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة.

إذ نادى ربه أن
مضى الضم وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
أرحمني لأنه حفظ أدب
الخطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علمته - ولم
يقول لم أقل رعاية لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الالتفات إلى الحواطر
والعوارض والبوادي
والعوائق واستواء
السر والعلاية وحسن
الأدب في موافق
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
والأدب أدبان أدب
قول وأدب فعل فن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت قوا لله ما وجدنا عنده قرى إلا قد حامن ابن فشرب ثم ناولها عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لأتردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك قلن لا نشتهي فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداها لشيء تشبهه لأعتربه أيمد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبية (١) . وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماسح بمثل هذا الكذب قال الوليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السبب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأمس عينيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه أنسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائشة لابن له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والام فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم ير أو يقول على ما لم يقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شيرتين وليس بمعاقد بينهما أبدا (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو هريرة قال عليه السلام « لا تحادوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد زنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساء الحديث فإذا كانت غير بخاتمة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام مالم ير أو يقول على ما لم يقل البخاري من حديث وثالة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينه مالم يرا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شيرتين البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحادوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأتس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التهذيب .

تخرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال الثوري من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجبهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد

« من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجماله إلا ويضمها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأداب الحضرة فهو بنيرها أقوم وعليها أقدر .

[الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يمحشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قنطرا على خير ما ينفعني الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتقابه وفي إسناده ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتباخوا للمسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقامت كل واحدة منهما علة من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث للمرأتين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل للسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

فكسرها ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يبسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخرًا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال انتهسا منها فقالا يارسول الله نهش جيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) . « وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند القية وروون ذلك أفضل الأعمال وروون خلافة عادة الناقضين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله فينضج ويكبع (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرجما رجل كان عنثا ترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا ففصليا مع الناس خالف في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فألأه فأمرهما أن يعيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائعين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة القذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من القية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله لقية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحدكم القذى في عين أخيه ولا يصير الجفيع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الخواريون بحيفة كلب فقال الخواريون : ما أنتن ربح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشدّ يابض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يخطب آخر فقال له إياك والقية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى القية وحدودها)

اعلم أن حد القية أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنية أو في بدنه أو بنسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وديارته . أما البدن فكذلك كرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به بما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذب صاحبهما فقال أما إنهما لعشيان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في السمعت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل القية . وللطائفي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر بن نعيم باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بحيفة فقال انتهسا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوف وفيه محمد بن إسحاق روله بالنعمة .

الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أمّن عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسان قد علم نبيكم كل شيء حتى الحراة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجي بالجمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه ببطي أو هندي أو فاسقي أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كنفها كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرأه شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما في أماله المتعاقبة بالدين فمكفولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترم من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يوضح الركاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والقبية والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فمكفولك بأنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل توم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فمكفولك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »^(١) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن »^(٢) فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مفتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القبية وكل هذا وإن كان صادقاً فهو به مفتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القبية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته »^(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه »^(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها »^(٥) وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة القبية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقبية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إني أرايت قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يغتاب أحدكم أحداً فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي « القضي القضي فلعلت مضغة لحم »^(٦)

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاحها لكن تؤذى جيرانها فقال هي في النار ابن جبان والحاكم ومحمّد من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن فعمون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القبية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي ومحمّد بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحة لابن أبي الدنيا والبصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم القضي القضي فلعلت بضعة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرافها .

عظم . حدثنا شيخنا
 شياء الدين أبو النجيب
 بإسلاء قال أنا
 أبو منصور الحريري
 قال أنا أبو بكر الخطيب
 قال أنا أبو عمرو الهاشمي
 قال أنا أبو علي اللؤلؤي
 قال أنا أبو داود قال
 حدثنا عبد الله بن محمد
 قال حدثنا ابن المبارك
 عن ابن عجلان عن
 القعقاع عن أبي صالح
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أنه قال : قال
 صلى الله عليه وسلم
 « إنما أنا لكم بمنزلة
 الوالد أعلمكم فإذا
 أتى أحدكم الغائط
 فلا يستقبل القبلة
 ولا يستدبرها ولا
 يستطيب يمينه » وكان
 يأمر بثلاثة أحجار
 وينهى عن الروث
 والرمة . والفرس في

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيعاء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها »^(١) ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسرنى أنى حاكمت إنسانا ولى كذا وكذا »^(٢) وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترب به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حى وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحدثور تفهمه دون ما به التفهم فأما إذا لم يفهم عنه جاز - كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « ما مال أقوام يفعلون كذا وكذا »^(٣) فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأجبت أنواع الغيبة غيبة القراء للرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جموا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصننا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعترأ فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فيضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يذم نفسه فيكون مقابلا ومراثيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواش وهو يجهله بظن أنه من الصالحين التعففين عن الغيبة ولذلك يابى الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده عمالهم وينضح عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتبته له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصنى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تعتيق خيئه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتماد وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوته عقيب صلاته ولو كان يفتن به لا غتم أيضا بإظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القتاب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن غارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٢) حديث ما يسرنى أنى حكيت ولى كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما مال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعبره ورجاله رجال الصحيح .

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا مرة وهى عظم اللبنة ووزر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يتطهروا - ولما شلوا عن ذلك قالوا كنا تبس للماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وزابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر يمساه ويضعه على مقدم المخرج قيل

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للعنتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك العنتاب قال صلى الله عليه وسلم «الستمع أحد الغتابين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ لئلا يلا به الحزن فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتما؟ فقالا مانعله قال بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وذل للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص الرجل كما يقصص الكلب «انهم شام من هذه الحيفة» (٣) فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشتبه لذلك بقلبه فذلك تفادى ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذل عند مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصلوة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها.

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة يختص بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية: فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يتمتع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة. الثاني موافقة الأقران وبجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجالس استقلوه ونفروا عنه فيساعدوه ويرى ذلك من حسن العاشرة ويظن أنه

(١) حديث السمع أحد الغتابين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتما؟ فقالا مانعله فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلان نحو (٣) حديث انهما من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقصص الكلب كما يقصص الكلب تقدم قبل هذا باني عشر حديثا (٤) حديث من أذل عند مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لمية (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة إن أي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد.

ملافة النجاسة وبمره
بالسج ويدبر الحجر
في مره حتى لا ينقل
النجاسة من موضع إلى
موضع يفعل ذلك إلى
أن ينتهي إلى مؤخر
الخرج ويأخذ الثاني
ويضعه على للوخر
كذلك ويمسح إلى
المقدمة ويأخذ الثالث
ويدبره حول السربة
وإن استجمر بحجر
ذى ثلاث شهب جاز
وأما الاستبراء إذا
انقطع البول فيمد
ذكره من أصله ثلاثا
إلى الحشفة بالرفق ثلاثا
يندق بقية البول ثم
يشتره ثلاثا ويغتسل في
الاستبراء بالاستنقاء
وهو أن يقتنع ثلاثا
لأن العروق ممتدة من
الخلق إلى الذكور
وبالتنحج تتحرك

محاملة في الصفة وقد ينضب رفاقؤه فيحتاج إلى أن ينضب لغيرهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوي . الثالث أن يستثمر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليستطأ أثر شهادته أو يتدنى به ذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طادني الصكذب فاني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر القبيح منه وكان من حق أن يبريء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليعهد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتفقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقترح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدرح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثاء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثاءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من الغضب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللعب والمزول والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المأكاة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استعقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أخفها وأدقها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبثق من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مقتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ويليه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مقتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتماد يمكن دون ذكر اسمه فيعجه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب اغتمامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يخفى دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المخلص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن واثلة « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبته ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتعذف ما في مجرى
البسول فان متى
خطوات وزاد في
التحنيق فلا بأس
ولكن براعى حد العلم
ولا يحصل للشيطان
عليه سبيلا بالسوسة
فيضيع الوقت ثم يمسح
الذكر ثلاث مسحات
أو أكثر إلى أن لا يرى
الرطوبة . وشبه بعضهم
الذكر بالصرع وقال
لا يزال تظهر منه
الرطوبة مادام يجد
فيراعى الحد في ذلك
ويراعى الور في ذلك
أيضا والمسحات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصغره فلأخذ الحجر
باليدين والذكر اليسار
ويمسح على الحجر
وتتكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يارب - ول الله هل رأيته أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فأسأله قل لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يارب رسول الله هل رأيته قط أفطرت فيه أو بقصت من حقه شيئا فأسأله عنه فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يارب رسول الله هل رأيته تقصت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسألها فأسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان الملاج الذي به يمنع اللسان عن النية)

اعلم أن ما سوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمعاون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنمحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن النية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيته بهذه الأخبار التي رويتها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فأنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لقت الله عز وجل ومثبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة من اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أدل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الحاشمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليأس بأسرع من النية في حسنات العبد » (٢) وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تتعاقب فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فلهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في النية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بسبب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس » (٣) ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل يبغي أن يتحقق أن يهز غيره عن نفسه في التزهد عن ذلك العيب كمجزه وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يابيع الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوئ نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تأم غيره بغيته كتأمله بغيته غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يقتاب فيذبح أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه مما لجأت جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على النية فإن علاج العلة بقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما التنبه فيما لجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أفضيت غضبي عليه قلل الله تعالى بعضي غمبه على بسبب النية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليأس بأسرع من النية في حسنات العبد لم أجد له أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لا باليمين فلا يكون مستنجبا باليمين وإذا أراد استعمال الماء اشغل إلى موضع آخر ويقنع الحجر ما ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ ولا يستتره من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بصيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له لا تخفف عنهما ما لم يبسا » والمصيب الجريد وإذا

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقى غيظه بمعصية الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب النزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعحقك فيمن أعحق . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف رضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضا لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأففى الذنوب وهى الغيبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لقت الحاقق أشد من التعرض لقت المخلوقين وأنت بالنية متعرض لسخط الله بقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتملك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخللان . وأما عندك كقولك إن أ كات الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقعه ولو واقفته لسفه عقلك فقيا ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجات مع الجمع بين العصيتين على جهلك وغبائوك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالذمر وصرحت بالذمر وقالت العزى أ كبرى منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تهج ولا تضحك من نفسك . وأما تصدك بالباهة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعث ما عند الحاقق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا . وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصررت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين السكالكين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديق وعدو نفسك إذ لا تضمره غيبتك وتضمره وتتفمه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفك وقد جمعت إلى خبت الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حشود

وأما الاستهزاء لمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شقى غيظه بمعصية الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف وروياه فى الأربعين البلدانية للسلفى (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان فى الصحراء يعد من العيون . روى جابر رضى الله عنه « أن النبى عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد » وروى للغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأتى النبى عليه السلام حاجته فأبعد فى الذهب » وروى « أن النبى عليه السلام كان يقيس حاجته كما يقيس الرجل للزول ، وكان يستتر بهائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براجلته فى الصحراء أو بنبيله إذا حفظ أثوبه من الرشاش ويستحب البول فى أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنائتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند فقر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يده على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيتك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمك فهو حسن ولكن حسدك إيليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتتقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك وتقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حجب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لما لقت الله عز وجل بالنية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدينه وأنت مع ذلك لاتأمن غشوة الدنيا وهو أن يهلك الله متركك كما هتكك بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة قط والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن الغيبة لاعماله .

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أعني به الاعتقاد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويعمل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقى إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محتملة تدل على فساد واحتمل خلافة لم يجوز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الحجر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تخمض بالحجر وبجها وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك لاعماله دلالة محتملة فلا يجوز تصديقه بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » (١) فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن مآثرته منه يحتمل الخير والشر . فإن قلت فهذا يعرف عقد الظن والشكوك تحتاج والنفس تحدث . فقول : أماره عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نقوراً ما ويستأنه ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
« كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يقول فأتى
دمشاً في أصل جدار
فقال ثم قال : إذا أراد
أحدكم أن يقول
فليرتد ليله » وينبئ
أن لا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستقبل الشمس والقمر
ولا يكره استقبال القبلة
في البنيان والأولى
اجتنابه للذهب بمس
الفضة إلى كراهية
ذلك في البنيان أيضاً
ولا يرفع ثوبه حتى
يدنو من الأرض
ويجنب مهابة الريح
احتراساً من الرشاش
قال رجس لبعض
الصعابة من الأعراب
وقد خاصمه لأحبك
تحسن المرأة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن» مخرج أخرجه من سوء الظن أن لا يحققة^(١) أي لا يحققة في نفسه بمقدور لا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فالعمل بموجبه والسيطان قد يقرر على القلب بأدنى حيلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذاتك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق «نظر ضرور الشيطان وظلته». وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت مطدورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل الولد للتهمة ورد شهادة العدو^(٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العداوة ولا محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عاداته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بهذا فان الكتاب فاسق وإن كان ذلك من عاداته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر النية ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراقبته وتدعوله بالخير فان ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا تخدعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نفسه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاسم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك قصاص في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر القم بمصيته وأجر الاعانة له على دينه، ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ملوكا مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

(بيان الأعداء للرخصة في النية)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا بدفع ذلك إثم النية وهي ستة أمور: الأول الظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مفتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما، أما للظلم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لصاحب الحق مقالا»^(٣) وقال عليه السلام

(١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضعة لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا يداود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى النمر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة.

بلى وأبيك إني بها لحافق قال فصنها لي قال أبعده البشر وأعد للردو استقبل الشيخ وأستدبر الرمح وأقوى إقواء الظبي وأجفل إجفال النعام يعني استقبل أصول النبات من الشيع وغيره وأستدبر الرمح احترازا من الرشاش والإقواء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه. ويقول عند الفراغ من الاستنجاء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وظهر قلبي من الرياء وحسن فرجى من القواش وبكره. أن يول الرجل في الغسل. روى عبد الله ابن مغفل أن النبي عليه السلام: «نهى أن

« مطلق النفي ظلم ^(١) » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه ^(٢) » الثاني الاستمانة على
تفسير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على
طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء
أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا
جندل قد عاقب الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر بمن أبلغه غيبة إذ كان قصده
أن ينكر عليه ذلك فينفضه نصحه ما لا ينفضه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك
هو المقصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلى أبى أو زوجتى أو أخى فكيف طريقى
في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن
التعيين مباح بهذا التقدير لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا
سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتفيك
وولده بالمعروف ^(٣) » فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجزها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها
الاستفتاء . الرابع تحذير السلم من الشر فإذا رأيت قهيا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى
إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سزاية
البدعة والفسق لا غيره وذلك موانع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك
بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بسبب
آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر للشترى وفي ذكره ضرر للعبد والشرى أولى
بمراعاة جانبه وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئنا وكذلك المستشار في
التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوعة فإن علم أنه
يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح
ببنيه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر الفاجر اهتكموه
حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حق يحذره الناس ^(٤) » وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام
الجائر والبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفا بقلب يهرب عن عيبه كالأعرج
والأعمشى فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسمان عن الأعمشى وما يجري مجراه
قد فعل الطلاء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن
قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال
للأعمى البصير عدولا عن اسم النفس . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخنث وصاحب
للساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر
له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطلق النفي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عرضه وعقوبته
أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن
أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر
اهتكموه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى
من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن
أبي الدنيا في الصمت .

يقول الرجل في مستحبه
وقال : إن عامة الوسواس
منه وقال ابن المبارك :
يوسع في البول في
الستح إذا جرى فيه
الساء وإذا كان في
البيان يقدم رجليه
اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول :
باسم الله أعوذ بالله
من الخبث والخبائث .
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
أبو منصور القري قال
أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو
المحاسمي قال أنا أبو طي
اللؤلؤي قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو
ابن مرزوق البصري
قال حدثنا شعبة عن
قادة عن الثوري
ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له (١) » وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجرم نفسه دون السترة إذ السترة لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل القاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والقاسق المعلن بنفسه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وبما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به بهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينقم للحجاج عن اغتبا به كما ينقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا لميت الله تعالى غدا كان أسفر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .
(بيان كفارة القية)

اعلم أن الواجب على اللغاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ويخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للغاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبني أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ الرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد تآمر معصية أخرى . وقال الحسن يكفيك الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر له (٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من القية قال أن تثنى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن عشت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتبنت للطالبة . - بل في الحديث الصحيح ما روى أنه ﷺ قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة الذيل قد اغتبت بها فاستحلها فاذا ن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فإن قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل للمعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حنة محسوبة له يقابل بها سيئة القية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن السيب لا أحل من ظلمي وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم القية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبني أن يستحله وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول المراد به العفو عن الظلمة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل القية فإنه لا يجوز له أن يحل لغيره القية . فإن قلت فسامعني قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الحث والحباث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحشوش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم قد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس البزار وابن السني في اليوم والآيلة والمعيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه ان لا اطلب مظلة في القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير النجعة حالالا به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقيم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین** - فقال النبي صلى الله عليه وسلم **« يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١) »** . وزوي عن الحسن أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فاني لا أقدر أن أكافئك على التمام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هازم شاء بنعيم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيم - قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيم - والزنيم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لمزة - قيل الهمزة النمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى - غفاتها فلم يغنياعنها من الله شيئا - قيل كانت امرأة لوط تغيب بالضيق وامرأة نوح تغيب أنه عجوز وقد قال صلى الله عليه وسلم **« لا يدخل الجنة نمام ^(٢) »** وفي حديث آخر **« لا يدخل الجنة قتات ^(٣) »** والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنجعة المرفوقون بين الإخوان للتمسسون للبرآء الثرات ^(٤) »** وقال صلى الله عليه وسلم **« ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنجعة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب ^(٥) »** وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ^(٦) »** وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ **« أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ^(٧) »** وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإني ما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعلقبى (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال للمشاءون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال **« لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتاهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك »** ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصعب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضي الله عنها عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأزرق ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربي عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »^(١) ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النجيمة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به »^(٢) وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولن معك وفيكم نمام قد أصرّ على النجيمة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن النجيمة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إنى جشك لذى آثاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أغشى منه وعن النار وما أحرّ منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغشى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرى أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والخسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجع أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أغشى من الحجر والنام إذا بان أمره أدل من اليتيم.

(بيان حد النجيمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم النجيمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يشكم فيك بكذا وكذا وليست النجيمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ذلك وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان النقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وتقصا في النقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجيمة إنشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه فدكره فهو نجيمة وإنشاء للسر فإن كان ما ينم به نقصا وعيا في المحكى عنه كان قد جمع بين النجيمة والنجيمة فالباعث على النجيمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النجيمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إنسا دأمرك أو في مائة عدوك أو تقييح حاله أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدق له لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا أو ما يجعله الله الثاني أن ينهه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعلة قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن النكر - الثالث أن يخضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يغيضه الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يعملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نجيمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومقتابا وقد تكون

يبتدىء بالسؤال .
حدثنا شيخنا
أبو النجيب قال أنا
أبو عبد الله الطائي
قال أنا الحافظ القراء
قال أنا عبد الواحد بن
أحمد اللبيني قال أنا
أبو منصور محمد بن
أحمد قال أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد
الجبار قال ثنا حميد بن
زنجويه قال ثنا علي
ابن عبيد قال ثنا محمد
بن إسحق عن محمد بن
إبراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن
زيد بن خالد الجهني
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «لولا
أن أشق على أمتي
لأخرت العشاء إلى ثلث
الليل وأمرتهم بالسواك
عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تسكلمي

قد أثبت ما عنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذي نيبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هازم شاء بنميم - وإن شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا . وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكماء قدأ بطأت في الزيارة وأثبت بثلاث جنابات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الزرع واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقعت في وقت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بإسلام وقال الحسن من نِمَّ إليك نِمَّ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يفيض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يفيض وهو لا ينفك عن الكذب والفيية والعدو والحيانة والقل والحسد والتفاق وإلإفساد بين الناس والحديمة وهو بمن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشرة » (١) « والنمام منهم وقال « لا بدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس » (٢) « وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن على رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا مقتناك وإن كنت كاذبا عاقبتناك وإن شئت أن تعليك أفلدك فقال أفلنى يا أمير المؤمنين . وقيل لحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسبى أنى لم أصدق فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم يقوم محمد اصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شىء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان ثيبا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هى الثيمة لأنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة » (٣)

قالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو النمام لم جده هكذا بتممه ولأحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللانسائى من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى تزبى قزيت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لا مسكك عنث ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشرة متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة وفيه شىء منها وقال له أسانيد هذا أمثاها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس إلا ولد بنى - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرشى .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل لا سكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال إني مكلمك بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال قل فقال بأمر المؤمنين إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما اتهمك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استخفوك الله إياه فاتهم لن يألوا فى الأمة خسفا وفى الأمانة تضییها والأعراض قطعاً واتهاكاً على قريهم البغي والخيمة وأجلّ وسائلهم الغيبة والوقعة وأنت مشول عما أجزموه وليسوا للثولين عما أجزمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنيا غيره ، وسمى رجل يزيد الأنجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتهمتك خاليا نخت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لمرو بن عبيد بن الأسوارى ما زال يذكر كى فى قصصه جسر قال له عمرو ياهذا ما رعبت حق عجالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أديت حق حين أغلقتنى عن أخى ما أكره ولكن أعله أن الموت يمنا والقبر يضحنا والقيامة تجمنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتيم يعمل على أخذه لكثرة فوقع على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخرانك فيها أفضل من الرب ومعاذ الله أن تقبل مهتوكا فى مستور ولولا أنك فى خفارة شيتك لقالناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق يا مملعون العيب فإن الله أعلم بالغب ، البت رحمه الله والقيم جبره الله والمال ثمره الله والسامى لعه الله . وقال لقمان لابنه يا بنى أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا بسط خلقك للقریب والبعد وأمسك جهلك عن الكريم والاثم واحفظ إخوانك وصل أقربك وآمنهم من قبول قول ساع أو صماع باع يريد فسادك وبروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعيهم ولم يعيوك . وقال بعضهم النخيمة مبنية على الكذب والحسد والتفاني وهى أشفى الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والتقول عنه أولى بحملك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النخيمة قال قد رضيت فاشترته فكش الغلام أياما ثم قال لزوجته مولاه إن سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الوسى واحلقى من شعر قفاه عند نومهم شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك أخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فقال الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلها يغلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين التفاني قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك فاضله وجلس لاوضوه والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويبتدىء بيسم الله الرحمن الرحيم ويقول سرب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون . وقول عند غسل اليد : اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشرور والهلكة ويقول عند الغضضة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحمى راحة

صلى الله عليه وسلم «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» (١) وفى لفظ آخر «الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء» وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة ؟ قال الذى يجرى مع كل ربح واتفقوا على أن ملاقاته الاثنان بوجهين نفاق وللفنفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما قد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر المؤمنين إنه منهم فقال نصدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضيقة لا تنتهى إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصداقة لافقت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصبغة والأخوة ، نعم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين قسطا فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهمال كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذى أخرج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاء فدخل لضرورة الجاء والنفى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال والجاء يبتتان النفاق فى القلب كما يثبت الماء البقل» (٤) لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومرا آتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر حاز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنكسر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فتقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاء والمال يبتتان النفاق فى القلب كما يثبت الماء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الفناء وقال المشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويصلى
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك ،
وعند غسل اليمنى :
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتى كتابى
يمينى وحاسبى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
الشمال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤتيتى كتابى
بشمالى أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنتله القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره (١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكثير والتبسم فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للدع)

وهو منهى عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو الغيبة والوقعة وقد ذكرنا حكمها. والمدح يدخله ست آفات أربع في الساجح واثنان في المدح . فأما للساجح : فالأولى أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قاطعا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه قليلا فليقل أحسب فلانا ولا أذكر . على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف للطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فأما إذا قال رأيت به صلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستينة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أحاطتني بالبايعه والعامله قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح المدح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يفضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليفتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وبها مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن النذر فقال رجل هذا سيد ريعة فسمعها عمرو بن حوله وصحبها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها له قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأجبت أن أطأ طيء منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقرروا رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للدع)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحقه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ الصنف (٣) حديث إن الله يفضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت واليه في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللوصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني برحمتك وأنزلني على من ركانك وأظلمني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند منحه الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى الجنمع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدم المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تنزل

ومن أعجب بنفسه قلّة تشمّره وإنما ينشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام «قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا» (١) وقال أيضا لمن مدح رجلا «عقرت الرجل عقرك الله» (٢) وقال مطرف ما سمعت قط شاء ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى له الشيطان ولكن للؤمن راجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه» (٣) وقال عمر رضى الله عنه للدح هو الدبح وذلك لأن الدبوح هو الذي يفتّر عن العمل والدح يوجب الفتور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالدهج فلذلك شبه به فإن سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح» (٤) وقال في عمر «لو لم أبت لبثت يا عمر» (٥) وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا غر» (٦) أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً وإنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذمّ السادح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم «وجبت» (٧) لما أثنوا على بعض اللوثي وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل للسلام أخاه للسلام بغير قالت للملائكة ولك بئله وإذا ذكره بسوء قالت للملائكة يا ابن آدم للستور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح.

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه للسادح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجري على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في المسلم (٥) حديث لو لم أبت لبثت يا عمر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بسدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت: أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر، ولمسلم من حديث أبي هريرة: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت، قاله لما أثنوا على بعض اللوثي متفق عليه من حديث أنس.

قدمي عن الصراط يوم
تزل فيم أقدم للناسين.
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول: أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا
عبد ورسوله سبحانه
اللهم وبمحمد لا إله
إلا أنت عملت سوءا
وظللت نفسي أستغفرك
وأتوب إليك فاغفر لي
وتب علي إنك أنت
التواب الرحيم اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلني من
التوابين واجعلني من
المطهرين واجعلني
صبورا شكورا واجعلني
أذكرك كثيرا وأسبحك
بكرة وأصيلا .
وفرائض الوضوء :
النية عند غسل
الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدح بأذلال للمادح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم للسادحين ^(١) » وقال سفيان بن عيينة لا يضركم للدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا اتقرب إلى عتقك وأنا أتسبلك على مقتك . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يطعون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق ما في نفسك .

(الآفة التاسعة عشرة)

الفلة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمر الدين فلا يقدر على تعويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يغل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت ^(٢) » وذلك لأن في العطف للطلق تضييكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه في بعض الأمور فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلني لله عبدًا بل ما شاء الله وحده ^(٣) » . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصهما فقد غوى فقال قل : ومن يصم الله ورسوله فقد غوى ^(٤) » فكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصهما لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعظمنا من النار وكان يقول العتيق يكون بعد الورد وكانوا يستجيبون من النار ويتمنون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاععة محمد ﷺ فقال حذيفة إن الله ينفي المؤمنين عن شفاععة محمد وتكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خالفتك ، خنزيرا رأيتني خلقتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكايه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت ^(٥) » قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسموا العنب كرمًا إنما الكرم الرجل المسلم ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامى وجاريق وفتاى ولا يقول للملوك ربى . ولا ربى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوه الداحين التراب مسلم من حديث المقداد .

(الآفة التاسعة عشرة في الفلة عن دقائق الخطأ)

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح
 (٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ما شاء الله وشئت فقال أجعلني لله عبدًا بل ما شاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصهما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وحد الوجه من مبتدأ
 تسطيع الوجه إلى
 منتهى الدفن وما ظهر
 من الحية وما استرسل
 منها ومن الأذن إلى
 الأذن عرضا ويدخل في
 النسل البياض الذى
 بين الأذنين واللحية
 وموضع الصلع
 وما انحسر عنه الشعر
 وهما التزعنان من الرأس
 ويستحب غسلهما مع
 الوجه ويوصل الماء
 إلى شعر التحذيف وهو
 القدر الذى يزيله النساء
 من الوجه ويوصل
 الماء إلى العنقفة
 والشارب والحاجب
 والمذار وما عدا ذلك
 لا يجب ثم اللحية إن
 كانت خفيفة يجب
 لوصول الماء إلى البشرة
 وحد الخفيف أن ترى
 البشرة من تحته وإن

وقال صلى الله عليه وسلم ولا تقولوا للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطكم ربكم^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الإسلام سالما^(٢)» فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما^(٣)» لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعاطب وهي على طريق التكلم فإن سكنت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواظب على لسانه فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فتمن فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التميمين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة وأحدثه ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقل على النفوس والنفس خفيف على القلب والعامل يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العاصي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيا فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والایمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويشترطون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عاصي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم منهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم^(٤)» وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به قمام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة قمام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكم الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا قمام إليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لمونقي^(٥)» وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل، الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، ولمسلم من حديث أبي موسى قمام آخر فقال من أبي قال أبوكم سالم مولى شية . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث العنبرة بن شعبة .

كانت كشيعة فلا يجب ويحتمل في تقيية مجتمع الكحل من مقدم العين . الواجب الثالث : غسل اليدين إلى المرققين ويجب إدخال المرققين في الفصل ويستحب غسلهما إلى أنصاف المضدين ، وإن طالت الأطراف حتى خرجت من رؤوس الأصابع يجب غسل ما تحتها على الأصح . الواجب الرابع : مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم السح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلمس رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضمهما على مقدم الرأس ويمدحهما إلى القفا ثم يردحهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخالق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تغموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية للتلاعين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن ابتغى فلان سألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات للفنن فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهماله فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لا يشك على عفو ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسخطه إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظام القبط فيما يفضبون ، ثم حفرهم بالمكاره والذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنحن به حبرهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسول الله الذي يسر نعمته لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرشدين ، صلاة يوازي عددها عددها كان من خلق الله وما يكون ، ويعطى يركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله اللويدة التي تطلع على الأنثى ، وإتها المستكة في طي الفؤاد ، استكان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجمر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفوضهما مضفة إذا صلت صلت معها خائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجنا إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه ، فإن

بلل السكبين مستقبلا
ومستديرا . والواجب
الخامس : غسل القدمين
ويجب إدخال السكبين
في النعل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقنع غسل
القدمين من السكبين
ويجب تغليل الأصابع
للملثة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من اطن
القدم ويبدأ بخنصر
رجله اليمنى ويغتم
بخنصر اليسرى وإن
كان في الرجل شقوق
يجب إيصال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
عجينا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشيء .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للكور في كلام الله
تعالى . الواجب السابع :
التتابع في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخالق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال الرواه البرازيلساناد جيد

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالعرفه لا تسكنه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقضيه . ونحن نذكر ضم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجمعها يان ضم النضب ثم يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب الموجبة للنضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان فضيلة كظم النبط ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ضم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب وتأ كده وقتله في غيرهم وضعفه ثم يان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ضم النضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كنزوا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ضم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن النضب بالباطل ودمع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك رجع إلى لا تنضب ^(١) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تنضب ^(٢) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ^(٣) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ^(٤) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته ^(٥) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيد او حصورا - قال السيد الذي لا يخله الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ^(٦) » وقال يحيى لمبى عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال لا تفنن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أخطى على جهنم ^(٨) » وقال له رجل « أي شيء أهدد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو جلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعذني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وضم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أخطى على جهنم البزار وابن عدى من حديث ابن عباس لثار باب لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحدث الفريق الذي يقطع التابع نشف العضو مع اعتدال الهواء .

[وسنن الوضوء ثلاثة

عشر]

التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة والاستنشاق والبالغة فيها فيغرغر في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصحة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الحياشيم ويرفق في ذلك إن كان صائما وتخليل اللحية السكة وتخليل الأصابع النفرة والبسادة بالميا من وإطالة الفرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدني عن غضب الله قال لا تنضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تنب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من اللاتكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تنضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والعجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في سومته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فم بحجة فقال افتح فاني إن ذهبت ندمت فلم يلبثت إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم يقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتك لتأني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أمالك عن شيء قال فولي مدبر فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعونك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثة الشيطان يقول كيف يغلبي ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد النضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فإن يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بنغازته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحينا وإذا غضب قال بما لا يطمع وعمل بما يندم ونخله بما في يديه ونعنه بما لا يقدر عليه وقيل للحكيم ما أملك فلانا نفسه قال إذا لاندله الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقيه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قرشي لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بمن السلطان فأنا لك منك اليوم ماتتالي مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحى في التناير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان حلما وعلمنا فقد قبل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكبس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتحمل في قوة وإحسان في رقة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يذرو ولا يسرف ولا يقتري بغير إذنا ظلم ويسفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجهل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء مائتير وإلا فسكره .

[الباب الخامس] والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أؤد على قال غضب الله قال لما يمدني من غضب الله قال لا تنضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

معى فى درجتى ويكون بعدى خليفى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزله بعد وهو ذوالكفل معى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه لكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والوثنان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتباعد منها فلم يتصل بالرطوبة فمد من الغذاء مجرماً لتحلل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء للوافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبثه على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما انكسر وسد ما أشم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان فكالكسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر إلى قوة وحماية شور من باطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الإنسان وهجنها بطبيعته فمها صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثار ثوراناً يخلى به دم القلب وينتشر فى المروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يلقى فى القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفى اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فتوق الغضب عليها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإعانت وجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفریط والإفراط والاعتدال . أما التفریط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لاجمى له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالشدة والجمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم - جاهد الكفار والمنافقين وغلظ عليهم - الآية وإنما الملاحظة والشدة من آثار قوة الجمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن قلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة الضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزواج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتجججون بنشوى التيط وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لأصبر على للكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمراً ومعناه لا تعقل فى ولا حلم ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضيف الغضب حمرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوضوء فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
المؤمن والجوارح إذا
كانت فى حماية الوضوء
الذى هو أثر شرعى يقل
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبى
عليه الصلاة والسلام
للمدينة وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى : يا بنى إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فافعل فإنه من أتاه
الموت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشان
العاقل أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن الحصرى

في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب بدخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوده وحى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فأنمحي أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولامن خارج بل يغشى أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فغشى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبها غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهب أعاليه على أسفله وذلك لا بطلان النار مافي جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب وبالْحَقِيقَةُ فالسيفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من يحال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق ونحمر الأحداق وتقلب المناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستعالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما أثمره على الأعضاء فالضرب والهجم والتخزيق والقتل والجرح عند الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند قنور الغضب وذلك مع تحبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتخزيق والقتل والجرح عند التحسك من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوقاته بسبب وهجز عن التشنج رجح الغضب على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويدعو عدو الواله السكران والدهوش التحير وربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويحترق مثل النشوة وربما يضرب الجمادات والحیوانات فيضرب القصمة مثلا على الأرض وقد يكسر السائلة إذا غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويغاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يغاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع المضروب عليه فالحدود والحسد وإضمار السوء والتجاة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على إنشاء السروتهك السر والاسترزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما ثمرات الحمية الضعيفة فتلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصفر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الفيرة على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعادا لغير وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني (١)» وإنما خلقت الفيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمم قوضت الفيرة

أنه قال مهما أتتبه من الليل لا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ثلاثا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وصحمت من صحب الشيخ علي بن المهدي أنه كان يقدم الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما أتتبه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دفن نبيك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الاسلام

(١) حديث إن سعادا لغير الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنوعه وتقدم في النكاح

في رجالها وضمت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة للنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها ^(١) » يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفق في دين الله - بل من قد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتملص الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخبيثة فتفقد الغضب مذموم وإنما المموم والغضب ينظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها ^(٢) » فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الصيرة ووخسة النفس في احتمال الدل والضم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحسن من السيف فان هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور عمو الغضب بالسلبية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالحلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلاهما لا يقبل الضعف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الإنسان بحب شيئا ويكره شيئا فلا يغلو من الغبط والغضب وما دام يوافق شيئا ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافق ويكره ما يخالف والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بكمروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ماهو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعلته فهذه ضرورات لا يغلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والفلان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن يفك الإنسان عن أصل الغبط عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحم على التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف التعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث على بن رباح ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل لا تقدم.

أرجى عندي أني لم
أظهر طهرا في ساعة قليل
أونهار إلا سليت لربى
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لى أن أصلى
ومن أدبهم في الطهارة
ترك الاسراف في الساء
والوقوف على حد العلم.
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
الطروى قال أنا أبو نصر
الترياقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن بشر قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن يحيى
ابن ضمرة السعدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة قصص فمهما كثرت كثرت النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب النقص والحزن حتى يتسبى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرنائه السوء إلى أن ينضب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشرطي ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فانضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فينضب على من يحرقه ويضربه وكذلك أدوات المناعات في حق للكتيب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبويا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها » (١) ومن كان بصيرا بعقائقي الأمور وسلم لهذه الثلاثة يتصور أن لا ينضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع النضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قم أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه فيغيط في الباطن وينتهي ضغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينعمه من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاتسكاك عن النضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القاب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا ممر يمر عليها ويترود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعمر حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا ينضب إذا ضربه غيره فالنضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل النضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى النزع من استعمال النضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون النضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فانت لا ينضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالقصد والحجامة ولا ينضب على الفساد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا ينضب على أحد من خلقه إذ يرأى مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم ينضب على القلم فلا ينضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا ينضب على موتها إذ يرى الذبح واللوت من الله عز وجل فيندفع النضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا ينضب كما لا ينضب على الفساد والحجامة لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحول غمظفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاق فيها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذاق فيها قال الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسوس السوء » قال أبو عبد الله الروذباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيها أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة نفيسة غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع الرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أترعها من بدني حتى تجحف علي فمكثت

فانه كان يفضح حتى تعمّر وجنتاه (١) حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبشأ مسلم سبته أولته أو ضربته فأجملها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في النضب والرضا قال أكتب فوالله يفتني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣) » فلم يقل إنى لا يغضب ولكن قال إن النضب لا يخرجني عن الحق أى لا أعلم بموجب النضب « وضربت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك قالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يامرئى إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان النضب لكن قال لا يحمانى على الشر ، وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين إذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لتضبه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يفضح على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يفضح على من يأخذ ضروره قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأنما غضب لله فلا يمكن الاشتكاك منه . نعم قد يفقد أصل النضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولاً بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للنضب لا اشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بماعداه ، وهذا كما أن سلبان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن قلت موازيني لم يضرنى ما تقول قد كان همهم صروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشم . وكذلك شتم الربيع بن خيثم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقى الله حتى تفاته ويعرفه حتى معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن يتقى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يليق الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعي فقال إن كنت صادقاً فغفر الله لى وإن كنت كاذباً فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغاب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان النضب عند فوات بعض المحاب فإذا يتصور قد القيظ إماماً اشتغال القلب بهم أو بظلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتأذى فبطنى شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار النضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يفضح حتى تعمّر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما حاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد تقدم ومسلم من حديث أنس إنما تابشأ رضى كآرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي جلى من حديث أبي سعيد أو ضربته (٣) حديث عبد الله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في النضب والرضا قال أكتب فوالله يفتني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدين الحديث الترمذى في الثعالب وقد تقدم.

عليه شهراً لخفاها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حرت عن
الاعتبار لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحث
أصحابه على كثرة شرب
الماء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
الماء ضعف النفس
وإمالة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استيقاء الماء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الخواري إذا دخل
البادية لا يحمل معه
إلا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للماء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوفة ولا يحتاج إلى

محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الزايع عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ولا يمكن محوه يمكن كسره وتضعفه فيضف الغضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للبرجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى ليسي عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدى الغضب وما يبدته قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب للبرجة للغضب هي الزهو والمجب والمزاج والمزول والمزء والتعير والمارة والضادة والتدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأعدادها ، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بمعرفة نفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشثا فتو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالانضال ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصناف وأنها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة ، وأما المزاج فتزيله بالتشاغل بالهمم الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزول فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبسياسة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعل الاستغناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يقتدر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائل المرغبات النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوقة هينة على النفس فإذا اعتجت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالألقاب المحمود غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فينبغ الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصبر والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من السكهل وذو الجلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبلخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده ونهجه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (١) بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والرفق وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ومن ذلك منقول عن الأكابر والأثراك والجهلة والأغنياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

التيمم يحفظ الماء
لوضوء ويمنع بالقليل
لشرب . وقيل إذا
رأيت الصوفى ليس معه
ركوة أو كوز فاعلم أنه
قد عزم على ترك الصلاة
غدا ثم أبى . وحكى عن
بعضهم أنه أدب نفسه
في الطهارة إلى حد أنه
أقام بين ظهراني جماعة
من النساك وهم
مجمعون في دار فآراه
أحد منهم أنه دخل
الحلاء لأنه كان يقضى
حاجته إذا خلا للموضع
في وقت يريد تأديب
نفسه ، وقيل مات
الحواص في جامع
الري في وسط الماء
وذلك أنه كان به علة
البطن وكما قام دخل
الماء وغسل نفسه
فدخله مرة ومات فيه
كل ذلك لحفظه على

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى بسبب هيجه فسنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمحبون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والغفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التعففى والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أنس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه قلت يا أمير المؤمنين - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان وقفا عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلق الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لفلانه خل عنه . الثانى أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو أمنت غضبى عليه لم آمن أن يغضب الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى الغفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعفك . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فجا جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أى القصاص في القيامة وقيل ما كان في بنى إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى في هدم أغراضه والشماتة بصائبه وهو لا يغفل عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تقشوش عليه في الدنيا فراغته لالم والعمل وما يمينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء وغير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادنهم لتقبل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذى يدعو إلى الانتقام ويمتنع من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والقلة والمهانة ونصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والانتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبين ففهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه الله وذلك يعظمه عند الله فساله والناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغى أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول . رادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارت وقول
كان إبراهيم بن آدم به
قيام قائم في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة يجدد
الوضوء ويصل ركعتين
وقيل إن بعضهم أدب
نفسه حتى لا يخرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحلاوات واتخاذ
النديل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجازه
بعضهم ودلهمهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو العباس قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا صفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند القيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عاتته أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب حمرة توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى اتفاح أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يفتل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب حمرة في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه واتفاح أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل للواضع وهو التراب لتستشعر به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً مدنا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد
ابن حباب عن أبي
معاذ عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت
كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خرفة ينشف
بها أعضاءه بعسد
الوضوء . وروى معاذ
ابن جبل قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا توضأ مسح
وجهه بطرف ثوبه
واستقصاء الصوفية في
تطهير البواطن من
الصفات الرديئة
والأخلاق الذمومة
لا الاستقصاء في طهارة
الظاهر إلى حد يخرج
من حد العلم وتوضأ عمر
رضي الله عنه من جرة
نمرانية مع كون
النصارى لا يعتززون
عن الحر وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتعود بالله من الشيطان الرجيم عند القيظ متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسقان فأحدهما احمر وجهه واتفخت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عاتته أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم واللية من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب حمرة توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد بإسناد جديد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع قليل له لم تجلس ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب حمرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع^(١) وقال للضمربن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث محائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بالله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بشك بضاً فكان بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها أرحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يسلهم إلا ذلك أي لا تطل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سييله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض الدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كفى الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاهملاً الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً^(٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى^(٥) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من عفى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوفم الغضب بإسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعمية فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات .

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كفى الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا يثبت في أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاء الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلًا بإسناد جيد والبرار والطبراني في معارج الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملاً مسكماً لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان يختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاهملاً الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأصل
الطهارة وقد كان
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يسلون على الأرض من
غير سجادة ويمشون
حفاة في الطرق وقد
كانوا لا يعملون وقت
النوم بينهم وبين التراب
حائلاً وقد كانوا
يقنعون على الحجر
في الاستجاء في بعض
الأوقات وكان أمرهم في
الطهارة الظاهرة على
التساهل واستصاؤم
في الطهارة الباطنة
وهكذا شغل الصوفية
وقد يكون في بعض
الأشخاص تشدد في
الطهارة ويكون مستند
ذلك رغبة النفس فلو
اتسع ثوبه تخرج ولا
يبالي بما في باطنه من
الغل والحقد والكبر

غيظه بحسبة الله تعالى (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق وبغيره من أي الحور شاء » (٣) الآثار : قال عمر رضي عنه من أتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تنهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بغضيتك واعرف قدرك تنفعك معيتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شراً كثيراً ، واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البر بوعى والتضليل بن عياض فذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تنقص بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسبح أن الله تعالى يقول - خذ العمد وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيثار بالله إذا رضى لم يدخله رضاء في الباطل وإذا غضب لم يخرج منه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأمسك لسانك ويحك .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة عديدة ولكن إذا تمود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يبيح الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفاً قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتغير الخير يحطه ومن يتوق الشر يوقه » (٤) وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقته التحلم أولاً وتكلفه كانا اكتساب العلم طريقته التعلم . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيقلب جهلكم حلمكم » (٥) وأشار بهذا إلى أن التكبر والتعجب هو الذي يبيح الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم أغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالقوى وجملي بالمافة » (٦) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابتغوا الرضا عند الله قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عن جهل عليك » (٧)

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شق غيظه بحسبة الله تقدم في آفات اللسان (٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبداً وما كظمها عبداً إلا ملأ الله قلبه إيماناً ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٥) حديث أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة التلميذ بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم أغني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالقوى وجملي بالمافة لم أجده أصلاً (٧) حديث ابتغوا الرضا عند الله قالوا وما هي ؟ قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والمحب والرياء والنفاق
ولعله ينسحر على
الشخص لو دلس
الأرض خافياً مع وجود
رخصة الشرع ولا
ينكره عليه أن يتكلم
بكلمة غيبة يخرب بها
دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأدب
بضحية الصادقين من
الملاءم الراشدين وكانوا
يكرهون كثرة الدلك
في الاستبراء لأنه ربما
يسترخى المرقى ولا
يمسك البول ويتولد
منه القطر المفرط .
ومن حكايات المتصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمرو الزجاجي
جاور بمكة ثلاثين سنة
وكان لا يخطو في الحرم
ويخرج إلى العل وأقل
ذلك فرسخ . وقيل
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والناء والكوا والتهطر^(١) » وقال على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته^(٢) » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلمهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيتون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما نسفهم الله ولا يزال معك من الله ظهير مما دعت على ذلك^(٣) » إلى معنى به الرمل وقال رجل من المسلمين « اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأعيا رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ « إني قد غفرت له^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني^(٥) » وقيل في قوله تعالى - ربانيين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح - يمشون على الأرض هونا - أي حياء وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا - قال الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا صرخوا بالقموموا كراما أي إذا أذوا صفعوا. وروى « أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما^(٦) » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخليم قلوبهم قلوب العجم والسنة العرب^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليليني منكم ذؤود الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيات الأسواق^(٨) » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشعج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العية ثوبين حنين فلبسهما وذلك بعين

(١) حديث خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتهطر أبو بكر بن أبي عاصم في الثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلمهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيتون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأعيا رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عايه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عباس بن جبر عن أبيه عن جده بأسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له محبة وإنما هو متقدم (٥) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأي ضمضم الحديث تقدم في آيات القرآن (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليليني منكم ذؤود الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قبح لم ينسب بل اتفق
عشرة سنة لأن الماء
كان بخره وكان مع
ذلك لا يدع تحديد
الوضوء عند كل
فريضة وبضمهم نزل
في عنه الماء فحملوا
إليه اللدوى وبذلوا
له مالا كثيرا ليداويه
فقال للداوى يحتاج
إلى ترك الوضوء أيا ما
ويكون مستلقيا على
فهام فلم يفعل ذلك
واختار ذهاب بصره
على ترك الوضوء .
[الباب السادس
والثلاثون في فضيلة
الصلاة وكبر شأنها]
روى عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما
أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« لما خلق الله تعالى
جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أشج خلقين مجيها الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلطان تخلفتهما أو خلطان جبلت عليهما فقال بل خلطان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين مجيها الله ورسوله (١) وقال عليه السلام «إن الله يحب الحلم الذي لا يتعسف أبدا بالعيال التي لا ترضى ويغضب الفاحش الذي السائل للتحف التي» (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفه وخلق يعيش به في الناس» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيطلقون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إن أنزلكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسى إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين» (٤) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك وأن لا يتباهى الناس بعبادة الله وإذا أجيست حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزيّنوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صبيح دعاة العقل والحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم تهدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال ترضهم عن عرسك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحلم من سخطه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن الأَهمّ أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففخر الله لك وإن كنت صادقا ففخر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعنابة بن أوس بن شداد قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فعل قتل فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتعصيا ففكس الرجل رأسه واستمع . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمود : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعبد من الله عز وجل وحمله على النعم والتوبة

(١) حديث يا أشج إن فيك خصلتين مجيها الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحي الحليم الذي لا يتعسف الحديث الطبراني من حديث سعد بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز باسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة (٤) حديث إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من زوايا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلمي قالت - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لهلولك الشمس حين زالت ومسني في الظهر» اشتاق الصلاة قيل من الصلي وهو الناز والحشبة المعوجة إذا أرادوا توبتهم تعرض على النار ثم يقوم وفي العبد اعوجاج لوجود قسه الأمانة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد القسم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذل قال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بجليج ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحم ومن صمت يسم ومن يجهل يظلم ومن يسجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسم ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يقول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إني إذا ضلت ذلك أهديت لك حسنا . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي ومرة المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفي عما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند غضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضيا فبصه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم فسططت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صديق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب قيل له في ذلك فقال أفتت مقام حجر تثررت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزيم نفسي الصبح عن كل مذنب وإن سكثت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صفت عن إجابته عرضي وإن لام لأنم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا فضلت إن الفضل بالعلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشقي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة القية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والقرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه »^(١) وقال « المستبان ما قال فهو على البادي مما لم يمتد المظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاوران »^(٢) « وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت قال لأن الملك كان يجب عليك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان »^(٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للمستبان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج
السلوة الإلمية
والعظمة الربانية
ما يزول به أهوجاه
بل يتحقق به معراج
فالمصلى كالمصلى بالنار
ومن اصطفى نار الصلاة
وزال بها أهوجاه
لا يمرض على نار جهنم
إلا نعمة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أحمد بن إسماعيل
القزويني بإجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس بن محمد بن أبي
العباس الحليل قال أنا
أبو سعيد الفرخزاذي
قال أنا أبو إسحق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
العنبري قال ثنا جعفر
ابن أحمد بن العافظ

وقال قوم يجوز للقبالة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بعثله
نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يحس به والذي يرخس فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من
بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى
أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
يا جاهل إنما من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا بني الحاق يا صفيق الوجه
يا ثلابة للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحقرك في عيني بما
فعلت وأخزأك الله وانتقم منك . فأما النجعة والفتية والكذب وسب الوالدين لحرام بالاتفاق لما روى
أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ
ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقول هو الدليل على جواز ما ليس
بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك بآلئك العدل في
أبنة أبي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا بنية آثمين ما أحب قالت نعم قال فآحمي هذه فرجعت
إلين فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني
في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ما كنته أتظن أن بأذن لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) « يعني أنك لا تقاومينها في الكلام قطوقها سيبتها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المستبان ما قاله أفضل
البادئ منها حتى يتبدى للظالم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتبدى فهذا القدر هو الذي يباحه
هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعدر الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
تركه فإنه يحجر إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس
في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الخلود وبعضهم كالنضابطي الوقود بطيء الخلود
وهذا هو بطيء الوقود سريع الخلود وهو الأحمد ما لم يته إلى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
بطيء الخلود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى لم يرض فهو شيطان وقد قال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى
فتم بطيء الغضب سريع النوى ومنهم سريع الغضب سريع النوى فذلك تلك ومنهم سريع
الغضب بطيء النوى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الغضب البطيء النوى (٥) »

قال أنا أحمد بن نصر
قال ثنا آدم بن أبي
إياس عن ابن صمان
عن الصلاء بن
عبد الرحمن عن أبيه
عن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول
الله عز وجل قسمت
الصلاة بيني وبين
عبدى نصفين فإذا قال
العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله عز وجل
مجدني عبدى فإذا
قال الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى جدني
عبدى فإذا قال
الرحمن الرحيم قال الله
تعالى أني على عبدى
فإذا قال مالك يوم
الدين قال فوض إلى
عبدى فإذا قال إياك
نعبد وإياك نستعين
قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم
(٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني
أزواجك بآلئك العدل في أبنة أبي قحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المستبان ما قاله أفضل
البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
(٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يقاب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يمدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشغيا لنيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتبه السكران فرجهم عمر قبل له بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عززته لكان ذلك لنفسي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما فقتك .

(القول في معنى الحقد وتأنيجه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لم يجز عن التشنج في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استغفاله والبغضة له والنقار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « للؤمن ليس بحقدود ^(١) » والحقد ثمرة الغضب والحقد ثمر ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتتم نعمة إن أصابها وترى بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استغفاله . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والزيادة والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويعول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يمرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لسكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه ^(٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فلم يحقدود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة وتقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو احتياج الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بحقدود تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

عبدى فاذا قال شاهدنا
الصراط المستقيم
صراط الدين أنعمت
عليهم غير الغضوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
لعبدى ولعبدى ما سأله
فالصلاة صلة بين الرب
والعبد وما كان صلة
بينه وبين الله غفر
العبد أن يكون خاشعا
لصلاة الربوبية على
العبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجلى
لشيء خضع له ومن
يتحقق بالصلاة في الصلاة
تلمع له طالع التجلى
فيخشع والفلاح للذين
هم في صلاتهم خاشعون
وبانتفاء الخشوع ينتفى
الفلاح وقال الله تعالى
- وأقم الصلاة لذكري -
وإذا كانت الصلاة
لذكر كيف يقع

الفيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقال الله تعالى - وأن تغفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلاقا لحلفت عليهن مائة من ماله من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا نتج رجل على وجهه باب مسألة إلا نتج الله عليه باب فقر ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رضة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عززا فاعفوا يرفعكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلمها قط ما لم يقهك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ^(٣) » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أوبدني فأخذ بيدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتقفو عن ظلمك ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا ^(٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يرفعكم الله ^(٦) » وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة ^(٧) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا مشر للموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض ^(٨) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها التبيان قال الله تعالى - لا تحربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلّى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء ولا يحضور عقل والتافل يصلّى لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بأمركك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يميناً وشمالاً فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حلاقا لحلفت عليهن مائة من صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رضة فتواضعوا يرفعكم الله الأصمهاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلمها قط الحديث الترمذي في الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بأسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا الخرائطي في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا مشر للموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ في كتاب التبصرة والنذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا الظالم بينكم وموابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليهم بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أخ وابن عم حليم رحيماً قالوا ذلك ثلاثاً فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ^(١) » قال فخرجوا كأنما نفروا من القبور فدخلوا في الإسلام . وعن سبيل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا مشرك قريش ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيراً وتظن خيراً أخ كريم وابن عم رحيماً وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم - ^(٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر ؟ قال العاقون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألقا فليدخلوها بغير حساب ^(٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله عفو ربه الصلوة ثم قرأ - وليصبروا وليصنعوا - الآية ^(٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أذى ديننا خفياً وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن ^(٥) » . الأثر : قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليظلمنى فأرحمه وهذا إحسان وراء الصلوة لأنه يشتغل قلبه بترغبه لمصيبة الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبداً قبض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمت فإن شئت استجبت لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسمعكما عفى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركه بعمله ولن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الصلوة فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر رجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً فضا عنه والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فضا به وقال :

عفو للؤلؤ عن العظيم من الذنوب بفضلها
وقد حاقب في اليسير وليس ذاك لجليلها

(١) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سبيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى أجره على الله قال العاقون عن الناس الحديث الطبرنى في معارج المكارم الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقامه والله عفو ربه الصلوة الحديث أحمد وإسحاق ومحمد ويحتمل في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى في الأوسط وفيه ضعف

- الذين هم في صلاحهم
خالصون - جنوا
وجوههم حيث
يسجدون وما يؤذون به
ذلك أحد منهم ينه
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن العبد إذا قلم إلى
الصلاة فإنه بين يدي
الرحمن فإذا التفت قال
له الرب إلى من تلتفت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى قائلنا
خير لك ممن تلتفت
إليه » وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلاً يبيت بلحيتة في
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضع
جوارحه » ولقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا صليت

إلا لعرف حلها ونحاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى برجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقات يأمر المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه فقال خيلنا عنه . وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمسكنكم الفرصة فإذا أمكنكم فليكنم بالصفح والإيصال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك قال للراهب أرايت ذا القرنين ؟ كان نبيا ؟ فقال لا ولكن إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر اتقم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بنى الحقد والغضب . وأتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتكلم أيضا ؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تسكلم بين يديك كلاما . قال هشام بلى ويحك تكلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين قليل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يتنازع طعاما فابتاع ثم طلب الدرام وكانت في عمامته فوجدتها قد حلت فقال لقد جلت وإنها لمي فجهلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم اقل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حجة فبارك له فيها وإن كان حملته جرامة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف ففرقت دنائره كانت معه فجعل يبكي فقلت ألى الدنيا نير تبكي ؟ فقال لا ولكن مثاتي وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عفى على إدا حاض حجة فكأنى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب لبلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فاكنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يدهم إياه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالتى من كيد النساء ومن الحبس ثم قلأ بها الأمير ماذا صنع الله به أذاله منهم ورفع ذكره وأطى كلمته وجعله على خزائن الأرض فسادا صنع حين أكل له أمره وجمع له أهله - قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالغو عن أصحابه قال الحكم فأنأ أقول لا تريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو اريتكم نعمته وكتب ابن القفع إلى صديق له يسأله الغو عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى غفوك لا نأذ منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد الغفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الطفر فأعط الله ما يحب من الغفو فضا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأنأ آتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يبقا بما فى صحب موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزروا زرة وزرا أخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لهن حجة . وقيل مكتوب فى الإيجل من اسفهر لمن ظله فقد هزم الشيطان .

فصل صلاة مودع
فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شيء سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن الصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعوها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والحيثات فى تعلقات بتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكيته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادع - ونى استجب لكم - كان خالد الرامى يقول بحجة لهذه الآية - ادعوى استجب لكم - أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرقي)

اعلم أن الرقي محمود ويزاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرقي واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سبب اشد الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبوت فالرقي في الأمور مخرمة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرقي وبالحق فيه قال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرقي فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطى على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرقي وما من أهل بيت يحرمون الرقي إلا حرموا محبة الله تعالى»^(٣) وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرقي ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرقي يحرم الخير كله»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أبما والى فرقي ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرقي بمن والحرق شؤم»^(٩) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التأني من الله والعجلة من الشيطان»^(١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فاتته»^(١١)

(فضيلة الرقي)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والعليل في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر الليثي وضعفه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرقي في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطي على الرقي ما لا يعطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرقي الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة أرفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرقي أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة أرفقي (٦) حديث من يحرم الرقي يحرم الخير كله الحديث مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبما والى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولى من أمر أمي شيئا فرفق بهم فافرق به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وقد تقدم في آداب الصحبة (٩) حديث الرقي بمن والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والعجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بإفظ الأمانة من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث ابن جعفر

هي تؤذ دعاء البعد
فإن الداعي الصادق
العالِم بمن يدعو بنور
يقينه فتخرق الحجب
وتقف الدعوة بين
يدي الله تعالى متقاضية
للحاجة وخص الله
تعالى هذه الأمة بأزوال
فاتحة الكتاب وفيها
تقديم الثناء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفاتحة الكتاب
هي السبع للثاني
والقرآن العظيم قيل
سميت مثاني لأنها زلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة نزلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافقوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم وإمام ورعه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أنهم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهره يرزق العافية بمن هودونه. وقال وهب بن منبه الرفق ثمر الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينه العلم وما أحسن العلم بزينه العمل وما أحسن العمل بزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذا أناة قتلاين الولاية . قال فما الخرق ؟ قال معاداة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيوف في موضعه والسوط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج اللطافة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالملأ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت نداء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألم من الزيد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن الشبث مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون عخطا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك الله العلى ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة السكوفي لا تتخذ من الحدم إلا مالا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن للؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإنما السكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن التبحر معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرأها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا الصلوات المقتنون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لأنها استتبت من الرسل وهي سبع آيات ورويت أم رومان قالت رأيت أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرتني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن أطرافه لا يتميل تميل البهو دفان سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو السمي عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والدهاء أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القاضي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف.

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه ونمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباعدوا ولا تباغضوا ولا تباذروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فلم يكن قد كان الفج قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكذبت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ماهو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون من أحد الظن والاطيرة والحسد وسأحدثكم بالخبر من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طهريت فامض وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهم أحد وقل من ينجو منهم » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحاقلة لا أقول حاقة الشعر ولكن حاقة الدين والدي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم بأفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تباذروا ولا تباعدوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه الأبرار وصحى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن أبي شيبة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهم أحد الظن والاطيرة والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهم ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الرضى ضعفهما الجمهور والرواية الثانية روىها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف للطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع التفاق قيل وما خشوع التفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب » . أما عيل اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقله ما في باطنهم فكان يهين الأمور ويعظمها ولهذا العنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع على والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيخرج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسيم

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم المهرج » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٣) وروى أن موسى عليه السلام لما تمجّل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا قبطه بمكانه فقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يعبد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يحق والديه ولا يعنى بالتمجّة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمى متسخط قضائي غير راض بسمي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم اللال فيتعاسدون ويقتلون » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن نعم الله أعداء قليل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والطاء بالحسد » (٧) الآثار : قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأي أن يسجد له فعمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والسكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهى الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد ثانياً قاتل

الفضل وربما كانت الروح تطلع إلى الحضرة الإلهية قهم بالاستملاء والقلب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتميل فرأى اليهود ظاهره قهايلوا من غير حظ لبوا طهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل اليوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وقابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لا هيا » واعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في رحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتعاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي طاهر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمداً أخاف عليكم من بعدى ما فتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتعاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمرو لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بنسند ضعيف (٦) حديث إن نعم الله أعداء قليل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل النعم حسادا فأحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والطاء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بنسند ضعيف .

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاستك وإذا ذكرت النجوم فاستك. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يضئ بعض اللوك فيقوم بمخاء الملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته حسده رجل على ذلك للقيام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمخائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أذنه ثلاثين ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب واسلخه واحش جلد ثبنا وابث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقية الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وسلخه وحشا جلده ثبنا وبث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فغضب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقمي فلان فاستوبه مني فوهبه له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يديك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى السوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء ما أكثر عبيد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إقامتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق . وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك قمة عليه . وقال الحسن يابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لسكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من الجاهل إلا مذمة وذلا ولا ينال من اللاتكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا هدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداها أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم اللافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأساس بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يغيبط

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الخمس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » فالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكميل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكميل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكميل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على المنبر إن
الرجل ليشيب عارضا
في الإسلام وما أكل
له صلاة قيل وكيف

والمناقى يحسد^(١) فاما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجبر أو كافر وهو يستمين بها على تهيج الفتنة وافساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضره كراحتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد لو أمنت فسادك بضمك بنعمته وبدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسقط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسكتم حسنة نسوّم وإن تصبكم سيئة ففرحوا بها - وهذا الفرح ثمانية والحسد والثمانية يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جميع زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فكونون سواء كره الله تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن عصبة إن أبانا لى ضلال مبين - اتقوا يوسف وأطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم - فلما كرهوا أحب أيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فسيوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا تخفى صدورهم به ولا يفتنون فأتى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الإنكار - أم يجدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل فى التفسير حسداً وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساألك بالنبي الذى وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذى تنزله إلا ما نصرتنا^(٢) - فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بغيا - أى حسداً - وقالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعصى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذى بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة^(٣) فهذا حكم الحسد فى التحريم - وأما للنافعة فليست بحرام بل هى إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافعة والنافعة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يضبط والمناقى يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإسماعيل بن قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساألك بالنبي الذى وعدتنا أن يرسله الحديث فى نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق فى السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبى وعصى من عندك يوماً فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذى بشر به موسى الحديث ابن اسحاق فى السيرة قال حدثنى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واجتنبه على الله فيها وقد ورد فى الأخبار أن الصلوة إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبى إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلى ليشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه منادو علم الصلى من يتاجى ما التفت أو ما اغتفل وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على أهل السموات لله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله لا يرضون من

قَالَ قَتْمُ بْنُ عَبَّاسٍ لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فبأسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالاً لعلني حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تقسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقاله تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإعمال السابقة عند خوف القوت وهو كالمبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يعطى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويسلّم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بطله في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذان من حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تضييعه للنسبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا أخرج على من يبط غيره في نعمة ويشقى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للنفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالنسبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتعم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للنفس عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا يخرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحات ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان . وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه وتقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وإعما زوال نقصانه إما أن ينال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال قَتْمُ بْنُ عَبَّاسٍ لما أراد هو والنضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فبأسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالاً لعلني الحديث هكذا وقع للمصنف أنه قَتْمُ بْنُ عَبَّاسٍ وهو الفضل والطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث للطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بيننا هذين الصلّامين قال لي والفضل بن عباس اثنيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فذكر الحديث (٢) حديث لا حسد إلا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بطله في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذان من حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تضييعه للنسبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا أخرج على من يبط غيره في نعمة ويشقى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للنفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالنسبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للنفس عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا يخرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحات ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان . وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه وتقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وإعما زوال نقصانه إما أن ينال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتعود والعباد للنيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يمتك في ركوعه متلذا بالركوع غير منهم بالرفع منه فإن طرقة سامة بحكم الجيلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترامى للراكي الحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لسي في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده معها كان كارهًا لذلك من نفسه بقوله ودينه والله للمنى بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة»^(١) ثم قال «وله منهن» مخرج إذا حدث فلا تبغ «أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تسلم به ويبدا أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيجوز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لأعماله ترجيحًا له على دوامها فهذا الحد من الثافة زاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فأنموذج الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور قصاته عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن معنى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما امرئته فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحب. الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سمعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تتم غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحبز والمسا كى لا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المغفوع عنه إن كان في الدنيا والتدوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم.

(بيان أسباب الحسد والثافة)

أما الثافة فسببها حب ما فيه للذافة فان كان ذلك أمرا دينيا فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبه حب مباحات الدنيا والتتم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر حملتها سبعة أبواب: العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس ومغلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتمزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على الحسود ويتمتع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيمًا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بشعة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي الحديث
حقها فيكون هم
الهيئة مستقرة فيها
مشغول بها عن غيرها
من الهيات فذلك
يتوفر حفظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب الفتح ويقف
في صواب النفحات
الإلهية حتى يتكامل
حفظ العبد فتتمحى
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الوصال. وقيل في
الصلاة أربع هيات
وسنة أذكار فالهيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة التلاوة
والتسبيح والحمد
والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

(بيان أسباب الحسد والثافة)

فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشنى والانتقام فإن عجز للبغض عن أن يتشنى بنفسه أحب أن يتشنى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغيته وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مرادهم وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتم له من عدوه الذي آذاه بل أنتم عليه. وبالجملة فالحسد يلوم البغض والمعلومة ولا يفرقهما وإنما غاية التقى أن لا ينفى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض الإنسان أن يتولى عنه مسرته ومساوئه فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من اليغفل موتوا يبغضكم إن الله عليم بذات الصدور - إن تمسككم حسنة تؤم - الآية - وكذلك قال تعالى سودا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يغضى إلى التنازع والتقاتل واستنزاع العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزير وهو أن يشغل عليه أن يرفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال سلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساوئه مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الاتياد له وللتأجبه في أغراضه فإذا قال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويرفع عن متابعته أو ربما يقشوف إلى مساوئه أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزير كان حسدا أكثر الكفار لرسل الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رؤسنا فقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يشغل علينا أن نتواضع له وتبغضه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالأستغفار لهم والألفة منهم. السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما آتاهم إلا بشر مثلنا وقالوا - أنؤمن لبشرين مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لغسوم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لاعتقادهم قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين - أبش الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا الملائكة - وقال تعالى - أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية - السبب الخامس: الخوف من قوت للقاصد وذلك يخصص بتزاحم على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عون له في الاشراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضراحي في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين لتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندما الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه لتوصل به إلى المال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أنزل على محمد وآرك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن حمير الثقفي سيد قتيب فحسن عظماء القريتين فأزل الله فيها بلغى هذه الآية وروله أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن حمير الثقفي وهو صحيح .

عشرة كلمة عرق
هذه العشرة على عشرة
صفوف من الملائكة
كل صف عشرة آلاف
فيجتمع في الركبتين
ما يفرق على مائتين
من الملائكة .

[السبب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب]
ونذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة بها
وشروطها وآدابها
الظاهرة والباطنة على
الكامل بأقصى ما انتهى
إليه فهمنا وعلنا على
الوجه مع الاعراض
عن نقل الأقوال في
كل شيء من ذلك إذ في
ذلك كثرة ويخرج
عن حد الاختصار
والإيجاز المقصود فتقول
وبالله التوفيق : ينبغي
لعبد أن يستمد للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل اللال بالقبول
عندهم وكذلك تحاسد العالمين المزاحمين على طائفة من للتفقه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة
في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى القصور وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب
عليه حب التناء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو سمع بنظيره في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد به ويفرح
بسبب تفرد به وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصور
سوى محض الرياسة بدعوى الاغتراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستبقاعهم بها نسخ علمهم . السبب السابع :
خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال جدد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصد وتخص عيشهم فرح به فهو أبداء يحب الإدبار لتفرد
ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت
الجبلة ومما لجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيقطع في
إزالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض قصير إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته فهذه هي
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينهك حجاب المجاملة وتظهر العداوة
بالمسكفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلا يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمتال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب

وتأكده وقلته في غيرهم وضعه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تسكر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يقوى بين قوم تجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تسكر بين أقوام تجتمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض قهر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فند ذلك يريد أن يستعقره
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لارابطة بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك
في محلتين ، نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تور بهيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحره وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تقبل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وقصره . ويستبر
الزوال بأن الظل مادام
في الاتصاف فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الأخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزل يعرف أول الوقت
وأخره ووقت العصر
ويحتاج إلى معرفة
للتأزل ليطلع الفجر
ويسلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول
ويحتاج أن يفرده باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأفة تحسد ضررتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما ينازعه فيه برز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الحصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد خاص فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على فرض واحد والفرض الواحد لا يجمع متباعين بل متساوين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملوكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل العلوم الواحد يعلمه ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا تضيق أيضا فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقائه وليس فيها مماتة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو تنقص عنه لاهماله فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يعمل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويعمل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه لمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسبائه صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحم فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذة بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجمته معرفته التي هي صفة ذاته بأمن زوالها وهو أبدا يبقى ثمارها فهو بروحه وقلبه مفتد بخاكة علمه وهي فاكة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطونها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف الظلم ومشاهدة المحبوب في القبي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتبة في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشمت بطنه وتفرق همه لما يلي به من الخاطلة من الناس وقيامه بينهم للعاش أوسهو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة يجذب بطنه إلى الصلاة ويتهيا للحاجة ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصبر مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجتهد في التوبة مع الله تعالى عند القرينة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر

صفات للبعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأفطاروافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وهما بم ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور وإذا العنين لا يشاق إلى لذة الواقع والعصى لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والحشيش فكذلك لذة المعرفة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقياً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكته فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غشيت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبه الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا ووال نعم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتحوها كما يحول الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تعذب به ولا تزال في كد وغم إذا عداؤك لا يخلّهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تتصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك وتشبه الأعداء لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتجنزت في الحال محتك وغمك تقداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساء مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير تقع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودياره فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدّره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكاني من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تقضى أيامها أي ما قدره في الأزل

والصائر مما أوماً إليه
الشرع ونطبق به
الكتاب والسنة
والخاصة ذنوب حال
الشخص فكل عبد
على قدر صفاء حاله له
ذنوب تلائم حاله ويعرفها
صاحبها وقيل حسنات
الأبرار سيئات القريين .
ثم لا يبلى الإجماع قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « تفضل
صلاة الجماعة صلاة
الغد بسبع وعشرين
درجة » ثم يستقبل
القبلة بظاهره والخصرة
الإلهية يباطنه ويقرأ
- قل أعوذ برب
الذئب - ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستئذان قبل الصلاة
لوجه الظاهر بانصرافه
إلى القبلة وتخصيص

لا سييل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتت به أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، نعم هو يشل بارادته الضلال لفترة فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباءة لكل واحد من حقد الحساد أيضا يشتهى أن يخلص بهذه الحاسبة ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزول النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود يستمتع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لأنك إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والتدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه : أعنى أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزول . نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أم أغراض الخلق مساواة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكهد

لازلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

فصرح عدوك بنفسك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهى عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تماطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأى محروما من نعمة العلم والورع والجاه والسال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك لخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب بفنسه إليك حتى لاتلحقه بحبك كالم تلحقه بعملك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب ^(١) » وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم رفع
يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وإيهاماه
عند شحمة أذنيه
ورءوس الأصابع مع
الأذنين وبضم الأصابع
وان نشرها جازواضم
أولى فانه قبل النشر
نشر الكف لا نشر
الأصابع وبكبر ولا
يدخل بين باء أكبر
ورائه ألفا ويجزم أكبر
ويجعل اللد في الله ولا
يبالغ في ضم الهاء من
الله ولا يتبدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدان حذو
النكبين ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالوقار إذا سكن القلب
تشكلت به الجوارح
وتأيدت بالأولى

والأسوب وجمع بين
نية الصلاة والتكبير
بحيث لا يغيب عن قلبه
حالة التكبير أنه يصلي
الصلاة بعينها . وحكى
عن الجنيّد أنه قال
لكل شيء صفوة وصفوة
الصلاة التكبير
الأولى وإنما كانت
التكبير صفوة لأنها
موضع النية وأول
الصلاة . قال أبو نصر
السراج سمعت ابن سالم
يقول النية بالله لله
ومن الله والآفات التي
تدخل في صلاة العبد
بعد النية من العدو
ونصيب العدو وإن كثرت
لا يوازن بالنية التي هي
الله بالله وإن قل .
وسئل أبو سعيد الخزاز
كيف الدخول في
الصلاة ؟ فقال هو أن
تقبل على الله تعالى

۱۰

عليه أئتم خصه الزيادة في الانعام عليه فهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقعة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخراً ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثبتت عليه حملك العدو على المعجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة وهوانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء الرقيق لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحسب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فلم يجاهد فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السككي فأما الدواء للفصل فهو وتبعية أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا ينبغي وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض ولا يتقنع المرض إلا بقمع السادة فإن لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محباً للجهاد فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والنزلة في قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لا محالة وإنما غاية أن يهون النعم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق.

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن للؤذي محقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثبث على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعال الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالكيفية إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قاله الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواهم - وإن تمسكتم حسنة نسوهم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأئتمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تحقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت الاختيار في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تأثير الطبع يستوى عنده للؤذي والحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو نصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطواع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم
القيامة ووقوفك بين
يدي الله ليس بينك
وبينه ترجان وهو
مقبل عليك وأنت
تتاجيه وتعلم بين يدي
من أنت واقف فانه
الملك العظيم . وقيل
لبعض العارفين كيف
تكبر التكبير الأولى
فقال ينبغي إذا قلت
الله أكبر أن يكون
مصحوبك في الله
التعظيم مع الألف
والهيبة مع اللام
والراقة والقرب مع
الحاء . واعلم أن من
الناس من إذا قال الله
أكبر غاب في مطالعة
العظمة والكبرياء
وامتلاً باطنه نورا
وصار الكون بأسره
في فضاء شرح صدره
تكردلة بأرض فلاة

ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الزوال قد يتبى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدة وهي عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأصلهم أفضال الله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فلهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتى إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يغلو منهن للؤمن وله منهن مخرج فخرج من الحسد أن لا يغنى » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن النفي والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما يجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث اللغى إذ يعد أن يعنى عن العبدى إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حيك لذلك وميل قلبك إليه بفعلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المظهر قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يبق مرجوها بمخوفها ولا يسلط طوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بحمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها ثم هى فرارة عن طلابها شجيحة بإقبالها وإذا قبلت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة باثرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بدل طالبها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدنل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الحرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن النقصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يدوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهى خداعة مكاررة طيارة فرارة لا تزال تزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كثرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محبابها فأذاقتهم قوائم صمامها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تاتي الحردة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من السكون الذى صار بمثابة الحردة فألقيت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والقيوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب بتعزى بالنية فتكون النية موجودة باللفظ صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى يده اليسرى ويجعلها بين السرة والصدر واليمين

ورحمتهم بصواب منيها، بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أضفأت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطعنهم طعن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه للقصبي جلته حصيدا كأن لم يكن بالأسنى نعى أصحابها سرورا وتقدم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمهم بورا وسيمهم هباء مشورا ودماؤهم ثورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير وأولى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فإنها تزيت لهم بزيتها وعمتهم زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأماعداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فتقتصرهم بشبكها حتى وثقوا بها وعوتلوا عليها فخذلتهم أحوج ماكانوا إليها فاجتونا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبدا لأباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكابها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم - اخسوا فيها ولا تسكعون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو العين على ما يرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هو أهلها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ^(٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيه منها ^(٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما ينقى على ما ينقى ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(٥) »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث السننورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن للمؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاها عالم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

لكرامتها تجعل فوق اليسرى وبعد للسبحه والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسرى من الطرفين وقد فرأى المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى - فصل لربك وانحر - قال إنه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك أن تحت الصدر عرفا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحرأى استقبل القبلة بتحريك وفى ذلك سر خفى يكشف به من وراء أستار الغيب وذلك أن الله تعالى بلطف حكته خلق الأذى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد حبه ونجته ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا ولمسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرّون على مسأته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده عن نفسه شيئا ولم أره أحدًا قلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا ثلث لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت منى لم يفلت منى من بعدك ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا هيبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور ^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذ خرفة قد بليت على تلك المزبلة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا ^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تتصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تلهاوا في الحلية والنساء والطيب والنياب ^(٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الجواريين إنى قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تتموها بعدى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا به كذا ألقا عبوا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أو رمت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تزعجكم فيها للملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فأنهم إن يرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طلبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يعجز الموت فيأخذ بفتنه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ^(٥) » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فربما يد من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لما حكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبليت ^(٦) »

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فعدنا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يدفع عن نفسه شيئا الحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا هيبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لما حكم

ومحله روحاني
وجسماني أرضيا وسماويا
منتصب القامة مرتفع
الهيئة فصفه الأعلى
من حدالة واد مستودع
أسرار السموات ونصفه
الأسفل مستودع
أسرار الأرض لمحل
نفسه ومركزها النصف
الأسفل ومحل روحه
الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب
الروح مع جواذب
النفس يتطاردان
ويتحاربان وباعتبار
تطاردهما وتخالجهما
تكون لمة الملك ولمة
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيكشف
للصلى الذي صار قلبه
مماويا مترددا بين
الفناء والبقاء لجواذب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يماذى من لا علم له وعليها يحسد من لا قه له ولها يسى من لا يقين له ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا ^(٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها رهوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه رهوس كانت تحرس كحرسكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي مائة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتعالمونها وهذه الحرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان يركبها على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا ^(٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتربنت لهم إني قد فت في قلوبهم بنضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن يغلب بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصديق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسى أمامهم واللائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكني بالأسنى إني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم ^(٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجمولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع ماني بطنى من الأذى فقبل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحيين أفرام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير ^(١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد ^(٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف ^(٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة الحديث لم أجد له أصلا ^(٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بضنه من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجد باقية

النفس متصاعدة من
مركزها ولجوارح
وتصرفها وحركتها
مع معاني الباطن
ارتباط وموازنة
فوضع الحق على الشمال
حصر النفس ومنع
من صعود جوارحها
وإثر ذلك يظهر بدفع
الوسوسة وزوال
حديث النفس في
الصلاة ثم إذا استولت
جسواذب الروح
وتعلكت من الفرق
إلى القدم عند كمال
الأنس وتحقق قرة
العين واستيلاء سلطان
الشاهدة تصير النفس
متهورة ذليلة ويستتير
مركزها بنور الروح
وتقطع حينئذ جوارح
النفس وعلى قدر
استنارة مركز النفس
يزول كل العادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . فلو يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين عاقبتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيؤمّن أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود البعد من نفسه لنفسه ومن دينه لأخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لمرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للأخرة والذي نفسي بيده ما بعده للوت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٢) » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام بأطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لميسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يبكك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت (٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجهله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الذئ إلا بالفرار والبخل ولا المحبة إلا بالاتباع الهوى لأن ذلك الأثر منكم نصبر على الفقر وهو يقدر على الثنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعد فأتاه فذا فيها امرأة غاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أمد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجه في يوم القيامة مائة حوراء خاتمتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتقره ويأمنها ويشق بها وتخذله وويل للمفتقرين كيف أرثهم ما بكرهون وفارقهم ما عاون وجاءهم ما يودون وويل لمن الدنيا همه والحطاي عملهم كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولد دار الظالمين إنما ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا العامل يحمل فيها فعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويستغنى حينئذ عن متاعه النفس ومنع جوازها بوضع العين على المال فيبذل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم مذهب مالك رحمه الله ثم قرأ - وجهت وجهي - الآية وهذا التوجه إتمام لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وعبدك أنت ربّي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فترضوا له فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم صمم أن آبا عبدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قهلكم كما أهلكتهم (١) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا (٢) . وقال علي بن أبي طالب (٣) لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا (٤) فتهسى عن ذكرها فضلا عن إصابه عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بحرية فإذا أهلها موتى في الآخرة والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدانوا فقالوا يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم يحيوك فلما كان الليل أشرف على نذر ثم نادى يا أهل القرية فأجابه بحبب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بئنا في عافية وأصبحنا في المساوية قال وكيف ذلك ؟ قال بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل العاصي قال وكيف كان حكمك للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا قبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزننا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يحییونی قال لأنهم ملجمون بأجمع من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنما مطلق على شفير جهنم لأدري أننجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس السوح والنوم على الزبال كثير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تنسب فجاء أعرابي بناقة له فسبها فشق ذلك على السليمن فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه (٥) » وقال عيسى عليه السلام من الذي يبنى على موج البحر دار تلجم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة (٥) » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركن أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يملكون فبغضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها عفاة مما في عاقبتها ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبت سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بعث أبا عبدة بن الجراح فجاء بحمال من البحرين فسمعت الأنصار بقعود أبي عبدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا (٤) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تنسب الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخ وزاد لخرجتم إلى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفراش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عن مديها
فانه لا يصرف عن
سيئها إلا أنت لبيك
وسمديك فالخير
كله يديك تباركت
وتعاليت أستغفرك
وأثوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظيره إلى موضع
السجود ويكمل القيام
بالتصائب القائمة ونزع
يسر الانطواء عن
الركبتين والخواصر
ومعاطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتكئون الجسد
بتكون القلب من
الخشوع وبرواح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فان ضم الكفين

على البر لتحايتهم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن عبه وبينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بغير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للاجل منها تكسبون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتونا لنين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فتعذرهم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسير منها يغوتكم حتى يبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها للآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم بضعكم بضا بالسروور وكلكم بكرم أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطجبت على القتل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتهم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصاركم فان كان فيكم خير فقد أسمتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولئن أنتمكم بدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تركزن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها وموسى عليه السلام برجل وهو يكي ورجع وهو يكي فقال موسى يارب عبدك يكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فانتهاه وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فآلقها في نهره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفيتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا ، وقال الفضيل طالبت فسكرتي في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا - وقال بعض الحكماء : إنك إن تصبغ في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وحم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يغاق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويعد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

(١) حديث لئن أنتمكم بدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

هو الصنف للنهي عنه
ولا يرفع إحدى
الرجلين فانه الصنف
للنهي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصنف والصنف
وإذا كان الصنف منيا
عنه ففي زيادة الاعتماد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى
رعاية الاعتماد في
الاعتماد على الرجلين
جميعا ، ويكره اشتغال
الصماء وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويجنب السدل وهو
أن يرخى أطراف
الثوب إلى الأرض فقيه
معنى الخلاء وقيل هو
الذي ياتف بالثوب
ويجعل يديه من داخل
فيركع ويهجد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

ومن يحمّد الدنيا لم يهيئ سرّه فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على الرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا بان عيشها
نكد وصفوها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أما ترى
النم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا ما أمن حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضر لك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في مطابه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب ينفى والآخرة من خرف يبقى لكان يبنينى لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب ينفى
فكيف وقد اخترنا خرفا ينفى على ذهب يبقى ، وقال أبو حازم يا كم والدنيا فانه يلقى أنه يوقف العبد
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحدا من
الانس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرئيل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابطة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت استكثروا عن ذكرها فقلوا موقعهم من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لأبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

رفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمها
كعبان بنى بيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهديما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذلك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربعها جميعا ولاتبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .
وقال مطرف بن النخعي لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظمهم
وموؤ منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للنفاق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والنفاق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا
فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تتع عن خطبتها تلم
إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :
إذا امتحن الدنيا لبيب تكسفت له عن عدو في ثياب صديق

يديه داخل القميص
ويجئ الكف وهو
أن يرفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين وتجافي
المضدين فاذا وقف في
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها بحسبنا للسكارة
فقد تم القيام وكله
فيقرأ آية التوجه
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم ويحولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ الفاتحة
وباعدها بحضور قلب
وجمع هم وواطأة بين
القلب واللسان بحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يرافد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسعارا
أفنى القرون التي كانت منعمة كثر الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر تقاعا وضرازا
بأمن يسانق دنيا لبقاء لها يمسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاينة حتى تصانق في الفردوس أبارا
إن كنت تبغى جنات الخلد تسكنها فيبغى لك أن لاتأمن السارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يبدوا الأوئان
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حقه وإنتافه في غير حقه وإمساكه عن
حقه والشر كله من هذا نبغ . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال :
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اتقرب فيها حزن ومن استغنى فيها افتق
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العذاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم وزجج
أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يهتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الأخر تبعها له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فبقدر ما مرضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أيعسن له أن يعيش فيه ؟ يعني يقيم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدّم
ذلك ليوم قعره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالها لا حاسب عليها في الآخرة لكنت
أتقدرها كما يتقدر أحدكم الجيفة إذا صر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفه إلا سيفه وترسه
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يلغنا القليل وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجبال
لم يرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا
من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد ازداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص عن النبي : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذي له (١)

والخشية والتعظيم
والوفار والشاهدة
والمناجاة وإن قرأين
الفاتحة ومائة رابعها
إذا كان إماما في
السكنة الثانية : اللهم
باعدي بيني وبين خطايي
كما باعدت بين الشرق
والغرب وتبني من
الخطايا كما تبني الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطايي
بالماء والتاج والبرد
الحسن ، وإن قلها في
السكنة الأولى حسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان منفردا
بقولها قبل القراءة
ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومعناها
نطق القلب وكل
مخاطب للشخص
بتكلم بلسانه ولسانه

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم ومحمه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قاله ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب غفل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرمانها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيته في دينه ويحزج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن للوث حق كيف يفرح وهيبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطعن إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم فيوم وليلة قليلة يولد ولديها لك هالك فلولا للولود لباد الخلق ولولا المسالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قتره قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغت باقتضاء أجلك ثم سوفت بملكك كأن منفعته لنيرك وقال جرير من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بعشرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت النفي فقال إنما نال النفي من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بضأ ولا ينهى بعضنا بضأ ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم سیر الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمكك فإذا قد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا محسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ماضره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اعتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم ينفيا يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي بالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فلي يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لشرمات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبو بامن البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلى الناس بها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحسبكم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخر

يسر عما في قلبه ولو
أمكن للتكلم لفهام
من يكلمه من غير
لسان فهل ولكن
حيث تنذر الأفهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما نفاذا قال باللسان
من غير مواطاة القلب
فما اللسان ترجما ناولا
القارى متكلما قاصدا
إسراع الله حاجته
ولا مستعجا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما يخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
غائب عن قصد
ما يقول فيبغض أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعاً راعياً فأقل
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الخواص يطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من الريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاله في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا دحمى مزلة ودار مذلة عمراتها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر فعلم على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف إلا كثر فيها إفسار والإفسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض برزق الله لا تتصاف من دار فنائك إلى دار بئائك فإن عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأتصر من أملك. وقال إبراهيم بن أدهم لرجل أدرم في اللئام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في اللئام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا خزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب لتجبن إليك الدنيا حتى تصدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضا الدنيا باع من شؤمها أن تمنحك لما يهلك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالبنين وقال بشار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حد لقيمته. وتال على كرم الله وجهه إنما الدنيا ستا أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف للمشروبات للساء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لزين أحسن شيء منها وبراد أقبح شيء منها وأشرف للمشومات للسك وهو دم.

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تنفروا بالأمم ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بغرورها وتفتككم بأمانها وتزينت لحطابها فأصبحت كالمرس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يغنى وعزيزها يذل وكثيرها يذل ودها يموت وخيرها يغوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتهبوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان غليل أو مدق قهليل فهل على الدواء من دليل أو هسل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد قتل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أينك وثبت يمينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانزعقت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى الساء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفانك فتسلوك وحكفوك فأتقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض للوكة إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها. قال: بعضهم ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا فقال لأن تغتاف على الأئمة أحب إلي من أن أجدي الصلاة ما تجدون. وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قسم الإنابة وقال - منيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - فينبى إلى الله تعالى ويتق الله تعالى بالتبى مما سواه ويقم الصلاة بصدور منشرح

على بابه فتجتاحه أو على حننه فتفرقه أو تأتي سلطانه فقدمه من القواعد أو تدب إلى جسده فتسقمه أو تضعفه حتى هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالدم هي الآخذة ما تطى الراجحة تها تهب وينتهي تضعك صاحبها إذ أضحت منه غيره وينتهي تبيكي له إذ أبكت عليه وينتهي تبسط كفها بالأعطاء إذ بسطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غدًا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تعبد في الباقي من القذاهب خلفًا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والفتى منها قهرها لها في كل حين قيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حشفة فكن فيها كاللداوى جراحه يحمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الهواء مخافة طول الداء فأحذر هذه الدار الندارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدمتها وقتلت بفرورها وحلت بآمالها وسوّفت بخطابها فأصبحت كالنورس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالبة فلا الباقي بالمضاي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر قماشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترى وطفى ونسى للمعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فغطمت ندامته وكثرت حسرتة واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألمه وحسرات القوت بفضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروّح نفسه من التعب فخرج يذير زادا وقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها حذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كما اطمأن منها إلى سرور شخصته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء ففرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدرى ما هوأت فينتظر ، أما نيتها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فذر لها عند الله جلّ ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه فزواها عن الصالحين اختارها وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها لا تقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت النفي مقبلا قل ذنب عجبت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قل مرجا بشعار الصالحين وإن شئت اتقيت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إدامي الجوع وشماري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابي رجلاي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أي الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورواه أحمد والطبراني متصلًا من حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزان الدنيا والحمد لله الجنة الحديث وسنده صحيح وللمزمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي لي جعل لي بطعام مكة ذهاب الحديث (٢) حديث الحسن مرسلًا في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضًا هكذا والبخاري من حديث أنس رفعا عن بطون عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين وقال حديث غريب .

بالإسلام وقلب منفتح
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعا
بقوله فتقع الكلمة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتماسكها القلب
بحسن الفهم وقبيل
نعمه الإصغاء
ويتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوهي
ويدرك لطيف معانيها
وشريف فواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتشكل بخفي
الفكر وإصير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للطمشة
متعوضة بمعاني القرآن
عن حديثها لكونها
معاني ظاهرة متوجبة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تحرب
مناسبتها من النفس

وطمأني وفاكهي ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغني مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا ينفس إلا بأذني ولا يبعينكما ما تمتع به منها فأنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزيينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا لقطت ولكني أرغب مكا عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أقفل بأوليائي إلى لأدودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إله عن منازل الفرة وما ذاك لهم أنهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يترين لي أوليائي بالقلد والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وذئارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يافوزون ورجاؤهم الذي يأمون ومجدهم الذي يفخرون وسهام التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فاحضض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنهم من أخاف لي وليا قد بارزني بالمহারبة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوم ما خطبة قال فيها : انسلوا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تفر منكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالعذر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلهادول وسجل لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها زوالها بينا أهلها فيها في رخاء وسرور وإذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصم بحمامها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأسد آثارا أصبحت أصواتهم هامة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالنصور للشيدة والسرور والتمارق المحمدة الصخور والأحجار السندة في القبور اللطخة للحددة فمحطهم اقرب وساكنهم اقرب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب للكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم بكلكله البلاء وأكلتهم الجنائذ والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نصارة العيش رفاتا فجعهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار اللثوى وانتهتم في ذلك الضجع وضمكم ذلك المتودع فكيف بكم لو عايتم الأمور وبموت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم لتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من مالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق - وقال تعالى - ووضع الكتاب قري المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى جعلنا وياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستقلت تمر الساعة بك ولكن تدير الله

للكونة لاقامة رسم
الحكمة ومه ان القرآن
الباطنة التي يكشفها
من لللكوت قوت
القلب وتخلص الروح
للقديس إلى أوئل
سرادقات الجبروت
بمطالعة عظمة اللكلم
وبمثل هذه الطالعة
يكون كمال الاستغراق
في ليج الأشواق كما
قل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم في
مسجد البصرة فوقت
أسطوانة تسمع
بسة وطها أهل السوق
وهو واقف في الصلاة لم
يلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع فصل بين
القامة والركوع ثم
يركع منظوي القامة
والنصف الأسفل بخاله
في القيام من غير انطواء
الركعتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا عجها الحكيم وقد أعيت الواصف ليعوبها بظواهر أفعالها وما تأتي به من الجباب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرعدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بشتيت الجماعات وانغرام الشمل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حقي وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تغفلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقي لا تصفولكم نعمة تسرون بها الإغراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكانهم بلغوه وكما عسى أن يجري الخبرى حتى ينتهى إلى الغاية وكما عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا بالبؤسها واضربوها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعماتها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفل عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأولياته وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فزودوا من الدنيا كراد الراكب غفروا الدنيا وعمرها بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تملوا قليلا وتعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريحة القناء قرية الاقضاء تصد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا ندرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إن الألباب بمثلها لا يندفع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترابا بظلم زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرابيا نزل بقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلمة نية ولا بد يوما أن يظلم زائل

وكذلك قيل : وإن أمرا دنياه أكبر همه لمستملك منها بحبل غرور

مرقبه من جنبيه
ويعد عنته مع ظهره
ويضع راحته على
رصعته منشورة
الأصابع . روى مصعب
ابن سعد قال صليت إلى
جنب سعد بن مالك
فجلت يدي بين ركبتي
وبين غدي وطبقهما
فضرب يدي وقال
اضرب بكفك على
ركبتك وقال يا بني إنا
كنا نفعل ذلك فأمرنا
أن نضرب بالأفك
على الركب ، ويقول :
سبحان ربى العظيم
ثلاثا وهو أدنى الكمال
والكمال أن يقول
إحدى عشرة وما يأتي
به من المدد يكون بعد
التسكين من الركوع
ومن غير أن يزوج آخر
ذلك بالرفع ويرفع يديه
للكوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات النام وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقبون» (١) وقال يونس بن عيسى ما شئت في الدنيا إلا كر جل نام قرأى في منامه ما يكرم وما يحب فيها هو كذلك إذ اتقه فكذلك الناس نيام فافذ ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما كانوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أحبب الدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كمرأة تزني للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة مجوز هناء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قلت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك للناشرين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه مجوز مزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقعوا على باطنها وكشفوا التناقض عن وجهها تمثل لهم قبايعها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظاهرها وقال العلامة ابن زياد رأيت في المنام مجوزا كبيرة متحبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جفت ونظرت وتسببت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتلتها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تعاذ من شري فابض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجوزا مشوهة شعثاء تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بمحاذي أقباب على فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة مجوز شعثاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتصرف على الخلائق فيقال لهم أنعرفون هذه يقولون نعموذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تعاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعى فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس مجوز شعثاء زرقاء عشاء قال قتلته أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجذك الله متى حتى تبغض الدرهم قال قتلته من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرغت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها» (٢) ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خشيتك وبك آمنت ولك أصلت خشع لك ممعى وبصرى وعظمى وعنى وعصبى ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمد عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما خئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالى وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يال كيف انتضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يبنى لينة على لينة «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا نعبة على نعبة» (١) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال : «أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك» (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمسروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا ممر إلى الآخرة والهدى هو الليل الأول على رأس القنطرة والهدى هو الليل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهول والخذلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخافض فيها أن حلاوة خففتها لحلاوة الخوض فيها وهيئات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا مثل الحياة ابن مسعود يقتل سمها فأعرض عما يسحبك منها قال ما يصحبك منها وضع عنك هو معها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحضر ماتكون لها فإن صاحبها كما اطمان منها إلى سرور أنقصه عنه مكروهه والسلام [مثال آخر للدنيا في تندر الخلاص من تبعها بعد الخوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي عشى في الماء أن لا يتبل قدماه» (٣) وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم غرضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا عمام فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكأن الشيء على الماء يقتضى بلالا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملازمة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر الرضيع إلى الطعام فلا يلتذبه من شدة الوجد كذا صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تترك وتعتن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم يخرق أو يفتحل يوشك أن يكون وعاء لفصل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» (٤) [مثال آخر لما بقي من الدنيا وقتلته بالإضافة إلى ماسبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع» (٥)

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أخته صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود وأترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وقتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد ثم يقول
أهل الثناء والمجد
أحق ما قال الصديق
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع
ذا الجدمك الجدقان
أطال في الناقلة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لربي الحمد
مكررا ذلك مهاشاه
فأما في الفرض فلا
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقع في الرفع من
الركوع بتعام الاعتدال
بإقامة الصلب ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
«لا ينظر الله إلى من
لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هويه مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يهلكه [مثال آخر لخفاقة آخر الدنيا وأولها وللنضارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب كدبنة كشموات الأطمعة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنق و القبح ما يجده للأطعمة الدبنة إذا بلغت في المعدة فائتها وكما أن الطعام كلما كان أقدم طعما وأكثر دسما وظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تنافسا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأقوى فتتها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهيت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيئته وألمه وتعبه في كل ما فقد بقدر قدرته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأقوى عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحالك بن سفيان الكلاني : ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرب عليه اللبن والساء قال بلى قال فيلأم يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه لإلام يصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قرحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطبونه بالأفاوية والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تمنحني وأسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما غفلت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسايمهم ومنهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القام وخوفهم مرور السفينة واستمتعوا بها ففرقوا في نواحي الجزيرة ففقد بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للسكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألینها وأوقفها لمراذه وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للثغة ونعمات طيورها الطيبة وأحاديها الوزونة الغريبة وصار يلحظ من برمتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النقوش الدالة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحالك بن سفيان الكلاني ألسنتي تؤذي بطعامك وقد ملح وقرح الحديث وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والاشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحالك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاضعا
عالميا بما يهوى فيه
وإليه وله فمن
الساجدين من يكشف
أنه يهوى إلى تخوم
الأرضين متغيا في
أجزاء الملك لامتلاء
قلبه من الحياء
واسعة شارروحه عظيم
الكبرياء كما ورد أن
جبرائيل عليه السلام
استرخافة من جناحه
حياء من الله تعالى .
ومن الساجدين من
يكشف أنه يطوى
بسجوده بساط
العسكون والسكان
ويسرح قلبه في فضاء
الكشف والبيان
قهوى دون هوى
أطباق السموات
وتسبح لقوة شهوده
نمائيل الكائنات
ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا
خرجوا فاستقر فيه وبضهم أكب على تلك الأصداق والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بأهلها
فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه
ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رصيه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على
أخذه وليس ينفعه التأسف وبضهم تولى الفيض ونسى المركب وبعد في متفرجه ومتزعه منه حتى
لم يلبث نداء الملاح لاستغاله بأكل تلك القماز واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منك عن عوك يشب بثيابه
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يحرق ثيابه وبهتك
عورته ويمنه عن الانصراف لو أراد فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف متقلا بما معه ولم يجد في
المركب موضعا فبقى في الشط حتى مات جوعا وبضهم لم يلبث نداء أهل السفينة فذهبهم من اقترسته
السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات
فتفرقوا كالخيف المنتنة ، وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته
وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكادت
تلك الألوان والأحجار فظهرت رأتحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتها ووحشتها فلم يجد
حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلبثته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحفظهم الماحلة ونسيانهم مودعهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
وما أتبع من يزعم أنه بصير عاقل أن تترك أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم الثبت وهي زينة
الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا عتار الخلق بالدنيا وضعف
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثل ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أفقدوا الزاد
وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينهم كذلك إذ خرج
عليهم رجل في حلة تنظر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أنتم قالوا على ما ترى فقال أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء
ورياض خضر ماتعون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم وموائيقكم بالله فأعطوه عهودكم وموائيقكم
بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فمسكت فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
يا هذا قالوا الرجيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كائناكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خير من هذا أو قالت طائفة وهم أقلهم ألم تصطروا
ههنا الرجل عهودكم وموائيقكم بالله أن لا تصوبه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم
في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل (١) [مثال آخر لستم

رداء العظمة وذلك
أقصى ما ينتهي إليه
طائر الهمة البشرية
وتقني بالوصول إليه
القوى الانسانية
وبتفاوت الأنبياء
والأولياء في مراتب
العظمة واستشعار
كنها لكل منهم على
قدره حفظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يتسع عاؤه وينتشر
ضياؤه ويعطي
بالصفين ويبسط
الجناحين فيتواضع
بقلبه إجلالا ويرفع
بروحه إكراما وإفلا
فيجتمع له الأنس
والهية والحضور
والغنية والقرار والقرار
والإسرار والجمال
فيكون في سجوده
ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثل ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراد والطيبراني من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى الناس ملكا الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراقها [اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورباحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا يملكه ويأخذه فجعل رحمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فطلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضع ومن كان عالما برحمته انتفع به وعسكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة جلبت على المجتازين لأهل القيم لينزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع السافرون بالحواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وما هيته في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا للذمومة ما هي ؟ وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة للأمر باجتنابها لكونها عدوة قاطعة للطريق إلى الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إلى الميل وفيه نصيب وحظ فليس بدموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك عمرته بعد الموت وهو عيشان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بجملة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخاصة لولاه لله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الله الأشياء عنده فيجبر النوم والطعم والتمتع في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حقا عاجلا في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العتوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لساننا في الدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة ^(١) » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا لأننا لساننا في هذا الكتاب تعرض إلا لدنيا للذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولأخرة له في الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والعزوات كالتمتع بالنواظر المقنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث والفلسان والجواري والحيل والواشي والقصور والدور ورفع الثياب ولذا نذ الأطمعة لحظ العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها بعد فصول أو في محل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداء على حمص فأتى كنيفا أتقى

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي - وفيه يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثا إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأذنيه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخضوع للساجد ويأثر بكفيه الصل

أي أحد للسكران إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حبيب إلى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة والنسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا قد سرتك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأنى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالتقسيم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله البعد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متاولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع البعد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى واللوامة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي النجيات السعدت بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار فإن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه^(١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدت وهما موصلان العبد إلى لقمة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تجعل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تموت عنه دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارفعت العوائق وأملت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون حب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لحباب الدنيا وقدوم على الله تعالى فإذا سألك طريق الآخرة هو الواجب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ويغلب عليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتألى إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول التوقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب^(٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»^(٣)

(١) حديث متصلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزومي ضمنه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحزبه عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلفهما في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متيان ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك «وإن قال سبح قدوس رب الملائكة والروح حسن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويحافى مرقية عن

وقد قال أيضا : حلالها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يذوق من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسية لا يبعث لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها سعادات منصرمة لا يبعث لها ومنصبة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في قوت سعادة لا يحيط الوصف بعظميتها وتتقطع الدهور دون مايتها فكل من تعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضماؤه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمري رضي الله عنه «هذان النعم الذي تسئل عنه (١)» أشار به إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه عزولوا عن حسابها حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد يسيل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعتان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأقن كان حذر من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماده إذ تمثله إبليس وقال رغب في الدنيا وحق إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطم الناس لثناذ الأطمعة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الأطمعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما (٢)» وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع (٣)» ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة عظمت كآمتع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلوم ألم النصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بغلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت لما الذي هو لله . فأقول الأشياء ثلاثة أقسام : منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يجبر عنه بالمعاصي والمخطورات وأنواع التعمات في البهايات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان القرض من الفكر طلب العلم للتحرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ للآل أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذان من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والشكاح وكل ما يرتبط به جأؤه وجاء ولده فان كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستماعة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفاخراتي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغاف عن المسألة موقوفا على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١)» حديث هذا من النعم الذي تسئل عنه تقدم في الأطعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق اسحاق معننا وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتابية طاويا وأهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تضم .

جنيبه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرجعهما ويقول : رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا تبطل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس بها أطال قاتلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقفاء في القعود وهو هنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديقا
 الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله
 تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله
 تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد -
 والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء
 والبنين والقناطر للقنطرة من الذهب والفضة والخيل للسومة والأناام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا -
 فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
 هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يبرعها
 بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصاد على حد الضرورة غير
 ممكن وطرف يزاحم جانب التتم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام
 حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة مما يمكن اقتداء
 بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويس القرنى كان
 يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فيناله بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان
 والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن
 يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى
 بشئ ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيضلها في القرات ويلفق بعضها
 إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربعا من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول
 لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عيني فيحضر
 وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال
 « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان
 من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من
 قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى
 فوصفه له ؟ فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش
 منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر (٣) » فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من
 عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويس القرنى وأسأل عنه حتى سقطت
 عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويخل ثوبه قال فرفته بالثمت الذي نمت لي
 فاذا رجل لحيم شديد الأدمة مخلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كربه الوجه متعيب النظر قال

أليه على عقيه ثم
 إذا أراد التوضؤ إلى
 الركعة الثانية يجلس
 جلسة خفيفة للاسترخاء
 ويفعل في بقية الركعات
 هكذا ثم يشهد وفي
 الصلاة سر المراج وهو
 معراج القلوب والشهد
 مقرر الوصول بعد قطع
 مسافات الهيات على
 تدرج طبقات
 السموات والتجليات
 سلام على رب البريات
 فاذا هن لما يقول
 ويتأدب مع من يقول
 وبدر وكيف يقول
 ويسلم على النبي صلى الله
 عليه وسلم وبثله بين
 عيني قلبه ويسلم على
 عباد الله الصالحين
 فلا يبقى عبد في السماء
 ولا في الأرض من عباد
 الله إلا ويسلم عليه
 بالنسبة الروحية

(١) حديث من طلب الدنيا حاللا مكاترا مفاخرها لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم
 في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن
 من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد القائلين أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل
 الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا وروياه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة
 يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر
 لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاغه فأبى أن يصاغني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقني العبرة من حيي إياه ورقني عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك علي قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فنجبت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ؟ قال نبأني العليم الخبير - وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم النازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحدث أسمعه منك قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه محبة بأبي وأمي رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في نفسى شغل عن الناس يا هرم بن حيان قلت يا أخى اقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك فأنى أحبك في الله حبا شديدا قال ققام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعقلون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فشقيق شهقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوعك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمراء يا عمراء قال قلت رحمك الله إن عمر لم يمض قال قد فعاه إلى ربى ونمى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين للمؤمنين فقد نصبت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأتذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يعجزني فيك وزارني من أجلك فصرفت وجهي في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام وأحفظه مادام في الدنيا حينما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا بالسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عن خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فأنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبني واعلم أنك منى على بال وإني لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فأنى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقه فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المرصين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أغلته الحضراء وأغلته النبراء

والخاصية القطرية ويضع يده اليمنى على غفده اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ويرفع للسبحة في الشهادة في إلا الله لا في كلمة التنى ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى القفخذ منظوية فهذه هيئة خشوع السبحة ودليل سرابة خضوع القلب إليها ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمن وراءه فإن الامام للتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراء أصحاب الخواص يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وحده الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويقين هذا بثال وهو أن الحاج
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل
وخرز الزلوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فصح البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمع والصل
هو من الآخرة لا من الدنيا ، نعم إذا قصد تلك البدن وتسمه بهىء من هذه الأسباب كان منحرفا عن
الآخرة ويغشى على قلبه القسوة قال الطنابسى : كنت على باب بنى شيبه في المسجد الحرام سبعة أيام
طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج
إليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقا فاعلم ذلك ترعد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استترقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم)

وخالقهم ومصدرهم وموردتهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور
قد بطن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : العادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات
والتداوى وأما العادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة ولغير
ذلك من اللقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكـل
وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم
ويستخرجهم كالنمل أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليجلّسها بأن يفرس
فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يجر عنه الجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان
التي يجر عنها الدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا
من الإنس - والطنابير للقطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والعادن وفيه تنبيه على غيرها
من الآلى واليوافيت وغيرها - والحيل المسومة والانعام - وهي البهائم والحيوانات - والحرث وهو النبات
والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع البدن علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالبدن أو الحب المستتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها . العلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحفظ غير - وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لها تين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم أن هذه الأعيان التي حييناها دنيا لم تخلق إلا لطف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعطى
بالدابة البدن فانه لا يبقى إلا بعظم ومشرب وملبس ومسكن كالآتي في طريق الحج إلا لطف وما وجلال
ومثال البدن في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف
الناقة ويتبعها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الخشيش ويرد لها الماء بالتلح حتى

كلامه بقوله سبحانه -
كانهم ببيان مرسوم -
ولى وصف هذه الأمة
في الكتب السابقة
صفهم في صلاحهم
كصفهم في قتلهم
حدثنا بذلك غيظنا
ضياء الدين أبو النجيب
السروردي إملاء قال
أنا أبو عبد الرحمن محمد
ابن عيسى بن شعيب
للإمامي قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن بن محمد
الظفر الواعظ قال
أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر بن
العباس السمرقندي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن
الدبري قال أنا مجاهد
ابن موسى قال ثامن
هو ابن عيسى أنسأل

قوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة لسباع هواناته والحاج البصير لا يهجم من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمهد موقله إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهديد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الساء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن ههنا ما يدخل بطنه قضيته ما يخرج منها وأكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فان القوت ضروري وأمر السكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصرفوا عليه لم تسترقهم أشغال الدنيا وإنما استرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، نعم خلق ذلك ليهأئهم فان النبات ينفذ الحيوان من غير طبع والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن ، والحياكة وما يكتنفها من أمر الفزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضا للمطعم والركب ، والاقتناس نفى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو مسعد أو وحشيش أو حطب فالصلاح يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل مائتة وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفى بالاقتناس ذلك ويدخل تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنفق إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والبرص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات النجارة والحداثة والحز وهو لاء هم عمال الآلات ونفى بالتجار كل عامل في الحطب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحراز فنفي به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره والأثنى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهيئة أسباب الطعام والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع الأهل والولد في الزل بل لا يمكن أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة لتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار وبحاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يفقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجر كيف
نجد نعمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
التوراة قال نحمده محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
وبهاجر لطيفة ويكون
ملكه بالشام وليس
بغاش ولا صخاب في
الأسواق ولا يكافئ
بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ، أمته
المجادون بمحمدون الله
في كل سراء ويكبرون
الله على كل نجدة
يوشنون أطرافهم
ويأتزون في أوساطهم
يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم
دوبهم في مساجد
كدوى النحل يسمع
مناديتهم في جوف السماء
فالإمام في الصلاة مقدمة
الصف في محاربة
الشیطان فهو أولى

وآلات كثيرة فذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والطر والصوم فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبمعاينه من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصومية وغيرها لكن للنازل قد تصدعا جماعة من الصوم خارج النازل فافتقر أهل النازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد لحطة الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في النازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدثت رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام بهومها حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما للرأفة فخاصم الزوج والولد فخاصم الأبوين هذا في المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على الرامح والأراخي والياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لأعمالهم ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمعنى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب غصه لكان لا يدعنه له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الخاصة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة الساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحسب القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوم عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لقصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المملات وشروطها فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشغل بها إلا محصورون بصفات مخصوصة من العلم والتجيز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستغنى الناس فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لأعماله إلى أن يمدم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدثت الحاجة إلى الحراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الحراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الحراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللترجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزائن وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدثت منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يبين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحدا ما يليق به ويرامى النصفة في أخذ الحراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين السكاكة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدثت الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو السمي فرع الحراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيوف ، والثالثة الترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والملبس

الصلين بالخصوع
والإيمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصلون التي يغفلون عنها
اجتمعت طواغيتهم
تجتمع بواطنهم
وتتناصر وتتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
المسلمين الصليين في
أقطار الأرض بينهم
تعاقد وتناصر بحسب
القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الإيمان بل
يعدم الله تعالى باللائكة
الكرام كأمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السوميين
لحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أسس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

والسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنهاى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهوالة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات والبال عجارة عن أعيان الأرض وما عليها مما يقتنع به وأغلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان إليها وهي المحور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتجميع كالحوانيت والأسواق والزرع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والقرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما سكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق اللاموسة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء يأكله رجاء لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق الأرض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا يباعها بضعن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لعمالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى أهل فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وبيعهم عليه حرص جمع المال لعمالة فيتجوبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال القدي يأكله لعمالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفلة وخسة المهمة ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش ولو بطلت لملكوا ولهلكوا الزهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أين يدرى القدر الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كإياع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال العادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم منست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فليست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأعمال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أعمال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ، وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لسببه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان الموصية والكداية إذ يجمعهما أهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من المصور والكسدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في امتناب

الله عليه وسلم ورجعنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
فتداركهم الأملاك
بل بأنفسهم الصادقة
تحمسك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة يسلم على يمينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللانكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمنات الجن ويجعل
خده مبيئا لمن على يمينه
بالواء عنقه ويفصل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد النهى عن
المواصلة ، والمواصلة
خمس اثنتان تخص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالصغير
والركوع بالقراءة
واثنتان على المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما اللصوص : فممن من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة وإما بأن يكون طرارا أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التماس الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار الصروفة إلى استنباطها . وأما السكدي فانه إذا طلب ماسعى فيه غير موقبل له اتعب وأعمل كما عمل غيره فمالك والبطالة فلا يحط شيئا فافتقر وإلى حيلة في استخراج الأموال وتعهيد الضر لأتسهم في البطالة فاحتالوا للتمل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يجمعون أولادهم وأتسهم بالحيلة ليعزروا بالصبي فيمطون وإما بالتعاسي والتفالج والتجائن والتعاض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا أو أفلا يصعب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخطوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمها كاذوا الشبهة والأفلا الضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام النثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون أشد تأثيرا في النفس لاسيما إذا كان فيه تصب يطلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية المشق من أهل الهجاة كصناعة الطبايع في الأسواق وصنعتا شبه العوض وليس بعوض كبيع التمويذات والحشيش الذي يخل بانه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من للتجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والسكدون على ردوس النابر إذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدبة وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبو عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والسكوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومتقلبهم ومآبهم فتأهوا وضلوا وسبق إلى عفوهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فافضمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا القصد أن نعيش أياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتب نهارا وذلك كبير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطئون الأمر وهو أنه ليس القصد أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتمتع في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا تناولوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويتمددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة عما وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيلقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجماع تبه ووباله ولا آكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء وللدخ بالتجمل والروءة فهو لا يتعبون في كسب الماش وضيقون على أنفسهم في الطعم والمشرى ويصرفون جميع مالم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليمه
بتسليمه وواحدة على
الامام والمأمومين وهو
أن لا يوصل تسليم
الفرس بتسليم النفل
ويجزم التسليم ولا يعد
مدا لم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضا في صل الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات الخمس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الخمسة في جماعة وهي
سر الدين وكفارة
المؤمن ونعيم
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الإسلام

النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنهم غنى وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في تهايمهم وليلهم في تمهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واتباع الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم إلى استجرام الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ونقل الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا تمت ولايتهم واتقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الدافلين من الناس فهو لا شأن لهم بحب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على ثلث وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة العظم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول لم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية القصور منها فلا يغوص في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تمهد يده بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في سبيل التقابل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تصدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتشعب به المعلوم ومن تشعبت به المعلوم في أودية الدنيا فلا يبالى الله في أي وادأهلكه منها فهذا شأن التهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فجدد لهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الأعراس أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بدأول من إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم قسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التبع كلفه وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيد عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن القصور من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع عنهم في معرفة الله سبحانه عن أن يجتنبوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يجمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا ينبغ كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خيرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
المجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
ثنا أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
ثنا الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات للخطايا وقرءوا
إن هتتم - إن الحسنات
يلهين السيئات ذلك
ذكرى لذا كرم - » .

ومن للسكن ما يحفظ عن اللصوص والحرق والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول الصبر وبقي ملازمة سياسة الشهوات ومراقبها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»^(١) وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم.

تم كتاب فم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿كتاب ذم البخل وذم حب المال﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه البسوط . وكشف الضر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وباتسلاهم فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيثار والإففاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحتمار الكثير كل ذلك ليلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم أثر الدنيا على الآخرة بدلا واجتنبى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعلمه ملا وطوى بشريته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكتاف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت قلا سلامة منها فإن قد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تسكون عاقبة أمره إلا خسرانا . وبالجملة فهي لا تغاوى من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتنا من المهلكات وتميز خبرها عن شرها من الموصات التي لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترشحين المقتربين وشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى العيظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث إقراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيد .

﴿كتاب ذم البخل وحب المال﴾

[الباب الثامن]

والثلاثون في ذكر

آداب الصلاة

وأسرارها]

أحسن آداب المصل

أن لا يكون مشغول

القلب بشيء أو أكثر

لأن الأكل ليس لم يرضوا

الدنيا إلا ليفسحوا

الصلاة كما أمروا لأن

الدنيا وأشغالها لما

كانت شاغلة للقلب

رفضوها غيرة على

عمل المناجاة ورغبة

في أوطان القربات

وإذعاناً بالباطن لرب

البريات لأن حضور

الصلاة بالظاهر إذعان

نظاها وفراغ القلب

في الصلاة عما سوى

الله تعالى إذعان الباطن

فلم يروا حضور الظاهر

وتخلف الباطن حتى

لا يغفل إذعانهم فتخبرهم

عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاد كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتنان . ثم فلما قد حالتان : القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللوأجد حالتان إما أن يحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللشفق حالتان تثير الاقتصاد والحمود وهو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن النصوص فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الإيثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - المأكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب للمال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبان ضاريان أرسلا في زرية غم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك الكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم (٣)» وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

يكون باطنه مرتها
جسه ويدخل الصلاة
وقبل من فقه الرجل
أن يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد إذا حضر العشاء
والعشاء قدموا والعشاء
على العشاء ولا يصلي
وهو حاقن يطالبه البول
ولا حازق يطالبه الفائظ
والحزق أيضا ضيق
الحظ ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه
قد قيل لا رأى لحازق
قيل الذي يكون معه
ضيق وفي الجملة ليس من
الأدب أن يصلي وعنده
ما يغير مزاج باطنه عن
الاعتدال كهذه الأشياء
التي ذكرناها وأهنام
للقرط والغضب . وفي
الحبر لا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو قطب
ولا يصلي أحدكم وهو

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاء بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبان ضاريان أرسلا في زرية غم بأكثر فسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جائنان مكان ضاريان ولم يقولوا في زرية وقال الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبان ضاريان في زرية غم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جائنان واسناد الطبراني فيما ضعيف (٣) حديث هلك الأكترون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي ربيعة بلطف الكثرون ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلطف الكثرون وهو متفق عليه . من حديث أبي ذر بلطف هم الأكترون فقال أبوذر من هم فقال هم الأكترون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمق الدين ولدوا في النعم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسل وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمق الدين - غذوا بالنعم وتبث عليه أجسامهم .

فره الخيل وألوانها وينكحون أجل النساء وألوانها ويلبسون أجل الثياب وألوانها لم بطون من القليل لا تشبع وأنسى بالكبير لا تخنع ما كفون على الدنيا يبدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربما دون ربهم إلى أمرها يتبهون ولها واهم يتبعون فزعرة من محمد بن عبد الله أن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرصاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوتر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أتان على هدم الإسلام ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر ^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأثبتت أو لبست فأثبتت أو تصدقت فأضيت ^(٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالى لأحب الموت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قسم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه ^(٤)» وقال ^(٥) «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله والذى يتبعه إلى محشره فهو عمله ^(٦)» وقال الحواريون ليسى عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا تقدر على ذلك؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فأنى صحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله أمضى فقد أدبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور ^(٧)» وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الفنى ومدح الفقير يرجع جميعه إلى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف ^(٨)»

(١) حديث سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينكحون أجل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام ويضربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يشدقون في الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضيف ولم أجد لبقية أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر البزار من حديث أنس وفيه هاتى بن للتوكل ضعفه ابن حبان (٣) حديث يقول البصير مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه صحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان وإنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة الصلح يحكون الأطراف وعلم الالتفات والإطراق ووضع الجبين على الشمال لما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزعة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا إن البصير إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا محمدا لا يتحرك منه شئ . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا قال من
أبى للبرءاء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصبح جسمه وأطل عمره وأكثرت ماله فانظر كيف
رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان . ووضع
على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عني لاتغنى . وروى أن عمر رضي الله عنه
أرسل إلى زينب بنت جحش بطائفا قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له
ثم سلت سترًا كان لها فمقطعه وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها
وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد ما هي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحقوا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذهله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم
رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سبط بن عجلان
إن الدرهم والدنانير أزمة للناقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن
لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك سمه قبل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضع في حقه
وقال الهلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقلت إن شرك
أن يعيذك الله منى فأبفض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما
إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إنى وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تفكك تهوى للدم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من اللره لميس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه

أو جبين لاح فيه آرقه خلعه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير
المؤمنين صنعت صنعا لم يصعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من
الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم
أعطيهم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فاقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص
لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فاقبل له لوادخرته لوادخرته
بعده قال لا ولكني أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى . وروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أخى
لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان
لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قبل وماها قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

(بيان مدح السال والجمع بينه وبين الدم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والحج فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا كنزها رحمة
من ربك - وقال تعالى محنتنا على عباده - وبمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلغ به وقد تقدم في آداب الصحبة (١) حديث لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذي والحاكم
ومصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قترغبوا (٢) حديث نعم السال الصالح للرجل الصالح
أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نعم أو قال المرء .

في الجبر « سبعة
أشياء في الصلاة
من الشيطان : الرعاف
والنماس والوصوسة
والثأوب والحكك
والالفتات « والبث
بالقوى من الشيطان
أيضا وقيل السهو
والشك ، وقد روى
عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال
إن الخشوع في الصلاة
أن لا يعرف الصل من
على يمينه وشماله . ونقل
عن سفيان أنه قال :
من لم يخشع فسدت
صلاته ، وروى عن معاذ
ابن جبل أشد من
ذلك قال : من عرف
من عن يمينه وشماله
في الصلاة متعمدا فلا
صلاة له وقال بعض
العلماء من قرأ كلمة
مكتوبة في حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو شاع على المال ولا يتف على وجه الجمع
بمد الله والمال لا بأن تعرف حكمة المال ومتصوده وآفاته وغوائله حتى يكشف لك أنه خير من وجه
وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض
بل هو سبب للأمرين جميعا وبهذا وصفه فيمدح لاجتماعه تارة ويذم أخرى ولكن البصير لا يميز بذلك أن
المحمود منه غير للمذموم ويأته بالاستعداد كما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الحيرات وتخصيل
درجات النعم والقدر المنع فيه هو أن مقصد الأكرام وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم
وللك تقويم والمقصد إلى هذا أرباب الكرام والأكرام إقبال لرؤس الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم
الناس وأكرهم قال: أكرمهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا»^(٢) وهذه السعادة لا تتأثر إلا بثلاث
وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل
الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أخسها والمال
من جملة الخارجيات وأدناها الدراهم والدنانير فإنهما خادمان ولا خادما لهما ومراعاة لغيرهما ولا يراد أن
لذاتهما إذ النفس هي الجوهر النفس للطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم وللعرفه ومكارم الأخلاق
لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم
البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الناحية إبقاء النسل ومن البدن تسهيل
النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب قد عرف قدر المال ووجه شرفه
وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لذلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد
أحسن وانفع وكان ما حصل له الفرض محمودا في حقه فاذن للمال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح
أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسديس العلم والعمل
فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد الحمود ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من
الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر^(٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى
اتباع الشهوات القاطعة لسيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها أعظم الخطر فبما يزيد على قدر الكتابة
فاستأذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عاف»^(٤)
فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن به من شره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة
المساكين»^(٥) واستأذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن نعبد الأصنام وسعني بها
هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعفد الإلهية في شيء من هذه
الحجارة إذا قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها حبها والاعتراض بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث
أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكرهم قال أكرمهم للموت
ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكرهم ورواه ابن أبي الدنيا في الموت
بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو
لا يشعر تقدم قبله بقصة أحاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد
كقوت آل عاف متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الترمذي
من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلواته فضلاته
باطلة قال بعضهم لأن
ذلك عدوه عملاء وقيل
في تفسير قوله تعالى
- والذين هم على صلاتهم
دأءون - قيل هو
سحكون الأطراف
والطمأنينة . قال
بعضهم إذا سكبت
التسكيرة الأولى فاعلم
أن الله ناظر إلى شخصك
عالم بما في ضميرك
ومثل في صلاتك الجنة
عن يمينك والنار عن
شمالك وإنما ذكرنا
أن تمثل الجنة والنار
لأن القلب إذا دخل
بذكر الآخرة ينقطع
عنه الوسواس فيكون
هذا التمثيل تداويا
للقلب لدفع الوسوسة .
أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تمتش وإذا شيك فلا تمتش» (١) فبين أن عبيهما عابد لهما ومن عبد حجارتهما عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بد صنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود في النار وقطا ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ديب الخلق وشرك جلى يوجب الخلود في النار فعوذ بالله من الجميع .

(بيان تحصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يهتزم من شره ويستتر من خيره . أما الفوائد : فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفقه على نفسه إمامي عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام واللبس والسكن والنسكح وضرورات العيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفى غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزرمة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فتعني به بذل المال لدفع هجو الشراء وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة» (٢) وكيف لا وفيه منع المغتاب عن مصيبة الغيبة واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتيته أسبابه كثيرة ولولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متحوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

أنا عمر بن أحمد
الصفار قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت
محمد بن الحسين يقول
قال سهل من خلأ قلبه
عن ذكر الآخرة
تعرض لوساوس
الشیطان فأما من بشر
باطنه صفو اليقين
ونور المعرفة فيستغنى
بشاهده عن تمثيل
مشاهدة قال أبو سعيد
الخرائز إذا ركع فالأدب
في ركوعه أن ينتصب
ويدنو ويتدلى في
ركوعه حتى لا يسبق
منه مفصل إلا وهو
منتصب نحو العرش
العظيم ثم يعظم الله
تعالى حتى لا يكون
في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وامتش وإنما علق آخره بلفظ تس واتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقى المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للساجد والقناطر والرباطات ودور للرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف الرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت للاستجابة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متأدية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذلك السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى الزوال والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحفظ الدينية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والمعز قد يحول بين الله والمصيبة ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من المعصية لم تحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اتحم ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قنطة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التهم في اللباعات وهذا أول الدرجات فليقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التهم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتنم الشبهات ويغوص في الرماء والداهنة والكذب والتفاني وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويصغى الله في طلب رضائهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنجاسة والفية وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يغلو عن التمدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يفتك عنها أحد وهو أنه يلهي إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، فقيل إن أخذ من حله ؟ فقال يضمه في غير حقه فقيل إن ضمته في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء الضال فان أصل العبادات ومنها سرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيقة يمس ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسناته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب الموائم وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفسك مترددا فيها يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن تباين المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مأموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن النون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله سلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان فم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس بما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بما في يده لا يطلب غير ملتبس إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتقن بقدر الضرورة من الطعام والملبس والسكن ويقتصر على أقله قدره وأخسه نوطاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فانه عز القناعة وتدنس لاهلته بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب التكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدعي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) «وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتينا يملأنا بما أوحى إليه فجئته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثلث ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديان من مال لئني واديان ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) «ولما كانت هذه جيلة للأدعي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به» (٦) «وقال صلى الله عليه وسلم «مامن أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا» (٧) «وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس» (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديان من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم وورق كفافاً وقعته الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي في الدنيا قوتاً ابن ماجه من رواية تقيع بن الحارث عن أنس وتقيع ضعيف (٨) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والعاش .

والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى عالمهم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يترأى له حفظ العدد من كمال استخراجه وكان يجلس واحداً من أصحابه يعدد عليه كم ركة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخشوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ روح القدس نفث في روعي إنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتدّ بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وطى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن فقرا تكن أشكر الناس وأحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أنّ أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال : إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تهدئنّ بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلفة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسطط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إنّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى وإنه من يأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم . وقيل لبعض الحكماء : ما لفتي؟ قال قلة غنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل :

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تمرّ
اقنع بعيشك ترضه وأترك هوالك تعيش حرّ
فلربّ حنف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يعلّ الحزب اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم ينجح إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم . وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال سميط بن عجلان : إنّما بطئك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار . وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس . ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت جعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مارزق . وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه ألا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي لما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إنّ روح القدس نفث في روعي إنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تهدئنّ بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس . مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدكم وهي عند أبي داود وابن ماجه كذا كرها المصنف

الأركان وجود الثواب
فمن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطي ومن
أتاها بلا خشوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف .
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه
وإن الله يغفر بفضله الوجه
خطيئة أصابها وبفضله
يديه خطيئة أصابها
وبفضله رجله خطيئة

وما أمسك عني قنص . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أسر للعامل وأيعا شيء أعون على دفع الحزن ؟ فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم للفرط وفي ذلك قيل :
 أرفه يال فتى أسمى على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
 فالعرض منه مصون لا يدنس له والوجه منه جديد ليس يخلق له
 إن القناعة من يخلل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه
 وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا في حيل وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
 ونازح الدار لا أنفك منتربا عن الأجنة لا يدرون ما حالي
 بمشرق الأرض طورائهم مغربها لا يخطر اللوت من حرص على بالي
 ولو قنعت أنا في الرزق في دعة إن القنوع الغنى لا كثرة للال

وقال جهر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستعمل من مال الله تعالى حلتان لثلاثي وقيطي وما يسعى من الظهر لحجي وعمري وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرضهم ولا بأوضاعهم فوافقه ما أدري أيحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي يجب القناعة بها . وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لانفوتته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
 فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هي خير لك من أكلتي ، أما واحدة فأعلك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لا تلهفن على ما فاتك ففلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحني لأخرجت من حوصلي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعرض على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحى ودمى ورشى لا يكون عشريين مثقالا فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يعميه عن ذلك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكيت : إن الرجاء جبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدي : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأيته تبسم قلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدني :

إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها
 فإن قراب البطن بكفك ملؤه ويكفيك سوائت الأمور اجتنبها

أصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزره وذكر السرقه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي السرقه أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال إن أقبح السرقه أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا التواضع فيها . وروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال لا أصالح فلما أُلحوا عليه كبر ففتى عليه فقد موأماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استوا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط . وقال عليه السلام « إن العبد

ولاتك مبذالا لمرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكتب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعتلواها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرى قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشراء فشبهه النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعده إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خيرا لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ قال من يدر اللطيف الخبير الذي خلق الرجا يأتينا بالطحين وأوماً يده إلى رجا أضراسه فسيحان القدير الخبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في المعيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يفتح ثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقبل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر ينيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأمل في القناعة وتعنى به الرفق في الاتفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب »^(٣) وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قتهك رقهك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة »^(٤) وفي الخبر « التدبير نصف المعيشة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أقهره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن البؤس
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقيتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صعدت ولها
نور حتى تنهى إلى
السما وحتى تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
ضيمك الله كما ضيمتني
ثم صعدت ولها ظلة
حتى تنهى إلى أبواب
السما فتطلق دونها ثم
تألف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها وقال
أبوسليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين
عبي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فيما
بين يميني وخلا

أحبه الله (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أردت أمرا فضلك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا» (٢) والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تبسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فإشدة الحرص ليست هي السبيل لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وذلك لأن الشيطان يعمد الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تنجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وضحك عليه في احتماله التعب تنهدا مع الفاقة عن الله لتوهم تعب في ثأني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالله يفضله الفقر

وقد دخل ابننا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسا «لا تياسا من الرزق ما تهزئت رءوسكما فإن الانسان قلده أمه أحمر ليس عليه تشرثم يرزقه الله تعالى» (٣) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له «لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق بأتك» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الأيها الناس أجمعوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٥) «ولا ينفك الانسان عن الحرص إلا بعسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لأعماله مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» (٦) وقال سفيان اتق الله لما رأيت تقيا محتاجا أي لا تترك التقي فقد اضروته بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صددوا قبكي وقال لولم نبعث إلا من حيث ندرى لم نعش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن أعمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم أنه فيما مضى فلا أرجوه فلما بقي بمنع الذي لغيري متى كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أنفي عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الدل فإذا تحقق عنده ذلك انبهت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله آني بخبر منكرو أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فضلك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تياسا من الرزق ما تهزئت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق بأتك قاله ابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المافري مرسلا (٥) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركنتين فأصرف منهما وأنا أحتج من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأب عند معرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمحرم بين يديك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يغلو من تعب وفي الطمع لا يغلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال واللائم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق وبإزمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس »^(١) في القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من هئت تكن أسيره وأحسن إلى من هئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن فالخمار أكثرأ كلاً منه وإن تتم في الوقاع فالخزير أعلى رجة منه وإن ترين في اللبس والحيل في اليهود من هو أعلى زينة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في وقته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع السال من الخطر كما ذكرنا في آفات السال وما في من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم ينفع بما يكتفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبداً بصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في اللطام والملايس وبصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالثمن فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق^(٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل الله عليه »^(٣) فيهنه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتتبع دهرها طويلاً فيسكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بفصن منها قادم ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصحاح استاده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاماً مختلف فيه وجعله القضاة في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلي
الصلاة كاملة ومنكم
من يصلي النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الحواصم ينبغي للرجل
أن ينسوي نوافله
لنقصان فرائضه فان
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلنا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضاً
انقطع الخلق عن الله

التصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) » وفي رواية « فأكرموا بهما ما محبتموه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والبهاجة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدماء بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بنصن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا أخذ بنصن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعيشوا في أكنافهم فأنى جعلت فيهم رحمى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى في المستجاد من حديث أبي هريرة وسأى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله ولياله إلا على السخاء وحسن الخلق الدارقطنى في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقة عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والبهاجة أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن للتكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والبهاجة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى في الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والبهاجة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول في آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدماء بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات الجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له بوجوب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطنى في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعيشوا في أكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والخرائطى في مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصائص
إحداها أنهم طلبوا
النوافل وضيعوا
القرائن والثانية
أنهم عملوا أعمالا
بالظواهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والصح لها وأى الله
تعالى أن يقبل من عامل
بعملا بالصدق وإصابة
الحق وفتح العين في
الصلوة أولى من
تغميض العين إلا أن
يتشتت همه بتفريق
النظر فيغمض العين
للاستعانة على الخشوع
وإن شاء في الصلاة
يضم شففيه بقدر
الامكان ولا يلزق ذقنه
بصدره ولا يزاحم في
الصلوة غيره قيل ذهب
للزحوم بصلاة الزاحم
وقيل من ترك الصف
الأول مخافة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلها عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى ليأهي بمطعم الطعام لللائكة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأثناء رجل فأسأله فأمره بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يسطي عطاء من لا يخاف الفاقة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل تلك للنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره^(٥)» وعن الهلال قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال صلى بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وارك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء خلفه عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمز به ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكامل فيه الجوزجاني والأزدي ورواه الحاكم من حديث علي وقال إنه صحيح الإسناد وليس كالأخبار (١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلها عثر الطبراني في الأوسط والخراطي في مكارم الأخلاق . وقال الخراطي أقبوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدار قطن (٢) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخبر أسرع إلى البيت الذي ينشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الخراطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأناه رجل فأسأله فأمره بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله ابن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٦) حديث الهلال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا (٧) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدي والدار قطن في غرائب مالك وأبو علي الصدقي في عواليه وقال رجاله

على أهله قام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصنف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل وروث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كآزيز الرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة. وسئل الجنيد مافريضة الصلاة ؟ قال قطع العلائق وجمع المهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

« كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بئنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم قيس تسع ركائب فخذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) » . الآثار : قال طي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأنتقم منها فانها لا تنقني وإذا أدبرت عنك فأنتقم منها فانها لا تبقي وأنشد :

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأخري أن تجود بها فللمجد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن اللزومة والتجدة والكرم فقال أما اللزومة فحفظ الرجل دينه وحسنه نفسه وحسن قيامه بضيافته وحنن الناس له والاقبال في الكراهية . وأما التجدة فالقدب عن الجار والصبر في اللواطن وأما الكرم فالترفع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعة ثم رددت الجواب طي قدر ذلك قال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعة . وقال ابن السكيت عجبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعرفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل فتمتنا وأعطى ما لنا وأغضى عن جاهلنا . وقال طي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذل ماله لطلاب لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتتدى بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازع نفسه إلى حب السكره إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهول ولا مظاهرة كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : (إني جواد كريم لا يجاورني ثلثم والثلثم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة) . وقال حذيفة رضي الله عنه درب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدي وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أسكته فإذا أنفقتة فالمال لك

ومضى واصل بن عطاء الفزالي لأنه كان يجلس إلى الفزاليين فإذا رأى امرأة ضيعة أعطاها عينا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يشب عليهم في إعطاء الثعراء فكتب إليه خير للمال ما وفي به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعت بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفاتة الهمنان الدار قطني في السجدة من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مغرقا فالجدة الأولى تخدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو بلي من حديث أنس أيضا وفيها زاد الفخري ضعيف (١) حديث كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بئنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففخر لهم الحديث وفيه فقال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

لثاني الحسن أن
تصلي ؟ قال نعم قال كيف
تصلي ؟ قال أقوم بالأمر
وأمشي بالحشة
وأدخل بالمية وأكبر
بالعظمة وأقرأ بالتريث
وأركع بالخشوع
وأسجد بالتواضع
وأقعد للشهد بالتعظيم
وأسلم على السنة
وأسلمها إلى ربي
وأحفظها أيام حياتي
وأرجع باليوم على نفسي
وأخاف أن لا تقبل
مني وأرجو أن تقبل
مني وأنا بين الخوف
والرجاء وأشكر من
علي وأعطيها من
سألني وأحمد ربي إذ
هداني فقال محمد بن
يوسف مثلك يصلح
أن يكون واعظا وقوله
تعالى - لا تحربوا
الصلاة وأنتم سكارى -

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَاتِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي أَفَأَجْعَلُ عَلَيْهِم بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْمُجْهُودِ فِي بَذَلِ
الْوُجُودِ مَتْنَهُ الْجُودُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي
قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِي عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَمْكَنَتْهُ مِنْ
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْعُ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لَشَيْبِ بْنِ شَبَةَ كَيْفَ
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيَعْتَلِ
مَتَمَلِّ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَصْكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَافَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنَعِ

فَإِذَا اسْتَطَعْتَ صَنِيعَةً فَاصْمَدْ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْدَعِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرَ الْمَرْوُوفَ مَطْرًا فَإِنْ أَصَابَ
السُّكْرَامَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ اللَّثَامَ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

(حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَيْهَا
بِعَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِطَبِيقٍ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ
يَا جَارِيَةَ هَلْ لِي فُطُورِي فَبَجَّاهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتُ فَبَا قَسَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ
لَنَا بِدَرَاهِمِ لَحْمًا تَقْطُرُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَقُطْتُ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ
أَنْ يَضَارَّ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَ قُرَيْشٍ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عِيْدُ اللَّهِ تَعْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ
حَتَّى مَلُّوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ فَأَمَرَ عِيْدُ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكِهِةٍ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا
وَاخْبَرُوا وَقَدَّمَتِ الْفَاكِهِةُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْمَوَائِدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا فَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ
لَوْ كَلَّاهُ أَوْ وَجَدْتُ لَنَا هَذَا كُلَّ يَوْمٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَلَا تَعْنِدُنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْعَبُ بْنُ
الزَّيْرِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَنْتَقِهِ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْهِ
فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينَ فَلَا يَدُلُّنَا مِنْ إِيْمَانِهِ فَرَكِبَ فِي أَرْمِهِ وَلَحَقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَمَرُّوا عَلَيْهِ يَبْتَغِي عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمٌ يَسُوقُونَهُ
فَقَالَ مَعَاوِيَةَ مَا هَذَا فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْمَةً إِلَى الْأُمَوِيْنَ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الْأُمَوِيُّ عَلَى ظَهْرِ
رَقْمَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْعَمُكَ عَنْ تَبْلِيغِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ
قَدْ أَصَبْتُ فَازِدٌ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَائِيكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكُنْتُ عَلَى
قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْرِ بْنِ
الْعَوَامِ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبْتَغِي اللَّهُ عِزَّ وَجِلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بَعْدَ نَفَقَتِهِ
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَلَتِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ^(١) » قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لَمَّا كَرِهَ الْأُمَوِيُّونَ إِيَّايَ بِالْحَدِيثِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَائِزَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفٍ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ
يَا هَذَا حَقُّ سَوْأِكَ إِيَّايَ يَعْظُمُ لَدَيَّ وَمَعْرِفَتِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْبَرُ عَلَى وَيَدِي تَعْجِزُ عَنْ نَيْلِكَ بِمَا أَنْتَ
أَهْلُهُ وَالْكَبِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مِلْكِي وَفَاءٌ لَشُكْرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْيَسُورَ وَرَفَضْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ صَلَّى
وَرَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَحْدِثْ
نَفْسَهُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ » وَقَالَ أَيْضًا « إِنْ
الصَّلَاةُ تَعَسَكَ وَتَوَاضَعَ
وَتَضَرَّعَ وَتَنَادَمَ وَتَرَفَعَ
يَدَيْكَ وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ
اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَهُوَ خِدَاجٌ » أَيْ نَاقِصَةٌ
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي
أَفْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانِهِ
لَأَنَّهُ تَأْهَبُ لِلدُّخُولِ عَلَى
الْمَلِكِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ
عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ
يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ
وَوَاجِهُهُ الْجِبَارُ بِوَجْهِهِ
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اطْلُعْ
لِلْمَلِكِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قِصَّةُ مَعَ الْأُمَوِيِّينَ
الدَّارِ قُطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِالْعَمَلِ وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر طي اللع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على ثقافته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالحكمة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من يملكها لك فأناؤه بحالين فدفع إلى الحسن رداءه لسكراء الحمالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنأجار صوام قوام يمتحن كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا لحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيتاه ما يشغلني عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكسب أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقبل وفضلوا . ونحى أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعفن الشيطان أني عدوه فقال محاورهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها على نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي نعلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطيتك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فدعاه بعض الثمراء فقال للشاعر : والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع على بشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احببني فإن أهلي لا يتركوني محبوسا فقبل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر به شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يترأ له فقال يوما لبعض خدامه من إذا دخل الأمير البستان فرفق فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وأقامها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها :

أما جود معن تاج منا بما حق فسألى إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشرب فآخذها ووضع الأمير الخبث تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن للدائي خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فأتهم أهلهم فجاءوا وعطشوا فرأوا بجوز في خباء فلما قالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فأتوا بها فليس لها إلا عذبة في كسر الخيمة فحالت احبوها وامتلقوا لبنها فملاوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذهبها أحدكم حتى أهني لكم ما تكون قدام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وألهوا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا العرجة فإنا رجبنا سالمين فأنى بنا فإنا صائمون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فآخبره بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك عذابين شاتي قوم لا تعرفينهم ثم تحولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة الجأها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا بقلان البحر إليها وبيعانه ويتبعشان فمته

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشعشع من
قلبه نور يلحق
بلكوت العرش
ويكشف به ذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك النور
حنان وإن الجاهل
الغافل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
حتوش الذباب على
قطعة العسل فاذا كبر
اطلع الله على قلبه فاذا
كان شيء في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق
بستان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز يا بني أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ، ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من قتيق فتنس إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تنسى وحدك قلت أفيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استغنى هذه فتم مأد بك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره . وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بئرك بنجبي وكان السخى الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بئير محين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجبيه فلما وقع بينهما العقد عمده هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يشج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا ذكرك الليث صاحب القبر قال نعم بعث منه بعير بنجبيه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع نجبي إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السفرة ففر رجل من الأعراب على قارعة الطريق فدأه الدهر وأضر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه مابق معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينفض فلم يقدر من الضف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لملك استقلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثماني ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدهام فقال يا غلام ائتم فأعلمهم أن للسال والدار لهم جميعا . وقيل بعث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيت خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غاقي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عدل فأمر لها بزقي من عدل فقيل له إنها كانت تقع بدون هذا ؟ فقال إنما سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيشمة بن عبد الرحمن يعودها بالنداء والحق ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدودا لبنا وكان يحكى ليد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ما تحت البد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

للسكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يقل ما كان فيه . وفي الخبر «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب في آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» والقلوب الصافية التي كل أدبها لكمال أدب قوالها تصير سبوبة تدخل بالهكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب الجاوى لاسبيل للشيطان إليه فخلق هو اجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كاتقطاع تصرف

ديار من بره حتى تميت أن الشاة لم تبرأ . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خارحة بلقي عنك خصال حدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر للمؤمنين ممدودت رجل يمين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله سكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إن سمعت مع الصباح مناديا يامن يميني على التقى للعوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ إخوانه فقبل له إتهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانكسرت درجته بالعتى لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع يمين يدي حقة ونملان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البصرة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحقة ونملين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى الجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتضع وإنى درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شيء لمولود فلم يفتح لي شيء قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك شيء قال فأخذه وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يحفروا مكان الكافون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فأحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الليث وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس رؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا يتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أهدى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض بمصر قال مروا فلانا يغسلنى فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال اتنوني بذكركم فأتى بها فحضر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سببا الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغنى عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فمركه فاقطع زره لمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه :

الشیطان والقلوب
الراقة بالقرى تدرج
بالقرى وتخرج في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
السما يتخلف شيء من
ظلة النفس ويقتدر
ذلك يقل الهاجس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
فحسب ذلك يلعب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور العرش
وتتدرج ظلمات النفس
في نور القاب اندراج
الليل في النهار وتأدب
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسر من كثير
وعان الصلاة أكبر
من وصفنا وأكمل من
ذكرنا وقد غلط
أقسام وظنوا أن

يا لهف قلبي على مال أجود به على الفقيرين من أهل الروات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني مالميس عندي لمن إحدى الصيات

وعن الريع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير
واعتذر إليه عني . وقال الريع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف
دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه فيقبض
له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونقض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي ثور قال أراد الشافعي
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يسكن شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال
ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأسأله عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا
حجوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسي تنوي إلى أمور يقصر دون مبلغها مالي
فنفسي لا تطاوعني يخلد ومالي لا يلفني فمالي

وقال محمد بن عباد المهلب دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين : منع الوجود، سوء ظن
بالعبود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
فبكي فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليا قبل منه المدحة وأمر حابيه
بذيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأقام شهرين فأوحشه طول اللقام فكتب
إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما ترجى من الصد

كما الدرهم والدنانير في البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل البيهقي إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
وجئني بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برّا قلا ولو أمهلتنا لم تقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نعمل

وروى أنه كان لعثمان بن طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
فقال له طلحة قد تهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سعدى
بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غني فقلت
وما ينعك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .
وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم مأسأني بها أحد قبلك إن لي
أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلث مائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفت إليك
التمن فقال التمن فباعها من عثمان ودفع إليه التمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك
فقال لم يأتي ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني . وآتى رجل صديقا له فدفق عليه
الباب فقال ماجاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي
فقلت امرأته لم أعطيتك إذ شئت عليك فقال إنما أبكي لأنني لم أعتقد حاله حتى احتاج إلى مفاتيحي
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الذكر فأبى
حاجة إلى الصلاة
وسلكوا طرقا من
الضلال وركنوا إلى
أباطيل الخيال ومحو
الرسوم والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وقوم آخرون
سلكوا في ذلك طريقا
أدتهم إلى نقصان الحال
حيث سلبوا من
الضلال لأنهم اعترفوا
بالفرائض وأنكروا
فضل النوافل واعتروا
يسير روح الحال
وأهملوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن لله في
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسراراً
وحكماً لا توجد في شيء
من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحببن الذين يغفلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة - وقال تعالى - الذين يغفلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة» (٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرب نفسه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله ينفض ثلاثة الشيخ الزاني والبخل المنان واللعيل المحتال» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل النفاق والبخل كمثل رجاين عليهما جيتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما النفاق فلا ينفع شيئا إلا سبقت أو وفرت على جلده حتى تخفى بانه وأما البخل فلا يريد أن ينفع شيئا إلا قلمت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت براقيه فهو يوسمها ولا تنفع» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والنفس إن الله لا يحب الفاحش ولا المنفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة قطعوا» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة قطعوا وأمرهم بالقبور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهي عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله ينفض ثلاثة الشيخ الزاني والبخل المنان والفقر المحتال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل المنان وقال فيه النفي الظلوم وقد تقدم والطبراني في الأوسط من حديث علي بن الله لينفض النفي الظلوم والشيخ الجليل والمائل المحتال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل للنفاق والبخل كمثل رجاين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالقبور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجسمان وما دام البدن في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطفيل فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد للظلم إلا الصوم فإنه لا يدخله فخاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر « الصوم لي وأنا أجزى به » قيل أضافه إلى

« شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع »^(١) « وقد شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته بأكية قتالت : واشتهده فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيها لا يعبئه أو يبخل بما لا ينقصه »^(٢) « وقال جبير بن مطعم « بينا نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من خير إذ علفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه الغضاء نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »^(٣) « وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخرون بين أن يسألوني بالقحش أو يبخلوني ولست يا بخل »^(٤) « وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بعر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنيا وقالاً معروفًا وشكرًا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني في مسألة متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل »^(٥) « وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجدودوا بحمد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وعد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنفس من أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتله وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بنفس منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار »^(٦) « وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل »^(٧)

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتفقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتفقوا الشح فدكره بلفظ آخر ولم يذكر القحش (١) حديث شرماني الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيها لا يعبئه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عبد الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينا نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقلعة من حنين علفت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قوماً الحديث وفيه ولست يا بخل ، مسلم (٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأنيا وقالاً معروفًا الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نخوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بعر ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدودوا بحمد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أقف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده .

تفه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساءحوا إلى الله تعالى بمجموعة وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - م الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفراغاً وبجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فسد بني الحيان من سيدكم يا بني الحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء « وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينفذ البخل في حياته السخى عند موته^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٤) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأنيبني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني بئارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو فقت بين الركن والمقام ثم صليت ألقى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لثيم لا كباك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني الحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث علي إن الله لينفذ البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخى وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النسائي وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقني بئارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

يحيى بن معاذ إذا ابتلى للريد بكثرة الأكل بكت عليه اللاتكة رحمة له ومن ابتلى بهرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه بيس كل عضوا وأحرق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن الشيطان ، والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده اللاتكة وينهزم الشيطان من جامع نأثم فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزيني قزينت ، ثم قال لها اظهري أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسليم فتفجر منها في الجنان أنهار الحمرة والصل والبن ثم قال لها اظهري سرورك وحبالك وكراميك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فظفر إليها قال تسلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لأنسكك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف البخل لو كان البخل قيسا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يعبد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض للوسر على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على مافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من أتى سغيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأبيا وفي الرقة متواضعا وفي كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوة ماله ومن قل شكره لم يزل النجس وأهل الكذب مذمومون وأهل النجاسة يوتون قراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - قال البخل أمك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لمسك تلقا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صفر فلان في عيني لعظم الدنيا في عيني وكأني أرى السائل ملك اللوت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لأرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يعمل على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يفتن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : والله ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى - عرفت بعضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخل لا غية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخل ^(١) » . ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال فماخيرها إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البخل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسحياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا ولا بخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العز أبل الناس بماله أجودهم بعرشه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخل قد كفاني بخله والفاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث انك لبخل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا في نظره .

قائما ويوافق الشيطان شيئا قائما فكيف إذا كان نائما قلبه للريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالى وهو يأكل خبزا يابساً فقبله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشهى هذا قال أدعه حتى أشتبهه وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يجعل الصفار والذل إليه في دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر إن الجوع يصنع القواد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذو النون ما أكلت حتى شبع

وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به السكر والبوت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاهنا أتقياً طباهجة بيض البوت ولا ذلك، وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فقطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تعمن من القرآن شيئاً قال نعم فقرأوا الزيتون وطور سبئين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطمعه شيئاً فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجيأتني أيتها صوت تشهني أن أسمك قال صوت القلى . وبمضى أن محمد بن يحيى ابن خاله بن برمك كان بجيلاً قبيح البخل فسل نسب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في قدر ومخافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يعصرها قال الكرام السكاكيتون قال لما يأكل معه أحد قال بلى الدباب فقال سواتك بدت وأنت خاص بهونوبك تحرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوء الإبراش جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعموت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له نراك لاتأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تخز ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إذ مس عينا أو أذنا أو خذاً وقتت على ذلك وآكل منه أكلوا عينا لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماعه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالى عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاها أربعة دنانير واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فردّ اللحم إلى الفصاف بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرّب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له ربّ المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب وإلا والله خرجت إليك بالصا قال فدعاه الأعمش وقال اذهب وبمضى فلا والله ما رايت أحداً صدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما .

(بيان الإيثار وفصله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشدّ وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكيف من يبخل بمسك المال ويعرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمتعه منها إلا البخل بالتمن ولو وجدها عجناً لأكلها ، فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أثبت الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أعيأ امرئ اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له ^(١) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية »

ولا شربت حتى رويت
إلا عصيت الله وأومعت
بعمية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر ما تدخل
بيتنا نار للمصباح
ولا نسيره قال قلت
سبحان الله فبأى
شيء كنتم تغيثون
قالت بالقر والماء وكان
لنا جيران من الأنصار
جزأهم الله خيراً كانت
لهم منافع فربوا واسونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضي
الله عنها قالت لأبيها
إن الله قد أوسع الرزق
فلو أكلت طعاماً
أكثر من طعامك
ولبست ثياباً أليّن من
ثيابك فقال إني
أخاصمك إلى نفسك

حق فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) و نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطعام السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى - وإنك لولى خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليلة عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استجيت من محاسبته وبوأته من جنى حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فقول على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى السلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه التاني والثالث فأكله وعبد الله بنظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا ، قال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الغلام لأسخى منى فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فأعتق الغلام ووجه منه ، وقال عمر رضى الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أشى كان أحوج منى إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاخارا كلاما الحياة وأجابها ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتم مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يغديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك لللائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولو شئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبر برحق ماضى لسبيله وللشيعين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

ألم يمكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مراراً فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لولى أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غفلت لعمري دقيفاً إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضى الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبر برحق ماضى لسبيله . وقالت عائشة رضى الله عنها : أدبوا قريح باب الملكوت ففتح لكم الوالكيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما . وقيل ظهر لليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق قال ما هذه قال

عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية يقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فزرع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رفق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قفقت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص قفقت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد ماترحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فانه أثناء رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزرع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبالسات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فقبضنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة مينة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر السكاب إلى ليلته رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء إلى تلك الينة وقعد ناحية ووقعت السكاب في الينة لما زالت تأكلها وذلك السكاب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الينة وبقى العظم ورجعت السكاب إلى البلد فقام ذلك السكاب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحقتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير الانسان غيلا ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخيا ورجا يراه غيره غيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا غل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويعسكه فان كان يصير بمساك المال غيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يد غيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في قسمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يد غيلا ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخضاه عنه يد غيلا وقال قائلون : البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من غييل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطلة بلا من وإسطف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يجرى فيه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصرا من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب التي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتقف لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحدث منكر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت ليلة فقلنا لك عن الصلاة والله كره قال لا جرم إني لا أشبع أبدا قال إني لا جرم إني لا أنصح أحدا أبدا . وقال شفيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملكت المدة نامت الفكرة وخرست المحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجتمعوا بين الأدميين فانه من طعام النافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسد معدته ألوان الأغذية فيكره للربيد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تتازعه وهو يصارها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرودة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرودة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة وينع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخر بالتسكف أو الذي يتيمم الحبيث من ماله ولا يطيّب قلبه أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخيل . وأما واجب المرودة فهو ترك الضيقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من الضيقة ويستقبح من الرجل الضيقة مع أهله وأقاربه ومما يليك مالا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيقة من الضيقة مالا يستقبح في العاملة فيختلف ذلك بعافيه من الضيقة في ضيقة أو معاملة ومما به الضيقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من الضيقة وكذلك بمن معه الضيقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه للضيقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرودة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فإنا نغتنم الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرودة أهم من حفظ المال والضائق في الدقائق مع من لا تحسن الضيقة معه هاتك ستر المرودة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المرودة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخيل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتمسح بالثمرة . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لإحالة ثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه » وقال فتح الوصلى : محبت ثلاثين شيئا كل يومين عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]
جمع من الشايع

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنعه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استتباع ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروءة الالفة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتصفت نفسه بذلك للئال حيث لا يوجب الشرع ولا توجه إليه للامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجه به العادة والروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فإنه يشتري الدخ بماله والمدح ليد يد وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما آدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبدل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقه من تقعيبه من النعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو محتاض لجواد كما روى عن بعض التعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سأل عماشئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والاثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وإنا قالوا لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتهم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض التعبدات أعجبون أن السخاء في الدرهم والدينار قطع قيل فقيم قالت السخاء عندي في الهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تلتفها الله عز وجل ويسخو قلبك يبدل مهجك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا أجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحزن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب للئال ولحب للئال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يسخر بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاؤه كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة مجبنة ^(١) » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجى الرزق قوى البخل لا محالة. السبب الثاني : أن يحب عين اللئال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بعداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزن نغرواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يبدون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام ثيفا وخسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فإذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما وبدع للافطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار عبا للدنانير عشقها يلتذ بوجودها في يده وبقدرة عليها فيكثرها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سبيل في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لا يذثم قد نسي الحاجات وبصر الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاهو جاهل بالأمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبه في جمع المال وضياعه بعدم تعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى ثروان ولده إن كان تقيا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على النجاسة وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستباحتهم له فانه ما من بخيل إلا ويستبجح البخل من غيره ويستقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستغنى في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يحجب الخاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصد عنه . حتى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا نفيذا له وقال انزع عن القميص وادفنه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول هفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول المشق إلا بعفارة العشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن يعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بملاجه ويكون طلب الاسم كالنفسية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصا وغيرها لا يلحق واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلب بعضها على بعض كما تسلب الشهوة على الغضب وتسلب سرورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتسلب رغوتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقامع من علة ويزيد في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا يشغل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر المدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحي ترجع إلى اثنتين قوتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تطلب إحداها الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائئة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يطمعها ويحمل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع الناية بمحوها وإذا تبنا بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بغتضاها فاتها تقتضى لامحالة أحمالاً وإذا خولفت خدمت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضى إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت مفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فإن علاج البخل يعلم وعمل الفالم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد بقوى البخل بحيث يصعب ويصعب فيمنع تحقق المعرفة فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لاحية فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه بزائوته ومافيا نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يعيل إليه قلبه فهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد صاب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة والفقد والمهلك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يره نظيره ففرح الملك بذلك فرحا شديداً فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فراقا قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لأجير لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يعمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم لئنه لم يعمل إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله إذ تصمم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانه تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالحزائن والحراس والحرائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرامم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا ينبغي نفسه بحفظه فينبذه بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بتقدير الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقق ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالحافظة على خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذائق وأنه لم يحتج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يطمع من ممتة فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجنب الحرام المحض وما القالب عليه الحرام كمال السلطان ويحجب الجهات المكروهة القادرة في ناروة كالمدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الدالة وهناك الروء وما يجري مجراه . الثالثة : في القدر الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس وممكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما مثلا إلى جانب القلة ومقتضى من حد

يوما ويخطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبدالله يأكل
في كل خمسة عشر يوما
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يفطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
الجند أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطر معهم
ويقول ليس فضل
الساعة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لا يسه
للموافقة وتخليص الية
لخص الموافقة مع
وجود شره النفس
صعب ، وصعب شيئا

الضرورة كان حقا وبهي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لمصمها وقد ذكرنا
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويختص في الاتحاق غير
مبذر . ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حقه في حقه ولا يرضه في غير حقه فان الالم في
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك
والاتحاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ويستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتسكن
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أومامين على العبادة فان أبعد الحركات عن
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما مبيتان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآنية لأن
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينفع به عبد من
عباد الله ولا ينعم منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وتزياتها
واقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه طمعه
والعامى إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة هابه الصبي الذي
يرى للرمز الخائض يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج تزياتها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به يقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدرى أنه
قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا كحكة تنفث السم وإن كانت الحجة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطى قلال الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكات لفعال
أن يتشبه العامى بالعالم الكامل في تناول المال .

(بيان ذم التنى ومدح القفر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل التنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب القفر
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأعلى من التنى
على الجملة من غير التفات إلى تفضيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة
مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله جبر الأمة في علم العامة وله السبق على جميع
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون
وتصلون وتصدقون ولا تصلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيأمرهم ما تحكون بتوبون بالقول
والأمانى وتعملون بالهوى وما يرضى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا
كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم
ويبقى القلب في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفض من الدنيا شهوته ولا تنقطع
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جطتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل
نحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للدجلين وتقيمون في محل التحيرين

يقول لى سنين ما أكلت
شيئا بشهوة نفس ابتداء
والاستدعاء بل يقدم إلى
التنى فأراه من فضل
الله ونعمته وفضله
فأوافق الحق في فضله .
وذكر أنه في ذات يوم
اشتهى الطعام ولم يحضر
من عاداته تقديم الطعام
إليه قال ففتحت باب
البيت الذى فيه الطعام
وأخذت رمانة لآكلها
فدخلت السنسور
وأخذت دجاجة كانت
هناك فقلت هذا عقوبة
لى على تصرفى فى أخذ
الرمانة . ورأيت الشيخ
أبا السعود رحمه الله
يقاوم الطعام فى اليوم
مرات أى وقت أحضر
الطعام أكل منه
ويرى أن تناوله للطعام
مواقفة الحق لأن حاله
مع الله كان ترك الاختيار
فى ما كوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا ليركبوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا ينشئ من البيت الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحتى مظلم كذلك لا ينشئ عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وخفة متحلة بإبيد الدنيا لا كيد أضياء ولا كإحراز كرام توهك الدنيا أن تفلتم من أصولكم تخليكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الديان هراة فرادى غيوتكم على سواكم ثم يميزكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخوان فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يصفو الكبريم بغضه [وبعد] فأنذرت الممالك المؤثر للدنيا سروره بمزج بالتفليس فيتفجر عنه أنواع الممومون ونوع المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يعلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحسران المبين - فيالها من مصيبة ما أنظمتها ورزية ما أجلها أأفراقوا الله إخواني ولا يفر منكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحجج الداحضة عند الله فأنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقسام المآذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين القرورون بذكر الصحابة ليعزروهم الناس على جمع المال ولقد دعاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال لتكثر والتشرف والزينة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أولى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرحلين ونسبتهم إلى قلة الرغباء والزهد في هذا الخير الذي رغبته فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أولى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهامهم عن جمع المال ^(١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهامهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهامهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فذلك نهامهم عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ماذا لك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يموت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطربا يريد كعبا فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فيقال لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدي من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا تجمعوا مالا تأكلون وكلاما ضعيفا .

وجميع تصاريغه وكان حاله الوقوف مع فضل الحق وقد كان له في ذلك بداية يرمي مثلها حتى قل أنه كان يبق أيا ما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينظر فضل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحالهمدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والسلامة وكانوا يتكفون الأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق ولواقعة سمعت يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محقق الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية نزع أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر قلت ليك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وجماله وقدمه وخلفه وقليل معهم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله باني أنت وأمي ، قال ما يسرني أن لي مثل أحد أشفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثرو وأنا أريد الأقل (١) « فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلمين يدخلون سعيًا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحررا لعلني أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا (٣) » وبحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرائه بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرسات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأتفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحب في آثارهم حبوا . فساظنك بأمثالنا الفرق في فن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تفرغ في تخاليط الشهوات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والباهظة وتقلب في فن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يطر كل يوم قبل غروب الشمس إلى رمضان . وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه مخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأنه صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم قد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا تسلسل والأليق بموافقة العلم إمام الصوم قال الله تعالى -ولا تبطلوا أعمالكم- ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يعملون فلا يمارضون والصدق

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بالنفي كاذكره للصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا اللفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفض أبو ذر عساه فضرِب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجيل لي ذهب الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلمين شعثا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر قراء المهاجرين والسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا الزائر من حديث أنس بسند ضيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه خالد بن أبي مالك ضمه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

أنك إن جمعت المال قد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويعلمك إن هذا من قياس إبليس ومن قبياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائلكم وفضل الصحابة ولمعنى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها لتتغف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وتدبوا فضلا ولم يمنعوا منها حقاً ولم يخلوا بها لكنهم جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً فبأنه أكره الله إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخبار الصحابة كانوا للسكينة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبأنه في أرزاقهم واتقوا الله بمسورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب المال والكثرة ورعين إيتوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وسبوا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه أكره الله ذلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيء حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذا كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا وما براد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاودنا ربنا فهذه أحوال السلف ونتمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أكره الله ذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها الفتون من أحوالهم وذلك أنك تظن عند القنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتفعل عن شكر ذي النعماء وتقطع عند الضراء وتخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأف من المسكنة وذلك غر الرسلين وأنت تأف من غرم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بصفاته وكثي به إيما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم فرب عليهم أجسامهم ^(١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليحيى يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لم يقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبأنها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والموت والفقر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أولتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والموت نعم وعساك المسك في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكبر لقاء الله والله لقائك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوقير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمد لم يه كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف قلب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوفى يصوم صوم
الطوبى فأنهم فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقين
أشكالا وفيهم صريد
يحتونه على الصيام فإن
لم يساعدهم يهتموا
لافطاره ويتكفوا الله
رفقاه ولا يعملوا حاله
على حالهم وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يصومون لصومه
ويفطرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بفطر
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شاب
كان يصعبه حتى ينظر
الشاب إليه فيتأدب
به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تنسى بأمور دنياك أضعاف ما تنسى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انقصاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبدل للناس ما جمعت من الأوساخ كما تبدل للموتى والرفعة في الدنيا وعساك ترى الخلوين ما خطأه تعالى كما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من الخلوين مساويك ولا تكتر باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العيب أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثالب فيك أف لك مثلونا بالأنذار ونحتج بحال الأبرار هيات هيات ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهدهم في حرم عليكم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوغات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبار تلحصى فليت أطيب مالك وأحله مثل شبات أموالهم وليتك أشفت من شباتك كما أشفقوا على حسانتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسانتك مثل واحدة من شباتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في اللو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أومضوا الله الكريم بفضلهم [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتخلف والبذل في سبيل الله فقدر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقع في باب من الحرام أقطع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقصك بسبب البر في اكتساب الشبهات للمزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها القرو أواعلت أن خوفك من اقتحام الشبهات أظلى وأفضل وأعظم لتدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلفنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال البذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالثبات في الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسؤال وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن
الىكى أنه كان يصوم
الدهر وكان مقبلا
بالصورة وكان لا يأكل
الحبز إلا ليلة الجمعة
وكان قوته في كل شهر
أربع دوايق يسل
يسده حبال الليف
ويبيعها وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لا أسلم عليه
إلا أن يطر وبأكل
وكان ابن سالم اتهمه
بشهوة خفية في ذلك
لأنه كان مشهورا
بين الناس وقال
بعضهم ما أحاسن لله
عبد قط إلا أحب أن
يكون في جب لا يعرف
ومن أكل فضلا من
الطعام أخرج فضلا
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التيسى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهاشمي كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

بالحرم مع أصحابه سبعة
أيام لم يأكلوا خبز
بعض أصحابه ليتطهر
فرأى قسر بطيخ
فأخذه وأكله فرآه
إنسان فاتبع أثره وجاء
يرفق فوضه بين يدي
القوم فقال الشيخ من
جنى منكم هذه الجنابة
فقال الرجل أنا وجدت
قسر بطيخ فأكلته
فقال كن أنت مع
جنايتك ورحك فقال
أنا تائب من جنابك
فقال لا كلام بعد التوبة
وكانوا يستحبون
صيام أيام البيض وهي
الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر
روى أن آدم عليه
السلام لما أهبط إلى
الأرض أسود جسده
من أثر المعصية فلما
تاب الله عليه أمره أن

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أفت له على أصل (٣) حديث يدخل صمالك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسة عشر عاماً الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ قراء مكان صمالك ولهما وللنساء في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن قراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة باريين خريفاً .

فيا كلون ويتمتون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبكم أتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيها أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرفى أبني حمر النعم ولا أكون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع الخفين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من الخلف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغني « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وعسل فلما ذاقه خفته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فصاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشرية قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قلت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها قتالت لي يا محمد خذني قلت إليك عنى قتالت إن تتج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من جسدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني فمضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلال ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للعظمى لتظنن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العاق ولئن أزدت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تنفع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال للتخلفين لتظمن عن أصحاب الجبين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نصيب التتمين ولئن خالفت أحوال التتمين لتكوتن من المهتمين في أهوال يوم الدين فندبر ويحك ما سمعت [وبعد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فتح بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك مؤثر في نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لندك مبغض للتكاثر والنفي راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والسكينة مسرور بالذل والضة كاره للعلو والرفعة قوى في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولئن توقفت في السائلة ولئن عاين نفسك من التتمين وإنما تجمع المال الحلال للبدل في سبيل الله ويحك أيها الغرور فندبر الأمر وأمن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكروا والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمساءلة وأمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى قدرك عند الله أعانعا فبلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمة وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد واقه ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنتم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لعمومك فما عذررك في جمع السالوات بترك للسال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وعظلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
ايض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يوم أو
يومين وكان يكره
بعضهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم العشر من ذي
الحجة والعشر من
المحرم ويستحب الخميس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فذمنا بجراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسى بنيك إذ هداه الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجابة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجابة الدنيا فسر مع لواء الصطفى سابقا إلى جنة للأبدى فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا نفدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يورثه ولم يقدر على أن يكتب ما يرضيه يسمى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه . فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ^(١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك لله والفضل تجمعهم لا أولئك خوفا من الفقر تجمعهم وللتهم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمة والتعظم والتكرمة تجمعهم ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحى من دعوئك أيها الغرور ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجابهة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال مزييا على نفسك معترفا بساءتك وجلا من الحساب فذلك أجنى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمايرهم وحسن نياتهم دينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في سعادة الخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أمالك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا فلان ولا فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنا فتمت كما ينمو الدود فضافت عليه المدينة فتحنى عنها فقتل وأديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر في الجماعة ويدع ما . وهم ثم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله اتخذ غنا فضافت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم . وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جبرئيلة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال لهما يا ثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا نفدى لم يجد عشاء الحديث عزاء صاحب مستد القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في مساجم الطبراني

حرام الخيس والجمعة
والسبت بعد من النار
سبعمئة عام .
[الباب الحادى
والأربعون في آداب
الصوم ومهامه]
آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وحكف
الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كفف النفس عن
الاهتمام بالأقسام سمعت
أن بعض الصالحين
بالدراق كان طريقه
وطريق أصحابه أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الافطار
وليس من الأدب أن
يسلك للريد عن
المباح ويفطر بحرام

فخرجنا حتى أتينا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار أستان إليه فمرها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بلى خذوها خشي بها طيبة وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلمامودعا للسلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبألدي صنع السلمي فأنزله الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلهذا آتاهم من فضله فخلوا بهوتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فدفع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منحنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان ^(١) فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم التقي آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فمهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معي وقلت يا ب منزل فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي إلا عيادة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدی فقد واريته فكيف برأسي فألقى إليهم لآلة كانت عليه خلقة فقال شدني بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوافقه ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكي آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبحري فوافقه إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وآسية سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أدى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بأبن عمك فوافقه لقد زوّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة ^(٢)

الآثم قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون قيام الحقي وصيامهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال الفترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقال الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فإذا جمع الأكلات بأكلة واحدة قد أدرك بها ما فوت وقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لهم أن الاقتصار على الضرورة مجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فمهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوّجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمق سلما وأكرم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الملم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم عليه السلام يقول أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتينا إلى شط نهر فجلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فخرّب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعهما خشفان لما قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري ثم اتبها إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشبا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فأتينا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كني ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأراد أن يأخذهما منه ويقتلهما فقال هو بيننا أثلاثا فابتشوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع في هذا الطعام سما فأقتلهما وأخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذلك الرجل لى شيء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا بقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتضروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتى فأتيت فيها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها قال وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا تأخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم أكرهناها لأن أحد الميسمطينا مشينا إلا تأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتضرت قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنتنتموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا متعتنا قبورنا من الأمل . قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا تأخذتم البهائم من الأنعام فاحتابتنتموها وركبتنتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإعسا يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإعسا ما جاوز الخنك من الطعام لم نجعله طعاما كأنما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال باذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فنشم وظلم وعاقبنا رأى الله سبحانه ذلك منه حسما بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يحزبه به في آخرتهم فتناول

علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أنهت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحواله فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يحب رعايته واقتضاه ولا يخفى على الضرورة وفائدتها وطاها بالإعبد إريد الله تعالى أن يقر به ويدنيه ويصطفيه ويريه ويمتتع في صومه من ملاعبة الأهل والامسة فان ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالا لسنة وهو أدمى إلى إتمام الصوم لمخنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك مملكة الله
بجده قد كان يرى ما يصنع الله قبله بالناس من التسم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة
ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك في صحبتي فأخذك أخا ووزيرا وشريكا فبنا آتاني الله من هنا المال قال ما أصليح أنا وأنت في
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال
ولم قال يصاحبوك لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا ينادي برضى قلبك ولما عدى
من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متحجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدل على
آفات النفي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب فم السال واليخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويلييه كتاب فم الجاه والرياء .)

(كتاب فم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كائثر القنوب ، العالم بما تحته الضمائر
من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطلويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فانه المنفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبشرين من الخيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .
[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
الخفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » (١) ولذلك عجز عن الوقوف
على غوائلها محاضرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن
مكائدها وإنما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلك سبيل الآخرة فاتهم بها قهروا
أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات
عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير
وإظهار العمل والعلم فوجدت محاصرا من مشقة المجاهدة إلى لغة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوقار
والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع بإطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس
ولم تقنع بحمد الله وحده وعلت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوفيه الشهات وتحمله مشاق العبادات
أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقرير والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
بعشاده تمولقائه ورغبوا في ركعة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفأعجزه بالخدمة والسلام وأكرموا في المحافل
فاية الإكرام وسامحوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وآثروا بالمطاعم والملابس وتضاعفوا له
متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب
الشهوات فاستعقرت فيه ترك المعاصي والمفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

(كتاب فم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية إن ما جه والحاكم من حديث شدد
ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسرنا بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيف وهو عند
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بانقظ المصنف .

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال : تسحروا فإن في
السحور بركة
ويسجل الفطر عملا
بالسنة فإن لم يرد تناول
الطعام إلا بعد السحور
ويريد إحياء ما بين
العشاءين بفطر بالماء
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
بأكل لقينات إن كانت
النفس تنازع ليصفولة
الوقت بين العشاءين
فإحياء ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على الماء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروسي قال أنا أبو نصر
الترائي قال أنا أبو محمد

في الباطن لذة الذات وشهوة للشهوات فهو يظن أن حياته بالله وعبادته الرضية وإنمسا حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى عن ذكرها القول النافذة القوية ويرى أنه خاص في طاعة الله ومجتنب لحازم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحاً بما نالت من المزية والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة للتائقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهولة لا يرقى منها إلا القربون ولعلك قبل آخر ما يخرج من رحوس الصديقين حب الرياسة وإنما كان الرياء هو الماء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته ولخبر من به ويتضح القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً عند من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكل حقيق وبيان ما يعمد من حب الجاه وما ينم وبيان السبب في حب المدح والتناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فهي اثنا عشر فصلاً منها منشأ معاني الرياء فلا بد من تدعيمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل الحمود الخمول إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) وقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ولا بأس به إذا روي هذا الحديث قيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رآوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم ين هذا وإنما عني به المتدع في دينه والفاقد في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لئلا تروا وتعلموا كتم واصمت قلم تسر الأبرار وتفيض الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سليم بن حنظلة ينان عن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالذرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وقتة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فأتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه الله أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودينه البهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودينه بالنسب وإسنادها ضعيف .

الجراحي قال أنا
أبو العباس الجبوي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال ثنا
اسحق بن موسى
الأنصاري قال ثنا
الوليد بن مسلم عن
الأوزاعي عن قرعة عن
الزهرى عن أبي سلمة
عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
حكاية عن ربه قال
الله عز وجل « أحب
عبادي إلىّ أحبهم
فطرا » وقال عليه
السلام « لا يزال الناس
يغير ما جعلوا الفطر »
والانطار قبل الصلاة
سنة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يفطر على جرعة من
ماء أو مذقة من لبن

فواقه لو تطولون ما أغلق عليه بابي ما اتبني منكم. وجلان . وقال الحسن إن خفي النمل حول الرجال فلما تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فلما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن عيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتغنى ولا تبغى إليك وتساءل ولا تمسأل فأنفل . وخرج أيوب في سفر فنتبه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أتى لهذا كاره لحشيت للقت من الله عز وجل . وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فما مضى كانت في طولها وهي اليوم في قصيرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كره هذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأجار تمتد إليهما جميعا . وقال جل البشرين الحرث أوصني فقال أعمل ذكركا وطيب مطعمك وكان حوغب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه واقضه وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الحول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك (١) » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يحطه من الدنيا شيئا (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواظ (٣) » . وقال أبو هريرة قال ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتدخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو سمعهم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأله الله الجنة لأعطاء إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعها إياه إلا هو أنها على رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٥) » . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ما ذين جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بلفية . قال سفيان من اغتاب فصدومه وعن مجاهد خصلتان تضدان الصوم الفية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالإنم بأكل الحرام فقال - سمعون للكذب أكتلون للبحث - . وورد في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك - سلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولما كره رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يحطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وما منعها إياه لكانه عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير أو وقال الشارح بيض له العراقي فليطم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفاء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله في بيتهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركعتين أوجز فبهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع قطره حتى تشتت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من عذابة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساألني أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذي بانك مارأيت قال أعطت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا يتابع العلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خالقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغبراء قيل ومن الغبراء ؟ قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما عين به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترلك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي يصلح بمكة وللدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما فرت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني للوذن برجلي حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فافضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثق عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإيماناً لطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة الطهارة فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن للمفهوم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم ، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالعريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرقى فالأولى به أن لا يعرف أحد منهم فاتهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الفرقى لينتلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للعالي عن الإرادتين جميعاً وقال عز وجل لمن كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والمطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الإفطار فأرسل إليهما قدحاً وقال قولوا لصاحبا فيه ما أكلتما فأتاهما إحداهما نصفه وما عيطا ولما غريضا وقادت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فضبج الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمته فليقل إني صائم » وفي الخبر « إز الصوم أمانة

الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول به معنى حب الجاه فإنه أعظم لغة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يفتنان النفاق في القلب كما يفتن اللئيم البخل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفساد من حب التصرف والمال في دين الرجل السلم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » (٣) نسأل الله الصبر والعافية بمنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للتنفع بها ومعنى الجاه ملك اللذوب للطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهم ما يتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العائلات ولا يصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد التلب فيه ومما من أوصاف الكمال اقتادله وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعى قلبه للموصوف به اعتيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها ونحولاتها وكما أن محب للمال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبغيا أن تكون له الأحرار عبيدا بالبيع والطوع مع الفرج العبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام النزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعى له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرجه وجه الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فان الاعتقاد للكمال لا يسكر عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه والخدمة والإعانة فانه لا يخل يبدل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالا يثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتيح والسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص إما بصلح أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فايحفظ أحدكم أماته
والصوفى الذى لا يرجع
إلى معلوم ولا يدري
مق يساق إليه الرزق
فاذا ساق الله إليه
الرزق تناوله بالأدب
وهو دائم الرافعة
لوقته وهو فى إبطاره
أفضل من الذى له
معلوم معد فإن
كان مع ذلك يصوم
قد أكل الفضل .
حكى عن روم قال
اجتزت فى المهاجرة
يعنى سكك بغداد
فطشت فتقدمت إلى
باب دار قاستقيت
فاذا جارية قد خرجت
ومعها كوز جديد
ملآن من الماء البارد
فلما أردت أن أتناول
من يدها قالت
صوفى وشرب بالنهار
وضربت بالكوز

(١) حديث السال والجاه يفتنان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ماديبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبى منصور الديلى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعنى ويصم .

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يحتقه الناس كالا فان هذه الأوصاف كلها تظم عملها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو جنة يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في للقدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا لتصلح للطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصاة بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنها وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استغفارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فلاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاء في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كزرا ولم يكن له جاء يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذا جاء آله ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق وينصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والحرائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن غنية لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي الثباب والنصاب وأثبتت الأموال العقار ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي مخفية ومحروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقة فيها ، نعم إنما تنصب القلوب بالنصر يفوت في جميع الحال وتغير الاعتماد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فان القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقه لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا ولهذا المنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطاع في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استئمانه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحققت الأموال في مقابلته فهذه مجاميع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذذ ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالمبتلى بمرض أو بحقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاء خبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال والكنوز وإدخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا يتنى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان أن يساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعه أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به

على الأرض وانصرفت
قال روم فاستحييت
من ذلك ونذرت
أن لا أفطس أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
ألفت الصوم وتمودته
اشتد عليها الإفطار
وهكذا بتمودها
الافطار تكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركز النفس إلى
عادة ورأوا أن إفطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب الفقراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي محبة
جماعة لا يصوم إلا
بإذنهم وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجمع متعلقة
بخطوره وهم على غير
معلوم فان صام بإذن

غاية الالتئاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فاه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلى تدركه السكافة . والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع بالإنسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك بباله حاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفته على نفسه وجهه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فذلك لم يكن مثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هو مان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ^(١) » ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام التزلة والجاه في قلوب الأباغ عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن أو يزجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والخدعة والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فنبينا فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لإحالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الملية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أنظار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود نفس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق آثار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا من معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فزعون من قوله - آثاركم الأعلى -

الجمع وفتح عليهم شيء
لا يلزمهم إذ خارهم للصائم
مع العلم بأن الجمع
الفطرين يحتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
يأني للصائم برزقه إلا أن
يكون الصائم محتاج إلى
الرفق لضعف حاله
أو ضعف بنيته
لشيخوخة أو غير ذلك
وهكذا الصائم لا يليق
أن يأخذ نصيبه
فدفعه لأن ذلك من
ضد الحال فان كان
ضعيفا يصترف بحاله
وضد نفسه فبدخلة خرم والذي
ذكرناه لأقوام هم على
غير معلوم فأما الصوفية
القيومون في رباط على
معلوم فالأليق بحالهم
الصيام ولا يلزمهم
موافقة الجمع في الإفطار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم يقدم لهم

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

ولكنه ليس يجده مجالا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك
لنسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن
مدك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملته به لذاته لالمحى
آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محبة لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته
أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه
فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب
كل ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة
وكونه مسخر لك تزدده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود
فيه إلا أن الوجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملوك السموات وقنوس اللاتسكة
والجن والشياطين والحيوانات والنبات والحيوان ومن جعلتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى واللاتسكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على
السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم الحاطة كالدخول
تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى واللاتسكة والأفلاك والكواكب
وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والحيال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن عجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكن يرى صنعة عجيبة في الهندسة
أو الشجيرة أو جر الثقل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشاق إلى
معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلهذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي
يقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي
قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرام والدينانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل
فيها ما شاء من الرفع والواضع والتسليم والتمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهورات
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كاله حتى يصير محبوبا لها
وقوم التهر منزلة فيها فان الحشية القهرية أيضا للدينونة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ماضية وجه الأرض فهو محبة أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون
مسخرة له متصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب
إنما تسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية
والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه الموت
فيقدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى إمام الله تعالى والساعي
إليه فاذن معنى الحما تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتهار فأما إذا كانوا
على غير ملوم قد قبل
مساعدة الصوام
للفطرين أحسن من
استدعاء اللواقة من
للفطرين للصوام وأمر
القوم مبناه على الصدق
ومن الصدق افتقاد
النية وأحوال النفس
فكل ما صحت النية فيه
من الصوم والانظار
والواقة وترك اللواقة
فهو الأفضل فأما من
حيث السنة فمن يوافق
له وجه إذا كان صائما
وأفطر للمواقة وإن
صام ولم يوافق فله وجه.
فأما وجه من يفطر
ويوافق فهو ما أخبرنا به
أبو زرعة طاهر عن
أبيه أبي الفضل الحافظ
القدس قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله قال أنا السيد

كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولانهاية للقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منه ومن لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فذروا كل إنسان ولذته بقدر ما يدر كهم من الكمال فهذا هو السبب في كونه العلم والسك والجاه محبوبا وهو أمروراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه السك قد تبقى مع سقوط الشهوات بل بحسب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع الجوانب والشكليات لأن العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون للمعلوم مكشوفاً به ككشف تاماً فإن المعلومات مكتشفة لله تعالى بآتم أنواع الكشف على ماهو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث : من حيث بقاء العلم أبد الأباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانعقاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسطن : متغيرات وأزليات . أما المتغيرات فتألف العلم بكون زيد في الدار فانه علمه لمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويقيم اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون نقصانا لا كلالا فكما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك قصا ويصود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملك مثلا بارتضاع جبل ومساحة أرض وبعدة البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراخ وسائر ما يذكرك في السالك والممالك وكذلك العلم بالافات التي هي اصطلاحات تغير بتغير الأعصار والأمم والمعدات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب .

القسم الثاني : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وبأبصارهم يقولون ربنا أنعم لنا نورنا - أي تكون هذه المعرفة قرأنا مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستمارة ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين الملقب قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن الشكر عن أبي سعيد الخدري قال اصطفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه «دعكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أفطر واقض يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعاده إلا في معرفة الله تعالى وأماما عدا ذلك من المعارف فهناك لا عالمة له أصلا كمعرفة الشر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافي القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استمداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فسكون جملة هذه الطرق كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفهم من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من سمكة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا موافق لما يمكن لاها بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسأمة أضرافه وقوة يده ليطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى الطعام والشراب والملبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه ألبتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كالأقعد جهل فالحق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة النفي وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسدوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملاسكتة وهو العلم والحرية أما العلم لما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفرغ الشهوة ولا يستهويهم التضب فان دفع آثار الشهوة والتضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير التأثير عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالموارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومزنته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والمهلك نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الاتقياء لها كالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يندمان بالموت بل يبقيان كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف اتقاه الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكساب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يندم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والنون زينة

قال رسول الله ﷺ كل
رزقنا ورزق بلال في
الجنة ، فاذا علم أن
هناك قلبا يتأذى أو
فضلا يرجى من موافقة
من يختم موافقه
يفطر بحسن النية
لأحكم الطبع وتقاضيه
فان لم يجد هذا النفي
لا ينبغي أن يتأذى عليه
الشره وداعية النفس
بالبنية فليتم صومه
وقد تكون الإجابة
لداعية النفس لا قضاء
حق أخيه . ومن
أحسن آداب الفقير
الطالب أنه إذا أفطر
وتناول الطعام ربحا
يجد باطنه متغيرا عن
هيبته ونفسه متبهة
عن أداء وظائف
العبادة فيعالج مزاج
القلب للتغير باذهب
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحريه هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا تذروه الرياح - وكل ما تذروه رياح للوت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع للوت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة قهر فالدني فضل الفقر إلا قدر البخله منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بطلقتك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعم والشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والانسان كمالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتنازع به الطعام فكذلك لا يغفل عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار لحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يحسن به مراقبته ومعاونته ليس يخدمه وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس يخدمه وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس يخدمه فان الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفرض إلى أن لا يكون المال والجاه بأعيانها معبوضين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لا يستغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد التوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود التوصل إليه وتترك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقى مستصحباً لثباتها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مضموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مضموم ولكنه لا بوصف صاحبه بالفسق والفساد مالم يعمل الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب يكذب بوخداع وار تكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قلت : طلبه للمنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو متفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالمعاملة . وأما أحد الباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركمات يصلها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفار ياتي به فقد ورد في الخبر « أذيسوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كتمانها مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالى بظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والفسدة] الصوفي يحسن نيته ووجه مقصده ووفور علمه وإتيانه بأدابه تصير عادته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجعلنى على خزان الأرض إني خفيظ علم - فإنه طلب التزلة في قلبه بكونه خفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومحبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على القبايح جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سبب لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يباقي إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المحصلين الحاشعين لله وهو مرء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره بتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدح والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن حب للدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادر على التذيق فلهذا شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللدح يشعر نفس المدوح بكمالها فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تفضل عنه فتحلو عن لذته فإذا استشعرته لم يحل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما ينطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن طدر من مجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وهذه العلة يفيض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موقوف به كما ذكرناه في اللدح . السبب الثاني : أن اللدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقده ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيق وهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تنسج قدرته ويستمتع بانتصاص قلبه كالملك والأكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه يملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللدح إلا على قدرة قاصرة وهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نسكته أعظم لأن الفائت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلفت إلى قوله ويمتدبه أنه وهذا محض بقاء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بأن يلفت إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

فرب العالمين -
تدخل على الصوفي
أمور العادة لموضع
حاجته وضرورة
بشريته ويخف ببادته
نور يقطنه وحسن
نيته فتثور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد «نوم العالم
عبادة وقته تسبيح»
هذا مع كون النوم
عين الغفلة ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاشتغاله على المصالح
الدنيوية والدينية
وتعلق أثره بالقلب
والقالب وبه قوام البدن
باجراء سنة الله تعالى
بذلك والقالب مركب
القلب وبهما عمارة
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدوح واضطرار اللادح إلى اطلاق اللسان بثناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لدينة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للادح لا يعتقد في الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع اللادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى المتع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربع قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفرق فتقص اللذة بها أما الملة الأولى وهي استثمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أومتورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك قزول اللذة التي سببها استثمار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن اللادح ليس يستمد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإعما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الحمدة وخوف للذمة فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكرمه وولطفه وصى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم والرياء لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر التفائق وأصل الفساد ويجر ذلك لاهالة إلى التساهل في العبادات والرياء بها وإلى اقتحام المحظورات لتوصل إلى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها للدين بذئبين ضارين وقال عليه السلام «إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو عখানে الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب الثروة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزائه عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفوا سلم فأخذه اللوث فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسطة الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحققر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد ، فكأنك بأخرك من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحققروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة حير وأبقى - وقال عز وجل - كلا بل يحبون العاجلة وتذرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قيان نباتها التيسيح
والقدس » والقالب
بفردته على طبيعة
الحيوانات يستمان به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة
الملائكة يستمان بها
على عمارة الآخرة
وباجتماعها صالحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب آدمي
بلطف حكيمه
من أخص جواهر
الجنة نبات والروحانيات
وجمله مستودع خلاصة
الأرضين والسماوات
جمل عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أبواب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالايداء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبين على قلوب الخلق يضاها ما يبين على أمواج البحر فانه لا يثبت له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذه الجاه فلا يبق في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تتألم البصيرة الضعيفة وأما من فقدت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاستطاع الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أهوال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتشاركه لذة القبول ويأس بالحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهج اللامية إذ اقتحموا النواحي في صورتها ليستقوا أنفسهم من أعين الناس فيسلبوا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من اللباعات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازها نظر من حيث الفقه إلا أن أبواب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفيق به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يغلو عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بحال ذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذهبوا أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألست وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإما طاعة ذلك البار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتبليس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه عيب الجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزل في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طعمه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال فلا يبالى أكان له منزل في قلوبهم أم لم يكن كالأبالى بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يغلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف ويشارم لئلا يعلو على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكرهه الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استعمار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جميعا - فكونوا
الطبايع وهي الحرارة
والرطوبة والبرودة
والليونة - وكونوا
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مستغرة للآدمي يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طباع
أربع وفي الطعام طباع
أربع فاذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طباع من
طباع الملة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة
لليونة فيعتدل

للمادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي بمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشدّ ألم عندى في سرور يتيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبى أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاجة باقى فى الخوف من سوء الحاجة فمثل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة فى استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به وأقم مطلق على خباثت باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفته التى هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبى أن يسمعك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبيلا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمثلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المثلة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المثلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به. وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يسمعك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان. قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بشى الرجل أنت فأنت والله بشى الرجل، وروى فى بعض الأخبار أن صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأتى على ذلك فدخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا تآمداحوا وإذا رأيتم المادحين فاحتوا فى وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شىء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فتغضب وقال إني لم أمرك بأن تزكبنى، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس غير ما أبكاك الله فتغضب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفناء قلب وتغريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتبيل الطبايع ويضطرب المزاج ويسقم البدن فلك تقدير العزيز العليم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام إني خلقت آدم وركبت جسمه من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقت من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك فدخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم . (٣) حديث ألا تآمداحوا وإذا رأيتم المادحين فاحتوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا تآمداحوا.

إني لأحسبك عزاليا ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فأشهدك على مقتك وإنما كرهوا للفتح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محمقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالمهم عند الله يغضب إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للقرب عند الله والذموم بالحقيقة هو للبعد من الله للثقل في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثمائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفتته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يبه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب اللدح فلاجه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يغلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذهم وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك عيوبك قد أرشدك إلى للمهلك حتى تنقذ فينبى أن تفرح به وتشغل باله الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من اللذمة فهما قصدت الدخول على ملكك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز رقتك لتلوثك بحلمه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهيار إنما يعرفها من قول أعدائه فينبى أن تقتنيه . وأما قصد المدو التعنت فخاية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبى أن لا تكثره ذلك ولا تشغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تغلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك ، فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لمدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقرائه وتعرض لمقا به الأليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فغشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلك بل ينبى أن تقول اللهم أصلحه اللهم ثبت عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يملكون » (١) لما أن كسروا نبيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالخضرة قيل له في ذلك فقال علت آتى مأجور بسببه وما نالني منه إلا خيرة فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يملكون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم يؤذى وهن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن للرة السوداء والرة الصفراء والدم والبطن ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليوسمة في اللة السوداء ومسكن الرطوبة في اللة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسبي ومما يهون عليك كراحة الذمة قطع الطمع فإن من استغنى عنه مهمافك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين اقتناعه وبها ينقطع الطمع عن المال والجواهر مادام الطمع قائما كان حب البقاء واللذع في قلب من طمعت فيه طالبا وكانت همته إلى تحصيل للزلة في قلبه مضروقة ولا يزال ذلك إلا بهم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب المال والبقاء ومحبة اللذع وبخس النعم في سلامته ينال ذلك بنيد جدا .

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم)

اعلم أن لناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدار والساح : الحالة الأولى أن يفرح باللذع ويشكر المادح ويضرب من الهم ويحقد على الدار ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات العصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدار ولكن يمسك لسانه ويجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تحسه للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكابة في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غبه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا تكون زلة المادح أخفى على قلبه وفي غيئه من زلة الذام فهاهنا خاف الذام على قلبه كما خاف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصي الله بمدحك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استقلالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته ثم إنه لا يستقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يفض ولهواه يمتنع ثم إن الشيطان يخيّل إليه أنه من الدين حتى يبتلى على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصديق في العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهور مضرة له في الدين ويجب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيبه ومرشده إلى مهمه ومهد إليه حسنة قد قدل ^(١) رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى ^(٢) وقد روى في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف إلا من ، فقيل يا رسول الله إلا من ؟ فقال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة ^(٣) »

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث ويول للصائم ويول للقائم ويول لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويول لمن لبس الصوف خالف قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

في البلم فأبعا جسد اعتدلت فيه هذه القسطن الأربع التي جعلتها ملاكة وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كلفت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهم ويهجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أمثاله الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضمر القرح والكراهية على الدام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فلما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والدام فلما طمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامه الحالة الثانية فأنها لا تأتي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته وتشاغل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تدر على أن نسوي بينهما في الفصل الظاهر كما لا تدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والدام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في اللدح فهو أن من الناس من يتنى للذة والثناء وانتشار السميت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأى بالعبادات ولا يبالى بمفارقة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المخطورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للذة ولا يسمى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يشكف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكير في آفات اللدح فهو في خطر المجاهدة فارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح مع اللدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره اللدح إذا سمعه ولكن لا يتمى به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين التفاف لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالصد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتليساتها الخبيثة فيغضبها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساد يكون خيرا ليوه التي هو عاجز عن إماتها ولو جاهد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة غفبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاء والفرقة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه يان ذم الرياء ويان حقيقة الرياء وما يرأى به ويان درجات الرياء ويان الرياء الخفي ويان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط ويان دواء الرياء وعلاجه ويان الرخصة في إظهار الطاعات ويان الرخصة في كتمان الذنوب ويان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات ويان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق ويان ما يجب على الريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

كبر الأمر وأنب
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
النعم على النعمة وأن
يشدق بصل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والوضوء قبل الطعام
ينفي الفقر وإعماكان
موجبا لنفي الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجبا
للنعمة . ذهبنا للفقر
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام والرائي عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات : قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم رياءون وقوله عز وجل والذين يعكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فبدح الخالصين ينفي كل إرادته سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١) - نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل البعد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم لما يثابوا بأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم (٢) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآه رآه الله به ومن سمع سمع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا وما الشرك الأصفر بارعول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استمذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرئين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا غني الأغنياء عن الشرك (٧) »

عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يمدح الله تعالى » وقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان . واختلف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصواب من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل كل الطعام إلا مقرونا بالذكر فصره فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنني أقف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسخة من الاستدرك وله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة والبراز من حديث معاذ بن شد ضعيف من صام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق بماله والقارىء لكتاب الله فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسيأتي في كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من رآه رآه الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواء الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظيمة من رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استمذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو واد في جهنم أعد للقراء للرئين الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وصححه ابن عدي (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله

وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته
لئلا يرى الناس أنه صام وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم
التناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه متعال ذرة من
رياء » (١) وقال عمر لما ذن بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم
« أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فأكاد بغضها عن
شماله » (٤) وذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا » (٥) وقال صلى الله عليه
وسلم « إن للرأي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عمالك وحبط أجرك اذهب فخذ
أجرك ممن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت
ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إني تخوفت على أمي الشرك أما إنهم لا يبدون صنعا ولا تمنا ولا قرأ
ولا حجرا ولكنهم يرامون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت
بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال
فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟
قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن
شماله فهذا أشد خلقا خلقته » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لما ذن بن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكنت
ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي « يا معاذ قلت ليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه برى ، ومسلم مع تقديم وتأخير دونها
أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بالفظ إن اليسير من الرياء شرك
وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب
(٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فأكاد أن بغضها عن شماله
متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله (٥) حديث تفضيل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل يعمل
العمل فيكتب له عمل صالح مضمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقي هذا من أفراد بقية
عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل
الله كره الحق الذي لا تسمعه الحفظة على الله كره الذي تسمعه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن
المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عمالك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
رواية جيلة اليحصبي عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرائي وإسناده ضعيف
(٧) حديث شداد بن أوس إني تخوفت على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم بنحوه وقد تقدم
قرىبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم
يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها ويرى ذكرا الله
تعالى دوامه ورياقه .
روث عائشة رضى الله
عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الطعام في ستة
نفر من أصحابه فجاء
أعرابي فأكله باقمتين
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما إنه
لو كان بسمي الله
لكفناكم فاذا أكل
أحدكم طعاما فليقل
بسم الله فإن نسي أن
يقول بسم الله فليقل
بسم الله أوله وآخره .
ويستحب أن يقول في
أول لقمة بسم الله وفي
الثانية بسم الله الرحمن
وفي الثالثة يتم وشرب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته ضحك وإن أنت ضيخته ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سبعة من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جللها عظاماً تصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا سمدت به إلى السماء الدنيا زكته فذكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس بمجاورتي إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تضر به فذكره وتكره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد ينتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أحجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهركا زهر الكوكب الذي له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على غائفه أنا ملك الحمد إنه كان يحمد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر أضرب به بل كان يشتم به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقلعوا به على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد روضة عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتنا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاورتي إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشبیه ملائكة السموات حتى يعطموها به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فإياه لنسئ فتقول للملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على أسانك من الوقية في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تكبر في مجلسك

لله بسلامة أخاس
يقول في أول قص
الحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكان أن للمعدة
طباغة قد ركاز كرنه
بواقعة طابع الطعام
فلقلب أيضاً مزاج
وطبايع لأرباب التفقد
والرعايا واليقظة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة المتناولة تارة
تحدث من اللقمة
حرارة الطيش
بالهوض إلى الفضول
وتارة تحدث في القاب
برودة الكسل بالتقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تنجح رجلا وعندك آخر ولا تنظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تحرق الناس فتخترقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناسطون نشطوا - أندري من هن يامعاذ ؟ قلت ماهن ؟ بأبي أنت وأمي يارسول الله ؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والمظم . قالت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها ؟ قال يامعاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال لما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر عما في هذا الحديث ، وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأ على رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال على كرم الله وجهه : للرأى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم . وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمتق ؟ قال لا قال فإذا عملت لله عملا فأخاه . وقال الضحاك : لا يقولن أحدكم هذا الوجه لله ولو جهك لا يقولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقم منى فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أوتدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فممن إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لولفك بها . إنفتمته وقعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليبري الأذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة . ويقال إن الرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرائ يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فقد أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرأون بما يعملون وصاروا اليوم يرأون بما يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطى العبد على نيته ما لا يسطيه على عمله لأن النية لارياها فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : الرأى يريد أن يطلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد دخل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بي . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مصراة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمك بالهار لأن السمك بالهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوفى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قليل له وكيف ذلك ؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة . وقال إبراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشهر .

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد لللائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بأسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

تحدث رطوبة السهو
والغفلة وتارة ييوسة
المهم والحزن بسبب
الحظوظ العاجلة فهذه
كلها عوارض يتغير
لها التيقظ ويرى تغير
القالب بهذه العوارض
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
للقالب فللقالب أهم
وأولى وتطرق
الانحراف إلى القلب
أسرع منه إلى القالب
ومن الانحراف ما يسقم
به القلب فيموت ملوث
القالب واسم الله تعالى
دواء نافع محرب يقي
الأسواء ويذهب الداء
ويجلب الشفاء . حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمة مشتقة من الساع وإنما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بآرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والترقة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترقة في القلوب بالعبادات وإظهارها فقد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرأى هو العابد والمرأى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم والمرأى به هو الحصول التي قصد المرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك للمرأى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يميز به العبد للناس وهو البدن والري والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالبدن] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالتحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشميت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها ليل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرح هو الذي خفض من صوته وأوصف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال للسبح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالبدن ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[الثاني : الرياء بالهيئة والري] أما الهيئة فتشميت شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في الشئ والمهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعبادته الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التفتع بالازار فوق المعامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى نقشه إلى الحذر من غبار الطريق ولتصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالري على طبقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الفليضة ليرأى بخلها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكتر بالهنا ولو كاف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورأى جمع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ودمم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات للصبوغة والفوط الرقيقة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ هذا التزالي لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح قصده زائرا فصادفه وهو في صحراء ليذر الحنطة في الأرض فلما رأى الشيخ محمد آجاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالتزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله التزالي عن سبب امتناعه فقال لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتسمون القبول عند الفريقين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالدج خوفًا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الدقيق والكتان الدقيق الأبيض وللقصب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفًا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زى مخصوص فيقتل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من اللزعة، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب للصبغة والطباسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الحشنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة.

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهار الفزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالدكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار التنبؤ للمعصيات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقرأة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغمام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاسيح في العبارات وحفظ النحو القريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستئالة القلوب.

[الرابع : الرياء بالعمل] كمرأاة الصلح بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والنزوة والحج والصدقة وباطعام الطعام وبالإحبات في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن للرأي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فاذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفًا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد إلى محبته فاذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه بخشي أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن يخالف مشيئته في الخلووة مشيئة يرمى من الناس فيكاف نفسه الشبهة الحسنة في الخلووة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخاصم به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مرأيا فانه إما يحسن مشيئته في الخلووة ليكون كذلك في اللأ لاخوف من الله وحياء منه، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبخر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطأ والأخذ بأطراف القليل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

[الخامس : المرأاة بالأصحاب والزرائن والمخالطين] كاللدي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو فابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويرتدون إليه أو ملكا من اللوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكاللدي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند محاصنته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت المشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به للراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمزلة في قلوب العباد ومنهم من يخنع بحسن الاعتقادات فيه فكمن راهب أنزوى إلى ديرة سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسله إلى هذا فيذر بلسان غير ذا كرو قلب غير حاضر وكان بعض الفقهاء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنفجر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا ينفق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جرعة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يقع بعلم الله براءة ساحته بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لا يند كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتربه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن للرأين من لا يقع بقيام منزلته بل يلتصق مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الخواج على يده فيقوم له بذلك جاء عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشرط طبقات للرأين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ عليم - وكان المال فيه سم نافع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكأن كثير المال يلهم ويطن ويبنى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد فتنه الجاه أعظم من فتنه المال وكما أنا لا نقول تملك للمال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كأنصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما أو ماسة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاء أو سعى من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس بحرام لأنه ليس برياض بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى مهماته وشعره وقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لآخوانه إذا خرج إليهم»^(١) نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يحب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصده أن يحسن نفسه في أعينهم خفراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمراً باحاً إذ للإنسان أن يحتز من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالآخوان ومهما استغفروه واستغفروهم لم يأنس بهم فاذن للمرأة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك تقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى مهماته وشعره الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

وقت الأكل وبرى
لذكر وحضور القلب
في الأكل أثر كبير
لا يسه الإهمال له ومن
الله كره عند الأكل
التفكير فيها الله تعالى
من الأسنان اللينة على
الأكل فيها السكاسة
ومنها القاطمة ومنها
الطاحنة وما جعل الله
تعالى من الماء الخلو في
القم حتى لا يتغير الذوق
كما جعل ماء العين مالحاً
لما كان شعماً حتى
لا يفسد وكيف جعل
الندوة تنبع من أرجاء
اللسان والقم ليعين
ذلك على المضغ والسوغ
وكيف جعل القوة
المهاضمة مملطة على

والصلاة والصيام والقرآن والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يتصر على إحباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يسمى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه محاص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ^١ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ^٢ به ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانة فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا تقوا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذا أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذا من كبائر المهلكات ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر^(١)، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كإساق بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لتبرأ الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولمعزى لو عظم غير الله بالسجود للسكر كفر أجليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فانتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يمكنون من ضروهم ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما آله أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم قوما ولا ضرا فكيف يمكنون لتبرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يخزي والدن ولدن ولا مولود له ورازع عن والده شيئا بل يقول الأنبياء فيه تسمى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث القتل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمي الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وتجهزه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والصدمة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل المصاحمة ويغسل الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشریح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للراى به والراى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يغلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يغلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى صلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل رعى صلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصدته إلى الرياء فهو المحقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذاها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يعمل ولا يعمل ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يعمل على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بعمله على العمل لا يبنى عنه التمسك والإثم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يعمه على العمل فلما اجتمعا انبثت الرغبة أو كان كل واحد منهما حالوا انفرد لاستقل بعمله على العمل فهذا قد أقصد . مثل ما صلح فترجوا أن يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة وتوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : الراى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى فى دلائلهم بقولهم على ضمايرهم وقال تعالى - ومن الناس من يجيبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آتونا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الففاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر تفاف من ينسل عن الدين باطنا فيجهد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لاء من المنافقين والمراتبين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن وتفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى بدغيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف للذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمها أو يبرأ إليه لاعتنا رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء
واقسامه إلى الدم
والشمل والابن لئذية
للولد من بين فرث
ودم لنا خالصا سائما
للشاريين فبارك الله
أحسن الخالقين فالتفكر
فى ذلك وقت الطعام
وتعرف لطيف الحكيم
والقدر فيه من الذكر
وما يذهب داء الطعام
للغير لمزاج القلب أن
يدعو فى أول الطعام
ويسأل الله تعالى
أن يجعله عونا على
الطاعة ويكون
من دعائه : اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
ومارزقتنا مما تحب
اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مرأى معه أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يراعى بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يراعى بالوقال والسنن التي لو تركها لا يصبى ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتصور رغبته في ثوابها وإيثارة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يسمه الرياء على فعلها وذلك كفضور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجبد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل الرائي جملة ذلك خوفا من اللزوم أو طلبا للمحبة ويسلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتفق ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يراعى بفعله ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لاحتالة . وهذا حال الرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من أجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن القية والرفث لأجل الخلق لا لكالا لعبادة الصوم خوفا من اللزوم ، فهذا أيضا من الرياء المحذور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال الرائي إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن القية فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والقية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه العصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولائك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فبهديها إليه وهي عوراء قبيحة مة طوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للمرائي فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك للزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بدمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أتترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل اللزوم فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فيبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا
ما تحب اجعله فراغا
لنا فيها تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكمل]

فمن ذلك أن يتبتىء
بالملاح ويحتم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لملي
رضي الله عنه « يا ملي
أبدأ طعامك بالملاح
واختم بالملاح فإن للملاح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « لدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتمتع لعبادته كالإطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة العالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده لأصعب الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقب ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والكل مذموم . الركن الثالث : المرأى لأجله فإن للمرأى مقصودا لا محالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيحتل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الخبيث ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في العاصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرهم الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرقبة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض الرائيين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سبيلا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف بجرعة آثم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي ينجس وديعة واتهمه الناس بها فيصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لئلا يلهو له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصده إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يجد من الخاصة والزهاد ويحتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدمانته الزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة آدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يتفعل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكذلك يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهمجدون أو يصومون الخسيس والاثني عشر أو يتصدقون فيوافقهم خيمة أن ينسب إلى السكل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إيهامه من رجسه اليسرى لدغة فقال على بذلك الأيض الذي يكون في المعجبين فحشا بملح فوضعه في كفه ثم لمق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يصل شيئا من ذلك وكالذي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خواف من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحتز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا فيريد أن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا تصرفا أو تعرضا بأن يتطل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يتندر براء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أُمي ضعيفة القلب مشقة على نظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يزال كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم فقد علم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيده وغرور وسبأ في شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من شدته أن فيه مشاوب هي أخفى من ديب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه خول الطماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الخفي القدي هو أخفى من ديب النمل)

اعلم أن الرياء جل وخفي فالجلي هو الذي يمتثل على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاء وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجرد إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنه ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر بإطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا أطلع عليه الناس سره ذلك وإرتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنا النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصبر ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفي فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تصريحًا وتصريحًا ولكن بالتمائل كما يظهر التحول والصفار وخفض الصوت ويسس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفي بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يمدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في اللسان فإن قصر فيه مقصر تقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم تفرقون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا اسم الله عليه
يسارك لكم فيه ومن
عادة الصوفية الأكل
على السفر وهو سنة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
الشيخ أبو زرعة
عن التومى بإسناده
إلى ابن ماجه الحافظ
القزويني قال أما محمد
ابن الثني قال ثنا معاذ
ابن هشام قال ثنا أبي
عن يونس بن القرات
عن قتادة عن أنس
ابن مالك قال ما أكل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان
ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومنهما لم يكن وجود العبادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعم الله ولم يكن خالبا عن غوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يعلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول لقراء يوم القيامة: ألم يكن برخص عليكم السرأتم تكونوا تبتدئون بالسلام ألم تكونوا ترضى لكم الحوائج وفي الحديث: لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد عفاة الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن ترضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجيل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للفلام اتنى بطعام فأنا يقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدة وبأ كل أكلا غنيا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في محادثة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والده عن ولده وبشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الثرى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبرج والحاجة تشتد في البداية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يزدوده له من التقوى فإذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تحضر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصياني الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان غلصا قائما يعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدر أن له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقضان عقاب كالأقار يقدرون على البهائم والصياني والمجانين فإذا لم يجد ذلك فيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس مذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطفه به فإنه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بمجمل نظر الله له لا بمحمد الناس

(١) حديث في الرياء شوائب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدارقطني.

فسلام كانوا يا كلون؟
قال على السفر وصغر
اللقمة ويجود الأكل
بالمنع وينظر بين
يديه ولا يطالع وجوه
الأكليين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب
اليمين ويجلس جلسة
التواضع غير متكئ
ولا متمزز نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
متكئا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجثا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
قال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله؟

وقيام للنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - فكأنه يظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنباً في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة»^(١) فيكون الأول فرحاً بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا الثقات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة المصلين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالانية بما أظهره آخراً وأجر السر بما قصده أولاً ومن اتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القتدين به من غير أن ينشخص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرجوع ليدوم وموجب للسرور لأعماله . الرابع أن يحمد المصلون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبجهم للطبع وبيل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقتة ويحده أو يذمه وبهزأه أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمدهم إياه . وأما للذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه بقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويكظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه واد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فلهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعمت الإخلاص سالماً عن الرياء فلا يطرأ بعده فيرجو أن لا ينطعم عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهاره الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عذر رياء ، ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من أوروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت»^(٢) قال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالاً على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلاً لثواب العمل بل الأقرب أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عهده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثناءها واد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعث على العمل فإن كان باعثاً على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطر وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إني صائم قل بعض القوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطر من صام الأبدي لم أجده بافطر الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبداً ولم يخلقني جباراً عنيداً . ولا يتدنى بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم يضع أحداً يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أكل أحدكم يمينه ولا يشرب يمينه ولا يأخذ يمينه ولا يعط يمينه فإن الشيطان يأكل جهالة ويحرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كر شيئا نسي من ماله وهو يريد أن يطلبه لولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ^(١) » أى النظر إلى خاتمه، وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله ^(٢) » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ فيسد الباقي دون للناضى والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب كالحاضر جماعة في أثناء الصلاة فحرق محصورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتعبد أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باعنا على الحركات فإن غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يفسدها ويضرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى إلى الاحتياط في أمره هو أهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس على سروره أو كسب التزلة والجماع قال قد اختلف الناس في هذا فصار فرقة إلى أنه يحبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وإيمائهم العمل بخاتمته ثم قال ولا تقطع عليه بالحبط وإن لم يتزدد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قاي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية . وقد روى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ^(٣) » ثم تسكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره ما لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتسكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثانى : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودا ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب الحمدة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالحمدة أجرا وغايته أن يغنى عنه فكيف يكون له مخلص أجرو للرائى أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالمعومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا إلى الاحتياط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإيماء انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله ويأخذ جماله ويعطى جماله » وإن كان للأكل تمر أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من فروة الثريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه » ولا ييبس الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع مع الله به ومن رأى رأى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطاع عليه فيسرني فقال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الإيعان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذى غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الانتماء ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأسما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يقصد الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى بما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يعتد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستنفر ورجع قبل القيام يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تعتد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستنفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء باخلاص وختم بالرياء لكان يقصد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا ينال محمد الناس وذمهم فنصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم يعتد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعثة الدين وههنا لا باعثة ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المهدمة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحيث فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعثة الرياء وأطاع بإجابة باعثة الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن جعل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو قلا فإن كانت قلا فخطئكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لما صلي لا يصح الافتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه فنصح باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الافتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاصي فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتم في باعثة باعثة فحقه مجرد ما استقله وإن كان كل باعثة مستقلا حتى لو لم يكن باعثة الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعثة الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت اللقمة بأكلها
فقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليطه عنها الأذى
وليأكلها ولا يدعها
للشيطان ويلقى
أصابعه » فقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليمتص أصابعه فإنه
لا يدري في أي طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإسلات القصعة وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار المنصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومستقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما تراه لأهلها بقانون الفقه والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتحصروا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها زاه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشهير عن ساق الجدد في إزالته ولو بالمجاهدة وتعمل الشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخاف ضعيف العقل والتمييز تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشمر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغمس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتشابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . اللقاه الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنة والجاه وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والفرار من ألم القم والطمع فيما في أيدي الناس وشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ^(١) ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والتقدير في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا انتقى الصفان زلت اللامكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى ^(٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم القم كالبيخل بين الأغنياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبيخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالحيان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أبس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والنفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فائس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة . قيل إن اللامكة تحضر للمائدة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره القدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم التمس ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفنى بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حدثا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في القسط الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في المآل فإن علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيق ولكن إذا بان له أن فيه سمًا أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رهوس الخلاق بالاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستترأت بطاعة الله وتحييت إلى العباد بالنفخ إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تضرع العبد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجح بميزان حسنة لو خلاص فإذا فسد بالرياء تحول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجعة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله يسخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإشراقهم الله لأجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم فقره وفاقة وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فيأن يعلم أن الله تعالى هو السخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والحية وإن وصل إلى الراد لم يخل من اللثة والهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهو فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بآلم مته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيدهم ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا ينفضه إلى الله إن كان محمدا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محموتا عند الله فالعباد كلهم محبة لا يمكن أن لا يكون لأتسم ضرا ولا تقا ولا يمكن موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قوت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضه إلى الناس ويرفهم أنه مرء ومحقوق عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحيه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمنع والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقلد روت أم سعد
رضي الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء ؟ فقالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الأدام
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبلي ولم يقفر بيت فيه
خل » ولا يصح على
الطعام فهو من سيرة
الأحاجم ولا يقطع
اللحم والخبز بالسكين
فيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو (١) إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها الويد وللنازل الرفعة عند الله استحق ما يتلقى بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والنصبات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه ونحاس من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانصطف من إخلاصه أنوار على قلبه يتشرح بها صدره ويفتح بها له من لطائف الكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتدل ذلك له منهج الإخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية الطبية القابلة مغارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تعلق الأبواب دون الفواحي حتى يقنع قلبه بلم الله وإطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرحس في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطاف الله وما يعبده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير مائة يوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - . القام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلا ينمحي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حدم وحصول المترلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم عمالك فأى فائدة في علم غيره فان حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للذمت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكرهية تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لأعماله أقواما وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة والكرهية والإباء وقد يشرح البدي في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره للمعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف النعم وحسب الحدو واستيلاء الحرس عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لنبره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتعل فان الرجل يجبل عليه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة وإذا وضع الحبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا الحبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقرة وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله ، حم من حديث الأفرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أنى لأعرف لأن سلمة ابن عبد الرحمن مجاعا من الأفرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن حمدي .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة عملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نقر ولم نبأ به على الموت فأنسيناها يوم حنين (١) حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للعهد السابق حتى ذكرناه وأكثرت الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك هذه الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم يحضره كلام لا يدعو به إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أو كد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بفائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفع معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به ليكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتفجع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإباء لإبادة ثمرة الكراهة وثمرتها المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التذكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بسوا ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والمثالة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملت الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه ولبيله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة الرائيين ، فأعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة المبدع منع الشيطان عن نزغاته ولا منع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استتارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نقر من السماء فخطفنا الطير أو نهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمل على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان حظها من دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نقر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما تعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا آدمى وعاء شرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلزم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليأكله أو كلة أو أكلتين فإنه ولي حرمه ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة ^(١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك ضايتها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي المعلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب الهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة الميل بمدتك الحواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجidal حتى يسله ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومداغته انصراف عن سر النجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله . وللتخلص من الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يردعه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته وبطيل الجidal معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريض على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجidal والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقعة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزع الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يفيظ الشيطان ويقمه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً يذكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عيب هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث ليتأوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسد من على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد منهم وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في حجر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرج منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلاب منه رجاءه بالكفاية فالرابع فلم يتوقف له وأراد أن يفيظه فزاد في هجته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يواودا الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يواوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزعته فهل يجب التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والنفلة عنه . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » ويتخلل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » وفضل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتر لهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضفاء العباد إلى الدعوة إلى الخمر والزنا فاصارت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والحزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الرصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره . ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو انصار والنافع والمعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يخيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البعد والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي » (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأسره . إذ يخبر (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزووجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجمع فيها ولا ترمى وأنت لا تنظمها فيها ولا تضحى - ومع أنه لم يمت إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الحزن والفتن ومعدن اللذات والشهوات التي هي عنها قال موسى عليه السلام فيها أخبر عنه تعالى - هذان عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا أيها آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة - وقال عز وجل - إنه براكم هو وقيله من حيث لا تبرونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - ولأخذوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من العدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن عثير - صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بآفة الإعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاصح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقصح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقصح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافي امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن النار والنافع والهي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويحتمل أن الهادي والناسخ هو الله ويرى الأسباب وسائط مستخرة كما ذكرناه .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده خمر لم يغسل فأصابه شيء » فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطموس وخالفوا الجبوس » ويستحب مسح العين يبلل اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولا تفضوا أيديكم فانها

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم ومقبله يشبه أن يكون من كلام الصادق الذين لم ينزل عنهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاشتراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى المدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان منابله تشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا تنسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فتجتمع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن نجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يسدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدوّ ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا إيمان ذكره وأما القرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وقد مر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فخلق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على قسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل المحبة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبيهه وعند التنبيه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم قسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوأته لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبيهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع المدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر المدوّ واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر المدوّ وفشال القلب برأيد تطهيرها من اللئيم القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزع الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تلبه ولا تحف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لجري الماء القذر مسدا وملأها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الأسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم السلون أن السر أحرز الصالحين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخرة بالتحدث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «
قبل لأبي هريرة في
الوضوء وغيره قال
نعم في الوضوء وغيره.
وفي غسل اليد يأخذ
الأشنان باليمين وفي
الحلال لا يزدد
ما يخرج بالحلال من
الأسنان وإنما ما يلوكة
باللسان فلا بأس به
ويجتنب التصنع في
أكل الطعام ويكون
أكسكه بين الجمع
كله منفردا فان
الرياء يدخل على البعد
في كل شيء . وصف
لبعض العلماء بعض
العباد فلم يثن عليه
قبل له تعلم به بأسا
قال نعم رأيت يتصنع

الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالمطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » وتجري سائر الأعمال هذا الجرى من الصلاة والصيام والحج والتزوي وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب ، نعم الغازي إذا قام بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزوي في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره بالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للمبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل الصالحين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استأن بماله على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما اتكأ القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيقتان : إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموا ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة عن هو في عمل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل ويكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مأمم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الطريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فظفر إلى جماعة من الفرق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه منزلة أقدام العباد والعلما فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتجبت أجورهم بالرياء والتفتن لذلك فامض وهك ذلك أن يمرض على نفسه

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجبه عونا على مصيبتك وليكثر الاستغفار والحزن ويكنى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يكنى كمن يأكل وهو يضحك

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استأن بماله على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصرا على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال حماد بن عيسى عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يرضى الله عن رجل حتى لا يسمع الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال حماد بن عيسى عن أبي عبد الله وهو ضعيف.

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرئك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل بقائه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فأنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقفا تسلط الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أشدنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمأخذه بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار المدح والثناء عظمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتها خلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء . قال سعد بن معاذ : ما صليت صلاة منذ أسلمت تحدثت نفسي بغيرها ولا تمت جنازة تحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تنيت ولا عنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال للامامة اثنتا عشرة نبت بها حتى تدرك الغداة ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبسكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريفة وفيها غاية للرأفة إذا صدرت من يراني بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الاتقياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطاعات بحجة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للرائي ، فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراءه عند الله ، وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصليين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فإظهار للرأي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ^(٢) كما ورد في الأخبار وبعض المراتين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحجب الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاستأ وأكل حراماً وممناً افطأ آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن ينفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحمهم بموافقة ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحجب للضيف التكاف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإغاث ولا يغل

(١) حديث عثمان قوله ما تنيت ولا عنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الوصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ منذ بايتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه الترمذي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة دمعهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والمالنية كما قال عمر رضي الله عنه رجل عليك بعمل المالنية قال بأمر المؤمنين وما عمل المالنية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الحولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والنائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يغلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى. وأما الصادق الذي لا يرأى فله ستر للمعاصي وبصح قصده فيه وبصح اغتمائه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة »^(١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله »^(٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يغل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا ويغتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك ينميه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه العلة أيضا يغني أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وإساءة يصح إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغتم بتم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لمسايقه من الشهور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به ، نعم التمس الذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يجب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يجب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد . وأما كراهة الذم بالمصيبة من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يجب الحمد ولكن يكره الذم وإتمامه أن يتركه الناس حمدا واذمافكم من حابر عن لذة الحمد لا يجبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المصيبة فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل يغني أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الدام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لنفسه أيضا

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوزقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

ذلك جاء وتكلمنا
وإذا أكل عند قوم
طعاما فليقل عند فراغة
إن كان بعد للغرب
أفطر عندكم الصائمون
وأكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروى أيضا عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بأئمن ولا تجار يصلون
بالليل ويصومون
بالتهار . كان بعض
الصحابة يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحقر ما يقدم له
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ماندرى أيهم أعظم
وزرا الذي يحضر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد شر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن القم مؤلم من حيث يشعر القلب بتقصائه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله ^(١) » وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم ^(٤) » فالقدي يفسق ولا يبالى أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة قد الحياء فهو أهدى حالا ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء يمتزج بالرياء ومشتبه به اشتباه عظيم قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كدب بل الحياء خافق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويياته أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالى فيذهب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي إما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقتبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيعتذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بشان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخر النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخلص هيج الحياء وإخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يحمده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرأى يستحي من اللبايات أيضا حتى إنه يرى مستحجلا في الشيء فيعود إلى الهدوء وضاحا كافر جمع إلى الاتقياض ويزعج أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح وللرأيه الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العفلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تذكر عليه لأن من إجلال الله إجلال في الشبهة لاسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدرون عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام اللباة وما تكلف به للأعراس والتمازي لما عمل للنوايح لا يؤكل وما عمل لأهل العزاء لا بأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتنوا الباب وأزولوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة والبخاري من حديث أبي هريرة إن الله يحب الفنى الحليم للتعفف وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الراحة قطع هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم من أهله وولده لأنهم يتطوون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومنها قصد بستر المصيبة أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرآيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبه إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذل إليهم هذا الخطام محبوبك» (١) فتقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالمحمود أن يحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم أن يحب حبه ومحمد على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بصيها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله واللباح أن يحب أن محبوبك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للصينة لحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا به وذلك غلط وموافق للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ثلاثة في عينه كالصلاة والصوم والحج والفروقاتها مقاسة ومجاهدات إما تصير للديعة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس للذي وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للذي وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلقة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتدبير والتدريس وإتقان السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في غيرها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيعتل على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستعين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عبادته حتى يدفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لانه عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبغي لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمجاهلات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول . الثالثة أن يقدم على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فإذا لم يحب واعتزلت فبدعوك إلى الرياء فإذا لم يحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتعبك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فإذا تركته فقد حسلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونها عنه تنقية بالفة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا قويا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان
فخرج وقال ذكرتموني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فلاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الوليقة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تلقا رياء فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من الساكين
الذين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بنته قسا
مرّ بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرء فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويخوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرء هو عين الرياء فلولا جبه لهدمتهم وخوفهم من ذمهم لماله ولقولهم قتلوا إنه مرء أو قتلوا إنه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأغدى من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يحول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرا تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقاؤهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تنفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يحجر إلى البطالة وترك الحيرات لما دمت تجدد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت نفسك إلى أن تستبدل بحمدك حمد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لقتلوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مرء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت فقد قل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يارضه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمطاة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستشفاه بعد خروجه للاشتغال بمكاته فرأى أن لا يراء في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخوف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت الباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للدوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بيد العبد بما

وقالوا هم الفناء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي وركه نزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرب وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتناق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إتيان المال . أما الخلافة والإمارة فهى من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما ^(١) » فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة ثلاثة الإمام المقسط ^(٢) » أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل ^(٣) » أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل ^(٤) » رواه أبو سعيد الخدرى فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل للفقهاء يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تحملها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويطلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء وتقاد الأمور هو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكاته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بفهم الحديث الذى ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه مطلقه عدله أو أوقفه جوره ^(٥) » رواه معقل بن يسار وعمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشرف على قال اجلس واكنم على وروى الحسن « أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خلى قال اجلس ^(٦) » وكذلك حديث عبد الرحمن بن حمزة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبرانى والبيهقى بن حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الإمام المقسط الحديث مسلم بن حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفه ذكر الأولية (٣) حديث أبى هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل تقدم (٤) حديث أبى سعيد الخدرى أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصمباني فى الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الدياجى ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله إلى عنقه لا يفكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبى زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورواه البراز والطبرانى من حديث بريدة والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبى الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزي للصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عند يسترعيه الله رعية لم يعطها بنصيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خلى قال اجلس الطبرانى موصولا من حديث عصمة هوان مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منسكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ أكرم منك وفيه الغراب بن أبى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر للؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

[الباب الرابع والأربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا فى اللباس تنفث فيه ولها فيه أهوية متوعدة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها^(١) وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فليبه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يعتنوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوى القدي لا يميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم القدين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولوزعت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاق لذة الولاية وأن تستعطي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يجد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كإيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى الداهية وإهمال الحق ونهوى به في صرحهم ولا يستطيع الزرع منه إلى اللوت إلا أن يزول قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أماره الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا^(٢)» فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلدها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة^(٣)» وقال عليه السلام «من استنقى قد ذبح بغير سكين^(٤)» حكمه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من لدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء لإبداهتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطعموه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فليبه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عدرا مرخصا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهد عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضى له فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في لباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية نوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فظفر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي عنده درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لا تنبل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استنقى قد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأقته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا قطر من الحديث وقال يمنعني من الحديث أني أشتي أن أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يهد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لئلا توازيها لغة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويغر عن كل كلام يستعمله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف المهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلة في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس اللب وهو كان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أو لانه يقول إذا أنعم الله على هذه النعمة وتضمن هذه الحكمة فأقصها ليشركني فيها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تراض نفسه وتقوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها » (٢) وقال « نعمت للرضعة وبئست القاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم ينهي عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقومون وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يقوموا وقال ذلك فتنة على للتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويحظ ولا يتمتع منه . واستأذن رجل عمر أن يحظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أعنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذا رأى فيه غايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدى إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وجبا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم انى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عن إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يتمتعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسئل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره نعمت للرضعة وبئست القاطمة ودون قوله حسرة وهى في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت للرضعة وبئست القاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست للرضعة وبئست القاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤسرون على اثنين ولا تلبس مال يتم

الصلاة وما عدا هذين
النظرين فظنره في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزيادة
ونظر إلى الخلق
والصادق لا ينبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا قبل له ولم يعلم
بذلك فهم أن يخلعه
ويغيره ثم تركه وقال
حيث لبسته نويت أني

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن منتهى الظاهر ونخيه إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك الدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وهولاه اشتغل وجاهد نفسك ، فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الرعاة هو الذي يرغب في الآخرة ويزهدي في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجبة القرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجربة على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامه في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردتاه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال المسيح عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تعملون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمان وتعملون بالهوى وما ينفي عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبید الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محلة التجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليركوا هالكهم مهالهم لا ويلكم ماذا ينفي عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينفي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبید الدنيا لا كهيد أقبياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يذفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادی فيوقسكم على سوا آبكم ثم يحزركم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين ولدينا فهم في العاجل طار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فإن قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ غائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ^(٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم وأترك مراعاة الخلق كما يقال لمن خالجه لرياء في الصلاة لا ترك العمل ولكن أعم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بن أبي هاشم (٣) حديث أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

ألبسه في الآن في
أغبره إلا لنظر الخلق
فلا أتمنى النية الأولى
بهذه. والصوفية خصوا
بطهارة الأخلاق وما
رزقوا طهارة الأخلاق
إلا بالصلاح والأهلية
والاستعداد الذي
هبأه الله تعالى لنفوسهم
وفي طهارة الأخلاق
وتعاضدها تناسب واقع
لوجود تناسب هيئة
النفس وتناسب هيئة
النفس هو للشار إليه
بقوله تعالى - فاذا
سويته ونفخت فيه
من روحي - فالتناسب
هو التسوية فمن
للتناسب أن يصحكون
لباسهم مشا كاللطايعهم

كفضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباد الله ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإعسا الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا تركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا مجزوا يباعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أرفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسادس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعا فؤادهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على فيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة يبنى أن لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات يبنى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهنارثة رابعة وهي : جمع المال وأخذ للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجلابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك مثل الحسن عن رجل طلب انتوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قرية إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرنى أني أقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السبيح عليه السلام يطالب الدنيا ليربها تركها لها أبر ، وقال أقل مافية أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مشار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن هجز فلينظر وليعبد وليستغفر قلبه وليزن مافية من الخير بمافية من الشر ليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يعيل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقما تستلذ الخير ونميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنى وإثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه لدينه وبدع ما يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع هذا ذكرنا غرور الجاهل فيمسك المال ولا ينفعه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن فرقة المال في اللباعات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإعسا الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال ففرقه أفضل من إمساكه بكل حال . فإن قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محاس في وعظه غير مرير رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغز منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالتيقطة وهو أن يتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يجب اتباع الناس في الطريق والشي خلفه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا
لكلامهم وكلامهم
مشا كلا لمناهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مفيد بالعلم
والتشابه والتماثل في
الأحوال يحكم به العلم
ومتصوفة الزمان
ملتزمون بشي من
التناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لعدم
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرص وهو على برذون أصغر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فتوجه نحو هاتق بلغ قريبا منها ثم نفي وركه فزول ومشى نحو الحسن ففأراه الحسن متوجها إليه تعافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتعافيت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فثاقطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جالوس الحجاج إليه أن يزيدني كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فليكن بهذه المجالس وأشبابها فأخذوها حلقا وعادة فانه يلتقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة (١) هو لولا ما حملناه من أهر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرفتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق قيام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السديين الاتعجبون آني رجل شيخ كبير وأني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثمائة درهم من العطاء وأن لي سبع بنات من العيال فشكاهن حاله حتى رقى الحسن له وأشبابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا أعداء الله غزا في القسايط الملباة على البغال السبابة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا وراجلا لما اقتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعدّه قيام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قيام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تسكاه به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقفا رآته فاغرا فاه بضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فظلم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أشدّ الحيانة أن يجالسا الرجل فتنطقن إلى جانبه ثم تنطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إلى أنيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا أعداء الله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إننا على ذلك لاتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للزلز فيها هو يسير إذ التفت فرأى قوما يتمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو إلفار جموا ليايقي هذا من قلب العبد في هذه الملامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتفانون ويتعاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

(بيان ما يصح من نشاط العبد لعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا رآهم انبت نشاطه للوافة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبت هذا النشاط فهذا ما يظن أنه مبرأ وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنبه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف للأكل لفرط الشراهة وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى الدواوة يعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لوليت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل القيس في الثياب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويضله التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التجهد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيفتم زوال النوم وفي منزله ربما يضل به النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتجهد دائماً وتسمح بالتجهد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يسر عليه الصوم في منزله ومع أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والسيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فأنك تكون مرئياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزود على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فأنك غلامى ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبك إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهرج هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محمداً الناس بطاعة الله وإن كان ابتعائه لدفع العوائق وتحريك القبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فيوافق علامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخت نفسه فليصل فإن باعته الحق وإن كان ذلك يتقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فإن باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه تزوج النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لم يبكي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتبأكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخفى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيتبأكى تسكفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتبأكى أم لا فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأعساخه خوفاً من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التبأكى . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك غشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الله ذكر أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يبسون الرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من المزابل ويرقصون بها نوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابراً على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والنهم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهاها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لخطب الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمدد ويرفع الصوت فذلك الرياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك المبدعه نفسه ولكن سبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تعزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كبر تضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعل ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مفشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريعا فتزعج نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبري خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يغيب بهذا الضعف ولكن يزول ضعفه سريرا فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكلم على غيره يرى أنه يضيف عن القيام ويتمايل في الشيء ويقرب الخطأ يظهر أنه ضيف عن سرعة الشيء فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت صلاحها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا حقايقه في الباطن واطلموا على ضميره لمتقوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد عقابا كروى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر «تمودوا بالله من خشوع النفاق»^(١) وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاظ خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متفاداة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يحظر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب الخلق وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد ذلك خاطر الركون إلى حمدك بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك لما يكثر جدا فإذا خطر لك فضع كفي اطلاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أماغلت أن العبد فضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آثي أخشاك وأنت لي باقت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبض لك فيما أخلو سررتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عملي تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب على غضبك أعدائي من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نعم لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الدين حفظوا علانيتهم وأصاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه حيل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها في الخبر «إن للرياء سبعين بابا»^(٢) وقد عرفت أن بعضه أغص من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاءين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكى أن جماعة من أصحاب الرضات دخلوا على جبرين الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فنسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله فقال له بهر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقعة فكان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا معصدا ذكر

مثل ديب النمل وبعضه أخفى من ديب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب النمل إلا بشدة التفقد والرقابة وليته أدرك بعد بذل الجهد فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفنيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(يان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم الريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والایمان لما فيه من خطر التعرض للفت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد تغلى حرصا على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك لثافي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويعرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لتعبد محب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من النقي لأن للتقى إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه من النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالقرائن وهلك به فخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الدار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحاسب العبد يوم القيامة فإن قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلو النوافل وأما النقي فيجهد في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه غفاس ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإنما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيع مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود بلفظ الرياء بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لاقرانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الدار في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يبقى زمانه لا يطوى له
ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذي عليه .
وروى أن أمير
المؤمنين عليا رضي الله
عنه لبس قميصا اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع
كفه من ردوس أصابعه
وروى عنه أنه قال
لعمري إن الخطاب إن
أردت أن تأتي صاحبك
فرقع قميصك واخفف
نملك وقصر أملك
وكل دون الشبع .
وحكى عن الجريري
قال كان في جامع بغداد
رجل لا تسكاد تجده
إلا في ثوب واحد في
الشتاء والصيف فمثل
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شأنة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أنفذه رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم قدرته في النجاة والطاعات، والإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم ببله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والنعيم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في الشئ في الطريق ليستكثر باستناباعه أو ترددا منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره ، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله ببله ليسكون له مثل أجره ولكن خدمة التليذ بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا قد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برغفاه قوم فادلوا بحبال ليرفعوه خلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فردته عليّ فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى تردّه عليّ قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدره أو يدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال برحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إليّ فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها عليّ عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولاه يا مبارك الحقه فردّه عليّ فرجع فقال أحب أن تأخذنا لك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أم أترحمي أم أترحم إخوتك أم أترحم عيالك فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مربيا وأسأل عني أنا ، فإذا ن يجب عليّ العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اعتداء الناس به فقط ويجب عليّ المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند العلم وعند الحاقق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا قدما على نوم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يعلم لله ويعبد لله ويخدم العلم لله لا يكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله منه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بماحه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم محله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سحمان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سحمان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال باخني ومادعك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من

كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيا يرى النائم مكانى دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من القسراء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من اللالكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك لبيان فلا تجلس معهم فالتبته ونفرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي يحذاك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعني ويطوفون حولها ويعظمون فكلما شأقت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمز ساعة فأحتمل يا حنفي جهد ساعة لمز الأبد فوق في قلبي للمرة فقال حبيبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنفي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق بهنم قالوا ساقم قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذي صنعت قلت بمتهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تبسده فانظر كيف يكون عز من تبسده ، يا حنفي أقبل على ربك ودع الذهب والحيثة. والقصد أن استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزدوه ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهه العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فبرجى له أن لا يغيب صعبه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والاتباض كي لا ينسبوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتعلل بطلب الاتباض فيطالبها في دعواها قصد الاتباض بموتى من الله غليظ وهو أنه لو علم أن اتباضهم عنه إنما حصل بأن يحدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فقسّم نفسه بذلك فإذا لم تسمح وصححت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها للثقة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان عمله فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الثنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الثنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماله بذلك الوصف لا بالنفى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الثنى أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس صفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتحنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام لثنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة ساجدة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في قبر لكنت لا تقدم الثنى عليه في إكرام وتوقير ألبتة فان الفقير أكرم على الله من الثنى فلا تشارك له لا يكون إلا طماعاً في غناه ورياء له ثم إذا سوت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للثنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن الهالك لجارية له مالى إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة قتلت الطمع بشهد لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الثنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يهضر من الخشوع عنده مالا يهضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بقية صمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زماناً لا يلبس التوب إلا مستأجراً حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً وقال أبو خص الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره وقبل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجبدي وعليه مرقته قيل كان وزن فردكم له وتغاريصه ثلاثة عشر رطلاً فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكفون لبس غير الرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منقصة في أيام مقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذته سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولاً لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصاً لشدته احتياجه لهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوت للفرق بينه وبين ملكته للوجب لشهامة الأعداء به ومهما اعتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء ويدن صريح وقلب رخي وأمر نافذ فيخفف عليه مهاجرة اللذات ومصارعة للكروهات فكذلك المؤمن المرید بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك للؤانة بالخلق خوفاً من أن يعمل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه غف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعم للقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المریدين لمرضاته عوناً وبهم رءوفاً وعليهم عطوفاً ولوشاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة للتجاعة ما يلبيه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدّه بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيّب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقاءهم أشد شوقاً . فليظهر العبد في البداية جده وصدقته وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على التقرب ما هو اللائق بمجوده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والمجد لله وحده .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق الباري الصور العزيز الجبار التكبر الملى الذي لا يضعه عن محمده واضح الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع النفي الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي بهر أبصار الخلق جلالة وبهاؤه وقهر العرش الجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إسحاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلالة ملائكته وأنبياءه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبرياؤه فالعظمة إزاره والتكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء اللوت فأعجزه دواؤه جل جلالة وتقدس أساؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور للنشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التوض بواجب حق للرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرس فيه الرمل له كان ينام عليه بلاوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يحملوا بينهم وبين التراب خائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يتعرض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما فصمته »^(١) وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه »^(٢) فالكبر والمجب داءان مهلكان والتكبر والمجب سقيان مريضان وهما عند الله محقوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب إيضاح الكبر والمجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصى يانها من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشرط في المجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه يان ذم الكبر ويان ذم الاختيال ويان فضيلة التواضع ويان حقيقة التكبر وآتته ويان من يتكبر عليه ودرجات التكبر ويان مابه التكبر ويان البواعث على التكبر ويان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر ويان علاج الكبر ويان امتحان النفس في خلق الكبر ويان المممود من خلق التواضع والذموم منه .

(يان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - ما صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بشير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان »^(٣) وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالى »^(٤) وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يسبحي قالوا ما يكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكرهه الله في النار على وجهه »^(٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصديه ما أصابهم من العذاب »^(٦) وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما لقطير والانس والجن والبهائم اخرجوا واخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعتوه وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما فصمته الخا كرم في الاستدراك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقاله داود وإزاره بالنية وزاد مع أبي هريرة انا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب -

عليهم غير أن ليس
الحسن والرقع يصلح
لسائر الفقراء بنية
التقلل من الدنيا
وزهرتها وبهجتها وقد
ورد « من ترك ثوب
جمال وهو قادر على
لبسه ألبسه الله تعالى
من حلل الجنة » وأما
ليس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بسير
بصفات نفسه متفقد
خفى شهوات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النية في ذلك فله حسن
النية في ذلك وجوه
متعددة بطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
ليس ثوب بينه
لالحشوت تهولا لنعمته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار هنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة ^(٢) » وقال ^(٣) « تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضفاء الناس وسقاطهم ومجزتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أعفاه من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أعفاه ولكل واحدة منك ماؤها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « بشى العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأظلى بشى العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعالي بشى العبد عبد غفل وسها ونسى القابروا البلى بشى عبد عتا وبشى ونسى للبدا وللتهى ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعد الموت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن الترتك والكبر وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصفتها وأمركا بسبعان الله وبمحمد فأنه صلا كل شيء وبها يركى كل شيء ^(٧) » قال السبع عليه السلام : طوبى لمن علم الله كتابه ثم لم يمت جبارا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضغفاء للقلون ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا وأبدكم نارا الثرثارون التشديقون التفتيحون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والشدقون والنفيعون قال التكبرون ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر التكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تعطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يلوهم كل شيء من الضغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يلوهم نار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار ^(١٠) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى لنفسه شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب ائدى أدخله الله عليه يخرج به إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار ففسد ذلك لا يسمه إلا أن يلبس التوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيمة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد تكلف

(١) حديث يخرج من النار هنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح
(٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة تقدم في أسباب الكسب والعاش والعروف خائف مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بشى العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت ميمس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حمار ووضعه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعد الموت البيهقي في الشعب هكذا لم يسل بلفظ تجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو : إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركا باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن العرك والكبر الحديث أحمد والبخارى في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندها من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل غل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الحفص بلفظ إلى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحشر التكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفان حسن غريب .

« يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى (١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطلق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء (٤) » وقال « من فارق روحه جسده وهو برّى من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والقول (٥) » الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماذ رجله فلم يقبله فبعضها وقد الأحنف فزوجه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هبنا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يفصل الحرق يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هو سبيل الغايط والبول، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على النبي صلى الله عليه وسلم « إن من مصالي غلوكها وإن من مصالي الشيطان وظلوكها البطر بأنهم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله وإتباع الهوى في غير ذات الله ، نأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه . (بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجز الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يتبختر في برده إذ أهبطته نفسه فغضب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ الحديث البراز هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطلق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخة وثفته وهمزته قال نفخة الشعر ونفخة الكبر وهمزته الموت ولأصحاب السنين من حديث أبي سعيد الخدري فهو تكام فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برّى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والقول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشهور في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السانيد عن الدارقطني قال إنعاهو الكثر بالتون والرائ وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكثرزون الله والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتبختر في برده قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنائير ويلبس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويستطيلس وكان الشيخ علي بن الهيثي يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر القراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك بطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه التوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرى يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتجزئني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صويتك وعدلتك مشيت بين بردن والأرض منك ويبد جمت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وآتي أوان الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للصورة وعليه جباب خزقد فشد بضها فوق بعض على ساقه وانفج عنها باؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامع بأفقه ثاني عطفه ، صمخذه ينظر في عطفيه أي حريق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخوذ بأمر الله فيها ولا تؤذي حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخليج الجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفة فسمع ابن الأهمم فرجع يتنذر إليه فقال لا تتنذر إلى ربك إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - ومرت بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لثياله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لايت عملك ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فمضجته بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خمره فقال عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تطلتها ، ورأى محمد بن واسع كوله يختال فدعاه وقال أندري من أنت أما أمك فأشترها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكر الله في المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يجمر إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كرههم اثنين أو ثلاثا ، وروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى للهلب وهو يتبختر في جبة خرق فقال يا عبدالله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له للهلب أما ترفني فقال بلى أعرك أولئك نظمة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فبغض للهلب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفاه الله»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها فإن هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى (٣) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى (٤) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى (٥) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد وهو رواية لمسلم أن البارجل من بني ليث غير مسمى

الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بمخالف القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختياراً أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقد على لبس الناعم ولبس الحسن ولكن يجب

جذاها ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأتفق مالا جمعه في غير محبة ورحم أهل الدار والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (٢) » وعن أبي سلمة اللديني عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأتيته عند إفطاره بقدرح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إنى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكرذ كر الله أحبه الله (٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون طعام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشماؤمه وتكره فامات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكا نبياً فلم أدر أيهما اختار وكان صفى من اللاتكة جبريل فرمته رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولاً (٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع لمطعم على خلقى وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التنى (٦) » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بالنفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يطيهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول العباداة

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكانه بها الحديث العقلى في الضعفاء واليهقى في الشعب من حديث أبي هريرة واليهقى أيضاً من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب الصرى والبرار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة اللديني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البرار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد كر نحوه دون قوله ومن أكر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البرار إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكرذ كر الموت أحبه الله وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وذكر أنه قوله ومن أكرذ كر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة متكره وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلاً والموجود حديث أكله مع عذوم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرنى ربى بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلاهما حديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين التنى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأمسند الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه السعدى مختلف فيه

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر الجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الرى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى رى بعينه فأنه تعالى يفتح عليه ويعرفه زياً مخصوصاً فيلزم بذلك الرى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ^(١) » وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ^(٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جذري قد تشفر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ^(٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم للتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ^(٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال اتعش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهمه الله في الأرض وقال احسأ حسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقق عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل فائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتعدي ما ظلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يحزى قليل الورع من كثير العمل ويحزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه ليس لك بدينك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدينك عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علمًا لم يتواضع فيه كان عليه وبال يوم القيامة . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكالة أئمة واعليكم .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروى للوضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة البهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يبال بما لبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له بواقته الله تعالى في إرادته نفسه ويكون هذا الشخص تام الزكية تام الطهارة محبوبا مراديا راع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير أن ههنا مزية قدم لكثير من المدعين .

حكى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والحلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم قليل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وقبح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أتم الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصره عن قوة. ودخل ابن السكالك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خاتمه وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فنف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يهيء إلى السالكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مسكين . وقال بعضهم كما تذكره أن يرث الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكروا أن يرث الفقراء في الثياب المرتفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فتمتحت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرمعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فغصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أنني كنت معهم إلى أخشى أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الحمري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يستقي إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسمى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت تمنحنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال الشبلي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل لهف فيكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خاله البرمكي : الشرف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن ماذ : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يصبر على الدون
فكيف يصبر على
التحف ومن الناس من
يسبق إليه علم ما سوف
يدخل عليه من
اللبوس فيلبسه محمدا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا -
ولبس الحسن من
الثياب هو الأحب
والأولى والأهم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أفصح ، ويقال لأعزّ إلّا لمن تذلّ له عز وجلّ ولا رفعة إلّا لمن تواضع لله عز وجلّ ولا أمن إلّا لمن خاف الله عز وجلّ ولا ربح إلّا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجلّ . وقال أبو طي الجوزجاني : النفس معبودة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجلّ وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجلّ . وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم »^(١) ما تكلمت عليكم . وقال الجنيد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر وللمراده أن التواضع ثبتت نفسه ثم يضعها وللوحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بقلعة وبين يديه غلمان وإذا هم يصفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قلعتك له شريك رجل وأنت بمكة ووصفت له الصفة فقال له أناذلك الرجل قلعتك ما فعل الله بك ؟ فقال إني ترفضت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يرفع الناس . وقال الغيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يسبيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة . وثناخرت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مقتنة ثم آتى البرزاقان فان قل فأنا كريم وإن خف فأنا لثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والفنى في اليقين والشرف في التواضع . نسال الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبيرا عليه ومتكبيرا به وبه يفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعى غير العجب بل لو لم يخلق الانسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبيرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فنذلك يكون متكبيرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبيرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحق غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

عبد العزيز أعوده
في مرضه فرأيت قيمه
وسخا قفلت لامرأته
فاطمة اغسلوا ثياب
أمير المؤمنين فقلت
تفعل إن شاء الله قال ثم
هدته فاذا القميص
على حاله قفلت يا فاطمة
ألم أمركم أن تغسلوه ؟
قالت والله ما له قميص
غير هذا . وقال سالم
كان عمر بن عبد العزيز
من ألبين الناس لباسا
من قبل أن يسلم إليه
الخلافة فلما سلم إليه
الخلافة ضرب رأسه
بين ركبتيه وبكى ثم
دعا بأطهار له رثة فلبسها .
وقيل لما مات أبو الدرداء
وجد في ثوبه أربعون

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي من حديث أبي هريرة إذا اتخذ النسي
دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب
إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية
من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وصبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

لم يشكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمذهبه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خالق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فلذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخعة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تباع الثريا للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاه عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استكف عن استعداده ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فإن كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالتعليم واستنظم واتهرم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحجير استعجالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة ، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلة هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق ولما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يثاق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحق وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خالق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الدنيسة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاجتماعه وشرا أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاعتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزعن من كل شيعة أيع أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم لمؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نخعة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدَّ كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أنبيوني على لباس هو أجد من الكبر وأجد رآن يقتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علام بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الدين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من فجع برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكفه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغصص الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ما جهولا فخارة بتكبر على الخلق وتارة بتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغصن أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظفان مثل ما كان من عمروذ فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكي عن جماعة من الجهلة بل ما يحكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه تكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الدين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتقياء لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فيق في ظلمة الجهول بكبره فيمتنع عن الاتقياء وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتقياء للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قوهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنتم إلا بشر مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون - وقال الدين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم الملائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض غير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال لموسى عليه السلام آمن وذلك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن إتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يشبه الله إلينا فقال تعالى - أم يسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا سأل استحقاقهم واستعبادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نخلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن محالستهم فأنزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واصل

فانه مدله في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تضلوا دينكم بحمد الناس وثنائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى ظلين فلما نظر إليهما أهجبه حينهما فسجد لله تعالى قبله في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني ربي فتواضعت له لأجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاعتري له تعلان مخصوصان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغصص الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغصص الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغصص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريمانة هكنا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار قيل يضنون عمارا وبلالا وصهيبا والقناد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه التكبر عن الفكر والعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا التكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على الصاد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غير خائب نفسه عن الاتقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدرهم ويستصغرهم ويأثم من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن التكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضمها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للقتل وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراؤه على مولاه وما أقبح ما قاماه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى « والعظمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيهما قصمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بالله والنزاع فيه منازع في صفة من صفاتى وإذا كان التكبر على عباده لا يليق إلا بالله فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذى يستذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بمحاقق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالحاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة التكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا جمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون تجاهد التكبرين ومهما انتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والناقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من يناظر للغبية والإفهام لا يهتم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف يقتل فقام آخر فقال تقتلون الدين يأمرن بالقسط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال ﷺ لرجل وكل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قریش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قریش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى
المخسوف وأكل مع
العبيد وإذا كانت
النفس محل الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شهواتها وكم
هواها عسر جدا
فالإيق والأجدر
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للعبد
الدخول في السمة إلا
بعد إتقان علم السمة
وكمال تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بنية هواها للتبع
وتخلصت النية وتدد
التصرف بعلم صريح
واضح وللعزعة أقوام
يركونها ويراعونها

أى اعتلت يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثله لهذا وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خلقتى من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يتمتع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان سيدوه التكبر على آدم والحسد له جفزه ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً لا باد فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بهاتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن قيس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجال ما ترى أئمن التكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغمض الناس ^(١) وفى حديث آخر « من سفه الحق ^(٢) » وقوله وغمض الناس أى ازدراهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله وأخيرته وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيما بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله قد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله .

(بيان ما به التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر إلا على استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا هو يعتقد لها صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أودنيوى فالدينى هو العلم والعمل والدينوى هو النسب والجمال والقوة واللال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء ^(٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحق الناس وينظر إليهم نظره إلى البرائم ويستجملهم ويتوقع أن يبدوه بالسلام فإن بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عنده ويداعيه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه يذنبى أن يرقوا له ويخمدوه شكراله على صنيعه بل الثالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويوزرونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستخزره فى حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان تعاجيه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعاق بالدينا ، أما فى أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كاسيأتى فى طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ، ويقضى أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقديره فى القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كما قال . فان قلت فما بال بعض الناس يزاد بالعلم كبراً وأمناً . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يصكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

لا يرون النزول إلى الرخص خوفاً من قوت فضيلة الزهد فى الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد يرخى من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الفرح . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من التكبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن قيس إن امرؤ قد حبب إلى من الجال ما ترى الحديث وفيه التكبر من بطر الحق وغمض الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بمحدثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغمض الناس تقدم معه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء . قلت هكذا ذكره للصفى والمرفوف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعى فى مسند الشامى من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لا يدري من هو حدث عن أبيه بمحدث موضوع قاله صاحب الميزان .

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلاؤها كبراً وثقافاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن يهوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيئ الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بتهديب نفسه وتركية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخبر أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافياً فتشربه الأشجار بمرورها فتحول على قدر طوعها فيزداد للبر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر همها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئيبه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك - ووصف أوليائه - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم ألفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جارية العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم، ولذلك استأذن نعيم الدارنى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفع حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال للثمن إماماً غيرى وأرتصان وحدثنا فاني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يبارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعنا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فاني سمع آخر الزمان يمثلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نتعجم والبياذ بالله تعالى ورطة البأس والقنوط مع مانع عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ولينا تمسكنا بعشر عشره . فنسأل الله تعالى أن ياملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر واستمالة قلوب الناس

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومغتال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل عن كان قبلكم يتبختر في

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيلم الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حق النساء وكانهم يرون عبادتهم من على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدور بخلق الله مقربا لله آمن من مكروه غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لقربه قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل » (٢) وكمن من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويسلمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه الله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتحقق إلى الله بالتزهد والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فأجدرهم إذا حووه صلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الأعمال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله قريبا من الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى بني ذلك الزمان مرهما فليستأقرا العمل فقد غفرت للخليع وأحببت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحولت التمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي إذا تواضع هيئة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم التكبر والعابد المصعب وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه أيها التآلى على بل أنت لا يغفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزانى أن صاحب الخزندل صاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلنا ينفع عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهي الحق والقبالة بعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإشفاء غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مت الله بأهمل كبره وهو غافل عن هلاك

ردائه إذ أهجه رداؤه
غسف الله به الأرض
فهو يتعاجل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة علمه صحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
وينسد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربعون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
ينشئكم الناس أمة

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يغفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للمعاصي والله لا يغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

نفسه فهذه عقيدة القترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلى حين كان
 نهباً ربح أوقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا اتقى
 الله ظاهراً وباطناً وهو وجل على نفسه مزدور لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والتكبر والحسد
 والفيل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يتن على الله بعمله ومن اعتقد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد
 أحبط بعمله جميع عمله فان الجهل الخفى للعاصي وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكته لنفسه بأنه خير
 من غيره جهل محض وأمن من مكرافة ولا يأمن مكراً الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلاً ذكر
 بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال إني أرى
 في وجهه سفة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنور النبوة ما استكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون التكبر مستقر في قلبه يرى
 نفسه خيراً من غيره إلا أنه يحتج ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قدر سخ
 في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلمة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصمر خده
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستغفر لهم
 أو غضبان عليهم وليس يعلم السكينة أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
 الحد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تظأطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره» ^(٢) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسمهم خلقاً وأكثرهم بشراً وتبسماً وانبساطاً» ^(٣) ولذلك قال الحرث
 ابن جزء الزيدى صاحب رسول الله ﷺ يجئني من القراء كل طابق ضحكاً فأما الذي تلقاه يبشر
 ويلة بك ببوس عين عليك بلمه فلا أكثر الله في السلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك
 لما قال لبيته صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك إن اتبعك من المؤمنين - وهؤلاء الذين يظهر أثر التكبر
 على شمائلهم فأحوالهم أخف حالاً من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لعلة الغير
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده
 فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم ينشئ على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم
 القرآن في كل يوم وفلان ينام سحراً ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكى نفسه ضمناً فيقول
 قصدي فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما صباهاته
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع
 فيكلف نفسه الصبر ليعلمهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن يقال غيره

منه وينزل عليكم من
 السماء ماء ليطهركم به
 ويذهب عنكم رجز
 الشيطان - نزلت هذه
 الآية في المسلمين يوم
 بدر حيث نزلوا على
 حكيث من الرمل
 تسوخ فيه الأقدام
 وحوافر الدواب وسبقهم
 المشركون إلى ماء بدر
 العظيم وغلبهم عليها
 وأصبح المسلمون بين
 محدث وجنب وأصابهم
 الظما فوسوس لهم
 الشيطان أنكم تزعجون
 أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وقد غلب
 المشركون على الماء
 وأنتم تصلون محدثين
 ومجنبيين فكيف

(١) حديث أن رجلاً ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبرار والدار قطن من حديث أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفني في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليضربه ويعظم نفسه وأمامهااته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتجميع الألفاظ وحفظ العلوم الثرية ليغرب بها على الأقران ويعظم عليهم ويعظم الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويفرح بهما أخطأ واحدا منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق التكبر وآثاره التي يشرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يغلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وممع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إن لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم ومكرته على الإنسان التفاخر به فيقول لغيره يا بنطي ويا هندی ويا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لمالك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثلي تسكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطعمه ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل ثم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن يضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة التكبر بأخصى قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان التي تدرف بآناقها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

نرجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادى فشرب المسلمون
منه واغتسلوا وتوضأوا
وسقوا الدواب وملثوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت به الأقدام قال
الله تعالى - وثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أنى معكم -
أمدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
للشركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وأمنة
للصحابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بغير من أحمر ولا أسود إلا أن فضله يتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والتلب والغيرة وذ كر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها أجهت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيمهم وبين التجميلين في لباسهم وخبولهم ومراكبهم فيستحققر النبي الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكدر ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أفقر في اليوم مالا أنا كله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للنبي واستحقاقه للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة النبي وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فسئى ربي أن يؤتيني خيرا من جثثك ويرسل عليا حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبره قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم - . السادس : الكبر بالقوة وغدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والفلسان والعشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستفد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثى لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد ينتخر بكثرة الشرب وكثرة العجور بالنسوان والفلسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلفظه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه الهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي سمناه فانه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء تنصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن ثمرة التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يعمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر

وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة نعم للأومنين
والناس قسم صالح
من الأنعام العاجلة
للمريدين وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكايتها وتعبها
تتكدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
الواطأة عند طمأنينتها
للمريدين السالكين
فقد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأتفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يحتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إبداء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يئسه على أن يعامله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد يتمي إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنه بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بمن الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصوفي وجهه ونظيره شررا وإطرافه رأسه وجلوسته مترجعا ومثكثا وفي أقواله حتى في صوته ونعمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبخره وقيامه وجلوسه وحركاته ومثكثاته . وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو يمين يديه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يسلطون من كرامته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزدد من الله بعدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، وشمى قوم خلف الحسن البصري فنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في غمارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

للنوم ساعتين من ذلك
بجملتها للريد بالهار
وست ساعات بالليل
ويزيد في أحدها
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالترجيح عادة وقد
يحمل ثقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فان النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والدماغ ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في الزواج فان

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخلع لأحد هذين العيين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو متواضع. روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى أخاه فبعت إليه إبراهيم بن آدم أن المال فحدثنا فجاءه سفيان فقيل له يا أبا إسحق تبعت إليه بثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضع ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فسي غذى غنذه فحببت نسي عنده فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وإني لأعرف رجلا منكم شرا مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتزعج منه منها حتى تنهب به حيث شئت^(٢). ومنها أن يتوقى من مجالسة للرضى والمولين ويتعاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقعد على ما قدرته. ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال فأقابه الغلام فقال هي أول نومة نامها قدام وأخذ البطء وملا الصبح زينا فقال الضيف قلت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهب وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال على كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمغ بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضى الله عنه مطلقا لحا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرّة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاعة من الإيمان»^(٥) فقال هرون سألت معنا عن البذاعة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرّة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من آدم وعوبت على كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشى خلفهم فاستل عن ذلك فقال إني سمعت خفك نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكسر في جماعة ضعفاء (١) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الثراك الجديد ورد الثراك الخالق أو نزع الخيصة ولبس الأبنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة (٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث (٣) حديث الرجل الذي به جذري وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا (٤) حديث حملة متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للراويل وحمله وتقدم (٥) حديث البغاة من الاعان أبو داود وابن ماجه من حديث أنى أمامة بن ثعلبة وقد تقدم .

تقص عن الثلث يضرب
الدماغ ويغشى منه
اضطراب الجسم فإذا
غاب عن النوم روح
القلب وأنه لا يضرب
تقصانه لأن طبيعة
الروح والأنس باردة
رطبة كطبيعة النوم
وقد تقصر مدة طول
الليل بوجود الروح
فتصير بالروح أوقات
لاليل الطويلة كالقصيرة
كما يقال سنة الوصل سنة
وسنة الهجر سنة
فيقتصر الليل لأهل
الروح . نقل عن
طى بن بكارة قال :
منذ أربعين سنة
ما أحنى إلا طلوع
الفجر . وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبي هذين فأنتكر قلبي ماداما
تحيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا ختونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجوده لولائه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يأمر المؤمنين فقال إن لي ثوبا ذو أقدانها
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تافت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذقت الخلافة وهي أرفع الطباق تافت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قبض مرقوع الجلب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الفؤ عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاة كان حقا على الله
أن يدخره بعقري الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه
الحق وغمض الناس (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إني امرؤ جيب إلى من الجمال ما ترى (٣)
فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة التكبر
أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يالي إذا انفراد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب
الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنوره فإنه ذلك ليس من التكبر فإذا انقسمت الأحوال
نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحجوب الوسط من
الباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وصدقوا في غير سرف ولا غيبة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب اللوك وأمتوا قلوبكم بالحشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتون وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب القنادس الضواري البسوا ثياب اللوك وأمتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن تواضع
بالاحتمال إذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما خل عن السلف من احتمال
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدري

كيف أنت والليل قال
ماراعيته قط يرى
وجهه ثم ينصرف
وما تأملته . وقال
أبو حنيفة الداراني
أهل الليل في ليهم
أشد ثمة من أهل النهي
في لهوم . وقال بعضهم
ليس في الدنيا شيء
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجده أهل الخلق
في قلوبهم الليل من
حلاوة للناجاة خلاوة
للناجاة نواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض الدارفين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب المستيقظين في
الأسحار فيملؤها نورا
فترد القوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو حمزة الثماليني في مسند السوفية
وأبونعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال لنبى صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ جيب إلى الجمال الحديث هو الذي قبله مما في السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وصدقوا في غير إسراف ولا غيبة النسائي وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها للصنف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يطفئ الناضح ويسفل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخفف النمل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطن عن إذا أعيا ويشترى الشيء من السوق ولا يمنه من الحياء أن يلقه يده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً وأحمر حرراً أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل للعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مثالة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشم قط من شبع ولا يعد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها أخذتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط عبداً ولم يبت إلى أحد شكوى وإن كانت الفتاة لأحب إليهن النساء والغنى وإن كان ليطال جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه غوثي بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة بها مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الغداء لو تبلفت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى الزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لضوا على حالمهم وتدبروا على زهم فأكرم مأهم وأجزل نوابهم فأجدي أستحي إن ترفعت في مبيتني أن يقصر بي دونهم فأصبر أيا ما بسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . لما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به لما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فمن نطلب العز في غير ما عاونت به بذاته هبته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن الله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تبجح وتواضع في غير مثالة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلغون عيشا ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يطفئ الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شيئا الحديث بطوله لم أقف لها على إسناد .

فتستنير ثم تتشعر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشفقون علي وأستاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فان حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كإيراعي الراعي غنمه ويعنون إلي غروب الشمس كأعن الطير إلى أوكارها فإذا

ولا يحقرونه ولا يطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلهم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرأة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقديما في استباق الخيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وقدر حبك للآخرة زهد في الدنيا وقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتف به بالصحة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلاحذ التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يغلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . اللقاه الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلوى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى وكيفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والتذلة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والتذلة وكيفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما أكره - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فليحضر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أفقرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يمشي ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجمله قبل عله وبعماء قبل بصره وبصممه قبل صممه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداياه وبفقره قبل غناه وبجزئه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه قدره - ومعنى قوله - هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه صميا بصيرا إنا هديناه

جنهم القليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
بجيبه نصبوا لي
أقدامهم واقترشوا لي
وجوههم وتاجسوني
بكلامي وتعلموا إلى
يلانعي فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك يعني ما يتحملون
من أجلى وبسعى
ما يشكون من حبي
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقللنا لهم والثالث
أقبل بوجهي عليهم

السييل إما شاكرًا وإما كفورًا - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جمادًا ميتًا ترابًا أولًا ونطفة ثانياً وأصم بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المجالب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأعشبه بعد الجوع وكماه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم هم تنثرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف تنه من تلك الدقة والقلة والحسة والقدارة إلى هذه الرقة والكرامة فصار موجوداً بعد عدمه وحياءً بعد لوث وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل ومهدياً بعد الضلال وقادر ابداً بعد المجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لاشئ "وأى شئ" أخس من لاشئ "وأى قلة أقل من عدم المحض ثم صار بالله شيئاً وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد عدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظيمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهدىناه للتجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من متى - متى ثم كان علقه - ثم ذكر مته عليه فقال - خلق فسوينا فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى - ليديم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطور والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخصاء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته فبحب يفتخ به وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى للبداً والنتهى ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الأمراض المهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من الرقة والبلغم والريح والسقم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويغشى كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نقماً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشئ فيجعله ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهجه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشئ ويرى ما يكون هلاكه فيه ويكره الشئ ويرى ما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحبه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمه وبصره وتلفح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو اللوث للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه وسمه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسن فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة متنة قدرة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تلى أعضاؤه وتفتت أجزاؤه وتتخر عظامه ويصير رمياً رفاقاً ويأكل الدود أجزائه فينتدى بعذته فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسائر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفد منه كل إنسان ويهرب منه لشدة الإثتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يصل منه الكبريان ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً فصار كأن لم يكن بلأمس حصيداً

أفستري من أقبلت
بوجهي عليه أعلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالمصدق للريد إذا خلا
في ليله بمناجلة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
وبصر نهاره في حمية
ليه وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالآثار
تصدر من منبع
الأنوار المجتمعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسدداً حركاته موفرة
سكاته. وقد ورد من
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار - ويجوز أن
يكون لمعينين: أحدهما

كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا ، لا بل يحبه بعد طول البلى ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزاءه للفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قاعة وساء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وخمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجنهم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تخرج بها وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تملأه من قليل وكثير وخير وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحساء الله عليك فلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزفا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من محازيه فإذا شاهده قال سيأولتنا ما لهذا الكتاب لا يضر صغيرة ولا كبيرة إلا أحسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالئ هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره واليباذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع الهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريمه لماتوا من قتله ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الحيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستفدله فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بعنائه ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملائ من الخلق وليس يدرى أيغنى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أقدر أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا فلهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل وللسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق للتواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» (١) وقيل لسان لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى المتقى في الآخرة ولا يتم التواضع بعد للعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأتفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بخت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما فبإيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم لله وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكاة تستبر بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب زهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتكسب مشكاة القلب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والإقرار قبلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى - سيام في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة

(١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للمعيشة

(٢) حديث حكيم بن حزام يا بخت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث

رواه أحمد مقتصرا على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى الدقة والضعفة أمروا به لتكسر بذلك خيالاتهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود وللثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على إتقيته حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق الممدودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم لللكوت والقلب من عالم لللكوت . للقام الثاني : فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ماعدها مما يغنى بالموت فسكال وهي فن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يجتره الكبر من جهة النسب فليدأو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباء ذوى شرف لقد صدقت ولكن بشى ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بولى إنسان أشرف من الدودة التي من بولى فرس هيئات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجهه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خر طينة حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأحياء ما إليه انتسابه إذ يقال بالأذل من التراب ويا أئمن من الحماة ويا أئمن من للضعة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : اقتصر بالقرب دون البعيد فالنطفة واللضعة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لو لمه فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه للعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجهه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبق شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة وللضعة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غير هالكان يعلم به خسة نفسه لمعاسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القفرة التي يتزده عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الأقدار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثائله والمخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت جبرته والحصان تحت إبطه فيسل الغائط يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب
الدرى وتنعكس أنوار
الرجاجة على مشكاة
القلب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى إليه إلى القلب
فيلين القلب للين القلب
فيشابهان لوجود اللين
الذي عنهما . قال الله
تعالى - ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القلب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يسدج
الزمان والمكان في نور
القلب ويسدج فيه
الكلم والآيات والصور

لاستقنره فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قدرته وذلّه هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللد كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خره إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتنظيف والفصل ثارت منه الأتبان والأقدار وصار أتان وأفتر من الدواب للهمة التي لا تمهد نفسها قط فإنا نلظ أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيصير جيفة أفتر من سائر الأقدار لم يتفخر بحماله الذي هو تكفراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي فبينما هو كذلك إذ صار هشما تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبيح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد صمحت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملا .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى وبمنه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهجن من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الدباب شيئا لم يستقنمه منه وأن بقة لو دخلت في أفه أو غلة دخلت في أذنه لتنتله وأن عوكة لو دخلت في رجليه لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجز في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يتفخر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى اختار في صفة يسبقك فيها الهائم . السبب الرابع والخامس : النفي وكثرة المال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمسك من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فإن التكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ذليلا والتكبر بتمسك السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالنفى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في النفي والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مقلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فال تفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشئ من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد لمالك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفتر الغافل بقوته وجماله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازلها وكثرة خيوله وغلمانها إذ شهيد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم بقاء ماله فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يساقبه ويتسلل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب ماله ليعرف أن له ماله كما نظر العبد فرأى نفسه محبوبا في منزل قد أحذفت به الحيات والعقارب والحوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقرى من هذا حاله هل يخضر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تثلل نفسه وبخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
القالب بنور ربها إذ
يصير القلب سما
والقالب أرضا ولذة
تلاوة كلام الله في عمل
للسجدة تستر كون
السكائن والسكلام
المجيد بكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزاومة صفو الشهود
فلا يبقى حيث لا نفس
حديث ولا يسمع
للهاجس حبيب وفي
مثل هذه الحالة تصور
تلاوة القرآن من
فانتهت إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثاني
قوله عليه السلام

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتدارك له للعونة من الله الكريم في تضاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده ونهاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للجنة على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقدم مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول المذاب فكذلك العالم إذا تكبر فبأنه من أوامر ربه بجنائيات على جوارحه ويذنب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والفاسق وغيره وعلم بما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لاجالة الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله أيضاً وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إن لك عندي قدراً ما لم ترفسك قدراً فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من تازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصنروا أنفسهم حتى يعظم عند الله عملهم فهذا أيضاً مما يمتنع على التواضع لاجالة . فإن قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالنسق والابتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم طاب وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخشى أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والابتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتكبر في خطر الحاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير على رتبة من هو عندنا من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحققه وازدراء لكفره وقدر زهده الله الاعلام وفاق جميع السليين إلا أبابكر وحده فالعواقب مطوية بين العباد ولا ينظر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بلم فهو أعذر مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله يغم له بالاسلام ويغم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كمال لم يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لاجاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لما يقتله لأن يشتغل بخوف غيره فإن الشفيق بسوء الظن مولع وشقة كل إنسان على نفسه فإذا حبس جماعة في جنائيتهم وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عهم الخطر إذ يغفل كل واحد منهم عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره . فإن قلت فكيف أفض للبتدع في الله وأبض الفاسق وقد أمرت بفضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفاسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من طاب جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس بمجبة أزهجه من عنده وتزده عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على للطبع ظاهر كونه شرراً والحقد منه ممكن والكبر على الفاسق والبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فإن الضبان أيضاً يتكبر على من غضب عليه وللتكبر غضب وأحدهما شر الآخر ويوجبه وما يمتزجان ملتصقان لا يميز بينهما إلا الوقوف والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور:

القبلة منتظرا مجيء الليل وصلاة المغرب مقبلاً في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولها التسبيح والاعتقار قال الله تعالى لتبني واستغفر لذنوبك وسبح بحمد ربك بالتسبيح والابكار ومن ذلك أن يواصل بين الصلوات بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين الصلوات يفسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله اللذة فيه لآلئك فترى ذلك منه حق لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يغتم لك بالسوء ويغتم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه . فإن قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تنضب لمولوك وسيدك إذ أمرك أن تنضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحقيقة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على الغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هوقرة عنه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويضرب عليه فإن كان الغلام عبدا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يضرب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بأشتال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويضرب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأمهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر بحجة لمولاه إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما الفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ^(١) » إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فإن قال العابد : ذلك لعامل بملء وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر ثابتا عنه لم يحز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فإن قلت : فإن صح هذا فينبى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقتته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبى أن يكون الطالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب
كدر في القلب يدركه
من يرزق صفاء القلب
فيكون أثر النظر إلى
الحق البصيرة كالنذير
في العين للبصر
وبالمواصلة بين
العاشقين يرجى ذهاب
ذلك الأثر . ومن ذلك
ترك الحديث بعد
العشاء الآخرة فإن
الحديث في ذلك الوقت
يذهب طراوة النور
الحادث في القلب من
مواصلة العاشقين
ويقيد عن قيام الليل
سواء إذا كان عريا
عن يقظة القلب ، ثم
تجديد الوضوء بعد
العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فقله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغفل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محفوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف النطاء يوم القيامة قراء فوق تصك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتعكر فيما هو ممكن لتترك بل فيها هو خوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تفرقت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى تصك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تسمه حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتغنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فبرحه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهرا فذلك شر لي فلا يأم من فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال حينئذ كل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما السبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عبدا أدى إلى جيل قليل له في النوم اثنتي فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأتاه فساله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيصدق يعضه ويطمع عياله يعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس هذا كالنفرخ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا قليل له اثنتي فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي يوجبك فأتاه فساله فقل له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى عبرائهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فلي رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يغسه العابد بإظهار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بسين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فنهه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .
حتى لي بسى الفقراء
عن شيخ له بحرامان
أنه كان يغسل في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
العشاء الآخرة ومرة
في أثناء الليل بعد
الانتباه من النوم
ومرة قبل الصبح
فلو ضوه والنمل بعد
العشاء الآخرة أثر
ظاهر في تيسير قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالصلاة حتى يلبس
النوم فان التعود على
ذلك يسير على سرعة
الانتباه إلا أن يكون
واقفا من نفسه وعادته
فيتصل بالنوم

لاغير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمّر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال التواضع في مواقع هيجان الكبر من النفس، ويبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استعراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فنقل عليه قبوله والافتقار له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبراً دفينا فليتيق الله فيه ويستقل بملاجه، أما من حيث العلم فيأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطأه وتوأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فيأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما نهتني له فالحكمة صالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كاله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة واللأ جميعاً فقيه الكبر والرياء جميعاً ولا ينفعه التخلص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعاً مهلكان. الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويثني خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله فذلك يزيله الكبر وهم الشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس التكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بمنهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن. الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويعبر إلى السوق في حاجة الرقءاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل ففور النفس عنها ليس إلا خبث في الباطن فليشتغل بأزائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر. الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقائه من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان ثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله المهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كُتِبَ عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - ويروي عن عبد الله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبنتك ما يكتيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم ينع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برى من الكبر^(١). الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بدلة فإن خور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بإفظ من حمل بضاعته .

ويستجلبه يقوم في وقته العمود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للريدين والطالين وبهذا وصف الهبون قيل نومهم نوم العرق وأكلهم أكل للرعى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سنني فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أفواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فلا يختص بالملا فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فأعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك للرض لا يداويه.

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يعيل إلى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يعيل إلى النقصان يسمى تجانسا ومثله، والوسطية تواضعا. والهمود أن تواضع في غير مثله ومن غير تجانس فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والله إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نطه وغدا إلى باب الدار خلفه قد تحاسن وتذلل، وهذا أيضا غير محمود بل الممود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع على مثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق فبالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسمي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يعتز به ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في محامن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتجانس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس لهؤ من أن تذلل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، فتهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أغنى، وكذلك نهاية التكبر ونهاية النقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخرة، والهمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم نحين إذ أعجبكم كثرتمكم فلم تقن عنكم شيئا - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما منهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بزيادة فيه وفي إسناده القاسم اليمري ضيف جدا.

(٢) «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تجافي جنوبهم عن المضاجع - لأن الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يحصل بين الجنب والضجع نبوا أو تجافيا وقد قيل للنفس نظران: نظرا إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظرا إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقا من النوم ومنعوا حظها من النفس.

يجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك (٢) » .
 وقال ابن مسعود : المهلاك في اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تتأهل إلا بالسمي
 والطلب والجهد والتشعر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والعجب يستند أنه قد سعد وقد ظفر بمראה فلا يسمى
 فالموجود لا يطلب والحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيراً فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تمتدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فله
 العظيم إذ فداء بروحه حتى جرح ففارس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترق مسماً
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن آيت
 قائماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن آيت قائماً وأصبح معجباً . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذبذبوا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلووا طيبته على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر
 فظن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يصيبك ما رأيت مني فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله
 تعالى مع اللانكسة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لما نشأ رضى الله عنهما فيكون الرجل
 مسيئاً قالت إذا ظن أنه حسن وقد قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى والبن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جداً .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فيكدها هو ما
 يتذكر منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات
 والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويعين على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتسكين منها ثم
 إذا أحجب بها عسى عن آفات من لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سمياً ضائعاً فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة تهي عن الشوائب فلما تنفع وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمهلك نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة غلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذبذبوا لحشيت
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهراء قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الهيلي في مسند القردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً .

بما فيها مركز من
 الترابية والجدية ترسب
 وتستخلص وتستل
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - ولأدى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والسكل والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب المهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى - آمن
 هو قانت آتاه أهيل
 ساجداً وقائماً - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يفتخر بنفسه ويرأيه ويؤمن بكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه ويخرجه العجب إلى أن يثقل على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ويرأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يجب بالرائي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني أو دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بسلام الدين وواظب على مدارسة العلم وتابح سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو الهالك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسال الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان: أحدهما أن يكون خائفا على زواله ومشقيا على تسكده أو سلبه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعلمه كرامة في الدنيا واستبعاد أن يعجز عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يعجز على الفاسق حتى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تحلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تدل بعملك وفي الخبر « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك » (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستنكر ردها يباطنه وتجب منه كان مدلا بعلمه لأنه لا يتمعجب من رد دعاء الفاسق ويتمعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة للضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار البعد كالعبادة والصدقة والقرى وسياسة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب به من حيث إنه فيه

(١) حديث إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزعجوا النفوس عن
مقار طبيعتها ورقوها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرات
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضامع
وخرجوا من صفة
القل الهاجع . ومن
ذلك أن يفسر العادة
فان كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في بيتي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى التوسم
وتفسير العادة في
التوسادة والتعطاء

فهو محله ومجراه أومن حيث إنه منه وبسيده وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر وعجى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بحمود الله وكرمه وفضله إذ أنفاس عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لعلانه ونظر إليهم وخلع من جماتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي أن يتعجب النعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات الحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخدمة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلقة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأنى صاحب فرس فأما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك للفرد باختراع الجميع للفرد بإيجاد الوصف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وقتني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداءك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بحموده إذ أنهم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامع لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بملءه وعجب الجليل بجماله وعجب النبي بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده . فان قلت لا يمكن أن أجهل أعمالى وأنا أعلمها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال متى وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فأعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رضى فهذا هو الحق الذى انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل واللم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تتفنى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجيه في الخلق شيئا بعد شيء . هو الذى خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله شيئا في تحريره في كتاب الشكر فانه ألقى به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو أن نحب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوعاء تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة المعدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويقظة الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فان وجد للطعام
تقلا على المعدة ينبغي
أن يعلم أن تقله على
القلب أكثر فلا ينال
حق يذيب الطعام
بالذكر والتلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أقصى من عشائى
لعملة أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لامنك فان كان العمل بالقدره فالتدرة مفتاحه وهذا للفتح يد الله ومهما لم يسطك للفتح فلا يمكنك العمل فالبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لا محالة أرايت لورايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتح لأخذته من قريب بأن يسط يدك إليه فأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن للفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن الثبوت في تحريك اليد بأخذ اللال قرية وإنما الشأن كله في تسليم للفتاح فكذلك مهم خلق القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرفت العوائق وتيسر الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وفضله وكرمه في إثارة إياك على القساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على القساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فكل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واسطفاك بفضله وأبعد العاصي وأعفاه بعده لأعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تصرف قدرتك إلى التدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجديلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى القفل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسببات ما ستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب بمن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه اللال من غير علم فيقول كيف مننى قوت يومى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا فعم الدنيا وهو الناقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المبرور أنه لو جمع له بين العقل واللال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جهمت له بين العقل والنقى وحرمتني منها فلما اجتمعتما إلى أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قرام قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل النقى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقورك لا تمتع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراءة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميعة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبح ولا تدري للفرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خبرت بين الجمال وبين القبح مع النقى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيني الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تغلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم الحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بنى العجب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم لله والأحوط
أن يوتر قبل النوم
فانه لا يدري ماذا يحدث
ويستظهره وسواكه
عنده ولا يدخل النوم
إلا وهو على الطهارة.
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا نام
العبد وهو على الطهارة
عرج بروحه إلى العرش
فكانت رؤياه صادقة
وإن لم ينم على الطهارة
قصرت روحه عن
البلوغ فتكون المنامات
أضغاث أحلام
لا تصدق » والريد
للتأهل إذا نام في
الفراش مع الزوجة
ينتفض وضوءه بالمس
ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلى وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بى ولولا عونى إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجه بعله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حق وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بنى إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأنا أخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فاحذر نفسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تحصن عنكم شيئا وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهى إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكاكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يجنب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الانجذاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفاسق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يجرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يجب بحال لا يتكبر به كعجه بالرأى الخطأ الذى يزين له بجهله فإبه العجب ثمانية أقسام : الأول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيبته ومهنته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وجسم صوته وبالجملة تفصيل خلقته فالتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى الكبير بالجمال وهو التفكير فى أقدار باطنه وفى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت فى التراب وأنت فى القبور حتى استقدرتها الطباع . الثانى : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة البيهقى فى دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولا بين مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل قهروا ، فيه القرح بن فضالة ضعه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

النوم على الطهارة مالم
يترسل فى التذاذ
النفس باللس ولا يندم
يقظة القلب فأما إذا
استرسل فى الالتذاذ
وغفل فتعجب الروح
أيضا لمكان صلاته
ومن الطهارة التى تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الموى وكدورة محبة
الدنيا والتزهر عن
أنجاس القلب والحقه
والحسد وقد ورد « من
أوى إلى فراشه لا ينوى
ظلم أحد ولا يعقد على
أحد غفله ما أجترم »
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قالوا فيما أخبر الله عنهم - من أشدّ منّا قوة - وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاطلع جبلا
ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرعده هضميف النفا
حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن
الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى لحرم ما أراد من الولد^(١) وكذلك قول داود عليه السلام
إن ابتليتني صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر وبورث العجب بالقوة المحبوم في
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه
ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأذى آفة
يسلبها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والنظن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وعمرته
الاستبداد بالرأى وترك للشورة واستجهال الناس الخالفين له ولرأيه وخروج إلى قلة الإصفاء إلى أهل
العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على
ما رزق من العقل ويثكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمنع بحيث يضحك منه
فلا يأمّن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستعصر عقله وعلمه ولعلم أنه ما أوتي من
العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله محارفه الناس أكثر مما عرفة فكيف يعلم معرفة الناس
من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله
من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يداهنه يقن عليه فيزيده عجاوه ولا يظن
بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزداد به عجا. الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حق يظن بعضهم أنه ينجر بشرف نسبه ونجاة آباءه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد
جهل وإن اقتدى بآبائه لما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق
ومدح النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساوهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب
وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - أي لانفاوت في أنسابكم
لا اجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف
بالنقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من
أكرس الناس لم يقل من ينسب إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكرمهم للوفاء ذكر أو أشدهم له استمداد^(٢)
وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو
وخالد بن أسيد هذا البعد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي
صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب^(٣)»

القول المحفوظ في النوم
وانتفتت فيه عجايب
النيب وغرائب الأنبياء
ففي الصديقين من
يكون في منامه مكافاة
ومعاداة فيأمره الله
تعالى وينهاه ويفهمه
في المنام ويصرفه
ويكون موضع ما يفتح
له في نومه من الأمر
والنهي كالأمر والنهي
الظاهر يصي الله تعالى
إن أدخل بهما بل
تكون هذه الأوامر
أكد وأعظم وقصا لأن
المخالفات الظاهرة
تمحوها النسوة
والثالب من الذنب
كن لا ذنب له وهذه
أوامر خاصة تملق بحاله

- (١) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
(٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكرمهم للوفاء ذكر أو أشدهم له استمداد
ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في
ذكر لوت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود
والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقاله غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم ^(١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفيه بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا لأتسككوا لى لا أغنى عنكما من الله شيئا ^(٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتسمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لا أغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها بيلالها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعة ولا يرجوها بنو عبد المطلب ^(٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتق الله أن يغضب عليه فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعة لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب اللقح فلا يؤذن في الشفاعة له وإلى ما ينفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجب منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تفهم شفاعة الشافعين - وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لاحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن اللصبة ولما كان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فلا تنهاك في الذنوب وترك التقوى امتكالا على رجاء الشفاعة بضاهى إتهامك للريث في شهواته اعتمادا على طيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفاء من الأدياء والصالحاء للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقوهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والحشوع قلوبهم ،

(١) حديث يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تعملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يا معشر بني هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفيه بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله لتتدغم لفاطمة وصفية ألا إن لكم رحما سأبلها بيلالها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبلها بيلالها (٤) حديث أرجو سليم شفاعة ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصبرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلامه ضيف جدا .

فما بينه وبين الله تعالى
فاذا أحل بها يغنى
أن ينقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيعاب مقام اللقح
فان ابتلى البدن بعض
الأحايين بكسل وفور
عزيمه يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه
بالماء مسحا حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
العافلين حيث تقاعد
عن فصل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقيب الاستبانه
يجتهد أن يستاك
ويمسح أعضاءه بالماء
مسحا حتى يخرج في

فكيف يعجب بنفسه ويتكلم على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهول وعلاجه أن يتفكر في محازيرهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانتهم وأقدارهم لاستكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ظلم في القيامة وقد تعلق الخصام بهم والملائكة آخذون بنواصيرهم يحرقونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والحزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسب الجهول محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والفلان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفه وأن كلمهم عبيد مجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . - كم من قلة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشر فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يشنون عنه شيئا وهو في أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر للره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفكك ، وتنسى نعم من يملك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يعدو إليك فقره (١) » وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال غاد ورائع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتبختر في حلته قد أهجته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال أرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضع في حقه ومن لا يفعل ذلك قصيره إلى الحزى والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تغلبته وانتباهاته عن زمرة المنافقين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كالمحجود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كاليت للسجى ويقول بأمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفضه اللهم إن أمسكت نفسي فاعف عني لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أهجته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أن هريرة وقد تقدم (٣) حديث أرى كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر أرفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن حبان في صحيحه .

يؤمنون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يطلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذا فترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما صروا عليها لمحبهم بأرائهم والمعجب بالبدعة هو استعسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخاطئ جاهل بخطئه ولوعرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصفى إلى العارف وينجيه قد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب بمهاو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون منهما لرأيه أبدا لا يفتربه إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بمرحلة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومداينة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستشراق عمره في العلم أن لا يهوض في المذاهب ولا يصفى إليها ولا يسمعها ولكن يستند أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء - وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتير ومؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، وهذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر الطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء لتؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونموذبه من الاغترار بخيالات الجاهل .

ثم كتبت ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم الغرور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للهالكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يده مقاليد الأمور ، وقدرته مفاتيح الخبرات والشرور ، وخرج أوليائهم من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائهم ورطبات الغرور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الدجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تهرم الحياة الدنيا ولم يهرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] لفتاح السعادة الثبقت والفتنة ومنبع الشقاوة الغرور والنفلة فلانعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والعرفة ولا وسيلة إليه سوى انتراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من التكفر والعصية ، ولاداعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يطلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التميمي فاذا رأيت شعها مطاها وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بكفامة نفسك وهو عند أبي داود والترمذي .

(كتاب ذم الغرور)

تحفظ بعبادك الصالحين
اللهم إني أسألك تقى
إليك ووجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظهري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابك الذي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم تقى عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحمد
الله الذي بطن غير
الحمد لله الذي ملك
قدر الحمد لله الذي
هو يحيى الموتى وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور واتفقوا قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فصرح صدورهم للإسلام والهدى والفتور هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والتور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن التور هو أم الشقاوات ومنبع الهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع التور فيه ليحذره الريد بعد معرفته فيتقيه فالعقوب من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبني على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري التور وأصناف القترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بعبادى الأمور، الجلية ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وعفلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تعنى عن الاستقصاء وفرق القترين كثيرة ولكن نجملهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثانى من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الآء والولع من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ للمسجد ويخزفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من ترك الأهم ويشغل بغيره. ومنهم من ترك الفرض ويشغل بالنافلة. ومنهم من ترك الباب ويشغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح محارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تنضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبداً أولاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم التور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم التور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله التور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني - الآية. كاف فى ذم التور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا نوم الأكياس وفطرم كيف يخنون سهر الحق واجتهادهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من القترين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونمى على الله (٢) » وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم التور لأن التور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذاً الجهل هو أن يعتقد الشيء وراءه على خلاف ما هو به والتور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بتور بل يستدعى التور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يخرقه فهما كان الجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة وخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا لسمى الجهل الحاصل به غرورا فالتور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث هذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بحوذه وفيه اشطاع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه وقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن فى خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمؤذنين، وينفثهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضمح إلى ما قرأ عثرا من أول الكهف وعثرا من آخرها حسن ويقول اللهم

الخير وهم غطثون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرته الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبة والدنيا تعدو الآخرة نسبة فهي إذن خير فلا بد من إشارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا بين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقبيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدفوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والله في أن حضور المكتب خير من حضور اللعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمته في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فله غروره مسبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمته بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمته الشيطان فيه أصلان : أحدهما أن الدنيا تعد والآخرة نسبة وهذا صحيح والآخرة قوله إن النقد خير من النسبة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبة في المقدار والتقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسبة خير فإن الكافر الغرور يبدل في تجارته درهما يأخذ عشرة نسبة ولا يقول النقد خير من النسبة فلا آركه وإذا حذر الطيب الفواكه ولذات الأطمعة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبة والتجار كلهم يركبون البحار ويعبون في الأسفار قدما لأجل الراحة والريح نسبة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب للنسبة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا يأخذ ألف ألف بل يأخذ مالا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدر مشوبة بأنواع للنقص ولذات الآخرة صافية غير مكدره فإذا غلط في قوله النقد خير من النسبة فهذا غرور منقوض قبوله لفظا ثم مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويحتجهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله لئن صلى الله عليه وسلم أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل أمنت بما جئت به ولطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن نضع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أبغضني في أحب الساعات
إليك واستعملني
بأحب الأعمال إليك
التي تقرني إليك زلي
وتبعدني من سخطك
بعدا أصالك فخطي
وأستغفر لك فخطي
وأدعوك فتسجيب لي
اللهم لا تؤمنني مكره
ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني شرك ولا
تنسئ ذكرك ولا تجعلنني
من الغافلين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوظفونه للصلاة
فان صلى ودعا أمواطي
دعائه وإن لم يتم تعبدت
الأملاك في الهواء وكتب

وأريد به خاص فضل به الغرور عن خصوص معناه فان قال للنقد خير من النسبة أراد به خير امن
نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا
كان مثله والافالتاجر في تبعه على يقين وفي ربحه على شك والتفتقه في اجتياحه على يقين وفي إدرا كدربة
العلم على شك والصيد في ترده في المقتص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء
بالانفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجرب بيت جائعا وعظم ضرري وإن
انجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكره وهو من الشفاء
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من
المرض وللولوت فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو
متنهي العمر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فيه فبوتى إلا التمس أيام
حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا
فأبقى في النار أبدا الأبد وهذا لا يطاق . ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض اللحدين إن كان ما قلته
حقا فقد غلصت وغلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد غلصنا وهلكنا وما قال هذا عن شك منه في الآخرة
ولكن كلم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان: أحدهما الإيمان
والتصديق تقليدا للأنبياء والطماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص
ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه
الثبت القلاني فانه مطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل
يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم
أكثر منه عددا وأعز منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستند
كذبهم بقوله ولا يتر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهام مغرورا فكذلك
من نظر إلى المقربين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها
وجدم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء
واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وعذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم
إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا والآخرة وكذبوا
الأنبياء فكما أن قول العبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك
قول هذا الفنى الذى استرته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر
من الإيمان كاف لمجلة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به . وأما المدرك
الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والألهم للأولياء ولا نطق أن معرفة النبي عليه السلام لأمر
الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونهم
أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلاثا وثلاثين
ويتم المائة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى
المظيم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الانتباه من النوم
والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤمن من أذان
المغرب صلى ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والإقامة وكان العلماء
يصلون هاتين الركعتين
في البيت يجعلون بهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات السكينة والقادر من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزّه عن السكينة والمقدار فإنه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماحه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي حطته عن الجنة التي هي ألبق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وخينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كلبها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم تراستشاقق رؤسها العارفون وتشمز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضربهم كما تضرب رياح الورد بالجعل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الخفافيش وانفتح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكوثر يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إماميين تقليدي وإماما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن ولؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكمهم أيضا من الغرورين فانهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنكم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى بتوطين الإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لاء أيضا مغرورون أعنى للطمئتين إلى الدنيا الفرحين به المترفين بتعبيها الهين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة إيماءه فهم هذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار ولؤمنين جميعا. ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فشاله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حفاظا وأبعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها متقبلا - وجملة أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منها بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخبثا بألف دينار وخبثا بألف دينار وخبثا بألف دينار وفي ذلك كله يحظه للؤمن ويقول اشتريت قصرا يغنى ويخرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يغنى واشتريت بستانا بخرب ويغنى ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يغنى وخبثا بألف دينار وخبثا بألف دينار وخبثا بألف دينار وخبثا بألف دينار والعين لا تحوت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنهم أنهم سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يجعل بهما فانها رمضان مع الفريضة يقرأ فيها بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل ومرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول - لأوتينّ مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع القيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا - روى عن خباب ابن الأرت أنه قال « كان لي على العاص بن وائل دين جفّت أنقاض فلم يقض لي فقلت لي أخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتينّ مالا وولدا (١) » - وقال الله تعالى - ولئن أذقناهم رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلي ربّي إنّ لي عنده للحسنى - وهذا كله من القُرور بالله . وسببه قياس من أقيسة إبليس فعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس للصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى هكذا يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على لماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا أنّي كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلي والتلبس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يغض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنه من اللب ويلزمه للكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنه من القواكه وملأه الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المفضل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنه ولم يحجر عليه وذلك محض القُرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مملكات ومبمدات من الله فان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضة من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجبت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والقُرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربّي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فينبين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرام ولا هذا بهوان ولكن الكريم من أكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا . وللهان من أهنته بمصيق غنيا كان أو فقيرا وهذا القُرور علاج معرفته دلائل السكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يحرف وجه كون الالتفات

والشفاعة حقيق
والصراط والليزان
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يبعث من
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجتي إليها . اللهم
احطط بها وزري
واغفرها ذنبي وتغل
بها مزياني وأوجب لي
بها أمانى وتجاوز عني
بأرحم الراحمين فان
واصل بين المشاهدين
في مسجد جماعته
يعكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصلة
المشاهدين وإن رأى
انصرافه إلى منزله وأن
للمواصلة بين المشاهدين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين جفّت أنقاض الحديث في نزول قوله تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يلقى بعلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ما نعدهم به من مال وبنيين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذناهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إنما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الفرور فان منشأ هذا الفرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتقر بأمثال هذه الحيلالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وفارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل نحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله أهمل الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز لعبد الهمل أن يستدل باهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرًا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يحب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغفور ومنشأ هذا الفرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافق الهوى وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الفرور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإننا نرجو عفوه وانكالمهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بقسمة نعيمهم واعتذارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأبى معاصي العباد في محار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبهم كاعتزاز العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاعتزاز بالله تعالى بقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى الفرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الفرقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يأنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم على كل عبد مصطفي استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرحمته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اعتزاز بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطيب ويغض العاصي فكما أنه لا يغض الأب للطيب يغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم فليفعل . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال هي الصلاة بين المشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بلاغة النهار وتهذب آخره » ويجعل من الصلاة بين المشاءين ركعتين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهمكم إله

عجه للأب للطبع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا زر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى آية كمن ظن أنه يشبع بأكل آية ويروى شرب آية ويصير طالما تعلم آية ويصل إلى السكبة ويراه يمشى آية فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرء من أخيه وأمه وآية - إلا طى سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين الخلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإننا رجوا رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يغوى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله (١) » وهذا هو الحق على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماء رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو أن وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يني بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأوان وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وزعم أن للمستأجر كريم أقرأ العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والقره قبل المحسن قوم يقولون ترجوا الله ويضعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يترجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل إننا لترجوا الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم يزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطى وأزله بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يعيل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله - وسوف يطون حين يرون العذاب من أضل سبيلا - . ولتعلمن نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا ومعمنا فارجنا نعمل صالحا إنا موقنون - أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحرارة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - . كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير - أي ألم نسلمكم سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي عرکم بالله بعد أن معتم وعلمتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير - .

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصل بعد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ نحيثامن حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاحة ولو واصل بين المشاءين بركعتين يطيلهما حسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق المعاصي للتمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فينقطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يغفر الذنوب جميعا - وإن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم - أمرهم بالإنبابة وقال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع الغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع الغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطره أن يسمى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرا بعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أولسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور. الثاني أن تفرق نفسه عن فضائل الأعمال وتقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للنازع من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط للنازع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولإيذاء نفسك وتضييها ولك رب كريم غفور رحيم فيفترب بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه وبقوله إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد السكفار في النار أبدا لا يآبأ مع أنه لم يضره كفرهم بل سلب العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هدم مسكنه في عباده وقد خوف في عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائمان وسائقان يبعثان الناس على العمل فلا يبعث على العمل فهو عن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد أخبر ﷺ وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فمرى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وإهمالهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم وآمنون بكرم الله تعالى وفضلهم راجعون لغفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالمنى ويتال بالمعنى فسلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيارواه معقل بن يسار «يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن الغرور يغلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم الكبير والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إهمال كل ذي رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزبه
أو مكررا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكررا - ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبنا
وإليك النصير - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
ونظر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبعدا ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصلى
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

بطعما لا خوف منه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي^(١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويغات القرآن وما فيه وبمثل أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورتوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بمساقفه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فلهذه أمثلة القروى بالله وبيان الفرق بين الرجاء والفرور وقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون للفترة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعفه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشجرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالتدب يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سيئته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة قال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسيبجات والتبيلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة الغتابين والسكذابين والفسامين والمتناقضين يظهرون من الكلام ما لا يضررونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الفرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما كتبونه من هديانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان يمدد ويحسبه ويوازنه بتسيبجاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخها فيا همما لمن يحاسب نفسه ويحسب خوطا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يهتبط خوفا من فوت الفردوس الأسمى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى الفرورين فهاهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والفرور على القلوب أن يغشى ويتقى ولا يختبره اسكلا على أباطيل النفي وتعاليل الشيطان والهووى والله أعلم .

(بيان أصناف الفترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والفنون منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتمتدقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغترتوا بعلمهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الدبلى في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أراه من حديث معقل .

الأربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وصلى بعد الأربع إحدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من القرآن من - والسماء والطارق - إلى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وإن أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بئكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فأنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام وسعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والقرار منها فهى علوم لاتراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فثال هذا كمرىض به علة لايزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفعل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيبات هيبات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يشنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتيا وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أفلح من زكاه - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية زكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يعرفك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وتوابعه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان السكين معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيدسافة قول للشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسى ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خذى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا (١)» وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى (٢)» وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء (٣)» وقول أبي الدرداء: ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لطمعه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (٤)» فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بدم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتناؤه أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يحمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده وفروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو نه وشككه وطوله وعرضه وعادته ومجلمه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واتقا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتعبد يصلى ركعة يشفع بها وزه ثم يقفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أهد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس
جميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على
الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطفًا بجميع ما يكرهه للملك عاطلا عن جميع ما يحبه
منوسلا إليه بمعرفة له ولنسبه واسمه وبلبه وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانة ومعاملة رعيته
فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفة فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك
أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه
لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه واتقاء فلا يتصور
أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كاتخاف
السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فمن عرف
الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا
مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرًا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع
ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال
ابن مسعود كفى بحشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قتيله
إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال
مرة الفقيه لا يدارى ولا يحسارى ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن
الفقيه من قعه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو الصالح ومن يرد الله به
خيرًا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الغرورين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل
فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليجوع عنها الصفات للسمومة
عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظر والطلب
الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرج عنها ولا
يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك » (١) وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من كبر » (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كأنما كل النار الحطب » (٣) وإلى
قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل » (٤) إلى غير ذلك
من الأخبار التي أو ردتها في جميع ربيع المهلكات في الأخلاق المذمومة فهو لا زينو اظواهرهم وأهلوا
بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم » (٥) فتمدوا الأعمال وما تعبدوا القلوب والقاب هو الأصل إذ لا ينبجوا إلا من آتى الله
بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نمن أو كقبور الوقي ظاهرها مزين وباطنها
جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد للملك
ضيافته إلى داره فحصى باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه
رجل زرع زرعًا فثبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقوية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يحجز
رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فثبت لأن مفارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن

الليل يصلى بعد الوتر
ركعتين جالسًا يقرأ
فيهما فإذا زلزلت
وألهاكم وقيل فعل
الركعتين قاعدا بمنزلة
الركعة قائما يشفع له
الوتر حتى إذا أراد
التسجد يأتي به ويوتر
في آخر تهجدته ونية
هاتين الركعتين نية
الفعل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يتفاوضون في كيفية
نيتهم وإن قرأ في كل
ليلة المديح وأضاف
إليها سورة الأمل
فصير سنا قد كان
العلماء يقرءون هذه
المسور ويترقبون
بركاتها فإذا استيقظ

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم في العلم وغيره
(٤) حديث حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر
إلى صوركم الحديث تقدم .

لا يظهر القلب منها لانتم له الطاعات الظاهرة لإلامع الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقتع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجيب بأنفسهم يظنون أنهم منصفون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وإنما يتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم إذا ظهر عليهم غايل الكبر والرياسة وطلب الملوك والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين وإنى لوليت البدن من الثياب وجلست في البدن من المجالس لسمت في أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الإسلام ونسى الغرور أن عدوه الذي حذر منه مولاة هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والسكينة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بداة زيه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العالم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يحتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يفتض بهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبت باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيئات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يغليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فأنما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيئات إنما ذلك عند الطمع في الملم فأما أنت فحذر من أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يفتح حاله عند السلطان بالطمع فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يتهنى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ملهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال لك وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا عمل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيفتر بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال لك فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم لمن أحسن
الأدب عند الاتقاء
أن يذهب يباطنه إلى
الله ويصرف فكره
إلى أمر الله قبل أن
يجول الفكر في شيء
سوى الله ويشغل
اللسان بالذكر فالصديق
كالطفل الكلف بالشيء
إذا نام بنام على حجة
الشيء وإذا انتبه
يطلب ذلك الشيء
الذي كان كلف به على
حسب هذا الكلف
والشغل يكون اللوث
والقيام إلى الخير
فلينظر وليعتبر عند
انتباهه من النوم ما
فانه هكذا يكون عند
القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح للسليين وبك قوام الدين ، ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلهل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تسرب للآه ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه فنيه بالليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر الماصي ونفقوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحق والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلموا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس مادي وغمض مدركه فلم يفتنوا لها وأهلها وإعما مثله من يربد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه قلمه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شج لطف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد بنت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن الرقابة للخفايا والتفقد للدقائق قراء يسر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار السميت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإشاره في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والابراء والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والالتصق به من إطلاق لسان الطعن في الكافة للقبليين على الدنيا لا عن تنجيع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين القوروز حياته في الباطن بما اعتظم له من أمر وإمارة وعز واتقياء وتوقير وحسن ثناء فلو تميزت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساء يتشوق عليه قلبه وتختلط أوراؤه ووظائفه وعساه يتندر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبوقله من عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر لتقدمه في الفضل والورع وإعما ذلك لأنه أطوع له وأبغ لمراهه وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولعلمهم يستفيدون منه ويرضون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصدة وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للذنوب ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إشاره المحول

كان همه الله فهمه هو وإلا فهمه غير الله والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة القطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور القطرة الذي انتبه عليه ويكون قاترا إلى ربه يباطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهسا وفي الباطن بهذا للعباد قد اتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موقلا ومأبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا اختفاء لئلا يقبل وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فبجهله وقع في حبائل وعساء يصنف ويجهل فيه ظانا أنه يجمع علم الله ليتنفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه تقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى للصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من التناء على نفسه إما صريحا بالدعوى الطولية العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غيبة عن الظن فيه ، ولعله يحكي من الكلام للزيف ما يزيد تزيفه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه قلعه لا يعزيه إليه ليقظ أنهن كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق ليصا فيتخذ قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجهل في تزيين ألفاظه وتسجيعة وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساء غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافا وإني لا أقبل من ثقافك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افرقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا افرقوا واشتغلوا بالأفادة تفايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره تقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرم على التناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أشنع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالظن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول وإنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بصية السلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يتزهد عنه إلا الأقوياء ولا مطمئع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوء ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بهد خيرا بصره بصوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سميته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الفرور الزكي لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعوذ بآله من الغفلة والاعتزاز ومن المعرفة بخفايا الميوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصلوا العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فتعوا من العلوم بحالهم همهم وتركوا المهم وهم به مفترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لانتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن النية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الشئ إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهو لاه مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم. أما العمل فقد ذكرنا وجه الضرر فيه وأن مثاله

بالسان المحذرة الذي
أحيانا بعد ما أماتا
وإليه النشور ويقرأ
العشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسال
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
القلوب فسالت
بقدرها واحتملت
ما وسعت والماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالتطهير أجدر فالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبل مثلهم مثال من به علة البواسير
والبرسام وهو مشرف على الهلاك وعحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستعاضة بتكرار
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستعاضة
لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المنفعة للسكين قد يسقط عليه حب الدنيا واتباع
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتلافي
فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار والعان والجراحات
والديات والدعاوى والبيّنات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا
احتاج غيره كان في الفتنة كثرة فيشتغل بذلك ويمرّص عليه لما فيه من الجاه والرياسة وللأسلوقد
دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للترور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين مصيبة ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد
بالفقه وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه
فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم ثقة
أخبار وحمل أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بأدراك جلاله
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا آمننا من الله فغتر به
مشكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك
العلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الخوف والرجوة ليستثمر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى
- فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشرط المعاملات وحفظ
الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله وآله والبدن من كبوا نعم العلم المهم هو
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى
وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه
ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم
الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإخفاف الخصوم ودفع الحق لأجل القلب والمباهاة
فهو طول الليل والنهار في التفقيش عن مناقضات أرباب المذاهب والمنفعة لسيوب الأقران والتألف لأنواع
التبسيات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الابداء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا للضرورة ما يلزمهم
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو
الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه الزويقي وكلام الوعاظ وإنما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق
الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتغل عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من السكرو القلب وفساد الوضع
والتركيب والتدنية فأنما أبدعت لإظهار القلب والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فترور هؤلاء أعد

يقوم غيره مقامه
والقرآن والعلم لا يقوم
غيرها مقامهما ولا يسد
مسدهما فالمداء الطهور
يطهر الظاهر والعلم
والقرآن يطهران
الباطن ويذهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يحسبون من رجز
الشيطان لما فيه من
النفقة عن الله تعالى
وذلك أن الله تعالى أمر
بقبض القبضة من
التراب من وجه
الأرض فكانت القبضة
جهة الأرض والجلدة
ظاهرها بشرة وباطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على
المتألقين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة
أولئك وإغماهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان
إلا بأن يعلم جدلهم وما جوه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم
يستند منهم ولم يعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالقة ومحققة فالضالقة هي التي
تدعو إلى غير السنة والمحققة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل للجميع . أما الضالقة فلضلتها عن
ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بمسا وإعما أتيت من حيث إنها لم تنهم
رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل غيبة . وأما الفرقة
المحققة فأنما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت
أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل
فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل
والبحت عن القالات وهذيانات البدعة ومناقضاتهم وأهموا أنفسهم وقلوبهم حتى صميت عليهم ذنوبهم
وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه
لا تفاديه بالغبلة والإغما ولقد الرياسة وعز الانتماء إلى الدب عن دين الله تعالى صميت بصيرته فلم
يلتفت إلى القرن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا
من أهل البدع والهوى لما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد
قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكعوا فيه إلا لئلا حيث رآوا حاجة وتوسموا حايلا فيقول قد كروا
بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروا وأعرضوا عنه وأبضوه في
الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل
في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ضل قوم قط بعد
هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) » وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون
فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حرمة من الغضب فقال: « ألهذا بستم أيها أمرتم
أن تضربوا كتاب الله بضمه يعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فاتموا » فقد زجرهم
عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى
كافة أهل اللل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام لما
جادلهم إلا بتلاوة القرآن للترل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها
الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق
الأكسية وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لو نجما
أهل الأرض وهلكنا لم تنفعا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فإنا
نضيق العمر ولا نصرفه إلى ما يفضي في يوم قهرنا وفائقنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في
تفاسيته ثم نرى أن للبدع ليس يترك بدعته بمجذاله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته
فاعتالي بمخاصمة قس ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث
خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إن خالق البشر من
طين - فالبشرة والبشر
عبارة عن ظاهره
وصورته والأدمة عبارة
عن باطنه وآدميته
والآدمية جمع الأخلاق
الحسنة وكان التراب
موطن آدم إبليس
ومن ذلك اكتسب
ظلمة وصارت تلك
الظلمة مجسدة في طينة
الآدمي . ومنها الصفات
للدمومة والأخلاق
الردية . ومنها الظلمة
والسوء فإذا استعمل
الماء قرأ القرآن آتى
بالمطهرين جميعا ويذهب
عنه رجز الشيطان
وأثر وطأته ويحكم له
بالعلم والخروج من

والحسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أشق وتسمى وأنظر من صفاتها ما ينفذه الله تعالى وما يحبه لأنزله عما ينفذه وآتمك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره وممن يرون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا من قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يجنون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبجروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله ما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من اللتين الضمين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساططين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التسكين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليعتقديه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات للذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أخذ حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من الترددن إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهو لأعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن للرجع في الأخلاق المحمودة والنظر عن الذمومة هو العلم بشوائبها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفذه وشغلته حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله لما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف لما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد لما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فتمت طابت له الخلوة ومضى استوحش من مشاهدة الخلق لابل يرى قلبه يتلوى بالخلوة إذا أحرق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقتنعون منها بالتزيق بل بموثق من الله غليظ والمفترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف النطاء عنهم في الآخرة ينتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كابدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور هؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بخله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لا تصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والدفعة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة

حيز الجهول فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النور الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طيعا جالبا للآثم والإثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من النية والكذب وعند التخطب لظهور

فلم يفارق أحاد المسلمين في الانصاف بضعة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمته
وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضمف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف
للرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة الرضى والانصاف به وإنما يفارقه في الوصف
والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الانصاف بمقتضاها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق
بالانصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظم مناج
وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن المنهج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطعامات والشطع وتلفيق كلمات خارجة عن قانون التمرع
والعقل طلبا للإغراب ، وطائفة شغلوا بطارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر محمد
بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزفات والتواجدولو
على أغراض فاسدة فهو لأ شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الأولين وإن لم يصلحوا
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله
ويحرمون الخلق إلى الفرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا
لأنها إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيال والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقة إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا فما يفسده هذا الفرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا
يغني وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم
يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على النابر ،
وبعضهم في المحاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الرضى وصار مغفورا
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم
الحديث أعنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الثرية العالية فهمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاسناد ما ليس
مع غيره ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كماله الأسفار فانهم لا يعرفون العناية إلى فهم معاني
السنة فليسهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بشكثير الأسانيد وطلب المعالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ انهم بعد الإثبات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصرُوا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع
ولا يفتنى ولا يضبط وربما يشغل بمحدث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صح وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
المحتفظ السراعى
المراقب المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو ما كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بعرضه
تحليل عقد العزيمة
كالجوض فيها لا يفتنى
قولا وفلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
وتزاهته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بنجابة الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يحلقها
إلا العالمون - فتفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصنى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو خطأ علمت خطأه وحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فإذا لم تحفظه لم تقصر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمين فيه من التغيير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيئ وجوزت أن يكون ما فيه مغيراً أو غارقاً حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يهز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فأنك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوتقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى : ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والتأثم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع الجنون والصبي في اللمد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق الجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازهم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في اللمد لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والتافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللمد فليكتب سماع الجنين في البطن فإن فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيئاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللمد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها»^(١) وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أحسن أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يحدوا شيئاً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن المحدثين في ذلك جاها وقبولاً غافلاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوها ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيك عليه تجد
بركته وآثره ، ولو
اغتسل عند هسنة
للتجديدات والموارض
والانتباه من النوم
لكان أزيد في توير
قلبه ولكان الأجدر
أن الصبي يفصل لكل
فريضة بأذلا مجهوده
في الاستعداد للمناجاة
لله ويهدد غسل
الباطن بصدق الإجابة
وقد قال الله تعالى
- منيبين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإجابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الحيفية السهلة السمعة
أن يرفع المخرج وعوض

(١) حديث نصر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالغة وما ذكرناه مقطوع به في قوانین أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمو على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا يعنيه ^(١) » فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترتوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأغنى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يفي بجميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفها كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلمة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالضيع له في معرفة لغة الترك والهند وإنما فارتقت لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم القرينين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتفق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف ظروفي وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين القدرح الذي يشرب فيه السكنجين فهو من الجهال الغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تهمة فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر عما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأصل الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكالب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة إلى المعرفة ولب بالاضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأمل العلم بمخارج الحروف والقاعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفياتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المأمود من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالاضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يستند أصحابها أنهم يتألون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المأمود منه ليعنه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه الترمذی وقال غریب وابن ماجه من حدیث أبی هریرة وهو عند مالک من رواية علی بن الحسین مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل
وجواز أداء مقترضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
وللخواص وأهل
العزلة مطالبات من
بواطنهم تحکم عليهم
بالأولى وتلجئهم إلى
سلوك طريق الأعلى
فاذا قام إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجيد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلحات . عشر مرات
ويقول الله أكبر
ذو الملك والملکوت
والجبروت والکبرياء
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطبوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فتشير إلى أمثلة : فمن ذلك خوام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برىء الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسوء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرىء الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطى طيبة نفس وقد قال تعالى - فإن طعن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الإنسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتن ضرورة تقابلته حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يخل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يمتدح الناس وخاف أن لا يسلم لئلا ورد نفسه بينهما فاختار أهون الأئين وهو أن التسليم فسلمه فلافارق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من أم القلب يدلل لئلا فيختار أهون الأئين والسؤال في مظنة الحياء والبراء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مالى القلب وكذلك من يعطى افتداء لشر لسانه أو لشر سماته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بدائه في صخرة بيت المقدس فنادى بأوريا فأجابه ليك يابى الله أخرجه من الجنة لماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فيه لي قال قد فعلت ذلك يابى الله فالصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك يابى الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبك لك قال ألا تأسئى ما ذلك الذنب قال ما هو يابى الله ؟ قال كذا وكذا وذكر هأن للراءة فاطلع الجواب ، فقال يا أوريا ألا تهيبين قال يابى الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الراس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينبيهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تقيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختياره حتى تذهب الدواهي من ذات نفسه لأن يضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها يصلها لاسقاط الزكاة فالنقبة يقول سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والباعى سقطت عنه قد صدق فإن مطمع نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك السال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاطى حسنا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عطين أنت الحق
وملك الحق وقاؤه
حق والجنة حق والنار
حق والنيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاسمت وإليك
حاكت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت للقسام

«ثلاث مهلكات شح مطاع^(١)» وإتباع شحه مطاع بما فعله وقبله لم يكن مطاعاً فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استبطن الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والغرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء الغرورون لا يميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة المباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لما لنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيغاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل مأم . فمنهم فرقة : أهلوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في التجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توسأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال التجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه^(٢) وقد يطول الأمر حتى يضيق الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فبالله مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عنسدر بهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من خارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمل غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن لالوضوء شيطانا يقال له الوهلان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت لاؤخر لاإله إلا
أنت اللهم آت نفسي
تقواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاها اللهم اهدني
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مسئلة
البائس المسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلني
بدعائك رب هقيا
وكن لي رءوفا رحيا
يا خبير المستولين
ويا أكرم المعطين ثم
يصل ركعتين تحية
الطهارة يقرأ في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويميدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقصد العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيهدونه هذا وربما يغمثونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتعظعظ وأعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمناهه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذيه ويقترب باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولورده الحائنه بشعر أو كلام آخر لا لئذ به ذلك إلا لئذ أنه مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيهم لا يحفظون البيهتيم عن الغيبة وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألستمهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية القصور . وفرقة أخرى : اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويمجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكسب الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يعقدون في الطريق من الرقت والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأتقنه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيصلى الله تعالى في كسب الحرام أو لا وفي إتقائه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميص الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفكر إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلا تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه تقل عليه . وفرقة أخرى : جاؤوا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة بيلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراء يتعدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك فيسبح تروك صريح التعدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يهاو ويعد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسكه لم تسمح نفسه بلمعة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولوائهم إذ ظلموا
أنفسهم - الآية وفي
الثانية - ومن يعمل
سوا أو يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يحمد الله
غفورا رحبا - ويستغفر
بعد الركعتين مرات
ثم يستفتح الصلاة
بركعتين خفيفتين
إن أراد يقرأ فيها
بآية الكرسي وآمن
الرسول وإن أراد غير
ذلك ثم يصلي ركعتين
طويلتين هكذا روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه كان
يتشهد هكذا ثم يصلي
ركعتين طويلتين
أقصر من الأولتين
وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجلة من المهلكات كان عنها يعزل لو ترك المجاورة ولكن حب الهمة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضييق بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الضرر في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي ترتبها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وفتت من اللباس والطعام بالدون ومن السكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومراثيا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويغشن معهم السلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجول نفسه أكثر مما يرجو لهم ويجب عمله ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فغده في الظاهر وردة في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدب أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرسعا لا يغلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والويل إلى الريدن له والاشين عليه والفرقة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعم وبالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلى في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويغتم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقدته وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مخفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيئات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يغلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأجابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجمل الناس بخباثات باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالقرائن ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تقرب للتقربون إلى بثل أداء ما اقترضت عليهم ^(١) » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت ، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن العصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم القرائن على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قرأه غيره وتقديم الأهم

(١) حديث ما تقرب للتقربون إلى بثل أداء ما اقترضت عليهم ، البخارى من حديث أبي هريرة بانظ ما تقرب إلى عبدى .

يصلى اثنتى عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فإن في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تقسيم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصاربة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك »^(١) فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأقرب والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة نفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيلظ القبول على أبيه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والعماسي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يسمى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب الغرور عليهم وللقرون منهم فرق كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والهيبة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهبهم وهيتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتسكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشائيل والهيئات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المهادنة والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيب والقطمير ويعزق بعضهم أعراض بعض مما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة هجوز سمعت أن الشجمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتأقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أياتا وتعودت إيراد تلك الأيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شنائهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى للعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى العسكر أُنفدت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحتها وتمتعن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عائنها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي هجوزة ضيفة زينة لا تطبق حمل الدرع والمغفر ؟ قتل لها أجنحت للاستزاء بالملك وللإستخفاف بأهل حضرته والتلبس عليهم

وفي الخبر « عليكم قيام الليل فإنه مرضة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنها عن الأئمة وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للدهاء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهيب بن الورد ، وأبو سليمان الداراني . وعلي بن بكار . وحبيب المجهمي . وكهمس ابن التها . وأبو حازم ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصعبة .

خذوها فآلقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل فمكذبا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرفع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى : زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاة الثياب والرضاء بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات الفيسية والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدكم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لو نوا الثياب ثلاثا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم مخزقة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهو لا أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتعمدون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يحتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرهم . وفرقة أخرى : ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسماء والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأمرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه . وفرقة أخرى : وقفت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أعب نفسي . وبعضهم يقول : قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يفتري به من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفمون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا ييكون عليها وينوحون سنين متواليمة وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالمصوفة لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتهائهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدم
وسماهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب المكي
في كتابه قوت القلوب
فمن عجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلاثة . وأقل الاستحباب
سدس الليل فإما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم فصقه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلاثة أو ينام السدس .
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أتعبك فأني
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه : يا داود
لا تقم أول الليل ولا
آخره فإنه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واحتجبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتنا ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله وله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه لفافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لاهل الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومانع من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري السكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي ويجهه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسمحة تقصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتسكفوا بخدشهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لشكر أتباعهم وينشر بالخدمة أصحهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتقار وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويؤمن أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفرص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والفلة عن كونه عيبا عيب والالفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسالة تضع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عواقب الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج لذلك لا يفيده . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق واشتغ لهم أبواب المعرفة فكلموا تشمموها من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابها فتقيدت قلوبهم بالالفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم والسداد على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أمحوبة وتفيدها فصرنا خطاء وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبدئه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتمجب حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتفعل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قسومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكبدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تحلقت بحبل قهسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليس أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من المطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والالذات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وغلطوا فان الله تعالى سميع حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يظنون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السوادية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانعطاط عن ذروة الكمال - قال لأحب الآفلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتقر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليقع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بعشقة هي كالستر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ التجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترأى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج ورقت الحمر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما حمر ولا قدح وكأنما قدح ولا حمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاأفيه فغاطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيجد يده إليه يأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بهائه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجعله الزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غروره ربما أصرم كذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمغترور منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليتم

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذا الدين »

فانه متين لمن يشاهده

يغلبه ولا تبغضن إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلبق بالطالب ولا

ينبغي له أن يطلع الفجر

وهو نائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيعذر في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فاذا استيقظ

قبل الفجر يكثر

الاستغفار والتسبيح

ويتم تلك الساعة وكما

يصل بالليل يجلس

قليلًا بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يعمرون على بناء للمساجد والندارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أسمائهم بالأجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المظورة فهم قد تعرضوا لخط الله في كسبها وتعرضوا لخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند المعز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على الساكنين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الوضع الذي أتفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده قراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومغتنقة أبصارهم (١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المسلمين ومحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتري به ويرى أنه من الخيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتهون بطيابه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع والحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملاك عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منة على الله تعالى . وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعيب بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يجر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحلیمت مصاحفكم فالدمار عليكم » (٢) وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أنام جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه » (٣) وفرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر
ويصلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يحمد بذلك ترويعا
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هي أول نومة فان
انقبت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أنام
الله عيني . وحكى
لى بعض الفقهاء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
ليوم واليلة . وقد
جاء في الخبر « قم من
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقيل
في تفسير قوله تعالى
- تؤتي الملك من تشاء
وتنزح الملك من تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحلیمت مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أنام جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى السكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون أموالاً في الصدقات على الفقراء والساكنين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء المعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لا يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويسطلمهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألني درهم قال بشر فأبى شيء تبتغي بحجك تزهدا أو احتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتتفق ألني درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وقيصر يرم شعته ومعييل يخنى عياله ومربي يقيم يفرحه وإن قوى قلبك تمطيها واحدا فأفعل فان إدخالك السرور على قلبك السلم وإغاثة اللهبان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حبة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا قلل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انقضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى نفقة باخراج السال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في توبة حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكتنجين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى محتاج إلى السكتنجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الطعام للجبايع والافتاق على الساكنين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لاريا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستدخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يهينه واحدا من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا ومثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فان ضعفت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما يرد لغيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرفة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يسقى يديه ويقول بسلام سلم أو نموذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وفتورا في المزينة
أو تهاونا به لقلة
الاعتداد بذلك
أو اغترارا بحاله فليكن
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
إيواء إلى القرب ويجد
من دعة القرب ما يفتقر
عليه داعية الشوق
ويرى أن القيام وقوف
في مقام الشوق وهذا
يغاط فيه ويهلك به
خاقي من المدعين
والذي له ذلك ينبغي
أن يعلم أن استمرار
هذه الحالة متعذر
والإنسان متعرض
للقصور والتخلف
والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجامع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظم لم يغير منك صفة تغييراً غير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فإن قلت لما ذكرته من مداخل الضرر أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صاح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير الخلق في جو السماء مع بدمه منه استنزه وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش للطلق في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والفقير عظيم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويحبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج للون المنقش من ورق التوت اتخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر القوس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لأقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الأدعي كل ذلك لأن همه أمر دنياء وذلك معين له على دنياء فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فنجز عن تقويم قلبه ونحاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا المهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فإن قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكررت في ذكر مداخل الضرر فبم ينجو العبد من الضرر . فأقول أنه ينجم عنه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والفرقة فلهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة الفريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فالفطنة والذكاء فطرة الحق والبلادة فطرة البليد لا يقدر على التحفظ عن الضرر فضاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن ، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتا ^(١) » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وماقسم الله خلقه حظا وهو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحرم ويتصدق ويحزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويمسك الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عقله ^(٢) » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى نورمت قدماء وقد يقول بعض من يحتاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريحا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فنعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وإدعاء الإيواء إلى جنب القرب واستواء النوم واليقظة ابتلاء وابتلاء حالي وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكيم من الحال في العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزى على قدر عقله الخطيب في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء.

أنس «أنني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله يقول من عبادته وفضله وخاقه فقال كيف عقله؟ قال الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم» (١) وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا أحسن قال ارجموه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالتدراك به صحيح وغيره العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن قامت بيلادة وحماقة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور : يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجيباً من هذه السموات البسيطة وإنما للوفاق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محراب القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكال معرفة وراه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم ينظم في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانبية للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ناز من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجماء والمسال فإن ذلك هو للفسد لانية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى اللقي الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعالم بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بأفان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها فروعها وآفات فروعها ومن ربيع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهالكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن النافع من الله الصفات للذمومة في الخلق فيعلم للذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفاً عن الذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يخلص حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذله الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فإن المرید الخالص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع السكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصرفت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

(١) حديث أنس على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن الحبر في كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه .

فليعلم ذلك فإننا رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقشور . قيل لا حسن يا أبا سعيد إنني أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعدت طهورى لما بالي لا أقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهارة ذنوباً تقيد في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنوب أذنبته قليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاء فقلت في نفسي هذا مرء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكن قلعت ما بالك أتاك نسي بعض أهلك؟ فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره وناهجته والشوق إلى لقائه وقد هجر الشيطان عن إغوائه إديأته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأته من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم للرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطيب وأشرف فوا على العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله وبقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بينهم وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فنذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرافقة ولم يجد فسخة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعزل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاقهم وسهل عليه دواؤهم فأنبت من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من ديب الخمل لا يشعر به المرید فزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتجسين الألفاظ والنفحات والحركات والتصنع في الزي والهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونها توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم يقدمونه وقدموه في المحافل وحكوه على الملوك والسياسين فبعد ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذات لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوق في أعظم لذاتها فند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده ففرو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأماره انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخاق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان غيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المریدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوق في الثرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في النية المخطورة بعد تركه الحلال التسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبق الضحك أو قتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يغيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيترك كون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة قوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يتم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتغطي رأس البر بحجر كبير فجزوا عن الرقي من البر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لاهماله

أشد قلقت وجع يؤلمك
قال أشد قلقت وماذا لك
قال بابي منافي وسترى
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وماذا لك إلا
بذنوب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن الراعى التحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمكن
من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
للو جب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزعة في ترك
الوسادة وقد يتهدل للنوم
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البثر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أمانه أو كفاه ذلك لم يشغل عليه أرايت لو اهتمدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه ينقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتمدوا بغيره فلم يشغل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فتعود باقه من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فليصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم قد تعالى وكان يود لو وجد من يهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمدهم ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب الثروة في قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يترين لها ولا تصنع بل راعى الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع القذبة عنها دون نظر الماشية إليه فلم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لحلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تغرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصيحة وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سيطر عليها حتى عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فاعلم يخشى أن يفسد طريق الاتعاط فأما أن تغرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصيحة أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار . فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الهدى .

تم الجزء الثالث من تخریج أحاديث الإحياء لحافظ العراقي
وبله الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنبا
وله فيه نية للعون على
القيام وقد يكون ذلك
ذنبا بالنسبة إلى بعض
الناس فإذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنبا جالبا للاحتلام
فقس على هذا ذنوب
الأحوال فاتها تخص
بأربابها وبسرفها
أصحابها وقد يرتفق
بأنواع الرفق من
الفراسخ الوطىء
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالما بذنبيه
يعرف مداخل الأمور
ومخارجها وكم من
نائم يسبق القائم لو فرغ
علمه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام العبد

عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على قهرى ومكنتك من التظن لجميع
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدق به ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون إجماله بنفسه
غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالمعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بعلمك تخلصت مني فيجهلك قد وقعت في حبالى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لامنه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونه ومن عرف ضعف
نفسه وهجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفي المعجب ، فأقول : يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوثيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والاقبال فيكون
حاله الانسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن آمن مكر الله فهو خاسر
بعدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حالة في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحاجة وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لإنجاء منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
في قمت الزرع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكي
إلا العالمون والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون والعاملون كلهم هلكي إلا المتخلصون والمتخلصون
على خطر عظيم فاذن الغرور هالك والمتخلص القار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فتسأل الله تعالى النون والتوفيق وحسن الحاجة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربيع المهاركات ، ويتلوه في أول ربيع النجيات كتاب التوبة
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان عقد
وذكر الله تعالى أعملت
عقدة وإن توذنا أعملت
عقدة أخرى وإن صلى
ركعتين أعملت العقد
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كالان خبيث
النفس « وفي خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان في أذنه »
والذى يغفل بقيام الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة أشغال
الدنيا وإتباع الجوارح
والامتلاء من الطعام
وكثرة الحديث واللغو
واللغو وإجمال التوبة
والتوفيق من ختم وقته
ويعرف داءه ودواءه
ولا يهمل فيهمل .

فهرس

بقية عوارف المعارف للمهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنطار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	٢٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب العظيمة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد فيهم	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها

إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ

لِلإمام الفسزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفسزالي
وفلسفته في الإحياء
بمعلم

الدكتور بدوي طنبانة
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي (المقدس)

From the Library of
Muhammad T. Hozien

الجزء الرابع

مكتبة وطبعة "كرياطه فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدر كل خطاب . وبعمده يتم أهل النعم في دار الثواب . وباسمه يقضى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب . وخرب بينهم وبين السماء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إليه توبة من يوقن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . وزجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونزع الخوف رجائنا مزج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول اللطع يوم العرض والحساب . ونعهد لنا عند الله زلفى وحسن مكاب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال القائمين ، وأول إقدام للريدين ، ومفتاح استقامة السائرين ، ومطلع الاصطفاء والاجتهاد للمقربين ، ولأئينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجد بالأولاد ، الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمى واجرم ، فهو شقشقة يعرفها من أخزم ، ومن أشبه آباءه فما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه في كلا طرفي النقي والاثبات والوجود والعدم ، وقد قرع آدم سنّ النعم ، وتقدم على ما سبق منه وتقدم . فمن أخذ قدوة في الذنب دون التوبة قد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب اللائكة المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة آدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الدبان . والتجرد للشر شيطان ، والتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، وقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان ، واضطحب فيه سجتان ، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان ، والصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللائكة بالتجرد لمحض الخير فغارج عن حيز الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنًا محكمًا لا يخلصه إلا إحدى النارين

(كتاب التوبة)

[الباب التاسع]

والأربعون في استقبال

التهار والأدب فيه

والعمل]

قال الله تعالى - وأتم

الصلاة طرفي التهار -

أجمع القسرون على

أن أحد الطرفين

أراد به الفجر وأمر

بصلاة الفجر واختلفوا

في الطرف الآخر قال

قوم أراد به المغرب وقال

آخرون صلاة العشاء

وقال قوم صلاة الفجر

واظهر طرف وصلاة

المغرب والمغرب طرف

وزلنا من الليل صلاة

العشاء ثم إن الله تعالى

أخبر عن عظيم بركة

الصلاة وشرف فائدتها

ومعناها وقال - إن

الحسنات يذهب

فار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خباثات الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين ، والبادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطراب . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقفا من الدين هذا للوقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمراتها والآفات للنافعة منها والأدوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة ويان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيما عنه التوبة وهو الذنوب ويان انقسامها إلى صفائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى ويان كيفية توزيع الدرجات والمدرات على الحسنات والسيئات ويان الأسباب التي بها تعظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ماضى من اللظام وكيفية تكفير الذنوب ويان أقسام التائبين في دوام التوبة : الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم للقصور بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وفعل ، فالعلم الأول والحال الثاني والفعل الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجابا اقتضاء اطراد سنة الله في الملك والمملكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محقة يتيقن غالب على قلبه ثار من هذه العرق تآلم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تآلم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفقوت فيسمى تآلمه بسبب فعله المفقوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي والاستقبال أما تعلقه بالحال فبالتارك للذنوب الذي كان ملاسبا وأما بالاستقبال فبما عزم على ترك الذنب المفقوت للمحبوب إلى آخر العمر وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلا للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الحجرات وأعنى بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب عموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيشر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب فإر الندم فيتألم بها القلب حيث يصير باسرا قد نور الايمان أنه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحب أو انحسار حجاب قرأى حبرية وقد أشرقت على الهلاك فتشتمل نيران الحب في قلبه وتنبت تلك النيران بارادته للاستباض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالتارك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والقدمة والتارك كالثمره والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة (١) » إذ لا يغفل الندم عن علم أو حبه وأثره وعن عزم ينجمه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطريقه أعنى ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا يعرض لجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات أى الصلوات
الحسن يذهب
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كتب
ابن عمرو الأنصاري
كان يبيع التمر فأتت
امراة فتباعت تمرا فقال
لها إن هذا التمر ليس
بجيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
قالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى
نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
رود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفعل
الرجال بالنساء إلا
ركبه غير أنهم يجامعها
قال عمر بن الخطاب

في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات اللذيمة بالحركات الحمودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وفضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار ^(١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهdy إلى أول الطريق ثم يتهدى بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام . فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما عوزه ذلك فيتعبر . فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده يختصر وخطاه قاصرة ومن سعيده شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلك طريق معوضة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يحترق . بأدنى بيان فكأنه يكاد زيتة يضيء . ولو لم تمسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهdy الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ماهي ثم إلى الوجوب مامنها ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوتها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ماهو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لو صفه بكونه واجبا معني . وقول القائل صار واجبا بالاجاب حديث محض فان مالا غرض لنا أجلا عاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجه علينا غيرنا أو لم يوجهه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشقى لامحالة محول بينه وبين ما يشتهى يحترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لا يبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والآكيات على حب مالا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا يقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره والمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله للبعدين عن حضرته سبب كونه محبوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح مثل هذا اللقاه للرفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع له

(١) الأخبار الدالة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر الزني يأبها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن ماجه من حديث جابر يأبها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف .

لقد ستر الله عليك لو
سترت على نفسك ولم
يرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه شيئا
وقال أنتظر أمر ربي
وحضرت صلاة العصر
وصلى النبي عليه الصلاة
والسلام العصر . فلما
فرغ أتاه جبريل بهذه
الآية فقال النبي عليه
الصلاة والسلام : أين
أبو اليسر قال هاأنذا
يا رسول الله قال شهدت
منا هذه الصلاة قال
نعم قال انذهب فاتها
كفارة لما عملت قال
عمر يا رسول الله هذا
له خاصة أو لنا عامة ،
قال بل للناس عامة
فيستعد العبد لصلاة
الفسح باستكمال
الطهارة قبل طلوع

بحال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذاً من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أومأ شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته » (٢) وفي بعض الألفاظ قال من شدة فرحه إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد . وروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته لللائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرأت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعائى منهم ليته كاليوم ومن سألى الغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب عجب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين صاخبين ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع متفق من الأمة على وجوبها إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فعنى هذا العلم بإزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لاجتماع عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب . فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم بالندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله - والله خلقكم وما تعملون - وهذا هو الحق عند ذوى الأبصار وما سوى هذا ضلال . فان قلت أفليس لابد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب التواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبه الله بن أحمد في زوائد المسند وأبى يعلى بسند ضعيف من حديث على بن الله يحب العبد للمؤمن المتقين التواب (٢) حديث الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس زاذ مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبيد وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصراً .

الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في أول الليل ثم يؤذن إن لم يكن أجاب المؤذن ثم صلى ركعتي الفجر يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد وإن أراد قرأ في الأولى - قلوا آمنا بالله وما أنزل - الآية في سورة البقرة وفي الأخرى - ربنا آتنا بما أنزلنا واتبعنا الرسول - ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما يتيسر له من العدد وإن اقتصر على كلمة استغفر الله لذنبى سبحان الله بحمد ربى آتى بالتقصود من

في الاختيار الذي له فان الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الحواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزم الارادة بعد تردد الحواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فاذا حصل انجزم الارادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة إذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزم الارادة وهما أيضا من خلق الله وانجزم الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا اليل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في الكمال ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم والليل الطبيعي أبدا يستتبع الارادة الجازمة والقدرة والارادة أبدأ تستتبع الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والسكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لأن العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة إلا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود إلا يمكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التغير لأن تغييره محال فهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث للربة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلح البصر ترتيبا كلياً لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة كلح بالبصر - وأما العباد فاتهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما إليه يميل يسمى الإدراك والعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحبوبون عن عالم التيب والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب التيب وسراقات الملكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قاتلهم بمنهم الله بأيديكم وعند هذا تحير عقول القاعدين في عبوحة عالم الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل إنه اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم التيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد منهم من وجه وأن القصور شامل لجميع فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بهوائه وتمام علمه ينال بأشراق النور من كوة نافذة إلى عالم التيب

التسبيح والاستغفار.
ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتعلم بها شئ وترد بها الفتن عن وتصلح بها دين وتحفظ بها قاضي وترفع بها شاهدي وتركي بها عملي وتبييض بها وجهي وتلقني بها رشي وتصنفي بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا وقيما ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف حكرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك النور عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء

وأنة تعالى - عالم القيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والسبب وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسط سلسلتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقيناً أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إصالح ذلك إلى الأفهام بمثال ، فاعلم أن جماعة من الميكان قد صموا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط عاهدوا صورته ولا صموا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ونعرفه بالمس الذي قدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسوه فوق يد بعض الميكان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية الميكان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل إن القيل ملهوا إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمس لا خشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ساهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم بحيلهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يخالط علوم الكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقفا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم المبدؤ وإرادته وقدرته للتخلية بينها وما هذا وصفه قاسم الوجوب يشمله .

(بيان أن وجوب التوبة على الفور)

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه فان هذه المعرفة ليست من علوم الكاشفات التي لاتعلق بصل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهده ما لم يصير باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقده لهذا الجزء من الإيمان وهو للراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (١) وما أراد به نفى الإيمان الذي يرجع إلى علوم الكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصي وإنما أراد به نفى الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للعقوبة كما إذا قال الطبيب هذا سم فلان تناوله فاذا تناوله قال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إمطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصود الشارب من العلوم الأظفار في البشرة عن الحبث حتى يتميز عن البهائم الرسالة للوثة بأروائها المستكرهة الصور بطول محالها وأظلافها وهذا مثال مطابق فلايمان كالانسان

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء
ومراعاة الأنبياء اللهم
إني آتزل بك حاجتي
وان قصر رأي وضف
عملي واقترت إلى
رحمتك وأسألك
يا قاضي الأمور وباشافي
الصدور كما تجير بين
البحور أن تجيرني من
عذاب السعير ومن
دعوة التبور ومن فتنة
القبور اللهم ما قصر
عنه رأي وضف فيه
عملي ولم تبله نيق
وأمنيق من خير
وعدته أحدا من
عباك أو خير أمت
مطيعه أحدا من خلقك
فأنا راغب إليك فيه
وأسألك إليه يارب
العالمين . اللهم اجعلنا
هادين مهدين غير

وقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقده الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كائن منقطع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فزايده الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي أعدها وتقورها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة لاما يبق بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرب لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف عند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع النخلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا انجلي الفبار أقرس تحتك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الخاتمة وإنما انقطع نياط المارفين خوفا من دواعي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأفلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيئته كالصحيح التهمك في الشهوات الضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صمته وأن للموت غالباً لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء واليأذ بالله وجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كالمأ كولات للضرة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد الزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا للنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله باطلاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة لتلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فتناول موموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام بقي للتدارك مهلة وهو العمر فإن الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والمملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تصرم أعمار الدنيادون عشر عشر مدته إذ ليس لمدته آخر ألبنة فالبدار البدار إلى التوبة قيل أن تعمل موموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتناء فلا ينجع بعد ذلك نصيح التاممين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يترك لفظ الإيمان فنقول المراد بالآية الكافر إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون باباً وأن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالهجوم عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيصاق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل فلا بقاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعاً يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل فعلوم المكاشفة وعلوم العامة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة

ضالين ولا مضلين حرباً
لأعدائك وسلباً
لأوليائك نهب بحبك
الناس ونصا
بعداوتك من خالفك
من خلقك اللهم هذا
الدعاء مني ومنك
الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان إن الله
وإنا إليه راجعون ولا
حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ذي
الحبل الشديد والأمر
الرشيد أسألك الأمن
يوم الوعيد والجنة
يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود
والموفين بالعهود إنك
رحيم وعبود وأنت تفعل
ما تريد سبحانه من
تعطف بالمر وقال به
سبحان من لبس المجد

التابع وعلوم الجامعة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم .

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة)

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - فعمم الخطاب . ونور البصيرة أيضا يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق البعد عن الله القرب إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا تنكسر غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والنصب وسائر الصفات للذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراعاة البلوغ ومبادئه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والقول جنود الملائكة فانه اجتماعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان فالطارد بينهما كالطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب أحدهما أزهي الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تكمل في العبا والشباب قبل كمال العقل قد سبق جند الشيطان واستولى على السكان ووقع للقلب به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويسر عليه التزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئا فشيئا على التدرج فان لم يقو ولم يكمل سلت مملكة القلب للشيطان وأنجز المعين وموعده حيث قال - لأحتسكن ذريته الإنثيلا - وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات والامتناع للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيته الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدوة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدوة الملائكة فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان نبييا كان أو غيبيا فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل :

فلا تحسبن هذا لها القدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم أزل مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطلق في تبديلها فاذا ن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فاذا بلغ مسلما متعبا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفائه بتفهم معنى الإسلام فانه لا يخفى عنه إسلام أبويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في المنع والإطلاق والانتكاس والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكترون إذ هزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يتمتع بها أحد من البشر كالم يستن آدم خلقة الولد لا تتسع لمسامحة له خلقة الوالد أصلا ، وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالنوب بالقلب فان خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسوسة الشيطان بإيراد الخواطر المنفرة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نفس وله أسباب وترك أسبابا به بالشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده وللراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق آدمي عن هذا النفس وانما يشاء وتون

وتكرم به سبحانه الذي لا ينقض التيسير إلا له سبحانه ذي الفضل والنعم سبحانه ذي الجود والكرم سبحانه الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في صمعي ونورا في بصري ونورا في شمعي ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خافي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوق ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا. ولهذا الدعاء أثر كثير وما رأيت

في القادر فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام «إِنَّهُ لِيَفَانِ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً» (١) الحديث ، ولذلك أكرمهُ الله تعالى بأن قال - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فان قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من المعلوم والخواطر تقص وأن الكمال في الخلو عنه وأن التصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فراغ من وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع فالمراد بقولك التوبة واجبة في كل حال . فاعلم أنه قد سبق أن الانسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلاً وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدريك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الانسان ظلمة إلى وجهه للراءة الصافية فان تراكت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خبثاً كما قال تعالى - كَلَابِلُ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ - فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالطبوع من الخبث ولا يكتفي في تدريك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب كما لا يكتفي في ظهور الصور في المرأة قطع الأنفاس والبخارات السوداء لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبعت فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتتمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «اتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَحْمَهَا» (٢) فاذن لا يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاؤه وجلأؤه ثم أظلم بأسباب عارضة فأما التصديق الأول ففيه بطول الصقل إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصلابة عن المرأة كشفه في عمل أصل المرأة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك إن هذا لا يسمى واجباً بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له معنيان : أحدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرّب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حتى تقاته لتركوا المعاش ورفضوا الدنيا بالسكينة ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالسكينة فانه مهما فسدت المعاش لم يفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياة والحراثة والحرب يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه لجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريد بها فانه لا يتوصل إليها إلا بها ، فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال العين والأذن واليد والرجل شرط في جود الانسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً

أحدا حافظ عليه
إلا وعنده خير ظاهر
وبركه وهو من وصية
الصادقين بعضهم بعضا
محفظه والمحافظة عليه
نقول عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
كان يقرؤه بين الفريضة
والسنة من صلاة
الفجر ثم يقصد المسجد
للمسلاة في الجماعة
ويقول عند خروجه
من منزله : - وقل رب
أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لذك
سلطاناً نصيراً - ويقول
في الطريق : اللهم إني
أسألك بحق السائلين
عليك وبحق ممشي
هذا إليك لم أخرج
أشراً ولا بطراً ولا رياء

(١) حديث إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغر الزني
لأنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي داود ولبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله
في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار
والدعوات (٢) حديث أتبع السبيلة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر زيادة في أوله وآخره
وقال حسن صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

ينفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون
كلهم على وضم وتكررة مطروحة فليس يشترط لكل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات
الداخلة في فتوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة
من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنهي الحياة وفيه سعى الأنبياء
والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم لما لا
الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال
أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنتم في الدنيا فلم
لاتضع رأسك على الأرض فرى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رميه بالحجر
توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى
واجبا في فتاوى العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم
في صلاته حتى نزع^(١) وشغله شراك نعله الذي جده حتى أعاد الشراك الخلق^(٢) لم يعلم أن ذلك
ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه
رآه مؤثرا في قلبه أرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضي الله
عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج مع روجه
ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراج
فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره
عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يبرفه إلا الصديقون فتأمل
أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله وإياك مرة
واحدة أن تترك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور ، فهذه أسرار من
استشق مبادئ روايتها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل
نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على القور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان
الداراني حيث قال لو لم يك العاقل فيما بقي من عمره إلا على فتوى ماضى منه في غير الطاعة لكان
خليقا أن يحزنه ذلك إلى المات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ماضى من جهله وإنما
قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهره نفيسة وصنعت منه بقير فائدة بكى عليها لالحالة وإن صنعت
منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهره نفيسة
لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد وأي جوهر
أتى من هذا فإذا ضيعتها في الففلة فقد خسرت خسرانا مبينا وإن سرقها إلى مصيبة قد هلك
هلاكا فاحشا ، فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيتك بجهلك أعظم من كل
مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف الصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الففلة يحول بينه وبين
معرفة الناس نيام فإذا ماتوا اتبهوا فسد ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته
وقد رفع الناس عن التدارك . قال بعض العارفين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه
أنه قد بقي من عمره ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا بخلافها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعب فيها

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم الثوب الذي كان عليه في الصلاة تقدم في الصلاة أيضا (٢) حديث
نزع الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق تقدم في الصلاة أيضا .

ولا صمعة خرجت انقضاء
سخطك وابتغاء
مرضاتك أسألك أن
تنقذني من النار
وأن تغفر لي ذنوبي
إنه لا يضر الذنوب إلا
أنت . وروى أبو سعيد
الخدري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجهه الكريم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل المسجد أو دخل
مجاذته للصلاة يقول :
بسم الله والحمد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لي ذنوبي واتق لي

ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يملك الموت أخرني يوما أعتذريه إلى ربى وأتوب وأزود صالحا لنفسى فيقول فبيت الأيام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فبيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتفرغ بروحه وتردد أنفاسه في شر أسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة، ولعل هذا يقال - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو . الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فما هلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسويده القلب قد أوجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يخطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك حياته فأمره عطر . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سريين يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبيد قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك واتممتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني . والثاني عند خروج روحه يقول عبيد ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو فؤا بهدى أوف بهم - ويقول تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

(بيان أن التوبة إذا استجتمت شرائطها فهي مقبولة لا محالة)

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسننة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئات وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كالأطعمة الليلية مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون ، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الحسنة يوسخ الثوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده أصلا .

أبواب رحمتك ويقدم
رجله الخبي في الدخول
واليسرى في الخروج
من المسجد أو السجادة
فمسجدة الصوفى بمنزلة
البيت والمسجد ثم يصل
صلاة الصبح في جماعة
فاذا سلم يقول : لا إله
إلا الله وخده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد
يعبى ويعبى وهو حي
لا يموت يسده الخير
وهو على كل شيء مقدير
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده ونصر
عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله أهل النعمة
والفضل والثناء الحسن
لا إله إلا الله ولا نعبد
إلا إياه مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون
ويقراً هو الله الذى

بالصابون والياء الحار ينظفه لاحتالة قاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره ويزكيه ، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير . وأما القبول فيبدول قد سبق به القضاء الأزل الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله - قد أفلح من زكاها - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من للشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستمار للجهل ويستمار للآخر لفظ النور كما يستمار للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى بقلبه إذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كن يتوهم أن الشمس تطاع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في مجاوزات الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك أن تراكم الذنوب حتى تصير طبما وريتا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف الممكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق القليلين على الدنيا للعرضين عن الله بالسكينة فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكننا نضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفر السيئات - وقال تعالى - غفر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والقرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسئء الليل إلى النهار وإلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ^(١) » . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ^(٢) » وقال أيضا « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فيقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه ثابتا منه فإرا حتى يدخل الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الندامة ^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالتوبة لمسئء الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى يلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسئء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسئء الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بلفظ لو أخطأتم وقال ثم تبت (٣) حديث إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ولأبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر له الحديث وفيه صالح المري ، وهو رجل صالح لكنه مضطرب في الحديث ولابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كفارة الذنب الندامة أحمد والطبراني وهق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك الشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم التوبة
والتسعين اسما إلى
آخرها فإذا فرغ منها
يقول : اللهم صل
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي
الأمي وعلى آل محمد
سلام تكون لله رضاء
ولحبه أداء وأعطه
الوسيلة والمقام محمود
الذي وعدته وأجزه
عنا ما هو أهله وأجزه
عنا أفضل ما جازيت
نبيا عن أمته وصل
على جميع إخوانه من
الطيبين والصديقين
والشهداء والصالحين .
اللهم صل على محمد
في الأولين وصل على
محمد في الآخرين وصل
على محمد إلى يوم الدين
اللهم صل على روح

ويروى « أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ^(١) » و يروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا حجت عنه التوبة مادام الروح فيه ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ ^(٣) » والأخبار في هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا - في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر للذين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أي إن وضعت عليهم عدلي عذبهم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها المبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب . ويروى أن نبيامن أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصحني لأعودن فصممه الله تعالى وقال بعضهم إن الصبد ليذنب الذنب فلا يزال ناديا حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له . ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان فقال له إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يخلق فاعمل ولا تيأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى - إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف - فقال إني لأرجو أن يكون السلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة السلم كإسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن الصبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفه عين . وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرقى أثمة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم الضرة أي للفرقة من لوازم التوبة وتوابها لا محالة ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرى الشيب في لحية فسأه ذلك فقال إلهي أطلعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببتك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون للصري رحمه الله تعالى إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير

(١) حديث أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث إن الله لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أورده للصف بصفة ويروى كذا ولم يمهز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرته احتياطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي وتقدم قريبا .

محمد في الأرواح وصل
على جد محمد
في الأجساد واجمل
شراف صلواتك
ونواي برحمتك
ورأفك ورحمتك
وتحيتك ورضوانك
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك اللهم
أنت السلام ومنك
السلام وإليك يعود
السلام غينا ربنا
بالسلام وأدخلنا دار
السلام تباركت يا ذا
الجلال والاکرام
اللهم إني أصبحت
لا أستطيع دفع ما أكره
ولا أملك قمع ما أرجو
وأصبح الأمر بيد
غيري وأصبحت مرتهنا
بمولى فلا قصير أقهر
منى اللهم لا تشمت بي

جنون وتبلهوا من غير عى ولا بكم وإنهم لم يلبثوا إلا بضعة الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شر بوابكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولعت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلناوا خشونة للضجع حتى ظفروا بعجل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في الملا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة ورددوا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستنوا من غير الحكمة وركبوا سفينة القنطرة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعادن المز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لامحالة . فان قلت أقول ما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع للماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكرمة للصبيحة والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدرة منسقة بخلافه لوسبقت به للشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لامحالة . فان قلت لما من تأمب إلا هو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شكك في القبول كشكك في وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في أنه هل سهل وذلك لشكك في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لامحالة على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامه والله الوفي للصواب برحمته

(بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد)

اعلم أن للإنسان أوصافًا وأخلاقًا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب هجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مئارات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لأن طينة الإنسان مجتمعة من أخلاط مختلفة فاتفق كل واحد من الأخلاط في المكون منه أثرًا من الآثار كما يفتنى السكر والخمر والزعفران في السكنجين آثارًا مختلفة . فأما ما يفتنى الزرع إلى الصفات الربوية فمثل السكر والخمر والجبرية وجب للدخ والتناء والمز والتنى وجب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يقتضيه منه جملة من كبار الذنوب غفل عنها الخلق ولم يصدوها ذنوبًا وهي للهلكات العظيمة التي هي كالأهيات لأكثر العاصي كما استقصيناه في ربيع للهلكات . الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يقتضب الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالقساد والنكر وفيه يدخل النسي والتفاني والدعوة إلى

عدوى ولا نسي . في صديق ولا تجعل مصيبي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط على من لا يرحمني الله من هذا خلق جديد فاتحه على بطاعتك واخته لي بخفرتك ورضوانك وارزقي فيه حنة تقبلها مني وزككها وضعفها وما علمت فيه من سيئة فاغفر لي إنك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر

طوارق الليل والتهار
ومن بفتات الأمور
وجفأة الأقدار ومن
شر كل طارق يطرق
إلا طارقا يطرق منك
بخير يارحم الدنيا
والآخرة ورحيمهما
وأعوذ بك أن أزل
أو أزل أو أضل أو أضل
أو أظلم أو أظلم أو أجهل
أو أجهل على عز جارك
وجل ثناؤك وتقديست
أسمائك وعظمت
نعمائك أعوذ بك من
شرب ما يلبغ في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يجر فيها
أعوذ بك من حسنة
الحرس وشدة الطمع
وسورة الغضب وسنة
الفضلة وعما طي الكلفة
اللهم إني أعوذ من

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر الحديث أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان ورواه الطبراني (٢) حديث الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنب الكبائر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث عبدالله بن عمرو الكبائر الإثراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين القموس رواه البخاري.

الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار (١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهى الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكره

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكره وشهادة الزور وقذف المحصن واليمين القموس والسحر وشرب الخمر والسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا وألّا اللواط والقتل والسرقه والفرار من الزحف وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ماورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وماهى؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات ولهما من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس إنما هى أربع لا تتركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر وفيه موقوفاً على عبد الله بن عمرو وأعظم الكبائر شرب الخمر وكلاهما ضعيف وللبراز من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال الشرك بالله والإيأس من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع القفل وفيه صالح بن حبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو لهن الإشراك بالله وفيه والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث وائله إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على مالم أقل وله أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن ينتفى الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه عليه السلام مر على قبرين فقال إني ليمذبان وما يمذبان في كبير وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشى بالقيمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذه القصة من حديث أبي بكره أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تبها رجل ثم نسبها سكت عليه أبو داود واستفربه البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لاصفيرة مع إصرار وفيه أبو شيبة الخمر اسأني

مباهاة الكثرين
والإزراء على القليلين وأن
أنصر ظالمًا أو أخذل
مظلوماً وأن أقول في
العلم بغير علم أو أعمل في
الدين بغير يقين أعوذ
بك أن أشرك بك وأنا
أعلم وأستغفر لك لما
لا أعلم أعوذ بك وأعوذ
من عقابك وأعوذ
برضائك من سخطك
وأعوذ بك منك
لا أحصى ثناء عليك
أنت كما أثبتت على
نفسك اللهم أنت ربى
لا إله إلا أنت خلقتنى
وأنا عبدك وابن
عبدك وعلى عهدك
ووعدك ما استطعت
أعوذ بك من شر
ما صنعت أبوء بنعمتك
على وأبوء بذنبي فاغفرلى

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين النعوس ، وهي التي يحق بها بطلاؤها
يطلق بها حقا ، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم بطلا ولو سوا كامن أراك . وصحبت غموسا
لأنها تغمس صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الأجسام عن موضوعات
الحلقة . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا
وهو يعلم . واثنان في الفرج هما الزنا والواط . واثنان في اليدين هما القتل والسرقة . وواحدة
في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد
وهو عقوق الوالدين . قال وجلة عقوقهما أن يقسا عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألاه حاجة
فلا يعطيها وإن يسأه فيضربها ويجوعان فلا يطعمها هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل
به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر
وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل فأما فقء العين وقطع اليدين وغير
ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه
لاشك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبتان بالسبة ومن الكبائر
استطالة الرجل في عرض أخيه للمسلم ^(١) وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الخدرى
 وغيره من الصحابة : إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(٢) . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه
فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهى كبيرة أم لا يصح ما لم يفهم معنى

إنه لا يضر الذنوب
إلا أنت . اللهم اجعل
أول يومنا هذا صلاحا
 وآخره نجاحا وأوسطه
فلاحا . اللهم اجعل
أوله رحمة وأوسطه
نعمة وآخره تكريمة
أصبحنا وأصبح الملك
للّٰه والعظمة والكبرياء
للّٰه والجبروت
والسلطان لله والليل
والنهار وما سكن فيها
للّٰه الواحد القهار .
أصبحنا على فطرة
الاسلام وكلنا الاخلاص
وعلى دين نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم
وملة آيينا إبراهيم
حنيفا مسلما وما كان
من الشركين ، اللهم إنا
نسألك بأن لك الحمد
لا إله إلا أنت الحنان

والحديث منكر يعرف به . وأما الموقوفات فروى الطبرانى والبيهقى في الشعب عن ابن مسعود قال
الكبائر الإشرار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . وروى
البيهقى فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشرار بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله
وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف
وأكل الربا والسحر والزنا واليمين النعوس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وشرب الخمر وترك الصلاة متمعدا وأشياء مما فرضها الله وتقص العهد وقطيعة الرحم . وروى ابن
أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف
فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لاصغيرة مع الإصرار وإسناده
جيد فقد اجتمع من المرفوعات والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضها لا يصح
إسناده كما تقدم وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد في المرفوع وما ورد في الوقوف ولا يبق في الشعب
عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقى أيضا فيه عن
ابن عباس قال كل مانهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم ^(١) حديث من الكبائر السبتان بالسبة ومن
الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم عزاء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد
وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربى الربا استطالة في عرض
المسلم بغير حق كما تقدم ^(٢) حديث أبي سعيد الخدرى وغيره من الصحابة إنكم تعملون أعمالا
هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد
والبزار بسند صحيح وقال من للوقات بدل الكبائر ورواه البخارى من حديث أنس وأحمد والحاكم
من حديث عبادة بن قرص وقال صحيح الاسناد .

الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لامطع في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الصفات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى مادونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله ، نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونفى بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما جهل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب التمس عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته ثم يكون عظيمًا وكبيرة لا محالة بالإضافة ، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تزيلها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من اللغات أن تعلم معنى قول الله تعالى - إن تجتنبوا كبار ما نهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات كفارات لما بينهن» إلا الكبائر ، فإن هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استظامه إياها وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إنني أردت بالكبائر عشرة أو خمسا ويفصلها ، فإن لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ « ثلاث من الكبائر (١) » وفي بعضها « سبع من الكبائر (٢) » . ثم ورد « أن السبطين بالسبة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يحد الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل كما أيهم ليلة القدر ليحطم جد الناس في طلبها ، نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فمعرفة بالظن والتقريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصفات فلا سبيل إلى معرفته . ويأتي أن نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسوله وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليكونوا عبيداً لي ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالصودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأقصى يبعثه الأنبياء ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة (٣) » فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً تابعاً للدين لأنها وسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طبر في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبد الله بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عدهن سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع الموبقات (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ مرفوعاً وروى العقيلي في الضعفاء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث وإسناده ضعيف .

للنار بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا شيء في دعوته ملكه وجاته يا حي يحيى الموتى يا حي يميت الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور

والملق من الدنيا بالآخرة شيان النفوس والأموال فكل ما بسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر
وبليه ما بسد باب حياة النفوس وبليه ما بسد باب للمعيش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب ،
حفظ المعرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضرورى فى مقصود الترائع
كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختاف فيها للذل فلا يجوز أن الله تعالى يمت نيا يريد بعثه
إصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما عنهم من معرفته ومعرفة رسوله أو يأمرهم بهلاك
النفوس وإهلاك الأموال لحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما يمنع من معرفة
الله تعالى ومعرفة رسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر ، ذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل
والوسيلة للقربة له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبسده بقدر جهله ويتلو الجبل الذى
يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا أيضا عين الجهل لمن عرف الله لم يتصور
أن يكون آمنا ولأن يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها التملق بذات الله وصفاته وأفعاله
وبعضها أشد من بعض ونهايتها على حسب تفاوت الجهل ، وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله
وشرائعه وبأوامره ونهاية ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنعم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر
الكبائر المذكورة فى القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك فى القسم
للتوسط طمع فى غير مطمع . الرتبة الثانية : النفوس إذ يقاؤها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة
بالله قتل النفس لاحتالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصد عن المقصود وهذا
يصد وسيلة المقصود إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه
الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضى إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ويقع فى
هذه الرتبة تحريم الزنا والواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالله كور فى قضاء الشهوات
انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا يفوت أصل الوجود ولكن
يشوش الأنساب ويطل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التى لا ينظم المعيش إلا بها بل كيف
يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينظم أمور البهائم مالم يتميز الفعل منها بإثا يغتنس بها عن سائر
الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الإصلاح وينبى أن يكون الزنا
فى الرتبة دون القتل لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولعكته يفوت تميز الأنساب
وبعرك من الأسباب ما يكاد يفضى إلى التقاتل وينبى أن يكون أعاد من القواط لأن الشهوة
داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويحطم أثر الضرر بكثرته . للرتبة الثالثة : الأموال فانها معاش
الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاء واحق بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبى أن تحفظ
لنقى يتقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن ترميها
فليس يحطم الأمر فيها ، نعم إذا جرى تناولها بطريق يصير التدارك له فينبى أن يكون ذلك من
الكبائر وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهى السرقة فانه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف
يتدارك . الثانى أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولي والقيم فانه مؤتمن
فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرف فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف النصب فانه ظاهر
يعرف وبخلاف الخيانة فى الوديعة فان اللودع خصم فيه يتصف لنفسه . الثالث : تخويتها بشهادة
الزور . الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين القموس فان هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز
أن تختلف الترائع فى ترميها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

إعالم ما فى الصدور
يا صبح يا قريب يا محبيب
الدعاء بالطينا لما يشاء
يارهوف يارحم يا كبير
يا عظيم يا الله يارحم
يا ذا الجلال والاكرام
الم الله لا إله إلا هو الحى
القيوم وعنت الوجوه
الحى القيوم يا الهى
والله كل شيء إلها
واحدا لا إله إلا أنت
الهم إنى أسألك باسمك
يا الله الله الله الذى
لا إله إلا هو رب العرش
العظيم فتعالى الله الملك
الحق لا إله إلا هو رب
العرش الكريم أنت
الأول والآخر والظاهر
والباطن وسعت كل
شيء رحمة وعلم
كريم حم عسق
الرحمن يا واحد يا قهار

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافليس فيه إلا كل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل النصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه قد عظم أيضا الظلم بالنصب وبغيره وعظم الخيانة والمصير إلى أن أكل دائق بالخيانة أو النصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكتميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيقوما ذكره أبو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محظوظ كما أن النفس محظوظة بل لاخير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإيجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فبعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فالتوقف فيه محال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية ولتأولها مراتب وأعظمها تناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يحدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويحد المشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه لا يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلالهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قبل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسجيته كبيرة فليلحق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أننا نفي بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه والتوقف فيه بضه مظنون للنفي والاثبات وبضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذن لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدين من حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أبقى به حتى يكون الناس على وجل وحذر

يا عزيز يا جبار يا أحد
يا صمد يا ودود يا غفور
وهو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين
اللهم إني أعوذ باسمك
المكنون الخزون
المنزل السلام الطهر
الطاهر القدوس القدس
يادهر يادهور ياديهار
يا أبد يا أزل يا من لم يزل
ولا يزال ولا يزول هو
يا هو لا إله إلا هو يا من
لا هو إلا هو يا من
لا يعلم ما هو إلا هو
يا كان يا كين
يا روج يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا مكنونا

فلا يتجرءون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى - إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فكيف نفسه عن الوقوع فيقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقوع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من إقامته على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان عينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للمعز أو كان قادرا ولكن امتنع لحوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من يشتهي الخمر بطبعه ولو أيسح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع اللاهی والأوتار، ثم من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من التشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفات : قد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرارك بالله وترك السنة ونكث الصفقة (١) » قيل ماترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبيع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقال له فهذا أو مثاله من الألفاظ لا يحيط بالصدق ولا يدل على حد جامع فيبقى لأحالة مبهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا بمن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرط في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخصي رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع اللاهی ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب وشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الخمر النقي النقيز حددته ولم أرد شهادته قد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدر في المدة إلا ما لا يغلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبه والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسماع الغيبة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والعلامة وضربهما بحكم القضب زائدا على المصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صحته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لمر وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس ليس الحرير وسماع اللاهی واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والحلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها ولو اطلب عليها لأثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالنساء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر .

(بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم القيب والملكوت وأعني بالدنيا حالنا قبل (١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرارك بالله وترك السنة ونكث الصفقة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الاسناد .

لكل ككون أهيا
شرا هيا أدوناى
أصبوت يا مجلى عظام
الأمور - فان تولوا
قل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم - ليس كمثلته
وهو السميع البصير -
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم إني
أعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يخشع
ودعاء لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة
الدجال وعذاب القبر

الموت وبالأخرة حالته بعد الموت فدياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونعم الآن تتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال الموجهة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعني بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير وكيفك منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة قد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصبت الزيت في الزيتون فقال إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سييت في صفرك لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سييت في صفرة وقال له آخر رأيت كأنني أفلد الدر في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نعني بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجدناه صادقا وإن نظر إلى صورته وجدناه كاذبا فالمتوذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فإنه لم يختم به قط وإن نظر إلى معناه وجدناه صادقا إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو اللع الذي يراد الختم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من المثل الذي لا يعقله إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثل لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصبعها ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن ههنا زل من زل في صفات إلهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها اللحد بمحمود نظره على ظاهر المثل وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيثور اللحد الأحق ويكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول يا ضحاج الله الموت عرض والكبش جسم فكيف يتقلب العرض جسما وهل هذا إلا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال - وما يعقلها إلا العالمون - ولا يدري المسكين أن من قال رأيت في منامي أنه جى بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال العبر صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لأن

ومن فتنة الهياوليات
اللهم إني أعوذ بك من
شر ما علمت وشر ما لم
أعلم وأعوذ بك من
شر سمعي وبصري
ولساني وقلبي اللهم إني
أعوذ بك من القسوة
والغفلة والذل والسكنة
وأعوذ بك من الفقر
والكفر والفسوق
والشقاق والنفاق وسوء
الأخلاق وضيق
الأرزاق والسمة
والرياء وأعوذ بك من
الصمم والبكم والجنون
والجذام والبرص وصائر
الأسقام ، اللهم إني أعوذ
بك من زوال نعمتك
ومن تحوّل عافيتك
ومن خفّة قمتك ومن
جميع سخطك ، اللهم
إني أسألك الصلاة على

(١) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب
(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على
صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح متفق عليه من
حديث أبي سعيد .

الذبح وقع اليأس منه فإن العبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن الوكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه بما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لأن النائم إنما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لأدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثال فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت للعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» عن سرعة التقلب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال فلتفهم من المثال الذي نضربه معناه لأمورته . فنقول : الناس في الآخرة ينقسمون أصنافا وتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتنا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى أصلا ألته فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبدل لها إلا أنابن هجرتنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نجز عن إحصاء الأجناس . فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكين وممذيين وناجين وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم المهلكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المذبذبون ويغلب بعضهم فهم الناجون ويخلق على بعضهم فهم الفائزون فان كان للملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة ولا يذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغلب إلا معترفا له بربته الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلق عليه ولا يخلق إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلق الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك المهلكين إما تحقيقا بحز الرقة أو تسكيلا بالثلة بحسب درجاتهم في العاندة وتمذيب المذبذبين في الخفة والشدة وطول الدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمذبذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك المهلكون الأيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة المهلكين . نحن بالمهلكين الأيسين من رحمة الله تعالى إذ أدى قتله للملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تنفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمريضين التجردين للدنيا المكذبين باقه ورسله وكتبه فان السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمعرفة التي يعبر عنها

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

محمد وعلى آله وأسألك
من الخير كله عاجله
وأجله ما علمت منه
وما لم أعلم وأعوذ بك
من الشر كله عاجله
وأجله . ما علمت منه
وما لم أعلم وأسألك الجنة
وما قرب إليها من قول
وعمل وأعوذ بك من
النار وما قرب إليها من
قول وعمل وأسألك
ماسألك عبدك ونييك
محمد صلى الله عليه
وسلم وأستعيذك مما
استعاذك منه عبدك
ونبيك محمد صلى الله
عليه وسلم وأسألك
ما قضيت لي من أمر أن
تجعل عاقبته رشدا
ترحمته يا أرحم
الراحمين يا حي يا قيوم
ترحمته أستغث

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبدأ الآباد وهم الذين يكذبون رب العالمين وبأنبيائه المرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه لمحول بينه وبين ما يشتهي لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار القراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للطور العيين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا من بعد الله بعوض فهو لهم كأن يبعده لطلب جنته أو لحوف ناره بل العارف يبعده لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط ، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتيها إذ نار القراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار القراق نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ونار جهنم لاشغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام تستحرق مع ألم القواد ولذلك قيل :

وفي قواد الحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤى من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لقرط غلبة ما في قلبه وترى الضبان يستولى عليه الغضب في القتال فتصيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار ^(١) » واحتراق القواد أشد من احتراق الأجساد والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كما أراه فليس الهلاك من النار واليف إلا من حيث إنه يفرق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أشد إيلا ما إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحرقه بالإضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال العدو في الميدان مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأثر الهريسة والحلواء ، وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذينا وذلك لمن استرقت صفات الهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا ياسبها ولا يلبها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الأذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ، واستأعنى بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من عالم الأمر وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسية وسائر الأعضاء عاله ومملكته والله الخلق والأمر جميعا ، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربي - هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلت صلت لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادئ روائع المعنى للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظيرين

(١) حديث الغضب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تكفى إلى تسمى
طرفة عين وأصلح لي
شأنى كله يا نور
السحوات والأرض
يا جمال السموات
والأرض يا عماد
السموات والأرض
يا بديع السموات
والأرض يا ذا الجلال
والإكرام يا صريح
السترخين يا غوث
الستغثين يا منتهى
رغبة الراغبين
والفرج عن الكرويين
والروح عن القوميين
ومجيب دعوة
الضطرين وكاشف
السوء وأرحم الراحمين
وإله العالمين منزل
بك كل حاجة يا أرحم
الراحمين اللهم استر
عورائى وآمن روغائى

بما كسبت - وبقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وبقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك يعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمي غضبي » (١) وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنا ومستندة ظواهر الأخبار وتوقع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار . فتقول : كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض : أعنى الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صفات متفرقة لم يصبر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب قط فانه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لساينهن ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله قد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقرئين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمررون عليه ، وإيمان كسفي يحصل بانسراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم القريبون النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللائ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم ، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات التعارف في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يفيض فيه الفواصون بقدر قواهم ويقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهائية لمنزله فالسالكون سبيل الله لانهائية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فهو من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقرئين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تتأرب رتبة الأدنى من درجات المقرئين ، وهذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المنسول كالذي لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لنزول إيمانه فيعظم له بسوء الخاتمة لاسيما إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة ، وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يحفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون في درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين ،

أنه فمن يسيئ إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي إذا الجلال والاكرام اللهم ياهادي المضلين وياراحم المذنبين ومقيل عثره العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو أنت الوكيل

ففي الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف ^(١) » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاء عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنائير فاعطاء مائة دينار فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشرة عشره بل هو موازنه مائة في الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليتها وفروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح السالية من الذهب والفضة بل لو أعطاء جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ماهذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سيبل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فنصدق ذلك ينكشف له الصديق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات ^(٢) » كما ورد في الأخبار والسموات كن الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما أن الجوهرى مرحوم إذا بلى بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبلد الأبله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عالمين الجهال وغنى قوم افتقر وعزير قوم ذل ^(٣) » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو العنق بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ^(٤) » فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلى بمجاعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر ^(٥) » فاذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاهدين ولا تخلو الأولياء والعلما عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا ينفك الأولياء عن ضروب

وإليك الصبر يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشبه عليه الأصوات ويا من لا تلهي المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يترجم بل الحاح الملحني أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعخلا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك ما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيا لا ينفذ وقرة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد وأسألك حبك

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات خ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عالمين الجهال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلاعب به الصبيان وفيه أبو البختري، وأما وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل الترمذي ومحمده والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء والطبراني من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر البخاري من حديث ابن مسعود .

من الايذاء وأنواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المتعاض عن الجهل الكبير جوهره صغيرة عند الجاهلين من البغوين للضعيف. فاذ اعرفت هذه الدقائق فأت من بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً برجلين لأن الحمار يشارك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسرّ إلى عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحمله وأشفقن منه فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السرّ الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يعاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تسكنونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الله مدركاً في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لامحالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافراً لأنعمه ومتعرضاً لنقمة الله لأنه أسوأ حالاً من البهيمة فإن البهيمة تتخلص بالموت. وأما هذا فعنده أمانة ترجع لامحالة إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما جبطت إلى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إمامظلة منكسفة وإما زهرة مشرقة. والزهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير لكل إليه إلا أنها فاكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم - فيبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم إلى أفتيتهم واتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه ، فعوض باق من الضلال والتزلزل إلى منازل الجهال فهذا حكم اتسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الفاعلين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكل التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله . وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجرى عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال . ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة ، فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار . وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الأموال وبين التقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فأما بقية السيئات فيتمارح العفو والتكفير إليها في الأثر إن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبّ عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لا يبقى له حسنة ، فتقول

وحب من أحبك
وحب عمل يقرب إلى
حبك . اللهم بملك
الغيب وقدرتك على
خلقك أحيى ما كانت
الحياة خيراً لي وتوفى
ما كانت الوفاة خيراً لي
أسألك خشيتك في
الغيب والشهادة وكلمة
العدل في الرضا والغضب
والقصد في الغنى والفقر
ولذة النظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وفئة
مضلة . اللهم اقم لي
من خشيتك ما تحول
به بيني وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ماتهمون به علينا
مصائب الدنيا . اللهم
ارزقنا حزن خوف

اللائكة ياربنا هذا قد فئت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وسكوا له سكا إلى النار وكما يهلك هو بسبب غيره بطريق القصاص فكذلك ينبغي للظالم بحسنة الظالم إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال لأفضل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها وقال هو وغيره مذنوب إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في اللماذ في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاى حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه حين فان ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد تنوق إلى الشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها جبر عن ذلك السبب الخفى الملقى إلى النجاة بالعمو والرضا وعمما يفضى إلى الهلاك بالنضب والانتقام ووراء ذلك سر الشيعة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والنضب على الطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والنضب جزاء على الأعمال والأوصاف ولولم يكن جزاء لم يكن عدلا ولولم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى - وما ربك بظلال للعبيد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - وكل ذلك صحيح فليس للانسان إلا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما راغوا أراغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصر إذ البصر يمكن الخلط فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الخلط فيها وإنما الشأن في افتتاح بصيرة القلب وإلا فمأرى بها بعد الافتتاح فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة الناجين وأغنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والعتوهين والذين لم تلبسهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا مصيبة فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فقام من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرح عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق (١) فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

الوعيد وسرور رجاء للعود حتى نجد لمة ما نطلب وخوف بامنه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا وأسكن في قوسنا من عظمتك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أختى لك بمن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء الشكر بحسن العبادة اللهم إني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما أحيى حياة

(١) حديث حلول طائفة من الخلق الأعراف البزار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعهم العصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن الدننى عن أبيه مختصرا وأبو معشر نجيب السندى ضعيف ويحيى ابن شبل لا يعرف وللحاكم عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على العين كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم فهذا مزنون وليس بمسئقين والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوة وبعد أن ترتقى إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عن الملمات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم العارفون دون التقليدين وهم القربون السابقون فإن القلة وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم القربون وما يلحق هؤلاء بمجاوز أحد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والتدبير لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والحمر والحلى والأساور فانهم لا يحرسون عليها ولو أعطوها لم يقنوا بها ولا يطلعون إلا لادة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحمة وعلى وجعفر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (١) حديث عائشة أنها قالت لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال المصنف والأخبار في حق الصبيان متعارضة . قلت روى البخاري من حديث حمزة بن حنبل في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يولد يوم الجمعة الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حول فكل مولود يولد على الفطرة قيل يارسل الله وأولاد للشركيين قال وأولاد للمشركيين وللطباكين من حديثه سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف يروي عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان وللنسائي من حديث الأسود ابن سريع كنا في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية ، وفيه ألا إن خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أفرايت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب يهود مامن نسمة يخلفها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لهيعة ولأبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموءودة في النار وله من حديث عائشة قتلت يارسل الله ذراري المؤمنين فقال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قتلت يارسل الله أين أطفالك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فآين أطفالك قبلك قال في النار قلت بلا عمل قال لقد علم الله ما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين هم من آبائهم وفي رواية هم منهم .

السعداء حياة من
تحب بقاءه وتوفى وفاة
الشهداء ياخير الرازقين
وأحسن التوابين
وأحكم الحاكمين
وأرحم الراحمين ورب
العالمين ، اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وارحم ما خلقت واغفر
ما قدرت وطيب
ما رزقت واعم ما أنعمت
وتقبل ما استعملت
واحفظ ما استفظت
ولا تهتك ما سترت فإنه
لا إله إلا أنت أستغفرك
من كل لذة بغير ذكرك
ومن كل راحة بغير
خدمتك ومن كل
سرور بغير قربك
ومن كل فرح بغير
محالستك ومن كل

ولذلك قيل لرابطة العبودية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة قتالت الجار ثم الدار فهو لا يقوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال العاشق للشيء بمشوقه المستوفى همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى بلغت إليه لانه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكف إلا أن يرفع الحجاب عن صممه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة لمس الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والله الوفي بلفظه.

(بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها الاصرار والواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثالا لو تصور ذلك كان الغفوعها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ «خير الأعمال أدومها وإن قل» (١) والأشياء تستبان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما يتصور المهجوم عليها بفتنة من غير سوابق ولواحق من جملة الصفات قلما يزن الزاني بفتنة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بفتنة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صفات سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بفتنة لم يتفق إليها عود بما كان الغفوقها أرجى من صغيرة واطب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه الصبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمهذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في النقلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في النقلة وقد جاء في الخبر «الؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره» (٢) وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لملحه بجلال الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بغير معاملتك اللهم إني أستغفرك من كل ذنب ثبت إليك منه ثم عدت فيه اللهم إني أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم إني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فقويت بها على معصيتك اللهم إني أستغفرك من كل عمل عملته لك غفلة ما ليس لك اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه وأعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه اللهم احفظنا فيها أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما أعطيتنا يا حافظ

- (١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
- (٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فذكر هذا وحديث لله أفرح بتوبة العبد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه موقوفا ومرفوعا .

رضى الله عنهم للتابعين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللوبات إذ كانت معرفة الصحابة بحلال الله أتم فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد النكس من ذلك نعمة والقفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من الذنوب من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بتعارفه إياه كما يقول أمارأيتني كيف مزقت عرضه ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول العامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبته في ماله وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحبل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بدمه من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن ينكسر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه . ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإهماله إياه ولا يدرى أنه إنما يعمل مقراً ليزداد بالإهمال إنما فيظن أن تمكنه من الماصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكان السرور بالله كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتية في مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي سده عليه وتحريك لرغبة الشرف من اسمه ذنبه أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به فإن انضاف إلى ذلك الترفع للغير فيه والحمل عليه وتهمته الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاخش الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين بيبب أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه » (١) وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك السر فالإظهار كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذب ذنبين ولذلك قال تعالى - الناقدون والناقضات بعضهم من بعض يأمرون بالنكر وينهون عن المعروف - وقال بعض السلف ما تهتك الرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على مصيبتهم يهونها عليه . ومنها أن يكون الذنب عالماً يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الأبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعدية باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم عللاً يقصده من الإلجاء كعلم الجدول والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيحوت العالم ويبقى شره مستطيراً في العالم آمداً متطاولة فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر « من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً » (٢) قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يلاحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعمل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بالفظ كل أمق وقد تقدم (٢) حديث من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم في آداب الكسب .

الحافظين وإذا كر
الذاكرين وباشا كر
الشاكرين بذكر
ذكروا وبخلك
شكروا يا غياث يا غيث
يا مستغاث يا غياث
المستغاثين لا تكلني إلى
نفسى طرفة عين
فأهلك ولا إلى أحد من
خلقك فأضيع أكلتي
كلاءة الوليد ولا تغل
عنى وتولني عما تولى به
عبادك المالحين أنا
عبدك وابن عبدك
ناصر يدك جار في
حكمتك عدل في
نصاؤك نافذ في مشيئت
إن تعذب فأهل ذلك
أنا ، وإن رحم فأهل
ذلك أنت فاقبل اللهم
بأمولاي يا الله يارب
ما أنت له أهل ولا تفعل

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويغرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن طالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فصل في الاصلاح دهرًا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضلّت من عبادي فأدخلتهم النار . فهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليه وظيقتان : إحداها ترك الذنب والأخرى إخفاؤه كتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل والليل إلى الدنيا وقع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويتقدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدرّون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخرّكات العلماء في طورى الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالبرح وإما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العصر)

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أو رثه العلم يكون المعاصي حائلا بينه وبين محبته ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط فلا بدّ من بيانها . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتى . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو بعض أعزته طال عليه مصيبتة وبكاؤه وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدلّ على نزول العقوبة من المعاصي وأى خبر أصدق من الله ورسوله ولوحدثه إنسان واحد يسمى طبيباً أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدلّ على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فالندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فلامحة محبة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر « جالسوا التوابين فانهم أرقّ أفئدة (١) » ومن علامته أن تمسك حرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلالاتها فيستبدل بالليل كراهية وبالرغبة نفرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله بقبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم يقبل توبته فقال وعزّى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه في قلبه . فان قلت فالذنوب هى أعمال مشتهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلّنه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فان قلت لافهو جحد للشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه بفوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الايمان ولما عزّ مثل هذا الايمان عزّت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبئ أن يدوم إلى اللوت

اللهم يارب يا الله
ما أنا له أهل إنك أهل
التقوى وأهل المغفرة
يا من لا تغفر الذنوب
ولا تنقص المغفرة هب
لى ما لا يضرك وأعطى
مالا ينقصك ياربنا
أفرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلمين توفى
مسلمنا وألحقنى
بالصالحين أنت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وأنت
خير الغافرين ربنا
عليك توكلنا وإليك
أئبنا وإليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا فى أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين
ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهى لنا من
أمرنا وشئنا ربنا

(١) حديث جالسوا التوابين فانهم أرقّ أفئدة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبى الدنيا فى التوبة قال جالسوا التوابين فان رحمة الله إلى النادم أقرب وقال أيضا فالملو عظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمعة وأرق قلبا .

وينبغي أن يجد هذه المראה في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في السمل التفرقة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من السمل بل بحافيه ولم يكن ضرر التائب من مرقته وزناؤه من حيث إنه مرققة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط والمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشروط معتنها فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنسب أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهر شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية في قضائها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أنظر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف بمجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستقل بقضائه ، وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدى ما علم بغالب الظن أنه في ذمته فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى في قضى جميع ذلك فإن ذلك لا يجزئيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويأمره أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والأن قد أفلس فليحسب الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فليحسب أن يكتب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فليحسب أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يحج به فانه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا (١) » والمجزئ الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها . وأما المعاصي فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صفاتها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر ومما ملاء وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتعسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث الدعة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله ﷺ « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها (٢) » بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر صماح الملائهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر من الصحف محدثا بآرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقيله بأن يكتب مصحفا ويحمله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث اتق الله حيث كنت حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب وبضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

آتيا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وفنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وإفراغ السبر في الخدمة وإيداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن القلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر

الطريق المضادة فإن المرض يالج بضده فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمصيبة فلا يحسها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها والتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن تحصى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقيق من التلطيف في طريق المهور فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا في المهور فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وبدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والخين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم يندب عليه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجاف بالمهموم والغموم عن دار المهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم ^(١) » وفي لفظ آخر « إلا المهم يطلب المعيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه المهموم فتكون كفارة لذنوبه ^(٢) » ويقال إن المهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والمهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع . فان قلت هم الإنسان غالباً بما له وولده وجهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرامان عنه كفارة ولتواتر به ثمت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة شكوى قال فما له عند الله قال أجزمائة شهيد فاذن المهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد فيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا لما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والالتيان بالحسنات التي هي أضدادها فيقابل إتياءه الناس بالاحسان إليهم ويكفر غضب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالعبية والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتناق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتناق إجماد لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقابل الأعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمهور مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتناق رقبة ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجم ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس والأموال والأعراض أو القلوب أعني به الإيذاء المحض . أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إيمانه أو من عاقبته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمدا موجبا لقتصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهده إلا بهذا ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يحجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويعلن من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى « أن ما عزم مالك أني رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين
سبقونا بالإيمان ولا
تجعل في قلوبنا غلا
لذين آمنوا ربنا إنك
رؤوف رحيم اللهم
اغفر لي ولوالدي وللمن
تولدا وارحمهما كما
ربياني صغيرا واغفر
لأعمامنا وعماتنا
وأخواننا وخالاتنا
وأزواجنا وفريقاتنا
ولجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الأحياء
منهم والأموات يا أرحم
الراحمين يا خير الغافرين
ولما كان الدعاء بمغ
العبادة أحبينا أن
نستوفي من ذلك فسمنا
صالحا نرجو بركته
وهذه الأدعية
استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم وفي لفظ آخر إلا المهم في طلب المعيشة طس
وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في النكاح
(٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الغموم وتقدم أيضا
في النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحزن .

فقال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزينيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يارسول الله إني قد زينيت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقال يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ماثوبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو منهم (١) وجاءت الغامدية فقالت « يارسول الله إني قد زينيت فطهرني فردها فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردني لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحلي فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فاذهي حتى تضحي فلما ولدت أنت بالصبي في خروقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تظميه فلما فطمته أنت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت يا بني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتضح الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (٢) .

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه وإن كان التناول مالا تناوله بنصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كتروج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجره أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لامن حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجاه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالما مطالبا به إذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحيات والدوانق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل مجرم مع عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب أسامى أصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلمهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فاتهم لا يقدر أن يطلب العاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبق له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم ولتسكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من السيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريبا فينبغي أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في العاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته . أما أمواله الحاضرة فليرد إلى السالك ما يعرف له مال كأمين أو لا يعرف له مال كما فعله أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بمشافة الناس بما يسوؤهم أو يهينهم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو أذى قلبه بفعله من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا في القيامة وأما من وجدته وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربعا وقوله لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله صلى الله عليه وسلم : لقد تابت توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه قوت القلوب وعلى قله كل الاعتماد وفي البركة فليدع هذه الدعوات منفردا أو في الجماعة إماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء [الباب المحسون في ذكر العمل في جميع التهار وتوزيع الأوقات] فن ذلك أن يلازم موضعه الذي صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين عبده أهل

وتعرضه له فالاستحلال لهم لا يكتفى وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاستحلال
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنائته على
 الغير ماله ذكره وعرفه لتأذي بعمره كزناه بجاريته أو أهله أو نسبه بالسان إلى عيب من خفايا
 عيوبه يعظم أذاه مهما عوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم
 يبق له مظلة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلة الليل والنائب . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائته وعرفه المجنى عليه فلم تسمع نفسه بالاستحلال
 بقيت المظلة عليه فان هذا حقه فعليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
 حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من تفر ببيتة مال بحسنة
 فاذا طاب قلبه بكثرته تودده وتلطفه صحت نفسه بالاستحلال فان أبي إلا الاصرار فيكون تلطفه به
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائته وليكن قدر سعيه في فرحه
 وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك
 منه عوضا في القيامة يحكم الله به عليه كمن أتلف في الدنيا مالا لجاء بمثله فامتنع من له المال من
 القبول وعن الإبراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبي فكذلك يحكم في صعيد القيامة
 أحكم الحاكمين وأعدل القسطين وفي التفرق عليه من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
 أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 فقتله فكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها
 أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
 جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
 فجاءوه حكماً بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقيسوا فوجدوه أدنى
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) « وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب
 منها بشبر فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربي
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فقفر له ، فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برجحان
 ميزان الحسنات ولو بمشقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي .
 وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكداً وبما يهده بهد وثيق أن لا يعود
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالقدي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلاً فيعزم عزماً جزمياً
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تغلبه
 الشهوة في ثأني الحال ولكن لا يكون تائباً مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب
 في أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فان كان له مال موروث
 حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فيقتصر عليه فان رأس للعاصي أكل الحرام
 فكيف يكون تائباً مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات

للعمامة وأرسل القلوب
 وقد ندب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى
 ذلك ثم يقرأ الفاتحة
 وأول سورة البقرة إلى
 للفلقون والآيتين
 والحكم إلى واحد وآية
 الكرسي والآيتين
 بعدها وآمن الرسول
 والآية قبلها وشهد الله
 وقل اللهم مالك الملك
 وإن ربكم الله الذي
 خلق السموات
 والأرض إلى الحسين
 ولقد جاءكم رسول إلى
 الآخر وقل ادعوا الله
 الآيتين وآخر الكهف
 من إن الذين آمنوا
 وذا النون إذ ذهب
 مغاضباً إلى خير الوارثين
 فسبحان الله حسين
 تمسون وحين تصبحون

(١) حديث أبي سعيد الخدري التفرق عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو متفق عليه كما قال المصنف من حديث أبي سعيد .

في الماء كولات والمليوبات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والنصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لاتصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام يحمل بل يقول لمن قال لاتصح إن عنت به أن تركه بعض الذنوب لايفيد أصلا بل وجوده كعدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلها سبب لقلته وقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولنا تتكلم في خفايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب إلى أنها لاتصح إن أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لالكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجهه لأجل المعصية فان العلة شاملة لما إذا من يتوجه على قتل ولله بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لأن توجهه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجه العبد بفوات محبوه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالتندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدينين دون الآخر فان استحالة ذلك من حيث إن المعصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالتندم ولا يتصور الندم على بعض التماثلات فهو كالمملك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول قول إن العقد لا يصح أى لم ترتب عليه الثمرة وهو المملك وتحقيق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمره الندم تكفير ماسبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم لالكونها معصية وذلك يتم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستنتج النصف بتفصيل به ينكشف الغطاء . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لاتخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي ينجى على أهل المملك وحرمة ويحجى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثرت التائبون في الأعصار الحاليه ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعى التوبة المعصية والطبيب قد يعذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويعذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلفهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كافي تفاوت

وسبحان ربك إلى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بذات الصدور وآخر
سورة الحشر من
لو أنزلناهم بسبع ثلاثا
وثلاثين وهكذا يعمد
مثله ويكرر مثله ويتمها
مائة بلا إله إلا الله وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يشتغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
قصور وقصور وناس
فان النوم في هذا الوقت
مكروه جدا فان غلبه
النوم فليقم في مصلاه
فإنما مستقبل القبلة
فان لم يذهب النوم
بالقيام يخطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجع شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالقدي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير الحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا يمكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ولكن تكون قوة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والقفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشدد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالغيبية وثلب الناس والنظر إلى غير الحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقطع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخص العنان بالكلية بل أجاهده في بعض المعاصي فماتني أغلبه فيكون قهرى له في البعض كفارة لبعض ذنوبى ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلى ويصوم ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تقرب بترك الفسق وهذا محال بأن يقول الله تعالى على أمران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا ملى في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فأنا أفهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن بكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفطر شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متائلة في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التوبة لثفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وأن يكون ماتاب عنه مخالفا لما بقى عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووقاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأمور والنواهي . فإن قلت هل تصح توبة الذين من الزنا الذى قارقه قبل طريان العنة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه . ولكنى أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذى قارقه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

فهو القليلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القيلة في إدامة استقبال القيلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصى به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فإذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد حكم ببقائه وتبقي أوقات النهار جميعا على هذا البناء فلذا قارب طلوع الشمس يستدعى بهراءة المسحات العشر

لكانت حرقه الندم تجمع تلك الشهوة وتغلبها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه ومجبا عنه سيئته إذ لاخلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستجبل أن تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا البالغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فضاء يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة اللصبة تتمحى عن القلب بشيئين : أحدهما حرقه الندم ، والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا قلنا إن التوبة لا تقبل ما لم يمض التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا. فإن قلت إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل ؟ . فأعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، قال أحمد بن أبي الخوارى وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو قر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان : إحداهما أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأعلى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبثق بإشارة اليقين وتقمع الشهوة النبذة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو قر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كتقول القائل العنين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن الفلّس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وإن غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتتكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد . الحالة الثانية : أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد القامع لهيجان الشهوة وقمعها ، وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصودا لعينه بل للمقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجراكه فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت ومادمت في المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثل من قهر العدو واسترقه بالاضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمسان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة إلى من هو مشغول بمسألة التأديب بعد ولقد ذل

وهي من تطهير الخضر
عليه السلام عليها
ابراهيم التيمي وذكر
أنه تعلمها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
وينال بالمداومة عليها
جميع التفرق في
الأذكار والدعوات ،
وهي عشرة أشياء
سبعة سبعة القامحة
والمودتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
الكافرون وآية
الكرسى وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله
واقه أكبر والصلاة
على النبي وآله وسخفر
لنفسه ولوالديه
والمؤمنين والمؤمنات
ويقول سبحا اللهم افعل
بي وبهم عاجلا وآجلا
في الدين والدنيا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يطلوا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات وإمالتها بالسكينة مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فجزعته فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واستمر في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع للهلكات . فان قلت لما قولك في تأييد أحد هاتين الذنوب ولم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جملة نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويمحرق ندماً عليه فأيهما أفضل . فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تصب ذنبك بين عينيك . وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذيين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى الحالين وكلام المتصوفة أبداً يكون قاصراً فان عادة كل واحد منهم أن يغرب عن حال نفسه فقط ولا يهتم حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا تخاصم بالإضافة إلى الهمة والارادة والجديت يكون صاحبه مفسود النظر على حال نفسه لاهمه أمر غيره إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازل أحواله وقد يكون طريق المبدى إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدئ لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعثاته لسلك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى العاقل كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يخرج على غير السلك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع النيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ماضٍ من أحواله وهو الكمال بل لو عاق السافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب السافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسده من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفاً على تخريبه الجسد كان هذا مانعاً آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك للمانع ، نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلاً فتعذر السلك أو كان على طريقة أتهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطلل بالليل بكاهن وحزنه على تخريب الجسد ليتأكد بطلان الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى بمن الاشتغال بذكر تخريب الجسد والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والقصد والعاقل وطريق السلك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع للهلكات بل تقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن إن كان شاكراً فلا ينبغي أن يطل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر بما يحرك رغبته في طلب العاجلة ولا يرضى بالآخرة بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محرراً للشهوة فالمبتدئ أيضاً قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدقك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكي لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللاتمة بأنهم فاتهم ما بحثوا إلا لأرشادهم فطهيم التلبس بما تنفع أهمهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلاً عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنياً عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهلاً للأمر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشترع ^(١) » وفي لفظ « إنما أسهو لأسن » .

(١) حديث « أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشترع ذكره مالك بلاغا بغير إسناد وقال ابن عبد البر

ما أنت له أهل ولا
تعمل ربنا يا مولا
ما نحن له أهل إنك
غفور حلیم جواد كريم
رهوف رحيم . وروى
أن ابراهيم التيمي لما
قرأه بعد أن تلمها
من الحضر رأى في المنام
أنه دخل الجنة ورأى
للأنبياء والأئمة
عليهم السلام وأكل
من طعام الجنة وقيل
إنه مكث أربعة أشهر
لم يطعم وقيل لعله كان
ذلك لكونه أكل من
طعام الجنة فاذا فرغ
من السموات أقبل
على التيسيع
والاستغفار والتلاوة
الى أن تطلع
الشمس قدر رمح .

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستطلق ولده الصبي كيف يزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن « كخ كخ »^(١) لما أخذ تمر من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لسانه بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبيضة والطائر تطلقا في تعليمه فأياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها مزية أقدام العارفين فضلا عن الغافلين ، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيستدرك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات للمستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس اللطيفة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون للسهرة بذكر الله تعالى وضع الله كرههم أو زارهم فوردوا القيامة خفافا »^(٢) فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الله كرههم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزول إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففقر زاعها ولم يشغل عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه لم يجاهدتها وردها ثم تفاوتت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف اللذة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يخط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن يميل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة فاعسا تجوحها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشترط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتخضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه اليسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسمى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعثره لاعتى عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غيره أن يقدم عزمه على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من

لا يوجد في اللوط إلا مرسل لا إسناد له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنصاري وقد طال بحثي عنه وسؤالي عنه للائمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا (١) حديث أنه قال للحسن كخ كخ لما أخذ تمر من الصدقة ووضعها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للمفردون للسهرة بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقصد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة التداوي إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » ثم صلى ركعتين قبل أن يصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي الركعتين وبهاتين الركعتين تبين فائدة رعاية هذا الوقت وإذا صلى الركعتين يجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ بعد في باطنه آثرا ونورا وروحاً وأنسا إذا كان صادقا والذي يحمد

أسبابها التي تعرض لها وهذه النفس جذيرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لاعتن تصميم عزم وتحمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يطلب خيره شره حتى يشغل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع الغفرة - فكل للمام يقع بصغيرة لاعتن توطئ نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المفعو عنه قال تعالى - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فأتى عليهم مع ظلمهم لآفة - هم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيها رواه عنه على كرم الله وجهه « خياركم كل مفتن تواب (١) » وفي خبر آخر « المؤمن كالسنبلة ينفي أحيانا ويميل أحيانا (٢) » وفي الخبر « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة (٣) » أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقص التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصيرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالضيق الذي يؤيس للفقير عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقير بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبي ﷺ « كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون (٤) » وقال أيضا « المؤمن واه راقع غيرهم من مات على رقبته (٥) » أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة - فما وصفهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلب الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لمجزء عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفها شرها هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعلها وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس السولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكرهاته لما عاظماء مرجو (١) حديث على خياركم كل مفتن تواب البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث للمؤمن كالسنبلة تنفي أحيانا ويميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلًا وكلها ضعيفة وقالوا تقوم بدل تنفي وفي الأمثال للراهمرمزي إسناده جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستغفبه الحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل للمستغفرون . قلت فيسه على بن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث المؤمن واه راقع غيرهم من مات على رقبته الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالوا فسيء بدل غيرهم .

من البركة ثواب
معجل له على عمله هذا
وأحب أن يقرأ في
هاتين الركعتين في
الأولى آية الكرسي
وفي الأخرى آمين
الرسول والله نور
السماوات والأرض
إلى آخر الآية وتكون
نيتة فيها الشكر لله
على نعمه في يومه
وليلته ثم يركعتين
آخرتين يقرأ المعوذتين
فيهما في كل ركعة
سورة وتكون صلاته
هذه ليستبد بالله
تعالى من شر يومه
وليلته ويذكر بعد
هاتين الركعتين كلمات
الاستعاذة فيقول أعوذ
بالحكم وكلتك التامة
من شر السامة والحامة

فسمى الله أن يوجب عليه وعاقبته عظيمة من حيث تسوية وتأخير فرعاً يغتطف قبل التوبة ويقع أمره في الشبهة فإن تدارك الله فضله وجبر كرمه وأمن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الحاتمة ماسبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تمذر على التفقه مثلاً الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضرب الرجاء في حقه وإذا يبرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة المالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بقتايل الأغذية والأدوية وارتباط حصول قه النفس القدي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم إلا النفس صارت قهية بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين إلا القلب سليم صار طاهراً بطول التزكية والتطهير وهكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب ولذلك قال تعالى - وتقسى وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها - فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب قدماً والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يلقى بيته وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (١) فاذن الخوف من الحاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة مقبلة إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به فليراقب الأغصان والإوقع في المندور ودامت الحشرات حين لا ينفع التحسر . الطبقة الرابعة : أن يتوب ويمر بمرحلة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينعمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة الصيرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الحاتمة وأمره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسن حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشملهم عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه كالأستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كنزاً فيفتق أن يجدد وأن يجلس في البيت ليحمله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من أجز استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالتناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العالمون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعاً زعم أنه ينتظر فضل الله بأن يزرقه كنزاً يجدد تحت الأرض في بيته الحرب بعد عند ذوى البصائر من الحق والفرورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة هـ على الذنوب غير ماله سبيل المغفرة بعد عند أرباب القلوب من المتوهين والعجب من عقل هذا اللغو وترويعه حماقته في صيغة حسنة إذ يقول إن الله كريم وجنته ليست

(١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وشهر مختلف فيه

وأعوذ بأصمك وكلتك
التامة من شر عذابك
وشر عبادك وأعوذ
بأصمك وكلتك التامة
من شر ما يجري به الليل
والنهار إن ربى الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
ويقول بعد الر كنتين
الأولين اللهم إني
أصبحت لا أستطيع
دفع ما أكره ولا أملك
نفع ما أرجو وأصبحت
مرتها بعمل وأصبح
أمرى بيد غيرى فلا
قصر أقرمى اللهم
لا تشمت بى عدوى
ولا تشؤ بى صديقى
ولا تجعل مصيبتى فى
دينى ولا تجعل الدنيا
أكبر همى ولا مبلغ
على ولا تسلط على من

تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضربه ثم تراه يركب البحار ويفتحهم الأوعار في طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تنصهر عن قهرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعماء يرزقك من حيث لا تعتب فيستحق قاتل هذا الكلام ويستهيء به ويقول ما هذا المحوس السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره سبب الأسباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يطمئنون أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبديل لها فيها جميعاً وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم المنور عن كسب المال ومقتضاه المنور عن العمل للملك للقيم والنعم الدائم وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من جهد في الآخرة وهذا بمنه مع شدة الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا ونفس قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فعوذ بالشمس العمي والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلًا تحت قوله تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمنا فأفرجنا فاعمل صالحاً - أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فأفرجنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياح السائق بالضرورة إلى سوء القلب والمآل.

(يان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما

عن قصد وشهوة غالبية أو عن إمام بحكم الانفاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لعلبة الشهوة فقد هيجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليحوها فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فأما بالقلب فيكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعتو وتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق للذنوب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمم بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات . وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشمانية أعمال كان الضوء عنه مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الانفلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم ومحمد مائة مرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم يوماً وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين^(١) وفي بعض الأخبار تصلي أربع ركعات^(٢)

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلّي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له لفظ أبي داود وهو في السكبري للنسائي مرفوعاً وموقوفاً فعلى المصنف عبر بالأثر لإرادة الوقوف فذكرته احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كتابي (٢) حديث التكفير بسلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

لا يرحم الله إني أعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التي توجب النعم ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل عمله في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الإطلاق وإلا فالاستخارة التي وردت بها الأخبار هي التي يصلّيها أمام كل أمر يريد ويقرأ في هاتين الركعتين - قل يا أيها الكافرون - وقل هو الله أحد - ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل أريده

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأتبها حسنة تكفرها السر بالسر والعلاية بالعلاية ^(١) » ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى عاجلت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا الليس فاقض على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة القداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات ^(٢) » وهذا يدل على أن مادون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » ففى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجهد في دفعها بالحسنات. فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار ، وفي الخبر « للاستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله ^(٣) » وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار مضافا ذهب هاسكا ^(٤) . فنقول : الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس التفة أستغفر الله وكما يقول إذا سمع صفعة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال الغفرة عن صدق إرادة وخلص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها تصلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ^(٥) » وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب والتوبة

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جالس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما قائم النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأنزل الله عز وجل وأتم الصلاة طرقي النهار - الآية وإسناده جيد ^(١) حديث إذا عملت سيئة فأتبها حسنة تكفرها السر بالسر والعلاية بالعلاية البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر الحديث ^(٢) حديث إن رجلا قال يا رسول الله إنى عاجلت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا الليس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة القداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة مضافا قال نعم الحديث ^(٣) حديث المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله ابن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمستهزىء بربه وسنده ضعيف ^(٤) حديثا بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفع الترمذى من حديثه أنزل الله على أمانين الحديث وضعفه ابن مردويه في تحصيله من قول ابن عباس ^(٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تقدم في الدعوات .

في هذا اليوم اجل فيه
الحيرة . ثم صلى
ركعتين أخريين بقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
حبك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأشياء عندي واقطع
عني حاجات الدنيا
بالشوق إلى لقاءك وإذا
أقررت أعين أهل
الدنيا بدنيام فأقرر
عيني بعبادتك واجعل
طاعتك في كل شيء
منى يا أرحم الراحمين
ثم يصلى بعد ذلك
ركعتين بقرأ فيها
شيئا من حزيه من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ، ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاة فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء ، فإن عصى قال يارب استر علي فإذا فرغ من العصية قال يارب تب علي فإذا تاب قال يارب ارزقني العصمة وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاة بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الاتقاراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم النجاة ثم المصافة ثم الموالاة ثم محادثة السرو هو الحلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه ، والذكر قوامه ، والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقالوا ، إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى - التائبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه ، والقصد أن للتوبة ثمرتين أحدهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضه نحو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فلا يستغفار بالقلب والتدارك بالחסنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كالأخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجع للميزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات فيألك أن تستغفر ذرات الطاعات فلا تأتيتها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الحرقاء تسكدل عن الغزل تعلا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد تقول أي غني يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعنوية أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون قصافا بالاضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي : إن لسانى في بعض الأحوال يعجز بالذكر والقرآن وقلبي غافل . فقال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقق وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصى في إحدى الكلمتين وبسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك العادة شر العصيان بالغبية واللعن والفضول هذا تضيق في الدنيا لأدنى الطاعات وتضيق الآخرة كبر لو كانوا

إن كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يتنقل في أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لغيره فليحضر حاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين ليقية الله سواء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلى ركعتين ليقية الله سواء المدخل بعد أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن في البيت

يسلمون - فإياك وأن تلح في الطاعات مجرد الآفات فتفتقر برغبتك عن العبادات فإن هذه مكيدة ووجهها الشيطان بلمته على الغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل الثغطين للخفايا والسرائر فأى خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه الكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت ياملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذى داوى جرح الشيطان بشر الملح عليه . وأما الظالم الغرور فاستشعر في نفسه خيلاء القطنة لهذه الدققة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسهف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والواقعة كما قيل : وافق من طبعه . واقفه فاعتنقه . وأما المقتصد فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتغطين لتقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذى ذمت حيا كته فتركها وأصبح كاتباً والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا ترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارتنا محتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق: حسنات الأبرار سيئات القريين . فان هذه أمور ثبتت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستحقر درات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقرُوا منها شيئاً فاعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقرُوا منها شيئاً فاعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عبادته فلا تحقرُوا منهم أحداً فاعلمه ولى الله تعالى وزاد وخبأ إجابته في دعائه فلا تركوا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قسمان : شاب لاصبوة له نشأ على الخير واجتنب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صبوة (١) » وهذا عزيز زنادر : والقسم الثانى هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى ثابتين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواءه حل ذلك السبب ورضه وإبطاله ولا يطل الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاف الغفلة إلا العلم ولا يضاف الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم الصافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - فلادواء إذن للتوبة إلا المعجون بسجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكنجيين بين حلاوة السكر وحموضة الحل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فاذن لهذا الدواء أصلاً : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بينهما .

(١) حديث يجب ربك من الشاب ليست له صبوة أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

أحد يسلم أيضاً ويقول
السلام على عباد الله
الصالحين المؤمنين وإن
كان متفرغاً فأحسن
أشغاله في هذا الوقت
إلى صلاة الضحى الصلاة
فان كان عليه قضاء
صلى صلاة يوم أو
يومين أو أكثر وإلا
فايصل ركعات يطولها
ويقرأ فيها القرآن فقد
كان من الصالحين من
يختم القرآن في الصلاة
بين اليوم والليلة وإلا
فليصل أعداداً من
الركعات خفيفة بفاعحة
الكتاب وقل هو الله
أحد وبآيات التي في
القرآن وفيها الدعاء
مثل قوله تعالى ربنا
عليك توكلنا وإليك
أنبنا وإليك المصير -

فان قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم يحملها أدوية لأعراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مآربه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويعتق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة والشقاوة سببا هو المصيبة وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . الثالث أنه لا بد أن يصنى إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والأسباب للضررة على الجملة حتى يخلب عليه الخوف في ترك الاحتياء فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتياء ووزانه من الدين الاصفاء إلى الآيات والأخبار الشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلحق إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف التقوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتياء عنه ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتياء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتهما وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم وعيز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه مالم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة قسيسا متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون إلا جهلا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع والدنيا دار الرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار الرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب للمريض الذي لا يحتمى أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيد بالسلاسل والأغلال ويكشف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرضى القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداها أن المريض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وصلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم واليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها فما باله يطل ولا يتعم بخدمة الله تعالى . قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فإذا ارتفعت الشمس

فإن عاقبة موت مشاهد تنفر الطباع منه وما يجد للوت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم قتل النفرة عن الذنوب وإن عليها مرتكبها فذلك تراه بشكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير انكال . والثالثة : وهو الداء الضال فقد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا شديدا همزواعن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم للرض حتى لا يظهر قصانهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيد مرضا لأن الداء للهالك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدر واطل تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فلما بالكم تأمرون بالعلاج وتفسون أنفسكم فهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء واقطع الدواء وهلك الخلق فقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يشعروا وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا ولتهم سكوا وما نطقوا قاتهم إذا تكلموا لم يهملهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذلك لثلاث الرحمة لأن ذلك أهدى في الأسماع وأخف على الطباع فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من زجره على العاصي ومزيد قوة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا وأخانا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادى العلة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة إسراره في الخوف يذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك المصير على الذنوب الشتي للتوبة للمتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظما لذنوبه التي سبقت يبالغ أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب ، فأما معالجة للزور المسترسل في العاصي يذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المهرور بالصل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجبال والأغبياء فاذن فساد الأطباء هي المضلة الزباء التي لا تقبل الدواء أصلا . فإن قلت : فأذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه ، نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع : الأول أن يذكر مافي القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا ^(١) » وفي بعض الروايات « ليتهم تجالسوا فتذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا بما علموا » وقال بعض السلف إذا أذنب البعد أمر صاحب الجمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبد يصحى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاء فانكما لم تخلفاه ولو خلقناه لرحمناه ولله يتوب إلى فأغفر له ولله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات

(١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف إن لله ملكا ينادى في كل ليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حساده الحديث وفيه ليت الخلق لم يخلقوا ولتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا الحديث .

وتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما ينصف المصريين الظهر والقرب صلى الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رُمضت الفصال » وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حرّ الشمس . وقيل الضحى إذا ضحيت الأقدام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنَ الْحَسَنَاتِ عَلِيمٌ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلّت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها » (١) وفي حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوح كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطابع » (٢) وقال الحسن : إن بين العبد وبين الله حدا من الماضي معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوقه بعدها خير والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف ديناراً ولا درهما وإنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه (٣).

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من الصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستعيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتضعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبطا من جوارى فإنه لا يجاورني من عصائي قال فالتفت آدم إلى حواء باكياً وقال هذا أول شؤم العصية أخرجنا من جوار الحبيب. وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه فسلم ملكه أربعين يوماً فهرب ثأماً على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطمعوني فاني سليمان بن داود شيخ وطرده وضرب . وحكى أنه استظم من بيت لامرأته فطرده وصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت عجوز جرة فيها بول فصبت على رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين (أيام العقوبة) قال فبجاء الطيور فمكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذرکم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى أن الاسرائيليات أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه ففادته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستصم قال فنبأه الله بركة تقواه فكان نبيا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله على علم الغيب قال بتركي المعاصي لأجل الله تعالى . وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قيصه نظرة وكان جديداً فكانه أهجبه قال فوضمته الريح فقال لم فعلت هذا ولم آمرك ؟ قالت إنما نطعمك إذا أظمت الله .

حق يقضى مما ندب إليه من زيارة أو عيادة بمضي فيه وإلا فيدمر العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرًا وباطنًا وقلبا وقالبًا وإلّا باطنًا وترتيب ذلك أنه يصلى مادام منشرحاً وقسمه عجيبة فإن سم ينزل من الصلاة إلى التلاوة فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فإن سم التلاوة أيضاً يذكر الله بالقاب واللسان فهو أخف من القراءة فإن سم الله ذكر يدع ذكر اللسان ويلزم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم ملازماً لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فإذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوح . قلت هكذا قال المصنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد روينا في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف ديناراً ولا درهما وإنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث عمرو بن الحرث قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهما ولا أمة ولمسلم من حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهما ولا أمة ولمسلم من ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال فتوكل لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنهم عنه فافلون - لم خفت عليه الذئب ولم تريعي ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتدرى لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأتيني بهم جميعا - وبما قلت - اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسرار بل الفرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار ، نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأستغناء يميلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على ألسنة الصبرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه تدييضق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تستقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »^(١) وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا »^(٢) وقال بعض السلف ليست اللمة سوادا في الوجه وقصا في المال إنما اللمة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللمة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرم من رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء السالكين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يحقته الله تعالى ليحقته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان عثى في الوحل جامعا ثيابه عثرزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو عثى في وسط الوحل ويبكى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنين فعندها يخوض في الذنوب خوفا وهو إشارة إلى أن الذنب تعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حمارى وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فأر يبق وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقى فأخذ يدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحانه الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحسنة كيف خلقت للنار قفص يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فبا غيرتم من أعمالكم »^(٣) وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما أنصنع

(١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظه إلا أنه قال الرجل بدله العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود إليه أبدا تقدم (٣) حديث ما أنكرتم من زمانكم فبا أنكرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

الذكر وأفضله فإن مجز عن ذلك أيضا وتعلمته الوسواس وتراحم في باطنه حديث النفس فليتم في النوم السلامة وإلا فكثر حديث النفس تقسى القلب ككثر الكلام لأنه كلام من غير إسان فيحترز عن ذلك قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخيل له من ذكر ماضى ورأى وسمع كشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد

بالعبء إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذيق مناجاتي (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائماً ذات يوم أصلى غلام قلبي هوى طاولته بفكرتي حتى تولد منه شهوة الرجال فوفقت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غداه في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيـد وكان قد وجه إلى فأخصني من الرقة فلما أتيت قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فصاررت تفكك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا أنني دعوت الله لك وتبت إليه عنك فلقيت الله بذلك اللون قال فصبرت كيف علم بذلك وهو يفداد وأنا بالرقة . واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجهه قلبه فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره ليزجر وإن كان شقياً أخفى عنه حتى ينهك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يجاقب على كفرانه وأما للطبع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته .

النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالزنا والسرقة والقتل والفيـسة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولاً بالنفس والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتمل بعلاجها فليستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تسكّر على قال لا تنضب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو التقى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يستدر منه (٣) » وقال رجل لمحمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول مخايل الغضب قناه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رجلاً كن لك بالجنة وعيا فكأنه تفرس فيه آثار القظاظلة والمخالطة . وقال رجل لابراهيم بن آدم أوصني فقال: إياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي الناس وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تسكّري فككتبت إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وقال غريب تفرد به هكذا العقيلي وهو عبيد الله بن هاني . قلت : هو منهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما صنع بالعبء إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذة مناجاتي غريب لم أجده (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تسكّر على قال لا تنضب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

أن يصلي من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يسبهم إذا فرغوا أن يناموا طلباً للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يمين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الإتياء

«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكرهه الله إلى الناس» (١) والسلام عليك فانظر إلى قهها كيف تعرضت لآفة التي تكون الولاية بسخطها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى : أما بعد ؛ فأتق الله فانك إذا اتقيت الله كما لك الناس وإذا اتقيت الناس لم يفتوا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللاحقة ليسكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير محكمة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان . فان قلت : فان كان الواعظ يتكلم في جمع أو سأله من لا يدري باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل . ومثاله ما روى أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء وعليك بالصمت لإلأمن خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله يعزك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضولك كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تغالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لاتضحك من غير عجب ولا تمس في غير أرب ولا تسأل عمالا عنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغم ومن يقل الشر يأتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لوجاءك اللوت عليه فرأيت غنيمة فالزمه وكل ما لوجاءك اللوت عليه فرأيت مصيبة فاجتنبه . وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن قناعا ولا تكن ضاررا واتزع عن اللجاجة ولا تمس في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تبع الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل للحسن بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل للحسن بن كرام أوصني فقال اجعل لديك غللا كغلاف النصف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا ما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، غف محاورك الله واحذر محاذرك الله وخذ محافى يدك لما بين يديك فعد اللوت يأتيك الخبر اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ، فان الهول الأعظم والأمور المفظات أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالمطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خس ومن نظر في العواقب نجح ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن علم فاذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدنيا دار عوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها ينتر من لا علم عنده فكُن فيها يأمر المؤمنين كالمدواي جرحه يصبر

(١) حديث عائشة من التمس رضا الناس بسخط الله وكرهه الله إلى الناس الحديث الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يحس .

من نوم النهار تجدد
في الباطن نشاطا آخر
وشفا آخر كما كان
في أول النهار فيكون
للصادق في النهار نهاران
يفتتحهما بخدمة الله
تعالى والدؤوب في العمل
وينبغى أن يكون
انتباهه من نوم النهار
قبل الزوال بساعة
حتى يتمكن من
الوضوء والطهارة قبل
الاستواء بحيث يكون
وقت الاستواء
مستقبل القبلة ذا كرا
أو مسبحا أو تاليا قال الله
تعالى - وأقم الصلاة طرفي
النهار - وقال - فسبح
بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها -
قل قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح

على عبدة الدواء لما يخاف من عاقبة الهاء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدى بن أوطاة أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأولياؤه فضعفهم وأما أعداؤه فضعفهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله : أما بعد ، قد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحدا فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل أخذ للظالمين من الظالمين والسلام . فكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقته فهذه اللواعظ مثل الأغذية التي يشترك السكافة في الاتضاع بها ولأجل قد مثل هؤلاء اللواعظ انهم باب الاتضاع وغلبت العاصي واستشرى الفساد وبلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أياتا ويتكلمون ذكر مالبس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل إلى القلب بل القائل متكلف والسميع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف ، فاذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره وإنما تناول ذلك إما تنفلة عن مضرة وإما لشدة غلبة شهوته فله سببان فإذ ذكرناه هو علاج النفقة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضررته لما كوله مضرة فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير بقوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يالج الشهوة في العاصي كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب للهبطة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر إليه وعلاجه الحرب والعزلة ومن داخل تناوله للدائد الأطمع وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وانتكار أو عن صماع وتقليد فأول الأمر حضور مجالس الله كثر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكير فيه لتخام الفهم وينبت من تمامه لاحالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونه الصبر وابتعث الدواعي لطاب العلاج وتوفيق الله وتيسره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فانتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسن فسييسره الله تعالى ليسرى ، وأما من يغفل واستغنى وكذب بالحسن فسييسره الله للصبر فلا يغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإتمامه الآخرة والأولى . فإن قلت فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون إلا بالعلم والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصبر عليه إلا لأنه غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لضعف الإيمان اذ كل مؤمن مصدق بأن العصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور : أجهلها أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالخلق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتقاد والإلف والمادة طبيعة خامسة والتزوع عن

وقبل غروبها صلاة
الصبر - ومن آتاه
الليل فصبح - أراد
العشاء الأخيرة
سواطراف النهار - أزداد
الظهر والغرب لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
الآخر غروب الشمس
وفيها صلاة المغرب
فصار الظهر آخر
الطرف الأول والمغرب
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
بالقطة والله كذا
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم
الليل ويصل في أول
النوال قبل السنة
والفرض أربع ركعات

العاجل لحوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى - كلاب تجنون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها خلفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبق أحد إلا دخلها، وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها خلفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد » (٢) فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا إلى الآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة قلبه وألم الصبر عنه ناجز فيكون عليه الألم ينتظر. الثالث أنه مامن مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير في حيث رجاؤه التوفيق لتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان. الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجابا لا يمكن الصفو عنها فهو يذنب وينتظر الصفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان ، نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس قدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكيا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذر الطيب عن تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالى به فهذا هو الكفر . فان قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غدا للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شرائه فلهذا يدريه لكل الساعة قريب والتأخر إذا وقع صار ناجزا ويذ كر نفسه أنه أبدا في دنياه يتعب في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسى الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن الموت ألم لحظة إذ لم يخف ما جده ومفارقة الدنيا لا بد منها فتكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه ألا وأبدا فليظن كيف يبادر إلى ترك ملاذنه بقول ذي لم تقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء لا يؤيدن بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له إلا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير بينه يبالغ اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبدا الآباد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتغصنها وامتناع صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعم الآخرة وأما تسويف التوبة فيعالجها بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن السوف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلهذا لا يبق وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة .

بتسليم واحدة كان
صليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
صلاة الزوال قبل الظهر
في أول أوقاتها ويحتاج
أن يراعى لهذه الصلاة
أول الوقت بحيث
يفطن لوقت قبل
لؤذين حين يذهب
وقت الصلابة
بالاستواء فيشرع في
صلاة الزوال ويسمع
الأذان وقد توسط
هذه الصلاة ثم يستعد
لصلاة الظهر فان وجد
في بطنه كدرا من
عجالة أو جمالة
اتفقت يستغفر الله
تعالى ويتضرع إليه
ولا يشرع في صلاة
الظهر إلا بعد أن يجد
الباطن عائدا إلى حاله

فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحيل إلى الغلبة الشهوة والشهوة ليست تخارقه غدا بل تضاعف إذ تتأكد بالاعتیاد فليست الشهوة التي أكلها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكلها وعن هذا هلك السوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق ومما مثال للسوف إلى امثال من احتاج إلى قلع شجرة فراه اقوية لا تتقلع إلى بمشقة شديدة فقال أواخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينظر الطلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف . وأما المعنى الرابع وهو انتظار غفر الله تعالى فملاجه ماسبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله قراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العزور على كثر في أرض خربة فان إمكان النفق عن القنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النيب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره . وقدر على دقتها وإخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم التاهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة . وقد حكى في الأمصار أن مثل ذلك وقع فأتانا أنتظر من فضل الله مثله فنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجهل إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدق ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال أعلم استحالاته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولدت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان الله الأظلمة فيقول أتركه لاحالة لأنني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد فيقال له ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الأبواب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فان صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدره فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لانبية لمدة العمر إلى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا بمخلوعة بالذرة وقدرنا طائر ايلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها لفنيته الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا فكيف يفتر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد ابن سليمان التوحي المعري :

قال النجم والطبيب كلاهما لا تبعت الأموات قلت إليك
إن صح قولك فلست بخاسر أو صح قولي فالحسار عليكما

ولذلك قال على رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قالت فقد تخلفنا جميعا وإلا فقد تحلصت وهلكت أي الماقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فان قلت هذه الأمور جليلة ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستقلته وما علاج القلوب ليردها إلى الفكر لاسيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله . فاعلم أن المنافع من الفكر

من الصفاء والافتقار
حلاوة الناجاة لا بد أن
يجدوا صفو الأنس في
الصلاة ويتكبدون
ببسير من الاسترسال
في اللباج ويصير على
بواطنهم من ذلك عقد
وكدر وقد يكون ذلك
بمجرد المخالطة والمجاسة
مع الأهل والولد مع
كون ذلك عبادة
ولكن حسنات الأبرار
سيأت القربين فلا
يدخل الصلاة إلا
بصد حل العقد
وإذهاب الكدور وحل
العقد بصدق الانابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكدر
بمجالسة الأهل والولدان
أن يكون في مجاسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهو الهاوشدائدها وحسرات العاصمين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويلتذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل الفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حياته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر ينم عن ذلك ، وأما علاج هذين للأمنين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم موافقته فكيف تصبر على مقاماته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومثألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مغوا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريرة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات لما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بعمرته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة ، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة لما عودتها تعود والخير عادة والشر لاجبة ، فاذن هذه الأفكار هي الهيجة للخوف للهيج لقوة الصبر عن الذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تنفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر مواقفا للطبع فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذي أوقع الواقعة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روى في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال لملي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابني ، فقال على رضى الله عنه بنى على أربع دعائم : على الجفاء والمعنى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت الملباء ومن عمى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشود من شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة وبدأ له من الله ما لم يكن يحتسب ، فلما ذكرناه بيان بعض آفات الغفلة عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، التفرد برباء الكبرياء ، للتوحد بصنات المجد والملاء ، للوئيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتعاقب عن النصرم والاقضاء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإيمان من أعيانه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً إذا جهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

غير راكن إليهم كل الركون بل يشرق القلب في ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك الهالة إلا أن يكون قوى الحال لا يعجبه الخلق عن الحق فلا يتعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى الهالة كان استرواح نفسه منغمرا . روح قلبه لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الإلهية فلا يتعقد على باطنه عقدة وصلاة

ولا سبيل إلى الوصول إلى اقرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف تصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة مآبه الإيمان ومن به الإيمان والثقاعد عن معرفة الصبر والشكر ثقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك مآبه الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميهِ باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل بما صبروا وقال تعالى - ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - وقال تعالى - وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وقال تعالى - إنما يؤتى الصابرون وأجرهم خير حساب - فإمن قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزى به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصره على الصبر فقال تعالى - بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع للصابرين بين أمور لم يحسبها لغيرهم فقال تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المنتهون - فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» (١) «على مائتي وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حفظه منهما لم يبال بما فات من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلى من أن يوافيكم كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بحدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم -» (٢) الآية وروى جابر أنه سئل عن النبي ﷺ عن الإيمان فقال «الصبر والسجدة» (٣) وقال أيضاً «الصبر كنز من كنوز الجنة» (٤) وسئل مرة «ما الإيمان فقال الصبر» (٥) وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم «الحج عرفة» (٦) معناه معظم الحج عرفة

رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الإيمان فقال الصبر والسجدة الطبراني في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن النكدر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كنز من كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ويزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

نزول التي ذكرناها
تحل السقذ وتبي
الباطن لصلاة الظهر
فيقرأ في صلاة الزوال
يعتقد سورة البقرة
في النهار الطويل وفي
القصر ما يتيسر من
ذلك قال الله تعالى :
وعشوا وحين تظهرون -
وهذا هو الإظهار فان
انتظر بعد السنة
حضور الجماعة للفرص
وقرأ الدعاء الذي بين
الفريضة والسنة من
صلاة الفجر فحسن
وكذلك ماورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا به إلى
صلاة العجر ثم إذا
فرغ من صلاة الظهر
يقرأ الفاتحة وآية
الكرسى ويسبح

ويعمد ويكبر ثلاثا
وثلاثين كما وصفنا ولو
قدر على الآيات كلها
التي ذكرناها بعد
صلاة الصبح وعلى
الأدعية أيضا كان ذلك
خيرا كثيرا وفضلا
عظيما ومن له همة
ناهضة وعزيمة صادقة
لا يستكثر شيئا لله
تعالى ثم يحجى بين
الظهر والعصر كما يحجى
بين العشاءين على
الترتيب الذي ذكرناه
من الصلاة والتلاوة
والذكر وللإقامة
ومن دام سهره ينام
نومة خفيفة في النهار
الطويل بين الظهر
والعصر ولو أحيا بين
الظهر والعصر ركعتين
مقرأتهما ربع القرآن

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصل له مرفوعا وإعنا هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكوا فقال عمر نعم يارسول الله الحديث الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث في الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي .

عليهم السلام فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجد آخر يطلب الصوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه . والآخر يقويه تمييز بمعونة الملكين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالح للتعاقب بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فذلك لا يتطلب إلا اللذيق . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا يتطلبه ولا تفرقه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مضيات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بمنعود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجل ومعرفة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحقيق بالصبرين وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال المشتهة عمل يشمره حال يسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى فإذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تنفاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الأبقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والأيمان تنجح مغية الشهوات وسوء عاقبتها وهذان للسكان هما للتكفلان بهذين الجندين بأذن الله تعالى وتسخيرهما إياهما ، وهما من الكرام السكاكين وهما للملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك للقوى لم يغف عليك أن جانب اليمين هو الذي أشرف الجانبين من جنبتي الدست ، ينبغي أن يكون مسلما له فهو أذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال . ولعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومضى إليه فيكتب أعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب أقباله حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بآبائهما فذلك مما كراما

أو يقرأ ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحجب هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان صائما وإن لم يكن صائما فأى وقت خير فيه الفم . وفي الحديث « السواك مطهرة للفم مرضاة لقرب » وعند القيام من الفرائض يستحب قبل إن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعا ، وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ بين

كاتبين أما الكرام فلا تنفخ البعد بكرهما ولأن الملائكة كلهم كرام برروا أما الكاتبون فلا ياتهما الحسنة والسيئة وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتها وكنتيهما وخطبهما وصحائفهما وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات فقد قامت قيامته ^(١) » وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال - ولقد جثمتونا فرادی كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملائمة الخلق وفيها يساق للتون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والمهل الأول هو هول القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فان أرضك الخاصة بك ترتزل في اللوت فانك تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت يهتة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم ترتزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما ينشأ من عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان . واعلم أنك أرضى مخلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بذلك قط فاما بدن غيرك فليس بحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالاضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من ترتزله أن يرتزل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبدا مترزل وأنت لا تغشاه إذ ليس يرتزل به بدنك فخطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك قط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمك وبصرك وسائر خواصك نجوم بھائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشمورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فاذا انهدم بالموت أركان بدنك قد زلزلت الأرض زلزالها فاذا انقضت العظام من اللحوم قد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام قد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند اللوت قد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمك وبصرك وسائر خواصك قد انكسرت النجوم انكسارا فاذا انشق دماغك قد انشقت السماء انشقا فاذا انفجرت من هول اللوت عرق جبينك قد انفجرت البحار تفجيرا فاذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وما مطيتك قد عطلت العشار تعطيلها فاذا فارقت الروح الجسد قد حملت الأرض فمدت حتى ألقت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد اللوت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يغوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخشك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد استقرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلائها لا ينفعها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه قد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما على جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماؤه فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والمهل بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الحصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال . واعلم أن هذه الصغرى وإن طوكتا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر أو صافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فان للإنسان ولادتين: إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام

(١) حديث من مات فقد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

الصلادين في صلاته في
عشرين ركعة في كل
ركعة آية أو بعض آية
تقرأ في الركعة الأولى
- ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب
النار - ثم في الثانية
- ربنا أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين -
ثم - ربنا لا تؤاخذنا
بإخرا السورة ثم ربنا
لا تزغ قلوبنا - الآية
- ربنا إنا معصمانا يا
ينادي للإيمان - الآية
ثم - ربنا آتنا بما
أنتزلت - ثم - أنت
ولينا فاغفر لنا - ثم
- فاطر السموات
والأرض أنت ولي -
ثم - ربنا إنك تعلم

فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنبذة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه الصبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم قس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بشئكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيما لا تعلمون - فالمر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالأعور إلى الدجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا » (١) أو ما سمعت بكبريه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت » (٢) أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاغ العافلين الذين لا ينظرون إلا صبيحة واحدة تأخذهم وهم يغمضون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا يفرجون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيطنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جحيم لدينا محضرون ولكن ماتناهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع إلى الفرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم للعامة . فقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنه في الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وهما لا يكتبان إلا الإقبال والاعراض من القادرين على الإقبال والإعراض ولعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصباح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على صمت الكرام الكاتبين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتحريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا صمت في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقرئين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريع بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بالفظ اللهم أعني على سكرات الموت .

ما تخفى وما تعلمان -
الآية ثم - وقال رب زدني علما - ثم - لا إله إلا أنت سبحانك - ثم - رب لا تدركني فردا - ثم - وقال رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ثم - ربنا هب لنا من أزواجنا - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين - ثم - يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي - الآية من سورة الأحقاف ثم - ربنا اغفر لنا

وأنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (١) وأشار إلى أصعبه الكريمين صلى الله عليه وسلم .
(بيان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولا غشال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين : أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر والراد باليقين للمعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يرفقه آن العصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن تزكك للصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال « من أقل ما يؤتيه اليقين وعزيمة الصبر » الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال الثمرة للأعمال لاهل للمعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين . باعث من جهة الشهوة ، وباعث من جهة الغضب فالشهوة اطلب للذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار « الصوم نصف الصبر » لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن نفهم تقديرات الشرع بمحدود الأعمال والأحوال ونسبها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل الشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالفعل كتماطى الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال كالصبر عن الضرب الشديد والمرضى العظيم والجراحات المائلة وذلك قد يكون محمدا إذا وافق الشرع ولكن الحمد والثناء هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والمهلل وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتمال النفسى وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقابلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وإن كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلا ويضاده التذمر وإن كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وإن كان عن فضول القيتى سمى زهدا ويضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

ولا خواتنا الذين -
الآية ثم - ربنا عليك
توكلنا - ثم درب اغفر
لى ولوالدى ولمن دخل
بيتي مؤمنا وللؤمنين
والؤمنات ولا تزد
الظالمين إلا تبارا -
مهما يصل فليقرأ بهذه
الآيات وبالحفاظة على
هذه الآيات فى الصلاة
مواظبا للقلب واللسان
يوشك أن يبرى إلى
مقام الاحسان ولورد
فرد آية من هذه فى
ركعتين من الظهر أو
الصبر كان فى جميع
الوقت مناجيا لمولاه
وداعيا وتاليا ومصليا
والدؤوب فى العمل
واستيعاب أجزاء النهار
بلذاته وحلاوة من
غير سامة لا يصح

الحرم وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ صمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق
الإنسان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفه» (١) وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وصمى الكل صبرا فقال تعالى
- والصابرين في البأساء - أي الصيبة - والضرراء - أي الفقر - وحين البأس - أي المحاربة - أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ للعاني من
الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفوا الذي
يسلك الطريق للستقيم وينظر بنور الله يلحظ للعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي
فإنها وضعت دالة على للعاني فالعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع
لابد وأن يزل وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى - أفمن ينشئ مكباً على وجهه أهدي أمن يشي
سوا على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يخطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانكسارات ، نسأل
الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال : أحدها أن يقهر داعي الهوى فلا يتبع
له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة
هم الأقفلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهو لاء لازموا الطريق
للمستقيم واستوتوا على الصراط القويم واطمأنات نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإيأى ينادى النادى
- يا أيها النفس الطمئة ارجعى إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى
وتسقط بالكلية المنازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة
وهؤلاء هم العافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقهم شهواتهم وغلبت عليهم شغوتهم فكروا
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله وإليه الإشارة بقوله تعالى
- ولوشئنا لآتيناك كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم - فأعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط
والفرور بالأمانى وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (٢) وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق
إلى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال إن
الله غفور رحيم فلاحاجة به إلى توبتي وهذا السكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل
عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته قد صار عقله في يد شهواته كسمل
أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الحنجر وحملها وعمله عند الله تعالى
عمل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويحمله أسيرا عندهم لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يتسلط عليه وإنما استحق السلم أن يكون متسلطا
لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكفار أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل
بالدين وباعث الشياطين وحق السلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف

إلا بعد تزكيت نفسه
بكمال التقوى
والاستقصاء في الزهد
في الدنيا وانزع منه
متابعة الهوى ومتى بقي
على الشخص من
التقوى والزهد والهوى
بقية لا يدوم روحه في
العمل بل ينشط وتنا
ويسأم وتنا ويتناوب
النشاط والكسل فيه
لبقاء متابعة شيء من
الهوى بنقصان تقوى
أوجبة دنيا وإذا صح
في الزهد والتقوى فإن
ترك العمل بالجوارح
لا يفر عن العمل بالقلب
فمن رام دوام الروح
واستحلاء الدؤوب في
العمل فعليه بحسم مادة
الهوى والهوى روح
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يسر وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الفرور .

الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرقى مسلماً لكافر بل هو كمن قصد الملك النعم عليه فأخذ أعز أولاده وسله إلى أبض أعدائه فانظر كيف يكون كفراته لنعمته واستجابته لنعمته لأن الهوى أبض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحزب سجالات بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يمد مثله لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يظلب جميع الشهوات أو لا يظلب شيئاً منها أو يظلب بعضها دون بعض وتزبل قوله تعالى - خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل سبيلاً إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعظله فهو الناقص حقاً المدبر بقينا ولذلك قيل :

فلم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك صبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت القوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسن تيسر الصبر ولذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسن فستيسره لليسر - ومثال هذه القسمة قدرة الصارع على غيره فإن الرجل القوى يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إعياء ولا لقوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وبعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات واتعمقت وتسلطت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواظبة أورت ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير (١) » وقال بعض المارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالتدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على اللصائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وقيل ومكروه وعمرم . فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يده ولده وهو صبر عليه ما كتاكوتن يقصد حرمة بشهوة محظورة فتبيح غيرته فيصبر عن إظهار الفرية ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر عمرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع يحكم الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يغفل إليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما هو الذي يوافق هواه .

(١) حديث اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم .

نزول متابعته والنبي
عليه السلام ما استعاذ
من وجود الهوى
ولكن استعاذ من
متابعته فقال « أعوذ
بك من هوى متبع »
ولم يستعذ من وجود
الشع فانه طبيعة
النفس ولكن استعاذ
من طاعته فقال « وشع
مطاع » ودقائق متبعة
الهوى تتبين على قدر
صفاء القلب وعلو الحال
فقد يكون متبعاً للهوى
باستحلاء مجالسة الخلق
ومكالتهم أو النظر
إليهم وقد يتبع الهوى
بتجاوز الاعتدال في
النوم والأكل وغير
ذلك من أقسام الهوى
التي تبع وهذا شغل من
ليس له شغل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يوافق به يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها للباحة منها أخرجته ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بقتة الضراء فصرنا وابتلينا بقتة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة مجنة عزنة (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قيصة نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إلى لما رأيت ابنى يتعثر لم أملك نفسي أن أخذه (٢) » . ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويصم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التمتع واللذة واللهو والمعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه يذل المعونة للخلق وفي لسانه يذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدره ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحاجة والفصد إذا تولا غيرة أكبر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلماذا عظمت فتنة السراء . النوع الثاني مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالحساب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشقي من المؤذي بالاتقام منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفضاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والعبد يحتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهى مضمرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان محتما من إظهاره فإن استشاطته وغيطه عند تقصيرهم في خدمته واستبداده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فإذا ذنبت العبودية شافة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ومحتاج للطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء

ثم يصلى العبد قبل العصر أربع ركعات فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة وقرأ في الأربع قبل العصر إذا زلزلت والمعاديات والقارعة والمهاسم وصلى العصر ويحفل من قراءته في بعض الأيام والسهاء ذات البروج وصحمت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل وقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعوات ما يتيسر له من ذلك فإذا صلى

(١) حديث الولد مجنة مبخلة عزنة أبو يعلى اللؤلؤى من حديث أبي سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قيصة نزل عن المنبر الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن اللئى والأذى قد أبطل عمله . والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك محتاج إلى صبر . الضرب الثاني للمعاصي لما أحوج العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى - وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » (٢) والمعاصي مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة ذات انصاف المادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك القمع مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع للزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الأزرار والاستحفار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وصيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان : إحداها نفى الغير والأخرى إثبات نفسه وبها تتم له الربوية التي هي في طبعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية واجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معنادا في المحاورات يمسر الصبر عنها ، وهي أكبر الويلات حتى يطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها فرى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن الغيبة أشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد » (٣) فلا ينجي غير الصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع الخاطلة وتختلف عدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى

الصبر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقي وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهد في الدنيا ويسدد كلامه عرا التقوى من الطاعة الزاهدين للتكلمين بما يقوى عزائم المؤمنين فإذا صحت نية القائل والستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد وللداومة على الأذكار وإن عدت هذه المجالسة وتصدرت فليترجح بالتنفل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جيدين وقد تقدم (٣) حديث إن الغيبة أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يطلب على القلب هم آخر في الدين يستغفره
 كمن أصبح وهوومه هم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فنور الوسواس
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالو أذى بفعل أو قول أو جنى
 عليه في نفسه أو ماله ، فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة . قال
 بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى ، وقال
 تعالى - ولنصبرن على ما آتيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون - « وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أذى بأكثر
 من هذا فصر^(١) » وقال تعالى - ودع أذاهم وتوكل على الله - وقال تعالى - واصبر على ما يقولون
 واهجرهم هجرا جميلا - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
 أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - أى تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح
 الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى - وإن تأقبن فاتقوا بمن أخرجنا
 به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - وقال صلى الله عليه وسلم « صل من قطعك وأعط من حرمك
 وأعف عمن ظلمك^(٢) » ورأيت في الإنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من
 قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك
 الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر
 معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
 يتعاون فيه باعث الدين و باعث الشهوة والنضب جميعا . القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمل العين
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة
 وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة
 وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فان ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألك من اليقين ما تهون على به مصائب الدنيا^(٣) »
 فهذا صبر مستندة حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما يحب فكيف نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قل الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله
 أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب ميذا أو أنشر له ديوانا^(٤) »

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على وضوء .
 وكره جمع من الماء
 تحية الطهارة بعد
 صلاة العصر وأجازه
 للشافعي والصلحون
 ويقول كما خرج من
 منزله بسم الله ماشاء
 الله حسي الله لا قوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجتنى ؛ وليقرأ
 الفاتحة والموذنين ولا
 يدع أن تصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 تمر أو لقمة فان
 القليل بحسن النية
 كثير . وروى أن
 عائشة رضى الله
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 أسألك من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا الترمذى والنسائى والحاكم ومصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذى وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدى
 مصيبة في بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظار الفرج بالصبر عبادة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم اؤجرني في مصيبي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك ^(٢) » وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدله لحما خيرا من لحمة وحما خيرا من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي ^(٤) » وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاه الحزين الذي يصبر على الصائب ابتداء مرضاته قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا آثره عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما أنتم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ماعوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الرضا لا يتخفى فوق منزله ، وقيل حبس الشئلى رحمه الله في السارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أحباؤك جاءوك زاربن فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي ، وكان بعض العارفين في جيه رقة يخرجها كل ساعة ويطلعها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك - أيمنا - ويقال إن امرأة فتحت للوصلى عثرت فاقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى اللؤم بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك ^(٥) » وروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كاه صرة فاقتفدها فإذا هي قد أخذت من كاه فقال بارك الله له فيها لعله أحوج إليها منى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرني قليلا إلى العدو واجعل للماء في الترس فإني صائم فأن عشت إلى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاعى في مسند الشباب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث على دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد اللالىنى في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس إن الله قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته الحديث الطبرانى في الأوسط من رواية أبى ظلال القسلى واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصر عوضه منها الجنة رواه ابن عبيد وأبو يعلى بلفظ إذا أخذت كرمي عبدي لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف (٤) حديث يقول الله إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدله لحما خيرا من لحمة الحديث مالك في الوطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقى موثوقا على أبى هريرة (٥) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجهك ولا تركي نفسك .

عنة واحدة وقالت إن فيها لمخايل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من الصبر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الآخرة على بلاء الله تعالى . فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في الصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطراً شاء أم أبى فان كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود والبالغة في الشكوى وإظهار الكتابة وتغيير العادة في اللبس والفرش والطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يحتجب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويستند أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى عن الربيعة أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فتمت فسجتيه في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فتمت فنبأت له إظهاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأمكن منه الليلة ثم تصمت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بمنى ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما (١) قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك في السجدة سبعة كلهم قد قرءوا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالربيعة امرأة أبي طلحة ، وقد قيل الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج به عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوت سواء ولأن البكاء توجع القلب على الليت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان إلى اللوت ولذلك لمسامات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له « أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيع يعزى بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبغاه له . واعلم أن الساضى قبلك هو الباقي لك والباقي بمدك هو للأجور فيك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يوافقون منه فاذن مهمادفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ، نعم من كمال الصبر كتمان الرضا والفقر وسائر المصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان للصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التسميات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فان الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الحواطر لا يمكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له وفي مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحبة الله تعالى فهو مغبون هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره له منه بل يتقدر المتألمة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به

(١) حديث الربيعة أم سليم توفي ابن لي وزوجى أبو طلحة غائب فتمت فسجتيه في ناحية البيت الحديث طيب ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين فقد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله والكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة ومائة

في محالته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حر كجنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالصفار والصفار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف للمؤمن الخلق من النار أن يعلم أن عن حر كته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستصصى وعبر عن سبب استنصائه بأن قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فاذن حيث لم يسجد للمؤمن لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده ومهما كلف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه قد أظهر اتقياده وإذعانه بالأذعان سجود منه فهو روح السجود وإنما وضع الجبهة على الأرض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي العظم المحترم يرى استخفافا بالمادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وتشر اللب عن اللب فتكون عن قيده عالم الشهادة بالسكينة عن عالم القلب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهو منك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد للمؤمن مجالا فيك فند ذلك تكون من عباد الله المحاصين الداخلين في الاستثناء عن سلطة هذا الأمين ولا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سبال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فانك إن أردت أن يخلو الصدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو غيره قد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بذكرهم في الدين لا يخلو عن جولان الشيطان والإلهن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قريب إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يمش عن ذكر الرحمن يقبض له شيطانا فهو له قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يغضب الشاب الفارغ» (١) وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعيش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزوج أفراده أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسمى شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا يبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فاذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شمتوك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد مثل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم تشغلها شغلك فاذن حقيقة الصبر وكاله الصبر عن كل حر كة مذمومة وحر كة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أزل الداء أزل الدواء ووعد الشفاء بالصبر وإن كان شاقا أو ممتنا فتحصيله ممكن بحسب جنس العلم والعمل فالعلم بالأخلاق التي منها تتركب الأدوية لأمر أراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك عما يطول

(١) حديث إن الله يغضب الشاب الفارغ لم أجده .

مرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقهاء من المغرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم واليلة وليقل مائة مرة بين اليوم واليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فقول إذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدّثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة . فنقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يظلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فسييل تضعينه ثلاثة أمور : أحدها أن تنظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحرّكة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة اللذيذة للشهوة . الثاني قطع أسبابه للبهجة في الحال فانه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهة والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس »^(١) وهو سهم يسدده للمعون ولا ترس يمنع منه إلا تقيض الأجفان أو المحرب من صوب رمية فانه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصيبك سهمه . الثالث تسليّة النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع في اللباحت من جنسه ما يفتنى عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الأتبع في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالبائة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء »^(٢) فهذه ثلاثة أسباب للعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهى قطع العلف عن البهيمة الجحوش وعن الكلب الضارى ليضعف فقط قوته . الثاني يضاهى تنقيب اللحم عن النكب وتضييب الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهى تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقتين أحدهما إطعامه في فوائده المجاهدة وممراتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر ومن أسلم خيسا في نقيس فلا يبنئ أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجه تهيجا شديدا وإن ضعف ضعفه وإنما قوة الإيمان يجبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يهود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى منه في مصارعها فان الاعتياذ والممارسة للأعمال الشاقة تؤكّد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والفلاحين والقاتلين وبالجملة تقوية الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الحياطين والخطارين والفقهاء والصالحين وذلك لأن قوامهم لم تتأكّد بالممارسة فالعلاج الأول يضاهى أطماع المصارع بالحمامة عند الغلبة ووعدده بأنواع الصكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام عوسى حيث قال - وإنكم إذا لمن المقربين - والثاني يضاهى تعويد الصبي

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان للثان سبحان الله السبع في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقال من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من اللاتكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما سمك فقال مهلبائسل قلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . وروى أن عثمان رضى

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالبائة فمن لم يستطع فعليه بالصوم الحديث تقدم في النكاح .

الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا تقوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفائه وإنما أشدها كنف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن تقع الشهوات الظاهرة وآثر المزمة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد الفناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تنصر المهوم بها واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك بمجاذبة الشيطان ووسواسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينبغي إلا الأوراد المتواصلة الترتيبية في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات وبحاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا قل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يغلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط إذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة . وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب العاش فان تهية ذلك أيضا تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يغلو عن شغل قلب ممن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به مله أو واقعة في تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والالتقاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقديرا للجهد ويحبل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمولود راء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد ، ثم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المهدوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين وكل مهوم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع العلائق الجاذبة هو الراد بقوله ﷺ « إن ربكم في أيام دهركم نفحات ألا تعرضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى يسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبت البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا بغير ولا يدري متى قدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يغلي سنة عن مطر فكذلك فلما تحلوسنة وشهرو يوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فيبقى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والأفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لا ستدرار رحمة حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقابل السموات
والأرض - فقال سألني
عن شيء عظيم ما سألني
غيرك هو لا إله إلا الله
والله أكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
وأستغفر الله الأول
الآخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحمد لله
الحير وهو على كل شيء
قدير من قالها عشرا
حين يصبح وحين
يمسي أعطيت حسنة
فأول حسنة أن يحرس
من إبليس وجنوده
الثانية أن يعطي قطارا
من الأجر الثالثة يرفع
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار الكاشفات والطائف المعارف من خزائن
 الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرا قطرات الماء واستجرار القيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال والكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملذاتك وشهواتك خاضرك
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من
 باطن القلب وتظهر ماء الأرض بحفر القنن أسهل وأقرب من استرسال اليهامن مكان بعيد منخض عنها
 ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالتفكير عنه معي الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكر أفعال تعالى
 - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولتذكر أولوا الألباب - وقال تعالى - ولقد
 يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر - فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر . قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس إلى الله تعالى صعب
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والظلمة والاستعلاء والاستبغاع أغلب الذات في
 الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب الذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية
 والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من للنسبة لأموال الربوبية وعنه العبادة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقوعه بسبب
 تمرير الشيطان العين للبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فاضله وأخوامه كيف يكون
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه وعزا لادله فيه وأما لا خوف فيه
 وغنى لا فقر فيه وكالا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل
 حق كل عبد أن يطالب ملكاً عظيماً لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والكرام والكمال لا محالة ولكن الملك
 مسكن ملك مشوب بأنواع الآلام وملحق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك عظيم
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان محملاً لارغباء في العاجلة فجاء
 الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغوا به بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الحق فوعده بالترور في الآخرة ومناه مع ملك الله في ملك الآخرة كما قال عز وجل «والأحقق من أتبع نفسه
 هواها وتغنى على الله الأمانى» فانخدع الخذلون بضروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملسكم على قدر إمكانهم ولم
 يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة صبر عن الخذلون بقوله تعالى - كلا
 بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً
 ثقيلاً - وقال تعالى - فأعرض عنهم ممن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحى إليهم ما هم على الخلق
 من إهلاك العدو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل
 له إن سلم ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل
 الله إنما قلتم إلى الأرض أرزقتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما نزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم الخلد والبراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا
 فالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزا
 لادله فيه وقررة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك
 الدنيا لعله بأن ملك الآخرة يموت به إذ الدنيا والآخرة ضربان ولعله بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الرابعة يزوجه الله من
 الحور العين الخامسة
 اثنا عشر ملكاً
 يستغفرون له السادسة
 يكون له من الأجر كن
 حج واعتمر ويقول
 أيضاً في هذا الوقت وفي
 أول النهار اللهم أنت
 خلقتني وأنت هديتني
 وأنت تطمئني وأنت
 تسقني وأنت تقيمني
 وأنت تحييني أنت ربي
 لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وجسدك
 لا شريك لك ويقول
 ماشاء الله لا قوت إلا بالله
 ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير
 كله بيد الله ماشاء الله
 لا يصرف النسوة إلا الله
 ويقول حسبي الله لا إله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المآزيات والمكدرات وطول المحموم في التدبيرات وكثدا سائر أسباب الجاه ثم معها تسلم وتم الأسباب بنقض العمر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس - فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة يملوكا يستجره زمام الشهوة أخذًا بجنته إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم اختار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا وينال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالخمدوعون بفرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وقفوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتليسه يسهل عليك الزرع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجوه ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وأن يضيق إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يعمل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل ويزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومابس ومطعم وقيام وقعود كان يتأده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي أن يبدلها بنقائصها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياده ضد فلامعنى للعاجلة إلا للزيادة . الثالث أن يراعى في ذلك التلطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع تقور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسل نفسه ببعض ثم إذا فنت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقع بالبقية وهكذا فعل شيئا فشيئا إلى أن يجمع تلك الصفات التي رسخت فيه وإلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنفض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لأرضاً قطع ولا ظهرا أبقي »^(١) وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه »^(٢) « فاذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع المهلكات فاتخذة دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد بطول ومن راعى التدرج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر

وهو رب العرش العظام
ثم يستعد لاستقبال
الليل بالوضوء والطهارة
ويقرا للسبحات قبل
القنروب ويديم
التسبيح والاستغفار
بحيث تغيب الشمس
وهو في التسبيح
والاستغفار ويقرا عند
القنروب أيضا والتسبيح
والليل والعبادتين
ويستقبل الليل كما
استقبل النهار قال الله
تعالى - وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفه
لمن أراد أن يذكر أو
أراد شكورا - فكما
أن الليل يعقب النهار
والنهار يعقب الليل
ينبغي أن يكون العبد
بين الذكر والشكر
يعقب أحدهما الآخر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه تقدم فيه .

ولا يتخللها شيء كما
لا يتخلل بين الليل
والنهار شيء - والدكر
جميعه أعمال القلب
والشكر أعمال
الجوارح قال الله تعالى
- اعملوا آل داود
شكرا - والله الوفي
للعين .

[الباب الحادى
والخسون فى آداب
المريد مع الشيخ]
أدب المريد مع
الشيخ عند الصوفية
من مهام الآداب
وللقوم فى ذلك اتداء
برسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه
وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدى الله
ورسوله واتقوا الله إن

الركن الأول في نفس الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذِكْرِ في كتابه مع أنه قال: ولقد كرَّم الله كبره فقال تعالى: فاذكروني
أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون - وقال الله تعالى - ما يضل الله بهدايتكم إن شكرتم وآمنتم سوَّال
تعالى - وسنجزى الشَّاكرين - وقال عز وجل إخباراً عن إبليس اللعين - لأُصَدِّنَّ لهم صراطك
الستقيم - قبلَ هو طريق الشُّكْرِ ولعلَّ رتبة الشُّكْرِ طعن اللعين في الخلق فقال: ولا نجدُ أكثرهم شَّاكرين
وقال تعالى - وقليل عن عبادي الشَّاكِر - وقد قطع الله تعالى بالزيد مع الشُّكْرِ ولم يستثنِ فقال تعالى
- ثنَّ شكرتم لأزيدنكم - واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والاجابة والرِّزْق والنفرة والتوبة فقال
تعالى - فسوف ينصِّبكم الله من فضله إن شاء - وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء - وقال: يرزق
من يشاء بغير حساب وقال : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال : ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من
أخلاق الربوبية إذ قال تعالى - والله شكور حلِيم - وقد جعل الله الشُّكْر مفتاح كلام أهل الجنة فقال
تعالى - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - وقال - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وأما
الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بمنزلة الصَّائمِ الصَّابرِ»^(١) وروى عن
عطاء أنه قال «دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني بأحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيكثرت وقالت وأى شأنه لم يكن محباً أناني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مسَّ جفدي
جله ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت قلت إني أحب قربك لسكني أوثرهوا فكانت له مقام
إلى قربة ماء فوضاً فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكي
ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكي فلم يزل كذلك يسكني حتى جاء بلال فكانه بالصلاة فقلت يا رسول الله
ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لأفضل ذلك

وقد

وقد أنزل الله تعالى طي - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير فخرج منه ماء كثير فنسج منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يجبره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة طي مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادي يوم القيامة ليقم المحادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن المحادون قال الذين يشكرون الله تعالى طي كل حال (٢) » وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله طي السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن (٣) » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام في رضىته بالشكر مكافأة من أوليائى في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر إلى أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل . قال عمر رضى الله عنه « أى اللال تتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلبا شاكراً (٤) » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن اللال . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل في ورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود للنعم ومحبو به ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم بثلاثة أمور بين النعمة ووجه كونها نعمة في حقها وبذات النعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنم ومنم عليه تصل إليه النعمة من النعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لابد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو النعم والوسائط من سخر من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوى فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافتقار بالفعل وعن هذا عبر

(١) حديث عطاء دخلت طي عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت رأى أمره لم يكن عجبا الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله عليه السلام ومن طريقه ابن الجوزى في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضمه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأى أمره لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرنا على آخر الحديث (٢) حديث ينادي يوم القيامة ليقم المحادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضمه الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلا في الصحيح من حديث أبي هريرة الكبير رداؤه الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا الحديث تقدم في الشكاح .

الله صبيح علم - .
 روى عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القمقاع بن مبيد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قهاريا حتى ارتفعت أصواتهما فأزل الله تعالى عليهما الذين آمنوا - الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تقدموا لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فنبهوا عن تقديم الأضحية طي

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله (٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله (٣) » ولا تظن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين. واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأقوال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإصاله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك ، نعم لا ينقص من توحيده في حق الملك وكما شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيمه الذي كتبه بقله وبالكاغد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الوصل والخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاب وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئا فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن والوصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أقواله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو السلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطرب الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطرب فسلط الله عليه الإزادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن عطيك ما أعطاك وأن غرضه القصد عنده في الحلال والمآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذن إنما يعطيك لنفسه لا لغيرك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعتك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعا عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت أن الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرًا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم يديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل اعلم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرًا فاذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الشكر منه فإن خالجت ريب في هذا لم تكن عارفاً بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الأجل. الأصل الثاني: الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فذكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكوفي لاتبعة وارسول الله يقول ولا فصل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لاتقدموا لاتمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى

(١) حديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله لم أجده مرفوعا ولا معارواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام تضييفا .

شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا لشرطه ، وشرطه أن يكون فرحك بالنعم لا بالنعمة ولا بالإتمام ، ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا نقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأتم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح النعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه : أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به ومرتكوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل فرسه الفرس فقط ولو وجد في صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح . الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشغفته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفرس أصلا أو استحقاقه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل الحل في قلب الملك . الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بمخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يحطيه فرسا ويستغنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطة ، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظره صاحبها تصور على الفرس فقرحه بالفرس لا بالمعطى ، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها للذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالنعم ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الإتمام في المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والوصول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا . وأما رتبة أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها للذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهم ليج بل من حيث إنه يحمله في محبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبلي رحمه الله : الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة . وقال الحواص رحمه الله : شكر العامة على الطعام واللبس والشرب ، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدرجات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى للأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل :

ومن يك ذا فم مريض يجهد مرآ به الماء الزلالا

فأذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى ، فان لم تكن إبل فعمري ، فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية . أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكلم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه . الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح . أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق . وأما باللسان فأظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه . وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من

أبو الدرداء قال كنت
أمشي أمام أبي بكر
فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تمشى أمام من هو خير
منك في الدنيا والآخرة
وقيل نزلت في أقوام
كانوا يحضرون
مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فاذا سئل الرسول
عليه السلام
عن شيء خاضوا فيه
وتقدموا بالقول
والفتوى فهو عن
ذلك وهكذا أدب
لأبي بكر في مجلس الشيخ
ينبغي أن يلزم السكوت
ولا يقول شيئا يحضرته
من كلام حسن إلا
إذا استأمر الشيخ
ووجد من الشيخ
فسحة في ذلك وشأن

الاستعانة بها على مصيته حتى إن شكر العيين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل «كيف أصبحت قال بغير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بغير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك (١)» وكان السلف يتساءلون وبنيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستطيق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تصبح الشكوى من ملك للملك ويده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والتضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو البلى والقادر على إزالة البلاء وذلك العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل وإظهار اللذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى - إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له - وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبر فقال يأمر المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لنا وقد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلنا إلينا فضلك وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك وإعما نحن وفدا لشكر جثناك فنشكرك باللسان ونصرف . فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة النعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طغيا إشارة إلى أن معنى للعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيّد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تنفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما همهم عمالهم أو يتكلمون بما يرونه لاثقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضا عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لوعرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك باقل أصلا إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابسه ولوازمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله للوفيق برحمته .

للريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه تطلعه الى الاستماع وما يريزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه الى القول برده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء نفسه وذلك جناية للريد . وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد لأن الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بغير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بغير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ورواه مالك في اللوطا موقوفا على عمر بإسناد صحيح .

(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يحل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر للولك إما بالثناء ليزيد مجدهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين: أحدهما أن الله تعالى منزّه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والخسمة بالثناء والإطراء وعن تكثير سواد الخدم بالثول بين يديه ركعا سجدا فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه بضاهى شكرنا الملك للنعم علينا بأن تام في يوتنا أو نسجد أو نركع إذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لاعلم له ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها. الوجه الثاني أن كل ما تعطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة نعمة ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر له وركبناه أو أعطانا الملك مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الأول من أجل أن كان الثاني محتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا نذكر في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى رضى منك بذلك شكرا . فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن يقول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى والفهم قاصر عن درك السرفه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا فرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم العامة ولكننا نشير منها إلى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يفرق قطعا أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الوجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البته وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب - فقال وأعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميثني حيث قرئ بين يديه - يحبه ويحبونه - فقال لعمرى يحبه ودعه يحبه

وهو عند حضور
الصادقين يرفع قلبه
إلى الله ويستنظر
ويستسقى لهم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والنطق مأخوذين إلى
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما يفتح به عليه لأن
الشيخ يعلم تطلع
الطالب إلى قوله
واعتداده بقوله
والقول كالبذر يقع في
الأرض فاذا كان
البذر فاسدا لا ينبت
وفساد الكلمة بدخول
الهوى فيها فالشيخ
ينقى بذر الكلام عن
شوب الهوى ويسلمه
إلى الله ويسأل الله
المعونة والساد ثم يقول
فيكون كلامه بالحق

فبحق محبهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لانتهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يغني عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل مافي الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعه فان أحبه لما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بغناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى لمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول ظله أريفة أذرع ولله يأكل في كل يوم أرطالا من الحنظل فيضحك عليهم الجبال لجهاهم بمآلى كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى - إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين - ثم بين أن ضحك المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال - إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظرين . النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسما قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يسد وهؤلاء هم العميان النكوسون وعمام في كلتا العينين لأنهم نقوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقام به ولم يقتصر واطى هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلوا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الموجد وليس في الوجود إلا الموجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثاني ليس بهم عصى ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى العينين وجود للوجود الحق فلا ينكرونه والبين الأخرى إن تم عماها لم يصير بها فناء غير الوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما أن الذى قبله باحد تحقيقا فان جاوز حد العمى إلى العمى أدرك تفاوتا بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم إن كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان إلى المحو فينمحي عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي السجدة التى به يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم السكالكون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأفلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الأقصى المقابل اطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نبدم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا ضيقا والتوسطون هم الأكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والسوام فيه عزيز :

من الحق الحق فالشيخ
المريدن أمين الإلهام
كما أن جبريل أمين
الوحي فكما لا يخون
جبريل في الوحي
لا يخون الشيخ في
الإلهام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس في القول
بشيئين : أحدهما طلب
استجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما هذا من شأن
الشيخ . والثاني ظهور
النفس باستحلاء
الكلام والمحب وذلك
خيانة عند المحققين

لكلّ إلى شأو الملا حر كات ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له سواسجد واقترب - قال في سجوده «أعوذ بفؤك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١) قوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بفؤك من عقابك» كلام عن مشاهدة فعل الله قط فكأنه لم ير إلا الله وأنعماله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب فثنى عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال «أعوذ برضاك من سخطك» وما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقرب ورتقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال «وأعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارّا منه إليه ومستغيذا ومثليا فثنى عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال «لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» قوله صلى الله عليه وسلم «لأحصى» خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله «أنت كما أثنيت على نفسك» يبان أنه للثنى والثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله فيستعبد بفعل من فعله فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بدا بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك تصافى ولو كده وتقصيرا في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة» (٢) فكان ذلك لترقيه إلى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أو لها وإن كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك، ولما قالت عائشة رضي الله عنها «أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا» (٣) مضاه أفلا أكون طالبا للزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا تطلعتنا في بحار للكاشفة فلنقبض العنان ، ولترجع إلى ما يليق بعلوم العامة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام بشوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرح كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك القيام بالاضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والشكور ولا يعرف ذلك إلا بالثال ، فأقول : يمكنك أن تفهم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بعده من مراكبها وملبوسا وقد أجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان : إحداها أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفؤك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضاك من سخطك وبمعاذتك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقوله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها للتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبه .

والشيخ فيها يجرى على لسانه راقد النفس تشفه مطالعة نعم الحق في ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب فيكون الشيخ لما يجرى الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعا كأحد المستمعين وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يشكك مع الأصحاب بما يلقى إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كستمع لا يعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته

لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تنفي فيه غناء وغيبته لاتنقص من ملكه فيكون قصد من الإنعام عليه بالمرکوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا ينتفع الملك به وابتغاه فترزق العبد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الأولى فان الأولى محال على الله تعالى والثانية غير محال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الرکوب والوصول إلى حضرته مالم يتم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافرًا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنعم الله عليه مولاه فيما أحبه لأجله لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فهو مالم يس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق فقد شكره مولاه إذا استعمل نعمته في عبته : أي استعملها فيما أحبه لعبد لا لنفسه وإن ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته : أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبد لا لنفسه وإن جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته إذا أهملها وعطلها وإن كان هذا دون ماله بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتشكل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وإنما سعادتهم في القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدر على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال - قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لمواقفة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لانتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إما ما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه وقد انحل بهذا الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر ، وبهذا أيضاً ينحل الثاني فانالم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أتى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتى وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة عبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجد لمولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك هاكر إثبات شيشة لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئاً وإنما أنت لاشيء إذا كنت أنت ظاناً لنفسك شيئاً من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئاً فأنت شيء إذ جعلك شيئاً فان قطع النظر عن جعله كنت لاشيء تحقيقاً وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١) لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا وإن كان جارياً على

في المنام كأن قالوا يقول له أليس الغواص ينوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في محلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالنام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب للمريد مع الشيخ السكوت والحمود والحمود حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلًا وقيل أيضاً في قوله تعالى - لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - لا تطلبوا منزلة وراء منزلته ، وهذا من

(١) حديث اعلموا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث علي وعمران بن حصين .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض : أى هو شرط ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستمد لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستمد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل بمهد شرط للحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذى ذكرناه . فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأتهم معاقبون مذمومون على الصيان وما للإنشائي فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن صماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي فى حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تمجيت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من غدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالتقون يساقون إلى الجنة قهرا والمجرمون يقادون إلى النار قهرا ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين العاقلين فشهدوا الأمر كذلك صمعا عند ذلك نداء المنادى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن العاقلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للعاقلين من كشف الأحوال حيث لا يتفهم الكشف ، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أنياب الهلاك .

(بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى فى محابه ومعنى الكفر تقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها فى مكارهه وتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان : أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار . والثانى بصيرة القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لأجل ذلك عزيز ، فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع فى أفعال العباد فمن لا يطالع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا . وأما الثانى وهو النظر بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئا فى العالم إلا لوفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جليلة وخفية . أما الجليلة فكالمعلم بأن الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتبصر الحركة عند الإبصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها

محاسن الآداب
وأعزها وبنفى للمريد
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل يجب
للشيخ كل منزلة عالية
ويتمنى للشيخ عز
النسب وغرائب الواجب
وبهذا يظهر جوهر
الريدى حسن الإرادة
وهذا يعزى الريدن
فإرادته للشيخ تعطيه
فوق ما يتمنى لنفسه
ويكون قائما بلحب
الإرادة . قال السرى
رحم الله حسن الأدب
رجان العقل . وقال
أبو عبد الله بن حنيف
قال لى رويى يابى
اجعل عملك ملحا
وأدبك دقيقا ، وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في القيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي عملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يفهمون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صبينا السماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبثنا فيها حيا وعنا - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والتوابت غفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها كالعلم بأن العين للإبصار واللبطش واليد للبطش والمشى والرجل للمشى فالأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والمضلات وما فيها من التجاوب والتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والفظول سائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى وما أوتيتهم من العلم الإقليل فإذا من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره يده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذا إبصار يتيم بها وإنما خلقنا لمبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما أريدتا به وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ولا يبقى البدن إلا بالغذاء ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية للنفس والراجع إلى الله تعالى هي النفس للطمشة بطول العبادة والعرفة فلذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المصيبة . ولذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى نتبر بها وتعلم طريقة الشكر والتكفران على النعم فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدرام والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لامتعة في أعيانها ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يحجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربعا يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير إذ لا يبدل صاحب الجمل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بقباب أو عبا غنفا أو دقيقا بحمار فله الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتعذر للمعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان للتنافرة للتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تفرقت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدرام حاكين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى

لكل وقت وأدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الأدب يبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بريد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - لا رفوا أصواتكم فوق صوت النبي - كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم انسا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأزل الله تعالى الآية تأديبا له ونفيرا .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إتيانها مساويان بشيء واحد إذن متساويان وإنما أمكن التعديل بالتدين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر فاذن خلقهما الله تعالى لتداولهما الأبدى ويكونا حاكين بين الأموال بالعدل والحكمة أخرى وهى التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلا فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في مناه كأنه كل الأشياء والشئ إنما تستوى نسبته إلى الاختلافات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها بخصوصها كالمرآة لالون لها ونحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لامتعى له في نفسه ونظهر به المعاني في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيها أيضا حكم بطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذن من كثرهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يتمتع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير ليزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأحد في أعيانها فإتيانها حيران وإنما خلقا لتداولها الأبدى فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الوجودات بخط إلهى لا حرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت الذى عجزوا عن إدراكه فقال تعالى - والذين يكرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم - وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر لأن مثال هذا مثال من استخبر حاكم البلد في الحياكة والسكس والأعمال التى يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الحزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وإنما الأواني لحفظ المائعات ولا يكفي الحزف والحديد في المقصود الذى أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجر جر في بطنه نار جهنم^(١) وكل من عامل معاملة الرابحى الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما فاذا أبحر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في يسه بتقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإتيانها وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانها وموقعهما في الأموال كواقع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لمعنى في غيره وكواقع المرأة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وبئز منزلة الكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصول إلى الغير ظلم

(١) حديث من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجر جر في بطنه نار جهنم متفق عليه من حديث أم سلمة ولم يصرح المصنف بكونه حديثا .

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن طي
قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترياقى قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو المباس الجبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال ثنا محمد
ابن الشئى قال ثنا مؤمل
ابن إسماعيل قال ثنا نافع
ابن عمر بن جميل الجهمي
قال حدثني حابس بن
أبي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير أن
الأقرع بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بكر
استعمله على قومه فقال
عمر لا تستعمله يا رسول
الله فتكلمنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم

كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم . فان قلت : فلم جاز بيع أحد التقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله . فاعلم أن أحد التقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا في النعم منه ما يشوش المقصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بمثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع عما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه ، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحققها أن لا تقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم إن جز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقي صورة للساعة فيكون له حمد وأجر . والعارضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص الساعة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف على جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له لما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغنى عنها . إذ من معه طعام فلم يأتأ كله إن كان محتاجا ولم يحمله بضاعة تجارة وإن خطه بضاعة تجارة فليسه عن يطلبه بغيره غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغنى عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، نعم بائع البر بالبحر معذور إذ أحدهما لا يبدد مسد الآخر في القرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عايب فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه النعم أسقط الشرع غرض النعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلتحق هذا بفن الفقهاء فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون السكيات إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصه بالأوقات ولكن كل معنى يراه الشرع فلا بد أن يضبط بمحد وتعميد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم ف رأى الشرع التحديد بمنس المطعم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتعميدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتعير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فعين المعنى بمكان قوته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى - ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه -

حقى علت أصواتها
فقال أبو بكر لعمر
ما أردت إلا خلافي وقال
عمر ما أردت خلافتك
فأنزل الله تعالى الآية
فكان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يستفهم . وقيل لما نزلت
الآية آلى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم إلا
كأخ السرار فكذا
ينبغي أن يكون المريد
مع الشيخ لا ينسبط
برفع الصوت وكثرة
الضحك وكثرة
الكلام إلا إذا بسطه
الشيخ فرفع الصوت
تنحية جلباب الوقار
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة - ومن ثبوت الحكمة قد أتى خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابيل الشهوات وملعب الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» (١) وإذا عرفت هذا للمثال قس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر . فأقول مثلا لو استنجيت باليمنى قد كفرت نعمة اليمين إذ خلق الله لك اليمين وجعل إحداها أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليمين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ للصف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت للصف باليسار وأزلت النجاسة باليمن قد خصصت الشريف بما هو خسيس ففضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثالا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة قد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متمسكة في حركتك وقسم الجهات إلى مالم يصرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه استقالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدتك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فإذا رميت بصاقتك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى قد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فالرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن ساء الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارا من الخنطة وكان يتصدق بها فسل عن سببه فقال لبست اللداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفروه بالصدقة ، نعم الفقيه لا يقدر على تضخيم الأمور في هذه الأمور لأنه مسكين بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها قبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح يساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمر في وقت النداء يوم الجمعة قبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة قبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يحمل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يماقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعزأ ولاد لم يبق

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القلب عقل اللسان
ما يقول وقد ينازل
باطن بعض الريدين
من الحرمة والوقار من
الشيخ ما لا يستطيع
الريد أن يشبع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم فيدخل على عمي
وشيخي أبو النجيب
السهروردي رحمه
الله فيترشح جسدي
عرقا وكنت أتمنى
العرق لتخف الحمى
فكنت أجد ذلك
عند دخول الشيخ
على ويكون في قدمه
بركة وشفاء وكنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهبه لي الشيخ وكان
ينعم به فوق قدمي
على الندبل انفاقا فتألم

لاستعمال السكين بغير إذن حكم ونكابة في نفسه فشكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسيبه هذه الضرورة والافسكل هذه السكارة عدول عن العدل وكفران للنعمة وتقصان عن الدرجة المبلغ للعبد إلى درجات القرب ، فم بعضها يؤثر في العبد بتقصان القرب وانعطاف النزلة وبسببها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهتوم من غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق له العروق وساق إلى الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والثناء ليلج منتهى وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إلى الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والثناء ليلج منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لاطى وجهه ينتفع به عباده مخالفة لقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك إذا الشجر والحيوان جعل لافداء لأغراض الانسان فانها جميعا فانين هالكان فافناء الأخص في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدل من تقسيمها جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تنفي بحاجة واحدة ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضع في الأرض وساق إلى الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فان ثبت ذلك في موات الأرض لا يسي آدمي اختص بغيره أو بغيره فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا الملك الملوك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره ، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها راحه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينها لاتفى بحاجة كل العبد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرده العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته ، فهكذا ينبغي أن فهم أمر الله في عباده ولذلك يقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم ، نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتسكين العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم ، وهو بحكم نقصانهم لا يطبقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللبس واللبس وإاحتنا ذلك أيام لا يدل على أن الله هو اللعب حق فكذلك إاحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصاد في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جعلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكموها فيحلفكم تبخلوا - بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأكب فشكل عباد الله ركاب لمطاي الأبدان إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن ركب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الرأكب وبإل عليه

باطنى من ذلك وهائى الوطء بالقدم على منديل الشيخ وابنت من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته . قال ابن عطاء في قوله تعالى - لا ترفعوا أصواتكم - زجر عن الأدنى لئلا يخطئ أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل في ذلك لا غلط به إلا المستفهمين . وقال أبو بكر بن طاهر لا تبدءوه بالخطاب ولا تهيبوه إلا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أى لا تخطئوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادى بعضكم بعضا ولكن غصوه

في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك بمحتاج إلى مجلدات ثم لان في الإلّا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - وفرح إبليس لعنه الله بقوله - ولا تجدوا كثيرهم شاكرين - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخرى وأخرى ذلك تنقضى الأعمار دون استقصاء مبادئها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فان قلت قد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتقام تلك الحكمة وبلوغها غاية الراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقية وهو أن فعل العبد النقص إلى ما يتم الحكمة وإلى ما يرضها هو أيضا من فعل الله تعالى فإن الصدق في البين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم للكشافات وقد رمزنا فيها سبق إلى تلويحات بمبادئها ونحن الآن نبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغازيتها فمهما من عرف منطق الطير ويحدها من عجز عن الإيضاح في السير فضلا عن أن يحول في جو الماكوت جولان الطير فنقول : إن لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة على وأجل من أن تلحقها عين واضح اللغة حتى يبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضى اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الحفائش عن نور الشمس لا تنموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الحفائش فاضطر الدين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها إلى أن يستعبروا من حضيض عالم للتناطين باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق قلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر أقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصيص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها أمرا مجعلا عند التناطين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وتصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كتصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذى هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل إنها مجعلا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا مجعلا عند طالع الفهم من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقتت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارضاه في الأزل فعل انساق بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف

واحترموا وقولوا له :
يا نبي الله يا رسول الله
ومن هذا القبيل
يكون خطاب المريد
مع الشيخ وإذا سكن
الوقار القاب علم اللسان
كيفية الخطاب . ولما
كلفت النفوس بحجة
الأولاد والأزواج
وتعنت أهوية
النفوس والطباع
استخرجت من اللسان
عبارات غريبة وهي
تعت وقها صاغها
كلف النفس وهواها
فاذا امتلأ القلب حرمة
ووقارا تعلم اللسان
العبارة . وروى لما
نزلت هذه الآية فقد
ثابت بن قيس في
الطريق يبكي فربه
عاصم بن عدى فقال

بخلة الشاء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى وأعطى النكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فإذا تم زينته قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجميل وهو اللئى على الجمال فهو اللئى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث اللئى إلا على نفسه وإنما العبد هدف الشاء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا تتسلسل الأسباب والسيئات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبمحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالبر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقادير بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلى ولفظ القدر بإزاء التفصيل للتأدى إلى غير نهاية وقيل إن شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لتصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فألجؤا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام اللع وقيل لهم اسكنوا فما لهذا خلقتم لا يستل عما يفعل وهم يستلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زيتهم أولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تفسد نار فستة نار فاشتعل نورا على نور فأشرفت أقطار للسكرت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكنوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (١) فإن للحيطان آذانا وحواليكم ضغفاء الأبصار فسيروا بسيروا بغير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وأنزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأمنس بكم الضغفاء ويقتسبوا من بقايا أنواركم للشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيجابه حياة عتملتها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة المتردين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب هكذاك شراب الطيبين يطيب

شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يهتدك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حداما فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجروا راء أعمى وإذا دق الجبال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصناعة السباحة أن يجبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا راء آخر فهذه أمور نسبة السيرة إليها إلى السيرة على ما هو محال جماهير الخلق كنسبة المشى على الماء إلى المشى على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشى على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل للتي صلى الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لشي على الهواء (٢) » فهذه

ما يبيحك يا ثابت قال هذه الآية آخوف أن تكون نزلت في - أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فسد على الضبة بسمار فضربت بسمار حتى إذا خرجت عطفته وقال لأخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم ولم يصرح المصنف بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لشي على الهواء وهذا حديث منكرا لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون نبيهم فقيل له توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه . فلما اتهموا إلى البحر

رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم العامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين للنظر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قبل نزله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - ليضل عن سبيله - والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبة إلى العبد الذي غضب عليه والإرشاد سباقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبة إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحججه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يمين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما إليه ولا ينفخ أن تقول هذا فعلى ولم يكن فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للعدل فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال للعدالة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فذلك تضيفه إلى نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا إلى لب الشعبد الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزغق وتقوم وتقعدهوى مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل وزواياها في يد الشعبد وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعده ، وأما العقلاء فانهم يطمون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه الشعبد الذي الأمر إليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها التحركة فيجولون عليها ، والعلماء يطمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فانهم أدركوا بمعدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسماوات وشاهدوا أيضا ملائكة السماوات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من القدر والأمر قليل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لعلن تعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما - وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص

إذا هو قد أقبل بمشي على الماء فذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شعرة مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال

آتى عاصم النبي وأخبره بخبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي فيه رآه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله يدعوك فقال اكر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ثابت فقال أنا صيت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما ترضى أن تعيش سجدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا على

الراسخين في العلم بعلوم لا تخفى عليها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمر بينهن - فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجعتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم العاملة ما ليس منه فلترجع إلى مقاصد الشكر فتقول : إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب بومانهم إلاولة مقام معلوم وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرأفيل عليه السلام وإنما علو درجته لأنهم في أنفسهم كرام برة وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلى درجته درجة الأنبياء فانهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق ونعم بهم حكته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ أكل الله به الدين وختم به النبيين وليم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فانه أكل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعا . واعلم أن السلطان بقوام الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون ويغشون وما يصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فليعلم الوزر وعليكم الصبر (١) . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أى الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال مهلا إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أديانهم فيقطع في صديفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشب السود الطقة على أبوابهم خير من سبعين قاصية صون .

(الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر)

وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها وجماعها فيما يخص وبم فان إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فتقدم أمور كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتمل بذكر الأحاد والله الموفق للصواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يعرفون وأمرأ يعرفون وتذكرون ورواه الترمذى بلفظ سيكون عليكم أئمة وقال حسن صحيح وللإبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فرغ إليه الناس لما أنسكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبيد الله اصبروا فان جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر حديثا والإمارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأنزل الله تعالى - إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة في حرب سيلمترأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار واتهمت طائفة منهم فقال آف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن خديفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعده رسول الله

السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تدوم على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويسمى عليها إما بواسطة واحدة أو بواسطة فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضي إلى النعمة الحقيقية والأبواب المعينة والذات المسماة نعمة نذكرها بتقسيمات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المال كذلك ذبائح الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال هو النعمة الحقيقية كالعلم وحسن الخلق والضرر فيها هو البلاء الحقيقي وهو ضدهما والنافع في الحال للضرر في المال بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فانه يئده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضرر في الحال النافع في المال نعمة عند ذوي الأبصار بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأقسام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والماعز يئده نعمة ويتفقد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامه والأب يدعو إليها فان الأب لكامل عقله يلمح العاقبة والأم لفرط جهلها وقصورها تلاحظ الحال والصبي لجهله يتفقد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدّر الأب عدوا له ولو عقل لعم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن من معها إياه من الحجامه يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامه ولكن الصديق الجاهل شر من العدو والماعز وكل إنسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو [قسم ثانيا] اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها قلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر وسائل الأسباب ولكن تنقسم إلى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى مضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافي ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن أكثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق ممرور إنسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حق [قسم ثالثة] اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لذاته ولغيره . فالأول ما يؤثر لذاته لا لغيره ككلية النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجمله سعادة الأخرى التي لا انتفاء لها فانها لا تتطلب لتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تتطلب لذاتها . الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالمدرام والنذور فان الحاجة لو كانت لا تنفد بها لكانت هي والحسب بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات السريعة الإقبال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكثرونها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعبد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال . الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو لتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتقصدها أيضا لذاتها فان الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي أراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل

صلى الله عليه وسلم
وعليه درع قرآه
رجل من الصحابة بعد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلانا رجلا من
المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في
ناحية من السكر
وعنده فرس يستن
في طيله وقد وضع على
درعي برمة فانت خالده
ابن الوليد فأخبره
حتى يسترد درعي وانت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قل
له إن على ديننا حتى
يقضى عني وفلان من
عبيدي عتيق فأخبر
الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على
ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالد أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذا نالته قط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لثباته ولغيره ما يضافو
 نعمة ولكن دون الأول فأما مالا يؤثر إلا لغيره كالنفدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما
 جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه
 أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعها الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده
 الذهب والدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغل وجودهما عن الفكر
 والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم
 إلى نافع ولذيد وجميل فاللذيد هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجميل
 هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والشروع أيضاً تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من
 القسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم
 والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح
 ومؤلم وإنما يحس الجاهل بأن جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه
 جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات
 البدنية عن التعلم فينجاذه متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان
 وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في
 عذاب دائم لا محالة . والضرب الثاني للقيد وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب
 نافع مؤلم كقطع الأصبع للتأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحق فانه بالإضافة
 إلى بعض الأحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال إلى أن
 يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق
 فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قهراً ضروري للإيمان وحسن الخلق في الإيصال
 إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وإلى مالا يكون ضرورياً
 كالسكنجبين مثلاً في تسكين الصفره فانه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قصة خامسة]
 اعلم أن النعمة يبر بها عن كمال لذيد واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها
 أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع
 الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن
 ولا الفرج وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجوداً وهي
 أشرفها أما قلبها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة
 وما أكثر التمسعين باسمهم والتمسعين برسومهم وأما شرفها فلائها لازمة لا تزول أبداً في الدنيا ولا
 في الآخرة ودائمة لا تمحل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل والعلم والحكمة
 قط لا يتصور أن تمحل وتستقل ومن قدر على الشريف الباقي أبداً الآباد إذا رضى بالحسب الثاني
 في أقرب الآمال فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج
 إلى أعوان وحفظه بخلاف المال إذ العلم يهرسك وأنت تهرس المال والعلم يزيد بالإشفاق والمال
 ينقص بالإشفاق والمال يسرق والولاية يزل عنها والعلم لا يمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي
 السلاطين بالزلز فليكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً
 ثم العلم نافع ولذيد وجميل في كل حال أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة
 ولذلك لم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سباه خيراً في مواضع وأما قصوراً أكثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز
 أبو بكر وصيته قال
 مالك بن أنس رضى
 الله عنهما لا أعلم وصية
 أجيزت بعد موت
 صاحبها إلا هذه فهذه
 كرامة ظهرت لثابت
 بحسن تقواه وأدبه مع
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فليعتبر
 المرید الصادق ويعلم
 أن الشيخ عنده
 تذكرة من الله ورسوله
 وأن الذي يعتمد مع
 الشيخ عوض ما لو كان
 في زمن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واعتمده
 مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فلما قام القوم
 بواجب الأدب أخبر
 الحق عن حالهم وأثنى
 عليهم فقال - أوئلك

عن إدراك لذة العلم فلما لعدم الذوق لمن لم يدق لم يعرف ولم يشفق إذ الشوق تبع الذوق وإما الفساد
أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرًا
وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة
العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذيدة ولا استطابته اللبن يدل
على أنه ألد الأشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحس باطنه كالطفل وإما
من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم
مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحس
حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء
وذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة
يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلفة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسد والفيل
وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا
وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادي ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة
تشبث به لذة الغلبة وهو أشدها تصاقا بالمنافلين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب
اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين
ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياضة من القلب وأخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب
الرياضة وأما ثمره البطن والفرج فكسره محبة قوي عليه الصالحون وشهوة الرياضة لا يقوى على
كسرها إلا الصديقون فأما قمعها بالسكينة حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال
فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في الأحوال لا يقع معها الإحساس
بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية
فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على المدول عن العدل وعند هذا
تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر
فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرياضة والمال وسائر الشهوات
البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في
بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه
في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني
فالدنيا طائفة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك
إلا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وإنما تكون كثرة في الأعصار القريبة
من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب
الساعة ويقضي الله أمرا كان مفعولا وإنما يجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة
والملك عزيز والملوك لا يكثر فكلما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من
دونهم فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فإنها عبارة عن عالم الشهادة والآخر عبارة
عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة
والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى
نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة
فالقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة والقلب التأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى - أي اختبر
قلوبهم وأخلصها كما
يمتحن الذهب بالنار
فيخرج خالصه وكان
اللسان ترجمان القلب
وتهذب اللفظ لتأدب
القلب فهذا ينبغي أن
يكون السريد مع
الشيخ . قال أبو عثمان
الأدب عند الأكابر
وفي محادثة السادات من
الأولياء يباح بصاحبه
إلى الدرجات العلا
والخير في الأولى والعقبى
ألا ترى إلى قول الله
تعالى - ولو أنهم صبروا
حتى تخرج إليهم لكان
خييرا لهم - ومعهم
الله تعالى قوله سبحانه
- إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات

ولكن الانكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة عاكس لعالم النيب
والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويصير به إلى
عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولى الأبصار - ومنهم من
عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة واستفتح إلى حيسه أبواب جهنم وهذا
الحبس مملوء نارا من غائتها أن تطلع على الأئمة إلا أن بينه وبين إدراك أئمتها حجابا فإذا رفع
ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استطعمهم بالحق فقالوا
الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر
يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن
للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم -
أي في الدنيا - ثم لترونها عين اليقين - أي في الآخرة فإذا ظهر أن القلب الصالح ملك الآخرة
لا يكون إلا عزيزا كالشخص الصالح ملك الدنيا .

(قصة سادسة حاوية لجامع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الثانية فاتها
سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى
لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يعيش إلا يعيش الآخرة (١) »
وقال ذلك مرة في الشدة تسلياً للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في عدة الضر وقال ذلك مرة
في السرور منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحدائق الناس به في حجة الوداع (٢)
وقال رجل « اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة؟ قال لا
قال تمام النعمة دخول الجنة (٣) » وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى
ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب
للغنية بالبدن من المال والأهل والمشيئة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس
وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص
الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انتساب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان
إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسوله وإلى علوم للعامة ، وحسن الخلق
ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب وامتصاص العفة ومراعاة العدل في الكف عن
مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان
العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى « أن لا تطغوا في البرزاق
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا البرزاق - فمن خصى نفسه ليزيل شهوة التكاح أو ترك التكاح
مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر
البرزاق ومن انهماك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في البرزاق وإيما العدل أن يخلو ووزن تقديره
عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذا في الفضائل الخاصة بالنفس للقرينة إلى الله تعالى أربعة
علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالانواع الثلاثة وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يقولون -
وكان هذا الحال من
وفد بني تميم جاء وإلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنادوا يا محمد
أخرج إلينا فان مدحنا
زين وذنبا شين قال
فسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج
إليهم وهو يقول « إيما
ذلكم الله الذي ذمه
شين ومدحه زين » في
قصة طويلة وكانوا أتوا
بها عزم وخطيبهم
فضيل بن حسان بن ثابت
وشيبان اللهاجري
والأصم بالحطبة وفي
هذا تأدب للبريد في
الدخول على الشيخ
والإقدام عليه وتركه
الاستعجال وصبره إلى
أن يخرج الشيخ من

(١) حديث قوله عند حفر الخندق لا يعيش إلا يعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث
قوله في حجة الوداع لا يعيش إلا يعيش الآخرة الشافعي ومرسلا والحاكم متصلا وصححه وتقدم في الحج
(٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بنسند حسن

وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة الطيبة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم العشرة ولا يتنفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسيده وتأيدته ، فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضرورية . وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فإن ذلك لو عدم ربما تفرق الخل إلى بعض النعم الداخلة . فإن قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشرة . فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح للبلغ والآلة السهلة للمقصود . أما المال فالفقير في طلب العلم والحال وليس له كفاية : كساع إلى الهيجا بغير سلاح ، وكبازي يروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على تقوى الله المال ^(٢) » وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات وفي تهية لباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والتفكير ولا تدفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاعة الخيرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال : ألقي فاني رأيت الفقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكأن ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافي في بدنه أمان في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ^(٣) » وأما الأهل والأولاد الصالح فلا غنى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم العون على الدين المرأة الصالحة ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم في الولد « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ^(٥) » الحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فلهما أكثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدى فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه مالا وانفرد به لطال شغلهم وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما العز

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد (٢) حديث نعم العون على تقوى الله للمال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلًا من طريقه رواه القضاة في مسند الشهاب هكذا مرسلًا (٣) حديث من أصبح معافي في بدنه أمان في سربه الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث نعم العون على الدين المرأة الصالحة لم أجده إلا من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وخير صانع الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

موضع خلوته . صحته
أن الشيخ عبد القادر
رحمه الله كان إذا جاء
إليه فقير زائر يخرج
بالفقير فيخرج ويضع
جانب الباب ويصافح
الفقير ويسلم عليه ولا
يجلس معه ويرجع
إلى خلوته وإذا جاء
أحد ممن ليس من
زمره الفقراء يخرج
ويجلس معه فخطر
لبعض الفقراء نوع
إنكار لتركه الخروج
إلى الفقير وخروجه
لفقر الفقير فأنهى
ما خطر للفقير إلى
الشيخ فقال الفقير
رابطتنا معه رابطة
قلبية وهو أهل وليس
عنده أجنبية فكنتي
معه بموافقة القلوب

والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه عمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإعنا تدفع هذه الشواغل بالعرف والجاء ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - ولا معنى للجاء إلى ملك القلوب كالأ معنى للنفى إلى الملك الدرام ومن ملك الدرام تسخرت له أبواب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجية تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا إلى من يدفع التربة عن نفسه ، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاء وكذلك علماء الدين لا يطي قصد التناول من خزائهم والاستتار والاستكثار في الدنيا بتابعهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب جبهه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا؟ فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٢) ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم الأكرام » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن ، قليل وما خضراء الدمن ؟ قال الرااة الحسناء في للنبت السوء » (٥) فهذا أيضا من النعم ولست أعنى به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار التوسمين بالعلم والعمل . فان قلت لما معنى الفضائل البدنية . فأقول لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

وقنع بها عن ملاقة الظاهرة بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمى لم يوف حقه من الظاهر استوحش خلق الريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ ، قبسل لأبى منصور للفرى كم صحت أبا عثمان قال خدمته لاصحبه فالصحة مع الإخوان والأقران ومع الشايع الخدمة وينفى للمريد أنه كمال أشكل عليه شيء من حال الشيخ بذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الحرب والهجرة البخارى ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل الحديث ولترمذى ومحمه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوديت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئ يواريه ببطلال قال الترمذى معنى هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة ومعه بلال وللبخارى عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسلى فوضع رداءه فى عنقه فغلقه خلفه خفا حتى ديد الجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبرار وأبى يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر فجعل ينادى ويلكم أقتلوا رجلا أن يقول ربى الله وإسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائى والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح (٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة فى نسب آدم . الأرومة الأصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وفى رواية الترمذى إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والطلب بن ربيعة وصححه والطلب بن أبى وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم وفى حديث ابن عباس ما بال أقوام يتنزلون أصلى فوائقه لأننا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا (٤) حديث تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة وتقدم فى النكاح (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضا .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أفضل السعادات طول
العمر في طاعة الله تعالى (١) ، وإنما يستحق من جلته أمر الجمال فيقال يكنى أن يكون البدن سليما
من الأمراض الشاغلة عن تحرى الحبرات ، ولعمري الجمال قليل القضاء ولكنه من الحيرات أيضا
أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه
نافرة وحاجات الجليل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكانه من هذا الوجه جناح يبلغ
كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل
معين على قضاء حاجات الدنيا فعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجمال في الأكثر يدل على
فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن فالنظر والتحرر كثيرا ما يتلازمان ولذلك
عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ،
ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنم ، ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل
مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافيه ، واستعرض للأموه جيبا فرض عليه رجل قبيح
فاستنطقه فاذا هو ألكن فأستطاعه من الديوان وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة أو طي
الباطن قصاصة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «اطلبوا الخير عند صباح
الوجوه» (٢) وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بستم رسولا فاطلبوا حسن الوجه وحسن الاسم . وقال
الفقهاء : إذا تساوت درجات الصلحين فأحسنهم وجهها أولاهم بالأمامة ، وقال تعالى «متتبع ذلك زواجه»
بسطة في العلم والجسم - ولنا نفي بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أنوثة وإنما نفي به ارتفاع
القائمة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناسف خلقة الوجه بحيث لا تنبوا
الطباع عن النظر إليه . فان قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد
ضم الله تعالى للمال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وكذا العلماء قال تعالى - إن من
أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال عز وجل - إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال على
كرم الله وجهه في ضم النسب : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه ، وقيل المرء بنفسه
لأبائه فامعنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة
المثولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على
ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة
على أمر الآخرة لا سبيل إلى جعدها إلا أن فيها فتنا ومحاف ، فتعال للمال مثال الحية التي فيها تريق
نافع وسم نافع فان أصابها العزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن مهم وطريق استخراج تريقها النافع
كانت نعمة وإن أصابها السوادى الفر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أصناف
الجواهر والآلى فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق القوص وطريق الاحتراز عن

يشكرها موسى واذا
أخبره الخضر بسرها
يرجع موسى عن
إنكاره ثم يذكره
للريد لقلعه بحقيقة
ما يوجد من الشيخ
فليشيخ في كل شيء
عذر بلسان العلم
والحكمة . سأل بعض
أصحاب الجنيد مسألة
من الجنيد فأجابه
الجنيد فمارضه في ذلك
فقال الجنيد فان لم
تؤمنوا إلى فاعتزلون
وقال بعض المشايخ من
لم يعظم حرمة من
تأدب به حرم بركة
ذلك الأدب ، وقيل
من قال لأستاذة لا ،
لا يفلح أبدا . أخبرنا
شيخنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن على

(١) حديث أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ وللترمذى من حديث أبي
بكرة أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح
(٢) حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أبوسمى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت
محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه
آخر في الضعفاء واليهى في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ضم المال
والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ماذنابان جامعان أرسلنا في غم بأفسد لها من حب المال
والشرف لديه وقد تقدم في ضم المال والبخل .

مهلكات البحر قد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك قد هلك فذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم العون على تقوى الله تعالى المال » وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحبه في قلوب الخلق وهو للنبي بالجاه ولكن النقول في مدحها قليل وللتقول في ذم المال والجاه كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثر هذا وقل ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق التوسل في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى تراقيه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانوا في أعيانها مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة لذلك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولأن ينضاف إليها النبي كما كان لسلطان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والمرافون معزومون قد يضر الصبي ما لا يضر للعزم ، نعم للعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية تعلم أن تلوأخذها لأجل تراقيها لا تقدي به ولله وأخذ الحية إذا رآها يلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره يهلكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالحرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن فيها سماً قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يبعثه أصلا بما فيها من تقع الترياق فإن ذلك ربما يضره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك القوامس إذا علم أنه لو غاص في البحر يرمى من ولده لا تبعه وهلك فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والتهر ، فإن كان لا ينجو من الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والأغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تنهاقون على النار تنهاق الفرائس وأنا آخذ بحجزكم ^(٢) » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهالك فانهم لم يبعثوا إلا ذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يسكوه بل أشقوه فان الاتفاق في الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لما ألوا إلى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الاتفاق فلذلك قبحت الأموال والنبي به تقيح إمساكها والحرس عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذا أنها فاما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفائض إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحملة . فاما إذا صممت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ^(٣) » معناه لأفكم خاصة

قال أنا أبو الفتح
المجروى قال أنا أبو نصر
الترياقى قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أتركوني
ماتركتكم وإذا
حدثتكم غداوا عني
فإنما هلك من كان
قبلكم بكثرة سؤا لهم
واختلافهم على أنبيائهم »
قال الجنيد رحمه الله
رأيت مع أبي حفص
النيسابورى إنسانا
كثير الصمت لا يتكلم
فقلت لأصحابه من هذا

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
(٢) حديث إنكم تنهاقون على النار تنهاق الفرائس وأنا آخذ بحجزكم متفق عليه من حديث
أبي هريرة بلفظ مثلى ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجلعت الدواب
والفرائس يقعن فيه فأتا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم
عن النار وأنتم تخلصون من يدي (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ابن ماجه

ولا قد كان فيمن يروي هذا الحديث. ويصل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويغرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة * ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : مه بأن يطعم للسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف ^(١) الحديث. فأذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونقصها بضرها فمن وثق يصبرته وكال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواها ، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تبدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء. وم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهذه لطريقه . فان قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد . فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة البد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الليل نخصص بمن ماله إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفق فأكثر ما يحصى عليه اجتنبه

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم * ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أى بهديته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا ^(٢) . وللهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالقل وببعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وما أؤمنود فديناهم فاستحبوا العمى على الهدى - فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبما الر القبول وهي مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تمنى القلوب وإن كانت لا تمنى الأبصار قال تعالى - فانها لا تمنى الأبصار ولكن تمنى القلوب التي في الصدور - ومن جملة العميات الإثبات والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلفظ وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب (١) حديث استأذنان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال مه أن يطعم المسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا فيه خالفه بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتخمدنى الله بفضل منه ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث واتفقا عليه من حديث عائشة واخبر به مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قيل لي هذا إنسان يصحب أبا حفص ويغمدنا وقد اتفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما يسوغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة وقال أبو يزيد البسطامي صحبت أبا حفص السندی فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يلحن التوحيد والحقائق صرفا . وقال أبو عثمان صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم اجعل مكافأتي له على كلامه أن أولى ظهري إليه فانصرفت أمتنى إلى خلف ووجهي مقابل له حتى غبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أضرنا منا واحداً يتبعه - فهذه المعينات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يعد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وهو المراد بقوله تعالى: - والذين اهتدوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهندي بها إلى ما لا يهندي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهوى للطلق وماعداه حجاب له ومقدماته وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى - قل إن هدى الله فهو الهدى - وهو للسمى حياة في قوله تعالى - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس - والعنى بقوله تعالى - ألن نرحم الله صدمه للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فعنى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتنفذه عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين - فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالصبي إذا بلغ خبيراً يحفظ المال وطرق التجارة والاستئمان ولكنه مع ذلك يندروا لا يريد الاستئمان لا يسمى رشيداً لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكأن من شخص يقدم على ما يظن أنه يضره فقد أعطى الهداية وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بمجرد ذلك لا تكفي بل لابد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل - إذا يدتك روح القدس - وتقرّب منه الصفة وهي عبارة عن وجود الهوى يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كإنع من باطنه غير محسوس وإياه عني بقوله تعالى - ولقد عمت به وهمّهم لولا أن رأى برهان ربه - فهذه هي مجامع النعم وإن تثبت إلا بما يحول به الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير التواضع المراعى والملم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفاه وظلم الأعداء ويستدهي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل التحيرين وملجأ للضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلقد ذكر منها أنموذجاً ليعلم به معنى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وبالله التوفيق .

عنه واعتقدت أن أحسّر لنفسي براء على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه فلما رأى ذلك مني قربني وقبلني وصيرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن المرید لا يسطع سجاده مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فإن المرید من شأنه التبذل للخدمة في السجادة إجماعاً إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المسريد عن الاسترسال في السماع وتحميده واستغراقه في

(بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً وجعلنا محبة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة للتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلقد ذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على

الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكل ولا بد
للمأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات
ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكل على سبيل التلويح لاعلى سبيل الاستقصاء .

(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي
لا تنمى ولا تنفذ فإن النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في
الأرض وهي له آلات فيها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تملظ أصولها ثم
تشعب ولا تزال تستدق وتشعب إلى عروق شعيرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تنقب عن البصر إلا
أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه إذا أعوزته غذاء يساق إليه ويمس أصله جف وليس ولم يمكنه
طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة اللطوب وبالاتقال إليه والنبات عاجز عن
ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى
ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خافت
لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به قهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا
يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن
يحس بما لا يلاصقه ويمسه فإن الاحساس مما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل
حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع
فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما لمس بدك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى
حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية
فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي سمعت ريحه ورعيتك تعرف فتكون
في غاية نقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتتصيد تلك
الجهة بينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره
وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من
وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا أو ما الغائب فلا يمكنك
معرفة الإبلاب من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك
وميزت بهم الكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك
إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله قهرك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها
فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر
يسمى حسا مشتركا تأدى إليه هذه الحواس الخمس وتجتمع فيه ولولا لطال الأمر عليك فانك إذا
أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرعا لخالك فركته فاذا رأته مرة أخرى فلا تعرف أنه مضر مالم تذقه
ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تتنعم عنه والتذوق يدرك الرائحة
ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والرائحة جميعا حتى إذا أردت الصفرة حكم بأنه
مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لا شاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك
إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف

الشيخ بالنظر إليه
ومطالعة موارد فضل
الحق عليه أنجع له من
الإصغاء إلى السماع ومن
الأدب أن لا يكتفى على
الشيخ شيئا من حاله
ومواهب الحق عنده
وما يظهر له من كرامة
وإجابة وينكشف
للشيخ من حاله ما يطم
الله تعالى منه وما
يستحي من كشفه
يذكره إتماما وتكريضا
فإن المريد متى انطوى
ضميره على شيء
لا يكشفه للشيخ
تصريحا أو تعريضا
يصير على باطنه منه
عقدة في الطريق
وبالقول مع الشيخ
تحل العقدة وتزول
ومن الأدب أن

تتخلص إذا قيئت وقد تلقى نفسها في بئر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البسطة ما تستلذه في الحال وبصرها في ثانی الحال تمرض وتموت إذ ليس لها إلا الاحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبع الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب محنتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب قائمة الحواس الخمس في حرك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار اللوكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة واللاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتضون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي غنومة ويسلمها إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم إليها آت إليه غنومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام محمية لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تمن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات ولا تظن أننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنه يياض البيض وبعضها كأنه الجلد ولكل واحدة من هذه الطبقات عشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جملة لا تزيد على جوزه صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه ومحاجاته فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إلى الشهوة له تستحك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناولها فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة وقررة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلمها بك كالقاضي الذي يضطرك إلى تناول حتى تتناول وتنتدق فتبقى بالتذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لترك الأكل بها لا كالزراع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمى يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك محاجبات صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صفة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لاتصفو محبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستمد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فان للريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمجبة والتألف هو الوساطة بين للريد والشيخ وعلى قدر قوة المجبة تكون سراية الحال لأن المجبة علامة التعارف والتعارف علامة الجندية والجندية جالبة للريد حال الشيخ أو بعض حاله

دم الحيض وتأليف الجنين من النى ودم الحيض وكيفية خالق الأثنين والعروق السالكة إليهم من القفار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها تنتشكلك بشكل الذكور وتغير في بعضها فتشكلك بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقه ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظاهر وسائر الأعضاء لتقصيت من أنواع نم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل المعجب فضلا عما تراه الآن ولكننا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهللكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشتهى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في المآل فلا تسكن في هذه الارادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعروف للعواقب كما خلق الشهوات والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضررك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم إكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد صمينا هذه الارادة باعثة دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا .

(الطرف الثالث في نم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك والارادة لا معنى لها إلا لليل إلى الطلب والمهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشى إليه فقد رجليه أولا يمكنه أن يتناول له فقد يده أو قلعج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فتمها ما هو للطلب والمهرب كالرجل للانسان والجنح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر أعداؤه ويعد غذاءه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجنح ليطير بسرعه ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تسكنى ما لم تتمكن من أن تأخذه فافتقرت إلى آلة باطشة فأتم الله تعالى عليك بخلق الدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتعلتان على مفاصل كثيرة لتحرك في الجهات فتتمد وتنثى إليك فلا تكون كحبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضعا إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن صممتها كانت لك مغرفة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب وإن تشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفارا وأسند الإبهام وس الأصابع حتى لا تفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لا تحبها الأصابع فأخذها برؤوس أظفارها ثم هب أنك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المدة وهى فى الباطن فلا بد أن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
سليمان قال أنا أبو الفضل
حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال ثنا سليمان
ابن أحمد قال ثنا أنس
ابن أسلم قال ثنا عتبة
ابن رزين عن أبي
أمامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولاه ينبغي
له أن لا يغذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد فهم عروة
من عرا الاسلام » ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جزئيات الأمور
وكلياتها ولا يستحقر
كراهة الشيخ ليعبر

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل القم منفذا إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكبيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى جادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ثم جعل منفصل اللحين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرمح ولولا ذلك لما تيسر لأضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركا حركة دورية واللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجب صنع الله تعالى فإن كل رحي صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسيحانه ما أعظم شأنه وأعرسلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ماتحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فإنه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالجرفة التي ترد الطعام إلى الرحي هذا مع ما فيه من فائدة الذوق ومجائب قوة النطق والحكم التي لسانا نطلب بدكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يترلق إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينحج به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بريد عنك ثم هذا الطعام الطحون للمعجن من يوصله إلى المعدة وهو في القم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يدق بالمعدة حتى تمتد فتجنب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرء والحجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لأخذ الطعام ثم تتطبق وتتضغط حتى يتقلب الطعام بضغطة فيهبوى إلى المعدة فدهليز للرء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتعلق عليه الأبواب فلا يزال لابنا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنموذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشمر في تشابه أجزائه وركته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريشما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداها شبيهة بالدردي والعكر وهو الحائط السوداوى والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى الحرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخل في تجويفه

حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراه. قال إبراهيم بن شيان كنا نصحب أبا عبد الله للعربي ونحن شبان ويسافر بنا في البرارى والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتفسير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان . ومن أدب للريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر

فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال المكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لحافيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية وأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتنب قبل ذلك للفظ ولم يخرج من العروق فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث بها من كل ما يفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق النخسة شمعية كمروق الأوراق والأشجار بحيث لا تندرک بالأبصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ولوحلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداوى حدثت الأمراض السوداوية كالهبق والجذام والبالغيوليا وغيرها وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره ، ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب النافع على هذه الفضلات الثلاث الحسيسة أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقها وتذف بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له في ثفل الطعام رطوبة مزقة ويحدث في الأمعاء لدغ يحركها للدفع فتضغط حتى يندفع الثقل وينزلق وتكون صفرته لذلك وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبها ويشيرها ويخرج الباقي مع الفضل وأما الكلى فإنها تمتدني بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولود ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضواريب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطلال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل والأمور أخر سواء بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك أولًا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف لمن نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها إلا أنك نجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنهض فينهض ويرمح فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط قس على الاجمال ما أهملنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك فهمه من معاني قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وادراكها وقواها بخيار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضواريب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن

فإن كان واقعة للريد
من الله تعالى بواقعه
الشيخ وبعضها له
وما كان من عند الله
لا يختلف وإن كان
فيه شبه نزول شبهة
الواقعة بطريق الشيخ
ويكتب للريد
علما بصحة الوقائع
والكشف فالريد
له في واقعه بخامره
كمن إرادة في النفس
فيشتبك كمن الإرادة
بالواقعة مناما كان
ذلك أوقظة ولهذا
سر عجيب ولا يقوم
للريد باستئصال شأفة
الكامن في النفس
وإذا ذكره للشيخ فما
في الريد من كمن
إرادة النفس مفقود
في حق الشيخ فإن

إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً له بمحكته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح وحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالسرجة والشم الأسود الذي في باطن القلب له كالفيتية والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في حجرة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيتُه انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ* مهما انقطع غذاؤه وكما أن الفيتية قد تحترق فتصير رماداً بحيث لا يقبل الزيت فينطفئ* السراج مع كثرة الزيت فسكذلك الشم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفطر حرارة القلب فينطفئ* ومع وجود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تشبث النار به وكما أن السراج تارة ينطفئ* بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كرجع عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ* بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بغياء الزيت أو فساد الفيتية أو برح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا لأسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنوارها التي كان يستفيد منها من الروح هي أنوار الاحساس والقدرة والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً ضرر مزو جيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى ومحاسن صنعته وحكته ليعلم أنه لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - عز وجل - فصالحاً لمن كفر بالله تصاحباً لمن كفر نعمته سبحانه فان قلت قد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ «سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال - قل الروح من أمر ربي-» (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه . فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لانطوّل بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلها جماً لطيفاً تسميه الأطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يما لجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويما لجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأذى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل . وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال تعالى - قل الروح من أمر ربي - والأمور الربانية لا تحتل العقول وصفها بل تحجب فيها عقول أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات وتنازل في ذكر مبادئ وصفها معاد العقول القيدة بالجواهر والعرض المحبوسة في منسقيها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية ينسبه إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال وتد خالق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك العقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ العقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه بعد

كان من الحق يتبرهن
بطريق الشيخ وإن
كان ينزع واقته إلى
كمون هوى النفس
تزلزل وتبرأ ساحة
للريد ويحصل الشيخ
تقل ذلك لقوة حاله
وحمة إيوانه إلى جناب
الحق وكال معرفته
ومن الأدب مع الشيخ
أن للريد إذا كان له
كلام مع الشيخ في شيء
من أمر دينه أو أمر
دنياه لا يستعجل
بالإقدام على مكالمته
الشيخ والمهجوم عليه
حتى يتبين له من حال
الشيخ أنه مستعد له
ولساع كلامه وقوله
متفرغ فكما أن للدعاء
أوقاتها وآداباً وشروطاً
لأنه مخاطبة الله تعالى

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب .

وإنه لقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك للشرب أعز من أن يكون شريعة لسلك وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولبواب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وطى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة لمستحال أن يصل اللبدان فكيف بالاتباء إلى ماوراءه من للشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربها وتوأتى بصاف هذا في خزنة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظ بل للنبي للسمي روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان لللك بالإضافة إلى لللك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان لللك فظن أنه رأى لللك ولا يشك في أن خطأه فاحش وهذا الخطأ أغشى منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبته وتوفقه ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربى - وأما فله فقد ذكر في قوله تعالى - يأتينا النفس للطمشة ارجى إلى ربك راضية مرضية فادخلني في عبادى وادخلني جنى - ولترجع الآن إلى الترض فان للقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل .

(الطرف الرابع : في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة)

وتصير صالحة لأن يصلحها الأدنى بعد ذلك جنته)

اعلم أن الأطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لأغصى وأسباب موائية لا تنتهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الأغذية فانها الأصل ولنأخذ من جعلتها حبة من البر ولنضع سائر الأغذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها قويت وبعيت جانبا فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تنقى بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يشتد به كما خلق فيك فان النبات إنما يشارك في الحس والحركة ولا يغالبك في الاعتناء لأنه يشتد بالماء ويعتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تشتد أنت وتعذب ولنا نطلب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشر إلى غذائه . فنقول : كما أن الحطب والتراب لا يذيقك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تشتد بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء بمنزج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى - فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا للماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعبا وقضاو زيتونا ونخللا - ثم لا يكفى للماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة مترا كسمة لم تنبت لقعد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة يتغلغل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بهجر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - وإنما إلحاقها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض ثم كل ذلك لا يفيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فنحتاج إلى حرارة الريح والصيف قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج للماء لينسق

فلقول مع الشيخ أيضا
آداب وشروط لأنتم
معاملة الله تعالى ويسأل
الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد نبه الحق سبحانه
وتعالى على ذلك فبأمر
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
مخاطبته فقال - يا أيها
الذين آمنوا إذا ناجيتكم
الرسول قدموا بين
يدي نجواكم صدقة -
يعنى أمام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأكثروا حتى شقوا
عليه وأخفوه بالمسكة
فأدبهم الله تعالى
وفطمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وجر الميون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون مرطبة والياء لا ترضع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى العيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب تعال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدارا على الأراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها الميون تدريجا فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع وللواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحساؤها وأما الحرارة فأنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقها مع جدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انقصاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصة الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصنعها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتخلب على رأسك الرطوبة التي يصر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب القفا كهيئة أيضا ولا تطول فيها لا مطمع في استقصائه بل تقول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يغلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تنفي قوة البشر بأحصائها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقوله عز وجل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبيد - وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضوا لا فائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وأحد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة يخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل المنهى عنه في النجوم أمران : أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتم فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق وليكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان ممكنا ثوب غسلته وتريد تخفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بمحواته حمى

وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند اللناجة فلما رأوا ذلك اتهموا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلاهم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى - آشفتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

(١) حديث النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ولا يطرباني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإسنادها ضعيف وقد تقدم في العلم ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتى السكبان قال فلا تأتوا السكبان الحديث .

الهواء على طلوع الشمس وإذا سألت عن تمييز وجه الانسان قال قرعنى الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبضه لبعض الناس كحصول الزكام بسروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتل عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته ^(١) ومضاه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن تقع منه بمعرفة ذلك فهو القى مسح بها سبته لله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأقنص والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه جباله فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه وتصنيف الصنفين من تصنيفه الذى صنعه بواسطة قلوب عباده فإن تعجبت من تصنيفه فلا تصعب من للصنف بل من الذى سخر الصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيديته وتعميقه كما إذا رأيت لعب للشعوز ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تصعب من القلب فاتها خرق بحركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق الشعوز المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذن للقصد أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التى هى مركوزة فيها ولا يتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا يتم حركاتها إلا بعلائكة سبوية يحركونها وكذلك يتأدى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تبيينها بما ذكرناه على ما مهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : في نعم الله تعالى في الأسباب للوصول للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعدهم عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبرارى فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب الدال وشهوة الربح مع أنهم لا يفهمون في غالب الأمر شيئا بل يجمعون فيما أن تخرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يعمتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجبل والقفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البرارى وانظر إلى الابل كيف خلقت وإلى القرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صبورا على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البرارى وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتل عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته أى ترك تأملها التلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو جناد يعنى بن أبى حبة ضعيف .

لم ينج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبى طالب قدس ديارا تصدق به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلا ولا يعمل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال ما ترى في الصدقة كم تكون دينار قال على لا يطبقونه قال كم قال على تكون حبة أو شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لو هيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية ومأنه الحق عليه بالأمر بالصدق ومافيه من حسن الأدب وتفيد اللفظ والاحترام

إليه الحيوانات من أسنانها وأدواتها وعلفها وما يحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادي ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلباً للإيجاز .

(الطرف السادس : في إصلاح الأطعمة)

اعلم أن الذي يثبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلتعين رغيفاً واحداً ولتنظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التمهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم القربك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي تحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصانع في إصلاح آلات الحراث والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرها وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرماس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والعادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فإن فقتت علت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكله يمسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدى من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة اللانكسة حتى تنتهي التوبة إلى عمل الإنسان ، فإذا استدار طلبه قريب من مئة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن الآلة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي ينع البرد عنك لا تسكل صورتها من حديد تصليح الآلة إلا بعد أن يمر على يد الأبرى خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملاً ، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد واقتضت إلى عمل للنجل الذي تعمد به البرملا بعد نبائه لفد عمره ومجرت عنه . أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة فطرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع القريه فانظر إلى القراض مثلاً وما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر في تناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ فضله وكرمه لمن قبلنا واقتضينا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل القراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوئى أكل العقول قصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسبحان من ألحق ذوى الأبصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس العمال أو عن الخائف أو عن واحد من جملة الصنائع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ، فسبحان من سخر بعض المباد لبعض حتى تهدت به مشيته وتمت به حكته . ولنو جز القول في هذه الطبقة أيضاً فإن القرض التنبه على النعم دون الاستقصاء .

(الطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصالحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طبائعهم تنافر طباع الوحش فبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يجوبهم مكان واحد ولا يجمعهم فرض واحد ، فانظر كيف ألهم الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم لو أخفت ما في الأرض جميعاً

مانسح ، والقائدة
باقية . أخبرنا الشيخ
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سلمان قال أنا
أبو الفضل أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
قال حدثنا سليمان
ابن أحمد قال حدثنا
مطلب بن شعيب قال
حدثنا عبد الله بن صالح
قال ثنا ابن لهيعة
عن أبي قبيل عن
عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « ليس منا من
لم يعمل كبيراً ويرحم
صغيراً ويعرف لعائلنا
حقه » فاحترام العلماء
توفيق وهداية وإمهال
ذلك خذلان وعقوق .

ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا واتلفوا وابتدوا
المدن والبلاد وربوا الساكن والدور متقاربة متجاورة وربوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع
مما يطول إحصاؤه ثم هذه المحبة تزول بأغراض يزاحمون عليها ويتنافسون فيها في جبلته الإنسان النيط
والحسد والثأفة وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم
بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعيهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين
إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تعاون على غرض واحد ينتفع
البعض منها البعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون
العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالصب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون
بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم
واضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر
كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أسلحو السلاطين الصالحين للرعايا وعرفهم قوانين الشرع في حفظ
العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتموا
به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللائكة
وكيف أصلح اللائكة بعضهم بعضا إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى
فالحجاز يخبز السجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات
الحراثة والتجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات الصالحين لآلات الأئمة والسلطان
يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين ولللائكة يصلحون
الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ
كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى
- والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة البسيرة من نعم الله تعالى ولولا
عزله إيانا عن أن نطعم بعين الطمع إلى الاحاطة بكنهه نعمه لتشوقنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه
تعالى عز لنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فان تكلمنا فبانه انبسطنا
وان سكتنا فقهره اقتضاه ، إذ لا مطلق لما منع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات
العصر قبل الموت نسمع بنعم القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحمد
له الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللائكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق اللائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهذا بهم وتبليغ
الوحي إليهم ولا تظن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات اللائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها
تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات: اللائكة الأرضية والسماوية وحملتهم العرش. فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك
فما يرجع إلى الأكل والنفاء الذي ذكرناه دون ما يحاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما. واعلم أن كل
جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يفتدى إلا بأن يوكل بمسئلة من اللائكة هو أفعاله إلى عشرة
إلى مائة إلى ما وراء ذلك ويأمنه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف ذلك الغذاء يصير
دما في آخر الأمر ثم يصير لحما وعظما وإذا صار لحما وعظما ثم اغتداؤا لئلا يدموا اللحم أجسام ليس لها قدرة
ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ومجرد الطبع لا يكفي في تردها في أطوارها كما
أن البر بنفسه لا يصير طحيناً ثم عجينا ثم خبزا مستديرا عجوزا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما

[الباب الثاني والحمدون
في آداب الشيخ وما
يعتمده مع الأصحاب
والتلامذة]

أم الآداب : أن
لا تعرض الصادق
للتقدم على قوم ولا
تعرض لاستجلاب
بواطنهم بلطف الرفق
وحسن الكلام بحجة
للاستبصار فإذا رأى
أن الله تعالى يبعث
إليه المرشدين
والمرشدين بحسن
الظن وصدق الإرادة
يغدر أن يكون ذلك
ابتلاء وامتحانا من
الله تعالى والنفوس
عجولة على حجة إقبال
الخلق والشهرة وفي
الحجون السلامة ، فإذا بلغ
الكتاب أجله وتمكن

وعظما وعروقا وعصبا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تنفل عن نعمه الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى التقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعرضي مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غذاه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقت له بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدة مع صفاتها وإلى الأغاذا مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينحوي به إلا إحدى الرجاين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمرعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يختل بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفضيل ذلك للإيجاز والملائكة الأرضية مدد من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيم القدوس المنفرد بالملك والملوكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجز من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به . فان قلت فهلا فوضت هذه

العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالارشاد والتعليم للمريد في فكهم حيث كلام الناصح المشفق الوالد الولد بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله تعالى إليه راجع الله تعالى في معناه ويكثر الاجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المرید بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا بالنجيب السهر وردي رحمه الله يوصي بعض أصحابه ويقول لا تكلم أحدا من الفقراء إلا في أصنى

(١) حديث الأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجز من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اتضح وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها اتضح الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أممي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد ياليل فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا ونحته ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو عمر البكر الأروى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضيف ولطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الغزاة إلا دابة في عنقها جرس والترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهوديا بالقاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب ولمسلم من حديث أبي هريرة بينا رجل بفلاة من الأرض سمع صوتا من سحابة اسق حديقة فلان فتتحنى ذلك السحاب فأفرغ مائه في حرة الحديث.

الأفضل إلى ملك واحد ولم أفتر إلى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولانهم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الباء عليه ثالثا ، ثم إلى من يعجن رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغافا عريضة سادسا ، ثم إلى من يصبها بالنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال اللائكة باطنا كأعمال الانس ظاهرا ؟ فاعلم أن خلقه اللائكة تخالف خلقه الانس وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثلهم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحم الالهام بانزاعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطن بأصابع الرجل بطشا ضعيفا قترأحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك قترأحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والحزب فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل - بيه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك نرى الانسان يطيع الله مرة ويصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع اللائكة بل هم مجبولون على الطاعة لاجمال المعصية في حقهم فلا جرم لا يصون الله مأمورهم ويفعلون ما يؤمرون ويسعون الليل والنهار لا يفترون والراكم منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لاختلاف في أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لاجمال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فانك مهما جازمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجهه ولكن يخالفه من وجه إذا الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتعا وإطفاقا واللائكة أحياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في اللائكة الأرضية والسموية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وبجامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإثم وباطنه - فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدة وإظهار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة ، بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فسخ جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حق لللائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بحملته نعمة على كل واحد من العباد قدّم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى في كل تطريفة للجفن نعمتين في نفس الجفن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذا البياض يفرق الضوء والسواد يحمله ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون ما ناله هوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبها للأقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لبن أصلها ومع اللين توام نصبا وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصير فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شبك الشعر فيكون شبك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدة غبار فقد خلق

أوقاتك ، وهذه وصية نافعة لأن الكحة تقع في سمع الرئد الصادق كالجبة تقع في الأرض وقد ذكرنا أن الجبة القاسدة تهلك وتضيع وفساد جبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فمعد الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما أن يكون قلبه ترجان القلب الحق عند الصدد فيكون ناظرا إلى الله مصغيا إليه متلقيا ما يرد عليه مؤديا للأمانة فيه ثم ينبغي

أطراف الأجنان خادمة منطبقة على الحديقة كالمصقلة للرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحديقة من التبار وخرجت الأقداء إلى زوايا العين والأجنان والقباب لما لم يكن لحديقة جفن خلق له يدين قراه على الدوام يسبح بها حديقته ليصقلها من التبار وإذا تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لاقتضاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا نشتاق له كتاباً موصوفاً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه بحجائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجنان ولا تقوم الأجنان إلا بالعين ولا الرأس ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالبدن ولا الغذاء ولا الغذاء إلا بالآباء والأرض والهواء وللطرو والنجم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فان الكل كاشي الواحد يرتبط البعض منه البعض ارتباط أعضاء البدن بعضها يصني فائق قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الترى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد إلا وليته وذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلغيم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم ^(١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر ^(٢) وأن اللائكة يلغون الصلاة ^(٣) في أقطاب كثيرة لا يمكن إحاطتها وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع مافي للكل ولللكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيقبل العن بالاستغفار فصي الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان فإذا شكرني على نعمائي قال للكان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندي آي أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والباقع تحميم والآثار تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعماً كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينسبط ونبض نعمتين إذا نبسطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك وباتقاضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدت متنفسه لاحترق قلبه باقطع روح الهواء وبرودته عنه هلك بل اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فمليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان أن لبت أصلها وأن طمست رأسها وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه قد دفل عليه وخسر عذابه وجميع مآذكرناه يرجع إلى اللطم والشرب فاعتبر ماسواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليك فلترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطعم .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والقفلة فانهم لم ينعموا بالجهل والقفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المرتبتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلغيم أو تستغفر لهم لم أجده أصل (٢) حديث إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر تخدم في العلم (٣) حديث إن اللائكة يلغون الصلاة من حديث أبي هريرة اللائكة تلغن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديثه وإن كان أخاه لأبيه وأمه.

الشيخ أن يعتبر حال الريدن ويفرس فيه بنور الإيعان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحته واستعداده فمن الريدن من يصلح لتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الأبرار ومن الريدن من يكون مستعداً صالحاً لقرب وسلوك طريق القربين المرادين بحماية القلوب والعاملات السنية ولكل من الأبرار والقرين مبادون نهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب أن الصراوى

واستلاء الشيطان . أما النعمة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجملهم لا يدون مايم
الخلق وسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جبة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة
للخلق بمنولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يمد نعمة ولا
ترام يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختلفهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في
بيت حمام فيه هواء حار أو في بر فيه هواء قتل برطوبة الماء ماؤا غماظان ابتلى واحد منهم شيء من
ذلك ثم نجح ربحا قدر ذلك نعمة وشكرا لله عليها وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب
عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى
البصير يشكر صحة بصره إلا أن تسمى عينه فتد ذلك لو أعيد عليه بصره أحس بمو شكره وعنده نعمة
ولما كانت رحمة الله واسعة وعم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فمده الجاهل نعمة وهذا الجاهل
مثل البعد السوء حقه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به متفان ترك ضربه على الدوام
غلبه البطرا وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الاختصاص إليهم من حيث
السكرة والمنة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكوا بعضهم قمره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر
شدة اعتيابه به قال له أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك أنك أعمى
ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك أنك أقطع الدين والرجلين ولك عشرة آلاف قال لا
قال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم قال لا قاله أما تستحي أن تشكو مولاك وله
عندك عروض بخمسين ألفا . وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام
كان قائلا يقول له تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة
هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فمد عليه سوراه ثم قال فمك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو
فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن السكك على بعض الخلفاء ويده كوز ماء يشربه فقال له عظمي قال
لو لم تعط هذه الثرية إلا ينل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم قال لو لم
تعط إلا بملكك كله فهل كنت تركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا تبين أن
نعمه الله تعالى على البعد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة
إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة ، وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم
الخاصة فنقول ما من عبد إلا ولو آمن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعمة كثيرة تخصه لا يشاركه
فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يحترف به كل عبد
في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والتم أما العقل فما من عبدة تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد
أنه أعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به
للتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر
واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر أتعنت الأرض فهو
يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده وميق شكره لأنه
في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبها ويكرها وأخلاقيتها وما يؤمنها من
حيث يرى فيه بريئا عنها فإذا لم يشتغل بغيره فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه
وابتلى غيره بالخلق السيء ، وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف من مواطن أمور تهو خبايا أفكاره
ما هو متعبد به ولو كشف النطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا تضح فكيف لو اطلع الناس كافة
فأذن لكل عبد غم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر من الله الجليل الذي
أرسله على وجه مبالو به فأظهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عليه به

يسلم الأرضي والفروسي
ويسلم كل غرس وأرضه
وكل صاحب صنعة يعلم
منافع صنعه ومضارها
حتى المرأة تعلم قتلها
وما يتأتى منه من الفزل
ودقته وغلظه ولا يعلم
الشيخ حال للريد
وما يصلح له . وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلم الناس
على قدر عقولهم
ويأمر كل شخص بما
يصلح له فمنهم من كان
بأمره بالاتفاق ومنهم من
أمره بالإمساك ومنهم
من أمره بالكسب
ومنهم من قرره على
ترك الكسب كأصحاب
الصفة فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يشرف بها كل عبد إماما مطلقا وإماما في بعض الأمور فلنزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلا فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أمور أو سلب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا مجادا وإنسانا لا بهيمة وذكرنا لأنني وصحيفا لا مريضا وسليما لا معييا فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به إلا أكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إماما للجملة وإماما في أمر خاص فاذن الله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد القبولين عنده فانه لا محالة يرام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى ديناه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقرها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبدا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق في الدين خير منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله جابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله جابرا ولا شاكرا » (١) فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد الله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة لا يسا من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيما بسطيل به في دينه ثم في دينه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه ورعا ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله » (٢) وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام « إن القرآن هو التقى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه » (٣) وقال عليه السلام « من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزا بآيات الله » (٤) وقال عليه السلام « ليس من آمن لم يتغن بالقرآن » (٥) وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى » (٦) وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب للزلة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله جابرا وشاكرا الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه الشئ بن الصباح ضعيف (٢) حديث من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الفناء الذي لا غناء بعده ولا فقر معه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه قال الدارقطني رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلا وهو أحبه بالصواب (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزا بآيات الله البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه ووطن أن أحدا أو أني أفضل مما أو أني قد صر أعظم النعم وقد تقدم في فضل القرآن ورجاء مختلف في صحته وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث ليس من آمن لم يتغن بالقرآن تقدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى باليقين غنى الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في الفتناء موقوفا عليه وقد تقدم.

يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فأما في رتبة الدعوة فقد كان يعم الدعوة لأنه مبعوث لإثبات الحججة وإيضاح الحججة يدعو على الإطلاق ولا يخص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره . ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها أن استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة فإن رسول الله

إن عبدا أغيبته عن ثلاثة لقد أعمت عليه نعمتي عن سلطان يأتبه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت يأتبك كذا الصحة والأمن

وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

بل أشرق البارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالصاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (١) » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصلوهم إلى النعيم القيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نعم نعم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علك بل عن عشر عشر علك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تنفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكأله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذ لعله بأن لذة العلم دأمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تنصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لاكدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بنعمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلبب بها العقول الناقصة وتخضع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت كالمرأة الجميل ظاهرها تزين للشاب الشبق الفنى حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت عنه فلا يزال معها في تمب قائم وعناء دائم وكل ذلك باعتراره بللثة النظر إليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول إن العرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن القبل عليها أياضاً متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم للعرض يفضى إلى لذة في الآخرة وتألم القبل يفضى إلى الألم في الآخرة فليقرأ للعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون - فإذا نمت أسد طريق الشكر على الخلق لجلبهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة . فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فصاها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتعد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسيبيله أن ينظر أبدا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنائيات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى اللواتي أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصي الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فان يوم القيامة يوم التضايح فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات لما أعظم غنى إذ ضيقت بعض الأوقات في الباحات ، وأما العاصي فعبثه ظاهر فإذا شاهد للمقابر

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصلها ويدوم عليها وأوقات يغلو فيها فطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك أو أكثر لطف ذلك أو كشف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترمل في المازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخ للباطلين بلقمة تؤكل عنده ويرفق بوجود منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا يقينه سلوك طريق للتقوى فافتن وأقن وبقي في خطة القصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك مغرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الأسفار في كل نفس من الأتقاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزوّد من الدنيا والآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فصاها تشكروا وقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلّا في عنقه ويثام في لحده ثم يقول رب ارجعوني لأعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فأعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد . وما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم بملزمة الشكر على النعم قل نعمت زالت عن قوم فعادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدها بالشكر وفي الخبر وما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه (١) فمن تهان بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن .

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيها يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر (بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد)

لذلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلا فاما معنى الصبر إذن وإن كان البلاء موجودا فاما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بآثبات النعمة يوجب القول بآثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكلايمان وحسن الخلق وما يصيب عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويغسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى وإمامة وإمامة وأما في الدنيا فالكفر والعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا العصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فله ترك العصية بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن النفي مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

دائرة الفتور لما يستغنى الشيخ عن الاستعداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه إن لم يكن بقلبه وقلبه فيكون له في كل كلمة إلى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وإعجاب خلت الفتنة على القلوب والدين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من اللوعة وقلة تأديهم بالشيوخ . كان الجنيد رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت أن صلاة ركعتين لي أفضل من جلوس معكم ما جلست عندكم فإذا رأي الفضل في الخلوة غلوا

والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الحيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبني قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحصى أحدكم مريضه (١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضرارها إذن نفا في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كال نعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قدما نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقارب به نعمة عليه إذ لو عرف السوء واطلع عليه لطال ألمه وحقد وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات الذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال الحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانتة ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لاعماله أعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف. ومنها إيهام الله تعالى أمر القيامة وإيهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض الكبار فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التائب بها فان لم تكن نعمة في حقه كالآلام الحاصل من اللصية كقطعه يد نفسه ووفعه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لافي حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتممون قدر نعمه ولا أكثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على البتلى أو على غير البتلى فاذا كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا . فان قالت فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد ينتم به من وجه ويخرج به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاعتناء والشكر من حيث الفرح وفي كل قهر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح الماثل بها وبشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو مضى الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويجبرها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا. الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبتها في دينه . قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل اللص بيتي

(١) حديث إن الله ليحصى عبده الدنيا الحديث الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وإذا رأى الفضل في
المسألة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوته
في حماية خلوته وجلوته
مزيدا لخلوته وفي هذا
سر وذلك أن آدمي
ذو تركيب مختلف فيه
تضاد وتغابر على
ما أسلفنا من كونه
متريدا بين السفلى
والعلوى ولما فيه من
التغابر له حظ من
الفتور عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل ففي وقت
الفترة للمريد
والسالكين تضييع

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى على فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذا لم يكن أعظم منه وإذا لم أحرم الرضا به وإذا أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه يملعه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضر به فأرسل إليه يملعه ويشكو إليه فقال اشكر الله فجاءه مجوسى فحبس عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن مامن إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداها فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر قليل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النار فالاقصر على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار فقال أتم تستبطون المطر وأنا أستبطىء الحجر . فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار . فاعلم أن الكافر قد خدعه له ما هو أكثر وإنما أمهل حتى يستكثر من الانتم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى - إنما نعلمهم ليزدادوا إثما - وأما المعاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - ونحسبونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم اعلم قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجبت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى إذ أسباب التسلى مقطوعة بالسكينة في الآخرة عن المعذنين ومن عجبت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا (١) » الرابع أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة . الخامس أن ثوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما الوجه الذى يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون النعم من أسباب اللب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان ينحصر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث.

واستراح للنفس وركون إلى البطالة فمن بلغ رتبة الشيخة انصرف قسم قترته إلى الخلق فأفلق الخلق بقسم قترته وما ضاع قسم قترته كضياحه في حق الريدين فالمرید يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الإقبال على الله والشيخ يكتب الفضيلة من نفع الخلق بقسم قترته ويعود إلى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرقة أكثر من عود الفقير بحدة إرادته من قترته فيعود من الخلق إلى الخلوة منزع الفتور بقلب متعطف وافر النور وروح متخلصة عن

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالمصلحة غذا يتمنون لو كانوا مجانين أو صيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فإمن شيء من هذه الأسباب يوجد من البعد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلاء إذا رآوا ثواب الله على البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذة وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أنهم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تتم الله في شيء قضاء عليك (١)» «ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضرراء رضى وكان خيرا له (٢)» الوجه الثاني أن رأس الخطايا للهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجاني بالقلب عن دار العز والمواة التمس على وفق الراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب اتزعج قلبه عن الدنيا ولم يكن إليها ولم يأنس بها وصارت سببا عليه وكانت نجاة منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٣)» والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن إليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحزن إلى الخروج منها والكفر بفضه ظاهر وبفضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الخفي بل الموحّد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجابة بمن يتولى حجابك مجانا أو بعتك دواء نافعا بشما مجانا فانك تألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم أنه يخرج منها لا محالة فرأى وجهها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأناج بمنزل لا يمكنه التماس فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه مايكره حتى نوره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحمة وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزجج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة. وحكي أن أعرابيا عزي ابن عباس على أبيه فقال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تتم الله في شيء قضاء عليك أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زياد في أوله وفي إسناده ابن أبي عمير (٢) حديث نظر إلى السماء فضحك فسل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وضحك عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرء صبر فكان خيرا له ولقناني في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابه خير حمد به وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار
قائمة بحمد شنفها الى
دار القرار . ومن
وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الارادة
والطلب والزول من
حقه فيما يجب من
التبجيل والتعظيم
للشايخ واستعماله
التواضع . حكي الرقي
قال كنت بصروكنا
في المسجد جماعة من
الفقراء جلوسا فدخل
الزقاق فقام عنده
أسطوانة يركع قلنا
يفرغ الشيخ من
صلاته وتقوم نسل عليه
فلما فرغ جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
فقال ما عذب الله

اصبر نكن بك صابرين فاقما صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعدد والله خير منك للعباس

قال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تزيته. والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يصيبه»^(١) وقال عليه السلام «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا. وقال عليه السلام «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى - إن الله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعقبني خيرا منها إلا فضل الله ذلك به» قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كرميته جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال عليه السلام «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره»^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى ينتلي يلاء في جسمه فيبلغها بذلك»^(٣) وعن خباب بن الأرت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه قلنا يا رسول الله ألا ندعو الله تستنصره لنا جلس عمرالونه ثم قال «إن من كان قلبكم يؤتي بالرجل فيحفر له في الأرض خربة ويحيا بالنشار فيوضع على رأسه فيجل فرقتين ما يصرف ذلك عن دينه»^(٤) وعن علي كرم الله وجهه قال : أيعا رجل حبه السلطان ظلمات فهو شهيد وإن ضربه فيأت فهو شهيد . وقال عليه السلام «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك» وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للوثة وتمرون للخراب وتغرمون على ما يخفى وتنفرون ما يبيق إلا حينئذ لا تكروها والثلث الفقر والمرض واللوثة . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا أو أراد أن يضيفه صب عليه البلاء صبا ونجحه عليه نجا فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانيا قال يارب قال الله تعالى ليك عبيد وحميدك لا تسألني شيئا إلا أعطيتك أودعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة جاء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

(١) حديث من يرد الله به خيرا يصيب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حديث أن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى ينتلي يلاء في جسمه فيبلغها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية الثوري ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو الليث الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يرو عن خالد إلا ابنه محمد وذكر أبو نعيم أن ابن منبه سمى جده اللجلاج بن سليم فله أعلم وعلى هذا فانه خالد بن اللجلاج العامري ذلك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منبه وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي ياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فله أعلم (٤) حديث خباب بن الأرت أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء في ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث تقدم .

قلبي بهذا قطبى
ما تقيدت بأن أحترم
وأقصد . ومن آداب
الشيخ الزول إلى
حال الريدين من
الرفق بهم وبسطهم .
قال بعضهم : إذا رأيت
القمير الله بالرفق ولا
تلقه بالعلم فإن الرفق
يؤنس والعلم يوحش
فإذا فعل الشيخ
هذا انتهى من الرفق
يتدرج للريد بركة
ذلك إلى الاتقاع
بالعلم فيعامل حينئذ
بصرح العلم . ومن
آداب الشيخ
التطف على الأصحاب
وقضاء حقوقهم في
الصحة والمرض ولا
يترك حقوقهم اعتادا
على إرادتهم وصدقهم

فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تعرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب . فذلك قوله تعالى - إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب (١) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكنا في من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويعتصم بمعاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويعتريه عليك وظل معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسياسته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجز به - قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألت تعرض ألت يصيبك الأذى ألت تحزن فهذه مما تجزون به (٢) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يحطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما ساءلوا ما ذكرناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء - (٣) » يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أوتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلما هم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فالمصائب في الدنيا بكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فاقه أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فاقه أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يرجع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بعلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعد خيرا وأراد أن يصابه صيب عليه البلاء صاب الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخصر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجز به - قال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألت تعرض ألت يصيبك الأذى ألت تحزن فهذه مما تجزون به (٣) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يحطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (٤) » حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط الحديث وفيه إذا أراد الله بعد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا ووصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه الرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا تضع حق أخيك بما بينك وبينه من الودة . وحكى عن الجريري قال وافيت من الحج فابتدأت بالجند وصلت عليه وقلت حق لا يتعنى ثم أتيت منزلي فلما صليت الغداة التفت وإذا بالجند خلفي قلت يا سيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى ههنا فقال لي يا أبا محمد هذا حقك وذلك فضلك .

ومن آداب الشيوخ أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراعاة النفس وقهرها واعتاد صدق العزيمة أن يرققوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلاة الرحم (١) . وعن أبي الدرداء قال : توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجسدا بين يديه في رضى الحصى ، فقال أحدهما : بذرت بذراقتا استصد مر به هذا فأقده ، فقال للآخر ما تقول ، فقال أخذت الجادة فأثبت على زرع فنظرت يمينا وشيلا فاذا الطريق عليه ، فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أماعلت أن لا يد الناس من الطريق . قال فلم تعزني على ذلك أماعلت أن اللوت سبيل الآخرة فتاب ساجدا إلى ربه ولم يجزع على وله بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يا بني : لأن تسكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يا أبت لأن يكون ما أحب أحب إلى من أن يكون ما أحب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى إليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى وموثة كفها الله وأجر قد ساقه الله ثم زل فضلى ركبتين ثم قال قد صنعت ما أمراه تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فزاه عجوس يعرفه ، فقال له ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يضل به الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله لينبئ العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشى على الأرض وماله ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى المرضى بأبواب صلوات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة صر فواذلك فجىء بالمنشار فشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لأن صعدت منك أنه ثانية لأعفوك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على أنصبه حتى قطع شطرين . وقال أبو السعود البلخي : من أصيب بمصيبة فزق ثوبا أو ضرب صدره فكأنما أخذ رحما يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يا بني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى ظله الرضا ، ومن سخط ظله السخط . وقال الأخنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى مرضي ، فقلت لعلمي ما تمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا ، فقال : لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزيز عليه السلام إذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي واشك إلى كالأشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضاحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة .

به ويوقوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتخطى حريم الرخصة فهو حرام إذا ثبت وخالف الفقهاء وتدريب في لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزقة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يعرف بأبراهيم الصانع وكان لأبيه نعمة فاقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلاسي فربما كان يقع يد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود

(١) حديث أنس ما تجرع عبد قط جرتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظلمها عدا ابتغاء وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفدكي منكر الحديث .

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لعلك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء .
 فأقول لا وجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعائه من
 بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا في الدنيا حسنة
 وفي الآخرة حسنة ^(٢) » وكانوا يستعبدون من شجاة الأعداء وغيرها ^(٣) . وقال على كرم الله وجهه
 اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية ^(٤) » وروى
 الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سلوا الله العافية فما
 أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين ^(٥) » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك
 فعافية القلب أعلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر
 فكم من نعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبني فأعبر
 وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وعافيتك أحب إلى ^(٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل
 واستشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالاضافة إلى ما هو أكثر منه إمام الدنيا أوفى
 الدين ، والآخر بالاضافة إلى ما يرجى من الثواب فينبغي أن نسأل الله تعالى نعم النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من
 البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه
 على الصبر . فان قلت : فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يصبر على الخلق كلهم
 فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاخترني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم أنه حكى عن ممنون المحب رحمه الله أنه بلى بملء البيت بملء الحصر
 فكان بعد ذلك يدور على أبواب الكتائب ويقول للصبيان : ادعوا لعكم الكذاب . وأما محبة الإنسان
 ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تنطب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه
 حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب
 عليه كان حالة لا حقيقة لها فاسمعت من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط بهم وكلام العشاق

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث
 بشر بن أبي أرطاة بلفظ أجربنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولا يداود من حديث
 عائشة اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالنعنة
 (٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 اللهم آتنا في الدنيا الحديث ولأبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتتنا الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شجاة
 الأعداء تقدم في الدعوات (٤) حديث قال على رضي الله عنه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم
 لقد سألت الله البلاء فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما
 قال سمع رجلا وله وللنسائي في اليوم واليلة من حديث على كنت ساكنا فربى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فان كان بلاء فصرني فضربه برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن
 صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سلوا الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة بإسناد
 جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلى ذكره ابن اسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى
 الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسل

النعمة فيجب أن تفرق

به وتؤثره على غيره .

ومن آداب الشيوخ

التنزه عن مال المريد

وخدمته والارتفاق

من جانبه بوجه من

الوجوه لأنه جاء الله

تعالى فيجعل نفسه

وإرشاده خالصا لوجه

الله تعالى فما يسدى

الشيخ للمريد من

أفضل الصدقات .

وقد ورد « ما تصدق

متصدق بصدقة أفضل

من علم يثبه في الناس »

وقد قال الله تعالى

تنزيها على خلوص

ما لله وحراسته من

الشوائب . إنا نطمعكم

لوجه الله لا نريد منكم

جزاء ولا شكورا فلا

ينبغي للشيخ أن يطلب

يستقل سباعه ولا جوار عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتعنه فقال ما الذي يمنعك عنى ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لعلته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يابى الله كلام العشاق لا يعنى وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا محال ومعتاد أنى أريد ما لا يريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرد به بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتب به رضاه الذى يتوصل به إلى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال إذا سلم درهمه فى درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم فى الحال . الثانى أن يصبر رضاء عنده مطلوب ومن حيث إنه رضاء فقط ويكون له لذة فى استشعار مرضاه محبوبة منه تريد تلك اللذة على لذة فى مشاهدته مع كراهته فند ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضا فلا ذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم فى البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا فهو لاء إذا قدر وارضاء فى البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة لا يدور عنها فى غلبات الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلاً فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضاها حالة أخرى وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى الثابت بفضل على جميع خلقه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين .

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك فقالوا الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سياتى وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلامنى للتطويل بالنقل بل البادرة إلى إظهار الحق أولى فتقول فى بيان ذلك مقامان : المقام الأول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذى ينبغى أن يعتمد الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظفر المشقة لا ينبغى أن تصلح العسى الطفل بالطيور السان وضروب الحلاوات بل باللبين اللطيف وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملا لما بقوته ويفارق الضعف الذى هو عليه فى بنيتة فتقول : هذا المقام فى البيان بأى البحث والتفصيل ومقتضاها النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة فى فضله فإذا أضيف إليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألفاظ صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ^(١) » وفى الخبر « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أما ترضى أن يجزيك كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى : كلا أنصمت عليه فشكر وأجبتك فصبرت لأضعف لك الأجر عليه فيعطى أضاعف جزاء الشاكرين ^(٢) » وقد قال الله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ^(٣) »

ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يحمل (١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الفرق منه أو صلاح يراه للشيخ فى حق للريد بذلك فيكون التلبس بالله والارتفاق بخدمة لمصلحة تعود على للريد مأمونة الفائقة من جانب الشيخ قال الله تعالى - يؤتىكم أجوركم ولا بآلكم أموالكم إن يبالكموها فيضكم تبخلوا وبخرج أضعافكم - معنى يحفكم أى يحمدكم وبلغ عليكم . قال قتادة : علم الله تعالى أن فى خروج المال إخراج الأضعاف وهذا

فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض البالغة لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حجج السالكين وجهاد للرأى حسن التبعل» (١) وكقوله صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كعابد الوثن» (٢) وأبدا التشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فكذا قال صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أمماني دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه» (٣) وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» (٤) وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام» (٥) وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الغنى ، فهذا هو المقام الذي يقع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم . المقام الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بعقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا يمكن للوازنة بينهما مع الإبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكتشف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشبههما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حجج السالكين وجهاد للرأى حسن التبعل الحديث بن أبي أسامة في مسنده بالشرط الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فابعد ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ماجزء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن قياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كعابد الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مضمن الخمر ورواه بلفظ شارب الحديث بن أبي أسامة من حديث عبداللّٰه بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصماني (٣) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أمماني دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا شعيب بن خاله وهو كوفي ثقة ، وروى البزار من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبدالرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة تفرقة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي نفس محمد بيده إن ما بين للصراعين من مصاريع الجنة لكأين مكة وهجر أو كأيين مكة وبصري ولى الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن ما بين الصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

تأديب من الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الخلدی جاء
رجل إلى الجنيد وأراد
أن يخرج عن ماله
كله ويجلس معهم
على الفقر فقال له الجنيد
لا تخرج من مالك
كله احبس منه مقدار
مايكفيك وأخرج
الفضل وقوت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك قلت
آمن عليك أن
تطالبك تصك وكان
النبي عليه السلام إذا
أراد أن يعمل عملاً
ثبت وقد يكون
الشيخ يعلم من حاله
للريد أنه إذا خرج
من الشيء يكسبه من

والنقصان مع الاجمال فتقول : قد ذكرنا أن هذه اللقائات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر اللقائات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها ببعض لآخر للناظرين في الظواهر أن العلوم تتراد للأحوال والأحوال تتراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تتراد للأحوال والأحوال تتراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه . وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم الكاشفة وهي أرفع من علوم العامة بل علوم العامة دون العامة لأنها تتراد للعامة فتأيدتها إصلاح العمل وإنما أفضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان عليه محاسن فنه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فتقوله : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن يكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم الكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للحررة التي لا قيد عليها فلا تنقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخم بالإضافة إليها فإنها إما تتراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب تقمها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فنحن بها أحوال القلب في تصفيه وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا طهر وصفا تضح له حقيقة الحق فاذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصله علوم الكاشفة ، وكما أن تصديق الرأى يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة أو القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لأحالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مائة من الكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهيبة للكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول المصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول للطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن النفي الذي معه ما لو قد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخرج الدرهم له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء القسرك من علوم الكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا للدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بهوة بطنه ولا هو مشغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمرضى الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في الهلك الذي استولى عليه والشبع الطامع من جملة المهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزاله إلا إخراج اللال فله أن يتصدق بما معه ، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربيع المهلكات فليرجع إليه فاذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال ملا يتطلع به إلى اللال فينتد بجوز له أن يفسح للرديد في الخروج من اللال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض الريدين مكروها أو علم من حاله أوجاجا أو أحسن منه بدوى أو رأى أنه داخله عجب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه اللزلة مجالا فتصل بذلك الفائدة لكل فهذا أقرب إلى الداراة وأكثر أثرا لتألف

إذ لو قال لنا قائل الخير أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حتى إلا أن الخير للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعا فليُنظر إلى الأغلب فان كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل وإن كان الجوع أغلب فالخير أفضل فان تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكجيين أفضل أم شراب الينوفرم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا السكجيين أفضل أم عدم الصغراء . فنقول : عدم الصغراء لأن السكجيين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاهالة فاذن في بذل المال عمل وهو الإغناق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ونشأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للفرقة ودونها الحال ودونها العمل . فان قلت قد حث الشارع على الأعمال وبالحق في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - ويأخذ الصدقات - فكيف لا يكون الفعل والاتفاق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يملك على أن الدواء مراد له أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به ظاهرا فهو كبرص على وجه من لا امرأة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسيل مع البالغة في الشتاء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزول البرص حتى يستحس فرط الشتاء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن القصور زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه ولتضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليقى له محفوظا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عييد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعد على ذلك بالجليل لتوفر ذاعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي للسكين أنه للقصور تعليم العبيد القرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدّر عليه دون تكليفي به وأعلم أنه لا نقصان لأبي بقدر هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فرعا يتكاسل هذا للسكين فيترك تعليمهم اعتادا على استثناء أبيه وعلى كرمه في الصفوة عنه فينسى العلم والقرآن ويسقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمنزل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطلاع السالكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا الذين كفروا الذين آمنوا أن نعطيهم من لو يشاء الله أطعمهم وقالوا أيضا - لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا - فانظر كيف كانوا اساقدين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل ضل به كثير أو بهدى به كثيرا فهو لا لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل السالكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لاحظنا في السالكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أفتقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراؤه إلى ما فيه سعادته ، فهذا للسالكين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن للسكين الأخذ لا يستوفى بواسطة المال حيث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بغيره الدم الملع الهلكة من باطنك فالجوام خادم لك لا أنت خادم للجوام ولا يخرج الجوام عن كونه خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
للريد تقصير في خدمة
نذبه إليها يحمل تقصيره
ويغفو عنه ويحرمه
على الخدمة بالرفق
واللين وإلى ذلك نذب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن أبي القاسم أبو الفتح
الكروخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر الترمذي
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو العباس
الحجوي قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال ثنا حنيفة
قال ثنا رعد بن
سعد عن أبي هلال
الحولاني عن ابن
عباس بن جليل
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام وصماها أو ساع أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) والتصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربيع الهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والعارفين يرجعون الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبهذا التناسب يظهر الفضل ومهما قولت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العيين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرت في البلاء والأصايب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن اللصيق وفيها يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو التصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إيمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة : الطاعة والصية والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة والصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فبصر الأعمى عنهما بأن لا يظهر التشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في جنى المعاصي وشكر البصير عليها من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بهما على مصيبة ، والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جميل فبصر كان ما كرا لنعمة العينين وإن أتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى حجاب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعب عليه السلام مثلا وقد كان ضربا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلمه على وضوء ذلك محال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يغوت بغوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقير ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في اللصيق فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال « كل يوم صبيح مرة » وأخلاق للشايع مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس بأحياء سنته في كل ما أمر وتنب وأنكروا وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار للريدين فيها يكاشفون به ويمنحون من أنواع للنسح فسر الريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس للريد ما يجده في خلوته من كشف أو صماع خطاب أو شيء من خوارق العادات يعرفه

(١) حديث انتهى عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وصماها أو ساع الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأجل لنا إنما هي أو ساع القوم وإنما لأجل الحمد ولا لآل محمد وفي رواية له أو ساع الناس .

تعالى وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التمتع بالبإح وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أسمى رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح للوازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على مصيبة بل يصرفه إلى التمتع بالبإح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغنى للمسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغنى الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمته وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لامحالة قوة والغنى أبسح نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على البإح والبإح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أسمى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التمتع على البإح والشرف لتلك القوة التي بدل العمل عليها فإن الأعمال لا تتراد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان فإدراك زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لامحالة وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والغنى بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المصيبة لأن يصرفها إلى الطاعة ، فإذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي فهمه العامة أفضل من الشكر الذي فهمه العامة وإلى هذا الغنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط الغنى يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتتمتها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزججها فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزججها أتم حالا ممن منع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جهة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابني ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغنى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يسلك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يسكه على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين وللساكين وإنما ينتظر حاجه تسنح حتى يصرفها إليهم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاء وصيت ولا تقليد منه بل أداء لحق الله تعالى في فقد عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر ، فإن قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك ببلاته في القدرة على الانفاق ، فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكل حالا ممن ينفقه وهو يخجل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة في أيام النفس ليس مطلوب بالعين بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب التأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلاء والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه لذينة عنده كما يصير النظم عند الصبي العاقل للذي نادى قد كان مؤلما له أو لا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قيل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراد من عموم الحلق ، فإذا إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر

أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب الزيد بل يعرف أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه أن شأن المرید طلب النعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فإذاعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر موجب لإذاعة السر يوصف به النسيان وضعفاء العقول من الرجال وسبب إذاعة السر أن الإنسان قوتين أخذة ومعطية وكلتاها تنشوف إلى الفصل المختص بها ولولا أن الله تعالى وكل للمعطية باظهار ما عندها

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام فإذا أردت التحقيق فصل فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذا الصبر مع التأمل والرضا يمكن بمال ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فإن حياة العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكف ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والطم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وهو هبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» (١) وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراف وحسن الأدب بين يدي النعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار وقد روى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسأته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت ثم واني فاتفق أنهما تزوجت مني فليكن زفافها قلت تعالى حتى نحبي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعا فضلنا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدهما إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فضلنا طول الليل فندس سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت المعجوز هو كما يقول الشيخ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا ن لاوقوف على حقائق الفضلات لا بتفضيل كما سبق والله أعلم .

﴿ كتاب الخوف والرجاء ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربح النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه الخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بطائف آلائه إلى التزول بفنائهم والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه للعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصددهم عن التعرض لأنتمه والتهدف لخطئه ونعمته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليفته وعلى آله وأصحابه وغرته .

[أما بعد] فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير القربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوقا بكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الألم مع كونه محفوقا بطائف الشهوات ومحائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادها وتمازجها ونحن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة .

﴿ كتاب الرجاء والخوف ﴾

ما ظهرت الأسرار
فكامل الخلق كلها
طلبت القوة الفعل
قيدها ووزنها بالعقل
حتى يصفها في مواضعها
فيجل حال الشيوخ
عن إذاعة الأسرار
لرزانة عقولهم وينبغي
للمريد أن يحفظ سره
من به في ذلك محته
وسلامته وتأيد الله
سبحانه وتعالى له
بتدارك الزيدتين
الصادقين في مورد
ومصدرهم .

[الباب الثالث]

والحمسون في حقيقة
الصحة وما فيها من
الحير والشر [

للتفتي للصحة وجود
الجنسية وقد يدعو
إليها أعم الأوصاف

نجمع ذكرها في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يحتل به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان طارضاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سرية الزوال كصفرة الوجع وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يتمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلائقك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى متظر في الاستقبال فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكراً وتذكراً وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمى وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما سمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظاراً وتوقعاً فإن كان للنتظر مكروها حصل منه ألم في القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وإرتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه قاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انحراف أسبابه واضطرابها قاسم الضرر والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء قاسم التني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، نعم يقال أرجو زول للطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جازية تجري تقليب الأرض وتطهيرها ويجري حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب المستقر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبعة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبعة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات للفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وإن بث البذر في أرض صلبة سبعة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حقاً وغروراً لارجاء وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تلعب الأمطار ولا يعتنق أيضاً سمى انتظاره تمنياً لارجاء ، فإذا نسي اسم الرجاء وإنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاء بماء الطاعات

وقد يدعو إليها أخص
الأوصاف فالدعاء بأعم
الأوصاف كليل جنس
البشر بعضهم إلى
بعض والدعاء بأخص
الأوصاف كليل أهل
كل فئة بعضهم إلى
بعض ثم أخص من
ذلك كليل أهل الطاعة
بعضهم إلى بعض وكليل
أهل العصية بعضهم إلى
بعض فإذا علم هذا
الأصل وأن الجاذب
إلى الصفة وجود
الجنسية بالأعم تارة
وبالأخص أخرى
فليتفقد الإنسان نفسه
عند الليل إلى صفة
شخص وينظر ما الذي
يميل به إلى محبته ويزن
أحوال من يميل إليه
بميزان الشرع فإن

وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثيبته على ذلك إلى الموت وحسن
الحاجة للفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعنا له على اللواظبة والقيام
بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت وإن قطع عن بذل الإيمان تعهده بماء
الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر للمغفرة فانتظاره
حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة (١)»
وقال تعالى - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - وقال
تعالى - تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفغر لنا -
وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما أظن أن تبدي هذه أبدا وما أظن الساعة
قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا - فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي
حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما المعاصي فإذا تاب
وتدارك جميع ما فرط منه من تصير حقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارها
للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنه وهو يذم نفسه ويلومها ويشهى التوبة ويشاق إليها لحقيق
بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب
الذي قد يقضى إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا
رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق
الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يحزم على التوبة والرجوع فرجاؤه
المغفرة حق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعده بسقي ولا تنقية. قال يحيى
ابن معاذ من أعظم الاعتزاز عندى النجاشي في الذنوب مع رجاء الغفران من غير ندامة وتوقع القرب
من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يئذ النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء
بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط :

رجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليابس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة آثمها العلم بمرجان أكثر الأسباب وهذه
الحالة تنجز الجهد للقيام بقيمة الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر
ماؤه صدق رجاءه فلا يزال يعمل صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدا وتنحية كل حشيش ينبت
فيها فلا يفتر عن تعهدا أصلا إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاهي اليأس والبأس يمنع من
التعهد فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فترك لا محالة تفقد الأرض
والتعب في تعهدا والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف
ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث
بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال واللواظبة على الطاعات كما تنقلب
الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتتم بتناجياته والتلطف في التخلق له فإن
هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص فكيف
لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليست تدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والفرول في
حضيض الغرور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما آثمه من العلم ولما استثمر منه من العمل

(١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة
فليشر نفسه بحسن
الحال فقد جعل الله
تعالى مرآته مجلوة
يلوح له في مرآة أخيه
جمال حسن الحال وإن
رأى أفعاله غير مسددة
فليرجع إلى نفسه بالآلة
والإهام قد لاح له في
مرآة أخيه سوء حاله
فبالجدير أن يخرجه
كفراره من الأسد
فإنها إذا اصطحبا
ازدادا ظلمة واعوجاجا
ثم إذا علم من صاحبه
الذي مال إليه حسن
الحال وحكم لنفسه
بحسن الحال طالع ذلك
في مرآة أخيه فليعلم أن
الميل بالوصف الأعم
مركوز في جبلته والميل
بطريقه واقع وله

ويدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحنت إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هياك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراد بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور» (١).

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له والحب يوجب الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيا في وقت الموت قال تعالى - لا تقنطوا من رحمة الله - فحرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يعوتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» (٣) «ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الزرع فقال كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتماع في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وأمنه مما يخاف» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أخرج الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك» وقال سفيان : من أذنب دنيا فاعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قومما قال - وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم - وقال تعالى - وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت التكرار أن تتكبر فان لقنه الله حجة قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك» (٥) وفي الخبر الصحيح «أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا» (٦) فضا عنه الحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الذين يتلون كتاب الله

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه أنه قال أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سماء النبي ﷺ الخير ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروى قيام زيد الخير فقال بارسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يعوتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي ما شاء ابن حبان من حديث وائلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الزرع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت التكرار أن تتكبر الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر بالمعروف (٦) حديث أن رجلا كان يداين الناس فيسامح ويتجاوز عن المسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المسر قال الله عز وجل نعم أحق بذلك تتجاوزوا عنه وانفقوا عليه من حديث حذيفة

بحسبه أحكام والنفس بسببه سكون ووركون فيسلب الليل بالوصف الأعم جدوى الليل بالوصف الأخص وبصير بين النصاحين استرواحات طيمنية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصيحة لله إلا العلماء الزاهدون وقد ينفسد المرید الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فقال إليهم بحسبة الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طيمنية جبلية حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأتقوا محارز قنهم سرا وعلاية يرجون تجارة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم
 ولوططون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتحاربون إلى
 ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي غفر عليم ورجاهم
 وشوقهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحب من يحبني وخيبي إلى
 خلقي فقال يارب كيف أحبيك إلى خلقك قال اذكرني بالحسن الجليل واذكر آلائي وإحساني وذكركم
 ذلك فانهم لا يعرفون مني إلا الجليل (٢)» ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء
 فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أحبيك إلى خلقك فقال
 قد غفرت لك ورؤي يحيى بن أكنم بعد موته في النوم قيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين
 يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يارب ما هكذا
 حدثت عنك فقال وما حدثت عني قلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن
 نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
 وكنت أظن بك أن لاتخذني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق
 الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشي بين يدي الولدان إلى الجنة
 قلت يا لهام من فرحة - وفي الخبر «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال
 فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أويستك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها (٣)» وقال صلى الله
 عليه وسلم «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا خنان يا منان فيقول الله تعالى
 لجبريل اذهب فائتني بعبدى قال فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك
 فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيحشى ويلتفت إليه ورائه فيقول الله عز وجل إلى
 أي شيء تلثفت فيقول لقد رجوت أن لاتعبدني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا
 به إلى الجنة (٤)» فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله - حسن التوفيق بلفظه وكرمه.

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وبغلب)

اعلم أن هذا الدواء محتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب
 عليه الخوف فأسرف في اللواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن
 الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما المعاصي للفرور
 التمتع على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب مموما مهلكة في حق
 وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل
 للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المنهجة له فلهاذا يجب أن يكون واعظ الخلق
 متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضاعها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل

وأبي هريرة بنحوه (١) حديث لوططون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا الحديث وفيه فهبط جبريل
 الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة فأوله متفق عليه من حديث أنس ورواه زيادة ولخرجتم
 إلى الصعدات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام
 أحب من يحبني الحديث لم أجده أصلا وكان من الاسرائيليات كالذي قبله (٣) حديث أن رجلا
 من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم الحديث زواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم
 فذكره مقطوعا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا خنان يا منان
 الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس .

حقيقة الصبغة
 لاكتسب من طريقهم
 الفسور في الطلب
 والتخلف عن بلوغ
 الأرب فليقتبه الصادق
 لهذه الحقيقة ويأخذ
 من الصبغة أصنى
 الأقسام ويذر منها
 ما يد في وجهه للرام
 قال بعضهم هل رأيت
 شرا قط إلا بمن تعرف
 ولهذا المعنى أنكر
 طائفة من السلف
 الصبغة ورأوا الفضيلة
 في العزلة والوحدة
 كإبراهيم بن آدم
 وداود الطائي وفضيل
 ابن عياض وسليمان
 الخواص وحكي عنه
 أنه قيل له جاء إبراهيم
 ابن آدم أما لتلقاه قال
 لأن ألقى سبعا ضاريا

والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاز الوسط إلى أحد الطرفين عوج بما
يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق
أسباب الرجاء بل للبالغة في التخويف أيضا تكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما ذكر
أسباب الرجاء فيهلكهم ويردهم بالكلية ولكنها لما كانت أخف على القلوب والله عند النفوس ولم
يكن غرض الوعظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد
الفساد فسادا وازداد التهمكون في طغيانهم تباديا قال على كرم الله وجهه إنما السالم الذي لا يخطئ الناس
من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس
أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتملان على الخوف
والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف الرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة
الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الأخرى الذي يظن أن كل شيء من الأدوية
صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يثلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات
والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع مآذ كرهناه في أصناف النعم من كتاب السكر حتى
إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في
الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار
وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحرمة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يتأمل
بفقد غرض مقصود وإنما كان يغوت به مزية جمال فالنارية الإلمية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال
هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم الزايد والزايا في الزينة والحاجة كيف رضى بساتنهم إلى
الهلاك المؤبد بل إذا نظر الانسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا
حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يذهب بعد للموت أبدا مثلا أو لا يحترأ أصلا
فليست كراهمهم لعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يتعنى الموت نادرا ثم لا يتعمد إلا في
حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الحزن والسلامة
فسنة الله لا تجعلها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو
غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا توكل على التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن
الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وسبقها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض
المعارفين يرى آية اللدانية في البقرة من أقوى أسباب الرجاء قليل له وما فيها من الرجاء قال الدنيا
كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية
ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

الفن الثاني استقراء الآيات والأخبار : لما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى
- قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه
هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يالي إنه هو الغفور الرحيم (١) وقال
تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها
لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه فقال - لهم من فوقهم ظلمل من النار ومن تحتهم ظلمل ذلك يخوف الله به
عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
جميعا ولا يالي الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أتق
إبراهيم بن آدم قال
لأن إذا رأيت أحسنه
كلامي وأظهر قسى
بأظهار أحسن أحوالها
وفي ذلك القنة وهذا
حكلام عالم نفسه
وأخلاقها وهذا واقع
بين المصاحبين إلا من
عصمه الله تعالى . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
محمد بن عبد الباقي
إجازة قال أنا الحافظ
أبو بكر محمد بن أحمد
قال أنا أبو القاسم
احميد بن مسعدة قال
أنا أبو عمرو محمد بن
عبد الله بن أحمد قال
أنا أبو سليمان أحمد بن
محمد الخطيب قال أنا
محمد بن بكر بن
عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية - وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - ^(١) » وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أتم أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي داخل من أهل الكتاب قليل هذا فداؤك من النار ^(٢) » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيلقى فيها ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار ^(٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تخزيك فيهم ^(٥) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوئهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لثلاث تنظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع ، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض على فما رأييت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأييت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم ^(٧) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزل عليك وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والعملي في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كما سيأتي ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا يقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمى من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا يخزي الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى الحديث لم أقبله على أصل (٧) حديث حياتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجالاه رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي قد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بأسناد ضعيف.

سليمان بن الأشعث قال ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صهبة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن » قال الله تعالى إخبارا عن خليله إبراهيم - وأعزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى - استظهر بالهزلة على قومه . قيل : الهزلة نوعان فلهيضة وفضيلة فاللهيضة الهزلة عن الشروا هله

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم الغفو قال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسير يا كريم الغفو هو إن غفا عن السيئات برحمة بدلها حسنات بكرمه (١)» وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول «اللهم إني أسألك تمام النعمة قال هل تدري ما تعلم النعمة؟ قال لا، قال دخول الجنة (٢)» قال السقاء قد آمَنَ الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفي الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل ملائكته انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فعمل أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له (٣)» وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرتني ورجائي (٤)» وفي الخبر «لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة (٥)» وفي الحديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة (٦)» وفي قسط آخر «فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب المئين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات تلقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي وإن تاب عنه قال عبي عنه قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال عبي من صحيفته قال إلى متى؟ قال إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل إن الله لا يعمل من الغفرة حتى يعمل العبد من الاستغفار فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب المئين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن غفو الله عز وجل (٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم الغفو قال جبريل تدرى ما تفسير يا كريم الغفو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظيمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (٢) حديث سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى ملائكته انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فعمل أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له من حديث أبي هريرة بلفظ إن عبداً أصاب ذنباً فقال أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً فقال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لوقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقرابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشركني شيئاً لقيته بمثلها مغفرة والترمذي من حديث أنس الذي قبله يابن آدم لوقيتني الحديث (٦) حديث إن للملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب المئين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضاً أطول منه وفيه إن صاحب المئين أمير على صاحب الشمال وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة ولم أجده لذلك أصلاً (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي فإن تاب عنه قال عبي عنه قال فإن عاد الحديث وفيه إن الله لا يعمل من التوبة حتى يعمل العبد من الاستغفار

والفضيلة عزلة الفضول وأهله ويجوز أن يقال فالحلوة غير العزلة فالحلوة من الأغيار والعزلة من النفس وما تنسحب إليه وما يشمل عن الله فالحلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود. قال أبو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة إلا بالخطيئة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وما سلم إلا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصحة وواحد في العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليزِم الأصل ولا يخالط إلا بقدر الحاجة وإذا خالط لا يخالط إلا بحجة وإذا خالط يلازم

«يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزيد عليه ولا أصلي إلا الخمس لأزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذ انت قتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم مى ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من اثنتين : الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنتين : النظر إلى ما حرم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين (١) » وفي الحديث الطويل لأنس « أن الأعرابي قال يارسول الله من يلى حساب الخلق ؟ قال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم فتبسم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحكك يا أعرابي قال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال لله الأعرابي (٢) » وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما صمت قون الله عز وجل - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « للؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « وللؤمن طيب طاهر (٤) » « وللؤمن أكرم على الله تعالى من اللاتكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

الصمت فانه أصل
والكلام عارض ولا
يتكلم إلا بحجة غطر
الصحة كثير يحتاج
العبد فيه إلى مزيد
علم والأخبار والآثار
في التحذير عن
الخلطة والصحة
كثيرة والكتب بها
مشحونة . وأجمع
الأخبار في ذلك ما أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
باسناده السابق إلى
أبي سليمان قال حدثنا
أحمد بن سليمان
النجاد قال ثنا محمد
ابن يونس الكريعي
قال ثنا محمد
ابن منصور الجشمي
قال ثنا مسلم بن سالم
قال ثنا السري
ابن يحيى عن الحسن

الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يارسول الله : إني أذنبت ذنبا . قال استغفر ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث حمات أو أربعاً . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للسجور المحسور وفيه أبو بدر يسار بن الحكم المصري منكر الحديث وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يفرله ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يعمل الله حتى تملوا وليس في الحديثين قوله في آخره فإذا هم العبد بحسنة الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعلمها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو عمها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جاء رجل ، فقال يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزيد عليه ولا أصلي إلا الخمس لأزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابي يارسول الله من يلى حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا ، وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي ضمه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث المؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ . وفي الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا يتنجس (٥) حديث المؤمن أكرم على الله من اللاتكة ابن ماجه من رواية أبي الهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ المؤمن أكرم على الله من بعض اللاتكة وأبو الهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق بعباده

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم (١) « وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه (٢) « وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تغلب غضبه (٣) « وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « ومن قال لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) « . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار (٥) « . « ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار (٦) « . ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٧) « وفي خبر آخر « لو علم الكافر نعمة رحمة الله ما أيس من جنته أحد (٨) « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابث بئس النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يكون وتمطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا قال كم أنتم في الأمم أين تأويل وتاريخ ومنك وأجوج وما جوج أم لا يحضيا إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود كالرفعة في ذراع

إلى الجنة لم أجده هكذا ويخبر عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة في السلاسل (١) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم لم أقف له على أصل (٢) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب للبران ليس بواه ولا بمجهول (٣) حديث إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تغلب غضبه متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة للنسائي بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وتقدم في الأذكار (٥) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبو داود والحاكم ومصحح من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (٦) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لحاذ مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار وزاد البخاري صادقا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جله الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبدا مؤمنا إلا حجب عن النار يوم القيامة (٧) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن يساف من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان إنني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الإخلاص واسنادها صحيح ولكن هذا ونحوه شاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من اللوحين النار وإخراجهم بالشفاعات ، نعم لا ينفى في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان (٨) حديث لو علم الكافر نعمة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأحوس
عن عبد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ليأتين على الناس زمان
لا يسلم لدى دين دينه
إلا من فر بدينه من
قرية إلى قرية ومن
شاهق إلى شاهق ومن
جمر إلى جمر كالغلب
الذي يروغ قالوا ومتى
ذلك يا رسول الله قال
إذا لم تنل العيشة إلا
بمعاصي الله فإذا كان
ذلك الزمان حلت
المزوجة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وقد
أمرتنا بالزوج قال إنه
إذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على
يد أبويه فإن لم يكن له
أبوان فعلى يذوخته

الدابة (١) فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوام بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول مآرآسي الشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى للعاجة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة الطل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم (٢) » وفي لفظ آخر « لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم إنه هو الثفور الرحيم » وفي الخبر « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال الصجب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده له أرحم ببده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها (٤) » وفي الخبر « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتناول لمارجاء أن تصيبه (٥) » وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عندة تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترامح الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتضطرب البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) » وفي الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته (٧) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) » . وقال صلى الله عليه وسلم « إني اختبأت شفاعي لأهل الكبائر من أمي آرونها للمطيعين التقيين بل هي للمتوكلين المخلصين (٩) »

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فليد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق الميتة فيتكلف مالا يطيق حتى يورده . وقدر غيب الملكة . وجمع من السلف في الصبة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبدلك بنصره وبالمؤمنين وألف

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم ، وفي لفظ لذهب بكم الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البزار وابن جبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب (٤) حديث والذي نفسي بيده له أرحم ببده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٥) حديث ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله تقدم أيضا (٩) حديث إني اختبأت شفاعي لأهل الكبائر من أمي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لسكن في دعوة وإن خبات دعوتي شفاعا لأمتي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعي لأهل الكبائر من أمي ، وابن ماجه من حديث أبي موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعا وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فأحررت الشفاعا لأنها أهم وأكفى آرونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم .

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالحنيفية السمحة السهلة»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة»^(٢) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم - ولا تحمل علينا إصرا - وقال تعالى - ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله تعالى - فاصفع الصفع الجليل - قال يا جبريل وما الصفع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عمن ظلمك فلاتتابه فقال يا جبريل فافقه تعالى أكرم من أن يأتب من عفا عنه فبكي جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعت الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال إن ربكما يقركما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي^(٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فافقه تعالى أنه أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فافقه تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : للؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول : يارب حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حق متى تعجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب قلمت : يارب اعصمني حتى لأعصيك أبدا فتهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي للمؤمنين يطلبون مني ذلك فاذا عصمتهم فعل من أفضّل ولمن أغفر ، وكان الحسن يقول : لو لم يذنب للؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب . وقال الجليلي رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت للشيخين بالهسين . ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له إلى كم تحدث الناس بالرخى قال بأبأ يحيي إلى لأرجو أن ترى من عفا الله يوم القيامة ما تحرق له كساءك هذا من الفرح . وفي حديث ربهى بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أخى سجي بثوبه ألقيناه على نمشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا ، وقال : إني لقيت ربي عز وجل خياني بريح وريحان وربّي غير غضبان وإنّي رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلاتفتروا وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصة وقعت في طشت فحملناه وذفناه . وفي الحديث

بين قلوبهم لو أنشفت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقد اختار الصحبة والأخوة في الله تعالى سعيد ابن السيب وعبد الله ابن المبارك وغيرهما . وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم . آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطروق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالإيمان وينفع بطريق

(١) حديث بشت بالحنيفية السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله والطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن اسحق رواه بالضعفة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصفع الصفع الجليل - قال يا جبريل وما الصفع الجليل قال إذا عفوت عمن ظلمك فلاتتابه الحديث ابن مردويه في تفسيره موقوفا على علي مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناده نظر .

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يعظه وزجره فكان يقول دعني وربّي أبشّث على رقبيا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فضنب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيسطيع أخذان يحظر رحمي على عبادي اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلك دنياه وآخرته ^(١)» وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الخواريين فقال اللص في نفسه هذا نبى الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً قال قتل فجعل يريد أن يذنب من الحوارى ويردري نفسه تعظيماً للحوارى ويقول في نفسه مثل لا يمشى إلى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا يمشى إلى جانبي فضم نفسه وشمى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فشمى بجنبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستأنا العمل فقد أحبطت ما حلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لجنبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدري على نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه . وروى عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجدا فوطئ عتقه بعض العصاة حتى أترقى الحصى بمحبته قال فرجع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا فقال اذهب قلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تأنى على عبادى إني قد غفرت له . ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على الشركين ويلصقهم في صلاته قزل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام ^(٢)» وروى في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فإذا أدخلنا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعتنى على في عليين فيقول الله سبحانه إنه كان يسأنى في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسأنى النجاة من النار فأعطيت كل عبد مؤله وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لمقابولين من يخدم ارتجاء لانعاموا كرامه ولقد لك أمر الله تعالى بحسن الظن ولقد قال ﷺ «سلوا الله الدرجات العلى فإيماننا لنون كريما ^(٣)» وقال «إذا سألت الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يتعاطم شيء ^(٤)» وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على

الصحة والأخوة
التماضد والتعاون
وتتقوى جنود القلب
وتستروح الأرواح
بالتشام وتتفق في
التوجه إلى الرفيق
الأعلى ويصير مثالها
في الشاهد كالأسوات
إذا اجتمعت خرقت
الأجرام وإذا تفردت
قصرت عن بلوغ
المرام . ورد في الخبر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم «للوّمن
كثير بأخيه» وقال
الله تعالى عبداً عن
لاصديق له - قالنا من
شافعين ولاصديق
حميم والحميم في الأصل
الحميم إلا أنه أبدلت
الماء بالحاء لقرب
مخرجهما إذ هما من

(١) حديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بأسناد جيد (٢) حديث ابن عباس يفتت على للشركين ويلصقهم في صلاته قزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - فترك الدعاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلاناً وفلاناً بما يقول مع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد أنزل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فانهم ظالمون - ورواه الترمذى وسامحاً بأسفيان والحريث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم وقال حسن غريب وفي رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال فهداهم الله للإسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سلوا الله الدرجات العلى فإيماننا لنون كريما لم أجده بهذا اللفظ وللترمذى من حديث ابن مسعود سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألت الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاطم شيء مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فليقل اللهم

مالك بن أنس في العشي التي قبض فيها قلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغضضناه. وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يطلب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتمد في الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على غفوك وكيف لا تغفوها وأنت بالجود موصوف. وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفك للمجوس فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتفسير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك للمجوس يسعى خلف المجوس فردّه وأضافه فقال له المجوس ما السبب فيما بدالك فدكر له فقال له المجوس أمكدا ياملني ثم قال اعرض على الإسلام فأسلم. ورأى الأستاذ أبو سهل الصموكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا. ورأى بعضهم أبا سهل الصموكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذي قلت هذا فقال بحسن ظني بربي. وحكى أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه أن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبجانه يقول أين العلماء قال جاءوا ثم قال ماذا عملتم فيها علمتم أن قلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فأنس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر مادونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك ثلاث ليال. وقيل كان رجل شرب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من القواكه للمجلس فر التلام ياب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لغير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التلام إليه الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك قال لي سيد أريد أن أتخلص منه فدا منصور وقال الأخرى قال أن يغلف الله على دراهمي فدعا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله لي وليسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع التلام فقال له سيده لم أبطأت قمص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت نفسي المتق قال له اذهب فأنت حر قال وأبش الثاني قال أن يغلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم وأبش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال وأبش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك وللقوم قال هذا الواحد ليس إلى فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك أقربى أتى لأفضل ما إلى قد غفرت لك وللقوم وللمصورين عمار وللقوم الحاضرين أجمعين. وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال وأمرأة يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وصلينا عليها ودفنا لبيت فقلت للمرأة من كان هذا لبيت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت وأبش كان هذا قالت عمتنا قال فرحمها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرني فقلت من أنت فقال الخنث الذي دفتتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي. وقال إبراهيم الأطروش كنا قعودا يشهدنا مع معروف الكرخي على دجلة إذ مر أحدنا في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا للمعروف أما تراهم يحسون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم ولیمظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاطفه شيء أعطاه والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وهبادة بن الصامت

حروف الحلق والمهم
مأخوذ من الاهتمام
أى يهتم بأمر أخيه
فالاهتمام بهم الصديق
حقيقة الصداقة. وقال
عمر إذا رأى أحدكم
ودا من أخيه
فليتمسك به قلعا
يصيب ذلك وقد قال
القائل :

وإذا صفا لك من زمانك
واحد

فهو للراد وأين ذاك
الواحد

وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام
قال يا داود مالى أراك
منتبذا وحده قال
إلهي قلت الحلق من
أجلك فأوحى الله إليه
يا داود كن يقظانا
مرتادا لنفسك أخوانا

للقوم إنما سألك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض الساف يقول في دعائه يارب أي أهل دهر لم يصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابقة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبح النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لاتغضب فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين ، فأما الحق المعرورون فلا ينبغي أن يسموا شيئا من ذلك بل يسمعون ما منورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالأسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام . وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(الشطر الثاني من الكتاب في الخوف)

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحترافه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنها زمانان ينعمان النفس عن الخروج إلى رعوناتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالخوف إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وإتماما في الشهود غاية القامات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل القامات فنقول : حال الخوف ينتظم بضامن علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاجش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوقا بمن يحته على الانتقام خاليا عمن يتشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة الخوف كالذي وقع في محال سبيع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الاقتراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للخوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الساء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم ينعمه مانع وتارة يكون بكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائاه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا أخوفكم لله »^(١) وكذلك قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كملت المعرفة

وكل خدن لا يوافق على مسرتي . فلا تصحبه فانه عدوي قسى قلبك وياعدك مني . وقد ورد في الخبر « إن أحبك إلى الله الدين يألفون ويؤلفون فالؤمن آلف مألف » وفي هذا دقمة وهي أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوفًا فإن هذه الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجلي ، وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة وقينا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس خطا

(١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث أنس والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولاشيخين

أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والصفار والبشيه والرقة والبكاء وقد تنشق به الرارة فيفضى إلى الموت أو يبعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما في الجوارح فيسكنها عن الماضي وتقيدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يكي ويمسح عينه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى التوب متى يكون العبد خائفاً قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحمى بحافة طول السقام . وأما في الصفات فإن يجمع الشهوات ويكثر اللذات فتصير للعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العمل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه مما تحترق الشهوات بالخوف وتؤادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والدلة والاستكانة ويفارقه الكبير والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطرايته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومواخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله من وقع في مغالب سبع صار لا يدرى أنه يفعل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيملك فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بحلال الله وصفاته وأفضاله وبعبوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يريه إلى ما لا يريه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أفعاله فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فاتها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جيماً ووراء اسم الصديق والتقرب وتجري الرتبة الآخرة بما قبلها مجرى الأخص من الأعم فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل كما أنك تقول الإنسان إما عربي وإما عجمي والعربي إما قرشي أو غيره والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي إما علوي أو غيره والعلوي إما حسني أو حسيني فإذا ذكرت أنه حسني مثلاً فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه بما هو أعم منه فكذا ذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للعاني فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة للوجبة له ومن جانب السفلى كالأعمال الصادرة منه كفا وإقداماً .

من حديث عائشة والله إني لأعلمهم بالله وأعدم له خشية .

من هذا الوصف
الأنبياء ثم الأولياء
وأنهم الجميع في هذا
نبينا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنبياء أنهم ألفة كان
أكثر تبعاً ونبينا
صلى الله عليه وسلم
كان أكثرهم ألفة
وأكثرهم تبعاً وقال
«تأخروا نكثروا»
فإن مكائدهم بكم الأمم
يوم القيامة» وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال - ولو كنت فظاً
غليظ القلب لانقضوا
من حولك - وإنما
طلب المزة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثراً كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى اللواظبة على الطم والعمل لئلا يواهما رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبهمة أن لا تغلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمود وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها المأمر حافلاً يسوقها إلى القصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أغني بالعلماء للترحمين برسوم العلماء والتسمين بأسمائهم أبعد الناس عن الخوف بل أغني العلماء بالله وبأيامه وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً ، وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولا لما كان الخوف كلاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأ الجهل والعجز . أما الجهل فإنه ليس يدرى عاقبة أمره ولوعرف لم يكن خائفاً لأن الخوف هو الذي يتردد فيه . وأما العجز فهو أنه متعرض للمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى نقص آدمي وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس يكال في ذاته وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض والموت فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكرس عضواً من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها يعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراد لأمر فالحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم . فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً . فاعلم أن معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تقدير بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يقتله سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتطل العمر بتطيلها فهو حيران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة

أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلو في أول أمره وكان يغار في غار حراء ويتحنن إلى نوات العبد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفاً مألوفاً وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلباً لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما سلفنا في أول الباب إن في الإنسان ميلاً إلى الجنس بالوصف

إلى أمور آخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة إلى مادونها لا بالاضافة إلى درجة للتقين والصديقين فاذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابوق إن أثره درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما يعمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مريض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين لللازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل .

(بيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ما يخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والكروه إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواكه للضرة لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يخلب على قلوبهم من المكروهات المخدورة فالدين يخلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يخلب عليهم خوف اللوت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالسواة أو خوف الليل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسنة التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والحيانة والنقص وإضمار سوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل اللوت أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند اللوت بخاتمة سوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها أعواف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى الخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان الأمر فيه محطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف السابقة لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تحلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع محتمل أن يكون فيه حز الرقة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عما إذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا النزاع إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى

الأعم قلما علم الخذاق
ذلك اللهم الله تعالى
عجة الحلوة والعزة
لتصفية النفس عن
الليل بالوصف الأعم
لترتقي الهمة العالية
عن ميل الطباع إلى
تألف الأرواح فاذا
وفوا التصفية حقها
اشترأت الأرواح إلى
جنسها بالتألف الأصلي
الأولى وأعادها الله
تعالى إلى الخلق
ومخالطتهم مصفاة
واستنارت النفوس
الطاهرة بأنوار
الأرواح وظهرت صفة
الجليلة من الألفة
للكلمة آلفة مألوفة
فصارت العزلة من
أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأصنامهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستقدم الله قبل الموت ولو بخواق باقية ويعلمن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بخواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والأعمال بالخواتيم (١) وهذا كاتسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنابته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لاعماله فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة الثرور والأمن وإن واطب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأل يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا أنه يخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسر أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توصل بها من يسهل له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا الطبع فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلالة فان من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شمري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يعجز إفشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن التسرع لم يستجريء على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يادود خفي كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا المثل يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا الجنابة سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثمة عنده على وتيرة واحدة إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته والله المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي » هؤلاء إلى النار ولا أبالي » ويكشفك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستثناء وعدم البالاة.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود يادود خفي كما تخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل المصنف قصد بإبراده أنه من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة .

يألف فيؤلف ومن أدل الدليل على أن الذي اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وذم العزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصحة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحة مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحرث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالأنيس يهشه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن يثقل في أنفسهم ماهو للسكر وه وذلك مثل سكرات الموت وشدة
أوسؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول المظلم أو هيبه الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من
كشف السر والسؤال عن النقيز والتقمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه
أو الخوف من النار وأغلاها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة ذار النعم والملك القيم
وعن قصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها
فهى لا محالة محوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها ولعلها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله
تعالى وهو خوف المارين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن
لم تكمل معرفته ولم تفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذكر له أن
المارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما
أنكر لذة النظر إلى وجهه الكريم لولامنع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان
عن ضرورة التقليد والإقباطه لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر
إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فأما لذة المارين فلا يدركها غيرهم
وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ومن كان أهلا استبصر بنفسه واستغنى عن أن
يشرحه له غيره فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فبسيهله أن
فضيلة الشيء بقدر غنائه في الاضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة
ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد
ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا يحصل
المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر
ولا تيسر الواظبة على الذكر والفكر إلا باقطاء حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك الشهوات إلا بجمع الشهوات ولا تنفع الشهوة بشيء كما تنفع بنار
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف
عن اللامى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون
الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الأعمال الفاضلة المأمودة التى
تقرب إلى الله زلفى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فهاورد في فضيلة الخوف خارج
عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى
بجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى
- إنما يخشى الله من عباده العلماء - وصفهم بالعلم خشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم
وبرضا عنه ذلك لمن خشى ربه - وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق
الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمراقبة الرفيق الأعلى وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم
رتبة مراقبة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومراقبة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

للصادقين رقا من الله
تعالى وثوابا للعبد
معجلا والأنيس قد
يكون مفيدا كالشايخ
وقد يكون مستفيدا
كالمريدين فصحيح
الخلوة والعزلة لا يترك
من غير أنيس فان
كان قاصرا يؤنس الله
بمن يتم حاله به وإن
كان غير قاصر يقضى
الله تعالى له من يؤنس
من المرادين وهذا
الأنس ليس فيه ميل
بالوصف الأعم بل هو
بالله ومن الله وفى الله.
وروى عبد الله بن
مسعود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
«التحابون في الله على
عمود من ياقوته حمراء
في رأس العمود سبعون

ألف غرفة مشرفون
على أهل الجنة يضيء
حسنهم لأهل الجنة كما
تضيء الشمس لأهل
الدنيا فيقول أهل الجنة
انطلقوا بنا ننظر إلى
التحابين في الله عز وجل
فاذا أشرقوا عليهم
أضاء حسنهم لأهل
الجنة كما تضيء الشمس
لأهل الدنيا عليهم
ثياب سندس خضر
مكتوب على جباههم
هؤلاء التحابون في الله
عز وجل » وقال
أبو إدريس الخولاني
لهذا إذني أحبك في الله
فقال له أجبرتم أجبر
فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « ينصب لطائفة
من الناس كراسي حول

لا یرجی

لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمته يوم القيامة (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء (٢) « وقال ﷺ » أتعلم عقلا أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا (٣) « وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد الله حبه وصح له به . وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدكم خوفاً اليوم . وقال سهل رحمه الله لا نجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يا أبا عبد الله كيف نصنع نجالس أقواما يخوفوننا حتى تسكد قلوبنا تطير فقال والله إنك إن تغالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارق الخوف قلبا إلا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة - هو الرجل يسرق ويرزني قال لا ، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه (٤) » والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينبغي وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف للضاد له بل تقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوبا فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لفصلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ للعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر ينتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك محمدي يرجع على الآخر بمحذور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالاضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفا وطعنا - ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى - ما لكم لا ترجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

(١) حديث لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل وقد تقدم (٣) حديث أتعلم عقلا أشدكم خوفاً الحديث لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء (٤) حديث عائشة قالت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة - هو الرجل يسرق ويرزني قال لا ، الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي جازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة
وجوهم كالعمر ليلة
البدر يفرغ الناس
ولا يفرعون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم
أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
ف قيل من هؤلاء
يا رسول الله ؟ قال
التحابون في الله عز
وجل . وروى عبادة
ابن الصامت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « يقول الله عز وجل
حقن محبتي للمتحابين
في الزواجرين في
والتبازلين في
والتصادقين في »
أخبرنا الشيخ
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي إجازة قال
أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى - فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا - وقال تعالى - يبكون ويزيدهم خشوعا - وقال عز وجل - أفمن هذا الحديث يعجبون وتضحكون ولا يتسبون وأنتم سامدون - وقال **عليه السلام** « ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حروجه إلا حرمه الله على النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحانت عنه خطايا كما يتحات من الشجرة ورقها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ^(٣) » وقال عقبة بن عامر « ما النجاة يا رسول الله قاله أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم مع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وتعالى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقني عيني هطالتين تشفيان [١] بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمرات ^(٧) » وقال **عليه السلام** « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ^(٨) » وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبأك . وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ابكوا فإن لم تبكوا فتبكوا فوالذي نفسي بيده لو لم أعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما تغرغرت عين بعائها إلا لم يرهق وجهه صاحب أقر ولا ذلة

(١) حديث مامن مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدباب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحانت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يلج النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والفاساني وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى لم أقف له على أصل (٦) حديث مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دمة من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عيني هطالتين تشفيان بذروف الدمع الحديث الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن ورواه الحسين الروزي في زيادته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلادون ذكر الله وذكر الدار قطن في الملل أن من قال فيه عن أبيه وهم إنما هو عن سالم بن عبد الله مرسلادون وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في السنن والسكني وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم فإن الراوي له عن سالم عبد الله أبو سلمة وإعنا ذكروا له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم ، نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عن سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

[١] قوله تشفيان بذروف الدمع الذي في الجامع الصغير تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك اهـ .

ابن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر ابن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحاربي قال حدثنا حماد عن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال إصلاح ذات البين وإياكم والبضعة فانها هي الخالقة » وباسناد إبراهيم الحاربي عن عبيد الله بن عمر عن أبي أمامة عن عبد الله ابن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

يوم القيامة فان سألت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها محاراً من النيران ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعه على وجنتي أحب إلى من أن أنصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموعاً من خشية الله أحب إلى من أن أنصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فذنت مني للراءة وجرى بيننا من حديث الدنيا فذبت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسى قد ناققت حيث تحولت عنى ما كنت فيه من الخوف والركة فخرجت وجعلت أنادى نافع حنظلة فاستقباني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلامى نافع حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلامى نافع حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجاءت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم : يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصالحكم اللاتكة في الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) » فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما فيترتب شك في أن الأفضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاصد يضاهاى قول القائل الخير أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخير أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتماعاً نظر إلى الأغلب فان كان الجوع أغلب فالخير أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود فضله يظهر بالاضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا آن يداوى بهما القلوب فضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد للعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقاً الخوف أفضل على التأويل الذى يقال فيه الخير أفضل من السكينيين إذ يبالغ بالخير مرض الجوع وبالسكينيين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخير أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصى والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلق الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقيم من بحر الرحمة ومستقيم الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فستنده الالتفات إلى الصفات التى تقتضى العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء . وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغى أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لالفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصى . فأما التقي الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافع حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصراً .

أبا مسلم يقول سمعت
أبا هريرة يقول الخبر
وفى الخبر تحذير عن
البغضة وهو أن يحفو
الحنظلى الناس مقتا لهم
وسوء ظن بهم وهذا
خطأ وإنما يريد أن
يخلو مقتنا لنفسه
وعلم بما فى نفسه من
الآفات وحذرا على
نفسه من نفسه وعلى
الخلق أن يعود عليهم
من شره فمن كانت
خلوته بهذا الوصف
لا يدخل تحت هذا
الوعيد والاشارة
بالخاتمة يعنى أن البغضة
خاتمة للدين لأنه نظر
إلى المؤمنين والمسلمين
يعين القم . وأخبرنا
الشيخ أبو الفتح
باسناده إلى إبراهيم

قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يابن خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بهنسات أهل الأرض لم يقبلها منك وأرج الله رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الدين أمراً وبدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره . فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوت أسبابه كما مثل بالزراع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تقيّة وواظب على تهذيبها وجاء بشرط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال للتقين . فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله وذلك وإن أوردناه مثلاً فلا يفيضه ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وثقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثل مسألنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يحدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدورة فلا يغلب رجاءه على خوفه والبذر في مسألنا هو الإيمان وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفايا خبئه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والثغرات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال السكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً إذ كان قد خصه رسول الله ﷺ بعلم المناقين (١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد تقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيه عنه وإن وثق به فمن أين يثق بيقائمه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» (٢) ، وفي رواية «لا قدر فواقي

الحرب قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن الله تعالى ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وإن من دعا له اللهم فكا ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفى النار ولا النار تذيب الثلج ألفت بين قلوب عباده الصالحين وصحيف لاتألف قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز بقاب قوسين في وقت لا يسهه فيه شيء لطف حال الصالحين وجدتم في ذلك اللقائم العزيز

(١) حديث إن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المناقين مسلم من حديث حذيفة في أصحابي اثنا عشر منافقاً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الحياض الحديث (٢) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر وفي رواية لا قدر فواقي ناقة الحديث مسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يحتم له بعمل أهل النار والبرار والطبراني في الأوسط سبعين سنة وإسناده حسن والشيخين في أثناء حديث لابن مسعود إن أحدهم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث

ناقة فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار وقد فواق الناقة لا يحتمل عملاً بالجوارح إنما هو بمقدار خاطر يخرج في القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا نأصى غايات المؤمن أن يستدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاعتزاز وقلة العرف فلو ذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى - يدعون ربهم خوفاً وطمعا - وقال عز وجل - ويدعوننا رغباً ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من الغفرة فيكون ذلك سبباً لتكامل عن العمل وداعياً إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط وليس بخوف إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعو إلى التجافي عن دار القرور فهو الخوف المأمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والخل ودون اليأس اللوجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاعتزاز ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الأذكار . وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي . ومن عبده بالهبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والهبة فهو موحد فاذا نأبى من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الاشراف على الموت أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد اقتضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطبق أسباب الخوف فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تمجيل موته وأما روح الرجاء فإنه يقوى قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا بحياة الله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب لقاء الله والرجاء تفارقه المحبة فنأرتجى كرمه فهو محبوب والتقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تشر المعرفة المحبة فإن الصبر إليه والقيد بالموت عليه ومن قدم على محبوه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوه اشتدت محبته وعذابه فهمما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والسكن والعقار والرفقاء والأصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالله الدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فهوته خروج من الجنة وجبولة بينه وبين ما يشتهي ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهي فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالله الدنيا إذن سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة السائمة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فهو متقدم على محبوه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوه بلا مناع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلاً عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلاً عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من أنكال والأسلاك والأغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا بالكسب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاء وماله ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال « اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد ^(١) » والغرض

ليس فيه تهديد زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والدعوات .

وقال السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين
فهم مجتمعون وإن
كانوا متفرقين
وصحبهم لازمة
وعزيمتهم في التواصل
في الدنيا والآخرة
جازمة . وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
لو أن رجلاً صام النهار
وقام الليل وتصدق
وجاهد ولم يحب في
الله ولم يهضم فيه
ما نفعه ذلك . أخبرنا
رضي الدين أحمد بن
إسماعيل بن يوسف
إجازة إن لم يكن معاً
قال أنا أبو المظفر عن
والده أبي القاسم
القشيري قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت عبد الله

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقبح لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال عليه السلام « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » (١) وقال تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يابني حدثني بالرخص واذكري الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن حبيبي إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكر لهم الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن النافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين بأسيان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أقلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له إنه مات البارحة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحاته في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا العرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يبيح الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمسكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الهرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودولم الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهر أو باطنا ولا مقام بعد المجاهدة من فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة ببنائه وهو التوكل فاذن فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفراد الخوف بكلام جملي فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما على من الآخر، ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو قائل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو يرتعد فرائسه ويختال في الحرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب يخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وحماها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته . وأما خوف الابن فأيمانه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى - ويحذركم الله نفسه - وقوله عز وجل - اتقوا الله حق تقاته - وأما الأول فهو خوف عبود الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونها جزاء من على الطاعة والمحبة وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان وإعماز زل الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال

ابن المسلم يقول
سمعت أبا بكر
التمساني يقول أحبوا
مع الله فإن لم تطيقوا
فأحبوا مع من يحب
مع الله لتوصلكم بركة
صحبته إلى صحبة الله.
وأخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
إجازة قال أنا عمر
ابن أحمد الصفار
النيسابوري إجازة قال
أنا أبو بكر أحمد بن
خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن السلي
قال سمعت أبا نصر
الأصفهاني يقول سمعت
أبا جعفر الحداد يقول
سمعت على بن سهل
يقول : الأنس بالله
تعالى أن تستوحش
من الخلق إلا من أهل

(١) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضاً بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان قامت المشاهدة فالسباع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأهل فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد أيضاً هي خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حق إن الصبي ربما يرى العزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويقتربه فيتجرأ على أخذها تقليداً له كما احترز من أخذها تقليداً لأبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها للؤكد لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفاً في محالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة جلب في الخوف من السبع الضاري إلا المعرفة السبع ومعرفة الوقوع في محالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواء فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالى ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سابقة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنح ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وإن خطر ببالك أنه لا يماقب إلا على مصيبة ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعد الطبع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يعد المعاصي بدواعي المصيبة حتى يصعب شاء أم أبى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعيها بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم حمله على المصيبة هل ذلك لمصيبة سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لاعة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله يده ونفخ فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وحدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قاله موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال ألقوا مني على أن عملت عملاً كتبته الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فقام من به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محالبه السبع والسبع قديف بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيقرسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمى اتفاقاً وإن أضيف إلى علم الله لم يحز أن يسمى اتفاقاً الواقع في محالبه السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقتصر وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه باللفظ آخر .

ولايه الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد به القائل نظماً على حقيقة جامعة لمعان الصحة والحلوة وفائدتهما وما يحذر فيهما بقوله : وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قوم الرء وحده
[الباب الرابع]
والحسبون في أداء حقوق الصحة والأخوة في الله تعالى
قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى - وتواصوا بالحق - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن للملك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأزل إلى ما خلق له خلق الجنة وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيب له أن يعالج نفسه بمواعظ الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين للفرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والصلحاء . وأما الآمنون فهم القرائنة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفا (٢) حتى روى أنه كان يصلى على طفل ، قضى رواية أنه سمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فضرب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع بى إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لأزكى أحدا بعد عثمان (٥) وقال محمد بن خولة الحنفية والله لأزكى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره (٦) » وفي حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا

ر-ول الله صلى الله عليه وسلم - أشد على الكفار رحما بينهم- وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصلوة فمن اختار صلوة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة في الصلوة فانه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى- الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين-وقيل

(١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبى هريرة أناسيد ولد آدم ولا خفر الحديث (٢) حديث كان أشد الناس خوفا تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا قوله والله إنى لأخشاكم لله وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأشد لهم خشية (٣) حديث إنه كان يصلى على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبى أيوب أن صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي (٤) حديث إنه سمع قائلا يقول لطفل مات هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فضرب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فضرب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة الحديث البخارى من حديث أم العلاء الأنصارية وهى القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا له عصفور من عصافير الجنة الحديث أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن أمه قالت هنيئا لك يا بنى الجنة ورواه البيهقى فى الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أنه قال إن رجلا قال له أجبر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه النافلة على الله تعالى فقال للريض هي أمي يا رسول الله فقال وما يدرك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويخجل بما لا ينبغي^(١) وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيتني هود وأخواتها^(٢) » سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال الغماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى - ألبعدا لعاد قوم هود - ألا بعدا لنمود - ألا بعدا للمدين كما بعدت نمود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة ، خاضة رافضة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا وإما رافضة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا ، وفي سورة التكاوير أحوال يوم القيامة وانكشاف الحائجة وهو قوله تعالى - وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت علت نفس ما أحضرت - وفي عم يتساءلون - يوم ينظر الرء ما قدمت يداه - الآية ، وقوله تعالى - لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى - وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النقرة على أربعة شروط يسجز العبد عن آحادها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فسي أن يكون من الفائحين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لكم آية الثقلان - وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - الآيتين وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - الآية وقوله - اعملوا ما شئتم - الآية وقوله - من كان يريد حرث الآخرة زدله في حرثه - الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآيتين وقوله تعالى - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل - الآية وكذلك قوله تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فمذه أربعة شروط للخلاص من الحشران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى - ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - حتى روى أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيا وقد أمتكما ققلا ومن يأمن مكره^(٣) وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد أمتكما ابتلاء وامتنحنا لهما ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمتا من المكرو وما وقيا بقولهما كأن إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال - وإبراهيم الذي وفى - أي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى عليه السلام حيث قال - إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أجمع وأرى - ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقبل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا له الجنة الحديث تقدم أيضا (٢) حديث شيتني هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم ومعه من حديث ابن عباس وهو في السائل من حديث أبي جحيفة وقد تقدم في كتاب السماع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليهما عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم تبكيا الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله . فإن قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع ويرفع أخوه إلى درجته وإن فتح الله تعالى عليهما بالصحة شرا فهو باب من أبواب النار . قال الله تعالى - ويوم ينزل الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلني ليتني لم آخذ فلانا خيلا - وإن صحفت الآية

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » (١) فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التى يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك - وقال - إن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم - الآية . فوض الأمر إلى الشبهة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حدود العقول والمألوقات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب فضلا عن التحقيق والاستيعان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالى بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآبائهم يخبر عنه ويقول - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول فى الأزلى ولا يطعم فى تداركه ولو كان الأمر أنما كانت الأطعمة تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستغراء خفي السابقة من جلى الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسهل له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشفاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الحيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدواء على ذلك موثوقا به ولكن خطر الحاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أشد تقلبا من القدر فى غلباتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذاب ربهم غير مأمون - فأجهل الناس من آمنوه هو ينادى بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لا حترقت قلوبهم من نار الخوف . فأسيب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأنى لأدري ما ظهر له من القلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لا اخترت الموت على الاسلام لأنى لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحاتمة عند كل خطرة وعند كل

وردت فى قصة مشهورة ولكن الله تعالى نيه بذلك عباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصلبة والأخوة اتفاقا من غير نية فى ذلك وتثبت فى أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصعبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يعذر فى أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة اللجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخارى من حديث ابن عباس باللفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة وهم الدين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - . ولما احتضر سفيان جعل يركي ويجزع قبيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفوا الله أعظم من ذنوبك ، فقال أو طي ذنوبي أبكي ؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا . وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاقصد عند رأسى ، فإن رأيتنى متاً على التوحيد فخذ جميع ما مأسكه فاشتره لوزاوسكرا واشتره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس النفات ، وإن متّ على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يفتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحبّ على بصيرة لتلا يلحقني الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والأوز وفرقه . وكان سهل يقول : للريد يخاف أن يتلى بالمعاصى ، والمعارف يخاف أن يتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكأنّ في وسطى زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرّات . وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال : يا معشر الجواريين أنتم تخافون للمعاصى ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى في أخبار الأنبياء أن نبيا شكّا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله تعالى إليه : عدى أمارضيت أن عصمت قلبك أن تكفّر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، وقال بلى قد رضيت ياربّ فاعصمني من الكفر ، فإذا كان خوف المارفين مع رسوخ أقدامهم وقوّة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يغافه الضغاء ، وسوء الخاتمة أسباب تتقدّم على اللوث مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ، ولذلك اشتدّ خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنّى برى من النفاق كان أحبّ إلى مما طلعت عليه الشمس وما عذوا به النفاق القبي هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً مناقها ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فقيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر (١) » وفي لفظ آخر « وإذا عاهد خدر » . وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صدق إذا قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس متقادة ونسي كونها منكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة ، فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً إنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرّات (٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد قدم في قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم في قواعد العقائد .

وسؤال البركة والخيرة
في ذلك وتقديم صلاة
الاستخارة . ثم إن
اختيار الصلحة
والأخوة عمل وكل
عمل يحتاج إلى النية
وإلى حسن الخاتمة
وقد قال عليه الصلاة
والسلام في الخبر
الطويل « سبعة
يظلمهم الله تعالى فمنهم
اثنان نهابا في الله
فأشأ على ذلك وماتا
عليه » إشارة إلى
أن الأخوة والصلحة
من شرطهما حسن
الخاتمة حتى يكتب
لهما ثواب للوفاة
ومنى أفسد للوفاة
بتضييع الحقوق فيها
فقد السمل من
الأول . قيل ما حصد

من الشمر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبار (١). وقال بعضهم : علامة النفاق أن تكره من الناس ماتاً مثله ، وأن تعبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إننا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . وروى أنه سمع رجلاً يذمّ الحجاج ويقع فيه ، فقال : رأيت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) . وأشد من ذلك ما روى أن نقرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه ، فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) . وهذا حذيفة كان قد خص بعلم النافقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يتلى بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مفرز إبرة ويأتي عليه ساعة يتلى بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مفرز إبرة . فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصي . ومنها النفاق ، ومتى غلب العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من آمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إني أخاف على نفسي النفاق ، قال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والحاتمة خائفاً منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد المؤمن بين محافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قديم لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٥) » ، والله المستعان .

(بيان معنى سوء الحاتمة)

فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحاتمة فما معنى سوء الحاتمة . فاعلم أن سوء الحاتمة على رتبتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسائلة : فإن يطلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تصلون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشمر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد والبرار من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص ومحمد إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث سمع ابن عمر رجلاً يذمّ الحجاج ويقع فيه فقال رأيت لو كان الحجاج حاضراً الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن نقرا قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلاً (٥) حديث العبد المؤمن بين محافتين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب التزهيد بلافا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجوه ولله في مسند الفردوس .

الشیطان متعاونین
على بر حسده
متأخین فی الله
متحابین فیہ فانه
یجهد نفسه وبعث
قیله على إفساد
ما بینہما . وكان
الفضیل یقول : إذا
وقمت الغیة ارتفعت
الأخوة ، والأخوة فی الله
تعالی مواجهة قال
الله تعالی - إخوانا
على سرر متقابلین -
ومتی أضمر أحدهما
للآخر سوءاً أؤکره
منه شیئاً ولم ینبهه
عليه حتى یزله أو
یتسبب إلى إزالته منه
فماواجه بل استدبره
قال الجنید رحمه الله
ماتواخی اثنان فی
الله واستوحش

بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد . والثانية وهى دونها أن يطلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسراً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لحي ففهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن للمرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف فى القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع فى عمل ولا مطمع فى رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكّد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت فان كان إيمانه فى القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار فى زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين . فان قلت فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقوب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة وبمهل طول هذه المدة . فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما سمعت به الأخبار وهو «أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (١)» . «وأنه قد يفتح إلى قبر المذب سبعون باباً من الجحيم (٢)» كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقى بسوء الحاتمة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكرو ونكير عند الوضع فى القبر (٣) والتعذيب بعده (٤) ثم المناقشة فى الحساب (٥) والافتضاح على ملاء من الأشهاد فى القيامة (٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقى متردداً فى جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو فى جملة الأحوال معذب إلا أن يتفمده الله برحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويدها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب وتقدم فى الأذكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر المذب سبعون باباً من الجحيم لم أجده أصلاً (٣) حديث سؤال منكرو ونكير عند الوضع فى القبر تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث المناقشة فى الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملاء الأشهاد فى القيامة أحمد والطبرانى من حديث ابن عمر باسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه فى الدنيا فضحه الله على رموس الأشهاد وفى الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر والنافق فينادى بهم على رموس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبرانى والمقبلى فى الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكرو (٧) حديث خطر الصراط تقدم فى قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبرانى من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران . قال صاحب الميزان حديث منكرو وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مضطرباً فى خزنة جهنم ما بين منكبى أحدهم كما بين الشرق والغرب .

أحدهما من صاحبه إلا
لعله فى أحدهما فالموأخاة
فى الله أصنى من الله
الزلال وما كان لله فانه
مطالب بالصفاء فيه وكل
ماضفا دام والأصل فى
دوام صفائه عدم المخالفة
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا تمار
أخاك ولا تمازحه
ولا تعدد موعدا
فتخلفه » . قال أبو سعيد
الحاراز : سمعت
الصوفية خمسين سنة
ما وقع بينى وبينهم
خلاف قليل له وكيف
ذلك ؟ قال لأنى كنت
معهم على نفسى .
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب السمروردي
إجازة قال أما عمر بن
أحمد الصفار قال أنا

فتجتمع الأجزاء للفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى الاعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والياد بالله شقية . فان قلت لما السبب الذي يفضي إلى سوء الحاتمة . فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وإن كانت أعماله سالحة ولست أعني مذهبا . فأقول إنه بدعة فان يان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيمتدح على خلاف ماهو عليه إما برأيه ومعقوله ونظيره الذي به يجادل الخصم وعليه يسول وبه ينتر وإما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور فهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رآيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لاء هم المرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - وبه قوله عز وجل - قل هل تثبكم بالآخرين أعمالا الدين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وكما أنه قد ينكشف في النوم ماسيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي السائمة للقلب من أن ينظر إلى اللسكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتكشف له الأمور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ماهو به إما تقليدا وإما نظرا بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكتفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق والبله بعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا محملا راسخا كالأغراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يعضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ولا صفوا إلى أصناف التكلمين في تقليد أقوالهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله (١) » ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جيما وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاده نفي التشبيه ومنعهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كثرة ومسالكه وعرة والمعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا ومحبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبتدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للمقائد الوروثة أو المأخوذة بحسن الظن من اللطيف في أول الأمر ثم الطباع

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله البرار من حديث أنس وقد تقدم .

أبو بكر أحمد بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال سمعت
عبد الله الداراني قال
سمعت أبا عمرو والدمشقي
الرازي يقول سمعت أبا
عبد الله بن الجلاء يقول
وقد سأله رجل على أي
شرط أصحب الخلق
فقال إن لم تبرم فلا
تؤذم . وإن لم تسرم
فلا تسؤم . وبهذا
الاسناد قال أبو عبد الله
لاضيع حق أخيك
بما بينك وبينه من
للودة والصداقة فان الله
تعالى فرض لكل
مؤمن حقوقا لم يضعها
إلا من لم يراع حقوق الله
عليه ومن حقوق
الصحة أنه إذا وقع
فرقة ومباينة لا يذكر

يحب الدنيا مشغوفة وعلينا مقبله وشهوات الدنيا بمخبتها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأى والمقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب الصغين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعزوا الماه وخارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أنه ما وقع به من حدس وتوهمين علم اليقين وعين اليقين - ولتعلن نبأه بعد حين - ويبنى أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فاعتزرت بها وعند صفو الليالي يحدث السكر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد والمهلك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تقفها من الباحثين يضاعة عقولهم إمامع الأدلة التي حرروها في تصباتهم أودون الأدلة فان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واتقاه فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود العقول إلى نور الكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو السكربت الأحمر وأنى تيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يغوصوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الحاتمة . وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبق في القلب موضع لحب الله تعالى لإمان حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في غمالة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويغمر ويسود وتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفى ما به من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعنا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استعمار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستعمار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيختشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبدا والسبب الذي يفضى إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والكون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء الضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه ولهذا قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترعتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يا أي الله بأمره - فاذن كل من فارقه روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بالله وظهور بغض فعل الله تعالى في تفرقه بينه وبين أهله وماله

أخاه إلا بخير . قيل
كان لبعضهم زوجة
وكان يعلم منها ما يكره
فكان يقال له استخبارا
عن حالها فيقول لا ينبغي
للرجل أن يقول في أهله
إلا خيرا فافرقها وطلقها
فاستخبر عن ذلك فقال
امرأة بعدت عني
ولست متي في شيء
كيف أذكرها وهذا
من التخلق بأخلاق الله
تعالى أنه سبحانه يظهر
الجميل ويستر القبيح
وإذا وجد من أحدها
ما يوجب التقاطع فهل
ينفضه أولا يختلف
القول في ذلك . كان
أبو ذر يقول إذا انقلب
عما كان عليه أنفضه
من حيث أحبته وقال
غيره لا ينفص الأخ

وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم الصديق البغض الآخر
إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يغني ما يستحقه من الحزى والنكال وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم
على الله تعالى قدوم الصديق المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا
في لقائه فلا يغني ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام
وبدائع الانعام . وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا
سببان : أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان والآخرة ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك
لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والمادة وجميع ما ألغى
الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان ميله أكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره
ذكر طاعة الله وإن كان ميله أكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله
تعالى فالذي لا يقارف الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا
فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح
منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يغني عليك أن الإنسان يرى
في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما يلائم مشاهداته في اللحظة وحتى
إن المراقب الذي يحتمل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد وقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى
عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يغني أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
وأصحابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول
الإلف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكنه ليس سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة
لحصول ذكره في القلب طول الإلف وطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا
منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الإلف سببا لأن تمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل
إليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث
يرجى له الخلاص منها وكما أن ما عظم في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك أحاد
المنامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كما أننا نعلم أن الحاطر ينتقل من شيء إلى
ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشابهة فبأن
ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا آخر وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل في شدة
التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قدر آه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان وقد
ينتقل الحاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل
أن ينتقل من شيء إلى شيء ثان ومنه إلى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة
ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لا تنتقل الحواطر في
المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا العلم عند الله من كانت الخياطة
أكثر أشغاله فأنك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ إبرته ليعيط بها ويبل أسبغته التي لها عادة
بالسكتان ويأخذ الأزار من فوقه ويقدره ويشبهه كأنه يتعاطى تفصيله ثم يمد يده إلى القراض ومن
أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في نظامه

بعد الصحبة ولكن
يفض عمله قال الله
تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم - فإن
عصوك قل إنى برئ
مما تعملون - ولم يقل
إنى برئ منكم .
وقيل . كان شاب يلازم
مجالس أبي الدرداء
وكان أبو الدرداء يعزبه
على غيره فابتلى الشاب
بكبيرة من الكبائر
وانتهى إلى أبي الدرداء
ما كان منه قليل له
لأن أبعده وهجرته
فقال سبحانه الله لا يترك
الصاحب بشئ كان
منه . قيل : الصداقة
لحمة كل لحمه النسب .
وقيل الحكيم مرة
أجما أحب إليك أخوك
أوصديقك فقال إنما

نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليّة الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت الرء على ما عاش عليه وعشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقي عند الموت كلّي الشهادة فيقول خمسة سنة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه له قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره ثلاثة ثلاثاً نوراً فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة قيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يحل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع سوء الحاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الحواطر ومقلب القلوب والله والاتفاقات للفتنة لسوء الحواطر غير داخلية تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فهذا عظم خوف العارفين من سوء الحاتمة لأنه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الحياء لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريء لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه عجالة عليه فقال حكيت لشيخ أبي القاسم الكرماني منامي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فمجرى شهر أو لم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إذ قلنا يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمع بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الحاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكائك وبناحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لئلا الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الحواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صمدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يوماً يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكي على الاسلام. وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الحواطر أعظم التطامن أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فراق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب» (١) ولا يتسع فراق الناقة لأعماله لوجب الشقاوة بل هي الحواطر التي تضرب وتخطر خطور البرق الخطف وقال سهل رأيت كأنّي أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا لو أسوء

(١) حديث إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم .

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلاف
في المفارقة ظاهراً وباطناً
وأما الملازمة باطنياً إذا
وقعت المباعدة ظاهراً
فتختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطلق
القول فيه إطلاقاً من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تغيره رجوعاً
عن الله وظهور حكم
سوء السابقة فيجب
بفضه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان تغيره غيرة
حدثت وفترة وقعت
يرجى عوده فلا ينبغي
أن يفيض ولكن
يغض عمله في الحالة
الحاضرة ويلاحظ بعين
الود منتظراً له المرح
والمود إلى أوطان

الحاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مضبوطة عليها وكان موت الفجأة مكروها ، أما الموت فجأة فلا أنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة ، وأما الشهادة فلا أنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا حب الله وطلباً لمرضاة وباعادنياء بأخرته ورأضياً بالبيع الذي يابيه الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - والبايع راضع عن البيع لا محالة ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب الموض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يظلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كادلت عليه الأخبار^(١) ، وإذ بان لك معنى سوء الحاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل الماصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة الماصي ومشاهدة أهلها جهلك فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستمد لها إذا جاءت الحاتمة فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك إذ يمكن أن تختطف فيمروحك فراقب قلبك في كل تطرئة وإياك أن تهمل لحظة فعمل تلك اللحظة خاتمتك إذ يمكن أن تختطف فيماروحك هذا مادمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يظلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد ضعفة الأثر . واعلم قطعا أنه لا يظلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم فالبا عليه وأنه لا يظلب في النوم إلا ما كان غالباً قبل النوم ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت للمرء إلا على ما عاش عليه ولا يبعث إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا وبقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك وإياك أن تنفل عن الله طرفه عين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هلكي إلا العالمون والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون والعالمون كلهم هلكي إلا المخلصون والمخلصون كلهم هلكي إلا العظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك . طعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تسكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكلاهما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك قيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء

الصلح قد ورد «أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بأخشة قال له وزجرهم بقوله ولا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك» وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وفي الخبر «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئسه» وروى أن عمر رضي الله عنه سأل عن أخ له كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخى فقال له ذاك أخو الشيطان قال له ما قال له إنه قارف

(١) حديث المقتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل للغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليري مكانه فمن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقاثل حمية ويقاثل رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك سلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكفى في اليوم واليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشوة الشهوات والذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فان الحلال يميز ولا يفي بجميع الشهوات وأمامك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق فطلبك غيره فضول منك بضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القاتم في تحصيله بالكسب حرمة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تستكف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت بمن لا يعلأ بطنه إلا التراب وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فمليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم إن تيسر لك قصصت من الخياط سوى كونه حائلا بينك وبين الأبصار ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وترزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيق منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لأخرك والامتناع لاحتجت وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أى واد أهلك فقبل هذه النصيحة بمن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فإذا دفعته يوما بيوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لاتقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الحائمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يغمى غمرا ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أهدقوة وإن من الحجارة لما يتجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

(بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)

روت عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويردد في الحجر ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله^(١)» وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصعق^(٢) وقال تعالى سوخر موسى معقا - ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق^(٣)» وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصعق المعروف بما يروى من هذه القصة أنه قرئ - عنده - لدينا أنكالا وجعيا وطما إذا غصة وعذابا ألجما - فصعق كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلًا وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع كما تقدم (٣) حديث إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعاه به فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك من رواية الحسن مرسلًا

الكبار حتى وقع في البحر فقال إذا أردت الخروج فأذني قال فكتب إليه - حم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر قتاد ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت بينا وشما لفسأله فقال يا رسول الله آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال يا عبد الله إذا آخيت أحدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو يرعد فرقا من الجبار (٢)» وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما مالكا يبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب ما نأمن منك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى . وعن محمد بن النكدر قال لما خلقت النار طارت أنثدة لللائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم طادت وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل «مالي لأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار (٣)» ويقال إن الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضي الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر وبأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت يا رسول الله لا أشتيه فقال لكني أشتيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيسر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخشون رزق ستمهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا نقا حتى نزلت سوكان من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله يأمركم بكتز المال ولا يتابع الشهوات من كنز دنائير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإنى لا أكنز دينار ولا درهما ولا أخبار رزق القعد (٤)» وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت للرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فتودى يداود أجاثع أنت فطعم أم ظلمان فسقى أم عار فكتسى فحب نجة هاج العود فأحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصار خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يسط كفه لطعام ولا شراب ولا غيره إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثائه فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يغيب القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه مارتع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض رحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي . سبحانه إلهي أتيت أطباء عبادك ليدواوا خطيئتي فكلمهم عليك يدني فؤسا لقا نطين من رحمتك . وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضع يده على

كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته » وكان يقول ابن عباس رضي الله عنهما ما اختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلت ما مكافأته في الدنيا وكان يقول سعيد بن العاص لجليسي على ثلاث إذا دنا رجبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو إحسان فإن ما كان معطولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلقه إلى علة يحكم بدوام خلقه ومن شرط الحب في الله

بلفظ فتشى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل لسمائة جناح (١) حديث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع (٢) حديث ما جاءني جبريل قط إلا هو وترعد فرائضه من الجبار لم أجده هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظيمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائضه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سمالك الحنفي يحتاج إلى معرفته (٣) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لأرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلًا وورد ذلك أيضا في حق إسماعيل بن عيسى في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (٤) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر وبأكل الحديث ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح بن مهناك ضعيف.

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداد الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق المقام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمر بملائكة غلاظ شداد لا يصون الله مأمروهم ويضلون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال إلهي مع صوتي في صفاء أصوات الصديقين ، وروى أنه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يارب أمترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كنف للماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظنى الطير على رأسي وأنست بالوحوش إلى عمراني إلهي وسيدى فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنسى الطاعة وهذه وحشة للعصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقتة يدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقارى وشكالى الوحدة فزوجه حواء أمي وأسكنته جنى عصاني فطردته عن جوارى عريانا ذليلا يا داود اجمع منى والحق أقول أعطت فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلنا . وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرج له اللبن إلى البرية فأمر سليمان أن ينادى فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت فأتى الوحوش من البراري والصوامع والبيع فينادى فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود حتى يرنى اللبن ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الشاء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتصوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي الباحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبناء قدمزقت الستمعين كل محرق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فيبناهاو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود هملت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مفشيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير خطفه عليه ثم أمر منافيا ينادى ألا من كان له مع داود حبيب أو قريب فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتلته ذكر النار يا من قتلته خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال بناجي ربه فيأتى سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه فرس من شعير فيقول يا أبناء تقو بهذا على ما تريد فيا كل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظمهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا ومارجع إلا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان أخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب فعدتا على صدره وعلى رجله مخافة أن تفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا علىهما السلام بيت القدس وهو ابن ثمان حجج فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر إلى مجتهدتهم قد خرفوا التراقي وسلخوا فيها السلاسل وهدوا أنفسهم إلى أطراف بيت القدس فهاله ذلك

إني أثار الأخ بكل ما بقدر
عليه من أمر الدين
والدنيا قال الله تعالى
- يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما
أوتوا ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة - فقوله تعالى
- لا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا - أي
لا يجدون إخوانهم
على ما لهم وهذا
الوصفان بهما يكمل
صفو المحبة أحدهما
انزعاح الحسد على شيء
من أمر الدين والدنيا .
والثاني الإيثار بالمقدور .
وفي الخبر عن سيد
البشر عليه الصلاة
والسلام «المرء على
دين خليله ولاخير

فرجع إلى أبيه فر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى
أبويه فسألهما أن يدرجاه الشرح فملا فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا ويصبح فيه ليلا
حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض وغيوان الشعب فخرج أبوابا في طلبه
فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أتقع رجله في الماء حتى كاد العطش يذمعه وهو يقول وعزتك وجلالك
لا أذوق بارد التراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يخطر على قرص كان معهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبرفردة أبواه إلى بيت المقدس فكان إذا قام
يصلى بكى حتى يسكى معه الشجر والدر ويسكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يسكى
حتى خرفت دموعه لحلم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك
شيئا توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فمهدت إلى قطمق لبود فالتصقهما على خديه فكان
إذا قام يصلى بكى فإذا استنقعت دموعه في القطمقين أتت إليه أمه فصصتهما فاذا رأى دموعه تسيل
على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا
يوما يا بني إنما سألت ربّي أن يهبك لي لتقر عيناي بك فقال يحيى يا أبت إن جبريل عليه السلام
أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فابك . وقال
المسيح عليه السلام : معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
وياعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على الزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل . وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغمى عليه ويسمع اضطراب
قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف
خليه فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلقى فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك
والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله القربين
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف)

روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا . وقال أبوذر
رضي الله عنه وددت لو أتي شجرة تعضد وكذلك قال طلحة . وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا
مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه
كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من
الأرض فقال ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أك شيئا مذكورا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليتني لم تلدني
أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خيطان أسودان من الدموع . وقال رضي الله عنه من خاف الله
لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه
- إذا الشمس كورت - وانتهى إلى قوله تعالى - وإذا الصحف نشرت - خر مغشيا عليه ومروا بما بدار إنسان
وهو يصل ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع -
نزل عن حمارة واستند إلى حائط ومكث زمانا ثم رجع إلى منزله ففرض شهر ايعوده الناس ولا يدرون ما مرضه
وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب
عمر عليه السلام فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شماصا غبرا بين أعينهم أمثال الركب للعرى قد
باتوا لله سجدا وقياماتلون كتاب الله يراو حون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا ذكروا الله فادوا
كل عبيد الشجر في يوم الريح ومهلت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأن بالقوم باتوا غافلين

لك في صحبة من
لا يرى لك مثل
ما يرى لنفسه وكان
يقول أبو معاوية
الأسود إخواني كلهم
خير مني قبل وكيف
ذاك ؟ قال كلهم يرى
لي الفضل عليه ومن
فضلني على نفسه فهو خير
منى وبعضهم نظما :
تذلك لمن إن تذلل له
يرى ذاك للفضل
لا لاله

وجانب صداقة من
من لم يزل
على الأصدقاء يرى
الفضل له .

[الباب الخامس
والخمسون في آداب
الصحة والأخوة]
سئل أبو حفص عن
أدب الفقراء في الصحة

ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضرب به ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى ، وكان طي بن الحسين رضي الله عنه إذا توسأ اضمر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتأكد عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم . وقال موسى بن مسمود كنا إذا جلسنا إلى التوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القاري يوما - هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق - الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك جهدي أبدا فأعنى بتوفيقك طي طاعتك ، وكان المسور ابن مخزومة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة لما يعقل أياما حتى أتى عليه رجل من ختم ققرأ عليه - يوم نحشر التقيين إلى الرحمن وفدا ونسوق الجرمين إلى جهنم وردا - فقال أنا من الجرمين ولست من التقيين أعدى القول أيها القاري فأعادها عليه فشبه شقة فلحق بالآخرة ، وقرئ عند يحيى البكاء - ولو ترى إذ وقفوا على ربهم - فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يناد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجورية متعبدة متملقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شهوة ذهبت لذلها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وبكى لما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول شككت مالكاً أمه ، وروى أن الفضيل روى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكوى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسوأنا منك وإن غفرت ثم انقلب مع الناس ، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف فرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نخرج والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدا على جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا وموقفنا . وروى الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فقي هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري إلى الجنة نصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فمارى ذلك الفتي بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبيد ربه إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطعنا ننت فيقول تلك جلسة الأمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الباقي إلى سيده ، وقال حاتم الأصم لا تفترب بموضع صالح فلا مكان أصلمح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مالتى ولا تفترب بكثرة العبادة فان إبليس بعد طول تبعده لقي مالتى ولا تفترب بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي ولا تفترب برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقاءه أقاربه وأعداؤه . وقال السري : إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهي ، وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلى نظري السخط وأعمالى تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجتربت البارحة على الله أسأله الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها يابى إني أعرفك صغيرا طيبا وكبيراً طيباً وأؤكد أنك أحدثت حدثاً موبقاً لما أراك تصنع في ليلتك ونهارك فقال يا أمه ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي وجلالي لا غفرت لك ، وقال الفضيل إني لا أغبط نبيا مرسل ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة إنما أغبط من لم يخاف . وروى «أن في من الأنصار

قال حفظ حرمت
الشايح وحسن
العشرة مع الاخوان
والنصيحة للأصغر
وترك صحبة من ليس
في طبقتهم وملازمة
الإيثار ومحاجة الادخار
والمعاونة في أمر الدين
والدنيا فمن أدبهم
التغافل عن زلل
الاخوان والنصح فيما
يجب فيه النصيحة
وكنتم عيب صاحبه
واطلاعه على عيب
يعلم منه . قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
رحم الله امرأ أهدي
إلى عيوني وهذا فيه
مصلحة كلية تكون
للشخص ممن ينهيه
على عيوبه قال جعفر
ابن برقان قال لي

دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غفر ميتا فقال ﷺ جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده (١) وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول يا ليت أمتي لم تلدني فقالت له أمه يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هداك إلى الاسلام قال أجل ولكن الله قديين لنا أنا ولردو النار ولم يمين لنا أنا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والسوح فذا كرن ثواب الله وعقابه فمئن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الحائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا إنما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة وأنه رفع رأسه يوما فززع فسقط فافتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليلة عفاة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طامع قال هذا من أجل يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور المشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم فتور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فبينما هم يمشون إذ مر أحدهم بمكان غمر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله ليكون في يوم شديد البرد وجبينه برشح عرقا فجاءوا بعماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح المري قرأت على رجل من الصديين - يوم قلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول - فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد غما قرأت - كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها وأقيها - فغرميتا ، وروى أن زرار بن أبي أوفى صلى بالناس النداء فلما قرأ - فاذا قرأ في الناقور - خر مغشيا عليه فحمل ميتا. ودخل زيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عطش يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكي ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكي ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غمر مغشيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لم وعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يتقدرون عليه (٢) ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا بناء ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرضه سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال ما علمت أن في الله الحنيفة مثله وقال أحمد بن حنبل رحمه الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح نفث على عقلي فقات يارب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فان لم تبكوا فنيا كوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » (٣) وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته

ميمون بن مهران قل لي في وجهي مأكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما بكرهه فان الصادق يجب من صدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين - والنصيحة ما كانت في السر - ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفاء والمروة فقال له العباس قلعت ما كان

(١) حديث إن فني من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفه في البيت الحديث ابن أبي الدنيا في الحائفين من حديث حذيفة واليهيقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر .
(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لم وعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي لم أنف له على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فواعد المعاهد

ترجع فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الفريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروى الفضيل يوما وهو يمشي قليل له إلى أين؟ قال لا أدري وكان يمشي والمها من الخوف . وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بال التكلمين يتكلمون فلا يكي أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائمة الشكلي كالنائمة السناجرة وحكي أن قوما وقفوا بباب وهو يكي فقالوا ما الذي يكيك يرحمك الله ؟ قال قرعة يجدها الخائفون في نلهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضفت جسمي عن خدمتك فأعتني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن الهك مرة فقال أرني شيئا من بعض عجائب عبادكم فنهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه - إذا الأغلال في أعناقهم والاسلال يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون - فسبق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فسبق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا إن لم تشعرونا عن ربنا فقرأت - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد - فسبق شهقة فبدا الدم من منخرجه وجعل يتشبط في دمه حتى يمس فتركناه على حاله وخرجنا فأدركته على ستة أنفس كل نخرج من عنده وتركه مغشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فاذا امرأة من داخل الحصى تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في معلاة فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال إلا إن لمخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فأخافاه شاخصا بصره يصيح بصوته ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفمون به الساعة فلما كان بعد ذلك مالت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا الله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدى قرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل منا أبدا لما روى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل منا حتى مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجههم قد سمعت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بهير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالى ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة على أخت حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم . ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتبهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال وما ذلك ؟ قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جىء بالصراط فوضع على منها فقال هيه قالت جئى بعد لللك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه إلاسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلاسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جىء بسلیمان بن عبد الملك فامضى عليه إلاسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خرم مغشيا عليه فقامت إليه فجعلت تنادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادى وهو يصيح ويفحص برجليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده فقال إذن لا يردى إلى مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فأقامه على عاتقه وورده إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون أنفسهم ملكا يختصمون به قال ابراهيم بن شيان كنا لاصحاب من يقول نلى . أخبرنا بذلك رضى الدين عن أبي الظفر عن والده أبي القاسم القشيري قال سمعت أبا حاتم الصوفى قال سمعت أبا نصر السراج يقول ذلك وقال أحمد بن القلانى دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرموني

وبعني أن أويس القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيسبي من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طائوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلب كما تتقلب الحبة في القلي ثم ينب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين . وقال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام باليتني كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفاً من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه ماضحك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يماين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فإذا سكنت كان النار تسر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في طي بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فأننا أعمل في غير معتمل . وعن ابن الهك : قال وعظت يوما في مجلس قيام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال ذلك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أوفى النار ثم غاب عني فقعدته في المجلس الآخر فلم أرفألت عنه فأخبرت أنه مريض يما فأتيته أعوده فقلت يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة قلت بماذا ؟ قال بالكلمة فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والمعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لسكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال المعرفة والإفليس أمنا لقة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلاقرب الرجل ينهبنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزجنا فسأل الله تعالى أن يتدارك بفضل وجوده أحوالنا فيصالحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا . ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعتنا وغرسنا وأنجرتنا وركبنا البحار والبراري وخطرتنا وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقها وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجهد في طلب أرزاقنا ولا شق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قلنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا يتنادينا ويقول - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . ولا يفرنسكم بالله الفرور . يا أيها الإنسان ما تفكر بربك الكريم - ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا عنة هائلة إن لم يفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخلاص أعظم من هذا فسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشيدته وفضله ولتقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا ينفع . ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الحولاني وكان من خيار العباد أنه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المهزوز من شدة الوله ما يكاد يبرق أمامه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته هالتي منظره قلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والموام فهو خائف حذر

ويعلمون قلت يوما لبعضهم أين إزارى فذهبت من أعينهم . وكان إبراهيم بن آدم إذا سمع إنسانا شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدته فقال رجل من أصحابه أنا لأقدر على هذا فقال أعجبني صدقك . وكان إبراهيم ابن آدم ينظر البسائين ويحمل في الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله

يخاف أن ينفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنتشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في الخافة ليله وإن أمن القفرون وفي الحزن نهاده وإن فرح البطالون ثم ولي وتركني ققلت لو زدني شيئا عسى ينفعني فقال الظلمان يحزبه من الماء أيسره وقد صدق فإن القلب الصافي يهركه أدنى عناية والقلب الجامد تنبو عنه كل الواعظ وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء، ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها المواقفة لما نيتها قري بعينك العقارب والحيات وقد أحدثت بك في قبرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتقرها وأنت قادر عليها قبل اللوت فافعل وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتذكرك من هيئته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالعدو والآصال ، ثم كحل بصيرة الخالص في خدمته بنور المبرة حتى لاحظ بضائته حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استقبح دون مبادئ إشراقه كل حسن وجمال ، واستنقل كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستنقال ، وعمل له ظاهر الدنيا في سورة امرأة جميلة تيس وتختال ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوها عجنبت من طينة الحزى وضربت في قالب النكال ، وهي متلفعة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حبالها في مدارج الرجال ، فهي تقتصم بضروب السكر والإغتيال ، ثم لا تجترى معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف لعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال ، زهدوا فيها زهد البنض لها فتركوها وتركوا التناخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتقين منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدته أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال ، والصلاة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل بفرورها من صل وعبرها من زل فخرها من زل فخرها رأس الخطايا والسيئات ، وبغضها أم الطاعات وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها ودم الحب لها في كتاب فم الدنيا من ربيع الهللكات ، ونحن الآن نذكر فضل البنض لها والزهد فيها فانه رأس النجيات ، فلا مطعم في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزواهم عن العبد ويسمى ذلك فقرا وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا أو اسكل واحدا منهما بدرجتي نيل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودور جاتها وأقسامها وشروطها وأحكامها ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فتقول :

[الشطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان

(حكاية الفقر والزهد)

تعالى - وأمرهم شورى بينهم - أي مشاعهم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استملوا صاحباً يتهمون أنفسهم ويتسبون في إزالة ذلك من بواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصعبة . قال أبو بكر الصكافي صحبني رجل وكان على قلبي ثقباً فوهبت له شيئاً فبدا أن يزول فقلته من قلبي فلم يزل فخلوت به يوماً وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لا بد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده في باطني قال الرقي قصدت من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغنى وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه .

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ)

اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد منه من غير فهو الغنى المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون إليه ليجدوا وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى - والله الغنى وأتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقا ولكل السانقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والإفقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر لأن حاجاته لا تحصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي يريد الآن بيانه فقط فقول: كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك الفقد محتاجا إليه في حقته يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونعني نعيمها ونخص كل حال باسم لتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهده فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا . الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه صفوا أعفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يستغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قائما إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب لهجزء وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه وأهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص . الخامسة أن يكون ما يقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقدا تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عند وجود المال وقده فان وجد لم يفرح به ولم يتأذى وإن فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاه مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادماتها ما استطعت فيها فرقت اليوم أن تشتري لنا بذر من الحنظل فقلت لو ذكرتني لقلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بخذا في يده وخزائنه لم تضره إذ هو يرى الأموال في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وينبغي أن يصمى صاحب هذه الحالة للستغنى لأنه غنى عن قد المال ووجوده حيا وليفهم من هذا الاسم معنى يشارك اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإنما هو غنى عن دخول المال في يده لاعتقائه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليجتاح إلى إخراجه وليس يفرح به ليجتاح إلى بقاءه وليس فاقدا له

حتى سألت الكنان عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والابتار بالوضع . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدرين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا فكانهم فاشتر ذلك عليهم فأمر الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا - الآية وحكي أن علي بن بشار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائرا فهاشيا فقال له

ليحتاج إلى الدخول في يده فناء إلى العموم أميل فهو إلى الفنى الذى هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكننا لانسمى صاحب هذه الحالة غيايبل مستغنيا ليقى الفنى اصلا لمن له الفنى المطلق عن كل شئ' وأما هذا البعد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخرى سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذى زين الله به قلبه فان القلب للقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذى أعنته من هذا الرقى فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرقى والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الفنى مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا مجازا. واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه تفضيلا إذ حسنت الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكثرة للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا يبعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فإنه أقرب إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهووات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول بنفسه نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمشتوق فان التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى نفسه واستغفله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه بنفسه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لفعل عن غير المشتوق ولم يلبثت إليه فكما أن النظر إلى غير المشتوق لحبه عند حضور المشتوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن لا يلبثت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كما المشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلة سالك في طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهى حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتبدل بالشهود فالكمال له مرتبة لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالهلب والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلقها ونسيورها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبرها فهما سيان بالاضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالاضافة إلى المتكف في الكعبة اللازمة لها الذى لا يخرج منها حتى ينتقل إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا حائق عن الله تعالى ولا وصول إليه إلا بدفع الحائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فيبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغرم الحائق عن الحج، فاذن قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة إلى درجة الراضى والقانع والحريص وتقصان بالاضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا يفيض الماء الكثير بل تقول أشرب

أبو عبد الله تقدم فقال
بأى عذر فقال بأنك
لقيت الجنيد ومالقيته
ومن أدبهم ترك محبة
من هم شئ من
فضول الدنيا قال الله
تعالى - فأعرض عن
تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا -
ومن أدبهم بذل
الانصاف للاخوان
وترك مطالبة الانصاف
قال أبو عثمان الجيرى
حق الصعبة أن توسع
على أخيك من مالك
ولا تطمع في ماله وتصفه
من نفسك ولا تطلب
منه الانصاف وتكون
تبعاله ولا تطمع أن
يكون تبعالك وتستكثر
ما يصل اليك منه
وتستقل ما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا يغفل به على أحد فمكذبا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كأيأتيك قدر حاجتك من الماء على ماسيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة أذهب إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها لي فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زاده في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف والقصان . فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار . فأقول: كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم قفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايات يدير ونمع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري المحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حدثت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عن عمر خاف أن لو أخذه أن يخذله المال ويقيده قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البعض المال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال واسكن أظهر الفرائز والنفار نزول إلى درجة الضعفاء ليقصدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لما سلكوا كما يفر للرجل العزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعله أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رآها فهل يكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء فقد عرفت إذن أن الراتب ست وأغلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص ، وأما المظطر فيتصور في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة أما تسمية المستغنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا في معنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فإنه أحق باسم العبد من العاقلين وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر» (٢)

منك . ومن أدبهم في الصعبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوقك قعة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز . ومن أدبهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا ولت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه الإمديرات عليه اعتراضا . ومن أدبهم في الصعبة حذر المفارقة والحرص على المألزمة . قيل مصعب رجل رجلا ثم أراد المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصعب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان

(١) حديث إن خزائن الأرض سمحت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة من عند البخاري تعليقا مجزوما به من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث من البحرين وكان أكثر مال أنس به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فلما كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بن مال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمونه الحديث ولما من حديث جابر لوجاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أودين فلما أتت قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني ثلاثا (٢) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم في الأذكار والدعوات .

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا »^(١) لا يناقض قوله « أحيى مسكينا وميتى مسكينا »^(٢) إذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذى سأل في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء .

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقر المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقال تعالى - للفقر الذين أُحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - ساقى السلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر . وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أى الناس خير فقالوا موسى من المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسل الله قال فقير يعطى جهده »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا »^(٤) وقال عليه السلام « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال »^(٥) وفي الخبر المشهور « يدخل فقراء أمى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام »^(٦) وفي حديث آخر « بأربعين خريفا »^(٧) أى أربعين سنة فيكون للراد به تقدير تقدم الفقير الحرص على النفى الحرص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على النفى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتنا بين الفقراء في درجاتهم وكأن الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا تنظف أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهذا كتوبه صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »^(٨) فإنه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين فأما بالتحقيق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته واللائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحيى مسكينا وميتى مسكينا الترمذى من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أى الناس خير فقالوا موسى من المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى جهده أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصر على الرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا والحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبرانى من حديث أبى سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل فقراء أمى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال فقراء المهاجرين والترمذى من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخارى من حديث أبى سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبى هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصعبه
لأنك صحبتنا أولا فقال
الرجل زال عن قلبي
نية المفارقة . ومن
أدبهم التمتع على
الأصغر . قيل :
كان إبراهيم بن
أدم يعمل في الحصاد
ويطعم الأصحاب وكانوا
يجمعون بالليل وهم
صيام وربما كان يتأخر
في بعض الأيام في العمل
فقالوا ليله تعالوا نأكل
فطورنا دونه حتى يعود
بعد هذا يسرع
فأفطروا وناموا فرجع
إبراهيم فوجدهم نياما
فقال مساكين لعلمهم
لم يكن لهم طعام فعمد
إلى شيء من الدقيق
فعبثته فانتبهوا وهو
ينفع في النار واضعا

بل مخالفًا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها
تم له الأفعال الخارقة للمعادات كما أن لنا صفة بهاتم الحركات القرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة
وإن كانت القدرة وللقدر جميعا من فعل الله تعالى. والثالث أن له صفة بهايصر للالتصكة ويشاهد كإن
للبصير صفة بها يغارق الأعمى حتى يدرك بها البصيرات. والرابع أن له صفة بهايذكر ما سيكون في الغيب
إما في البقطة أو في المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم
ثبوتها للأنبياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى
خمسين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن تكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة
جزءا واحدا من حملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن
وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما المعلوم مجامع الصفات
التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لإبرشدها إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء
لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس
في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والنرض التنبيه على
منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضيف الايمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله
صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك . ولترجع إلى نقل الأخبار فقد
قال صلى الله عليه وسلم أيضا « خير هذه الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها » (١) وقال
صلى الله عليه وسلم « إن لي حرقين اثنتين فمن أحبهما قد أحبنى ومن أبضهما قد أبضنى الفقير
والجهاد » (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا (٣) « وتكون مكنأينا كنت فأشرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال له ولا مال له ولها جميع من
لا عدل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت . وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مرقى
سياحته رجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني ؟ إني
قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي وموسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب
وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متر بعباءة فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع
فأدحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت آتى إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا
كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه
فأرسلني إلى رجل من يهودى خير وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بنى دقيقا إلى حلال رجب
قال فأنتيه فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله
إني لأؤمن في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأدبت إليه اذهب بدمعي

عاشته على التراب فقالوا
له في ذلك قال قالت
لعلكم لم تعبدوا فطورا
فتمنم فقالوا انظروا
بأى شيء عاملناه
وبأى شيء ياملنا .
ومن أدبهم أن لا يقولوا
عند الدعاء إلى أين ولم
وبأى سبب قال بعض
العلماء إذا قال الرجل
لصاحب قم بنا فقال
إلى أين فلا تصعبه .
وقال آخر من قال
لأخيه أعطني من
مالك فقال كم تريد
ما قام بحق الإخاء وقد
قال الشاعر :
لا يسألون أخام حين
يندبهم
لنائبات على ما قال برهانا
ومن أدبهم أن
لا يتكلفوا للاخوان

(١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها لم أجده له أصلا (٢) حديث
إن لي حرقين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده له أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل فقال
إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار
من لا دار له الحديث هذا ملفق من حديثين فروى الترمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي
ليجلى لي بطعام مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن
ولأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا .

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينيك إلى مامتنعا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تهزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس (٢)» وقال عليه السلام «من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كعب الأحمار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين». وقال عطاء الخراساني مرئي من الأنبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للدلائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من السكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي لفظ آخر «قللت أين الأغنياء قليل حبيهم الجدة» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قللت ما شأنهن قليل شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت الفنى مقبلا فقل ذنب عجبت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبه لأجلك فقال: كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديدا الضر وقال المسيح صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى مامتنعا به أزواجا منهم- الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس الطبراني من حديث عداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافى في جسده الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب النكاح مع الزبابة التي في آخره (٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت بني عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت الفنى مقبلا فقل ذنب عجبت عقوبته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى فذكره بزيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب

قيل لما ورد أبو حنيفة
العسراق تكلف له
الجنيب أنوعا من
الأطعمة فأنكر ذلك
أبو حنيفة وقال صير
أصحابي مثل الخائفين
يقدم لهم الألوان
والفتوة عندنا ترك
التكلف وإحضار
ما حضر فإن بالتكلف
ربما يؤثر مفارقة
الضيف ويترك
التكلف يستوى
مقامه وذهابه ومن
أدبهم في الصحة
المدارة وترك المداهنة
وتشبه المدارة
بالمداهنة والفرق بينهما
أن المدارة ما أردت
به صلاح أخيك
فدأرت لرجاء صلاحه
واحتملت منه ما تكره

عليه وسلامه إني لأحب السكينة وأبغض النعماء وكان أحب الأسماء إليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجيء ونجيء إليك ولا يجيئون ينعون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برأعهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس النخعي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فترك عليه قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريد زينة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربكم لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعند رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى - عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنته الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت له تصدى (٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي ﷺ أنه قال « يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة (٣) » وقال عليه السلام « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندكم الأيادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة (٤) »

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات البرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما الحديث في نزول قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم - الآية تقدم من حديث خباب وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف ويفوح ريحهم إذا عرقوا وهذه الزيادة من حديث سلمان (٢) حديث استئذان ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعند رجل من أشرف قريش ونزول - قوله تعالى - عبس وتولى - الترمذي من حديث عائشة وقال غريب قلت ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليّ الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أذنوا من أحبائي فتقول الملائكة ومن أحبائك فيقول فقراء المسلمين فيدونون منه فيقول أما إني لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم عليّ ولكن أردت بذلك أن أضف لكم كرامتي اليوم فتمنوا على ما شتم اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسأيت في الحديث الذي بعده (٤) حديث أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندكم الأيادي فان لهم دولة الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة نادى مناد سيروا إلى الفقراء فيعتلروا إليهم كما يعتلر أحدكم إلى

والدهانة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاء . ومن أدبهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط ، قل عن الشافعي رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكان بين المنقبض والمنبسط . ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم ناعما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونعطيه فقال بل تكشفون عورته

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل قلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فأضرتهن الأحرار الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي قلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت للشياطين وظننت أنني لأراك ، قلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالي (١) فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة (٢) وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا (٣)» ومع هذا فقد استضرته بالنفى إلى هذا الحد «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقبر فلم ير له شيئا فقال : لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «الأنبياء هم خيركم عباد الله» وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بما نزل به من الله لآبره (٥)» وقال عمران قال كل ضئيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أنتم على الله لأبره (٥)» وقال عمران ابن حصين «كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بشك بالحق نبياً ما لى إلا عبادة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد وارىته فكيف برأسى قالتى إليها ملاء كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أضربنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابتناء فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولوسألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنك لى فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقمى بآبى عمك

إلى أخيه فى الدنيا [١] (١) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم الحديث الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال فى الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث إلا من قال بالمال هكذا وهكذا متفق عليه من حديث أبى ذر فى أثناء حديث تقدم . (٤) حديث دخل على رجل فقبر ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم لم أجده (٥) حديث ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً ولم يقولوا ملوك وقد تقدم ولا بى ما جبه بسند جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أبى العباس بخط بعض الفضلاء حديث اتخذوا مع الفقراء أيادى وكذا حديث الفقر فخرى قال كلاهما كذب انتهى وكذا رأيت فى كلام له آخر .

قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحكم يسمع فى أخيه بالسكينة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر النيب والاهتمام لهم مع الله تعالى فى دفع الكاره عنهم . حكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إنى ابتليت بهوى فان شئت أن لاتعقد على محبته فافعل فقال ما كنت لأحل عقد إياك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يمافيه الله تعالى من هواه وطوى أربعين يوماً كلاً يسأله

فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على نعيم الدرهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولادة الأحكام والشوكة من الأعداء (٢)». وأما الآثار فقد قال أبو العرداء رضى الله عنه: ذو الدرهمين أشد حسبا أو قال أشد حسبا من ذي الدرهم، وأرسل عمر رضى الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى درعك الخلق فشقه وجهه صريرا وفرقه ثم قام يصلى ويسكى إلى الصلاة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بمسائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يؤذون أنهم فقراء لكثرة تفرقه لافقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء: سكن ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسمعت الدارين جميعا وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالثنى وأهان بالفقر. وقال أتمان عليه السلام لابنه: لا تحقرن أحدا لخلقنا ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق الرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين، وفي الخبر عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمثلك فتسقط من عينى فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا فطريرين عليه وكانت صائفة فقالت لو ذكرتني لفعلت، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت اللحق بى فليكن بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعه (٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بشرة آلاف درهم؟ لأفضل ذلك أبدا رضى الله عنه.

عن هواه يقول مازال
فبعد الأربعين أخبره
أن الهوى قد زال
فأكل وشرب. ومن
أدبهم أن لا يحوجوا
صاحبهم إلى الداراة
ولا يلجئوه إلى الاعتذار
ولا يتكلموا للصاحب
ما يشق عليه بل
يكونوا للصاحب من
حيث هو مؤثرين مراد
الصاحب على مراد
أنفسهم قال علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه
شر الأصدقاء من
حوجك إلى مداراة
أو الجأك إلى اعتذار
وتكلفت له. وقال
جعفر الصادق أنقل
إخواني على من
يتكلف لي وأنحفظ
منه وأخفهم على قلبي

(١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في قيادة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جملة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمسائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء حزينا وفرقا، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بمسائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورتين.
(٤) حديث قال لمائشة إن أردت اللحق بى فليكن بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء الحديث الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم.

بيان فضيلة خوص الفقراء من الراضين والقانين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به (١) »
وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بنواب فقركم وإلا فلا (٢) »
فالأول القانع وهذا الراضى وبكاد يشعر هذا بمفهومة أن الحريص لأثواب له على فقره ولكن العمومات
الورادة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل للراى بدم الرضا والكرهات لعل
الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في ضله
تلك الكراهة هي التي تعبط ثواب الفقر ، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم على جلاء
الله تعالى يوم القيامة (٣) » وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد
كفافا (٥) » وقال « ما من أحد غنى ولا فقير إلا ودَّ يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا (٦) » وأوحى الله
تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال
صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا (٧) » وقال ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة
أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعماني الراضون
بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون (٨) » فهذا في
القانع والراضى . وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الآثار
في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه إن
الطمع قهر والياس غنى وإنه من يشى عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم . وقال أبو مسعود رضى الله
تعالى عنه ما من يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
أبو البرداء رضى الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا
مسرورا والليل والتهاور بالان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويع ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل
لبعض الحكماء ما انتهى قال قللة تميك ورضاك بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم غراسان
فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل
نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فخطي به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع

(١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث
يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
أبي هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصري متهم بالكذب ووضع الحديث
(٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الدار قطنى في غرائب مالک
وأبو بكر بن لال في مقام الأخلاق وابن عدى في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر .
(٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى من الله لم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند
ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير المتعفف (٥) حديث اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا مسلم من
حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث ما من أحد غنى ولا فقير إلا ودَّ
يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل
من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفوتي من خلقي ؟
فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

من أكون معه كما
أكون وحدي فأدب
الصحة وحقوق
الأخوة كثيرة
والحكايات في ذلك
يطول نقلها وقد رأيت
في كتاب الشيخ أبي
طالب المكي رحمه الله
من الحكايات في هذا
المنى شيئا كثيرا قد
أودع كتابه كل شئ
حسن من ذلك وحاصل
الجميع أن العبد ينبغي له
أن يكون لمولاه وريد
كل ما يريد لمولاه
لأنفسه وإذا صاحب
شخصا تكون محبته
إياه لله تعالى وإذا صحبه
الله تعالى يجتهد في كل
شئ يزيد عند الله
زلفى وكل من قام
بحقوق الله تعالى برزقه

قال نعم قال فثبت قال نعم قال ثم ثبت طيبا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدين والنفس تنفع بهذا القدر ومرة رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أَرْضَيْتَ مِنَ الدِّينَارِ مَا أَقَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ رَضِيَ بَشَرًا مِنْ هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَنْ رَضِيَ بِالْدِّينَارِ عَوَضًا عَنِ الْآخِرَةِ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَخْرُجُ خَبْرًا يَأْسَا فَيْلَهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ بِالْمَلْحِ وَيَقُولُ مَنْ رَضِيَ مِنَ الدِّينَارِ بِهَذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَنْ اللَّهُ أَقْوَامًا أَقْسَمَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ لَمْ يَصْدُقْهُمْ ثُمَّ قَرَأَ - وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَلْقٌ - الْآيَةَ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا جَالِسًا فِي النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ أَتَجْلِسُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ مَا فِي الْبَيْتِ هُمَةٌ وَلَا سُمْفَةٌ فَقَالَ يَا هَذِهِ إِنْ بَيْنَ أَيْدِيْنَا عَقِبَةٌ كَثُودًا لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كُلُّ غَنَفَةٍ فَرَجَمَتْ وَهِيَ رَاضِيَةٌ وَقَالَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْرَبَ النَّاسُ إِلَى الْكُفْرِ ذُو فَاقَةٍ لَا صَبْرَ لَهُ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَا مَالُكَ فَقَالَ التَّجَمُّلُ فِي الظَّاهِرِ وَالتَّصَدُّقُ فِي الْبَاطِنِ وَالْيَأْسُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي بَعْضِ السُّكُتِ السَّالِفَةِ الْمَزَلَةَ يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَوْتُ فَإِذَا أَنَا أُعْطَيْتُكَ مِنْهَا الْقَوْتُ وَجَعَلْتُ حَسَابَهَا عَلَى غَيْرِكَ فَأَمَّا عَمَّنْ إِلَيْكَ وَقَدْ قِيلَ فِي الْقَنَاعَةِ:

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقع يأس فان العز في اليأس
واستن عن كل ذي قربى وذى رحم إن النفي من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضا :

يا جامعا مانعا والدمع يرمقه	بقدرا أئى باب منه يخلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته	أغاديا أم بها يسرى فطره
جمعت ما لا يقلل هل جمعت له	يا جامع المال أيا ما تخرقه
للال عندك غمزون لو أرتبه	ما لللال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يال فتى يذو على ثقة	أن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنس	والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يخلل بساحتها	لم يبق في ظلها هم يورقه

بيان فضيلة الفقر على النفي

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجليل والحواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر . وقال ابن عطاء النفي الشاكر القاسم يحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجليل دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته عنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبيننا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل ، فأما الفقر والنفي إذا أخذنا مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول : إنما يتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع أراض بالأضافة إلى غنى منفق ماله في الحيرات ليس حريصا على إمساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من النفي الحريص المسك وأن النفي المنفق ماله في الحيرات أفضل من الفقير الحريص أما الأول فربما يظن أن النفي أفضل من الفقير لأنهما تساويا في نصف الحرص على المال والنفي متقرب بالصدقات والحيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فيما نحسبه ، فأما النفي المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات والحج والجهاد فلمهم كلمات في التوبيخ وذكر لهم أنهم يالون بها فوق ما ناله الأغنياء فلمهم الأغنياء ذلك

الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ويصرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في ذلك كله ولا يفوته شئ مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبت النفس وعدم تركيتها وبقاء صفاتها عليه فإن صحبت ظلمت بالأفراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والوعاظ والآداب وصماعها لا يعمل في النفس

فكانوا يقولونه فعاد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ^(١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لماسئل عن ذلك فقال الفنى أفضل لأنه وصف الحق أماديله الأول قضيه نظر لأن الخبر قدورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الفنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لا بحث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال إن رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحبون ولا تقدر عليه ويعتمرون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصلة واحدة فإن فى الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا النبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة إذا قال الفنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الفنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا ^(٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن الفنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أنرى أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبغى أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغى أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته» ^(٣) وقال سهل حبيب المز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة فيها لأنها من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا فى تفضيل الفنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضها إذ كما يناقض قول من فضل الفنى بأنه صفة الحق بالتكبر كذلك يناقض قول من ذم الفنى لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى والجهل والنفقة وصف العبد وليس لأحد أن يفضل النفقة على العلم فكشف النطاء عن هذا هو ما ذكرناه فى كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لهينه بل يراد لغيره فينبغى أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوب بالهينه لكن لأن فيه قد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله الفنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وكمن فقير شغله الفقر وصرفه عن التصدق غاية القصد فى الدنيا

(١) حديث شكا الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفى آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه
(٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بحث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحبون ولا تقدر عليه الحديث وفيه بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف فى هذا الفنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم أغنياءهم فقال يا معشر الفقراء ألا أبركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى تقدم فى العلم وغيره.

زيادة تأثير ويكون
كبر قلبه فيه للنساء
من فوقه فلا يمتك فيه
ولا يبتفع به وإذا
أخذت بالتقوى والزهد
فى الدنيا نبغ منها ماء
الحياة وتفقهت وعلمت
وأدت الحقوق وقامت
بواجب الآداب
بتوفيق الله سبحانه
وتعالى .

[الباب السادس
والخمسون فى معرفة
الانسان نفسه
ومكاشفات الصوفية
من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردى
قال أنا الشريف نور
الهدى أبو طالب الزينى
قال أنا كريمة المروزية
قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغاظين المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتنع بها فاذا إن فرغت فارغين عن حب المال بحيث صار للمال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من قنعه إذ الجائع يسلك سبيل اللوث لا سبيل للعرفة وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن الصصة أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك النادر والضراء أصلح لكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام : لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم . وقال بعض العلماء : تغليب الأموال يمس حلاوة الإيمان وفي الخبر « إن لكل أمة هجلا وهجلا هذه الأمة الدينار والدرهم ^(١) » وكان أصل مجمل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والحجر إنما يتصور للأتقياء عليهم السلام والأولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا « إليك عنى ^(٢) » إذ كانت تمثل له زينتها وكان على كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري غري ويا بيضاء غري غري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس ^(٣) » وإذا كان ذلك بعيدا فاذا الأصلح لكافة الخلق فقد للمال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستمتاع راحة في بذلها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ويقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله من جهة ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لآماله إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره قد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلهما مثل للشرق والغرب فانهما جهتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وأنه بها فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فإن تساويا فيه تساوت درجتهم إلا أن هذا مزية قدم وموضع غرور فإن الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب

الكشميه في قال أخبرنا أبو عبد الله الفري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال ثنا عمر ابن حفص قال ثنا أبي قال ثنا الأعمش قال ثنا زيد بن وهب قال ثنا عبد الله قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق للصدوق قال « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نقطة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضخة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ووزقه وشق أم سعيدته ينفخ فيه الروح وإن الرجل يعمل بعمل

(١) حديث لكل أمة هجلا وهجلا هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول للدنيا إليك عنى الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقدته فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفاتاً فليعلم أنه كان مغروراً فكمن رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق إذن أنه كان مغروراً وأن العشق كان مستكناً في القواد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأنسه بالدينا أضفى وقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسيحاته وعبادته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالذكور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطنق النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من القمير بالسمنك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهي فصرى واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله : ادع الله لي فقد أضرتني البيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على منزلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسنة وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء ، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدلالة عند النصف من نفسي والزهد فيها جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن قد المال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغنى أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن توفى الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حاثوناً على باب المسجد ولا تحطئني فيه صلاة وذكر وأربع كل يوم خمسين ديناراً وأصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تكبره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوى عنده كلاهما فأما إذا كان غنياً بوجوده ومفتقراً إلى بقاءه فلا يضاهاه غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنياً بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به ، ثم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والعبد مأثور

أهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل يعمل بعمل
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين -
أي حريز لا استقرارها
فيه إلى بلوغ أمدها ثم
قال بعد ذكر قلبها ثم
أنشأناه خلقاً آخر - قيل
هذا الانشاء نفخ الروح
فيه . واعلم أن الكلام
في الروح صعب المرام

به بأنه يطلب أعلى للراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتليس فلي
 العبد أن يعلم أن اللؤم من أكبر من الكافر والطمع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان
 أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محقة
 لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا ثقة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فان ذلك
 موقوف على الحاتمة وليس يدري الحاتمة كيف تكون وكيف تنفق فلجعله بذلك وجب أن لا يستغد
 نفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يغتم للكافر بالإيمان وقد يغتم له بالكفر فلم يكن ذلك لاثابه
 لتصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا في حقه إذ ليس
 من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في العبد من صفات
 الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فاذا نواستوى عنده وجود
 المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو
 فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغنى الشاكر .
 [المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغنى الحريص] ولنفرض هذا في شخص واحد
 هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة التقدر وحالة الوجود فأى حالته أفضل فنقول :
 ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في العيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
 فحال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والله كره إلا قدرة مدخوله
 بشغل والسكنى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفايا » وقال « كاد
 الفقر أن يكون كفرا » أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة أو كان
 المطلوب قنرا الحاجة ولكن لم يكن التصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر أفضل وأصلح
 لأنها استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق
 الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والغنى ولكن افرقا في أن الواجد
 يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتسكون
 الدنيا عنده كالسجن الذي ينسى الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما
 أشد ركونا إلى الدنيا فحاله أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد
 أنه بالدنيا وقد قال ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة (١) »
 وهذا نبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما
 تحبه وكل من فارق محبوا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقد رآه به وأنس الواجد الدنيا القادر عليها أكثر
 من أنس الفاقدها وإن كان حرصا عليها فاذا نكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل
 والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود
 والعدم فيكون الوجود مزبدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن
 مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خيره فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبق حياته
 ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولومات جوارح كانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت
 جوارحا ولا يحد مضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقر حريص متكالب على

والامساك عن ذلك
 سبيل ذوى الأحلام وقد
 عظم الله تعالى شأن
 الروح وأسجل على
 الخلق بقلة العلم حيث
 قال - وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلا - وقد
 أخبرنا الله تعالى في كلامه
 عن إكرامه بنى آدم
 فقال ولقد كرمتنا بنى
 آدم وروى « أنه لما
 خلق الله تعالى آدم
 وذريته قالت الملائكة
 يارب خلقتهم بأكلون
 وشربون وينكحون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا
 الآخرة فقال وعزنى
 وجلالى لأجل فربة
 من خلقت يدي كمن
 قلت له كن فكان « فع
 هذه الكرامته واختياره
 سبحانه وتعالى بإيام على

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له هم سواء وفي غنى دولته في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لوقته كنتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن بسدها عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والمعلم عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في فقره)

اعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره وعماطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما أدب باطنه فإن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث إنه فعله وإن كان كارهاً للفقر كالمهجوم يكون كارهاً للحجامة لتأله بها ولا يكون كارهاً فعل الحجامة ولا كارهاً للحجامة بل ربما يتفقد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب وتقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام «يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا» وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً لله وفرحاً به لعله بفوائده التي ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى وإتقاه به في قدر ضرورته أنه يأتيه لاحتاجة ولا يكون كارهاً للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع بهربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويصمى به بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعله بشمرته إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ على ثلاثة أثلاث : شغل وهم وطول حساب . وأما أدب ظاهره فإن يظهر التمعف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستتر أنه يستره في الحديث «إن الله تعالى يحب الفقير التمعف أبا العيال» وقال تعالى - بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال سفيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بعضهم ستر الفقر من كدوز البر . وأما في أعماله فأدبه أن لا يتواضع لشيء لأجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع النبي للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقير على النبي ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مرء وإذا خالط الساطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته فإذا طمع فيهم انطمعت عصمته فإذا سكن إليهم ضل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطعناً في البطاء وأما أدبه في أفعاله فإن لا يفترب بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذلك قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد للقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف» (١) وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي في الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً فإن ما زاد عليه داخل في طول الأمل وقد فهم المعنى ذلك من معاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف الحديث الثاني من حديث أبي هريرة متصلاً وقد تقدم في الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسل .

اللائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمرى - الآية قال ابن عباس قالت اليهود لاني عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يحجب فأتاه جبرائيل بهذه الآية وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهية باذن الله تعالى ووجهه وهو صلات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره

في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة التقين والثالثة أن يدخر لسته وهي أقصى للراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار الصوم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ففى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوما وبعضهم يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال)

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس اللال وغرض المعطي وغرضه في الأخذ أما نفس اللال فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذها وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض المعطي فلا يخفى إما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما بمزوجة ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة فإن كان فيها منة فالأولى تركها فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنفعة فليرد البعض دون البعض فقد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال « لقد هممت أن لأتهب إلا من قرشي أو ثقي أو أنصاري أو دوسي » (٤) وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح اللوصلى صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من آتاه رزق من غير مسألة فرده قائما يرد على الله » (٥) ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليمى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من ممن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر وإسناده جيد وقال وكيع مرة عن يلى بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وإيم الله لأقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يسكون مهاجريا الحديث فيه محمد بن اسحق ورواه بالنعنة (٤) حديث قد هممت أن لأتهب إلا من قرشي أو ثقي أو أنصاري أو دوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات (٥) حديث عطاء مرسل من آتاه رزق من غير وسيلة فرده قائما يرد على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولأحمد وأبي يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرد قائما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من آتاه الله من هذا اللال شيئا من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا اللال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تناقض الأتقى الانسانية للتطلعة إلى الفضول المشوقة إلى العقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمره بالسكون فيه والتسوية بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو لم تمت النفوس حدها منرفة بمعجزها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم الثمن فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول أركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل من قبل القبول فأخبرني حتى أخذته وإلا فلا ، وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقبول ويرى النية على نفسه في قبول صديقه هديته ، فإن علم أنه يمازجه منه فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقهاء الصادقين . وقال بشر : ما سألت أحدا قط شيئا إلا سرى السقطى لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عوناً له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجنيذ رحمه الله يسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا . قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الحل والبقول بل في الحلاوات والطيبات قبل ذلك منه ، فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك ، فقال الجنيذ ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون للثواب المجرود ذلك صدقة وزكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يطميه لدينه فلينظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لمصيبة في السر يعلم أن العطى لو علم ذلك لتفرط به ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه . الثالث أن يكون غرضه السعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ، ويقول : لو علمت أنهم لا يبدلون ذلك افتخارا به لأخذت ، وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، فقال إنما أرد صلتهم إشفاة عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في العطى فالأفضل له الأخذ . قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما للعطى من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعما هو رزق ساقه الله إليه (٢) » وفي لفظ آخر « فلا يرد » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطو وقد كان سري السقطى يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليهما شيئا فرد مرة ، فقال له السري : يا أحمد احذر أفة الرد فإنها أشد من أفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فأحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فأعذه إلي ، وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما إذا كان مأثما زائدا على حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرقي والسخاء ، فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وإما أنه إن كان طالبا لطريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أوداع إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في الملاينة

(١) حديث ما للعطى من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا للطرائق من حديث ابن عمر وقد تقدم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعما هو رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرد تقدم قبل هذا الحديث .

وأولى فأما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فنزعه الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال أبرزتها العسول التي ضلت عن الرشاد وطغت على الفساد ولم يصبا نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالى - كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا - . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب - فلما حببوا عن الأنبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على

ويرد في السرّ أو يأخذ في العلانية ويفرق في السرّ ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمانت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السرّ أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا جلّ الأفضّل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطي رحمه الله فأما كان لاستغناء عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرش لنفسه أن يعتدل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للإحراق في سبيل الله فسمعت قبرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى لها ترى فيما ترى يأمن يرى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لا تسكاد نواريه قلت في نفسي لا أجد لدراهمي موقعا أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أربعة ثمن مزرين ودرهم أخقه ثلاثا فلا حاجة في إلى الباقي فردّه . قال فرأيت الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخذه خشى تحت أقدامنا إلى الكعبين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أقال وقتة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رزقا بك ، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه ، فما زاد فهو حساب » (١) فاذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تنص الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب ، ومن الاختبار أيضا أن تعزم على ترك لغة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذه وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتمهيد جماعة من الصالحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتصمكه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتعم في الطعام والشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الرفق وطنب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لاعتماد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من حلال قضاء وإن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يفر للقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى

الجهالات وخسبوا بالمقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين فلم تنقل أفوالهم في الروح واختلافهم فيه . وأما المستمكن بالشرائع الذين تكلموا في الروح قعود منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الدوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بجله ولا

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه فما زاد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الحيز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح .

- ومن قدر علیه رزقه فلینفق بما آتاه الله - قيل معناه لیس أحد ثویه وقيل معناه فلیسترض بحاجه فذلک بما آتاه الله . وقال بعضهم إن الله تعالى عبادا ینفقون علی قدر بضائهم والله عباد ینفقون علی قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوحى بحاله ثلاث طوائف الأقویاء والأغنیاء والأغنیاء قلیل من هؤلاء ؟ قال أما الأقویاء فهم أهل التوکل علی الله تعالى وأما الأغنیاء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الأغنیاء فهم أهل الانقطاع إلی الله تعالى فاذن مهما وجدت هذه الشروط فیه وفي المال وفی المعطى فلیأخذه ینبغی أن یرى ما یأخذه من الله لامن للمعطى لأن المعطى واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إلیه بما سلط علیه من الدواعی والإرادات والاعتقادات . وقد حکى أن بعض الناس دعا شقیفا فی خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما تصدقوا لأصحابه إن هذا الرجل یقول من لم یرنی صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامی علیه حرام قماموا کلهم وخرجوا إلا عابا منهم کان دونهم فی الدرجة فقال صاحب التزل لشقیق ما قصدت بهذا قال أردت أن أخبر توحید أصحابی کلهم . وقال موسى علیه السلام : یارب جعلت رزقی هكذا علی أیدی بنی اسرائیل یضربنی هذا یوما ویضربنی هذا لیلۃ فأوحى الله تعالى إلیه هكذا أصنع بأولیائی أجرى أرزاقهم علی أیدی البطالین من عبادی لیؤجروا فیهם فلا ینبغی أن یرى المعطى إلا من حیث إنه مسخر ما جاور من الله تعالى نساء الله حسن التوفیق لما یرضاه .

(بیان تحریم السؤال من غیر ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة فی السؤال وتشديدات وورد فیہ أيضا ما یبدل علی الرخصة إذ قال صلی الله علیه وسلم «للسائل حق ولوجاه علی فرس (١)» وفی الحدیث «ردوا السائل ولو یظلف محرق (٢)» ولو کان السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة للتمدی علی عدوانه والاعطاء إعانة فالكاشف للفطاء فیہ أن السؤال حرام فی الأصل وإنما یباح بضرورة أو حاجة مهمة قریة من الضرورة فان کان غیابا فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فیہ التحريم لأنه لا ینفک عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشکوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنہ وهو عین الشکوى وکان أن العبد المملوک لو سأل لکان سؤاله تشیما علی سیده فکذلک سؤال العباد تشیيع علی الله تعالى وهذا ینبغی أن یحرم ولا یجوز إلا للضرورة كما نحل للیتة . الثانی أن فیہ إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للؤمن أن یدل نفسه لغير الله بل علیه أن یدل نفسه لمولاه فان فیہ عزه فأما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ینبغی أن یدل لهم إلا للضرورة وفی السؤال ذل للسائل بالاضافة إلی الشئ . الثالث أنه لا ینفک عن إیذاء للسؤل غالبا لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبدل عن طیب قلب منه فان یدل حیاه من السائل أوریاه فهو حرام علی الآخذ وإن منع ربما استعیا وتأذى فی نفسه بالمنع إذ یرى نفسه فی صورة البخله ففی البخل نقصان ماله وفی المنع نقصان جاهه وکلاما مؤذیان والسائل هو السبب فی الإیذاء والإیذاء حرام إلا للضرورة ومهما فهمت هذه المخذورات الثلاث قد فهمت قوله

(١) حدیث للسائل حق وإن جاء علی فرس أبوداود من حدیث الحسین بن علی ومن حدیث علی وفی الأول یعلی بن أبی عیی جهه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفی الثانی شیخ لم یسم وسکت علیهما أبوداود وما ذکره ابن الصلاح فی علوم الحدیث أنه یأنه عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحادیث تدور فی الأسواق لیس لها أصل منها للسائل حق الحدیث فانه لا یصح عن أحمد قد أخرج حدیث الحسین بن علی فی مسنده (٢) حدیث ردوا السائل ولو یظلف محرق أبوداود والترمذی وقال حسن صحیح والنسائی واللفظ له من حدیث أم یحید . وقال ابن عبد البر حدیث مضطرب .

نحوز العبارة عنه
بأكثر من موجود
ولكن نجعل للصادقين
محلا لأقوالهم وأفعالهم
ويعجز أن يكون
كلهم في ذلك بمثابة
التأويل لكلام
الله تعالى والآيات
التركية حيث حرم
تفسيره وجوز تأويله
إذ لا يوسع القول في
التفسير إلا لثقل وأما
التأويل فتتمد
القول إليه بالباع
الطويل وهو ذكر
ما تحتل الآية من
الغنى من غير القطع
بذلك وإذا كان الأمر
كذلك فللقول فيه
وجهه ومحل . قال
أبو عبد الله النجاشي
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها» (١) فانظر كيف سهاها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كإباحة شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم» (٢) «ومن سأل وله ما يفييه أجه يوم القيامة ووجهه عظم يتققع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه» (٣) وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد «وبابح رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا» (٥) وقال ﷺ «استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى» (٦) ومع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد الغرب فقال لو احدمن قومه عشي الرجل فمشاه ثم صممه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عشي الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فإذا تحت يده محلاة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنتك تاجر ثم أخذ المحلاة وثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولأن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ محلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حصوله عمر بن الخطاب رضى الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاء أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله وهبها فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالا مالا له فوجب صرفه إلى الصالح وإبل الصدقة وعطفها من الصالح وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ المولى بقوله إني علوى وهو كاذب فأنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي الصالح الذي يبطى لصالحه وهو في الباطن مقارفا لمعصية لو عرفها العظمى لما أعطاه وقد

(١) حديث مسألة الناس من الفواحش وما أحل الله من الفواحش غيرها لم أجده أصل (٢) حديث من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة والمسلم من حديث أبي هريرة من يسأل الناس أموالهم تكثر أفاعنا يسأل جمر الحديث وللبراز والطبراني من حديث مسعود بن عمر ولا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه وفي إسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفييه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة (٤) حديث بابح قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيم ثقات (٦) حديث استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث البراز والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك وإسناده صحيح وله في حديث فتعففوا ولو بحزم الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ .

عن الحسن وبكر
عن الحسن ولا جبر
عنه بأكثر من
موجود وهو وإن منع
عن العبارة فقد حكم
بأنه جسم فكأنه عبر
عنه . وقال ابن عطاء
خلق الله الأرواح قبل
الأجساد لقوله تعالى
ولقد خلقناكم - يعني
الأرواح - ثم صورناكم -
يعني الأجساد . وقال
بعضهم الروح لطيف
قائم في كسيف
كالصبر جوهر لطيف
قائم في كسيف وفي هذا
القول نظر وقال
بعضهم الروح عبارة
والقائم بالأشياء هو
الحق وهذا فيه نظر
أيضا إلا أن يعمل على
معنى الإحياء فقد قال

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بفعلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسئول بكونه مباحا والمسئول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطلان ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة . وأما المستغنى فهو الذي يطلب شيئا عنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا من طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشيء بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذي أذى أظيفه ولكن يشق على فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الحروق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لأجل الأدم وهو واحد للخبز وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء الحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان في شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسئول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات . فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفصول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما الذل فإن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لكل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منته بقبوله فيسقط عند الذل بذلك فإن الذل لازم للفة لا محالة . وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرعا بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا إيذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من اللامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبق له سبيلا إلى التعاقل إن أراد فإذا لم يتعافى مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحيا منه لورده أو يتعافى عنه فإن الحياء من السائل يؤدي كآأن الرياء مع غير السائل يؤدي . فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث العطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولا لما ابتداء به فهل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لاختلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ المال الغير بالضرب والصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسيط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف اللام وضرب الباطن أشد نكابة في قلوب العقلاء

بعضهم الإحياء صفة
الهي كالخلق صفة
الخالق وقال - قل الروح
من أمر ربى - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بمخلوق أى صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح معنى في الجسد
فمن الأقوال ما يدل
على أن قائله يتمدد قيم
الروح ومن الأقوال
ما يدل على أنه يتمدد
حدوته ثم إن الناس
مختلفون في الروح القدى
مثل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
فقال قوم هو جبرائيل
ونقل عن أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى
الله عنه أنه قال هو
ملك من الملائكة له

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى به وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » (١) فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين البعد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللجنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أتوك وأخوك فإن المفق مع للقاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومنفى القلوب هم علماء الآخرة وبتوأم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن بختوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده إلى صاحبه فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده عليه أن يشبه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهذية والمقاولة ليتقصى عن مهذبه فإن لم يقبل هديته عليه أن يرد ذلك إلى ورثته فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يصير الإطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فربما يظن السائل أنه راض ولا يكون هو الباطن راضاً . فأقول لهذا ترك للتقوى السؤال رأساً لما كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علمت أنه يفرج غروج السال من يده فأنا أعينه على ما يحب وإنما عظم التكبر في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحصل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورع ومن أرباب القلوب من كان وانما يصبرته في الإطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضاً ويرد بعضاً كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش والسمن والأخط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طلباً للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأساً إلا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم سألوا إلا من علموا أنه يرغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباستهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلّا فكانوا يستغنون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن السؤال بصفة لو علم ما بك من الحاجة لا بد أنك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في تعريض حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال مطلق وفي الثانية حرام مطلق ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قلبه فيها وليترك حراز القلب فإنه الاتم وليدع ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضمخ حرصه وشهوته فإن قوى الحرص وضعت الفطنة تراهي له ما يوافق حرصه فلا يشغلن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطالع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » (٢)

سبعون ألف وجهه
ولكل وجه منه
سبعون ألف لسان
ولكل لسان منه
سبعون ألف لغة يسبح
الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل
تسبيحة ملكاً يطير مع
اللائكة إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خالق
الله صورهم على صورة
بنى آدم وما نزل من
السماء ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهنة
الانسان وليسوا بناس
وقال مجاهد الروح على
صورة بنى آدم لهم أيد
وأرجل . وروى

(١) حديث إنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلاً وكذا قال الزى لما سئل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحد قرابته فيأكل من أيدي الناس وإن أعطى بغير سؤال فأنما يعطى يدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى يدينه فيكون ما يأخذه حراما وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذا سئل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا فقتت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بجهلك أنت أو مورثك فإذا بيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يحنينا بحلاله عن حرامه وبغضه عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير .

(بيان مقدار النفي المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من عال عن ظهر غنى فأنما يسأل جمرًا فليستقل منه وأليستكثر » صريح في التحريم ، ولكن حدث النفي مشكل وتقديره عسيره وليس إلينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث « استغنوا بنفى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة ^(١) » وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل إلخافا ^(٢) » وورد في لفظ آخر « أربعمائة درهم » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبى أن يقطع بوزودها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير مجتمع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى به عورته ويبت يكتنه فإزاد فهو حساب » فلنرجع هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للسافر إذا كان لا يقدر على الشيء وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفائه كالدابة أيضا . وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بدوى الدين وهو ثوب واحد وقيص ومنديل وسراويل ومبداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينفى أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والصفى فما يكفي فيه الخرف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والأدم على الدوام فضلة وقطعه بالسكية إضرار في طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأنه ما يعجز عن من حيث القدر وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات : إحداها ما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوما أو خمسين يوما . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال لسنة نسأله حرام فإن ذلك غاية النفي وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسة دنانير تكفى للفرد

(١) حديث استغنوا بنفى الله قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة تقدم في الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا ما ينبغي قال ما ينديه أو يمشيه ولأحمد من حديث على باسناد حسن قالوا وما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلته وأما اللفظ الذي ذكره الصنف فذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة .
(٢) حديث من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل إلخافا وفي لفظ آخر أربعمائة درهما تقدما في الزكاة .

يا كلون الطعام وليسوا
بملائكة وقال سعيد
ابن جبير لم يخلق الله
خلقا أعظم من الروح
غير العرش ولو شاء
أن يبلغ السموات
والأرضين السبع في
لقمة لقيل صورة
خلقه على صورة
الملائكة وصورة
وجهه على صورة
الآدميين يقوم يوم
القيامة عن عرش العرش
واللائكة معه في صف
واحد وهو عن يمين
لأهل التوحيد ولولأن
بينه وبين الملائكة
سترا من نور لحرق
أهل السموات من
نوره فهذه الأقاويل
لا تكون إلا قولا وسماحا
بلفظهم عن رسول الله

في السنة إذا اقتصد أما للليل فرعما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا تقوته فرصته فلا يخل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربعما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه هدماء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يسطيه لو أخر فيسأل له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يجنبه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مألجا السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد المبد ونظرة لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستغنى فيه قلبه ويسمى به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقته بجي الرزق في المستقبل ثم وقناعته بقوت الوقت أظهر قدرته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياك إلامن ضعف اليقين والاصفاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى - فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفتنة والله يعدكم مغفرة منه وفضلا - والسؤال من القحشاء التي أيجت بالضرورة وحال من يسأل حاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات الهلكات ، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ فهذا مع القرين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على فم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة . قال شقيق البلخي لأبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وظن أنهم لا وصفهم بترك السؤال قد أنى عليهم غاية الالتئام فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا وقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ فاذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يترك إلى أعلى عليين ومن لا يعبر بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا إسحق النوري رحمه الله يعيده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستجبته له فأثبت الجنيده رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس إلا لمعطهم وانما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم « يد العطي هي العليا » (١) فقال بعضهم يد العطي هي يد الآخذ للسأل لأنه يحظى الثواب والقدره

صلى الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح السئول عنه شيئا من هذا المنقول فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله إلى أما كن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لأنه لو خرج من كن كان عليه القدر قيل فمن أي شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خصها بسلامه وجاها بكلامه

(١) حديث يد العطي هي العليا - لم من حديث أبي هريرة .

لما يأخذهم قال الجنيد هات اليزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائنة ثم قال احملها إليه فقلت في نفسي إنما يوزن الشيء لمعرفة مقداره فكيف خلط به مجهول وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال هات اليزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل له أنا لا أقبل منك أنت شيئا وأخذ مازاد على المائنة قال فزاد تعجبي فسأله فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن المائنة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن ثم عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكي وقال أخذ ماله ورد مالنا الله السمتان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتناؤه حتى بذل كنهه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسبيل فلم يؤثر في حقه خاصة لعله في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهل بل البصير أحد رجلين إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى عين اليقين ولم يعلم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وبخسر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في اللطم والملبس والسكن والأثاث وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .

(بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن والإفليس القول مرادا لعينه وإن لم يكن صادرا عن حال سمى إسلاما ولم يسم إيمانا والعلم هو السبب في حال يجرى مجرى الثمر والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة فلذلك الحال مع كلاً طريقه من العلم والعمل . أما الحال فتعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمحاوطة وبيع وغيره فأنما عدل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فبالإضافة إلى العدول عنه يسمى زهدا وبالإضافة إلى العدول إليه يسمى رغبة وحيا فإذا نبتدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبه في نفسه لا يسمى زهدا إذا ترك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وإنما يسمى زهدا من ترك الدرهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط للرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من الرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع إلا والمشتري عنده خير من البيع فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهدا فيه وبالإضافة إلى الموضع عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى - وشروه بضمن نحس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهو مستقمن فل كن
وسئل أبو سعيد الخراز
عن الروح مخلوقة هي
قال نعم ولولا ذلك
ما أقرت بالربوبية
حيث قالت بلى والروح
هي التي قام بها البدن
واستحق بها اسم الحياة
وبالروح ثبت العقل
وبالروح قامت الحجة
ولو لم يكن الروح
كان العقل معطلا
لا حجة عليه ولا له
وقيل إنها جوهر مخلوق
واصكها لطف
المخلوقات وأصفي
الجواهر وأنورها وبها
تراءى النفيات وبها
يكون الكشف لأهل
الحقائق وإذا حجب
الروح عن مراعاة
السرا أساءت الجوارح

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يغلولهم وجه أيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن المادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن عيّل إلى الباطل خاصة وإن كان هو للبل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالدول إلى شيء هو أحب منه وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذي يرغب عن كل حظ يناله في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والقواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات ، وللتقصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن المادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في للرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في للرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا فضاذا زهدت ؟ . وأما العلم الذي هو منبر لهذه الحال فهو العلم بكون التروك حقيرا بالاضافة إلى للأخذ كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه ومالم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا . ولا يسر على مالك الثلج يبعه بالجواهر والآلئ . فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج اللزج في الشمس لا يزال في الدوبان إلى الاقتراس والآخرة كالجواهر التي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا : إما لضف علمه ويقينه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاغتراره بعوايد الشيطان في التصوف يوما بعد يوم إلى أن يحتطفه للوت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت وإلى تعريف خسارة الدنيا الاشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف تقاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل - وقال الدين أوتوا العلم وبلغكم ثواب الله خير - فبه على أن العلم بنقاسة الجواهر هو الرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد إلا بماوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . قال الرجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني

للأدب ولذلك صارت
الروح بين تجل واستار
وقابض ونازع وقيل
الدنيا والآخرة عند
الأرواح سواء وقيل
الأرواح أقسام أرواح
تجول في البرزخ وتبصر
أحوال الدنيا والآخرة
وتسمع ما تحدث به
في السماء عن أحوال
الآدميين وأرواح
تحت العرش وأرواح
طيارة إلى الجنان
والى حيث شاءت على
أقدارها من السمع
إلى الله أيام الحياة .
وروى سعيد بن السبب
عن سلمان قال أرواح
للؤمنين تذهب في
برزخ من الأرض
حيث شاءت بين السماء
والأرض حتى يردها

الدنيا كأربتها الصالحين من عبادك (١) « وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة إلى جلاله حقير والمبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة إلى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع القرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ماسواه فيرى السكل في درجة واحدة بالاضافة إلى جلاله وبراء متفاوتا بالاضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يبيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك للزهد فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم للبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وفي بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليست بشرط يبيعه الذي يبيع به فإن الذي يبيعه بهذا البيع وفي بالمعهد فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إلى الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بسدقه وقدرته ووفائه بالمعهد وما دام محسباً للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - ليوسف وأخوه أحب إلى أيها منا - وعزموا على إبادة كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فضلالة الرغبة في الماسك وعلامة الزهد الإخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط . ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم تصور منك الزهد لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستويك الشيطان بفروره ويغيب إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بعجل غروره دون أن تستوثق وتسنظر بموت غليظ من الله فانك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تلق بالقدرة على الترك عندها فكف من ظان بنفسه كراهة للماض عند تعذرهما فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المخطورات فأيالك أن تلق برعدها في الباحات واللوثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا دفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تلق بها وثوقاً ما ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فانها سرية النقض للعهد قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالاضافة إلى ما تركه قط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تلق في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدرى أهو ابن الحائك أم ماهو لكن أعلم أن الدنيا فدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء يحبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم - (٢) .

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القصور ولم يخرج له (٢) حديث قال المسلمون إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء يحبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم - الآية لم أقف له على أصل .

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التفتوا وتعبدوا وتساءلوا وركل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعمتد إلى الله ظاهراً عنه فانه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استئالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا طمعا في محاربتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الدواهي من اللال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والشاء والاعتبار بالفتوة والسخاء واستقلاله لما في حفظ المال من الشقة والصناء والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استبدال حظ آخر للنفس بل الزاهد من آتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاءه وتبجح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنيس بها فيكون آتسا بنير الله ومحبالما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الجور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك للطعام اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا - فأثر في جميع ذلك ما وعده في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعله بأن مافي الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا لمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - فخرج على قومه في زينته - إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولا تمدن عيفيك إلى ما تمنى به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستجيبون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك ففهموه أن اللؤم هو الذي يتصف بتقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربيع الهلكات إذ حب الدنيا من الهلكات ونحن الآن تقتصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من النجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل قمره بين عينه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم العبد وقد أعطى سمنا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه »

ويزداد وجوههم ياضا وإشراقا » فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من اللوق فان كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمجان وأعراض ، مثل الواسطي لأى علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحة التحكين والاستقرار الآراء يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (٢) حديث من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره الحديث ابن ماجة من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه

فانه يلقي الحكمة (١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال «قلنا يا رسول الله أي الناس خير؟ قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب؟ قال التقى النقي القدي لاغل فيه ولاغش ولابنى ولاحسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) فجعل الزهد سبيلا للهجة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل للقامات ومفهومه أيضا أن حب الدنيا تعرض لبعض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت «الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا (٤) ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني برش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت قائم، عبد نور الله قلبه بالايمان (٥) فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الايمان بمزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان «ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ما هذا الشرح؟ قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله وهل ذلك من علامة؟ قال نعم التجافي عن دار القرور والإقامة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٦) فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للإسلام وهو التجافي عن دار القرور وقال صلى الله عليه وسلم «استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تنبؤ ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون (٧) فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى «ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشهادة بالمصيبة إذا زلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبينوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون (٨) فجعل الزهد تسكنا لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتى صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسنده ضعيف (٢) حديث قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب؟ قال التقى النقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بالاسناد للذكور الخرائطي في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا فقال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساكر في تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر.

نبيا وآدم بين الروح والجسد «أى لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال - خلقتنى من نار وخلقتنى من طين - ولم يدرك أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي للطاقيات سمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والسموات يندمهما وأن الروح هي الحياة بينهما صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقام إليه على كرم الله وجهه ، فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها ؟ صف لنا فسرنا لنا ، قال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويسلمون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر «السخا من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك» (٢) . وقال أيضا «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار» (٣) . والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والتناء على القرة ثناء على الثمر لا محالة . وروى عن ابن السيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام» (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم «مر في أصحابه بشار من التوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأتسها عندهم لأنها تجمع الظهر والجمع واللين والور ، ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا العشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به -» (٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت «قلت يا رسول الله ألا تستطم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، قال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجرى مني جبال الدنيا ذهباً لأجرها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وقعر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لا تنقي ل محمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكفني ما كلفهم ، فقال - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - والله مالي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله» (٦) .

(١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أر من حديث جابر وقد رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخا من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث السخي قريب من الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلًا وابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله بها ما يسع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضيفة (٥) حديث مرفي أصحابه بشار من التوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك - الآية لم أجده أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يا رسول الله ألا تستطم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمي في مسند القردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد ابن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : يا عائشة إن الله لم يرض من أولى العزم

البدن بوجودها حيا وبالإعادة إليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الإسلام إلى أنه جسم لطيف مشبك بالأجسام العكسفة اشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي العالى الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيمن العروج والمهبوط والتردد في البرزخ حيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضي الله عنه « أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومرت بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ، فقال عمر يا حفصة ألت تملين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة . وناشدتك الله هل تملين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خير ، وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثبتت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها بائنتين كما كنتم تثنونها ، وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لغسل فأتته بلال فيؤذنه بالصلاة فلما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ، وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزارا ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفه إلى عنقه فصرى كذلك فما زال يقول حتى أبكاه وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج (١) » وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروها والصبر عن محبوبها ثم لم يرش إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - ومجاله مختلف في الاحتجاج به (١) حديث إن عمر لما فتحت عليه الفتوحات قالت له حفصة البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك الله هل تملين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكاه وبكى الخ لم أجده هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو ابن عبد الله القدري متروك الحديث وللترمذي من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن وللاشيخين من حديثها ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليل تباعا حتى قبض وللبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الأكل وللترمذي في الثمائل من حديث حفصة أنها لما سئلت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح ثيابه ثنتين فنام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بائنتين الحديث وتقدم في آداب المعيشة والبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نعلم يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاستناد قال يونس بن بكير قد حدث عن سعيد بن ميسرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما فيها قلت فيه سعيد ابن ميسرة قد كذبه يحيى القطان وضعفه البخاري وابن حبان وابن عدي وغيرهم ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد المطر يني في جزئه الشهور فقدها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف وتقدم في آداب المعيشة .

سئل ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان فقال أين يذهب ضوء الصباح عند فناء الأدهان قيل له فأين تذهب الجسوم إذا بليت قال فأين يذهب لحما إذا مرضت . وقال بعض من يتم بالعلوم الردودة للذمومة وينسب إلى الاسلام: الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف . وقال بعضهم إنها إذا فارقت البدن تحمل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حيث مطالبة للعاني والمحمومات لأن

صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإنى والله سأصبر على عيشهما الشديدا لعل أدرك معهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدكم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة وإن كان أحدهم ليتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم ^(١) » وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الحزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم تبأ الدنيا تبأ لدينار والدرهم قلنا يا رسول الله نهانا الله عن كثر الذهب والفضة فأى شيء ندخر فقال ^(٢) : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة سالحة تمنه على أمر آخرته ^(٣) » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ثلاثا لا يخرق قلبه أبدا وقلعه لا يستقي أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ^(٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته ^(٥) » وقال المسيح ^(٦) الدنيا قنطرة فأعبروها ولا تمروها وقيل له يا بني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبده فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بئان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربى عز وجل عرض على أن يمحلى بطعام مكة ذهباً قللت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأترضع إليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشي وجبريل معه فقصده على الصفا فقال له النبي ^(٧) يا جبريل والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كسف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن ممع هبة من السماء أفضفته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله

تجردها من هيأت
البدن عند الفارقة
غير يمكن وهي عند
الموت شاعرة بالموت
وبعد الموت متخيلة
بنفسها مقبورة
وتصور جميع
ما كانت تعتقد حال
الحياة وتعس بالثواب
والعقاب في القبر قال
بعضهم أسلم القالات
أن يقال الروح شيء
مخلوق أجرى الله تعالى
العادة أن يحى البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يدوق الموت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
يفارقه يدوق الموت
فإن الكيفية والمادية
يتعاشى العقل فيهما
كما يتعاشى البصر في

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء يبتلى أحدكم بالفقر فلا يجد إلا العباءة الحديث بإسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليتلى بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والفضة - الآية قال تبأ الدنيا تبأ لدينار والدرهم الحديث وفيه فأى شيء ندخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في النكاح دون قوله تبأ لدينار والدرهم والزيادة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وإسناد قال للصف أنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى المال يتخذ كما في رواية ابن ماجه وكما رواه البزار من حديث ابن عباس (٣) حديث حذيفة من آثار الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ثلاث الحديث لم أجده من حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرق قلبه حب الدنيا التاط منها ثلاث شقاء لا ينفد عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منهائه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون أقله أحب إليه من كثرته لم أجده استنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن طلحة مرسل لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرج له في مسند الفردوس وعلي بن أبي طلحة أخرجه له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله فالحديث إذن معضل .

القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا إسرائيلي عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرائيل فقال إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فضلت وإن شئت نينا ملكا وإن شئت نينا عبدا فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال نينا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيها في أيدي الناس يحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤتبه الله علما بغير علم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه الصيبات» (٥) ويروى عن نينا وعن النخعي عليهما السلام «أربع لا يدركن إلا بتعب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء» (٦) وإبراهيم الأحمدي في مدح بعض الدنيا وضم حبها لا يمكن فإن الأنبياء ما بعثوا إلا لأصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله المستعان. وأما الآثار: فقد جاء في الآثار: لا تزال لإله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما تنص من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا صفة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها صادقين. وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين أتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهد في الدنيا منكم. وقال عمر رضى الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان أشتى أن أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إنى لأشتى من الله ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون على دين ولا على عظمي لحم فأعطى ذلك كله. وروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجواز قبولها وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فكى الفضيل وقال أتدرون ما مثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يمرثون عليها فلما هربت ذبحوها لأجل أن يفتنوها بجملها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أخبر معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد قته في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث من أراد أن يؤتبه الله علما بغير علم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب (٦) حديث أربع لا يدركن إلا بتعب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم .

شماع الشمس ولما رأى للتكاملون أنه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح من أي هؤلاء فاختار قوم منهم أنه عرض وقوم منهم أنه جسم لطيف كذا ذكرنا واختار قوم أنه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم فأحسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل على أنه يدل إلى أن الأرواح أعيان في الجسد وهكذا النفوس لأنه يذكر أن الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور في القلب

أنتم أردتم ذمعي على كبريى موتوا يا أهل جوعا خير لكم من أن تدبجوا فضيلا . وقال عبيد بن عمير كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشجر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا يمت تخربولا يدخر لقد أينما أدركه النساء نام . وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والخطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحنن لم لا تفضل ثيابك قال الأمر أهمل من ذلك . وقال إبراهيم بن آدم قد حبيت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرج بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالملاح فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت على المفقود فأنت سائح والسائح مملوك وإذا سرت بالملاح فأنت معجب والمعجب يحبط العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يعمي عبده المؤمن الدنيا وهو رجيح كما تغمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ^(١) » فإذا فهم هذا علم أن النعمة في النعم التي تؤدي إلى الصحة أكبر منها في الإعطاء المؤدى إلى السقم . وكان الثوري يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترج لا دار فرح من عرفها لم يفرح برحاء ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لا يخمس العمل للمتعب حتى لا يفرح من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بسنة طعام قط فإذا كان الليل قيام على أندامهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يفرجها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما ملوا من القنوب ولا نجوا إلا بالمفطرة رحمة الله عليهم ورضوانه .

(يان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى للرغوب عنه وإلى الرغوب فيه)
اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث : الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتة وقلبه إليها مائل ونفسه إليها مفتقة ولكنه يجاهد بها ويكفها وهذا يسمى التزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والتزهد يذيب أولا نفسه ثم كبره والزاهد أو لا يذيب كبره ثم يذيب نفسه في الطاعات لافي الصبر على ما فارقه والتزهد على خطر فانه ربما تطلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير . الدرجة الثانية : التي ترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالقدي يترك درهما لأجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لامحالة زهده ويلتفت إليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان . الدرجة الثالثة : وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذا ليرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خرفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعم الآخرة أخس من خرفة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كاللحرفة

(١) حديث إن الله يعمي عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

رواه اللالك فليهم الخير
عند ذلك وتحرك
لشعر ومن حركتها
تظهر ظلة في القلب
فيرى الشيطان الظلة
فيقبل بالأغواء ويوحى
وجدت أقوال الشايع
تشير إلى الروح
أقول : ما عندي في
ذلك على معنى ما ذكرت
من التأويل دون
أن أقطع به إذ ميل
في ذلك إلى السكوت
والإسك فأقول والله
أعلم : الروح الانساني
العلوي الساموي من
عالم الأمر والروح
الحيواني البشري من
عالم الخلق والروح
الحيواني البشري
هل الروح العلوي
ومورعه والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا كما أن تارك الحزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في شيء تسكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا فغنض يده وقال ظننت أنه يتكلم في شيء والدنيا لا شيء . إيش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب العمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغفه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أنفذ أمره في جميع مملكته أفقرى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ماقد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال الضغ وتنفى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنهى إلى التثني والقدر ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لا نسبة للتناهي إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تسادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهده فيه ولا يلتفت إلى ما زهده فيه إلا لأنه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذه تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ تصير المتردد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر الشقة في الصبر وكذلك درجة للعجب يزهد بقدر التفاته إلى زهده . وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى الرغبة فيه فهو أيضا على ثلاث درجات: الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء (١) » فهذا هو زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد عدم الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرم لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق في الله تعالى وهو الذي أصبح وهو موهوم ثم واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله قد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفى وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لغة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالحور العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه إني حبست بسبك عجباً فظيماً كرهها ما وصلت إليك حتى سال من العرق ما لوورده ألف بعيراً كلة حتى لصدرت عنه رواء وفيه دريد غير منسوب يحتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحيوانى جبانى لطيف
حامل لقوة الحس
والحركة ينبعث من
القلب أعنى بالقلب
ههنا الصفة اللحية
المروقة الشكل المودعة
في الجانب الأيسر
من الجسد وينشر
في تجايف العروق
الصوارب وهذه
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذى
قوامه بأجراء سنة الله
بالغذاء غالباً ويتصرف
بسلم الطب فيه
باعتدال مزاج الأخلاط
ولورود الروح الانساني
العالى على هذا
الروح تجنس الروح
الحيوانى وبان
أرواح الحيوانات

والنظر إلى شئ القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يجب إلالة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور والعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما انقسامه بالإضافة إلى الرغبة عنه قد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستقل بنقل الأقاويل ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل . فنقول: للرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لأحد الأقسام وبعضها أجمال للجمل . أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا ، والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، وإذا أموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كأن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذافهم طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى . فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمه للاحالة لأنه إنما يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أزداد دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردّها ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - فقال تعالى - قل متاع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المناقنين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوصوا وانتظروا إحدى الحسين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويأدرون إليه مبادرة الظلمان إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
فصار قسما محلا للنطق
والإلهام قال الله تعالى
- وتقس وما سواها
فألمها فجورها
وتقواها - فتسويتها
بورود الروح إلى الناس
عليها وانقطاعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فكوت النفس
بكون الله تعالى من
الروح العلوي وصار
تكون النفس التي
هي الروح الحيواني من
الآدمي من الروح
العلوي في عالم الأمر
تكون حواء من
آدم في عالم الخلق وصار
بينهما من التألف
والتماثل كما بين آدم
وحواء وصار كل واحد
منهما يذوق للآخر

وأما الناقون ضرروا من الزحف خوفا من الموت قليل لهم - إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم - فاشارم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فارجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فطارأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا بيمينهم الذي بايعوا به فهذا بيان الزهود فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم مآرا غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي اللبحة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أويس إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أويس أيضا الزهد هو ترك الطلب للضمون وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والعقول والزهد إنعما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد وللعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض مآه من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طوّلوها حتى ينقضي عمر الإنسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والمعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أقاويل ورأى ما نقلناه فلم نرى نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من مضمه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المتغيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث قد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدًا للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - إلا من أتى الله بقلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا لئلا يفرغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف الزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض وحل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات . وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال

عنارفة صاحبه قال الله تعالى - وجعل منازوجها ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العاوي إلى الروح الحيواني وصيره قسا وتكون من سكون الروح إلى النفس القلب وأعني بهذا القلب اللطيفة التي محلها اللبنة اللحمية فاللبنة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللبنة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الفرية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا الساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ماتكون القلب فن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالاضافة إلى خفايا ما يتركه فلانهاية للزهد فيه إذ لانهاية لما تمتنع به النفس في الحطرات والحفظات وسائر الحالات لاسيا خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه إلا محاسنة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تنهاهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا لما الذى بدا لك قال وما الذى تجد قال توسدك الحجر . أى تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس السجوح حتى تقب جلده تركا للتنم بلين اللباس واستراحة حس النفس فساءته أمة أن يلبس مكان السجج جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى وزرع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهدا وليس يبلغ من العز أن جلى في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما ألقى أنت إنما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل شبة ومحذور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن . فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالتهم وكل ذلك اشتغال بماسوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس فلهما اقتصر من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه المشتغل بملف الناقصة بسبقها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك بالذبات بل غرضك مقصور على دفع للمهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش للهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يتناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أتلفد بالأكل عند الجوع . فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في أيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيوار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة لما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الحائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا وتقصان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكشوف فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس وشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شاقا فمدته قريبة والاحتفاء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين لأنهم بسياسة الشرع للتعصمين بعروة اليقين في معرفة للضادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم فالفضول كالحيل للسوسة مثلا وإن قال الناس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوى مبال إليه وهو القلب للؤيد الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه خديجة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فذلك الإيمان فيه مثل البقلة يعمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يعمدها القيح والصديد فأى المادتين

إنما يقتنيا لثمنه ركوها وهو قادر على الشيء واللهم كالأكل والشرب ولنا قدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر المهم الضروري واللهم أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه وللهجات ستة أمور : الطعم واللبس والسكن وأثاثه والنكح والسال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من مجلتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربيع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه اللهجات الستة [الأول العظم] ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم عليه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طول له وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طول له فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طول له فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند عدة الجوع وخوف الرض ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضغفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لأن من أهل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كدواود الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأتقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا اعتماد من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في إ طعام للسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغاله به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الحبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والقدرة وأعلاه خبز البر غير منخول فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التتم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الأدم فأقله للحم أو البقل والحل وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن يتهي إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع المهلكات ولنظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الأدم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالأسودين القرم والماء (١) » وهذا ترك اللحم والبرقة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل الخوص ويلبغ أصابعه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد (٢) » وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم إنه من طلب الفردوس غيّر الشعير له والنوم على الزايل مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

(١) حديث عائشة كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

غلبت عليه حكم له بها والقلب للنكوس ميل إلى الأم التي هي النفس الأمارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في ميده إليها وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والمقل جوهر الروح العلوى ولسانه والذال عليه وتديره للقلب المؤيد والنفس الزكية للطمشة تدبير الوالد للولد البار والزوج للزوجة الصالحة وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الأمارة بالسوء تدبير الوالد للولد العاقي والزوج للزوجة السيئة فنكوس من وجه

ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر^(١). وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف في المطعم والشرب في ربيع المهلكات فلانبيده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال «أما إني لست أحرمه ولكن أركه تواسع الله تعالى»^(٢) وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذي كره رقيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمة والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفه والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [اللهم الثاني] اللبس وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر الدورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلى أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث القدر فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلبسه القعود في البيت ، فإذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث القدر ، أما الجنس فأقله المسوح الجشن وأوسطه الصوف الخشن وأعلى القطن الغليظ ، وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان عبا للدنيا وينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس»^(٤) وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على مائور أبدا ولا أملا جوف من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود^(٥) وفي الخبر «ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يزعه وإن كان عنده حبيبا»^(٦) واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم^(٧)

ومنجذب إلى تدبيرها من وجه إذ لا بد له منهما وقول القائلين واختلافهم في عقل القائل إن عقله الدماغ ومن قائل إن عقله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البارتارة وإلى العاق أخرى وللقلب والدماغ نسبة إلى البار والعاق فإذا روى في تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ وإذا روى في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوى بهم بالارتضاع إلى مولاه شوقا وحوا ونزها

الحديث تقدم ذون قوله إنما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٢) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بعسل فوضع القدح من يده الحديث تقدم (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس (٥) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد (٦) حديث ما من عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة (١) . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف (٢) . واشترى سراويل بثلاثة دراهم (٣) . وكان يلبس قميصين يضاوئ من صوف (٤) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات (٥) . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته ما ثمان دراهم (٦) فكان أصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة فجاءوا وكان قد أهدها إليه للقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزع وأرسل به إلى رجل من الثركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والدياج وكأنه لبسه أولا تأكيداً للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوم مات ثم نزع (٧) فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشترطى لأهلها الولاء (٨) فلما اشترطته سعد عليه السلام للبر فحرمه وكما أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح (٩) وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة لها علم فلما سلم قال شغافى النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم والتوى بأبيجانيته (١٠) يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شر الكثرة قد أخلق فأبدل بغير جديد فبلى فيه فلما سلم قال أعيذوا الشراك الحلقى واتزعوها هذا الجديد فأنى نظرت إليه في الصلاة

دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البرازين واشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف (١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده (٢) حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسل كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي (٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للمعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السائق من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان يلبس قميصين يضاوئ من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والخبرة . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الضرورية وعليه أحسن ما يكون من حلة اليمن وقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلة وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غايظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب العيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكبت عليه أبو داود واستغربه الترمذي والبراز من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي (٥) حديث كان قميصه كأنه قميص زيات الترمذي من حديث أنس بن مالك ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحته حتى كأن ثوبه ثوب زيات (٦) حديث لبس يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته ما ثمان دراهم أهدها للقوقس ثم نزع الحديث (٧) حديث لبس يوما خاتما من ذهب [١] ثم نزع متفق عليه وقد تقدم (٨) حديث قال لعائشة في شأن بريرة اشترطى لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها (٩) حديث أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١٠) حديث صلى في خيمة لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة.

[١] قول العراقي ثم نزع الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر راو ولم يكلم عليه الشارح فليظنراه .

عن الأكواف ومن
الأصفياء القلب
والنفس فإذا ارتقى
الروح نحو القلب إليه
حنو الولد الحنين
البار إلى الوالد وحن
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حينئذ والدة
الحنينة إلى ولدها وإذا
حننت النفس ارتقت
من الأرض وانزوت
عروقها الضاربة في
العالم السفلي وأنطوى
هواها وانحسرت
مادته وزهدت في الدنيا
وتجافت عن دار
الغرور وأثابت إلى دار
الخلود وقد تغلغل النفس
التي هي الأم إلى
الأرض بوضعها الجبلي
لتسكنها من الروح
الحيواني الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على المنبر فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثنتين جديدتين فأعجبهما حسنهما فخر ساجدا وقال : أهيبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يعقبنى ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه» (٢). وعن سنان بن سعد قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجملت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال «انظروا ما أحسنها وما أليها قال قام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هيا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يبعث به قال فدفنها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في الحياكة» (٣). وعن جابر «قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الأبل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزله الله عليه وسوف يعطيك ربك فترضى» (٤). وقال صلى الله عليه وسلم «إن من خيار أمتي فيما أنبأني للأنبياء الأئمة قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤتمن على الناس خفية وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقدنهم عند العرش» (٥). فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللباس «وقد أوصى أئمة عامة باتباعه إذ قال «من أحبني فليستق بسنني» (٦) وقال «عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» (٧) وقال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحقوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه» (٨). «وعد على قبري عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم. ولبسه وهو في الخلافة وقطع كية من الرنين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من ريشه. وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يعقرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليجري وأنا أصلي فأدعه يجوز ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأمقته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دنانير. وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشربها ما خدمته. وقال بعض السلف : البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني : الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم من رقى ثوبه رقى دينه

(١) حديث لبس خاتما فنظر إليه على المنبر فرمى به وقال شغلني هذا عنكم الحديث تقدم (٢) حديث احتذى ثنتين جديدتين فأعجبهما حسنهما الحديث تقدم (٣) حديث سنان بن سعد حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار الحديث أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد قوله وأمر أن يحاك له أخرى فهمي عند الطبراني فقط وفيه زمعة بن صالح ضعيف ويقع في كثير من نسخ الإحياء سيار بن سعد وهو غلط (٤) حديث جابر دخل على فاطمة وهي تطحن بالرحى الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف (٥) حديث إن من خيار أمتي فيما أنبأني النبي الأئمة قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا من خوف عذابه الحديث تقدم وهو عند الحاكم والبيهقي في الشعب وضعفه (٦) حديث من أحبني فليستق بسنني تقدم في التلخيص (٧) حديث عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين الحديث أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (٨) حديث قال لعائشة إن أردت الحقوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء

ومستندها في ركونها إلى الطبايع التي هي أركان العالم السفلى . قال الله تعالى - ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه - فإذا سكنت النفس التي هي الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب للنكس انجذاب الولد إلى والدته والوالدة للموجة النافسة دون الوالد الكامل للستقيم وتنجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد إلى ولده فمعد ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة

وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول ذلك الزى وفي الخبر « البذاعة من الإيمان » وفي الخبر « من ترك ثوب جمل وهو بقدر عليه تواضع لله تعالى وإتقاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقرى الجنة في تحت الياقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي وانظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم النعمى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التعم وقال « إن الله تعالى عبادا ليسوا بالمتعنين (١) » ورؤى فضالة بن عبيد وهو والى مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الأمير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نحتنى أحيانا (٢) . وقال على لعمر رضى الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارع القميص ونكس الإزار واخشف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخشوشنوا وإياكم وزى الصجم كسرى وقصر . وقال على كرم الله وجهه من زيا زى قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمتى الذين غدوا بالنعم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتصدقون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشر من أمتى إلا مراء أو أحرق (٥) » وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ماعداك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا تيميني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو تقرا فأشكو ربى وقال أبو سليمان لما اتخذ الله إبراهيم خيلا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل أحدهما لبس

الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التعم وقال إن الله عبادا ليسوا بالمتعنين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء [١] وأمرنا أن نحتنى أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أمتى الذين غدوا بالنعم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمتى وقد تقدم (٤) حديث أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشر من أمتى إلا مراء أو أحرق لم أجده له إسنادا .

[١] الإرفاء بكسر الهمزة ثم راه ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست بتاء : التدهن والتجليل كل يوم . وقيل التوسع في الطعام والمشرط برهان اه .

- ذلك تقدير العزيز
العليم - . وقد ورد
في أخبار داود عليه
السلام أنه سأل ابنه
سليمان أين موضع العقل
منك قال القلب لأنه
قالب الروح والروح
قالب الحياة . وقال
أبو سعيد القرشي
الروح روحان روح
الحياة وروح المات فاذا
اجتمعا عقل الجسم
وروح المات هي التي إذا
خرجت من الجسد
يصير الحي ميتا وروح
الحياة ما به مجارى
الأنفاس وقوة الأكل
والشرب وغيرها ،
وقال بعضهم : الروح
نسيم طيب يكون به
الحياة والنفس ريح
حارة يصحون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلطان الفارسي رضى الله عنه مالك تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فإذا عتق الله والله ثياب لا تبلى أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام يصلي ، وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلغنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من الزابل ويضلعها ويلبسها قلت إنك تكسى خيرا من هذا فقال ماضرم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويسكن [اللهم الثالث] للسكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موصفا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موصفا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سقف أو خص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة فإن كان قدر سعة السكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج به هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالسكنية حد الزهد في السكن فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراود للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا والآخرة وسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والفرض من السكن دفع للطر والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدبر والتشديد يعني بالتدبر كف دروز الثياب فاتها كانت تشل شلا والتشديد هو البنيان بالجص والآجر وإنما كانوا يبنون بالسقف والجريد (١) وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود الجماني » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علا بها (٢) « ومروا عليه السلام بمجنونة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير (٣) » وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لبنة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسقف والجريد أما مثل الثياب من غير كف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء في الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهم من حديث أبي سعيد كان المسجد على عريش فوق كف للمسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه له كان قد علاها الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بمجنونة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنيذة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لبنة الحديث ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مر سلا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عنى أوسره أن ينظر إلى فلان ينظر إلى أشعث شاحب مشعر لم يضع لينة على لبنة الحديث وإسناده ضيف .

الحركات للذمومة
والتهنؤات ويقال
فلان حار الرأس وفي
الفصل الذي ذكرناه
يقع التنبيه بماهية
النفس وإشارة الشايع
بماهية النفس إلى
ما يظهر من آثارها
من الأفعال للذمومة
والأخلاق للذمومة
وهي التي تعالج بحسن
الرياضة لإزالتها
وتبديلها بالأفعال
الريضة زوال الأخلاق
الريضة تبدل . أخبرنا
الشيخ العالم رضى الدين
أحمد بن اسمعيل
القزويني قال أنا إجازة
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس الحلبي قال أنا
القاضي محمد بن سعيد
الفرخزادي قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين»^(١) وقال عبد الله بن عمر «مررت علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا فقال ما هذا قلنا نخص لنا قدوهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك»^(٢) واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب قليل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قدمال عليه قليل له لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة»^(٣) وفي الخبر «كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين»^(٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرياسة والتطاول في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حر» أورد^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكاه إليه ضيق منزله «اتسع في السماء»^(٦) أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بحص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون - فأوقد لي يا هامان على الطين - يعني به الآجر ويقال إن فرعون هو أول من بنى له بالحص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبارة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيت مبنيا من رصاص ثم رأيت الآن مبنيا بالبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيرا من أصحاب البن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصرأ له وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الخشب والجلود وهي عادة العرب الآن يلاذ اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة. قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف، وقال عمرو

أبو اسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السفياني
قال حدثنا محمد
ابن الحسن القطيني
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
القيلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن لهيعة عن
خالد بن يزيد عن

ورأى آخر شرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه إنما يراد المقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الحزف في كل ما يكتفي فيه الحزف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذى معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ التناع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء لتخفيف وأعلها أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحديس فان زاد في العدد أوفى قلته الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف^(١) . وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا لعباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف ، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فسمعت عينا عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقصر وماها فيه من اللك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك^(٢) . ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له مامعك من الدنيا فقال معي عصا أتوكأ عليها وأقل بها حية إن لقيتها ومعى جرابي أحمل فيه طعامي ومعى قصعتي أكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبين ومعى مطهرتي أحمل فيها شراي وطهوري للصلاة لما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله . ووقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فسأله أبو رافع فقال من أجل السر والسوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فيهما وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال بأبي أنت قد أحسنت^(٣) .

النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتم محل الذوق وهكذا النفس محل الأوصاف المذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيب والثاني الشره وطيبها من جهلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طيبها بكثرة مستديرة على مكان أملس

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لعباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف الترمذي في الشائل من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع الحديث لم أره مجموعا ولأبي داود وابن ماجه من حديث صفينة بإسناد جيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعل النظر فارجعه الحديث والنساء من حديث ثوبان بإسناد جيد قال جاءت ابنة هبيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها فنخ من ذهب الحديث

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كلار آيته ذكرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان»^(١) وفرغت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدًا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فإزال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها عدي العباءة الخلقة ونعني هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة^(٢) وكذلك أته دنائير خمسة أو ستة ليلا فيبيتها فسهري ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنهما فنام حينئذ حتى صمت غبطة ثم قال «ما ظن محمد بربه لولق الله وهذه عنده»^(٣) وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار مالا أحدم إلا توبه وما وضع أحدم بينه وبين الأرض ثواب قط كان إذا أراد النوم ياتر الأرض بحسمه وجعل توبه فوقه [الهم الخامس] النكاح وقد قال قائلون لامعنى للزهد فى أصل النكاح ولا فى كثرتة وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حجب إلى سيد الزاهد بن النساء فكيف زهد فيه بن وواقه على هذا القول ابن عينة وقال كان أزهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبيع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغول والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون المزوجة أفضل فى بعض الأحوال كما سبق فى كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه آفة فى تركه ولا فاضله ولكن ترك النكاح احترازًا عن ميل القلب إلى البهيم والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله وترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازًا من لذة النظر والمضاجعة والواقعة فليس هذا من الزهد أصلاً فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات واللذة التى تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره إذ لم تكن هى المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الحبز وشرب الماء احترازًا من قدة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شيء لأن فى ترك ذلك فوات بدنه فكذلك فى ترك النكاح انقطاع

وفيه أنه وجد فى يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فيمت فاعترت بتمنها عبدا فأعتقه فلما سمع قال الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار (١) حديث رأى على باب عائشة سترًا فتهتك الحديث الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديثها (٢) حديث فرغت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدًا وفيه كان ينام على عباءة مثنية الحديث ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فأنطلقت فبعثت إلى بفراش خشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه مجاهد بن سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة التقدم ذكره من التماثل (٣) حديث أته دنائير خمسة أو ستة عشاء فيبيتها فسهري ليله الحديث وفيه ما ظن محمد بربه لولق الله وهذه عنده أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما فعلت بالذهب فجاء ما بين الحمة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها يده ويقول ما ظن محمد الحديث وزاد أنفقها وفى رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غام [١] الوجه قالت لحسبت ذلك من وجع فقلت يابى الله مالك غام الوجه قال من أجل الدنياير السبعة التى أنقنا أمس أمسينا وهى فى خصم الفراش وفى رواية أمسينا ولم تنفقها .

[١] غام بالمجعة متغير يقال شهم تغير عن حاله لغرض اهـ .

مصوب لا تزال متحركة
يجلبها ووضعها وشبهت
فى حرصها بالفراش
الذى يلقي نفسه على
ضوء الصباح ولا يفتح
بالضوء اليسير دون
المجروح على جرم الضوء
القوى فيه هلاكه فمن
الطيش توجد الصبغة
وقلة الصبر والصبر
جوهر العقل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا ينلها إلا
الصبر إذ العقل يجمع
الحوى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وهما اللذان ظهرا فى
آدم حيث طمع فى
الحلوة لحرص على أكل
الشجرة وصفات النفس
لها أصول من أصل
تكونها لأنها مخلوقة

نفسه فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة
ولأنه نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله
كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن^(١) والاتفاق عليهن^(٢) فلامعنى لزهد فيهن^(٣) حذر من مجرد كثرة
الوقوع والنظر ولكن أن يتصور ذلك تغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان
فينبئ أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهم أو جمال
للرأفة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان: الزهد في النساء أن يختار للرأفة الدون
أو اليتيمة على الرأفة الجميلة والشريرة. وقال الجنيد رحمه الله أحب للمرید البتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث
والأخير حاله: التكسب وطلب الحديث والزواج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع
لحمه فإذا ظهر أن كثرة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيها جميعا [اللهم السادس]
ما يكون وسيلة إلى هذه الخسة ، وهو المال والجاء: أما الجاء فضاء ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل
به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وانفق إلى
من يخدمه انفق إلى جاء لا محالة في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يتم بخدمته وقيام
القدر والمحل في القلوب هو الجاء وهذا له أول قريب ولكن يتماهى به إلى هاوية لا عمق لها ومن حرم
حول المحي بوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب ثمن أو لدفع ضرر أو لخلاص
من ظلم فأما النفع فيمن عنه المال فان من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للاستأجر قدر وإنما
يحتاج إلى الجاء في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاء في بلد لا يكمل
فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بعمل له في قلوبهم أو محل له
عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضب لاسيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والمحاضن
في طلب الجاء سالك طريق الملاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يمهده من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين
المسلمين فأما التوهجات والتفديرات التي تنحوي إلى زيادة في الجاء على الحاصل بغير كسب فهي أوهام
كاذبة إذ من طلب الجاء أيضا لم يحل عن أذى في بعض الأحوال فصلاح ذلك بالاحتمال والصبر أولى من
علاجه بطلب الجاء ، فأذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا واليسير منه داع إلى الكثير وضراوته
أشد من ضراوة الحر فليحترز من قليله وكثيره . وأما المال فهو ضروري في العيشة أعنى القليل منه
فان كان كسوبا فإذا كتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم إذا اكتسب حبتين
رفع سفظه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك إلى ما يكفي أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء
الزهاد وأقربائهم جميعا وإن كانت له ضيقة ولم يكن له قوة يمين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي
ربيعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته
ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو إسحق القرني رحمه الله فلا يكون هذا
من الزهاد وقولنا إنه خرج من حد الزهاد نفي به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من القامات
المحمودة لا ينالها إلا قاسم الزهد قد لا يبارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من القسول والكثرة وأمر للتفرد في
جميع ذلك أخف من أمر العيل وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه
فان أجابوا وإلا تركهم وفضل بنفسه ماشاء معناه أن التضييق الشروط على الزاهد يحصه ولا يلزمه كل
ذلك في عياله ، نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١) حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والاتفاق عليهن تقدم في النكاح .

من تراب ولها بحسبه
وصف وقيل وصف
الضف في آدمي من
التراب ووصف البخل
فيه من الطين ووصف
الشهوة فيه من الحمأ
للننون ووصف الجهل
فيه من الصلصال
وقيل قوله كالقمار فهذا
الوصف فيه شيء من
الشيطنة لدخول النار
في القمار فمن ذلك
الحذاع والحيل والحسد
فمن عرف أصول
النفس وجبلاتها عرف
أن لا قدرة له عليها
إلا بالاستئانة بياربها
وقاطرها فلا يتحقق
المبد بالانسانية
إلا بعد أن يدبر
دواعي الحيوانية فيه
بالعلم والعدل وهو

إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فإذا ما اضطر الإنسان إليه من جاء ومال ليس يحذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل ولتقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء ناعما لكنه قليل الضرر والسم محذور شره والدواء فرض تناوله وما بينهما مشقة أمره فمن احتاط فأنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فأنما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما لا يريه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرقة الناجية لأحالة ، والمقتصر على قدر الضرورة والله لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة الشروط ، ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا خفت أن أسألك منها شيئا فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يغبر أحوال الأغنياء وما عليهم من الحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الدل فيه ، وظاية سعادته به أن يسلم لورثته فيما كلونه ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حيا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلاصا فيموت وبهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاء والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراآة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصده الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه إلى أن يفرق ملك اللوت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معاقلة بالدنيا التي فاتته وخافها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومغالب ملك الموت قد علق بمرور قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمفشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي ينشر بالمفشار إنما ينزل للؤلؤ يده ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث إنره فما ظنك بألم يتسكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقيه قبل مابراه من حسرة موت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين ، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مساطة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ، ففسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا ما نقت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فانك مفارقة (١) وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر :

(١) حديث نقت في روعه أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم

رعاية طرفي الإفراط والتفريط ثم بذلك تقوى إنسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيموال الأخلاق للذمومة وكال إنسانيته ويتقاضاه أن لا يرضى لنفسه بذلك ثم تكشف له الأخلاق التي تنازع بها الربوبية من الكبر والعز وروية النفس والعجب وغير ذلك فيرى أن صرف السودية في ترك المنازعة الربوبية والله تعالى ذكر النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف : بالطمأنينة قال - يا أيها النفس المطمئنة - وسماها الوامة

كدود كدود القز ينسج دائماً وبهك غما وسط ماهو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالسكينة حتى قال الحسن : رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالحسب والرخاء لو رأيتهم قلم عجائنين ، ولورأوا خياركم قالوا المهولاء بمن خلاق ، ولورأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء يوم الحساب . وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لاهلته يخاف من فسادة والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام بعجب يدخل النقي الجنة أو قال بشدة . مالك والحقى . فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل النقي الجنة أو قال بشدة . وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالشرق وملكبان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير حلم ويا باغى الشر أقصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لدوا للموت وأبنوا لغراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتعوا اطول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد بطن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب للدج بالزهد فسكن من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا دبرا لآباب له وإتمام سريرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والسياب الرقيقة كما قال الخواص في وصف الدعين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يعوّهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى الساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعة غيرهم . هذا إذا طولبوا بالخفائق وألجئوا إلى الضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهديب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فقلبتهم فادعوا حالاً لهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله . فاذن معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يحول في باطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إمامة الدنيا وإمامة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدر فالداء إذا دخل خرج الهواء ولا يحمطان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشغل بشيء

قال - لا أنسى يوم
القيامة ولا أنسى
بالنفس اللوامة -
وسماها أمارة ، فقال
- إن النفس لأمارة
بالسوء - وهى نفس
واحدة . ولها صفات
متقاربة ، فإذا امتلأ
القلب سكينه خلج
على النفس خلج
الطمانينة لأن السكينة
مزيد الإيمان وفيها
ارتقاء القلب إلى مقام
الروح لما منح من
حظ اليقين وعند
توجه القلب إلى محل
الروح تتوجه النفس
إلى محل القلب ، وفي
ذلك طمانينتها وإذا
ازدهت من مقام
جبلاتها ودواعي
طبيعتها متطلعة إلى

وقد لك قيل لبعضهم إلى ماذا أفنى بهم الزهد فقال إلى الأنس بالله . فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لهما ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام : اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لابد وأن يكون في أحد هذين المقامين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده للدع والهم والوجود والعدم ولا يستدل بمسألة قليلا من المال على فقد زهده أصلا . قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير ، فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لا يتوسد حجرا كفافه للسبح عليه السلام ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجري على الطمع في غايته وإن كان قطع الرضاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاضده شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لسكل كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والدمع والهم وذلك لطبقة الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لاحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطا أو أعمر مسجدا . وقال يحيى ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من اللذات . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصراني : الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رغبة . وقال أيضا الزاهد قد يسهطك الخلل والخرذل والعارف يشمك السك والصبر وقال له رجل متى أدخل خانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأصدمع الزاهدين ، فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك في السرى حدلوقطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضمف في نفسك . فأما ما تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح . وقال أيضا : الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويغرق ثوبها ، والعارف يشتمل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السري ما رست كل شيء من أمر الزهد قلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطلقه . وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى .

مقار الطمانينة فهي
لوامية لأنها تعود
بالألمة على نفسها
لنظرها وعلها يعمل
الطمانينة ثم انجذباها
إلى محلها التي كانت
فيه أماراة بالسوء ،
وإذا أقامت في محلها
لا يشاها نور العلم
والعرفة فهي على
ظلمتها أماراة بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فتارة
يملك القلب دواعي
الروح ، وتارة يملكه
دواعي النفس . وأما
السرى فقد أغار
القوم إليه ووجدت
في كلام القوم أن
منهم من جعله بعد
القلب وقبل الروح ،
ومنهم من جعله بعد

﴿ كتاب التوحيد والتوكل ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر الملك والمكوت المنفرد بالمنة والجبروت الرافع للساء بغير حماد القدر فيها أرزاق
البناد الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب
ورفع همهم عن الالتفات إلى ماعدا والاعتماد على مدبر سواه فلم يبدؤا إلا بإياه علما بأنه الواحد القدر
الصمد الإله وتحققا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثاله لا يبتغي عندهم الرزق وأنه ما من ذرة
إلا إلى الله خافها وامن دابة إلا على قدر رزقها فلما تحققت أنها لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا
عليه فقالوا حسنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل الهادي إلى سواء السبيل وعلى
آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اللوقين بل هو من معالي درجات
القرين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث
الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتناقل عنها بالكلية طعن في السنة
وقدح في الشرع والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تثير في وجه العقل وانقماش في
غمرة الجهل وتحقق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقضى التوحيد والنقل والشرع في غاية
الندوض والصبر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الحفاء لإحسان الطاء الذين اكتحلوا
من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل
التوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب المتوكلين -
وأعظم بمقام موسوم بحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه
وكافيه وحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى -
أليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو المكذب لهذه الآية فانه سؤال
في معرض استنطاق الحق كقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا -
وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عزير حكيم - أي عزيز لا ينزل من استجار به ولا يضيع
من لاذ بحبائه والتجأ إلى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى
- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر لحاجته
مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين تصدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - وقال عز وجل - والله خزائن السموات والأرض ولكن للشاكرين
لا يقهون - وقال عز وجل - يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه - وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد
فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار . وأما الأخبار : فقد قال

الروح وأعطى منها
وألطف وقالوا السر
عمل للشاهدة
والروح عمل الحجة .
والقلب عمل المعرفة
والسر الذي وقت
إشارة القوم إليه غير
مذكور في كتاب
الله وإنما للذكر
في كلام الله الروح
والنفس وتنوع صفاتها
والقلب والقواد والعقل
وحيث لم نجد في كلام
الله تعالى ذكر السر
بالمعنى المشار إليه ورأينا
الاختلاف في القول
فيه وأشار قوم إلى أنه
دون الروح وقوم إلى
أنه ألطف من الروح
فنقول والله أعلم : الذي
سموه سرا ليس هو
شيء مستقل بنفسه

﴿ كتاب التوحيد والتوكل ﴾

صلى الله عليه وسلم فما رواه ابن مسعود وأريت الأم في اللوسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل فأهبطني كثيرهم وحياتهم قبل لي أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل : من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وترجع بظانا ^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم : «من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله اليها ^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم : «من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ^(٤)» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني ربّي عز وجل قال عز وجل - وأمرأهلك بالصلاة واصطبر عليها - ^(٥)» الآية وقال عليه السلام : «لم يتوكل من استرقى واكتوى ^(٦)» وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالمجنين أنك حاجة قال أما إليك فلا واه بحسب الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأرسل الله تعالى - وإبراهيم الذي وفى - وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدأود مامن عبد يتصم في دون خلق فتكبه السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا . وأما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدهغني عن قرب فأقسمت على أمي لتسترقني فناولت الراقي يدي التي لم تدهغ وقرأ الخواص قوله تعالى - وتوكل على الحى الذى لا يموت - إلى آخرها فقال ما ينفع لأبعد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك الضمون لك من الرزق عن الفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأثور بطاب العبد . وقال إبراهيم بن آدم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سر ربّي من أين يطعمني . وقال هرم ابن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف العيشة قال أويس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأم في اللوسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل الحديث رواه ابن منيع بإسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الحديث الترمذي والحاكم ومحمد بن حنبل من حديث عمرو وقد تقدم (٣) حديث من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه الحديث في الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربّي قال تعالى - وأمرأهلك بالصلاة واصطبر عليها - الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيعدهم معاً من جد أبيه (٦) حديث لم يتوكل من استرقى واكتوى الترمذي وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له إلا أنه قال أو من حديث الثوري بن شعبة وقال الترمذي من اكتوى أو استرقى فقد برى من التوكل وقال النسائي ما توكل من اكتوى أو استرقى .

له وجود وذات كالروح
والنفس وإنما
صفت النفس وتزكت
انطلق الروح من وثاق
ظلمة النفس فأخذ في
العروج إلى أوطان
القرب واتزح القلب
عند ذلك عن مستقره
متطلعا إلى الروح
فأكتسب صفاتا لها
على وصفه فانجم على
الواجدين ذلك الوصف
حيث رأوه أصفى من
القلب فسموه سرا
ولما صار للقلب وصف
زائد على وصفه بطلعه
إلى الروح اكتسب
الروح وصفًا زائدا
في عروجه وانجم
على الواجدين فسموه
سرا والذي زعموا أنه
الطف من الروح روح

لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الوعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل . فلنبداً ببيان العلم الذي هو الأصل وهو للمسمى إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى مسمى يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدره التي يترجم عنها قولك : لا إله إلا الله والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك : وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فاذن لا تعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والألفاظ التوحيد هو البحر الحظم الذي لا ساحل له فتقول : للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب القلب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولتلك ذلك تقريبا إلى الأقسام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب القلب فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كاصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم يرفسه لكونه مستقرا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه في عن رؤية نفسه والخلق فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تصنف بالمعاصي عقده ولهذا القدر حيلة تصديها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا إحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلم وهو في مقابلة البتدع ومقصده دفع البتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص التكلم باسم للوحد من حيث إنه بمعنى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا أفعالا واحدا إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة العوام والتكلمين إذ لم يفارق التكلم العاصي في الاعتقاد بل في صنعة تليف الكلام الذي به حيل البتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ، فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثاني كالقشرة السفلى ، والثالث كاللب ، والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر الدقيق وإن نظر إلى باطنه فهو كركي للنظر وإن أخذ

متصفة بوصف أخص
بما عهدوه والذي سموه
قبل الروح صرا هو قلب
اتصف بوصف زائد
غير ما عهدوه وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب ترقى النفس
إلى محل القلب وتخدع
من وصفها فصيرت
مطمئنة ترتد كثيرا
من مردات القلب من
قبل إذ صار القلب يريد
ما يريد مولاه متبرئا
عن الحسول والقوة
والارادة والاختيار
وعندها ذاق طعم
سرف العبودية حيث
صار حرا عن إرادته
واختياره وأما العقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح بمثابة

حطبا أطقا النار وأكبر الدخان وإن ترك في البيت ضيق السكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر عديم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد للتائق يصون بدنه عن سيف الفزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيد فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتحميه عن الفساد عند الادخار وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والشاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك الشرح هو للراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وبقوله عز وجل - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وكان القلب نقيس في نفسه بالإضافة إلى القشرة وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصاره بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الضمير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق. فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا . فأعلم أن هذه غاية علوم الكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم العاملة، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك تمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من للشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ تقول إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والمثلث إلى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواء كثير وبعضها أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق الفرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم الشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم يبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة نظراً كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام أندر عز نزول إلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال فيأذنت فقال أدور في الأسفار لأصح حال في التوكل وقد كان من التوكلين فقال الحسين قد أنيت عمرك في عمران باطنك فأين القناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال . فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيان وليس التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول وهو النفاق فواضح. وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والقلبي بشهادة
اللسان . وقد ورد في
الحجر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال لا يؤمن من لم يثق
الله العقل فقال له أقبل
فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال له أقعد
فقفص ثم قال له انطلق
فطلق ثم قال له اصمت
فصمت فقال وعزني
وجعلني وعظمتني
وكبريائي وساعدي
وجبروتي ما خلقت
خلقا أعجب إلي منك
ولا أكرم علي منك
بك أعرف وبك
أحمد وبك أطاع
وبك أخذ وبك
أعطى وإياك أعاتب
ولك الثواب وعليك
العقاب وما أكرمك

البندعة فيه مذكور في علم السلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه . وأما الثالث : فهو الذي يبنى عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وقهر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الملتزم بآباده و اختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الافراد دون غيره وما سواه مسخرون لاستقلالهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا انفتحت لك أبواب الكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً آتياً من الشاهدة بالبصر وإنما يصعدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتنى به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسنين : أحدها الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتقادك على الطرفين خروج الزرع ونباته ونعائه وعلى النعم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع النعم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ، ولذلك قال تعالى - فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاهم ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالنفاث العبد في النجاة إلى الريح يضاهي النفاث من أخذ لتحز رقبتك فكنت الملك توقيماً بالعمو عنه وتخليت فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطريه القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والنعم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائباً وأيسر عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأنت في المهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقبتك وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضاً نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو السخر له وعند هذا زل أقدم الأكرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضمائم كون القلم مسخراً وعرفوا أن غلط الضمائم في ذلك كغلط النملة مثل لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلاً عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم هو السواد للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لفريق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوقه في الطريق

بشيء أفضل من الصبر » وقال عليه السلام « لا ينجيكم إلا سلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله » وسألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم قالت قلت « يا رسول الله بأي شيء يتفاضلون الناس ؟ قال بالعدل في الدنيا والآخرة قالت قلت أليس يجزي الناس بأعمالهم ؟ قال يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبغير عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون » وقال عليه السلام « إن الرجل لينطلق إلى السجد فيصلي وصلاته

على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرة التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أثنى به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وإنما أريد به مما يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فإن قلت فهذا أهوية لا يجلبها العقل فصف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدمت وكيف شهدت على نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله يتناهي فأنها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الآية ثم إنها تتناجي بأسرار الملك والملكوت وإفشاء السر لئلا يطلع على صدور الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد توجس بخفاياه فتأذى بسره على ملائمة الخلق ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون . ولما انتهى عن إفشاء السر القدر (٢) . ولما قال « إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا » (٣) . ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب الشاهدات ما نمان : أحدهما استعجال إفشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن الحصر والتهاية ولكننا في اللال الذي كفايه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الإجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونزد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه قال الكاغد ما أنصفتي في هذه المقالة فاني ماسودت وجهي بنفسى ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهيرة التي هي مستقره ووطنه فها فرعن الوطن ونزل بساحة وجهي ظمنا وعدونا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتي فاني كنت في الهيرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطعمه الفاسد واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادى وفرق جمعي وبددني كاتري على ساحة يضاء فالسؤال عليه لاطي فقال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظله وعدوانه وإخراج الخبر من أوطانه فقال مل اليد والأصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الأنهار منتزها بين خضرة الأشجار فجاءتني اليد بسكين فحقت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الخبر وممراته وهي تستخدمني وتمشي على قمة رأسي ولقد ثرت للبحر على جرحي بسؤالك وعتابك فتتبع عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أوحسا يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركبي فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي تردني

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النبي عن إفشاء سر القدر ابن عدى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا فقد عز وجل سره انظر أبي نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف ولا تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن حبان في الضعفاء وتقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا تصل جناح بموضة
وإن الرجل ليأتي
المسجد فيصلي وصلاته
تعدل جبل أحد إذا
كان أحسنها عقلا
قبل وكيف يكون
أحسنها عقلا ؟ قال
أورعها عن محارم
الله وأحرصها على
أسباب الخير وإن
كان دونه في العمل
والنطوع . وقال :
عليه الصلاة والسلام
« إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أشتاتا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وبرهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل
كالدرة في جنب أحد »
وروى عن وهب بن

وتجول في نواحي الأرض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي الوثني تساوين في صورة الأحم والعظم والدم ثم لامعاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم فصل القدرة عن شأني فإني مركب أزجني من ركني فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترديد ما قالت دع عنك لومي ومعاتبي ففهم من لأم معلوم ومكن معلوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أنني ظلمت اليد لما ركبته وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أستسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي أنني ميتة أو معدومة لأنني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزجني وأرهنني إلى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على عناقته وهذا الموكل يسمى الإرادة ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله إذ أزجني من غمرة النوم وأرهنني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيت فقال صدقت ثم سألت الإرادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة الطمئة حتى صرقتها إلى التحريك وأرهنها إليه إرهابا لم نجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الإرادة لا تميل على فعل لما عذرا وأنت تلوم فإني ما انتهضت بنفسى ولكن أنهضت وما انتهضت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل بعثته ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإشخاص للقدرة فأشخصتها باضطراب فإني ميكنة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأى جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكفى أدري أنني في دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أوالظالم وقد وقعت عليه وقفا وألزمت طاعته إلزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتخير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجز حكمه أزججت بطبيع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فصل العلم عن شأني ودع عنى عتابك فإني كما قال القائل :

مضى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تغار قهس فالراجلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعتابا لإيام على استنصاح الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقش في يابض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسى ففهم كان هذا اللوح قبل خاليا عن فصل القلم عنى لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فعند ذلك تنفع السائل ولم يقنع جواب وقال قد طال نحي في هذا الطريق وكثرت منازل ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكني كنت أطلب نفسا بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في القواد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط ونقش وإنما خطى قلم فلست أفهمه فإني لأعلم قلما لإلصاق القصب واللوحة بإلصاق الحديد والخشب ولا خطا إلا بالحجر ولا سراجا إلا بالنار وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أسمع جمجمة ولا أرى طعنا فقال له القلم إن صدقت فياقلت بضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف . واعلم أن الهالك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه لما هذا بمشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استتمام الطريق إلى المقصد فألق معك وأنت شهيد . واعلم أن العلم في طريقك هذا ثلاثة عالم لك والشهادة أولها وقد كان السكاغد والحجر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت

منه أنه قال إني أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهية رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا. واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا تؤثر نقل الأقاويل وليس ذلك من غرضنا قال قوم : العقل من العلوم فإن الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فإن الخالي من معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

تلك للنازل على سهولة والثاني عالم للملكوت وهو ورأى فإذا جاوزته انتهى إلى منازل وفيه الهامه والقيح والجلال الشاهقة والبحار للفرقة ولا أدري كيف تسم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منها وإتعا عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والساء فلاهي في حد اضطراب الساء ولاهي في حد سكون الأرض وثباتها وكل من عسى على الأرض عسى في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يحوي على ركوب السفينة كان كمن عسى في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن عسى على الساء من غير سفينة عسى في عالم الملكوت من غير تنفع فإن كنت لا تتقدم على الشيء على الساء فأنصرف قد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الساء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي عسى به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوازداد يقينا لشي على الهواء» (١) لما قيل له إنه كان عسى على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل ذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذا نزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلم إلا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجمة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الدوات فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلبه الأفلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قلبه من قصب ولا لونه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا جوده زاج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فأراك إلا محنتا بين نحوه التزييه وآئونة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف زهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها وزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خالق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكأن مشبا مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصار لا بالأبصار فكأن سزها صرفا ومقدسا غلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فاعلمك نجد على النار هدى ولعلك من سرادات العرش تتأدى بما نودى به موسى - إني أنا ربك - فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه محنت بين التشبيه والتزييه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيتته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه نارا فلما تنفع فيه العلم بمحدثه اشتعل زيتته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة واخضع بصرك لملك نجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قيل له إن عيسى عسى على الماء قال لوازداد يقينا لشي على الهواء تقدم .

شرط ابتداء النظر
تقدم كال العقل فهو
إذن من العلوم
الضرورية وليس هو
جميعها فان صاحب
الحواس المختلة ناقص
وقد علم بعض
مدارك العلوم
الضرورية. وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب المحصن بأن
الداهل عن ذكر
الاستحالة والجواز
لا يتصف بكونه ناقلا
ونحن نرى الناقل في
كثير من أوقاته ذاهلا
وقالوا هذا العقل صفة
يتبها بها درك العلوم .
وقيل عن الحرث بن
أسد الهامسي وهو من
أجل الشايع أنه قال

فاذا هو كما وصفه العلم في التزييه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأسا ولأرأس له قضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزماته تعالى عن خيرا إذا الآن ظهر لي صدق أنبائه عن أوصاف القلم فاني أراه قلما لا أقلام فند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فاسفر إليه وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبث به الارادات إلى أشخاص القدر وصرفتها إلى للتدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصممت من جواب القلم إذ سأله فأحلك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فصل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يردني وأما قههور مسخر فلا فرق بين القلم الإلهي وقلم الأدمي في معنى التسخير وإنما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن عين الملك فقال القلم أما سمعت قوله تعالى - والسماوات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي يرد بها فاسفر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائب ما يزيد على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحصى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمن ويد لا كالأيدي وأصبع لا كالأصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة في القدرة إذ لا بد لا حكم لها في نفسها وإنما محركا القدرة لا محالة فاسفر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقق عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت إننا صفة فاسأل القادر إذ العدة على الوصفات لا على الصفات وعندها كاد أن يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - فحشيتة هيئة الحضرة غفر صفا يضطرب في غشيتها فلما أفاق قال سبحانه ما أعظم شأنك ثبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي إلا أن أسألك وأنضرع إليك وأبتهل بين يديك فأقول : اشرح لي صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأنني عليك فنودي من وراء الحجاب إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء بل أراجع إليه فما آتاك غفده وما نهاك عنه فاتهضه وما قاله لك قلله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال « سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتميت على نفسك » (١) فقال إلهي إن لم يكن لسان جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي إياك أن تتخطى رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق الأكبر فاقته فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول العجز عن درك الإدراك إدراك فيك فيك نصيما من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمائنا وجلالنا فنحن هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإزادة والقدرة وما بعدها أقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث المهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة لما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل والآن قد صبح عندي عذركم وانكشف لي أن للنفس بالملك والمكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فلما أنتم المسمخون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخرو الظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخرو هو صفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بآخر والظاهر ليس ياطن فقال هو الأول بالاضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر

العقل غريزة يتبها بها
درك العلوم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرناه في
أول ذكر العقل : أنه
لسان الروح لأن
الروح من أمر الله
وهي التحمة للأمانة
التي أبت السماوات
والأرضون أن يعملنها
ومنها يفيض نور
العقل وفي نور العقل
تشكل العلوم فالعقل
للعلوم بمثابة الروح
للسنوب وهو صفته
منكوس متطلع إلى
النفس تارة ومنتصب
مستقيم تارة فمن كان
العقل فيه منكوسا
إلى النفس فرقه في
أجزاء الكون وعدم
حسن الاعتدال
بذلك وأخطأ طريق

(١) حديث سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتميت على نفسك تقدم .

بالإضافة إلى سير السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يجمع الانتهاء إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى الماكفين في عالم الشهادة الطالبين لأدراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القمل : أعنى من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يتنى على الإيمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجد طريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت ، وم الدين حصرو العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لما شاهدناه بما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا شئ به قلنا نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملتهم فاني شاك أيضاً في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياماً قلائل وماكل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يجد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود قبل الإزالة والتقية اشتغلوا بتفقيته اشتغال الكمال بالأبصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلوه بحرف وصوت وردوا فدوة التوحيد إلى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزلل ضد بصاحبين والبلد يفسد بأمرين فيقال له على حد عقله إلى العالم واحد والدير واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارآء في عالم الشهادة فيفسد اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الأندباء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوراة . فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل الكشفي إثارة الأحوال إلا أنه في الثالب بضخو يتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شئ من ذلك بل لو كشف النطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى إنسانا في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومماثل للكاشفين والمتقين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكثرثوا بقوله فرعون - لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف - بل - قالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما نفى هذه الحياة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التضرير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فلما نظروا إلى مجمل السامري ومحموا خواره تغيروا ومحموا قوله - هذا الحكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا ينكث لهم صرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر

الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تأييد العقل بالبصيرة التي هي لروح بمثابة القلب واهتدى إلى الملكوت ثم عرف الكون بالملكوت مستوفيا أقسام المعرفة بالكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله إقباله في أمر دله على إقباله عليه وما كرهه الله في أمر دله على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجنب مساخطه وكما استقام العقل وتأيد بالبصيرة كانت دلالة على الرشد ونبيه عن التضييق بعضهم : العقل على

إلى ثمان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا . فان قلت ماذا كثرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا . فاعلم أنه لو كان مع هذا إرادة إن إراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لسكان هذا منزلة التقدم وموقع الغلط لو كان علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه إذ لو كانت إليه لافترقت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن المشيئة إليه فبها وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى الخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للبعد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى التدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا . فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ، فلنشرح الاختيار بلسان التكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متظفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به إلا العلم العامة ، ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرفة والخنجرة ويحرق اللئ إذا وقف عليه بحسبه فينسب إليه الحرق في اللئ والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها ثلاث عبارات فنسب خرقه للئ عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسب تنفسه فعلا إراديا ونسب كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو غطى من السطح للهواء انغرق الهواء لا محالة فيكون الحرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسية حركة الخنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انغراق الماء إلى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد الانغراق بعده وليس الثقل إليه وكذلك الإرادة ليست إليه ، ولذلك لو قصد عين الإنسان بارة طبق الأجفان اضطرابا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تضيض الأجفان اضطرابا فعل إرادى ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتضيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا . وأما الثالث وهو الاختيارى فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذى يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا الجبر بمعنى الاختيار فلنكشف عنه ، ويبان أن الإرادة تبع للعلم الذى يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذى تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بارة أو بدتك سيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعت الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف الخيز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع بمن غير روية ففكر فانبعثت الإرادة ههنا كما تنبعت لدفع السيف والسنان فإذا انبثت فعل ما ظهر للعقل

ضربين ضرب يصبر به أمر دنياه وضرب يصبر به أمر آخرته ، وذكر أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثانى من نور الهداية فالعقل الأول موجود في عامة ولد آدم والعقل الثانى موجود في الموحدين مفقود من المشركين . وقيل إنما صمى العقل عقلا لأن الجبل ظلمة فإذا غلب النور بصبره في تلك الظلمة زالت الظلمة فأبصر فصار عقلا لمجهل ، وقيل عقل الإيمان يستحسنه في القلب ومتممه في الصدر يتبين عيني القماد والذى ذكرناه من كون العقل لسان

أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبعث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعثاتها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية فلاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبعثت بإشارة العقل فيها إلى إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبثق الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحزن ربة نفسه مثلاً لم يمكنه لعدم القدرة في البدول لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبثق بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقاً وقتله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عتوة مؤلمة لا تطاق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن تردد بين شر الشرين فإن ترجح له بمد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالى ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقعت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبثق له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فأنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه فكلاً ولا فاذن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لأمته ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً محضاً موافقاً لحدث الحكم أيضاً جبراً فآذاه مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى اختياراً لأن الله تعالى مختار محض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان فذاً ثانياً واتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تغير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ للذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه . فإن قلت فهل تقول إن العلم ولد الإرادة والإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من المتقدم . فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وإن أبيت ذلك فإني أعني ترتيب البعض من هذا على البعض . فأعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المضي الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأمل الذي لم يبق كافة الحقائق عليه إلا الراسخون في العلم فأنهم وقفوا على كنهه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق ويان ذلك يطول ولكن بعض القديرات مرتبة على البعض في الحدوث ترتيب للشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص الكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والزموم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقت السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الأشياء في مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضيء بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداة إلى الاستقامة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبي المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الإلهية ومكاشفة بصيرته التي هي لروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأيد البصيرة فالبصيرة تعبط بالمعلوم التي يستوعبها العقل والتي

لا عين . ما خلقناهما إلا بالحق - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخراً إلا لا تتظار شرطه ولكل شرط قبل الشرط محال والحال لا يوصف بكونه مقدوراً فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا يتأخر عنها الإرادة بعد انعلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتديرو تفهم ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلاً لا يقرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن نقدر إنساناً محدثاً قد انتمس في الماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرفع وهو ملائق له فقدرة القدرة الأزلية حاضرة ملائمة له القدورات متعلقة بها ملائمة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها القدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل للماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل أنه الحدث ارتفع عن اليدين برضه عن الوجه لأنه حدث عقيه إذ يقول كان الماء ملائقاً ولم يكن رافعاً والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه، فأذن غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جهل بضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بفصل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن تذكرك من بحار التوحيد إلا فطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف مؤثته على اللسان وما أسهل اعتقاده مفهوم أنظروا على القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون العبد فاعلاً ومفعول من فاعلين غير مفهوم . فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجعلاً لمردها بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى واقفه عز وجل فاعل بمعنى آخر فعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه المحترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت القدرة بالله ارتباط المعلوم بالعلو وارتبط المحترع بالمتحترع وكل ماله ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعله كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فذلك سمى فاعلاً لكذلك ارتباط المقدرات بالقدرتين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بينهما مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت - قل بتوفاكم ملك الموت - ثم قال عز وجل - الله يتوفى الأنفس حين موتها - وقال تعالى - أفرأيتم ما تحمرون - أنصاف إليائهم قال تعالى - أنا صبينا الماء صبائهم شققنا الأرض شققاً فابتنا فيها حياً وعنباً - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم باروخاً فتمثل لها بشراً سوياً - ثم قال تعالى - فنفضنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه

يضيق عنها نطاق العقل لأنها تستمد من كلمات الله التي تنفذ البحر دون نقادها والعقل ترجمان يؤدي البصيرة إليه من ذلك شطراً كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ولهذا المعنى من حمد على مجرد العقل من غير الامتناء بنور الشرع حظى بعوالم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر

السلام وكما قال تعالى - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل - وقال تعالى - قاتلواهم بذهبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والعذيب إلى نفسه والعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلواهم ولكن الله قتلهم - وقال تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا ياناه - وقال - أفرأيتم ماتعون أنتم تخلقونه أم نعم الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام « إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم بصورها جسدا ، فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء ويخلق الملك ^(١) » وفي لفظ آخر « ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة » . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من ألقامه روحا يلج في جسم ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب يصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي والميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين في الخبر « أن ملكي الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحى الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المهيأ والمهيأ لا يميت ولا يحيى سواي ^(٢) » فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة « خذها لولم تأنها لأنتك ^(٣) » أضاف الاتيان إليه وإلى التمرة ، ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لأهله ^(٤) »

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم بصورها جسدا الحديث البزار وابن عدى من حديث عائشة إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره ثم آمن شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحى الأموات فأوحى الله إليهما أن كونا على عملكما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال للذي ناوله التمرة خذها لولم تأنها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصفه الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال للذي قال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد عرف الحق لأهله تقدم في الزكاة .

والقول دون الجامدين
على مجرد القول دون
البصائر وقد قال بعضهم
إن العقل عقلان عقل
لله داية مسكنه في القلب
وذلك للمؤمنين الموقنين
ومتعمله في الصدرين
عين الفؤاد والعقل
الآخر مسكنه في الدماغ
ومتعمله في الصدرين
عين الفؤاد قبل الأول
يدبر أمر الآخرة ،
وبالشأن يدبر أمر
الدنيا والذي ذكرناه
أنه عقل واحد إذا
تأيد بالبصيرة دبر
الأمرين وإذا تفرد
دبر أمرا واحدا وهو
أوضح وأبين ، وقد
ذكرنا في أول الباب
من تديره للنفس
الطمشة والأمانة

فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو التجوز والمستعير في كلامه والتجوز وجه كما أن الحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فيها فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالاضافة إلى نسبته إلى الجلال فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعت أي اللغوى للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوز به عما وضعه القوي له ولما جرى حقيقة للشيء على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: • ألا كل شيء ما خلا الله باطل •» (١) أي كل ما لا أقوام له بنفسه وإعما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة إلا الخالق القويم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وماسواه باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كُن الآن كُن لم تكن فانه اليوم كما كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر لتمامي الثواب والعقاب والنضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلان طول بعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسعها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليمتدده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يترتب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينا لا ضغف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما يحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وغفلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلهم على أسرار اللسكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضرر ثم أمرهم أن يدبروا الملك واللسكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولأن ينقص منها جناح بعوضة ولأن يرفع منها ذرة ولا أن يغفص منها ذرة ولا أن يدفع مرض أوعيب أو نقص أو فقر أو ضرر عمن بلى به ولا أن يزال همه أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر مارا أو افيا من مخاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وهجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منه ولا أنم ولا أكل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفضله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الألوية بل كل فقر وضرف الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة إلى شخص فهو نعيم بالاضافة إلى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تيمم الأصحاء بالصحة ولولا النار

ما يبتغى الانسان به إلى كونه عقلا واحدا • وبدا بالبصرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله اللهم للذواب [الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها]

أخبرنا شيخنا أبو النجيب للسروردي قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحسوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الحمداى عن عبد الله بن مسعود

(١) حديث أصدق بيت قاله الرب بيت لبيد : • ألا كل شيء ما خلا الله باطل •

متفق عليه من حديث أبي هريرة بلنظ قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكأن فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تغنيهم النعم على سكان الجنان بتعظيم القوة على أهل النيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يطلوا أن ذلك غاي لا يقبله إلا المألون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكشفون . والحاصل أن الخير والشر مقضى به وقد كان ماقضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه الرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع إلى علم العامة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثاني من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والعامل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع الضرر وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكتثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى الوكول إليه وكلا ويسمى للفوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبس فوكيل للخصومة من يكشف ذلك التلبس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقديه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبس حتى لا يخفى عليه من غوامض الخيل شيء أصلا وأما القدرة والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يدهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يخجل فانه ربما يطلع على وجه تلبس خصمه فيحتمل الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجريا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعتنا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تنفى دون العناية به إذا كان لاهمه أمره ولا يبالى به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شاكا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه لمطمئن نفسه إلى وكيله بل بقي منزيع القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذر من تصور

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن للشیطان لمة بابن آدم ولذلك لمة فأمانة الشيطان فأباعد بالشر وتكذيب بالحق وأمانة لللك فأباعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليمتوئذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان بعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - » وإنما يتطلع إلى معرفة اللتين وتميز الخواطر طالب يريد يتشوق إلى ذلك تشوق العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه

وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا جرم تفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والدلول كل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله فانه يحصل له يقين ينتهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصل يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لساناً وأقواماً بياناً وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال نفس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بمحنة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اكمل لعمالة قلبك عليه وحده ولم ياتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وإنزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج تبعاً للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فإن من يتناول عسلاً فشبه بين يديه بالعذرة ربما نقر طبعه وتغذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أنه يبيت مع الليث في قبر أو فراش أو يبيت نقر طبعه عن ذلك وإن كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جراد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحصره الآن ولا يحيه وإن كان قادر عليه كأنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السور أسداً وإن كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الليث في فراش أو الليث معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلنا غلخ الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام - أألم تؤمن من قال بلى ولكن ليطمئن قلبي - فالتقوى أن يكون مشاهداً إحياء الليث بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس للطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الليل والنهار فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وإنما يتبعون الظن وماتهموى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كأن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة لمؤمن من تته إنسان مثله وقد قال عليه السلام «من استعز بالبيد أذله الله تعالى» (١) وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبداً مراداً بالحظوة صفو اليقين ومنع اللوثين وأكسار التشوف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الأبرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ ومن الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطاع إلى معرفة اللتين ولا يهتم بتمييز الخواطر ومن الخواطر ما هي رسل الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتر بالبيد أذله الله العقيلي في الضمراء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن جبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحالته في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرغ إلى أحد سواها ولا يستمد إلا إياها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يغلبها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يأماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مغتره فانه قد وثق بكفالاتها وكفائتها وشفقها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طوب ب تفصيل هذه الحصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كاف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد نفى في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكلف والسكسب وليس فانيا عن توكله لأنه لا التفات إلى توكله وشعوره بذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأمانى قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الليث بين يدي الغامل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغامل الليث وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن لا يحدث جبرا فيكون باثنا عن الانتظار لما يجرى عليه ويفارق الصبي فإن الصبي يفرغ إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويسدو خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم تعلق بذيل أمه فالأم تعمله وإن لم يسألها اللبن فالأم تغامعه وتقيه وهذا التمام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمة ابتداها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والتمام الثاني لا يقتضى ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضى ترك السؤال من غيره فقط . فإن قلت فهذه الأحوال هل تصورها وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عزيز نادر والتمام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون التمام الثالث في دوامه إلا كمصفرة الوجه فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض والوجه عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تتمحى عن ظاهر البشرة الحرارة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فإن البشرة ستر رقيق تراه من وراء حرمة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما التمام الثاني فيشبه صفرة المعلوم فانه قد يدوم يوما ويومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول . فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن التمام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهتوت والتمام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفرع إلى الله بالدعاء والابتهاال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والتمام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الحصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول له لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه إذ ليس هو فزعامة

عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه
واستقامة القلب
اطمأنينة النفس وفي
طمأنينة النفس يأمن
الشیطان لأن النفس
كلما تحركت كدّرت
صفو القلب وإذا
تكدر طمع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب محفوف بالتذكر
والرعاية ولذا ذكر نور
بقية الشيطان كاتقاء
أحسنا النار . وقد
ورد في الخبر إن
الشیطان جاثم على
قلب ابن آدم فإذا
ذكر الله تعالى تولى
وخس وإذا غفل
التقم قلبه فذمه ومناه
وقال الله تعالى ومن
يشئ عن ذمرك

إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا ممتداً له في قوله لما حضر قوله وأما للعلوم من عاداته وأطراد سنته فهو أن يعلم من عاداته أنه لا يحتاج الحزم إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون محولاً على سنته وعاداته ووافياً بمقتضاها وهو أن يعمل السجل مع نفسه إليه عند هماسته فاذن لا يستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولوترك شيئاً من ذلك كان قصراً في توكله فكيف يكون فعله تصافيه ، ثم بعد أن حضر وفاء بأشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وقد ناظراً إلى محاجته قد يقبى إلى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمجهول ينتظر لا يخرج إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعاً إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الأعمال فإذا فزع التوكل إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل فالتوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جله ممتداً لمحاجته وعرفه ذلك بأشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وإعماصه في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين إذ جعلهما مشروطاً بما خلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ^(١) وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بفهم لفظها وهيئات فإنما ذلك جزاء على هذه الشهادة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداها إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة إضافة شيتين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيتين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قرينين ولين فكذا هذه الكلمة ولها أثر الكلمات وأكثر الخلق قبدوا بالقرينين وما طرقتوا إلى القبين وإلى اللين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه غلظت عليه الجنة ^(٢)» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والاحسان أراد بالطلق هذا القيد كما أنضاف الغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والراد به القيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه حديث نفس وإعماص الصدق والإخلاص وراءها ولا ينصب سرير الملك إلا للقرينين وهم المخلصون ، ثم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اللين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك أمأ ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة القرينين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

(١) أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت في الدعوات (٢) حديث من قال لا إله إلا الله صادقاً غلظت عليه الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

الرحمن تقيض له
 شيطاناً فمؤله قرين -
 وقال الله تعالى - إن
 الذين اتقوا إذا مسهم
 طائف من الشيطان
 تذكروا فإذا هم
 مبصرون - فبالنقوى
 وجود خالص الذكر
 وبها يفتح باب ولا
 يزال العبد يتقى حق
 يحصى الجوارح من
 المكارة ثم يحمى من
 الفضول وما لا يصبه
 فتصير أقواله وأفعاله
 ضرورة ثم تنتقل
 تنواه إلى باطنه ويظهر
 الباطن ويقيد عن
 المكارة ثم من الفضول
 حتى يتقى حديث النفس
 قال سهل بن عبد الله
 أسوأ الناس حديث
 النفس ويرى الإصنام

سرر موضونة متكئين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب البين مازاد على ذكر الماء والظل
والفواكه والأشجار والخور العين وكل ذلك من لذات المنظور والشروب والمأكل والنكوح ويتصور
ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين
ولو كان لهذه اللذات قدر لها وسعت على البهائم ولما رقت عليها درجة الملائكة أفترى أن أحوال البهائم
وهي مسية في الرياض متمتعة بالماء والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد أعلى
والنواشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكالك مغبوظة من أحوال الملائكة في سرورهم تقرب
من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيات هيات مأبعد عن التحصيل من إذا خير بين أن يكون
حماراً أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس
يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها
إلى صنعة الكتابة فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل
لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء
هم الذين يقال فيهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب
درجة الملائكة فتركها الطاب للعجز ، وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكالك أخرى بالنم
وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكالك. وإذا كان هذا كلاماً مقترضاً فلنرجع إلى المقصود
فقد بينا معنى قول لا إله إلا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله وأن من ليس قائلاً بهما عن مشاهدة
فلا يتصور منه حال التوكل . فإن قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة شيئين إلى الله
فوقال قائل السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول لا ، لأن الثواب على قدر درجة
المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة إن جاز
وصفهما بالصغر تجوز أقلية الأمور بعظم الأشخاص بل كل عاى يفهم أن الأرض والسماء ليستا من
جهة آدميين بل هما من خالق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بعدة نظره فهي مهلكة
مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العاقلون إذ أنبتوا لأنفسهم أمراً وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق
نوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو
الذى يصدق قول لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان . إحداهما النظر
إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات . والثانية النظر إلى اختيار
الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة
أعنى ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فإذا رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة
والتوكل على الواحد الحق وسيوضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليتين أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى
الدبلي قلت لأبي يزيد ما التوكل؟ فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي
عن عينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة
يتممون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فإذا ذكره أبو موسى
فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم
الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما مله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار

إلى ما يحدث به النفس
ذنباً فيتقيه ويتقصد
القلب عند هذا الاتقاء
بالذكر اتقاء السكواكب
في كبد السماء وبصير
القلب مماء عن غواظ بزينة
كواكب الله كذا فإذا
صار كذلك بعد
الشیطان ومثل هذا
البد يسدر في حقه
الخواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر النفس ويحتاج
إلى أن يتقيا ويعزها
بالعلم لأن منها خواطر
لا يضر إضاؤها
كطالبات النفس
بحاجاتها وحاجاتها
تقسم إلى الحقوق
والحظوظ ويتعين
التمييز عند ذلك واتهام
النفس بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغضى أنواع العلم ووراه سر القدر وأبو يزيد قلبا تسكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطا في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سد منافذ الحيات (١) إلا أن يقال فعل ذلك برحله ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحريك سره وتغييره لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا الجمل ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن تسكاه على تديره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلغ الأرباب وقطع الأسباب فخلغ الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك دائنق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تأمن من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في القدورات أسبابا خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التولي لذلك فالأول مقام للمقامات الثلاث والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سببا يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو التولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وتفتة به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه واهتاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها . وقال أبو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده والسلم يكتفي بمله وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه فإن العلم هو الأصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل أقاويل شتى ما ذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والقل فهذا ملحق بحال التوكل والله الموفق برحمته واطفه .

بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم يورث الحال والحال يشمر الأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة كاللحم على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أتى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل تكشف الغطاء عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بمله إلى مقاصده وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسكب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لإزالة ضار قد نزل به

الحظوظ قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا - أي فتبينوا
وسبب نزول الآية
الوليد بن عتبة حيث
بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني
المصطلق فكذب عليهم
ونسبهم إلى الكفر
والعصيان حتى تم
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتالهم ثم
بعث خالد إليهم فسمع
أذان المغرب والعشاء
ورأى ما يدل على
كذب الوليد بن عتبة
فأنزل الله تعالى الآية
في ذلك فظهر الآية
وسبب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيها من
الله عباده على التثبت

(١) حديث إن أبا بكر سد منافذ الحيات في الغار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تقدم .

كالتداوى من المرض فتمسود حركات العبد لاتعدو هذه الصنوع الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فانذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

[الفن الأول : في جلب النافع] فقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومفنون ظنا يوثق به وموهوم وما لاشق النفس به نفع تامة ولاطمئن إليه . الدرجة الأولى : المقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت السبب بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تعد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك السعي ومد اليد إليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالى الخنك على أساقفه فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شعبا دون الحبز أو يخلق في الحبز حركة إليك أو يسخر ملكا ليضغه لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطعمت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا اللقاع بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم . فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تحف في الحال وتفجع ، وكيف تعمل على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويطل قوة حركتك ، وكيف تعمل على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى من يهلكك عليه أو يمت حية تزحجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتقول فإذا كان هذا حاله وعلمه فليعد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن السبب لاتحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقتها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت : فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاوبه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما ينفق من الأشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو يقبض إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجبا به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعمل الخواص ونظراؤه من التوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لاتفارقه الإبرة والقراض والحبل والركرة ويقول . هذا لا يقدح في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للقاء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البر فيريد لدلو ولا حبل ولا يلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يلب وجود الحشيش والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولمعشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في هذه الآية الفاسق الكذاب والكاذب صفة النفس لأنها تملى أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها فتبين الثبوت عند خاطرها وإلقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ولا يستفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة . ومن الأدب عند الاشتباه إزاله الخاطر بحرك النفس وخالفها وبارئها وفاطرها وإظهار الفقر والفاقة إليه والاعتراف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتكشف عورته ولا يوجد القراض والابرة في البوادي
غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الحياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه
الأربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه محتمل أن لا يتخرق الثوب
أو يسطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوفاً إلى فيه
فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث
لاماء ولا حشيش ولا بطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً
من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لانسأل أحدا شيئاً حتى يأتيني ربي رزقي فقدم
سبعا فكاد يموت ولم يأتيه رزق فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك
فأوحى الله جل ذكره إليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتصدق بين الناس فدخل مصر وقد
خفاه هذا بطعام وهذا شراب فأكل وشرب وأوحى في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت
أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه
يد قدرتي فإذا التبعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة
الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل
بالخصومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمضى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية
عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت فما قولك في القعود في البلد
بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب. فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البادية إذا لم
يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق
من حيث لا يحتسب ولكن قديماً أخر عنه والصبر ممكن إلى أن يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على
نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة
فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج
والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل
من الباب فيأتيه رزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل
وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لامحالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء
وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وإنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه
لما استجاب وكان عاصياً وقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك، ولذلك قال ابن عباس رضي الله
عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا رزق ولا ميت إلا الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتروح
بطاناً وزالت بدعائكم الجبال»^(١) وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا
تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم. فان قلتم نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام كيف يقض الله تعالى
لها هذا الحق للرزق. وقال أبو يعقوب السوسي التوكلون تجرى أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون مكسودون. وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل

بالجهل وطلب العرفة
والعونة منه فإنه إذا
أتى بهذا الأدب يثاب
ويمان ويتبين له هل
الخاطر لطلب حظاً أو
طلب حق فإن كان
للحق أمضاء وإن كان
للحظ نفاذ وهذا
التوقف إذا لم يتبين
له الخاطر بظاهر العلم
لان الافتقار إلى باطن
العلم عند فقد الدليل
في ظاهر العلم ثم من
الناس من لا يسه في
صحته إلا الوقوف على
الحق دون الحظ وإن
أمضى خاطر الحظ بصبر
ذلك ذنب حاله فيستغفر
منه كما يستغفر من
الذنوب ومن الناس
من يدخل في تناول
الحظ ويمضي خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره وزالت بدعائكم الجبال وقد تقدم
قريباً دون هذه الزيادة فرواها الإمام محمد بن نصر في كتاب تهذيب قدر الصلاة من حديث معاذ
ابن جبل باسناد فيه لين لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور وزالت بدعائكم الجبال ورواه
البيهقي في الزهد من رواية وهيب الكلي مرسلًا دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع

بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتنان كالصانع وبعضهم بعز كالصوبة يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة . الدرجة الثالثة : ملابسة الأسباب التي يتوكل بها فافاضوها إلى للسبب من غير ثقة ظاهرة كالذي يستنص في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أغنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب فلا يغني أن ذلك يطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالإضافة إلى إزالة الضار فإن النبي صلى الله عليه وسلم وصف التوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئا بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في السبب مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يعجبهم عن نفسه وإنما عجبهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى تدبير دون الأسباب الجلية فاذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج عن التوكل والذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالنحوك فيها بالحال والعلم لا بالعمل . وأما المظنونات فالنحوك فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيت على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك يمكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقهه . المقام الثاني : أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأصاير وهذا أصنف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معوله على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن ذلك من الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسحره سكان البلد لا يصل رزقه إليه لا إلى مكان البلد إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتبريقهم وتحريك دواعيهم . المقام الثالث : أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج عنه أيضا عن مقامات التوكل إذ لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسير أمابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرته تعالى كما يرى القلم في يد الملك الوقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يميل وبم يحكم ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبا لماله أو لفرق على الساكن فهو يئده مكتسب وبقليه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته . والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والمعرفة كاسبق أن الصديق رضي الله عنه لما بوع بالخلافة أصبح أخذ الأتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أملت الخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني إن أضعتهم كنت لاسواهم أضيع حتى فرضوا له قوساً هل بيت من المسلمين قد ارضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق

بمزيد علم لديه من الله وهو علم السعة لعبد مأذون له في السعة عالم بالأذن فيحصى خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته وتقصانه عالم بحاله يحكم لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لأنه أمر خاص لعبد خاص وإذا كان شأن العبد تميز خواطر التفرغ في مقام خلاصه من لسات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير خواطر الأربعة في حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادّخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمه الله عليهما وكان من التوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم دينارا ولا أبيت منه دافعا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرتة وكان يقول استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يعمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك قد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا إلا بشروط كثيرة كما سبق . فان قلت لما الأفضل أن يعمدني بيته أو يخرج ويكتسب ؟ . فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإحلاس واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئا بل يكون قوى القلب في الصبر والانسكال على الله تعالى فالقعود له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان التوكلون يأخذون ما استشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فردده فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فانه يقبل فالحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طعمه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الحضرة ورضى بصحبتي ولكني فارقت خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصا في توكلتي فاذن للكاتب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا . فان قلت لما علامة عدم انكساله على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو توفى أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقدته ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه وكان بشر يعمل المغالز فتركها وذلك لأن البعادي كاتبه قال بلغني أنك استمنت على رزقك بالمغالز أرايت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغالز من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها . فان قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بهير بضاعة لا يمكن . فأقول بأن يعلم أن الدين يرزقهم الله تعالى غير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرفت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

نادرا لضيق مكانه من النفس لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاص إلى الأرض ومن ضائق النفس على التميز بين الحق والحظ ضائق نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين المتعلقين بمقام المقرين من إذا صار قلبه سماء مزينا بزينة كوكب الذكر بصير قلبه سماويا يترقى ويعرج يباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكلما ترقى تضاعف النفس المظلمة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات

أن الله لا يعمل به إلا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فقلعه لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وهايته أن يموت جوعا فينبغي أن يعتقد أن الموت جوعا خيرا له في الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر «إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بحاربه وابن عمه من سبقني من دهاني وماهي إلا رحمة رحمه الله بها (١)» ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بألي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل للبارك فاني ما شغمت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتخناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبئ على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد . فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية . فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن بتلقين الشيطان وحسن الظن بتلقين الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا - فان الانسان بطبعه مشغوف بسباع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع وإذا انغم إلى الجبن وضف القلب ومشاهدة التمكنين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم قال له الامام لو اكتبته لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودى في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضمانه فكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النص في التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق . وقال إمام السجدة لبعض المصلين من أين تأكل؟ قال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك . وينفع في حسن الظن بمجى الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة الرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن آدم قميل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فكتبت به إليه فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا :

(١) حديث إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضله لكان فيه هلاكه فينظر الله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه إلا أنه قال إن العبد ليشرق على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه .

بمخرج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقلبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لقسره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن الخواطر تستدعي وجودا وما أشرنا إليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخواطر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
 هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكمن الضمين لنصفها يابارى
 مدحى لنفرك لخب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة إلى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بئلة فناولته الرقة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ماضل صاحب هذه الرقة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن ركب البئلة فقال هذا نصرانى فثبت إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يحسب الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى : جئت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فحدثنى نفسى بالخروج فخرجت إلى الوادى لئلى أجد شيئا يسكن ضعفى فرأيت ساجدة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكان قائلا يقول لى جئت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فإذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جالس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصنى بها قال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فندرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته فقلت اقتحها ففتحها فإذا فيها صميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى : وقال عمشاد الدينوى : كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا غيلى أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا نصا ولا غيرهما . وحكى عن بنان الجمال قال : كنت فى طريق مكة أجيء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تعمل على ظهرك الزاد وتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خائلا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يحسب صاحبه فرمى بى بطين شيئا فأرده عليه فإذا أنا بملك الرأة فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يحسب صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رمى لى شيئا من الدراهم وقالت ألقها فاكثفت بها إلى قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له منها وقالوا هو ذا يحسب النفير فنشترى ما يوافق فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الجمال أهدتها إليه امرأة من ممرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة . وقيل كان فى الزمان الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت الرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت فى نفسى أتى سكنت واتسكنت على غيره وآليت أن لأدخل للرحلة إلا أن أحمل إليها فخرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا بأهل الرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو بقاتل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيمنحك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل

الحق اتب فى لمكان
 القرب وخاطر النفس
 بعد عنه بعد النفس
 وخاطر الملك تخلف عنه
 كتحذاف جبريل فى ليلة
 للمراج عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 حيث قال . لودنوت
 أئمة لا حترقت . قال
 محمد بن على الترمذى
 المحدث والكلم إذا
 تحققاتى درجاتهم غافا
 من حديث النفس
 فكما أن النبوة
 محفوفة من إلقاء
 الشيطان كذلك محل
 للكلمة والمحادثة
 محفوفة من إلقاء النفس
 وفتنتها وعروس بالحق
 والسكينة لأن السكينة
 حجاب للكلم والمحدث
 مع نفسه . وصحبت

واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له إنى قد اشتقت إليك فما الذى شغلك عني فقال إنى قرأت القرآن فأغنانى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه - وفى السماء رزقكم وما توعدون - فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه . وقال أبو حمزة الخراسانى حجبت سنة من السنين فبينما أنا مشى فى الطريق إذ وقعت فى برى فإزعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخطر حتى مر برأس البرجرجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البرجرجلان فوقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطحوار رأس البرج فهممت أن أصبح قتلته فى نفسى إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشئ جاء وكشف عن رأس البرجرجل رجلاه وكأنه يقول تعلق بى فى مهملة كنت أعرف ذلك فتعلق به فأخرجنى فاذا هو سبع فرس وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيتك من التلف بالتلف فشيت وأنا أقول:

نهائى حياى منك أن أكشف الهوى وأغنىتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبدت شاهدى إلى غائبى واللاطف يدرك باللاطف
ترأيت لى بالقريب حتى صرنا تبشرنى بالقريب أنك فى الكف
أراك وبى من هيبى لك وحشة فتؤانى باللاطف منك وباللطف
وتحى محبا أنت فى الحب حشفه وإذا حجب كون الحياة مع الخلف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوى الايمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه فى أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه . تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل الميـل

اعلم أن من له عيال فحكه يفارق المنفرد لأن المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استعراف وضيق نفس . والآخر أبواب من الايمان ذكرناها من جملتها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأت رزقه علما بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان نقصا فى الدنيا فهو زيادة فى الآخرة فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو المرض الذى به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد ولا يجوز تكليف الميال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مضبوط عليه فى نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الايمان فاذن لا يمكنه فى حقه إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول البوادر وترك العيال توكل فى حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل فى حقهم فهذا حرام وقد يفضى إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فى الآخرة فله أن يتوكل فى حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضعها إلا أن تساعد على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل . ولذلك روى أن أبا تراب النخعي نظر إلى صوفى مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف أزم السوق أى لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو على الروذبارى إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر بدنه كتوكله فى عياله وإنما يفارقهم فى شئ واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبا محمد بن
عبد الله البصرى
بالبصرة يقول الحواطر
أربعة : خاطر من
النفس واطر من
الحق واطر من
الشیطان واطر من
الملك فأما الذى من
النفس فيحس به من
أرض القلب والذى
من الحق من فوق
القلب والذى من الملك
عن يمين القلب والذى
من الشيطان عن يسار
القلب والذى ذكره
إنما يصح لعباد أذاب
نفسه بالقوى والزهد
وتصفى وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالمرآة
الجلوة لا يأتيه
الشیطان من ناحية

وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادر أو ملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تغلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيق أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتكفله شاءت أم أبت اضطرابا من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يعض به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى الضغ ولكنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انقصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يواجه الغذاء الكثيف أثبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل الضغ فإذا كبر واستقل يسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة ، فحينئذ بعد البلوغ جهل بعض لأنه ما قصت أسباب معيشته يلوغ به زادت فإنه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهي الأم أو الأب وكانت شفقة مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة واللودة والرقوة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان الشفق عليه واحدا والآن للشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجا ولو رأوه يتما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فمارؤى إلى الآن في منى الحصب يقيم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان الشفق واحدا وللشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعف فيخرج من مجموعها ما يفيد الفرض فكيف من يقيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التتم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جری قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسمى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

فإن قلت الناس يكفلون القيم لأنهم يرونه عاجزا بصباه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثلنا فليجهد لنفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فإن التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فلا للبطال والتوكل وإن كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفلونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه

إلا ويصره فإذا السود
القلب وعلاء الرين
لا يصير الشيطان .
روى عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن العبد
إذا أذنب نكت في
قلبه نكتة سوداء
فإن هو نزع واستغفر
وتاب صقل وإن عاد
زبد فيه حتى تعلو قلبه
قال الله تعالى - كلاب
ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون - »
سمعت بعض العارفين
يقول كلاما دقيقا
كوشف به فقال الحديث
في باطن الإنسان
والخيال الذي تراه
لباطنه وتخيل بين
القلب وصفاء الله كـ

في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يفلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس وما روى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار هات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد ر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها فقد دبر الله تعالى الملك والمكوت تديرا كافيا لأهل الملك والمكوت فمن شاهد هذا التدير وثق بالمدير واشتغل به وآمن ونظر إلى مدير الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم ما دبره تديرا يصل إلى المشتغل به الخلو والطير السان والثياب الرقيقة والحيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الأحوال لكن دبره تديرا يصل إلى كل مشغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناول له محالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب ترك التوكل إلا رغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضعيف عند من اقتضت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدير الملك والمكوت تديرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وإن سكن إلا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أحمق ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدنيار . وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإياك أن تجمع بين الإفلاس من الإفلاس عن وجود اللقاه ذوقا والإفلاس عن الإيعان به علماء ، فأذن عليك بالقناعة بالزجر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا يحتسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائف الأطعمة لما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه فإن أدى أحاط به تدير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للعقاق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسال الله قال إن علمت أنه ينسأكم فذكروه فقالوا ندخل البيت وتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الحراز كنت في البداية فتألى جوع شديد فقلتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من أهالي التوكلين فطالبتني أن أسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بي ويقول :

ويزعم أنه منا قريب وأنا لا نضيق من أمانا

ويسألنا على الإحتار جهدا نحنا لا نراه ولا يرانا

قد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا واتقا بالله عز وجل فإن أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما يأتي من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما تقرر فسأله عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس مناهة ومعادنات وتألما وتوددا وكلا انطلقت النفس في شئ بهواها من القول والفعل فأثر القلب بذلك وتكدر فإذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وحمل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعابسة للنفس وذكر النفس عيشا من فعلها وقولها كاللأم للنفس والمغالب لها على ذلك فإذا كان الحاضر أول الفعل

ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التى دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما برطيك من الأرزاق الصعبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك ولا تكن فى توكلك متظفرا للأسباب بل بسبب الأسباب كالاتكون متظفرا لقم السكاتب بل لقلب السكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادر بلازاد أو يقعد فى الأمصار وهو حامل وأما الذى له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع فى اليوم واليلة بالطعام حمة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائف وثوب خشن يلبق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحسب ولا يحسب على الدوام بل يأتيه أضافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتد به سبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار فى حق الحامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطى على نيل الثواب ومن نظر إلى مجارى سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكما عن الأحق للرزق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه إذ لو رزق كل عاقل وحرر كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرزاق غيرهم ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلصكن إذن من جهلن البهائم

(بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال)

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقموا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلما كثيرا ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يطبوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويحتدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعاقوا بغلمان إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فن تلقى بالظمان وآدام وأخذر رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج أتبعته بغلام يكون موكلا به إلى أن أتقدم لعقوبته في معاد معلوم عندي ولكن أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فأتى أخته بخلة سنية في العباد للذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلة له ومن أخطأ غلمانا فما أوصلوا إليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط للغلمان ولا قتلا لئنه أوصل إلى رغيفا فأتى غدا استوزره وأفوض ما سكى إليه فأتسم السؤال إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الوعدة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا إلى الظمان فأدوم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في العباد المذكور فقدموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالظمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين فغلبت الجوع فسدوا من العقوبة وما فازوا بالخلة وقسم قالوا إنا نجلس بمرأى من الظمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذ أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به فلمنا فنوز بالخلة ففازوا بالخلة وقسم رابع اختلفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الظمان وقالوا إن اتهمونا وأعطينا قنعا برغيف واحد وإن

ومفتحه لفرقه من
أم شأن العبد لأن
الأفصال من الخواطر
تنشأ حتى ذهب بعض
العلماء إلى أن العلم
للفترض طلبه يقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « طلب
العلم فريضة على
كل مسلم » هو علم
الخواطر قال لأنها أول
الفعل وبغدادها فساد
الفعل وهذا لعمري
لا يتوجه لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أوجب ذلك على كل
مسلم وليس كل المسلمين
عندهم من التريفة
والعرفة ما يعرفون به
ذلك ولكن يعلم
الطالب أن الخواطر
بغاية البذر فمنها ما هو

أخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فنال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما تفهم ذلك إذ اتبعهم العلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الدور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار العلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم لیتنا تعرضنا للعلمان وأخذنا طعامنا فلعلنا نطيق الصبر وسكت الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق واليدان هو الحياة في الدنيا وباب الیدان الموت والبعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائئا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والتعلق بالعلمان هو المعتدى في الأسباب والعلمان السخرون هم الأسباب والجالس في ظاهر الیدان يرى العلمان هم المقيمون في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائئا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتغالهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد وعلل كان كذلك في الأمصار السالفة وأما الآن فالنارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[الفن الثاني في التمرض لأسباب الادخار] فمن حصل له مال يارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل كل إن كان جائعا ويلبس إن كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل لتحقيقها وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا الثلاثة : الفأرة والخملة وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المأمور بالوعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الحواصص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو طالب السكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالمستنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقسام ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لاحصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى القصود ممن يؤمل سنة وتمييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بعد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار طارخس الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما قال عليه السلام «إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا» (١) لأن استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقفا على مدة مبلغها ما ذكر فإذا ناء ماوراء

(١) حديث خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث

بشر السعادة ومنها
ما هو بذر الشقاوة .
وسبب اشتباه
الحواطر أحد أربعة
أشياء لا خامس لها إما
ضعف اليقين أو قلة العلم
بعرفة صفات النفس
وأخلاقها أو متابعة
الهوى بخرم قواعد
التقوى أو عجة الدنيا
جاهها ومآله وطلب
الرفعة والمنزلة عند
الناس فمن عصم
عن هذه الأربعة
يفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن
ابتلى بها لا يعلها
ولا يطلبها وانكشف
بعض الحواطر دون
البعض لوجود بعض
هذه الأربعة دون
البعض وأقوم الناس

السنة لا يدخره إلا بحسب ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب فإن أسباب الدخل في الارتفاعات والزيادات تتكرر بتكرر السنين غالباً ومن آخر لأقل من سنة فله درجة بحسب تصرأله ومن كان أمه شهرين لم تسكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بين حافى الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً ، وإن ضعف قلبه فكلاماً في ادخاره كان فضله أكثر ، وقدروى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه وأسامه أن يسأله فسله وكفناه يردته فلما دفعه قال لأصحابه «إنه يبعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لمحت وجهه كالشمس الضاحية . قلنا وماهى يا رسول الله ؟ قال كان صوامقوما كثيراً فكرفه تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما أوثيتم اليقين وعزيمة الصبر ^(١) الحديث ، وليس الكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فإن ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا يزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه إلى أبدى الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فإن كان يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فلا ادخار له أولى بل لو أمسك ضيقة يكون دخله وإيقا قدر كفائته وكان لا يفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى لأن المقصود إصلاح القلب ليتجرد للذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخدور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدنيا في عينها غير مهدورة لوجودها ولا عديها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك للحما بالاشتغال بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخاره قدر حاجته كما أن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم المنفرد ، فأما العليل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة ليماله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سيئه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليماله قوت سنة ^(٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخره شيئاً له ^(٣) ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال ^(٤) «أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلاقاً» ^(٥)

ابن مسعود وسئل أن الفارسي باسناد ضعيف جداً وهو باطل ^(١) حديث أنه قال في حق الفقير الذي أمر علياً أو أسامة فسله وكفنه يردته أنه يبعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفي آخره من أقل ما أوثيتم اليقين وعزيمة الصبر لم أجده أصلاً وتقدم آخر الحديث قبل هذا . ^(٢) حديث ادخر ليماله قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة ^(٣) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لقد تقدم نهيه لأم أيمن وغيرها ^(٤) حديث نهى بلالا عن الادخار وقال أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش إقلاقاً البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ، وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكلها ضعيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز فلم أره .

بمعين الخواطر وأقوهم
بعرفة النفس ومعرفة
صمة التال لا تكاد
تيسر إلا بعد
الاستقصاء في الزهد
والتنوى . واتفق
الشايخ على أن من
كان أكمله من
الحرام لا يفرق بين
الالهام والوسوسة .
وقال أبو على الدقاق
من كان قوته معلوما
لا يفرق بين الهام
والوسوسة وهذا لا يصح
على الإطلاق لا يقيد
وذلك أن من المعلوم
ما يقسمه الحق سبحانه
وتعالى لعباده من سبق
إليه في الأخذ منه
والثبوت به ومثل هذا
المعلوم لا يحجب عن
تمييز الخواطر إنما ذلك

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ ^(١) » اقتداء بسيد التوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال يتيم مع قرب الماء ويقول « ما يدري لعل لا أبلغه ^(٢) » وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذا كان لا يثق بما آذخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعلقاً بالأقوياء من أمته فإن أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لئلا يله سنة للضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر « أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ^(٣) » تطيبها لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والاضوط فيتركون اليسور من الخير عليهم بهجزم عن منتهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي فهاجده كفن فقال عليه السلام نقشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كتمان ^(٤) » وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين: أحدهما أنه أراد كتمان من النار كما قال تعالى - تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله يظهر الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس. والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به التقصان عن درجة كاله كما ينقص من جمال الوجه أثر كتمان في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص قدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر قال الحسين الغزالي من أصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أعمر خفيف العارضين فقام إليه بشر قال وما رأيتك قام لأحد غيره قال ودفع إلى كف من دراهم وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال جئت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيتك أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف ففجيت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك أنكرت فعله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذاك أخونا فتح الوصل زارنا اليوم من الموصل فأنما أراد أن يعلنا أن التوكل إذا صح لم يضر مع الادخار [الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف] اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أما في النفس فكان النوم في الأرض المسبعة أو في مجارى السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بخير فائدة ، نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومظنونة وإلى موهومة ترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة السكى والرقبة

يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه ينحجب لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسوخ من إرادته فلا يحجبه للسلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلع فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ في الحاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيذ الحاطر الأول

(١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد هوثة . حديث القى الله فقيراً [١] قد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم بال وتيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لا أبلغه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمر وقد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كتمان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث القى الله فقيراً الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل فلهذا بنسخته تأمل.

فان السكى والرقية قد تقدم به على الهذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول الهذور للازاله للآثار - ول
الله صلى الله عليه وسلم لم يصف للتوكلين إلا بترك السكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى
موضع بارد لم يلبسوا جبة والحبة تلبس دفعا للبرد للتوقع وكذلك كل ما في معناها من الأسباب ، نعم
الاستظهار يأكل الثوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما
يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الحجة وترك الأسباب
الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فانه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي
فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فاتخذنه وكبلا واصبر على ما يقولون - وقال تعالى -
ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل التوكلون - وقال عز وجل - ودع أذا هم وتوكل على الله -
وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - نعم أجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب
فترك دفعا ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعى ولا يترك السعى لئنه بل لإعاقته على
الدين وترتب الأسباب ههنا كترتها في الكسب وجلب النافع فلا تطول بالاعادة وكذلك في الأسباب
الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يحمل البعير لأن هذه أسباب
عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهمل البعير
وقال توكلت على الله «اعقلها وتوكل» (١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف
- وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - وقال تعالى
لموسى عليه السلام - فأسر ببأدى ليلا - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب
واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر (٢) وأخذ السلاح في الصلاة
ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن
المظنون كالقطع وإعسا الوهم هو الذي يقتضى التوكل تركه . فان قلت فقد حكى عن جماعة أن
منهم من وضع الأسد يده على كنفه ولم يتحرك . فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه
فلا ينبغي أن يفرك ذلك المقام فانه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير
بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها -
فان قلت وهل من علامة أعلم بها أن قد وصلت إليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن
من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى التفض فلا يزال
يحضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يستقل إلا بأشارتك وكان مسخرا
لك فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكنب دارك أولى بأن يكون
مسخرا لك من كلب البوادي وكنب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب
الباطن فلا تطمع في استسغار الكلب الظاهر . فان قلت فاذا أخذ التوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق
بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق فيأى اعتبار يكون متوكلا . فأقول يكون متوكلا
بالم والحال فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يدفع بكنايته في إغلاق الباب بل لم يدفع إلا بدفع الله
تعالى إياه فكذلك من باب يقات ولا ينفع وكم من بعير يحقل ويموت أو يفات وكم من أخذ سلاحه يقتل

لأنه إذا بقي رجع صاحبه
إلى التأمل وهذا شرط
العلم . وقال ابن عطاء
الثاني أقوى لأنه ازداد
قوة بالأول . وقال
أبو عبدالله بن خفيف
هما سواء لأنهما
من الحق فلا مزية
لأحدهما على الآخر قالوا
الواردات أعم من
الحواطر لأن الحواطر
تختص بنوع خطاب
أو مطالبة والواردات
تكون تارة خواطر
وتارة تكون وارد
سرور ووارد حزن
ووارد قبض ووارد
بسط . وقيل بنور
التوحيد يقبل الحاطر
من الله تعالى وبنور
للعرفه يقبل من
للك وبنور الايمان

(١) حديث اعقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قال عبي القطان منكر ورواه ابن خزيمة في
التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد جيد قيدها (٢) حديث اختفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر تقدم قصة اختفائه في الغار عند إرادة الهجرة .

أويغلب فلا تشكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب كاضر بالتل في الوكيل في الخصومة فانه إن حضر وأحضر السجل فلا تشكل على نفسه وجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على مافي البيت من يأخذه فهو في سيطرتك وأنا راض بحكمك فاني لأدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها أو عارية ووديعة فاستردها ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي غيري وكيفما قضيت فأنا راض به وما أغلقت الباب تحصنا من فضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بقول البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد بل وجد مسروقا فنظر إلى قلبه فان وجد راضيا أو فرحاً بذلك عالما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه. وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا بمن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل ، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكوه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب يئنه فقد كانت السركة مزيدا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع اللقائم وكذبته في جميع الدعاوى فبمده هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير . فان قلت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ . فأقول للتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإتمام تواضعه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج السكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإنما ذلك في المأكل وفي كل مال زاد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء التوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين . فان قلت فكيف يتصور أن لا يعجز إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهي الحاجة إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يعجز وقد حيل بينه وبين ما يشتهي . فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني فيمثل هذا الظن يتصور أن يدفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرهما مسبب الأسباب عناية وتلطفا وهو كالمرضى بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم إليه الدواء فرح وقال لولا أنه

ينهى النفس وبخور
الاسلام يرد على العدو
ومن قصر عن درك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تمييز الخواطر
بميزان
الشرع لما كان من
ذلك تفلأ وفرضا عليه
وما كان من ذلك محرما
أو مكروها يتفيه فان
استوى الخاطر ان في
نظر العلم نفذ أقرهما
إلى مخالفة هوى
النفس فان النفس قد
يكون لها هوى كامن
في أحدهما والغالب من
شأن النفس الا عوجاج
والركون إلى الدون
وقد يلم الخاطر بنشاط
النفس والعبد يظن أنه
بنهوض القلب وقد
يكون من القلب تفاق

يعرف أن الغداء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربته إلى وإن أخر عنه الغداء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغداء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يستدعيه للمريض في الوالد المشفق الحافق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أهله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لا تأبى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا ينال للتوكل يسرق متاعه أولا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتني كنت فقيرا .

(بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم)

للتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه . الأول : أن يطاق الباب ولا يستعصى في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع العلق وبكمه أغلاق كثيرة قد كان مالك بن دينار لا يترك بابا ولو كان يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما عشدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا معرض عليه السراق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركة قال خذها لأحاجة لي إليها قال لم ؟ قال يوسوس إلى المدون أناس أخذها فكأنه احترز من أن يصيب السارق ؟ ومن شغل قلبه بوسوس الشيطان بسرقها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ما يخطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : أحدهما أن يكون ماله مانعا له من العصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بدمه وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو يتو دفع العصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »^(١) ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويخير القضاء الأزلي ولكن يتحقق بالزهد نية فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجماع وعاش قتل في سبيل الله تعالى وإن لم يولد له^(٢) لأنه ليس أمر الولد إلا الواقع فأما الحق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خاف لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينصم فكذلك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الحيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جعله في سبيل الله فترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

يسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشبه بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك غفاق القلب والخواطر التولدة منه إلا العلماء الراسخون . وأكثر ما يدخل الآفات على أرباب القلوب والبخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القليل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم . وينبغي أن يعلم المبدع قطعا أنه مهما بقي عليه أثر

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل وأقر النطفة قرارها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلا .

أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقته فطلبها حتى أعيانهم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إن ثاقتك في مكان كذا فليس نعه وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إن كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل فيها فرأيته قال وهو مع ذلك كتيب حزين قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم إنى لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إنى لما رأيت منازل في الجنة رفت لي مقامات في عليين مارأيت مثلها فيها رأيت فقرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له وإنما هي لمن أمضى السبيل ، قلت وما إمضاء السبيل ؟ فقيل لي كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيت لك . وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هميانه فانتبه الرجل فتقدم هميانه فانه به فقال له كم كان في هميانك فذكر له لحمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذوه حلالاتيا فما كنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فعدا ابنا له وجعل يصره صررا ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ففكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فتاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجة فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الهرام والدنانير وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأذيه على مافات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فبما أصيب به ففي الخبر « من دعا على ظالمه فقد انتصر » (١) . وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم يزعج اطلبه فجاءه قوم بوزنه ، فقال أما إنى قد كنت رأيته وهو يحمله قيل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجمعوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قبل أن رأيت لورد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لأنى كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه السكين ظلم نفسه حتى أزيده شرًا . وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لا تنرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من الظلوم » (٢) . السادس أن يقتصر لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك قصا في دينه لا قصا في دينه فقد شكك بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

من الهوى وإن دق
وقل يبق عليه بحسبه
بقية من اشتباه
الحواطر ثم قد يخلط
في تمييز الحواطر من
هو قليل العلم ولا
يؤاخذ بذلك ما لم يكن
عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يسامح
بذلك بعض الدالين لما
كوشفوا به من دقيق
الحفاء في التمييز ثم
استعجالهم مع عليهم
وقلة الثبوت . وذكر
بعض العلماء أن لمة
الملك ولمة الشيطان
وجدنا لحركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت اقتدح من
جوهرها ظلمة تنكث
في القلب همه سوء
فينظر الشيطان إلى

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد انتصر تقدم (٢) حديث إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة الحديث تقدم .

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك لما صنعت للمسلمين. وسرق من علي بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويعزن فقال أحمى الدنانير تبكي؟ فقال لا والله ولكن على للسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل بعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين .

[الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواوة للرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب الزيلة للمرض أيضا تنقسم إلى مقطوع به كالماء للزيل لضرر العطش والحبز للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالتقصير والحجامة وشرب الدواء السهل وسائر أبواب الطب أغنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكي والرقية . أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الوهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوكلين وأقواها السكي وبليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة التوسطة وهي المظنونة كالدواوة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء فعمله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التدأوى غير مناقض للتوكل فدل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام ^(١) » يعني الموت وقال عليه السلام « تدأوا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء ^(٢) » . « وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله ^(٣) » وفي الخبر المشهور « ما مرت ببل من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة ^(٤) » وفي الحديث أنه أمر بها وقال « اجتمعوا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يبيخ بكم الدم فيقتلكم ^(٥) » قد ذكر أن تبيخ الدم سبب الموت وأنه قائل بإذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج القرب من تحت الباب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهي عن الجهل الغريزي أو دعوى حركة أوسكون وهي آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب تقيه فانها ترد بخلاف ماورد أو على وفق منهى ومنها ما يكون تقيها فضيلة إذا وردت بمباحات . وذكر أن الروح إذا تحركت انتدح من جوهرها نور ساطع يظهر من

(١) حديث مامن داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفه إلى آخره وإسناده حسن والترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الحرم والطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخاري من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزل له غفاء ولمسلم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تدأوا عباد الله الترمذي وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك (٣) حديث مثل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله فقال هي من قدر الله الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح (٤) حديث ما مرت ببل من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث اجتمعوا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين الحديث البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفعه الترمذي بلفظ إن خيرا ما يجتمعون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البزار إن طريقه المتقدمة أحسن من هذا الطريق ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الحروق عن سنة الوكيل أصلاً وفي خبر مقطوع «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى بالحمية (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً (٣) أي فصدته وكوى سعد بن زرارة (٤) وقال لملى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين «لأننا كل من هذا يعنى الرطب وكل من هذا فائه أوفى لك (٥)» يعنى سلقاً قد طبخ بدقيق شعير . وقال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمرًا وأنت أرمد فقال إنى أكل من الجانب الآخر فبسم صلى الله عليه وسلم (٦)» . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنن المكي . وتداوى ﷺ غير مرة من القرب وغيرها (٨) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فكان ينفذه بالحناء (٩) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به تراباً (١٠) وما روى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب ونهى طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بطة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن جبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادها واحد اختلف على روايته في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوه تداووا الحديث وسيأتي في قصة على وصبيب في الحمية بعده (٣) حديث قطع عرقاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال روى سعد في أكله غصمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى أسعد بن زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لملى وكان رمداً لأننا كل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم النذر (٦) حديث قال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرًا وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة ابن عدى من حديث عائشة وقال إنه منكرو فيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويعني بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جبة بن الأزرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقرب فغشى عليه فرقاها الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى تجمّع كفاً من غوثيز ويشرب عليه ماء وعسلاً ولأبي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بماء مسم فيه جابر الجعفي ضعه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فينفذه بالحناء الزبيري وابن عدى في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحوص بن حكيم كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب (١٠) حديث جعل على قرحة خرجت بيده تراباً البخاري ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى الإنسان التي منه أوكانت قرحة أوجرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابة بالأرض ثم رفسها وقال بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا .

ذلك النور في القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بفضله نذب إليه وإما بمباح يعود صلاحه إليه وهذا الكلام يدل على أن حركتي الروح والنفس هما للوجبتان لمتين . وعندى والله أعلم أن اللمتين يتقدمان على حركة الروح والنفس لحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح بركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهي من شؤم لمة الشيطان فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان

فقالوا له لوتداويت بكذا لبرئت فقال لأتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له إن دواء هذه العلة معروف مجرب وإن اتتداوى به فبئراً فقال لأتداوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه وعزى وجلالى لأبرأتك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فدأوه فبرأ فأوحى فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيرة . وروى فى خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكاه علة يجهلها فأوحى الله تعالى إليه كل البيض . وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم باللبن فإن فيها القوة قيل هو الضعف عن الجماع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد . ويضع ذلك فى الشهر الثالث والرابع إذ فيه صور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والفساء الرطب فهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته ربط للسيئات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فكما أن الحبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه إلا فى أحد أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والحبز جلى واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجيين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالأول : والثانى أن الدواء يسهل والسكنجيين يسكن الصفراء بشروط أخرى الباطن وأسباب فى الزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دواء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين والإفلاسب يتلو السبب لامحالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكته وكمال قدرته فلا يضر التوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب من الداء والدواء؟ فقال تعالى منى قال فما يصنع الأطباء؟ قال يا كلون أرزاقهم ويطيئون نفوس عبادى حتى يأتى شفاى أو قضائى فاذا نفعى التوكل مع التدأوى التوكل بالعلم والحال كما سبق فى فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فأما ترك التدأوى رأسا فليس شرطا فيه . فإن قلت فالسكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السهل وسقى البردات للمحرور وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يتاد السكى فى أكثر البلاد إنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب فهذا من الأسباب الوهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار فى الحال مع الاستفناء عنه فإنه مأمون وجع يعالج بالسكى إلا أنه دواء ينفى عنه ليس فيه إحراق فلا إحراق بالنار جرح محرب للبنية محذور السراية مع الاستفناء عنه بخلاف القصد والحجامة فإن سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدما غيرها ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى ^(١) وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالسكى فامتنع فمز الوابنه وعزم عليه الأمر حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم على الملائكة فلما كتويت انقطع ذلك عنى وكان يقول اكتبونا كتابات فوالله ما أفأحت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى

وظهر سرّ العطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم وقد تكون هاتان اللتان متداركتين وينمى أثر أحدهما بالأخرى ولانفطس للتفظ يفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار فى ذاته باب أنس ويتق أبدأ متفقا حاله مطالما آثار الامتين . وذكر خاطر خامس : وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والدواء لوجود التمييز وإثبات الحجة على المبدل يدخل العبد فى التمس بوجود عقل إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد

(١) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى البخارى من حديث ابن عباس وأنهى أمى عن السكى ، وفى الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة .

فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي كان أكرمى الله بها قد ردها الله تعالى على بعد أن كان أخبره بقتلها فاذن السكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو منموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التصق فيها والله أعلم .

(بيان أن ترك التداوى قد يهمل في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل)

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن الذين تداؤوا من السلف لا ينصرفون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر فرعا يظن أن ذلك تصان لأنه لو كان كالتوكل تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لإدراك حال غيره في التوكل أكمل من حاله ، وقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له لو دعونا لك طبيا فقال الطبيب قد انظر إلى وقال إني ضالما أريد . وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشكى قال ذنوبي قيل فمات شهيدا قال مغفرة رب قالوا ألا ندعوك طبيا قال الطبيب أمرضى . وقيل لأبي فر وقد رمدت عيناه لوداوينهما قال إني عنهما مشغول قيل لو سألت الله تعالى أن يهلكك فقال أسأله فإيهما على منها . وكان الريح ابن خيم أصابه فالج فقبل له لوداويت فقال قد همت ثم ذكرت عادا وهودا وأصحاب الرس وقرودنايين ذلك كثير أو كان فيهم الأطباء فهلك التداوى والتداوى ولم تكن الرقي شيئا . وكان أحد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر للطبيب بها أيضا إذا سأله . وقيل لسهل بن يسح لعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنفس في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بهاله ونظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ومنهم من كرهه ولا يضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلهم إلا بعصر الصوارف عن التداوى . فنقول إن ترك التداوى أسبابا . السبب الأول : أن يكون المريض من الكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنه تارة برؤيا صادقة وتارة بحس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من الكاشفين فإنه قال لما نشأ رضي الله عنه في أمر اليراث إنما من أختك وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بأنها حامل . وإلا فلا يظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به . السبب الثاني : أن يكون المريض مستحولا بهاله وبخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا تغرغ قلبه التداوى شغلا بهاله وعليه يدل كلام أبي ذر إذا قال إني عنهما مشغول . وكلام أبي الدرداء إذا قال إنما تشكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته أو كالحائف الذي يعمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له لا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لكون الأكل نافعا من الجوع ولا طمنا فيمن أكل وقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما الموت فقال هو ذكر الحى القيوم قيل إنما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألتك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك ولجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر إذا دخل عليه علة فردته إلى صانعه أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردها إلى صانعها حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علة وهو موهوم النفع جار مجرى السكي والرقية في ترك التوكل وإليه يشير قول الريح بن خيم إذا قال ذكرت عادا

يكون مع الملك والروح
ليوقع الفعل مختارا
ويستوجب به
الثواب . وذكر
خاطر سادس وهو خاطر
اليقين وهو روح
الإيمان ومزيد العلم
ولا يبعد أن يقال الخاطر
السادس وهو خاطر
اليقين حاصله راجع
إلى ما يرد من خاطر
الحق وخاطر العقل
أصله تارة من خاطر
الملك وتارة من خاطر
النفس وليس من
العقل خاطر على
الاستقلال لأن العقل
كما ذكرنا غريزة يتنبأ
بها إدراك العلوم ويتنبأ
بها الانجذاب إلى
دواعي النفس تارة
وإلى دواعي الملك تارة

وتعود وفيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى أى أن الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند الرضى كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يطلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد هذا مستقدم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تعمقا في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكلًا . السبب الرابع . أن يقصد العبد بترك التداوى استبقاء الرضى لينال ثواب الرضى بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب نفسه في القدرة على الصبر قد ورد في ثواب الرضى ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء ^(١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب الإبريز لا يردونهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا ^(٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالطير الضالة لا تمرضون ولا تسقمون ^(٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه بعد المؤمن أصبح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد النفاق أصبح شئ جسما وأمرضه قلبا . فلما عظم الالتئام على الرضى والبلاء أحب قوم الرضى واغتمموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويسلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله الرضى عنه وإنما يمنع المرض جوارحه وعلموا أن صلاحهم قعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففي الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل فانه في وثاقى إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ^(٦) » قليل معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلى من

وإلى دواعى الروح تارة
وإلى دواعى الشيطان
تارة فعلى هذا لا يزيد
الخواطر على أربعة
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يذكر غير
المتين وهاتان اللتان
هما الأصل والخطاران
الآخران فرع عليهما
لان لمة لللك إذا حركت
الروح واهتزت الروح
بالهمة الصالحة قربت
أن تهتز بالهمة الصالحة
إلى حظائر القرب فورد
عليه عند ذلك خواطر
من الحق وإذا تحقق
بالقرب يتحقق بالفناء
فتبت الخواطر الربانية
عند ذلك كما ذكرناه
قبل لموضع قربه
فيكون أصل خواطر
الحق لمة لللك ولمة

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده في مسنده ولطبراني من حديث أبي غنبة إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالطير الضالة لا تمرضون ولا تسقمون ابن أبي عاصم في الأحاد والثاني وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل فانه في وثاقى الحديث الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس تقدم ولم أجده مرفوعا .

قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فأنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف. ومن لم يدخل في شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسهل عنه لم يأخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لهم بأن فذة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالبا مدهشا. وقال سهل رحمه الله على الأجسام رحمة وعلى القلوب عقوبة. السبب الخامس: أن يكون المبدؤ قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى للرض إذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال عليه السلام «لا تزال الحمى والليلة بالبدن حتى يمشى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة» (١) وفي الخبر «حمى يوم كفارة سنة» (٢) قيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثة مئة وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها ويعد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأله زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محمومًا فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزالهم (٣) ولما قال صلى الله عليه وسلم «من أذهب الله كرميته لم يررض له ثوابا دون الجنة» (٤) قال فلقد كان من الأنصار من يتعمى العمى وقال عيسى عليه السلام: لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطايا. وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاد فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف أرحمه فيما به أكره ذنوبه وأزيد في درجاته. السبب السادس: أن يستشعر البدن في نفسه مبادئ البطر والطمعان أطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطمعان أطول الأمل والتسويق في تدارك الفائت وتأخير الحيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي وأقلها أن تدعو إلى التنسم في الباحات، وهو تضييع الأوقات وإهمال الأربع العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبده خيرا لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب ولذلك قيل لا تخلو

(١) حديث لا تزال الحمى والليلة بالبدن حتى يمشى على الأرض كالبردة ماعليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصداع بدل الحمى ولطبراني في الأوسط من حديث أنس مثل المريض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع في صفاتها ولونها وأسانيده ضعيفة (٢) حديث حمى يوم كفارة سنة القضاعى في مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال ليلة بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محمومًا الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الأمراض تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال أبى وإن قلت قال فان شوكة لما فوقها قال فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث ولطبراني في الأوسط من حديث أبى بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث والاسناد مجهول قاله طي بن المدني (٤) حديث من أذهب الله كرميته لم يررض له ثوابا دون الجنة تقدم الرفوع منه دون قوله فلقد كان في الأنصار من يتعمى العمى.

الشیطان اذا حرك
النفس هوت بجوانها
الى مركزها من
الفریة والطبع
فظهر منها لحركتها
خاطر ملائمة لتريزتها
وطبيعتها وهواها
فصارت خواطر النفس
نتیجة لمة الشیطان
فأصلها لثان وينتجان
أخرین وخاطر الیقین
والعقل مندرج فیها
واقه أعلم

[الباب الثامن
والخسون في شرح
الحال والمقام والفرق
بينهما]

قد كثر الاشتباه بين
الحال والمقام واختلفت
إشارات الشيوخ في
ذلك ووجود الاشتباه
لمكان تشابههما

الأومن من علة أو قلة أو زلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الفقر سجنى والرض قيدي أحبس به من أحب من خلقى» فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المأصى فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المأصى فقد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بعدى؟ قال في عافية قال إن كنت لم تمس الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوأ من المصيبة ما عوفى من عصي الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة البطح بالمراقى في يوم عيد ما هذا الذى أظهره ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيدكم فقال كل يوم لا يمضى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما أراكم ماتحبون - قيل المواقى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالعافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أنار بكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يعم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لله والله ولواخذته الشقيقة يوما لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثروا من ذكر هازم اللذات» (١) وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكرة له ودافع للتسوف ، وقال تعالى - أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون - قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها ، ويقال إن العبد إذا مرض مرضين ثم لم يقب قال له ملك الموت يا غافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب ، وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقالوا لا يغفل المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بيلية حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة فحكي من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل وانها ممرضة قط ، فقال لا حاجة لى فيها» (٢) . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عنى من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلي نظر إلى هذا وهذا» (٣) لأنه ورد في الخبر «الحمى حظ كل مؤمن من النار» (٤) . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما «قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة» (٥) . وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه فحزنه» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائده المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا أن تقسم مزيدا فيها لأمن حيث رأوا التدأوى قصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم .

في نفسها وقد اخلهما قترأى للمرضى شيئا حالا وتزأى للمرضى مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن الانط والعبارة عنهما مشعر بالفرق بالحال مى حال التحول والقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بظلمة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس

(١) حديث أكثروا ذكر هازم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل فانها ممرضة قط فقال لا حاجة لى فيها أحمد من حديث أنس بنحوه باسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال إليك عنى الحديث أبوداود من حديث عامر البرام أخى الحضرمي [١] بنحوه وفى إسناده من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرائى فى الأوسط من حديث أنس وأبو منصور والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وابقا حسان (٥) حديث أنس وعائشة قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟

(بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء ، فيقال يذنب أن يكون من شرط التوكل ترك الحجابة والفصد عند تبليغ الدم . فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلذغه العقرب أو الحية فلا ينحيا عن نفسه ، إذ الدم يلذغ الباطن والعقرب تلذغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال يذنب أن لا يزيل لذغ العطش بالماء ولذغ الجوع بالخبز ولذغ البرد بالحية وهذا لا قائل به ، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الجاية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما وباء ذريعا فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت - فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه ، فقال ترجع ولا ندخل على الوباء ، فقال له المخالفون في رأيه : أنفر من قدر الله تعالى ؟ قال عمر نعم نعم نعم من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، فقال : أرايت لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعتان : إحداها محصبة ، والأخرى مجذبة أليس إن رعى المحصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال عندي فيه يأمر المؤمنين شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر قال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ^(١) » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجاية بالناس ، فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل . فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء ، وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التداوى الفرار من الضر ، والهواء هو الضر فلم يرخص فيه ؟ . فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن الضر غير منهى عنه ، إذ الحجابة والفصد فرار من الضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن الذى يتقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخص غالبا من الأمر الذى استحکم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرها ، ولو تجرد هذا الذى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منبها عنه ولكن صار منبها عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقى في البلد إلا المرضى الذين أقدمهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقعدوا التمهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يجزؤون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيرًا وخلاصهم منتظر

فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة لم أقف له على إسناد ^(١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجاية وأنه بلغهم أن بالشام وباء الحديث رواه البخارى .

إلى أن تداركه
المعونة من الله الكريم
وبغلب حال المحاسبة
وتستقهر النفس
وتتضبط وتسلمكها
المحاسبة قصير المحاسبة
وطنه ومستقره ومقامه
فيصير في مقام المحاسبة
بعد أن كان له حال
المحاسبة ، ثم ينزله
حالا للراقبة ، فمن
كانت المحاسبة مقامه
يصير له من الراقبة
حال ، ثم يحول حال
الراقبة لتناوب السهو
والغفلة في باطن العبد
إلى أن يتفشع ضباب
السهو والغفلة ويتدارك
الله عبده بالمعونة
قصير الراقبة مقاما
بعد أن كانت حالا ولا
يستقر مقام المحاسبة

كما أن خلاص الأنحاء منتظر فلما أقاموا لم تكن الإقامة قاطمة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطما بالخلّاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين واللسلون كالبقيان يشدّ بمضه بضواؤهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو القى ينقذ عندنا في تعليل التبي وينعكس هذا فيمن لم يقدم على البه فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البه حاجة إليهم، نعم لو لم يبق بالبه إلا مطعونون وانفقوا إلى التمهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقذ استجباب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن جهة المسلمين، وبهذا شبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الزحف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسببا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماصمه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك . فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل ؟ . فتقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج إلى ما يذكره الموت لقلبة النفلة أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والتوكلين أو نصرت بصيره عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف للنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغفه بحاله يمنع عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله لضغفه عن الجمع فإلى هذه المعاني رجعت السورف في ترك التداوى وكل ذلك كالات بالإضافة إلى بعض الخلق وقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه اللقائات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وقيرة واحدة عند وجود الأسباب وتهدأ فانه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم تضرب الأسباب كما أن الرغبة في المال تمنى والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالا فهي أيضا قصص بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أو كل من الحرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب عنده وكان لا عسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من إمساكه فانه كان أعلى رتبة من أن ترقه الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمتة فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك بعظم ضرره، نعم التداوى لا يضّر إلا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصده الصحة ليستعان بها على المصاعى وذلك منهى عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الحجر مشبعا فحكم التداوى في مقصوده كحكم الكسب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوى قد يكون أفضل في بعض الأحوال ، وأن التداوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

قراره إلا بانزل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره إلا بانزل حال المشاهدة فإذا منع العبد بانزل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يصكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما ويتخلص منه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالقضاء والتخلص إلى البقاء والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل يغرق شفاف القلب وذلك أعلى فروع

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الزحف رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد ومن حديث جابر بإسناد ضعيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها تقدم ولقطة عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنيات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك التوهومات كالسكى والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالتوكلين .

(بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكنهانه)

اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البرّ وهو من أعلى اللقائات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات ومع هذا فلا يظهر لأبأس به إذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة : الأول أن يكون خرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لافى معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى ، فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن الطبيب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يعجزها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لعمر الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم . قال الحسن البصري : إذا حمد المريض لله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك عجزه وانقاره إلى الله تعالى وذلك بحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روى أنه قيل لعلى في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فظفر به ضمهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال آجمل على الله ؟ فأجاب أن يظهر عجزه وانقاره مع ما علم به من القوة والضرارة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية » (١) فهذه النيات يرخس في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كاذكرته في تحريم السؤال على انقراء إلا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلًا فلاوجه في حقه للاظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الانقضاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله - فبصر جليل - لاشكوى فيه ، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحران فأوحى الله تعالى إليه : تفرغت لشكواى إلى عبادى فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالَا يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس لعنه الله من أبوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه فجعل الأنين حظه منه ، وفي الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى غير دعواه وإن شكا وذكر شرا قالَا كذلك تكون » (٢) وإنما كره بعض المباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابَه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أشتى أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد رضى الله عنه وعنه أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده الحديث تقدم .

الشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانًا يياشر قلبي » قال سهل بن عبد الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسوداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو مقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بمون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفيق .

﴿ كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرتهم ، وصفي أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ، ثم تجل لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأنوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبجات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فكلما اهتزت لملاحظة كنهه الجلال غشيها من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبصيرته ، وكلاهما بالانصراف آية نوديت من سرادقات الجلال صبر أيها الأيسر عن نيل الحق بجهله ومجملته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرق في بحر معرفته ، ومحرقة بنار محبته . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكامل نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من اللقائات والقدرة العليا من الدرجات فإسبا لإدراك المحبة مقام إلا هو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام إلا هو مقدمة من مقدماتها كالثوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عر وجودها فلم تجل القلوب عن الإيمان بإمكانها ، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض الطغاة إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا الواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة فحال لإمعان الجنس والنال ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة الناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف النطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على العرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب للقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأنفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكرهه المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للذابين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يفرض الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يحبهم ويحبونه - وقوله تعالى - والذين آمنوا أهدى الله سبيله - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي « يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون

القلب ووصلت إلى
سويدائه وهي حق
اليقين هي أسنى المطايا
وأعز الأحوال
وأشرفها ونسبة هذه
الحال من المشاهدة
كنسبة الآجر من
التراب إذ يكون ترابا
ثم طينا ثم لبنا ثم أجرا
فالمشاهدة هي الأول
والأصل يكون منها
الفناء كالطين ثم البقاء
كاللبن ثم هذه الحالة
وهي آخر الفروع .
ولما كان الأصل في
الأحوال هذه الحالة
وهي أشرف الأحوال
وهي محض موهبة
لا تكتسب بحيث
كل المواهب من
النوازل بالعبد أحوالا
لأنها غير مقدورة

الله ورسوله أحب إليك مما سواهما (١) « وفي حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (٢) « وفي حديث آخر « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين (٣) « وفي رواية « ومن نفسه » كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والانسكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهبة فقال « أحبوا الله ما يذكركم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي (٤) « وروى « أن رجلا قال يارسول الله إنني أحبك فقال ﷺ : استعد للفقر فقال إني أحب الله تعالى قال استعد للبلاء (٥) « وعن عمر رضي الله عنه قال « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل ألقى نوره قلبه لقد رأيت بين أبيه يذوانه بأطيب الطعام والشراب فنداه حب الله ورسوله إلى ماترون (٦) « وفي الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فأقبض (٧) « وهذا لا يعده إلا عبد يحب الله بكل قلبه . فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد (٨) « وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يارسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب (٩) « قال أنس لما رأيت المسلمين فرحوا حتى بعد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص حبة الله تعالى شغفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عز جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدين اهتدى فيه والوؤ من لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني

(١) حديث أبي رزين العقيلي أنه قال يارسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد بزيادة في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يارسول الله لأنك أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أحبوا الله لما يذكركم به من نعمه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلا قال يارسول الله إنني أحبك فقال استعد للفقر الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فأعد للفقر تحفا دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية بأسناد حسن (٧) حديث إن إبراهيم قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يقبض خليله الحديث لم أجد له أصلا (٨) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يارسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه .

للعبد يكسبه فأطلقوا القول وتداولت السنة الشيوع أن القامات مكاسب والأحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مواهب إذ المكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب فالأحوال مواجيد والقامات طرق المواجيد ولكن في القامات ظهر

الكسب وبطنت المواهب وفي الأحوال بطن الكسب وظهرت المواهب فالأحوال مواهب علوية صماوية والقامات طرقها وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق

إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . وروى
أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى
فقالوا الحرف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الحائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا
وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم
جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم البراقع من النور فقال ما الذي بلغ
بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أنتم للمحبين أنتم للمحبين أنتم للمحبين . وقال عبد الواحد بن زيد
مررت برجل قائم في الحاج فقلت أما تجد البرد فقال من شغل حب الله لم يجد البرد . وعن سري السقطي
تدعى الأمم يوم القيامة بأبنائها عليهم السلام فقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير
المحبين لله تعالى فانهم نادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا . وقال هرم
ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الاقبال إليه
لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة .
وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه
يدهش العقول فكيف ودهوده ينسى مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبيد أنا وحقت لك
عجب فبحق عليك كن لي محبا . وقال يحيى بن معاذ من قال من محبة أحب إلى من عبادة سبعين
سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ إني مقيم بفنائك مشغول بفنائك صغيرا أخذتني إليك وسر بلتي
بمرفقتك وأمكنتي من لطفك وتمنتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا
وحبا تسقني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغولا بقولك ولما طرت شاربي ولاح
طأري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك ددنه
وبالضراعة إليك هممة لأنى محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد
في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإتمام الغموض
في تحقيق معناه فليشتغل به .

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن الطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها
ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا
بعد معرفة وإدراك إدراك لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جاد بل هو من
خاصية الحى المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى
ما ينافيه وينافره ويؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بلام وإلا فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف
بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذية محبوب عند الملتذبه ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه
ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء اللذ الذي تأكد
ذلك الميل وقوى سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمي مقتافها
أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للإدراك
والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فكل حاسة إدراك لنوع من المدركات
والكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع
المستلهم فلهذا العين في الابصار وإدراك المبصرات الخلية والصور اللطيفة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في
المنعمات الطيبة للموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللس في اللين والنعومة

السموات فاني أعرف
بها من طرق الأرض
إشارة إلى القامات
والأحوال فطرق
السموات التوبة والزهد
وغير ذلك من القامات
فان السالك لهذه
الطرق يصير قلبه
مماويا وهي طرق
السموات ومتزل
البرصكات وهذه
الأحوال لا يتحقق بها
إلا ذو قلب سهاوي .
قال بعضهم الحال هو
الذكر الخفي وهذا
إشارة إلى شيء مما
ذكرناه وصحمت الشايع
بالمرق يقولون الحال
مامن الله فكل
ما كان من طريق
الاكتساب والأعمال
يقولون هذا مامن
العبد فاذا لاح للمريد

ولما كتب هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أى كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوا ومعلوم أنه لاحظ للمعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن إلا للبصر والشم دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مقلته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذلك الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب فاذن قد بطلت خاصية الإنسان وما عيّن به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو عاشت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيئات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فتكون لا محالة لغة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا لليل إلى ما في إدراكه لغة كما سيأتي تفصيله فلا يسكر إذن حب الله تعالى إلا من قد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيان أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللاتم للحب وأي شيء أتم ملازمة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه جسد الموت ولا مجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بلاء فحجوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فلهلاك والعدم مموت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكأن الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر الفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم مموت في الصفات وكأن الوجود كما أنه مموت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء للأغنياء بها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكأله بها حتى إنه يحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتعمل للشاق لأجله لأنه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نفسه نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما يحجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا ، نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث النسائي من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم .

شيء من اللوالب
والواجد قالوا هذا
مامن الله ومحموه حالا
إشارة منهم إلى أن
الحال موهبة . وقال
بعض مشايخ خراسان
الأحوال موارث
الأعمال . وقال بعضهم
الأحوال كالبروق
فإن بقي فحدث النفس
وهذا لا يكاد يستقيم على
الاطلاق وإنما يكون
ذلك في بعض الأحوال
فإنها تسطرق ثم تستلبها
النفس فأما على الإطلاق
فلا والأحوال لا تغتزع
بالنفس كالماء -
لا يغتزع بالماء .
وذهب بعضهم إلى
أن الأحوال لا تكون

لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه الحق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه
لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجسلا بكاملهم فان العشرة والمال والأسباب
الخارجة كالجناح الكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب الطبع لا محالة فاذا كان المحبوب الأول عند
كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروم عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب. السبب الثاني:
الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها
وقال رسول الله ﷺ «اللهم لا تجعل لنا جزا على» بدا فيحبه قلبي^(١)» إشارة إلى أن حب القلب لله حسن
اضطرار لا استطاع دونه وهو جيلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الأجنبي
الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجوع إلى السبب الأول فان المحسن من أمد بالمال
والعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحفظ والبقاء التي بها يتبها الوجود
إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة
الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها
والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم
محبوب لذاته والأستاذ محبوب لسكونه حبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير
محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذا يرجع الفرق إلى
تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فأحب
ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو قصص قصص
الحب ولو زاد زاد وينتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه. السبب الثالث أن
يحب الشيء لذاته لا لحظ يتال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ
الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك
لمين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تنتظن أن حب
الصورة الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة
لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا لذية فيجوز أن يكون محبوا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة
والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو يتال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري^(٢) والطباع السليمة قاضية باستلذاذ
النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى إن
الانسان لتفرج عنه الصوم والمحموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملزمة
وكل لذية محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا
بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف به جماله وجلاله كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال»^(٣).

[الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحموسات

(١) حديث اللهم لا تجعل لكافرا على يدا فيحبه قلبي أبو منصور الديلمي في مستند القردوس من حديث
معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعجبه الخضرة والماء الجاري أبو نعيم في
الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الخضرة وإلى الماء
الجاري وإسناده ضعيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود.

إلا إذا دامت فأما إذا
لم تدم فهي لوائح
وطوالع وبوادروهي
مقدمات الأحوال
وليست بأحوال.
واختلف الشيخ في أن
العبد هل يجوز له أن
ينتقل إلى مقام غير
مقامه الذي هو فيه
قبل إحكام حكم مقامه.
قال بعضهم: لا ينبغي
أن ينتقل عن الذي هو
فيه دون أن يحكم حكم
مقامه. وقال بعضهم:
لا يكمل للمقام الذي هو
فيه إلا بعد ترقية إلى
مقام فوقه فينظر من
مقامه العالي إلى مادونه
من المقام فيحكم أمر
مقامه. والأولى أن يقال
والله أعلم: الشخص في
مقامه يمتطي حالا من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الحلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لثمة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الحلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل هو لهذا ثوب حسن وهذا إله حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن المعين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من اللدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فلهذا معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم العامة الاطباب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء بمجمله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فإذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كركر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الأواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فان قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فانها لا تنفك عن إدراك الحواس لها ففى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها وإنما ينكر ذلك في غير اللدرك بالحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والروء وسائر خلال الخير وشي من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع محبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أبواب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه فكيف من دم أربق في نصرة أبواب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعى مثلاف محبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بحدارك الدين وانتهائه لافادة علم الشرع ولشهره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبابكر الصديق رضى الله عنه ويفضله على غيره أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجهه وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات الحمودة التى هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا

مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء إلى العبد أنه يرتقى أولا يرتقى فان العبد بالآحوال يرتقى إلى المقامات والآحوال مواهب ترقى إلى المقامات التى يترج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب رقيه إليه فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزيادة الآحوال فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والآحوال حتى التوبة

بقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته لجميع خلال الخير ينشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس ومحلها من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوا لأجله ، فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحسوب مصدر السير الجميلة ، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ، وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الخلق وطبعه إذا أردنا أن نحب إليه غائبا أو حاضرا حبا أوميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فلهما اعتقد ذلك لم يتماثل في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن واللقاب التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتمًا بالسخاء ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحبهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله الحب منهم بل إذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض أنظار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد الزار ونأي الديار ، فاذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط لإحسانه إلى الحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والسورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يعيل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة ففتان بين من يحب تقشا مصورا على الحائط للجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : المناسبة الخفية بين الحب والمحسوب ، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « لما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »^(١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضا من عجائب أسباب الحب ، فاذن ترجع أنسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الإنسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويسعى على بقائه ودفع الهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاعتداله كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوا لاعتداله غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات السكال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فلتبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام . قال أبو عثمان الخيري منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ، أشار إلى الرضا ويكون منه حالاً ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتقرب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولا . قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا الاتقياء من القفلة فيرده إلى اليقظة فإذا تيمّظ أبصر الصواب من الخطأ .

(١) حديث لما تعارف منها ائتلف مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصحبة .

(بيان أن الاستحق للمحبة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبته إلى الله لذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز به إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن ترجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما تخيله ضفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقياً وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكآله ودوام وجوده وبضه لهلاكه وعدمه وتقصانه وقواطع كآله فهذه جملة كل حى ، ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكآله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المبتدع الوجد له وهو البقى له وهو الكل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب للوصول إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف له لا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالبقاء ، وهو ناقص بحد لوجوده لولا فضل الله عليه بالتكامل لحلقته . وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا اليوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يحب للفيد لوجوده والديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومختراً مبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة فتعتمد بالندامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وقائض منها ووجودها هو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احتراطاً عند وقوع القابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الفرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فإنه يحب ربه وقوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصاه وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلا نه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم في التمتع به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطارأ رضى إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربته في الصفات من الملائكة ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر ضياء في القلب يصير به خطأ تصدع الزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق السلم وزجر من طريق الضل وزجر من طريق الزجر من طريق الإيمان فينازل التائب حال الزجر وهى موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة ولا يزال بالعبد ظهور هوى النفس يحويه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد بنار حال تربيته فنة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبض له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بموته وأتدب
لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شرّ الأشرار عنه وانتهى وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في
نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بينه يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى فانه
لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فاست
أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد
أشرفنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير
متصور إلا بالجواز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خرائته ومكنك
منها لتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به
وبعاله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلق
ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه
أن صلاح دينه أودياه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله
عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أودياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً
في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباعثة
للهفة إلى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطراب
مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن
حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما
الاحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين لأنه لا يبدل ماله إلا لنفرض له في البذل إما أجل وهو الثواب
وإما عاجل وهو اللذة والاستسحار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاوة والكرم أو جذب قلوب الخلق
إلى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان
إلا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فقلت مقصودا بل يدرك آله في القبض
حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرتك في القبض
للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة فاذن هو غير مستحق للشكر
والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسلط الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى
خازن الأمير فانه لا يرى محسناً بتسليم خزمة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة
والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن
لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه دينا
ودنيا في بذله فبذله لذلك . والثاني أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما
لا يعد البائع محسناً لأنه بذل بموضع هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب
أو الحمد والثناء أو عوضاً آخر وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متمولاً بل الحظوظ كلها
أعوض تستحق الأموال والأعيان بالإضافة إليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من
غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً
إليهم ولأنهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فانه يتعالى عن الأغراض فللفظ الجود والاحسان في حق
غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال ومتمتع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو للتفرد
بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله

فدمجو أثره بدلالة
شره النفس وحرصها
على الدنيا ورؤية العاجلة
حتى تتداركه المعونة
من الله الكريم فيزهد
ويستقر زهده ويصير
الزهد مقامه ولا تزال
نازلة حال التوكل تفرغ
باب قلبه حتى يتوكل
وهكذا حال الرضا حتى
يطئن على الرضا ويصير
ذلك مقامه وههنا
لطيفة وذلك أن مقام
الرضا والتوكل يثبت
ويحكم ببقائه مع وجود
داعية الطبع ولا يحكم
ببقاء حال الرضا مع
وجود داعية الطبع
وذلك مثل كراهة
مجدها الراضى بحكم
الطبع ولكن علمه
بمقام الرضا يغمر حكم

تعالى إذا الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على
الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وإن
لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق
بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر
ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد
في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وتفرقة عن الثاني وهو البغض مع أنك آتس من خير الأول
وآمن من شر الثاني لا تقطع طمعك عن التوغل إلى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث إنه محسن
فقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا
إلا من حيث يتعلق منه بسبب فإن الله هو المحسن إلى الكافة والتفضل على جميع أصناف الخلائق
أولا بأعبادهم وثانيا بتكليفهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيهم وتنعيمهم
بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجملهم بالمزايا
والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجية عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء
الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين
وحمرة الشفتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري
من النعم الخارجة عن بدن الانسان الساء والغذاء ومثال الحاجة السواء واللحم والفواكه ومثال المزاي
والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار وقائده الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل
صنف من أصناف الخلق من فدوة العرش إلى منتهى القرش فاذن هو المحسن فكيف يكون غيره
محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فإنه خالق المحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه
العلة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لاحظ ينال منه وراء إدراك
الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين
الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والأول يدركه الصبيان والبهائم
والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة
حب الأنبياء والعلماء وذوى السكارم السنية والأخلاق للرضية فإن ذلك متصور مع تشوش صورة
الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك بحسن آثاره
الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبه إلا المحسن مظهره
منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي
مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف الصنف وحسن
شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأدغال صفاتها الجميلة الباطنة
التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان العلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة
كان العلم أشرف وأجمل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل
رتبة وأشرف قدرا وأجل للمعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهر حكم
الطبع في وجود
الكراهية المقصورة
بالعلم لا يخرج عنه
مقام الرضا ولا يقد
حال الرضا لأن الحال
تجردت موهبة أحرق
داعية الطبع فيقال
كيف يكون صاحب
مقام الرضا ولا يكون
صاحب حال فيه والحال
مقدمة المقام والمقام
أثبت قول: لأن المقام
لما كان مشوبا بكسب
العبد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما
كانت موهبة من الله
نزعت عن مزج الطبع
بحال الرضا أصل ومقام
الرضا أمكن ولا بد
للمقامات من زائد
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة . والثالث تزهيمهم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخاق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة أو بوضحة لم يطلعوا على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم فبتعليمه عدوه كما قال تعالى - خاق الإنسان علمه البيان - فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكلاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعم وإن كان الأجهل لا يغلو عن علم ما تقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجهلهم لأن الأعم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخاق متناهية . وأما صفة القدرة فهي أيضاً كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه للبدن حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالد رضى الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصادف في قلبه اهتزازاً وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد لذة السماع فضلاً عن المشاهدة وبورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكاً وأقوامهم بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقهرهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مامتى قدرته وإنما غاية أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الناس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ضرراً ولا نفعاً بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الحرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج إلى عد ما يجز عنه في نفسه وغيره بما هو على الجملة متعلق قدرته فضلاً عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بوضاه على أعظم ملك أقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس لمعبد قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إن أمكننا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض والأرض كلها مدبرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غيرة من تلك القدرة ثم تلك القدرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه فيه - تحب أن يحب عبداً من عباد الله تعالى لقدرة تمسياسة وتمكينه واستيلائه وكال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال . وأما الأحوال فمنها ما يصير مقاماً ومنها ما لا يصير مقاماً والسر فيه ما ذكرناه أن الكسب في المقام ظهر والموهبة بطنت وفي الحال ظهرت للموهبة والكسب بطن فلما كان في الأحوال الموهبة غالبية لم تتقيد وصارت الأحوال إلى ما لا نهاية لها ولطف معنى الأحوال أن يصير مقاماً ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى وكلمة موسى وخلة إبراهيم

القاهر والعالم القادر السموات مطويات يمينه والأرض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعب بخلقها ولا يعبه لئوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا هو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والمظنة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواء أصلا . وأما صفة التنزه عن العيون والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون وإن كانوا منزهيين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه إلا بالواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام . وأما كل مخلوق فلا غلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله وأيسر في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو التفرد بالكمال للتنزه عن النقائص القدوس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزه في حقه عن النقائص بطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا تطول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقة إلهه وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة إلى ما هو أشد منه نقصانا كما أن للفارس كالا بالاضافة إلى الجمار وللإنسان كالا بالاضافة إلى الفرس وأصل النقص شمل للكل وإماتة فتوتون في درجات النقصان ؛ فاذن الجليل محبوب والجليل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأتلى الذي لا أول لوجوده الأبدى الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم مكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجناد والحيوان والنبات التفرد بالعزة والجبروت المتوحد الملك والمالك ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الأسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، قلت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيرا وبجمله مجازا أينسرك أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونعوت الكمال والحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والمظنة محبوبا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بشار العينان غيرته على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبق له منه الحسن الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الحاسرين في ظلمات العمى يقيمون وفي مسارج المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن يعطى الربوبية حقها ، وفي الزبور : من أظلم ممن

(١) حديث لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

عليه السلام لطلب ما وراء ذلك لأن مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ولا تعطى الأولياء ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه به على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستئزال بركة المزيد بقوله عليه السلام « كل يوم لم أزد فيه علما فلا يورك لي في صبيحة ذلك اليوم » وفي دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم ما قصر عنه رأيي وضئف فيه

عبدني لجنة أوتار لولم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ، ومريم عيسى عليه السلام على طائفة من المباد قد نحلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتهم ، ومريم يقوم آخريين كذلك فقالوا نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله فقال أتم أولياء الله خدامكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحي أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالآجير السوء إن لم يسط لم يعمل ، وفي الخبر «لا يكونن أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل»^(١) وأما السبب الخامس للحب فهو للناسبة والشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه ويغفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمخترق وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلح ، وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهده الأخبار والآثار كما استقصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصبغة فليطلب منه وإذا كانت الناسبة سبب المحبة فالناسبة قد تكون في معنى ظاهر كناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فالعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى للناسبة باطنة لا ترجع إلى الشابهة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يستر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك فالتدبير يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أقرها بالاعتقاد والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والاطمئنان وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنيحية لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمسكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من الناسبة الخاصة التي اختص بها آدمي فهي التي يومية إليها قوله تعالى - ويسئلك عن الروح قل الروح من أمر ربي - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى - فإذا سويته ونفخت فيه من روحي - ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى - إنا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك الناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته»^(٢) حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة للدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا ، تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام «مرضت فلم تعدنني فقال يا رب وكيف ذلك قال مرض عبدني فلان فلم تعده ولوعدته وجدتنني عنده»^(٣) وهذه الناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرض كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت معه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به»^(٤) وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد

عملى ولم تبلغه نيق وأمنيق من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لا تنحصر والأحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله التي يفند البحر دون تقادها وتنفذ أعداد الرمال دون أعدادها والله النعم المعطى .

[الباب التاسع

والخمسون في الاشارات

إلى اللقائات على

الاختصار والايجاز]

أخبرنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السهروردي رحمه الله

قال أنا أبو منصور بن

(١) حديث لا يكونن أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل لم أجده أصل (٢) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٣) حديث قوله تعالى مرضت فلم تعدنني فقال وكيف ذلك قال مرض فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وذل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو إلهه وقال آخرون منهم مدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتشيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السرف فهم الأقول ، ولعل أبا الحسن النورى عن هذا القام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لازلت أنزل من ودادك منزلا تحير الأبواب عند نزوله

فلم يزل يعدو في وجده على أجمة قد قطع قصبا وبقي أصوله حتى تشقت قدماه وتور متاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا ، فهذه هي العلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي أعلى الدرجات لا في أدناها فكان المقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير لمشاركته إياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا يفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا أصل المحبة والكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا .

(بيان أن أجل الذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن الذات تابعة للإدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والفرائز وكل قوة وغريزة للذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذى خلقت له فان هذه الفرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع والشم فلا تغلو غريزة من هذه الفرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدرجاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهى لقوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسماء فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست منخبة ولا محسوسة كما إذا كان خلق العالم واقفا قاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفه الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن ندم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور وكلها لمقتضى طبعها للمعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى إن الذى ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذى ينسب إلى الجهل ولو في شيء خفيف يغم به وحتى إن الانسان لا يكاد يصبر عن اتحدى بالعلم والاتحدى به في الأشياء الحقيقية فالعالم بالالمع بالشرع على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعاليم وينطلق لسانه بذكر ما يطمح وكل ذلك لقرط لذة العلم وما يستشعره

خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طلى بن محمد الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال أنا الحسين بن الحسن الروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا الهيثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم المدائني قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إنى رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أنت من الاستغفار فأتى استغفاره

من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع إذا أتى عليه بالتكامل وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الشئ كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والحياة كلفة العلم بسياسة الملك وتدير أحوال الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلفة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملوكوت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك مجده لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تديره فى رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار الوزير وتديره وما هو عازم عليه فى أمور الوزارة فهو أشهى عنده والأذن علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده والأذن علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وجه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألد المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فان كان فى المعلومات ما هو الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل فى الوجود شئ أجلى وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزيناها ومبدئها ومميدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التى لا يحيط ببادى جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك فى ذلك فلا ينبغي أن تشك فى أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يظم به الفرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم لذى وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتديره فى ملكوته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولاً كمخالفة لذة الوقاع لذة السماع ولذة المعرفة لذة الرياسة وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق للقتل من الجماع لذة القاتل للشهوة كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل للفائق الجمال لذة النظر إلى مادونه فى الجمال وإعتراف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان الخير بين النظر إلى صورة جميلة والمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة القلب فى الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق فى الكشف عن ترجيح اللذات فنمودت قول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلفة الحواس الخمس وإلى باطنة كلفة الرياسة والقلب والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للذن ولا لللس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاسيلاء فان كان الخير خسيس الهمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختاره لرياسة يدل على أنها ألد عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذى ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والتمتة ففقه معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

فى اليوم واليلة
مائة مرة وروى
أبو هريرة رضى الله عنه
فى حديث آخر «فانى
لأستغفر الله وأنوب
إليه فى كل يوم مائة
مرة» وروى أبو بردة
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إنه
ليغان على قلبي فأستغفر
الله فى اليوم مائة مرة»
وقال الله تعالى - وتوبوا
إلى الله جميعا أيه
الؤمنسون لعلكم
تفلحون - وقال الله
عز وجل - إن الله يحب
التوابين - وقال الله
تعالى - يا أيها الذين
آمَنوا توبوا إلى الله
نوبة نصوحا - التوبة
أصل كل مقام وقوام
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الإلهية أنه من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والله ذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين برأسهم الله بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوباً بالكسورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهبا أنهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة إليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عِلين إلى أسفل السافلين فإنها خالية عن الزاحمات والكسورات منسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإعنا عرضها من حيث التدبير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني مملوئ بالملوت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخلها من حجبها فأما أن يعدمها فلا ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أو اتابوا أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية - ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول في الحركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر « إن الشهيد يتنقش في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتنقش لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء ^(١) » فاذن جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحسبه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثله من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلاً إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبيحة ولا لصبي ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لدوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثران الرياسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بعرفته من نال رتبة المعرفة وذائقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللبب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم البنفسج عند العنين لأنه قد الصفه التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وتحلل الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فإنها أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالدوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا

(١) حديث إن الشهيد يتنقش أن يرد في الآخرة إلى الدنيا ليقول مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يتنقش أن يكونوا علماء الحديث .

حال وهي أول اللقائات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإنى يبلغ على وقد سعى وجهدى اعتبرت اللقائات والأحوال ومخترتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة ثم رأيتها في إفادة الولادة العنوية الحقيقية بمثابة الطابيع الأربع التي جعلها الله تعالى بأجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع لم ينج ملكوت السموات

القدر ينهيك على أن معرفة الله سبحانه ألد الأشياء وأنه لآلة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبدا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجبك إلى العباد والالتقاط عن الخلق فكنت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفتي مشغولا يطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان وبشر بن قانت قال علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه وعن علي بن الوفي قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص يصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف قلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان : من كان ليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لأربعة ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه ، وقالت في معنى المحبة نظما :

أحبك حين حبّ الهوى وحبا لأنك أهل لداكا
فأما الذي هو حبّ الهوى فتغلب بك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي المحب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بمحظوظ العاجلة وبعبه لما هو أهل له الحب لجأله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما واندم مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (١) وقد تعجل بعض هذه الذات في الدنيا لما انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقولونه جنونا أو كفرا فتمسك العارفين كلامهم وصله ولقاؤه فقط فمضى قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من أو إذا حصلت اتحدت المحموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بآلة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لو عدا الله تعالى به عبادة وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن الذات المفرقة بالشهوات المختلقة كلها تنطوي تحت هذه اللفة كما قال بعضهم :

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

ويكشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المزلات ويعطي بجميع الأحوال والمقامات فكلاهما من هذه الأربع ظهرت وبها تهيات وتأكدت فأحد الثلاث بعد الإيمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالية من غير فتور وقصور ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي

كانت لقي أهواء مفترقة فاستجملت مذ رأيتك العيين أهواي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الوري مذ صرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم سفلا بذكرك ياديني ودنياي
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إثبات لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذتهم ما ذكره
وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده
الذات من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة
اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة
الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الآخر إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
العشرين وحب العلوم يقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن الإدراكات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور التخيلة والأجسام المتلونة والمشكلة . من
أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة
والإرادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
والكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة المرئية تكون مواقة للتخيلة وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة
المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشخص يرى في وقت الافطار قبل انتشار ضوء
النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف ، فاذن
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لأنه
غاية الكشف لا لأنه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل للكشوف في الجبهة أو الصدر
مثلاً استحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً
في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والابصار ما بين التخيل والرؤية فيسمى الثاني أيضاً بالامتداد إلى الأول
مشاهدة واقعة ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن سنة
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر
والرؤية ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة بموارض البدن ومقتضى الشهوات

قلة الكلام وقلة الطعام
وقلة المنام والاعتزال
عن الناس . واتفق
العلماء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
القامات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدال أبدالاً بتأييد
الله تعالى وحين
توفيقه وبنين بالبيان
الواضح أن سائر
القامات تدرج في
صحة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالقامات
كلها وأولها بعد الإيمان
التوبة وهي في مبدأ
صحتها تقتصر إلى أحوال
وإذا صحت تشتمل
على مقامات وأحوال
ولا بد في ابتدائها
من وجسود زاجر

وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنسحب إلى الشاهدة والقائم في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يلبق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراني - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أي في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المعراج (١) . فإذا ارتفع الحجاب بالموث ببيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الحبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الحبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبداً الآباد نعوذ بالله من ذلك . ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضاً يقطع منه الحبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة (٢) ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا ويصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن حملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحد من خلقه فانه واقع بعد اقامة وقت القيامة مجهول ففند ذلك يشتغل بصنائه وقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانه انكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تجليه ، وهذه الشاهدة والتجلى هي التي تسمى رؤية ، فاذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

ووجدان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها . قال رجل لبشر الحافي مالى أراك مهموماً . قال لأنى ضالاً ومطلوب ظللت الطريق والمقصود وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركتني وليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأزجر . وقال الأصمعي : رأيت أعرايا بالبصرة يشتكي عينيه وهما يسيل منها المساء فقاتله ألا

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم مارأى الله تعالى ليلة المعراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيت نوراً إني أراه ورجال إسناده رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضعيف .

الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها بيها لا تفرق منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة المرئية هي التخيّل بيها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - إسمي نورم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا - إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كانتقلب النواة شجرة والحب زرعاً ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف باختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لهامحلاتها بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة^(١)» فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشرة إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشرة ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لهامحلاته يتجلى أقدر به وكانك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على الطعوم والنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى النكوح والطعوم والشروب جميعاً فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى الطعوم والنكوح وهؤلاء بينهم هم الذين حالمهم في الدنيا ما وصفناه من إشارته لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة للنكوح والطعوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ماتحولين في الجنة فقالت الجارثم الدار فينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يعوت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتعم به بعينه فقط إلا أنه ينقلب مشاهدة يكشف النطاء فتضاعف اللذة به كما تضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السماعات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان. فإن قلت فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضاعفها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها. فاعلم أن هذا الاستحقاق للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بملائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلما عارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لانسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والشاهدة كما لانسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته وللذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها وللذة اللس باليد إلى لذة الوقاع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فقول

(١) حديث إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الإسناد وفي الميزان للذهبي أن لدار قطني رواء عن المهاملي عن علي بن عبدة وقال الدارقطني إن علي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

تمسح عينك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا يزرع فالزاجر في الباطن حال يهيه الله تعالى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه. قال بعضهم: من لزم مطالعة الطوارق انتبه. وقال أبو يزيد : علامة الانتباه خمس إذا كر نفسه اقفر وإذا كر ذنبه استغفر إذا ذكر الدنيا انتبه وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اقشعر . وقال بعضهم: الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى

لذة النظر إلى وجه المشرق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المشرق ونقصاته فان اللذة في النظر إلى الأجل أكمل لا محالة . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذامن اشتد عشقه كالتذامن ضعف شهوته وجهه . والثالث كمال الإدراك فليس التذامن رؤية المشرق في ظلمة أو من وراء سترة رقيق أو من بعد كالتذامن إدراكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء ولا إدراك اللذة الضاحجة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع العوائق للشهوة والآلام الشاغلة فليس التذامن الصحيح الفارغ للتجرد فتنظر إلى المشرق كالتذامن الخائف للدعور أو الرريض للتألم أو للشغل قلبه بهم من الهمات قدر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجهه مشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزناير تؤذي بمرئيه وتغفل قلبه فهو في هذه الحالة لا يغلو عن لذة مامن مشاهدة مشوقه فلوطرأت على القبحاء حالة انبعاث بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سلبا فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يستد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات للتساقط على الانسان من الجوع والعطش والغضب والنم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا ونقصاتها عن الشوق إلى اللآلئ والأعلى والتفاتا إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفاتا إلى اللعب بالصفور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يغلو عن هذه للشهوات ولا يتصور أن يغلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقفا يدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينقصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منخسة إلى اللوت وإنما الحياة الطيبة بعد اللوت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبلدر وبهر المعرفة لا ساحل له فلا حيلة بكنهه جلال الله تعالى فكما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر التسمي في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البلدر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البلدر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله» (١) لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانتطاع عن علائق الدنيا والتجرد لطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحببه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالناس إلى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تمهله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجهه عند أهل المعرفة . وأما سائر الخلق فنظروهم مقصور على شهوات الدنيا وإن اتسعت

التيقظ فإذا تيقظ
أزيمه تيقظه الطالب
لطريق الرشيد فيطلب
وإذا طلب عرف
أنه على غير سبيل الحق
فيطلب الحق ويرجع
إلى باب توبتهم يعطى
باتقاه حال التيقظ.
قال فارس : أوفى
الأحوال التيقظ
والاعتبار . وقيل :
التيقظ تبيان خط
السلك بعد مشاهدة
سبيل النجاة . وقيل :
إذا صحت اليقظة كان
صاحبها في أوائل
طريق التوبة . وقيل :
اليقظة خردة من
جهة الولي لقلوب
الخائفين تدلهم على
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحارثي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي عمير عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ووالد المطلب عبد الله بن حوطب مختلف في محبته ولأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الأمانة والترمذي من حديث أبي بكر أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقدم

أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران ممدرة الجهل والنفلة فالجهل والنفلة مغرس كل شقاوة والعلم والعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى الشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لفظة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لفظة الرؤية ومعنى كونها اللذات سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لم تكن الرئاسة الله من الطغومات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن البقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا ينظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالقصور عن أحد الأمور ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر بالضرورة والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى)

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فان الآخرة معناها التقدم على الله تعالى ودرك سعادته لقائه وما أعظم نعيم الحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبداً الآباد من غير منقوص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب البعد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى يقبض إلى الاستتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء . ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . وكما الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومبادم يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم - وبقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أى لا معبود ولا محبوب سواء فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو القيد والمعبود هو القيد به وكل يحب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرأيت من اتخذ إلهه هواً - وقال ﷺ « أبغض إله عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله خلاصاً دخل الجنة » (٢) ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله قاله نبياً - جنة لأنها مائة من مشاهدته محبوبه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب فما حاله من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتغادى عنه حبسه غلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبداً بأفاداً أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا وحب الأهل والمال والولد والأقارب والمقارب والدواب والبساتين والمتنزهات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله خلاصاً دخل الجنة تقدم .

يقضه قل بذلك إلى
مقام التوبة فهذه
أحوال ثلاثة تقدم
التوبة ثم التوبة في
استقامتها تحتاج إلى
الحاسبة ولا تستقيم
التوبة إلا بالحاسبة .
قل عن أمير
المؤمنين على رضي
الله عنه أنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل
أن تحاسبوا وزنوها
قبل أن توزنوا
وتزينوا للعرض
الأكبر على الله يومئذ
تعرضون لا تخفى
منكم خافية - فالحاسبة
بحفظ الأنفاس وضبط
الحواس ورعاية
الأوقات وإثارة المهمات
ويصلح العبد أن

حتى إن المتفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنه باق ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدرة من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من للشرق إلا ويعبداً بالضرورة من المغرب بقدرة ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضررتها بالدنيا والآخرة ضررتان وهما كالشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لدى القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار بالعين وسيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والالتزام إليهما بزمان الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخليّة القلب عن غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم ينشعب منه الخوف والرجاء وينشعب منها التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميع طهارة القلب عن غير الله قطب حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بحرى مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال - ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - وإليها الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب - أي المعرفة - والعمل الصالح يرفعه - فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكالخادم وإتمام العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإتمام الأول علم العامة وغرض العمل وغرض العامة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم الكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تنبها المحبة بالضرورة كما أن من كان متعدي المزاج إذا أبصر الجليل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وبقوله تعالى - شهد أقامناه لآله الإله - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي وربى ولولا ربي لما عرفت ربي وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الآية وبقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وبقوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وبقوله تعالى - الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حاسير - وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجه عن الحصر . فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لعله سبحانه بعده واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستبد به الهوى وتستره الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية أداء حق الربوبية وبراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويبد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل المقدمات القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تسكت في

(١) حديث الطهور شطر الإيمان - لم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة . فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو قاطع والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيرادها في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس وللنافع من ذكر هذا التوسع وكثرته وانتساب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنهجه وجلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فالخوض فيه انغماس في بحار علوم لا تكشفه ولا يمكن أن يتطفل به على علوم العامة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإعجاز ليقع التنبيه لجنسه . فنقول : أسهل الطريقين النظر إلى الأمثال فلتتكمّل فيها ولنترك الأعلى ثم الأمثال الإلهية كثيرة فنطلب أقلها وأحقها وأصغرها ولننظر في هجائها فأقل المخلوقات هو الأرض وماء عليها أعنى بالإضافة إلى اللائكة وما كوت السموات فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيّف وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها التي هي مركوزة فيها فانه لانسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكسرى كحلقة في فلاة والكسرى في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادير وما أحرر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ «الأرض في البحر كالأصطبل في الأرض»^(١) ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن للكشوف من الأرض عن الماء بجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الأديمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغرها بالإضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بمقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للقليل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في بطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الفاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والمأخضة ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أثبت له آلة الطيران إلى الإنسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يرضيه الخرطوم وكيف علمه اللس والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفًا حتى يجري فيه الدم الرقيق ويتنهي إلى بطنه وينتشر في سائر أجزائه وينفذه ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الحرب واستعداد آله وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعيدة منه فيترك اللس ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حديقين حتى يصير موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حذقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حذقة الأجبان لصغره وكانت الأجبان مصقلة لمرآة الحذقة عن القذى والنباح خلق للبعوض والذباب يدين فتتظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالأصطبل في الأرض لم أجده أصلًا .

القلب نكتة سوداء
وتعقد عليه عقدة
وللتفقد الحاسب يحيى
الباطن للصلاة بضبط
الجوارح ويعقق مقام
الحاسبة فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق
على أجزاء وقته إلى
الصلوة الأخرى فلا تزال
صلاته منورة تامة بنور
وقته ووقته منورا
معصورا بنور صلاته .
وكان بعض الحاسبين
يكتب الصلوات في
قرطاس ويدع بين كل
صلتين يامنا وكما
ارتكب خطيئة من
كل غية أو أمر آخر
خط خطأ وكلماتكم
أو تحرك فيها لا يسيب
قط قطعة ليضرب
ذنبه وحركته فيها

فتراه على الدوام يحسح حدقيه يديه وأما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتبشكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعليها كيفية التصقيل باليدين ولأجل ضعف أبصارها تراها تنهافت على السراج لأن بصره ضيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت الظلم إلى الموضع المضي فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسه إليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لتقصاتها وجهلها فاعلم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الأكباب على الشهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي بجهل الفراش قائماً باعترافها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أومدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تنهاتون فيها تنهافت الفراش» (١) فهذه لمعة عجبية من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الاحاطة بكنهه وعجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهر صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يرشون وكيف استخراج من لعبها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترارها عن التماسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملةاها أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه يقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجبا آخر العجب إن كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفركك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل السدس فلاتبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مائعا بل سدسا لخاصة في الهيكل السدس يقصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لا تضيع الزوايا فبقى فارغة ثم لوبناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراص الحلقة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا للسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطائفه

لا يعبئه تضيق المحاسبة
محاربي الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء
لموضع صدقه في حسن
الانقياد وحرمة على
تحقيق مقام العباد وهذا
مقام المحاسبة والرعاية
يقع من ضرورة محبة
التوبة قال الجيد: من
حسن رعايته حامت
ولايته . وسئل
الواسطي: أي الأعمال
أفضل قال مراعاة السر
والمحاسبة في الظاهر
والمراقبة في الباطن
ويكمل أحدهما بالآخر
وبهما تستقيم التوبة
والمراقبة والرعاية حالان
شريخان وصيران
مقامين شريفين
يصحان بصحة مقام
التوبة وتستقيم التوبة

(١) حديث إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تنهاتون فيها تنهافت الفراش متفق عليه من حديث أبي هريرة ثلثي ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن قائنا أخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقصر البخاري على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجزكم وأنتم تفتنون من يدي .

لطفاً به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتناً بعيشه فبجانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمة اليسيرة من محنرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات فإنّ القدر الذي بلغه فهنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولأنسبه لما أحاط به علنا إلى ما أحاط به الماء والأنبياء ولأنسبه لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى ببلده بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علماً في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالباً لسعادة لقاء الله تعالى فأنبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فمساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تال بذلك اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له .

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

اعلم أنّ المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا يشتركون في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تفاوتت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يظلموا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسداً بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم القريبون وقد ذكر الله حال الأسماء الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من القريبين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلاً يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن المامى يعرف علمه بحجلاً واقفيه يعرفه بمصلاً فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وجبه له أشد فأن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لاهالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاهالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والمامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بحجلة ويكون له بحسبه ميل بحجمل والبصير إذا فقه عن التصنيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاهالة لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والمامى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويثير فيه له ويزداد بسببه لاهالة عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكذا ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد بمعرفة قوله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له وما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله مثلاً لكونه محسناً إليه ننمنا عليه ولم يحبه لمداته ضغف محبته إذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعاء وأما من يحبه لمداته ولا يتمتع بالحب بسبب كاله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فمداه وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب لتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى - والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً -

على الكمال بهما
فصارت المحاسبة
والرأفة والرعاية من
ضرورة مقام التوبة .
أدبرنا أبو زرعة إجازة
عن ابن خلف أبي بكر
الشيرواني قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن
الفارسي يقول سمعت
الجريري يقول أمرنا
هذا مبني على فصلين
وهو أن تلزم شك
للرأفة لله تعالى ويكون
العلم على ظاهره قائماً .
وقال المرتضى : للرأفة
مراعاة السر للاحطة
الحق في كل لحظة
ولفظه قال الله تعالى
- ألن هو قائم على
كل نفس بما كسبت -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر الوجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسماها على العقول وترى الأمر بالصد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإعما قلنا إنه أظهر الوجودات وأجلها لمعنى لانفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الوجودات بحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلي عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشموته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لانعرفه وصفاته الظاهرة لانعرف بعضها وبعضها نشك فيه كقدر طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمحياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفة لها عليه إلا لدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسما وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالقل والبصرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهدنا طاقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والوجودات للمدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمتهم وجلاله إذ كل ذرة فأنها تنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أول تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانتهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما تقتصر عن فهمه عقولنا فله سببان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله . والآخر ما ينهيه وضوحه وهذا كما أن الخفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لاختفاء النهار واستتاره لكن لعدة ظهوره فإن بصير الخفاش ضيف إليه نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره بسبب خفائه فيجب أن احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تسببان بأضدادها وماعم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس الشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكاننا نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والقصان وهو أن يعلم ميسار حاله فيها بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الحواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الحواطر تحقق إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالارادة والمراقبة حسم مواد الحواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الحواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلام عروق إرادة للكاره من

فإننا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت للواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بصدمة وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بصبر شديد وذلك لمشاهدة تنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استنباط أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهتد السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشيتين في الدلالة ولكن دلالاته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته ولم تصنف منته فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة ودونه وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل وينهل عن الفعل من حيث إنه معما وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه إنه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا قنينا عنا فقينا بل نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للعرض إلى الأفهام أو باستغنائهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا ينهم فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند قدح العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألهاها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للمادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طيبا فقال سبحانه الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطمة لا يحس بشهادتها لطول الأس بها ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم اقتضت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن ينهر لعظم تعجبه من شهادة هذه المعجائب الخالق فما هذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالتناس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به الكل إذا كان راكبًا لحماره وهو يطلب حمارة والحليات إذا صارت مطلوبة صارت معتمدة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل:

قد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكنه لا يصرف القمرا

لكن بطب بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

القلب وبالمحاسة
استدراك ما انفلت
من المراقبة . أخبرنا
أبو زرعة عن ابن
خلف عن السلمي قال
سمعت أبا عثمان القرني
يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في هذا
الطريق المحاسبة
والمراقبة وسياسة
العمل بالعلم وإذا صحت
التوبة صحت الانابة
قال إبراهيم بن آدم
إذا صدق العبد في
توبته صار منيبا لأن
الانابة ثانی درجة
التوبة وقال أبو سعيد
القرشي المنيب الراجع
عن كل شيء يشغله
عن الله إلى الله وقال
بعضهم الانابة الرجوع
منه إليه لا من شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن تثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار والنظر بأحوال البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيمكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشاق إلى في غيبته لا محالة فأما الحاصل الحاضر فلا يشاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر والوجود لا يطلب ولكن يياته أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما لا يدرك أصلاً فلا يشاق إليه فإن من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق إليه وما أدرك بكامله لا يشاق إليه وكال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوماً للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهومن وجهين لا ينكشف إلا بمثل من الشهادات . فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفة حق نفسه لم يتصور أن يشاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه لشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ونعم الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شعره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوحيان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحاً غاية الانضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فإن الخيالات لا تنفرد في هذا العالم عن التخييل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنخفضات وكذلك يضاف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وتماهي إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة بوجوب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيها اتضح انضاحاً ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية لقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحداً من المعبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطيني ذلك فقد أضررتني القلق قال فرأيت في النوم أنه أوفقني بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه قلت يارب تهت في حبك فلم أدرك ما أقول فاغفر لي وعلني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه ما أن لا يكون له نهاية لافي الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالماً بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يبعد لذلك شوقاً لا يبدأ لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون

غيره فمن رجع من غيره إليه ضيق أحد طرفي الانابة والنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواء ف يرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شجوا لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة لتحقيق تحقيق الرعاية والراقبة . قال أبو سليمان ما استحييت من نفسي عملاً فأحتسبه وقال أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئاً من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع

الطاف الكشف والظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعم واللذة متزايدا أبدا لا يباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعم شاغلة عن الاحساس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعم واقعا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يمشي بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا آتئنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأعمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون الراديه إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو الراد بشمائه وقوله تعالى - انظرونا نقبوس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا - يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزاد في الآخرة إشراقا فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون محظر ولم ينكشف لنا فيه بعدما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه. وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى فيما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك »^(١) وقال أبو الدرداء: لكتب أخبرني عن أخى آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقاءهم لأشد شوقا قال ومكتوب إلى جانبها من طلبى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفى أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال يادود أبلغ هل أرى أنى حبيب لمن أحبني وجلس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبي ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحبته جبالا لا تقده أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فارضوا يا أهل الأرض ما أتم عليه من غرورها واهلوا إلى كرامتى ومصاحبى ومجالسنى واتنسوا بى أو أنسكم وأسارع إلى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائى من طينة إبراهيم خليلي وموسى نبي ومحمد صفي و خلقت قلوب الشائقين من نورى ونصمتها بحلالى . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكركم وينظرون إلى وأنظر إليهم فان حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم . فتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشقيق غنمه ويحمنون إلى غروب الشمس كما يحمن الطائر إلى وكفه عند الغروب فاذا جنم الليل واختلط الظلام وغرشت القرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامى وتعلقوا إلى باضامى فبين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بينى ما يحملون من أجل وبسمعى ما يشكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث : أقذف من نورى في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقلتها لهم . والثالثة أقبل بوجهى عليهم فقرأى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يادود الى كم تذكر الجنة ولا تنسأنى الشوق الى قال يارب من الشائقون اليك قال ان للشائقين الى الدين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الى واني لأحمل قلوبهم بيدي فأضئها على صفائى ثم ادعوا نجباء ملائكتى فاذا اجتمعوا

(١) حديث أنه كان يقول فى دعائه اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت الحديث أحمد والحاكم وتقدم فى الدعوات .

الى ابتداءه فيروض
نفسه ثانيا ومن لم يكن
نفسه بمران الصدق
فيما له وعليه لا يبلغ
مبلغ الرجال ورؤية
عيوب الأفعال من
ضرورة صحة الانابة
وهو في تحقيق مقام
التوبة ولا تستقيم
التوبة الا بصدق
المجاهدة ولا بصدق
العبد في المجاهدة الا
بوجود الصبر. وروى
فضالة بن عبيد قال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
المجاهد من جاهد نفسه
ولا يتم ذلك الا بالصبر
وأفضل الصبر الصبر
على الله بمكوف اللهم
عليه وصدق للراقبة
له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لي فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب الشاقين إلى
وأباهي بكم أهل الشوق إلىّ فإن قلوبهم لتضيء في سبلي للملائكة كما تضيء الشمس لأهل الأرض .
يادادود إني خلقت قلوب الشاقين من رضواني ونصبتها بنور وجهي فأخذتهم نفسي محبتي ،
وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلىّ يزدادون في
كل يوم شوقا . قال داود يارب أرني أهل محبتك ، فقال يادادود أنت جبل لبنان فإن فيه أربعة
عشر ألفا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فإذا أتيتهم فأقرهم مني السلام وقل لهم إن ربكم
يقربكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أجابني وأصفاني وأوليائي أفرح لفرحكم
وأسارع إلى محبتكم فأتاكم داود عليه السلام فوجدكم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة
الله عز وجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود إني رسول الله
إليكم جيشكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى
الأرض ، فقال داود إني رسول الله إليكم يقربكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تبادونني
أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أجابني وأصفاني وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر
إليكم في كل ساعة نظرا والدة الشفقة الرفيقة . قال جفرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من
أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر
فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أنجرتني على
الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأدع لنا لزوم الطريق إليك وأنعم بذلك المنة
علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بمجودك . وقال الآخر : من
نظفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكير في عظمتك أنجرتني على الكلام من هو مشتغل بعظمتك
متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كنت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك
وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك
وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إنما هي
النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترئ البعد على سيده إذ أمرتنا بالدعاء بمجودك فهب
لنا نورا نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا
وتدعنا عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا . وقال
الآخر : لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر :
أسألك من بينهم أن يسمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال
الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أوليائك فامتن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء
دونك . فأحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أجبتم فليفارق
كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري
وجلالتي . فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكشف عن الدنيا وأهلها والحلوات في
ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يناله إلا من رضى الدنيا وأهلها ولم يشتغل شيء من ذكرها وفرغ قلبه لي
واختارني على جميع خلقي فقدر ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى
ينظر إلىّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقره من نور وجهي ، إن

الحواطر والصبر
ينقسم إلى فرض
وفضل فالفضل كالصبر
على أداء المفترضات،
والصبر عن المحرمات
وهو الصبر الذي هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى وحكمتان
للمصائب والأوجاع
وترك الشكوى
والصبر على إخفاء
الفقر، والصبر على كتم
اللسان والكرامات
ورؤية العبر والآيات
ووجوه الصبر فرضا
وفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهذه الأقسام من
الصبر ويضيق عن
الصبر على الله بلزوم
حمة المراقبة والرعاية

مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشقيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا فعلت ذلك به يادود عمت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لا يخر عن الاشتغال بي . يستجلى القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأته يادود وقد ذابت نفسه وتحمل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بك كرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفاً وعبادة ، وعزى وجلالى يادود لأقصدته فى الفردوس ولأخفين صدره من النظر إلى حقى برضى وفوق الرضا . وفى أخبار داود أيضاً : قل لبادى للتوجهين إلى محبى ماضركم إذا احتجبت عن خلقى ورفقت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا إلى بيوت قلوبكم وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت دينى لكم وما ضرركم مسخطة الخلق إذا التمس رضائى . وفى أخبار داود أيضاً : إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبى ، فإن كنت تحبى فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبى وحبا لا يجتمعان فى قلب . يادود خالص حبيى محالمة وخالط أهل الدنيا محالطة ودينك قلهديه ولا تقلد دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق محبى فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك قلهديه فحاش على آتى أسارع إلى سياستك وتقويك وأكن قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعنيك على الشدائد وإن قد حلفت على نفسى آتى لا أنيب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عنى ، فإذا كنت كذلك نزعتم القلة والوحشة عنك وأسكن النقى قلبك فأنى قد حلفت على نفسى أنه لا يطمئن عبد لى إلى نفسه ينظر إلى فاعلها إلا وكلته إليها أنصف الأشياء إلى لا تضاد عملك فتكون متعباً ولا يتفجع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفى حداً فليس لها غاية ، ومتى طلبت منى الزيادة أعطيك ولا تجد للزيادة منى حداً ، ثم أعلم بنى إسرائيل أنه ليس بينى وبين أحد من خلقى نسب فتعظم رغبتهم وإرادتهم عنى أجمع لهم مالا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمنى بين عينيك وانظر إلى يصر قلبك ولا تنظر بعينك التى فى رأسك إلى الذين حببت عقولهم عنى فأمرجوها وسخت باقطاع ثوابى عنها فأنى حلفت بعزى وجلالى لا أتسع ثوابى لبعد دخل فى طاعنى للتجربة والتسوف تواضع لمن تملعه ولا تطاول على الريدن ، فلو علم أهل محبى منزلة الريدن عنى لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها . يادود لأن تخرج مريداً من مكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عنى جيداً ، ومن كتبتك عنى جيداً لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى الخلقين . يادود : تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤثمن منها فأحجب عنك محبى لا تؤيس عبادى من رحمتى أقطع شهوتك لى فاعلم أعمت الشهوات لمنفعة خالص ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فأنها تنقص حلاوة مناجاتى ، وإنما عقوبة الأقوياء عنى فى موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عنى فأنى لم أرض الدنيا لحبيى ونزته عنها . يادود : لا تجعل بينى وبينك عالماً يحجب بكركه عن محبى . أولئك قطاع الطريق على عبادى الريدن استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة فى الإقطار فإن محبى للصوم إدمانه . يادود تحبب إلى بمعداة نفسك بمنعها الشهوات أنظر إليك وترى المحبب بينى وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة تقوى على ثوابى إذا مننت عليك به وإنى أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعنى . وأوحى الله تعالى إلى داود يادود لو لم يدبرون عنى كيف انتظروا لهم ورقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما نوا شوقاً إلى وتقطعت أوصالهم من محبى

ونفى الخواطر ، فاذن حقيقة الصبر كائنة فى التوبة ككينة فى الرقابة فى التوبة والصبر من أعز مقامات اللوقين وهو داخل فى حقيقة التوبة . قال بعض العلماء : أى شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كلامه فى نيف وتسمين موضعاً وما ذكر شيئاً بهذا العدد وحة التوبة تحوى على مقام الصبر مع شرفه . ومن الصبر الصبر على النعمة ، وهو أن لا يهرقها فى معصية الله تعالى وهذا أيضاً داخل فى حصة التوبة

يادادود هذه إرادتي في الدارين عني فكيف إرادتي في القلابين عليّ يادادود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إليّ ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإتمام تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك . ولتقدم الشواهد على محبته ، فقد قال الله تعالى - بهم ويحبونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يتاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله تعالى - قل فلم يعذبكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب (٢) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (٣) » وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببتك كنت صميمه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به (٤) » الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر ، وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الليل القالب للمفرد ، وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسماء كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطق عليها بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود التبويح ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجنسية وحقيقتها مشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجنسية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التباعد في سائر الأسماء

(١) حديث أس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم وصححه إسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبوا علينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محبة الناس والصبر على المحمول والتواضع والتدل داخل في الزهد وإن لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوبة من المقامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركيتها وتركيتها بالتوبة

أظهر كالم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق والخلق وواضح اللغة وإنما وضع هذه الأسماء أولا للخلق فان الخلق أسبق إلى القول والأفهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنبه كالا فتلتد بنبه وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وهما وجلال يمكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الليثي رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - يحبهم ويحبونه - فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعاله وتسايف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل فحبه لمن أحبه أزل مهما أضيف إلى الارادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المتقضى له كما قال تعالى «لا يزال عبيد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ، ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بسلطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوته أو ليسترخ بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهي أسباب طعامه وشرا به فإذ إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق للألم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لاللائتفاع به ولا للاستعجاب به ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق الرضية والحاصل الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحجب نفسه إلى الملك فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول وإنما يصح تمثله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجديد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسياع والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا لصار قريبا فقد خسر فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذا تغير عليه محال بل لا يزال في نموت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا يتكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان يتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالتزول إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائما في التغير والترق إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترق العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن

فالنفس اذا تزكت
بالتوبة النصوح زالت
عنها الشراسة الطبيعية
وقلة الصبر من وجود
الشراسة للنفس وإزالتها
واستصاصها والتوبة
النصوح تلين النفس
وتخرجها من طبيعتها
وشراستها إلى اللين
لأن النفس بالمحاسبة
والرأفة تصفو وتطهى
نيرانها التساجعة
بمناجاة الهوى وتبلغ
بطمأنينتها محل لرضا
ومقامه وتطمئن في
مجارى الأقدار قال
أبو عبد الله النابجى
«عبد يستحيون
من الصبر ويتلقفون
مواضع أقداره بالرضا
تلقفا ، وكان عمر بن
عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله ، نعم قد يقدر التلذذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى فإنه لا نهاية الكمال وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهى إلا إلى حد محدود لا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب متفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله للعبد بتقريره من نفسه بدفع الشواغل والعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشاق إلى مافاتة وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى . فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا مالا ^(١) » فعلامه محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى حملاً فتركيه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغاني عن نفسه بحمار ، وفي الخبر « إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبراً اجتبه فان رضى اصطفاه ^(٢) » وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد يسافيك ، وقال بعض المريدين لأستاذهم قد طولت بشئ من المحبة فقال يا بنى هل ابتلاك بمحبوب سواء فأثرت عليه إياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيكها عبداً حق يلوه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه ^(٣) » وقد قال « إذا أراد الله بعبده خيراً أبصره بعبوب نفسه ^(٤) » فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله . وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو الشير عليه والدبر لأمره والزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والسدد لظواهره وباطنه والجاعل همومه ما واحداً والبص في الدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة النجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله فاتها أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعيها كل واحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يفتقر الإنسان بتأبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتحenna بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ونمازها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاتضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقته بالموت فينبغى أن يكون محباً للموت غير قار منه فان الحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبراً اجتبه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولمه في مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً أبصره بعبوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن زيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالى سرور
إلا مواقع القضاء قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس
حين وصاه « اعمل لله
باليقين في الرضا فان لم
يكن فان في الصبر
خيراً كثيراً » وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من خير
ما أعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له »
فالأخبار والآثار
والحكايات في فضيلة
الرضا وشرفه أكثر
من أن تحصى والرضا
ثمرة التوبة النصوح
وما تخلف عبد عن
الرضا إلا تخلفه عن
التوبة النصوح فاذن
تجمع التوبة النصوح
حال الصبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليتمتع بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى الشهادة . قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »^(١) وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق ثقیل وهو مع ثقله مرءىء والباطل خفيف وهو مع خفته وبىء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك وإن ضيقت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولئن تمجزه ، وروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فغلوا في ناحية ففدا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجده أنفي وأذني ويقر بطني فإذا لقيت غدا قلت يا عبد الله من جدد أنفك وأذنتك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أعده وأذنه لملعتان في خيط^(٢) قال سعيد بن المسيب أرجو أن يرى الله آخر قسمه كما أبرأه ، وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت إلا مرئيا لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البيهقي لبعض الزهاد أحب الموت فكانته توقف فقال لو كنت صادقا لأحييته وتلاقوه تعالى - فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - قال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين أحدكم الموت »^(٣) فقال إنما قاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه . فان قلت ممن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والنساء والولد وهذا يناقض كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة قريش في ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكحت إياها وإني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من ضلوه فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليظهر إلى سالم »^(٤) فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فغلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسم عليك إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني ويجده أنفي وأذني الحديث الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية وإسناده جيد (٣) حديث لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة قريش في ذلك وفيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليظهر إلى سالم لم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية الرزق منه من حديث عمر أن سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية له إن سالما شديدا يحب الله عز وجل ولم يخف الله عز وجل ما عصاه وفيه عبد الله بن لهيعة

الرضا والخوف والرجاء
مقامان شريهان من
مقامات أهل اليقين
وهما كائنان في صلب
التوبة التصوح لأن
خوفه حمله على التوبة
ولولا خوفه ما تاب
ولولا رجاءه ما خاف
فالرجاء والخوف
يتلازمان في قلب المؤمن
ويستبدل - الخوف
والرجاء لا تائب المستقيم
في التوبة . دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو في
سياق الموت فقال
« كيف تجدك قال
أجدني أخاف ذنوبي
وأرجو رحمة ربّي فقال
ما اجتمعا في قلب عبد
في هذا الوطن إلا أعطاه
الله ما رجا وآمنه بما

ببقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره
عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبيب بقدوم
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليبيء له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظفر عن المواقف فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته
الدعوى في العمل واستغراق الهم في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يهجه
في ظاهره وباطنه فيقوم مشاق العمل ويحتمل اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال
مواظبا على طاعة الله ومتفريا إليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيدا تقرب
في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالإيثار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
الحاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقى مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأتى ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قبح الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة واقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه
نهارا فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى التهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلها نبين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فمفندها سكنت إليه ؟ فاذن من أحب الله
لا يصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه :

تصلى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إثارته على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب الناهى وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال
تعالى - يحبهم ويحبونه - وإذا أحبه الله تولاها ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا
يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا - فان قلت فالصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكيف
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضاعف والشهوة قد تناب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى
« أن أنبسان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن
آتى به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله رسوله (١) » فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة نعم يخرج به بالمصيبة عن كمال الحب

(١) حديث آتى أنبسان يوما فحده فلعنه رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلعنه فإنه يحب الله
ورسوله البخاري وقد تقدم .

يخاف هوجاء في تفسير
قوله تعالى سولاتلقوا
بأيديكم إلى التهلكة
هو العبد يذنب
الكبائر ثم يقول قد
هلك لا ينفعني عمل
فالتائب خاف ظناب
ورجا الففرة ولا يكون
التائب تائبا إلا وهو راج
خائف ثم إن التائب
حيث قيد الجوارح عن
السكران واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
شكر النعم لأن كل
جارية من الجوارح
نعمة وشكرها قيدها
عن العصية واستمالها
في الطاعة وأى شاكر
للنعماء أكبر من التائب
المستقيم فإذا جمع مقام
التوبة هذه القامات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أحب الله تعالى فاسكت فانك إن قلت لا ، كفرت وإن قلت نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق شيء من ذلك . ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتقر عنه لسانه ولا يغلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلمة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب قلب محله فالحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحسوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يعاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحبوا الله لما يندوكم به من نعمة وأحبوني لله تعالى (١)» وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فأنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فأنما يكرم الله تعالى . وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة النجاة في سنن الإرادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانتقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالتي . وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا وبلغته إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنسه بالحلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويستتم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالحلوة بالحبيب والتتم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الله عنده وأطيب من مناجاة الله كيف نصح بحبه قيل لأبراهيم بن آدم وقد نزل من الجبل من ابن أقيمت فقال من الأنس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تستأنس إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عن رجلين رجلا استبطأ ثوابي فأنقطع ورجلا نسي فرضى بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبه وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برخا نعم العبد هو لي إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يسجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى عني . وروى أن عبدا عبد الله تعالى في غيبة دهر طويلا فنظر إلى طائر وقد عشن في شجرة يأوى إليها وبصر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر

(١) حديث أحبوا الله لما يندوكم به من نعمة الحديث تقدم .

التسوية حال الزجر
وحال الانتباه وحال
التيقظ ومخالفة النفس
والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والإناية والصبر والرضا
والمحاسبة والمراقبة
والرعاية والشكر
والخوف والرجاء وإذا
صححت التوبة النصح
وزككت النفس انجحت
مرآة القلب وبان قبح
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهد يتحقق
فيه التوكل لأنه لا يزهد
في الوجود إلا لاعتماده
على الوعود والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكلما بقي
على العبد بقاء في تحقق
المقامات كلها بعد
توبته يستدركه

قال فضل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطتكم درجة لا تتألفا بشيء من عملك أبدا ، فاذن علامة المحبة كمال الأنس بمنجاة المحبوب وكمال التمتع بالخلاوة . وكمال الاستيحاش من كل ما ينقص عليه الخلاوة ويعوق عن لذة للتأجاة وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بآلة للتأجاة كالتدنى يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة يعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشمر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشمر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلاوة والتأجاة قرّة عينه يدفع بها جميع المصوم بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تكرر على صممه مرارا مثل العاشق الوطيان فإنه يكلم النفس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته فالحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشتم إليه واستأنست به . وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحته عن جميع البشر . وقال مطرف بن أبي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبته وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبي إذا جنة الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فيها أنأذا موجود لمن طلبني . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأقصدك فقال إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب لقاء الله أبغض نفسه . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأسف على ما يغوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطف والاستعتاب والتوبة . قال بعض العارفين إن لله عبادا أحبوه وإطاعوا إليه فذهب عنهم التأسف على القاتل فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل إليهم ومقاتهم فبحسن تديره لهم وحق المحب إذا رجع من غفاته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشغل بالعتاب ويسأله ويقول رب بأي ذنب قطعت برّك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنني بنفسى وبمناجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا الله لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يدر له إلا ما فيه خيره ويذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستعظمها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة . وقال الجنيد علامة المحب دوام النشاط والدروب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه . وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله القنور . وقال بعض العلماء والله ما اشتغى محب لله من طاعته ولو حل بحظيم الوسائل فكل هذا وأمثاله موجود في للشاهدات فإن العاشق لا يستغل السمع في هوى معشوقه ويستغل خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تماوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فمكذبا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صار غالبا قهرا لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبة أحب إليه من الكل ترك الكل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه ، وقيل لبعض الهيبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبة وهو يقول أنا والله أحبك بغلي كله وأنت ممرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فأيش تنفق على قال باسدي أملكك ما أملك

يزهده في الدنيا وهو ثالث الأربعة . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرو قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن السروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بغاطمة رضي الله عنها فرآها قد أحدثت في البيت سرا وزوائد في يديها فلما رأى

ثم أشفق عليك روحى. حتى تهلك فقات هذا خلق لخلق وعبد أميد فكيف بعبد لمعبود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحماً بهم شديداً على جميع أعداء الله وعلى كل من يخافه شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى - أشداه على الكفار رحماً بينهم - ولا تأخذهم لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكافون عيسى كما يكاف الصبي بالشيء . ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة . ويغضبون لمحارمه كما يغضب النمر إذا حرد طائفة لا يزال قل الناس أو كثروا فانظر إلى هذا للثال فان الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلاً وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فان قام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه عاد ونمستك به ومهما فارقته بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه وأحبه وأما الفراق فلا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفاً في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تمت في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب القربين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لى نعيم - ثم قال - يستقون من رحيق مخموم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون - فإذا طاب شراب الأبرار لشرب الشراب الصريف الذى هو للامقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لى عابدين - ثم قال - يشهده المقربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون وكان الأبرار يجدون الزيد فى حالهم ومعرقهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون الحالم فى الآخرة - ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكما قال تعالى - جزاء وفاقاً - أى وافق الجزاء نعماتهم فقول الحالم بالصرف من الشراب وقول الشوب بالشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب فى حبه وأعماله - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أثمنا بها وكفى بنا حاسبين - فمن كان حبه فى الدنيا رجاء لنعيم الجنة والخور العين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويستمع بالنسوان فهناك تنتهى لذته فى الآخر لأنه إنما يعطى كل إنسان فى المحبة ما تشبهه نفسه وتلك عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يلب عايه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل فى مقعد صدق عند مليك مقتدر - فالأبرار يرتعون فى البساتين ويتعمون فى الجنان مع الخور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة طاكفون بطرفهم عليها يستحقون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها يقوم بقضاء شهوة البطن والفرج - شفلون وللمجالسة أقولم آخرون ولتلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب (١) » ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة - ومنها أن يكون فى حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لتيرم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابداد وهذا المعنى فى سورة هود هو الذى شيب سيد

ذلك رجوع ولم يدخل
ثم جلس فجعل ينكت
فى الأرض ويقول
مالى وللدنيا مالى
وللدنيا فرأت فاطمة
أنه إنما رجع من أجل
ذلك الستر فأخذت
الستر والزوائد
وأرسلت بهما مع بلال
وقالت له اذهب إلى
النبي صلى الله عليه وسلم
قل له قد تصدقت به
فضعه حيث شئت فأتى
بلال إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد تصدقت به
فضعه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
بأبى وأمى قد فعلت
بأبى وأمى قد فعلت
اذهب فبمه وقيل
فى قوله تعالى - إنا
جعلنا ما على الأرض
زيناً لها لنولم أهم

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب البراز من حديث أنس بن مالك ضعيف مقتصر على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبى الخوارى وإله أدراج فيه .

الحسين (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنمود - ألا بعدا لمدين كما بعدت نمود - وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنم به لحديث البعد في حق البعدين يشيب جماعه أهل القرب في القرب ولا يمن إلى القرب من ألف البعد ولا يبيك لحوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب الزيد فانا قدمنا أن درجات القرب لانهائية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون » (٢) وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة » (٣) وإنما كان استغفاره من التقدم الأول فانه كان بعدا بالاضافة إلى التقدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الغرور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذته مناجاتي فسلب للزيد بسبب الشهوات عقوبة للمعوم فأما الخصوص فيحبهم عن الزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى مظاهر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد قوته . مع إبراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفور سوى الإعراض هنا

قد وهبنا لك ما فات فهب ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرات عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان الحب يلزمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب الزيد ولا ينسلى إلا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه وأسبب رجته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويفتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكرواليان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحكمة فن أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والمزة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو التفت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والأعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرواقباضه عن دوام الدكر وملاذه لوظائف الأوراد أسباب هذه للعاني ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام التفت نمود بالله منه وملزمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لاهالة تقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب بما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من طريق المحبة المحبوا الخوف أحبه الله تعالى فحبه ومكنه وعلمه فالحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة

أحسن عملا - قيل
الزهد في الدنيا . سئل
أمير المؤمنين على بن
أبي طالب رضي الله
عنه عن الزهد فقال
هو أن لا تبالي بمن
أكل الدنيا مؤمن أو
كافر . وسئل الشبلي
عن الزهد فقال ويلكم
أي مقسدار الجناح
بعوضة أن يزهد فيها .
وقال أبو بكر الواسطي
إلى متى تصول بترك
كيف وإلى متى تصول
ياعراضك عما لا وزن
عند الله جناح بعوضة
فاذا صح زهد العبد
صح توكله أيضا لأن
صدق توكله مكنه من
زهده في الوجود فن
استقام في التوبة
وزهد في الدنيا وحقق

(١) حديث شيبني هود أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

حق اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة وبعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت العرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأعما الخوف ببدله ويخفف وقته على القلب فقد روى في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهم في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا يفتنع بشئ ولا يفتنع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الدرة بعضها فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتاه جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة فذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخبرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبته فيها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فسمعت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيت فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل في وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد	عن الأحرار منهم والبيد
غريب الوصف ذو علم غريب	كان فؤاده زبر الحديد
قد عزت معانيه وجلت	عن الأبصار إلا للبيد
يرى الأعياد في الأوقات تجري	له في كل يوم ألف عيد
ولالأجباب أفراس بعيد	ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيّد رحمه الله يشهد آياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات :

مرت بأناس في الصيوب قلوبهم	خلوا بقرب الماجد التفضل
عراسا بقرب الله في ظلّ قدسه	تجول بها أرواحهم وتفضل
مواردهم فيها على المز والتهى	ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح جز مفرد من صفاته	وفي حال التوحيد تمشي وترقل
ومن جد هذا مائدق صفاته	وما كتمه أولى لديه وأعدل
ما كتم من علمي به ما يصونه	وأبذل منه ما أرى الحق يذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم	وأمنع منه ما أرى النعم يفضل
على أن قرّح من سرا يصونه	إلى أهله في السر والصون أجل

ومثال هذه العارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شئ من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لحربت الدنيا بالحكمة تنفض فحول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لحربت الدنيا لهدم فيها وطلبت الأسواق والمنايا بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولو قفّت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن قد تعالى فيها هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخير أسرار وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرة . ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من إظهار الوجد والمحبة تمظيلا للمحبوب وإجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقتراء وتعظم العقوبة عليه في المعنى وتسجل عليه البلوى في الدنيا ، نعم قد يكون للمحب سكرة في جبهته حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

هذين القاميتين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقيقها وترتيب
التوبة مع المراقبة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
العبد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب النجاة
شيئا ثم يرتقى من
تطهير الجوارح عن
للماضي إلى تطهير
الجوارح عما لا يضي
فلا يسمح بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
ينتقل للرعاية والمهابة
من الظاهر إلى
الباطن وتستولي
المراقبة على الباطن
وهو التحقق بعلم
القيام بمحو خواطر
الصية عن باطنه

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لأنه متهور وربما تشتت من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانة وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالتقادر على السكبان يقول:
وقالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
ثمالى منه غير ذكرى بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى
والعاجز عنه يقول :

يخفى فيسدى السمع أسرارها ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكم
وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند الهيبين والعلماة بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلية فقال لا يحبه من وجد ألم ضره فقال الرجل لكى أقول لا يحبه من لم يتم بضره فقال ذو النون ولكنى أقول لا يحبه من شمر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فان قلت المحبة منتهى القامات وإظهارها إظهار للغير فلماذا يستنكر . فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإعما النجوم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق الحب أن يتم على حبه الخفى وأفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغى أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى أن يكون قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فأما إرادته اطلاع غيره فترك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم بذلك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يعجز بك عناية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لا تعلم بذلك غير ربك فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجبه فيه فأخبر بذلك معروفا السكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبوب صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسبب أن المحب إن كان عارفا وعرف أحوال اللائكة في جهنم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يهتفون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكاف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه من أخس المحبين في مملكته وأن حبه أقمص من حب كل محب لله قال بعض الكاشفين من المحبين عبد الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل الجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من اللائكة جدد جميع ما خلق الله من شيء قلت من أتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل نبيدهم هنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيامه حتى الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم تعرف لملته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى أراه بول عاشق قال الجنيد فصمت وغشى على ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت بأستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر الفضول فاذ تمكن من
رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الأركان
والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم - فاستقم كما
أمرت ومن تاب معك - أمره الله
تعالى بالاستقامة في التوبة أمرا له ولأتباعه
وأمرته وقيل لا يكون للريد مريدا حتى
لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين
سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة
ولكن الصادق التائب في النادر إذا اجتلى
بذنب ينمى أثر الذنب من باطنه في

لو شئت أقول ما أيسر جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشى عليه وتدل القشبة على أنه أضعف في غلبة الوجد ومقدمات القشبة فهذه مجاميع علامات الحب وثمراته . ومنها الأنس والرضا كما سيأتي . وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يشمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق ، نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام ظنوا ذلك بمحبتهم في دوام إحسانهم وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تظل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فأما الخاصة فثالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك ولما عرفوا صفاته السكاملة وأسماء الحسن لم يمتنعوا أن أحبه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدواقه إبليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الضرور والجهل فيظن أنه يحب الله عز وجل وهو الذي قدت فيه هذه العلامات أو يلبس بها ثقافا ورياء وصمة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك ككتمان السوء وقراء السوء أو تلك بضياء الله في أرضه وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال يادوست أي يا حبيب قليل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا: لا يخلو إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فإن كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب إبليس وقد قال أبو تراب النخشي في علامات المحبة آياتا :

لا نتخذ عن فلان حبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
● منها تمنعه بحر بلائه وسرويه في كل ما هو فاعل
فالتنع منه عطية مقبولة والفقر إحكام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسا والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متشفيا متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا في خرفتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باحشيا أن قد رآه على قبيح ضائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى ليليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكك بين الوري والقلب محزون كقلب النمل كل

(بيان معنى الأنس بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب نظره وما يطلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى متبى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه وتسمى هذه الحالة

الطيف حادة لوجود
الندم في باطنه
على ذلك والندم توبة
فلا يكتب عليه
صاحب التوالت شيئا
فاذا تاب توبة نصوحا
ثم زهد في الدنيا
حتى لا يهتم في غذائه
لشائه ولا في عشاءه
لغذائه ولا يرى الادخار
ولا يكون له تعلق
بمضد قد جمع
في هذا الزهد
والفقر والزهد أفضل
من الفقر وهو فقر
وزيادة لأن التقير
عادم للشيء اضطرابا
والزهد تارك للشيء
اختيارا وزهده
بحق توكله وتوكله
بحق رضاه ورضاه
بحق الصبر وصبره

في الاتضاع شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مفعورا على مطالعة الجمال الحاضر للكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشيره القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاحتشام فيسمى تألمه خوفا وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لأسباب تختصها لا يمكن حصرها فالأنس من استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما قاب به وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإلى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الامكان من مزايا الألفاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل ما يوق عن الخلوة فيكون من أهل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذته النسيان لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتني بذكره وأوحشني من خلقه . وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبني مستأسا من سواي مستوحشا وقيل لراية لم تلت هذه المنزلة قالت بتركي مالا ينبغي وأنسى عن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليهم من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم فقلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت للعامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع لهم فصارها واحدا في الطاعة . وقال بعض الحكماء عجبا للخلق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشره الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستأنوا ما استوعر الترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون محبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهلل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهد وقد ذهب بعض التكميلين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهله بأن جمال اللذات بالبصائر أكمل من جمال البصرات ولذا معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بسلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل :

بحقق حبس النفس
وصدق المجاهدة
وحبس النفس لله
بحقق خوفه وخوفه
بحقق رجاءه وجمعه
بالتوبة والزهد كل
القمامات والزهد
والتوبة إذا اجتمع
مع الإيمان وعقوده
وشروطه يعوز هذه
الثلاثة رابع بهتمامها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال السنية
يشكف بعضها بهذه
الثلاثة وتيسر بعضها
متوقف على وجود
الرابع وهو دوام
الصل وسكينة من
الزهاد المتحققين بالزهد
للتقويمين في التوبة
تخلفوا عن كثير من
سنى الأحوال لتخلفهم

الأنس بالله لا يحويه بطلان وليس يدركه بالحول محال
والآنسون رجال كلهم نجس وكلهم مصفوة فله عمل
(بيان معنى الانبساط والادلالات الذي تتمره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينقصه خوف التفير والحجاب فإنه يثمر
نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه
من الجرامة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك القام ويتشبه بهم
في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى عليه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبي إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف استجيب لهم وقد أغلقت عليهم ذنوبهم
سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويؤمنون مكري أرجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له
يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق
إذا ببعد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في ثملة قد عقدتها على عنقه فرفقه موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما صمك فقال اسمي برخ قالت طلبتنا منذ حين
أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعلك ولا هذا من حلك وما الذي بدالك أتقصت
عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نقد ما عندك أم اشتد غضبك على الذين أئست كنت
غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم فرينا أنك تمتنع أم تخشى الموت فتعجل
بالعقوبة قال فأبرح حتى أخذت بنو إسرائيل بالقطر وأنبئت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاسمت ربي كيف أنصفني
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخاً يضحكني كل يوم ثلاث مرات. وعن الحسن
قال احترقت أنفاس بالبصرة فبقي في وسطها خصل لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر
بذلك فبعث إلى صاحب الخصل قال فأني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصلك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه إني صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول
« يكون في أمي قوم شعثاء رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرم »^(١) قال ووقع حريق بالبصرة
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقني بالنار قال فأعزم على النار أن تطأ قال فمزم عليها فطفت وكان أبو خصل
يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو خصل ما أصابك فقال ضل حماري ولا أملك غيره
قال فوقف أبو خصل وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد عليه حماري قال فظهر حماره في الوقت ومر
أبو خصل رحمه الله . فهذا وأمثاله يجري لذوى الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم. قال الجنيد رحمه الله
أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة لوصيها
العموم لكفروهم وهم يحدون الزيد في أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل:

قوم تغالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

تأهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تأهوا

ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون في أمي قوم شعثاء رهوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله

لأبرم ، ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهالة .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد في الدنيا
إلا لكال الفراغ
الاستمان به على إدامة
العمل لله تعالى والعمل
فه أن يكون البعد
لا يزال ذا كرا أو تاليا
أو مصليا أو مراقبا
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعى أو مهم
لا بد منه طبعي فاذا
استولى العمل القلبي
على القلب مع وجود
الشغل الذي أداه إليه
حكم الشرع لا يفتتر
باطنه عن العمل
فاذا كان مع الزهد
والتقوى متمكنا
يدوام العمل قصد
أكمل الفضل وما آلى
جهدا في العبودية

هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولى البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها
بعين الاعتبار فأعماهى عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام
وإبليس أما تراها كيف اشتركا فى اسم العصية والخلافة ثم تباينا فى الاجتناء والعصاة . أما إبليس
فأبلى عن رحمته . وقيل إنه من البعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه . وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى . وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض
عن عبد والاقبال على عبد وما فى العبودية سبيل ولكن فى الحال مختلفان ، فقال . وأما من
جاءك يسمى وهو يخشى فأنت عنه تلهى . وقال فى الآخر . أما من استغنى فأنت له تصدى .
وكذلك أمره بالعود مع طائفة ، فقال عز وجل . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام
عليكم . وأمره بالإعراض عن غيرهم ، فقال . وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض
عنهم . حتى قال . فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . وقال تعالى . واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي . فكذا الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون
بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام . إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء . وقوله فى التليل والاعتذار لما قيل له . اذهب إلى فرعون . فقال . ولهم
على ذنب . وقوله . إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى . وقوله . إننا
نخاف أن يفرط علينا أو أن يظنى . وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى
أقيم مقام الأنس بلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض
والهية فزوق بالسجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة . لولا أن
تداركه نعمة من ربه لبذ بالراء وهو مذموم . قال الحسن الغراء هو القيامة ، ونهى نبينا
صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له . فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ
نادى وهو مكظوم . وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والقامات وبعضها لما سبق فى
الأزل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى . ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض . وقد قال . منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات . فكان عيسى عليه السلام من
الفضلين والإدلاله سلم على نفسه ، فقال . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .
وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم
مقام الهية والحياة فلم ينطق حتى أتى عليه خالقه ، فقال . وسلام عليه . وانظر كيف احتمل
لإخوة يوسف مافلوه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أول قوله تعالى . إذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا . إلى رأس الشريرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا
وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فنفرد
لهم وغفا عنهم ولم يحتمل المزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر حتى قيل هى من ديوان النبوة
وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكبر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان
آصف من السرفين وكانت مصيته فى الجوارح فضا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان
عليه السلام يارأس العابدين وياابن محبة الزاهدين إلى كم يصيبني ابن خالك آصف وأنا أحلم عليه
مرة بعد مرة فوعزنى وجلالى لأن أخذته عصفه من صفاتى عليه لأتركه مثله لمن معه ونكالا
لن بعده . فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :
من خرج من قالب
العبودية صنع به ما
يصنع بالآبق . وسئل
سهل بن عبد الله
القسرى : أى منزلة إذا
قام العبد بمقام مقام
العبودية قال إذا ترك
التدبير والاختيار فاذا
تحقق العبد بالثبوت
والزهد ودوام العمل
لله يشغله وقته الحاضر
عن وقته الآتى ويصل
إلى مقام ترك التدبير
والاختيار ثم يصل إلى
أن يملك الاختيار ،
فيكون اختياره من
اختيار الله تعالى لئوال
هواه ووفور علمه
واقطاع مادة الجهل
عن باطنه . قال يحيى
ابن معاذ الرأزي مادام

كثيما من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال إلهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تقب علي وكيف أستصم إن لم تصمني لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد ثبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدلل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه ، وفي الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشقى على المهلكة كم من ذنب واجهته به غفرته لك قد أهلكك في دونه أمة من الأمم » فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفصيل والتقديم والتأخير على ما خبقت به للشبهة الأزلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل لها في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يعرف إليهم بالتقديس فيقول - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وتارة يعرف إليهم بصفات جلالة فيقول - للعلك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - وتارة يعرف إليهم في أفعاله الخوف والرجوة فيقول عليهم سنته في أفعاله وفي أنبيائه فيقول - ألم تر كيف فعل ربك بأدم ذات العصاة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القيل - ولا يبدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتخليده وأمعة صفاته وأسمائه وأمعة أفعاله وسنته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس ولما فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك القرآن قال « من قرأ سورة الاخلاص قد قرأ ثلث القرآن (١) » لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور : لا يكون حاصل منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصل من هو مثله ودل عليه قوله - ولم يكن له كفوا أحد - ويجمع جميع ذلك قوله تعالى - قل هو الله أحد - وجعلته تفصيل قول لا إله إلا الله فهذه أسرار القرآن ولا تنهاى أمثال هذه الأسرار في القرآن - ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه نوروا القرآن والنور واغرائه فيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طالع في آحاد كلماته فكره وصفاه فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر ملك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معناه في طي القصص والأخبار فكأن حريصا على استنباطها ليكشف لك فيه من العجائب ما تستحق معه العلوم الزخرفة الخارجة عنه فهذه ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانسباط الذي هو نعمته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته)

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات التربين وحقيقته غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وقبضه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والعاصي وأن يندفع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ، ولو انكشف هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم قه في الدين وعلمه التأويل (٢) »

(١) حديث من قرأ سورة الاخلاص قد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث دعاه لابن عباس اللهم قه في الدين وعلمه التأويل متفق عليه دون قوله وعلمه التأويل ورواه أحمد بهذه الزيادة وتقدم في العلم .

العبد يعرف يقال له لا اختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له إن عشت اختر وإن عشت لا اختر لأنك إن اخترت فاختيارنا اخترت وإن تركت الاختيار فاختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الناية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار إلا بإحكامه هذه الأربعة التي ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتمليك التدبير

فلنبداً ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف
المعوى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والكموت على المعاصي .

(بيان فضيلة الرضا)

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان - ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى
- وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - قد رفع الله الرضا فوق جنات عدن
كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكرو ولقد كراهه أكبر فكما
أن مشاهدة للذكر في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك » (١) فسؤالهم
الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فسند ذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو
بمعنى آخر يقرب عما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقتصر أفهام الخلق
عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بأدراكه من نفسه . وعلى الجملة فلارتبة فوق النظر إليه فاعلموا
الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأمان لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا
بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى - ولدينا مزيد
قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت للزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين : إحداها هدية
من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلاً وهو قوله تعالى - سلام قولاً من
رب رحيم - والثالثة يقول الله تعالى : إني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك
قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أى من النعم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا
العبد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أتم قالوا
مؤمنون فقال ما علامة إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ورضى بمواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب الكعبة » (٢) وفي خبر آخر أنه قال « حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء » (٣)
وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به » (٤) وقال عليه السلام « من رضى من الله
تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى عنه بالقليل من العمل » (٥) وقال أيضاً « إذا أحب الله تعالى
عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباء فإن رضى اصطفاه » وقال أيضاً « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة
من أمم أجنحة فيطفرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فيقول لهم

والاختيار من الله
تعالى لعبده ورده إلى
الاختيار تصرف بالحق
وهو مقام البقاء وهو
الانسلاخ عن وجود
كان بالعبد إلى وجود
يصير بالحق وهذا
العبد ما بقي عليه من
الاعوجاج ذرة واستقام
ظاهره وباطنه في
العبودية وعمر العلم
والعمل ظاهره وباطنه
وتوطن حضرة القرب
بنفس بين يدي الله
عز وجل متمسكة
بالاستكانة والافتقار
متحققة بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« لا تنكحني إلى نفسي
طرفة عين فأهلك ولا
إلى أحد من خلقك
فأضيق اكلاً في كلاله

(١) حديث إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك البراء والطبراني في الأوسط من حديث
أنس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه فيتجلى لهم يقول أنا الذي صدقكم وعدى وأتممت عليكم
نعمي وهذا عمل إكرامي فسلوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو علي بلفظهم قول ماذا تريدون
فيقولون رضاك الحديث ورجاله رجال الصحيح (٢) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أتم قالوا
مؤمنون فقال ما علامة إيمانكم الحديث تقدم (٣) حديث أنه قال في حديث آخر حكاء علماء كادوا
من قههم أن يكونوا أنبياء تقدم أيضاً (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى
به الترمذي من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من الله
تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى عنه بالقليل من العمل رويناه في أمالي الهاملي بإسناد ضعيف من حديث
علي بن أبي طالب ومن طريق الهاملي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

للالائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول لللائكة من أمة من أئمة فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا قبلنا هذه للزلة بفضل رحمة الله فيقولون وماها فيقولون : كنا إذا خلونا نستحي أن نصيبه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول لللائكة بحق لكم هذا ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «يا مفسر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب قفركم وإلا فلا ^(٢)» . وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فطناء يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه ^(٣)» وفي أخبار داود عليه السلام مالأولياي والهلم بالدنيا إن الهلم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم . يادادود إن محبي من أولياي أن يكونوا روحانيين لا يفتنمون . وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه : إن رضائي في كرهك وأنت لاتصبر على ماتكره . قال يارب دلني عليه ، قال فإن رضائي في رضاك بقضائي . وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه الم محبوب سألني قال فأني خلقك أنت عليه ساخط . قال من يستخيرني في الأمر فاذا قضيت له سخط قضائي . وقد روى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليخذ ربا سواي ^(٤)» ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله تعالى قدرت للقادر ودبرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا مني حتى يلغاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلغاني ^(٥)» وفي الخبر المشهور «يقول الله تعالى خاقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم وويل لمن قال لم وكيف ^(٦)» وفي الأخبار السابقة أن نبيا من الأنبياء شكأ إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكوا هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أممي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن علي القيسي ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللأحاديث الصحيحة في الورد وغيره (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب قفركم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عند الله الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بإفظ منزلته ومنزلة الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي الحديث الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الدارمي مقتصر على قوله من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليتمس ربا سواي وإسناده ضعيف (٥) حديث قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا الحديث لم أجده بهذا اللفظ للطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين الحديث وإسناده ضعيف (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين في شرح

الوليد ولا تغفل عني .

[الباب الستون :

في ذكر إشارات

الشايع في القامات

على الترتيب]

قولهم في التوبة قال

رويم معنى التوبة أن

يتوب من التوبة قيل

معناه قول رابصة

أستغفر الله العظيم

من قلة صدق في قولي

أستغفر الله . وسئل

الحسن الغفاري عن

التوبة ، فقال تسألني

عن توبة الانابة أو

عن توبة الاستجابة

فقال السائل ما توبة

الانابة ؟ فقال : أن

تخاف من الله عز

وجل من أجل

قدرته عليك . قال

فما توبة الاستجابة .

وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أقريرد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون مأجوب فوق مأجوب ويكون ما تريد فوق ما تريد وعزتي وجلالي لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأهونك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان بين أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون بجمل أحدهم رجلاه على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، فقال له بعض ولده بأب : أمارى ما يصنع هذا بك لو نبيت عن هذا فقال يا بني : إنى رأيت ما لم تروا ، وعلت ما لم تلمسوا إلى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار السكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيصينى ملا أعلم . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي لشيء فقلت لم فقلت ولا شيء لم أفعله لم لأفعله ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصنى عناصم من أهله يقول دعوه لوقضى شيء لكان (١) » . وبرى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فان سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أحببتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد . [وأما الآثار] فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز ما بقى لى سرور إلا فى مواقع القدر . وقيل له ماتشهى ، فقال ما يقضى الله تعالى . وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء . وقال الفضيل : إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز ابن أبي رواد : ليس الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشأن فى الرضا عن الله عز وجل . وقال عبد الله بن مسعود : لأن الحس حجرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع ، فقال لى لأرحمك من هذه القرحة ، فقال : لى لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج فى عيني . وروى فى الاسرائيليات أن تابدا عبد الله دهرا طويلا فأرى فى المنام فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فسكان بيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل منطرة ، فقال أمالك عمل غير ما رأيت ، قالت ما هو والله إلا ما رأيت لأعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حق قالت خيبة واحدة هى فى إن كنت فى شدة لم آتمن أن أكون فى رخاء وإن كنت فى مرض لم آتمن أن أكون فى صحة وإن كنت فى الشمس لم آتمن أن أكون فى الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خيبة هذه والله خيبة عظيمة يعجز عنها العباد . وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى فى السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو الفرداء فدوة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة ورخاء . وقال الثورى يوم أعند رابعة : اللهم ارض عني فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راضى فقال أستغفر الله فقال جعفر ابن سليمان الضبيلى لى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة . وكان الفضيل يقول إذا استوى عنده النعم والعطاء فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قدرضى من عيبه بما رضى العبيد من موالهم السنة عن أبي أمامة باسناد ضعيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لى لشيء فقلت لم فقلت الحديث متفق عليه وقد تقدم .

قال أن تستحي من الله لقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلزمه سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب . قال ذوالنون توبة الصوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من النغلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم . مثل أبو محمد سهل عن الرجل

قلت وكيف ذلك قال أليس مراد الصبر من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة نفسه عبده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحبكته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط (١) » .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يطل الحساس بالألم حتى يجرى عليه الإؤلوم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم استدلل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بعديدة كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ للزينة والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة للدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة للدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهرة بحيث يدهش ويهش عليه فلا يحس بما يجرى عليه . فقد روى أن امرأة فتح الوصل عثرت فاقطع ظفرها فضحكت قبل لها أما تجددين الوجع ؟ قالت إن آلة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجمعه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بقلبه وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتبس من القصاد القصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتلذذ من القصاد به منة بفعله فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجمعه راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لا لغير آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوا عنه ومطلوبا وكل ذلك موجود في للشاهدات في حب الخلق وقد توأفها المتوافظون في نظمهم وشرم ولا مئة إلى الملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجمال فصاهو إلى الجلد ولحم ودم مشحون بالأقدار والأخبار بدايته من نقطة ملونة ونهايته جيفة قلدة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وإن نظر إلى الدرك

(١) حديث إن الله يحبكته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا والحديث الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بتسطه وقد تقدم .

يتدرب من الشيء
ويتركه ثم يخطر ذلك
الشيء بقلبه أو يراه
أو يسمع به فيجد
حلاوته فقال الحلاوة
طبع البشرية ولا بد
من الطبع وليس له حيلة
إلا أن يرفع قلبه إلى
مولاه بالشكوى
وينكره بقلبه ويلزم
نفسه الإنكار ولا
يفارقه ويدعو الله أن
ينفيه ذلك ويشغله
بغيره من ذكره
وطاعته قال وإن غفل
عن الإنكار طرفة
عين أخاف عليه أن
لا يعلم وتعمل الحلاوة
في قلبه ولكن مع
وجدان الحلاوة يلزم
قلبه الإنكار ويحزن
فإنه لا يضره . وهنا

للجمال فهي العين الحسيدة التي تفلط فيما ترى كثيرا فتري الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعد قريبا والقصيح جميلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدى الذي لا ينتهي لكأله الدرك بعين البصرة التي لا يعترها الفلظ ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فمنا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد سألت سريرا السقطي هل يجد الحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء بحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يشكهم ثم حمل إلى الحبس فقبضته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لأنني عاشق فقلت له ولم سكنت ؟ قال لأن معشوقى كان بحدائي ينظر إلى فقلت فلو نظرت إلى المشوق الأكبر قال فزعتى زعقة خرميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم لما ظنك بقلوب وقت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابت وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والتل يأكل لحمه فرفست رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى لو قطعنى إربا إربا ما زددت له إلا حبا . قال بشر لما رأيت بعد ذلك بقعة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو ومحمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مديّة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول : يوم الفراق من القيامة أطول والوت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجنى التي ترحل

ثم بقر بالمدينة بطنه وخرميتا فسألت عنه وعن أمره فقبل لى أنه كان يهوى فنى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دنى على أعبد أهل الأرض فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب يصصره فسمعه وهو يقول : إلهى متعتنى بهما ماشئت أنت وسليتنى ماشئت أنت وأبقيت لى فيك الأمل يا رب يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشيينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورا أبدا منه فقبل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزنى رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالدّيك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويعمل لهم خبأهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فخرنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فخرنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقواهم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذى قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته . والعارف القوى الحال يتمكن من إزالة الحلاوة عن بطنه ويسهل عليه ذلك . وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء شاهدة وصرف يقين فأى حلاوة تبقى في قلبه وإنما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله . وسئل السوسى عن التوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى مامدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لأنه لا بقاء

والخير والديكة فكانت الحيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف خفي
 لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال . وروى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد
 مضروب الجنبين بفالج وقد تآثر لجه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى عما ابتلى به كثيرا
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاء أراه مصروفا عنك فقال يا روح الله تأخير من لم يحمل
 الله في قلبه ما جعل في قلبى من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناولوه يده فاذا هو أحسن الناس وجها
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتبعه معه وقطع عروة بن الزبير
 رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وإياك لأن كنت أخذت
 لقد أبتيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والنقى
 مطيتان ما أتالى أيتهما ركبته إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان النقى فإن فيه البذل . وقال
 أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالى منه إلا مشام الربح وعلى ذلك لو أدخل
 الحلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا . وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال
 أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لوجعنى جبرا على جهنم يبر الحلائق على إلى الجنة ثم ملأ بى
 جهنم تحمة لقسمه وبدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالنار فإن بقى إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في
 استتماره حصول رضا محبوبه بالقائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان
 بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء . ويطن أن
 ماهو عاجز عنه يهجز عنه الأولياء . وقال الروذبارى قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الدمى قول فلان
 وددت أن جسدى قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه مامنه فقال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف . وإن كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فأعرف قال
 ثم غشى عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
 ولا يقعد قد تقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء
 فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي ؟ ول لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان أحبه
 إلى الله تعالى أحبه إلى ثم قال أحدثك شيئا لمأل الله أن يفتك به واكنتم على حق أموت إن الثلاثكة
 تزورنى فأكس بها وتسلم على فأسمع تسليحها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إدهو سبب هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلانه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن متعة
 نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلى فداؤك ما نطعمك
 مانسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحرافيف وأصبحت نضوا لأطعم طاماولا أسبيغ شرابا منذ كنا
 فذكر أياما وما يسننى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبى وقاص إلى مكة وقد
 كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه لهذا ولذا وكان حجاب
 الدعوة . قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فمرقنى وقال أنت قارى أهل مكة ؟
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصرك فتبسم وقال يا بنى قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى . وضاع لبعض الصوفية ولد صغير
 ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترضى عليه فيما تضى أشد
 على من ذهب ولدى . وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكى عليه منذ ستين سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو ؟ قال قلت مرة لثى كان ليته

لجعل مع العلم كالإبقاء
 ليل مع طلوع الشمس
 وهذا يستوعب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الخاص والعام وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن بتطهير الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأعم
 أوصافها . وقال
 أبو الحسن النورى
 التوبة أن تتوب عن
 كل شئ سوى الله
 تعالى . قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ملاك
 دينكم الورع » أخبرنا
 أبو زرعة إجازة عن
 أبى بكر بن خلف عن
 أبى عبد الرحمن السلى
 إجازة قال أنا أبو سعيد
 الحلال قال حدثنى

لم يكن . وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة تقصده فقال له يا حبيبي أخبرني عنك هل قممت به ؟ قال لا ، قال أنست به ؟ قال لا ، قال فهل رضيت عنه ؟ قال لا ، قال فأنما مزيتك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أني أستحي منك لأخبرتكم بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومنه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تعدق طبقات أصحاب اليمين لأن مزيتك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لمن أنتم ؟ قالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة قهاريوا فقال ما بالكُم ادعيتُم محبي إن صدقتم فاصبروا على بلائي ، وللشبلي رحمه الله تعالى :

إن الهبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محبا غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصدقا وله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يثير بها ولو كان بها شلل ظل يوارى بها يعني بذلك أن النهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستكفون منه . وقيل إنه وقع الحريق في السوق فقبل لشرى احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره قوية واستغفارا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحفظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحفظ الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين : أحدهما الرضا بالألم لما توقع من الثواب الوجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثاني الرضا به لالحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له قد يغلب الحب بحيث ينغمز مراد الحب في مراد المحبوب فيكون ألد الأشياء عنده سرور قلب محبوه ورضاء وتقوى إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل • فما الجرح إذا أرضاك ألم • وهذا ممكن مع الاحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يدعش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من تقدمه من نفسه لأنه إنما تقدمه لقدمه سببه وهو فرط حبه ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف محاببه فلم يجيب محابب أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الراصي قال : كنت في مجلس بالرقعة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على عاشقين البكا

ولاسيا عاشق إذا لم يجد مشككي

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيد رأيت رجلا متعاقباكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له الهبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا التفاني الذي تظهر لي فقال قد علم الله أنني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقا فالتفت قال فتشجى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال صennon المحب كان في جبرائيل رجل وله جارية يهبها فاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيا فبينما هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آم قال فدعش الرجل وسقطت للامتنان يده وجلس يحرك مافي القدر يده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا ما كان قولك آم . وحكي عن محمد بن عبد الله البندادي قال رأيت بالبصرة ها با على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن قتيبة قال ثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مرزوم عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه • أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توسا على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال يئله الله عز وجل قوما ينفعهم . قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف السكري احتفظ لسائك من اللحم كما تحفظه من الدم . قال هن الحرث بن أسد المحاسبي أنه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق إذا مديده إلى

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه إلى الأرض فملوه ميتا فهذا أمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الله في قدر البصر ينكر جمال الصور والله قد السمع ينكر لذة الألحان والنعيمات للوزونة فالله قد القلب لا يهوى أن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا)

طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك الرق . سئل الشبل عن الورع فقال الورع أن تورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين . وقال أبو سليمان الداراني الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا . وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل . سئل الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما رضى الله تعالى . أخبرنا أبو زرعة بإجازة عن أبي بكر بن خلف بإجازة عن السلي قال سمعت الحسن بن أحمد

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة للعاصي ومقت أهل ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين للترين وزعم أن للعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع ، فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تمل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى اللقائم من الرضا وقد أنى الله تعالى على بعض عباده بقوله سيد عتار غياور هب ! أما إنكار العاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال السورضو بالحياة الدنيا واطمأنوا بها . وقال تعالى - رضوا بأن يكونوا مع الخوالب وطبع على قلوبهم - وفي الخبر للشهور « من شهد منكرا فرضى به فكأنه قد قتل » وفي الحديث « الدال على الشر كفاعة » (١) وعن ابن مسعود : إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك ؟ قال يلغنه فيرضى به وفي الخبر « لو أن عبدا قتل بالمشرك ورضى بقتله آخر بالمعرب كان شريكا في قتله » (٢) وقد أمر الله تعالى بالحدس والنافقة في الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يثنيها في الناس ويطلبها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق » (٣) وفي لفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاه الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لقلت مثل ما فعل . وأما بعض الكفار والقجار والآنكار عليهم ومقتهم لما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى - لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء - وقال تعالى - وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا - وفي الخبر « إن الله تعالى أخذ لليثاق على كل مؤمن أن يبخس كل منافق وعلى كل منافق أن يبخس كل مؤمن » (٤) وقال عليه السلام « الرء مع من أحب » (٥) وقال « من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة » (٦) وقال عليه السلام « وأوثق

(١) حديث الدال على الشر كفاعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالمشرك ورضى بقتله آخر في المعرب كان شريكا في قتله لم أجده أصلا بهذا اللفظ ولا بن عدي من حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرهها فبكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فبكأنما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حد إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٤) حديث إن الله أخذ لليثاق على كل مؤمن أن يبخس كل منافق الحديث لم أجده أصلا (٥) حديث الرء مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما ووالاهم حشر معهم الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زمرة من زاد ابن عدي يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التيمي ضيف .

عزى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصلوة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيد. فان قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٢) فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة أقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متاقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حق رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا وممونه حسن الخلق وهو جهل بمحض بل قوله الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فكركه موته من حيث إنه مات عدو وعدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك العصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه بمحقونا عند الله وبغضه عنده حيث سلط عليه أسباب البعد ولما لقت فهو من هذا الوجه منكراً ومذموم ولا ينكشف هذا إلا بمثال فلنفرض محبوا من الخلق قال بين يدي محبيه إنى أريد أن أميز بين من يحبني ويغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أنى أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لى حق إذا شتمنى أبغضته وأخذته عدواً لى قتل من أحبه أعلم أيضاً أنه عدوى وكل من أبغضه أعلم أنه صديق ومحى ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة خلق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة فأنا عجب له وراض به فانه رأيك وتديريك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم للوجب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتديريك الذى دبته فأنا راض به ولو لم يحصل لك ذلك نقصاناً في تديريك وتعويها في مرادك وأنا كاره لقوات مرادك ولكن من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك إذ كان ذلك يقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تديريك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً بمقتضى له لأن شرط الحب أن يكون الحبيب المحبوب حبيباً ولامدوه عدواً وأما بغضه لك فأنى أراضه من حيث إنك أردت أن يغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكنى أبغضه من حيث إنه وصف ذلك البغض وكسبه وفعله وأمته لذلك فهو محموت عندى لمقتة إياك وبغضه ومقتة لك أيضاً عندى مكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإنما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرس من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاء بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جالب من مصر شيئاً. وقال الخواص: الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة قولهم في الزهد: قال الجنيد: الزهد خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التبع. وسئل الشبلي عن الزهد فقال لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيها ليس له فليس ذلك زهداً وزهد فيها هو له

(١) حديث أوثق عزى الإيمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصلوة (٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذى من حديث سعد بن أبي وقاص من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل الحديث وقال غريب وتقدم حديث ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وحديث إن الله بقسطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة واقدردلى الخير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لاتخصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة والعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب العصية ويجره الحب إلى فعل العصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلاً يجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه بعض الشتم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبده أعنى تسليط دواعي العصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بأمره ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يخض من أمضاه الله ويعتق من مقتته الله ويعادى من أبغده الله عن حضرته وإن اضطره بجهده وقدرته إلى معاداته ومحافته فإنه سيهدم مطروداً ملعوناً عن الحضرة وإن كان بعيداً بأمره قهراً ومطروداً بطرده واضطراً وهدم البعد عن درجات القرب ينفى أن يكون مقبلاً أيضاً إلى جميع المحبين موافقة للمحسوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بأمره وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتخفيف عليهم وللبالغة في مقته مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قاله إلهما جميعاً منه من غير إقرار في الرضا والكراهة فهو أيضاً مقصور وكشف الفطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم «القدر سر الله فلا تنشروه»^(١) وذلك يتعلق بلم الكشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الفرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضاً أن الدعاء بالمنفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب الدينية على الدين غير منقضى للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلباً لازالة العطش مباشرة سبب رتبة مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبة الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن الحسك بالأسباب جرياً على عنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستغنائه في كتاب التوكل فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض . وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أى في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وغيرها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وحمة والعيال هم وعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمديره والملكة لما لكتها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه : لا تأبلى أصبحت غنياً أو فقيراً فاني لأدري أيهما خير لي .

فكيف يزهد فيه وهو
معه وعندة قليل
إلا ظلف النفس وبذل
مواساة ، يشير إلى
الأقسام التي سبقت بها
الأفلام وهذا لو اطرد
هدم قاعدة الاجتهاد
والكسب ولكن
مقصود الشبلى أن يقال
الزهد في عين اللذات
بالزهد لا يتر به .
قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا
رأيت الرجل قد أوتي
زهداً في الدنيا ومنطقاً
فاقربوا منه فإنه يلقي
الحكمة» وقد سمى الله
عز وجل الزاهدين
علماء في قصة قارون
قال تعالى - وقال
الذين أوتوا العلم ويلكم
نواب الله خير - قيل

العمل وحديث أسألك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تنشروه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف .

(بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومنعتها لا يقدح في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد يظهره الطاعون (١) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بسد ظهور الطاعون أن يلوّث فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا تمتهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالفرار من الزحف (٢) ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار عما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة الواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التفرغ عن العسيرة ليست منسومة لما زال السلف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بئداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بها شرا من بئداد قيل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه مصيبة الله ولما قم خراسان قيل له كيف رأيت بئداد قال ما رأيت بها إلا شريطا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه ببئداد يقرب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم. دينار كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار. وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراق قال فأتصنع به بلفظي أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قبض الله له قرينا من البلاد وذكر كعب الأحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وقبض الله الداء الضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه سوفي متدبر بعبادة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال ببئداد فأعرض عنه وقال يأتينا أحدهم في زى الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال في عسى الظلة وكان بشر بن الحرث يقول مثال التعب ببئداد مثال التعب في الحش وكان يقول لا تفتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في يقضى قبل وأن تختار السكنى قال بالغور. وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بئداد زاهدو شريرهم شرير فهذا يدل على أن من بلى بيلة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - فإن منعه عن ذلك عيال أو علة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مزعج القلب منها قاتلا على الدوام - ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم زل البلاد وهدم الجميع وشمل الطمحين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الدين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب هضم الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إضاعتها إلى فعل الله تعالى فأما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة الولي ورجل قال لا أختر شيئا بل أروى

م الزاهدون . وقال سهل بن عبد الله للمقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا ، وقيل في قوله تعالى - وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - قيل عن الدنيا . وفي الخبر « العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم » وجاء في الأثر لا زال لإله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله مالم يألوا ما قص من دينهم فإذا ضلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين .

(١) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تقدم في آداب السفر (٢) حديث إنه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف فيه .

بما اختاره الله تعالى ورفضت هذه السألة إلى بعض المارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلمهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال للثوري كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم ؟ قال لما أخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم ؟ قال لعل أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لوهيب إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختار شيئا أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى قبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة .

(بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

قيل لبعض المارفين إنك محب فقال لست محبا إنما محروب والمحب متمعوب وقيل له أيضا الناس يقولون إنك واحد من الصبية فقال أنا أكل السمكة وكان يقول إذا رأيت مني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لأنني رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس المحب بمن يرى الخضر ولكن العجب بمن يرى الخضر أن يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل فحدثنا بأحد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمحت على فعمزت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . وحكي عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قصد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم الشيء على الماء والشيء في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم على الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ثم انفتق قرآني فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مدي أنت ههنا ؟ قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلني في الملك الأسفل فدورني في لللكوت السفلى وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الملك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أحبه لك ؟ فقلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عبيدي حقا تعبدني لأجلى صدقا لأفغان بك ولأنفان فقد ذكر أشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت ياسيدي لم لأسأله العرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويملك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواء . وحكي أن أبا تراب النخشي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فلما أكره عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد حاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثناني عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويملك تعتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبهت الذي من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له ويملك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ترى أبا يزيد

وقال سهل : أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم . وقيل من سمى باسم الزهد في الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود ومن سمى باسم الرغبة في الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم . وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحسب للفرقة عند الناس وحسب الممدة والثناء وسئل الشبلي عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة وقال بعضهم لما رأوا حجارة الدنيا زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقدار هـ عرف ماقلت فقال احملى اليه فذكر قصة قال في آخرها فو قضا على تل تنتظره
ليخرج إلينا من الغيضة وكان يأوى إلى غيضة فيها سباع قال لمربنا وقد قلب فروة على ظهره قفلت
لألقى هذا أبو زيد فانظر إليه فانظر إليه التقي فصق خركناه فاذا هوميت فقامونا على دفته قفلت
لأبي زيد ياسيدي نظره إليك قله قال لا، ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف
له بوصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاقت عن حمله لأنه في مقام الضياء للريدين قفله ذلك.
ولما دخل الزنج البصرة قتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى
دفعهم فسكت ثم قال إن لله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم
إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يحمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يغلو عن التصديق والایمان بامكانها فإن القدرة واسعة والفضل
عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى
لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب
ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فإن سكنت إلى ذلك حبيبتك به وهذا بلا مثلم
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمل فالأمل. وقد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء
رأيتن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت
إلین نظرة فعوقبت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال،
وقيل لي انظر إلین قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إلین وقلت أعوذ بك
مما سواك لاحاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني. فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي
أن ينسكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه للظلمة وقلبه
القاسي اضاق مجال الإيمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا، ثم
مكاشفة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحسن المحول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق فيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى
يجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت وتقيت وصقلت وصورت
بصورة المرأة فظهر للنكر إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف الرئي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك
وقصور من رآه وبشئ المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يتم روايح المكاشفة من
سلك شيئا ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه للزلة قال كنت أكرم الله
تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم على ويغني أمرى. وروى أنه رأى الخضر عليه السلام، فقال له
ادع الله تعالى لي، فقال بسر الله عليك طاعته. قلت: زدني قال وسترها عليك، فقيل معناه
سترها عن الخلق، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها. وعن بعضهم أنه قال ألقني
الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئا كان أهم الأشياء
علي. قال فرأيتة فما غلب على همى ولا همى إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئا إذا قاتته حجت عن
قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال قل: اللهم أسبل على كيف

زهدم في الدنيا
لهوانها عندهم وعندى
أن الزهد في الزهد
غير هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزاهد اختار الزهد
وأراد به إرادته تستند
إلى علمه وعلمه قاصر
فاذا أقيم في مقام ترك
الارادة وانسلخ من
اختياره. كاشفه الله
تعالى بمراده فيترك
الدنيا بمراده الحق لا بمراده
نفسه فيكون زهده
بالله تعالى حينئذ أو
يعلم أن مراده الله منه
التلبس بشيء من
الدنيا فما يدخل بالله
في شيء من الدنيا
لا يفتص عليه زهده
فيكون دخوله في

مترك وحط على سرادقات حبيبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فخشي أنه صار بحيث كان يستدل ويعتبر حتى كان أهل الدمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخوله فكذا حال أولياء الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمغرورون إنما يطلبونهم تحت الرقعات والطيافة وفي الشهور بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأني بالإخفاء كما قال تعالى : أوليائي تحت قباني لا يعرفهم غيري ، وقال صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه العالمة القلوب الشكيرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بميلها وعلوها وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستعرة ذلت نفسها استتمارا إذا ذلوا واحتضمت لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاة فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أحسن منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع الطبع صفة ذات لمثل هذا القلب يرجى له أن يستشقي مبادئ هذه الروائح فإن قدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بما كان ذلك لأهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله مؤنابهم فحسب أن يحضر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبي إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحنكة إلا في قاب مثل التراب ولقد انتهى الريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها بأذلال النفس إلى منتهى الضعة والحسة حتى روى أن ابن الكريبي وهو أستاذ الجند دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينظر دمه يدعى فيرمى له عظم فيعود ولورد دمي خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة ففرت فيها بالصالح فتشقت على قلمي فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها لم يلبس مرقعني فوقها وخرجت وجملت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فترعوا مرقعني وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصررت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروّضون أنفسهم حتى يغاصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فان التلصفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بهر وتحال حائل وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ، ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يغازق مجلس أبي يزيد ، فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه ، فقال أبو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقت ليلى ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء ؟ قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله ، قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة إلى الزين فاحلق رأسك ولحيتك واتزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الأرواق كلها عند الشهود وعند من يرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

النبي من الدنيا بالله
وباذن منه زهدا
في الزهد والزاهد
في الزهد استوى عنده
وجود الدنيا وعدمها
إن تركها تركها بالله
وإن أخذها أخذها
بالله وهذا هو الزهد في
الزهد وقد رأينا من
المارفين من أقيم في
هذا المقام . وفوق هذا
مقام آخر في الزهد وهو
لمن يرد الحق إليه
اختياره لسمة عليه
وطهارة نفسه في مقام
البقاء في زهد زهدا
ثالثا ويترك الدنيا بعد
أن مكن من ناصيتها
وأعبدت عليه
موهوبة ويكون تركه
الدنيا في هذا المقام
باختياره واختياره

وما سبعت ربك فقال هذا لأفعله ولكن دلتني على غيره فقال ابتدى بهذا قبل كل شيء فقال لأطبقه قال قد قات لك إنك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل نظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينفي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً فأقل درجات الصحة الإيمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة في السرع واضحة وهي مع ذلك مستعمدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلام «لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف» (١) وقد قال عليه السلام «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرأى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا» (٢) وقال عليه السلام «لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا رضى لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له» (٣) وفي حديث آخر «ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الفنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية» (٤) فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولى الإيمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يمجدها لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة على راء الإيمان ، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إيماناً أخذ لحاقاً من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غبرى ولا يؤثر على شيئاً من خلقه وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجهاً وإن قطع بالمشاير لم يجد لمس الحديد ألماً ، فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ومقامات الإيمان وتفاوتته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله عنه «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم» (٥) وفي حديث آخر «إن الله تعالى ثلثائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» (٦) وقال عليه السلام

من اختيار الحق قد
يختار تركها حيناً تأسياً
بالأنبياء والصالحين
ويرى أن أخذها في
مقام الزهد رفق أدخل
عليه لموضع ضعفه عن
درك شأواً الأقوياء من
الأنبياء والصديقين
فيترك الرفق من الحق
بالحق للحق وقد يتناوله
باختياره رفقا بنفسه
بتدبير يسوسه فيه
صرح العلم وهذا
مقام التصرف لأقوياء
العارفين زهدوا ثالثاً
بالله كما رغبوا ثانياً بالله
كما زهدوا أولاً بالله .
[قولهم في الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الخدمة وأعلاها
وقال بعضهم: الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وعلى هذا فهو مفضل فعلى ابن أبي طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجده أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم الرازدى ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق الحديث الطبراني في الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أوتيهن فقد أوتي ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات قد كرهن بنحوه وقد تقدم (٥) حديث إنه قال للصديق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمتى الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن علي مع تهديم وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث إن الله تعالى ثلثائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلقته بضعة عشر وثلثائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلثائة شريعة وثلاث عشرة شريعة

« رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمقي فوضعت في كفة فرجع بهم (١) » ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » يعني نفسه .

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالهبة ينتفع بها)

قال سفيان : الهبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره : دوام الله كروا له غيره : إظهار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات الهبة فأما نفس الهبة فلم يتعرضوا لها ، وقال بعضهم الهبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتع الأئمن عن عبارته ، وقال الجنيد حرم الله تعالى الهبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت الهبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذلل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف إن تكلم هلك والمحب إن سكنت هلك وقال الشبلي رحمه الله :

يا أيها السيد العكريم حبك بين الحشا مقيم
يارافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم
هيجت لمن يقول ذكرت إلي وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيأ ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيأ بالمني وأموت شوقاً فكم أحيأ عليك وكم أموت
شربت الحب كلما بعد كأس فما نقد الشراب وما رويت
قلبت خياله نصب ليعني فان قصرت في نظري عمت

وقالت رابعة العدوية يوماً من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبد فلم أجده فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمعون يوماً في الهبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات وقال إبراهيم بن آدم إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأستغنى بذلك عنك وفرغني للتفكير في عظمتك . وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحق يذو وروح في لاش والعافل عن عبوبه فناش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله إنى لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد المحب لأحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وتبيل المحبة أن عجم أترك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك وقيل الهبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص الهبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن الهبة فقال

وفيه وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الإيمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضميعة (١) حديث رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن تصبر في الصبر
أى لا تطالع فيه
الفرج . قال الله تعالى
والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم التقون .
وقيل : لكل شيء
جوهر وجوهر الإنسان
العقل وجوهر العقل
الصبر فالصبر عرك
النفس وبالعرك تلين
والصبر جاز في الصابر
يجرى الأنفاس لأنه
يحتاج إلى الصبر عن
كل ما يسي ومكروه
ومذموم وظاهره أو باطنا
والعلم يدل والصبر
يقبل ولا تتفع دلالة العلم
بغير قبول الصبر ومن
كان العلم سائس في
الظاهر والباطن لا يتم

عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة الهب على أربع منازل على المحبة والمهبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لأن هاتين المنزلتين يقفان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحصر في الدنيا وتروحه في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد سمعت امرأة من التبعذات تقول وهي باكية والدسوع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لأشترته شوقا إلى الله تعالى وحبا لفقائه قال فقلت لها فلي ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أقراء يذني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم الديرون عنى كيف استظاري لهم ورفقي بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما توا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتى في الدارين عنى فكيف إرادتى في القبلين على يا داود أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما أكون ببغدى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلى وقال أبو خالد الصغار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الحروف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلى رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود ذكركم ولذا كرى وجنتي للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فله ومن اشتاق إليه جد فى مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه لمن يرانى ولا أراه . وقال الجنيد رحمه الله بكى بونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى انحنى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بينى وبينك بحر من نار لحضنته إليك شوقا منى إليك وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والمحبة أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر رداى والرضا غنيمتى والعجز غفري والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفعى والطاعة حبي والجهاد خلقى وقرة عيني فى الصلاة (١) وقال ذوالنون سبحان من جعل الأرواح جنودا مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة وأرواح الفالسين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض الشاخر أريت فى جبل الكمام رجلا أمير اللون ضعيف البدن وهو يقفز من جبر إلى جبر ويقول :

الشوق والهوى صيرانى كما ترى

ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعباير والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الوفاق للصواب تم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق .

﴿ كتاب النية والاخلاص والصدق ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد الشاكرين وتوهم به إيمان الموقنين ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله

(١) حديث على سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضى عياض من حديث على بن أبى طالب ولم أجد له إسنادا .

﴿ كتاب النية والاخلاص والصدق ﴾

ذلك له إلا إذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الثريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يتعامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما فى مستقره وفى ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وباتصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح ويان ذلك بدق وناهيك بشرف

إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والأنس والملائكة القريبين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فإله إلا الدين الخالص للدين . فإنه أغنى الأغنياء عن شركة الشراكين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] قد انكشف لأرباب القلوب بصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعمل والعبادة فالناس كلهم هلكت إلا العالمون والعاملون كلهم هلكت إلا العاملون والعاملون كلهم هلكت إلا المتخصصون والمتخصصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو لا يوافق كفاء ومع المصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً بمغموراً - وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً - ولست شعري كيف يصح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب الخالص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بصدقهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والإخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب : الباب الأول في حقيقة النية ومعناها . الباب الثاني : في الإخلاص وحقيقته . الباب الثالث : في الصدق وحقيقته . [الباب الأول في النية] وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيراً من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار .

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والعشى يريدون وجهه - والراد تلك الإرادة هي النية وقال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر شهداء أمتي أصحاب القروش ورب قليل بين الصنفين الله أعلم بنيته (٢) » وقال تعالى - إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما - فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٣) » وإيماننا إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعمل أعمالاً حسنة فتصعد للملائكة في صحن مائة خضرة فتنزل في يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بطلعه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمثل ما عملت فإعمل فيها في الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علماً فهو يتخطب بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فيها في الوزر سواء (٥) » ألا ترى كيف شركة بالنية في محاسن عمله

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب القروش ورب قليل بين الصنفين الله أعلم بنيته أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن العبد يعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة الحديث الدار قطن من حديث أنس بإسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علماً ومالاً الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - كل أجر أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب . وقال الله تعالى لنيه : - واصبر وما صبرك إلا بالله - أضاف الصبر إلى نفسه لشرف مكانه وتكامل النعمة به . قيل وقف رجل على الشبل فقال أي صبر أشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا ، فقال الصبر لله فقال لا ، فقال الصبر مع الله فقال لا ، فغضب الشبل وقال ويحك أي شيء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبل صرخة كاد أن تتلف روحه . وعندى

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال «إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطننا موطنًا يخيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا محصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك؟ رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم المذخر كواجر حسن النية (١)» وفي حديث ابن مسعود «من هاجر بيتي شيئا فهو له هاجر رجل فتزوج امرأة منافس كان يسمى مهاجر أم قيس (٢)» وكذلك جاء في الخبر «إن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار (٣)» لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا ينوي إلا عقلا فله مانوي (٤)» وقال أبي «استعنت رجلا بغزو معي فقال لاحق تحمل لي جملا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له (٥)» وروى في الاسرائيليات أن رجلا مركبًا من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن قله إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك. وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً قصدت به، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بعسنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٦)» وفي حديث عبد الله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قفراً بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيقه وفارقها أزهى ما يكون فيها (٧)» وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشاً يغسف بهم البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم السكر والأجير فقال يحشرون على نياتهم (٨)» وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل المقتلون على النيات (٩)» وقال عليه السلام «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الحقائق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله

في معنى الصبر عن الله وجهه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجهه وذلك أن الصبر عن الله يكون في أخس مقامات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء وإجلالاً وتنطق بصبرته خجلاً وذوباناً ويتغيب في مفارز استكاثته وتخفيه لإحساسه بعظيم أمره المتجلى وهذا من أشد الصبر لأنه يوداستدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تتكحل بصبرتها باستلحاق نور الجلال وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر

من حديث أبي كشة الأنعماري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإنما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا الحديث البخاري مختصراً وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر بيتي شيئا فهو له هاجر رجل فتزوج امرأة منافس كان يسمى مهاجر أم قيس الطبراني بإسناد جيد (٣) حديث إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار أجده لأصلا في الموصولات وأعمارواه أبو اسحق الفراء في السنن من وجه مرسل (٤) حديث من غزا وهو لا ينوي إلا عقلا فله مانوي النسائي من حديث عبادة ابن الصامت وتقدم غير مرة (٥) حديث أبي استعنت رجلا بغزو معي فقال لاحق تحمل لي جملا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له الطبراني في مسند الشاميين ولأبي داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا للفرز وسمى له ثلاثة دنائير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنائيره التي سمى (٦) حديث من هم بعسنة فلم يعملها كتبت له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله قفراً بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد قوله وفارقها أرغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهى ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يغسف بهم يحشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم (٩) حديث إنما يقتل المقتلون على النيات ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية من حديث عمر بإسناد ضعيف بلفظ إنما بيعت ورويناه في فوائد تمام بلفظ إنما بيعت المسلمون على النيات ولا ابن ماجه من حديث أبي هريرة إنما بيعت الناس على نياتهم وفيه لبث بن أبي سليم مختلف فيه .

هي العليا فهو في سبيل الله (١) وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يبعث كل عبد على ما مات عليه (٢) » وفي حديث الأحنف عن أبي بكر « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) » وفي حديث أبي هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن أدان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنثن من الجيفة (٥) » . وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما اقترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ، وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثوري : كانوا يعلمون النية للعمل كما تعلمون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير ، وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يداني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى فاني لأحب أن يأتي على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله فليل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا قرت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كماله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعدوها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر الله لهم ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولاتهم بصية وانتبهت إلى غير إثم . وقال أبو هريرة : يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ أو لبس أو نكح حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأ أخباركم - يبكي ويردها ويقول : إنك إن بلوتنا فاضحتنا وهتكت أمتارنا . وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا ينوي فإن صلاحت نيته في الخير أن يصلح ما دون ذلك ، فاذن عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بمائق .

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها (١) حديث إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الحقائق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٢) حديث جابر يبعث كل عبد على ما مات عليه رواه مسلم (٣) حديث الأحنف عن أبي بكر « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار متفق عليه (٤) » حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصراً على قصة الدين دون ذكر الصداق (٥) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسل .

عن الله تعالى ذلك .
وقال أبو الحسن بن
سالم هم ثلاثة متصبر
وصابر وصبار فالمتصبر
من صبر في الله فرة
يصبر ومرة يجزع
والصابر من يصبر في
الله وقه ولا يجزع
ولكن توقع منه
الشكوى وقد يمكن
منه الجزع وأما الصبار
فذاك الذي صبره في
الله ولله وبالله فهذا لو
وقع عليه جميع البلايا
لا يجزع ولا يتغير من
جهة الوجود والحقيقة
لأن جهة الرسم
والحلقة وإشارته في
هذا ظهور حكم العلم
فيه مع ظهور صفة
الطبيعة . وكان
الشبلي يمثل بهذين
البيتين :

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يطمح فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موقفا للعرض إما في الحال أو في الآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور ويلازم غرضه ويخالفه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضار النافي عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصبر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصبر النار لا يمكنه الحرب منها غلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهي الخواص الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والليل ولقد الداعية الحركة إليه غلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعنى به نزوعا في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا غفلت له القدرة والأعضاء للتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جازمت المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبثقت الإرادة وتحقق الليل فاذا انبثقت الإرادة انتهت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالتنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة والانبعاث النفس بحكم الرغبة والليل إلى ما هو موافق للعرض إما في الحال وإما في الآل فالحرك الأول هو العرض للطلب وهو الباعث والعرض الباعث هو القصد النوى والانبعاث هو القصد والنية وانهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انتهاء القدرة للعمل قد يكون يباعث واحد وقد يكون يباعثين اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان ملبا بإنهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهى عاضدا له ومعاوننا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانتهت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بعوجها إخلاصا بالإضافة إلى العرض الباعث ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بإنهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقربته وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حية ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مراقبة للباعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوت الهب من
ألم الشوق

ق وخوف الفراق

يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث

به الصبر

ر فصاح الحب للصبر

صبرا

قال جعفر الصادق

رحمه الله أمر الله تعالى

أنبياءه بالصبر وجعل

الحظ الأعلى للرسول

صلى الله عليه وسلم

حيث جعل صبره بالله

لا بنفسه فقال

وما صبرك إلا بالله -

وسئل السري عن

الصبر تسلكم فيه قدب

على رجله عقرب فجعل

بضربه يبرته فقبل له لم

لا تدهنه ؟ قال أستحي

من الله تعالى أن أتكم

ولكن قوى مجموعهما على إتهاض القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه النني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الشاء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لاثواب في التصديق عليه لكان لا يعثه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل . ومثاله في المحسوس أن يتعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للانسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فانفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يقتر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لاحكم لها في نفسها وإنما الحكم للتبوع .

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله »)

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فبقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكير خيرا من التفكير وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لاتدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لاتدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية بمجرد خيرا من العمل بمجرد دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذا العمل بالنية أو على الغفلة لاخير فيه أصلا والنية بمجرد خيرا وظاهر الترجيح للشاركين في أصل الخير بل المعنى به أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خيرا من العمل أى لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خيرا من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض أن للعباد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرا فهما فلهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومرتجة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود فمن قال الخير خير من الفاكهة قائما بمعنى به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاعتناء ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن الغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها ببعض

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث الثواس ابن سميان وكلاهما ضعيف .

في حال ثم أخالف
ما تكلم فيه . أخبرنا
أبو زرعة بإجازة عن
أبي بكر بن خالف بإجازة
عن أبي عبد الرحمن
قال سمعت محمد بن خالد
يقول سمعت الفرغاني
يقول سمعت الجنييد
رحمه الله يقول إن الله
تعالى أكرم المؤمنين
بالإيمان وأكرم الأيمان
بالعمل وأكرم العمل
بالصبر فالإيمان زين
المؤمن والعقل زين
الإيمان والصبر زين
العقل وأنشد عن
إبراهيم الخواص
رحمه الله :

صبرت على بعض
الأذى خوف كله
ودافعت عن نفسي
لنفسى فخرت

فالطاعات غذاء للقلوب ، والقصود شفاؤها وقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها ببقاء الله تعالى . فالقصد لغة السعادة بقاء الله قطع ولن يتم بقاء الله إلا من مات عبدا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره له ، فالأمن يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والمحبة تتبع للعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وإعما ميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل إلى القصد والحجامة لعله بأن سلامته فيهما ، وإذا حصل أصل الليل بالمعرفة فأنما يقوى بالعمل بمقتضى الليل والمواظبة عليه فإن اللواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى ترشح الصفة وتزوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا ، فإن اتبع مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانعقد بل القى ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا لوتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ، ولو نظم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الليل ويكون ذلك زبرا ودفا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه ويتقع وينحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا والآخرة ، وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بلمسه يموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للتبوع فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والراعي والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو القصد والأعضاء آلات موصلة إلى القصد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد (١) » وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعي والرعية (٢) » وأراد بالراعي القلب . وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لاحالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ، ثم يجب أن تكون النية من جملة أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب لإرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكسب على الذكر والفكر بالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس القصد ، وهذا كإن العدة إذا تأملت فقد تدأوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالكرب واللبواء الواصل إلى للعدة ، فالكرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر

وجرعتها للكروه

حتى تدرجت

ولولم أجزعها إذن

لاعهأزت

ألارب ذلساق للنفس

عزة

وبارب نفس بالتذال

عزت

إذا مامدوت الكف

ألتس التي

إلى غير من قال

اسألوني فقلت

سأصبر جهدي إن في

الصبر عزة

وأرضى بدنياي وإن

هي قلت

قال عمر بن عبدالعزيز

رحمه الله : ماأنعم الله

على عبد من نعمة ثم

اتزعه ففاضه عما

اتزعه منه الصبر

إلا كان ماعاضه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث النعمان بن بشير

وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية تقدم ولم أجده .

إلى العدة ، لما يلقى عين العدة فهو خير وأنفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها ، إذ للطلوب منها تغير القلوب وتبديل صفاتها قسط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم المادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بتغير نية مفيدا أصلا لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمه وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض للطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بتغير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شرافته لم يؤكد الصفة للطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة للطلوب فمعها وهي صفة الرياء التي هي من الليل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل ، وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الاتمام بالعمل يزيد بها تأكيدها فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبطلان إيتار لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دملها ولكن يئله التقوى منكم ، والتقوى هنا أعنى القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوما بالمدينة ندشركوننا في جهادنا » كما تقدم ذكره لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الحار جين في الجهاد وإنما فرقهم بالأبدان لموافق تخص الأسباب الخارجية عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردها في فضيلة النية فأعرضها عليها ليكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة.

(بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية)

اعلم أن الأعمال وإن اتسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفسكر وذكر وغير ذلك بما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات. القسم الأول: للأصامي وهي لا تغير عن موضعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أن العصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يفتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رابطا بمال حرام أو تصد الخير فهذا كله جهل بالنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طاب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيئات بل الروح لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان سائلا إلى طلب الجاهل واستماله لقلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : ماء من الله تعالى بمصية أعظم من الجهل. قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالسكية باب التعلم فمن يظن بالسكية بنفسه أنه عالم فكيف يعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

بما أنزعه منه وأنشد

لسمون :

تجمرت من حاله

نعلى وأبوسا

زمانا إذا أجرى عزاليه

احتسى

فكم غمرة قد جرعتني

كثوسها

فجرتني من بحر صبري

أكوسا

ندرت صبري

والتخت صروقه

وقلت لنفسي الصبر أو

فاهل كي أسي

خطوب لوان الشم

زاحن خطبها

لساخت ولم تدرك لها

الكف ملسا

[قولهم في الفقر] قال

ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فإذا كان

لك لا يكون لك حتى

فان من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم ، وقد قال الله سبحانه - فاستلوا أهل الذکر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يضر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ^(١) » ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين همهم على مكارمة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء إذا تعلموا كانوا قاطع طريق الله وانهمض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجريء الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى العلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألني سنة وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعماله هو في الفساد فالمصيبة منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإعما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلم العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجليلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان إعداد الخيل والرباط والقوة للقزاة من أفضل القربات فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرم مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء ^(٢) » فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمدد بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياء على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه تقصيرا في نقل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه وإذارا وأمنه فجورا واستحلال حرام هجره ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لمعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تمود جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل . حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغييره عليه وهو

نؤثر . وقال الكنانى
إذا صح الاقتدار إلى
الله تعالى صح النفي
بالله تعالى لأنهم أحالان
لا يتم أحدهما إلا بالآخر .
وقال النورى : نعمت
النقراء السكون عند
العدم والبذل عند
الوجود . وقال غيره :
والاضطراب عند
للوجود . وقال الدراج
فدشت كنف أستاذي
أريد مكحلة فوجدت
فيها قطعة فتحيرت ،
فلما جاء قلت له : إني
وجدت في كنفك هذه
القطعة . قال قد
رأيتها ردها ثم قال
خذها واشتر بها شيئا
فقات : ما كان أمر
هذه القطعة بحق
معبودك فقال مارزقي

(١) حديث لا يضر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يضر الجاهل على الجهل وقال لا ينبغي بدل ولا يحل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن لله ثلثائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب المحبة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلغني أنك طيبت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو
أتملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فمكثا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا
وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأحكام الواسعة وأصحاب
الأسنة الطويلة والفضل الكثير ، أعنى الفضل من العلوم التي لا تشمل على التحذير من الدنيا
والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعاق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع
الخطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فاذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يختص
من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون المعاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والباح ينقلب
معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا ، نعم لنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف
إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة . القسم الثاني الطاعات
وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها . أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى
لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة
يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد قائم طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات
كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال التقيين ويبلغ به درجات القربين أو لها أن يعتقد أنه بيت الله
وأن داخله زار الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
«من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على الزور إكرام زائره» (٢) وثانيها أن ينتظر الصلاة
بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى - وربطوا - . وثالثها الترهيب
بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كقعوده في معنى الصوم وهو
نوع ترهب ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهبانية أمي القعود في المساجد» (٣) ورابعها
عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاغترال إلى المسجد
وخامسها التجرد لذكر الله أولا استماع ذكره وللتذكر به كما روى في الخبر «من غدا إلى المسجد ليذكر
الله تعالى أو يذكره به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى» (٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر معروف
ونهي عن منكر إذ المسجد لا يغلو عن منس في صلواته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهيه
إلى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتضاعف خيراته . وسابعها أن يستفيد أخا
في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله . وثامنها
أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضى هتك الحرمه ،
وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع
خصال أحما مستغادا في الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستظرفا أو كفة تدل على هدى أو تصرفه

الله تعالى من الدنيا
مفسراء ولا يضاء
غيرها فأردت أن
أوصي أن تصدق في كفي
فأردها إلى الله وقال
ابراهيم الخواص الفقر
رداء الشرف ولباس
المسلمين وجباب
الصلحين . وسئل
سهل بن عبد الله عن
الفقر الصادق فقال
لا يسأل ولا يرد ولا
يعبس . وقال أبو علي
الروذباري رحمه الله
سألت الزقاق فقال
يا أبا علي لم ترك الفقراء
أخذ البلقي في وقت
الحاجة قال قلت لأنهم
مستغنون بالمعطي عن
العطايا قال نعم ولكن
وقع لي شيء آخر فقلت
هات أفدني ما وقع لك

(١) حديث تضعيف الحسنة بعشر أمثالها تقدم (٢) حديث من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى
وحق على المزور إكرام زائره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحوه من
رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بإسناد صحيح وقد تقدم ما في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمي القعود
في المساجد لم أجده أصلا (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله أو يذكره به كان كالمجاهد في سبيل
الله تعالى هو معروف من قول كعب الأحبار رويناه في جزء ابن طوق وللطبراني في الكبير من حديث
أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حج تاما حجة وإسناده جيد
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أراح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح

عن ردى أو يترك الذنوب خشية أحياء فهذا طريق تسخير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا واحتدل نيات كثيرة وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات [القسم الثالث المباحات] وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات لها عظم خسران من يففل عنها ويتعاطاها تعاطى اليائس للهمة عن سهو وغفلة ولا يذنب أن يستحق العبد شيئا من الخطرات والخطوات والملاحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فعله وما الذى قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب» (١) وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه» (٢) وفي خبر آخر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنث من الحيفة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية . فان قلت لما الذى يمكن أن ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله . فاعلم أن من يتطيب مثلاً يوم الجمعة وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التمتع بلذات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكترة المال ليحسده الأقران أو يقصد به رياء الخلق ليقيم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أوليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبية إذا كان مستحلاً للنظر إليهن ولأموار أخر لا تخصي وكل هذا يجعل التطيب معصية فذلك يكون أنث من الحيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعيم فان ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعمل ما يغنى ويغنى زيادة نعيم لا يفتى وأما النيات الحسنة فانه ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣) وينوى بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى إلى إيذاء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الغيبة عن اللغائين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كاقبل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وكذاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريح زاده فله هذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالباً على قلبه وإذا لم يغلب على قلبه إلا النعيم الدنيال تحضره هذه النيات

(١) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب تقدم (٢) حديث معاذ إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كل عينيه وعن فتات الطين بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه لم أجده له إسناداً (٣) حديث إن لبس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبوداود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده ولبس أحسن ثيابه الحديث ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهنته وفي إسناده اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حلة سراء عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يرم الجمعة الحديث .

قال لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود إذ الله فاقهم ولا تضرهم الفاقة إذ الله وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال السوحي الفقير الذى لا تخيه النعم ولا تفقره الحن . وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر أن لا يستغنى إلا بالله ورحمه عدم الأسباب كلها وقال أبو بكر الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أمهاتنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجواب يقنعى حتى سألت نصر بن الحامس فقال لي لأنه أول منزل من منازل

وإن ذكرت له لم يفت قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء
والباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ماعداه ولهذا قال بعض العارفين من
السلف إنني لأستعجب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الأكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه
وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يصب الله تعالى بدمه فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان
طعما بأكله ونسكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير مختص لمن غلب
على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله وإذا بلغه
اغتيال غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيئاته وسنقل إلى ديوانه حسناته ولنزول ذلك بسكوته عن
الجواب في الخبر « إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يارب هذه أعمال ما عملتها قط فيقال هذه
أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلوك (١) » وفي الخبر « إن العبد ليؤاقي القيامة بحسنات أمثال الجبال
لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتل هذا من حسناته ولهذا من
حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه
من سيئاتهم ثم صكوا له صكا إلى النار (٢) » وبالجملة فإياك ثم إياك أن تستحق شيئا من حركاتك فلا تحترز
من غرورها وشروورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد بما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أثرب به من حائط جارلي فتخرجت
ثم قلت تراب وما تراب قربة فتفت بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقي غدا من سوء الحساب
وصلى مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فمرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوء فسأله عن ذلك
فقال إنني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن إن الرجل ليعلم بالرجل يوم القيامة
فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت ابنة من حائطي وأخذت خيطا من
نوبي فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين فإن كنت من أولى العزم والنهي ولم تكن من اللغو
فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن
ولا تتحرك ما لم تأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك
من الآخرة وبماذا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأعرض عزمك وما خطر
ببالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بدله من نية
صحبة فلا ينبغي أن يكون الداعي هو خفي لا يطلع عليه ولا يفرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات
وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاعتراق قد روي عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل
في حائط بالطين وكان أجيرا لقوم قدموا له رغيفا إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

(١) حديث إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الذين اغتابوك الحديث أبو منصور
الدبلي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شيب بن سعد البلوي مختصرا إن العبد
ليأتي كتابه يوم القيامة منتظرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لي ولم أعلمها فيقال بما
اغتابك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لهيعة (٢) حديث إن العبد ليؤاقي القيامة بحسنات أمثال
الجبال وفيه ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف .

التوحيد ففتمت بذلك
وسئل ابن الجلاء عن
الفقر فسكت حتى صلى
ثم ذهب ورجع ثم قال
إنني لم أسكت إلا لدرهم
كان عندي فذهبت
فأخرجته واستحييت
من الله تعالى أن أتكلم
في الفقر وعندي ذلك
ثم جلس وتكلم .
قال أبو بكر بن
طاهر عن حكم الفقير
أن لا يكون له رغبة
فإن كان ولا بد لا تجاوز
رغبته كفايته . قال
فارس قلت لبعض
الفقراء مرة وعليه أثر
الجوع والضر لم لا تسأل
فيطعموك ؟ فقال إنني
أخاف أن أسألهم
فيمنعوني فلا يفلحون
وأشد لبعضهم :

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتمججوا منه لما عدوا من سخائم وزهده وظنوا أن الخير في طلب الساعة في الطعام فقال إني أعمل أقوم بالأجرة وقدسوا إلى الرغبة لا تقوى به على عملهم فلما كلمهم لم يكفكم ولم يكفني وضعت عن عملهم فالصبر هكذا ينظر في البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفوائد مع الفرائض . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلفني حتى لعق أصابعه ثم قال لولا آتي أخذته بدين لأجبت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فان أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد بأحد الوزرين التفاق وبالتالي ترضيه أخاه لما يكره لوعله فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار .

(بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل بسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكبيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس لله أو أكل لله ويظن ذلك نية وهيئات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمنزل من جميع ذلك وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى مظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما أجلا والليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبان نويت أن أشتى الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما تنبثق النفس إلى الفعل إجابة لغرض الباعث الموافق للنفس اللازم لها ومالم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا توجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد قائما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوراف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال وبالأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعثة إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يطلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح (١) اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم فضلها لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية ، نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنغرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التنبؤ وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك أعضاءه لمباشرة العقد فإذا انتهت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان نوايا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا نية حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى فقالت أجيء بالمرأة فكت ساعت ثم قال نعم قليل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
فقلت خاخصة ساق عبدة الجرجا
فقر وصبرها ثوبان تحمها
قلب يرى ربه الأعياد والجماء
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم التزاور في التوب الذي حلما
الدهر لي مأنم إن غبت يا أملي
والعيد مادمت لي مرأى ومستعما .
[قولهم في الشكر]
قال بعضهم الشكر هو العينة عن النعمة برؤية النعم . وقال يحيى بن معاذ الرازي لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

ولم تحضرني في المراجعة فتوقفت حتى هياها الله تعالى ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة قبيل الثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان أحدهم إذا سئل عما من أعمال البر يقول إن رزقني الله تعالى نية فعلت وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبديءه قيل له في ذلك قال أنتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرته نية فعلت. وحكي أن داود بن الحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فأنظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فاستغفرت قال أحمد فردته على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجده نية. وقال بعضهم أنا في طاب نية لزيادة رجل منذ شهر لما صحت لي بعد . وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعث القلب يجرى مجرى الفتح من الله تعالى فقد تيسر في بعض الأوقات وقد تعذر في بعضها ، نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية لخيرات فان قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم تيسر له ذلك بل لا تيسر له في القرض إلا بمجهود جهده وقايتة أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فرجما تنبث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيتته وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تيسر للراغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويمر على بساط الأرض من يفهمها فضلا عن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الوعود في الآخرة وإن كان من جنس المألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرها الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذا أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الأبواب فاتها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه جبالها وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعم في الجنة فاتهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالعبادة والعشى يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يقتسمون بالنظر إلى وجه الكريم ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنم بالنظر إلى الحور العين مما يقتسم بالنظر إلى وجه الصور للصنوعة من الطين بل أشد فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور للصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمة الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الخنازير وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها وإفهامها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء فعسى أكثر القلوب عن إحصار جمال الله وجلاله يضاهي عنى الخنفساء عن إدراك جمال النساء فانها لا تشمر به أصلا ولا تلتفت إليه ولو كان لها عقل وذكرن لها لا تحسنت عقل من يلتفت إليهن - ولا يزالون مختلفين - كل حزب بما لديهم فرحون - ولذلك خلقهم -

التعجب وذلك أن
الشكر نعمة من
الله يجب الشكر
عليها وفي أجار داود
عليه السلام إلى
كيف أشكرك وأنا
لا أستطيع أن
أشكرك إلا بنعمة
ثانية من نعمك فأوحى
الله إليه إذا عرفت
هذا فقد شكرته
ومعنى الشكر في اللغة
هو الكشف والانتهاز
يقال شكر وكشر
إذا كشف عن قعر
وأظهره فكشرك النعم
وذكرها وتصادها
بالسان من الشكر
وباطن الشكر أن
تستعين بالنعم على
الطاعة ولا تستعين بها
على المعصية فهو شكر

حكى أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون من الجنة إلا أبا يزيد
فان يطلبني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال إلي .
وروى الشبلي بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك فقال لم يطلبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قوله
واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض
أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول إلى غيرها
ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت
له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه بقصة
لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار
دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليربح نفسه ويتقوى
على العبادات في المستقبل وليس تنبث نية في الحالين للصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له
بل لو مل العبادات لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفع ساعة بلم ووحدت عاد
نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء إني لأستجم نفسي بشئ من الله فيكون ذلك عوننا
لى على الحق وقال على كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها إذا كرهت عمت وهذه دقائق لا يدركها
إلا بمسيرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور بالحكم مع حرارته ويستعبده
القاصر في الطلب وإنما ينتفى به أن يجد أولا قوته ليحتمل العالجة بالصد والحاذق في لعب الشطرنج
مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك إلى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتجب
منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرينه ويؤليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيسكر
عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق
يقف فيها على لطائف من الحيل يستعبد بها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضمير إنكارا على ما يراه من شيخه
ولا لا تعلم أن يعترض على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يهيم به من أحوالهما يسلمهما
لهما إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .
(الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال - ألا لله الدين الخالص - وقال تعالى
- إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - نزلت فيمن يعمل لله ويجب أن يحمده عليه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله ^(١) » وعن مصعب بن
سعد عن أبيه قال « ظن أبي أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائهم وإخلاصهم وصلاتهم ^(٢) » وعن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من

(الباب الثاني في الاخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذى وصححه من حديث
النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائهم ودعوتهم
وإخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخارى بلفظ هل تصرون وترزقون إلا بضعفائكم .

النعمة . وصيحت شيخنا
رحمه الله ينفذ عن
بعضهم :
أوليتي نعماً أبوح
بشكرها
وكفيتني كل الأمور
بأسرها
فلا أشكرتك ما حيت
وإن أمت
فلتشكرتك أعظمي
في قبرها .
قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« أول من يدعى إلى
الجنة يوم القيامة الذين
يحمدون الله في السراء
والضراء » . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « من ابتلى فصر
وأعطى فشكر وظلم
فغفر وظلم فاستغفر »
قيل فما باله قال « أولئك

أحببت من عبادي (١) « وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتبهوا لفظة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل «أخلص العمل يحرك منه القليل (٢)» وقال عليه السلام «مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بتاييس الحكمة من قلبه على لسانه (٣)» وقال عليه السلام «أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فباعت فتقول يا رب كنت أقوم به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فتدقيل ذلك ورجل آتاه الله ما لا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت أنصدق به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فتدقيل ذلك ورجل قل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فتدقيل ذلك قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على غدي وقال يا باهريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم يوم القيامة (٤)» فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكي حتى كادت نفسه تزحف ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وفي الأسر إيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا إن ههنا قوم ما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحلك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغلت بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال إن هذا من عبادتي قال فإني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أكلك فقام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبد بها أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولوشاء بعبادهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فذا بداه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فجزز إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنقع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقته فقال إبليس أنت رجل فقير لاشئ لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك طي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهم فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنقع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمي قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلا يقول كل واحد من رواه سأل فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف (٢) حديث أنه قال لمعاذ أخلص العمل يحرك منه القليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم .

لهم الأمن وهم مهتدون . وقال الجليلي فرض الشكر الاعتراف بالنعمة بالقلب واللسان . وفي الحديث «أفضل الذكر لإله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» . وقال بعضهم في قوله تعالى - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البسلاوي والفقر فان هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء . وحقبة الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعمًا غير ما يضره في دينه لأن الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئًا إلا وهو نعمته في حقه فإما عجلة

وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبه فبات فلما أصبح رأى دينار بن عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أقطع تلك الشجرة قال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قل فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال بهرات فأخذه إبليس وصرعه فاذا هو كالصفور بين رجله وقعد إبليس على صدره وقال لتبين عن هذا الأمر أولا لأذبحنك فنظر العابد فاذا لاطاقة له به قال يا هذا غلبتني غلّ غنى وأخبرني كيف غلبتني أولا وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لا يوهنه الله غضبت لنفسك وللدينا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالأخلاص ولذلك كان معروف السرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تتخلصي . وقال يعقوب الكفوف : المخلص من يكتم حسنه كما يكتم سيئانه . وقال سليمان : طوبى لمن سحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية في أتمالك بكفك القليل من العمل . وقال أيوب السخيتاني : تخلص النيات على العمل أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه . وروى بعضهم في المنام قيل له كيف وجدت عمالك ؟ فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لتقطها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيتها في كفة السيئات وكان قد تقى حماري قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوبا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حماري فيها فقبل لي إنه قد وجّه حيث بعث به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك فيه ولوقلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك . وفي رواية قال وكنت قد صدقت بصدقة بين الناس فأهينى نظرم إلى فوجدت ذلك لأعلى ولألى . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من القث والهم ، وقيل كان رجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفقش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت التوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالأخلاص وقال إن نجوت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدرّة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الدرّة فقد وجدنا الدرّة . وقال بعض الصوفية : كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشي فقال أبو عبيد لا ، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك ؟ فقال سألني أن أحج معه قلت لا قلت فملا فقلت ؟ قال ليس لي في الحج نية وقد زيت أن أتم هذه الأرض العسية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمقت الله تعالى لأنني أدخل في عمل الله شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر فمرض بضنا عملا فقلت اشتريها فأنتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربعت فيها فاشتريتها فرأيت تلك القبة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه خرج فلان منزها وفلان مرانها وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر إلى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت

بصرفها ويصرفها وإما آجلة بما يقضى له من المكارة فاما أن تكون درجة له أو تمجيصا أو تكفيرا فاذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل ما منه نعم فقد شكر .

[قولهم في الخوف]
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأس الحكمة مخافة الله» وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «كان داود النبي عليه السلام يعود الناس يظنون أن به مرضا وما به مرض إلا خوف الله تعالى والحياء منه» قال أبو عمر الدمشقي الخائف من يخاف من

الله في أمرى ماخرجت أنجر وما مئى تجارة أنجر فيها ماخرجت إلا للزوق قال بالشيخ قد اشترت أمى عملة تريد أن تبيع فيها فبكيت وقلت لا تسكتبونى تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه عملة ليربع فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى . وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى : لأن تصلى ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تسكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نعمة الأبد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص . وقال بعضهم إذا أنقض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط . وقال الخليل : إن لله عبادا عقلوا فلما عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد المروزي : الأمر كله يرجع إلى أصلين فصل منه بك وفصل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذن أنت قد سمعت بهذين وفزت في الدارين .

(بيان حقيقة الاخلاص)

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل الصفي الخاص إخلاصا قال الله تعالى - من بين فوئد ودم لنا خالصا سائغا للشاربين - فاعلم خالص اللب أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرد ومن كل ما يمكن أن يمزج به والاخلاص يضاده الاشتراك فمن ليس مخلصا فهو مشترك إلا أن المشترك درجات فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في التصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة الية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد مسمى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى النوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو محاص ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الاتحاد عبارة عن البيل ولكن خصصته العادة بالبيل عن الحق ومن كان باعته مجرد الرياء فهو معرض للهلاك وإنما تتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربيع الملهكات وأقل أموره ماورد في الخبر من « إن الرائى يدعى يوم القيامة بأربع أسماء يامرأى ياخذع يا شرك يا كافر (١) » وإنما تتكلم الآن فيمن انبعث بقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحلمة الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلد أو ليهرب عن عدوه في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو يشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو ليفزرو وليلامس الحرب ويتعلم أسسبابه ويقدر به على تهشة الساكر وجرها أو يصلى بالليل وله غرض في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله أو يعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيا بين المشركين أو ليكون عقاره أو ماله محروسا بمن العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدريس والوعظ ليتخلص عن كرب الصحة ويتفرج بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرقة عندهم وعند الناس أو لينال برفقا في الدنيا

(١) حديث إن الرائى يدعى يوم القيامة يامرأى ياخذع الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والاخلاص وقد تهمد .

نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان . وقال بعضهم ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك ما يخاف أن يجذب عليه . وقيل الخائف الذي لا يخاف غير الله قيل أى لا يخاف لنفسه إنما يخاف إجلالا له والخوف للنفس خوف العقوبة . وقال سهل الخوف ذكر والرجاء أنقى أى منهما تولد حقائق الإيمان . قال الله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - . قيل هذه الآية قطب القرآن لأن مدار

أو كتب مصحفا ليجود بالوإظابة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه السكراء أو تواضعا
ليتنظف أو يثرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث ليعرف بعلوم الاسناد أو اعتكف في المسجد
ليخف كراء السكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله
الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه أو يعود من رضا العباد إذا مرض
أو يشيع جنازة ليشيع جنازة أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويدكر به وينظر إليه بعين
الصلاح والوقار فمهما كان باعته هو التقرب إلى الله تعالى والسكن انضاف إليه خطرة من هذه
الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج
عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»
وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويعيل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق
إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهوته قلما
ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك
فيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا يباعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ
إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يغنى شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرنا فيها إذا كان القصد
الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة المواقفة أو في
رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في النية ، وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث
الدينى أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وإنما الاخلاص تخليص العمل
عن هذه الشوائب كلها قليلا وكثيرا حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواء وهذا
لا يتصور إلا من محب لله مستتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى
لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجلبة
فلا يشتهى الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج
إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عند
لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان
خالصا للعمل صحيح الية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يرجع نفسه ليتقوى على العبادة بعده
كان نومه عبادة وكان له درجة الخاصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الأعمال مسدود
عليه إلا على الدور وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتمت حركاته الاعتيادية صفة همه
وصارت إخلاصا فالتى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة ، وبالجملة غير الله فقد اكتمت جميع
حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا فإذا نزل علاج الاخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا تيسر
الاخلاص وكمن أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى
وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول
لأنى تأخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثانى فاعتزنى خجلة من الناس حيث رأونى في الصف الثانى
فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان مسرئى وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا دقيق
غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من ينذبه له إلا من وقفه الله تعالى والغاللون عنه يرون حسناتهم كلها في
الآخرة سيئات وهم الرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - وبدا لهم سيئات ما كسبوا -

الأمر كله على هذا .
وقيل إن الله تعالى جمع
للخائفين مافرقه على
الؤمنين وهو الهدى
والرحمة والعلم
والرضوان فقال تعالى
- هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون -
وقال - إنما يخشى الله
من عباده العلماء -
وقال - رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن
خشى ربه - . وقال
سهل: كالإيمان بالعالم
وكالعلم بالخوف .
وقال أيضا: العلم كعب
الإيمان والخوف
كعب المعرفة . وقال
فوالنون: لا يسقى المحب
كأس المحبة إلا من بعد
أن ينضج الخوف قلبه .
وقال فضيل بن عياض

ويقوله تعالى - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأشدّ الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث اللاكثيرين على نشر العلم للذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والشاء والسيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظين على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسره من نصرة الدين ولوظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعته الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إننا غمك لا تقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو انعطوا بقولك لكنت أنت المصاب واعمالك لقوات الثواب محمود ولا يدري السكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من انقراذه ، وليت شعري لو اعتم عمر رضي الله عنه بتصدع أبي بكر رضي الله تعالى عنه للامامة أ كان غمه محمودا أم مذموما ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر ، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد يتخذه بعض أهل العلم بفرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخياره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة الفياذ في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحنائها ، فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يفرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والقرء القذ وهو المستثنى في قوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - فليكن البعد شديد التقدير والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر .

(بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص)

قال الموسى : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص ، فان من شاهد في إخلاصه الاخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات إلى الاخلاص والنظر إليه عجب ؛ وهو من جملة الآفات . والخالص : ماصفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطه بالفرض وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقبل لسهل أى شئ أشد على النفس ، فقال : الاخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال رويم : الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعايد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق . فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لذوى الأبواب وجه الله تعالى فقط ، وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات

إذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك ان قلت لا
كفرت وان قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من يخاف .
[قولهم في الرجاء] قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «يقول الله
عز وجل أخرجوا من
النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل
من إيمان ثم يقول
وعزني وجسالي
لا أجعل من آمن بي
من ساعة من ليل
أو نهار كمن لا يؤمن
بي» . قيل «جاء أعرابي
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من يلى
حساب الخلق ؟ فقال
الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه ؟ قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشوائب الموصوفة في الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة والناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يبعد الناس حظا بل يتعجبون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذّة الطاعة والناجاة وملزمة الشهود لحضرة الإلهية سرّا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحققوه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط . ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فإنه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما استر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا أجمع للمقاصد . وقال المحاسبي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص العبودية . وقال الخواريون لعيسى عليه السلام : ما الخالص من الأعمال فقال الذي يصل لله تعالى لا يجب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للاخلاص . وقال الجليل : الاخلاص تصفية العمل من السكدرات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما . وقيل : الاخلاص دوام الرقابة ونسيان الحفظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقاويل في هذا كثيرة . ولا فائدة في تكرير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي يان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم « إذ سئل عن الاخلاص قال : أن تقول ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت (١) » أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا .

(بيان درجات الشوائب والآفات السكدرية للاخلاص)

اعلم أن الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضئيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلي مهم ، من مخلصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يتأبك فتخضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يغني ذلك على البتة من الريدين . الدرجة الثانية يكون المرید قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وماتقوله يؤثر عنك ويتأسى بك فغيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت عليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فصاء يقتدى بك في الحشوع وتحسين العبادة وهذا أغص من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضا

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ ولقترمذئ وصحبه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به قال قل ربّي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم .

فتبسم الأعرجي فقال النبي صلى الله عليه وسلم م ضحككت يا أعرجي ؟ فقال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح . وقال شاه الكرمانى : علامة الرجاء حسن الطاعة . وقيل : الرجاء رؤية الجلال بين الجلال . وقيل : قرب القلب من ملاطفة الرب . قال أبو طي الرودباري : الخشوف والرجاء بكناسي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم في طيرانه . قال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو . قال مطرف : لو

عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم
لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس
بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستقام قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما
عذا فمحصن التفات والتلبس فمن اقتدى به أثيب عليه . وأما هو فيطالب بتلبسه ويعاقب على إظهاره
من نفسه ما ليس متصفا به . الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد
الشیطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والشهادة للغير محض الرياء ويعلم أن الاخلاص في أن تكون
صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخضع لمشاهدة خلقه تخشعا
رائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي في الملأ
أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ فلا يكون قد
فرق بينها فالتفات في الخلوة والملأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة
الخلق على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي
من نفسه أن يكون في صورة للرأين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة وللأوهيات
بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا وللأجسام وهذا من شخص
مشغول لهم بالخلق في اللأ والخلأ جميعا وهذا من السكايد الخفية للشیطان . الدرجة الرابعة أدق
وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيصجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فانه قد عرف
أنه تفتن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه
واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن
ذلك عين الإخلاص وهو عين السكر والحداد فان خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الخطرة
تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون
هذا الحاضر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون
حضور البهيمة سببا لما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن
صنو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب
التملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من
دق نظره وسعد بصحة الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشمسين لعبادة الله تعالى
لا يشغل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب
وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في أوقات مخصوصة والنفس فيها حظ خفي لا يرتبط بنظر
الخلق بها ولا ستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تركها
وتكون انبعاث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص
بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجده مور نظيف حسن
العمارة بأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك
الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في ميله إلى أحد
المسجدين أو أحد للوضعين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزج بشوائب الطبع وكدورات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب التملة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة

تقدم في العلم وفي ذم الجاه والرياء .

وزن خوف اللؤمن
ورجاؤه لا اعتدلا .
والخوف والرجاء
للإيمان كالجنحين
ولا يكون خافها إلا
وهو راج ولا راجيا
إلا وهو خائف لأن
موجب الخوف الإيمان
وبالإيمان رجاء
وموجب الرجاء الإيمان
ومن الإيمان خوف
ولهذا المعنى روى
عن لقمان أنه قال
لا به خف الله تعالى
خوفا لا تأمن فيه
مكره وارجع أشد من
خوفك ، قال فكيف
أستطيع ذلك وإني
لي قلب واحد ؟ قال
أما علمت أن اللؤمن
لقدو قلبين يخاف
بأحدهما ويرجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري النفس الذي يمزج بالخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يطلب ومنها ما يقبل لكن يسهل فكره ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغش القاب ودغل الشيطان وخبت النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركنان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدبنار الموهو واستدارته وهو مفشوش زائف في نفسه وقبائح من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دبنار يرتضيه الغر القبي فكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات التطرفة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا واللفظ يخفيه القليل عن الكثير والبليد لا يخفيه التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل .

(بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب العقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له (١) وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لما فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فإن كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقتا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقضى للعقاب فمع العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأثير صفاتها فداعية الرياء من الهلكات وإنما غذاء هذا الهلاك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من التنجيات وإنما قوتها بالعمل على وقفها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالتضرع بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من البردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يغلب الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على أن العمل المشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الأخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد حسن أرايت رجلا غزا يلتحم الأجر والدكر ماله فقال لاشيء له فأعادها ثلاث مرات يقول لاشيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه وللترمذي وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال له أجزان أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم في ذم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأنهما من حكم الإيمان . [قولهم في التوكل] قال السري : التوكل الانخلاع من الحول والقوة . وقال الجنيدي التوكل أن تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل . وقال سهل : كل المقامات لها وجه وفقا غير التوكل فإنه وجه بلافتا قال بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالإيمان فقال - وعلى الله فتوكلا وإن كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال لنبية - وتوكل على الحى الذى لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إثارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو إبعاده فإذا جاء ما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا قد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض غفيه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما اشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب . وما عدى أن الفزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تسكر فيها القنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحبط بالسكينة ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والزعج القوي هو إغلاء كلمة الله تعالى وإتمام الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلا فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة . فإن قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أوقال يتصدق فيحب أن يحمده ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - » (٢) وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره ممن عملت له» (٤) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريك» وروى أبو موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون تدملا دفق راحته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٦) فنقول هذه الأحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاوس وعبدة من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أوقال يتصدق فيحب أن يحمده ويؤجر فنزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه - ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلًا وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ أدنى الرياء شرك الطبراني والحاكم وتقدم فيه (٤) حديث أبي هريرة يقال لمن أشرك في عمله خذ أجره ممن عملت له تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه وفي رواية مالك في الموطأ فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ففي سبيل الله تقدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له تقدم في الباب الذي قبله.

ذواته: التوكل ترك تدبير النفس والاعتماد من الحول والقوة . وقال أبو بكر الرقاعي: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد . وقال أبو بكر الواسطي: أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وأن لا يفارق التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره . وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه ونفس الدنيا وأهلها لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله . وقال سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوى وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عدا الشركة أبدا في خطر فانه لا يدري أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاولئك قال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أى لا يرجى اللقاء مع الشركة التى أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالاخلاص فى الزود وبعيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزهجه إلى مجرد الزود وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزوطا فثنين من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء لا علاء كلمة الله والنعمة لا ثواب له على غزوه ألبته ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج فى الدين ومداخل للبأس على المسلمين لأن أمثال هذه الشرائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على التدور فيكون تأثير هذا فى حصان الثواب فأما أن يكون فى إحباطه فلا، نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الخط النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ فى الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون فى عبادته آفة يكون وبالها أكثر من نوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال مفيان رحمه الله لأعتد بما ظهر من عملى وقال عبدالعزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت فى شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا على ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بنية الشيطان منه إذ القصد أن لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم أباسعيا الحرازي ويخف فى أعماله فكلم أبو سعيد فى الاخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يفتد قاه عند كل حركة ويطلبه بالاخلاص فتمدح عليه قضاء الحوائج واستنصر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالته نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يعجز عنها فى أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تفعل إذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الاخلاص فلما قلت لك أترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك.

(الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الصدق يهتدى إلى البر والبر يهتدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهتدى إلى الفجور والفجور يهتدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (١) ويكنى فى فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به فى معرض المدح والثناء فقال - واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا - وقال - واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا - وقال تعالى - واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا - وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر بن الحرث من عمل الله بالصدق

(الباب الثالث فى الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهتدى إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم.

حكيت بين يدي
العامل يقبله كيف أراد
ولا يكون له حركة
ولانتير وقال حمدون
القصار : التوكل هو
الاعتماد بالله . وقال
سهل أيضا : العلم كله باب
من التمدد والتعبد كله
باب من الورع والورع
كله باب من الزهد
والزهد كله باب من
التوكل . وقال :
التقوى واليقين مثل
كفك الزنار والتوكل
لسانه به تعرف الزيادة
والانقصان ويقع لى أن
التوكل على قدر العلم
بلوكل فكل من كان
أتم معرفة كان أتم
توكلا ومن كل توكله
فأب فى رؤية الوكيل
عن رؤية توكله ثم إن

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرضائي رأيت منصوراً الدينوري في المنام قلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أؤمل قلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا قال الصدق وأقبح ما توجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجهل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك . وقال رجل للحكيم ما رأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي السكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبني على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثوري في قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياد اود من صدقي في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي إن كان صادقا فإله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فإله تعالى يفرقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والملاء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب الطعم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني إسرائيل مجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها . لاكثر أنفع من العلم ولا مال أرفع من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أسمى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرقيق ولا داء أوجع من الحرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا قهر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت . وقال محمد بن سعيد الروزي إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى امرأة يبيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لدى النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ قال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقیل

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة قليل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق^(١)» وعن الجنيد في قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والأرادة وصدق في المزم وصدق في الوفاء بالمزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدقي لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حفظ الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبئ عليه والخبر إيمان يتعلق بالماضي أو بالمستقبل

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ .

قوة للمعرفة فيصرف العلم بالعدل في القسمة وإن الأقسام نصبت بأزاء القسوم لهم عدلا وموازنة فإن النظر إلى غير الله لوجود الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء يقدر في توحيده يراه من منبع النفس فقصاص التوكل يظهر بظهور النفس وكأله ثبت بضية النفس وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وإنما شغلهم في تضيق النفس بتقوية مواد القلب فإذا غابت النفس انحسرت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر إليه وكما تحرك من

وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان: أحدهما الاحتراز عن الماريض فصدقيل في الماريض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك محتمس إليه الحاجة وتمتضيته الصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرام وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار تلك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به وتمتضيته الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لداته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الوضع ينبغي أن يعدل إلى الماريض ما وجد إليه سبيلا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفرو رتب بغيره (١) وذلك كي لا يتنهي الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا» (٢) ورخص في النطق على رفق للصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير فلهما صبح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجه خذي بأصبعك دائرة وضعي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم الظالم أنه ليس في الدار فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن الماريض أيضا إلا عند الضرورة والكمال الثاني أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يناسب بها ربه كقوله - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بآماني الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله - إياك نعبد وإياك نستعين - فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طوّل يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحميقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تعبد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخيصة» (٣) فسمى كل من تعبد قلبه بشيء عبدا له وإتباع العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا لحقت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبه وتقيد بباطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسفى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته لله من حيث هو بل بفتح بما يريد الله له من تقرب أو إبعاد فتفي إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعنتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه ابتلاه رضى لم يبق فيه متع طلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كاليت بين يدي الفاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية

النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء - فيطلب وجود الحق الأعيان والأكران ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقصد في توكل مثل هذا التوكل ما يقصد في توكل الضمفاء في التوكل من وجود الأسباب والوسائط لأنه يرى الأسباب مواتا لأحياء لها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة. [قوله في الرضا] قال الحرف الرضا تكون

(١) حديث كان إذا أراد سفرا ورتب بغيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حديث ليس بكاذب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث تعس عبد الدينار الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

لله تعالى فالعبد الحق هو الذي وجوده مولود لآلته وهذه درجة الصديقين . وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبمدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يتحقق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول . الصدق الثماني : في النية والأرادة ويرجع ذلك إلى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كزوبا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيها علمت ؟ فقال قلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم (١) فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته ، وقد قال بعضهم : الصدق صحة التوحيد في القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لامن حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال ، إذ صاحبه يظهر من نفسه أن بهتة ما يقول فكذب في دلالة بقرينة الحال على ما في قلبه فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون مخدضا . الصدق الثالث : صدق العزم فان الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله ما لا تصدقت بجمعيه أو بشرطه أو إن لقيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي تصادف عزمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبدا بالعزم الصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه : لأن أعدم فخر ب غنى أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه وكذلك بما ذكره من القتل . ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلى ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والوثنيين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق . الصدق الرابع : في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فإذا حققت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم تنفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - فقد روى عن أنس «أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أباهمرو إلى أين فقال واهما لرجع الجنة إني أجد ريحها دون أحد قتال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أختي إلا بيناته ، فنزلت هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - (٢) » . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصيب

(١) حديث الثلاثة حين سأل العالم ماذا عملت فيها علمت ماذا عملت تقدم (٢) حديث أنس أن عمه أنس بن

القلب تحت جريان الحكم وقال ذواتون الرضا سرور القلب عبر القضاء . وقال سفيان عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من است عنه براض فسالها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة . وقال سهل إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة - فطوبى لهم وحسن مآب - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباه» وقال عليه السلام «إن الله

ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - (١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته . قال الراوى : فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أثناء سهم عائر فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (٢) » وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس فقالا إن رزقنا الله تعالى مال لنصدقن فيخلوا به فزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو ثوب نووه في أنفسهم لم يشكعوا به قلب - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله غلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالعزم ثم تكسح عند الوفاء لشدة عليها ولهيجان الشهوة عند التحكم وحصول الأسباب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فخصرب عنقى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يشغل عليها ذلك فتضير عن عزمها ، أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فتلا لى ما للصدق قلت الوفاء بالعهد فقال لى صدقت وعرجا لى السماء ، الصدق الخامس فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف لما ذكرناه من ترك الرياء لأن للرائى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرايا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلاية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذا ن عاقلة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت زياه وبفوت بها الاخلاص وإن كانت عن غير قصد فيفوت

النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى قتاله بأحد حتى قتل فوجد فى جسده إصبع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة ونزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر (١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسل (٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط وقال الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمهبة كالحوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمهبة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل فیرضى له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريري خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة » (١) وقال يزيد بن الحرث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريره أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريره فذلك الجور وأنشدوا:

إذا السر والإعلان في اللؤم استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فما له على سميه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار في السوق نافق ومفشوشه الردود لا يقتضى الننا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا واقفت سريرة اللؤم علانيته باهى الله به اللائكة يقول هذا عبدى حقا . وقال معاوية بن قرة من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار ، وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشئ كان من أشمل الناس به وإذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه ، وكان أبو عبد الرحمن الراهد يقول إلهى عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويكي ، وقال أبو يعقوب التهرجورى : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبادي تنطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى - إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألتك عن الإيمان فقال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية » (٢) ولنضرب للتحرف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتد فرسه ويتنصص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينفع به أهله وولده وقد يزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب وللشفقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفا من مدرك المذخور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها » (٣) فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه اللقائات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبده منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوى فإذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام « أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطبق ذلك قال بل أرى فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأنا فظن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق بيني وجوانب السماء فوق النبي ﷺ منشبا عليه فأفاق وقد عاد

لدينا في قلبه مقدار . وقال السري : خمس من أخلاق القربين الرضا عن الله فيما يحب النفس وتكبره والحب لله بالحبب إليه والحياء من الله والأنس به والوحشة مما سواه . وقال الفضيل الراضى لا يتمنى فوق منزلته شيئا وقال ابن شمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا وعظما والرضا عنه قاسما ومعطيا والرضا له إلها وربا . سئل أبو سعيد هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا قال نعم يجوز أن يكون راضيا عن ربها ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع

(١) حديث اللهم اجعل سريري خيرا من علانيتي الحديث تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سألت عن الإيمان فقرأ قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - رواه محمد بن نصر اللوزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجده لإسناده .
(٣) حديث لم أر مثل النار نام هاربها الحديث تقدم .

جبريل لصورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرافيل إن العرش لملأ كاهله وإن رجله قد مرقنا تحت غيوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع (١) « بنى كالمصفور الصغير، فانظروا الذي يشاهد من العظمة والمهية حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم. وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى (٢) « بنى الكساء الذي يلي على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يبنوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حتى في دين الله. وقال مطرف مامن الناس أحد إلا وهو أحق بما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير (٣) « فالصادق إذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لنهايتها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن أقوى وفيها سواهن ضيف ماصليت صلاة منذ أسلمت حدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شئت جنازة حدثت نفسي بغير ما هي قائمة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دقتها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولاً إلا علمت أنه حق فقال ابن السيب ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكل قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تعرض إلا لآحاد هذه العاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد عامة للؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام. وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختار عليك غيرك فقال تعالى - هو اجتباكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إنى إذا أحببت عبدا ابتليت به يلأيا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحببها وإن وجدته جزوعا بشكونى إلى خلقى خذته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها. ثم كتاب الصدق والاحلاص، يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة والحمد لله.

يقطعه عن الله. وقيل للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة قال رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له وقال على رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله في كل حال. وقال يحيى يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل

- (١) حديث قال لجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطبق ذلك الحديث تقدم في كتاب الرجاء والخوف أخصر من هذا والذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين (٢) حديث مرت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله الحديث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجده أصلا في حديث مرفوع.

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجتاحت الطلع على ضياء القلوب إذا هجست الحسب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يجزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تهركت أو سكنت المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت التفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت التطول بالغفر عن معاصيهم وإن كثرت وإنما محاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنتظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لو لا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في سعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لو لا فضله بقبول بضاعتها الزجاجة لحابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغفرت رحمة الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فينفحات فضله انسمت القلوب للإيمان وانشرحت ويمن توفيقه تقيدت الجوارح بالمبادات وتأديت وبمحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكاييد الشيطان واندفعت وبططف عنايته ترجع كفة الحسنات إذا قتلت وبقيسره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فنه العطاء والجزاء والاباء والادناء والاسعاد والاشقاء والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقال تعالى - يوم يبعثهم الله جميعا فلينبئهم بما عملوا أحصاء الله ونسوه والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وقال تعالى - ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون - وقال تعالى - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه - وقال تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمِرصاد وأنهم سينا قشون في الحسب ويطالبون بمثاقيل القدر من الخطرات واللعظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللعظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفي في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن من قلبه وما به ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الحزى والقتى سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمراقبة فقال عز من قائل سيأبى الذين آمنوا الصبر وأصابوا رابطوا - فربطوا أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحسبان المعاقبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق .

(القام الأول من الرابطة المراقبة)

اعلم أن مطالب للتعاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكان التاجر

منك له قرضي بما
عمل وتخلص فيما
وقال بعضهم الراضى
من لم يندم على كانت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وقيل ليحيى
ابن معاذ حتى يبلغ البد
إلى مقام الرضا قال إذا
أقام نفسه على أربعة
أصول فيما يعامل به يقول
إن أعطيتى قبلت
وإن منعتى رضيت
وإن تركتى عبت
وإن دعوتى أجبت
وقال الشبلى رحمه الله
بين بدى الجنيد لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
الجنيد قولك ذائق
صدر فقال صدقت قال
فضيق الصدر ترك
الرضا بالقضاء وهذا
إنما قاله الجنيد رحمه

يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما
مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أقبلت من زكائها وقد خاب من
دساها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعلمها ويستخرجها
فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلظه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصماً منازعاً
يحاذيه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويحاسبه رابعاً فكذلك
العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولاً فيوظف عليها الوظائف ويحصر عليها الشروط ويرشدها إلى
طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يخفل عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم يربحها
إلا الحيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجؤ واترد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن
يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدره للنهي
مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها
مختصرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيفما كانت قصيرها إلى التصرم والاقتضاء ولا خير في خير لا يدوم بل
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح باق طاعة دائماً وقد انقضى الخير ولذلك قيل :

أشد النعم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فخم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يخفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطواتها وحظواتها فان كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن
يشتري بها كثر من السكوز لا يتناهى نعمة أبد الآباد فاقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى
ما يحجب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك
العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة إلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال
ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهاني الله فيه وأنسى في أجلى وأنعم على
به ولو توفاني لسكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً لحاسبى أنك قد توفيت
ثم قد رددت فأياك ثم إياك أن تضيعى هذا اليوم فان كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمى بانفس
أن اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر « أنه ينشر للعبد بكل يوم ويلة أربع
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيقال له من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار الملوووع
على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة
فروح تنقها وبشاه ظلامها وهي الساعة التي عصي الله فيها فيقال له من المحول والفرح الملوووع على أهل
الجنة لتفحص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه (١) وهي الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتعسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله
القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاتته وناهيك به حسرة وغنا
وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها
فارغة عن كنوزك التي هي أسباب مسكك ولا تعبلى إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من

الله نعيمها منه على
أصل الرضا وذلك أن
الرضا يحصل لا شرع
القلب واتصاحه
واندراج القلب من
نور اليقين قال الله تعالى
- أفن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور
من ربه - فإذا تمكن
النور من الباطن اتسع
الصدر وانفتحت عين
البصيرة وعان حسن
تدبير الله تعالى فيتنوع
الخط والضرر لأن
اتساع الصدر يتضمن
حلاوة الحب وفعل
المحبوب بموقع الرضا
عن الحب الصادق لأن
الحب يرى أن الفعل
من المحبوب مراده
واختياره فيفنى في لذة
روية اختيار المحبوب

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم ويلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها
مملوءة من حسناته الحديث بطوله لم أجد له أصلاً .

درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرتك لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن الله قد غنى عنه أليس قد فاعلنا وب الحسين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى - يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم الثقلين - فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها فاتها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تم أعمال هذه التجارة وإن لهن سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم تنفع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها ويربها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وحنه رسوله ومطالعة كتب الحكمة للانعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضولها اللسان والبطن أما اللسان فلا أنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجناته عظيمة بالقيسة والكذب والخمية وتركبة النفس ومذمة الخلق والأطعمة والأمن والدعاء على الأعداء والمهارة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق لذلك والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراتة فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظرة عبدة وصنعة فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات وبعثه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة وبشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالت بشهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ليستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفترق إليها في كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن الشارطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد الشارطة فيها بقي ولكن لا يغلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يغلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والالتزام للحق في مجاريها ويحذر بها مغبة الإهمال ويحفظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستحبة عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الله كرى ترفع المؤمنين - فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام الرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله التحذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالتنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

عن اختيار نفسه كما قيل :

وكل ما يفعل المحبوب محبوب .

[الباب الحادى

والستون في ذكر

الأحوال وشرحها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السهروردي رحمه الله

قال أنا أبو طالب الزيني

قال أخبرتنا كريمة

السروزية قالت أنا

أبو الهيثم الكشميني

قال أنا أبو عبد الله

القريري قال أنا

أبو عبد الله البخاري

قال ثنا سلمان بن حرب

قال حدثنا شعبة عن

قتادة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال ثلاث من

- ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه - ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه وبسطه « إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فأنته عنه » (١) . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (٢) . دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله - أننا لمدينون - أي لحاسبون . وقال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموت تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهبوا للمرزء الأكبر ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل للذيان الأرض من ديان السماء فعلاء بالذرة وقال إلامن حاسب نفسه فقال كعب يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلامن حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للـ مستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها . [للرابطة الثانية الرقابة] إذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا الرقابة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكائنة فانها إن تركت طفت وفسدت . ولتذكر فضيلة الرقابة ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه » (٣) وقال عليه السلام « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٤) . وقد قال تعالى - أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت - وقال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وقال الله تعالى - إن الله كان عليكم رقيبا - وقال تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قاتعون - . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عثمان المغربي : أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرقابة وسياسة عمله بالملم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الحريري : أمرنا هذا مبني على أصلين أن نلزم نفسك الرقابة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهره كقائما . وقال أبو عثمان : قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يفرئك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكى أنه كان لبعض الشايخين هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال اذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراى فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الرقابة وقالوا حق لك أن تكرم .

كن فيه وجد حلاوة
الإيمان : من كان الله
ورسوله أحب إليه مما
سواهما ومن أحب عبدا
لأحبه إليه ومن يكره
أن يعود في الكفر بعد
إذ أنقذه الله منه كما
يكره أن يلقى في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهربن
أبي الفضل قال أنا
أبو بكر بن خلف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو عمر بن حيوة
قال حدثني أبو عبيد بن
مؤمل عن أبيه قال
حدثني بشر بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهب عن إبراهيم
ابن أبي عبيدة عن
العرباض بن سارية
قال « كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث اعبد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خات يوسف عليه السلام قامت نطقت وجه ضم كان لها فقال يوسف مالك أُنسحين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي فقال عن أستحي ؟ وما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكبا . وقال رجل للجنيدهم أستعين على غض البصر فقال بطلك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه . وقال الجنيده : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبوني والذين اثنت أصلاهم من خشيق وعزنى وجلالى إني لأم بسذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والمطس من مخافى صرفت عنهم العذاب . وسئل الهاسبي عن المراقبة فقال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال للرتش : المراقبة مراعاة السرب لملاحظة القلب مع كل لحظة ولقطة . ويرى أن الله تعالى قال ملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تتيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه - فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده . وسئل ذوالتون بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السرو والملائيق وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يريب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا لناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن على عظمى فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كثرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء عليك بالحذر ممن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن للنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبده بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فرسنا في بعض الطريق فأنعذر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بنى شاة من هذه النعم فقال إني مملوك فقال قل لسيديك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك في الآخرة .

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ويعنى بهذه المراقبة حالة القلب بشمرها نوع من المعرفة وشمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي شمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضاهر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا

صلى الله عليه وسلم
يدعو : اللهم اجعل
حك أحب إلى من
نفسى وصمى وبصرى
وأهلى ومالى ومن
الماء الباردة فكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
خالص الحب وخالص
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكليته وذلك
أن العبد قد يكون في
حال قائما بشروط
حاله بحكم العلم والجيلة
تفاضاه بصد العلم مثل
أن يكون راضيا
والجيلة قد تنكره
ويكون النظر إلى
الالتفات بالعلم لا إلى
الاستعصاء بالجيلة
قد يحب الله تعالى
ورسوله بحكم الإيمان

أعنى أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لاشك فيه لا يضرب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والوقوفون بهذه المراقبة هم القربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليقين ، لمراقبتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة القربين من الصديقين ، وهي مراقبة التعظيم والاحلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فأنها مقصورة على القلب . أما الجوارح فأنها تتعطل عن الالتفات إلى اللباحات فضلا عن المخطورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالستمة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد ، بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه ما واحدا فكشف الله سائر الهشوم ، ومن نال هذه الدرجة قد ينفل عن الخلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو قانع بعينه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يسمع به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يملكه حتى كان بعضهم يمرى عليه ذلك ، فقال لمن طابه إذا مرت به فركنى ولا تستبعد هذا فأنك تجد نظير هذا فى القلوب المظلمة للملوك الأرض حتى إن خدم للملك قد لا يحسون بما يمرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهجات الدنيا فيفوس الرجل فى الفكر فيه ويمشى قريبا يجاوز للوضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له . وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ، فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريما حتى دخل عتبة القلعة ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عبته ، فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال ما رأيت أحدا . ويروى عن يحيى بن زكريا عليها السلام أنه مر بامرأة فدفعها فستطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا ؟ فقال ما ظننتها إلا جدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بيدها منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى قلت أنت وحدك فقال معى ربى وملسكأى قلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له قلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يشككم إلا منه ولا يسمع إلا به فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فأنها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون ، فقال من سنور كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شمرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهد إن فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما انظرة لملك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقعة وليس على كتفى شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . فقلت : نشدكما بالله إلا ردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقته فنظر إلى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير . يا ابن خفيف : ما أقل شغلك حتى تنفرغ إلى لقائنا . قال فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر

ويحب الأهل والولد
بحكم الطبع . وللمحبة
وجوه وبواشع المحبة
فى الإنسان متنوعة
فمنها محبة الروح
ومحبة القلب ومحبة
النفس ومحبة القلب
قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الأهل
واللئال والماء البارد
منه استماله عروق
المحبة بمحبة الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى طالبا فيحب الله
تعالى بقلبه وروحه
وكلته حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
فى الطبع أيضا والحبيلة
من حب الماء البارد
وهذا يكون حبا
صافيا لخواص تنضم

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرفع رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب الصائب ليس لنا لسان العظة فقيمت عندها ثلاثة أيام لا أكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلًا شيا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعطاني على أن أضع بظنهما فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة للمراقبين الذين غلب على قلوبهم الاحلال والتعظيم فلم يبق فيهم منفع لتعب ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب اليقين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للثقل إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تغلو عن المراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يعجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فاتهم يرون الله فى الدنيا مطلقا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتجسجس جلوسك وتراعى أحوالك لاعتن إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فاتها تهيب الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر فى العمل . أما قبل العمل فلينظر أن مظهره وتحرك يظهله خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يكشف له ذلك بنور الحق ، فان كان لله تعالى أمضاء ، وإن كان لغير الله استجيا من الله وانكشف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وحمه به وميله إليه وعزفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا يحصى لأحد عنه فان فى الخبر « إنه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الديوان الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن ^(١) » ومعنى لم أى لم فعلت هذا أ كان عليك أن تعلمه لمولاك أوملت إليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان لله فى كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم فيقال له كيف فعلت أبلم محقق أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو لاطالبة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصاً وفاء بقوله لا إله إلا الله فيسكون أجرك على الله أو لمرا آة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسوء وخفة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيرى فقد استوجبته مقى وعقابى إذ كنت عبداً لى تأكل رزقى وترفعه بتمنى ثم تعمل لغيرى أما سمعنى أقول - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - ويحك أما سمعنى أقول - الله الدين الحامى - فاذا عرف العبد أنه بعد هذه اللطائف والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد لسؤال جوابا وليكن الجواب صواباً فلا يبدى ولا يبعد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن . لم أتف له على أصل .

به وبنوره نار الطبع والجليلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بكوف الروح وخلوصه إلى مواطن القرب . قال الواسطى فى قوله تعالى - يحبهم ويحبونه - كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالحباء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات . وقال بعضهم الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فإذا لم يكن الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الأمر وربما كان حبان من معدن العلم بالآلاء

ولا يهرك جفنا ولا أظفئة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكره إن الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فته الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وثبت فإن كان لله أمضاه . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عنده ما كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان « اتق الله عندك إذا هممت (٢) » وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كعاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الرقابة ولا يخلص من هذا إلا العالم للثبوت والمعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكاييد الشيطان فحق لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله وبرضاه في نيته وهمة وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلط في هذه الرقابة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التلم فيه يندر هبات بل طالب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكاييد الشيطان ومواقع الضرور فيفتق ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يعتز منه فلا يزال الجاهل في ثوب والشيطان منه في فرح وهجامة فتعوذ بالله من الجهل والفتنة فهو رأس كل عقاوة وأساس كل خسران لحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالقل وسعيه بالجراحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه قد تعالى فيمضيه أو هو لم يهوى النفس فينتبه ويحذر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطرة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أورت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه وبهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فينكشف في ذلك بنور العلم ويستنبد بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن هجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين ولغير من العلماء الفضلين القبلين على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عن عالم أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبي أولئك قطاع الطريق على عبادي ، فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشر والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضا ومقبتها وهي شهوات الدنيا فتلكن همه المريد أولا في أحكام العلم أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أضعف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات (٣) » جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقائق ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام « من قارف ذنبا قارقه عقل لا يعود إليه أبدا (٤) » فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الأدمي به حتى يعد إلى محوه وحمته بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واعتقلوا

والنعماء وهذا الحب محرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه إياه وهذا الحب يسكون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس للكسب مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « أحب إلى من الماء البارد » لأنه

(١) حديث قال لما ذكره إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد حين أوصاه سلمان أن اتق الله عندك إذا هممت إذا هممت أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدني ضعفه الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا قارقه عقل لا يعود إليه أبدا تقدم ولم أجده .

بالوسط بين الخلق في الخصومات النائرة في اتباع السموات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الإدفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه السارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه الثابت» (١) ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة وعمر بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهوامة معجبا برأيه وكان بمن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك» (٢) وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «ياكم والظن فان الظن أ كذب الحديث» (٣) وأراد به ظنا بغير دليل كما يستق بعض الموماء قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه والصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها على فأتابع الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان رعهه فاتبه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى الله» (٤) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم» (٥) فأعظم نعمة الله على عباده والعلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتثنا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيما - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وقال تعالى - إن علينا للهدى - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه: الهوى شريك العنى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طاردهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يهدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التسكريم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العرا التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الأمور أشباه وللرء بسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوء فوت ما لم يكن ليدركه لما نالك من دنياك فلا تسكترن به فرحا وما فاتك منها فلا تقيمه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وسفلك لأخرك وهك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فاذا نظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهى لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشيء من عمله وإذا عرض له أمر أن أحدها للدنيا والآخرة والآخرة أثر الآخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه السارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه الثابت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا الحديث تقدم (٣) حديث لما كم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح
تلتد بحب القات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظمر عن
مطالعة الصفات ويطمع
من مطالع الإيمان
قال هذا الروح ولما
صحت محبتهم هذه أخبر
الله تعالى عنهم بقوله -
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب يذل المحبوبة
والمحبوب محبوبة
وينشد :
لعين تغدى ألف عين
وتتقى
ويكرم ألف للحبيب
الكرم
وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
السنية وموجبها وهو
في الأحوال كالتوبة
في اللقائات فمن صحت

لا يعبئ فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١). النظر الثاني للرقابة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقض حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يغفل في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما مستقبل به القبلة»^(٢) ولا يجلس متربها إذ لا يجالس للولك كذلك ومثل ذلك للولك مطلع عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله جلست مرة متربها فسمعت هائفاً يقول هكذا تجالس للولك فلم أجلس بعد ذلك متربها وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في الرقابة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالرقابة فاذن لا يغفلو البعد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فراقبته في الطاعة بالاخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحرصها عن الآفات وإن كان في معصية فراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاستغفار بالتفكير وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود للنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يغفلو البعد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الضرب عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من الرقابة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض الله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محذور يلزمه تركه أو نذوب عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام الرقابة - ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه - فينبغي أن يتفقد البعد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتزم أفضل الأعمال ليستعمل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دينه لآخرته كما قال تعالى - ولا تنس نصيحتك من الدنيا - وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا تنب فيها على البعد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدري البعد أي شيء إليها أم لا ولا يدري ما يقضى الله فيها وساعة راحنة فينبغي أن يجاهد فيها نفسه وراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحصر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيطول عليه العزم على الرقابة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواء أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث نزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لغة في غير محرم»^(٣) وما روى عنه أيضاً في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يغفل فيها المظلم والشرب»^(٤)

نوبته على الكمال
تحقق بسائر اللقائات
من الزهد والرضا
والزكوى على ما شرعناه
أولاً ومن صحت
عبته - هذه تحقق
بسائر الأحوال من
الفناء والبقاء والصحو
والحو وغير ذلك
والتوبة لهذا الحب
أيضاً بمثابة الجسدان
لأنها شتملة على الحب
العام الذي هو لهذا
الحب كالجسد ومن
أخذ في طريق
المحبوبين وهو طريق
خاص من طريق
الحبة يتكامل فيه
ويجتمع له روح الحب
الخاص مسج قالب
الحب العام الذي
تشتمل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه تقدم (٢) حديث خير المجالس ما مستقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون للمؤمن ظاعناً إلا في ثلاث نزود لمعاد الحديث أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنه في صحف موسى وقد تقدم (٤) حديث وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالطعام والشرب لا ينبغي أن يغفل عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الأبواب وقسم ينظرون فيه بعين التفت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطراب إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذا ألهم إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد البعد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب المسكوت وذلك عزيز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرم من جلته ويذمون منه ما لا يوافق هوائهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطيبخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطباخ والطباخ ولقد رته ولعله هو الله تعالى وأن من ذم شيئاً من خلق الله بغير إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » (١) فهذه الرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهج لمن أحكم الأصول .

(الرابطة الثالثة : محاسبة النفس بعد العمل . ولتذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها)

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسه وهذه إشارة إلى المحاسبة على ماضي من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر « أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غيياً فاته عنه » وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة » (٢) وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنى الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فأنظر كيف نظر بعد الفراغ من الكامة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها « وحدث أبي طلحة حين شغلته الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى فداور جاءه للموضع بمافاته » (٣)

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة تقدم غير مرة (٣) حديث أبي طلحة حين شغلته الطائر عن صلاته فجعل حديقته صدقة لله تعالى

النصوص وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن القلب في أطوار المقامات والترقي من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - ومن قسوله تعالى - ويهدي إليه من ينشأ - أثبت كون الانابة سبباً للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صرح بالاجتهاد غير معال بالكسب فقال الله تعالى - يجتبي إليه من يشاء - فمن أخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب ثقيل له يأبى يوسف قد كان في يديك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن : للؤمن قوام على نفسه عاسبها شئ وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يفجؤه الشئ يصبه فيقول والله إنك لتهجين وإنك من حاجق ولكن هيات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعثر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائط فافسده ثم يقول وبينى وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ والله لتتقين الله أو لعذبك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - قال لا يلقي المؤمن إلا عاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلمتي ماذا أردت بشريقي والفاجر يعصى فعدا لا عاتب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقي أئمة محاسبة لنفسه من سلطان فاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلغلها فقلت لنفسى يا نفس أى شئ تريدن فقلت أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمانة فاعملى ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكيا له رحم الله امرأ نظر في ميزانه فإزال يقول حق أبكاني ، وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يحجى إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوعية بالحق فيبذى أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبدأ الآباد ما هذه المساهلة إلا عن النغلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه بالأمانة بالسوء فيحاسبها على الفرائض أولا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه وورعها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اغتفل بقوتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يغتشى في حساب الدنيا عن الحبة والقرط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغب في شئ منها فينبغي أن يبقى غبينة النفس ومكرها فاتها خداعة ملبسة مكاراة فليطالها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه

صفوها وخالصها بأنم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسها وهو يقيدها ويحبسها بترقيها منها وانزاعها صفوها وخالصها لأنته حيث أشرفت عليه أنوار الحب الخاص خلق ملابس صفات النفس ونسوتها والمقامات كلها مصفية قنوت والصفات النفسانية فالزهد يصفه عن الرغبة والتوكل يصفه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود في النفس ما أشرق عليها فتموس المحبة الخاصة فيبقى ظلمتها

من الحساب ما يستولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكت ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنه قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريمة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون . أما بعضها بالقراءة والضيان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتميز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما قلنا عن توبة ابن الصمة وكان بالرقعة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد عشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال : يا وليق ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف . وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هوميت فسمعوا قائلا يقول يالك ركضة إلى الفردوس الأطل فكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قرية من عمره ولكنه يتساهل في حفظ العاصي والمساكين يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه .

(للرابطة الرابعة في معاينة النفس على تقصيرها)

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارنة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارنة العاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على غذاها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبت . وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل يتمدد في صومته لمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فاقطن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساغة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فقدم فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال هيأت هيأت رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود معي في صومتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسدطت فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكربي يقول أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء وأدخل الحمام ولا أعنى على نفسي فقلت وإعجابه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له على حق فلا أجدي للسارة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعي هذه وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم ما فتسكفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى جفرت وقال إنك للحاظلة إلي ، يا بخلو نظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينقص على نفسه العيش . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بخرقة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا ينحك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن ضيفم جاء رباح القيسي يسأل عن

وجودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذبح جودها فإذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحقرت رغبته وماذا يصفي منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة ممن لم تسلم كليته . قال الروذباري ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في حد الهبة وقال أبو يزيد من قتلتته محبته فدينه رؤيته ومن قتله عشقه فدينه منادته ، أخبرنا بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أحمد بن علي بن جعفر

أبي بعد العصر قلنا إنه قائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟ ثم ولى منصرفاً فأتبعناه رسولاً وقلنا له ألا نوقفه لك جاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عن شيئاً أدركته وهو يدخل القابرو وهو يعتاب نفسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أنسكان هذا عليك بنام الرجل متى شاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم متكلمين بما لا تملين أما إن لله على عهداً لا أقضه أبداً لا أو سداً الأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سواء لك أما تستحين كم توبخين وعن غيبك لا تنتهين قال وجعل يسكي وهو لا يشعر بما كان فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . ويحك عن نعيم الدار إنما نام ليلة لم يقم فيها بتجد قيام سنة لم يقم فيها عقوبة للذي صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال « انطلق رجل ذات يوم فزرع ثيابه وتعمق في الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوق نار جهنم أشد حراً أجفة بالليل بطالة بالتهار فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأناه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء وقد بداهي الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدد له فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأبهم^(١) . وقال حذيفة بن قبادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما طي وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن السكك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب قال يوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلاً تعبد زماناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبباً يأكل في كل سبت إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أثبت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فزول إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفسي ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقته اليوم فرمقته فجعل الناس على عدوهم فكان في أولهم ثم إن العدو حمل على الناس فأنكشوا فكان في موضعه حتى أنكشوا امرأتها وهوا ثابتة مقاتلة فوالله ما زال ذلك الكذاب حتى رأيته صريماً فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اختل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وإن عمر كان يضرب قدميه بالذرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن جمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه الصباح بالليل فكان يضع أحبه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا . وأنكر وهيب بن الورد شيئاً طي نفسه فتتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى محمد ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزاً بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال إن نفسي تدعوني إلى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا فمكدا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب

يقول سمعت الحسين ابن علويه يقول قال أبو يزيد ذلك فإذا التفتل في أطوار القمامات لحوام المحبين وطى بساط الأطوار لحواس المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن همهم القمامات وربما كانت القمامات على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يتمتر في أذيال جفاه . قال بعض الصكبار لأبراهيم الحواري ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسمى في عمران باطنك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فزرع ثيابه وتعمق في الرمضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم أشد حراً الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدري من طلحة هذا .

أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخلف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبخوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدوك وأشد طغيانا عليك وضرك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غابهم أن يشعروا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنقص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

[الرابطة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حسب نفسه فرأها قد قاربت مصيبة فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تنوأن بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورود من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتقيل الأوراد عليها ويلزمها فتونا من الوظائف جبرا لما فاتته وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحياتك الليلة وأخر ليلة صلاة للقرب حتى طلع كوكبان فأعق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذه لها بما فيه نجاتها . فان قلت إن كانت نفس لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فمما سبيل معالجتها . فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ماورد في الأخبار من فضل المجتهدين ^(١) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صفة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهد فعملت على ذلك أسبوعا إلا أن هذا العلاج قد تمذر إذ قد قد في هذا الزمان من مجتهد في العبادة اجتهد الأولين فينبغي أن يعمل من الشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجيد وقد انقضى عليهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الأباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتنع نفسه أيا ما قلائل بشهوات مكذرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أبد الأباد فعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة للريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وميام مرضى ^(٢) » قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ^(٣) » ويروى أن الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين وله وللفسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح رحم الله رجلا قام من الليل فضلى وأيقظ امرأته وللترمذي من حديث بلال عليكم بقيام الليل فإنه ذاب الصالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذاك (٢) حديث رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وميام مرضى لم أجده أصلا في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفا على علي في كلام له قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض (٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بشر وفيه بقية رواه بصيغة عن وهو مدلس والترمذي من حديث أبي بكر خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفها متخلية من
دائرة الزهد يردّها
الزاهد إلى الدائرة
بزهده والتوكل إذا
تحركت نفسه يردّها
بتوكله والراضى يردّها
برضاه وهذه الحركة
من النفس بقايا
وجودية تقتدر إلى
سياسة العلم وفي ذلك
تسم روح القرب
من بعيد وهو أداء
حق العبودية مبلغ
العلم وبحسبه الاجتهاد
والكسب ومن أخذ
في طريق الخاصة
عرف طريق التخلص
من البقايا بالتستر
بأنوار فضل الحق
ومن اكتفى ملابس
نور القرب بروح دأمة
المكوف محبة عن

فيقولون إلهنا خوقهم شيئا غفوه وشوقهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف
لورأتني عبادي لكانوا أشد اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا
يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا
التراب الذي تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم يمشي عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة
طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم
الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تحري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكك
رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة
أحزتهم وسألوا الله أن يضرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا
إلا بالمغفرة . وعكبي أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب
ناحل الجسم فقال عمر له يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال
سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها
وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار
فأظلمات لذلك نهاري وأسهرت ليلى وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال
أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز قليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن
أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزيق من غدوة إلى العصر لما التفت
عنة ولايسرة قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى
فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق
إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال
أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل
ومجالسة أقوام ينتقون أطياب الكلام كما ينتقى أطياب الثمر ، وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة
ويصوم في الحر حتى يضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول
كرامتها أريد وكان يصوم حتى يضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن
فقالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لأدع من الاستكانة شيئا إلا جئت
به ، وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجله فكان يصلي جالسا ألف ركعة
فاذا صلى العصر احتج ثم قال عجبت للخلقة كيف أرادت بك بدلائلك عجبت للخلقة كيف أنست
بسواك بل عجبت للخلقة كيف استذارت قلوبها بذكر سواك ، وكان ثابت البناني قد حببت إليه
الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري .
وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من السري أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة
للموت . وقال الحرث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك
فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأحوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم
وسوا حظهم الأكبر من ربهم فيكي القوم عن آخرهم ، وعن أبي محمد الغزالي قال جاور أبو محمد
الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يشكاه ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يعد رجله فغير عليه
أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني

الطوارق والصروف
لا يزججه طلب ولا
يوحشه سلب فالزهد
والتوكل والرضا كائن
فيه وهو غير كائن
فيها على معنى أنه كيف
تقلب كان زاهدا وان
رغب لأنه بالحق لا
بنفسه وإن روى منه
الالتفات إلى الأسباب
فهو متوكل وإن وجد
منه الكراهة فهو
راض لأن كراهته
لنفسه ونفسه للحق
وكراهته للحق أعيد
إليه نفسه بدواعيها
وصفاتنا مطهرة
موهوبة محمولة
ملطوف بها صارعين
الداء دواء وصار
الاعلال شفاء وناب
طلب الله له مناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكرا ، وعن بعضهم قول دخلت على فتاح الموصلي
فرايته قد مد كفيه بيكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فادا دموعه قد
خالطها صفرة فقلت ولم بالله يافتح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفتني بالله ما أخبرتك ، نعم بكيت دما
قلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
ثلاثا يكون ما صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك ؟ قال غفر لي فقلت
له لماذا صنع في دموعك ؟ فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يافتح الدمع على ماذا ؟ قلت يارب على
تخلفي عن واجب حقت فقال والدم على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يافتح
ما أردت بهذا كله وعزني وجلالي لقد صعد حافظك أربعين سنة بصحيفة منك ما فيها خطيئة ، وقيل
إن قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فاتهموا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم
من صومعته فقالوا ياراهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء فعمل القوم
ما أراد فقالوا ياراهب إنا سألوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تكثروا فإن التهارلن يرجع والعمر
لا يعود والطالب حيث فجبب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الخلق غدا عند مليككم فقال
على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما باع البقية ثم أرشدهم إلى الطريق
وأدخل رأسه في صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا
براهب إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده
على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر
في حسابه وعقابه فتهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وما أنا
فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس ثلاثا أعقرهم فقلت ياراهب فما الذي قطع
الخلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخى لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها عمل
المعاصي والدنوب والعاقلة من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من
ربه . وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذن افارغ ، وكان أويس القرني يقول هذه
ليلة الركوع فيجي الليل كله في ركعة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيجي الليل
كله في سجدة ، وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لورقت بنفسك
قال الرفق أطلب دعيني أتمب قليلا وأتئم طويلا وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا . وقال سفيان
الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الليل يحمد القوم التقى . وقال عبد الله بن داود :
كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن
يصل كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان
بيكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خيثم تقول له يا أبت مالي أرى الناس ينامون
وأنت لاتنام ؟ فيقول يا ابتناء إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء
والسهر نادته يا بني لملك قتلت قتلا قال نعم يا أماء قالت فمن هو حتى نطلب أهله فيعفو عنك فوالله
لو يطلون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول يا أماء هي نفسي ، وعن عمر ابن أخت جبر بن
الحريث قال سمعت خالي جبر بن الحريث يقول لأمي يا أختي جوفي وخواصري تضرب على قتالته
أمي يا أختي أنا أفذل لي حتى أصليح لك قلبك حساء بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها
ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إيش أقول له فيسكت أمي ويكي معها

طالب من زهد وتوكل
ورضا أو صار مطلوبه
من الله ينوب عن كل
مطلوب من زهد
وتوكل ورضا . قالت
رابعة : عجب الله لا يسكن
أثنيه وحنينه حق
يسكن مع محبوبه .
وقال أبو عبد الله
القرشي حقيقة المحبة
أن تهب لمن أحببت
كلك ولا يبقى لك منك
شيء . وقال أبو الحسين
الوراق : السرور بالله
من شدة المحبة له والمحبة
في القلب نار تحرق كل
دنس . وقال يحيى بن
معاذ صبر المحبين أشد
من صبر الزاهدين
واحبها كيف يصبر
الإنسان عن حبيب .
وقال بعضهم من ادعى

وبكيت معهم . قال عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له أمي يا أخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي مما أرى بك فسمعتة يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني وإذا ولدني لم يدر ثديها علي . قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الريح : أتيت أويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلبت عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك من عين نائمة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأويس أن لا يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم . وقال أحمد بن حرب : يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما ، وقال رجل من النساك أتيت إبراهيم بن آدم فوجدته قد صلى العشاء فعمدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءه إلخا لذلك في صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجد وضوءه فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة أحيانا وفي أودية النار أحيانا فهل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلا كان أحدهم يسلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء في إحدى عيفيه فمكث عشرين سنة لا يطم به أهله وقيل كان ورد صمنون في كل يوم خمسمائة ركعة ، وعن أبي بكر للطوعى قال كان وردى في شبقي كل يوم ليلة أقرأ فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى ، وكان منصور بن للتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لانسكت لملكك يا بني أصبت نفسا لملك قتلتي قتيلا ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظلمأ المواجر فقال هل هو إلا أنى صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لما ينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم لما ينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما رأيته نام بديل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت خلف علي رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انقلبت عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعنا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله براوحون بين أقدامهم وجباههم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الحولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون السكل منك لامتى فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابق وكان يقول أياظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لئزاحمهم عليهم حاما حتى يملوا انهم تدلفوا ورواهم رجالا . وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

عجة الله من غير تورع
عن محارمه فهو كذاب
ومن ادعى عجة الجنة
من غير إغناق ملكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب الفقراء فهو كذاب
وكانت رابعة تشدد :
نعمى الإله وأنت
تظهر حبه

هذا لعمري في القمال
يديع
لو كان حبك صادقا
لأطعته

إن الحب لمن يحب

مطيع

وإذا ضحك الحب

للأحوال كالنسوة

للمقامات فمن ادعى

حالا يهتبر حبه ومن

ادعى عجة تحببته

ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا ، وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد
 وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليبرد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان
 يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي . وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذا غدوت
 بدأت بمائشة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصلى صلاة الضحى ، وهي تقرأ
 - فنّ الله علينا ووقنا عذاب السموم - وتبكي وتدعو وتردد الآية فقامت حتى مللت وهي كلها
 فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت
 وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود
 حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال
 بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال طي بن أبي طالب كرم
 الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاء من
 الصوم عليهم غيرة الحاشئين . وقيل للحسن : ما بال التمجدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا
 بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان طاهر بن عبد القيس يقول : إلهي خلقتني ولم تؤمرني
 وتميتني ولا تمنني وخلقت معي عدوا وجعلته يعجزني متى مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت
 لي استمسك إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا المموم والأحزان وفي الآخرة العقاب
 والحساب فأبى الراحة والفرج ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صبيحات
 كان إذا صلى الصلوة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه
 بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا
 كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه
 ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان
 زمعة نازلا عندنا بالحصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر
 نادى بأعلى صوته أيها الركب للمرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون
 فيسمع من ههنا ههنا ههنا داع ومن ههنا قاري ومن ههنا متوضي ، فإذا طلع الفجر نادى
 بأعلى صوته عند الصباح محمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه
 وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء
 اليقين ويوتا للحكمة وتوايت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبولون ومدبرون وقلوبهم
 تحول في اللسكوت وتلوح بحجوب النجوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف القوائد وما لا يمكن
 واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالدياج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبدولون لمن أرادهم
 تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله بؤيته من يشاء . وقال بعض
 الصالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد
 علا وإذا تلك الجبال تهيج لها دوى عال فاقببت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا
 أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضرا - إلى قوله - ويحذركم
 الله نفسه - قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر منخشا عليه فقلت
 وأسفاه هذا لشقائي ، ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام
 الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إغراض الغافلين ثم قال لك خشمت قلوب
 الحائفين وإليك فرغت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفخ يده فقال مالي وللدنيا

فان التوبة فالبروح
الحب وهذا الروح
قيامه بهذا القلب
والأحوال أعراض
قوامها بجوهر الروح.
وقال صلوات : ذهب
الحبسون لله بشرف
الدنيا والآخرة لأن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال «الرجاء مع من
أحب» فهم مع الله
تعالى وقال أبو يعقوب
السوسي لا تصح المحبة
حتى تخرج من رؤية
المحبة إلى رؤية
المحجوب بفناء علم
المحبة من حيث كان
له المحجوب في القلب
ولم يكن هذا بالمحبة
فاذا خرج المحب إلى
هذه النسبة كان
محبا من غير محبة

ومال الدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك إلى عبيك فاذهبي وإياهم فاخذعي ثم قال
 أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فلو بدته يا عبد الله ألعند
 اليوم خافك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه
 أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أوقع زولها ثم لها على
 ساعة وقرا - وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ثم صاح صيحة أخرى أهد من الأولى وخر
 مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يطمئن أنا ما خاطري
 هب لي إساءتي من فضلك وجللي بترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت
 له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كتبتى فقال عليك بكلام من يضطك كلامه ودع كلام من أوقته
 ذنوبه إني لفي هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس وبجاهدي فلم يجد عونا على ليخرجني مما أنا فيه
 غيرك فإليك عني يا مخدوع قد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك شعبة من قلبي وأنا أعوذ بالله
 من شرك ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويغفر لي برحمته . قال فقلت هذا ولي الله أخاف أن أشغله
 فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته . وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في مسير لي إذ علمت إلى
 شجرة لأستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشراف على فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يعت ثم هام على وجهه
 فاتبعته فسمعتة وهو يقول - كل نفس ذائقة الموت - اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد للموت
 فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت
 الوجوه يبض وجهي بالنظر إليك واملا قلبي من المحبة لك وأجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد
 آن لي الحياء منك وحن لي الرجوع عن الاعراض عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسحق أجلى ولولا
 عفوك لم يتوسط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني ، وقد أنشدوا في هذا للمنى :

تحيل الجسم مكثب الفؤاد	تراه بقعة أوبطن وادي
ينوح على معاص فاضحات	يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت	فدعوته أغنى يا عمادي
فأنت بما ألقىه عليم	كثير الضجع عن زلل العباد
وقيل أيضا :	ألف من التلذذ بالتواني
منيب فر من أهل ومال	يسبح إلى مكان من مكان
ليحمل ذكره ويعيش فردا	ويظفر في العباد بالأماني
تلذذه التسلاوة أين ولي	وذكر بالأسود وباللسان
وعند الموت يأتيه بشر	يشر بالنجاة من الهوان
فيسدرك ما أراد وماتمضى	من الراحة في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يحتم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقل له
 قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقل خمسون
 ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا
 واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك
 كثيرا وكنت بالرضا فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف
 الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فلهما تدرت نفسك عليك وامتنعت من الواطية على العبادة
 فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجح

مثل الجنيد عن
 المحبة قال : دخول
 صفات المحبوب على
 البذل من صفات
 المحب . قيل هذا على
 معنى قوله تعالى « فاذا
 أحببتك كنت له سمعا
 وبصرا » وذلك أن
 المحبة إذا صفت وكملت
 لا تزال تجذب بوصفها
 إلى محبوبها ، فاذا
 انتهت إلى غاية جهدها
 وقفت والرابطة متصلة
 متأكدة وبكمال وصف
 المحبة أزال للوانع من
 المحب وبكمال وصف
 المحبة تجذب صفات
 المحبوب تعطف على
 المحب الخالص من
 موانع قادحة في صدق
 الحب ونظرا إلى
 قصوره بعد استفاد

في القلب وأبحت على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا هجرت عن هذا فلا تنفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن إبل لمعزى وخبر نفسك بين الاقتداء بهم والسكون في زمريهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجملة العاقلين من أهل عصرك ولا ترض لما أن تنخرط في سلك الحق وتقع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستكفي أن تسكوني أقل من امرأة فأخس رجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ، ولندكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات قد دروي عن حبيبة المدوية أنها كانت إذا صلت الصلوة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت يا إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت اللوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم قبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت يا إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أنبلت مني ليلتي فأهنا أم رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما أبقيتى وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . ويروي عن هجرة أنها كانت تحي الليل وكانت مكفوفة البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجى الليالي يستببون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بعيرك أن تجعلني في أول زمرة السائقين وأن ترفقني لديك في عليين في درجة القربين وأن تلحقني بصادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع عن النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا دخلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأتيناها فقلت لها لورقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك أقوى على ما تريد بن قال فبكيت ثم قالت والله لو ددت أن أبكي حق تنفد دموعي ثم أبكى دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جرحه من جوارحي وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء فلم تزل تردد وأنى لي بالبكاء حتى غشي عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من المتبعدات قالت رأيت في منامي كأنى أدخلت الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أم مسوداء من أهل الأيكة قال لها شعوانة قالت فقلت أخى والله قالت فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على ناحية تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت يا أخى أما ترى من مكان من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك قالت فتبسمت إلى وقالت لي بأن لقدومك ولكن احفظي عنى اثنتين ألزمتي الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك منى مت . وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبى فانتبهت فالتفتها فلم أجدها فقممت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما غفرت لي ذنوبى فقلت لها لا تقولى بحبك لي ولكن قولى بحبى لك فقلت يا مولاي بحبى لي أخرجنى من الشرك إلى الاسلام وبحبى لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سريفة فزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لحامى لي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها فلما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبله القبلة تقول خافت سريفة ثم غديتها بنعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلاتك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لخطبك بالتوب على ماصيك فلما بعد قلعة أترها تظن أنك لا ترى سوء قولها وأنت عليم خير وأنت على كل شيء قدير . وقال ذو النون المصري خرجت ليل من وادى كنعان فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل على وهو يقول

جهده فيعود الحب
ينفوالله اكتساب
الصفات من المحبوب
فيقول عند ذلك :
أنا من أهوى
ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتى أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا
وهذا الذى عبرنا عنه
حقيقة قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« تخلقوا بأخلاق الله »
لأنه بزاهة النفس
وكال الزكية يستمد
للمحبة والمحبة موهبة
غير مطلة بالزكية
ولكن سنة الله
جارية أن يركب نفوس
أحبائه بحسن توفيقه
وتأييده وإذا منح
زاهة النفس وطهارتها

- وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ويكفي فلما قرب من السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف
ويدها ركوة فقالت لي من أنت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع
الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي أبكاك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع
في نجاحه قالت فإن كنت صادقاً فلم بكيت فقلت برحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت
لأن البكاء راحة القلب فسكت متعباً من قولها . وقال أحد بن علي استأذنا على عفيرة فحببتنا فلأزمننا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك من جاء يشغلني
عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي
للفترة ثم قالت لنا مكث عطاء السلي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فغمضها
عليه فأصابه فتق في بطنه فباليث عفيرة إذا رفعت رأسها لم تمس وباليث إذا عصمت لم تصد . وقال بعض
الصالحين خرجت يوماً إلى السوق ومعي جارية حبشية فاحتسبتها في موضع ناحية السوق وذهبت في بعض
حواسبي وقلت لا تبرحني حتى أنصرف إليك قال فأنصرفت فلم أجدها في اللوح فأنصرفت إلى
منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأيته عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تسجل على إنك
أجلستني في موضع لم أر فيه ذا كر الله تعالى خفت أن يخسف بذلك اللوح فصبرت لقولها وقلت لها
أنت حرة . فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أجدها .
وقال ابن العلاء السعدي كانت لي أبة عم يقال لها بريدة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في الصحف فكلمها
أمت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا
إلى هذه للرأفة حتى نضلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا بريدة كيف أصبحت قالت أصبحت
أضيقاً منيخين بأرض غربة تنتظر متى ندعي فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت
إن يكن لعيني عند الله خير لما يضرها ما ذهب منها في الدنيا وإن كان لهما عند الله شرف فسيديهما بكاء
أطول من هذا ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فمسي والله في شيء غير ما نحن فيه . وكانت معاذة
المدوية إذ جاء النهار تقول هذا يوم الذي أموت فيه لما تطعم حتى تمسي فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي
أموت فيها فصلي حتى تصبح . وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقلت أنا
إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قواني على قيام هذه الليلة قالت
جزاؤه أن تصوم له غداً وكانت شعوانة تقول في دعائها إلهي ما أعوذ في إلى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك
وأنت الكريم الذي لا يغيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين إلهي إن كان دنائي إلى
ولم يقريني منك عمل فقد جلت الاعتراف بالتدب وسائل عظمي فإن عفوت فمن أولى منك بذلك
وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك
فالويل لها إن لم تسعدها إلهي إنك لم تزل بي برا أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت
من تولا في حياتي باحسانه أن يسخطني عند مماتي بفقرانه إلهي كيف أياأس من حسن نظرك بعد
مماتي ولم تولني إلا الجليل في حياتي إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن عبيك قد أجارتني تقول من
أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره بجهله إلهي لو أردت إهاتني لما هديتني ولو أردت فضيحتي
لم تسترني فمتني بماله هديتني وأدم لي ما به سترتني إلهي ما أظنك تردني في حاجة أنفيت فيها عمري
إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .
وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمت وصلت
حتى أقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفوليهون عليها الأمر قال فتشبهت

جلب روحه بمجاذب
الحبة خلغ عليه خلغ
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك عنده
رتبة في الوصول فتارة
ينبعث الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطايا الله
غير متناهية
وتارة يسقى بما منح
فيكون ذلك وصوله
الذي يسكن نيران
هوقه ويأبى الشوق
بغير الصفات للهوية
الحققة رتبة الوصول
عند الحب ولولا باعث
الشوق رجح القهقري
وظهرت صفات نفسه
الحالقة بين اللز وقلبه
ومن ظن من الوصول
غير ما ذكرناه أو تخاليل
له غير هذا القدر فهو

ثم قالت على بنفى فرح فزادى وكلم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلفنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أقبلت على صلاتها . فليك إن كنت من الرابطين الراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين ليثبت نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطع أكثر
من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وإن
أردت مزيدا فليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان
حدثك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة الأعوان
والآن فان خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك
إلا ما يجرى عليهم والصية إذا عمت طابت فأياك أن تتدلى بحبل غرورها وتتخضع بتزويرها وقل
لها أرايت لو هجم سيل جارف يفرق أهل البلد ويمتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقهم وتركبى فى سفينة تتخلصين بها من الترق فهل تخرج
فى نفسك أن الصية إذا عمت طابت أم تركين مواضعهم وتستجھلينهم فى صنيعهم وتأخذين حذر
عما دهاك فاذا كنت تركين مواضعهم خوفا من الترق وعذاب الترق لا يتماضى إلا ساعة فكيف
لا تهربين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له فى كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل
النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك السكار إلا بما عاها أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - فليك إذا اشتغلت بمعاينة نفسك
وحملها على الاجتهاد فاستصحت أن لا تترك معاتبها وتويخها وتغريها وتعريفها سوء نظرها لنفسها
فصاها تنزجر عن طغيانها .

(الرابطة السادسة فى تويخ النفس ومعاتبها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التى بين جنيدك وقد خلقت أمارة بالسوء مائلة إلى الشر فرارة من الخير
وأمرت بتركها وتويعها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها
عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتويخ والمعاينة والمعدل
والملازمة كانت نفسك هى النفس اللوامة التى أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس للطمشة الدعوة
إلى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفل ساعة عن تذكيرها ومعاتبها ولا تشتغل
بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولابوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ
نفسك فان اعطت فمظ الناس وإلا فاستحي منى وقال تعالى - وذكر فان الله كرى تنفع المؤمنين -
وسيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تعزز بغطتها وهدايتها ويشد ألقها
واستكافها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفسى ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة
وأنت أشد الناس غباوة وحما أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداها على
القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم
تخطفين أوغدا فأراك ترين اللوت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
البعيد ما ليس بآت أما تعلمين أن اللوت يأتى بضئ من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة
وأنة لا يأتى فى شيء دون نسي ولا فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل
دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الأتاس يمكن أن يكون
فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم ينفى إلى الموت فمالك لا تستمدين للموت

متعرض للذهب
النصارى فى اللاهوت
والناسوت. وإشارات
الشيوخ فى الاستغراق
والفناء كلها مائدة إلى
تحقيق مقام المحبة
بإستلاء نور اليقين
وإخلاصة الذكر على
القلب وتحقيق حق
اليقين بزوال الأعوجاج
البقايا وأمنت اللوث
الوجودى من بقاء
صفات النفس وإذا
صحت المحبة ترتبت
عليها الأحوال وتبينها.
سئل الشبل عن المحبة
فقال كاس لها وهج
إذا استقر فى الخواص
وسكن فى النفوس
تلاشت . وقبل للمحبة
ظاهر وباطن ظاهرها
اتباع رضا المحبوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أما تدبرين قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - وعليك يا نفس إن كانت جرائمك على معصية الله لا اعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع غمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك . وعليك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومفتك له فبأي جسارة تمرصين لقت الله وغضبه وشديده عقابه أتعظنين أنك تطيقين عذابه هيات هيات جري نفسك إن الهالك البطر عن ألم عذابه فاحبس ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قرب أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله وفضله واستغناءه عن طاعتك وعبادتك فمالك لاتعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستبطين الحيل في دفعه ولا تكتفين إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم فمالك تزعجن الروح في طلبها وتخصيها من وجوه الحيل فلم لاتعولين على كرم الله تعالى حتى يثر بك على كثر أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أتعسجين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبدل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للانسان إلا ماسعى . وعليك يا نفس ما أعجب ثقافتك ودعائك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخرة - وأن ليس للانسان إلا ماسعى - فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تكالين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر و وكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض للفرور المستحقر ما هذامن علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان الناقثون في الدرك الأسفل من النار . وعليك يا نفس كأنك لاتؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انقلت وتخلصت وهيات أتعسجين أنك تركين سدى ألم تكوني نقطة من مئى مئى ثم كنت علقة غلقى فسوى أليس ذلك بقادر على أن يعيى للوئى فان كان هذا من إضمارك فما أ كفرك وأجهلك أما تفكرين أنه بماذا خلقتك من نقطة خلقتك قدرك ثم السيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله ثم إذا شاء أنشرك فان لم تكوني مكذبة فمالك لاتأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك في آله أطمعتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء للوئدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كنه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع قصان عقل وقصور علم والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقربا لميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أم صار حرجهم وأغلالم وأنكأهم وزقومهم ومقامهم وصديدها ومومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لاتحسين بألمها إلا يوما أو أقل منه ماهذه أفعال العقلاء بل لو انكشف لبيها ثم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان سكنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل واللوت لك بالمرصاد ولله بختطفك من غير مهلة فبا إذا آمنت استجبال الأجل وهبك أنك وعدت بالامهال مائة سنة أتعظنين أن من يطعم الدابة في حضيض القبة يفلح ويقدر على قطع القبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرايت لو سافر رجل ليتفق في القرية فأقام فيها سنين متعطلا بطالا بد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضعكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس بما يطمع فيه بمدة قرية أو حساباته أن مناصب القمهاء تنال من غير تفقه اعلموا على كرم الله سبحانه وعالي

وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شئ ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا نفسه فمن الأحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال ينافيها المحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وآتم : حزنى كسنتك لالدا أمد

ينهى إليه ولالدا أمد ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلا فلهذا اليوم آخر عمرك فلم لا تشغلن فيه بذلك فإن أوحى إليك بالامهال لما للنافع من اللبادة وما للبائع لك على التسويف هل له سبب إلا هجرتك عن مخالقة شهواتك لما فيها من التعب والشقة أنتظرين يوما بأنيك لا تنصر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون الكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين مذكم تمددين نفسك وتقولين غذا غذا فقد جاء القد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن القد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لابل تعجزين عنه اليوم فأت غذا عنه أهجر وأهجر لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا هجر العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن هجر عن قلع شجرة وهو شاب قوى فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعة ووهنا لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في الشباب بل من العناء رياضة الحرم ومن التعذيب تهذيب القديب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تهتمين هذه الأمور الجليلة وتركبين إلى التسويف لما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما عني عن الاستقامة إلا حرص على لغة الشهوات وقلة صبري على الآلام والشقات فما أحد غباوتك وأبشع اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فأطلي انتعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الداعة أبد الآباد ولا مطعم في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها قرب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويهنا بشر به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أيسر ثلاثة أيام لينتم طول العمر أم يقضى شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاثة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته ، وليت عمرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في درجات جهنم فمن لا يطبق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطبق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر حتى أو لحق جلى . أما الكفر الحق فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بمظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلى فاعتمادك على كرم الله تعالى وغفوه من غير التفات إلى مكره واعتداجه واستغفاله عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من اللؤلؤ أو كلة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله الأمانى » ويحك يا نفس لا ينبغي أن تترك الحياة الدنيا ولا يتركك بالله الغرور فانظري لنفسك فما أمرك بهم لغيرك ولا تضيعي أو قاتك فالأنفاس معدودة فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بضعك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والنعم قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمنين له القوت والكسوة والخطب وجميع الأسباب ولا تسكين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وخطب وغير ذلك فإنه قادر على ذلك أنتظنين أيها النفس أن زهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناهضة

الداراني فرائه يكي
قلعت ما يسيك رحك
الله قال ويحك يا أحمد
إذا جن هذا الليل
اقرشت أهل الحبسة
أقدامهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأشرف الجليل
جل جلالة عليهم
يقول « بعيني من تقد
بكلامي واستراح إلى
مناجاني وإني مطلع
عليهم في خلواتهم أسمع
أنينهم وأرى بكاءهم
يا جبريل ناد فيهم
ما هذا البكاء الذي
أراه فيكم هل خبركم
خبر أن حبيا يندب
أحبابه بالنار كيف
يجعل بي أن أعذب
قوما إذا جن عليهم
الليل تعلقوا إلى فمي

في الشدة والبرودة أنتظنين أن البعد ينجو منها بغير سعى هيات كما لا يدفع برد الشتاء إلا بالجيلة والنار
وسائر الأسباب فلا يدفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وإنما كرم الله تعالى
في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لافي أن يدفع عنك العذاب دون حصنه كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهذا للطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفى
بها برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراء الحطب والجيلة بما يستغنى عنه خالقك ومولاك وإنما اشترينه
لنفسك إذ خلقه سبيلا لاستراحتك فطاعتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى
نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فطغيها والله غنى عن العالمين . ويحك يا نفس اترعى عن جهلك
وقبسي آخرتك بدنيك فما خلقك ولا بمشكك إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده . وكما
بدأكم تعودون وسنة الله تعالى لأتجددين لها تبديلا ولا تحويلا . ويحك يا نفس ما أراك إلا ألقت الدنيا
وأنت بها فصر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكد في نفسك مودتها فاحسبي أنك
غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فأنت مؤمنة بالموت الفرق بينك وبين عبادك
أقرين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فهدب بصره إلى وجه موليح يعلم أنه يستغرق ذلك
قبله ثم يضطر لاحتالة إلى مفارقتها فهو معدود من المعتلاء أم من الحق . أما تملين أن الدنيا دار الملك
الملوك ومالك فيها إلا عجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببته فانك مفارقة فاعمل ما شئت فانك تجزي
به وعش ما شئت فانك ميت (١) » . ويحك يا نفس أتملين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا ويأنس
بها مع أن الموت من ورائه فانما يستكر من الحسرة عند المفارقة وانما يترود من السم للملك وهو لا يدري
أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلموا ثم ذهبوا واخلوا وكيف أورش الله أرضهم وديارهم أعداءهم
أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون بين كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقبرة قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانتكاس أعظم من
هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يتيئا ويغرب آخرته وهو سائر إلى ما قطعها ، أما تستحيين يا نفس
من مساعدة هؤلاء الحق على حماقتهم واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور وإنما تملين
بالطبع إلى التشبه والافتداء فتبسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء النكبين على الدنيا
واقتردى من الفريقين بمن هو أعدل عندك إن كنت تعتقد في نفسك العقل والدكاء يا نفس ما أعجب
أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، عجبك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس
أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض
الناس إليك فاحسبي أن كل من طي وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أقما تعرفين أنه بعد خمسين سنة
لا تبقى أنت ولا أحد ممن طي وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر
من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
فكيف تبصين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا
من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أدعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف ويأبى
إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين
للدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترضا عن خسة شركائهم ونزها عن
كثرة عنائهم وتوفيا من سرعة فناهم أم مالك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهدت في كثيرها ومالك

حلفت إذا وردوا
القيامة على أن أسفر لهم
عن وجهي وأيحيهم
رباض قدسي وهذه
أحوال قوم من المحبين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كالزهد من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الزهد وإذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق . قال الواسطي
في قوله تعالى - وعجبت
إليك رب لترضى - قال
شوقا واستهانة بمن
وراءه - قال هم أولاء
على أنرى - من شوقه
إلى مكاملة الله ورمى
بالألواح لما فاته من
وقته . قال أبو عثمان
الشوق ثمرة المحبة فمن
أحب الله اشتاق إلى

تفرحين بدنيا إن ساءرتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخساء فما أجھلك وأخس همتك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تكون في زمرة المقتربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين أهد الآبدن لتسكون في صف النعال من جملة الحق الجاهلين أياما قلائل في أحسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري ويحك يا نفس قد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت . ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن أنجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على مضضيتها منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك . أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتركاب فراشك والدود أنيسك والقرع الأكبرين يديك ، أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالآيمان اللفظة أنهم لا يرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم ، أما تعلمين يا نفس أنهم يتحنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليستقلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمنيتهن ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بخذا فبها لا تشروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة . ويحك يا نفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السرّ بالعظائم أفستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق . ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتامرين الناس بالخير وأنت متلطفة بالذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ، أما تعلمين يا نفس أن المذنب أثنى من العذرة وأن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمئني في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك . ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين بملك مع كثرة خطاياك وزلللك وقد لمن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . ويحك يا نفس ما أغدرك ويحك يا نفس ما أوقحك ويحك يا نفس ما أجھلك وما أجراك على المعاصي ويحك كم تعقدين فتقضين ويحك كم تهمدين فتعدين ويحك يا نفس أتستغلبين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جموا كثيرا وبشوا مشيدا وأملوا بيذا فأصبح جمعهم بورا وبنياهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يا نفس أملك بهم عبرة أملك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين هيات هيات ساء ما توهمين ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابتي على وجه الأرض قصرك فان بطنا عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تبدورسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن قطعتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما تقع مال يزيد وعمر ينقص . ويحك يا نفس تمرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ، فكم من مستقبل يوما لا يستكملها وكم من مؤمل لند لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قترين تحسرم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري أيتها النفس السكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلايته

لقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فان أجل الله لآت - تقريرة للمشتاقين معناه آف أعلم أن شوقكم إلى غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشاقون إليه وقال ذو النون: الشوق أعلى الدرجات وأعلى القامات إذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السكأن في الحبين إلى رتب يتوقعونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده بمطايا يمجدها

فانظري يا نفس بأي بدن تغفين بين يدي الله وبأي لسان تهجين وأعدى لسؤال جوابا وللجواب صوابا واعلمي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال وفي دار زوال والدار مقام توفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل أن لا تعمل اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر بضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل وشرب وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار فيمكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يجز عن فكر ما أوتي ويتنسى الزيادة فيبقى وينسى الناس ولا ينتهي واعلمي يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف من كانت مطيته الليل والنهار قائمه يساره وإن لم يسر فاعطى يا نفس بهنه للوعظة واقبل هذه النصيحة فإن من أعرض عن اللوعظة قد رضى بالنار وما أراه بها راضية ولا لهذه اللوعظة واعية فإن كانت المساواة تمنحك عن قبول اللوعظة فاستمعي عليها بدولم التهجذ والقيام فإن لم تزل فبالمواظبة على الصيام فإن لم تزل فبمكة الحاطلة والكلام فإن لم تزل فبصلة الأرحام والطف بالأيام فإن لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقل على عينه وأنه قد تراكت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئي نفسك على النار قد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقطعي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبار فعوذ بالله من ذلك فلا سميل لك إلى القنوط ولا سميل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فإن ذلك اختار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه الصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت لم تستقي الدمع من بحر الرحمة قد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستمعي بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدمنى الاستغاثة ولا تعلمي طول الشكاية لله أن يرحم ضعفك وبخيلك فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد خالفت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العيل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستنات ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ إلا إلى مولاك فافزعي إليه بالتضرع واخشي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم للتضرع الدليل ونبذ الطالب للتلطف ووجب دعوة للظفر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والسئول جواد ولستغاث به برّ رءوف والرحمة واسعة والكرم قاض والخوشاغل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا للذنب الصر أنا للجريء الذي لا أقنع أنا للتأدي الذي لا استحي هذا مقام للتضرع للسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والمالك الفريق فجعل أغاثي وفرجي وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له فمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو عززون كتيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم مله هذا الجهد الذي أرى بك قال يارب عظمت مصيبي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت رب نصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار اللوت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لأبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم أسخطك لنفسى وأحلتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك يدي وقدمت فيك

علما ويطلبونها ذوقا
فكذلك يكون شوقهم
ليصير العلم ذوقا وليس
من ضرورة مقام الشوق
استبطاء اللوت وربما
الأسعاء من الحبسين
يتلذذون بالحياة لله
تعالى كما قال الجليل
رسوله عليه الصلاة
والسلام قل إن صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي
له رب العالمين فمن
كانت حياته لله منه
الكرم لله للنجاة
والهبة فمحتل به
من النقد ثم يكلفه من
النخ والعطايا في الدنيا
ما يتحقق مقام الشوق
من غير الشوق إلى
ما بعد اللوت وأنكر
بعضهم مقام الشوق
وقال إنما يكون الشوق

من روحى وأسجدت لك ملائكتى فصبت أمرى وسيت عهدي وتعرضت لسخطى فوعزنى وجلالى
لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدونى ويسبحونى ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين فبكى آدم
عليه السلام عند ذلك ثلثائة عام . وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول فى بكائه طول ليلة: إلهى أنا
الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى أنا الذى كلما همت بترك خطيئة عرضت لى شهوة أخرى واعبيدها
خطيئة لم تبلى وصاحبها فى طلب أخرى واعبيدها إن كانت النار لك مقبلا ومأوى واعبيدها إن كانت
المقامع لرأسك تهباً واعبيدها قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار سمعت
فى بعض الليالى بالكوفة عابداً يناجى ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بعصيتك مخالفتك ولا عصيتك
إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى
وأعانت على ذلك شقوتى وغرنى سترك الرخى طي فصيتك بمجلى وخالفتك بفعلى فمن عذابك
الآن من يستغنى أو يعجل من اعتصم إن قطعت جيلك عني واسواتاه من الوقوف بين يديك غدا
إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمتقين حطوا أمع المخفين أجوز أمع المتقين أحطوا بلى كلما كبرت سنى كثرت
ذنوبى وبلى كلما طال عمرى كثرت معاصي قالى متى آتوب وإلى متى أعودأما أن لى أن أستعجى من ربى
فهذه طرق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من التناجاة الاسترخاء ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والاسترخاء فمن أهمل المعاتبة والتناجاة لم يكن لنفسه مراعىا ويوشك أن لا يكون
الله تعالى عنه راضيا والسلام . ثم كتاب المحاسبة والمراقبة . ويتلوه كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

(كتاب التفكير)

(وهو الكتاب التاسع من ربح النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لم يخذل عزته نهوا ولا قطرا ولم يجعل لمرأى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأنفهام
إلى حمى عظمت هجرى بل ترك قلوب الطالبين فى يدهاء كبرياته والهة حيرى كلما اهترت لنيل
مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا همت بالانصراف آية نوديت من سرادقات الجلال صبرا
صبرا ثم قبل لها أجبلى فى ذل البودية منك ففكر أنك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى
له قدرا وإن طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى وآيابه كيف توالى عليك
تترى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى فى بحار القادير كيف فاضت على العالمين خيرا
وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطبا ونشرا وإيمانا وكفرا وعرفانا
ونكرا فان جاوزت النظر فى الأفعال إلى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا إمرا وخطرت بنفسك
بمجازة حد طاقة البشر ظلما وجورا قد انبهرت العقول دون مبادئ إشراقه وانقصت على أعقابها
اضطرابا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادته غرا صلاة تبقى لنا فى
عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا
واطواف للسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد وردت السنة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة (١) » وكثر الحديث فى كتاب

(كتاب التفكير)

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان فى كتاب العظيمة من حديث أبى هريرة

لغائب ومتى يغيب
الحبيب عن الحبيب
حتى يشاق ولها مثل
الأنطاكي عن الشوق
قَالَ إِنَّمَا يَشْتَاكُ إِلَى
الغائب وما غبت عنه
منذ وجدته وإنكار
الشوق على الإطلاق
لا أرى له وجهاً لأن
رتب العطايا والنح
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف ينكر الشوق
من الحب فهو غير غائب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجد ولكن
يكون مشتاقاً إلى ما لم
يجد من أنصبة القرب
فكيف يمنع حال
الشوق والأمر هكذا
ووجه آخر أن الإنسان
لا بد له من أمور يردّها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يعني أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جيلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجره ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أم ثمرة تستفاد منه فان كان ثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره (١) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالك لا تسكلمون؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تنفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا يضاء نورها يياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصو الله طرفه عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم ؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا (٢) » وعن عطاء قال « انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال قول رسول صلى الله عليه وسلم زر غبا تردد حبا قال ابن عمير فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبككت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدى ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى آتى بلال يؤذنه صلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال وعك يا بلال وما يعنى أن أبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (٣) » قبل

بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة (١) حديث ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصمباني في التريغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك (٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالك لا تسكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله الحديث رويناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام (٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث قال ابن عمير فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض - وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء .

حكم الحال لموضع
بشريته وطبيعته
وعدم وقوفه على حد
العلم الذي يقتضيه حكم
الحال ووجود هذه
الأمر مثيل لآثار الشوق
ولا نفي بالشوق إلا
مطالبة بتبعث من
الباطن إلى الأولى
والأعلى من أنصبة
القرب وهذه للطالبة
كثافة في المحين فالشوق
إذن كائن لاوجه
لأنكاره وقد قال قوم
شوق للشاهدة واللقاء
أشد من شوق البعد
والغيوبة فيكون في
حال الغيبة مشتاقا
إلى اللقاء ويكون في
حال اللقاء والشاهدة
مشتاقا إلى زوائد
ومبار من الحبيب

للأوزاعي ما غاية التفكير فمن قال يقرؤهن ويصلهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقيل لأبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

إذا للره كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطقته ذكرا وصمته فكرا ونظره عبدة فانه مثلي . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قال أمتنع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه ^(١) » ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت . لو تطالعت قلوب التقيين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب النيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ساكتا متفكرا أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشر : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركتان مقصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبيننا أبو شريح يمشي إذ جلس فتفتح بكسائه فجعل يبكي قتيلا ليكيك ؟ قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويعمي القلوب . وقال حاتم من العبارة يزيد العلم ومن الله كر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على التردد إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهو أهو فإذا كان همه وهو أهو أهو جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يودون بالذكر على الفكر والتفكير على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال اسحاق بن خاف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قراء تفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويكي حتى وقع في دار جارية له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا ويده سيف وظن أنه لسان فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحتك من السطح قال ما شئت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس الحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال يا إلهام من مجالس ما أجملها ومن شراب ما ألذ طوبى لمن رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة باسناد ضعيف .

وإفضاله وهذا هو الذي أراه وأختاره . وقال فارس : قلوب المشتاقين منورة بنور الله فإذا تحركت اشتتت أضاء النور ما بين الشرق والغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون إلى أشهدكم أنني إليهم أشوق . وقال أبو يزيد : لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار . سئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب . سئل بعضهم هل الشوق

وقال الشامي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفریط والندم والروية والفكر يكشيان عن الحزم والقطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تهدم . وقال أيضا الفضائل أربع : إحداها الحكمة وقوامها الفكرة . والثانية العفة وقوامها في الشهوة . والثالثة القوة وقوامها في الغضب . والرابعة العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

(بيان حقيقة الفكر ونعته)

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقتان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقلده ويصدق من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل ببعده إلى إيثار الآخرة اعتقادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأتقي أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين للمعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين فاحضار للمعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكير فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار للمعرفتين من حيث إنه يعبر منها إلى معرفة ثالثة وإن لم يقع الصور ولم يمكن إلا الوقوف على للمعرفتين فينتقل عليه اسم التذكر لاسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا ، وفائدة التذكر أن تكرار العارف على القلب لترسخ ولا تتمحى عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكير والعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة تناج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك تناج آخر وهكذا يتمادى التناج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنسد طريق زيادة العارف بالموت أو بالعواقب . هذا لمن يقدر على استقبار العلوم ويهتدى إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فاعما منوا الزيادة في العلوم لقدم رأس المال وهو العارف التي بها تستمر العلوم كالتدبير لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من العارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج القضي إلى التناج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالقطرة كما كان للأنياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ثم للتفكير قد تحضره هذه العارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها فقلعة ممارسته لصناعة التعبير في الإرادة فكمن من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار علما حقيقيا ولو شغل عن سبب معرفته لم يقدر على إيرادها والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن للمعرفتين السابقتين وهو أن الأتقي أولى

أعلى أم الهبة ؟ قال الهبة لأن الشوق يتولد منها فلا مشتاق إلا لمن غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصر اباضى : للخلق كلهم مقام الشوق لامقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار . ومنها الأنس وقد مثل الجنيد عن الأنس قال : ارتضاع الحنمة مع وجود الهبة . ومثل فو النون عن الأنس قال : هو انبساط الحب إلى المحبوب قيل معناه قول الخليل - أرني كيف تحب للوفى - وقول موسى - أرني

بالإيثار وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار فرجع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة . وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرة الخاصة العلم لا غير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر ، فالفكر إذن هو للبدأ والفتاح للخبرات كلها وهذا هو الذي يكشفك عن فضيلة التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فإذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تحسب ساعة خير من عبادة سنة ، قيل هو الذي ينقل من المكروه إلى المحبوب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى - لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالإيثار فإذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والثغرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته وورغته ثم أثر تغير الإرادة أعمال الجوارح في طراح الدنيا والانبال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار المرفقين في القلب ، وثانيها التفكير وهو طاب للعرفة القصودة منهما . والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها . والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح لقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضي بها للوضع قصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنهض الأعضاء للعمل فكذلك زند نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المرفقين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كانبثاق النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره ، فإذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لأنها يملأها الأحوال التي تصورها أن تغلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مرید أن يحصر فنون الفكر ومجاريها وأنه فياذا تفكر لم يقدر عليه لأن مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية ، نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريها بالإضافة إلى مهجات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليلا فإن تحصل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالتشرح لبعضها فاتها مشتملة على علوم تلك العلوم تستمد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر .

(بيان مجارى الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بشير الدين وإنما غرضنا ما يتعلق بالدين فلترك القسم الآخر ونعني بالدين العامة التي بين السبدين الرب تعالى لجميع أفكار العبد إيمان أن تتعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمبود وصفاته وأفضاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبعد إيمان أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى ولها أن يكون في أفضاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما وبكسوف

أنظر إليك وأنت

لروم :

شملت قلبى بما لديك فلا

ينفك طول الحيلة

عن فكر

آستنى منك بالوداد قد

أوحشتنى من جميع

ذا البشر

ذكرك لى مؤنس

يعارض

يوعدنى عنك منك

بالظفر

وجيئا صكنت

يامدى همى

فأنت منى بموضع النظر

وروى أن مطرف

ابن الشخير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنسك بالله

واشغاك إليه فان

فه عبادة استأنسوا

بالله وكانوا في وحدتهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثل وهو أن حال السائر إلى الله تعالى والمشتاقين إلى لقاءه يضاهاى حال العاشق فلتتخذ العاشق للشيء مثالا ، فنقول : العاشق المستغرق في المحبة يشق لا يسدو وفكره من أن يتعلق بمشوقه أو يتعاقى بنفسه فإن تفكر في مشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا لذته ومقويا لمحبهته وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوه حتى ينزله عنها أوفى الصفات التي تقربه منه وتحييه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسما لغيره فمحبة الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يسدو نظره وتفكره محبوه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلينبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعاله نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم العاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصى وإلى باطن كالصفات النجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المهلكات والنجيات والطاعات والمعاصى تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالقرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكروه التفكير في ثلاث أمور : الأول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا قرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر . والثاني التفكير في أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارقه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجارى الفكر في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات النجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المرید سائر ما هو يفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصى] ينبغي أن يفطن الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجلبة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لا يسبها بالأسس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض للقيية والكذب وتركية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والمحاورة والخوض فيها لا يسن إلى غير ذلك من المكروه فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والافتراء وبأن لا يجالس إلا صالحا نقييا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والإفضيع حجرا في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له أنه فكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في معصية أنه يضمنى به إلى القيية والكذب وفصول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن النكر فمهما كان ذلك فيتفكر في بطنه أنه إنما يعضى الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإما بأكل الحرام والشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه ومالكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم

أشد استئناسا من
الناس في كثرتهم
وأوحش ما يكون
الناس أنس ما يكونون
وأنس ما يكون الناس
أوحش ما يكونون .
قال الواسطي : لا يصل
إلى محل الأنس
من لم يستوحش من
الأكلان كلها . وقال
أبو الحسين الوراق :
لا يكون الأنس بالله
إلا ومعه التعظيم لأن
كل من استأنست
به سقط عن قلبك
تعظيمه إلا الله تعالى
فانك لا تزايد به أنسا
إلا زددت منه هية
وتعظيما . قالت رابعة :
كل مطع مستأنس
وأنشدت :
ولقد جعلت في الفؤاد
عدو

يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحترام من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن توبه درهم حرام (١) كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهم ما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها [وأما النوع الثاني وهو الطاعات] فينظر أولاً في الفرائض للكتابة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها بما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبدة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتطهر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أشغل العين بطاعة القرآن والسنة فلم لأفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع بين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بين الازدراء فأزجره بذلك عن مصيئته فلم لأفعله وكذلك يقول في سمعه إني قادر على استماع كلام مملوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فإني أعطيه وقد أتم الله على به وأودعني لأشكره فإني أكره نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إني قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالأسوال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فإنها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقي الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فإني إلى ثواب الأيثار أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفكر عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلماة وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات للممكنة بها ويتفكر فيها يري في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات الهلكت التي محلها القلب] فيعرفها بما ذكرناه في ربيع الهلكت وهي امتلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والفضلة والغرور وغير ذلك ويتقدم من قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه منزّه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلايات عليه فان النفس أبداً تعد بالخير من نفسها وتختلف فاذا ادعت التواضع والبرامة من الكبر فتنبئ أن تجرب بحمل حزمة حطبي في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض للغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في إنه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها في ربيع الهلكت فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والقفلة وخبث البخله كالورأى في نفسه عجباً بالعمل فيتفكر ويقول إنما عملي يبدني وجارحني ويقدرني وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلهي وإنما هو من خلق الله وفضله على فهو الذي خلقني وخلق جارحني وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بسد اللوت وكمن كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقياً

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن توبه درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه

جهول وقد تقدم .

وأبحت جسمي من

أراد جلوس

فالجسم مني للجلوس

مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد

أنيس

وقال مالك بن دينار:

من لم يأنس محادثة

الله عن محادثة الخلق

قد قل عليه وعسى

قلبه وضع عمره .

قيل لبعضهم من معك

في الدار قال الله تعالى

معي ولا يستوحش من

أنس بره . وقال

الحراز: الأنس محادثة

الأرواح مع المحبوب

في مجالس القرب .

ووصف بعض المارفين

صفة أهل المحبة

الواصلين فقال: جدد

لهم الود في كل طرفة

بتغير حاله عند الموت بسوء الحظاءة فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتطلى أفعال للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقوع كال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الثمر عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن للملائكة القريبين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب [وأما النوع الرابع وهو للنجيات] فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهدي في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يوزنه من هذه الصفات التي هي للقربة إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لقتل الله تعالى حتى يثبت له حال الندم وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فليتنظر في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرعنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتنفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليتنظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في اللوث وسكراته ثم فيما بعده من سؤال المنكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في الناقشة في الحساب والمضايقة في التقير والقطيع ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى التبال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليقين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليتنظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها اللقيم وملوكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التزهد عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكير فإنه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزرع عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه البصير ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكير فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة قراءة آية بتفكير وفهم خير من ختمه بتغير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسرار لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق للعامة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي جوامع الكلم ^(١) وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

بدوام الاتصال وآوام
في كنهه بحقائق
السكون إليه حق
أنت قلوبهم وحن
أرواحهم شوقا وكان
الحب والشوق منهم
إشارة من الحق إليهم
عن حقيقة التوحيد
وهو الوجود بالله
فذهبت مناهم وانقطعت
آمالهم عنده لما بان
منه لهم ولو أن الحق
تعالى أمر جميع الأنبياء
يسألون لهم ما سألوه
بعض ما أعد لهم من
قديم وحدانيته ودوام
أزليته وسابق علمه
وكان نصيبهم معرفتهم
به وفراغ همهم عليه
واجتماع أهوائهم فيه
ضار بحمد من
عيده العموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم تقدم.

العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به» (١) فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للتأملين فيها طول العمر إذلو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم الجامعة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أوسكره واهلته والبتدى يفتنى أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يصر قلبه بالأخلاق الحمودة والقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن السكره وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر المبادات فليس هو له غاية للطلب بل المشغول به محبوب عن مطلب الصديقين وهو التمتع بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستغرق عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في أحواله نفسه وأوصافها بل يبقى كالمبهوث الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة الشاق . فأما ما ذكرناه فهو شكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فحق ينعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقبه الحسين بن منصور وقال فيم أنت؟ قال أدور في البوادي أصليح حالى في التوكل فقال الحسين أفيت عمرك في عمران باطنك فأين القضاء في التوحيد فالقضاء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعم الصديقين . وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجربى مجرى الخروج عن السدة في النكاح . وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجربى مجرى تهية المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب ، فكذا يفتنى أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطمعا في الأجرة فدونك وإتمام البدن بالأعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون وإذ اعرف مجال الفكر في علوم الجامعة التي بين العبد وبين ربه فينبغى أن تتخذ ذلك عادتك وديدتك صباحا ومساء فلا تنفل عن نفسك وعن صفاتك للبعد من الله تعالى وأحوالك للمقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل مرید فينبغى أن يكون له جريدة يشبث فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات للمنجات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشراء الطعام وشراء الوقوع وحب المال وحب الجاه . ومن المنجات عشرة : الندم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهدي في الدنيا ، والاخلاص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكرهه إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على الذمعة الباقية وهكذا يعمل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجات ، فاذا اتصف بواحدة منها كالنوبة والتهم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ، وهذا يحتاج إليه المرید المشر .

رفع عن قلوبهم جميع
المهموم . وأنشد في
معناه :
كانت قلبي أهواء
مفرقة
فاستجعت إذا رأيتك
النفس أهواي
نصار يهدني من
كنت أحسنه
وصرت مولى الورى
مدصرت مولائى
تركت للناس دينام
ودينهم
شعلا بذكرك ياديني
ودنياي
وغد يكون من الأنس
الأنس بطاعة الله
وذكرك وتلاوة كلامه
وسائر أبواب القربات
وهذا القدر من الأنس
نعمة من الله تعالى
ومنحة منه ولكن

وأما كثر الناس من الموددين من الصالحين فينبغي أن يشتبوا في جرائمهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة وإطلاق اللسان بالغيبة والتمجية والراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الأعداء وموالاته الأولياء والداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يظهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بصيانة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يظلم عليهم نوع من العصية فينبغي أن يكون تقدم لها وتفكرهم فيها لا في معاصيهم بمنزل عنها. مثاله العالم الورع فإنه لا يخاف في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إماماً للتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفئة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن غيظ وأثرة وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلامه غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الاعتراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصاً على استجلاب الثناء والله لا يحب التكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها ينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب إعلاء لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وإنما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له الاعتقاد لفضله أكثر احتراماً ويكون بلفظه أشد فرحاً واستبشاراً ممن يغلو في موالاته غيره وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاته وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتناهبوا تباين النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستنكرة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما يكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو إماماً لك وإماماً لك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحسن في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهماسل فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يغنى كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقى شياطين الانس إذا قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندurst العلوم من بين الخلق وليقل لهم إن دين الاسلام مستغن عنى فإنه قد كان معموراً قبلي وكذلك يكون بعدى ولومت لم تهتم أركان الاسلام فإن الدين مستغن عنى وأما أنا فلت مستغنيا عن إصلاح قلبي، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياضة والعلو يحلهم على كسر القيود وهزم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحجب إلى الخلق الرياضة والشيطان لا يفتقر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهز لنشر العلم أقواماً لأنصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»^(١) و«إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٢) فلا ينبغي أن يفتخر العالم بهذه التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذور النفاق

ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنهه صدق الزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والمواجس وحقيقته عندى كنس الوجود بثقل لأخ العظمة وانتشار الروح في ميادين الفسوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهية وفي الهية اجتماع الروح ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذي وصفناه من أنس القادات وهيبة القادات يكون في مقام البقاء بعد العبور على

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تقدم أيضاً في العلم.

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان ضاريان أرسلاني زريبة غنم بأكثر إفساد فيها من حب الجاه والمال في دين المرء للسلم »^(٢) ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالأعزال عن الناس والمهرب من محاطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التنظن لحفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التي فأما أمثالا فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوى إيماننا بيوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطما إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فأعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجاشيا طلبه وقد علمنا أن المهرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك المعاصي ونحن منه مكمون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام إذا امتنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا النعم علينا فلهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتفعوا منها إلى التفكير في جلال الله وعظمته والتمتع بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع للهالكات والانصاف بجميع النجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معولاً مكذرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمحشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتفنى عليه قمة الشهادة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر المبدئي صفات نفسه المحبوبة والكروهة عند ربه تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكراماته ، وفيه مقامان المقام الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطبق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطبقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبحارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الحفاش بالإضافة إلى نور الشمس فانه لا يطبقه البتة بل يغشى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فانه يقدر على النظر إليها ولا يطبق دوامه ويغشى على بصره لو أدام النظر ونظيره المختطف إليها يورث العشى والضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهش واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لا تختم له بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن للكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروهم إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طاقته عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يشاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وغضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحق من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله لظن المسكين أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يغيب النفاق في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذئبان جائعان أرسلاني في زريبة غنم الحديث تقدم .

مر القناء وما غيبر
الأنس والهيبة للذين
يذهبون بوجود القناء
لأن الهيبة والأنس
قبل القناء ظهرا من
مطالعة الصفات من
الجلال والجمال وذلك
مقام التلويح وما ذكرناه
بعد القناء في مقام
التحكيك والبقاء من
مطالعة القئات ومن
الأنس خضوع النفس
للمطمئنة ومن الهيبة
خشوعها والخضوع
والخشوع يتقاربان
ويترقان بفرق لطيف
يدرك بإمعان الروح .
ومنها القرب قال الله
تعالى لئنبيه عليه الصلاة
والسلام - واسجد
واقرب - وقد ورد
« أقرب ما يكون العبد

والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الانسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، نعم غاية أن يقدر نفسه جميل الصورة جالس على سريره وبين يديه غلمان يتسلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لحافلك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال كيف يكون خالقي أنقص مني أن يكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثاها وهو خالقي ومصوري وعقولي أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الانسان لجهول ظلم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخظرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصالح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكننا نعدل إلى المقام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره ومجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلالة وكبريائه وتقدمه وتعالى وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فإننا لانطبق النظر إلى صفاته كما أنا نطبق النظر إلى الأرض مهما استتارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاطلة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته التيوم بنفسه كأن قولم نور الأجسام بنور الشمس للضيئة بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة ينض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأنفال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نهير بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال فهذا سر قوله ﷺ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى » .

(بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلق وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لكد ذلك لكد البحر قبل أن ينفد عشر عشره ولكننا نشير إلى جل منة ليكون ذلك كالمثال لما عدها . فتقول للوجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وكما من الوجودات التي لانعلمها كما قال الله تعالى - وخلق ما لا تعلمون - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يحطون - وقال - وننشك فيما لا تعلمون - وإلى ما يعرف أصلها وجلتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن تفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما ذكرناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكاللائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويغض فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي الدرجات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهد بكواكبها ونجمها وقمرها وحركتها ودوراتها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بنومها وأمطارها وتلوجها ورعدها وبرقها وصور أعقها وشهبها وعواصفها فهاهنا هي الأجناس الشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وكل جلس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينشعب كل قسم

من ربه في سجوده
فالساجد إذا ذيق طعم
السجود يقرب لأنه
يسجد ويطوى
بسجوده بساط الكون
ما كان وما يكون
ويسجد على طرف
رداء العظمة يقرب .
قال بعضهم إن لأجد
الحضور فأقول يا الله
أو يارب فأجد ذلك
على أثقل من الجبال
قيل ولم قال لأن النداء
يكون من وراء حجاب
وهل رأيت جليسا
ينادي جليسه وإنما
هي إشارات وملاحظات
ومتغاة وملاطقات
وهذا الذي وصفه مقام
عزيز متحقق فيه
القرب ولكنه مشعر
بمحو ومؤذن بسكر

إلى أصناف ولانهاية لانتعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك مجال التفكير فلا تحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولانبات ولا حيوان ولا
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك
شاهدته تعالى بالوحدانية ودال على جلالة وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره ، فلنذكر كيفية التفكير
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من الصغائر
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشرة وأنت غافل عنه ، فإيا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال - قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه قدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء
أنشره - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتقرون - وقال تعالى سأل
بك نطفة من متى متى ثم كان علقه خلق نسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين - وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقه مضغة واللضغة عظاما
فقال تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة - الآية ، فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليعلم لفظه ويترك التفكير في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لتوركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنت كيف أخرجه
رب الأرباب من الصاب والتراب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم وكيف
قدم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف
استجاب دم الحيض من أعماق المروى وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق الولود من النطفة وسقاء بهاء
الحيض وغذاء حتى يماوربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاء مشرقة علقه حمراء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والمروى والأوتار واللحم
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والمروى الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر
والأنف والتم وسائر المنافذ ثم مديد الرجل وقسمه ، وسها بالأسابع وقسم الأسابع بالأصابع ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرقبة والرحم والثلاثة والأمعاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لوقدت طبقة
منها أوزالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار فلو ذهبنا إلى أن نصف ما في أحاد هذه الأعضاء
من المعجائب والآيات لانتفى في الأعمار فانظر الآن إلى النظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها
من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما لبدن وعماد له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا
إلى الحركة بجملة بدنه ويبيض أعضائه مفتقرا للتدرد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتا من أحد طرفي العظم وألصقه بالعظم

يكون ذلك لمن غابت
نفسه في نور روحه
لغلبة سكره وقوة محوه
فاذا محوا فاق تتخلص
الروح من النفس
والنفس من الروح
ويعود كل من البدن
إلى محله ومقامه فيقول
يا الله ويلرب بلسان
النفس للطمشة العائدة
إلى مقام حاجتها وهل
مبوديتها والروح
تستقل بفتوحه وبكمال
الحال عن الأقوال
وهذا أتم وأقرب من
الأول لأنه وفي حق
القرب باستقلال الروح
بالفتوح وأقام رسم
المبودية بهود حكم
النفس إلى محل الاقتدار
وحظ القرب لا يزال

الآخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفر اغاصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتمتع عليه ولولا للفواصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقدر كهبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فيها ستة تخمس المقحف وأربعة عشر للحمي الأعلى واثنان للحمي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريكات وزيادات وتقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العنق وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام المانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلانطول بذلك عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان ما تناه عظم وعمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل الفواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة سخيفة رقيقة ، وليس للقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء ولشرحون وإنما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ومدبرها وخالق بين أشكالها وأعدادها خصصا بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج إلى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج إلى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها وبصورها فتنتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات خلقت في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأعشية ، وهي مختلفة القادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفائها لو نقصت واحدة من جعلتها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصص وقدر مخصص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والثرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول ، فلنذكر بحال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قطرة ماء قدرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقتها ومغاربها فلانطلق أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لانسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى - أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاها - فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولا وما صارت إليه ثانيا وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلفوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو خلقا فيها عظما أو عرقا أو عصبيا أو جليدا أو شعرا هل يقدر أن يخلقوا ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى صورة

بتوفر نصيب الروح
باقامة رسم العبودية
من النفس . وقال
الجنيد إن الله تعالى
يقرب من قلوب
عباده على حسب
ما يرى من قرب قلوب
عباده منه فانظر ماذا
يقرب من قلبك .
وقال أبو إسفوب
السوسي مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن
قريبا حتى يقرب عن
رؤية القرب بالقرب
فاذا ذهب عن رؤية
القرب بالقرب فذلك
قرب وقد قال قائمهم:
قد تحققتك في الله
ر فناجك لسان
فاجتمعنا لمعان
وافترقنا لمعان

إنسان مصور على حائط تأنيق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها كأنه إنسان عظم تصيبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده ونحماه فطنته وعظم في قلبك عمله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصيغ والقلم واليد وبالحناء وبالقدرة والعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فعله الجمع بين الصيغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكبر تصيبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة غلقها خالقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزائها للنشابة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لنذاتها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها مهيبة بصيرة عالة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعاً لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهياتها ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصفقها وتدفع الأذى عنها ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدقة الأذن لتجمع الصوت قرده إلى صياحها ولتحمس بدبيب الهوام إليها وجعل فيها تحريفات وأعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصد ما دابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامعه وأغذيته وليستنشق بمنفذ للنخريين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعها اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا مما في القلب وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسور والقطع فأحكم أصولها وحدد ردوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متساقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه ولتحمها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهياها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والنقطيات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكبرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والحشونة واللينة وصلابة الجوهر وروخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقة حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ وزين الوجه بالحيوة والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر للمعدة لضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلى لخدمة الكبد فالطحال يخدمها يجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها يجذب الصفراء عنها والكلى تخدمها يجذب للمائة عنها والثانة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطنوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وثقوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبعا يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن غيبك الله
خظيم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوجد
مد من الأحشاء داني
قال ذو النون ما ازداد
أحد من الله قرابة إلا
ازداد هيبته . وقال
سهل أدنى مقام من
مقامات القرب الحياء
وقال النصراني باذني
باتباع السنة تال
المعرفة وبأداء
القرائن تال القرية
وبالمواظبة على التواضل
تال المحبة . ومنها
الحياء والحياء على
الوصف العام والوصف
الحاس فأما الوصف
العام فما أمر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في قوله «استحيوا من
الله حتى الحياء قالوا

ضما غير تام كانت منفردة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجردة له ثم خلق الأظفار على رءوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخصى الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكمة لكان أجهز الخلق وأضعفهم ولم يتم أحد مقامه في حك بدنه ثم هذى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والنفث من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف النطاء والنشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها هيئا فثبتا ولا يرى الصور ولا آله فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آله ومصنوعه ولا يلاقه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كل قدرته إلى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تتكس وتحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للنفذ كانه قافل صبر بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى الثمام الذي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين القرث والقمع ما نالها خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأثبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما قم الصبي ثم فتح في حلة الثدي تقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا باليد للص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه إلا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك الضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتنذى إلا باللبن فيستغنى عن السن وإذا كبر لم يواقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأثبت له الأسنان عند الحاجة لاجلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك الثبات البينة ثم حتى قلوب الوالدتين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أجهز الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتميز والقل والمداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مرافقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كنورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة بهزله هجائب الحضرة الربانية والسبب كل العجب ممن يرى خطأ حسنا أو نقسا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكير في النقائص والخطايات وأنه كيف نفسه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكل صنعه وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يفكر عن صانعه ومصوره فلا تدعشه عظمتة ولا يحيره جلالة وحكمته فهذه نبذة من هجائب بدئك التي لا يمكن استنساؤها فهو أقرب مجال تفكيرك وأجل شاهد على عظمة خالقك وأنت قافل عن ذلك مشغول يطنك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن مجموع فتا كل وتشتت فتنام وتنتهي فتجتمع وتنضب فتتائل والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصة الإنسان التي حببت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وهجائب الآفاق والأنفس إذ بها يدخل البعد في زمرة اللاتسكة القربين ويحشر في زمرة النبيين والصدقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا شهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير إذ لا قدرة

إننا نستحي يا رسول الله
قال ليس ذلك ولكن
من استحي من الله
حق الحياء فليحفظ
الراس وما وعى والبطن
وما حوى وليذكر الموت
والبلى ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا فمن
فعل ذلك فقد استحي
من الله حق الحياء
وهذا الحياء من
القصاصات وأما الحياء
الخاص فمن الأحوال
وهو ما نقل عن عثمان
رضي الله عنه أنه قال إنى
لأغتسل في البيت للظلم
فأنطوى حياء من
الله . أخبرنا أبو زرعة
عن ابن خلف عن
أبي عبد الرحمن قال
سمعت أبا العباس
البنسدامي يقول
سمعت أحمد السقطي

البيحة على ذلك وأما هو قد خلق الله القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وإذا عرفت طريق التفكير في تمسك تفكير في الأرض التي هي مقررك ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراغا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاءا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لاتتحرك وأرسى فيها الجبال أوتاندا لها تمنحها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى يحجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم قال تعالى - والسماء بانيها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم للهادون - وقال تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أذكر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا - فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها للناء اهتزت وربت واخضرت وأنبئت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع للناء نعمتها فحجر العيون وأسأل الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر مائة رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حتى فأخرج به فروع الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لأعصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرايح بفضل بعضها على بعض في الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نطفة مطوقة بتقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وتنتس ظاهرها وباطنها فتراها تراهمة شامها فإذا أنزل عليها للناء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعم وريح ولون وهكل يخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافع الفرية فهذا النبات يهدى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في المعدة فتح الصفراء من أحماق المروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل إليهما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يخوى وهذا يضعف فلم تثبت من الأرض ورقة ولا تينة إلا وفيها منافع لا يخوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربته إلى عمل مخصوص فالتنخل وتؤبر والسكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت بيت البلد في الأرض وبضه بفرس الأغصان وبضه يركب في الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وهجابه لاحتضت الأيام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق التفكير فهذه عجائب النبات [ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض] ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللؤلؤ وغيرها بعضها منطبعة تحت الطارقي كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللؤلؤ وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأواني والآلات والنقود والحلى منها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا للتطبيب الطعام ولو خلقت عنه بطة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبعة بمجوهرها بحيث يجتمع فيها للناء الصافي من الطر فيستحيل ملعا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه

ابن صالح يقول سمعت
محمد بن عبدون يقول
سمعت أبا العباس
المؤدب يقول قال لي
سرى : احفظ على
ما أقول لك إن الحياة
والأنس يطوفان
بالقلب فإذا وجد فيه
الزهد والورع حطا
وإلارحلا والحياة
إطراق الروح إجلالا
لعظيم الجلال والأنس
التذاذ الروح بكمال
الجمال فإذا اجتمعا
فهو الفانية في المني والنهاية
في العطاء وأنشد
شيخ الاسلام :
أشواقه فإذا بدا
أطرق من إجلاله
لاخنة بل هية
وصيانة لجماله
الموت في إداره
والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطييبا لطعامك إذا أكلته فبينما تعيش وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا منها عينا ولا لبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعين ما خلقناهما إلا بالحق . ومن آياته أصناف الحيوانات : وأنساءها إلى ما يطير وإلى ما يعيش وأنقسام ما يعيش إلى ما يعيش على رجلين وإلى ما يعيش على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما شاهد في بعض الحشرات ثم اتقسامها في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدره مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقرة والغنم والنحلة أو الفسكيوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي إلقائها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نهدر على ذلك قري الفسكيوت بين يديه على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع لما دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين طرفيه ثم يتبدي ويلقى اللعاب الذي هو خيطه على جانب يلتصق به ثم ينفذ إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الحيط ثم كذلك يردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متساويا تناسبا هندسيا حتى إذا أحكم معاقده القمط ورب الحيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بضعه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادري إلى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكس في الهواء ينتظر ذباة تطير فإذا طارت رمى نفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجله وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى أنه تعلم هذه الضئعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو عله أولا هادي له ولا معتمد أفيتشك ذو بصيرة في أنه ممكن ضعيف عاجز بل القليل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكائه ومورته وحركته وهدايته وعجائب صنعه لقاطره الحكيم وخالقه القادر العالم فالصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق للبر وجلاله وكما لا قدرته وحكمته ما تعجب فيه الأبواب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسم أبكرة الشاهدة ، نعم إذا رأى حيوانا غريبا ولدودوا تجد تعجبه وقال سبحانه الله ما أعجب أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي أنعم الله عليها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وكذا نالهم في ظفهم وإقامتهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للوادي والقفارات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا بطل محيط بجميع منافعها سابق على خاقه بإياه سبحانه من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استمالة بوزير أو مشير فهو العظيم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب المارفين بتوحيده فما للخلق إلا الأذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والافتقار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن

وأصد عنه إذا بدا
وأروم طيف خياله
قال بعض - الحكاء
من تسكلم في الحياء
ولا يستحي من الله في
يتكلم به فهو مستدرج .
وقال ذوالنون : الحياء
وجود الهيبة في القلب
مع حشمة ما سبق منك
إلى ربك . وقال ابن
عطاء . العلم الأكبر
الهيبة والحياء فإذا
فهب عنه الهيبة
والحياء فلا خير فيه .
وقال أبو سليمان : إن
العباد عملوا على أربع
درجات على الخوف
والرجاء والتعظيم
والحياء وأشرفهم منزلة
من عمل على الحياء
لما أيقن أن الله تعالى
يراه على كل حال

معرفة فسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته عنه ورافته . ومن آياته البحار العميقة المكتشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم « الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض ^(١) » فالنسب اصطبل إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها تأمل الآن عجائب البحار فأن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضاعف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سعة أضاعف سعة الأرض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فيزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحار مثاله وأضاعفه وفيه أجناس لا يسهلها نظير في البر وقد ذكرت أو صافها في مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبث من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقدفها البحر وتستخرج منه ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف للأحبار موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو هلك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من آدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويفعل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فيها تمتع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنفائسها قائلة لكل ذي لب أماتراني وترى صورتي وتركيبي وصفاني ومنافسي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أظن أنني كوت نفسي أو خلقتي أحد من جنس أوماتسحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية للرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرى الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطقة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهموني في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الخيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقي وأجفاني وجهي وخدي وشفتي فري القويس يظهر شيئا فشيئا على التدرج ولا ترى داخل النطقة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خبر منها للآم ولا للآب ولا للنطقة ولا للرحم أمأ هذا النقاش بأعجب مما تشاهده بنقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي هم ظاهر النطقة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطقة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنه
أكثر مما استحيا
العاصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : الغالب
على قلوب المستعدين
الاجلال والتعظيم دائما
عند نظر الله إليهم .
ومنها الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكاشفات القلوب
ومشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
الدهول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يشهد
العبد غير خالق
ولا يتصل بغير مخلص
لغير صانعه . وقال .
سهل بن عبد الله
حركوا بالبلاء فتحركوا
ولو سكنوا اتصلوا .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لاتعجب من هذه السجائب ولا تفهم بها أن الذي صور
وتقش وقد لا نظير له ولا يساويه تقاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه تقش وصنع فبين
القاعلين من البايئة والتباعد ما بين الفاعلين فان كنت لاتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه
أعجب من كل عجب فان الذي أعشى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان
جدير بأن تعجب منه فسيحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحيائه
فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعشى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلائقه فله الخلق
والأمر والامتنان والفضل والطف والقهر لا أراد لحكمه ولا معقب لقضائه [ومن آياته الهواء اللطيف
المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض] لا يدرك بحس اللبس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى
بالمين شخصه وجمته مثل البحر الواحد والطيور مخلقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها
كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كأن تضطرب أمواج
البحر فإذا حرك الله الهواء وجمله ريحاً هابتة فان شاء جملة نثر ما بين يدي رحمة كما قال سبحانه - وأرسلنا
الرياح لواقع - فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعمل الماء وإن شاء جملة عذابا
على العصاة من خليقته كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ترتفع الناس
كانهم أعجاز نخل منقعر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته معها ضغط في الماء فارتقى النفوخ
يتحمل عليه الرجل القوى ليغمسه في الماء فيجوز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه
فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه
الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يفوس في الماء لأن الهواء ينقبض عن القوس في الماء فلا يفصل
عن السطح الداخلة من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف
كالذي يقع في بئر فيمتلئ بذيول رجل قوى تمتنع عن الهوى في البئر فالسفينة بمقعرها تنسحب بأذيال
الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والقوس في الماء فسيحان من خلق الركب الثقيل في الهواء اللطيف
من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من العجائب والبرق والرياح
والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة
ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عباداً - وهذا هو الذي بينهما وأشار إلى
تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى - والسحاب السخريين الماء والأرض - وحيث تعرض للبرق
والبرق والسحاب والمطر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بينك وتسمع الرعد بأذنك
فالهيمة تشاركك في هذه العرفة فارفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم اللاألهي فقد فتحت عينيك
فأدركت ظاهرها فتمض عينك الظاهرة وانظر بصيرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وغرائب
أسرارها وهذا أيضا باب بطول الفكر فيه إذ لا مطمع في استقصائه تأمل السحاب الكثيف المظلم كيف
تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلق الله تعالى إذا شاء ومتى شاء وهو مع رعايته حامل
لقماء القبل ومحمك له في جو السماء إلا أن يأذن الله في إرسال الماء وتطبيع القطرات كل قطرة بالقدر
الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات
متناصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم
لها لاتعدل عنه فلا يتقدم للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسبب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون
والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عددها ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة
لمجز حسابها لجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي : العمال أربعة
ثائب وزاهد ومشتاق
وواصل فالثائب
محبوب بتوبته
والزاهد محبوب بزهده
والمشتاق محبوب
بماله والواصل لا يحبه
عن الحق شيء . وقال
أبو سعيد القرشي :
الواصل الذي يصله الله
فلا يحشى عليه القطع
أبداً والمتصل الذي
يجهده يصل وكما دنا
القطع وكان هذا
الذي ذكره حال
المريد والمراد لكون
أحدهما مباداً
بالكشف وكون
الآخر مردوداً إلى
الاجتهاد . وقال
أبو يزيد : الواصلون
في ثلاثة أحرف مهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة غبط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة القلانية التي في ناحية الجبل القلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت القلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن للندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس له مؤنن من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا لعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل للفرور إنما ينزل الماء لأنه ثقل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له مامنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء للصوب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيمضى كل جزء من كل ورقة ويمجرى إليها في تجاويف عروق شعرية صفار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للمدود في طول الورقة عروق صفار فكان الكبير نهروما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل للماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك يجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب وإن كان ينتهى بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات قد فاته الكل تحقيقاً فالأرض والنبع والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فأمين سورة إلا وتشتمل على تفصيلها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والسماء ذات البروج، والسماء والطارق، والسماء ذات الحيك، والسماء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها - وكقوله تعالى - فلا أقسم بالجنس الجوار الكس - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى - فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسمتهم لوتعلمون عظيم - فقد علمت أن عجائب النطفة القنطرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحاله الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وأثنى على التفكيرين فيه فقال - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته» (١) أى تجاوزها من غير تفكير فم العرضين عنها فقال - وجلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فأى نسبة لجميع البعابر والأرض إلى السماء وهى متغيرات على القرب والسموات صلاب شدة محفوظات عن التغير إلى أن يابغ الكتاب أجله ولذلك ساء الله تعالى محفوظا فقال - وجلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وبينا فوقكم سماءً جداداً - وقال - أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفح محكم أقواها - فأنظر إلى الملكوت ترى عجائب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تعد البصر إليه ترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم

(١) حديث يدل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته أى قوله تعالى - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - تقدم .

له وشغلهم في الله
ورجوعهم إلى الله .
وقال السيارى الوصول
مقام جليل وذلك
أن الله تعالى إذا أحب
عبداً أن يوصله
اختصر عليه الطريق
وقرب إليه البعد .
وقال الجيد الواصل
هو الحاصل عند ربه
وقال رويم أهل
الوصول أوصل الله
إليهم قلوبهم فهم
محفوظون القوى
متمنعون من الخلق
أبداً . وقال ذوالنون
مارجع من رجع إلا
من الطريق وما وصل
إليه أحد قرجع عنه .
واعلم أن الاتصال
وللواصلة أشار إليه
الشيخ وكل من

تشاركك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بحوله - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما قاب عن الأبصار فيعبر عنه بالقيب والملكوت والله تعالى عالم القيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يعيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم القيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فمضى فتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : رأي قلمي ربي . وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء الكتنف لك ثم النبات والحايوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم اللانسة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما فينبك وبين هذه الفاوز العظيمة والسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القرية النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفتك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقبها ذا أنشكر وإلى ماذا أنطلق فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها وفحسها وقررها واختلاف مشارقها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة المقر وبعضها على صورة الحل والثور والأسد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف الواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إماتة مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وهجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على طريق الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا وقته تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي يحبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها أو يدور حولها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها (١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الأفصال وهو رتبة في التجلي فيفنى قلبه وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لتمام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين وللشاهدة مفعيا في

(١) الحديث الدال على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال في نار الله الحامية لولا ما تزعمها من أمر الله لأهلك

التي تراها أصفرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها يتسنى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وهذا تعرف ارتفاعها وبمدها إذ لبعد صارت ترى صفارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بدها فقال - رفع صمكتها فساوها - وفي الأخبار أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام^(١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضغافا فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة مقدار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس قال لا» نعم فقال كيف تقول لأنهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس خمسمائة عام^(٢) فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أكنافها في حدة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها بهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنتظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفة فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبح يموها بالذهب فلا ينقطع تنجيك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمره وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه لما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد بينائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت بطنك وفرجك ليس لك ثم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن علا بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر مائتا كلة هيمه فكون الهيمه فوقك بشهر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بالسهم بين يديك ويضمرون خبايا الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضررا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا القصور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك الملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي خفرت في قصر مشيد من تصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواوير والفلسان وأنواع الدخائر

ما على الأرض وللطيراني في الكبير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرقت^(١) حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصره عن أبي ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي نصره سماع من أبي ذر^(٢) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لأنهم فقال كيف تحول لأنهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجد له أصلا .

شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى القدرات لخواص القرين وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لخواص لمع وهو سريان نور الشهادة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قلبه وهذا من أعلى رتب الوصول فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيات منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى ومنها

والتماس فإياها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بينها
وعذاتها وكيفية ادخارها فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمنزلة عن وعن التفكير فيه
بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبينها إلى غيره وكما غفلت التملة عن القصر
وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله
تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان ميواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه التملة من سقف بيتك
ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه التملة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للتملة طريق إلى
أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في
الملوكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال
لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بعرفته وكل ما عرفناه
قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالاضافة إلى ما عرفته الملائكة القربون كإسرافيل وجبريل وغيرهم
جميع علوم الملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى
علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف
ثم خاطب جميعهم فقال - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معاقب الجمل التي تجول فيها فكر
المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في
الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى
كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعمقه فلا تزال تطلع
على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما
حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيدك محلا من قلبك يستدعي التعظيم
له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل مافي الوجود من خلق الله وتصنيفه
والنظر والفكر فيه لايتأهى أبدا وإنما لكل عبد منها بقدر مازرق ، فلنقتصر على ما ذكرناه
ولنضيف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرننا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث
هو إحسان إلينا وإنعام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرننا فيه من حيث إنه فعل الله فقط وكل ما نظرننا
فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته وللوقوف ينظر فيه فيكون سبب هدايته
وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها
من يشاء ، فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال
الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض
لامن حيث ارتباطها بحسب الأسباب فقد شقي وارتنى فعوذ بالله من الضلال ، ونسأله أن ينجبنا
مزلة أقدم الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

القبض والبسط وهما
حالان شريفان قال الله
تعالى - والله يقبض
ويبسط - وقد تكلم
بهما الشيوخ وأشاروا
بإشارات هي علامات
القبض والبسط ولم
أجد ككشافا عن
حقيقتيهما لأنهما كنفوا
بالإشارة والإشارة
تتبع الأهل وأحببت
أن أشبع الكلام فيهما
لهما يتشوق إلى ذلك
طالب ويجب بسط
القول فيه والله أعلم .
واعلم أن القبض
والبسط لهما موسم
معلوم ووقت محتموم
لا يكونان قبله ولا
يكونان بعده ووقتهما
ومومهما في أوائل حال
الحبة الخاصة لافي نهايتها

(ثم الكتاب التاسع من ربيع النجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه)

يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه .

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع المنجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قسم بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة ، وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة ، فقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء الهوى إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الجوارى والفلان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التعم بالطعام والشراب إلى التفرغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن الضجع الوثير إلى المصراع الويل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، وانخذلوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر - هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا - فبجان من انقرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ، ثم جعل الموت محلا للالتقاء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للأشقياء وحبا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة ، وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد وآله العجرات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره ، وإقامة مواعده ، والجنة والنار مورد ، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطمع إلا إليه ، ولا ترجع إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن بعد نفسه من الموتى وبراها في أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ^(١) » وإن ييسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالأصناف إلى المذكرات له والنظر في النهايات عليه ونحن نذكر من أمثال الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ، ليكون ذلك مستحضا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فابقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين :

(الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور ، وفيه ثمانية أبواب :)

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عند الموت . الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين . الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقبور وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور . الباب الثامن فيها عرف من أحوال الموتى بالكاشفة في المنام .

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة .

ولا قبل حال المحبة
الخاصة فمن هو
في مقام المحبة العامة
الثابتة بحكم الإيمان
لا يكون له قبض ولا
بسط وإنما يكون له
خوف ورجاء وقد يجد
شبه حال القبض وشبه
حال البسط ويظن
ذلك قبضا وبسطا
وليس هو ذلك وإنما
هو ثم يستريح فيظنه
قبضا واهتزاز نقاني
ونشاط طبيعي يظنه
بسطا والهم والنشاط
يصدران من محل
النفس ومن جوهرها
لبقاء صفاتها ومادامت
صفة الأمانة فيها بقية
على النفس يكون منها
الاهتزاز والنشاط والهم
وهج ساجور النفس

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن التمهك في الدنيا السكب على غروبها المحب للشهوات يغفل قلبه لاحالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم - قل إن للموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إمامهمك وإماتائب مبتدئ. وأوعاف منته أما التمهك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشغل بدمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا ، وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبش به من قلبه الخوف والحشية فينبى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يخطئه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم «من كره لقاء الله كره لقاءه» (١) فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشغلا بالاستعداد للقاءه على وجهه رضاه فلا يد كارهه للقاءه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لاشغل له سواء وإلا التحق بالتمهك في الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لأنه موعده للقاءه لحبيبه والمحبة لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستبطن بحسب الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لأفطح . ن ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الفنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك ، فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يخار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى ، وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثوابه وفضل فان التمهك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا إذ ينقص عليه نعيمه ويكدر عليه صفوته وكل ما يكدر على الإنسان الذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر هازم اللذات» (٢) معناه تفصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم «لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا» (٣) وقالت عائشة رضى الله عنها «يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة» (٤) «وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار النور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن الموت» (٥) «وإنما قال هذا

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثرُوا من ذكر هازم اللذات الترمذى وقال حمن والنسائى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا البيهقى فى الشعب من حديث أم حبيبة الجهنية وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسل بسند حسن .

والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذاحل وذاق قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الايمان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطى يقبض عمالك ويبسطك فيما له وقال النورى يقبض بآيك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهر البسط لظهور صفة القلب وغلبته

لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومداومة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تخفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «الموت كفارة لكل مسلم» (١) «وأراد بهذا المسلم حقا للمؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصفائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبار وإقامته الفرائض . قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر الازدات قالوا وما مكدر الازدات قال الموت» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يحصن الذنوب ويذهب في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كفى بالموت مفرقا» (٤) «وقال عليه السلام «كفى بالموت واعظا» (٥) . «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال: اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦) . «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه ، فقال: كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال: أكثرهم ذكر الموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» (٨) «وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لدى لب فرحا . وقال الربيع ابن خيثم ما طائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسالوني إلى ربي سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تبعي فيها الموت فلا تجده . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فينذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكونون حتى كأن بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئا قطعنا عن لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب

(١) حديث الموت كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ من حديث أنس قال ابن العربي في سراج الرايدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقه في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاء الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر الازدات الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مر سلا وروينا في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يحصن الذنوب ويذهب في الدنيا ابن أبي الدنيا في الموت باسناد ضعيف جدا (٤) حديث كفى بالموت مفرقا الحديث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر والصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجبلي مر سلا (٥) حديث كفى بالموت واعظا الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٧) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن مغول فذكره بلاغا بزيادة فيه (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكأله باسناد جيد .

والنفس مادامت لوامة
فتارة مغلوبة وتارة
غالبة والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب تحت
حجاب نوراني لوجود
قلبه كما أن صاحب
النفس تحت حجاب
ظلماني لوجود نفسه
فاذا ارتقى من القلب
وخرج من حجاب
لا يقيدته الحال ولا
يتصرف فيه فيخرج
من تصرف القبض
والبسط حيثنق فلا
يقبض ولا يبسط مادام
متخلصا من الوجود
النوراني الذي هو القلب
و، متحققا بالقرب من
غير حجاب النفس
والقلب فاذا عاد إلى

من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قاتلا يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما ترام إلا والهي . وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت صفية رضي الله تعالى عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكرهى ذكر الموت يرق قلبك فقلعت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن . ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمي فقال ألت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آباءك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نصى على أهل النعم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لاموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنينة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسع عليك . وقال أبو سليمان الداراني قلت لأبي هرون : أتحب الموت ؟ قالت لا ، قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدمياً ما اشتيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكورهم ومن يذكركه ليس يذكركه بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ القلب من كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرجه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واتيح طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فينتدح موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف يحال التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرموا نساءهم وأيتما أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانغذاعه بموتة الأسباب وبركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت في وقت لم يحتسبه فأنكشف له صورة الملك وقرع صممه النداء إما بالجنة أو بالنار فند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كما قبته . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكرت الموتى فقد نفسك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غداً بأوراحكم إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فلازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يحدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الضرور وإلا قال ذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان

الوجود من الفناء والبقاء يسود إلى الوجود والنوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك ومهما تخلص إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارس أوالا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع في الوجود فأما مع الفناء والبقاء فلا ثم إن القبض قد يكون عقوبة الإفراط في البسط وذلك أن الولد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه روحاً وفرحاً واستبشاراً فتشرق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فإذا وصل أثر الوارد

قليل الجدوى في التحذير والتذية ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا يفتنى أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسناتها بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور اقربت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

(الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تذكر نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لضعفك فانك يا عبد الله لا تدري ما أصابك غدا ^(١) » وروى طي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويمنع وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن الدين أبناء والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتفعت مولية ألا إن الآخرة قد ارتفعت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل ^(٢) » وقالت أم النضر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أمانتحيون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا تاكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ^(٣) » وقال أبو سعيد الخدري « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة أطول الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عينا إلا ظننت أن شغري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفت طرفي فظننت أني واضع حتى أقبض ولا تلمت لومة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تقولون فعدوا أنفسكم من الموت والذي نفسي بيده - إن ماتوا وعدون لآت وما أتم بجهنم - ^(٤) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لأبائه ^(٥) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فحز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كنى في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث طي إن أعد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلامه ضعيف (٣) حديث أم النضر أيها الناس أمانتحيون من الله تعالى قالوا وما ذلك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالباب فأقول الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لأبائه الحديث ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبراز بإسناد ضعيف .

إلى النفس طنت بطبعها وأفرطت في البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فتقابل بالقبض عقوبة وكل القبض إذا قنص لا يكون إلا من حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالصبيان أخرى ما وجد صاحب القلب القبض وما دام روحه وأنسسه ورعايته الاعتدال الذي يبد باب القبض متلقى من قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لا يكثف

بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يتماطأ ابن آدم ويخلجه الأجل دون الأمل ^(١) وقال عليه السلام «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته النايا وقع في الهرم ^(٢)» قال ابن مسعود هذا الهرم وهذه الختوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الختوف والأمل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الختوف شوارع إليه فأبها أمر به أخذه فإن أخطأته الختوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل قال عبده «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأته هذا تنهشه هذا وذلك الأمل يعني الخط الخارج ^(٣)» وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل ^(٤)» وفي رواية وتنبأ معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله ﷺ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ^(٥)» وقيل بينا عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يشير بها الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع قلبت ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينا أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فممت إلى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل وثبتوا أجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ^(٦)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ^(٧) الآثار : قال مطرف بن عبد الله لوعلى بن أبي حمزة قال قلت لشيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت فقال لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فممت إلى مسحاتي ولولا الغفلة ماتتوا بعيش ولا مات بينهم الأسواق. وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا ههما مشى المسلمون في الطرق. وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهناه العيش . وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له الزاهر مزي في الأمثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي المتوكل مرسلا (٢) حديث مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا الحديث رواه البخاري (٤) حديث أنس يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل وفي رواية ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده (٦) حديث الحسن أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف وجهه ولا أدري من حوشب.

ولا يستوجب صاحبه القبح سيما إذا لطف بالفرح بالوارد بالايواء إلى الله وإذا لم يلتجئ بالايواء إلى الله تعالى تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما أتى المنوع منه فمن ذلك القبض في بعض الأحيان وهذا من أطف الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها واثبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء لا يدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأمل والهيبة لأنهما من ضرورة الإيمان فلا يعدمان وأما القبض والبسط

عمرت الدنيا بقلعة عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث أعجزتني حتى أضحكنتي مؤمل الدنيا والوت يطابه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق الأخية محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته في المنام فقلت أي الأعمال أبلغ عنكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس يأكل القليظ ولا لبس العباءة وسأل الفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن يا أبا سعيد ألا تنسل قبضك فقال الأمر أعجل من ذلك . وقال الحسن الموت معقود بنواصيم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل هاد عنقه والسيوف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أملت أن أعيش شهرا لرايتني قد أتيت عظيما وكيف أوئل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار . وحكى أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذه يقال له أبو هاشم الرمانى وفي طرف كسائه شئ مصرور فقال له أستاذه إيش هذا معك فقال لوزات دفعها إلى أخ لي وقال أحب أن تفطر عليا فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كنتك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب ودخل . وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا محالة فزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد ففسدوا قلوبكم وتقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطافات للنايا وكم رأيت ورأيتهم من كان بالدنيا مغترا وإعما قمر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وإعما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلها إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا ينهي عنه نفسي فتخسر صفقة وتظهر عيبى وتبدو مسكنتى في يوم يبدو فيه الفنى والفقر والوازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر لو عنيتم به النجوم لانكدرت ولو عنيتم به الجبال لدايت ولو عنيتم به الأرض لشقةقت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم سائرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا يطويل والموت من الإنسان قريب ولانقص في كل يوم منه نصيب وللبلاء في جسمه ديب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمه خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول جعل أمه بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال عبد الله بن محبب سمعت أبي يقول أيها الغر بطول محنته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها الغر بطول المهلة أما رأيت ما خذا قط من غير عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبا الصحة تتفرون أم بطول العافية ترحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظرا لنفسه قبل نزول الموت . وقال أبو بكر الصديق فيما سأل ابن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتى يوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك وانصرت من حرصك وحيلك وإعما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلحك أهلك وحشمتك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسانك زائد فاعمل

فينعمان عند صاحب
الإيمان لنقصان الحظ
من القلب وعند صاحب
الفناء والبقاء والقرب
لتخلصه من القلب
وقد يرد على الباطن
قبض وبسط ولا
يسرف سببها ولا
يخفى سبب القبض
والبسط إلا على قليل
الحظ من العلم القدي
لم يحكم علم الحال ولا
علم المقام . ومن أحكم
علم الحال والمقام لا يخفى
عليه سبب القبض
والبسط وربما يشبهه
عليه سبب القبض
والبسط كما يشبهه عليه
الهم بالقبض والنشاط
بالبسط وإعما علم
ذلك لمن استقام قلبه
ومن عدم القبض
والبسط وارتقى منهما

ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فيكي سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذرك متحولك من دار مهلكك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك ويتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقه وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبليتك صيحة الحشر وتفتح الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحث الأسرار وأسمرت النار ووضعت الموازين وجرى بالنيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالكم يومئذ في هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فاعلمنا نحن به وله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز حمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلعوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم غاب وشقي غدا عيدا أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وقانيا ياق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غدا ياورعنا إلى الله عز وجل قد قضى نحبنا واتقطع أمه فتمضمونه في بطن صدع من الأرض غير موسى ولا محمد قد خلع الأسباب وفارق الأحياب وواجه الحساب وإيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكننا سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته وأستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يميني حق بليت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أما في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أ كفاك قد خرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانقبذ قعده ناحية وهي تدفن جثت قعدت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد نصر عليه البعد ومن طال أمه ضف عمله وكل ما هو أنت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشظك عن ربك فهو عليك مشيئ ومعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما عطفون ويفرحون بما يقدمون لما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نموذبا لله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يهرب وكم من مقيم مفتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضر تكم من الثقة وتزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كئيب ظلال قلبي فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قدير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه يوم حنقه فسلبه آثاره وديناه وصير لقوم آخرين مصانعه ومضاه إن الدنيا لا تسر بقدر ماتضر إنما تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

نفسه مطمئنة
لا تنفد من جوهرها
فان توجب القبض ولا
يتلاطم بحر طبعها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط وربما
صار لئلا هذا القبض
والبسط في نفسه لا من
نفسه فتكون نفسه
المطمئنة بطبع القلب
فيجري القبض
والبسط في نفسه
المطمئنة وما لقلبه قبض
ولا بسط لأن القلب
متحصن بشعاع نور
الروح مستقر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها الفناء
والبقاء) قد قيل
الفناء أن يفنى عن
الخطوط فلا يكون له
في شيء حظ بل يفنى

أنه كان يقول في خطبته أين الوضاعة الحسنة وجوههم للمحبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدن
وحصنوها بالخيطان أين الذين كانوا يملطون القلبة في مواطن الحرب قد تضع بهم الدهر فأصبحوا
في ظلمات القبور الواحاً الواحاً النجا النجا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها
وشبهواتها ولذاتها وعلاقتها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها
وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه والآنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبدياً بما يوافق مراده
وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج
إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كغاطي هذا الفكر موقوفاً
عليه فلمه عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد
له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخاً
فاذا صار شيخاً قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة
أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكنه أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك
فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يغوص في شغل إلا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخرى وهكذا
على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطئه النية في وقت
لا يحتسبها فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزننا من سوف
والسوف السكين لا يدري أن الذي يدعو إلى التسويف اليوم هو معه غداً أو عما زاد بطول الله
قوة ورسوخاً ويظن أنه يتصور أن يكون للخائف في الدنيا والحافظ لها فراغاً فطويهاً فما يفرغ
منها إلا من أطرحها :

فما قضى أحد منها لبائسه وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ « أحب من أحببت فانك
مفارقة (١) » . وأما الجهل فهو أن الإنسان قد يعود على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس
يتفكر السكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشباب
أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا
يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فائما يقع فجأة وإذا
مرض لم يكن الموت بعيداً ولتفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب
وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار أعظم استشهاده واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب
فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز
ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه
فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فإنه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر
وسيله أن يفتيس نفسه بغيره ويهمل أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يشطى
به لحد قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل
وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسبب الحكمة

(١) حديث أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

عن الأشياء كلها
شغلا بمن في فيه
وقد قال عامر بن
عبد الله لأبالي
امرأة رأيت أم حاططاً
ويكون عفوفاً فيها
فله عليه مصروفاً
عن جميع الخالقات
والبقاء يعقبه وهو
أن يغنى عماله ويتقى
بما لله تعالى . وقيل
الباقى أن تصير
الأشياء كلها له شيئاً
واحداً فيكون كل
حركته في موافقة
الحق دون مخالفة
فكان قائماً عن
المخالقات باقياً في
المواقفات . وعندى
أن هذا الذي ذكره
هذا القائل هو

الباقية من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطيئة هو الذي يمسح عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استبكت أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منفس فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يعتسبوا أماناً كان مستعداً قد فاز فوزاً عظيماً وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خساراً مبيناً فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لاهالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر أن الدود يبدأ بعدته التي أولاً والبسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وواله منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأنكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً قال الله تعالى - يودّ أحدكم لو يعمر ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى المهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقيل مأم (١)» ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكفيه استغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا للتهارة وأماله فلا قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأني فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ «يا عبد الله إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمشاء وإذا أمسيت فلا تذكر نفسك بالصباح» ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول املئ لا أبلفه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبمها أخرى (٢) وكما نقل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يمينا وشمالاً فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك الموت من أي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

(١) حديث الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترقتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقيل مأم لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال الشيخ شاب على حب اثنين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبمها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضيف .

مقام صحة التوبة
النصح وليس من
الفناء والبقاء في شيء
ومن الإشارة إلى الفناء
ماروى عن عبد الله
ابن عمر أنه سلم عليه
إنسان وهو في الطواف
فلم يرد عليه فشكا
إلى بعض أصحابه فقالا
له كنا نترأى الله في
ذلك المكان . وقيل :
الفناء هو التوبة عن
الأشياء كما كان فناء
موسى حين تجلى ربه
للجبل . وقال الحراز :
الفناء هو التلاشي
بالحق والبقاء هو
الحضور مع الحق .
وقال الجنيد : الفناء
استجماع الكل عن
أوصافك واستئصال
الكل منك بملكته

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة - ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في البادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يفل عنه ساعة فليست معد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يأسكين فإن السيرحات بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهات فيه .

(بيان البادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فلا استعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكاملها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنع من مبادرة العمل أبدا فإنه أبدا يرى لنفسه متسما في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال عليه السلام « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرماء قيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة أو الساعة أدهى وأمر » (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يمظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (٣) أي أنه لا يستنهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سعادة الله غالية ألا إن سعادة الله الجنة » (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه » (٥) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة » (٦) وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الوعد » (٧)

(١) حديث ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقرا منسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غناه الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ للصف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدی مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة الحديث الترمذي وحسنه ابن حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي بإسناد فيه لين .

وقال إبراهيم بن
شيبان علم الفناء
والبقاء يدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
كان غير هذا
فهو من الخاليط
والزندقة . وسئل
الحراز ما علامة
القائي ؟ قال علامة من
ادعى الفناء ذهب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل الفناء
في الفناء صحتهم أن
يصحبهم علم البقاء
وأهل البقاء في البقاء
صحتهم أن يصحبهم
علم الفناء .

واعلم أن أقاويل
الشيوخ في الفناء

وقال ابن عمر «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع» (٢) وقال جابر «كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسيبتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه» (٣) وقال ابن مسعود رضى الله عنه «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر انفسح قليل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الفروور والالابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» (٤) وقال السدى - الذي خلق الموت والحياة ليولكم أيكم أحسن عملا - أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل وتصدىق ذلك قوله تعالى - إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر - في الموت وقال سعيد مولى بن تميم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرحنى بحاجتك فاني أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال قممت عنه وقام إلى صلاته ومرداود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج نفسي قال عمر رضى الله عنه التؤدة في كل شيء خبر إلى أعمال الخير للآخرة ، وقال النضر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أجمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في مواعظته المبادرة البادرة فأنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تنفرون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية - إنما نعد لهم عذابا - يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهدا شديدا قليل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخيل إذا أرحلت تقارب رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلى أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات، وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيحب بهم ثاقبوا وعلوا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر للدؤان غائبا يجد به الجديدان الليل والنهار جرى بسرعة الأوبة وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم ثوبته وغلب شهوته فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يئنه التوبة ليسوفها ويزين إليه العصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به في الهاجرة على ذي غفلة العبد فيغلب كون

والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء الخالقات وبقاء للواقعات وهذا يقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف للذمومة وبقاء الأوصاف الحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحرق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل القلب انفسح الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في المستدرک وقد تقدم .

أن يكون عمره عليه حجة وأن تردبه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تنصربه
عن طاعة الله معصية ولا يهمل به بعد الموت حسرة إنه مبيع الدعاء وإنه بيده الخير دائماً فما لم يشاء وقال
بعض المفسرين في قوله تعالى - فنتم أنفسكم - قال بالشهوات واللذات - وتربصتم - قال بالتوبة - وارتبتم -
قال شككنكم - حتى جاء أمر الله - قال الموت - وغرکم بالله الغرور - قال الشيطان . وقال الحسن
تصبروا وتشددوا قائما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب
ولا يلتفت فأتفلوا بأصالح ما يحضر تكم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله
عارية والضيف مرتحل والغارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات
فيه فقال مرحبا بكم وأهلا بكم الله بالسلام وأهلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم
وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه
الأذن فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة
ولكن رفع له علم فشمم إليه الوحا الوحا النجا النجا اعلام تخرجون أيتهم ورب الكعبة كأنكم والأمر
معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلتا ولزق بالأرض واجتهد في العبادة
وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك^(١) . وقال عاصم الأحول
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك
دونهم ولا تنقل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك النهار في لاشيء فإن الأمر يحفظ عليك ولم تر شيئا
قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم .

(الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عنده)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد للسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت مجرد هال كان
جدرا بأن يتفحص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقها بأن يطول فيه
فكره ويعظم له استمداده لاسما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب يبدسواك لا تدرى
متى يفشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استمد له قبل أن يفجأك والعجب أن
الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس
خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدده أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات التزع وهو عنه غافل لما لهذا سبب الإلهول والغرور . واعلم أن شدة الألم في سكرات
الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فاعلم يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما
بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو
لأرواح فيه فلا يحس بالألم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح
أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم
ذلك الألم وما أشده . والتزع عبارة عن مؤلم تزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق
جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي
يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر
الاحتراق لأن أجزاء النار تنوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث
ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى
على كون العبد وهو
ينقسم إلى فناء ظاهر
وفناء باطن فأما الفناء
الظاهر فهو أن
يتجلى الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأفعال
ويستلب عن العبد
اختياره وإرادته فلا
يرى لنفسه ولا لغيره
أملا إلا بالحق ثم
يأخذ في المعاملة
مع الله تعالى بحسبه
حتى سمع أن بعض
من أقبح في هذا
المقام من الفناء كان
يبقى أياما لا يتناول
الطعام والشراب حتى
يتجرد له ففعل
الحق فيه ويقبض
الله تعالى له من

وباطنا لإلوتصيه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم . وأما الجراحة فأنما تصيب للوضع الذي منه الحديد قطع فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فآلم التزعج بهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه التزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من العرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان التناول للبشر نفس الروح وأنما يستنثى المضروب ويصبح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وأنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتساعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهذه كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك له قوة الاستغانة . أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغانة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارجا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربدا حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأذنيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح التآلم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فبردا ولا قدما ثم ساقا ثم غداءه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فئذ ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويطلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تقبل توبة العبد ما لم يفرغ» (١) وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - قال إذا عاين الرسل فئذ ذلك تبدوله صفحة وجهه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت» (٢) والناس إنما يستعبدون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين ادعوا الله تعالى أن يهون على هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفا من الموت على الموت. وروى أن نورا من بني إسرائيل صرا وبقرة فقال بعضهم لبعض لودعوتهم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم رجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأييت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى أنه عليه السلام كان يقول «اللهم إنيك تأخذ الروح من بين العصب والعصب والأنامل اللهم فأعني على الموت وهوّنه عليّ» (٣) وعن الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال

يطعمه وبقية كيف شاء وأحب وهذا لعمري فناء لأنه في عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري

(١) حديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر (٢) حديث كان يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنيك تأخذ الروح من بين العصب والعصب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعبة ابن غيلان الجعفي وهو معتل سقط منه الصحابي والتابعي .

هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف^(١)». «وسئل صلى الله عليه وسلم عن اللوت وشدته فقال إن أهون اللوت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف^(٢)». «ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم ما يلقي مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته^(٣)» وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم اللوت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالناشير وقرض بالمقاريض وعلى القديور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتفقوا بيش ولا قدوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه اللوت ليبلغ بسكرات الموت وكرهه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجزبه هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفة فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون اللوت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من قف إبرة وقال صلى الله عليه وسلم «موت القبأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر^(٤)» وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو أن شجرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا بأذن الله تعالى لأن في كل شجرة للوت ولا يقع اللوت بشيء إلا مات^(٥)» وروى «لو أن قطرة من ألم اللوت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت^(٦)» وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت اللوت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت اللوت قال وجدت نفسي كالصفور حين يقلى على القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير. وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تلسخ يد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه كان عنده قدح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات الموت^(٧)»

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغصته وأله فقال هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث مثل عن اللوت وشدته فقال إن أهون اللوت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلًا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم ما يلقي مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد ابن عمير مرسلًا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت القبأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولأبي داود من حديث خالد السلمي موت القبأة أخذة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شجرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما اتوا الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت من رواية أبي ميسرة رفعه وفيه لو أن ألم شجرة ، وزاد وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على اللوت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٦) حديث لو أن قطرة من اللوت لو وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجده أصلاً ولعل للصف لم يورده حديثاً فانه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قدح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات اللوت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون بقاء التخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى أن ذلك من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان فى الصلاة فوقمت أسطوانة فى الجامع فأنزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه فى الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقعها فهنا هو الاستغراق والفناء باطننا ثم قد يتسع وعاءه حتى لعله يكون

وقاطمة رضى الله عنها تقول واكرىاه لسكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيك بعد اليوم^(١) وقال عمر رضى الله عنه لسكرب الأخبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كمنصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بقرق ثم جذبه رجل شديدا فاجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقتى وأفارقك إلى يوم القيامة^(٢) » فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن للممككون في المعاصى وتوالى علينا من سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة النزاع كاذكرناه . الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي قبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته ، فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن ترى صورتك التي قبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطبق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فتنش على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت لإصورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في النار قالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهلب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه^(٣) » وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجمعة فضر بها برجله فقال تكلمى بأذن الله قالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرى رملكى إذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى إليه فإليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وإليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها الصاة ويكتفها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزاع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنفص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما اللطيف فانه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربيها فقال أنا ربيها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترى الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب قد ذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة المالكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يترأى له ملكاه

(١) حديث إن فاطمة قالت واكرىاه لسكربك يا أبت الحديث البخارى من حديث أنس بلفظ واكرىه أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرىاه (٢) حديث إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض الحديث رواه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد بإسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه .

متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله يباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للاذن هو باقى والباقى في مقام

السكرات عملها فان كان مطيعا قال له جزاك الله عنا خيرا قرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لا جزاك الله عنا خيرا قرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر البت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا. الداهية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فاتهم في حال السكرات قد تمأذلت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسموا التهمة ملك الموت بأحد البشريين إما أشر يا عدو الله بالنار أو أشر يا ولي الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الأبواب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب لقاءه ^(٢) » وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظري ساعة هي قيام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي يمنة أم بئرا ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله إذا رضى عن عبد قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه ذرعه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة سفينة لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول أمانتوني هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصوما ^(٣) » وقال الحسن لأرواح المؤمنين إياي لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قبل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخواناه عليكم السلام إلى النار أو إلى فؤاد الله وتمنى بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يميت ثواب ولا عقاب . يخوف سوء الخاتمة قطع

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن أبي موقوفا لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى على عبده قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرجمه الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع وللإمامي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت أتمه ملائكة الرحمة بحريرة يضاء فيقولون اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث .

لا يحجب الحق عن
الحق ولا الخلق عن
الحق والفاني محبوب
بالحق عن الخلق
والفناء الظاهر لأرباب
القلوب والأحوال
والفناء الباطن لمن
أطلق عن وثاق
الأحوال وصار بالله
لا بالأحوال وخرج
من القاب فصار مع
مقلبه لأمع قلبه .
[الباب الثاني والستون]
في شرح كلمات مشيرة
إلى بعض الأحوال في
اصطلاح الصوفية
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي بن سليمان
إجازة قال أنا أبو الفضل
أحمد بن أحمد قال أنا
الحافظ أبو نعيم

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الوضع ، ولكننا لانطول بذكره وإعادته .
(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويشتت شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط الخنوق وأحمر لونه وارتدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ^(١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ^(٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهديم ما قبلها من الخطايا ^(٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ^(٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : أحضرنا أموتاكم وذكرهم فأنهم يرون مالا يرون ولقنوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحية فوجد طرف لسانه لا صفا بخنكه يقول لا إله إلا الله ففصر له بكلمة الاخلاص ^(٥) » وينبغي للملقن أن لا يلج في التلقين ولكن يُلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استئفاله التلقين وكراهيته للكلمة ويغشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغولاً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكن أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ^(٦) » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجحدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا

الأسفها قال تاج محمد ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم الكشي قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من معادن التقوى تملك إلى ما قد علمت علم مالم تعلم والتقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما زهد الرجل في علم مالم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم » فتشايخ الصوفية أحكوا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فطمعهم الله تعالى مالم

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهديم ما قبلها تقدم (٤) حديث من بات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين وللطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وصفي في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طاحه وهو ضيف (٦) حديث دخل واثلة ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

للوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف^(١) وقال ثابت البناني كان شاباً به حدة وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كثيراً للمروق وإني لأرجو أن لا يدمني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصني بشي ، قال نعم خاتمي لاسليبيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن روى في اللام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نعتني وأن الله قد غفر لي . ومريض أعرابي قيل له إنك تموت فقال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال لما كراحتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو العتمر بن سليمان قال أي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعل ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للبعد عمارن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه .

(بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح بأذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام ملك الموت عليه السلام مالي لأراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي مصحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فعدا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفع في منخره نفخة ففلا . كبراً ثم سار وسارت معه الحيل وهو لا ينظر إلى الناس كبرافجاء رجل رث الهيئة فلم ير عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تماطيت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال امبر حتى أنزل قال لا الآن قهره على اللجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فساروه وقال أنا ملك الموت فخير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتهلك أبداً قبض روحه فخر كأنه خشية ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساروه وقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته على فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال قد رضى ذلك قال نعم إنني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي ثم أقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتى بشيء كثيراً من الخيل والأبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى فتمسحاً عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فو الذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهاات انقطعت عنك المهلة فهل كان ذلك قبل حضور أجلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذ وأبني قصراً وجعل عليه بايين وثيمين وجمع عليه حراماً من غلماناً ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقصد على سريره ورفع إحدى رجله على الأخرى وهم يأكلون .

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي الحديث تقدم .

يسلوا من غرائب
العلوم ودقيق الاشارات
واستنبطوا من كلام
الله تعالى غرائب العلوم
وعجائب الأسرار
وترسخ قدمهم في العلم
قال أبو سعيد الخزاز
أول الفهم لكلام الله
العمل به لأن فيه العلم
والفهم والاستنباط
وأول الفهم إلقاء السمع
والمشاهدة لقوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شريد .
وقال أبو بكر الواسطي
الراسخون في العلم هم
الذين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب وفي
سر السر ففهمهم
ما عرفهم وأراد منهم
من مقتضى الآيات

فلما فرغوا ، قال ياتمس انعمي لسنتين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يخرج من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه محلاة يتشبه بالمساكين قمرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعوه وهو على فراشه فوثب إليه الضمان وقالوا ماشأناك فقال ادعوا إلى مولانا كم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فسلم به وفعلتم قمرع الباب قرعة أهد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه آتى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولانا القتل والتخضع فقال قولوا له قولنا لنا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتي عن عبادة ربى ومنعتنى أن آتخلى لربى فأنطق الله إليك فقال لم تصبى وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد التقي عن بابهم وكنت تتسكع التتمعات بي وتجلس مجالس اللوك بي وتتفقى في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو آتقتنى في سبيل الخير شغلتك خلقت وابن آدم من تراب فتطلق يرد ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فقطع وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت اللائكة لمن كنت أشد رحمة بمن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأثبتها وقد ولدت مولودا فرحمها فثربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا تمتهد له بها فقالت اللائكة الجبار الذى قبض الآن روحه هو ذلك الولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فإن البعد ليعرس القراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بضادى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا يبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهبوا عن منبتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس في منزله قد خلا بعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فنار إليه فزعا مضطبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالى لا يمنع منى الحجاب ولا أستأذن على اللوك ولا أخاف مولاة للتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مرید قال فسقط في يد الجبار وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذلا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهل حتى أحدث عهدا قال هيأت انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك وتعدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته قال فإنى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فإنى لظي نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وبك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء القلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خزيمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال أقدر أيتيه ينظر إلى كانه يريدنى قال فماذا تريد قال أريد أن تغلصى منه فأمر الریح حتى تحملنى إلى أقصى الهند ففعلت الریح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى . قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك ففعلت من ذلك.

مالم يرد من غيرهم
وخاضوا بحر السلم
بالفهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الحزائن
والخزون تحت كل
حرف وآية من الفهم
وعجائب النص
فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا
بالحكمة . وقد ورد
في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فما رواه سفيان بن
عيينة عن ابن جريج
عن عطاء عن أبي
هريرة أنه قال إن من
العلم كهيئة المسكون
لا يملأه إلا العلماء بالله
فإذا انطقوا به لا ينكره
إلا أهل النيرة بالله .
أخبرنا أبو زرعة قال

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وفلاوقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الوكلاء ببعض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعلجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في التزع كربه وظهر آنيته وترادف قلته وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط فماله وعينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دائما عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل ساعه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجدته في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والخواص للورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالجيب أنا لا نعتبر به ولنا على ثقة فيها نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء العاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المؤمنين وحبيب رب العالمين لعنا نظن أننا مخلدون أو توم أنامع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيات بل تيقن أناجيما على النار واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللاصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لنال الظن منتظرين لما نحن والله من التيقن وقد قال الله رب العالمين - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الدين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - فلينظر كل عبد إلى نفسه انه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وقفوا له من الحقائق ثم انظر إلى سيد المرسلين فانه كان من أموره على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنسة المأوى قال ابن مسعود رضي الله عنه «دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله إلى لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في بلاءه وعبادته وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنسة المأوى وإلى السكاس الأولى فاقروا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله (١) ». وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته «من لأمتي بعدى

(الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث رواه البزار وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن الأصماني لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت وقد روى من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود وروناه في مشيخة القاضي أبي بكر الأنصاري من رواية الحسن العربي عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العربي إنما يرويه عن مرة كرواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

أنا أبو بكر بن خلف
قال ثنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت الصراباذي
يقول سمعت ابن عائشة
يقول سمعت القرشي
يقول هي أسرار الله تعالى
ييدها إلى أمناه وأوليائه
وسادات النبلاء من
غير جماع ولا دراسة
وهي من الأسرار التي
لم يطلع عليها إلا
الخواص . وقال
أبو سعيد الخزاز
للعارفين خزائن
أودعها علوما غريبة
وأبناء محمية يتكلمون
فيها بلسان الأبدية
ويخبرون عنها ببارة
الأزلية وهي من العلم
المجهول بقوله بلسان
الأبدية وعبارة الأزلية
إشارة إلى أنهم بالله

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذه في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بشوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني (١) وقالت عائشة رضي الله عنها «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فغسل بالناس واستغفر لأهل أهدودها لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هبتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيبى التي أوتيت إليها فأكرموا كريمهم يعني عمنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم ثم قال إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر وأهذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم امرأة أفضل عندى في الصعبة من أبي بكر (٢) قالت عائشة رضي الله عنها «قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريتى وريحه عند اللوت فدخل على أخى عبد الرحمن ويده سواك فجعل ينظر إليه ففرقت أنه يسجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأوماً برأسه أن نعم فتناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت أليه لك فأوماً برأسه أن نعم فليتنه وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن اللوت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذن والله لا اختارنا (٣) وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد تقلباً أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بذلك ثم دخل عليه على رضي الله عنه فأعلمه بمكانه فد يده وقالها فتناولوه فقال ماتقولون قالوا تقول نخشى أن تموت وتصاح نساؤم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكفاً على طى والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وماتسكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم هل خلدني قبلى فيمن بعث فأخذه فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله عز وجل قال - والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا - إلى آخرها وإن الأمور تجري بأذن الله فلا يحملك استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لمجدة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه - فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتى بعدى فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذه في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتى المصطفاة من بعدى قال أشير يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفسى وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فغسل بالناس واستغفر لأهل الدارمى في مسنده وفيه إبراهيم بن الحنار مختلف فيه عن محمد ابن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالنعنة (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريتى وريحه عند اللوت الحديث متفق عليه .

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «بي ينطق» وهو العلم اللدنى الذى قال الله تعالى فيه في حق الخضر - آتيناها رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما - فماتداولته ألسنتهم من الكلمات ففهموا من بعضهم لبعض وإشارة منهم إلى أحوال يعبدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والفرقة قيل أصل الجمع والفرقة قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فهذا جمع ثم فرق فقال ولللاسلكة وأولوا العلم سو قوله تعالى - آمنا بالله - جمع ثم فرق بقوله - وما أنزل إلينا - والجمع أصل والفرقة

أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الفخار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخاصة
ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من أحسنهم وليتجاوز عن سيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم
ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الخوض حوضي أعرض مما بين بصري الشام
وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد يابضا من اللبن وألين من الزبد وأحل من الشهد
من شرب منه لم يظلمأ أبدا حضاؤه اللؤلؤ وبطحاؤه للسك من حرمة في للوقف غدا حرم الحيرة
ألا فمن أحب أن يردني على غدا فليكنف لسانه ويده إلا عما ينبغي فقال العباس ياني أله أوص بقرش
قال إنما أوصي بهذا الأمر قرشا والناس تبع لقريش برم لبرم وفاجرهم قاجرهم فاستوصوا
آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن القنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برم آثمهم
وإذا فجر الناس عقومهم قال الله تعالى - وكذلك نولي بعض الظالمين بضامنا كانوا يكسبون (١) »
وروى ابن مسعود رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر
قال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتبدل ليتهك ياني الله ماعد الله فليتشمري
عن منقلبنا فقال إلى الله وإلى مدرة للنهي ثم إلى جنة للأوى والفردوس الأعلى والسكاس الأوفى
والرفيق الأعلى والحظ والميش اللهمنا فقال ياني الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتي الأدي فالأدي
قال فقيم نفسك ؟ فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي ياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا
وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسستموني وكفتموني فضعوني
على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من صلى على الله عز وجل هو
أدنى صلى عليكم وملائكته - ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله
ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك اللوت مع جنود كثيرة ثم للملائكة بأجمعها صلى
الله عليهم أجمعين ثم أتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني
بزيكة ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدي فالأدي ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان
قال فمن يدخلك القبر ؟ قال زمر من أهل بيتي الأدي فالأدي مع ملائكة كثيرة لارونهم وهم يرونكم
قوموا فأدوا عني إلى من بدي (٢) » وقال عبد الله بن زمة جاء بلال في أول شهر ربيع الأول فأذن
بالصلاة فقال رسول الله ﷺ « مروا أبا بكر يصلى بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في
رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت تم يا عمر فصل بالناس مقام عمر فلما كبر وكان رجلا صبيحا سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر ياني الله ذلك والسلمون قالها ثلاث
مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق
القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال إنكن صويحات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس

(١) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزداد تقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلمه بكانهم وإشفاقهم فذكر الحديث في خروجه متوكئا
محبوب الرأس يخط رجله حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبن قد كثر خطبته بطولها هو حديث
مرسل ضيف وفيه نكارة ولم أجده أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعي. روى عن
ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفي أبيه سعيد ليس بالقوى (٢) حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لأبي بكر سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل الحديث في
سؤالهم له من يلى غسلك وفيهم نفسك وكيف الصلاة عليه رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد
ابن عمر وهو الواقدي باسناد ضعيف إلى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كاتقدم.

فرع لكل جمع
بلا بخرقة زندقه
وكل بخرقة بلا جمع
تعطيل . وقال الجنيدي
القرب بالوجد جمع
وغيته في البشرية
بخرقة وقيل جمعهم في
المرقة وفرقهم في
الأحوال والجمع اتصال
لا يشاهد صاحبه إلا
الحق فني شاهد غيره
لما جمع والفرقة مشهود
لمن شاء بالمباينة
وعباراتهم في ذلك
كثيرة والمقصود أنهم
أشاروا بالجمع إلى
تجريد التوحيد
وأشاروا بالفرقة إلى
الاكتساب فلي هذا
لا جمع إلا بفرقة
ويقولون فلان في عين
الجمع ينون استيلاء

قال صلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بذلك وعحك ماذا صنعت بي والله لولا آتي ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت فيقول عبد الله إنني لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرقت عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والمأساة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويغفون عليه ويتشاءمون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءؤه وعصمه الله من كل ما غوفت عليه من أمر الدنيا والدين (١) وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائحهم يستبشرون وأخلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاء فيينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجني عن هذا الملك يستأذن على فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجرى وجلست وتحتيت في جانب البيت فاجى الملك طويلا ثم إنه دعاني فأدور رأسه في حجرى وقال لئنؤة ادخلني قتلته ما هذا يحسن جبريل عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فإذا أمرتك قلت اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجنا وكأنا ضربنا بصخرة مانعير إليه شيئا وما يتكلم أحدهم أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملائ أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فلم تعرفت حبه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرقا وأن يتم كرامتك وشرقا على الخلق وأن تكون سنة في أمك قال أجدنى وجا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يملكك ما أعدلك فقال يا جبريل إن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاقى ألم يملك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاقى قال فلا تبرح إذن حتى ييمى وأذن لئلاء قال بافاطمة ادنى فأكبى عليه فاجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبى عليه فاجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها هجيا فأسألتها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فكبى ثم قال إنى دعوت الله أن يملكك بى فى أول أهلى وأن يملكك معى فضحكى وأدنت ابنها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك سأمرنا يا محمد قال الخلق ربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاقى ولم يتردد عن أحد ترده عنك

(١) حديث عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال الذى صلى الله عليه وسلم مروا أبابكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبوبكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبابكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل فى أول ربيع الأول وقال مروا من يصل بالناس وقال يابى الله ذلك وللؤمنون مرتين وفى رواية له فقال لا لا لا يصل للناس ابن أبى قحافة يقول ذلك مضطربا وأما ما فى آخره من قول عائشة فى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله إن أبابكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال إنك من صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس .

مراقبة الحق على باطنه
فاذا عاد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة
فضحة الجمع بالتفرقة
وصحة التفرقة بالجمع
فهذا يرجع حاصله
إلى أن الجمع من العلم
بالله والتفرقة من العلم
بأمر الله ولا بد منها
جميعا . قال للزين
الجمع عين القضاء بالله
والتفرقة العبودية
متصل بعضها ببعض
وقد غلط قوم وادعوا
أنهم فى عين الجمع
وأغاروا إلى صرف
التوحيد وعطلوا
الاكتساب فترددوا
ولما الجمع حكم الروح
والتفرقة حكم القالب
وما دلم هذا التركيب
باقيا فلا بد من الجمع

ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بآذن غيرك ولسكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بيث عهد بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يمت إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقا قالت قصمت إلى النبي ﷺ حتى أضاع رأسه بين يدي وأمسكت بصدري وجعل يغمي عليه حتى يثلم وجهته ترشح رشحا مارأيته من إنسان قط فجعلت أسلت ذلك الغرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جهتك من الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتبنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه إلى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وإنما صدم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغشى عليه قال بل الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة

(١) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوالهم مستبشرين وأخبروا رسول الله ﷺ بالنساء فينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجني عنى هذا للكم يستأذن على الحديث بطوله في مجيء ملك الموت ثم ذهبه ثم مجيء جبريل ثم مجيء ملك الموت ووفاته صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذنه في قبضه فقال يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في صحاء الدنيا والآخرة يزونه فيك فلما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقمع عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن يا ملك الموت فأتته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فدنا ملك الموت بسالج قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكسر وفيه عبد النعم بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضا متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني أيضا من حديث الحسين بن علي أن جبريل جاءه أولا فقبضه عليه عن ربه كيف تمجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما أمرت به وهو منكسر أيضا وفيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولا واستئذنه قوله إن ربك يقرئك السلام فقال ابن جبريل فقال هو قريب مني الآن يأتي فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكسر الحديث (٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والتفارقة . وقال الواسطي إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت . وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان بلا جمع ولا تفرقة . وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة أنه إذا أثبت لنفسه حكما ونظرا إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء للحق فهو في الجمع وبمجموع الاشارات يفي أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر إلى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فإذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل أبي فماليق من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها «لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاتوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتعنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يرجعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبعد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يبعد رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهل طبت

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ اللائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت الحديث إلى قوله عند ربكم تختصمون لم أجده أصلاً وهو منكرو (٢) حديث بلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه قبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين الحديث إلى آخر قوله وكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ البخاري ومسلم من حديث عائشة أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيم رسول الله ﷺ وهو منثنى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه قبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد منها ولهما من حديث ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر لفظ البخاري فيها .

أثبت طاعته نظرا
إلى كسبه فرق وإذا
أثبتها بالله جمع وإذا
تحقق بالفناء فهو
جمع الجمع ويمكن أن
يقال رؤية الأفعال
تفرقة ورؤية الصفات
جمع ورؤية الذات جمع
الجمع . سئل بعضهم
عن حال موسى عليه
السلام في وقت
الكلام فقال : أفنى
موسى عن موسى فلم
يكن لموسى خبر
من موسى ثم كالم
فكان الكلام والكلم
هو وكيف كان
يطبق موسى حمل
الخطاب ورد الجواب
لولا بإياه جمع ومعنى
هذا أن الله تعالى
منحه قسوة بذلك

حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة فغطت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكند وادكار محالفان لا يرحان اللهم فأبغنا عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلقت من السكينة لم يتم أحد لما خلقت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحظه فينا (١) . وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عجب أهل البيت عجبا سمع أهل الصلي كلًا ذكر شيئا ازدادوا لما سكن عجبهم إلا تسليم رجل على الباب صبت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عناية فآله فارجوا وبه فتموا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته بأهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى القعاقع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والقول فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحظه فينا ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر باسناد ضيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في معجم التذرية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عناية فآله فارجوا وبه فتموا ثم صموا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر واليسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الحضر في التذرية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت على قدر رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصحبه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يكون فدخل عليهم رجل طويل شعر للتكفين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك قال في الله تعالى فأنبيوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فان للصاب من لم يجبره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فظفروا بميتنا وشمالا غم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخو نبينا عليه السلام جاء يمزينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أت نسبح حسه ولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فآله فقفوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي تدرؤن من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمروفي عن علي بن الحسين مرسل من غير ذكر على كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الحضر.

القوة مع ولولا
تلك القوة ما قدر
على السمع ثم أنشد
القائل متملا :
وبدا له من بعد
ما اندمل الهوى
برق تألق موهبا
لمانه
يندو كحاشية الرداء
ودونه
سحب القدرى متضنع
أركانها
فبدا لينظر كيف لاح
فلم يطق
نظرا إليه ورده
أشجانه
قالنار ما اشتملت عليه
خلوعه
وللاء ما صبحت به
أجانه
ومنها قولهم التحلى
والاستثار . قال الجنيدي

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وعلب الأحزاب وحده الله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كأنزل وأن الدين كاشعر وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قل وأن الله هو الحق المين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومغافاتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الحير وإمام الحير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابشبهه مقاماً محموداً يعطيه به الأولون والآخرون وانفضا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يموت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً فإن الله عز وجل قد اختار لنبه صلى الله عليه وسلم ماعنده على ماعندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشفلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا أو كذا أو يوم كذا : كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإنهم ميتون - فقالوا له لكأنني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت - إنا لله وإنا إليه راجعون - وصلوات الله على رسوله وعند الله نختب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لفصله قالوا : والله ما ندري كيف نفصل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتجرده عن ثيابه كما نضع بموتانا أو ننسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحته على صدره نائم ثم قال لا يدري من هو عسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا نخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نفصل موتانا مستلقيا مانشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يخال فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء وبصوت بنا أرققوا رسول الله ﷺ فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبداً ولا لبداً إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بغير شعوة قطيفة وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة ^(١) في وفاته عبرة تامة للمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرش لحده بغير شعوة وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة أما وضع المفرشة والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بنى في حياته فتقدم أيضاً .

إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلي والتذويب للأولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلي راجع إلى ظهور صفات النفس (ومنها الإستتار) وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس بكال قوة صفات القلب (ومنها التجلي) ثم التجلي قد يكون بطريق الأفعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه

لمسرك ما ينفى التراء عن الفتى إذا حشر جت يوما وضاق بها الصدر
فكشفت عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تخمد - انظروا ثوبى هذين فاعسلوها وكفوني فيها فان الحق إلى الجديد أخرج من البيت .
وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستقى الفمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا ينظرك إليك؟
قال قد نظر إلى طيبى وقال إني ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه
يوجه فقال يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله فاع عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك . واعلم أن
من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخرقن الله في ذمته فيك في النار على وجهك، ولما نقل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخاف عمر رضى الله عنه فقال الناس
له استخلفت علينا فظا غليظا لماذا تقول لربك فقال أقول استخافت على خلقك خير خاقتك ثم أرسل
إلى عمر رضى الله عنه فجاء فقال إني موصيك بوصية . اعلم أن الله حقا في التهار لا يقبله في الليل وأن
الله حقا في الليل لا يقبله في النهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وإنما قلت موازين من قلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ونقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن ينقل
وإما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء ولا يبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون للؤمن راغبا راغبا
ولا يلقي يديه إلى التهلكة ولا يتخنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب
إليك من الموت ولا بذلك منه وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بذلك
منه ولست بمعجزه ، وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زدنا فانا نراك لما بك . فقال أبو بكر من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق البين قالوا وما الأفق البين ؟ قال قاع بين يدي العرش
فيه رياض الله وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا
الكان : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا
للسعير فأجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير . اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت
منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشفق بمصايك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل
أن تخلقها فلا تجعل لها مما علمت فأجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تتحرك شيء
إلا بأذنك فأجعل حركاتي في تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا
يعمل به فأجعلني من خير التسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا
فأجعلني من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيق به صدورهم فأشرح صدري
للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأجني بعد الموت حياة
طيبة وقربني إليك زلفي . اللهم من أصبح وأمسى تمته ورجاؤه غيرك فأنت تقى ورجائي ولا حول
ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل .

لهم ولغيرهم فأما لهم
فلائهم به يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لغيرهم فلا نه لولا مواضع
الاستئثار لم ينتفع بهم
لاستغراقهم في جمع
الجمع وبروزهم لله الواحد
القهار . قال بعضهم
علامة تجلي الحق
للأسرار هو أن لا يشهد
السر ما يتسلط عليه
التصير ويحويه الفهم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
اجلال . وقال بعضهم
التجلى رفع حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستئثار أن تكون
البشرية حائلة بينك
وبين شهود الغيب .
(ومنها التجريد والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر مائني وبينه إلا عبد الله بن عباس وكان إذا مر بين الصنفين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استوا حتى إذا لم يرفهم خلا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار الملعج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد بيننا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن الملعج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله صلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتاني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام الغيرة بن شعبة فقال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني يد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكرمهم رقيقا فقال ابن عباس إن شئت فعلت : أي إن شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلكم وجواحكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال قاتل يقول أخاف عليه وقائل يقول لأبأس فأني ببنيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فزفروا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبتري أمير المؤمنين يشرى من الله عز وجل قد كان لك محبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لاعي ولالي فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أتقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ماعلى من الدين لحسبوه فوجدوه ستة وعشرين ألفا أو نحوها فقال إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا نسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تدهم إلى غيرهم وأدعنى هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تغفل أمير المؤمنين فأتى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدا تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأولاده اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال مالك ذلك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أم إلى من ذلك فإذا أنا قبضت فأحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فوالت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فوالت داخلا فسمنا بكاهها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الامارة سعدا فذاك وإلا فليستن به أيكم أمرفاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصي لخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرماتهم وأوصيه بالأصاخير الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محبتهم وأن يعفوا عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خير أقاتهم رده الإسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإقيادا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنى الأغيار والتفريد بنى نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن حجبها (ومنها الوجد والتواجد والوجود) فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويضيره عن هيبته

وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم وأوصيه بالأعراب خيرا فأنهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حوائج أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بمهدم وأن يقاتلهم من وراءهم ولا يكافهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام لييك الاسلام على موت عمر (١) » وعن ابن عباس قال « موضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى إلا رجلا قد أخذ بمنكبى فالتفت فاذا هو على بن أبي طالب رضي الله عنه ترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وإيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر (٢) » فأنى كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما .

(وفاة عثمان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور قد دخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهى خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين يدي وبين كتفى وقال لى إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشبط عثمان في اللوت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشبط ؟ قالوا معناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قل والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لا يجمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبيكم الذين ألباكم على قال فجئ بهما كأنهما هما حملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستحب غير بر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتهم اليوم يتمنون أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن للسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في السجد بخير منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتهم اليوم يتمنون أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على نبيز بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فحرك الجبل حتى تساقطت حجارتها بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن نبيز لما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أتى شهيد (٣) . وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام لييك الاسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب الشريعة من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى في الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول على بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والفسائى .

وتطلع إلى الله تعالى وهو فرجة يجدها القلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بمرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل : قد كان يطربنى وجدى فأفقدنى عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود والوجد يطرب من فى الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم
إني أستعديك عليهم وأستهينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

(وفاة على كرم الله وجهه)

قال الأصمعي الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها على كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر
يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فماد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على عثرته وهو يقول:

اشدد حيازيعك للموت فان الموت لا يكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول
مالى ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن
علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه
ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ولما نقل الحسن بن علي رضى الله عنه ما دخل عليه الحسين رضى الله
عنه فقال يا أخى لأى شيء تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب وهما أبوك وعلى خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله
وعن محمد بن الحسن رضى الله عنه ما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه موافقاً أنهم قاتلوه قام في أصحابه
خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتسكرت وأدير معروفها
وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصباة الإناء ألا حسبي من عيش كالمرعى الويل ألا ترون الحق لا يعمل به
والباطل لا يفتأهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإني لأرى الموت بالإسعاد والحياة مع الظالمين إلا جرماً .

(الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أتمدون فأتمد فجعل يسبح الله تعالى ويدكره ثم بكى
وقال تذكروا ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضريان وبكى حتى
علا بكأؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة وأغفر الزلة وعد بحلمك
على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه
في مرضه فرأوا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فمل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بمجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثنا الدنيا أن تفتت ذلك منا حالا
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلفتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من
دار ثم أف لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إن من زرع
قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى كما كان من قبلى خيراً منى
ويا يزيد إذا وفى أجلى قول غملى رجلاً ليبياً فان الأبيى من الله بكان فلينعم القمل وليجهر بالتكبير
ثم اعمد إلى منديل في الحزاة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقرضه من شعره وأظفاره
فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذن وعينى واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ويا يزيد احفظ
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدى ووضعتوني في حفرتى غفلوا معاوية وأرحم
الراحمين . وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلاً من قريش بذى طوى
وإني لم آل من هذا الأمر شيئاً . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق
يلوى ثوباً بيده ثم يضرب به لفظة فقال عبد الملك ليبنى كنت غسالا آكل من كسب يدي يوماً يوم

(ومنها الغلبة) الغلبة
وجد متلاحق فالوجد
كالبرق يبدو والغلبة
كتلاحق السبق
وتواتره يغيب عين
للمتخير فالوجد ينطق
سريماً والغلبة تسبق
للأسرار حرزاً منيعاً .
(ومنها السامرة) وهي
تفرد الأرواح بمعنى
مناجاتها ولطيف
مناجاتها في سر السر
بلطيف إدراكها
للقلب لتفرد الروح بها
فتلذذ بها دون القلب
(ومنها السكر والصحو)
فالسكر استيلاء
سلطان الحال والصحو
المود إلى ترتيب الأعمال
وتهذيب الأقوال
قال محمد بن خفيف

(الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين)

ولم آل من أمر الدنيا شيئا قبل ذلك أباحازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضروا الموت لم تمن ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدي كما قال الله تعالى - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وترككم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية ، ومات . وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبدالعزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولوساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعتهم يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين - ثم هدأ فجلست لأسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصر عى هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما ثقل عمر بن عبدالعزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولأنا من الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال رب خير مذهب إليه والله لو علمت أن شقائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناوت له اللهم خر لعمر في ثنائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى قتيلا له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سفنا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأستل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لحففت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا سيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلكموني فأجلسوه فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فصبت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر قتيلا له في ذلك فقال إني لأرى خضرة ما هم بأفس ولا جن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انتهى أ كفافه يده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماله هلك عني سلطاناه وفرش المؤمن رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان العتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت وكان للتصير يضطرب على نفسه عند موته قتيلا له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبيته من يأخذها بما فيها ليه كان بعرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لا تنفرد لي فكان عمر بن عبدالعزيز تعجبه هذه الكلمة منه وبغبطه عليها ولما حكى ذلك للحسن قال أقالها ؟ قيل نعم قال عسى .

(بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين)

لما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لفرس الأشجار ولكن لظما للهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر ولما اشتد به التبع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كما أفاني من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخفتني خفتك فوعزت لك إنك تعلم أن قلبي يحبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى قتيلا له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر غليان القلب
عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواسطي
مقامات الوجد أربعة
الذهوله ثم الحيرة ثم
السكر ثم الصحو كمن
سمح بالبحر ثم دنامته
ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج فقل هذا من
بقى عليه أثر من
سريان الحال فيه
فعلية أثر من السكر
ومن عاد كل شيء منه
إلى مستقره فهو صاح
فالسكر لأرباب القلوب
والصحو كالمصايفين
بعقائق الغيوب .
(ومنها الهو والإنبات)
الهو بإزالة أوصاف
النفس والانبات بما
أدبر عليهم من آثار
الحب كؤوس أو الهو

صلى الله عليه وسلم أن تكون بلفة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب (١) فلما مات سلمان نظرت جميع مارك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناته فقال بل واطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال سئل هذا فيعمل العاملون - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قبيل له مايكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة أو بالنار ولما حضر ابن للسكر الوفاة بكى قبيل له مايكيك فقال والله ما بكى لنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيته شيئا حسبه هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر طاهر بن عبد القيس الوفاة بكى قبيل له مايكيك قال ما بكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يغوتني من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابد سفره واقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لعمر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له مايكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقبرا غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحيني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء ثم قال له لقي ولا تعد على ما لم أنسكم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار تبدي إبليس لرجل عند الموت فقال له نجوت قال ما آمنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت قبيل له مايكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل - إنما يتقبل الله من المتقين - ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل مجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهدي في أوله . وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن ففتحتم قلعت له في هذه الحالة يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي . وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول:

حين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكروا رم وقت للناجاة للسر
أدبرت مكثوس للنبا عليهم فأغفوا عن الدنيا كغفاء ذي الشكر
همومهم جواة بمسك به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو الملائكة
لما عرسوا بالإقرب حبيبهم وما عرسوا من مس يؤس ولا ضر

وقيل للجنيد إن أبا سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بحسب أن تطير روحه احتياقا وقيل لدى النون عند موته ما تشتهي قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو في التزع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله . وقال بعضهم كنت عند محمد بن النورى قدّم قفيل وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجعد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة نواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقت ميتة . ويعك عن فاطمة أخت أبي على الروذبارى قالت لما قرب أجل أبي على الروذبارى وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم ترد هاهنا أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا بسنين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ وبالحد للورد من حياكا

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلفة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم .

محو رسوم الأعمال
ينظر الفناء إلى نفسه
ومامنسه والاثبات
إثباتها بما أنشأ الحق
له من الوجود به
فهو بالحق لا بنفسه
بأثبات الحق إياه
مستأنفا بعد أن
عمده عن أوصافه .
قال ابن عطاء بمحو
أوصافهم ويثبت
أسرارهم (ومنها علم
اليقين وعين اليقين
وحق اليقين) فعمل
اليقين ما كان
من طريق النظر
بالاستدلال وعين اليقين
ما كان من طريق
الكشف والتوال
وحق اليقين ما كان
بتحقيق الانفصال
عن لوث الصلصال

وقيل للجنيدي قل لا إله إلا الله فقال ما نسيت فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما عليّ قلب شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت ففسدت تحليل لحيتي وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيتي ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشر يعقوبيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القوم على الله شديد وقل لصالح بن مسمار ألا تومى بابتك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيرهم ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أبشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له وأوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم احتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عايك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيدي دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجددك فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذى بي أصابني من طيبي

فأخذت الروحة لأروحه فقال كيف يجد ريع الروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول :

القلب يحترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق

يارب إن بك شيء فيه لي فرج فامضني على به مادام بي رمق

وحكى أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول :

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج وجهك المأمول حجتنا

يوم يأتي الناس بالحجج لا أتاح الله لي فرجا يوم أدعو منك بالفرج

وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيدي في وقت نزع فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للسكتاني لما حضرته

الوفاة ما كان عمالك فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتك به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكل عامر

فيه غير الله حجته عنه وحكى عن المعتز قال كنت فيمن حضر الحسين بن عبد الملك حين جاءه الحق

فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال من التلكم؟ فقلت أنا

فقال إن ملك الموت عليه السلام يقول لي إن بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن أسباط

الوفاة شهد حديفة فوجده قلما فقال يا أبا محمد هذا أو ان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق

ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي فقال حديفة واحببوا لهذا الرجل الصالح علف

عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله. وعن المغازي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة

وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارقي بي. ودخل بعض المشايخ على محمد الدينوري

في وقت وفاته فقال له صل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على

الجنة بما فيها لما أعرتها طرفي. وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله فقال لأحسن غيره ولما حضرت

الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر. ودخل للزني على الشافعي رحمه الله عليه ما

في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدينار احلاو ولاخوان

مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس النية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير إلى

الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال

قال فارسي : علم اليقين

لا اضطراب فيه

وعين اليقين هو

العلم الذي أودعه

الله الأسرار والعلم

إذا انفرد عن نعت

اليقين كان علما

بشبهة فاذا انضم

إليه اليقين كان علما

بلاشبهة وحق اليقين

هو حقيقة ما أشار

إليه علم اليقين وعين

اليقين. وقال الجنيدي

حق اليقين ما يتحقق

المبد بذلك وهو

أن يشاهد الغيوب

كما يشاهد المرئيات

مشاهدة عيان

ويحكم على الغيب فيخبر

عنه بالصدق كما أخبر

الصديق حين قال لما

ولسا قسا فلي وضاعت مذاهي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تصاظمي ذنبي فلما قرئت به بعفوك ربي كان عفوك أعظما
لما زلت ذا عفوك عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى إبليس عابد فكيف وقد أغوى صنك آدماء

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لأدري أيفتح بالمادة أو الشقاوة فآن لي أوان الجواب فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يجدون ولا يتفكرون أن المحولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانعرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ولطه في غد أو بعد غد. ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا ناراهمون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له. وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولمامات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم مادمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا ندري إلا متنعما بما كنا فيه فكنا كأننا كنا نرى الموت والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتسكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكرون أقرانه وأذنيه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنيننا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عقلوا بالكواهي أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم فإنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الحاتمة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن العلاء : جلست إلى جريح وهو يملى على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

ثرونا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات

مكروعة ثلة لشار ذئب فلما قاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والتي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الحاتمة عظيمة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن عبد الله أنه مات

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقابر)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أبقيت لميالك » قال الله ورسوله « وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل ليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للموأم وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبيا عليهم الصلاة والسلام وحقبة اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (ومن الوقت والمراد بالوقت ما هو غالب على البعد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا . ويعجى أن رجلا من قتهمكين في القصاد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يسيها على حمل جنازته إذ لم يدبرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت محالين وحملتها إلى الصلي فاصلى عليه أحد خدمتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلت عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبذل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتمل بالفسق ، والثاني أنه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم ، والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث بمنى تهمه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تنج منها تنج من ذى عظمة وإلا فاني لا إخالك ناجيا

(بيان حال القبر وأقاربهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل « يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما ينفى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور (١) » . وقيل أملى كرم الله وجهه ما سألتك جاورت القبرة قال « إنى أجدهم خير جيران إنى أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظرا إلا والقبر أقطع منه (٢) » وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكي وبكيت فقال ما يبكيكم قلنا بكينا بكائك قال هذا قبر أمي أمانة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى على فأدركني ما يدرك الولد من الرقة (٣) »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال من لم ينس القبور والبلى الحديث تقدم (٢) حديث : ما رأيت منظرا إلا والقبر أقطع منه تقدم في الباب الثالث من آداب الصلاة (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر أمية بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي الحديث وتقدم في آداب الصلاة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصرا وفيه أيوب بن هاني ضعه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

ما على العبد وقته
قانه كالسيف يعضى
الوقت بحكمه ويقطع
وقد يراد بالوقت
ما يهجم على العبد
لا يكسبه فيتصرف
فيه فيكون بحكمه
يقال فلان يحكم
الوقت يسعى مأخوذا
عما منه بما للحق.
(ومنه الغيبة والشهود)
فالشهود هو الحضور
وقنا بنت المرافقة
ووقنا بوصف
الشاهدة لآدام العبد
موصوفا بالكشود
والرافقة فهو حاضر
فاذا قد حال
الشاهدة والرافقة
خرج من دائرة
الحضور فهو غائب
وقد ينعون بالغيبة

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لم يعبده أيسر منه وإن لم ينج منه لم يعبده أشد» (١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فنزل وصلى ركعتين قليل له هذا ثم لم تكن تصنع فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى . وقال أبوذر ألا أخبركم يوم قبرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور قليل له فى ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرونى معادى وإذا قت لم يفتا بونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكأني بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرتقت الليلة أنفكر فى القبر وسأكنه إنك لو رأيت البيت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قبره بعد طول الأنس منك به ولأرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويمر فى الصديد وتغترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح وتقاء الثوب قال ثم شق شهقة خرمشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول أيها القبور فى حفرته والتخلى فى القبر بوحدته للستأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغبط والله بأخوانه للتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يغور الثور وقال حاتم الأصم من مر بالقبابر فلم يفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يأما ليتك كنت بى عقبا إن لابتك فى القبر حسبا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه إن أجبت من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبت من قبرك منعها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القابر يقول ما أحسن ظواهركم إنما الدوامى فى بواطنكم وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فواموتاه وعانيتم أعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجدته روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدته حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعل أعمل صالحا فيها تركت يرددها ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تعجب الأرض من رجل يهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بينى وبينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى دنائهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلث واستحك فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم بمن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت للقبائر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يفرنك صوت أهلها فكم

الغيبه عن الأشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء (ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق إيمان والشرب علم والرى حال فالذوق الأرباب البواده والشرب لأرباب الطوابع والأوامع والأحوال والرى لأرباب الاستقار وذلك أن الأحوال هى التى تستقر فما لم يستقر فليس بحال وإنما هى لوازم وطوابع وقيل الحال لا تستقر لأنها تحول فاذا استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة والكاشفة والشاهدة) فالمحاضرة لأرباب التساوين والشاهدة

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة .

من نفس مغمومة فيها ، ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن
فقطت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أموار زية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت
المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعروا
فاتقبلوا . وقال أبو موسى التيمي : توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم
الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة
فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافى أشد من القبر التهابا وأخيفا

إذا جاءني يوم القيامة قائداً عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولادهم من مثي إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساكنها من منكم للعمور في ظلماتها

ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبيز الفضل في درجاتها

لو جابوك لأخبروك بالسن نصف الحقائق بعد من حالاتها

أما المطيع فنازل في روضة يفضى إلى ماشاء من دوحاتها

والمحرم الطاغى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها

وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدعاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا

فكيف أذوق لطم الكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناء بأى خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه . وقال مالك بن دينار
مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أنيت القبور فناديتها فأين العظم والمهتر

وأين الدل بسلطانه وأين الزكي إذا ما اقتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما خبر وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتندو نبات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائل عن أناس مضوا أما لك فما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تتاجيك أجدات وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت

أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

لأرباب التمكن

وللكاشفة بينهما إلى

أن تستقر للمشاهدة

والمحاضرة لأهل العلم

وللكاشفة لأهل العين

والشاهدة لأهل الحق

أى حق اليقين (ومنها

الطوارق والبوادي

والبادع والواقع

والقادر والطوالع

واللوازم والأواضع)

وهذه كلها ألفاظ

متقاربة المعنى ويمكن

بسط القول فيها

ويكون حاصل ذلك

راجعا إلى معنى واحد

يكثر بالعبارة فلا فائدة

فيه والمقصود أن هذه

الأسماء كلها مبادئ

الحال ومقدماته وإذا

صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع القبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه ينهم
وقال ابن السكك مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جعدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا في الله أسرع ما نسونى
ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب غنّى لا ينفع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يامن بعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غفلا فى القمص منغما وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لثرتة ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أحرص الموت فى قبر وقت به عن الجواب لسانا مابه خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف قبرك اليوم فى الأجداث مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأجابة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلا أن بكيت وقاض دمعى رأيت عينى بينهم مكانى
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل صار لقمان إلى رسمه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسمه
هيات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فلتقى الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى قلت حيث ترى كل إلى مثله سيقفل

فلهذه آيات كتبت على قبور لتقصير مكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستمد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضى له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بعد أفيدها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور فأنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك القصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الوفاق به ربه فيتضاعف له الثواب فاتهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه حسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة وأهلك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضى لهما فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتداء فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لى فى الله فها يرى النائم قلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها معنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا

هذه الأسماء كلها ومعانيها .

(ومنها التلويح والتحكين)

فالتلويح لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب

تخلص إلى الصفات وللصفات تعدد بتعدد

جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد

الصفات تلويحات ولا تجاوز للقلوب وأربابها

عن عالم الصفات وأما أرباب التحكين

تفرجوا عن مشائم الأحوال وخرقوا حجب القلوب

وباشرت أرواحهم مسطوح نور الذات

فأرفع التلويح لقدم

قد قام فصلي ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها .

(بيان أقوالهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن يتزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطئه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا للموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق التأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسمها وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يهزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطاً أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله» (١) وإنما ذكر السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لدواد عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً قليله ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهباً قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار» قالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان (٢) وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقرب به إلى الاجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فأغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ، ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في الحدة فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شمرى ماذا قالت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعنى به مامتتى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمت طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تمذه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فاقد مضينا وتركنك ولو ألقينا ما فنعناك . ونظر رجل إلى امرأة بالصرة فقال ما رأيت مثل هذه النظارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان بأعيان فقال أكبرهما للآخر أريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا امتشحنا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فاجأ إلى جبل فرمقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر قالت فأرادني الدهر كما ترى فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فإمن مصيبة لا لا يتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار بزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطاً أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخلفه خنثي (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الحديث تقدم في السكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

التغير في القدرات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما اخلصوا إلى مواطن القرب من أنصبه بحلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدرتها والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبها عن حال التمكن لأن جريان التلوين في النفس بقاء رسم الانسانية وثبوت القسمة في التمكن كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكن أن لا يكون له تغيير فإنه بشر وإنما المعنى

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا^(١)» وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يبا كيا أكثر من يومئذ^(٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار^(٣) كأوردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقيمت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقيمت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عنها قالت نعم ثم أمر بها^(٤) ولا ينبغي أن يتمسك بهذا يؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهم يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا ينبغي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزياره سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة تردأعين الرجال عنها وذلك بشرط الاختصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زار القبور تذكروا بها الآخرة واغسل اللوتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله^(٥)» وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله ﷺ «زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة^(٦)» وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد الأوفى عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا^(٧)» وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لم يموت والداه وهو عاق لهما فیدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين^(٨)» وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كوشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا ينقص بل يزيد وصاحب التلوي قد ينقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلويته في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس الممتنى والوقت للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه إشارة منهم إلى أن المبتدى يطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه وللنفس صاحب نفس

(١) حديث علي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له وأبو يعلى غير أن لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جده عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يبا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأنخس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقيمت عائشة يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقيمت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبي الدنيا في القبور بإسناد جيد (٥) حديث أبي ذر زار القبور تذكروا بها الآخرة واغسل اللوتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسناد جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرصلا وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان برفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل لم يموت والداه وهو عاق لهما فیدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزاز عن محمد بن جعدة

« من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ^(٢) » وقال كعب الأحبار: ما من جري طاع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه. ولستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه البيت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسح ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رأى مائة مرة أو أكثر يمشي إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وبنصره. وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه اقتنع الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ^(٣) » وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصميا منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مات قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا واقف في روضة من رياض الجنة أنا وقرن من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله الذي فتلا في أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعم بغيرها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة قبيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن الموتى يملكون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر قبل طلوع الشمس يوم السبت علم البيت بزيارته قبل وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب القابر فقال أنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فأنصرفت إلى أهلي ولم آت القابر فأدعوا كما كنت أدعوا فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل القابر فقلت ما جاءكم بكم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلنا فقلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعود لذلك لما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب النجرائي رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشر بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به البيت فقيل له هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الميت في قبره إلا كالفرق الثوب ينتظر دعوة تلحقه من أبيه

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عتبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن معمر ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشيلي.

متمكن من الحال
لا يتناوب عليه الحال
بالتوبة والحضور بل
تكون للواجب
مقرونة بأفهامه مقبلة
لا تتناوب عليه وهذه
كلها أحوال لأربابها
ولهم منها ذوق وشرب
والله ينفع يركنهم
آمين

[الباب الثالث
والستون في ذكر
شئ من البدايات
والنهايات ومعتها]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
الشريف أبو طالب
الحسين بن محمد الزيني
قال أخبرتنا كريمة
الروزية قالت أخبرنا
أبو الهيثم محمد بن مكي

وأخيه أوسديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأخياء للأموات
الدعاء والاستغفار^(١) . وقال بعضهم مات أخ لي فرأيتني في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت
في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعاني لرأيت أنه سيضربني به ومن هذا يستحب
تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي وشهدت أبا أمامة الباهلي وهو في
الترغ فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم
فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجب
ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرسدنا
برحمتك الله ولكن لا تسمون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنت رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن
إماماً فان منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عندهذا وقد لقن حجته
ويكون الله عز وجل حبيبه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى
حواء^(٢) ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحدا قال: كنت مع أحمد بن
حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرب يقرأ عند القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن
اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد
ابن أحمد الروزي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقروا وباتحة الكتاب والمعوذتين وقل
هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة
فنزلت الخندق فطهرت وصليت ركعتين بديل ثم وضعت رأسي على قبر فسمت ثم فبعت فإذا صاحب القبر
يشتكي يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعظم ولا تقدر على العمل ثم قال للركتان
اللتان ركعتيها خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرهم السلام فانه قد يدخل
عليها من دعائهم نور أمثال الجبال فالقصد من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه
فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور
في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القبر سيلحق به كما روى
عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل
تخزمت ثم قامت إلى المهراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة اتيانها للمقابر

الكشميني قال أنا
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القريبي قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن ابراهيم
البخاري قال حدثنا
الحسين بن علي قال حدثنا
مغيان بن عيينة قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأنصاري قال أخبرني
محمد بن ابراهيم النخعي
أنه سمع علقمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله
عنه يقول على المنبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
وإنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت
هجرته إلى الله
ورسوله فحجرتها إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ما لبيت في قبره إلا كالفريق للفرق ينتظر دعوة تليقته من أبيه أو من أخيه أو صديق له
الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن
عبد الواحد قال الذهبي حدث عن هشام بن عمار بهديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا بإسناد ضعيف .

قالت إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإنى لآنى القبور فسكان أنظروا وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتضررة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجفان الدصمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأفئس وأشد تلفها للأبدان بل ينبى أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فجعج من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لورأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدتان فسالتا على الحدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم وتآ البطن فلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من الناحر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت والأبذكر لإلأجليل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقموا فيه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فانهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار تحسبهم مأم فيه» (٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أتيتكم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أتيتكم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء لله فى الأرض» (٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البديوت فىنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى وتجاوزت عن على فى عبيدى» (٥)

(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى نسخة الصور)

(بيان حقيقة الموت)

اعلم أن الناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عقاب للخير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للحددين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتمتع بثواب مادام فى القبر إلى أن يعاد فى وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما الثاب والمعاقب هى الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تنبث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقموا فيه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جيد مقتصر على ما ذكر منه هنا بلطف هل سكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة إن البديوت فىنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل مامن عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جبراته الأدين بخير لإقال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبيدى على ما علموا وغفرت لهم أعلم.

(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر)

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه النية أول العمل وبعبها يكون العمل وأهم ما للمريد فى ابتداء أمره فى طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزبهم وبجالس طاعتهم لله تعالى فإن دخوله فى طريقهم هجرة حاله ووقته. وقد ورد «الهاجر من هجر مانها الله عنه» وقد قال الله تعالى - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله - فالمريد ينبى أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمام مذبة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبسط باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد بتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة للدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام العلوم وللذات الأفراح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفراح والضموم ولا بطل منها قبولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام والذات وذلك لا يموت أى لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانه خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالوقت زمانه مطلقا في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية . ثم تغير حاله من جهتين : إحداهما أنه سلب منه غيظه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فإن التوالم هو القراق والفرق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبي الرجل عن الملك والمال والألم واحد في الحالين ، وإتمام معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويحترج إليه ويعتمد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقه بل ياتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ دخل بيته وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوقا له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوقا له في النوم والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويحسرها عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك - سيئا - وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتغل فيه نيران القراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا القانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح

يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فإنه إن وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمرزلة وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخبرنا أبو زرعة بإجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الحلي قال سمعت الجنييد يقول أكثر العوائق والحوائل والأنواع من فساد الابتداء فالمريد في أول مسأله هذا الطريق محتاج

بمفارقة بنية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعنى عنه ويكون حال التمتع بالدنيا المظنين إليها كحال من تتمع عند غيبة ملك من الملوك في داره وملسكه وحرمة اعتمادا على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتعطاء من قبيح أهاله فأخذه الملك بفتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجنباياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر مبتسط وغبور على حرمة ومتنقم من الجناة على ملسكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى هذا للأخذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والحجة والحياء والتعسر والندم فهذا حال الميت الفاجر للفتن بالدنيا المظنين إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فإن الخزي والافتضاح وهتك السر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهداً وأول البصائر بشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى (١) » فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما للأذون فيه ذكراً حال الروح بعد الموت ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين - ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدكم ربي حقاً فقل » فبارسول الله أتادهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يفتدرون على الجواب (٢) « فهذا نص في بقاء روح الشق وبقاء إدراكها ومعرفة ما والآية نص في أرواح الشهداء ولا يغلو للميت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٣) » وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتبع حاله عند الموت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة القعدين من عذاب ونعيم في الحال (٥) »

(١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح ، متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويسألونك عن الروح - وقد تقدم (٢) حديث ندائه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً الحديث مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجاء والخوف (٤) حديث أنس الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في الموت بأسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام النية وإحكام النية تنزيهاً من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك . وكتب بعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يلهو حسن النية . قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع عاتمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر وغدى ويرى عليه برزقه من الجنة (١) » وقال مسروق ما غبطت أحدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمتى يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فإن لم يمت قال يقل ماله وولده وإنا أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن والموت إطلاق المؤمن من السجن وإنا أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للانسياق بالدنيا والأنس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنا مثل المؤمن حين يخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفزع في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من يخاف عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم والذات وأكل الذات لاشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا وبالآخرة والبايع لا يلتفت قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه إذا فارقته وتجرد القلب لحب الله تعالى قد ينشق في بعض الأحوال وإن كان لا يدركه الموت عليه فيتخير واقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم المذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما أنقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك بإجابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالجبر فقال إن الله عز وجل قد أحيا أباك فأقعد بين يديه وقال تمن على عبدى ما شئت أعطيكه فقال يارب ما عبدتك حق عبادتك آتني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع (٢) » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأنى لم أقتل في الله إلا فتنة واحدة فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلان . واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

للريد البتدى التبرى
من الحركات الذمومة
ثم النقل إلى الحركات
المحمودة ثم التفرد
لأمر الله تعالى ثم
التوقف في الرشد ثم
الثبات ثم البيان ثم
القرب ثم المناجاة ثم
الصلاة ثم الموالاة
ويكون الرضا والقسم
مراده والتفويض
والتوكل حاله ثم بمن
الله تعالى بعد هذه
بالمعرفة فيكون مقامه
عند الله مقام التبرئين
من الحول والقوة
وهذا مقام حملة العرش
وليس بعده مقام
هذا من كلام سهل
جمع فيه ما في البداية
والنهاية ومتى تمسك
الريد بالمصدق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر ابن ماجه بسند ضعيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا خان (٢) حديث عائشة ألا أبشرك بإجابر الحديث وفيه إن الله أحيا أباك فأقعد بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد فيه ضعف وللمزمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبدى تمن على أعطاك قال يارب تحيىنى فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق منى أنهم لا يرجعون.

إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفيه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشهى العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال لرجل مات «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قدرضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه^(١)» فترك هذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجها حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه^(٢)» وكذلك المؤمن يخرج من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلاناً قدمنا فقال مستريح أو مستراح منه^(٣)» وأشار بالمستريح إلى المؤمن والمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقياء مرثياً ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وإنما الأرواح التي تعاقب وتتأب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليسوا به ويكفونونه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلات تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب يمور في جوفها فإله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم^(٤)» وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تفضحوا موتاكم ببيات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور^(٥)» ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن راحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي؟ قال في حواصل طير يبس في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة. وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فان كان قدرضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجها حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلمي عن سليم بن عامر الجائزي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قد مات فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة باللفظ مرثياً عليه بخنارة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنف (٤) حديث النعمان بن بشير ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب يمور في جوفها فإله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكاه الأزد في الضمراء وقال لأصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزد لأصح إسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدى (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم ببيات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والمهاملي بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث.

والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه وإخلاصه شيء مثل متابعة أمر التبرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على أهل البدايات لموضع نظرم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغراً» إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التفتيد بعاداتهم. قال أحمد بن خضرويه: من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليترك

صلى الله عليه وسلم يقول «إن للبت يعرف من يفسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره»^(١). وقال صالح
المرى بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى الروح التي تخرج إليهم كيف كان مآلهم
وفي أى الجسد كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الأخبار فإذا أتاهم
البت قالوا ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إن الله وإنا إليه راجعون سلك به
غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد
إن الرجل ليشر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا
أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت
فلانة فإذا سألوهم عن رجل مات قبله وقال مات قبل قالوا إن الله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية»^(٢).
(بيان كلام القبر للبت)

وكلام الموتى إما بلسان الثقال أو بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان الثقال في تفهيم
الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للبت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في
ألم تعلم أتى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك في إذ كنت تمرى فذاذا
فان كان مصلحا أجاب عنه عجب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول
القبر إنى إذا تحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصدر روحه إلى الله تعالى»^(٣) والفذاهو
الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسر الرواى . وقال عبيد بن عمير اللبى ليس من ميت يموت
إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا
كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك قهمة أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج
مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مشورا . وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فغذب
أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك
فيما تعتبر أما كان لك في متقدمنا إليك فكرة أماريت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فلا استدركت
ما فات إخوانك وتناديه بقاع الأرض أيها للفت بظاهر الدنيا هلا عتبرت بمن غيب من أهللك في بطن
الأرض بمن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا لها دام أجته إلى المنزل الذى
لا بد له منه . وقال يزيد الرقاشى بلغنى أن للبت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله؟ فقالت
أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا . وقال كعب: إذا
وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء
ملائكة المذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليك عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال في القيام لله

الصدق فان الله تعالى
مع الصادقين وقد ورد
في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«الصدق يهdy إلى
البر» ولا بد للمريد
من الخروج من المال
والجاء والخروج عن
الحلق بقطع النظر
عنهم إلى أن يحكم
أساسه فيعلم دقائق
المهوى وخفايا شهوات
النفس وأنفع شئ
للمريد معرفة النفس
ولا يقوم بواجب حق
معرفة النفس من له
في الدنيا حاجة من
طلب الفضول
والزيادات أو عليه
من المهوى بقية . قال
زيد بن أسلم: خصلتان
هما كمال أمرك تصبح

(١) حديث أبي سعيد الخدرى إن للبت يعرف من يفسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره رواه أحمد
من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي أيوب إن
نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون أنظروا أخاكم حتى
يستريح ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبرانى في مسند الشاميين بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك
في الزهد موقوفا على أبي أيوب بإسناد جيد ورفعه ابن صاعد في زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل
ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث يقول
القبر للبت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في ألم تعلم أتى بيت الفتنة الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب
القبور والطبرانى في مسند الشاميين وأبو أحمد الحافى الكنى من حديث أبي الحجاج الثمالى بإسناد ضعيف.

عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسيّل لكم عليه قد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه قد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجهه لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتنزّل له فراش من الجنة ودثارا من الجنة ويضع له في قبره مد بصره ويؤتى بتعديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعث الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يقعد وهو يسمع خطب مشيعة فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيق وتنى وهولى ودودى لماذا أعددت لي (١) .

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبر من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفته فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى الله عليه وسلم عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يجب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروهم ما أعددت لهم من الكرامة فإني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خفق ناله إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد ﷺ قال فيتهراته انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول لأبشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريما إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبر من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لفسه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه بند وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروهم ما أعددت له من الشر إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خفق ناله إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا أدري ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريما في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطب مشيعة فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلقي ولم يرفعه .

لاهم لله بمصية وتسمى
ولا تهم لله بمصية فاذا
أحكم الزهد والتقوى
انكشفت له النفس
وخرجت من حجبها
وعلم طريق حركتها
وخفى شهبواتها
ودسائسها وتلبساتها
ومن تمسك بالصدق
قد تمسك بالبروة
الوثقى . قال ذو النون
الله تعالى في أرضه
سيف ما وضع على شيء
إلا قطع وهو الصدق
ونقل في معنى الصدق
أن عابدا من بني
إسرائيل راودته
ملكة عن نفسه ،
فقال اجعلوا لى ماء فى
الحلاء أنتظف به ثم
صعد على موضع فى
القصر فرمى بنفسه

فيقول وأنت جزاك الله شرًا ثم يقبض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يملوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسحق بها من على الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار واقتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار (١) وقال محمد بن علي مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسنة وبطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بهريرة فيها مسك وضائر الریحان فتسل روحه كانتل الشعرة من العيين ويقال : أيتها النفس الطمئة اخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك اللك والريحان وطويت عليها الحريرة وبث بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه بحجارة فتخرج روحه أنزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الحثيئة اخرجي ساخطة ومسغوطة عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الحجرة وإن لها نحيشا ويطوى عليها للسخ ويذهب بها إلى سجين (٢) وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلى أعمل صالحا فإني تركت - قال أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتقرس القراس وتبني البنين وتشقق الأنهار قال لا لعلى أعمل صالحا فإني تركت قال فيقول الجبار - كلا إنها كلمة هو قائلها - أي ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « للؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضوء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما إذا أنزلت - فإن له مبيتة ضنكا - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلب عليه تسعة وتسعون تينا هل تدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخذشونه ويلعنونه وينفخون في جوفه إلى يوم يبعثون » ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق الذمومة من الكبر والرياء والحسد والذل والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولا معدودة ثم تنشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأما هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم . فإن قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف الشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا [أحدها] وهو الأظهر والأصح

فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن أرم عبدي قال فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رفيقا قيل لإبليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وينبغي للمريد أن تكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت لا تستصحب النفس وتجب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والإخلاص وإذا

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكما رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكامله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بهريرة فيها مسك وضائر الریحان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبراز باللفظ المصنف (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ ليت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور للكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم السموات أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحى أم عليك وإن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في ليت وكما أن الملك لا يشبه الأعميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى [للقام الثاني] أن تذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصبح في نومه ويعرق جبينه وقد يزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى البقطان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواله حية والحية موجودة في حقها والعذاب حاصل ولكنه في حقه غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تخيل أو تشاهد [للقام الثالث] أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاها منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفروا وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يقضى إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لهذه الوقوع مثلا من غير مباشرة صورة الوقوع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لآثاره وهذه الصفات للمهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية بضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت العشوق فإنه كان لتبديدا فطرات حالة صار اللذيق بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يمتحن معه أن لم يكن قد تتم بالعشق والوصال بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب اليت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشدد عذابه ويمتنع ويقول ليت له لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا تأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

لما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم يضاف إلى هذا العذاب تحمره على ما فاتته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتمتع به فينوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرتة على ما فاتته من نعيم الآخرة أبدأ الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يمدب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيم أوقد من محبوه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبدأ الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب ، فاذن ألم فراق القرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليست هذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضائه ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في شيء من رفق
النفس لا لله بغير نية
صالحة صار ذلك وبالا
عليه وقد ورد في الخبر
«من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيامة وريحه
أطيب من السك الأذفر
ومن تطيب لغير الله
عز وجل جاء يوم
القيامة وريحه أثنى
من الجيفة» . وقيل
كان أنس يقول طيبوا
كفى بكم فان ثابتا
يصالحني ويقبل يدي
وقد كانوا يحسنون
اللباس للصلاة متقربين
بذلك إلى الله بنيتهم
فالمريد ينبغي أن يتفقد
جميع أحواله وأعماله
وأقواله ولا يسمع
نفسه أن تتحرك
بحركة أو تكلم
بكلمة إلا الله تعالى

من العقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك إذا مات لأننا قد بينا أن
 للنبي الذي هو للدرك للآلام والشدات لم يمض بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأسباب
 يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء الموضع منه ولاسلوة
 بعد الموت إذ قد السد عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قميص له ومندبل قد أحبه بحيث
 كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ومنذبا به فإن كان غضا في الدنيا سلم وهو للنبي
 بقولهم نجا الخفون وإن كان متقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من
 يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو النبي بقوله
 صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين» (١) وما من شيء من الدنيا
 يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حيرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكر وإن شئت فاستقل
 فإن استكرت قلت بمسكرك إلا من الحسرة وإن استقلت قلت تخفف إلا عن ظهرك وإنما تكرر
 الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها
 فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عذابه . رأى أبو سعيد الخدري
 أبنا له قد مات في المنام فقال له يابني عظمي قال لا تخاف الله تعالى فبا يريد قال يابني زدني قال يا أبت
 لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قيما فما ليس قيما ثلاثين سنة . فإن قلت فما الصحيح
 من هذه القامات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر
 الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما الخلق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار
 أن كل ذلك في حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلة وجهه باتساع قدرة الله
 سبحانه ومعجائب تديره فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل
 هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه
 الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليلا وكثيرا ، هذا
 هو الحق صدق به تقليدا فيز طي بسط الأرض من يعرف ذلك تحقيا والذي أوصيك به أن
 لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان
 فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وجبهه ليقطع يده
 ويجمع أنه فأخذ طول الليل يفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق
 الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد
 الموت من عذاب عظيم أو نعم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فاما البحث عن تفصيل
 العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

(بيان سؤال منكر ونكير وصورتها وضفلة القبر وبقية القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله
 ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم فرغنا
 في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم يقول دعوني أرجع إلى أهلي
 فأخبرهم فيقال له ثم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه
 ذلك وإن كان منافقا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا نعلم

وقد رأينا من أصحاب
 شيخنا من كان ينوي
 عند كل لقمة ويقول
 بلسانه أيضا أكل
 هذه اللقمة لله تعالى
 ولا ينعى القول إذا لم
 تكن النية في القلب
 لأن النية عمل القلب
 وإنما اللسان ترجمان
 لما لم تشتمل عليها
 غزيرة القلب لله
 لا تكون نية . ونادى
 رجل امرأته وكان
 يسرح شعره فقال
 هات الدرري أراد
 الليل ليفرق شعره
 فقالت له امرأته أجي
 بالمسدرى وللرأة
 فسكت ثم قال نعم
 فقال له من سمع سكنت
 وتوقفت عن للرأة
 ثم قلت نعم فقال إني

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين لم أجده أصلا .

أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه فلتثني عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاموا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك ففسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهبلوا عليك التراب ويدفنونك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتان القبر منكرو ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الحاطف يجران أشعارهما ويحدثان القبر بأنبياهما فتتلاك وترتاك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ فقال عمر ويكون معي مثل عقل الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفيكما (٢) » وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلاً مدركاً لما بالآلام والذات كما كان لا يتغير من عقل شيء وليس العقل الدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا يتقسم في نفسه هو الدرك للأشياء ولو تنارت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء الدرك الذي لا يتجزأ ولا يتقسم لكان الإنسان العاقل بأكمله قائماً باقياً وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحل الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن النكدر بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عجباء صامو في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الحمل تضربه به إلى يوم القيامة لاتراه فتفتيه ولا يسمع صوته قرحه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت الديدان والله لقد كان يمسحني للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خلا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعتك فعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أمحباك . وعن حذيفة قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضغط الوثن في هذا ضغطة ترد منه حمائله (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما اتينا إلى القبر فدخله اتقع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا لم ذلك ؟ قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر ، فأنتيت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاموا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا رسلوا ورجاله ثقات قال البيهقي في الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسل . قلت ووصله ابن بطه في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد خرد به مفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أريد إلينا عاقلنا فقال نعم كبريتكم اليوم فقال عمر بن الخطاب (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بسند ضعيف (٤) حديث عائشة إن للقبر ضغطة لو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات المدري
بنية فلما قالت والمرأة
لم يكن لي في المرأة
توقفت حتى هيا الله
تعالى لي نية فقلت
نعم وكل مبتدئ
لا يحكم أساس بدايته
بمهاجرة الألف
والأصدقاء والمعارف
ويتمسك بالوحدة
لا تستقر بدايته ، وقد
قل من قلة الصدق
كثرة الخطاء وأقع
ماله لزوم الصمت وأن
لا يطرئ سمع كلام
الناس فإن باطنه يتغير
ويتأثر بالأقوال المختلفة
وكل من لا يعلم كمال
زهده في الدنيا وعسكه
بحقائق التقوى
لا يعرفه أبداً فإن عدم

قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة مع صوتها ما بين الخافقين (١) .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام)

اعلم أن أنوار البصائر للاستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن خالد وزيد وعمر وبينهم فلا ينكشف أصلاً فانا إن عولنا على إيمان زيد وعمر فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يتقبل الله من المتقين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمر إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات قد تحول من عالم الملكوت والشهادة إلى عالم النيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنفتح تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة منقشة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه واللوتى في عالم الملكوت فشاهدوه وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقامه بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه الشهادة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعلى بها الشهادة في المنام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » (٣) وهو أيضاً انكشف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤيته ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهراً (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التمسك والتسكك لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كأنه انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم حتى نزل قوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - (٥) وقبلنا نخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدناها جميعاً الرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرته الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والحقا فافلون عنه كفتلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره

(١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث وفيه لقد ضغطت ضغطة مع صوتها ما بين الخافقين ابن أبي الدنيا في الموت من رواة تسليمان الأعشى عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلاً .

معرفة لا يفتح عليه خيراً وبواطن أهل الابتداء كالسمع قبل كل نقش وربما استضر المبتدىء بمجرد النظر إلى الناس ويستضر بفضل النظر أيضاً وفصول المني فيقف من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حق لو مشى في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت بيمينه ويساره ثم يبقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالزعايق والاحتراز فإن علم الناس منه بذلك أضرب عليه من فضله ولا يستحق فضول

علاوة على علم للعامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثله مثال امرأة تراه في الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوحة وتارة بالكتاب اللين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن لجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه تشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثالا يقرّبه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت القادير في اللوح يراه ثبوت كلمات القرآن وحرروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرأه ينظر إليه ولو فتشت دماغه جزء جزء لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن تفهم كون اللوح سنة وشا لجميع ما قدره الله تعالى وقضاء اللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلوضع في مقابلة المرأة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرأة تراه في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت ، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورففته تلاماً في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظاً فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ، ومعنى النوم أن تترك الحواس عليه فلا تورده على القلب فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء من عالم اللوح كما تنفع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يتدبره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون للتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يذكر إلا الخيال فيحتاج العبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني المناسبة التي بين التخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وبكيفية مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء قال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإعمايكشف القلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب ولكن الخيال ألقى المنع عند الختم الخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تحصر بحجابه وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل لماذا ترى في الموت الذي يخبر في الحجاب ويكشف الغطاء بالملكة حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمجازي والنضام نموذجاً من ذلك وإما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبير لا آخره وعند هذا يقال للأغنياء وقد انكشف الغطاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - ويقال - أفسح هذا أم أتم لا تبصرون أصلوها فاصبروا أو لا تبصروا صواب عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون -

الشيء فإن كل شيء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جبر إلى الفضول ثم يجر إلى تضييع الأصول - قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ففصل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومضى تسدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وأغلقت شيئاً بعد شيء - قال سهل بن عبد الله من لم يعبده اختاراً يعبد الخلق اضطراراً وينفتح على البعد أبواب الرخصي

فأعلم الطماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلاج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذير ترفع وما الذي ينكشف عنه الطماء من شقاوة لازمة أم سعادة دأمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وفد يتنايل بأعضائنا وسمنا وبصرنا مع أننا لم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول ما قال لسيد النبيين «أحب من أحببت فانك مفارقة وعنى ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به» (١) فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بين اليقين كان في الدنيا كما برسيل لم يضع لينة على لينة ولا قصة على قصة (٢) ولم يخلف ديناراً ولا درهما (٣) ولم يتخذ حياً ولا خليلاً نعم قال «لو كنت متخذاً لئلا لا تخذت أبابكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن» (٤) فيين أن خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبه قلبه فلم يترك فيه مقسماً لخليل ولا حبيب وقد قال لأمته - إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبسكم الله - فأتاها أمته من اتبعه وماتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه ماداً إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة قد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله قد اتبعته وبقدر ما اتبعته قد صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابته والتحق بالدين قال الله تعالى فيهم - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي للآوى - فلو خرجت من مكن التورور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلبت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لانسى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لما جل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبد ظنك وما أبد طمعك - أفجعل السليين كالجحيمين ما لكم كيف تحكمون - ولترجع إلى ما كنا فيه وبصده قد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولنذكر الآن من اللامات الكاشفة لأحوال اللوق ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت البشرات وليس ذلك إلا للامات

(بيان منامات تكشف عن أحوال اللوق والأعمال النافذة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رأى في المنام قدراً آتى حقا فان الشيطان لا يمثل بي» (٥) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فرأيت لا ينظر إلىّ قلت يا رسول الله ماشأني فأنفت إلىّ وقال ألسنت القبل وأنت صائم قال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبداً . وقال العباس رضي الله عنه كنت ودّاً لعمر فأنشيت أن أزال في المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول فرأيت يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أو ان فراغى إن كان عرشى ليهذ لولا آتى لقيته رءوفاً رحماً . وقال الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنج لي الليلة في منامى فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمثلك قال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج نضرباً ابن ملجم وقال بعض الشيوع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله إن

والانواع وبهلك مع
المالكين ولا ينبغي
للبتدى أن يعرف
أحد من أرباب
الدنيا فان معرفته لهم
سم قاتل . وقد ورد
«الدنيا مبغوضة الله
فمن تمسك بحبل منها
قاده إلى النار» وما
حبل من حبالها إلا
كأبنائها والطالين
لها والمحبين فمن
عرفهم انجذب إليها
هاء أو أبي ويحترز
للبتدى عن مجالسة
الغفراء الذين لا يقولون
بقيام الليل وصيام
التهار فانه يدخل عليه
منهم أثر ما يدخل
عليه بمجالسة أبناء
الدنيا وربما يشربون
إلى أن الأعمال تغفل

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم .
- (٢) حديث لم يضع لينة على لينة ولا قصة على قصة أيضاً (٣) حديث لم يخلف ديناراً ولا درهما أيضاً (٤) حديث لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبابكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن أيضاً (٥) حديث من رأى في المنام قدراً آتى حقا فان الشيطان لا يتغفل بي متفق عليه من حديث أبي هريرة .

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر بن سبيد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل على فقال غفر الله لك (١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأمنى أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرني إياه في المنام قال فرأيت يلقب ناراً فسألته عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني أميمة فبشرتني بولادة أمية إياه ففرحت به وأعنت وليدة لي فرحاً به فأناهي الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجاً فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال قممت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك النعم إذ غلبني عيني فتمت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تتحوا فمسح وجهه يده ثم أتاني فقال قم قد يرض الله وجهه أيك قلت له من أنت باني أنت وأمي فقال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسا عنده فجلست فبينما أنا جالس إذ أتى بعل ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن أخرج على رضي الله عنه وهو يقول قضي لي وزب الكعبة وما كان بأسرع من أن أخرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدى قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفضها إلى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبداً في لسانك هذا أوردني اللواز فهاذا فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة .

(بيان منامات الشايع رحمة الله عليهم أجمعين)

قال بعض الشايع رأيت منما الدورق في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال ديرني في الجنان قيل لي يا منتم هل استحسنتم فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال الو استحسنتم منها شيئا لو كنتك إليهم أو صلتك إلى ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فأنى استحييت أن أقربه فأوقفني في المرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك القذ قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فزل ملكان أحدهما يده طشت ويد الآخر إبريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن النكدر عن جابر ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

التعبدن وأن أرباب
الأحوال ارتضوا عن
ذلك . وينبغي للفقير
أن يختصر على الفرائض
وصوم رمضان حسب
ولا ينبغي أن يدخل
هذا الكلام فيه رأسا
فانا اخترنا ومارسنا
الأمور كلها وجالسنا
الفقراء والصالحين
ورأينا أن الدين يحولون
هذا القول ويرون
الفرائض دون
الزيادات والنوافل
تحت القصور مع كونهم
أصحاء في أحوالهم فلي
العبد التمسك بكل
فريضة وفضية فبذلك
يثبت قدمه في بدايته
ويراعى يوم الجمعة
خاصة ويحمله لله تعالى
خالصا لا يمزجه بشيء

فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم قلت يا رسول الله ليس قد روى عنك أنك قلت «المرء مع من أحب» قال بلى قلت يا رسول الله فاني أحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فإنه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كأنني أتكم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ما تقرب به للتقربون إلى الله تعالى ماذا فعلت عمل خفي بغير أن وفي قولي لللك وهو يقول كلام موفق والله وروى مجمع في النوم قيل له كيف رأيت الأمر قال رأيت الزاهد بن في الدنيا ذهبوا بغير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام لعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمراً فصمت منه فأشخص رجلاً يقتلني . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تفره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم قلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أغفني ذلك راحة طويلاً وفرفراً دائماً قلت في أي الدرجات أنت - فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية . وسئل زرار بن أبي أوفى في المنام أي الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذعور رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أقرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المهزومين قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى في المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلمي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجي نفسك قالت أخطبني إلى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبسك عن آفاتنا وقال إبراهيم بن اسمعيل الحربي رأيت زينة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما أنفقت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان الثوري روى في المنام قيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الخواريزي رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان يتلأأ وجهها نوراً فقلت لها لماذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت معك لمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال السكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا طير كعتين كنا نصليهما في الليل ورؤيت زينة في المنام قيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمري لا إله إلا الله أدخل بها قبري لا إله إلا الله أدخل بها جدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي وروى بشر في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رحماني عز وجل وقال يا بشر أما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف وروى أبو سليمان في النوم قيل له ما فعل الله بك قال رحماني وما كان شيء أضر علي من إشارات القوم إلي وقال أبو بكر السكتاني رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه فقلت له من أنت قال النفوي قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم انفت فاذا امرأت سوداء فقلت من أنت قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتماهدت أن لأضحك إلا غلبت وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن إبليس وثب على فأخذت العصا لأضربه فلم يفرج منها فهتف بي هاتف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت إبليس في النوم يمشي عرياناً فقلت ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالسكر بالسكر بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخزاز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي

من أحوال نفسه
ومآربها ويسكر إلى
الجامع قبل طلوع
الشمس بعد الغيل
للجمعة وإن اغتسل
قريباً من وقت الصلاة
إذا أمكنه ذلك فحسن
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «يا أبا
هريرة اغتسل للجمعة
ولو اشتريت الماء
بشائك وما من
نبي إلا وقد أمره
الله تعالى أن يغتسل
للجمعة فإن غسل
الجمعة كفارة للذنوب
ما بين الجمعةين» ويستدل
بالصلاة والتضرع
والدعاء والتلاوة وأنواع
الذكر من غير شور
لأنه أن يغتسل للجمعة
ويجلس متذكراً في

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فجاء فوقف على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق في صدري فقال شر هذا أكثر من خيره. وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول لكل هذا فإعمل العاملون فقلت له أوصى قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
قد كنت قواما إذا أظلم الدجى بصيرة مشتاق وقلب عميد
فدونك ما اخترتني قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

وروى الشبلي بعد موته بثلاثة أيام قفيل له ما فعل الله بك قال ناقتي حتى أيسر فلما رأيت بأسى تمدني برحمته وروى مجنون بن عامر بعد موته في المنام قفيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على الحبين وروى الثوري في المنام قفيل له ما فعل الله بك قال رحماني قفيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو بمن يلج على ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فسل عن حاله فقال: حاسبو نافذ قوائمه منوا فأعتقوا وروى مالك بن أنس قفيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنائز سبحان الحى الذى لا يموت وروى في الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كان أبواب السماء مفتحة وكان ناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض وروى الجاحظ قفيل له ما فعل الله بك فقال :

ولا تكتب بخطك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس في المنام عريانا فقال ألا تستحي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انقبت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يترك حديث الحديث وروى النصر أباضى بمكة بعد وفاته في النوم قفيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعده الاتصال انفصال فقلت لا يا أبا الجلال لما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أتألك عاشقة فأنظر لأمعمل من الأعمال شيئا فيحيا بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب الدخيتاني جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها فرأى الميت بعضهم في المنام قفيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وقال قل لأيوب - قل لو أنتم تملكون خزائن رحمته ربي إذا لمستم خشية الاتفاق - وقال بعضهم رأيت في الليلة التى مات فيها داود الطائى نوراً وملائكة تزولوا وملائكة صعودا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقُدوم روحه وقال أبو سعيد الشعام رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ قال دع الشيخ قلت تلك الأحوال التى شاهدتها فقال لم تمنعنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها الهجرو قال أبو بكر الرشيدى رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصفار المؤدب :

وكنّا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحيات الحب حلمت وما حلنا

قال فاتقبت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مات قال بلى فأتى فاصنع الله بك قال غفر لي مغفرة فأحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال يخرج ذاك - من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصلى
فرض العصر وبقية
النهار يشغله بالتسبيح
والاستغفار والصلاة
على النبي صلى الله عليه
وسلم فإنه يرى بركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من يضبط
أحواله وأقواله وأفعاله
جميع الأسبوع لأنه يوم
المزيد لكل صادق
ويكون ما يجده يوم
الجمعة معيارا يعتبر به
سائر الأسبوع الذى
مضى فإنه إذا كان
الأسبوع سليما يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأنوار والبركات وما يجد
في يوم الجمعة من الظلمة
وسامة النفس وقلة

قال أجلفي على كرسى من ذهب ونثر على الأوثار الرب و رأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - فاصطفى الحسن البصري على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في منامي رجلا آدم طوا الأوال الناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا أويس القرني فأثبته فقلت أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر قهقهة عند مصيبتها ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال أبو بكر بن أبي صيرم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد فقلت فأى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعمة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرأها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قد منا على أمر عظيم نعم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسيحبة أو تسيحطان أو ركبة أو ركمتان في فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت يا هادي الضلين ويا راحم الذين ويا مقبل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والسليين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء الرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله سمعت هذا فقال بالورع قلت فتابال على بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا تكايرى الكوكب ورأى رجلا من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظمى قال نعم من لم ينفق القصد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له . وقال الشافعي رحمه الله عليه دهمني في هذه الأيام أمر مضى وآلئى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لأملك لنفسى نقما ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ما وقفتى اللهم فوقنى لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أدعت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه ففعلكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من الكاشفات تدل على أحوال اللوتى وعلى الأعمال القريبة إلى الله زلتى ، فلنذكر بعدها ما بين يدي اللوتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أوفى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أوفى النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار] وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المسألة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الحصى ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الخوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالتها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وشررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة نفخة الصور)

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى مكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشطر الثانى من وقت نفخة الصور)

الانفراج فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقى جدا أن يلبس للناس اما للترفع من الثياب أو ثياب التشفين ليرى بين الزهد ففى لبس للترفع للناس هو وفى لبس الحشن رياء فلا يلبس إلا الله . بلغنا أن سفيان لبس القمحى مغلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويغير ثم أسسك وقال لبسته بنية الله فلا غيره فألبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا يبدل البتدى أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ

وديدانه ثم لشكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مضطربا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من فزع الصور والبث يوم النشور والعرض على الجبار والتؤال عن القليل والكثير ونصب لليزان لمعرفة القادير ثم جواز الصراط مع دقته وشدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالاستعداد وإما بالاشتقاء فهذه أحوال وأحوال لا بد لك من معرفتها إيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبث من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثرت الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من صوبه أئذنتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحرق الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحرق جهنم وزمهرير هاجع ما تكتنفه من الصاعب والأحوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مديده لتناوله كان مصداقا لبسائه ثم كذبا به له وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولها وأما تكذيبه فقول له لن يبدني كابدني (١) » وإيما تخور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم الأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القنطرة مثل هذا آدمي الصور العاقل التكلم المتصرف لا شدة نور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى « وأولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - وقال تعالى أعجب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني عني ثم كان علقة غلظ فوسى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ففى خلق آدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعجيب زيد على الأعجيب بهته وإعادته في فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقول الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتذكر أولها فيما يقرع مجمع سكان القبور من شدة نفع الصور فإنها صيحة واحدة تنفجر بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فركك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزهجهم الفزع والربح مضافا إلى ما كان عندهم من المغموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى - ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قرأ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بئنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جذبرا بأن يتقي فاتها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة

(١) حديث قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أصل أو أكثر كيف أمكن ولا يصح إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فإنه يجد بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم التردد ذكر واحد ليجمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيد التلاوة والصلاة أو في ما يفيد الذكر الواحد فإذا سئم في بعض الأحيان يصانع النفس على الذكر تصانعة وينزل من التلاوة

وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ (١) « قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرئيل عليه السلام وضع يده على القرن كبينة اليوق ودائرة رأس القرن كقرص السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صفق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرئيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرئيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يابث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرئيل فيأمره أن ينفخ الثانية فنفخ قوله تعالى - ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فأتقوا النفخة (٢) » فنفكر في الخلائق وذلمم وانكسارهم واستكاثهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من معادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحيرا كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من الترفين والأغنياء للتمتعين بملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم يوطشون بالأقدام مثل الدار وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم التشور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أبليت الشياطين للردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هبة العرش على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا - فنفكر في حالك وحال قايتك هناك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم النظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع مصف لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها قوة يخفى الإنسان ورواه ولا واهة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا فصباحا من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أنظار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد (٣) »

(١) حديث كيف أنعم وصاحب الصور قد التزم القرن وحتى الجهة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبي القرن بأيديهما أو في أيديهما قرآن يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه (٢) حديث حين يبعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرئيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرئيل فهو واضمه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان وإسناده جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد

إلى الله كره فانه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يستد به كل الاستعداد فانه عمل ناقص ولا يحشر الوساوس وحديث النفس فانه مضروداه عزال فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشتمل بها ولا يمزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يمزجه بحديث النفس وإن كان أعجميا لا يعلم

قال الراوى : والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم أى لانباء يستر ولا تفتاوت برد البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساوئها إلا في الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدد الأديم العكاظى أرض بياض مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسماوات تذهب شمسهما وقررها ونجومها فانظر يامسكين في هول ذلك اليوم وشدة فانه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تثار من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لحدود سراجها فينهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في سمعك وياهيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تغالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كاللؤلؤ وصارت الجبال كالعمن واشتبك الناس كالفرش البثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يارسول الله واسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - (١) » فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والاتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (٢) » في طبع آدمى إنكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمتص على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور الشئ على غير رجل والشئ بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لحاقته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوبا ذليلا مدحورا متعجرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة العرق)

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقواب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا القربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضج لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتدكر به وغمهم من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع

متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلهم من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيه (١) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة راوية الحديث واسوأناه الحديث الثعلبي والبقوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة واسوأناه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة واسوأناه (٢) حديث أبى هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يابى الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشفل باطنه بمطالعة نظرا لله إليه مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من أبواب المشاهدة . قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المرید بهذه الأصول وليستعن . بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الحجلة والحياة من الانتضاح والاختراء عند العرض على جدار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شجرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى يغيب أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه ^(١) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرب الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجهم ويلغ أذانهم ^(٢) » كذا رواه البخاري وسلم في الصحيح وفي حديث آخر « قياماً شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجهم العرق من شدة الكرب ^(٣) » وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ نغذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار يده فألجها فاه ، ومنهم من يغطي العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا ^(٤) » فتأمل يا مسكين في عرق أهل المنكر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج التنب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو لم يكن ابن آدم من الجهل والغرور لطم أن تعب العرق في تحمل مصائب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تقف فيه الخلائق شاحصة أبصارهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم بقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يحدون في روح نسيم . قال كعب وقادة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال « كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ^(٥) » وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يهرب الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً الحديث أخرجاه في الصحيحين كما ذكره المصنف (٣) حديث قياماً شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا أظن أنه كان يعتمد الكذب لكن له تشبه عليه (٤) حديث عقبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمر وتلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبد الله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راوياً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرى أربعة هذا أحمد مصرى والثلاثة الآخرون شاميون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق التسوم وهذا الافتقار مع كل الأقداس لا ينشبت بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلعت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيراً قطعاً علماً ذلك ونحفظاً . وقال سهل من اتقى من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيها لا يعنيه وتركه ما بينه . وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن عنده الهدى ثم رجس إلى

لا ياكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شرية حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لقمها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي غفلى أمرى عن أمر غيى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا ينضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن العاصي في عمره المختصر . واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا» (١) فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فإدام يبق لك نفس من عمره فالأمر إليك والاستعداد بيدك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال ترج ربحا لا تنتهى لسروره واستحق عمره بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا .

(صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه)

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه للديد زمانه القاهرة سلطانه القريب أوانه ، يوم ترى السماء فيه قد انقطرت ، والسموات كبت من هولاء قد انتثرت ، والنجوم الزواهر قد انكدرت ، والشمس قد كورت ، والجبال قد سيرت ، والعشار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد سحرت ، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والجحيم قد سمرت ، والجنة قد أزلت ، والجبال قد نسفت ، والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلازلهاء ، وأخرجت الأرض أنعامها ، يومئذ يصدر الناس اثنتان ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ، وعمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا ، يوم يكون الناس كالفرأش المبثوث وتكون الجبال كالهن النفوس ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفا فترك قاعا منصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان ، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الإجماع بل يؤخذ بالنواصي والأقدام ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تنخرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا أبو يلى والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ابن لهيعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولأبي يلى من حديث أبي هريرة بإسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتحلى الشمس للغروب إلى أن تغرب ورواه البيهقي في الشعب إلى أن قال أنه رفعه بإفظ إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة .

نفسه وقال نالى وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تمنى وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وإلى نفسى نفس أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فيصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا عمرو الأعمشى يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاتته من الله أكثر مما سألناه وهذه

وتتطرق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال « شيتنى هود وأخواتها »^(١) وهى الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت؛ فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءة كتابك أن تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين وإذا قنعت بحركة اللسان افتقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرها من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الفرض تنبيه أولى الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعمت من نعمتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميا . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاسبة ويوم المسألة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم النافذة ويوم الزلزلة ويوم الدميمة ويوم الساعة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم العاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم اللحاق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم اللآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم النهى ويوم التأوى ويوم الميقات ويوم اليعاد ويوم الرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الانتار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا ينفع مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم الأمانة ولهم سوء الدار يوم تردفهم العاذر وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار يوم تخشع فيه الأيصار وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهما الشهداء وشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلى الجحيم وزفرت النار ويشس الكفار وسمرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت السُّور واستترت عن الخلائق قمارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك كل لويل كل لويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اقتراب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة

الجملة يحتاج البدنى أن يحكمها والنهسى عالم بها عامل بمخائنها فالمتسدى صادق والنهسى صديق قال أبو سعيد القرنى الصادق الذى ظاهره مستقيم وباطنه يعيل أحيانا إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الخلاوة فى بعض الطاعة ولا يجدها فى بعض وإذا اشتغل بالله كثر نور الروح وإذا اشتغل بمحظوظ النفس يحجب عن الأذكار والصديق الذى استقام ظاهره وباطنه سبى الله تعالى بتسلوئ الأحوال لا يجيبه عن الله وعن الأذكار أكل

(١) حديث شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وانشق القمر - إنهم يرونه بعيدا ويراها قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا تتدبر معانيه ولا تنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميهِ ولا نستعد لتخلص من دواهيهِ فنموذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

(صفة الساءة)

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والتغير والقطير فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عذابها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المهجرين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام (١) » لما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء اللئكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذون فهذا حال المقربين لما ظنك بالعصاة المهجرين وعند ذلك يدار أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع اللئكة من سؤالهم إجلالا لحاقهم عن أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم مزهين ليلبكم عما توهمه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم اللئكة صفحا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الدل والخضوع وهيئة الخوف والهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن للرسلين فلنقصن عليهم بعلوما كنا غائبين - وقوله - فو ربك لنسلأهم أجمعين عما كانوا يعملون - فيبدأ سبحانه بالأنبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيأشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا قدهن عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقوبهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أئانا من نذير ويؤتى عيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هبة هذا السؤال سنين فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل اللئكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائس وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملائ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرفت الأرض بنور ربها - وأيقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسالة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواء وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل اتقنى بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل أجيبي خالقك ومليكك فيصادفهم جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشتمت وسمعت الخلائق تهيظها وزفيرها واتهضت خزنتها متوبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ببالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فساقطوا حيا على الركب

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصديق
يريد نفسه لله وأقرب
الأحوال إلى النبوة
الصدقية . وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء . واعلم
أن أرباب النهايات
استقامت بواطنهم
وظواهرهم لله
وأرواحهم خلصت
عن ظلمات النفوس
ووطئت بساط القرب
وتسوسهم متقادة
مطوعة صالحة مع
القلوب مجيبة إلى كل
ما تحيب إليه القلوب
أرواحهم متعلقة
بالمقام الأعلى انطفأت
فيهم نيران الهوى
وتخمر في بواطنهم

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ .

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جاثية - وسقط بعضهم على الوجوه منسكبين وينادي الصاقيون الظالمون بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فضايف خوفهم وتحاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فساقط الحلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع وانهمضت عند ذلك قلوب الظالمين فلبست الحناجر كاطمين وذهلت العقول من السمداء والأعقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجيتم فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة فقر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا » قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا » قال فوالله نفسى يده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الحيل والابل وأذكرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتنى (١) فتوهم نفسك يامسكين وقد أخذت اللانكة بضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب قويا ذا ألبية ألم أمهل لك في العمر قويا ذا أفتية ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وقيا ذا أفتقة ألم أكرمك بالملم فإذا عملت فباعلت فكيف ترى حياتك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضي الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتندرون ثم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجزى على نفسى إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبوا بالكرام السكاكين شهودا قال فيحتم على فيه ويقال لأركانه انطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بمدا لكن وسحقا فضكن كنت أنا ضل (٢) فتعذبه الله من الاتضاح على ملا الحاق بشهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد للؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا إغيار جى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبهم عما يكرهون لو سمعوه فهذا جدبر بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستره عن غيرك ليس قد فرغ سمعك النداء إلى المعرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من عدة الهول مظلم تقدر

صريح العلم وانكشف
لهم الآخرة كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حق أبي
بكر رضي الله عنه « من
أراد أن ينظر إلى ميت
يتشى على وجه الأرض
فلينظر إلى أبي بكر »
إشارة منه عليه
الصلاة والسلام إلى
ما كشف به من
صريح العلم الذي
لا يصل إليه عوام
الؤمنين إلا بعد الموت
حيث يقال فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد - فأرباب
النهايات ماتت أهولهم
وخلصت أرواحهم .
قال يحيى بن ماذوق
سئل عن وصف
العارف فقال رجل

(١) حديث أبي هريرة هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد به مسلم (٢) حديث أنس أتندرون ثم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتغرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم فزوم نفسك أنك في أيدي الوكيلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق حمزون وجل وطرف خاضع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسبتها فقد كرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فأنكشفت لك عن مساوئها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وهجز فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حباثتك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذا يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزني بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادي استخفت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيبي ألم أنعم عليك فإذا غرك بي أظننت أني لا أراك وأنتك لا تلتفتاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتنق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكمة طيبة» (٢) وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخو الله عز وجل به كما يخو أحدكم بالقر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى مالا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا أنفق فاعظم يأسكمين بحياثك عند ذلك ويخطر قلبك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فند ذلك يعظم سرورك وفرحك وينبطك الأولون والآخرون وإما أن يقال لله الألسنة خذوا هذا الصبد السوء فنلوه ثم ألججوه صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك.

(صفة لليزان)

ثم لا تنفل عن الفكر في اليزان وتطير الكتب إلى الأيمان والتمائل فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم في النار فتبتلهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سمادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقيم الحمدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم عن لم تشغلهم نجارة الدنيا ولا يعيها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها وينتقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد غنى عنهم ولا يغنى على الله تعالى أن الغالب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليعين فضلهم عند العفو وعده عند العقاب فتطير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب اليزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أ تقع في اليمين أو في الشمال ثم إلى لسان اليزان أي ميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدي عن أبي حاتم بلفظ إلا سيكلهم الحديث (٢) حديث ليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخاري من حديث عدي بن حاتم .

مهم بأن منهم وقال
مرة عبد كان فبان
فأرباب النهايات هم
عند الله بحقيقتهم
معوقين بتوفيت الأجل
جعلهم الله تعالى من
جنوده في خلقه بهم
يهدى وبهم يرشد
وبهم يجذب أهل
الارادة كلامهم دواء
واظفرهم دواء ظاهرهم
محفوظ بالحكم وباطنهم
معمور بالمسلم . قال
ذو النون علامة
العارفين ثلاثة لا يطفىء
نور معرفته نور ورعه
ولا يستفقد باطننا من
العلم ينقض عليه ظاهرا
من الحكم ولا يجعله
كثره نعم الله وكرامته
على هتك أستار محارم
الله فأرباب النهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضى الله عنها فنفس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فتقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسى بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أينخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أيمنه يأخذ كتابه أو يسأله ، وعند الصراط (١) . وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سمد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان سعادة لا يسعد بعدها أبداً وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابست النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبأسوا حتى ما أوضوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لحليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتا مع من هلك من بني آدم وبني إبليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة (٢) »

(صفة الحصى ورد المظالم)

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاحصة إلى لسان الميزان - فأما من تقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمة هاوية وما أدراك ما هي نار حامية - واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حاسبه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ولا يتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد للمظالم حبة بعد حبة ويستعمل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويظلم قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتني فشمشتني وهذا يقول أبائتني فعبتني وأخفيت عني عيب سلتك وهذا يقول كذبت في سعر

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
- (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فابست النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعون وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

كلما ازدادوا نعمة
ازدادوا عبودية وكلما
ازدادوا دنيا ازدادوا
قربا وكلما ازدادوا
جها ورفعة ازدادوا
تواضعا وذلة - أدلة على
الؤمنين أعزة على
الكافرين - وكلما تناولوا
شهوة من شهوات
النفوس استخرجت
منهم شكرا صافيا
بتناولون الشهوات مرة
رققا بالنفوس لأنها
معهم كالطفل الذي
يلطف بالشيء ويهدى
له شيء لأنه مقهور
تحت السياسة مرحوم
ملطوف به وتارة
يمنعون نفوسهم
للمشهورات تأسيا بالأنبياء
واختيارهم التقليل من
الشهوات الدنيوية قال

متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا لها أطعمتني وهذا يقول وجدتي مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عن فداهنت الظالم وما راعيتني ، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك محالهم وأحكوا في تلايبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عامله على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة بغية أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخاضك من أيديهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - فخذ ذلك ينخلع قلبك من الهية وتوقن نفسك بالبور وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحبين الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مغنى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس الآلة فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوقته بخطاب السياسة وأنت مغلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عفداً فخذ ذلك تؤخذ حسناتك التي تمبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من ألقى الفلوس قلنا الفلوس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال الفلوس من ألقى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (١) » ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يملك لك حسنة من آفات الرياء ومكاييد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طوية ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقضى عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف يبقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من الظالم في يوم يقتص فيه للجماة من القراء ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضى بينهما يوم القيامة (٢) » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهايم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القراء ثم يقول كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت تراباً فكنت أنت يامسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تبسك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبت واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ما فارقتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المباينة والمجاورة والمخالطة والمناظرة والذاكرة والدارسة وسائر أصناف العامة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من الفلوس ؟ قالوا الفلوس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع الحديث تقدم (٢) حديث : يا أبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضى بينهما أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر .

يحيى بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها والعارف بالله مشغل بسيدته ولا يلتفت إليها . واعلم أن المنتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضاً عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن المنتهى استغنى عن الزيادات والتوافل ولا على قلبه من الاسترسال في تناول اللذات والشهوات وهذا خطأ لا من حيث إنه يحجب العارف عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيريض منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليحیی يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجيه لما يزال عبد يحیی فيقول رب إن فلانا ظلمي بمظلمة فيقول أمح من حسناته لما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب ففترق القوم فخطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال : نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطفة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غير أنهم ما قال : قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقضه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقضه منه حتى لاظلمة قلنا وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غير أنهم ما قال بالحسنات والسيئات (٣) » فاتقوا الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكرم من حسناته ليوم القصاص وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكامل الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فمسا به بقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ أتاه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأني أنت وأمي قال رجلا من أمي جثا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظمتي من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يتحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة

يوقف عن مقام الزبد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم فسوة ولا نورهم حجة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا في للأكل والشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقيت بنور الحال وعدم التخلص بالكلية إلى نور الحق ومن تخاف من نور

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيريض منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات الحديث وفي آخره وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة الحديث رواه أحمد وأحمد والبيهقي في الشعب مقتصرًا على آخره إما كم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكته وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غير أنهم ما بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء الحديث فأت ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله ابن أنس رواه أحمد بإسناد حسن وقال غرلا مكان غيرا .

مرفعة وقصورا من ذهب مكللة بالؤلؤ لؤلؤى نبى هذا أولى صدق هذا أولى شهيد هذا قال لمن أعطاني
الغن قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين (١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالخلق بأخلاق
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتذكر الآن في نفسك إن خلت محبتك عن الظالم أو تظلم
لك حق عفائك وأمنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع
عليك خلة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبعم لا يدور بهواه الفناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابتسج وجهك واستنار وأشرق كإشراق القمر ليلة البدر فتوهم بتجرك بين الخلائق
رافضا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرتك ونصرة نسيم النسيم وبرد الرضا تلا لأمن جبينك وخلق الأولين
والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك وينبطونك في حسنك وجمالك واللائكة يحشون بين يديك ومن
خالقك وينادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سدد سعادته لا يشقى
بعدها أبدا أقرى أن هذا للنصب ليس بأعظم من السكينة التى تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك
ومداهنتك وتضمنك وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لانسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه
الربة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فإن تدرك ذلك إلا به وإن تسكن الأخرى
والعياذ بالله بأن خرج من محبتك جريئة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة ففتنك لأجلها فقال
عليك لفتى يا عبد السوء لا تخجل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا وبسود وجهك ثم تغضب
للائكة تغضب الله تعالى فيقولون عليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنال إليك الزبانية
وقد غضبت لتغضب خالقها فأقدمت عليك بمظاظها وزعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك
يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون إلى أسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثورا واحدا وادع ثورا كثيرا وتنادى لللائكة
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعجازه ولعنه بعبا مع مساويه فشقى شقاوة لا يسد
بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طابا للسكينة في قلوبهم أو خوفا من
الافتضاح عندهم لما أعظم جهلك إذ تحتز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا
للتفرقة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التمرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق
بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تذكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى - يوم نحشر النقيين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
إلى جهنم وردا - وفي قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم - وقوهم إنهم مسئولون - قال ناس بعد هذه
الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فمن
استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تشرى أول قدم من الصراط وتردى ففكر الآن فيما عمل من الفزع بخوادك
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحتك ثم قرع سمك شقيق النار وتفيظها

(١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيت ضحك حتى بدت ثناياه فقال
عمر ما أضحكك يا رسول الله أبى وأمى قال رجلان من أمى جسيان يديرب العالمين الحديث بطوله
ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
ينهب عنه بقايا
السكر ويوقف نفسه
مقام العبيد كأحد
عوام المؤمنين يتقرب
بالصلاة والصوم وأنواع
البر حتى يطمأنة الأذى
عن الطريق ولا
يستكبر ولا يستكف
أن يسود في صور
عوام المؤمنين من
إظهار الإرادة بكل
بر وصلة فيتناول
الشهوات وقتا رقعا

وفد كفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهرك بالأوزار السائلة لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطربت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلاتق بين يديك تزلون ويتعثرون وتتباولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلايب وأنت تنظر إليهم كيف يتكسون فتسفل إلى جهة النار ردوسهم وتملأ أرجلهم فياله من منظر ما أفظمه ومترقى ما أصعبه وعجز ما أضيقه فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهاقون في النار والرسول عليه السلام يقول «يا رب سلم سلم» والزحقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلّاتق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياقي باليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم آخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت أمتي لم تلدني ، وعند ذلك تحتطفك النيران والعاذ بالله وينادي النادى اخسثوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبلاستعداد له متهاونا فما أعظم خسارتك وطفيلتك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يعثبك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياح قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فناهيك به هولا وفزعاً ورجعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج من أمتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تحتطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بماله ومنهم من يخرج دل ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطاطيف تحتطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يحبوا ومنهم من يزحفون زحفاً فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون لحما ثم يؤذن في الشفاعة^(٢)» وذكر إلى آخر الحديث . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فرفعوا رءوسهم فيعطى نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة ويخجو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس المطهرة المركة للنفادة الطواعة لأنها أسيرته وينعما التسهوات وقتا لأن في ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الصبي فإنه إن جاوز حد الاعتدال من إعطاء المراد وقتا ومنع وقتا اتسدت طبعه لأن الجلبة لا بد من فهمها سياسة العلم ومادامت الجلبة باقية لا بد من

(١) حديث ينصب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج من أمتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تحتطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يحبوا ومنهم من يزحفون زحفاً فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون لحما ثم يؤذن في الشفاعة^(٢)» وذكر إلى آخر الحديث . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فرفعوا رءوسهم فيعطى نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة ويخجو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كقطض السكواكب ومنهم من يمر كشدة الفرس ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره على إيمانهم قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيقتل (١) » وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن اللائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام يأخذ بحجزتي وإنى لأقول يا رب سلم سلم فاللون والزلات يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائمها فطول فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كركة النساء تدمع عينك وبرق قلبك حال السباع ثم تنفاه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك فماذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعدك من رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعذت بالله فعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشياطين يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فادارأي أذياب السبع ووصلته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأتى ينفي عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا مبدوء غيره ومن أعجز إله هو الله فهو بعيد من الصدق في توحيد وأمره محط في نفسه فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمتهم ومبتبرا بأدعيتهم فساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى يفضله قبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقراته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عباده قائل الذي تزدرب عينك هو ولي الله ولا تستصغر مصيبة أصلا فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحق أصلا طاعة فإن الله تعالى خبا رضاء في طاعته فلعل رضاء فيه ولو الكلمة الطيبة أو الكلمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجرى هؤلاء وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولستوف يعطيك ربك فترضى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث يطوله رواد ابن عدي والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا إسناد ضيف قال وروى عن زياد الخيرى عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

سياسة المسلم وهذا
باب غامض دخل
في النهايات على المنتهى
من ذلك ودخل ووقع
الركون وانسد به
باب الزيد فالمنتهى
ملك ناصية الاختيار
في الأخذ والترك ولا بد
له من أخذ وترك
في الأعمال والحظوظ
ففي الأعمال لا بد له من
أخذ وترك فتارة
يأتي بالأعمال كآحاد
الصادقين وتارة يترك

روى عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام - رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سرضيك في أمتك ولا نسوءك ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي القتائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً فأنا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأعطيته الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غفر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غفر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع يدي لواء الحمد تحت آدم فمن دونه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبى دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ^(٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقيم منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول يا رب أمتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم لنا أزال أشفع حتى أعطى صكاً كرجال قد بعث بهم إلى النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول يا محمد مارتكت النار لنضرب ربك في أمتك من بقية ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر ^(٦) » وقال أبو هريرة « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تصعبه فقبض منها ثمشة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من النعم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس

زيادة الأعمال رقماً
بالنفس وتارة يأخذ
الخطوط والشهوات رقماً
بالنفس وتارة يتركها
افتقاداً للنفس بحسن
السياسة فيكون في
ذلك كله مختاراً فمن
ساكن ترك الخطوط
بالكلية فهو زاهد
تارك بالكلية ومن
استمرسل في أخذها
فهو راغب بالكلية
والمتنهي شمل الطرفين
فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه وسلم - رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى صلى الله عليه وسلم - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه . ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سرضيك ولا نسوءك في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النسخ (٢) حديث أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطيته الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غفر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غفر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبى دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويقيم منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف (٦) حديث إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر أحمد والطبراني من حديث مريدة بسند حسن .

بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم
بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر
اللائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام
إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فصيته نفسي
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل
إلى أهل الأرض وقد صمالك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام
فيقولون أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربي
قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات
ويذكرها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون
ياموسى أنت رسول الله فضلك برسائه وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول
إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وإنى غضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسى
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله
وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وكتب الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى
عليه السلام إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله
وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأطلق
فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على
أحد قبل ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمى أمى يا رب يقال يا محمد
أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من
الأبواب ثم قال والذي نفسى بيده إن بين المصرعين من مصارع الجنة كباين مكة وحمير أو كما بين مكة
وبصرى (١) وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله في السكوا كب هذا ربي
وقوله لأهلهم بل ضله كبيرهم هذا وقوله إنى مقيد فمذه شفاعرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآحاد أمتهم من
الطماء والصالحين شفاعرة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعرة رجل من أمتى
أكثر من ربيعة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع في قوم الرجل فيشفع للقبيلة

(١) حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها
نمشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله في الشفاعة قال وفي حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا
إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجه مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعرة رجل من
أمتى أكثر من ربيعة ومضر رويناه في جزء أبي عمر بن السكك من حديث أبي أمامة إلا أنه
قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان
وإسناده حسن ولازمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبي الجعداء يدخل الجنة
بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال
الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

واقف على الصراط
بين الافراط والتفريط
فن ردت إليه
الأقسام في النهاية
فأخذها زاهدا في
الزهد فهو تحت قهر
الحال من ترك الاختيار
وتارك الاختيار الوافق
مع فعل الله تعالى مقيد
بالحال وكما أن الزاهد
مقيد بالترك تارك
الاختيار فكذلك
الزاهد في الزهد الآخذ
من الدنيا ماسيق إليه

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقيتني
 شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إني
 أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ فقلت لا من أنت ؟ فقال أنا الذي
 استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من
 النار (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا
 وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يثسوا لواء الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي
 ولا نخر (٣) « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة
 من حلال الجنة ثم أقوم عن عيمن العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (٤) «
 وقال ابن عباس رضى الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
 يخرج حتى إذا دنا منهم منهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبنا إن الله عز وجل اتخذ من
 خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كله تكليما ، وقال آخر فعيسى
 كله الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله ففرج عليهم صلى الله عليه وسلم فلم وقال قد سمعت
 كلامكم وتمجيكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
 وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا نخر وأنا حامل لواء الحمد
 يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك خلق
 الجنة فيمنح الله لي فأدخلها ومعى قفراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) «
 (صفة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه
 ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه
 لم يظم أبدا . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له
 يا رسول الله لم ضحكك ؟ فقال آية أنزات على آفقا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك
 الكوثر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعديته

(١) حديث يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على
 قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أمي من يشفع للقبائل ومنهم من يشفع للقبيلة
 الحديث وقال حسن وللبرار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس
 إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقيتني
 شربة فسقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
 بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب
 (٤) حديث فأكسي حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عيمن العرش الحديث الترمذي من حديث
 أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم منهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
 عجبنا إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا الحديث رواه الترمذي وقال غريب .

لرويته فعل الله مقيدا
 بالأخذ وإذا استقرت
 النهاية لا يتقيد بالأخذ
 ولا بالترك بل يترك وقتا
 واختاره من اختيار الله
 ويأخذ وقتا واختاره
 من اختيار الله وهكذا
 صومه النافلة وصلاته
 النافلة يأتي بها وقتا
 ويسمح للنفس وقتا لأنه
 مختار صحيح في الاختيار
 في الحالين وهذا هو
 الصحيح ونهاية النهاية
 وكل حال يستقر

ربى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب التؤلؤ المجوف قلت ماهذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرِب الملك يده فاذا طينه مسك أذفر (٢) وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وعمان (٣) وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرا به أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جنادل التؤلؤ والرجان (٤) وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبدا أو ك الناس ورودا عليه قراء الهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله؟ قال هم الثمث رهوسا الذين يابا الذين لا ينكحون التثنيات ولا يفتح لهم أبواب السدد (٥) قال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت التثنيات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد لأن يرحمني الله لا جرم لأذهن رأسي حتى شعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسفع وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آتية الحوض؟ قال والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وأكوابها في الليلة المظلمة للفضية من شرب منه لم يظأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل ظوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل (٦) وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يقيهاون أبهم أكثر واردة وإن لا رجوا أن أكون أكثرهم واردة (٧) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متعيا ومفترا وهو يظن أنه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإتبات ودفع الصواعق إلى أو ان الحصاد فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتفق الأَرْض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم غفاه فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت فقال آية زلت على آتفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب التؤلؤ المجوف الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة وعمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرا به أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جنادل التؤلؤ والرجان (٥) حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء (٦) حديث أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آتية الحوض؟ قال والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وأكوابها في الليلة المظلمة للفضية من شرب منه لم يظأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل ظوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من العسل (٧) وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يقيهاون أبهم أكثر واردة وإن لا رجوا أن أكون أكثرهم واردة (٨) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متعيا ومفترا وهو يظن أنه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإتبات ودفع الصواعق إلى أو ان الحصاد فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتفق الأَرْض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غدير رمضان ويتناول الشبهوات ولما قال الرجل إني عزمتم أن لا أأكل اللحم قال فإني أأكل اللحم وأجبه ولوسألت

فهذا مغر ومتمنّ وليس من الراجين في شيء. وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الخلق نموذبا لله من الغرور والنفلة فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى - فلا تترنكم الحياة الدنيا ولا يترنكم بالله الغرور -

(القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها)

يا أيها الناقل عن شبه الغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا للشرقة على الاضضاء والازوال دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جسيا - فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فمساك تستمدد لاجاة منه وتأمل في حال الخلاق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فيناهم في كربها وأهوالها وقوا فينتظرون حقيقة أنبأها وتشفيح شفعاها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لب وصعدوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن هدة القبط والغضب فتند ذلك أيمن المجرمون بالطيب وجئت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء القلب وخرج للنادي من الزبانية قائلا : أين فلان ابن فلان للسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل الضيع عمره في سوء العمل فيأدرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بهظام التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا مارا ضيقة الأرجاء مظلمة السالك مبهمة الهالك غلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمهم والهاوية تجمعهم أمانهم فيها الهلاك ومالم منها فساك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد فضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لانورد فتقول الزبانية هيأت لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسثوا فيها ولا تكلمون ولوا أخرجتم منها لكتنتم إلى ما نهيتهم عنه تمودون فتند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتم والنار عن أيانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طامسهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القامع وتقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضائقها ويتحطمون في دركاتهما ويضطربون بين غواصيا تغلق بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولحم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيفتجر الصديد من أفواههم وتنقطع من المعشأ كباهم وتسيل على الحدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمتع من الأطراف شعورها بل جلودها وكلها فضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم بقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق المصوب وهي تنش في لفتح تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصمهم وأقدامهم وهم يحشون على النار بوجوههم ويطنون حسك الحديد بأحداقهم فليهب النار سار في بواطن أجسامهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض

ي أن يطعم كل يوم لأطعمني وذلك يدلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا في ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك الأكل اختارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرعا وهذا إذا

جدة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتذكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والنافق حتى يواقع ذلك كله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قبل يارسول الله وما وادي أوجب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء للرائين ^(٢) » فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهوانها وعدد أبوابها بمدد الأعضاء السبعة التي بها يصح البعد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سفر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكلا لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا جبرأئيل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى فرعها ^(٣) » ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالعريق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بخلافها لا تقدي بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتنعل بنطين من نار ينطى دماغه من حرارة نعليه ^(٤) » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقل ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الله ناء عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيئات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاؤوها طائعين هراهم فيموتون هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافت أهل الدنيا ^(٥) » بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمز الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ^(٦) » وقال ﷺ « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لي فسيفن

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شئب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينهي الكافرو المنافق حتى يواقع ذلك كله لم أجده هكذا بمجملته وسيأتي بعده ماورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث رواه بن عدى بلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهاني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة الحديث وفيه هذا حجر أرسل في جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتقل بنطين من نار الحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد ولليزار من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليكم حتى أحسبه قال فضحت بالماء فتشبه عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألف عام حتى احترت الحديث تقدم

قالوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والعزيمة التأسي بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفضله لأرباب العزائم ثم إن المنتهى يحاكي حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل

نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من
 زمهريرها (١) وقال أنس بن مالك يؤتى بأثم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغمسوه في النار غمسة
 ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس حرًا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة
 ثم يقال له هل رأيت ضرًا قط فيقول لا. وقال أبو هريرة لو كان في السجدة ألف ألف أوزيدون ثم تنفس
 رجل من أهل النار لما توارى وقد قال بعض الماء في قوله - تلتفح وجوههم النار - إنها لفتحهم لفتح واحدة لما
 أثبت لها على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى
 يترقون فيه وهو الصناق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ «لو أن دلوان من غساق جهنم ألقى
 في الدنيا لأنن أهل الأرض (٢) » فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد
 يتجرعه ولا يكاد يسيفه وبأبيه للوت من كل مكان وما هو بيت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
 يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعًا . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى
 - ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون فشاربون
 عليه من الحميم فشاربون شرب الحميم - وقال تعالى - إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه
 رؤس الشياطين فانهم لا تكون منها فمالتون منها البطون ثم إن لهم عليها الثوب من حميم ثم إن مرجعهم
 إلى الجحيم - وقال تعالى - تصلى نارًا حامية تسقى من عين آنية - وقال تعالى - إن الدنيا أنكالا وجهيا
 وطعاما ذا غصا وعذابا أليما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في
 بحر الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك (٣) » وقال أنس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «ارغبوا فيما رغبتكم الله واحذروا ما خوفكم الله به من عذابه
 وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت
 قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثتها عليكم (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام
 من ضريع لا يسمن ولا يبنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم
 كما كانوا يجيزون القصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد
 فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا
 خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك
 تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا موادعاء الكافرين إلى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا
 فيدعون فيقولون يا مالكا ليقتض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ما كنتم (٥) » قال الأعمش أثبت أن

ما كان يعتمد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 ينبغي أن يعتمد
 فكان قيام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وصيامه الزائد لا يغلو
 إما أنه كان يقتدى به
 وإما أنه كان لمزيد
 كان يحده بذلك فان
 كان يقتدى به
 فالمنتهى أيضا مقتدى
 به ينبغي أن يأتي بثل
 ذلك والصحيح الحق
 أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق
 عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلوان من غساق ألقى في الدنيا
 لأنن أهل الأرض الترمذي وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث
 ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم الحديث
 الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارغبوا فيما رغبتكم فيه واحذروا ما خوفكم
 به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إلا إسنادا (٥) حديث أبي الدرداء يلقى على
 أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذي من رواية سمرة
 ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والناس لا يعرفون هذا
 الحديث وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسوا فيها ولا تكلّمون قال فعند ذلك يشعرون من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يقرب إليه فيسكره فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حميمًا قطع أمعاءهم - وقال تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم^(١)» فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفضاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزيمه يعني أشداه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا يحسبن الذين يخولون بنا آتاهم الله من فضله الآية -^(٢)» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسمة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالغزال الوكفة يلسعن اللسمة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الحاق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم تمتل له^(٣)» ثم تكرر بهذا كلف في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولًا وعرضًا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولبغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث^(٤)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه^(٥)» وقال عليه السلام «إن الكافر ليجر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس^(٦)» ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناها جلودًا غيرها - قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا. ثم تكرر الآن في بكاء أهل النار وشيقتهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في أول إقامتهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك^(٧)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء

(١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه (٣) حديث إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسمة الحديث أحمد من رواية ابن أبي ليحة عن ذراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب وأبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى بجهم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

عليه وسلم لم يخل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجيلة. قال الله تعالى خطابا له - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمدادا من الحضرة الإلهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن

والشهيق والزفير والدعوة بالويل والشبور فلهم فيه مستروح ولكنهم ينعون أيضا من ذلك (١) قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول الله تعالى مجيبا لهم - ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا وصحنا فإرجعنا لعلنا نعمل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - أولم تكونوا قسمتم من قبل ما لكم من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - فيجيبهم الله تعالى - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا عذابنا لظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فافظالمون - فيجيبهم الله تعالى - احشوا فيها ولا تكلمون - فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله رضى عنه : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا - وقال صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلاموت (٢)» وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام ويلقى كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهو يكي قفيل لم تبكى؟ فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غموها وأحزانها وبجها وحسرتها لانهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بشئ بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرية منخضة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بهيئان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انتفعت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متممين بالرضا والرضوان في الجنة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولقد اتهم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفوا رأتهم ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون يمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرى قاتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظام وإذا لقيتهم الناس لقيتموهم محبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تجلوني وتركتهم للناس ولم تتركوا لي قال يوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب القيم (٣)» قال أحمد بن حنبل إن أحدا لا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود إلهي لا صبر لي على حر نفسك - كيف صبري

عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا إليه ولا انضموا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الأتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ورباطة النفوس

(١) حديث أنس يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفوا رأتهم الخ الحديث رواه في الأربعين لأبي هدية عن أنس وأبو هدية إبراهيم بن هدية هالك .

على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى - وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون - ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك ؟ فإن قلت فليت شعري ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجى وما الذى سبق به القضاء في حقك فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعث عن النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا وتخطبك الموائق خدفعه ولا تقصد شرا إلا فيتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة الطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من الفارين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها ثابها لدار أخرى فأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى فاستمر الخوف من قبلك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستمر الرجاء بطول الفكر في النعيم القيم للعود لأهل الجنان وسقى نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نظرة النعيم يسقون من رحيق محتوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من البقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالبحر والعسل محفوفة بالظنان والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان يعيش في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتتجبر فيه الأبصار مكملات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنت من الحرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ الكتون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربههم يتعاهدون فهم فيها اشتبهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب اللون آمنون فهم فيها يتمتعون وبأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أراضها من فضة وحبابها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحب فيها من ماء النسرين على كسبان السكافور ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المحتوم ممزوج به السليل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه بريقته وحرته لم يصنعه آدمي فيصير في تدوية صنعه وتحسين صناعته في كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس في إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه

(القول في صفة الجنة)

ألفت آخا كما أن
الأرواح ألفت أولا
ولكل روح مع
نفسه تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفوس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديم
العمل لتصفية نفسه
وتقوى الأتباع لها
احتاج إليه نفسه من
ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلى نفوس

وملاحة أحداقه في أعجابه لمن يؤمن بدار هذه صفاتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا نحل القبايع عن نزل جناتها ولا تنظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأبى بدار قد أذن الله في خرابها وبنائها بصي دونهما والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والبطش وسائر أصناف الحدثنان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتفحص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور محتمون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم شقاء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم بقرّة دون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصدقوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تسبوا فلا تهتموا أبداً وإن لكم أن تصموا فلا تبيسوا أبداً» فذلك قوله عز وجل - ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون - (١) وبهذه أردت أن تعرف صفة الجنة لاقرأ القرآن فليس وراء يان الله تعالى يان وأقرأ من قوله تعالى - ولن خاف مقام ربه جنان - إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فأقبل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على مجملها وتأمل أو لا تعدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولن خاف مقام ربه جنان - قال «جنان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» (٢) ثم انظر إلى أبواب الجنة فاتها كثيرة بحسب أصول الطاعات كالأن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلوة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم» (٣) وعن معمر بن شمرة عن عليّ كرم الله وجهه أنه ذكر النار فظلم أمرها ذكر الأناجيل ثم قال - جوسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتهموا إلى باب من أبوابها وجدوا عند مفجرة يخرج من تحتها عتبان فخرجوا فمعدوا إلى إحداها كما أمروا به فقبروا منها فأذهبت مائي بطونهم من أذى وأبأس ثم عمدوا إلى الأخرى فقطروا منها فخرت عليهم ففجرة النعيم فلم تغير أعمارهم بعدها أبداً ولا تشعب رؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم اتهموا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طمئن فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أجر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان بأمره الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيته وهو بأمرى فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

الأمّة وهكذا انتهى مع الأصحاب والأتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل في الشهوات والذوات إلا بدلالة تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحة الجلوّة للتفسير لا بد له من خطوة صحيحة بالحق حتى تكون

(١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصدقوا فلا تسقموا أبداً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أعتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطأ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونبارق مصفوفة وزرابى مثبثة - ثم انكأ فقال - الجنة التي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد يحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تنظنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك (١) » ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوتا ظاهرا فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والتنافس فيها فقال تعالى - ساقوا إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلوباء تحمل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنقص بمسب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بخلافها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون السكوك النافرة في الأفق من الشرق إلى الغرب لفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يليقها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (٢) » وقال أيضا « إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كاترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأنما (٣) » وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثكم بنرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه عليك بأبينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أتبعوا السلام وأطعموا الطعام وأداموا الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمقر تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفضى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الجماعة فقد صلى بالليل والناس نيام (٤) » يعني اليهود والنصارى والمجوس . « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - وما كن طيبة في جنات عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويسطى للؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع (٥) » .

(١) حديث أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون السكوك الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كاترون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر ألا أحدثكم بنرف الجنة قلت يا رسول الله بأبينا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث مثل عن قوله تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة والأجرى في كتاب المصيبة

جلوته في حياية خلوته
ومن يراى له أن
أوقاته كلها خلوة وأنه
لا يحجبه شيء وأن
أوقاته بالله والله ولا يرى
قصانا لأن الله ما حفظه
لحقيقة المزيد فهو
محبب في حاله غير أنه
نحت قصور لأنه مانبه
لسباسة العيلة وما عرف
سر تملك الاختيار
وما وقف من البيان
على البيضاء النقية وقد
نقلت عن الشايع كلمات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعتها بالدنيا عوضاً عنها قد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك ^(١) » . « وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة يضاء مسك خالص ^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ^(٣) » « أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال للمسك ^(٤) » « ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها ^(٥) » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أقرءوا وإن شقتم - وظل محدود - ^(٦) » وقال أبو أمامة : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفضنا بالأعراب ومسايلهم أقبل أعرابي فقال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكاً فقال قد قال الله تعالى - في سدر غضود - يخشد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة ثم تتفتح الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر ^(٧) » وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تلبسه فقلت للفلان انطلق بهذا النطح فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لأدري قال ظلم الناس بعضهم بعضاً ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من

فيها موضع اشتباه قد يسميها الإنسان ويبني عليها والأولى أن يفتقر إلى الله تعالى في أي كلمة يسميها حتى يسميها الله من ذلك الصواب . قل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت التفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز ومثل هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور (١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذي يلفظ وبلاطها المسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي بمقتضى ورواه البزار من حديث أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفاً عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال درمكة يضاء مسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وللنسائي بإسناد صحيح : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال للمسك العقيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي قال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلاً من غير ذكر لأبي أمامة .

صفه فقال يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها القؤلز والذهب وأعلىها النمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة يتم لا يأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) . « وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلق أم نسج تنسج فسكت رسول الله ﷺ وضعك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تضعكون من جاهل سأل علما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين » (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتخطون آنتهم وأشاطهم من الذهب والفضة وورشهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حلة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين الشرق والغرب » (٤) وقال ﷺ « الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للؤمن أهل لإبراهيم الآخرون » (٥) « ورواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » (٦) »

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من النواكه والطيور والسمان واللبن والسوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة يتم ولا يأس لا تبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لا عين رأت الخ فانفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلقا أم تنسج نسجا الحديث النسائي من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين الشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا نعرفه إلا من حديث رشد بن سعد (٥) حديث : الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاه المصنف للبخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض الترمذي بلفظ : ارتفاعها لسما بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث رشد بن سعد .

لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يبنى أن حظ للفرقة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ الفرقة لا يتغير ولا يفتقر إلى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ للبريد يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبر من أخبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة يعنى على الصراط ؟ قال قراء المهاجرين ، قال اليهودى لما تحفتم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الحوت ، قال لما غداؤهم على أثرها ؟ قال ينحرفهم نور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها . قال لما شربهم عليه ؟ قال من عين فيها تسمى سلسيلا . فقال صدقت (١) » وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أأست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقرئ بها خدمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الطعام والشرب والجماع ، قال اليهودى فان الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق فيض من جلودهم مثل السك فاذا البطن قد ضمير (٢) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا (٣) » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لناعمة يارسول الله . قال أنهم منها من يأكلها وأنت بمن يأكلها يا أبا بكر (٤) » وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى - يطاف عليهم بصحاف - قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من تسنيم - قال يمزج لأصحاب اليمين ويشربه للتقربون صرفا . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : فى قوله تعالى - ختامه مسك - قال هو شراب أبيض مثل الفضة يخنمون به آخر شربهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذوروح إلا وجد ريح طيبها .

(صفة الحور العين والولدان)

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه ، روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحكم أوموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة طلعت إلى الأرض لأضأت وللاث ما بينهما رائحة ولنصفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها (٥) » يعنى الحمار وقال

(١) حديث ثوبان جاء جبر من أخبار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعنى على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودى لما تحفتم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون الحديث رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم أأست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق فيض من جلودهم مثل السك الفسائى فى الكبرى بإسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا بالزار بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن فى الجنة طيرا أمثال البخاني الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير لناعمة قال أكلها أنهم قالها ثلاثا وإنى أرجو أن تكون بمن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر السكون وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر : إن هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لأبى بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخارى من حديث أنس .

التميز وليس فى هذا الكلام وأمثاله ما ينافى ما ذكرناه . قيل ل محمد ابن الفضل حاجة الممارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الحصلة التى كلفت بها الحسن كلها ألا وهى الاستقامة وكل من كان آمن معرفة كان آمن استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التجماع والعباد فى الابتداء مأخوذ فى الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهن الياقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصنى من الرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لنضى مما بين الشرق والغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى اليدخ عليه خيام اللؤلؤ والبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقام السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ماهذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقان عن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نطفن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - (٢) وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة - قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد . وقال الأوزاعي - في شغل ما كرون - قال شغلهم اقتضاض الأبكار . وقال رجل يا رسول الله أياضع أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك (٣) وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسمى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهم مقدار عمره في الدنيا» (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلاق مثلها يقان عن الخالدات فلا يبيدون ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط قطوبى لمن كان لنا وكنا له» (٥) وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي سعيد الخدرى في قوله تعالى - كأنهن الياقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أصنى من الرأة الحديث أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسل لا دون ذكر أبي سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود إن الرأة من نساء أهل الجنة ليرى يابض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم (٢) حديث أنس لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والبرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه أن جبريل قال هؤلاء المقصورات في الخيام وفيه فطفقن يقان عن الراضيات فلا نسخط لم أجده هكذا بتمامه وللترمذى من حديث علي بن إن في الجنة لمجتمع للحور العين يرفعن أصوات لم تسمع الخلاق مثلها يقان نحن الخالدات فلا يبيدون ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط قطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب والأبى الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف فيجتمع في كل سبعة أيام فيقن بأصوات الحديث (٣) حديث قال رجل يا رسول الله أياضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى ومحمد وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة (٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحد منهم مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات المحدثين وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عماقه لهن وإسناده ضعيف وتقدم قبله حديث (٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه في موضعين من حديث علي وقد تقدم بعضه قبل هذا بحديثين .

عن الأحوال وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال وفي الإتهاء لا تعجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم . مثل الجنيد عن النهاية فقال هي الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه أنه كان في ابتداء أمره في جهل ثم وصل إلى

« إن الحور في الجنة يتفنن نحن الحور الحسان خبثنا لأزواج كرام ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجبرون - قال الساج في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثقتان من الحور العين ينيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتهديسه ^(٢) » .
(يان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأل وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة وندعة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نعم المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه ^(٣) » وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل فأنها تصبني قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من باقورة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تصبني فهل في الجنة من إبل قال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما شئت نفسك ولدت عيناك ^(٤) » وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حملا وفصاله وشبابه في ساعة واحدة ^(٥) » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتميان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول بأخى تذكريوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فقفرنا ^(٦) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يبيض جماد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

للمعرفة ثم زد إلى التحير والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئا - وقال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشد ثم تحيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه ينادى الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون المنتهى

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتفنن فيقلن نحن الحور الحسان خبثنا لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للنسكدي قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثقتان من الحور العين ينيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتهديسه الطبراني باسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد « ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل في الجنة خيل فأنها تصبني الحديث الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه المعودى مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسل قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى اللديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له محبة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حملا وفصاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى ولأحمد من حديث لأبي رزين يلد ويلد مثل لدا تمك في الدنيا وتلدون بكم غير أن لا تولد (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس وقال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد تفرد به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسل دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يبيض جماد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله يبيض جماد ودون قوله على خلق آدم إلى آخره

وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كابين الجاية إلى صنعاء وإن عليهم
 التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين الشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم «نظرت
 إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها تكلف البعر اللقبي وإذا طيرها كالبعث وإذا فيها جارية قتلت يا جارية
 لمن أنت ؟ قالت لزيد بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢)»
 وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها
 تكلمي فقالت - قد أفلح المؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تفصيلا ، وقد
 ذكر الحسن البصري رحمه الله جللتها فقال : إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن
 وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لينة لا تشبه
 الأحلام ولا تصدع منها الرءوس وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مملوك ناعمون
 أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كل جرد مرد قد آمنوا العذاب وأطاعت
 بهم النار وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وإن عروقها وتغلبها وكرمها اللؤلؤ
 ونمازها لا يلم عليها إلا الله تعالى وإن ربها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلا وإبلا
 هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم المحور العين كأنهن يبيض مكنون
 وإن للراء تأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله
 الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يتخطون فيها ولا يولون ولا يتفوطون وإنما هو جشاء ورشح
 مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما إنه ليس ليل يكر العدو على الرواح والرواح على العدو وإن آخر من
 يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمدله في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ
 ويضع له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يبدى عليهم سبعين ألف صحيفة من ذهب وبراح
 عليهم يمثلها في كل صحيفة لون ليس في الأخرى مثله ولا يحيط به غيره كما يحيط به أوله وإن في الجنة لياقوتة
 فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب. وقال مجاهد : إن أدنى أهل
 الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرضهم القدي ينظر إلى ربه بالقدرة
 والعشي . وقال سعيد بن المسيب : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار
 من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشيت مشى
 عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الأمر والعمرون بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال
 يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد موت ترك الدنيا ممر الآخرة ، وقال أيضا في طلب الدنيا ذل
 النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فإيهما لمن يختار الذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى .

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة

ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كل وقال غريب وفي الصحيحين
 من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم نحتون ذراعا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له
 ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطع من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان
 ومن هنا باسناده أيضا وقال لانمره إلا من حديث رعد بن سمدة (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان
 من رمانها ككبد البحر للقتب وإذا طيرها كالبعث الحديث رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هريرة
 البدي عن أبي سعيد وأبو هريرة اسمه عمارة بن حريث ضعيف جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة
 يقول الله أعدت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

المراد الأخذ في طريق
 المحسوسين تجنب
 روحه إلى الحضرة
 الإلهية وتتبع
 القلب والقلب يتبع
 النفس والنفس تتبع
 القلب فيكون بكنيته
 قائما بالله ساجدا
 بين يدي الله تعالى
 كما قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 «سجد لك سواي
 وخيالي» وقال الله تعالى
 - والله يسجد من في

الكبرى التى ينسى فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب الهبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقد أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر قال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وصبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو مخرج فى الصحيحين وروى مسلم فى الصحيح عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم يتقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخبرنا من النار قاله فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هى غاية الحسنى ونهاية التحسنى وكل ما فصلناه من التمتع عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء ، وقد أوجزنا فى الكلام هنا لما فصلناه فى كتاب الهبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همه البعد من الجنة بشيء سوى لقاء الولي . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البريمة للسرعة فى اللعى .

(نغتم الكتاب بباب فى سنة رحمة الله تعالى على سبيل التفاضل بذلك)

قد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاضل (٣) » وليس لنا من الأعمال ما نرجو به للنفرة فنقتدى برسول الله ﷺ فى التفاضل ونرجو أن نغتم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى - إن الله لا يفر أن يحرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء - وقال تعالى - قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو ظنى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدین الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدهاه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعرض بقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر قال إنكم ترون ربكم الحديث هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف (٢) حديث صيب فى قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره المصنف .

(باب فى سنة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاضل متفق عليه من حديث أنس فى أثناء حديث : ويصحبى القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبى هريرة : وخيرهما القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسميها أحدكم .

السموات والأرض
طوعا وكرها وظلالهم
بالصدو والآمال -
والظلال القواب تسجد
بسجود الأرواح وعند
ذلك تسرى روح الهبة
فى جميع أجزائهم
وأبعاضهم فيتقدون
ويتنعمون بذكر
الله تعالى وتلاوة
كلامه بحبة وودا
فيحبهم الله تعالى

فان الكرم عظيم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خالق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطيور والبهائم والحوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسع وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (١)» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة (٢)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً (٣)» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف (٤)» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لقاءى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى (٥)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافى فى مقام (٦)» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بأخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٧)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفقة بولدها (٨)» وقال جابر بن عبد الله

(١) حديث إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتاباً من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمى سبقت غضبي لفظ البخارى وقال مسلم كتب فى كتابه على نفسه إن رحمى تطلب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهودياً أو نصرانياً مسلم من حديث أبى موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا قداؤك من النار ولأبى داود أمى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبرانى من حديث أبى موسى أيضاً يتجلى الله ربنا لنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه على بن زيد ابن جلدان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبرانى من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لقاءى فيقولون نعم الحديث أحمد والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافى فى مقام الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معانفى النار الحديث فى إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ - ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - النسائى فى الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفى أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت صبياً فى السبي فأخذته فألصقته ببطنها فأرضته .

وعجبهم إلى خلقه
نعمة منه عليهم وفضلاً
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردى رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزبى قال أخبرتنا
حكيمية السروزية
قالت أنا أبو الهيثم
الكشميهنى قال أنا
عبد الله الغبرى قال
أنا أبو عبد الله البخارى

من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك فارون فلم تنته وعزني وجلالي لو استغاث بي لأعنته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلسله حتى يقتحمها وينلكا الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال الصبية فلم أكن لأعرض لسخطك ثانية ويقول الذي نلكا - من ظني بك كان يشمرني أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبت لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمى^(١)» ويروى أن أعرايا مع ابن عباس يقرأ - وكنت على شفاخرة من النار فأخذكم منها - فقال الأعراي والله ما أتخذكم منها وهو يريد أن يوقهكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قبيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم يبكى؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار^(٢)» وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ «إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتستكر من هذا شيئا أعلمتك كذبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تطعم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطانت السجلات وتقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء^(٣)» وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط إن الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحد ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما -

(١) حديث ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد غفرت له لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمي ربي رواه في سباعات أبي الأعمد القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البجلي قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار مسلم من هذا الوجه وانفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينثر له تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال حدثني إسحق قال
حدثنا جسد الصد
قال حدثنا عبد الرحمن
ابن عبد الله بن دينار
عن أبيه عن أبي
سالم عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله

قال فيقول الله تعالى شفعت للانسكة وشفع النبيون وخفف للؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقمهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الأثرونها تكون مما يلي الحجر والشجر مما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الحوائيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملهم ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة ثم أرايتم فهو لكم فية ولون ربنا أعطيتنا ما لم نعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا^(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجل والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمي قبل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق قبل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا قبل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء هم أنباؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتنون ولا يسترقون ولا يطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبئك بها عكاشة^(٢) وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال «تقرب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا قلنا يا رسول الله احتسبت عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لأحساب عليهم وإنني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام الزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا؟ قال أكمل لك العدد من الأعراب^(٣) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل

(١) حديث إن الله يقول للأنسكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث في إخراج اللوحدين وقوله تعالى لأهل الجنة: فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس عرضت على الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجل والنبي ليس معه أحد الحديث إلى قوله سبئك بها عكاشة رواه البخاري (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري تقرب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لأحساب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولا أحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر فلا استزدته فقال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعیه وحقی علیه وفيه موسى بن عبيدة الرندي طيف .

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأحبه فيحبه جبريل
ثم ينادى جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء
ويوضع له القبول في

وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن
زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر^(١) وقال أبو الدرداء
«قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولئن خاف مقام ربه جنتان - قتل وإن سرق وإن زنى
يا رسول الله فقال - ولئن خاف بمقام ربه جنتان - قتل وإن سرق وإن زنى قال الدنيا والآخرة
رهب جنتان - قتل وإن سرق وإن زنى يا رسول الله قال وإن رغم أنف أبي الدرداء^(٢)» وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فليلق له هذا
فداؤك من النار^(٣)» وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه
أبي موسى عن النبي ﷺ قال «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يومئذ يأتونهم
فاستحلفهم عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلف له^(٤)» وروى «أنه وقف صبي في بعض الغار يرى ينادى عليه فيمن يزيد في يوم
صائف شديد الحر فبصرته امرأة في خباء القوم فأقبلت فتفتت وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت
الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني
فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر
فسرت رحمتهم ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فإن الله
تبارك وتعالى أرحمكم جميعاً من هذه بابنها^(٥)» فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة
فهذه الأحاديث وما أوردها في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى
أن لا يعاملنا بما نستحقه ويفضل علينا بما هو أهله عنه وسعة جوده ورحمته .

الأرض» وبالله العون
والصحة والتوفيق ،
تم بحمد الله للعبد
للبدى كتاب عوارف
للعارف للإمام
السهروردى والحمد لله
رب العالمين وعلى الله
على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

(١) حديث أبي ذر عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال بشر أمتك بأنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة الحديث متفق عليه بالفظ أنأتى جبريل فبشرنى وفى رواية لهما أنأتى آت من ربى
(٢) حديث أبى الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وابن خاف مقام ربه جنتان - فقلت وإن زنى وإن سرق الحديث رواه أحمد باسناد صحيح (٣) حديث إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل اللل قليل له هذا فداؤك من النار رواه مسلم من حديث أبى موسى نحوه وقد تقدم (٤) حديث أبى بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا عزاها المصنف لرواية مسلم وهو كذلك (٥) حديث وقف صبى فى بعض المغازى بنادى عليه فيمن يزيد فى يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة الحديث وفيه الله أرحم بكم جميعا من هذه بابها متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسى فاذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته بيطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آرون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولدها لفظ مسلم وقال البخارى فاذا امرأة من السبى قد تحابب ثم فيها تسعى إذ وجدت صبيا الحديث .

والحمد لله تعالى عودا على بدء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد في كل حركة وهذه.

يقول مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين العراقي إنني أكلت مسودة هذا التأليف في سنة ٧٩١
وأكلت تببيض هذا المختصر منها في يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠ انتهى .